

شهادات ورؤى

الجزء الاول





مركز البحوث العربية والأفريقية

من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر

شهادات و رؤى

الجزء الأول

أحمد الجبالي أحمد خضر ثريا شاكر

سعد الطويل عدلي برسوم عرين نصيف

مارسيل تشيريزي محمد عبد الواحد نجاتي عبد المجيد

تقديم

د. عاصم الدسوقي

د. فخري لبيب

المحتويات

من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر

شهادات ورؤى

تصـديـ ـر

د. عاصم الدسوقى

رغم ما كتب عن تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر من كتب ومقالات ورسائل جامعية بأقلام مصرية وغير مصرية علي فترات مختلفة، إلا أن هذه الأعمال اعتمدت فى مجملها على ما تيسر لأصحابها من مصادر أصلية أغلبها محفوظ بأرشيف بعـض الدول الأوربية التى كانت لأحزابها الشيوعية علاقة بدرجـة أو بـأخرى بالتنظيمـات الشيوعية فى مصر وخاصة فرنسا وايطاليا والاتحاد السوفيتى. أما الأرشيف البريطانى فإن له أهميته حيث يحتوى علي تقارير موظفى السلطات البريطانية وعملائهـا عـن العناصر الشيوعية فى كل مكان، وأما الأرشيف المصرى المتمثل فى وزارة الداخليـة فإنه يضم ثروة كبيرة من وثائق التنظيمات الشيوعية فى مصر منذ عام ١٩١٨ وكذا ما يتعلق بالأحزاب السياسية حتى ١٩٥٣، إلا أن هذه الوثائق ما تـزال حبيسـة المكـان المحفوظة فيه، وغير مسموح بالاطلاع عليها من الباحثين إلا فـى ظـروف خاصـة ولعناصر معينة ولأسباب محددة، ولا يوجد أسلوب لتنظيم الاطلاع عليها بالداخلية التى ما تزال تحتفظ بها ولم تنقلها إلى دار الوثائق القومية مثلما تفعل باقى الوزارات. ومـع ذلك فهناك بعض وثائق متفرقة ضمن بعض أوراق محافظ وزارات أخرى يبدو أنهـا ضلت الطريق بعيدا عن أعين وزارة الداخلية، وهناك أيضا المتحف القضـائى الـذى يحتفظ بقضايا محاكمات الشيوعيين.

ومن هنا تأتى أهمية الشهادات التى يقـدمها الشـيوعيون عـن حيـاتهم فـى التنظيمات بشكل عام، إذ أنها تمثل مصدرا مهما لتوثيق تاريخ الحركة. على أن هـذه الشهادات التى تمثل خبرة أصحابها كما يلاحظ القارئ تدخل فى باب الذكريات أكثـر من المذكرات السياسية حيث تعتمد على التذكر من أعماق الذاكرة. ومن ناحية أخـرى

فإنها تعتبر من باب الرواية الشفهية التى تعتبر فى الدوائر الأكاديمية الآن مصدرا حيا لكتابة التاريخ، نظرا لأن مثل هذه الشهادات لا يمكن بأى حال من الأحـوال أن تأخـذ طريقها إلى دور الأرشيف الرسمية لأنها ليست صادرة من إناس رسميين!!

ولا غرابة فى هذا، فإن الباحثين فى التاريخ يعتمدون مثلا على عبد الـرحمن الجبرتي فى كتابه "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" كمصدر للحملة الفرنسية فـى مصر وعصر محمد على باشا، وعلى كتاب محمد أحمد بن اياس "بدائع الزهـور فـى وقائع الدهور" كمصدر لدراسة تاريخ مصر أواخر عصر المماليـك وأوائـل العصـر العثمانى. مع أن هذين المصدرين وغيرهما من المصادر المماثلة فى فترات تاريخيـة أبعد (كتابات الطبرى والمسعودى والقلق شندى وابن تغرى بردى .. الخ) تـدخل فـى باب الرواية الشفهية والشهادة على العصر وليس فى باب الوثـائق. وربمـا اكتسـبت أهميتها لدى الباحثين فى غيبة الوثائق الرسمية آنذاك ومن هنا حازت ثقتهم واطمـأنوا اليها

وهذا ما تقوم به هذه الشهادات التى نحن بصددها فى الواقع حيث أنها تمثل أحد الأجزاء المتناثرة لصورة الحركة الشيوعية فى مصر (البورتريه).

ولقد تم تجميع هذه الشهادات بجهد جهيد قامت به لجنة توثيق الحركة الشيوعية فى مصر لا يقدره إلا من يعرف صعوبة التعامل مع هذا النوع من العمـل التـوثيقى، وهي منشورة كما كتبها أصحابها أو أملوها. وأصحاب هذه الشهادات يمثلـون جـيلا واحدا من اليساريين بصرف النظر عن فارق العمر فيما بينهم وهو ليس كبيرا فى كل الأحوال اذ كان الجميع منصهرين فى بوتقة الأربعينيات ومـا بعـدها وفـاعلين فـى نشاطاتها.

والحقيقة أن كل شهادة تمثل مصدرا قائما بذاته ويكون مع الشهادات الأخـرى درجة من التكامل، فضلا عن أنها تقود إلى معرفة آخرين ممـن أهملـتهم الكتابـات الأخرى أو المصادر الرسمية أو ممن لن يكون فى امكانهم تقديم شهاداتهم.

والتأمل فى كل شهادة يطلعنا على جانب من أسباب الانشقاق داخل التنظيمـات الشيوعية والأسباب الكامنة وراء ذلك أو تلك التى يمكن اكتشافها من بـين السـطور. على أن بعض أصحاب الشهادات لم يكتفوا بذكر الوقـائع المجـردة وإنمـا اقترنـت شهاداتهم بالتحليل والمراجعات التى تحمل فى طياتها تخطئة للبعض لحسـاب الـبعض

الآخر. وتلك أمور يلمسها القارئ بسهولة، وتفرض على الباحث الذى يعتمد عليهـا أن يميز بين الوقائع وبين رأى أصحابها حتى يكون لنفسه رأيا مستقلا من واقع قراءة كافة المعلومات والوقائع.

أما ترتيب نشر الشهادات على النحو الذى نشرت به فقد كان يمثل مشكلة تتعلق بحساسية تقديم شهادة على أخرى.. وهل تكون الأسبقية بتاريخ دخول الحركة فـى أي من تنظيماتها مع ما فى ذلك من صعوبة... أم يكون بالترتيب الأبجدى للأسماء وهـو أسلوب محايد عند أصحاب النظرة الموضوعية. غير أن الرأى اسـتقر علـى أن يـتم الترتيب حسب السن، ولا شك أن أسبقية العمر إلى حد ما تمثل أيضا وإلى حـد كبيـر أسبقية فى الارتباط بالنشاط ومن هنا تتحقق درجة من الموضوعية.

وأخيرا فإن لجنة توثيق الحركة الشيوعية فى مصر تأمل أن يكون فى نشر هذه الشهادات ما يحفز جميع أعضاء الحركة الذين ما يزالون علـى قيـد الحيـاة لتقـديم شهاداتهم عن تجربتهم وذلك لاستكمال بورتريه اليسار فى مصر.

المقـدمـة

فخرى لبيب

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية جزء أصيل مـن تـاريخ نضـال الشـعب المصرى من أجل التحرر والعدالة الاجتماعية والديمقراطية .

غير أن هذا التاريخ لا تتوافر وثائقه بنفس اليسر والسهولة التى تتـوافر بهـا وثائق الحركات الوطنية البورجوازية ، والتى أتيح لأصـحابها أن يحكمـوا ويكتبـوا ويوثقوا فى إطار شرعيتهم، أما الحركة الشيوعية فهى لم تحظى بالشرعية الحقه أبـدا، بدأت مطاردة ومازالت ، ولذا فإن وثائقها صعبة المنال، إذ أنها إما فى أضابير الأجهزة الأمنية ، أو شذرات هنا وهناك فى ثنايا القضايا الشيوعية، أو البعض منها فى مراكـز الأبحاث الخارجية المهتمة .

ولقد أقدم بعض الدارسين على محاولات تسجيلية، بها بعض الوثائق ، لكنها فى مجموعها لا تغطى ذلك التاريخ الحافل المتنوع .

ومن هنا جاءت فكرة أهمية تكوين لجنة مهمتها تجميع وثائق الحركة الشيوعية منذ العشرينات حتى ١٩٦٥، العام الذى حلت فيه الحركة أحزابها .

وقد ضمت هذه اللجنة ، ساعة تكوينها ، الزملاء:

أحمد نبيل الهلالى، اسماعيل عبد الحكم ، ثريا أدهم، خالد حمزة، داود عزيز، رمسيس لبيب، سعد الطويل، سيد ندا، شكرى عازر، طه سعد عثمـان، عبـد الخـالق الشهاوى، فاطمة زكى ، فتح الله محروس، فخرى لبيب، فوزى حبشى، مبارك عبـده فضل، محمود أمين العالم، محمد الجندى، محمد فخرى، نجاتى عبد المجيد .

واتفقت تلك المجموعة على مخاطبة " مركـز البحـوث العربيـة للدراسـات والتوثيق والنشر" للتعاون معها فى هذا المشروع نظرا لكون التوثيـق أحـد أنشـطته الرئيسية ومشاركة منه فى أداء هذه المهمة العلمية الجليلة لتاريخ مصـر. وفـى هـذا

الإطار ساهم المركز بثلاثة من باحثيه انجازا للمشروع إضافة إلـى الأسـتاذ حلمـى شعراوى مدير المركز.

وناقشت اللجنة والمركز فى ١٧ مايو ١٩٩٥ ورقة عمل المشروع والذى قـام على أساس أن محور المشروع هو التوثيق وليس التقييم، وأى أنشـطة أخـرى (مـن ندوات أو نشر مثلا) ترمى إلى المساهمة فى جمع المادة المكتوبة والشفوية ووضـعها أمام الباحثين والمهتمين للمساعدة فى الوصول إلى تقييم علمى موضوعى.

وأن يجرى جمع الوثائق المتاحة مـن الـداخل لـدى الماركسـيين القـدامى وأصدقائهم، والمراكز البحثية المحلية والدارسين المصريين، والاتصـال بالجامعـات والمراكز البحثية فى الخارج والدارسين الأجانب الذين قاموا بدراسات عـن الحركـة الشيوعية المصرية، والأصدقاء المقيمين فى الخارج وجمع الكتب والدراسـات التـى تعرضت لتاريخ الحركة والرجوع الى الجرائد والمجلات لاستخراج ما بها من وثـائق هامة وعمل بيبلوجرافيا لها، كذا جمع الوثائق الموجودة بالقضايا.

كذلك تقوم اللجنة بجمع شهادات من الذين انتموا لهذه الحركة، وأعـدت لـذلك "دليل شهادة" ليسترشد به صاحب الشهادة اختياريا .

إن هذه المجموعة لا تعتبر نفسها مؤسسة بمعنى ما، وهى ليست جماعة تلتـزم بنظام خاص ولا مركزا بحثيا ولا أى شكل مؤسسى آخر، إنها مجموعة من الـزملاء والأصدقاء يجمعهم الحرص على عدم ضياع تاريخ التيـار الماركسـى المصـرى أو تشويهه عمدا أو دون قصد ، ويقوم عملهم على الجهد التطوعى المتفتح على مشـاركة ومجهودات الآخرين .

واللجنة ترحب بمشاركة وإسهامات كل من يرغب جادا فى إنجاز هذا العمـل أيا كان قدر المشاركة، وأيا كان الفصيل الماركسى أو الجيلـى الـذى ينتمـى إليـه، وبصرف النظر عن زاوية التاريخ التى ينظر بها إلى وقائع ذلك التاريخ .

وإن حصاد هذه المجموعة، من تجميع الشهادات و الوثائق ، سـيكون متاحـا وتحت نظر الدارسين الجادين و المراكز البحثية الوطنية، وسنعمل علـى نشـر هـذا الحصاد فى كراسات و كتب تنشر على جموع القراء.

كذا تشكيل هيئة استشارية للمشروع من بعض الأساتذة المهتمين بتاريخ الحركة الشيوعية المصرية، لتقديم المشورة والمساعدة اللازمتين لانجاز المشروع .

كذلك العمل على استخدام الوسائل التقنية الحديثة بما يحقق سـهولة تخـزين

الوثائق وتصنيفها واستخدامها، كما أن عملية جمع الشهادات لابد أن تتم وفق دليل - مصوغ علميا - حتى يتسنى البحث والمقارنة والتقييم، وفى هذا المجال يتلقى المشروع معاونة مشكورة من كل من الأستاذ الدكتور/ عاصم الدسوقى، والدكتور / عماد أبو غازى.

وقد قسم العمل داخل اللجنة إلى ثلاث لجان فرعية: لجنة الوثائق ولجنة الشهادات واللجنة المالية.

وقد نجحت اللجنة والمركز فى الحصول على وثائق هامة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية يجرى تصنيفها وتوثيقها، كما سجلت مع العديد من الزملاء شهادات أدلوا بها شفاهة أو قدموها كتابة، وهذا الكتاب هو باكورة نشر البعض منها، والعمل فى هذا الجانب سيظل متواصلا.

كما قامت اللجنة بوضع حصر أولى يتضمن المنظمات الشيوعية التى تكونت فى مصر منذ عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٦٢ ومؤسسيها، والتى بلغ عددها ٤١ منظمة، ونشر هذا الحصر فى النشرة غير الدورية التى تصدرها اللجنة والمركز تحت اسم " الذاكرة الوطنية " والتى صدر منها حتى الآن عددان.

كما عقدت اللجنة والمركز ندوة يومى ٤ ، ٥ مارس ١٩٩٦ حول ٢١ فبراير ١٩٤٦، توثيقا لهذه الفترة الوطنية النابضة، وسوف تنشر أعمال تلك الندوة فى كتاب يصدر قريبا ، كما تعد لندوة أخرى عن دور اليسار فى مختلف مجالات النضال فى مصر.

إن تاريخ مصر الوطن غنى بكفاح أبنائها،ملئ بالاجتهادات والتضحيات والخبرات. وهو جدير بأن يقدم للأجيال القادمة كما هو، بحلوه ومره، دون غرض أو مرض.

وجهدنا هذا يسعى إلى إنعاش ذاكرة الأجيال الراهنة والمقبلة بحقائق التاريخ لرافد من أهم روافد الحركة الوطنية الحديثة ومن أكثرها ارتباطا بالتحرر والتقدم وروح العصر.

وكلمتنا هذه نداء أيضا نناشد فيه كل من لديه وثيقة أن يبادر بتقديمها إلى المركز سواء بالنسخ أو الإهداء، و ألا يبخل على تاريخ وطنه والحركة التى انتمى إليها يوما، ولكل من عايش الحركة وأسهم فيها ألا يكتم شهادته .

فهذا المشروع الضخم هو مسئولية جماعية تقتضى مشاركة جماعية .

شهادة

مارسيل تشيريزى

أولاً : نص الحوار الذى تم بين الأستاذ رمسيس لبيب والأستاذ خالد حمزة وبين المناضل مارسيل تشيريزى مساء يوم الأربعاء ٥ / ٤ / ١٩٩٥*

كان الوقت ضيقا لسفر الرفيق فى اليوم التالى، حضرت اللقاء جانيت زوجته ورفيقة نضاله منذ عام ١٩٣٥، كان الرفيق حاد الذاكرة رغم تجاوزه الثمانين عاما، كذلك كانت زوجته، أعلن الاثنان تمسكهما بالماركسية اللينينية و انتقد مارسيل الطريقة التى تناقش بها أزمة الشيوعية والتى تسأل حول ما إذا كان الخطأ فى النظرية أم التطبيق وقال إن سبب الأزمة هو الخروج على الماركسية اللينينية فى الاتحاد السوفيتى وبلدان المعسكر الاشتراكى. ومارسيل عضو فى حزب إعادة التكوين الشيوعى فى إيطاليا الذى يرتبط بالماركسية اللينينية ويسعى للاستفادة من دروس تجربة الانهيار.

عرضنا على مارسيل أن يسجل الحوار على شريط كاسيت لكنه فضل أن يتحدث وأن نسأل وأن نكتب ما يقول.

كنا قد قرأنا تقرير مارسيل عن الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٥٣ والذى نشره الدكتور رفعت السعيد فى كتابه (اليسار المصرى) (١٩٢٥ - ١٩٤٠) (هكذا تكلم الشيوعيون) والرد على أسئلة رفعت السعيد التى نشرت فى الكتاب الأخير ، وقرر مارسيل أنه أرسل لرفعت السعيد تصحيحا لأخطاء وردت فى كتابه ولكنه لم يقم بنشره.

نحن نسجل معنا ما ذكره مارسيل من جديد بالنسبة لما نشره رفعت السعيد والإجابات التى أدلى بها، ونقترح تجميع ما نشره رفعت السعيد ورسالة مارسيل التى لم تنشر والموجودة فى حوزة بعض الزملاء بالإضافة إلى هذا الحوار لتتوافر لنا شهادة مارسيل كاملة نظرا لأهمية دوره فى حركتنا منذ منتصف الثلاثينات.

---

*هذه شهادة مارسيل تشيريزى (وشهرته مارسيل إسرائيل) وقد تمت فى عدة جلسات سواء فى مركز البحوث العربية، أو فى بيته مع الأستاذين رمسيس لبيب وخالد حمزة فى تاريخ ١٩٩٥/٤/٥ أو مع الدكتور شكرى عازر والمهندس فوزى حبشى فى تاريخ ٢٢-١٩٩٧/٣/٢٦. كما أننا سوف ننشر هنا نص رسالته التى أرسلها إلى د. رفعت السعيد فى يناير ١٩٨٥ ولم ينشر.

مارسيل من مواليد القاهرة ١٧ يوليو ١٩١٣ وهو إيطالى الأصل وقرأ أخيرا كتابا جاء فيه أن جده إلياهو اسرائيل تشيريزى كان رئيس الطائفـة اليهوديـة وأيـد عرابى ضد الاستعمار البريطانى، وكانت نشأته فى ميت غمر وكان أبوه وعـدد مـن أعمامه يملكون مصنعا كبيرا لحلج القطن وأفلسوا بعد ذلك وكان معظم عمال المصـنع من سن ٨ إلى ١٤ سنة ويعملون لمدة ١٥ ساعة وينام الأولاد والبنات فـى حجـرات تكتظ بهم ، وكان العمال اليونانيون يضعون ما يشبه الكمامة على أنوفهم وأفواههم .

وعندما سأل أحدهم عن السبب فى أن البنات والأولاد لا تصرف لهم كمامـات حتى لا يتعرضوا للربو كانت إجابة المفتش اليونانى "دول عرب". وتفتح وعى مارسيل فى هذا المحلج وتأثر بتولستوى الكاتب الروسى ذى النزعة الإنسانية وكان أول كتـاب ماركسى قرأه كتاب (المادية الجدلية والمادية التاريخية) لبوخارين بمقدمة للرفيق لينين حصل عليه من مكتبة هاشيت الفرنسية بالقاهرة فى سن ١٧ سنة أو ١٨ سنة.

فى عام ١٩٣٤ كون جاكو دى كومب " رابطة أنصار السلام " وهو مسـيحى سويسرى لا كما يشاع فى بعض الكتابات المصرية من أنه يهودى ، انضم مارسيل إلى الرابطة فى نهايه ١٩٣٦ وكان جاكو دى كومب ماركسيا حذرا جدا حتى أنـه كـان يرفض أن يدور أى حديث حول الماركسية فى الرابطة ، وكان مارسيل يدرك أنه خلف واجهة أنصار السلام كان جاكو دى كومب يحاول تكوين مجموعة ماركسية، وكانـت رابطة أنصار السلام تضم الأجانب الذين يعملون من أجل السلام.

وقد قام مارسيل بتكوين ريمون دويك بالماركسية وساهم فـى تكـوين أحمـد صادق سعد وهما اثنان من الثلاثة الذى كان جاكو يركز عليهم.

فى عام ١٩٣٥ أصيب مارسيل بالربو فسافر إلى لبنان للاستشفاء وأقـام فـى قرية بحمدون وهناك عرض عليه شاب أن يساهم فيما كان يسـمى باسـم (المسـاعدة الحمراء) وكان هذا الشاب هو فؤاد خزان عضو الحزب الشيوعى بسوريا ولبنان الذى عرفه بنيقولا شاوى سكرتير الحزب فيما بعد. وعن طريقه التقى أيضا بخالد بكـداش والتقى كذلك بأرتين ميدويان مندوب الكومنترن فى الشرق الأوسط وسأله ميدويان عن النشاط الماركسى فى مصر فحدثه عن رابطة أنصار السلام وعن مجموعة اليونـانيين المرتبطة بالماركسية فسأله ميدويان (وأين المصريون) فقال له إن دور الأجانب تكوين كادر ماركسى لأن الأجانب لا يستطيعون قيادة الحركة. ويقول مارسيل إن هذا الكـلام

لم يغادر عقله أبدا وعاد إلى القاهرة وقد أصبح مراسلا لجريـدة (صـوت الشـعب) جريدة الحزب الشيوعى لسوريا ولبنان

وركز مارسيل منذ عودته على تكوين مجموعة ماركسية مصرية ولم يـرتبط أبدا بالمجموعة الماركسية التى كونها جاكو دى كومب وإن كان قد أصـبح سـكرتيرا للرابطة التى كان جاكو دى كومب رئيسا لها سنة ١٩٣٧ ، ونتيجة للخلاف مع جـاكو فى مسألة التمصير، كون مارسيل عام ١٩٣٨ مع جورج بواتيه وراؤول كوريل (أخـا هنرى كوريل) وفؤاد الأهوانى ومحمد نصر الدين المدرس بكلية البـوليس وآخـرين (الاتحاد الديمقراطى) الذى افتتح فى احتفال كبير حضره حفنى ناصف. وينفى مارسيل أن هنرى كوريل هو مؤسس الاتحاد الديمقراطى أو أنه ساهم فى تأسيسـه ويقـول إن هنرى دخل إلى الاتحاد الديمقراطى بعد تكوينه بشهور ليحوله إلى نادى أرستقراطى .

كما اتصل مارسيل برابطة خريجى الجامعة مع محمد شافعى ، ويذكر مارسيل أنه فى ذلك الوقت حاول أن يتطوع فى الحرب الأسبانية إلى جانب الجمهوريين ولكـن القنصل الأسبانى فى مصر وكان ابنا لقائد الجمهوريين طلب منه العمل فى مصـر لأن ذلك مفيد أكثر للجمهوريين. وخلف الاتحاد الـديمقراطى كـون مارسـيل مجموعـة ماركسية منها أسعد حليم و أنور كامل وفتحى الرملى ومهندس يدعى خضر وحلمـى حليم المخرج السينمائى وصلاح أبو سيف وأحمـد زكـى، وحتـى يـرتبط بالعمـال المصريين التحق بالعمل فى مصنع المعصرة للمواسير كمخزنجى حوالى سنة ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ وفصله صاحب المصنع لأنه على حد تعبيره قد خان طبقته عندما عمل علـى تكوين نقابة فى المصنع.

فى عام ١٩٤٠ ساهم مارسيل فى تكوين منظمـة ماركسـية مـن العناصـر المصرية التى ارتبط بها. وعقد مؤتمر من حوالى عشرين أو خمسة وعشرين عضـوا منهم تحسين المصرى الذى كان عضوا فى الحزب الشيوعى المصرى وأسـعد حلـيم وعبد العزيز هيكل وخضر وصالح عرابى وحسين كاظم وفتحى الرملى، ونوقشت فى المؤتمر تقارير حول الوضع العالمى والموقف فى مصر وتقرير حول التنظـيم قدمـه تحسين المصرى وحدد البرنامج واللائحة.

وانتخبت لجنة تنفيذية ضمت ثلاثة من المصريين بالإضافة إليه ونظم الأعضاء فى خلايا ووضع برنامج للعمل، وبذلك تكونت " منظمة تحرير الشـعب " أول تنظـيم

شيوعي وجد في مصر بعد اختفاء الحزب الشيوعي القديم الذي تأسـس عـام ١٩٢٢ وضربه سعد زغلول عام ١٩٢٤ .

وكونت منظمة تحرير الشعب" الخبز والحرية " و "ثقافة وفراغ" التي أسـندت مسئوليتها إلى جانيت زوجة مارسيل التي كان قد تعرف عليها في نادي أنصار السلام عام ١٩٣٦ كما أسندت مسئولية " الخبز والحرية " إلى أنور كامل الذي كان سكرتيرا لها، ويؤكد مارسيل أنه لم يدخل " الخبز والحرية " التي حرص علـى ألا يكـون فـي وجوهها وجه أجنبي، ويذكر مارسيل أن جورج حنين قال له إن " الشـعب المصـري لازم تحرره بالشلاليت " وفي أكتوبر ١٩٤١ قبض على عشرة من أعضـاء منظمـة تحرير الشعب وألقى بهم في السجن ولم يقدموا للمحكمة وأطلق سراح الجميع فيما عداه هو حيث أرسل إلى معسكر اعتقال للفاشيت الايطاليين بقي فيه ١١ شـهرا كايطـالي خطر علي الأمن العام، وأخرج منه بفضل مساعدة بكر سيف النصـر رفـيقهم وابـن وزير الحربية في ذلك الوقت، ورحل إلى بيت لحم حيث عاش في معسـكر للاجئـين وحاول العودة مرات إلى مصر وأخيرا نجح في العودة إليها، وعند رجوعه عام ١٩٤٣ عقد مؤتمرا للمنظمة وكان فيها عبد الرحمن الشرقاوي وسعيد خيال ونعمـان عاشـور وفكري الخولي وأسما حليم وأسعد حليم وراؤول ماكاريوس وابـراهيم سـعد الـدين وآخرون. ورفض أن يكون في القيادة وأكد مارسيل أنه لم يتولى قيادة منظمة تحريـر الشعب أبدا.

ثم تكونت جماعة ماركسية تحت قيادة هنري كوريل و شوارتز سيطرت علـى الاتحاد الديمقراطي ثم انقسمت على نفسها وتكونت "الحركة المصرية للتحرر الوطني" بقيادة هنري كوريل ، واسكرا بقيادة شوارتز

وبسؤال مارسيل فيما قاله هنري كوريل من أن الخلاف الأساسي بينهما حول الموقف من الدين فقد ذهب هنري كوريل إلى القول بأن مارسيل كان يريد التركيز في الهجوم على الدين حيث أنه رفض ذلك ، نفى مارسيل ذلك وقال إنه في عمله لم يكـن هناك أي هجوم على الدين بل كان بعض الرفاق يؤدون الصلاة أثناء الاجتماعـات إذا حان وقتها وقال إنه كان هناك خطأ هو عدم إرجاء تدريس المادية الجدلية لفترة. ويشيد مارسيل بدور الشيوعيين على اختلاف منظماتهم في أحداث ١٩٤٦ وتكـوينهم للجنـة الطلبة والعمال ، وقال إن الشيوعيين كانوا في عام ١٩٤٦ يقودون الحركـة الوطنيـة

بالفعل كما قال إن حسين كاظم الذى كان سكرتيرا للجنة الطلبة والعمال كان هو الـذى قام بتجنيده ، فى عام ١٩٤٦ كانت توجد المجموعة الماركسية برئاسة جاكو دى كومب وكانت تتكون أساسا من الأجانب ، والحركة المصرية للتحرر الوطنى بقيـادة هنـرى كوريل ومنظمة تحرير الشعب واسكرا بقيادة هليل شوارتز والعصبة الماركسية وهـى التنظيم الذى خرج من الحركة المصرية.

فى عام ١٩٤٧ اتحدت اسكرا وتحرير الشعب وتكونت الطليعة المتحـدة التـى اتحدت بعد أشهر مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى وتكونت الحركـة الديمقراطيـة للتحرر الوطنى ، ويؤكد مارسيل أنه رفض أن يكون عضوا فى اللجنة المركزية لحدتو حرصا منه على عدم وجود أجانب فى القيادة، فى الوقت الذى حـرص فيـه هنـرى كوريل على أن يكون قائد المنظمة ، وقد رفضت مجموعة من منظمة تحرير الشـعب دخول الوحدة مع الحركة المصرية واحتفظوا بالمنظمة واسمها القديم، وبالرغم من ذلك دخل هو مع أغلبية أعضاء تحرير الشعب فى الوحدة لأنه كان حريصا علـى وحـدة الشيوعيين المصريين، كما رفضت مجموعة الفجر الجديد - أى مجموعـة جـاكو دى كومب - الدخول فى الوحدة استمرارا لمنهجهم بعدم الدخول فى وحدة مع أى منظمات شيوعية أخرى. وكان عام ١٩٤٨ عام الانقسامات فى الحركة الديمقراطيـة للتحـرر الوطنى الذى شهد خروج الكثيرين من أعضائها وتكوين العديد من التنظيمات ، وفـى عام ١٩٤٨ حدث الخلاف بين اليونسيين نسبة إلى يونس وهو هنرى كوريل والعادليين نسبة إلى عادل وهو عبد المعبود الجبيلى وانتهى الخلاف إلى تكوين العمالية الثوريـة وكانوا من العادليين وعقد مؤتمر ال ٣٣ الذى حضره ثلاثة وثلاثون عضـو يمثلـون حوالى ٢٠٠عضوا ، فى ذلك المؤتمر قدم عادل تقريرا هاما عن عمليـات تخريـب هنرى كوريل للحركة. ونصح مارسيل بضرورة البحث عن التقرير لأهميته ، ويقـول مارسيل إنه كان نائب مسئول الدعاية فى حدتو وإن كان قد مـارس الـدور الفعلـى كمسئول الدعاية، ودعت العمالية الثورية إلى تكوين لجنة تحضيرية تشترك فيها كافـة المنظمات الشيوعية لتكوين الحزب الشيوعى، وفى عام ١٩٤٩ كونت هذه اللجنة بالفعل وقبلت جميع المنظمات الماركسية الموجودة فى ذلك الوقت الاشترك فيها مـا عـدا م .ش. م ولكن انقضت ضربات الرجعية بالاعتقال لتحول دون وحدة الشيوعيين وقـبض على مارسيل ١٩٤٩ ثم طرد إلى إيطاليا للمرة الثانية بعد تنفيذ الحكم عليـه بخمـس

سنوات حبس فى سنة ١٩٥٣ ومنذ ذلك الوقت اعتبر أن دوره قد انتهى بالنسبة للحركة الشيوعية المصرية فانضم إلى الحزب الشيوعى الإيطالى الذى طلب منه تقريرا عـن الحركة الشيوعية المصرية فكتب ذلك التقرير الذى أخذ منه رفعت السعيد نسخة بعـد ذلك بسنوات لينشرها فى كتابه.

ويرى مارسيل أن هنرى كوريل قد لعب دورا تخريبيا فى الحركة الشـيوعية المصرية نتيجة لرغبته فى السيطرة على الحركة بالرغم من أنه أجنبى ويهودى وقـد أضر الحركة أكبر ضرر ، وبسبب دوره كانت الانقسامات والتكتلات التى حصلت فى الحركة الشيوعية ويقول مارسيل إن هنرى كوريل كان "تصـف" صـهيونى يحـاول التوفيق بين الشيوعيين والصهيونيين وعندما كون مجموعة روما فى باريس لم يكـن دورها قاصرا على الحركة الشيوعية المصرية، بل كانـت "دوليـة" لهـا اتصـالات بالمنظمات الشيوعية فى أفريقيا وقال إنه عندما غادر مصر إلى إيطاليا عام ١٩٥٣ ولم يكن معه غير عدد ضئيل من الليرات أرسل إليه هنرى كوريل خطابا يدعوه إلى السفر إلى باريس لأن مكانه فى القيادة ، ووعده بعيشة طيبة هناك ولكنه رفض الدعوة لأنـه كان يفضل أن يكون عضوا فى الحزب الشيوعى فى بلده بعـد أن انتهـى دوره فـى الحركة الشيوعية المصرية، وقال مارسيل إنه فى أثناء انعقاد أحد مـؤتمرات الحـزب الشيوعى الإيطالى مر به هنرى كوريل فى ميلانو وأخبره أنه سيسـافر إلـى رومـا للاتصال بالحزب الذى كونه شخص طرد من الحزب الشـيوعى الاسـرائيلى لميولـه الصهيونية.

ويضيف مارسيل بأنه فى عام ١٩٤٦ عندما قبض على المجموعة المقربة من هنرى كوريل داخل الحركة المصرية للتحرر الوطنى لم يجد هنـرى كوريـل معنـى لوجوده خارج المعتقل فقام بتسليم نفسه للبوليس، وكان تصرفا غريبا من قائد المنظمـة التى قبض على بعض أعضائها كما جاء فى كتاب جيل بيرو.

ويقول مارسيل إنه فى عام ١٩٤٧ وبينما كان فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى كون" لجنة مناهضة الصهيونية " وكتب بيانا طبع منه ٦٠ ألف نسخة منها ٣٠ ألف نسخه باللغة العربية ومثلها باللغة الفرنسية وكان البيان يقول إن من مصلحة يهود مصر الارتباط بالشعب المصرى ، وكان سكرتير العصبة عزرا هرارى وقد قابل هـو وعزرا وزميل آخر عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية ثم قبض البـوليس علـى

ثلاثين أو أربعين من أعضاء العصبة وتم ضربهم واتهموا بالقاء قنبلة على سينما مترو وقام النقراشى بحل العصبة، ولم يستدعه هنرى كوريل سكرتير التنظيم لمناقشته فـى الامر واكتفى باعتبار تكوين العصبة استفزازا لليهود.

ويقول مارسيل إن هنرى كوريل ورط يوسف حلمى وهو فـى بـاريس فـى الاتصال بالصهيونيين وقد كان يوسف حلمى من أفضل الماركسيين الذين عرفهم

وفى ختام حديث مارسيل أورد عدة تحفظات على التقرير الذى كان قـد كتبـه للحزب الشيوعى الإيطالى عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية وأخذ رفعت السـعيد نسخة منه، وهذه التحفظات هى أنه كتب التقرير عن الذاكرة ودون أن تكون لديه وثائق وأنه نظرا لأن الحركة الشيوعية المصرية كانت حركة سـرية فـإن معلوماتـه عـن المنظمات التى لم يعمل بها كانت معلومات سطحية وفضلا عن ذلك يجب أن يراعـى ميل الإنسان إلى المبالغة فى دوره ولعله لهذه الأسباب كانت اللهجة شديدة فيما كتبه عن المنظمة التى كونها جاكو دى كومب أى منظمة الفجر الجديد.

ثانيًا : نص الحوار الذى تم بين الدكتور شكرى عازر والمهندس فوزى حبشى مع مارسيل تشيريزى يومى السبت ٢٢/٣/١٩٩٧ والأربعاء ٢٦/٣/١٩٩٧

لقد اطلعنا على شهادتك المسجلة فى مركز البحوث العربيـة ، فـى حضـور الأستاذ أسعد حليم . كما اطلعنا على شهادتك فى الحوار الذى تم بينك وبين الأسـتاذين رمسيس لبيب ، وخالد حمزة . وقرأنا مراسلاتك إلى دكتور رفعـت السـعيد بتـاريخ ١٨/٥/٨٤ ، ويناير ١٩٨٥ المرسلة من ميلانو والموقعة باسم مرسى . إلى جانب أننا قرأنا فى كتب الدكتور رفعت التى تؤرخ لهذه المرحلة. وبعـد الاطـلاع علـى هـذه الشهادات هناك بعض النقاط التى نود أن نستوضحها استكمالا لشهاداتك المتعددة.

- أنا مستعد لكل استفسار تفضلوا .

* ما رأيك فى بعض الكتابات التى تعتبـر أن مؤسسـى الحركـة الشـيوعية المصرية، كانوا من الأجانب وبخاصة من اليهود، وبصفة خاصة اعتبار هنرى كورييل هو مؤسس الحركة الشيوعية المصرية .

- للإجابة على هذا السؤال، سأضطر إلى العودة إلى الماضى البعيـد . حيـث

بدأت فى دراسة الماركسية أعوام ١٩٣٣ - ٣٤ - ١٩٣٥ ، لأنـى كنـت مضـطرا لملازمة الفراش، لإصابتى بمرض الربو . وفى هذه الفترة انتقلت من كتب تولسـتوى إلى الكتب الماركسية . و كان أول كتاب قرأته فى الماركسية هو كتـاب بوخـارين " المادية الجدلية، والمادية التاريخية« بمقدمة لينين.

وسافرت بعد ذلك إلى بحمدون بلبنان بناء على نصيحة الأطباء للعلاج وهنـاك قابلت فؤاد خزان الشيوعى اللبنانى، وتكررت اللقاءات بيننا وطلب منى مساعدة جمعية "المعونة الحمراء" ثم سافرت معه الى بيروت، حيث قابلت نيقولا شاوى، والذى أصبح بعد عدة سنوات سكرتير الحزب الشيوعى اللبنانى، وارتبطنا بصداقة حميمة ، واتصلت عن طريقه بخالد بكداش وفى إحدى المرات أخذنى نيقولا شاوى وعرفنى على شخص أرمنى اسمه أرتين ميدويان وكان مسئول أو مندوب الكومنترن فى الشرق الأوسط .

وقد نبهنى ميدويان إلى حقيقة أننى كأجنبى فى مصر ، لا يمكن أن أقوم بـأى دور قيادى أو جماهيرى فى أى تنظيم شيوعى مصرى . ويجب أن يتركز دورى فـى تدريس الماركسية للمثقفين والعمال المصريين . و أوضح لى أن الحزب الشيوعى هو اندماج بين حركة المثقفين الماركسيين وبين الحركة العمالية كما سبق أن ذكر لينـين. وفيما يختص بهذه الواقعة ارجع الى خطاب نيقولا شـاوى إلـى د. رفعـت السـعيد المنشورة فى كتابه عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية .

وفى عام ١٩٣٦ انضممت الى عصبة الدفاع عـن السـلام ، التـى أسسـها السويسرى جاكودى كومب ، واليونانى بيريدس والأرمنى كرامنيان وهـم مـن غيـر اليهود . وفى عام ١٩٣٧ عينت سكرتيرا لعصبة أنصار السلام ، وكتبت كتيبـا عـن حركة السلام فى مصر طبع باللغة الفرنسية والعربية .

وكانت عصبة الدفاع عن السلام متصلة بحزب الوفد، وساعدت علـى تنظـيم مقابلة بين النحاس باشا ونهرو ، حيث كان نهرو فى قيادة حركة السلام فى بـاريس ، كما كانت على اتصال بالسيدة هدى شعراوى وسيزانبراوى وفاطمة نعمت راشد .

إلا أن جاكو دى كومب ، كان متخوفا باستمرار مما حدث للحـزب الشـيوعى المصرى عام ١٩٢٤. وعندما اقترحت انضمام عدد من الايطاليين المعادين للفاشية إلى عصبة الدفاع عن السلام رفض جاكودى كومب، باعتبارهم خطـرين ، وتصـرفاتهم مندفعة. و أدى هذا الاتجاه إلى شل نشاط عصبة الدفاع عن السـلام . وكـان اتجـاه

العصبة اتجاها ماركسيا، ولعبت دورا فى تجنيد عدد من الأجانب واليهود .

ونتج عن الخلاف بينى وبين جاكودى كومب حول مسألة التمصير، أن تركت عصبة الدفاع عن السلام . وفى هذا الوقت قمت بإجراء اتصالات عديدة مع بعض المجموعات التقدمية الأجنبية والمصرية الموجودة حينئذ والتى كانت تتجه نحو الاشتراكية أذكر منها :

١- مجموعة الحرس القديم، من أعضاء الحزب الشيوعى المصرى، عام ١٩٢٢ وكانوا جميعا من المصريين، أذكر منهم عصام الدين حفنى ناصف ، وشكرى عياد والدكتور القاضى وشعبان حافظ والدكتور حسونة وعبدالفتاح الشرقاوى .

٢- مجموعة سلامه موسى، وكان يلقى محاضرات أسبوعية عن الاشتراكية والتقدم والعلم، وعلى الرغم من أن سلامه موسى كان اشتراكيا إصلاحيا "فابيا" Fabian إلا أنه قدم للحركة الشيوعية المصرية العديد من المكافحين الممتازين . وكان بينى وبين سلامه موسى علاقة طيبة. وقد دعانى أكثر من مرة الى منزله بالفجالة، ونصحنى بعدم الاندفاع وقد جندت من مجموعة سلامه موسى عددا من المتابعين لمحاضراته، ومن أهمهم فوزى جرجس وكانت مجموعة سلامه موسى جميعها من المصريين أيضا.

٣- كما اتصلت بمجموعة اتحاد خريجى الجامعة وكانت مجموعة مصرية ، وكان من ضمن قيادتها شخص اسمه الشافعى ، وكان يساريا واهتمت هذه المجموعة بدراسة الماركسية.

٤- وكانت هناك مجموعات من شباب حزب الوفد مهتمة بالاشتراكية من بينهم أسعد حليم، وكانت هناك مجموعات فى حزب مصر الفتاة تريد الاشتراكية وأذكر من بينهم فتحى الرملى، وكانوا جميعا من المصريين .

٥- كما اتصلت بمجموعة داخل استوديو مصر تأثرت بالسينما السوفيتية أذكر منهم صلاح أبو سيف، وحلمى حليم وسعد نديم ووفيقة أبو جبل وخورشيد وكانوا جميعا من المصريين.

٦- كما تعرفت على مجموعة من الايطاليين المعادين للفاشية وشيوعيين ، وأذكر منهم ساندرو روكا وترفانيى بابيلى وكانت زوجته مصرية وجميعهم من غير اليهود .

٧- كما كانت هناك مجموعة من مدرسي مدرسة الليسية الفرنسية مثل بارون وجرانيه وهما من غير اليهود ولعب هؤلاء المدرسين دورا كبيرا فى إقناع عدد كبيـر من التلاميذ مثل شفارتز وانجى أفلاطون بالماركسية .

٨- كما كان هناك السويسرى بوانتيه ، الذى كان جاكودى كومب يعتبره مندفعا واستفزازيا. الذى كون مجموعة ماركسية من المدرسين فى الجامعـة ، وفـى كليـة البوليس، اذكر منهم أحمد فؤاد الأهوانى ، ومحمد نصر الدين . وأنـا الـذى عرفـت بوانتيه بهنرى كوريل بعد ذلك.

٩- كما اتصلت بجمعية " الفن والحرية " وكان شعارها ماركس - فرويـد - داروين وكانت مجموعة مصرية خالصة . ولعبت دورا هامـا فـى وسـط المثقفـين والفنانين وكان أبرز أعضائها جورج حنين وأنور كامل ، ورمسـيس يونـان وكامـل التلمسانى وفؤاد كامل وقد أصدرت مجلة "التطور" وهى أول مجلة يسارية ظهرت فـى تلك الفترة وكان رئيس تحريرها أنور كامل .

لقد كانت كل هذه المجموعات هى التحركات الأولى التى خلقت الجذور لنشـأة الاشتراكية والشيوعية فـى مصر. ونستطيع أن نعتبر هذه المرحلة كانت تعبـر عـن مدارس ماركسية، وليست تنظيمات شيوعية .

وأعتقد أن هذه التحركات المصرية التقدمية ، فى هذه المرحلة ، ترجـع إلـى التقدم الاقتصادى الهائل للاتحاد السوفيتى نتيجة الانتهاء بنجاح من مشروع السـنوات الخمس الأولى. والى موقف ديميتروف البطولى أمام المحكمة النازية فى المانيا ، بتهمة حرق الريخستاخ. الى جانب حماس المصريين المتزايد تأييدا للشعب الأسـبانى ضـد فرانكو ، وضد النازيين الالمان والفاشيست الايطاليين ، بعد هجوم ايطاليا الفاشية على الحبشة ومجئ هيلا سلاسى للإقامة فى مصر.

ولهذه الأسباب وجدت الأفكار الماركسية ، والاشتراكية قبولا من جانب أعـداد تتزايد من المثقفين المصريين .

وفى عام ١٩٣٨، وصل الى القاهرة راؤول كوربيل (أخو هنـرى كوريـل) وريمون أجيون، واتصلا بى عن طريق إحدى عضـوات الفـن والحريـة، وطلبـوا الانضمام الى عصبة الدفاع عن السلام عن طريقى، فرفض جاكودى كومـب بتهمـة أنهم تروتسكيون، وبدأ نوع من الانعزال عنى فى داخل عصبة الدفاع عـن السـلام ،

بالرغم من أن واحدا من قيادتها وهو ريمون دويك كنت أنا الذى جندته كمـا جنـدت سانتيل (صادق سعد) بنسبة ٧٠% .

فقررت أنا وزوجتى جانيت وأحمد فؤاد الأهوانى ومحمد نصر الدين وبعـض الايطاليين أهمهم ساندرو روكا وبابيلى الأب واثنان من أولاده وواحد يونـانى اسـمه جورج كبربيه وعبد الرحمن الشافعى ، ومحمد ديب وعصام الـدين حفنـى ناصـف وراؤول كوربيل وهو ممول "الاتحاد الديمقراطى" واستأجرنا شقة كبيرة فـى شـارع الفضل بين قصر النيل وسليمان باشا وتقرر الافتتاح فى اجتماع يرأسه عصـام الـدين حفنى ناصف، وكان مديرا لدار الكتب وهو عضو سابق فى الحزب الشيوعى المصرى ١٩٢٢ ، وأن يخطب فيه الايطالى ساندر وروكا إلا أن القنصلية الايطاليـة، تـدخلت لمنع هذا الاجتماع بحجة أن الاتحاد الديمقراطى جمعية معادية للفاشية .

وتم الاجتماع الذى حضره حوالى ٤٠٠ شخص (بينما أكبر اجتمـاع لعصـبة الدفاع عن السلام لم يكن يحضره أكثر من ٤٠ شخص).

وألقى عصام الدين حفنى ناصف كلمة الافتتاح، أما ساندرو روكا فقد منع مـن إلقاء أى خطبة سياسية، واكتفى بإلقاء قصيدة من الشعر بالإيطالية وكنت أنـا عضـوا باللجنة المركزية للاتحاد الديمقراطى التى كان أغلبها من المصريين .

وكان هدفى، فى الاتحاد الديمقراطى، جذب أكبر عدد من المصـريين، عـن طريق الكفاح الديمقراطى المعادى للفاشية، لاختيار العناصر الأكثر تقـدما، لتـدريس الماركسية، وفى نفس الوقت كنت أجند للاشتراكية عددا كبيرا مـن أعضـاء " الفـن والحرية " ، أهمهم أسعد حليم ، فتحى الرملى، عبد العزيز هيكـل، موسـى الكـاظم، والمهندس محمود خضر وأحد النوبيين اسمه صالح عرابى .

وفى يوليو ١٩٣٩ ، تقرر سفرى الى باريس للاتصال بحركة السلام العالميـة، واللجنة العالمية ضد الحرب والفاشية ، وهناك اتصلت بفؤاد حزان الذى كان منـدوب الحزب الشيوعى اللبنانى فى مكتب المستعمرات بالحزب الشيوعى الفرنسى، وتم هناك اجتماع بينى وبين آنا طوبى التى كانت مندوبة عصبة الدفاع عن السلام ، وهذه كانـت أول محاولة لتوحيد نشاط الماركسيين والتقدميين فى مصر، إلا أنه بعـد أول مقابلـة بدأت الحرب العالمية الثانية، ورجعت إلى مصر بدون نتيجة .

وكان الهجوم عنيفا، من جانب عصبة الدفاع عـن السـلام ، علـى الاتحـاد

الديمقراطى .

وهناك نقطة أحب أن أوضحها، وهى أن هنرى كوربيل لم يكن له أية علاقـة من قريب أو بعيد، فى تأسيس الاتحاد الديمقراطى ولكن الذى اشـترك فـى تأسـيس الاتحاد الديمقراطى، هو أخوه الاكبر راؤول كوربيل، الذى انضم بعـد ذلـك للقـوات الفرنسية، ثم أصبح ملحقا ثقافيا للسفارة الفرنسية تعمق فى دراسة اللغة السنسـكريتية، وأصبح خبيرا فى هذه اللغة وأصبح بعد ذلك مديرا لمتحف اللوفر .

فكل من كتب عن الاتحاد الديمقراطى ، يخلط بين راؤول كوربيـل وهنـرى كوربيل بمن فيهم محمد سيد أحمد ، وتصادف أن كنت عند د/ رفعت السعيد وقابلـت هناك سيدة مصرية لا أعرفها مهتمه بكتابة التاريخ واسمها سارة على ما اذكر وقالـت لى : أنا شفت عقد إيجار الاتحاد الديمقراطى ووجدت هناك اسم راؤول وليس هنـرى كوربيل فقلت لها فعلا كوربيل لم يكن له علاقة بتأسيس الاتحاد الديمقراطى .

إن هنرى كوربيل كان منضما لجمعية خريجى الجيزويت واسمها " الـروح " Espritلا أستطيع أن أقول إنها تقدية وهى غير ماركسية تماما وقد كتب جيل بيرو فى هذه الفترة إذا كنت تريد مقابلة هنرى كوربيل ، فيمكن مقابلته فى نـادٍ ليلـى خلـف شيكوريل قاعدا مع ثلاث أو أربع عاهرات ، وبعد ذلك رافق واحدة منهم وظلت معـه وذهبت معه الى باريس.

وفى هذه الفترة طلبت من راؤول كوربيل الاتصال بأخيه لإقناعه بالماركسية ، فقابلته فطلب مني هنري أن ألقي محاضرة عن الماركسية علـى مجموعـة خريجـى الجزويت وقد ألقيتها فعلا هناك وحدثت مناقشة بعدها، واجتمعت بعد ذلك عدة مـرات بكوربيل لمناقشة الماركسية ثم انضم بعد ذلك إلى الاتحاد الـديمقراطى فـى أواخـر ١٩٣٩، وبدون شك فإن هنرى كوربيل شخص ذكى وجذاب إلا أنه كان يسعى دائمـا للسيطرة بكل الوسائل على أى جمعية أو منظمة يشترك فيها. وبدأ فى داخـل الاتحـاد الديمقراطى يجذب عددا من الأجانب ومن المثقفين مثل جورج حنـين وسـيدة اسـمها (.......) العلايلى من البورجوازية الكبيرة مما جعلنى أكتب أن هنرى كوربيل قد حول " الاتحاد الديمقراطى إلى "اتحاد ارستقراطى " وقررت بالرغم من أننى المؤسس الأول للاتحاد الديمقراطى مغادرة الاتحاد الديمقرطى فى أوائل ١٩٤٠.

وقبل ذلك، فى أواخر ١٩٣٩ تقرر تأسيس أول منظمة شيوعية فى مصر وهى

"تحرير الشعب " ومن الخطأ أن يقال إن مارسيل تشيريزى هو مؤسس هذه المنظمـة.
إنه فى الواقع واحد من المؤسسين فالذين أسسوها هم تحسين المصرى وكان عضـوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى وأسعد حليم ، وعبد العزيز هيكل، وفتحى الرملى، وأنور كامل، وصلاح أبو سيف ، وحلمى حلمى، محمود خضر، وحسين كاظم ، ووفيقة أبـو جبل زوجة صلاح أبو سيف وأبو بكر سيف النصر، فوزى جرجس وثلاثة من عمـال المطابع، ومارسيل تشيريزى وجانيت فايس وخورشيد المصـرى وراؤول مكـاريوس وآخرون .

وقد عقد مؤتمر تأسيسى نوقش فيه برنامج المنظمة ولائحتها بعد مناقشة تقرير عن الوضع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

وفى هذا المؤتمر تقرر تأسيس منظمتين علنيتين :

١ - المنظمة الأولى :

منظمة " الخبز والحرية " للعمل بين العمال ، وكان مكانها فى شـارع محمـد على ، وقد جذبت عددا كبيرا من عمال المطابع وبعض عمال شركة سيجوارت حيـث كنت أعمل مخزنجيا بها ، فى المعصرة .

٢ - المنظمة" الثقافية :

منظمة " الثقافة والفراغ " للعمل بين المثقفين والأجانب. وواضح مـن هـذه الحقيقة، أن أول منظمة شيوعية فى مصر ، كونها رفاق مصريون وأول أجنبى فيهـا هو مارسيل، وقد جنده رفاق عرب لبنانيين .

وقد وقع عدد كبير من المؤرخين المصريين. ضحية لمـؤامرات الاسـتعمار والرجعية ، الذين حاولوا دائما إبراز دور الأجانب بشكل مبـالغ فيـه فـى الحركـة الشيوعية المصرية والتقليل من دور المصريين .

ولكونى أجنبيا فلم أضع قدمى فى منظمة الخبز والحرية، ولـم أشـترك فـى كفاحها وكانت اللجنة المسئولة عنها تتكون من : أنور كامـل، أسـعد حلـيم ، فتحـى الرملى، عبد العزيز هيكل وكلهم أعضاء "تحرير الشعب".

أما المسئولون عن الثقافة والفراغ فكانوا : صلاح أبو سيف ، جانيت ووفيقـه ابو جيل . ولم اشترك أيضا فى منظمة الثقافة والفراغ

وكان دورى الرئيسى مركزا على التنظيم السرى ، وخاصة مدرسـة الكـادر

لتدريس الماركسية ، وكان من أوجه النشاط فى الثقافة والفراغ إلقاء محاضرات عـن الفن والموسيقى والأدب والاستماع للموسيقى . وفى هذه الفتـرة اتصـل بـى هيلـل شوارتز، فى الثقافة والفراغ، وكان عبد اللطيف بغدادى من بين المترددين على الثقافة والفراغ، وكذلك دكتور لويس عوض حيث كنا نتناقش عن اللغة المصرية .

وفى أوائل عام ١٩٤١ شاركت أنور كامل فى كتابة كتيب عن تاريخ الحركـة النقابية فى مصر أوضحنا فيه أن الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٢٢ نشأ فى اتحاد وثيق مع اتحاد النقابات العمالية واذا كنا قد أسسنا منظمة بدلا من إعادة تأسيس الحزب الشيوعى الأول فـ يرجع إلى أن حزب ١٩٢٢ كان قد طرد من الدولية الثالثة وكـان من المستحيل تأسيس حزب جديد بدون موافقة الكومنترن.

وكان البوليس السياسى يعرقل نشاط الخبز والحرية ويقف على أبواب المقـر ليمنع العمال من الدخول بالإرهاب والقوة .

ثم حل البوليس في نفس الوقت الخبز والحرية،والثقافة والفراغ.

وفى أكتوبر ١٩٤١ تم القبض على مع ، أنور كامل ، وأسعد حلـيم وفتحـى الرملى وحسين كاظم ، محمود خضر ، وعبد العزيز هيكل وحلمـى حلـيم وصـالح عرابى وآخرين ولم يلق القبض على صلاح أبو سيف لانشغاله فى سـتوديو مصـر . وقبض فى نفس الوقت على سكرتير الحزب الشيوعى عام ١٩٢٢ حسـنى العرابـى . ونظرا لتحالف الانجليز مع الاتحاد السوفيتى فقد أفرج عن الجميـع بعـد شـهرين . وأرسلت إلى المعتقل بوصفى إيطاليا خطرا على الأمن العام، وبقيت فى المعتقل مـع الفاشيين حتى يوم ٣ يوليو ١٩٤٣ حيث تمكن أبو بكر حمدى سيف النصر ابن وزيـر الحربية حينئذ من الضغط على السفارة البريطانية للإفراج عنى وترحيلى إلى فلسـطين مع كل المعادين للفاشية من كل الجنسيات .

أما الرفاق المفرج عنهم ، فقد تعاقدوا مع سلامة موسى ، واستأجروا مجلـة " المجلة الجديدة " وكان مسئولا عنها أسعد حليم كما أسسوا دارا للنشر اسمها " الفجر "، نشرت عددا من الكتب الماركسية والتقدمية .

وكتبت كتابا بعنوان "تفسير العالم " عام ١٩٣٨ - ١٩٤٠ وهـو عبـارة عـن دراسات عن الماركسية بنصوص ماركس وانجلز ولينين وسـتالين . وكـان أساسـا للتدريس فى مدرسة الكادر وترجمته من الفرنسية الى العربية مع أسعد حليم ومحمـود

خضر.

وأثناء وجودى فى المعتقل عام ١٩٤١ - ١٩٤٣ كتبت كتابـا آخـر بعنـوان "تغيير العالم" وهو عبارة عن تحليل لواقع العمال والفلاحين المصريين وطريقة ربـط وإدماج حركة المثقفين المصريين بالحركة العمالية وإبراز أهمية وجود مدرسة كـادر لدراسة الماركسية.

بعد انتصار الانجليز فى معركة العلمين فى أكتوبر ١٩٤٢ أعيد كل المبعـدين واللاجئين فى الخارج من فلسطين ولبنان، إلا أن الحكومة المصرية رفضـت عـودة راؤول كوربيل فسافر الى بيروت والتحق بالقوات الفرنسية الحرة وأصبح فرنسـيا. أما أنا وجانيت فقد صدر قرار بإبعادنا عن مصر إلا أننا استطعنا العودة بعد ديسـمبر ١٩٤٣ عن طريق تدخل فؤاد سراج الدين باشا. فقد كان صديقا لعم والدتى أصلان بك عجمى رئيس بورصة الأوراق المالية بالاسكندرية. وعن طريقـه كـان يقـوم كـل البشوات والعظماء بالمضاربة فى البورصة.

عند عودتى اتصلت بكافة الرفاق وناقشنا موضـوع إعـادة تأسـيس تحريـر الشعب، فاجتمعنا فى القناطر الخيرية فى مؤتمر تأسيسى حضره أكثر من ٣٥ شخصـا من بينهم مصطفى كامل منيب وعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور ،وسعيد خيال وأسما حليم وأسعد حليم وراؤول مكاريوس وبكر سيف النصر وصـلاح أبـو سـيف وابراهيم سعد الدين وآخرين فحددنا البرنامج ونصت اللائحة على ألا يكون أى أجنبـى فى قيادة المنظمة، واستمريت أنا عضوا فى القاعدة حتى الوحدة مع اسكر عام ١٩٤٧. وكان الدور الرئيسى الذى كلفت به هو تدريس الماركسية، وقد جندت عددا كبيرا مـن الكادر الماركسى من بينهم أحمد فؤاد وحمدى أبو العلا وسعد بهجت.

يتضح مما سبق أن أول تنظيم شيوعى مصرى ، كان تأسيس "تحرير الشـعب" فى أوائل ١٩٤٠ ، وكانت الأغلبية الساحقة للمؤسسين من المصـريين وليسـوا مـن الأجانب.

وأول مدرسة كادر للماركسيين ، جندت فيها عددا كبيرا من الرفاق المصريين الذين لعبوا دورا كبيرا فى تأسيس " تحرير الشعب " تكونت عـام ١٩٣٧ قبـل سـت سنوات أى قبل ادعاء هنرى كوريل بأن أول مدرسة ماركسية للكادر فى مصر تكونت فى يناير ١٩٤٣، على يديه كما جاء فى كتاب محمد الجنـدى صـ - ٤٧ " اليسـار

والحركة الوطنية فى مصر ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ".

وكما سبق أن ذكرت فأنا الذى ناقش هنرى كورييل فى الماركسية بناء على طلب أخيه راؤول كورييل فكيف يمكن أن يكون هنرى كورييل هو صاحب أول مدرسة كادر ماركسية فى مصر، وكيف يمكن أن يكون هو مؤسس الحركة الشيوعية المصرية؟

صحيح أنه فى الأربعينيات، كان يقود المنظمات الشيوعية (باستثناء تحرير الشعب) يهود (سكرتير حدتو السياسى كان هنرى كورييل والسكرتير التنظيمى كان شوارتز) وكانت مهمتهم تتركز حول مسائل نظرية ومالية ورسم خطوط معقدة ... إلخ. فالقاعدة المكونة من الزملاء المصريين كانت هى وحدها التى تواصل الكفاح الفعلى ، ففى ٩٠% من الحالات كانت القيادة الأجنبية بعيدة كل البعد وكانت فى جهل تام عما كان يحدث من كفاح فى المصانع وفى الجامعة وفى النوادى الثقافية .... الخ وفى ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ لم تكن هناك القيادات الأجنبية لا فى كوبرى عباس ولا فى ميدان الاسماعيلية .

وأكبر افتراء وجهه هنرى كورييل ضدى هو أنى كنت أريد أن أركز على الكفاح ضد الدين، كما ادعى أن هذا كان سبب الخلاف بيننا وللرد على هذا الافتراء فإننى أقول هل ممكن لماركسى أن يركز الكفاح ضد الدين خصوصا فى بلد مثل مصر. فلينين قد أوضح موقف الشيوعيين من الدين عندما قال إن وحدة الكادحين فى الكفاح من أجل بناء جنة على الأرض أهم من وحدة آرائهم فيما يختص بالجنة فى السماء، فكل ما تم فى هذا الموضوع بينى وبين كورييل عند إعداد كادر ماركسى، كنت أهدف أن يكون هذا الكادر ماركسيا كاملا (يعنى يجب أن يدرس المادية الجدلية والمادية التاريخية. وليس كما حاول دائما فى اتصالاته مع أتباعه أن يدرس لهم فقط جزءا من الماركسية، وأن يظل هو وحده المحتكر الوحيد للماركسية الكاملة، بالرغم من أن رأيى هو أن هنرى كورييل لم يفهم ما هى الماركيسية (كما كتب جيل بيرو).

وهناك ملاحظتان أحب أن أوجهها للماركسين المصريين والمؤرخين أيضا وهما :

الملاحظة الأولى : لا تقللوا من دور المصريين فى الكفاح من أجل تكوين الشيوعية فى

مصر وإبراز دور الأجانب فى هذا الموضوع حتى لا يقعوا فى الفـخ الـذى نصـبه الاستعمار والرجعية لتشويه تاريخ الشيوعية المصرية .
الملاحظة الثانية : كلمة منظمة تحرير الشعب فى تاريخ الحركة الشيوعية على رغـم من استمرار كفاحها تحت نفس الاسم، إلا أنها قد غيرت من مضمونها واتجاهاتها .

فتحرير الشعب من ١٩٣٩ - ١٩٤١ غير تحرير الشعب من ١٩٤٤ - ١٩٤٧ والفن والحرية قبل سيطرة مجموعة تحرير الشعب عليها، كانت تحت سيطرة وتـأثير جورج حنين ورمسيس يونان باتجاهاتهما التروتسكية .

إلا أنها بعد سيطرة أسعد حليم وفتحى الرملى عليها أصبحت أقـرب للخبـز والحرية وآخر عدد من مجلة " التطور "مختلف عن الأعداد السـابقة وأصـبح مهتمـا بالعمال والمسائل السياسية.

وفى يوم الأربعاء ٢٦ / ٣ / ١٩٩٧ فى جلسة أخرى

وجهنا له هذا السؤال التالى :

* فى شهادتك مع رمسيس لبيب وخالد حمزة بتاريخ ٥ / ٤ / ١٩٩٧ ذكـرت أن هنرى كورييل "تصف صهيونى " لماذا ؟ وما هى الأسباب ؟

- أولا: لأن كورييل كان يحاول دائما أن يكون وسيطا بين الحركة الصهيونية والفلسطينية ، ولم يأخذ ابدا أى موقف ضد الصهيونية بل على العكس كان يعتبـر أن الكفاح ضد الصهيونية، هو شكل من أشكال معاداة السامية .

- ثانيا: عندما أسست أنا وعزرا هرارى ، وروبيـر سـتون وإدواد سـتالون وهانز بنكاسفيلد، ولم يكن أى فرد من هؤلاء عضوا فى الحركـة المصـرية للتحـرر الوطنى، الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية عـام ١٩٤٧ وعـين عـزرا هـرارى سكرتيرا للرابطة، لأنه كان المصرى الوحيد بيننا وكتبت أنا بيان هذه الرابطة لتوضيح موقفها السياسى فى ٢٥ / ٥ / ١٩٤٧ وزع منه ستون ألف نسخة بـاللغتين الفرنسـية والعربية الذى ترجمه أسعد حليم . واتخذ هنرى كورييل سكوتير حدتو السياسى موقفـا معاديا لتكوين الرابطة المعادية للصهيونية باعتبارها "خطأ تكتيكيـا" واسـتفزازا ضـد اليهود. والحقيقة أن أغلبية اليهود أيدوها بحماس وقاموا فى الأوساط اليهودية بدعايـة واسعة ضد الصهيونية وتعرضوا للضرب من طرف الصهيونين، كما قـبض علـيهم

وأودعوا فى السجن. واصطدمنا بالحكومة وسرعان ما حل النقراشى باشـا الرابطـة بالقوة . وقد دعانى عبد الرحمن عزام لمقابلته ومعى عزرا هرارى فى مقر الجامعـة العربية وبعد المناقشة أعرب عن تقديره لنشاط الرابطة وكفاح أعضائها .

وقد ذكر جويل نبيه فى صـ ٦٣ " وقد اعترف هنرى كوربيل طوعا أنه هـو ومجموعته قد عارضوا بعنف الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية باعتبارهـا خطـأ خطيرا أدى إلى مشاهد استفزازية بين يهود الطبقة الوسطى فى القاهرة .

ثالثا: عندما كنت فى ميلانو بعد مغادرة مصر نهائيا مر علىَّ هنرى كوربيـل وكان فى طريقه إلى مؤتمر للحزب الشيوعى الإيطالى فى روما . وأبلغنى أنه سيجتمع مع ميكونيس سكرتير الحزب الذى انشق على الحزب الشـيوعى الاسـرائيلى وكـان برنامج هذا الحزب المنشق يحاول التوفيق بين الشيوعية والصهيونية هذا مع العلـم أن الحزب الشيوعى الاسرائيلى كان يرفض أى اتصال بهنرى كوربيل .

* لماذا وقفت ضد وجود الاجانب فى قيادة الحركة الشيوعية المصرية ؟

- من الناحية المبدئية أنا لا أفرق بين الأجانب والمصريين على الإطلاق ولكن من الناحية العملية والجماهيرية هناك فرق كبير ، يجب أن نضعه فى الاعتبـار عنـد اختيار القيادات الماركسية.

* ما رأيك فى تكوين مجموعة روما فى باريس ؟

- أنا ضد هذه الفكرة على طول الخط خاصة أننى طول عمرى ضد أى قيـادة أجنبية للحركة الشيوعية فى مصر، فكيف أؤيد وجود قيادة أجنبية فى الخارج.

ثالثًا : نص رسالة مارسيل تشيريزى إلى دكتور رفعت السعيد يوضح فيها نقاط الاختلاف بينهما حول أزمة حدتو عام ١٩٤٨

مؤرخه فى يناير ١٩٨٥ - ميلانو

يطلب منى منذ عدة سنوات بعض الرفاق الذين يناضلون معك فـى الحركـة التقدمية أن أكتب تاريخ الحركة أثناء مدة نشاطى من ١٩٣٥ الى ١٩٥٣ .

إلا أننى رفضت دائما ذلك ولازلت أرفض لسببين : السبب الأول أننى أعتبرك المؤرخ المؤهل لهذه المهمة ، والسبب الثانى أننى لا أملك القدرة ولا الوثائق اللازمـة للقيام بها ، كما تعرف فإن الاختلاف فى الرأى بينى وبينك حول عدة نقاط ولاسيما فيما

يختص بتحليل أزمة "حدتو" ١٩٤٨ وفى الحكم على حدتو (العماليـة الثوريـة). وقـد اعتبرت أنه من الواجب على أن أبدى برأيى [القائم على خبرتى المباشرة] فـى نقـاط الاختلاف ، وهذا قد تم دائما بالتوجه اليك.

وأريد ثانية أن أوضح بعض الأمور التى قد تفيدك فى مهمتك كمؤرخ :

١) لم تكن (حدتو . ع . ث) انقساما على (حدتو) . بل قـد تكونـت بعـد أن فصل نصف أعضاء ل . م (اليونسيون) النصف الثانى من أعضاء ل . م . والذين تـم تسميتهم بشكل خاطئ (العادليين) ، وهذا الطرد يعتبر فى صميمه عملا انقساميا بحتا ، أما النصف الثانى (المسمى - العادليين) فلم يكن تكتلا.

أولا: لأنه كان يضم رفاقا من أصول وتوجهات مختلفة. وقد تكونت (حـدتو . ع .ث) من أعضاء سابقين فى منظمة (ايسكرا) ، و (تحريـر الشـعب) و (الطليعـة) ومنظمة (القلعة) . بل وإلى جانب عدد غير قليل من المجموعة اليونسـية (وبصـفة خاصة "حميدو" و"علام" و "فكرى الخولى").

ثانيا: لأن الأعضاء الأكثر مسئولية فى المجموعة المسماة (العـادليون) كـانوا مبدئيا يحاربون التكتلية. وعندما تكونت التكتلات المختلفة اجتمعت لعدة مرات (بالرغم من أننى كنت مطاردا) بعشرات من الرفاق لهدم نظرية التكتلية التى كانت تبرر حينئذ رجوعا إلى ما فعله لينين بتكوينه للتكتل البلشفى، وهذا دون أن يوضع فـى الاعتبـار الفارق بين مرحلتين تاريخيتين محدودتين (مرحلة الدولية الثانيـة، ومرحلـة الدوليـة الثالثة) [ويستطيع أن يشهد بهذا "فاطمة زكى" و "ثريا أدهم " وعدد آخر من الرفاق]

ثالثا: أثناء انعقاد مؤتمر ال (٣٣) وقعت اختلافات شديدة بين أعضاء المؤتمر وحدث هجوم شديد على (عادل) [وتشهد بهذا لطيفة الزيات]

٢) كانت اللجنة المركزية لحدتو أثناء المرحلة السابقة علـى الأزمـة، وكـان يونس سكرتيرها السياسى، تغير تركيب أعضائها باسـتمرار عـن طريـق الفصـل والانتخاب الذاتى . مع الاحتفاظ دائما بتوازنها بين الأعضاء الذين كانوا ينتمون إلـى المنظمات التى اتحدت [كما تحاول السلطة فى لبنان الاحتفاظ بالتوازن بـين ممثلـى الطوائف المختلفة]، أما الكادر والقاعدة فكان على جهل تام بكل هذه التغيرات ، والشئ الوحيد الذى كان يصل اليهم هو صدى الخلافات والصراعات الدائرة فى (ل . م) ولـم

يكن لـ (ل .م) أى اتصال فعال وحقيقى مع القاعدة. ولم تسمح بقيام نقاش داخلى، بـل ورفضت حتى انعقاد مؤتمر أوكونفرنس محدود للكادر. ووقفـت ل . م موقفـا سـلبيا وعقيما أمام أزمة المنظمة التى راحت تتفتت وتتشرذم.

وبعد طرد نصف أعضاء ل . م ومعهم الأعضاء الذين كانوا يعملون تنظيميـا تحت مسئوليتهم [وكان عادل هو مسئولى. وكنت أقوم كنائب له بقيادة مكتـب الدعايـة المركزى، الذى لم يتوقف عن العمل طوال فترة الأزمة كما يشهد بذلك ابراهيم سـعد الدين وأسعد حليم، وقد وجدت نفسى مع كافة أعضاء مكتب الدعايـة مفصـولا عـن المنظمة بعد أن فصل عادل] ماذا كان يمكن لمئات من الرفاق المطرودين تعسفيا مـن (حدتو) بضغط من يونس [على أسـاس فكـرة أن طـرد الانتهـازيين مـن صـغار البورجوازية يقوى المنظمة!] هل كان عليهم أن يؤسسوا تكتلا جديدا أم تنظيما جديدا . أم يتخلوا عن الكفاح ... ؟ كان الحل الذى توصل إليه الرفاق هو الحل الوحيد السـليم من الناحيتين النظرية والعملية، استجابة لطلب الأغلبية الساحقة من أعضاء (حـدتو) للدعوة إلى انعقاد مؤتمر [لم تكن الدعوة موجهة إلى الكادر لعقد مـؤتمر بـل لعقـد كونفرنس، لإبراز أن المشتركين فى الاجتماع لا يمثلون كافة الشيوعيين المصـريين] وكان الخطأ الوحيد الذى حدث عند الدعوة للكونفرنس هو وضع شرطين للاشـتراك: إدانة التكتلية واليونسية (كان يونس ذلك الوقت مكروها من جزء كبير مـن أعضـاء حدتو الذين اعتبروه مسئولا أساسيا عن أزمة حدتو ، وقد اعترف بهذا فى مذكراته، ولم يدع الكونفرنس شندى للاشتراك. فقد كان مكروها هو أيضا)

وقد تم إصلاح هذا الخطأ أثناء الكونفرنس الذى دعا المنظمات الشيوعية سواء كانت تنتمى فى السابق لـ (حدتو) أو من خارجها لجنة تحضيرية (بدون أى شـرط) لمؤتمر تأسيس الحزب الشيوعى وهنا أضيف بأن المشتركين فى هذا الكونفرنس (٣٣) احتفظوا باسم (حدتو) اذ أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم الاستمرار الشرعى والحقيقى لهـذه المنظمة الكبيرة واكتفوا بإضافة كلمتى " عمالية ثورية " بعد اسم (حـدتو) وقـد أدى الكونفرنس وإعادة تكوين حدتو (ع . ث) الى منع تفتت المنظمة وتشتت الأعضـاء . وقد أكد هذا الكونفرنس على أن أسوأ وأشرس ظروف الإرهاب البوليسى لا تمنع انعقاد مؤتمر .

٣) لم يؤسس (حدتو ع. ث) مجموعة من المثقفين وأبناء الـذوات والأجانـب

فإننى كنت الأجنبى الوحيد الذى اشترك فى تأسيسها أما (ماكس كوهين) الذى ذكـرت اسمه فلم يشترك لا فى المؤتمر ولا فى تأسيس (حدتو ع . ث) وهـو الآن مناضـل حزبى جاد داخل الحزب الشيوعى الفرنسى. واشترك فى المؤتمر عدد كبير من العمال ، ولعبوا دورا هاما فيه ، وكانت (ل .م) التى انتخبها الكونفرنس تضم أغلبية من العمال (ومن بينهم حميدو وعلام) وهذا بناء على قرار اتخذ أثناء انعقاد الكـونفرنس ، إلا أن معظمهم لسوء الحظ قد تعرض للإعتقال بعد فترة قصيرة ، ولم ينتخبنى الكونفرنس فى (ل .م) لكونى أجنبيا. وهذا بناء على قرار آخر اتخذه الكونفرنس بعدم وجود أجانب فى ل . م .

وبعد عدة أشهر ، وبما أننى كنت أقوم بالدور الأساسـى فـى إعـداد اللجنـة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب (وقد ضمت اللجنـة ممثلـين لكافـة المنظمـات الشيوعية (إلا تكتل واحد) بما فيها حدتو (ت . ث) التى كانت تحت قيادة فؤاد عبـد الحليم وشريف حتاته وحمدى عبد الجواد) فقد انتخبنى المؤتمر الثانى بناء على اقتراح لطيفة الزيات. وبالرغم من أننى اعترضت مبدئيا على أن أكون عضـوا فـى اللجنـة المركزية ومسئولا عن اللجنة التحضيرية (إلا أننـى الآن اعتبـر أن مـوافقتى علـى الخضوع لرأى الأغلبية كان موقفا خاطئا)

وبعد أن تكونت حدتو ع . ث . اشترك فيها عدد من الأجانب (تيتـى أريـه، وزكى فورت ، وماريا روزنتال زوجة سعد كامل ، وليوزاهاف - وهو الآن عضو (ل . م) فى الحزب الشيوعى الاسرائيلى)

٤) وليس صحيحا أن كوادر (حدتو ع . ث) قد تخلت عن الكفاح أو سافرت إلى الخارج، فعادل سافر إلى الخارج ولكنه لم يلعب أبدا دورا مؤثرا كما أنه لم يستطع أن يقوم بدور ما فى (حدتو ع . ث) إذ أنه قد اعتقل فورا بعد انعقاد الكونفرنس مـع حميدو وعدد أخر من الرفاق. وأضيف هنا أن عددا من كوادر حدتو ع ث لم يكن على وفاق معه (يمكن الرجوع فى ذلك إلى لطيفة الزيات) . أما فيما يخصنى فـإننى كنـت أستطيع كايطالى أن أغادر مصر بهدوء ، إلا أننى فضلت مثل مئات مـن الرفـاق أن أكافح فى العمل السرى ، وذلك لمدة سنة تقريبا قبل إبعادى نهائيا عن مصر (للمـرة الثانية) بعد انقضاء الحكم الموقع على بخمس سنوات سجن، أما يونس فقـد اختـار أن يسلم نفسه للبوليس فى فترة احتدام أزمة حدتو وهو سكرتيرها السياسى (لأنه تعـب -

حسب قوله) كما ورد فى شهادة زوجته روزيت عندما قال لها حرفيا " لقد تعبت مـن المطاردة ، سأسلم نفسى" - انظر كتاب جيل بيرو (رجل فوق العادة) ص٢٠٠، وليس من الصحيح أن تطابق بين حدتو ويونس (كما فعلت ولا تزال تفعل قـوى الامبرياليـة والرجعية) كما ليس صحيحا أن يونس هو المؤسس والأب الروحى لـ (حدتو). فـإن هذه المنظمة التاريخية الكبيرة تأسست بجهود مئات المناضلين المنتمين لعدة منظمـات وكان نموها نتيجة لكفاح وتضحية مئات من الرفاق سواء من المثقفين الماركسـيين أو من العمال وفيما يختص بى وبعد تواضع شكلى، فإنى قد لعبت دورا هاما فى تأسـيس (حدتو) فقد تم اختيارى من قبل قيادات عدة منظمات (ومن بينهم يونس) لأقوم بـدور الوسيط والمفاوض بين هذه المنظمات المختلفة وأيضا بسبب علاقتي بالحركة الشيوعية الدولية .

فتبرير أزمة حدتو بوصفها نتيجة لوجود عدد غير قليـل مـن البورجـوازيين الصغار داخل المنظمة كما كتب يونس (وهو لم يكن من صغار البورجـوازيين !!!) هو تبرئة قيادة حدتو من مسئوليتها الكبيرة فى خلق الأزمة، إذ أنها لم تستطع أن تقـوم بعملية الالتحام والدمج بين الحركة العمالية وحركة المثقفين المصريين بصرف النظـر عن أصولهم الطبقية (بورجوازية صغيرة - بورجوازية - إقطاع)، وأنـا أحـب أن أوضح أن يونس لم يكن أبدا ماركسيا بالمعنى الصحيح ، كما أن تقييم الحركة الشيوعية الدولية (الأممية) كان تقييما سلبيا ، بل وأخطر من هذا كان تقييما يدينه وليس لدى أحد منا مجال للدخول فى هذا.

٥) لم تحدث انقسامات داخل حدتو ع . ث . فقد ترك أربعة رفـاق المنظمـة وانضموا إلى (شندى) الذى ظهر مرة أخرى على السطح بعد كسوف دام عدة أشهر إلا أن الأربعة طلبوا بالاضافة إلى شندى التعاون مع (ع.ث) وباسم منظمـة ن . ح . ش . اشتركوا فى اللجنة التحضيرية ، وعندما طلب منهم تقديم مشروع ببرنامج ولائحة قرروا الاكتفاء بمناقشة البرنامج واللائحة التى تعدها ع . ث . ومن بينهم أحمد فـؤاد الذى كنت قد درست له الماركسية فى " فيللا " فى الحلمية وكان مع عدد من الضباط لم أعرف أسماءهم ، وكذلك حمدى أبو العلا الذى ساعدنى أثناء فترة اختفائى . وأعد لـى أماكن للاختفاء (وقد أعد لى مكانا فى بيت سكرتير مجلس النواب لأختبئ به) .

فقد أصبحت (حدتو ع . ث) بؤرة يتبلور حولها أفضل الكوادر المتواجدة فى

كافة التنظيمات (ومنهم على سبيل المثال شهدى عطية) إلا أن الانضمام لـ (حدتو ع . ث) كان يشترط مبدئيا إدانة التكتلية [وهذا ما فعله شهدى فى جريدة المنظمة . وقـد نشرت تصريحه تحت عنوان زعيم التكتلية يدين التكتلية - وكان لهذه الإدانة تأثير كبير بين كافة الرفاق المبعثرين داخل الكثير من التكتلات وذلك بالاضافة إلى دراسة طويلة وزعت على الرفاق عن التكتلية وخطورتها على الحركة]

٦) لم تتخل حدتو ع . ث أبدا عن الكفاح الجماهيرى فى حـدود الامكانيـات المتاحة فى ذلك الوقت، كما أنها لم تنغلق على ذاتها بالرغم من إعطاء أهميـة كبيـرة لنشاط اللجنة التحضيرية. فقد كان النشاط بين الطلبة والعمال ينمو يوما بعد يوم ، إلـى الدرجة التى دفعت حدتو ت. ث لان تطلب تنسيق العمل مـع حـدتو ع . ث . وقـد اجتمعت لهذا الغرض عدة مرات مع فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد وعند القبض عليهم فى منزل شريف حتاته تمكنت من الإفلات بالكاد من وقـوعى فـى القـبض . وتوجد عدة منشورات وجرائد تشهد على هذا النشاط الجماهيرى .

٧) وبعد وقوع القبض على عدد كبير من الكوادر القيادية لـ حدتو ع. ث لم تتوقف المنظمة عن مواصلة الكفاح . واتحدت معها ن . ح . ش . وعدد من المنظمات الصغيرة الأخرى مثل منظمة " المطبعة " وتكونت ن . ح . ش . م التى أصبحت بذلك أقوى المنظمات الموجودة وقد جند أحد كوادرها وهو جمال شلبى (وقد كنـت كونتـه كماركسى) وعدة رفاق من بينهم الفقيد زكى مراد .

وقد يكون تقييمك لـ حدتو ع . ث . مبنيا على معلومات غير دقيقة بل وأحيانا خاطئة . وإننى أعتقد أن من واجبك كمؤرخ لحركة اليسار المصرى أن تعيد النظر فى هذا التقييم على ضوء المعلومات الجديدة التى حصلت عليها أخيرا . فحدتو ع . ث :

أ - هى أول من وضع مهمة إعادة تأسيس الحزب الشيوعى المصرى كمهمـة ملحة فى وقت كان فيه الشيوعيون لا يتوجهون إلا لبناء منظمات وجبهات أو حركـات تقدمية . كما قامت بتحطيم كل " النظريات المصفية للحزب قبل تأسيسه "

ب - ربطت المنظمة بين عملية إعادة تأسيس الحزب وعملية توحيد الحركـة الشيوعية المصرية بفصائلها المختلفة .

ج - أكدت أن عملية إعادة تأسيس الحزب، وهى نفس عملية توحيـد فصـائل الحركة الشيوعية، يجب أن تقوم على أساس من برنامج ولائحـة وخـط اسـتراتيجى

وتكتيكى واضح.

د- أدانت بشكل نظرى وعملى التكتلية (ارجع إلى الدراسـة المفصـلة عـن التكتلية).

هـ- حددت بشكل دقيق فى تحليلها المرحلتين التين تمر بهما الثورة المصرية :

- المرحلة الأولى : ثورة وطنية ديمقراطية [وكنا نكافح فيها] .

- المرحلة الثانية : ثورة اشتراكية .

(وقد يكون من المفيد العودة إلى الدراسة الطويلة التـى أعـددناها فـى هـذا الصدد).

و - حددت الفرق بين الحزب الشيوعى والجبهة الوطنية الديمقراطية، موضحة أن الحزب وكفاحه وجهده ووعيه يجب أن يكسب بعمله اليومى الدور الحاسم فى قيادة الجبهة .

ز - طلبت من كافة المنظمات سواء التى انشقت عن حدتو أم من خارجها أن تشترك بدون شرط مسبق فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر إعادة تأسيس الحـزب، وقـد اشتركت فى هذه اللجنة حدتو ع . ث، و ن . ح . ش، والعصبة الماركسية، و د . ش، وحدتو ت . ث التى أوفدت فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد، وقد لعبا دورا فعـالا إلى أن قبض عليهما.

ع - كانت المنظمة الوحيدة المتصلة وقتئذ بالشيوعية الأممية، وعند وجـودى فى سجن مصر بعد الحكم على بخمس سنوات واصلت كفاحى من أجل إعادة توحيـد الحركة الشيوعية ، وساعدت فى قيـام الوحـدة بـين حـدتو. ع . ث و ن . ح .ش ومنظمات صغيرة أخرى . و أخيرا فى قيام الوحدة بين ن . ح . ش . م وما تبقـى من (حدتو) .

وعند إبعادى عن مصر كنت لا أزال عضوا فى حدتو التى أعيـد تكوينهـا ، وعند وصولى إلى ايطاليا طلب منى يونس أن أنضم إلى اللجنه المركزية التى كانـت فى باريس وقد رفضت بطبيعة الحال .

وفى السجن واصلت تدريس الماركسية لكافة الرفاق بدون النظر الي الانتمـاء التنظـيمى [يشهد على هذا رفيق أقدره تقديرا كبير، وهو الرفيق مبارك عبده فضل] ،

وبمجرد أن وصلت الى إيطاليا قمت بإعداد تقرير موجه الى قيادة الحـزب الشـيوعى الايطالى [والذى اعتبرته محاولة لكتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصـرية. ونشـرت جزءا منه فى أحد كتبك] بهدف مطالبة الحزب بأن يساند (بـدون أى تـدخل) الرفـاق المصريين وأن يساعدهم على توحيد الحركة وإعادة تنظيم الحزب الشيوعى .

وإذا نظرت حولك يمكنك أن ترى أن أفضل العناصر المناضلة فـى الحركـة التقدمية المصرية الحالية لم تكن تنتمى للمجموعة اليونسية (باستثناء عدد محدود)، بل إلى المنظمات الأخرى التى اعتبرها يونس انتهازية وبورجوازية صغيرة .

وأخيرا : فإننى أضع نفسى تحت تصرفك فيما يتعلق بإيضـاح كافـة النقـاط والمعلومات التى قد تفيدك فى مهمتك كمؤرخ قادر على أن يمررها عبر مرشحات النقد التاريخى .

شهادة

أحمد خضر

الاســـــــــم: أحمد خضر
مـن مـــواليـد: ١٩١٩/٤/١٣
المؤهلات الدراسية: تعليم صناعى حصلت عليه بالدم والعرق والدموع لبعدى عن أمى وأبى وإخوتى . حصلت عليه من المعهد العلمى الصناعى بالعباسية (قسم نسيج).
بيـانـات شخصية: أسرتى مكونة من ستة أفراد : الأم والوالد وأخوين وأختين .
الأم: ست عادية أمية عاشت معذبة بعد انفصالها عن والدى بسبب دخولى المعهد داخليا . أصيبت بالشلل بعد خروجى من السجن من القضية الثانية عام ١٩٦٤ ونجت منـه . ثم فاجأها ثانية بعد عام وتوفيت بعد أسبوع فى ١٩٦٦/٥/٣٠.
الـــوالـــد: من مواليد السبتية ببولاق .. خريج المدرسة الثانويـة الصـناعية ببولاق قسم خراطة وبرادة ... التحق عن طريق جدى بعنابر سكة حديد بولاق بالسبتية .. كان وطنيا اشترك بالحزب الوطني، ثم ارتبط بحزب الوفد لجماهيريته ، كان يحـب الاتحاد السوفيتى ويقرأ مطبوعات الحزب الشيوعى المصرى القديم .. اشترك في ثورة ١٩١٩ ... فصل من العنابر لعدم قبوله الرجوع للعمل واستمراره في الثورة . ثم سافر للسودان وأنا فى الثالثة من عمرى والتحق والدى بعنابر السكة الحديد بالسـودان ثـم فصل لاشتراكه فى ثورة السودان عام ٢٤ - ١٩٢٥ . وبعد ذلك سافرنا فى أواخر عام ١٩٢٥ إلي أنشاص الرمل (تفتيش) .
واشتغل والدى بورش صيانة الآلات ، والتحقت أنا بالكتاب والتعليم الأولـى . ولكنه فصل عام ١٩٢٨ لكثرة كلامه مع الفلاحين ضد التفتيش واستغلاله لهم . ولمـا رجعنا ثانية للسبتية مسقط رأسنا فى عام ١٩٢٨ اشتغل والدى بالورش الأهلية ، وكان يتعرض للبطالة كثيرا لدرجة أننا كنا نقضى أحيانا بعض الأيام بدون طعام . وقد كـان هذا سبب قبول والدى دخولى المعهد. وأخيرا وبعد مدة من دخـولى المعهـد اشـترك والدى فى إقامة القناطر الخيرية فى الثلاثينيات ، وبعد ذلك اشتغل بشركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى رئيسا لورش الصيانة. ولكنه كان مكروها مـن مجلـس إدارة الشركة (حمدى وحمادة) لارتباطه بنقابة العمال ضد نقابة الشركة . واستمر بالشـركة حتى قرأ فى منشور وزع بالشركة فى مايو ١٩٤٩ وأنا معتقل فى جبل الطور بـأننى ضربت بالرصاص وتوفيت أثناء اضرابنا عن الطعام ضد الأحكام العرفيـة ، وكـان وقتها يحبنى جدا جدا بعد أن تحسنت علاقتى به بعـد ارتبـاطى بالحركـة الشـيوعية

ومعرفتى بأنه انسان وطنى مناضل وتحولت كراهيتى له بسبب المعهد لحب واحترام .
لما قرأ والدى بالمنشور أننى توفيت رميا بالرصاص حدث له إصابة بالمخ من الصدمة تسببت فى وجود دم سام فاسد بالساقين ونصح الأطباء ببتر اللحم الفاسد مـن السـاقين وكانت هذه نهايته لعدم قدرتنا على علاجه بعد فصله من الشركة لأنه يحتاج لمصاريف كثيرة .. وقد حاول رئيس القسم المخصوص " أحمـد حجـازى " ورئـيس البـوليس السياسى "محمد إبراهيم إمام" مساومتى من أجل علاج والدى، ولكننى فضلت إخلاصـا لنصيحة والدى ألا أخون زملائى مهما كانت الظروف، وإخلاصا لزملائـى الشـرفاء، وهكذا استمر والدى يعانى الآلام حتى توفى فى ١٩٥٣/١٠/١٥ وأنا مسجون بسـجن مصر خمس سنوات فى القضية الأولى بتاريخ ١٩٥٢/٦/١٨ لقلب نظام الحكم .
مات أخى الكبير عام ١٩٨١ .
وماتت أختى التى تليه عام ١٩٤٦ .

مشوار حياتي:

عشت حياتى وأنا طفل ما بين حى السبتية الذى ولدت فيـه وبـين السـودان وأنشاص الرمل. ثم السبتية ثانية بسبب اضطهاد والدي وتشريده .

دخلت الكتاب والتعليم الأولي ونحن موجودين بأنشاص ولما رجعنا للسبتية ثانية الحقنى والدى بمدرسة سعد زغلول الابتدائية برملة بولاق وقد مكثت بها سنتين وكنـت متفوقا ومنقولا للسنة الثالثة .

ولكن شاءت الظروف والأقدار أن يلتقى عبد الوهاب أفندي سـكرتير "المعهـد العلمى الصناعى" بالعباسية بوالدى صدفة بعد فترة انقطاع طويلة بعد تخرجهمـا مـن "المدرسة الثانوية الصناعية" ببولاق . ولما عرف عبد الوهاب أفندى ظـروف والـدى الجديدة اقترح عليه أن يأخذنى معه بالمعهد وقد اقتنع - لظروفه القاسـية - بـدخولى المعهد، ولكن أمى لم توافق فكيف أدخل المعهد وأنا لست يتيما، ولما أصر والدى على دخولى المعهد انفصلت أمى عن والدى واخذت اختى التى تكبرنـى بـثلاث سـنوات وسافرت وعاشت مع أخيها ترزى بوليس محافظة سوهاج، وهكـذا تشـتتت أسـرتنا وأصبحت أكره والدى كرها شديدا. أما أنا فدخلت المعهد وقضيت به ست سنوات.

المعهد العلمى الصناعى :

معهد أسسه المرحوم المناضل " عبد العزيز بك جاويش " المشرف العام علـى التعليم بوزارة المعارف ومن مؤسسى جمعية المواساة الإسلامية .. أسس المعهد عـام ١٩٣١ ليكون نموذجا جديدا وبديلا عن الملاجئ ليضم الأطفال أبناء الأسـر الفقيـرة واليتامى، والتعليم فيه في مستوى ثانوى صناعى بدون لغة انجليزية .

والمعهد عبارة عن مبنى مربع على مساحة واسعة ليعيش بداخلـه ٤٠ تلميـذا وتلميذة نصفه للبنين ونصفه الآخر للبنات .

الدور الأرضى: يوجد به المطبخ وصالة كبيرة للطعام ، والمكاتب ، والورش ، ومصلى ، وحوش كبير للطوابير وللألعاب المختلفة مثل كرة القدم ، والراكت ، والبينج بونج وخلافه.

الدور الثانى : يوجد به فصول الدراسة ، وثلاثة عنابر للنوم موزع بهـا الـ ـ ٢٠٠ تلميذ حسب السن .

الدور الثالث: يوجد به مكتبة كبيرة متنوعة الكتب والقصص للإطـلاع أثنـاء الفراغ ، وغرفة لهواة الموسيقى ، وغرفة خاصة لغسيل ملابس التلاميذ وجميع الأشياء الخاصة بهم .

النظام الداخلى للمعهد :

الملابس: يلبس التلاميذ بدلة صوف عادية ، قميص ، حذاء أسـود ، شـراب أبيض ، طربوش ، حتى يشعر التلميذ بأنه مثل الأطفال الذين يعيشون مـع أسـرهم . وفى المساء يلبس جلبابا وحذاء كوتش أو صندلا ليلعب به .

الطعـام :-

الفطار : جبنة ، بيض ، فول مدمس ، زيتون ، عسل أسود ... الخ .

الغذاء : خضراوات متعددة الأصناف على مدار الأسبوع، وأرز أو مكرونة ، لحوم ، عدس ، بصارة ، فاكهة عدة مرات فى الأسبوع .

العشاء : زبادى وحلاوة ، زيتون وفاكهة ، خضار مسلوق وقطعة لحم ، جبنة وأرز بلبن، بيض وكنافة .. الخ من الطعام الخفيف .

النوم : لكل تلميذ سرير ومرتبة وملاية ومخدة وبطانيتان. ولكل عنبر مشـرفة

اجتماعية، وثلاث فرّاشات لنظافة العنبر والسراير والغسيل.

عشت ست سنوات بالمعهد أقضى به خمسة أيام ويومان أقضيهما عند خالتى . وكان والدى يحضر بين الحين والآخر لرؤيتى عند خالتى وترك نقود لـ ـى . ولكنـ ـى كنت أصده ولا أريد أن أراه بسبب دخولى المعهد وحرمانى من والدتى وإخوتى .

وهكذا قضيت ست سنوات بالمعهد تعلمت خلالها مهنة النسيج على يد مدرسين كبار كأى مدرسة صناعية بجانب الدراسة العامة الأخرى . وكنت فى دراستى العامـ ـة ودراسة النسيج متفوقا وترتيبى الأول بالمعهد، كما هويت العزف على بعـ ـض الآلات الموسيقية .

خرجت من المعهد العلمى الصناعى عام ١٩٣٧ والتحقت بمصـ ـانع النسـ ـيج، ولكننى كنت أفصل كثيرا من المصانع بسبب التصدى لاستغلال أصـ ـحاب المصـ ـانع وكراهيتى للظلم والاستغلال، وكان أحيانا يوجد قلة من العمال المتخاذلين الانتهـ ـازيين الذين لا يريدون الاشتراك معنا فى الإضراب خوفا من الفصـ ـل، وعنـ ـدما أهـ ـاجمهم لتخاذلهم يقول لى أحدهم لا تكلمنا هكذا لأنك متربتش زينا علي طبلية أهلك . كان هذا الكلام يؤلمنى كثيرا جدا جدا بل كنت أنهار وأزداد كراهية لوالدى ولولا حـ ـب أغلبيـ ـة العمال لى وتعاطفهم معى كنت فكرت فى الانتحار .

هكذا عشت بعد خروجى من المعهد في حالة نفسية سيئة ، ولكننى كنت متمردا لا أستطيع الرضوخ للظلم والاستغلال وفى أواخر عام ١٩٣٨ وجدت مجموعـ ـة مـ ـن العمال النقابيين المناضلين أذكر منهم المرحوم محمود محمد حمزه ، والمرحوم فضالى عبد الحميد عبد الجواد ، والمهندس طه سعد عثمان وآخـ ـرين يناضـ ـلون مـ ـن أجـ ـل الاعتراف بالقوانين العمالية منها الاعتراف بالنقابات ، وقانون عقـ ـد العمـ ـل الفـ ـردى والجماعى فاشتركت معهم فى النضال من أجل تحقيق هذه القوانين .

ولكننى من كثرة قراءاتى بالمعهد كرهت ذلـ ـك النظـ ـام القـ ـائم علـ ـى الظلـ ـم والاستغلال وحرمان بعض الأطفال من الحياة وسط أسرهم، وقد دفعنى هذا إلى قراءة بعض الكتب التاريخية والمجلات فعرفت أن النظام الملكى والاستعمار هما أس الـ ـبلاء فبدأت أثناء الحرب العالمية الثانية أحب هتلر وأتمنى له الانتصار ودخول وطننا وذلك من كثرة قراءاتى عنه فى مجلة نترات الجير الألمانى التى كانـ ـت تصـ ـوره كعامـ ـل اضطهد كافح وسجن حتى وصل البرلمان لإنصاف الشعب الألمـ ـانى فاعتقـ ـدت بأنـ ـه

مخلص الشعوب والطبقة العاملة من الاستعمار والاستغلال . كنت متعصبا لهتلر جـدا جدا ، معتقدا أنه سيساعدنا على التحرر من الاستعمار والاستغلال .

وقد كان موقف والدى عكس موقفى تماما فهو كـان يعطـف علـى الاتحـاد السوفيتى ويعتبره هو النظام الذى يخلص العمال من الاستغلال، ولشدة كراهيتى لوالدى بسبب دخولى المعهد كنت أهاجمه بشكل سيئ لكنه كان يتحمل هجـومى قـائلا أنـت كالدب الذى أراد حماية صاحبه من ذبابة فقتله بحجر ، فرددت عليه بألفاظ سيئة ممـا جعله يقطع أجازته ويسافر للمحلة .

كذلك ارتبطت عام ١٩٤٢ " بجمعية نهضة القرى " فترة قصـيرة ، وتركتهـا لأننى عرفت أنها خاضعة للسراى .

استمريت أعمل وأفصل، أعمل وأفصل وهذا زاد من اضطهادى. وفى أواخـر عام ١٩٤٣ أثناء قيادتى عمال كم وقبانى للنسيج أعجب بى شـخص لا أعرفـه كـان صديقا لأحد أصدقائى فتقرب منى ونحن جالسين على المقهى نناقش الاضراب وقال أنه يريد مناقشتى فى موضوع اعجابى بهتلر فوافقته وذهبت مع صديقى لمنزلـه بالسـيدة زينب وبعد سماعى لرأيه وبعد قراءة بعض الموضوعات وقراءة تطور المجتمع مـن العصر البدائى حتى النظام الاشتراكى فالشيوعية اقتنعت برأيه وبمـا قرأتـه . وكـان صاحب الفضل في تجنيدى للحركة الشيوعية لتنظيم الحركة المصرية للتحرر الـوطنى وهو المرحوم الزميل المناضل " حلمى حامد " من الطيران . ولكن بعد تجنيدى بمرحلة سلمنى لطالب بكلية الهندسة وفى يوم شديد البرودة وأنا جالس معه فى مقهى فى ساعة متأخرة من الليل لتوصيله بعمال أبو رجيلة لنقل الركاب حضرت سيدة مسنة كبيرة جدا ومعها طفلة صغيرة تطلب شيئا من النقود لأطفال صغار فلما أعطيتها خمسة قـروش قال لى ماذا فعلت. فقلت أننى أعطيتها شيئا من النقود من أجل الأطفال ولضعفها. فقال لى ده غلط ادفع هذه النقود للتنظيم. فقلت له أننى أدفع للتنظيم خمسة جنيهات كل شهر هذا خلاف ما أتحمله من مصروفات للانتقال والجلوس على المقاهى مع من أجنـدهم، فقال أن هؤلاء كبار السن المسنين يعيشون عالة على عمل الطبقة العاملـة سـنتخلص منهم عندما نأتى للحكم فقمت ورفضت توصيله بعمال أبو رجيلـة وقلـت لـه أننـى سأحاربكم لأنكم قتلة وسفاحين. ولولا اتصال المرحوم "حلمـى حامـد " والمرحـوم " ابراهيم العطار " وأخيه عقب توقفى عن النشاط واطلاعى على عدد من الكتب منهـا "

الأسرة والعائلة فى الاتحاد السوفيتى" و"الطفولة والشيخوخة فـى الاتحـاد السـوفيتى" وعرفونى أن هذه الأفكار هى أفكار النازية فاقتنعت بما قدموه لـى وعـدت للنشـاط وغيروا هذا المسئول . لهذا أكن كل حب وتقدير للمرحوم "حلمى حامـد" والمرحـوم "ابراهيم العطار" وأخيه .

وقد كنت محبوبا من المسئولين الجدد الذين عملوا معى لأننى كنت أقدم للتنظيم كل فترة عمالا فى مهن مختلفة، عمال من النسيج كالمرحوم "أحمـد عبـد العزيـز " وغيره، وعمال من مهن المعمار كالمرحوم "محمد حسن جاد " وغيره ، وعمـال مـن الأحذية كالمرحوم "يس مصطفى" وغيره . وكان نشاطى هذا سببا فى زيادة اضطهادى من جانب البوليس السياسى والقسم المخصوص ، وكان سببا فى فصلى من كم وقبانى للنسيج فى سبتمبر عام ١٩٤٤ وحبسى شهرا أثناء اضراب عمال المصنع ثـم وضـع اسمى فى قائمة الخطرين الممنوعين من العمل فى أى مصنع ولو كان صغيرا . وفعلا مكثت خمسة وعشرين شهرا بدون عمل ، ولكن نشاطى زاد فى هذه الفترة ولـم آخـذ قرشا واحدا من التنظيم، وكان يساعدنى فى هذه الفترة أصدقاء عاديون تقديرا لنضالى وتضحياتى، ومساعدات والدى المستمرة، ومسـاعدات زميلـى المرحـوم "محمـود العسكرى" بشكل دائم بالرغم من اختلافنا فى كثير من المسائل السياسية ووجـود كـل واحد منا فى تنظيم مختلف عن الآخر ، ومساعدات المرحوم "سيد سلطان " رئيس نقابة عمال التجارة بين الحين والآخر، والمساعدات الدائمة من جانب الصـديق المخلـص وهبة وأخيه. بل أكثر من ذلك كنت أقدم إمكانيات مالية للتنظيم من بعض العـاطفيين ، صحيح أن اتساع نشاطى فى الحركة الشيوعية زاد من اضطهادى، ولكن فـى الوقـت ذاته فإن ارتباطى بالحركة الشيوعية غير علاقتى بوالدى فتغيرت نظرتى له، وتحسنت علاقتى به وأصبحت أحبه وأحترمه كمناضل ضحى بكل شئ. وكان هذا سبب دخولى المعهد وتشتت أسرتنا، وأصبح هو يحبنى جدا ويشجعنى على الاستمرار في النضـال كشيوعى مهما تحملت من متاعب وتشريد وعذاب بشرط أن لا أخون زملائى أمام أى تعذيب أو إغراء من جانب البوليس السياسى حتى توفى فى أواخر ١٩٥٣ وأنـا فـى السجن فى القضية الأولى ١٩٥٢/٦/١٨ موضحا هذا فى باب الكلام عن والدى .

وخلال الخمسة وعشرين شهرا التى كنت ممنوعا فيهـا مـن العمـل وأثنـاء إضرابى عن الطعام من أجل حصولى على العمل قام "اسماعيل صدقى " وأنا مضرب

عن الطعام بحجز السيدة زينب فى قضية تشرد فنشر المرحوم "عبد الرحمن الشرقاوى" ملحمة شعرية كمقدمة لمذكرتى الموجهة للقضاء الذى سيحاكمنى في مجلة الطليعة العدد الأول لاتحاد خريجى الجامعة وقد كانت سببا رئيسيا لبراءتى وتقدير القاضى لى واتهامه للبوليس السياسى في حيثيات الحكم بأنه هو الذى يسعى لتشريدى. كذلك نشرت عنى جريدة الوفد المصرى عام ١٩٤٦ مقالا كبيرا كتبه المرحوم المناضل الدكتور "محمد مندور" دفاعا عنى تحت عنوان بين "وزير ووزير".

كما أثار موضوع اضطهادى النائب المناضل المخلص المرحوم "حنفى الشريف " فى البرلمان ونشرت جريدة مصر الفتاة موضوع اضطهادى الذى أثير بالبرلمان، وقد استمر هذا الاضطهاد يتزايد وفي الوقت ذاته زاد نشاطى بالنقابات والحركة الشيوعية والحركة الوطنية وخطاباتى فى المظاهرات حيث أننى أجيد الخطابة. وقد وجدت خلال كفاحى في هذه المجالات المختلفة جيلا جديدا من المناضلين يصغر عن جيلنا بحوالى عشر سنوات أذكر منهم علي سبيل المثال : سيد عبد الوهاب ندا ، وعلى كامل ، وأحمد سالم ، ونجاتى عبد المجيد، وإبراهيم مرسى، ومحمد عبد الغفار ، ومحمد المنشاوى ، ومحمد عبد الواحد، وسلامه عبد الواحد ، ومصطفى بقشيش ، وغيرهم كثيرين ، كما سمعت ورأيت لأول مرة المناضل محمد محمد شطا ، ومحمد على عامر ، وعبد الله حسن، والأستاذ يوسف درويش المحامى من كبار السن وغيرهم . وهكذا استمر نشاطى يزداد من جهة ، ويزداد اضطهاد البوليس السياسى لى من جهة أخرى حتى جاءت ظروف مكنتنى من العمل لتأسيس وإدارة مصنع نسيج جديد بالمنيا دون علم البوليس السياسى،وبأمر من التنظيم قبلت الخمسة وعشرين جنيها لأن كثيرين غيرى كانوا يطلبون مرتبا كبيرا لتأسيس وإدارة المصنع وتعليم العمال مهنة النسيج .

نشاطى بالصعيد :

وقعت فى أكتوبر ١٩٤٦ مع الخواجة "كامل سدراك" عقدا بثلاث سنوات قابلة للتجديد وأخذت معى عاملين من مصر وعينت اثنين من المنيا وبدأت فى تركيب الأنوال والتحضير لتشغيل المصنع واتبعت أسلوبا سهلا لتشغيل المصنع فعلمت اثنين ادارة الأنوال ومعالجة الأخطاء فى عملية الانتاج ، ثم جعلت كل واحد ممن علمتهم

يعلم عاملا آخر وهكذا اشتغل العشرون نولا وماكينات التحضيرات في مـدة قصـيرة الأمر الذى جعل الخواجة كامل يفتخر بى وزودنى خمسة جنيهات .

ومن البداية عند تحديد أجور العمال حدث خلاف بينى وبين الخواجـة كامـل حول الطريقة التى نعامل بها العمال فهو كان يريد أن يشتغل العامل شهرين بدون أجر ثم نعطى له أجرا بسيطا، ولكننى تمسكت بضرورة أن يأخذ العامل الذى نعلمه النسـيج من البداية عشرة قروش والعامل الصغير الذى نعلمه التحضيرات يأخذ سـتة قـروش فقال يا بوى ده أحسن أجر بالمنيا للعامل الفنى ثلاثة عشر قرشا . فقلت له أنا مسـئول عن أى متر تالف من العامل ، ولكن لابد من تنفيذ رأيى هذا حتى أكون مطمئنا علـى أن العامل أكل وأعطى أهله بعض النقود حتى يتفرغ للعمل فقال الخواجة توفيق وهـو تاجر : أصل الأسطى أحمد شيوعى. فقلت له هل تستطيع أنت وعائلتـك أن تعيشـوا بدون أكل فقال لا .. فقلت له اشمعنى عاوز تشغل العمال الذين يرغبون تعلم صـناعة النسيج شهرين بدون نقود وما الذى يجبرهم على ذلك . وأخيرا قبل شروطى واشـتغل المصنع فى مدة قصيرة وأنتج أقمشة مختلفة الأصناف ولم يخسر مترا واحدا .

ثم بدأت أكون علاقات مع بعض العمال من أهل المنيا وعن طريقهم وصـلت لبعض المناطق العمالية كمحلج هندرسون وبعض القرى ، وعمـال أتوبيسـات نقـل الركاب بالمنيا وعمال الرى ، وبعض عمال الورش والطـلاب . كمـا تمكنـت مـن الاتصال ببعض الأشخاص بأسيوط وسوهاج، وقد ساعدنا هذا على الانتشـار وخلـق علاقات بجمعية الشبان المسلمين بالمنيا ودعمنا التنظيم بعناصـر جديـدة فـى هـذه المجالات المختلفة .

وعن طريق المرحوم لويس اسحق زميل المناضل أبو سيف يوسف أصبح لى علاقات بأشخاص تقدميين من حزب الوفد وجمعية الشبان المسيحيين والطلاب . ومـن هنا بدأ النشاط يتسع حتى وصلت عن طريق بعض المعارف مـن أهـل كـوم امبـو الموجودين بالمنيا بعمال البيارة بكوم امبو وقمنا بنشاط بين نقابات الصعيد حتى تمكنـا من طرد عملاء البرنس عباس حليم من نقابات الصعيد، مما جعل مديرية أمن المنيـا تتساءل من يكون وراء هذا النشاط خاصة بعد توزيع المجلات الشيوعية على الأعضاء والعاطفيين بالصعيد وتوزيع بعض المنشورات الشيوعية باسـم "الحركـة المصـرية للتحرر الوطنى " فى مناسبات مختلفة عكس " طليعة العمال " التى كانت ضد توزيـع

المنشورات والجرائد الشيوعية قائلة إن هذا يكشف المناضلين ويسهل للبوليس السياسى التخلص من العناصر المناضلة .

زاد النشاط على نطاق أكثر من ثلاث مديريات لدرجة أن قدم لى المسئولون - منهم سالم وأبو شنب وغيرهما - من الذين يحضرون من مصر تقدير اللجنة المركزية أكثر من مرة، بل أكثر من ذلك أرسل لى أحد الزملاء الشيوعيين اليهود الذين رحلوا لفرنسا وكان يعمل معى بالمنيا بعض الوقت والموجود حاليا بفرنسا وقد أرسل لى منذ عشر سنوات مع الزميل أ . ط وقت أن كان بفرنسا هدية تذكارية عبارة عن قلم جميل وكارت يذكرنى فيه بالأيام الجميلة التى كنا نعمل فيها سويا بالمنيا .

وزاد نشاط عمال مصنع النسيج بالمنيا من أجل الحصول على مكاسب أكثر وكنت أقف معهم لتحقيق هذه المطالب مما جعل صاحب المصنع الخواجة كامل سدراك يستميل العاملين اللذين أحضرتهما من مصر للاعتماد عليهما لو حدث أن تمكن من إبعادى عن المصنع . وفى يوم أضرب عمال المصنع بسبب فصل العاملين اللذين تقدما بالمطالب وكانا معى بالتنظيم فحضر البوليس من البندر وأخذوا العاملين للبندر فذهب العمال وراهما ولكن المعاون رمى العاملين بحجز البندر، ولما ذهب العمال للبندر أرسلت خطابات مسجلة للنائب العام ، ورئيس الحكومة، وجريدة المصرى بخصوص مطالب العمال والقبض على العاملين بدون وجه حق وعرفتهم بأننى ذاهب للبندر بخصوص مشكلة العمال وإذا حدث أى اعتداء على وأنا بالبندر فإننى أحمل المسئولين بالبندر مسئولية الاعتداء على وأننى من الآن مضرب عن الطعام ، ولما ذهبت للبندر وجدت المعاون يقول للعمال اذهبوا أنتم للمصنع واشتغلوا، وبعد أن يشتغل المصنع سأخرج العاملين من الحجز . فقلت له حرام عليك يا سيادة المعاون أن تخدع العمال فبعد ما يشتغل المصنع ستوجه تهمة التحريض للعاملين فقال المعاون من أنت، فقال له الخواجة كامل إنه مدير المصنع فأخرج المعاون العاملين من الحجز ووضعنى أنا فى الحجز فطلب العمال من الخواجة كامل تصفية حسابهم لأنهم سيتركون العمل وسيرجعون لأعمالهم القديمة ولأنها منطقة لا يوجد بها عمال نسيج غيرهم أجبر صاحب المصنع على طلب إخراجى من الحجز .

وفى المساء حضر المأمور وضابط كبير من البندر وأخذا يناقشانى على أن أفكار الشيوعية لا تصلح في الأقاليم وخصوصا فى الصعيد لتخلف أبنائه . فقلت لهما

ماذا تريدان منى إذا كنت مدانا فى شئ، اعملوا لى قضية، وإما تفرجوا عنى فورا فقال لى المأمور، أنا كنت مأمور ... فى شبرا الخيمة وأنت صعبان على لأنك بتعذب نفسك ومحدش حينفعك وممكن تعمل زى " سيد خضير " و"عرابى الحامولى " اللـذين كانـا مرتبطين بالتنظيم الشيوعى وعلى صلة بنا لإعطائنا معلومات عن تحركات التنظيم بين العمال فقلت له أشرف لى أن أموت كأى كلب لا يجد لقمة يأكلها من أن أخون زملائى الشرفاء الذين يناضلون من أجل تحرر الشعب من حكم الرجعية والاستعمار وتخليصه من الظلم والاستغلال . ولما لم يجدا منى استجابة لهما سأل المأمور الخواجة كامل مـا رأيك، فقال أنا محتاج له لأن العمال مش حتشتغل بدونه. ولهذا أفرجوا عنى ووجـدت وأنا خارج من البندر ضابطا صغيرا يقول لى بصوت خافت أنا معجب بك جدا جدا.

خرجت من البندر واشتغل المصنع ، ولكن العاملين اللـذين أحضـرتهما مـن مصر لم يحضرا للعمل نتيجة لمواقفهما المخزية بجانب صاحب العمـل فـى الأيـام السابقة. ولكن بعد أيام قليلة من هذا الحدث قامت حـرب فلسـطين ونشـرت جريـدة المصرى في الصفحة الأولى بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥ قامت طائرة بعد منتصف الليل في الساعة الثانية صباحا لسرعة القبض على العامل الخطير " أحمد على خضـر " الـذى يعمل لحساب الصهيونية فى مصر . وفعلا قبض علـى يـوم ١٩٤٨/٥/١٥ السـاعة السادسة صباحا لترحيلى للمعتقل بالقاهرة وقد حضر الخواجة كامل الساعة٢,٥ علـى محطة المنيا قبل قيام القطار لترحيلى من المنيا إلى معتقل الهايكستيب بحراسة ثلاثـة جنود بالسلاح مقيدا بالحديد وأحضر لى الخواجة كامل لحوما مختلفـة وجبنـا أبـيض ورومى وزيتونا وعيشا وفاكهة، طعام يكفى خمسة أفراد لمدة يومين وأعطانى مرتـب شهرين وقال لى أن ما حدث لى ليس له دخل فيه فقلت له أنا عارف هذا ولـيس لـك دخل فيه وسلم على وقال لى أننى معجب بك جدا لإخلاصك للعمل وإن كنت أختلـف معك فى بعض المسائل وودعنى وقبلنى وقال لى شد حيلك، وعندما حضـر القطـار وركبته بدأت أفكر في التنظيم الجديد "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى "نتاج وحـدة الحركة المصرية والاسكرا لأننى لم أعرف عنه إلا القليل لأن هذه الوحدة تمت وأنا فى المنيا مشغولا بالنشاط .

كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى، أكثر التنظيمات اهتماما بنشر الفكـر الماركسى فى مصر (مجموعة الست كتب المبسطة) ومجموعة المحاضرات عن تطور

المجتمع وكتب أخرى كثيرة عن الاشتراكية أصدرتها مكتبة الميدان (هنرى كوريـ‍ـل) وكذلك مجلة أم درمان والمجلات السرية لقيادة كفاح العمال والفلاحين ورفع مسـ‍ـتواهم النظرى .

وفى الحركة الديمقراطية تأسست دار الفكر التى لعبت دورا عظيما عام ١٩٥٠ - ١٩٥١ بقيادة كمال عبد الحليم ، وإبراهيم عبد الحليم ، وحسن فؤاد وآخرين .

كما أصدرت مجلة الجماهير العلنية وغيرها .

أما العمال والفلاحين فأصدروا عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ مجلة الفجر الجديد وكان لها دور كبير (أبو سيف يوسف ، وصادق سعد) .

ولما التقيت بالزملاء بمعتقل الهايكستيب فاجأنى بعض الزملاء قائلين لى أنـ‍ـت مع حزب (الطبقة العاملة) ولا حزب " قوات وطنية ديمقراطية " فقلت لا تابع "حـ‍ـزب الطبقة العاملة" فحماسى كشاب فى هذا الوقت جعلنى أحدد موقفى بدون وعى أو دراسة لدرجة أننى صددت الزميل المخلص جدا جدا المرحوم "هنرى كورييل " الذى ثبت لي بعد ذلك وبعد أن نضجت سياسيا بأنه كان أبعد نظرا سياسيا وكان مخلصا ولـ‍ـيس لـ‍ـه أطماع شخصية .. حاول عدة مرات أن يناقشنى ولكننى كنت أصده في كل مرة، وفى لحظة حماسى تركت أغلب، بل كل زملاء الحركة المصرية وسرت مع الانقساميين من الاسكرا بقيادة المرحوم "عبد المعبود الجبيلى" والمرحـ‍ـوم "عبـ‍ـد الـ‍ـرحمن الناصـ‍ـر" وغيرهما وأصبحت عضو منطقة فى " العمالية الثورية" التى تحولت بعد خروجنا مـ‍ـن المعتقل فى فبراير ١٩٥٠ لتنظيم "النجم الأحمر" بعد أن سافر قادة الانقسام إلى فرنسـ‍ـا وانجلترا للحصول على شهادة الدكتوراه.

وبعد خروجى من المعتقل استمريت أنا وزميلان هما المرحوم " عدلى جرجس " و" ش " ومعنا عناصر مخلصة مثل المرحوم حماد عباس ، وحامد شاكر ، ومحمـ‍ـد القلعاوى وغيرهم من العمال والطلبة . وكان لنا نشاط فى مدن ومجالات مختلفة وسط العمال والطلاب والمحامين والحرفيين ، وفى حركة السلام قام تنظيمنا بدور كبير في جمع التوقيعات على نداء السلام وقيادة مظاهرات السـ‍ـلام ضـ‍ـد الاسـ‍ـتعمار وتجـ‍ـار الحروب وقد تعرفت خلال كفاحى بحركة السلام على قادة بل أبطال مناضلين من أجل السلام مثل "محمد كمال عبد الحليم"، والمرحوم "يوسف حلمى" والمرحـ‍ـوم المستشـ‍ـار "سعيد خيال " والصحفى "سعد كامل " والمفكر الإسلامى "خالد محمد خالـ‍ـد" وغيـ‍ـرهم

كثيرون . وكان موقفنا متفقا مع موقف "الحركة الديمقراطية" في حركة السلام عكس موقف " طليعة العمال " المعادى لحركة السلام .وإصدارهم لكتيب ضدها بتوقيع فؤاد عبد المنعم .

لم يكن للنجم الأحمر دور بين الفلاحين وأصدر مجلة النجم الأحمر وكتيبا عن البطالة وبعض المحاضرات .

وقاد العمال المتعطلين للأكل في المطاعم لإحراج الحكومة مما جعل الجرائد تنشر كثيرا عن البطالة وتطالب بضرورة وجود قانون تأمين ضد البطالة وجعل الحكومة تعلق أنها ستصدر قانونا للتأمين ضد البطالة .

وقد كنت من أنصار التعاون مع "الحركة الديمقراطية " وكل التنظيمات الشيوعية فى مجالات النضال عكس المرحوم "عدلى جرجس" و "ش" اللذين كانا من أنصار التعاون مع طليعة العمال فقط . واستمريت على موقفى هذا . وكان رأيي فى وحدة الشيوعيين هو التنسيق فى مجالات النضال بين كل التنظيمات ولجنة تحضيرية تناقش مقومات الحزب . وبعد ما تتضح الأفكار وتختفى الروح الانقسامية وتسود المودة بين أعضاء مختلف التنظيمات يدعى لمؤتمر لإقرار مقومات الحزب الأساسية وانتخاب اللجنة المركزية . وقد عرفت فى هذه الظروف نجاتى عبد المجيد ، ومحمد عبد الواحد ، وحسين غنيم ، وسيد فتح الله ، ومحمد المنشاوى ، ومحمد وسعيد القلعاوى وغيرهم .

وفى ١٩٥٢/٦/١٨ قبض على وقد دافعت عن الحركة الشيوعية أمام النيابة وفى المحكمة أمام القاضى "حسن عبد الوهاب يس " واعترفت بعضويتي بالحركة الشيوعية بل وأننى من مؤسسيها فى أواخر ١٩٤٣ وقد حكم علـى بالسجن خمس سنوات . وفى السجن تمت الوحدة الأولى على أسس غير سليمة والتى قام على أساسها "الحزب الموحد " وكنت فى قيادته، وفى السجن أيضا تأسس "الحزب الشيوعى المصرى " بنفس الطريقة الخاطئة فكان أشبه بالدمج لا الوحدة السليمة وكنت فى قيادته أيضا .

وبعد خروجى من السجن فى ١٩٥٧/٦/٢١ استلمت مسئولية نشاط شبرا مصر وشبرا الخيمة وقد وجدت جيلا جديدا من الشباب يناضل بتفان واخلاص وزاد اعجابى باخلاص المناضلة "ليلى" وحماسها فى العمل . ولكن بعد فترة طلب منى ترك شبرا

ورجوعى ثانية لقيادة النشاط فى الصعيد (أسيوط وسوهاج) وقد حققت بعـد شـهور قليلة تقدما فى النشاط وتم فتح مجالات جديدة بفضل نضال كثير مـن الـزملاء مثـل المرحوم أبو ضيف وغيره من زملاء مخلصين لا أود ذكـر أسـمائهم . كمـا حققنـا الاتصال ببعض العناصر القديمة بالمنيا لدرجة أن جريدة "الـوعى" النشـرة الداخليـة للحزب نشرت مرتين تقديرا لى للمجهود الذى قمت به فى الصعيد وجمـع تبرعـات للمسجونين .

ولكن من المؤسف أنه بعد فترة قصيرة من وجود "الحزب الشيوعى المصرى" فوجئنا بتآمر "طليعة العمال " و"الراية " للتخلص من أربعة أعضاء بقيادة الحزب الجديد وكلهم من أعضاء "الحركة الديمقراطية " وقد ثرت لهذا التصرف وهاجمتهم لدرجة أن أحد الأعضاء الموجودين معنا باللجنة المركزية قال وخامسـهم .. فشـتمته بعنـف . وللحقيقة والتاريخ كان المرحوم "شهدى " و " خليل " و"مبارك" و" أحمد" ينصحوننا بأن نتمالك ونمسك أعصابنا حتى لا يتم انقسام الحزب ولكن المتآمرين أصروا على موقفهم وقاموا بفصل الأربعة فانقسم الحزب بعد شهور قليلة من قيامه نتيجة للوحدات الخاطئة . وكان طبيعيا أن أكون مع تيار الحركة الديمقراطية "الحزب الشيوعى المصرى حدتو" وكرهت الانقسامات، واستمريت فى القيام بمسئوليتى فى الصعيد حتى قبض على فـى مارس ١٩٥٩ ومعى الزميل المناضل رفعت السـعيد، والزميـل المناضـل يوسـف مصطفى. وسجلت دفاعا فى النيابة عن الشيوعية والشيوعيين عند وكيل النيابة صلاح نصار فى ١٥ صفحة فولسكاب. واعترفت بعضويتى بالحزب وأننـى مـن مؤسسـى الحركة الشيوعية ١٩٤٣ وسجلت أن الشيوعيين هم فى طليعة القوى المخلصة للشعب.

دخلت السجن فى مارس ١٩٥٩ . وفى المحكمة العسكرية بالإسكندرية اعترفت بعضويتى فى الحزب والحركة الشيوعية من ١٩٤٣ أمام الفريق "هلال عبد الله هلال "، وقلت للفريق "هلال عبد الله هلال" : مهما كانت خلافاتنا المؤقتة مع الرئيس جمال عبد الناصر فنحن أخلص له منكم لأن الثورة تأخذ منكم وتعطينا نحن أبناء الطبقة العاملـة والشعب .

وبعد خروجنا من السجن فى أبريل ١٩٦٤ كنت من تيار حدتو الذى أعلن فـى ١٩٦٥ العمل علنا ولا داعى للتنظيم السرى طالما أن الرئيس الوطنى " جمـال عبـد الناصر " أعلن النظام الاشتراكى مع ضرورة الدفاع عن الاشتراكية العلمية والشيوعية.

وقد كان هذا رأيي من عام ١٩٦١ ونحن في السجن .

وأخيرا بعد قيام حزب التجمع ارتبطت به كحزب علني يدافع عن الشعب ويناضل من أجل تحقيق الاشتراكية .. وقد اكتفيت بأن أكون عضوا لأنني كنت لظروف خاصة بي جعلتني أعمل ١٢ ساعة يوميا رئيسا لمصنع نسيج " يحيي المازني " ولم يكن عندي وقت فراغ كبير يجعلني أباشر نشاطا أكثر من العضو تاركا مسئولية القيادة للزميل المناضل طه سعد عثمان.

وأخيرا لثقتي في الأستاذ والقائد المخلص "خالد محيي الدين " وزميل الكفاح المخلص د . رفعت السعيد سأظل مرتبطا بقية حياتي بحزب التجمع كحزب علني ومدافعا عن الاشتراكية والشيوعية مع زملائي الشيوعيين فريق حدتو مهما كان مرضي وسني .

ملحوظة : إنني لم أذكر أسماء الزملاء الذين زاملونني في النشاط الشيوعي لأن هذا أمانة وسر احتفظ به لأنه ليس من حق المناضل المخلص أن يذكر أسماء زملائه الذين زاملوه في العمل السري لعدم تعريضهم للاضطهاد من جانب المباحث العامة .

وإن ما حقق من انتصارات في مجالات النشاط التي ساهمت فيها هي نتاج مجهودات زملاء كثيرون وزملاء من تنظيمات مختلفة وأشخاص مخلصين من خارج التنظيمات وليس مجهودي ودوري وحدي .

وضعي بالحركة القديمة :

- عضو بالحركة المصرية للتحرر الوطني أواخر عام ١٩٤٣ .
- عضو لجنة قسم بالحركة المصرية للتحرر الوطني عام ١٩٤٥ .
- عضو لجنة منطقة بالحركة المصرية ثم بالحركة الديمقراطية بالمنيا عام ١٩٤٧ .
- عضو لجنة قسم بالعمالية الثورية بمعتقل الهايكستب أواخر عام ١٩٤٨ .
- عضو اللجنة المركزية بالنجم الأحمر عام ١٩٥٠ .
- عضو اللجنة المركزية بالحزب الشيوعي المصري الموحد أواخر عام ١٩٥٦ .

- عضو اللجنة المركزية بالحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٥٧ .
- عضو اللجنة المركزية بالحزب الشيوعى المصرى (حـدتو) ١٩٥٨ بعـد الانقسام .
- عضو التيار العلنى لحدتو عام ١٩٦٥ .
- عضو بحزب التجمع الوطنى الوحدوى .

فترة السجن والاعتقال : سنتان اعتقال، ١٢ سنة سجن، ٦ سنوات مطاردة من البوليس والمنع من العمل بتاتا فى أى مصنع أو شركة .

استكمالاً للشهادة هناك بعض التساؤلات الأخرى أرد عليها :

* من بداية الحركة المصرية ولنا استراتيجية و تكتيك ولائحة تنظيمية، وتهـتم بالعمال والفلاحين والجماهير الشعبية أساسا .

* أما عن الاشتراكية فهى على مرحلتين (مرحلة الجمهورية الديمقراطيـة ، ومرحلة الجمهورية الاشتراكية)

* أهم دراسة للواقع المصرى هى الدراسة التـى قـدمها المرحـوم " هنـرى كورييل " والتى هاجمتها كل التنظيمات الأخرى بدون دراسة جدية لها . ولكـن لمـا كبرت وأنا بالحزب الموحد واعدت قراءتها ودراستها أدركت أنها دراسة عميقة للواقع المصرى ولو أخذ بها لتغيرت أوضاع الحركة الشيوعية للأفضل.

* أنا لست ضد وجود يهود مقيمين بمصر بالتنظيم أما اليهود والأجانب غيـر المقمين بمصر فمن الممكن الاستفادة منهم كعاطفين .

- وكان رأى هنرى كورييل أنه لابد وأن يكون سكرتير الحزب مسلما مراعاة للأغلبية المسلمة فى مصر .

- كذلك كان رأيه أن يكون للعمال والفلاحين تمثيل كبير فى اللجنة المركزيـة للحزب .

* إن دور المحترفين مهم جدا وأساسى ولكنه لم يعط الاهتمام الكـافى الـذى يساعدهم على التقدم فى مجالات النضال .

* أنا حتى الآن نفس ابن الحركة المصرية والحركة الديمقراطية لما لهما مـن نضال شيوعى ملموس ومعقول . وأتمنى أن تتم وحدة سليمة للجيل الجديد لا كالوحدات

السابقة العلوية .

نريدها وحدة كفاح وتضحية ودراسة موضوعية لمقومات الحزب الـذى نريـد تأسيسة وإدانة ونبذ الانقسامات .

* كل المعارك السياسية والنقابية والأممية اشترك التنظيم فيها واشتركت فيهـا وكان لى دور بارز فيها .

* وقفنا ضد الاحتلال فى كل المراحل وقمنا بدور قيادى فى المظاهرات ضـد الاستعمار عام ١٩٤٦. وقدت أضخم المظاهرات التى حرقت معسكر قصـر النيـل ، واشترك بعض زملائنا فى الكفاح المسلح عام ١٩٥١ ، وبالذات العناصر الجماهيريـة عن طريق المناطق العمالية والسكنية .

* كان للتنظيم (ح . م) دور بارز فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، وكان (للعمال والفلاحين) دور بارز فى الكفاح الوطنى وفى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، وكان لى دور بارز فى الكفاح الوطنى وقيادة المظاهرات ولم أكـن عضـوا باللجنـة الوطنية للطلبة والعمال .

- بالنسبة للقضية الفلسطينية كان موقفنا (ح . م) جلاء الانجليز عن فلسـطين ووجود دولة واحدة للعرب واليهود ووقف الهجرة لفلسطين .

ولما تأزم الموقف أيدنا التقسيم وأضفنا إليه عمل مجلس اقتصادى مشترك بـين العرب واليهود ليسهل الوحدة فى المستقبل، وهو موقـف مطـابق لموقـف الاتحـاد السوفييتى .

كان موقف كل التنظيمات التى كنت مرتبطا بها ضد الأحلاف العسكرية جميعا فى كل المراحل. حتى باقى التنظيمات الأخرى كانت ضد الأحلاف العسكرية .

* عند قيام الثورة كان موقف تنظيم النجم ضد ثورة يوليو والهتـاف ضـدها واعتبارها انقلابا أمريكيا، وللأسف كان هذا موقف كل التنظيمـات الشـيوعية حتـى الحركة الديمقراطية أيدت بشرط رجوع الجيش للثكنات وهو موقف خاطئ وبعد فتـرة رفعت شعار إسقاط الدكتاتورية العسكرية .

واستمر هذا الموقف حتى مؤتمر باندونج وكنت بالحزب الموحد فتغير موقفنـا فى الحزب الموحد واعتبرناها ثورة وطنية وعلى رأسها فى قمـة السـلطة مجموعـة اشتراكية غير علمية وكان تنظيما الراية والعمال والفلاحين ضد هذا الرأى .

وفى هبة مارس ١٩٥٤ كان موقف التنظيمات مع هبة مارس وأنا كنت مختلفا عن الزملاء . بل كنت مع موقف عبد الناصر لأن المستفيد الوحيد من شعار الديمقراطية فى هذا الوقت هم الإخوان المسلمون والقوى الرجعية المعادية للثورة لوجودنا داخل السجون والمعتقلات.

- موقف التنظيم (النجم الأحمر) وموقفى موافق على الإصلاح الزراعى . وهذا يبين التناقض فى موقفنا مع الثورة .

* كان موقف التنظيم (النجم الأحمر) ضد محاكمة العمال (خميس والبقرى) لأن هذه مؤامرة ضد العمال. كان موقف المرحوم يوسف صديق ، والاستاذ المناضل خالد محيى الدين ، والمرحوم جمال عبد الناصر ضد إعدام خميس والبقرى .

* موقف التنظيم (النجم الأحمر) وموقفى تأييد مؤتمر باندونج وتأييد صفقة الأسلحة التشيكية .

* كان موقف التنظيم (الحزب الشيوعى المصرى - حدتو) وموقفى مع القومية العربية ولكننا كنا ضد الوحدة الفورية مع سوريا. لأن رأينا كان أن تتم الوحدة أو الوحدات تدريجيا لاختلاف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى البلاد العربية. وقد كتب المرحوم محمد خليل قاسم بحثا قيما فى هذا الموضوع .

* كان موقف التنظيم (الحزب الشيوعى المصرى - حدتو) وموقفى مع تمصير الشركات والبنوك الأجنبية .

* موقف التنظيم وموقفى ضد الإخوان المسلمين دائما ، ولكننا ضد تعذيب الإخوان وضد التعذيب عموما . وكنا ضد مصر الفتاة فى كثير من مواقفها. ولم نتعاون إلا مع الوفد بقيادة الزعيم مصطفى النحاس، والعناصر التقدمية بالوفد كالمرحوم محمد مندور وغيره.

- أما أزمة الحركة الشيوعية فتتلخص فى :

١) اليسارية . ٢) الارتباط بالجماهير . ٣) الوحدات العلوية . ٤) الانقسامات.

اليسارية : ان انتشار الشعارات اليسارية جذبت الشباب المتحمس وأنا منهم. الشعارات البراقة ساعدت على عدم تحديد السياسات السليمة ، وساعدت على الانقسامات عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، وانقسام حزب ٨ يناير ١٩٥٨ .

الارتباط بالجماهير : ضعف الارتباط بالجمـاهير وبالـذات العمـال وفقـراء الفلاحين سهل للمثقفين القادة فى الحركة الشيوعية إحداث هذه الانقسامات ، وبالـذات المثقفين من الاسكرا.

الوحدات العلوية : إن الوحدات العلوية البعيـدة عـن وحـدة النضـال أولا ، ومناقشة مقومات الحزب ثانيا ، ساعد على الانقسام لأن كل مثقف قيادى عندما يختلف وعنده إمكانيات مالية وإمكانية الارتباط ببعض الزملاء من تنظيمه القديم ينقسم ولا يجد من يحاسبه أو يدين انقسامه .

الانـ ـ ـقـ ـسامـ ـات : إن ما ذكرته سابقا ساعد على انقسامات عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وانقسام حزب ٨ يناير ١٩٥٨ وللأسف فإن الروح الانقسامية والتماسك الحلقى هو السائد حتى وقتنا هذا. لهذا يجب العمل على تحقيق وجود حزب للجيل الجديد على أسس سليمة - خاصة فى هذه المرحلة التى سادت وتسود فيها الرأسمالية محليا وعالميا بقيادة أمريكا - حزب من خلال النضال بين الفصائل المختلفة ومناقشة مقومات الحزب بروح موضوعية فى مختلف المستويات حتى تستوفى ما يساعد علي وجـود حـزب موحد الإرادة سياسيا وكفاحيا وتنظيميا وإدانة أى انقسامات مهما كان الخـلاف داخـل الحزب .

شهادة

سعد بطرس الطويل

الاســـــــم : سعد بطرس الطويل
المؤهل الدراسـى : بكالوريوس الهندسة الكهربية من جامعة القاهرة ١٩٤٦ .
المـــهـنة : ممارسة الهندسة فى شركات مختلفة قطاع خاص فيما عدا السنوات ١٩٦٤ إلى ١٩٧٥ فكانت فى القطاع العام وبعد الإحالة إلى المعاش فى ١٩٨٤ مارست العمل الهندسى مع أصحاب عمل وشركات مختلفة حتى فبراير ١٩٩٦.
السجن والاعتقال :
أ- من يناير ١٩٥١ إلى يناير ١٩٥٦ وحكم على بالسجن ٣ سنوات خلال تلك الفترة ولكن التلاعبات القضائية أدت إلى امتداد المدة إلى خمس سنوات .
ب- من نوفمبر ١٩٥٩ إلى ابريل ١٩٦٤ قـدمت للمحاكمـة خلالهـا وحكـم بالبراءة فاعتقلت الى حين الإفراج عن الجميع فى ١٩٦٤ .
بيـانات اخـرى : لى شقيقان وشقيقه كان لهم نشاط شيوعى واعتقلوا فترات مختلفة
الأســمـاء : د . منير الطويل
أ . سعاد الطويل
د . أنور الطويل (لم يعتقل)

تعرفت على الفكر الماركسى عن طريق زميل بكلية الهندسة هو المهندس منير نصحى الذى اكتشف أن تفكيرى تقدمى و علمى ومتحرر دينيا واقترح علـى حضـور الندوات السياسية بدار الأبحاث العلمية . وفعلا حضرت ندوة واحدة فى أواخر يونيـو ٤٦ (وكانت الأخيرة قبل إغلاق الدار بقرار من حكومة صدقى) وبالدار تعرفت علـى الدكتور جمال غالى الذى قابلنى مرة واحدة بعد إغلاق الـدار واتفقنـا علـى متابعـة الاجتماع إلا أنه قبض عليه ضمن قضية الشيوعية الكبرى فـى يوليـو ١٩٤٦. بعـد اعتقال جمال غالى بفترة اتصل بى زميل له من منظمة اسكرا وتابعت الاتصـال بعـد ذلك .

لم انضم الى أى تنظيم أو جمعية سياسية قبل ذلك ولكنى كنت شديد التعـاطف مع حزب الوفد بصفته الحزب الذى لم يحد عن النضال الوطنى ضد الاستعمار (وكان والدى مندوبا ثلاثينيا فى أول انتخابات برلمانية فى ١٩٢٤ ممثلا للوفد) وحتى معاهـدة ١٩٣٦ لم نعتبرها - فى حينها - تهادنا مع الاستعمار .

واشتركت فى مظاهرات يناير ١٩٤٢ التى توجهت الى سراى عابدين تطالب بتغيير وزارة حسين سرى وتعيين وزارة وفدية وكان ذلك قبل حادث ٤ فبراير بأيام ! ولذلك لم أقبل أبدا اتهام الوفد بأنه وصل الى الحكم على حراب الانجليز حيث أنى اشتركت شخصيا فى مظاهرات ضمت الآلاف من الطلبة تطالب بوزارة الوفد.

التنظيم الأول الذى ارتبطت به كان "اسكرا" فى أواخر ١٩٤٦ كما بينت والذى اتحد مع تنظيم الحركة المصرية "ح .م " لتكوين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى " حدتو " ثم فى أثناء أزمة حدتو حضرت اجتماعا واحدا للتكتل الثورى مع شهدى عطية ولم يعجبنى حيث أنه ركز فى الاجتماع على النقد المتواتر لخط القوى الوطنية الديمقراطية دون تقديم أى بديل له مغزى واكتفى ببعض اقتراحات بشأن الأمان .

وبعد ذلك اتصلت "تنظيميا" بصوت المعارضة الداخلية بحكم أن "أوديت" إحدى مؤسسى هذا التيار كانت مسئولتى من سكرتارية المثقفين وكان زوجها سليم سدنى سالومون هو المؤسس الثانى للتيار .

ودعا التيار إلى استمرار جميع أعضاء "حدتو" بصفتهم أعضاء فى تنظيم "القاعدة المشتركة« والذى يتصل بجميع القيادات القديمة أو التى نشأت داخل "حدتو " ومنها »صوت المعارضة الداخلية " و "ت .ث ". "ونحو م . ب". "وحدتوع . ث " الى جانب القيادة الأصلية لحدتو التى اتخذت موقفا متشنجا من جميع الأعضاء الذين اتصلو بتيارات المعارضة وفصلت كل من اتصل بتلك التيارات مما هدد بتفكيك المنظمة نهائيا .

ولكن تنظيم القاعدة المشتركة فرض كأمر واقع على الجميع طوال فترة الأزمة . وفى أواخر ١٩٤٨ عقد المؤتمر التأسيسى ومثل فيه أغلبية أعضاء " حدتو " - الذين لم تبعدهم اجراءات لجنتها المركزية المتعسفة أو الارهاب بعد اعلان الأحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ عن الكفاح - انضموا الى " المنظمة الشيوعية المصرية " (م . ش .م .) وكان تيار "نحو م .ب" قد انضم الى تيار " صوت المعارضة الداخلية " واشترك فى المؤتمر وفى " م . ش .م " بعده .

سأتحدث هنا عن التنظيم الأول الذى انضممت إليه وهو اسكرا ثم " حدتو " حيث أن الوحدة تمت بعد شهور قليلة من انضمامى كمرشح لاسكرا وأصبحت " عضوا " قبل الوحدة بفترة قصيرة .

وكان تنظيم " ح . م . بقيادة هنرى كورييل يضم الى جانب النواة الداخلية من المثقفين ونسبة كبيرة منهم من الأجانب المتمصرين (يهودا بصفة خاصة) عـددا مـن العمال والنقابيين. وربما كان أقل تشددا فى جوانب سرية العضوية و توفر اشتراطاتها اللائحية (اللينينية) وهى قبول مبادئ التنظيم و لوائحه ودفع اشـتراك والنشـاط فـى تنظيمات الحزب (أو المنظمة) ولهذا كان يضم فى عضويته عددا أكبر نسبيا من العمال - وربما الفلاحين .

أما تنظيم اسكرا بقيادة هليل شوارتز فكان يركز على المثقفين - أجانـب ثـم مصريين - وكانوا يركزون على السرية الكاملة فى العمل التنظيمـى ولـذلك كانـت ارتباطاتهم العمالية أقل من "ح . م " .

وكان كلا التنظيمين وبالتالى " حدتو " التى تكونت من اتحادهما يعتنق نظرية " المراحل" فى نشأة الحركة الشيوعية .

وتنادى نظرية المراحل بأن " النظرية الماركسية " هى نظرية علمية لتطـور المجتمعات وهى من ابداع البورجوازية أى أنها لا يمكن أن تنشأ " تلقائيا " لدى الطبقة العاملة رغم أنها الطبقة المؤهلة لقيادة الثورة القادمة التى ستنقل المجتمع الى المرحلـة الأرقى وهى الاشتراكية ثم الشيوعية. ومؤدى ذلك أن المثقفين من أبناء البورجوازيـة هم الذين يطلعون بفضل ثقافتهم عليها فيتبناها بعض الثوريين منهم وينقلونها للعناصـر المتقدمة من أبناء الطبقة العاملة.

وحيث أن المثقفين المصريين الذين اتصلوا بالماركسية (بعد القضـاء علـى الحزب الشيوعى المصرى الأول فى ١٩٢٢ بحيث لم يبق منه أحـد) كـان أغلـبهم أوروبى الأصل - ويهودا بصفة خاصة - وهؤلاء صلتهم بالطبقة العاملة المصـرية كانت ضعيفة جدا بل وربما منعدمة فكان عليهم - فى مرحلة أولى - أن يجندوا مثقفين مصريين وبعد أن يحقق التنظيم قوة معينة يتجه الى الطبقة العاملة وبعـدها الفلاحـين، خاصة وأن المثقفين المصريين كانوا قريبين بحكم نشأتهم من العمال و الفلاحين .

كان هذا هو الفكر السائد فى " حدتو " وقد تم التعبير عنه فى الخط السياسـى والذى لم يتحدث عن "حزب للطبقة "وإنما حزب يضم المثقفين والبورجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين . وهنا بدأت أزمة " حدتو " حيث بدأ توجيه النقد إلى " خط القـوات الوطنية الديمقراطية " بصفته انحرافا يمينيا، وكان النقد الموجه عالميا للبرودرية فـى

أمريكا مازال ماثلا فى الأذهان وكانت اسكرا توزع كتيبا ينقد البرودرية التى كانت قد عبرت عن نفس الأفكار تقريبا .

وأدت هذه الأزمة إلى تفكك حدتو تماما ونشأت علـى أنقاضـها "م . ش . م." والتى ضمت أغلبية عناصر حدتو، ولكن بقيت عناصر غير قليلة ملتفة حول كورييل، وعدد قليل حول شفارتس، إلى جانب عناصر أخرى كونت فيما بعد تنظيمات أخرى - لا أعرفها على وجه التحديد - وبعضها اشترك فيما بعد فى تأسيس الحزب الشـيوعى المصرى (الراية) أما " م . ش . م ." فقد ركزت فى خطها السياسى علـى حيويـة التركيز على ضم الطبقة العاملة الى التنظيم ولكن ذلك اتخـذ شـكلا عقائـديا جامـدا (دوجماتيا) بحيث منع تجنيد أى عنصر غير عمالى والأخطر أنه فـرض علـى كـل الأعضاء النزول إلى الأحياء العمالية للتجنيد مباشرة ودون مراعاة انعـدام وجـود أى اتصال طبيعى بين الأعضاء، بصفتهم طلبة و مثقفين، وبين العمال . وترتب على هـذا التطبيق الجامد لخط سليم فى مجمله سقوط العديد من الأعضاء فى يد المباحث وربمـا هرب البعض الآخر من التنظيم مما أدى الى اضعاف التنظيم كثيرا .

فى ١٩٥٠ تم القبض على القيادة (أوديت حزان وسـدنى سـالومون) وقـد استمرا فى توجيه التنظيم من الداخل ولكن هذه الضربة أضعفت التنظيم كثيرا . وبعـد خروجهما من السجن فى ١٩٥٢ و إجبارهما على ترك البلاد- باعتبارهما أجنبيـين - ضعف التنظيم بشكل أكبر، كما كانت نسبة كبيرة من الأعضاء داخل السـجون ومـن خرجوا لم يبق منهم الا تنظيم مفكك الى أن انضموا فى ١٩٥٦ الـى تنظـيم الحـزب الشيوعى المصرى (الراية) وذلك بعد عمل نقد ذاتى لكل أخطـاء التنظـيم وأهمهـا الجمود العقائدى الذى ساهم كثيرا فى تصفية التنظيم تقريبا .

فى ١٩٥٧ انضم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) الى الحـزب الشـيوعى المصرى الموحد لتكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد .

وفى ٨ يناير ١٩٥٨ انضم الحزب الشيوعى المصرى المتحد الى حزب طليعة العمال والفلاحين لتأسيس الحزب الشيوعى المصرى وبذلك انتهت حالـة الانقسـام و التشرذم المزمنة التى صاحبت نشأة الحركة الشيوعية المصرية فى المرحلة الثانية لهـا (١٩٣٨ - ١٩٦٥) . وفيما عدا بعض التنظيمات الهامشية الصغيرة جدا استمر الحزب الشيوعى المصرى هو الوحيد فى الساحة الى حين اتخاذ قرار حل الحزب فى ١٩٦٥.

وهذا معناه أن وحدة الحركة الشيوعية فى هذه المرحلة التـى طولهـا سـبعة وعشرون عاما لم تدم إلا لمدة سبع سنوات ! و خلال خمس من هذه السـنوات السـبع كان ما يقرب من تسعين بالمائة من أعضاء هذه الحركة داخل السجون والمعـتقلات !! (وعادت قيادة حدتو الى الانقسام مرة أخرى خلالها !!).

أما بخصوص المؤتمرات والكونفرنسات فباستثناء مؤتمر تأسـيس "م . ش . م ." فى أواخر ١٩٤٨ فإنى لم أشترك فى أى منها بسبب وجودى بالسجن حتى ١٩٥٦ . أما عن تكوين الحزب الشيوعى المتحد فى ١٩٥٧ وحزب ٨ حزب يناير ١٩٥٨ فـلا أذكر أنه عقدت مؤتمرات موسعة عند تأسيسهما واكتفى بالاتفاقات بين القيادات والتـى تمت موافقة القيادات الوسطى والقاعدة عليه فى اجتماعات داخل كل تنظيم على حدة.

كان ارتباط تنظيم اسكرا - الذى انضممت له أولا - بالطبقة العاملة ضعيفا كما بينت من قبل و كان ارتباط ح . م . أقوى قليلا و لكنه أقل انضباطا من ناحية التشـدد فى شروط العضوية وهذا كان طابع حدتو .

ونظرا للتنظيم الفئوى فقد كنت منظما فى خلية المهندسين (لجنة القسم) التابعـة لسكرتارية المثقفين وكنا نسمع فقط عن الرفاق العمال دون أن نحتك بهم أو نشارك فى قضاياهم ونضالاتهم .

وعلى سبيل المثال وزعنا منشورا بمناسبة الذكرى الأولى لأحداث ٢١ فبرايـر ١٩٤٦ . وتجمعنا بميدان التحرير صبيحة ٢١ فبراير ١٩٤٧ للاشتراك فى المظـاهرة التى كان المفروض أن يقوم بها العمال فى شبرا الخيمة وتتوجه الى ميـدان التحريـر (الاسماعيلية أيامها) . وعندما منعت المظاهرة من الدخول الى القاهرة صدر التوجيـه لنا بالتفرق حيث لم يكن ممكنا للعدد الصغير المتواجد فى الميـدان أن يبـدأ مظـاهرة بمفرده .

فى " م .ش . م " كان التركيز - كما سبق القول - على الطبقة العاملة ولـذلك كان العمل مركزا فى القاهرة والاسكندرية والمحلة الكبرى بصـفتها منـاطق التركـز العمالى أيامها ولكن لم يتحقق الكثير فى ذلك المجال فعدد العمال المجندين كان محدودا بسبب التضييق الأمنى . ومع ذلك فخلال فترة المـد الـوطنى فـى ١٩٥٠ - ١٩٥١ وصلت شعارات التنظيم الى الطبقة العاملة التى وتبنت بعضها . ولكن بعد مرور خمس سنوات كان أغلب أعضاء التنظيم إما فى السجون والمعتقلات أو أبعـدوا للخـارج أو

تخلوا عن الكفاح (ولكن بعضهم اشترك فى تأسيس تنظيمات أخرى انضمت فى وقت ما للحزب الموحد) . ولكن معلوماتى فـى هذا الصدد غير دقيقة لانعزالى داخل السجن حتى ١٩٥٦ .

- فى حدتو وصلت الى عضو لجنة قسم مهندسين تابع لسكرتارية المثقفين .

- فى صوت المعارضة كنت عضوا فى اللجنة القيادية إلى حين عقد المـؤتمر المؤسس ل(م . ش . م) وبعدها عينت عضوا بلجنة الرقابة التابعـة مباشـرة للجنـة المركزية . وبعد القبض على القيادة فى ١٩٥٠ أصبحت احتياطى لجنة مركزية وقدت التنظيم لحين اعتقالى فى يناير ١٩٥١ .

- فى حزب الراية كنت عضو لجنة منطقة .

- وكنت عضو لجنة منطقة فى الحزب المتحد .

- وبدأت فى حزب ٨ يناير عضوا بلجنة منطقة أيضا وفجأة وجـدت نفسـى مركونا بسبب المساومات الحلقية .وبعد احتجاجى على هذا الوضع وإبلاغ شكواى الى كل المسئولين عينت عضوا بالمكتب الاقتصادى للحزب كنوع من التعويض .

وبعد القبض على القيادة فى أول يناير ١٩٥٩ تم اختيـارى احتيـاطى لجنـة مركزية ومارست تلك المسئولية عضوا فى (ل .م) حتى القبض علـى فـى نـوفمبر ١٩٥٩ .

- وفى ١٩٦٤ بعد الخروج من المعتقل " ركنت " مرة أخرى واستمر ذلك الى حين اتخاذ قرار حل الحزب حيث لم يتح لى حتى الاشتراك فى مناقشة ذلـك القـرار المصيرى . وأعتقد أن استبعادى فى تلك الظروف كان سببه أن مـوقفى ضـد حـل الحزب كان أمرا معروفا .

- المجلة التنظيمة لحدتو كان اسمها " الوعى " " وأصدرت " الجمـاهير " و " الملايين " كمجلتين علنيتين .

- المجلة التنظيمية لتيار صوت المعارضة كان اسـمها "صـوت المعارضـة الداخلية " وكانت منتظمة تماما طوال فترة تنظيم القاعدة المشـتركة، ولا أذكـر مـاذا أصبح اسمها بعد تأسيس المنظمة الشيوعية المصـرية والتـى لـم تصـدر مجـلات جماهيرية.

- لا أذكر الآن أسماء النشرات الداخلية للحزب الشيوعى المتحـد أو الحـزب

الشيوعى المصرى (٨ يناير) .

- قامت المنظمة الشيوعية المصرية بترجمة كثير مـن المراجـع الماركسـية ونشرها داخليا ومن أهمها تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى. ومن أهم الدراسات التـى أصدرتها مشروع "برنامج الحزب الشيوعى المصرى" والذى صدر فى أوائل ١٩٤٩ و لأول مرة فى مصر كان يتضمن دراسة وتحليلا عميقا للواقع المصرى وبنى على ذلك برنامج الحزب الشيوعى المصرى المقترح .

- حسب علمى نظمت كل المنظمات الشيوعية مدارس كادر لتوعية أعضـائها بالماركسية وأذكر منها بصفة خاصة منظمات اسـكرا و حـدتو و م . ش .م و قـد اشتركت أنا شخصيا فى بعض هذه المدارس دارسا أولا ثم مدرسا بعد ذلك وشـاركت فى المكتب الاقتصادى لحزب ٨ يناير تحت إشراف الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله و ذلك لحين اعتقالات يناير ١٩٥٩ . وقد بدأنا دراسات كثيرة بهذا المكتب مـن أهمهـا دراسة الواقع بالريف المصرى وتحليل الواقع الطبقى له ولكن لا أذكر أن هذه الدراسة اكتملت تماما .

- فى حدتو كانت توجد لائحة داخلية وصدر خط سياسى هـو خـط القـوات الوطنية الديمقراطية الذى أدى صدوره الى أزمة حدتو كما سبق البيان .

- م . ش . م . أصدرت خطا سياسيا معارضا تماما لخـط القـوات الوطنيـة الديمقراطية ولكنة كان يتضمن انحرافا يساريا حيث حدد أن توجه الضـربة الأساسـية الى حزب الوفد بصفته الحزب المسيطر على الجماهير رغم تهادنـه مـع الاسـتعمار (ابتداء من توقيعه على معاهد ١٩٣٦) دون حتى أن يشير الى إمكـان التحـالف مـع الجناح اليسارى فى الوفد رغم أن التناقض بين هذا الجناح وقيادة الوفـد كـان حقيقـة واضحة .

- ليست لدى معلومات عن موقف حدتو من المحترفين .

- أما م .ش . م . فكانت تنظر الى المحترفين باهتمام خاص ولم تكن تعترف بصفة "الثورى المحترف" الا لاثنين فقط هما أوديت حزان وسـليم سـدنى سـالومون (وربما لميشيل كامل أيضا وإن كنت غير متأكد من ذلك) ولكن كان هناك عدد كبيـر من المحترفين بحكم الأمر الواقع، أى أنهم كانوا رفاقا هاربين من مطـاردة البـوليس ويتقاضون " معونة حمراء " من التنظيم مثلهم مثل المحترفين وهم فى نفـس الوقـت

يشغلون مراكز قيادية متفاوتة داخل التنظيم أى أن احترافهم يرجع لأسباب عملية وليس لأن التنظيم طلب منهم التفرغ لأهمية وحيوية دورهم السياسى، وهذا فى رأيى - وكان هو رأى م . ش . م - هو المعيار الحقيقى للاحتراف السياسى .

- بالنسبة للأحزاب : المصرى (الراية) والمتحد والمصرى (٨ يناير) لست على دراية كافية بالموقف من الاحتراف و المحترفين بصفة عامة وان كان هناك شعور عام بأن هناك بعض الإساءات بالنسبة لنظام الاحتراف .

- فى اسكرا وحدتو كان هناك حماس بين الأعضاء فى اتجاه الوحدة ولكن ليست لدى معلومات تفصيلية عن التنسيق فى الواقع العملى .

- فى م . ش . م . تطور الوضع كالآتى :

أثناء الأزمة وتنظيم القاعدة المشتركة كان هناك تمسك بالوحدة وإدانة لمواقف القيادات القديمة فى تشددها العنيف ضد الاتصالات الجانبية وفصل الأعضاء بسبب ذلك . وبعد المؤتمر اعتبرت م . ش . م أنها قد ضمت أغلبية أعضاء حدتو و اعتبرت من لم ينضموا اليها مجرد عناصر مضللة وراء قيادات انتهازية .

وبعد فترة وجهت اتهامات محددة لهنرى كورييل (ثم بعدها لشفارتس) بالبوليسية وطلب من الأعضاء التابعين لهما بأخذ موقف من الاتهام ومنهما ولما لم يقبلوا الموقف ولم يقاطعوهما عمم ليشمل جميع الأعضاء وكان ذلك موقفا فى غاية التعسف والجمود وقد اتبعنا جميعا ذلك الموقف المتعسف طوال فترة السجن والاعتقال إلى أن قمنا فى ١٩٥٦ بنقد ذاتى لهذا الموقف المتعسف وبعدها قررنا الانضمام الى أحد التنظيمات القائمة واخترنا الحزب الشيوعى المصرى (الراية) حيث كانت تجرى وقتها بنشاط مفاوضات للوحدة مع الحزب الموحد وكذلك مع حزب العمال والفلاحين والشيوعى المصرى، وكان المتفق عليه ألا تشترك فى تلك الوحدة التنظيمات الهامشية وكانت المجموعة المتبقية من م . ش . م قد أصبحت هامشية فعلا ولكنها تضم عددا غير قليل من مناضلين ذوى تاريخ مشرف ولم يكن معقولا استبعادها من تلك الوحدة التاريخية بعد نقد مواقفها الجامدة السابقة نقدا ذاتيا .

- بعد تكوين الحزب المتحد كان موقف التنظيم هو استكمال الوحدة وتم ذلك فعلا بتأسيس الحزب الشيوعى المصرى فى ١٩٥٨وكنت أؤيد بحماس الوحدة الشاملة للحركة الشيوعية . ومع ذلك فقد عانيت كما سبق القول من التهميش داخل الحزب

الجديد بسبب المواقف الحلقية التى كانت مستمرة بداخله والتى هددت بتفككه قبل مرور عام واحد على تأسيسه، وفعلا انسحب جزء من القيادة وإن كنت لا أذكر علـى وجـه الدقة القضايا التى أثيرت لتبرير الخلافات و الانقسامات .

- وحتى بعد اعتقال القيادة فى يناير ١٩٥٩ واشتراكى فـى القيـادة بصـفتى مرشحا للجنة المركزية كانت هناك الكثير من التصرفات التـى تحكمهـا الاتجاهـات الحلقية . وعلى سبيل المثال فعلى الرغم من الاتفاق السياسى فى وجهات النظر بينى و بين الرفيق أبو سيف يوسف سكرتير عام الحزب إلا أنه اتخذت بعض المواقف غيـر الودية تجاهى لمجرد أنى اعتبرت ممثلا لتيار حزب الراية ! (وان كـان ذلـك علـى المستوى السياسى لا الشخصى) - وعلى العكس من ذلك ففى داخل المعتقـل حيـث كانت المناقشات السياسية محتدمة فقد اتخذ قادة حزب الراية منى موقفا معاديـا لأنهـم اعتبروا موقفى مختلفا مع مواقفهم بصفة عامة ، وقد وصل هـذا الموقـف إلـى حـد تحريض خطيبتى على التخلى عنى وإن كانت رفضت هذا التدخل من جانبهم.

- وبصفة عامة كنت دائما فى صف وحدة الحزب وضد أى مواقف من الرفاق على أساس حلقى وأعتقد ان مثل هذه المواقف كانت مسئولة الى حد كبير عن انهيـار الوحدة، وفى نهاية المطاف أدت الى تصفية الحزب و ألغت أكثر من خمسة وعشـرين عاما من النضال البطولى والتضحيات الجسيمة لآلاف من خيرة أبناء الشعب المصرى.

نشأت تنظيمات اسكرا و ح م . (وكذلك ع . ف .) تحـت قيـادات أجنبيـة وبصفة خاصة يهودية ، و تلك حقيقة تاريخية لا يمكن انكارها وساعد عليها اضـطهاد النازية لليهود مما دفع هؤلاء الى اتخاذ مواقف فى صف الديمقراطية والليبرالية، وبعد دخول الاتحاد السوفيتى الى الحرب العالمية و دوره البطولى فى تخليص العـالم مـن شرور النازية كان أمرا طبيعيا أن يتأثر كثير من اليهود من الفئات الشـعبية والمثقفـة بالأفكار الماركسية وكانوا هم الأداة لتوصيلها للمثقفين والعمال المصريين الذين كـانوا حتى ذلك الحين متأثرين بالعداء الصارخ للشيوعية فى مصر والذى كان له رافدان :

أ - الأفكار السلفية والمنتشرة تحت تأثير الأزهر والاخوان .

ب- العداء العنيف من جانب البورجوازية المصرية بقيادة حزبها الليبرالـى . فالوفد بقيادة سعد زغلول هو الذى حطم الحزب الشيوعى المصـرى الأول (حـزب ١٩٢٢) وألقى بقياداته فى السجن وأنهى كل أثر له مستفيدا بما له مـن جماهيريـة،

وبالطبع كانت أحزاب القصر أكثر وحشية من الوفد فى ذلك السـبيل . وأذكـر و أنـا صبى صغير أنى قرأت فى الصحف قصة المواطن المصرى الذى سحبت منه الجنسية بسبب عضويته بالحزب الشيوعى المصرى وكان على ظهر مركب تمر على مـوانئ البحر المتوسط ولا تسمح له أى منها بالدخول!!

- فيما بعد استمر هنرى كوربيل فى قيادة الحزب الموحد (عن طريق الرفـاق وثيقى الصلة به) وكان ذلك خطأ سياسيا حيث أنه بعد قيام اسرائيل واغتصاب حقـوق شعب فلسطين والتهديد الذى كانت تمثله لمصر تلك الدولة الصهيونية ربيبة الاسـتعمار و رأس حربته لضمان استمرار سيطرته على العالم العربى تولدت حساسية لدى الشعب المصرى ضد اليهود غذاها الاخوان المسلمون وبقية الاتجاهات الرجعية، ولذلك لم يكن من المناسب استمرار الرفاق اليهود علـى رأس الحركة الشيوعية المصرية - بغـض النظر عن دورهم التاريخى وكفاءتهم - وكان الواجب أن يتنحوا اختياريا عن القيادة مع بقائهم داخل التنظيم حيث أن الحركة الشيوعية لا يمكن أن تتخذ مواقـف شـوفينية أو عنصرية باستبعاد رفاق لمجرد أن لهم دينا معينا أو حتى لكونهم من أصل أجنبى مهما كانت التحيزات الغوغائية ضدهم . ومع ذلك فأغلب الرفاق اليهود لم يكونوا يتميـزون عن رفاقهم المصريين وكانت الجنسيات الأجنبيـة لبعضـهم مجـرد بقايـا لأوضـاع الامتيازات الأجنبية التى سادت على مصر حتى معاهدة مونتريه التى أنهت الامتيازات الأجنبية فى ١٩٣٨ ولم تكن تعنى أنهم أجانب فعلا .

- وكان موقف حزب الراية من اليهود عنصريا شوفينيا و فى واقع الأمر كانوا مستبعدين فعلا .

- وعلى العكس من ذلك استمر الحزب الموحد لسنين طويلة يتخذ مواقف تبعية من الرفاق اليهود حتى بعد مغادرتهم البلاد وبالتالى ابتعـادهم عـن القيـادة ظاهريـا وابتعادهم فى الوقت نفسه عن الواقع المصرى .

- وأعتقد أن موقف حزب العمال والفلاحين كان أقرب الى الصـحة فحسـب علمى انسحب الرفاق اليهود من اللجنة المركزية رغم بقائهم فـى مصـر واحتفـاظهم بالعضوية واستمرار تأثيرهم الأدبى والسياسى على التنظيم ، ولكنهم راعوا حساسـية وضعهم واحترموا الشعور الشعبى حتى لو كان خاطئا .

- أما بالنسبة لموقف م . ش . م فقد كان المؤسسـان الرئيسـيان يهـوديين

وتمسكا بذلك الوضع حتى اخراجهما من البلاد، كما ضم التنظيم رفاقا يهـودا كثيـرين ولكنهم أبعدوا واحدا بعد الآخر بعد أن اعتقلوا جميعا تقريبا .

وطبعا كان تمسك أوديت وسدنى بالاستمرار فى القيادة حتى ابعادهما نوعا من المكابرة وتحدى المشاعر الشعبية بل إنه كان فى واقع الأمر"فرضا" لنوع مـن "عبـادة الفرد"على التنظيم.

- فى اسكرا ثم حدتو شاركت فى نشاط إنشاء نقابة المهن الهندسية وعضـوية لجانها وذلك بتوجيه من التنظيم و بوجود عدد غير قليل من المهندسين بين أعضاء فى التنظيم وعاطفين عليه . وقد ضعف هذا النشاط أثناء أزمة حدتو، و مع مهاجمة وتغيير خط القوات الوطنية الديمقراطية وبدء التركيز على العمل السياسى - والسـرى بـين العمال .

- وفى ١٩٥١ كانت مشاركة تنظيم م . ش . م . فى المـد الثـورى ضـد الاحتلال البريطانى ضعيفة نسبيا بسبب وجود القيادة فى السجن . ولـم أشـترك أنـا شخصيا فى هذه الحركة حيث كنت قد قبض على فى يناير ١٩٥١ .

- أهم مطالب التنظيمات التى كنت عضوا بها من ١٩٤٦وحتى ١٩٥٤ كـان جلاء قوات الاحتلال البريطانى سواء أثناء وجودهـا بالقـاهرة والاسـكندرية (فـى السنوات ٤٦ حتى ٤٨) أو بعد انسحابها الى منطقة القنال .

كان تنظيم م . ش . م . فى حالة ضعف أثناء فترة النضال المسلح فى القنـاة عام ١٩٥١ بسبب القبض على القيادة والعديد من أعضاء التنظيم فى تلك الفترة ولكنـه أيد ذلك النضال طبعا و إن كان ليس لدى معلومات تفصيلية عـن اشـتراك أى مـن أعضاء التنظيم مباشرة فى ذلك النضال .

أما أنا فكنت داخل السجن وكان موقفى وموقف بقية الرفاق فى السـجن هـو التأييد المطلق لذلك النضال.

- وعند توقيع معاهدة الجلاء فى ١٩٥٤ كنت بالسجن و لم يكن هناك اتصـال بالتنظيم خارج السجن (م . ش . م . كانت شبه مصفاة خارج السجون والمعتقلات فى ذلك الوقت) وكان موقفى أن هذه الاتفاقية هى تعبير عن الموقف المتهادن لقيادة يوليـو مع الاستعمار حيث سمحت له بابقاء احتلاله حتى يونيو ١٩٥٦ و أعطته العديـد مـن المبررات للعودة مرة أخرى لاحتلال البلاد .

- كان موقف حدتو (وكنت ولا زلت اعتبره الموقف الصحيح) هو الموافقـة على قرار تقسيم فلسطين بوصفه أحسن الحلول السيئة وأنه أمر واقـع فـرض علـى الشعوب العربية وبمقتضاه تنشأ على أرض فلسطين دولتان بينهما وحدة اقتصادية يمكن تطويرها مع الوقت الى دولة ديمقراطية علمانية تضم الشـعبين العربـى واليهـودى الموجودين على أرض فلسطين . ويقضى نفس الموقف بأن حرب فلسـطين الأولـى كانت مغامرة للدول العربية تمت لحساب الاستعمار الغربى .

والأدلة على ذلك هى :

١- كانت الدول التى شاركت فى تلك الحرب هى مصر التى يحكمها السعديون تحت ظل الملك فاروق، وكلاهما عميل أو على الأقل "حليف" للاستعمار البريطانى ؛ والأردن تحت حكم الأمير عبد الله عميل الانجليز منذ الحرب العالمية الأولـى ويقـود جيشها جلوب باشا الانجليزى ؛ والعراق تحت حكم الأمير عبد الأله و نورى السـعيد وهما عميلان مكشوفان للإنجليز.

٢- كانت نتيجة تلك الحرب تشريد نصف الشعب الفلسطينى وقد شجعهم على ترك وطنهم هربا من مذابح الصهيونيين تأكيد الدول العربية لهم بقرب اعـادتهم الـى وطنهم بعد الانتصار الوشيك على العصابات الصهيونية!

وما حدث فعلا نتيجة لتلك الحرب هو تقسيم فلسطين الى :

أ - جزء لليهود أصبح أوتوماتيكا رأس حربة للامبريالية الصاعدة فى المنطقة.

ب- وجزء عاد بالتبعية للاستعمار البريطانى بضـمه الـى الأردن المحميـة البريطانية فى ذلك الوقت.

جـ- وقطاع غزة الذى ضم فعليا - و إن لم يكن قانونيا - إلى مصـر التـى تحتلها بريطانيا.

٣- وكمكسب اضافى لتلك الحرب فرضت البرجوازيـة المصـرية الحاكمـة المتحالفة مع كبار الملاك العقاريين شبه الاقطاعيين الأحكام العرفية ابتداء من ١٥ مايو ١٩٤٨ فى مواجهة المد الثورى المتصاعد منذ انتهاء الحرب الحرب العالميـة الثانيـة والذى بلغ ذروته فى أحداث ١٩٤٦ و استمر حتى مظاهرات طلبة الجامعة ضد الملك فاروق فى فبراير ١٩٤٨ .

ولم يكن الهدف الأساسى للطبقات الحاكمة فى مصر من دخول الحـرب هـو

مجرد تأدية هذه الخدمة القذرة للاستعمار بطبيعة الحال، ولكن ظهور دولة صـهيونية تقودها بورجوازية يهودية أوروبية المنشأ ومتحالفة تحالفا عضـويا مـع الامبرياليـة الأمريكية المتطلعة إلى الهيمنة العالمية، مثل خطرا داهما على تطلعاتها الـى الهيمنـة على السوق العربية بل والافريقية والاسلامية (طبعا فى ظل الاستعمار ولـيس فـى مواجهة حقيقية معه) ، وقد عبر عن هذه التطلعات الدكتور صبحى وحيـدة سـكرتير عام اتحاد الصناعات المصرى فى ذلك الوقت فى كتابه "فى أصول المسألة المصرية " وعبر جمال عبد الناصر عن نفس التطلعات ربما بشكل أكثر وضوحا فى كتاب "فلسفة الثورة "

وهذا معناه أن جمال عبد الناصر كان يعبر عن تطلع "حركة الضباط الأحرار" لتولى قيادة البورجوازية المصرية فى طموحها الى لعب الدور القيـادى فـى الشـرق الأوسط المعتمد على قوة الاقتصادى المصرى .

وهذا الموقف كان يعبر عن نوع من الاستقلالية والوطنية فى مواجهة منافسـة بورجوازية دخيلة هى الصهيونية المرتبطة عضويا بالاستعمار ولكنه لم يرق أبدا الـى المواجهة الصريحة والعنيفة مع الاستعمار باعتبار هذا شيئا شبه مستحيل فـى مرحلـة السيطرة الاستعمارية العالمية.

وقد تطور هذا الموقف خلال الفترة ١٩٤٥ الى ١٩٦٧ تحـت تـأثير جنـاح البورجوازية المسيطر على الحكم وكذلك بحكم الدور المتعاظم للاتحاد السوفيتى الـذى أيد وسلح وأعطى الحماية لأى بورجوازية كانت لديها الشجاعة للدخول فى مواجهة مع الاستعمار دفاعا عن مصالحها المستقلة .

وسأعود الى مزيد من التفصيل فى توضيح هذه المواقف أدناه .

انقسمت الطبقة الحاكمة المصرية منذ استقلال مصر الاسمى فى ١٩٢٢ الـى قسمين رئيسيين :

١- قسم كان يضم تقليديا كبار الملاك العقاريين شبة الاقطاعيين وعبر عن هذا القسم حزب الأحرار الدستوريين (برئاسة محمد محمود باشا) وحزب الاتحاد (برئاسة عدلى يكن باشا) وأحزاب أخرى أقل أهمية وهذه الأحزاب انضمت مباشرة الى تحالف القصر الملكى والاستعمار .

٢- والقسم الآخر كان يضم التجار فى المدن والملاك المتوسطين فى الريـف

(وبعض كبار الملاك) وكذلك فئات المثقفين والمهنيين فى المدن وعلى رأسهم المحامون وبدرجات أقل الأطباء والمهندسون وكذلك الفئات الشعبية من الحـرفيين فـى المـدن وصغار الملاك فى الريف أى بصفة عامة البورجوازية الصغيرة وهؤلاء جميعا كـانوا يلتفون حول الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول باشا ومن بعده مصطفى النحاس .

وتطور كل من القسمين خلال الفترة من ١٩٢٢ الى ١٩٥٢ كالآتى :

أ - انضم الى القصر والاستعمار أولا اسماعيل صدقى باشـا رئـيس اتحـاد الصناعات أى ممثل الرأسمالية المصرية الكبيرة والتى كانت نسـبة منهـا أجنبيـة أو متمصرة . كذلك انضم لهذه الجبهة حافظ عفيفى وحسن نشأت وعلى ابـراهيم يحيـى وعلى الشمسى وفرغلى وغيرهم من رجال المال والأعمال .

ب - وبعد انقلاب الملك على وزارة الوفد فى أواخر ١٩٣٧ انفصل عن الوفد جناح السعديين الذين مثلوا فئات من البورجوازية المصرية بدأت بعد الغاء الامتيازات الأجنبية فى ١٩٣٨ تلعب دورا متعاظما فى إنشاء صناعات جديدة .

ج - أما حزب الوفد فبعد اعلانه التهادن مع الاستعمار بتوقيع معاهـدة ١٩٣٦ فقد أخذ يتعاظم بداخله دور أجنحة من البورجوازية الكبيرة وكبار المـلاك العقـاريين (فؤاد سراج الدين وعائلة الوكيل وغيرهم) .

وفى مقابل ذلك أخذت تتمايز داخله أجنحة يسارية أكثر ارتباطا بالبورجوازية المتوسطة ومتأثرة بالمد الثورى بعد الحرب العالمية الثانية (عزيز فهمـى وابـراهيم طلعت ومصطفى موسى من زعماء الطلبة وغيرهم) .

د- والى جانب هؤلاء كانت هناك أحزاب (هامشية الى حد كبير) مثـل بقايـا حزب مصطفى كامل الوطنى تمسكت بشعار أصبح لا يعنى شيئا وهو " لا مفاوضة الا بعد الجلاء " ثم ما لبثت قياداتها أن انضمت الى وزارات القصر فى حين تحولت أجزاء من قاعدتها الى المطالبة بتأييد هتلر كوسيلة للتخلص من الاستعمار البريطانى فكـانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار . ومن هؤلاء فتحى رضوان ونور الدين طراف ومعهم أفراد مثل عزيز المصرى انحصرت الوطنية فى رأيهم فى العداء للاستعمار البريطانى حتى لو كانت وسيلتهم الى ذلك التحالف مع استعمار أبشع هو الاستعمار الألمـانى - الايطالى .

ومن ضمن الأحزاب الهامشية أحمد حسين وحزب مصر الفتاة ولكنه بالأسلوب

الغوغائى التهريجى اكتسب بعض الأتباع سواء فى مرحلته الفاشية الصـريحة ولكـن بصفة خاصة عندما ارتدى مسوح الاشتراكية وبدأ يهاجم الملك بعنف .

- وعندما نتحدث عن القيادات والأحزاب فى مصر لا يمكن أن ننسى جماعـة الإخوان المسلمين . فعندما تكونت هذه الجماعة فى ١٩٢٨ ادعت أنها تدعو الناس فقط الى صحيح الدين ومكارم الأخلاق وأن لا اهتمام لها بالسياسة . ولكـن العديـد مـن كتاباتهم وصحفهم تثبت أن الوصول الى الحكم كان من صميم اهتماماتهم وأنهم كـانوا يلجأون لكل الوسائل لتحقيق ذلك بما فيها إرهاب الناس وإرغـامهم علـى الخضـوع لوصايتهم، وهناك العديد من الدراسات المنشورة والتى تشرح ذلك بالتفصيل .

ومنذ نشأة تلك الجماعة فى مدينة الاسماعيلية حيث كان يعمل حسن البنا كانت لها علاقات مريبة بدوائر أجنبية فقد منحتها شركة قناة السويس والتى تملك الحكومـة البريطانية نصف أسهمها تقريبا إعانة مالية كبيرة ؛ وأثناء الحرب العالمية الثانية أنشأت جماعة الاخوان شركة المعاملات الاسلامية التـى وردت أغذيـة وغيرهـا للجـيش البريطانى فى منطقة القناة بأكثر من مليونى جنيه بأسعار تلك الأيام فـاذا حسـبنا مـا حققوه من ربح من تلك المعاملات بأسعار اليوم لبلغت أكثر من خمسين مليون جنيه !!

وهذه النشأة والعلاقات لجماعة الإخوان تفسر موقفهم من حركة التحرر الوطنى وطرد قوات الاحتلال ؛ فحتى ١٩٤٦ لم يسمع لهم أى موقف من تلك القضية . وعندما انتعشت الحركة الوطنية فى أعقاب الحرب العالميـة وبـدأت أحـداث ١٩٤٦ ادعـى الاخوان فى أول الأمر تأييدهم للمطالبة بالجلاء ولكن بمجرد اصطدام الحركة بحكومة اسماعيل صدقى انقلبوا يؤيدون صدقى ويخربون الحركة الجماهيرية واشـتركوا مـع صدقى وعلى ماهر فى إنشاء ما سمى بالجبهة القومية بهدف محاربة اللجنـة الوطنيـة للعمال والطلبة التى كانت تقود النضال من أجل الجلاء .

وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين فى ١٩٤٧ بدأوا حملة هستيرية ضد اليهود - لا ضد الصهيونية - لحرف الانظار عن النضال من أجل الجلاء وتحويل الحركة إلـى التطوع لمحاربة اليهود فى فلسطين . وعلى الرغم من أنهم لم يقوموا بشىء ايجابى فى هذا السبيل إلا أنهم ساهموا فى التعبئة فى اتجاه تلك الحرب التى أدت إلى تثبيت سيطرة الصهاينة على جزء من فلسطين أكبر بكثير مما خصصه لهم قرار التقسيم وإلى احتلال بقية فلسطين من قبل قوات خاضعة للاستعمار البريطانى وهى قوات جلوب باشا فـى

الضفة الغربية وقوات مصر فى قطاع غزة .

وأثناء معركة النضال المسلح فى ١٩٥١ كان موقف الإخوان مشابها فقد أنشأوا معسكرات للتدريب وحملوا السلاح علنا إلا أن أحدا منهم لم يرفع بندقية واحـدة ضـد قوات الاحتلال ، وعلى العكس من ذلك قاموا بأعمال تخريبيـة مثـل حـرق كنيسـة السويس بهدف اثارة فتنة طائفية لحرف الحركة الوطنية عن المعركة ضد الاسـتعمار وتوجهاتها الموحدة للشعب .

وبعد ٢٣ يوليو وفشل جماعة الإخوان فى السـيطرة علـى حركـة الضـباط الأحرار اتجهت الجماعة الى الارتباط العضوى بأكثر القوى العربية ارتباطا بالاستعمار الأمريكى وهى النظام الحاكم فى السعودية، ومن هناك عاد الاخوان الى مصـر فـى السبعينيات محملين بملايين الجنيهات كثروات خاصة لزعمائهم بطبيعة الحال ولكن هذه الثروات مكنتهم من إنشاء قاعدة عريضة لهم بين جماهير الشعب التى يطحنها الغلاء والبطالة خاصة بين صفوف المتعلمين .

وكان موقف اسكرا ومن بعدها حدتو هو التنسيق مع شباب الوفد (وربما مـع أتباع أحمد حسين) فى المعارك الجماهيرية وظهر ذلك فى أحداث ١٩٤٦ وما بعدها .

أما م . ش . م . فكما أشرت من قبل كان خطها السياسـى يقضـى بتوجيـه الضربة الأساسية الى الوفد بوصفه الحزب الوحيد الذى يتمتع بتأييد جمـاهيرى علـى الرغم من أنه متهادن مع الاستعمار وتجاهلت تماما الجناح اليسارى داخل الوفد .

وكانت بالطبع تضع جميع أحزاب القصر بما فيها السعديون فى الجبهة المعادية تماما.

ولا أظن أن أحدا داخل التنظيم اعترض على هذا الموقف . ولعل ممـا سـهل الوقوع فى هذا الانحراف هو أن فترة تأسيس م . ش . م . (١٩٤٨ - ١٩٤٩) كانـت فترة جزر ثورى بسبب انحراف الحركة الوطنية إلى معركة فلسطين وتوقف المعـارك الجماهيرية الى ما بعد الهزيمة فى فلسطين .

- لا أعرف بدقة موقف قيادة م . ش . م .من سلطة يوليو عند قيامها حيث أن سيدنى سالومون كان بالمعتقل وكنت أنا بسجن الاسكندرية ولم يكن هناك اتصال مباشر معه ولكن موقفى أنا ومن كانوا من الرفاق وقتها كان انه انقلاب عسكرى وأنه متهادن مع الاستعمار وأن عداءه للطبقة العاملة واضح وصريح، وكانت الأدلة على ذلك هى :

١- الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين فيما عدا الشـيوعيين رغـم كـل الطنطنة .

٢- محاكمة خميس والبقرى واعدامهما رغم أن براءة العمال كانت واضـحة كالشمس .

لم يصلنا داخل السجن موقف م . ش . م . من أحداث كفر الدوار بسبب تفكك التنظيم ووجود القيادة فى المعتقل وكان موقفى وموقف الرفاق داخل السجن مبنيا على ما قرأناه فى الصحف عن تلك الأحداث . ومع ذلك فالأمور كانت فى غاية الوضوح : فبعد إبعاد الملك وإصدار قانون الإصلاح الزراعى اعتقد الكثيرون من العمال - خاصة الأقل وعيا منهم - أن حركة الضباط تقف فى صف جماهير الشعب فتقـدموا بشـكل تلقائى بمطالبهم العادلة والتى طالما رفضت فى الماضى وكان لعمال كفر الداور الكثير من هذه المطالب . وحيث أنى عملت لبضعة شهور بعد تخرجى فى ١٩٤٦ فـى هـذا المصنع فقد كنت ملما بالأوضاع فيه :

فقد كان العمال - وأغلبهم من المناطق الريفية المحيطة بالمصنع - يتقاضـون ثمانية مليمات فى الساعة أى أن أجرهم اليومى أربعة وستون مليما فى اليوم ! وكـان النساج الذى يعمل على أربعة أنوال - أوتوماتيكية - لا يصل أجره اليومى الى عشرين قرشا !و كان المصنع يوفر للعمال وجبة يومية من خضار ولحم وأرز وفاكهة ويخصم مقابلها خمسة عشر مليما فقط ومع ذلك كان المئات من العمال يقومون ببيـع بطاقـات الطعام هذه لرؤساء العمال الذين يوفرون بذلك وجبة كاملة ورخيصة لعائلاتهم فى حين يأكل الآخرون خبزهم الفلاحى بقليل من الجبن القريش والفجل والكـرات وذلـك لأن خمسة عشر مليما كانت تعتبر بالنسبة لهم مبلغا كبيرا لا يستطيعون دفعه !

وكان بالمصنع مدينة سكنية جميلة ولكنها لا تتسع لأكثر مـن ربـع العمـال وبالطبع كانت الأولوية فى السكن للرؤساء . و كانت سياسة المصنع تقضى بالتشدد فى فرض الغرامات على العمال لأوهى الأسباب - وهذه الغرامات هى التى يوفر المصنع من حصيلتها فرق الطعام فى المطعم !

وكانت الرطوبة العالية داخل عنابر النسيج مع الضوضاء العاليـة وانتشـار " الأغبار" والأتربة فى جو العنبر تؤثر بشكل خطير على صحة العمال خاصة الجهـاز التنفسى ويساعد على ذلك ضعف التغدية لأغلبيتهم .

من هنا يتبين أن العمال كانت لديهم أسباب وجيهة للشكوى وبمجرد أن توسموا فى الحكام الجدد شيئا من التجاوب مع الفئات الشعبية تقدموا بمطالبهم لإدارة المصـنع التى لم تتجاوب مع أى منها فأعلنوا الاضراب وهم يتوقعون تأييـد حركـة الضـباط لمطالبهم العادلة . وكان رد الفعل الفورى هو قيام الجيش بتطويق المصـنع، وعنـدما تجمع عمال الورديات الثلاث داخل المصنع عزلوهم بالداخل ومنعـوا عـائلاتهم مـن إحضار الطعام لهم . وعندما قام عميل لحافظ عفيفى بإشعال النار فى بعض السيارات الموجودة بالجراج خارج نطاق المصنع نفسه اقتحموا المصنع - والذى حماه العمـال من أى تخريب - وألقوا القبض على العمال وقدموا زعماءهم للمحاكمة العسكرية بتهمة إحراق المصنع !

وحتى عندما حكم بالاعدام على خميس والبقرى بعـد محاكمـة صـورية لـم تستغرق الا أياما معدودة طلبا مقابلة محمد نجيب وهما واثقان أن بامكانهما اقناعه بأن العمال يؤيدون الحركة وأن مطالبتهم بحقوقهم المشروعة إنما جاءت من منطلق ثقـتهم فى عدالة الحركة وانحيازها للشعب ! وبدلا من أخذهما لمقابلة محمد نجيب اقتيدا الـى المشنقة !

وهكذا كانت الرسالة فى منتهى الوضوح : فحركة الضباط التى كانـت تفخـر بأنها بيضاء بمعنى انها لم تمس شعرة من الملك الفاسد أو كبار الملاك أو الرأسماليين المستغلين - قد خضبت أيديها بدماء العمال الأبرياء قبل مرور ثلاثـة أشـهر علـى قيامها.

وكان موقفى وموقف الرفاق معى بالداخل هو الإدانة الكاملة لحركة الضـباط بسبب هذا الموقف من جانبهم واعتبرناه دليلا آخر على أن تغييرا حقيقيا لم يحدث وأن حركة الضباط ما هى الا وجه آخر لحكم نفس الطبقة .

٣- محاصرة المحلة الكبرى بدبابات الجيش المصرى الـذى قـام " بالحركـة المباركة " (!) لمنع العمال من تقديم مطالبهم البسيطة والعادلة وذلك فى اكتوبر ١٩٥٢ تقريبا .

٤- وعلى الرغم من عداء الضباط الواضح للملك فاروق فقـد كـان مطلـب الحركة هو مجرد تنازل الملك عن العرش لابنه والسماح له بالسفر إلى الخارج علـى يخته الملكى ومعه ١٢٦ حقيبة مملوءة بالمجوهرات والنفائس والنقود، وأذكر هنـا أن

عداء حركة الضباط للملك كان واضحا لى منذ أول يوم ، فعندما أبلغنى أحد الحـراس صباح ٢٣ يوليو بالانقلاب مهنئا أن هذه الحركة لابد ستكون فى صفنا نحن الشيوعيين سألته إن كان على رأس الانقلاب ضابط اسمه نجيب حيث كنت متابعا لمعركة نـادى ضباط الجيش بين صغار الضباط الذين رشحوا محمد نجيب والملك واتباعه الذين كان مرشحهم حسين سرى عامر .

٥- وكان أول رئيس وزراء عينته الحركة هو على ماهر الذى اختاره الملـك رئيسا للوزراء بعد مؤامرة حريق القاهرة لضرب حركة النضال المسـلح والمعـروف ليس فقط بميوله الاستعمارية وإنما اتجاهاته النازية أثناء الحرب العالمية الثانية .

٦- وكان من أوائل قرارات حركة الضباط إنشاء حرس وطنـى علـى نمـط ميليشيا الصاعقة النازية وبتمويل من أصحاب المصانع، والهدف المعلن هـو حمايـة المصانع من تخريب العمال.

٧- وتوالت بعد ذلك الحركات المظهرية الموجهة لحرف انتباه الشـعب عـن معركة النضال ضد الاستعمار (رغم ادعاء بعض أعضاء حركـة الضـباط أنهـم شاركوا فى تلك المعركة) مثل معونة الشتاء و قطار الرحمة وأسبوع الشجرة وغيرها من الأسابيع وكلها مقتبسة من المانيا النازية مما كان يقطع بالتأثير الكبيـر لأعضـاء الحركة النازية (ولا ننسى أن شعار "الاتحاد والنظام والعمل" هو أيضا منقـول عـن النازية).

٨- إبراز أسماء بعض أعضاء الحركة مثل أنور السادات الـذى أذاع البيـان الأول للثورة والمعروف عنه أنه كان عضوا بالحرس الحديدى للملك فـاروق والـذى نشر بعد ذلك كتابا يتبجح فيه بأنه كان يؤيد ويتعامل مع جواسيس ألمانيـا و الراقصـة حكمت فهمى التى كانت تؤويهم فى عوامتها .

٩- ابراز العلاقات الودية بين " الحركة المباركة " والاستعمار الأمريكى حيث كان السفير الأمريكى يتدخل باستمرار فى شئون البلاد وكانت الصحف حريصة علـى إبراز ذلك . وعندما زار فوستر دالس وزير خارجية أمريكا محمد نجيب فـى صـيف ١٩٥٣ أهداه مسدسين فسأله نجيب إن كان سيستخدم المسدسين لمحاربـة الاسـتعمار البريطانى (!) فكان الرد بل لحفظ الأمن والنظام .

١٠- المناورات المستمرة طوال الشـهور السـتة الأولـى ضـد أى عـودة

للديمقراطية ، وبحجة فساد الأحزاب تم الغاؤها نهائيا فى يناير ١٩٥٣ بحجة التأجيـل لمدة ثلاث سنوات . وعلى الرغم من ذلك استمرت جماعة الإخـوان المسـلمين فـى نشاطها بادعاء أنها ليست حزبا فى حين رفض العفو عن الشيوعيين بحجة أن قضاياهم ليست سياسية !!

١١- وفى ١٩٥٣ صدر قانون رءوس الأموال الأجنبية الذى أعطى أصـحاب الأموال حق إخراج عشرة بالمائة أرباحا كل سنة وعشرين بالمائة من رأس المال كـل سنة ابتداء من السنة الخامسة ، ويلغى شرط اشتراك رأس المال المصرى بنسبة واحد وخمسون بالمائة على الأقل وهو الشرط الذى وضـعه السـعديون فـى ١٩٤٧ أى أن الحركة حتى أقل "وطنية "من السعديين من هذه الناحية . وهذه المزايا لم تمـنح مـرة أخرى لرأس المال الأجنبى إلا فى عهد الانفتاح السعيد فى السبعينيات . وعلى الـرغم من ذلك لم يتجاوب رأس المال الأجنبى ولم يوظف خلال السنة التالية لصدور القـانون إلا مليون دولار واحد فى قطاع البترول .

١٢- وبدراسة التكوين الطبقى لحركة الضابط نجد أنهـم جميعـا مـن أبنـاء البورجوازية المتوسطة والكبيرة وربما باستثناء عبد الناصر ابن الموظـف الصـغير وكمال حسين الإخوانى . فكان عبد الحكيم عامر من كبار الملاك بالمنيا وخاله حيـدر باشا رجل الملك ؛ وعلى صبرى من عائلة ذو الفقار وخاله على الشمسى باشا المليونير وعضو مجلس إدارة البنك الأهلى ؛ وخالد محيى الدين من كبار الملاك بالقليوبية ؛ ولا تحضرنى الذاكرة الآن ببقية العلاقات العائلية للضباط.

وأدت هذه الأصول الطبقية الى أن حركة الضباط كانت تهدف فعلا إلى بنـاء اقتصاد وطنى مستقل ولكنها كانت تعمل جاهدة على ألا تصطدم بالاسـتعمار الأقـوى والصاعد وهو الأمريكى، وكذلك بالنسبة للمحتل البريطانى حيث وصلت معه الى حلول وسط متخاذلة بشأن السودان أدت الى انتصار عملاء الاستعمار من حزب الأمة علـى الاتحاديين الذين كانوا يربطون كفاحهم ضد الاستعمار مع كفاح الشعب المصرى ضده . وظهر نفس التهادن على الأخص فى اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤ التى أجلت الجلاء لمدة سنتين وأعطت الاستعمار الفرصة لإعادة احتلال البلاد بالعديد من الحجج التـى وردت فى الاتفاقية .

وفعلا لم يتثبت استقلال مصر إلا بعد فشل العدوان الاسـتعمارى فـى ١٩٥٦

بفضل ثبات الشعب المصرى (بقيادة جمال عبد الناصـر) ، والإنـذار السـوفيتى ، والتأييد الشعبى العالمى لكفاح الشعب المصرى ، والتدخل الأمريكى لأيزنهاور الـذى كان يأمل أن تكون هذه فرصته للحلول محل الاستعمار البريطانى .

وثقة أمريكا فى أن تدخلها إلى جانب مصر لاخراج بريطانيا سيفسح الطريـق لها للحلول محلها " لملء الفراغ " كانت مبنية على قوة العلاقات الشخصية بين السـفير الأمريكى فى القاهرة وكذا عملاء المخابرات المركزية مثل كيرميت روزفلت وغيـره وبين ضباط الحركة .

١٣- وطبعا تأكد العداء المطلق للديمقراطية بعد هبة مارس ١٩٥٤ ومهزلـة الاضراب الذى قام به صاوى محمد صاوى ومجموعة العملاء الذين طـالبوا بإلغـاء القرارات الديمقراطية وعودة الحكم الديكتاتورى العسكرى .

كانت حركة الضباط الأحرار تمثل تحالفا بين اتجاهات سياسـية مـن بينهـا الإخوان (كمال الدين حسين وآخرين) والشيوعيين واليسار عموما (خالد محيى الـدين ويوسف صديق) والأغلبية كانوا مستقلين عن الأحزاب وإن كانت اتجاهـاتهم جميعـا يمينية بدرجات متفاوتة، وترتب على كثرة الخلافات بيـنهم وتحـت ضـغط الجنـاح اليسارى مستندا إلى سلاح الفرسان - وانضم إليهم محمد نجيب الذى كـان يطمـح أن يكون قائدا فعليا "للثورة" بدلا من الدور الشكلى الذى فرضه عليه جمال عبد الناصر - أعلن مجلس القيادة التنحى والعودة إلى الشعب فى أوائل ٥٤١٩. وقضت الـبلاد مـا يقرب من الشهر وهى تتمتع بديمقراطية لم تعرفها من قبل وقرأنا فى صحف تلك الفترة آراء ومعلومات لم تكن متاحة منذ سنوات (مع ملاحظة أننا كنا بالسجن حيـث كانـت الصحف هى المصدر الرئيسى للمعلومات بالنسبة لنا).

ولكن جمال عبد الناصر ذا الاتجاهات الديكتاتورية الثابتة - على الـرغم مـن وطنيته - إنما كان ينحنى أمام العاصفة ودبر مهزلة الإضراب عن الطعام التى قام بها الصاوى صاوى ونفر من أتباعه مطالبين مجلس قيادة الثورة بالعودة الـى السـلطة - التى لم يتخلوا عنها فعلا - فقبل هؤلاء "رجاء العمال " (!!) وألغوا بعـض القـرارات الديمقراطية التى كانوا قد أقروها واستبعدوا خالد محيى الدين من عضوية المجلس ولم يلبثوا أن أبعدوه الى خارج البلاد كما انتهزوا الفرصة لإبعاد محمد نجيب عن أى سلطة فعلية . وكانت هذه المناورة أصدق تعبير عن العداء الأصيل الذى تكنه حركة الضباط

لأى شكل من أشكال الديمقراطية ، وطبعا كان موقفنا فى السجن هو كشف وإدانة هـذه الطبيعة الديكتاتورية للحركة .

وقد تباهى عبد الناصر فيما بعد بأن هذه العملية لم تكلف الا أربعة آلاف جنيه فقط دفعت لهؤلاء القادة العماليين المزعومين !

١٤- أما العمل الكبير الذى قامت به حركة الضـباط فقـد كـان الإصـلاح الزراعى، وهو إجراء يعتبر دائما جزءا أساسيا من الثورة الوطنية الديمقراطية حيـث أنه يدعم البورجوازية الصغيرة فى الريف ويرفع قدرتها الشرائية حتى تكـون سـوقا يساعد على تنمية الصناعات فى المدن (راجع فى هذا الشأن كل أدبيـات الماركسـية وخاصة قانون الإصلاح الزراعى فى الصين).

والموقف من الإصلاح الزراعى هو تأييده من ناحية المبدأ مع انتقاده بشدة لما شابه من العيوب العديدة سواء من ناحية القانون نفسه أو الطريقة التى نفذ بها :

١- فالقانون ترك لكل من كبار الملاك الذين انطبق عليهم ثلاثمائة فدان، فـى حين ما وزع على العائلة من الفلاحين كان من فدانين إلى ثلاثة .

٢- وأعفى من تطبيق القانون أى أراض استصلحت مـن أقـل مـن خمسـة وعشرين سنة.

٣- وقرر القانون تعويض كبار الملاك على أن يدفع الفلاحون ثمن الأراضـى للدولة التى تقوم بتعويض الملاك .

٤- وسمح القانون للملاك بالتصرف فى أراضيهم بالبيع فى حدود خمسة أفدنة للفلاح - لحين تطبيق القانون - مما سمح للكثيرين منهم بالتهرب من تطبيق القـانون على جزء من أراضيهم .

٥- وأنشأ القانون هيئة الإصلاح الزراعى وهى هيئة بيروقراطية عفنة يرأسها الإقطاعى سيد مرعى وكانت مهمتها فرض إشراف الدولة علـى الفلاحـين - ملاكـا ومستأجرين - وضمان استغلالهم لحساب الدولة بدلا من كبار الملاك .

وانعكست طبيعة هيئة الإصلاح الزراعى على طريقة تنفيذ القانون فقد كانـت كل الإجراءات تتم بشكل معاد للفلاحين، كما استغلت كل ثغرات القانون لمصلحة كبار الملاك مثل التهاون فى حصر الملكيات المتفرقة والرشـاوى لاعتبـار بعـض كبـار الاقطاعيات أرضا حديثة الاستصلاح وهى ليست كذلك واعتماد البيع الصورى لكثيـر

من الأراضى تهربا من تطبيق القانون....الخ .

ولكن نظرا للتركبية الطبقية للضباط الأحرار ، ونظرا لأن الهدف الأساسى من صدور هذا القانون كان عزل جماهير الفلاحين عن الطبقة العاملة التى وجهـت إليهـا الضربات الأساسية ، فقد كان قانونا مهلهلا مليئا بالثغرات (مثل ارتفاع حد) ويمكن أن نذكر هنا بأن شاه ايران نفسه نفذ قانونا للإصلاح الزراعى بمباركة وتوجيه الاستعمار الأمريكى ولكن التشبيه مع الفارق طبعا .

١٥ - وتحقيقا لنفس هدف عزل الطبقة العاملة قامت الحركة بتخفيض ايجارات المساكن لإرضاء صغار الموظفين وهم فئة كبيرة وهامة اجتماعيا مـن البورجوازيـة الصغيرة فى المدن.

١٦- ومما سبق يتضح أن حركة يوليو كانت تعبيرا عن انتقال السـلطة مـن تحالف الرأسمالية الكبيرة فى المدن مع كبار المـلاك العقـاريين شـبه الاقطـاعين، والمتعاون تماما مع القصر والاستعمار، إلى طبقة جديدة هـى أساسـا البورجوازيـة المتوسطة فى المدن والريف .

فقد أدى إضعاف كبار الملاك العقاريين إلى بـروز طبقـة أغنيـاء الفلاحـين بصفتها القوة السياسية الصاعدة فى الريف ، ولا زلت أذكر شخصيا كيف كان بعـض أصحاب المصانع المتوسطة فى القاهرة يعبرون عن سعادتهم بالنظام وتأييدهم الحماسى له وكان ذلك بعد خروجى من السجن مباشرة فى أوائل ١٩٥٦٠

وتعبيرا واضحا عن هذا التمثيل قال عبد الناصر فى المـؤتمر الأول للغرفـة التجارية فى ١٩٥٦/١/٣٠:

"إن الاقتصاد القومى اذا سار فى الطريق الصحيح فلابد أن يحقق زيـادة فـى الدخل ولهذا عنيت الثورة أول ما عنيت بأن يكون الاقتصاد الفردى متحررا... واليـوم وقد أعلنت الثورة أنها قضت على الاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم فإنها تعنى أنها تؤمن الشعب بجميع طبقاته لتؤمنكم أنتم لأنكم أنتم التجار أول من نادى بضـرورة التخلص من الاحتكار...." وأشار إلى الأهداف التى أعلنها الدستور الذى صدر قبل ذلك التاريخ بخمسة عشر يوما حيث جاء فيه أن الاقتصاد فى المكانة الأولى ...و "أن رأس المال الفردى حر فى حدود المصلحة العامة للشعب ...."

وفى خطابه فى الاسكندرية فى ١٩٥٧/٧/٢٦ بمناسبة الذكرى الخامسة للثورة

أكد على "أن رأس المال الوطنى خاص بى وبك ولكل واحد عنده قرش فى هذا البلـد ومن ثم فإن الهدف هو المحافظة على رأس المال الوطنى وتنميته".

وبعد ذلك بسنتين قال فى افتتاح مصنع المحولات الكهربائية بروض الفرج :"أن المصنع قام على رأس المال الخاص الذى تشجعه الدولة طالما يسير فى الخدمة العامة للمجتمع وهى على أتم الاستعداد لأن تتعاون معه وتوفر له السبل حتى نسير فى طريق التنمية. وأضاف: "اننا جميعا نعلن أننا نبغى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى، إنما نعنى أننا جميعا رأس المال العام ورأسمال الدولة ورأس المال الخاص نتكاتف فى سبيل مصلحة المجتمع وفى سبيل الخير العام للمجتمع .... لا استغلال ....لا استغلال لحماية الحكومة للصناعة لأن الصناعة اذا قامت فى بلدنا فإن على الحكومة واجبا أول هو أن تحمى هذه الصناعة من المنافسة الأجنبية وذلك بأن تمنع اسـتيراد الأصـناف المماثلة التى تنتجها هذه الصناعة ..... "

ويقول رجل الأعمال محمد فريد حسنين عن هذه المرحلة :" من واقع تجربتى فقد شاهدت الورش تزدهر وتعمل طوال عشرين ساعة متواصلة وبذلك نما هذا القطاع وتوسع فى ظل رعاية ثورة يوليو ... وبالنسبة للتجـارة فقـد اسـتمرت فـى أيـدى الأفراد..." .

١٧- وقد كان الاتجاه المسيطر طوال حكم جمال عبد الناصر هو العمل بثبات ومثابرة على بناء اقتصاد وطنى مستقل وهو الهدف الأساسى للبورجوازية فى مرحلـة نموها وبالتالى تقدميتها ، ولكن هذا الاتجاه ظهر فى تاريخ غير مناسب بالنسبة لتطور الرأسماليات المبتدئة فى العالم ولم يصبح ممكنا الا بفضل ظروف الحرب الباردة التى خلقت حالة من التوازن غير المستقر بين معسكرى "الرأسمالية" و " الاشتراكية ".

ومرحلة التوازن غير المستقر هذه بدأت فى أواخر ١٩٤٩ عندما نجح الاتحاد السوفيتى فى تحقيق المساواة فى الرادع النووى مع الولايات المتحدة واستمرت حتـى أوائل الثمانينيات عندما نجح سباق التسلح الجنونى الذى فرضته الإمبريالية الأمريكيـة فى تخريب اقتصاد الاتحاد السوفيتى . وحتى عندما نجح جورباتشوف فى الانسـحاب من هذا السباق من جانب واحد كان الزمام قد أفلت تماما فقد تأكد تخلف جميع قطاعات الاقتصاد السوفيتى غير العسكرية بشكل فظيع ونمت داخل المجتمع الفئات الرأسـمالية الجنينية (متخذة شكل المافيا التى كانت تسيطر حسب التقديرات السوفيتية فـى أواخـر

الثمانينيات، على عشرين بالمائة من اقتصاد الاتحاد السوفيتى!) . وبدلا من أن يـنجح جورباتشوف (ممثل فئة البيروقراطيين والتكنوقراط المسيطرة) نجح يلتسين المـرتبط بالمافيا فى الاستيلاء على السلطة وبدأ عصر الانفتاح الرأسمالى فى روسيا على أوسع مدى .

مرحلة التوازن هذه هى التى سمحت لبورجوازية نامية أن تستولى على السلطة وتحاول أن تبنى اقتصادها المستقل فى عالم الرأسمالية الكبيرة العالمية (أى فى العـالم المقسم بين أجنحة الإمبريالية).

ولو قلنا ان مرحلة التوازن هذه بدأت فى الخمسينيات (بالحرب الكورية التـى انتهت بالتعادل بين معسكرى الإمبريالية والاشتراكية، وكانت لها نتيجة جانبيـة هـى إخراج الرأسمالية الأمريكية من إحدى دورات الركود الكبيرة فى ١٩٤٩) وانتهت فـى الثمانينيات بحرب أفغانستان التى انتهت هى أيضا بالتعادل ولكن بعد فضيحة إثبـات عجز الاتحاد السوفيتى ! مرورا بحرب فيتنام التى انتهت هى أيضا بنوع من التعـادل بعد اثبات عجز الاستعمار الأمريكى هو الآخر فى مواجهة المقاومة الجادة للشـعوب، نقول إن الفترة التى أتيحت لأى بورجوازية صغيرة أن تنتهز حالة التوازن وتحاول أن تلعب لعبتها الخاصة بالقيام بتنمية اقتصادها المستقل فى الزمان والظروف غير المواتية امتدت من أواسط الخمسينيات حتى أواخر السبعينيات .

وهذا هو بالضبط ما حدث فى مصر فالبورجوازية المتوسطة التى عبر عنهـا الضباط الأحرار لم تسيطر على السلطة تماما إلا بعد فشل العدوان الثلاثى فـى ١٩٥٦ وانهارت فعليا تحت وطأة هزيمة ١٩٦٧ وانهـارت قانونيـا بانفتـاح السـادات فـى السبعينيات .

فبعد الانتصار على العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ بدأت خطوات بنـاء الاقتصـاد المستقل بشكل جدى بداية بقوانين التمصير التى استولت بمقتضاها البورجوازية علـى الشركات البريطانية والفرنسية والبلجيكية. وفى ١٩٥٧ أنشئت المؤسسـة الاقتصـادية لتجميع الجزء الأكبر من رؤوس الأموال المصادرة وتوجيهها نحو بناء قاعدة انتاجيـة مع بقية الشركات الحكومية المشتركة . وفى ١٩٥٩ صدر قانون يفرض على الشركات تخصيص نسبة خمسة بالمائة من أرباحها للتوسع فى استثماراتها (وكانت تلك توصية من بنك مصر).

ولما لم تنجح هذه الاجراءات فى دفع التراكم الرأسمالى بالسـرعة المرغوبـة لجأت البورجوازية الحاكمة إلى التأميم بنسبة خمسين بالمائة أى أن الدولـة أصـبحت شريكا بنسبة النصف مع البورجوازية، وفى هذه المرحلة، على سبيل المثـال، طلبـت حوالى ثمانين من شركات المقاولات التى لم يشملها التأميم أن تؤمم حتـى لا تفوتهـا مكاسب التأميم (!) . وفعلا أعلنت كل هذه الشركات عن تزايد أرباحها بفضل التأميم .

ومرة أخرى تقرر زيادة سرعة التراكم الرأسمالى بالتأميم الكامل هذه المـرة، وبغض النظر عن التسميات والشعارات فان حقيقة الأمر هى أن موارد الدولة قد جندت لإحداث التراكم الرأسمالى ، فمن المعروف أن أصحاب أغلب الشركات المؤممـة قـد استمروا على رأسها وإن كان قد بدأ يشاركهم عدد من الضباط وأقاربهم الذين انضموا إلى الطبقة الرأسمالية لا بفضل ملكياتهم وإنما بفضل وجودهم على قمة السلطة. ومـن المعروف أن مجالس الإدارات هى التى تأخذ نصيب الأسد من أرباح الشركات ولـيس صغار المساهمين مثلا ومن باب أولى فان قيادات الشركات المؤممة هى التى تحـول إلى جيوبها كل الأرباح بل وجزء غير صغير من رأس المال نفسه وأكبر دليل علـى ذلك أن نلاحظ المبالغ الضئيلة التى تحول إلى ميزانية الدولة كأرباح للشركات المؤممة والتى لا تصل إلى نسبة واحد أو اثنين بالمائة من رأس المال ناهيك عـن الشـركات الخاسرة والتى تقوم الدولة بتحمل خسائرها فى حين ينهب المسئولون عنهـا الملايـين ويحولونها إلى حساباتهم بالخارج .

حدثت التأميمات الأساسية فى عامى ١٩٦١و ١٩٦٣ وكان الشيوعيون جميعـا داخل السجون والمعتقلات.

وحيث أنى كنت في تلك الفترة (بين فبراير ١٩٦١ و ١٩٦٣) موجودا بسجن القناطر ولم تكن القيادات الأساسية موجودة معنا فانى لا أذكر تفصيلا موقف الحـزب من التأميمات فيما عدا التأييد بصفة عامة .

وحتى عندما انتقلت إلى الواحات فى يوليو ١٩٦٣ وكانت القيادة كلها موجودة هناك لا أذكر أنه نشرت على القاعدة مثلا دراسة تحليلية عـن التأميمـات ومغزاهـا السياسى ولا عن الطبقات التى تأثرت بها . بل حتى لا أذكر أنه قيـل لنـا إن القيـادة تناقش هذا الموضوع بالغ الخطورة أو أن ورقة عمل مبدئية قد طرحت على القاعـدة تمهيدا لإجراء مناقشة معمقة بشأنه!! وواقع الأمر أنه على الرغم مـن مـرور تسـعة

شهور بين صدور هذه القرارات التاريخية وبين الإفراج عنا فى أبريل ١٩٦٤ لم أسمع عن موقف تفصيلى أو حتى مجمل لقيادة الحزب من هذه التأميمات!!

ومع ذلك فموقفى الشخصى كان أن هذه التأميمات هى نوع من رأسمالية الدولة وأن لا علاقة لها بالاشتراكية .

وأعتقد أن الرأى لم يعجب القيادة حيث كنت متهما أيامها باليسارية (ولعل هذا يفسر لماذا همشت بعد الافراج عن الشيوعيين فى أبريل ١٩٦٤).

وقد كان لى آنذاك مأخذ رئيسى على التأميمات - بغض النظر عن أنها ليست اجراء اشتراكيا - وهو طبيعتها العشوائية الواضحة : فمن جهة لم تكن هناك حدود واضحة للمدى الذى يصل إليه التأميم لا من حيث حجم المؤسسة (أى ملكيتها لفئة طبقية معينة) ولا من حيث نوع النشاط (بمعنى أن التأميم فى الأنظمة الرأسمالية يركز عادة على الخدمات العامة مثل شركات المياه والكهرباء والسكة الحديد .. الخ وهذه كانت أصلا مملوكة للحكومة - وكذلك بعد الحرب العالمية الثانية أممت بعض البلدان الرأسمالية البنوك وشركات التأمين والصناعات الكبرى الحيوية للاقتصاد) ولكن التأميم المصرى ضم مؤسسات تشمل إلى جانب البنوك والمصانع الكبرى مطاعم ومطاحن وغيرها من المنشآت الصغيرة التى لا تمثل أى رأسمال ذى قيمة لدرجة أن بعضها قيمته لجان التعويض بصفر ! وكان على الشعب أن يتحمل خسائر بعض الرأسماليين ! ومن جهة أخرى أدت هذه العشوائية وغياب أى برنامج مدروس أو منطق مفهوم وراء التأميمات إلى احجام الرأسماليين عن انشاء أى مشروعات جديدة خوفا من التأميم (وقد قيل من باب التندر ذى المغزى أن تحديد أسماء الشركات التي أممت تم بعد مراجعة دليل التليفون !!) وهكذا فعلى الرغم من أن جمال عبد الناصر أكد فى مناسبات عديدة أنه لن تكون هناك تأميمات جديدة ودعا الرأسماليين إلى ممارسة نشاطهم كقطاع خاص تشجعه الدولة إلا أن أحدا لم يستجب له فلم تنشأ شركات جديدة إلا تلك التى تأسست خصيصا للتطفل على القطاع العام مثل مقاولى الباطن وغيرهم من الشركات التى تحولت إليها أرباح شركات القطاع العام إما مقابل عمولة لمديرى الشركات أو لأنها مملوكة لهم تحت أسماء أقاربهم أو أبنائهم .. الخ.

وباستخدام الدولة كأداة لإحداث التراكم الرأسمالى، أى اقتطاع جانب هام من أموال الشعب لانشاء الصناعات الجديدة، أمكن السير فى تصنيع البلاد وخاصة انشاء

الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب والألومنيوم والكيماويات وقبل ذلـك إنشـاء السـد العالى. ولكن يلاحظ أنه رغم الحديث المستمر عن التخطيط العلمى وإنشاء العديد مـن إدارات التخطيط بل وإنشاء وزارة كاملة للتخطيط إلا أن كل "الخطط" لم تزد عـن أن تكون مجرد تجميع لعدد من المشروعات التى لا ربط حقيقـى بينهـا، وهـى مجـرد مشروعات خطر للبعض اقتراحها أو كان لها بريق خاص أو كان لـبعض المسـئولين مصلحة خاصة من ورائها . وهذا بطبيعة الحال جوهر الأسلوب الرأسمالى فى التفكير حيث يعتبر أن مجموع إرادات البورجوازيين تحقق فى نهاية المطاف الهدف المـأمول وهو بناء الاقتصاد . وعليه فحتى عندما كان متاحا للبورجوازيـة أن تسـتخدم نظـام التخطيط العلمى الشامل، حيث كانت الدولة تسيطر على كل النشاط الاقتصادى الجديـد بفضل التجائها إلى رأسمالية الدولة للاسـراع بـالتراكم الاقتصـادى ، فـان العقليـة الرأسمالية المسيطرة منعتها من ذلك على الرغم من كل الثرثـرة عـن " الاشـتراكية" و"التخطيط" وغيرها من التعبيرات الخالية من أى مضمون .

وهكذا أصبح القطاع العام تحت سيطرة تحالف من الرأسماليين القدامى الـذين استمروا فى مراكزهم والضباط الذين استولوا على السلطة . ومن هذا التحالف تشكلت الطبقة الرأسمالية الجديدة التى أصبحت تضـم الضـباط وعـائلاتهم والأجـزاء مـن الرأسمالية القديمة التى لم تتصادم معهم .

١٨- مما سبق يمكن الوصول إلى النتيجة التالية :

كانت حركة الضباط الأحرار تعبر عن تحالف بين عناصر من البورجوازيـة المتوسطة والصغيرة التى انتهزت حالة المد الثورى فى السنوات ١٩٥١/١٩٥٠ والتى وصلت بالجماهير الشعبية إلى حالة غليان ثورية على نظام الحكم الملكى الفاسد الممالئ للاستعمار، خاصة بعد الهزيمة التى لحقت به فى حرب فلسـطين حيـث اتجـه المـد الثورى إلى قواعد الاستعمار فى منطقة القناة ، انتهزت تلك الحالة فقامت بالاسـتيلاء على السلطة بحركة انقلابية منفصلة تماما عن الجماهير الشعبية وإن كانت هذه الأخيرة قد التفت حولها لأنها وجهت الضربة إلى رأس النظام الفاسد كما حققت بعض المكاسب للجماهير بالإصلاح الزراعى وخفض إيجارات المساكن .

بناء عليه يمكن القول إن حركة ٢٣ يوليو كانت ثورة لأنها نقلت السلطة مـن طبقة عليا ممالئة للاستعمار إلى طبقة (أو تحالف طبقتين) أدنى منهـا وأقـرب إلـى

الجماهير الشعبية إلا أنها مرت بالمراحل الآتية :

أ- المرحلة الأولى من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ وتميـزت بالتهـادن الكامـل مـع الاستعمار ومحاولة الوصول إلى اتفاقات مقبولة منه واجراءات يرضى عنها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: التعامل مع الملك برفق شديد وتقديم التنـازلات لـه، والعـداء الأصيل للديمقراطية وظهر ذلك جليا فى إلغاء الحياة الدستورية أصلا ثم الموقف مـن هبة مارس ١٩٥٤ ، والعداء الشديد بالنسبة للطبقة العاملة والشـيوعيين ، واسـتجداء السلاح من الغرب عموما لمواجهة التهديدات و الاستفزازات المتكـررة مـن جانـب اسرائيل .

كل هذا لم يشفع للحركة مع الاستعمار فأخذت الاستفزازات الإسرائيلية تتصاعد (فى قبية وغزة الخ) والاستعمار يرفض كل طلباتها من السلاح مما دفعها إلى مؤتمر باندونج فى ١٩٥٤ وصفقة السلاح التشيكى فى ١٩٥٥ أى التوجه إلى الاتحاد السوفيتى لأول مرة .

وعندما أسفر الاستعمار عن العداء برفض تمويل مشروع السد العالى وبالشكل المهين الذى تم به ذلك كان الرد هو تأميم قناة السويس كشكل بديل لتمويل المشـروع (مع ملاحظة أن الاتحاد السوفيتى كان قد أبدى اسـتعداده لتمويـل المشـروع ولكـن الحكومة تجاهلت ذلك).

وهنا قرر الاستعمار تأديب الشعب المصرى وقيادته فقام بعدوان ١٩٥٦ . وقد أدى فشل هذا العدوان بفضل صمود الشعب المصرى تحت قيادة جمال عبـد الناصـر وتأييد الاتحاد السوفيتى وإنذاره الشهير ، وكذلك تأييد شعوب العالم، وحتى الولايـات المتحدة التى أملت أن تحل محل الاستعمار البريطانى، أدى ذلك الفشل إلى بدء مرحلة جديدة من مراحل الثورة .

ب- أدى التصاعد التدريجى للعداء بين حركة الضباط (التى أصـبحت فعـلا قائدة للشعب المصرى) وبين الاستعمار إلى الانتقال إلى المرحلة الثانية (١٩٥٦ إلـى ١٩٧٠) وأخذ فيها العداء للاستعمار شكلا حادا - كما سنفصل فيما بعد - ولكن هزيمة المرحلة الأولى وكذلك موت جمال عبد الناصر وضعت حدا لهذه المرحلة .

وتميزت هذه المرحلة بوضوح وتماسك المواقف المستقلة عن الاستعمار لا فى الداخل فحسب وإنما على مستوى القومية العربية وتحول جمال عبد الناصر إلى بطـل

وطنى فى نظر كل الشعوب العربية . ولكن على الرغم من بعض الانفتاح على أشكال ديمقراطية (كانتخاب مجلس الأمة فى ١٩٥٧) فإن العداء الأصـيل للطبقـة العاملـة وقيادتها (المفترضة) من الشيوعيين وكذلك للديمقراطية الحقيقية اسـتمر بكـل ثبـات وانعكس ذلك على المواقف فى العالم العربى ومن حركات التحرر العربية :

١- فبعد تأييد الحركات الشعبية فى الأردن أيام حكومة النابلسى عاد جمال عبد الناصر فى ١٩٧٠ يعطى الضوء الأخضر للملك حسين لقمع الحركة الشعبية فى مذبحة أيلول الأسود .

٢- وبعد تأييد ثورة اليمن ومساندتها ضد المؤامرات الاسـتعمارية والتـدخل السعودى عاد وانغمس مع النظام فى صراعات داخلية بين قبائل متعادية ممـا كلـف الشعب المصرى خسائر فى الأرواح والأموال .

٣- واستغل خوف البعث السورى من الجماهير الشعبية ليفرض على الشـعب السوري النموذج المصرى المعادى للديمقراطية مما أدى فى النهايـة إلـى انتصـار المؤامرات الاستعمارية وفشل الوحدة المصرية - السورية .

٤- وبعد تأييد ثورة عبد الكريم قاسم فى العراق انقلب عليها بسـبب انفتاحهـا على الشيوعيين العراقيين وأيد سلسلة المؤامرات التى وصلت بالعراق إلى الخضـوع لنظام صدام حسين عميل الاستعمار الدموى مرورا بنظام عبد السلام عـارف وأحمـد حسن البكر .

أما فى الداخل فقد بدأت هذه المرحلة بإعطاء كل الفرص للبورجوازية للقيـام بتنمية الاقتصاد الوطنى وذلك بالتمصـير أولا أى بتمليـك الممتلكـات الاسـتعمارية للبورجوازية مع تجميع ما لا تستطيع البرجوازية القيام به فى المؤسسـة الاقتصـادية حيث تساهم الدولة بانشاء ما يصعب على البورجوزاية القيام به من مشروعات كبـرى مثل الحديد والصلب وكيما والنصر للسيارات وغيرها . وفى ١٩٥٩ أصدرت الحكومة قانونا يفرض تخصيص خمسة بالمائة من أرباح الشركات لإعادة الاستثمار فيها، ومـع ذلك لم تتقدم البورجوازية المصرية لأداء هذا الدور التاريخى بالسرعة الكافية .

وهنا اضطرت سلطة يوليو إلى أخذ الأمـور بيـدها للقيـام بعمليـة التـراكم الرأسمالى وهو الشرط الضرورى للسير فى بناء الاقتصاد الوطنى فبدأت بتأميم بنـك مصر فى ١٩٦٠ ثم القوانين "الاشتراكية" الأولى فى ١٩٦١ وفيها تم تأميم العديد مـن

الشركات بنسبة خمسين بالمائة، أى أن الدولة دخلت شريكا للرأسمالية المصـرية فـى عملية التنمية، وسبق أن وضحنا أن مكاسب الشركات تضاعفت بفضل هذه المشـاركة وطلبت الكثير من الشركات ألا تحرم من مزايا التأميم !

وكانت الخطوة التالية هى التوسع فى التأميمات فى ١٩٦٣ مع تحويلها إلـى " التأميم الكامل " فما هو مضمون هذه الخطوة وهل تعتبر اجراء "اشتراكيا " حقيقة ؟

إن التطور التاريخى للرأسمالية فى بلاد العالم المتقدمة والتى بدأت تطورها منذ مائتين من السنين أو أكثر بدأ بأن قامت البورجوازية الناشئة بتجميع الثروات لتحقيـق التراكم الرأسمالى ببطء (وأحيانا بسرعة نسبية عندما توافرت لها مستعمرات تنهبهـا مثلا) داخل رحم المجتمع الإقطاعى، وفى لحظة معينة - عندما تصـبح قيـود هـذا المجتمع عائقا كبيرا فى طريق نموها - تقوم بثورة تحطم هذه القيود وتضـعها علـى رأس السلطة كتعبير عن التوازن الحقيقى للقوى داخل المجتمع .

أما فى القرن الحالى وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فقد قامت بعض البورجوازيات (غير الكبيرة عادة) بثورات وطنية لتحرير بلادهـا مـن الاسـتعمار وسمح توازن القوى العالمى بنجاح هذه الثورات ووجدت هذه البورجوازيـات نفسـها فجأة على رأس السلطة قبل أن تحقق التراكم الرأسمالى اللازم لاسـتمرارها فـى أداء دورها التاريخى فى بناء الاقتصاد، وهكذا كان السبيل الوحيد لتحقيق هذا التراكم هـو استخدام السلطة السياسية ذاتها أداة لتحقيق التـراكم الرأسـمالى أى عكـس الطريـق التاريخى لتطور الرأسمالية .

وهكذا بدأ الضباط - وعائلاتهم فيما بعد - يضعون أنفسهم على رأس الشركات الممصرة وتلك التابعة للمؤسسة الاقتصادية ثم دخلـوا شـركاء فـى إدارة الشـركات المؤممة "تصفيا" ولم يلبثوا حتى بدأوا يحتلون إدارات الشركات المؤممـة أو المنشـأة أصلا بمعرفة الدولة وبأموال الشعب . وطبعا سارت هذه الحركة قـدما مـع ازديـاد تغلغلهم فى أعمال الإدارة وأصبحوا بذلك جزءا لا يتجزأ من البورجوازية الحاكمة .

وكان الأمر الطبيعى والمتوقع أن تتجه نسبة متزايدة من أربـاح ، بـل مـن أصول، هذه الشركات إلى جيوبهم وجيوب أقاربهم و شركاتهم تحت مسميات عديـدة : فالعمولات أولا ثم إسناد المقاولات من الباطن وبالأمر المباشر وفى مرحلة لاحقة إنشاء الشركات المختلطة (قطاع عام وخاص مشترك) ووضع أنفسهم على رأسها .

وأحيانا إنشاء شركات منافسة بأسماء أقاربهم وتحويل أعمال شركاتهم إليها بل وباستخدام عمال وموظفى شركات القطاع العام نفسها لحسابهم !

وكان المتبع فى المراحل الأولى أن من يتجاوز الحدود المقبولـة فـى نهـب الشركة أو الهيئة التى يرأسها، تقوم الأجهزة الرقابية بلفت نظره إلى خروجه عن الحد وينتهى الأمر عند ذلك !!

وعندما " نضجت " هذه المرحلة التى استغرقت ما يقرب من خمسة عشر عاما أصبح من الطبيعى أن تسفر الطبقة الجديدة عن وجهها الحقيقى كرأسمالية تملك أدوات الإنتاج فعلا ولا تكتفى بمجرد الإدارة. وأعلنت سياسة الانفتاح التى تعبر عن الاوضاع الفعلية فى أوائل السبعينيات بعد أن حل أنور السادات محل جمال عبد الناصـر ومـا واكب ذلك من استبدال الاعتماد على مساعدات الاتحاد السوفيتى "الاشتراكى" بالولايات المتحدة "التى تملك تسعة وتسعين بالمائة من أوراق اللعبة" !

وما حدث هنا لم يكن تغييرا فى الطبقة الحاكمة وإنما مجرد تغيير مراكز القوة داخلها فمجموعة مايو التى أبعدت عن مركز السلطة كانت تمثل جناحا من البورجوازية الحاكمة ولكنها تتمسك بالشكل الإدارى للتحكم فى الأمور، ربما لأنها كانت مسـيطرة على الجزء الأكبر من رأس المال الوطنى المتمثل فى شركات القطـاع العـام ، أمـا الجناح الذى تولى الصدارة فى عهد السادات وكان يضم عثمان أحمد عثمـان وسـيد مرعى فلم يكن بعيدا عن السلطة فى عهد عبد الناصر .

فعثمان هو الذى أنشأ شركة خصيصا لبناء السد العالى، وعندما أممت شـركته فى الداخل سمح لها بالاستمرار فى النشاط الخارجي كقطاع خـاص. وسـيد مرعـى وضعه جمال عبد الناصر على رأس جهاز الإصلاح الزراعى .

ج- والمرحلة الأخيرة التى بدأها السادات بالانفتاح قد أخذت شكل تفريط شـبه تهريجى بالسماح لأى مغامر أمريكى أو أوروبى بالحضور إلى مصر للاغتراف مـن ثروتها و واكب ذلك ضرب الحركات الشعبية التى حاولت مقاومة هـذا النهـب مثـل انتفاضة ١٩٧٧ ، وضرب حركات مقاومة الاستعمار فى المنطقة العربيـة باستسـلام كامب ديفيد الذى أخرج مصر نهائيا من المعركة ضد الاستعمار .

وكان استمرار هذه المرحلة التهريجية أمرا غير ممكن وتم التغيير بعد اغتيـال السادات باتباع سياسة أكثر اتزانا ولكنها ديماجوجية : فالديمقراطية موجودة ولكنهـا لا

تزيد عن حرية الصياح غير المجدى، والإصلاح الاقتصادى نابع من الداخل ولكنه، ويا للعجب، مطابق لما يفرضه صندوق النقد الدولى وبقية المؤسسات الدولية (الأمريكية)، وتتعدد طرق الانتخاب مثل الفردى والنسبى وبالقائمة والأعرج بين هذه جميعها ولكـن مجموعة المنتفعين - وهم فى نهاية المطاف ممثلو البورجوازية الحاكمة- هـى التـى تظهر دائما فى مجلس الشعب وذلك بفضل التدخلات والتزويـرات الإداريـة وانفـاق عشرات بل مئات الملايين من الجنيهات على منظمى الانتخابات والبلطجية الخ.

وتسير الخصخصة على قدم وساق طبقا للتعليمات ومع ذلك فهنـاك مقاومـة عنيدة من ذلك الجزء من البورجوازية الحاكمة الذي يستمرئ الإيغال فى نهب أمـوال الشعب التى يسيطر عليها بحكم وجوده على رأس القطاع العام ويفضل ارسال الجـزء الأكبر من ناتج النهب إلى البنوك الأجنبية (حتى لا يأتى اليوم الذى يقال لهم فيه "مـن أين لكم هذا؟؟") مع الانفاق ببذخ استفزازى. وذلك أفضل من وجهة نظر هذا الجنـاح من البورجوازية، من المخاطرة بثرواتهم الكبيرة فى إنشاء المشـروعات والتعـرض لمخاطر السوق، خاصة وقد أصبحت "حرة" وتواجه منافسة عاتية من كل نمور العالم. أما الجزء الآخر من البورجوازية الذى فضل أن يظهر كرأسمالى صريح، وهو جـزء لا يتجزأ من نفس الطبقة (وعلى سبيل المثال فإن محمد فريد خميس الرأسمالى الكبيـر ورئيس اتحاد الصناعات الحالى هو ضابط سابق) فهو يفضل الخصخصة بشكل مطلق ولكن بطريقته الخاصة أى : "بالقيمة الدفترية" وبعبارة أخرى يريدون الاستيلاء علـى أدوات الانتاج التى بنيت بالاقتطاع من قوت الشعب المصرى خلال أربعين عاما بما لا يتجاوز عشرة أو خمسة عشر بالمائة من قيمتها الحقيقية!

مما سبق يتبين أن الطبقة البورجوازية التى استولت على السلطة فـى ١٩٥٢، وكانت بصفة عامة متوسطة الثروة والتى تحالفت من أول الأمر مع الجنـاح الأكثـر وطنية من البورجوازية الكبيرة القديمة ممثلة فى مجموعة بنك مصر (وعلـى سـبيل المثال قامت سلطة يوليو فى تلك المرحلة بضرب عبود باشا لحساب بنك مصر. وكان رجل عبد الناصر فى البنك هو أحمد فؤاد، مع ملاحظة أن محمد رشدى - زوج ابنـة طلعت حرب - استمر على رأس البنك حتى بعد التأميم) عندما فشلت فى محاولة بناء الاقتصاد بالاعتماد على الاستعمار الغربى الذى رفـض هـذه المحـاولات بـازدراء وتمادى فى تسليح اسرائيل المنافس الأخطر للبورجوازية المصرية فى العالم العربـى

والشرق الأوسط ثم رفض بشكل مهين تمويل مشروع السد العالى، فاضطر إلى التحول إلى بناء الاقتصاد بأموال ومدخرات الشعب المصرى فى تعاون وثيق- ولكنه غير أمين- مع الاتحاد السوفيتى.

وقد تمكنت من تحقيق هذا التحول فى الاتجاه بفضل الانتصار الذى تحقق فى ١٩٥٦.

التحليل السابق لم يكن واضحا لى أو لأى من التنظيمات الشيوعية فى ١٩٥٢ ولا فى السنوات الأولى بعدها وليس لدى علم بأى موقف اتخذته م.ش.م. منها، فكما سبق أن وضحت كانت المنظمة فى حالة شبه تفكك فى ذلك الوقت بسبب القبض على القيادة بالاضافة إلى القبض على غالبية الأعضاء، وعلى أى حال لم يصلنا فى السجن أى موقف رسمى للتنظيم.

أما الموقف التلقائى الذي اتخذته أنا والرفاق الموجودون معى فى السجن فكان الآتى :

لقد أدى حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢ الذي دبرته الدوائر الأكثر رجعية من تحالف القصر والاستعمار وحلفائهما وما تبعه من اعلان الأحكام العرفية ونزول الجيش إلى الشوارع وطرد حكومة الوفد ، أدى إلى وقف الحركة الثورية الموجهة ضد الاستعمار وقيام سلسلة من الوزارات العميلة التى حاولت إجهاض الحركة الثورية وكبت الحركة الوطنية والوصول إلى اتفاقات تحقق الأهداف الاستعمارية التى أوقفتها الحركة الشعبية.

ولكن الحركة الشعبية استمرت قوية وإن كانت كامنة وفشلت الوزارات العميلة واحدة بعد الأخرى فى تحقيق أى اتفاق يمكن للاستعمار أن يثق فى مصداقيته وأن يوقع عليه وقد عبرت جريدة التايمز اللندنية عن ذلك بالقول : إن الموقف فى مصر هادئ تماما على السطح ولكن " التيارات التحتية " تمنع الوصول إلى أى اتفاق وهو ما يفسر تعاقب الوزارات دون تحقيق أى شئ.

ولمنع حدوث الانفجار الذى كان واضحا أن أحدا لن يستطيع السيطرة عليه ، دبر جزء من الطبقة الحاكمة - لم نسطع تحديده فى حينه - انقلاب الضباط الذى امتص غضب الشعب بطرد الملك بصفته العميل الأول للاستعمار . ولم يفتنا أن نلاحظ أن الضباط طردوا عميلا للاستعمار وعينوا عميلا آخر هو على ماهر رئيسا للوزارة ! وعلى ماهر هو الذى كان الملك قد عينه قبل ذلك بشهور رئيسا للوزارة بعد مؤامرة

حريق القاهرة وطرد وزارة الوفد. وخلال الشهرين أو الثلاثة التالية أصـدر الضـباط قانون الإصلاح الزراعى الأعرج وخفضوا إيجارات المساكن فى نفس الوقـت الـذى اتبعوا فيه سياسة إرهاب الطبقة العاملة بإعدام خميس والبقرى من عمال كفـر الـدوار وإحاطة عمال المحلة بالدبابات وإنشاء الحرس الوطنى لحماية المصانع من "التخريب " - طبعا على يد العمال . وفى تلك الفترة أفرجوا عن كل السجناء السياسيين بمن فـيهم أحمد حسين ورجاله المتهمين بالاشتراك فى حرق القاهرة ورفضـوا الإفـراج عـن الشيوعيين وكانت مؤامرة إعدام خميس والبقرى من الأحداث ذات الدلالة الخطيرة فى فهم اتجاهات حركة الضباط.

لقد كان الدرس واضحا وفوريا : على العمال أن يخضعوا ويستكينوا وليس لهم أن يتوقعوا من حركة الضباط أى تجاوب مع مطالبهم مهما كانت عادلة . وكاسـتمرار طبيعى لهذا الموقف أرسل الضباط الدبابات لتحاصر مدينة المحلة بصفتها تضم أكبـر تجمع عمالى تحسبا لأى تحرك عمالى قد يفكر العمال فى اتخاذه حتـى ولـو لتأييـد الحركة ! لهذا الحد كان عداء حركة الضباط للطبقة العاملة صريحا وأساسيا .

كل هذه الوقائع المتلاحقة وذات الاتجاه الثابت والواضح أقنعتنـا بـأن حركـة الضباط تعبر عن نفس الطبقة الحاكمة وإن غيرت فى الأشـخاص والوجـوه لحـرف الأنظار عن حقيقتها الطبقية . ولم تغير الأحداث التى تلت ذلك ولعدة سنوات من تلـك القناعة : فإلغاء الأحزاب ثم إلغاء الحياة النيابية نفسها ، واتفاقية السودان التى مكنـت الاستعمار من تثبيت عملائه فيه ، وقانون فتح البـاب لـرؤوس الأمـوال الأجنبيـة ، وأحداث مارس ١٩٥٤ ، وفوق الكل اتفاقية الجلاء فى نفس العام ، كلها دعمـت تلـك القناعة .

ولم يغير اشتراك عبد الناصر فى مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ ولا صفقة السلاح التشيكى فى نفس السنة، ولا استمرار الاستفزازات الاسرائيلية ورفـض الاسـتعمار تسليح مصر لمواجهتها، ولا اصطدام الضباط مع الاخوان المسلمين واعتقـال المئـات منهم، كل تلك الأحداث لم تغير هذه القناعة فقد كان من الممكن تفسيرها فى إطار "نفس التحليل".

كانت الفترة السابقة على اشترك جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج تتميـز بتوالى الاستفزازات الاسرائيلية على الحدود وعلى منطقة غزة والرفض القـاطع مـن

جميع أنواع الدول الغربية لطلبات مصر من السلاح مع إبراز الصحف الغربية لمـدى تفوق اسرائيل على مصر فى جميع الأسلحة وذلك بهدف إقناع مصـر بعـدم جـدوى مقاومة الخطط الاستعمارية لفرض اسرائيل على المنطقة . وانتهز جمال عبد الناصـر فرصة مؤتمر باندونج وجس نبض الكتلة الشرقية بالنسبة لإمكان موافقتها على تسـليح مصر وكان الرد الايجابى من تشو ان لاى وما تلاه من عقد صفقة الأسلحة التشـيكية هو بداية الاصطدام مع الاستعمار وإنهاء مرحلة التهادن التى ميزت المرحلة الأولى من تاريخ الحركة .

ولكن التاريخ الطويل المعادى للديمقراطية وخاصة للطبقـة العاملـة وقادتهـا لحركة الضباط جعلنا نتحفظ فى تأييد تلك الخطوات دون أن نقدر عمق التغير الذى بدأ يحدث تدريجيا أمامنا . وأنا شخصيا لم أغير موقفى من حركة الضباط إلا بعـد تـأميم القناة وما تلاه من العدوان الثلاثى على مصر .

وكنت فى تلك الفترة قد أفرج عنى بعد قضاء خمس سنوات بالسجن حيث لـم يصدر ضدى أمر اعتقال كما كان المتبع قبلها وكان ذلك يوم إعلان الجمهورية فى ١٨ يناير ١٩٥٦ . وكان هناك تغير واضح فى الجو السياسى حيث بدأ الإفراج عن الكثير من الرفاق وإن لم أكن متتبعا بدقة للصورة بسبب تفكك م.ش.م . كما سبق أن شرحت. وهناك سبب آخر لانعز إلى عن الحركة فى تلك الفترة هو أننى انتقلت بعد الخروج من السجن إلى مدينة دمياط حيث عملت لمدة سنة ولم أكن على صلة بـأى مـن الرفـاق هناك.

ومع ذلك فقد كان رد الفعل التلقائى لى بعد التأميم وما تلاه من صـراع ضـد المؤامرات الاستعمارية هو التأييد المطلق وعندما حدث العـدوان وقامـت الحكومـة بتوزيع السلاح على المواطنين تسلمت بندقية - وكانت من طراز لى انفليد الذى عفـا عليه الزمان ! - الا أنى كنت أحملها معى عند الذهاب إلى العمل والعودة كنوع مـن المظاهرة السياسية .

وقد كان حملى لهذه البندقية مناسبة لموقف سياسى له مغزى هام : فقـد كـان معنا فى العمل بدمياط مهندس ألمانى وكنا على علاقة ودية . وبعد نزول الانجليز فـى بورسعيد بأيام وكانت الانذارات بالغارات الجوية يومية أبدى تعجبه من حملى للبندقيـة محذرا لى من أنه طبقا لقوانين الحرب فإن المدنى الذى يحمل السلاح لا يؤخذ أسـيرا

وانما يعدم على الفور وطبعا كان افتراضه أن هجوم الانجليز على دمياط التى تبعد عن بورسعيد بأقل من خمسين كيلو مترا واستيلاؤهم عليها لن يستغرق إلا أياما !

وقد أجبته بلهجة حادة جدا وبصوت مرتفع بأنى أعرف هذه القاعـدة الحربيـة وأنها لن تمنعنى من حمل السلاح دفاعا عن الوطن. وأضفت بأنى أستغرب أن يقـول مثل هذا الكلام وهو الأجنبى ، ربما الوحيد فى دمياط ، ولا يخشى من إثـارة الـرأى العام ضده فى وقت ترتفع فيه المشاعر الوطنية إلى درجة الغليان .

واستغرب الموظفون والعمال الذين كانوا بالقرب منا أن اتحدث اليه بهذه الحدة وسألوا عن السبب - وكان الحديث يجرى بيننا باللغة الانجليزية ولم يفهموا شيئا ممـا دار - فانتهزت الفرصة لأشرح لهم مغزى تهديده لى وردى عليه، وكان درسـا فـى الوطنية .

كانت حركة الضباط الأحرار تضم عناصر من الإخوان وكان كمـال الـدين حسين وهو إخوانى معروف عضوا فى مجلس القيادة إلى أن حل هذا المجلس . وقـد اعتبر الإخوان أنفسهم أصحاب الحركة خاصة وقد اختصتهم بمعاملة متميزة فقد كـانوا الحزب السياسى الوحيد الذى سمح له باستمرار النشاط بعد إلغـاء جميـع الأحـزاب السياسية ومع ذلك فبقدر ظهور سيطرة جمال عبد الناصر على حركة الضباط ومن ثم سيطرته على الحكم بدأ الصراع على السلطة يتخذ شكلا واضحا بين الطرفين .

وحيث أن جماعة الإخوان المسلمين كانت منـذ إنشـائها تتلقـى الـدعم مـن الاستعمار، وقفت ضد الحركة الوطنية فى ١٩٤٦، ولعبت دورا قذرا فى حرف الأنظار عن الكفاح ضد الاستعمار بحجة الحرب فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، كما أيد المرشد العام حسن الهضيبى الملك فاروق وهو فى أكثر مراحل حياته فسادا وتآمرا ضـد مصـالح البلاد ، لكل ذلك كان الاصطدام بين حركة الضباط وبين الإخوان فى صـالح تـدعيم الاتجاه الوطنى لدى الحركة وقد أيدنا ذلك الاتجاه داخل السجن - وكما سبق أن شرحت لم يكن هناك أى اتصال بيننا وبين قيادة م. ش. م فى تلك الفترة .

ومع ذلك فقد كان من الواضح تماما لدينا وقتها افتعال المعركة بـين الحركـة وبين الإخوان . وقد أثبتت وقائع محاكمة عبد اللطيف - ولا أذكر الآن اسمه بالكامل - كما عرفناها من متابعة الصحف فى حينه الآتى :

فقد رتب هنداوى دوير قيام عبد اللطيف باغتيال جمال عبد الناصر أثناء إلقـاء

خطابه فى ميدان المنشية وسلمه المسدس الذى سيرتكب به الجريمة ثم توجه إلى قريته بالمنيا حيث ترك زوجته وطفله لدى العائلة وعاد إلى القاهرة لمتابعة الأحداث ، ولكـن عضوا آخر فى الخلية جرى إلى قيادة الإخوان ليبلغ بأن جريمة تدبر طالبـا منعهـا ، وكان الشيخ عبد الرحمن البنا شقيق حسن البنا وعضو مكتب الإرشاد يقود جناحا مـن الإخوان لازال وثيق الصلة بحركة الضباط وهكذا فإن جمال عبد الناصر كان يعلم وهو يلقى خطابه فى ميدان المنشية أن محاولة ستجرى لاغتياله وبالتأكيد قد اتخذ ما يلزم من الاحتياط ، وكانت تلك المحاولة هى الحجة التى استند اليها جمال عبد الناصر لضـرب حركة الإخوان وإعدام ستة من قيادات الجناح العسكرى فيها .

وعلى الرغم من تأييدنا لضرب حركة الإخوان فى ذلك إلا أننا اعتبرناه مجرد صراع على السلطة بين جناحين من الطبقة الحاكمة وإن كنا طبعا لم نؤيـد اسـتخدام التعذيب ضد الاخوان .

ولم أصحح موقفى من حركة الضباط الاحرار وثورة ٢٣ يوليو إلا بعد قـرار تأميم قناة السويس وما تبعه من العدوان الثلاثى والصمود البطولى لجمال عبد الناصر .

المراحل التى فصلناها أعلاه انعكست على التنظيمات السياسية لحركة الضباط . فبعد إلغاء الأحزاب قرروا ملء الفراغ السياسى بإنشاء هيئة التحرير وقد أخذت شكل الحزب الواحد وكانت تنظيما على غرار التنظيمات الهتلرية . وبعد الانتصـار علـى العدوان الثلاثى حولوها إلى الاتحاد القومى ومع ذلك فقد اتخذوا مثـالا لهـذا الاتحـاد تنظيم سالازار الفاشى فى البرتغال .

وحيث أن هذه المرحلة كانت مرحلة الاستقلال الذى بالكاد قد تدعم فقد تميزت بسياسة اللعب على الحبل :

فمع الاعتماد على مساعدات الاتحاد السوفيتى وعلى الأخص السلاح السوفيتى إلا أن الأمل فى صداقة وتعاون أمريكا كان لا زال قويا.

وبعد مؤتمر القوى الوطنية وإقرار الميثاق - وكان العداء الأمريكى للنظام قـد أصبح شيئا واضحا واتخذ أشكالا صريحة مثل وقف المعونـات وبـالأخص محاولـة تجويع الشعب بوقف شحنات القمح التى كانت البلاد قد أصبحت تعتمد عليهـا بشـكل أساسى - تحول التنظيم إلى "الاتحاد الاشتراكى" الذى كانت لوائحه تتشبه إلـى حـد كبير بلوائح الأحزاب الشيوعية فى بلاد الكتلة الشـرقية بكـل مـا تعبـر عنـه مـن

بيروقراطية.

واستنادا إلى التحليل أعلاه كان موقفي وموقف رفاقي في السـجن مـن هيئـة التحرير هو العداء المطلق.

أما بالنسبة للاتحاد القومي في ١٩٥٧ - وكنت وقتها عضـوا فـي الحـزب الشيوعي المتحد - فقد كان الموقف منه هو الدخول معه في منافسة لكسـب جمـاهير الشعب وحدث هذا في انتخابات مجلس الأمة في ١٩٥٧ وإن كانت النتائج هزيلة. كانت انتخابات مجلس الأمة في ١٩٥٧ هي التطور المنطقي بعـد انتصـار الشـعب علـى المؤامرة الاستعمارية بالعدوان الثلاثي فقد أعلن جمال عبد الناصر في خطابه بالأزهر في مارس ١٩٥٧ أنه قد تعلم من الشعب القائد . وكانت تلك لهجة جديدة في النظر إلى دور الشعب وقد تعلم عبد الناصر فعلا أنه ما كان ليكسب تلك المعركة لـولا صـمود الشعب ووقوفه إلى جانبه صفا واحدا في حين اتخذ بعض رفاقه فـي القيـادة مواقـف متخاذلة ، واتخذت قيادات الأحزاب القديمة مواقف انهزامية بل واستسلامية .

وبناء على هذا الدرس تراجعت حركة الضباط عن قدر من عـدائها الأصـيل للديمقراطية وسلموا بحق الشعب في اختيار من يمثلونه ويحاسبون الحكام أي باختصار حقه في حكم نفسه طبقا للمعايير البورجوازية .

وطبعا كانت هذه خطوة إلى الأمام على طريق الديمقراطيـة وأيـدها الحـزب الشيوعي المتحد وخاض المعركة الانتخابية ونجح شيوعي واحد ولأول مرة في دخول مجلس الأمة وهو الدكتور فائق فريد . واشتركت أنا في المعركة بتأييد الـدكتور عبـد العظيم أنيس في دائرة الوايلي .

وتطبيقا لهذه السياسة طلب حزب ٨ يناير بعد تكوينه الانضمام إلـى الاتحـاد القومي ولكن على شكل مجموعة متميزة داخل التنظيم. وجاء الرد برفض هذا الطلب وكان الشرط لقبولنا داخل التنظيم هو حل الحزب والدخول كأفراد. وعندما أبلغ محمود أمين العالم المفوض من الحزب أنور السادات ممثل الحكومة رفض الحزب لهذا الشرط كان الرد : حسنا جدا ستقوم نحن بتحقيق شعاراتكم وبذلك نسحب البساط مـن تحـت أقدامكم!

وهذا هو ما حدث فعلا : فالبورجوازية التي تدعم موقفها بالتفاف الشعب بجميع فئاته حولها أثناء أزمة العدوان الثلاثي قررت أن تستأثر وحدها بمكاسـب الانتصـار

وبدأت فى بناء اقتصادها داخل سوقها التى استقلت بها بعد طرد الانجليز والفرنسـيين والبلجيكيين منها. وبعد بضعه شهور من رفضها التعاون مع الحزب الشـيوعى ألقـت بالمئات من قيادات الشيوعيين داخل السجون والمعتقلات وعذبتهم وقتلت منهم حـوالى عشرة من خيرة المناضلين وذلك حتى تخلو لها الساحة السياسية.

والعجيب أنه بعد خمس سنوات من الصمود لسياسة البطش والارهارب داخـل السجون، وعندما أفرج عن الشيوعيين فى ١٩٦٤ وكانت البورجوازية قد اكتشـفت أن القوة التى تسندها فى سياسة بناء الاقتصاد المستقل هى الاتحاد السوفيتى وبدأت بنـاء على ذلك ترتدى مسوح الاشتراكية وسمت تنظيمها السياسى " الاتحـاد الاشـتراكى " تحول موقف " قيادة " الحزب الشيوعى إلى الاستسلام للبورجوازية و اتخـذت قـرارا بحل الحزب . ولم يؤخذ رأيى عند التصويت على هذا القرار المصـيرى فقـد كنـت مهمشا مثل كثيرين غيرى كانت " القيادة " تشك فى أنهم لن يوافقوا على قرار الانتحار! وبعد الحل اختير بعض المرضى عنهم لدخول التنظيم الطليعى لجمال عبد الناصر كما عين بعض أفراد القيادة والقريبين منهم فى بعض المراكز الهامة ووصل بعضهم إلـى الوزارة - ولكن كمجرد " ديكور " قبل حرب العبور - فى حين عـانى المئـات مـن المناضلين من زعماء الحزب وخاصة من العمال المهانة وهم يسعون إلـى ايجـاد أى عمل يتعيشون منه هم وأطفالهم .

ومع أن موقفى كان ولازال هو أن قرار "حل الحزب " كان خيانـة لمصـالح الطبقة العاملة والشعب المصرى الا أنى أرى أن القرار ربما كـان القـرار الوحيـد " الأمين " لتلك القيادة فقد كان اعترافا منها بأنها غير جديرة بقيـادة الطبقـة العاملـة و الشعب المصرى وهو الواقع الذى حاولت اخفاءه طويلا !!!!

كان الانتصار الذى حققه الشعب المصرى بقيادة جمال عبد الناصـر بهزيمـة العدوان الثلاثى سياسيا وانسحاب القوات الاستعمارية الغازية من منطقة القناة ثم مـن سيناء دافعا قويا لانطلاق حركة التحرر العربى والقومية العربيـة فجـاءت حكومـة النابلسى فى الأردن كنتيجة للمد الثورى الشعبى الكبير (وكان أساسه الوجود الكبيـر للفلسطينيين بعد ضم الضفة الغربية إلى الأردن) . وتلت ذلك الوحـدة بـين مصـر وسوريا استمرارا لنفس الفورة الوطنية وتلتها ثورة العراق فى يوليو ١٩٥٨ .

وقد حاول الأمريكان وقف المد بالمنطقة بإنزال قواتهم فى لبنان بتواطؤ كميـل

شمعون ولكنهم اضطروا للانسحاب تحت ضغط المد الشعبى .

واكتسب جمال عبد الناصر مركز البطل القومى الكبير ولكنه اسـتغل شـعبيته الكبيرة ليفرض النظام الدكتاتورى المصرى على الشعب السورى . فقد فرض الوحـدة الاندماجية مستغلا خوف حزب البعث الحاكم فى سوريا من جماهير الشعب السـورى فقبلوا الوحدة الاندماجية بدلا من الوحدة الفيدرالية التى نادى بها الشـيوعيون وبـذلك خضع الشعب السورى للنظام الديكتاتورى المصرى بدلا مـن النظـام الأقـرب إلـى الديمقراطية والذى كان سائدا فى سوريا .

وعندما قامت ثورة عبد الكريم قاسم فى العراق أيدها النظام المصرى ولكن بعد شهر عسل قصير انقلب ضدها لأنها كانت نتيجة حركة شعبية حقيقية وكانـت تحتـرم دور الشيوعيين وتفسح لهم مكانا داخل أجهزتها. ولذلك رفض عبد الناصـر الوحـدة الفيدرالية التى اقترحها عبد الكريم قاسم وأيد المؤامرات التى أسقطته و أتت بعبد السلام عارف .

وقبل ذلك أيد عبد الناصر ثورة اليمن و أرسل قوات مصر المسلحة لحمايتهـا ضد مؤامرت السعودية والاستعمار . ولكن بدلا من ترك الشعب اليمنى يحل مشـاكله بنفسه بشكل ديمقراطى انغمس فى مستنقع الخلافات القبلية بين فئات الطبقـة الحاكمـة اليمنية مما كلف قواتنا المسلحة خسائر كبيرة فى الأرواح والأموال فضلا عن تحويـل العديد من الضباط بل و الجنود إلى تجار هدفهم الأول هو التربح مـن التجـارة فـى الأجهزة الكهربائية وغيرها من السلع غير المتوفرة فى مصر و ساهم هذا فى تـدهور الجيش المصرى وكان من ضمن العوامل التى قادت إلى هزيمة ١٩٦٧ المخزية .

وكان موقف الحزب الشيوعى المتحد ، ثم حزب ٨ يناير ، هو تأييد الوحدة فى سوريا ثم مع العراق على أن تكون فيدرالية لا اندماجية تمسكا بخصائص كـل شـعب وتعبيرا عن اختلاف مراحل التطور الاقتصادى لكل منها، وأيضا للحيلولة دون فرض الأوضاع المتخلفة ديمقراطيا فى مصر على بقية الشعوب الراغبة فى الوحدة.

وكان هذا موقفى من قضية الوحدة وعن اقتناع .

* * *

اعتقد أن السبب الرئيسى للطابع الانقسامى للحركة الشيوعية المصرية - وقـد أصبح الطابع المسيطر بصفة خاصة خلال المرحلة من ١٩٣٨إلى ١٩٦٥ أكثـر مـن

المرحلة السابقة عليها - هو الأصول الطبقية للقادة الشيوعيين طوال المرحلة ، فقد كانوا جميعا من أصول بورجوازية وخاصة بورجوازية صغيرة . ولعل هذه الطبقة هى أسوأ طبقات المجتمع الرأسمالى فعلى الرغم من فقرها وقربها من البروليتاريا طبقيا واجتماعيا ، الا أن تطلعاتها للنمو والظهور قوية جدا ، ولو أقفلت أمامها أبواب الارتقاء الطبقى والثراء فلا مانع من تعويض ذلك بالبروز بالزعامة والقيادة .

ولعل ظرفا تاريخيا خاصا بمصر كان له أثر كبير فى ظهور الأفكار الاشتراكية الأولى هو أن هذه الأفكار انتقلت إلى البلاد أولا على يد مثقفين أجانب. بل ان أول اضراب حدث فى مصر قام به بحارة انجليز رفضوا الابحار من الاسكندرية قبل تقاضى رواتبهم المتأخرة، وبعد ذلك بعدة سنوات عندما حدث الإضراب الشهير لعمال السجاير عام ١٨٩٦ تم ذلك تحت قيادة عمال أجانب من الأرمن واليونانيين . وحتى الحزب الشيوعى الأول الذى أسس فى ١٩٢٢ كان يضم فى صفوفه عناصر أجنبية لعلها كانت من قياداته وإن لم يحتفظ لنا التاريخ بالكثير عنهم. ولدينا على الأقل ما يثبت أن مندوب الحزب إلى مؤتمر الكومنترن عام ١٩٢٧ كانت سيدة اسمها " روزنتال " وكان زوجها عضوا فى قيادة الحزب الشيوعى الأول وهما يهوديان.

وحيث أن المثقفين الأجانب كانوا هم الذين نقلوا الأفكار الاشتراكية إلى مصر فقد كان من الطبيعى أن تنتقل هذه الأفكار منهم أولا إلى المثقفين المصريين وهؤلاء كانوا بالضرورة بورجوازيين كبارا أو صغارا.

وحتى عندما جاءت هذه الأفكار إلى مثقفين مصريين من أوروبا مباشرة تم ذلك عن طريق الزعيم محمد فريد الذى اتصل بالأحزاب الاشتراكية الأوربية وتأثر بها وتعاون معها ولكنه لم يعد إلى مصر التى كان قد غادرها تحت ضغط الاضطهاد الاستعمارى إلا بعد وفاته فى المنفى .

وهكذا نشأت الحركة الشيوعية فى مصر على أيدى بورجوازيين أجانب ومصريين بعضهم كانوا كبارا ولكن أغلبهم ينتمون إلى البورجوازية الصغيرة . وعندما بدأت الطبقة العاملة المصرية فى النمو مع ازدهار الصناعة بعد فرض الحماية الجمركية لأول مرة فى أوائل الثلاثينيات وبصفة خاصة خلال الحرب العالمية الثانية بسبب تعذر الاستيراد بدأ المثقفون الشيوعيون فى تجنيد بعض العناصر العمالية . ومع الأسف لعب حب الزعامة لدى العديد من القيادات الشيوعية أجنبية ومصرية دورا سيئا

عند اختيار المجندين من العمال، فلم يكن الهدف الأساسى هو اختيار أحسـن عناصـر الطبقة العاملة وأكثرها نضالية ، بل كان أقرب إلى اتخاذ " ديكور " ماركسى بـل لقـد لجأت بعض القيادات إلى " برجزة" العناصر العمالية وبالتالى إفسادها لضمان تبعيتهـا للقيادة مقابل بعض المكاسب المادية والاحترام المظهرى .

وركزت قيادات أخرى على تجنيد القياديين النقابيين وهؤلاء على الـرغم مـن نضاليتهم العالية الا أنهم ليسوا بالضرورة أحسن العناصر سياسيا ولا أكثرها وعيـا . وحتى مع هؤلاء لم تعن بعض القيادات كثيرا برفع وعـيهم السياسـى وإنمـا اكتفـت بالتباهى بهم فى بعض المعارك العمالية من باب " الوجاهة الماركسية "، وإلى جانـب هذا العامل الأساسى يجب ألا نغفل عاملا آخر كان له دور فى الأوضاع الصعبة التـى عانت منها الحركة الشيوعية المصرية وخاصة ظاهرة عدم التواصـل والاسـتمرارية وهذا العامل هو عنف وضراوة البورجوازية المصرية فى عدائها للشيوعية وهى صفة تعلمتها من الاستعمار البريطانى. ويجب أن ننوه هنا بأن من قضـى علـى الحـزب الشيوعى الأول عام ١٩٢٤ كان الوفد بقيادة سعد زغلول وهو البطل الوطنى الذى كان الشعب مستعدا للسير وراءه إلى أى مكان . ولا ننسى هنا أن الكـومنترن لعـب دورا سلبيا فى تحديد موقف الحزب الشيوعى من الوفد حيث كان التوجيه باعتبار الوفد عدوا طبقيا، فى تطبيق بيروقراطى لقواعد الاستراتيجية والتكتيك فـى البلـدان الرأسـمالية المتقدمة على بلد فيه البروليتاريا لا زالت فى مرحلة جنينية حيث تسعون بالمائة مـن الجماهير الشعبية من الفلاحين الذين يتبعون قيادة البورجوازية التى لم تنجـز ثورتهـا الوطنية بعد .

وليست صدفة أن من استطاع القضاء على الحزب الشيوعى المصـرى فـى ١٩٦٥ كان البطل الوطنى جمال عبد الناصر والذى لجأ إلى كل الوسائل بدءا بالضرب والتعذيب حتى الموت إلى الإغراء والترغيب والتضليل مرورا بشراء البعض واللعـب على غرور البعض الآخر وحب الظهور والزعامة لديهم .

وعلى الرغم من بعض الصحوات ضد التركيز الطبقـى علـى البورجوازيـة الصغيرة والذى اتخذ شكله الأكثر صراحة فى خط القوات الوطنية الديمقراطية لحـدتو فإنه من المؤسف أن القيادات التى ثارت ضد هذا الخط وضعت كهدف أساسى ومباشر التوجه إلى الطبقة العاملة وإليها فقط (مثال : م.ش.م.) ، اتخذت هى نفسـها التوجـه

الانقسامي ذاته وبنفس الدافع وهو التمسك بالزعامة مثل كل العناصر البورجوازية الصغيرة التى كانت تنقدها بضراوة!!

أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥ كان لها سببان رئيسيان:

الأول : سيطرة البورجوازية الصغيرة على قيادة الحركة واصرارها على تهميش دور الطبقة العاملة أحيانا صراحة ودائما بشكل ضمنى . وترتب على ذلك : التركيز على التجنيد من صفوف البورجوازية الصغيرة ولذلك أثره الكبير فى تفشى الحلقية والانقسامية وهى التعبير الواضح عن حب الزعامة الصفة المميزة للبورجوازية الصغيرة .

الثانى : ضراوة مقاومة البورجوازية الحاكمة سواء قبل أو بعد يوليو ١٩٥٢ لأى تنظيم لصفوف الطبقة العاملة وبالتالى عداؤها الذى لا يلين للشيوعية والشيوعيين وذلك ضمن العداء للديمقراطية بشكل عام . ولم تتخل البورجوازية عن كراهيتها للشيوعيين حتى عندما كانت مدينة للبلدان الشيوعية بكل انجازاتها فى المجالين الوطنى والاقتصادى وكان الشيوعيون المصريون أكثر فئات الشعب ثباتا فى تأييدهم فى تحقيق تلك الإنجازات!

كان الموقف الدائم للشيوعيين فى كل البلدان ومن ضمنهم الشيوعيون المصريون - وأنا مثلهم- هو التأييد المطلق لكل مواقف الحزب الشيوعى السوفيتى بوصفه حزب لينين وستالين الذى قاد بنجاح أول ثورة اشتراكية فى العالم، وهو الذى تحمل العبء الأكبر فى تحطيم الجناح الألمانى - الايطالى - اليابانى من الامبريالية العالمية، ومد يد العون لثورة الصين العظيمة وكل الثورات التحريرية للشعوب المستعمرة، وهو الذى بنى اقتصادا قويا مزدهرا فى بلد كان من أكثر البلدان الأوربية تخلفا قبل ثورة ١٩١٧ فأصبح - بعد حربين مدمرتين- ثانى أقوى اقتصاد في العالم.

ولهذه الأسباب كان لدى جميع شيوعيى العالم استعداد للتغاضى عن بعض الأخطاء - التى كنا نعتبرها غير جوهرية ! - مثل غياب الديمقراطية وسيطرة البيروقراطية (النومنكلاتورا). ومع الأسف فهذه الأخطاء هى نفسها التى أدت فى النهاية إلى فقدان الشعوب السوفيتية لثقتها فى الحزب القائد ووقوعها فى براثن الديماجوجيين من أمثال يلتسين الذى تحالف مع المافيا (الرأسمالية المستترة فى رحم المجتمع السوفيتى) والتى توحشت بعد انهيار الحزب الشيوعى والدولة السوفيتية.

وعندما ظهر الخلاف مع تيتو كان من الطبيعى أن نؤيد جميعا الموقف الصلب ضد "عصابة تيتو - رانكوفتش"! وعندما اصطدم السوفييت مع حكومة امرى ناجى فى المجر كان طبيعيا كذلك أن نؤيد تدخل الجيوش السوفيتية لسحق هذه الحكومة واقامـة حكومة "متعاونة" برئاسة راكوزى! ولا أذكر أن نقاشا ثار حول هذه الأحداث داخل أى من التنظيمات الشيوعية وقتها .

وحدث نفس الشئ عندما اصطدم ماوتسى تونج مع القادة السوفيت بعد كشـفهم لعبادة الفرد وجرائم ستالين فقد كان ذلك موقفا داعيا للأسف لأنه يخدم أعداء الاشتراكية والاستعمار الا أن أحدا لم يدن أيا من الطرفين .

وأذكر أنى عندما قرأت بعض المطبوعات الصينية بشأن الخلافات بين الحزبين - وكان ذلك أواخر عام ١٩٥٨- لم أقتنع على الاطلاق بوجهة النظر الصـينية مـن الناحية السياسية وإن كنت آخذ على الحزب السوفيتى أسلوبه فى معالجة الأزمة واتخاذ مواقف يمليها الصراع على الزعامة بين قادة الحزبين وليس على أسس مبدئية حقيقية .

وبالمثل أيدت غزو تشيكوسلوفاكيا فى ١٩٦٨ باعتباره كـان تأييـدا لجماعـة حزبية ضد جماعة أخرى تريد فتح الطريق للتدخلات الاستعمارية . وقد دهشت وقتها بشدة عندما قابلت بعد الأحداث مباشرة بعض العاملين في المكتب التجـاري التشـيكى بالقاهرة وعبروا بصراحة عن موقف معاد للتدخل السوفيتى.

ومن يدرى فربما لو كانت الهبات الشعبية التى قامت فى جميع بلدان أوروبـا الشرقية قد نجحت فى إقامة أنظمة ديمقراطية حقيقية ذات توجه اشتراكى لكان ذلك قـد ساعد على تطور الوضع فى الاتحاد السوفيتى فى اتجاه مماثل ومنع الانهيار المخـزى الذى حدث فيما بعد!

ومع ذلك فعندما تم غزو أفغانستان عام ١٩٧٩ شعرت فورا بغضـب شـديد للافتعال الواضح لتبريرهم للغزو وكان درس فيتنام كفيلا بتنبيه السوفيت ألا يرتكبـوا ذلك الخطأ . ولم تكن صدفة أنه على الرغم من انسحاب السوفيت من أفغانستان بعـد عشر سنوات فإن الجمود السياسى والركود الاقتصادى والتخلف التكنولوجى (فى كـل مجال فيما عدا الصناعات الحربية وما ارتبط بها مثل غزو الفضاء) قد أدت جميعهـا إلى انهيار الاتحاد السوفيتى فى ١٩٩٢ أى بعد أقل من ثلاث سنوات من الانسحاب .

أما بالنسبة للموقف السوفيتى من حركات تحرر شعوب العالم الثالث فقد بـادر

الاتحاد السوفيتى دائما إلى الوقوف فى صف حركات التحرر فى جميع بلـدان العـالم الثالث . ونبع ذلك من موقفه المبدئى المعادى للامبريالية ومن الافتراض الصحيح بأن تأييد أى بورجوازية حاكمة حتى لو كانت وثيقة الصلة بالاسـتعمار (كاثيوبيـا مـثلا) سيساعدها - ما دامت قد طلبت المساعدة - على التحـرر ولـو قلـيلا مـن قبضـة الاستعمار.

ومع ذلك فهذا الموقف المبدئى السليم صاحبه فى التطبيق العديد من الأخطـاء التى نبعت أساسا من أن الحزب أصبح مكونا من مجموعة من البيروقـراطيين الـذين فقدوا الارتباط الحق بالنظرية الثورية ووضعوا لأنفسهم قوالـب جامـدة لكـل أنـواع السياسات يتمسكون بالسير عليها حتى لو تبين خطؤهم عشرات المرات! وأبسط مثـال على ذلك هو نظرية الطريق الثالث للاشتراكية : فقد افترضوا أنه فى ظروف عالم مـا بعد الحرب العالمية الثانية وتعاظم قوة المعسكر الاشتراكى ووقوفه ندا للاستعمار يمكن لبورجوازيات العالم الثالث أن تقود شعوبها لبنـاء الاشـتراكية دون اشـتراط قيـادة البروليتاريا ، فماذا كانت النتيجة ؟

طبقوا هذه النظرية على عشرات البلدان مثل مصـر وغانـا ومـالى وغينيـا والجزائر وسوريا ... الخ ولم تبن واحدة منها الاشتراكية على الرغم مما أغدقه عليهـا الاتحاد السوفيتى من معونات وقروض لا وجه لمقارنتها بشروط الـدول الاسـتعمارية وأثرت بالسلب على مستوى الشعوب السوفيتية مما ساهم فى تململ تلك الشعوب بسبب الفارق الكبير بين مستوى معيشتها ومستوى معيشة شعوب البلدان الغربية وكان هـذا سببا آخر لفقدان الثقة فى "الحزب القائد" أضيف للأسباب الداخلية للانهيار.

ولو أخذنا مصر مثلا فقد أعطانا الاتحاد السوفيتى السلاح الذى نرد به عـدوان اسرائيل بثمن لا يتجاوز ربع أثمان المثيل الغربى (وعلى سبيل المثـال كـان ثمـن الطائرة ميج ١٥ عام ١٩٥٧ ثمانية آلاف جنيه فى حين كنا نشترى الميتيور البريطانية بثلاثة وثلاثين ألفا مع تفوق الأولى بشكل كبير) وفقدنا هذا السلاح فى ميدان المعركة ثلاث مرات وفى كل مرة يشطب الاتحاد السوفيتى الدين ويزودنا بالسلاح البديل !

وماذا كان رد فعل البورجوازية الحاكمة ؟لقد كان عبد الحكـيم عـامر يوجـه للضباط منشورات سرية يهاجم فيها السوفيت والشيوعية ويحذر الضباط من الثقة فيهم وذلك فى فترات التعاون الكامل فى الخمسينيات والستينيات عندما كان الاتحاد السوفيتى

يساعدنا فى بناء السد العالى ومجمع الحديد والصلب ومجمع الألومنيوم... الخ وعندما أرسلنا كبار الضباط إلى الأكاديمية العسكرية فى لنينجراد لاستكمال مهاراتهم العسكرية كان كل همهم التربح من التجارة وتحدى مدير الأكاديمية بخرق النظام والتفاخر بأنه لم يكن يجرؤ على محاسبتهم لأن التعليمات كانت تصله من قيادته العليا بالتغاضـى عـن الأخطاء. وعندما قامت حرب عام ١٩٦٧ هزم هؤلاء الضباط العظام شر هزيمة !!

ومثال آخر على التعامل مع البورجوازيات الحاكمة : فعندما زار خروشـوف مالى وجه الخطاب إلى "الرفيق" موديبو كيتا مع أن هذا " الرفيق" هو من سلالة ملـوك مالى الذين استعبدوا شعبها لمئات السنين وكل ما أهله للقب "الرفيق" هـو أنـه كـان يستخدم الرطانة الاشتراكية !

ومن بين حوالى عشرين بلدا تصور السوفيت بين وقـت وآخـر أنهـا تبنـى الاشتراكية تحت قيادة بورجوازيتها لم يسر فى هذا الطريق فعلا إلا بلد واحد هو كوبا تحت قيادة كاسترو وذلك بسبب ظرف خاص جدا هو وقوع ذلك البلـد علـى مرمـى المدافع من الاستعمار الأمريكى وكان الاختيار الوحيد له إما الاعتمـاد الكامـل علـى الاتحاد السوفيتى أو الوقوع فى مخالب الاستعمار الأمريكى .

مثال آخر على فشل الحزب الشيوعى السـوفيتى بسـبب سـيطرة العناصـر البيروقراطية عليه هو الموقف من اليهود السوفيت : لقد فشل مطلقا فى استقطابهم مما دفعهم إلى قبول الاغراءات الاستعمارية والهجرة بمئات الآلاف إلى أمريكا بـل إلـى اسرائيل. إن تصور أن جماعة من الناس عاشت فى مجتمع يبنـى الاشـتراكية لمـدة سبعين عاما واشتركت فى حروب وطنية وفى بناء المجتمع الاشتراكى الخ، وبعد كـل ذلك تقبل دعاية الغرب عن جنة أمريكا بل حتى عن جنة اسرائيل أمر غير معقـول الا بتفسير واحد هو أن ما كان يبنى هناك لم يكن اشتراكية بأى شكل من الأشكال !

ولعل تفسيرا - جزئيا - لهذا الفشل الذريع يكمن فى الستالينية وما أدت اليـه من تخريب للحزب الشيوعى. لقد ثبت بشكل موثق أن محاكمات الثلاثينيات قد قضـت على حوالى ثلاثة ملايين من خيرة أعضاء الحزب الشيوعى السوفيتى الـذين ناضـلوا تحت راية لينين وبنوا الاتحاد السوفيتى بتضحياتهم ودمائهم، ولكن لأنهم كانوا يؤمنون بأن هناك ديمقراطية داخل الحزب اصطدموا بالقيـادة وصـفوا واحـدا بعـد الآخـر باعتبارهم أعداء للحزب (ويجب هنا أن نؤكد أن مبدأ المركزيـة الديمقراطيـة الـذى

وضعه لينين ليس ديمقراطيا على الاطلاق وأن اعماله تحت قيادة طاغية مثل ستالين كان لابد أن يؤدى إلى الاصطدام بكل من جرؤ على إبداء رأى مخالف) ولقد بلغ من ثقة هؤلاء الرفاق بالقيادة أن الكثيرين منهم اعترفوا فعلا بأن مواقفهم كانت معادية للحزب الشيوعى بعد أن أقنعهم المحققون بأنهم باعترافهم هذا إنما يخدمون الحزب!

والنتيجة أن اختفى المناضلون الحقيقيون من الحزب بتصفية أغلب العناصر القديمة الثورية وخلق جو غير مريح داخله منع الشرفاء من الانضمام اليه ولم يستمر داخله إلا البيروقراطيين الخاضعين والمتسلقين والذين مع الوقت أصبحوا طبقة متسلطة مستغلة ومستفيدة من النظام بل ومعادية لجماهير الشعب . ولم يلبث الكثيرون من أعضاء الحزب أن تحالفوا مع المافيا التى ظهرت واستشرت خلال الأربعين سنة الأخيرة من النظام السوفيتى وهؤلاء وأولئك هم الذين يتقاتلون اليوم على استغلال الشعوب السوفيتية .

وحتى بعد قيام خروشوف بنقد عبادة الفرد وكشف جرائم الستالينية وتصحيح الكثير من الأوضاع الخاطئة الا أن سيطرة البيروقراطيين على الحزب قد منعت أى تحسن حقيقى للأوضاع إلى حد أنهم تآمروا على خروشوف وأقصوه عن القيادة .

ولم يعد الحزب لم يعد مكانا للمناضلين الثوريين ولا المنظرين الخلاقين وساد الركود الفكرى داخل الحزب بل فى الاتحاد السوفيتى كله . وبدأ المئات من العلماء والمفكرين والفنانين المبدعين يهربون من الجو الخانق الذى يعيشون فيه ويعطون الغرب بذلك حججا جديدة يهاجم بها الاشتراكية ونظامها .

وبدلا من سيادة العلم فى وطن الاشتراكية وجدنا نظريات " علمية مزيفة" يروج لها مثل فضيحة نظريات ليسنكو ونظرية "الطريق غير الرأسمالى للاشتراكية" وغيرها التى وضعها "منظرون" غير مستعدين لدراسة الظواهر بعمق ومع ذلك يخرجون "بنظريات" لا تخرج عن كونها فرضيات تتمشى مع ما يعتقدون أنه تطبيق للماركسية كما يفهمها المسئولون بالحزب وترضى وجهات نظرهم .

ولن أسترسل فى سرد الوقائع الدالة على الانهيار الذى أدت إليه سيطرة البيروقراطية على الحزب ولعل أبلغ تعبير عن ذلك هى صورة نشرتها مجلة سبوتنيك فى أواخر الثمانينيات. فقد عبرت المجلة عن عهد بريجنيف بصورة لكرسى الرئاسة وقد جلست عليه بدلة محلاة بعشرات الأوسمة و النياشين وليس بداخلها أحد على

الاطلاق بمعنى أن الكرسى أو الوظيفة هو الذى يحكم وليس مهما الشـخص الجـالس فوقه وهذه قمة الأوضاع البيروقراطية !

أود هنا أن أنوه عن أحد الرفاق الذين استشهدوا فى أوردى ليمان أبى زعبـل أثناء "الاحتفال" باستقبالنا بالأوردى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥٩ كان الرفيق الدكتور فريـد حداد حيث تلقى ضمن "العلقة " التى استقبلنا بها ذلك اليوم ضربة "شومة" على الـرأس من الضابط يونس مرعى أدت، فيما اعتقد ، إلى كسر بقاع الجمجمة وقـد أمكنـه أن يلبس ملابسه ويصل معنا إلى الزنزانة وبعدها ببضع دقائق وجدناه قد مات . ودعونـا السجانة وابلغناهم بأنه مغمى عليه فقد خشينا أن يعرفوا أننا قد عرفنا بموتـه حتـى لا يفكروا فى اغتيالنا نحن أيضا لتغطية جريمتهم. وتبين أن تفكيرنا كان ساذجا فالمسئولين لم يهتموا كثيرا بمعرفتنا نحن بجريمتهم بل ربما كانوا مهتمين بأن نعرف نحن مستوى الإجرام فى المعاملة الذى ينتوون الوصول اليه طالما لم يعرف الرأى العام الحقيقة !

وكان الدكتور فريد حداد مرشحا مع أحد رفاقى فى أول خلية مثقفين انضممت اليها فى منظمة اسكرا فى ١٩٤٧ ولكنى لم أتابع تطوره الحركى بعد ذلك فيمـا عـدا دوره الإنسانى كطبيب سواء بالنسبة للرفاق أو بصفة عامة. وأعتقد أنه لم ينل حقه فى الذكرى، ويمكن سؤال الدكتور شريف حتاته الذى كان المسئول عنه فى ١٩٤٧ عـن تاريخه الحركى .

شهادة

محمد عبد الواحد

الاســـــــــم : محمد الشحات محمد أحمد عبد الواحد والشهرة محمد عبد الواحد
تاريخ ومحل الميلاد : ١٩٢٧/٤/١٢ ميت خاقان - مركز شبين الكوم - منوفية
درجة التعـلـيـم : اتمام مرحلة التعليم الأولى
صـنـاعـة الوالـد : تاجر خردوات قطاعى صغير
أول عمل قمت بـه : فى مصنع تريكو مع ابراهيم السمالوطى ثم تعلمـت النسـيج الميكانيكى فى شركة الفيوم للنسيج بدار السلام حوالى ١٩٤٧ ثم تنقلت فى عـدد مـن مصانع النسيج الميكانيكى الصغير إلى أن استقريت فى مصنع شاكر الحسـينى الـذى قابلت فيه عددا من النقابيين القدامى مثل نجاتى عبد المجيد وأحمد الصـباغ وتعرفـت على لطفى عبد الرحمن ومحمد عبد الجواد القطان فى النقابة التى كـان مقرهـا فـى قنطرة الدكة ثم انتقلت إلى الظاهر باسم النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى بالقاهرة، وأعجبت بنشاط هؤلاء الزملاء وتمنيت أن يكون عندي الوعى والنشاط اللذان عنـدهم، وأتيحت لى الفرصة عندما قامت شركة الشرق للنسيج بامبابة بتعيين عدد كبيـر مـن العمال فى قسم الحرير فقمت بالتقدم للعمل هناك - أنا ونجاتى وأحمد الصباغ - وكان محمد المنشاوي أقدم منى فى المصنع وبدأ هو وأحمد الصباغ يعرضان على منشورات لقراءتها بهدف تجنيدى لمنظمة النواة الاشتراكية المصرية فى أوائـل الخمسـينيات - وبتوجيه منظمة النواة بدأنا نعمل على تنظيم العمال وتوحيدهم وقياده عملياتهم الكفاحية من أجل تحقيق مطالبهم، وكانت الخطوة العملية فى ذلك هى تكـوين لجنـة لمنـدوبى الصفوف وبدأنا بورديتى الحرير وانتخبت من العمال مندوب صف عن الوردية الأولى ولما تكونت اللجنة العامة للمصنع كنت أنا مندوب الوردية الأولى فى قسم الحرير فـى اللجنة العامة واذكر أنه كان معى بعض العمال، وفى تلـك الأثنـاء ظهـرت بعـض العناصر المكافئة مثل على العدل الذى كان فى تنظيم آخر ولاحظت مـن الاحتكـاك اليومى فى مشاكل العمال أن رأى على العدل أفضل لمصلحة العمال من الرأى الـذى كان يطلب منى طاهر عبد الحكيم ومن بعده لويس بقطر أن أدافع عنه، وبدأ تعـاطفى مع مواقف وفكر على العدل ومن يؤيده لأنه أصلح لمصلحة العمال، وممن كانوا مـع على العدل كان محمود علام، وبدأنا القيام بمظاهرات تخطت الكـوبرى إلـى روض الفرج وشارع شبرا وكانت الهتافات بالحركة الوطنية بجوار الهتاف بمطالب العمـال،

كان الهتاف ضد حافظ عفيفي ومن عينه، وفى سبيل المطالبة بحقوق العمال التى أهمها رفض العمل على أربعة أنوال بدلا من عملنا وقتئذ على نول واحد، وذلك بناء على طلب الشركة وكذلك زيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل وقامت وردية بالاعتصام داخل المصنع بينما توزع عمال الوردية الأخرى فجزء منهم ذهب إلى الجامعة المصرية لعرض مشكلة عمال الشرق وطلب تأييد الطلبة لهم حيث كانت الحركة الوطنية مشتعلة وكاد دخول العمال للجامعة طبيعى جدا وجزء آخر من العمال ذهب إلى المناطق العمالية الأخرى فى حلوان وشبرا الخيمة ووسط القاهرة لطلب التأييد لعمال الشرق في مطالبهم، وتطور الأمر لدرجة أن بعض العمال قد قاموا بالاعتصام فى مقر وزارة الشئون الاجتماعية وهم عدد كبير وكنا نهتف بمطالبنا ثم أرسلنا تلغراف للوزير لمقابلتنا وإجابة مطالبنا، وبناء على ذلك طلب وكيل الوزارة عدد لعرض المطالب عليه وكنت ضمن هؤلاء ولاحظ وكيل الوزارة أننى أدافع عن المطالب بحجج قوية فاستدعانى وعرفت أنه كان نائب الدائرة التى بها بلدنا وسرت إشاعة بين العمال ورجال البوليس أننى قريب وكيل الوزارة الذى استدعى عبد الحميد سليمان مفتش مكتب العمل وطلب منه بالتليفون حل المشكلة فورا، وخرجنا من مقر وزارة الشئون فى مظاهرة وركبنا التراموايات إلى امبابه ووجدنا أن عبد الحميد سليمان مفتش مكتب العمل قد سبقنا وعقد اتفاق مع على العدل الذى كان فى الوردية المعتصمة ومع الشركة، ووجدنا فى هذا الاتفاق مكاسب كبيرة لها أهمها قبول الشركة عملنا على نولين بدلا من أربعة أنوال كما كانت تطلب الشركة وكان هذا نصرا كبيرا زاد من تقوية الروح المعنوية للعمال، وبعد أن انتهت المعركة طلب المسئول الأول فى التنظيم وهو محمود أمين العالم. أن يقابلنى لكي يشكرنى على ما قمت به فى معركة عمال شركة الشرق فرفضت مقابلته وقلت للرسول الذى طلب منى ذلك أن على العدل هو الذى قام بالدور الأكبر وأنا دورى كان كأى عامل ومن تلك اللحظة بدأ التباعد بينى وبين تنظيم النواة الذى مسئوله محمود أمين العالم وبدأ تقاربى مع على العدل وزملاؤه لآرائهم الصائبة لصالح العمال، وبعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وتغيير الوزارة وجدنا أن الشركة قد حوصرت بعدد كبير من رجال البوليس تحيط بالشركة من كل جانب وقالوا أنهم حصلوا على موافقة مجلس الدولة بفصل نسبة عشرة فى المائة من العمال وفى الحقيقة أنهم عملوا كردون لمنع كل العمال المكافحين والذين كان لهم دور فى

المعركة السابق الإشارة اليها من دخول المصنع - وكنت أنا ضمن المفصولين وتشردنا ومعى ابراهيم مرسى وفتحى رفاعى ومحمود علام ونجاتى عبد المجيد وكمـال أبـو الهوى وغيرهم. وأذكر بهذه المناسبة أنه بعد الاعتداء على محافظة الاسـماعيلية مـن جانب القوات البريطانية قمنا نحن عمال مصنع الشرق وعمال مصانع أخـرى بعمـل يافطة قماش عرضها ٦ متر وعليها مكتوب شعارات وطنية ومطالـب عماليـة وفـى ميدان الاسماعيلية (التحرير الآن) تقابلنا مع مظاهرات أخرى وقام سراج الدين بقراءة اليافطة وتصورت بمعرفة الصحافة وأذيعت وقتها فى إذاعة موسكو وقد اعتدى الجنود الانجليز الذين كانوا فى قشلاق قصر النيل (مكان جامعة الدول العربية والهيلتون حاليا) وتفرقت بعد ذلك المظاهرة - توثقت صلتى بمنظمة طليعة العمال حيـث كنـت اقـرأ المطبوعات من على العدل وابراهيم مرسى حتى كان عام ١٩٥٤ قطعت صلتى نهائيا بالنواة بعد اضراب ١٩٥١ وانضممت لمنظمة طليعة العمال ودخلت فى خلية مسـئولها نبيل صبحى ثم أصبحت عضو لجنة منطقة وكنت مسئول التنظيم فى لجنـة المنطقـة وكان نبيل صبحى مسئول الدعاية ومحمد عبد المجيد أبو سيف مسئول سياسى لمنطقة شبرا الخيمة التى انضممت اليها، ومن المهم أن أذكر أننى ظللت من ١٩٥١ إلى عـام ١٩٥٤ مرشحا فقط لمنظمة طليعة العمال ورغم أننى كنت أقرأ المطبوعات وأحضـر الاجتماعات وادفع الاشتراك إلا أننى لم أحصل على العضوية الكاملة فى منظمة طليعة العمال إلا فى ١٩٥٤، واستقر بى المقام فى مصنع شاؤول بروض الفرج وكـان مـن حسن الظروف أن صاحب المصنع ومدير المصنع من العناصـر التـى لهـا أفكـار اشتراكية ولهذا تركوا لى حرية العمل الجماهيرى ليس فى داخل المصنع فقط ولكن فى نقابة الظاهر حيث كنت مندوب المصنع فى اللجنة العامة للمندوبين التى تضم ممثلـين عن مختلف عمال المصانع فى القاهرة، ولما قبض على عدد كبير من القيادات العمالية من عمال النسيج فى ١٩٥٤ مثل مصطفى محمد ومحمد عبد الجواد القطان ولطفى عبد الرحمن ونجاتى عبد المجيد وغيرهم، وجاء موعد الجمعيـة العموميـة للنقابـة وفقـد المعتقلون من أعضاء مجلس إدارة النقابة السابق وغيرهم مـن القيـادات الجماهيريـة ترشيحاتهم وهم فى المعتقل، وكان هناك اتجاه جارف لانتخابهم، وعندما لم يقبض على وكنت خارج المعتقل وقتئذ فقد ساهمت بدور بارز فى الإعداد للجمعية العمومية، وكان فى ذلك الوقت المسئول من الدولة عن نقابة الظاهر هو الضابط وفاء حجـازى الـذى

حاول أن يثنينا عن التمسك بترشيح كل من تقدم بدعوى أنه ليس من المصلحة أن يكون كل أعضاء مجلس الإدارة من الشيوعيين وقد حاولت المباحث العامة وأعوانها إفشـال الجمعية العمومية للنقابة ولكن اللجنة العامة للمندوبين مع جماهير العمال اتخـذت كـل الاحتياطات من داخل السرادق وخارجه لدرجة النجـاح الكامـل للجمعيـة العموميـة بالصورة التى أرادها العمل وانتخب فعلا كل من تقدم للترشيح لمجلـس الإدارة مـن المعتقلين.

* وعن الرأى السياسى للتنظيم والموقف من حكومة جمال عبد الناصر كـان اعتبار هذا النظام ديكتاتورى عسكرى وكنا نؤيد الخطوات السـليمة مثـل الإصـلاح الزراعى وكنا نعارض كل خطوات معادية للديمقراطية ونطالب بعمل جبهـة وطنيـة متحدة واستمر هذا الموقف حتى العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ حيث بدأ التأييـد المطلـق لنظام عبد الناصر وساد الموقف الوطنى على الموقف الطبقى.

وبالنسبة للموقف من وحدة المنظمات الشيوعية فإننا كنا نؤيد اتمام الوحدة بـين جميع المنظمات الشيوعية رغم أنه كانت لنا تحفظات على بعض الأخطاء فـى الفكـر السياسى وكذلك الأخطاء فى أسلوب العمل الجماهيرى والأهم هو الموقف من الأمـان لأننا كنا نرى أن المنظمات الأخرى مهملة فى الأمان.

وفى أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ انضممت ومعى مجموعة إلى المقاومـة الشعبية ودعينا جماهيريا للانضمام إليها وتدربنا أولا على الاسعافات الطبيـة وكـذلك التدريب على حمل السلاح وبعد انتهاء العدوان ظل التنظيم فى تغليب الاتجاه الـوطني على الطبقى وقد بدأ اتجاه فى وسط العمال للمطالبة بالعودة إلى عدم نسـيان الوضـع الطبقى ومطالب العمال مما كان له أثر في بدء تحول سياسـة التنظـيم إلـى الاتجـاه الصحيح فى وجهة نظرى وهو التوازن بين العمل الوطنى والعمل الطبقى.

بعد ضربة أول يناير ١٩٥٩ والقبض على عدد كبير مـن أعضـاء الحـزب وقياداته قمنا بنشاط كبير جدا ومكثف فى توزيع المنشورات وفـى عمـل اجتماعـات تنظيمية لإعادة هيكلة التنظيم من جديد وأذكر أن أكثر الأعضاء نشاطا فى تلك الفتـرة كان الدكتور شوقى مجاهد وعبد العال البسطاويسى وغيرهم، ونتيجة لهذا النشاط قبض على عدد كبير فى ٢٨ مارس وكانت الزميلة سيدة حسين ضمن مـن قـبض علـيهم ودخلت إلى سجن القناطر بينما ذهبت مع الزملاء إلى سجن القلعة لعدة أيام ثم رحلنـا

إلى معسكر التعذيب بالعزب بالفيوم، وقد قمنا بعدة من عمليات الاحتجاج على سوء المعاملة وكان منها الإضراب عن استلام الأكل وبدلا من تحقيق تحسين المعاملة نقلوا بعضنا إلى أوردى ليمان أبو زعبل حيث استقبلونا بالضرب بالشوم والعصى وخلعنا ملابسنا ولبسنا لبس السجن الأبيض وحلق شعرنا ثم بدأنا العمل فى الجبل لتكسير البازلت مع من كانوا قد سبقونا من المعتقلين الشيوعيين، وظللنا فى فتره التعذيب وكنت فى عنبر ٢ مع نبيل صبحى ونبيل زكى وسامي عجيب تمثل الحزب فى العنبر الذى كان يضم عدد من المنقسمين وعدد قليل من ليس لهم ارتباط بالشيوعية وبعد مقتل الشهيد شهدى عطيه ووقف التعذيب نقلونا على دفعات إلى سجن المحاريق بالوحدات الخارجة حتى تم الافراج عنى فى يوم ١٩٦٤/٣/٢٨، وبعد الإفراج عنا جميعا بدأت مناقشة قضية حل الحزب باعتبار ذلك لمصلحة الطبقة العاملة المصرية وكنت فى البداية غير موافق وهاجمت من كانوا يدعون إلى ذلك ولكن مع استمرار المناقشة خاصة عن أفراد من قيادة الحزب كنت أثق فيهم جدا اقتنعت ووافقت على حل الحزب وحضرت مؤتمر فى حلوان قمت بالتصويت فيه بالموافقة على حل الحزب.

وانتهت جلسة المناقشة التى قام بها طه سعد عثمان وبحضور حسن الساكت يوم الثلاثاء ١٩٩٧/٨/٥ فى الساعة السابعة مساء والتى بدأت من الثالثة والنصف بعد الظهر.

شهادة

ثريا حبشى

الاســــــــــــم : ثريا شاكر - الـشهيرة بـ ثريا حبشى
تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٢٧/٩/٢٣- ومولودة فى قنا
التـعـلـيـــم : متوسط- وعملـت فـى مهنـة السـكرتارية بشـركة مصـر للمستحضرات الطبية
الحالـة الاجتماعيـة: متزوجة من المهندس فوزى حبشي ولدى ثلاثة أبنـاء ممـدوح وحسام ونجوى.
السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : تسعة عشر عامًا
فترة السجن والاعتقال : من مارس ١٩٥٩ حتى ١٩٦٣، وقبل ذلك قبض علـى فـى مظاهرات مختلفة حوالى أربع مرات كنت قضيتها فى الأقسام لمدة ليله أو يوم بليلة.

وتعرفت بالفكر الماركسى عن طريق فوزى عندما خطبنى وبدأ يكلمنـى فـى هذه الموضوعات وقد كنت منبهرة بهذه الأفكار وتقبلتها بمنتهـى الرضـا والإعجـاب الشديد.

وبعد ذلك عرفني ببعض الزميلات وبدأت معهم اتعرف على أشياء كثيرة وكنا نتقابل بانتظام كل أسبوع ونتناقش فى جميع أمور السياسة والفكر والأدب ونقرأ كتـب ونلخصها.. إلخ.

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٧ قبض على فوزى وهو يوزع منشورات وحجز بالقسم ثلاثة أيام وكان هذا أول مرة يقبض عليه فيها .. وفى نوفمبر من نفس العام سـنة ٤٧ تزوجنا وبعدها بشهور قليلة قبض على لأول مرة فى مظاهرة ٢١ فبراير ٤٨ وقد كنا حوالى ٤٥ واحد وواحدة.. وذهبنا إلى القسم وكانت دهشتى شديدة بطريقة التحقيق معنا فقد بدأوا يأتون بعساكر ومخبرين يقولون أيوه أنا شفت الست دى كانت تهتف وتقـول يسقط الملك وكلام غريب آخر .. وأنا أصرخ هذا الكلام غير صحيح فيرد من فضـلك اسكتى أنت حتى يأتى دورك فى الكلام ..

المهم ظللنا فى القسم منذ الصباح حتى الساعة الثالثة صباح اليوم التـالى ثـم أفرجوا عنا .. فتصور نخرج فى هذا الفجر نبحث عن تاكسى لنعود لمنازلنا والعجيـب أنهم أفرجوا عن الستات فقط فى هذا الفجر بدون الرجال. وتصـورت سـاعتها أننـى أصبحت بطلة البطلات وعدت والفخر يملأنى وأخذت أستعيد ما سأقوله لفوزى عنـدما

أقابله فى البيت فى مثل هذه الساعة.. ولكن للأسف لم أجد فوزى بالمنزل فقـد ذهـب لينام خارج المنزل ظنا أنه ربما يقبض عليه ..

كنت أعمل فى مجلة الجماهير وأوزعها .. ونبيعها .

المحاور : كنت فى منظمة النجم الأحمر؟

أ. ثريا : لا كان لازال حدتو.. كانت اسكرا انضمت لحدتو .. أنا كنـت فـى البداية مع ايسكرا ثم انضممت للحركة المصرية.. وأنا لم يكن لى رأى فى هذا أو ذاك المهم أننى أصبحت فى حدتو وانتظمت فى خلايا واجتماعات وخلافه. وكان نشـاطي أساسا فى القسم الفنى لمعرفتى الكتابة على الآلة الكاتبة وكان على مسؤليات كبيرة فى هذا الشأن فكنت اكتب كتبًا صغيرة وليس منشورات فقط .. كنت أذهب إلى بيت أعتقد أنه فى شارع الساحة. منذ الصباح الباكر وأهل البيت يخرجوا ويغلقوا علـى بالمفتـاح وكنت أجلس فى غرفة بعيدة عن السلم حتى لا تسمع الماكينة من الخارج وكنت أظـل أكتب حتى الثامنة أو التاسعة مساء عندما يعود أهل البيت ويفرج عنى وكان هذا يحدث حتى أنهى ما على من مهام ..

وأثناء فترة اعتقال فوزى من مايو سنة ١٩٤٨ إلى فبراير سنة ١٩٥٠ .. كنت وأهالى المعتقلين نقابل الصحفيين والمسئولين والمطالبة بالإفراج عن المعتقلين وكنـت فى بعض الأحيان أيام الانتخابات أخطب في سرادقات المرشحين، فى أول الأمر كـان الموضوع صعب على وكنت فى رهبة شديدة ولكن الواحد عندما يبدأ ويحس بتجـاوب الناس معه تذهب الرهبة شوية شوية.

بعد ذلك جاءت فتره الانقسام والمجموعة التى كنت فيهـا انشـقت وأصـبحت (مشمش) فانضمت الخلية التى كنت بها بالتبعية لمشمش .. وهكذا أصـبحت أنـا فـى مشمش وفوزى كان وقتها فى تنظيم آخر وكان فى المعتقل .. فجاءت لى أيامها مسئولة التنظيم (أوديت) وقالت لى حاولى تكلمى فوزى وتجنديه فى تنظيمنـا فأخبرتهـا أنـى سأحاول ذلك وبالفعل كنت أتحدث مع فوزى فى الزيارة القصيرة أكثر الوقت فى هـذا الموضوع ولكن طبعًا لم أنجح وكانت هى بعد كل زيارة تسألنى ماذا فعلت معه و..... و.... فأقول لسه شوية إلى أن قالت لابد أن تهدديه بأنك سوف تتركيه .. لأن هـؤلاء الناس خونة.. فقلت لها لكن أنا متأكدة أن فوزى ليس خائنا .. فتقـول معـذرة يجـوز فوزى لا يكون خائنا لكن طالما أنه مصر أنه يسير مع هـؤلاء النـاس فـى النهايـة

سيخون.. ولما كنت لم أنجح فى جذب فوزى لتنظيمنا (مشمش)، ولـم أسـتطع تنفيـذ قرارات التنظيم فى ذلك فوجئت أنهم نحونى جانبا ولم يعودوا يتصلوا بى .. وهكذا بدأ الآخرون يأتون .. عرفوا أن هناك تائهة فى الطريق يمكن أخذها معهم .. وظللت فـى هذه الفترة بدون تنظيم حتى خروج فوزى من المعتقل فى فبراير سنة ١٩٥٠ ...

المحـاور: هذا على أساس بعد ذلك سيكون النجم الأحمر؟

ثـريـا : لقد تحمست بالفعل ودخلت النجم الأحمر لدرجة أنى قمت بمجهودات داخل عملي لحساب النجم الأحمر .. بصفتى كنت أعمل سكرتيرة لرئيس مجلس الادارة أيامها بشركة مصر للمستحضرات الطبية .. وكان عدلى جرجس مسئولى وقد نصحنى أيامها أن أطالب بوجود نقابة وبالفعل عملت مجهودات جبارة فى هذا الخصوص وقمت بالمساعدة فى إنشاء مطعم للعمال والعاملات .. وعمل موسيقى بالعنابر .. الخ إلي أن تم تكوين أول نقابة للعمال فى ذلك الوقت ورشحت نفسى بالطبع فحصلت على أعلـى الأصوات .. أربعة فقط فى كل الشركة لم يعطونى أصواتهم وأصبحت سكرتيرة النقابة .. والحقيقة كان اهتمام شديد من العمال وشعرت بسخونة وحب النـاس .. والملفـت للنظر أن أول يوم بعد أن ظهرت نتيجة الانتخابات اتصل بى ضابط المباحـث التـابع لقسم المطرية .. وجاءنى فى مكتبى بالشركة وقال نريد أن نتفاهم فقلت له نتفاهم علـى ماذا يا أستاذ .. وحاول أن يتكلم كثيرًا وأنا أعمل أنى مش فاهمه وفى الآخر قلت له ما اعطلكش اترك لى اسمك ورقم تليفونك وأنا سأتصل بك فى أى مشكلة تقابلنى وإن شاء الله مفيش مشكلة ستقابلنى ..

وفى مجال العمل النقابى .. ثارت مشكلة المواعيد فى الشركة وقتها والنقابـة أخذت منها موقف لأنهم كانوا يريدون تشغيل العمال ساعة زيادة.. وكانـت هـذه أول مشكلة تواجه النقابة الحديثة العهد .. وقد نجحنا فى انتزاع حق العمال وقتها .. وزادت شعبيتى بين العمال فى الشركة .. ولكن .. وما أدراك مـا هـى لكـن!! بـدأوا فـى اضطهادى أول شئ انتزعت منى غرفتى الشيك إلى عنبر به عشرات الموظفين، وبـدأ رئيس مجلس الإدراة بسحب العمل منى وهكذا شوية شوية أصبحت منبوذة بعد أن كنت وكانت لى سلطات كثيرة .. وفى النهاية كنت أذهب للشـركة لقـراءة الجرايـد فقـط لاغير..

ورغم كل ذلك كنت أعمل بالنقابة كالمعتاد ولم يتأثر عملى النقابى بكـل هـذه

الصغائر ... ثم اعتقلونى سنة ١٩٥٩.

المحـاور : قبل ذلك جندت عمال ؟

ثـريـا : بالطبع كان هناك كذا عامل جندتهم .. ولكنهم كانوا محاصرنى فـى كل تحركاتي وخصوصا بالشركة.

المحـاور : لم يرتبط أحد؟

فيه طبعًا ناس ارتبطوا واستمروا ربما حتى الآن..

وجاء يوم ١٩٥٩/٣/٢٨.. وكان يوم ٣/٢٧ عيد ميلاد ممدوح ابنـى الكبيـر وكان عيد ميلاده الثامن فى ذلك اليوم وكان فوزى يعيش خارج البيت ويعود صـباحًا للذهاب لعمله وكنا متفقين على علامة وهي وضع فوط بيضاء فى الفرانـدة اذا رآهـا يعود للمنزل وكان ليلتها حاضرًا عيد ميلاد ممدوح ومكـث حتـى السـاعة ١٢ بعـد منتصف الليل .. والمهم جاء زوار الفجر الساعة الثالثة صباحًا - وفى البدايـة سـألوا عن فوزى فأخبرتهم أنه مسافر .. وأخذ يفتش المنزل ومعه الجحافـل حتـى السـاعة الخامسة صباحًا وقال لى اتفضلى معايا ياست ثريا فقلت له هل هذا اعتقال أم ماذا؟ قال لا هى كلها نصف ساعة وتعودين للمنزل.. وخرجت ولم أعد إلى المنزل إلا بعد أربع سنوات وأربعة أشهر بالتمام والكمال.

تركت ثلاثة أطفال الكبير ممدوح ٨ سنوات وحسام ٦ سنوات ونجـوي سـنة واحدة وكانت بترضع لسه .. وبالصدفة البحتة كانت أم فوزى عندنا لحضور عيد ميلاد ممدوح وتركتهم معها : خرجت من البيت وأنا فى حالة قلق فظيع على الأولاد الثلاثـة كيف أتركهم وحدهم وماذا سيفعلون وأنا أعرف أن فوزى آجلا أم عاجلا سوف يعتقل. فكنت فى حالة يرثى لها. ذهبت بعد خروجى من البيت وأنا فى هذه الحالة السيئة إلـى المباحث العامة وهناك قابلت الزميلة سيدة وهى عاملة من شـبرا الخيمـة وكنـت لا أعرفها من قبل وأحضروها، والضابط الذى اعتقلها أخذ يشتمها افظع الشتائم ثم ضربها بالقلم على وجهها بدون أى سبب وبدون أن تتمكن من الدفاع عن نفسـها .. وعنـدما رأيت هذا المنظر ظللت فى مكانى أنكمش حتى قاربت أن أصل تحت الترابيزه التـى أجلس أمامها وكنت أفكر لو فعل معى ذلك ماذا سأفعل ؟

ثم حضر الضابط الذى اعتقلنى ومعه أمر الاعتقال وأخذنى إلى قسم الموسكى وقال لى سوف أذهب الآن لأفتش مكتبك فى الشركة .. وبالفعل ذهبوا وفتشوا مكتبـى

وأيضًا مكتب رئيس مجلس الإدارة رغم أنه قال لهم أنه سحب منـى جميـع الأوراق والملفات و.... و.... وقتها طلبت من الضابط أن أحضر معى بنتى اللى بترضع فقال لى نصيحة لله .. لو أى أحد يرعاها فى الخارج أفضل من أنك تأخذيها معك .. وقـال هل تعرفى إلى أين ستذهبين؟ .. قلت بالطبع لا أعرف .. أنتم تأخذونا للمجهول .. فقال هل تسمعى عن سجن القناطر؟ قلت له أسمع .. وسكت..

ذهبت بعدها إلى قسم الموسكى وكنت وحدى وبعد فترة جاءت الزميلة انتصار خطاب .. وجاءت كعادتها دائما تضحك وتهلل وكأن لا شئ على بالها .. ووجدتنى فى حالة يرثى لها فقالت أنا تركت أولادى الإثنين لوحدهم فى البيـت .. الله يرحمـك يـا انتصار كانت سيدة عظيمة .. كنا فى رمضان وفى وقت الافطار أخذونا فـى عربـة بوكس وظلوا يجمعوا من كل قسم خمس أو ست ووصلنا إلى السجن أخيرًا وكل شوية تيجى دفعة جديدة وهكذا حتى الصباح.

وكانت أول حاجة هزتنا فى أول لقاء مع السجن أن دخلت علينـا الباشـجانة وكان فيه جردلين واحد مملوء بماء والآخر فاضي وقالت يا ستات ده تشربو منـه وده ...!!

السراير كانت ثلاثة أدوار وكل سرير عليه بطانيتين قـذرتين ملآنـين بـالبق والقمل طبعا كلنا رمينا البطاطين على جنب وجلسنا مقرفصين طول الليل على السـلك البارد الموجع بدون مخدة أو مرتبة أو أى شئ يحمينا من البرد والصقيع فى أول ليلـة بالسجن .. وفى صباح اليوم التالى ذهبنا للمأمور واشـتكينا وبالفعـل أمـر بإعطائنـا بطاطين جديدة .. فقط ولكن لا مراتب ولا مخدات ولا يحزنون .. طلبنا ترابيزة للأكل ودكة للجلوس عليها بالنهار، لأنه كان غير مسموح لنا بالذهاب لمطعم السجن مـثلا - فوعدنا أنه سوف يرى الموضوع.

المحـاور : كم كان العدد؟

ثـريـا : كان أقصى عدد ست وعشرين ومن تنظيمات مختلفة

المحـاور : كنتم تعيشون حياة عامة؟

ثـريـا : طبعا ..

المحـاور : هل كنتى تقرأى كتب ماركسية قبل دخولك السجن؟

ثـريـا : طبعا .. قرأت كثير من الكتب الماركسية ولخصت بعضها وكنـا

نتثقف دائما.

بعد اعتقالنا بكام يوم ذهبنا للنيابة العامة للتحقفيق معنا كل يوم كام واحدة تروح ... وكان يحقق معى أحمد على موسى فقال لى فى التحقيق أنت متهمة بأنـك عضـوة بالحزب الشيوعى المصرى .. فقلت له غير صحيح ثم قال مـا اهتماماتـك السياسـية وقراءاتك فقلت له أساسا كتب اجتماعية ..فقال هذا أساسا فما هى قراءاتك الأخـرى .. المهم سألنى ما رأيك .. فى شعار الدولة فقلت له شعار ممتاز جدًا ..

اشتراكية تعاونية وديمقراطية وأحب أن أضع تحت ديمقراطية ثلاثة أو أربعـة خطوط لأنه لو كانت هناك ديمقراطية فعلا ما كنت رأيتنى أمامك الآن ..

فهز رأسه وقال وتقولين ليس لك فى السياسة؟

وفى النهاية قدمت له احتجاجى على الاعتقال وتركى لأطفالى الثلاثـة بـدون عائل و .... و ... الخ. وتقرر اعتقالى .. بدون قضية ..

كانت حياتنا فى السجن سلسلة .. من الكآبة والملل كان يقطعها بين حين وآخر محاولة منى ومن غيرى لرؤية الأطفال والاطمئنان عليهم .. فمثلا حدث فى ذات مرة أن نجوى ابنتي وقد أصبح عمرها أكثر من سنتين أن قالت لعمها وهو مشـهور عنـه الاندفاع والجرأة أنا نفسي أشوف ماما دى يا عمو فقال لها والله يابنتى تعـالى آخـذك أوريك أمك وفوجئت وأنا قاعدة فى العنبر قالوا المأمور عاوزك فلم استغرب الموضوع لأنى وقتها كنت المسئولة المتحدثة باسم الزميلات .. وذهبت فوجدت طفلة جميلة تمكث بمكتب المأمور .. فنظرت إليها ولم أعرفها للأسف ولكنى فى الواقع كنت أقول فـى سرى ياليتها كانت نجوى ربما نجوى الآن مثلها .. ووقفت هكذا دون حـراك انظـر للطفلة الجميلة والمأمور يرقب الموقف دون أن يتكلم حتي قال أنت ماتعرفيش دى مين .. هو قال كده وأنا انقضيت على البنت احتضنها بشدة وأبكى والبنـت تبكـى حتـى المأور تساقطت الدموع من عينيه وحاول أخفاءها بكل الطرق.. وكان موقف لا ينسى .. وقال لى أنا كإنسان لم أستطع منع هذه الزيارة رغم مخالفته للقوانين واللوائح. كـان اسم هذا المأمور حسن الكردى كان انسان بالفعل .. وبعدها أعطاها علبة ملبن وقـال لها خدى دى من ماما..

حادثة أخرى خاصة بالأولاد برضه .. كانت زميلتنا ايفون حبشـى مسـجونة يعنى يبقى لها زيادة زى بقية المساجين فاتفقت معها بصفتها اسمها وأولادى برضـه

اسمهم حبشي يعنى الحكاية مش مكشوفة .. وأخبرت الباشسجانة بذلك حتى تساعدنى.. ووافقت .. فوجئت وقت الزيارة أن السجن قفل كله .. وأنا هربت وقتها لدورة الميـاه وقفلت على روحى علشان أقدر أشوف الأولاد لما ييجوا يدخلوا غرفة ايفون لأنها كانت بمستشفى السجن .. بصيت لقيت الدنيا كلها كربست فى دقائق. ضباط مـن المباحـث دخلوا واحتلوا الحجرة اللى فيها ايفون ومنتظرين الزيارة بتاعه ايفون .. بعدها الأولاد حضروا ولا على بالهم وكانت معهم صديقتى وقريبتى ناديه وهى التى كانـت ترعـى الأولاد فى فترة غيابنا مع أم فوزى .. وأنا داخل دورة المياه أرتعش من الخوف علـى الأولاد .. فجاءنى الضابط فى الدورة وأخذ يخبط على الباب ويقول اطلعى مـن جـوه ياثريا .. أن عارف أنك جوه وباقولك تعالى شوفي أولادك ياستى فخرجت وأنـا فـى حالة يرثى لها وأنا أصرخ وأقول ماحدش له دعوه بيهم واللى هايمسهم أنا هاشرب من دمه وكلام كتير أنا مش عارفه كان بيطلع منين .. ونزلت فيهم شتيمة وقلت يسخطوك يا قرد .. هايعملوك إيه غزال ؟!

وكانت حالتى فظيعة جدا ..لدرجة أن الضباط نفسهم تأثروا من المنظر كـان شئ يقطع القلب.، وانقضيت على الأولاد أقبلهم واحتضنهم بشده .. والذى ضايقنى جدا أن الأولاد كانوا متأثرون من رؤيتى فى هذه الحالة الشاذة وأنا أصرخ وأشتم وأحتضن وأبوس كله فى آن واحد .. شئ بشع .. المهم خرجوا بسلام بعد أن حاولوا سؤال نادية كيف حضرت ومن أين علمت وكل هذه الأسئلة السخيفة .

وبعد مرور حوالى أسبوع فوجئت بحضور طاقم من ضباط الكابات الحمـراء وعقدوا محكمة فى قلب السجن لمحاكمة ثريا .. ونودى على وحضـرت مـن العنبـر لأفاجأ بعقد هذه المحاكمة حاجة تخوف بالفعل كانت السجانة نفسها وهـى تحضـرني معها ترتعش وتقول أنت عملتى إيه؟ دى الدنيا مقلوبة عليك.. ووقفت أمامهم وأنا قلبى يكاد ينخلع من جنبى وتكاد دقاته تسمع من بعيد .. وتمالكت أعصابى وطلبت كرسـى أجلس عليه أولا ..ثم بدأوا يوجهوا التهمة لى... وهى باختصار انى شـفت أولادى .. فبدون أن أدرى صرخت فى وجوههم ألم تستحوا من نفسكم كل هذا الهيلمان لمـاذا؟؟ لتحاكموا أم شافت أولادها .. بدلا من أن تحاكمونى حاكموا القرارات الخطأ التى تضع أم فى السجن بدون أى ذنب .. دون أن يسمح لها بزيارة أولادها للإطمئنان عليهم على الأقل .. أن الأم الزانية والأم القاتلة وتاجرة المخدرات يسمح لها بالزيارة أما نحن فـلا

وتأتون لتحاكمونى .. وأنا هنا أقول أنى سأحاول وأحاول .. ولن اسكت وأنـا أبلغكـم بذلك من الآن .. وماكنتش دريانه فى أنا بأقول ايه .. ولا من فين كل الكـلام ده جـه على لسانى وكل ما واحد يكلمنى كلمة أرد عليه عشرين .. حتى صرخ رئيسـهم فـى "اسكتى" .. قلت له ولماذا أسكت ماذا تريدون أن تفعلوا بى، فيه أكثر من السجن اعتقد مافيش .. ولكن يكفى هذا العار لحكومة عبد الناصر أن تحاكم أم فى قلب السجن لأنها رأت أولادها ..

المهم انتهى التحقيق على لا شئ بالطبع وحفظ .. وكان فيه مشاكل كثيرة مـن هذا القبيل فى رؤية الأولاد ..

وأفرج عنا فى ١٩٦٣/٧/٢٤ جميع المعتقلات وكان فوزى لازال فـى سـجن الواحات ..

فبعد خروجى أرسل لي خطاب من مستشفى أسيوط أنه مريض وياريت يقدر يشوفنى هناك فى المستشفى وكان هذا الكلام فى يناير سنة ١٩٦٤. وصـلت أسـيوط ومن بعض الوساطات من أقربائى فى أسيوط قدرت أشوف فوزى فـى المستشـفى .. وقال لى لازم تيجى بالليل فى المكان الفلانى ...و .... و

وبالفعل ذهبت حسب الميعاد وكان معي بعض الأقرباء .. وحاولنا رؤية السيد فوزى فى المكان اللى قال عليه فلم نجده ونفاجأ فى ثوان انقبض علينـا جميعًـا أنـا وخمسة من الأقرباء .. أخذونا على قسم أسيوط قعدوا الأقرباء يترجوا أنهم يسـيبوهم وأنا قلت للضابط دول كلهم مالهمش دعوه بحاجة خالص وأنا ما أعـرفهمش خـالص فأنت تفرج عنهم وأنا أهه ممسوكة "الفرخة السمينة" وبعد أن ذلوهم بما فيـه الكفايـة افرجوا عنهم وبقيت أنا لوحدى في قسم اسيوط وطبعا أنا كنت فى حالة سيئة جـدا .. يعنى ماليش كام شهر خارجة من السجن أعود تانى له .. حاجة تجنن.

جه الضابط عيل كده .. قال أنا شايفك ست نظيفة ومش حاوديكى الحجـز .. وهاتنامى في غرفة المأمور .. وشكرته .. وذهبت لغرفة المأمور أودة كبيـرة وفيهـا كنبة جنب المكتب وبرافان .. فتقرفصت فى الكنبة والبالطو يغطينى، وعينى بالطبع لم تغمض لها جفن.. وأفاجأ بواحد يتسحب بشويش ويفتح الباب ويغلقهبي منتهى الهـدوء فأنا انتفضت وقلت مين اللى جاى .. قال أنا ..فقلت له وأنت مين ؟ وعاوز إيه؟ وجاى ليه هنا ؟ وكانت الدنيا ضلمة فقلت له تسمح تولع النور وإلا هاصرخ وأعملك فضـيحة

فى قلب القسم .. المهم ولع النور وجه قعد جنبى فقلت له تسمح تقعـد علـى مكتبـك ومافيش داعى تعمل أى حركة .. واضح أن أنت لسه طفل صغير .. وأنا قد أمك وأنا بكلمك كابنى أن أولادى في الجامعة قدك .. طبعا ده كلام بـس .. علشـان اكسـفه وافهمته أنى سياسية مش أى حاجة من اللى متعود عليها .. وخرج وهو يجـر ذيـول الخيبة. وفى الصباح أخذ يعتذر ويكرر الاعتذار فأعطيته درس فـى الأخـلاق بكـلام منمق .. وافرج عنى فى عصر اليوم التالى بعد أن حطموا أعصابى .. وبعد أن كنت سأحضر إلى القاهرة محفورة.. نودى على فى المحطة وافرجوا عنى.

المحـاور : ماذا كان موقفك عند حل الحزب ؟

ثـريـا : لم يؤخذ رأيى فى هذا الموضوع ولم يسألنى أحد ولكن فى داخليتى واعتقادى لا أوافق على حل الحزب دون أن أدرى لمـاذا. واعتقـادى الشخصـى أن القيادات كانت على خطأ فى أشياء كثيرة جعلتنى أشعر باحباط شديد ولأننا كان عنـدنا ثقة عمياء فى القيادات وكنا نترك لها الأمور دون أية تساؤلات كانت هـذه الأخطـاء كثيرة.

ثم بعد ذلك عرض على الانضمام للتنظيم الطليعى وقابلنى الليثى عبد الناصر.. ودخلت التنظيم الطليعى فوجدته أى كلام ..!! المهم اجتماعات ومجالس ومناقشات سيئة وبعد ذلك لا شئ .. لا تكليفات ولا عمل .. ولا يحزنون ..

المحـاور : هذا النضال كيف يمكن أن يصل ؟

ثـريـا : يصل للشباب وهم يكملون المشوار ....

وتحضرنى هنا معركة الإضراب عن الطعام الذى قمنا به نحـن المعـتقلات بسجن النساء .. طبعًا ناقشنا الموضوع كثيرًا هل نضرب أم لا؟ ومـين اللـى يخـش الاضراب ومين لا، ومين يقدر ومين ميقدرش، وأيضًا مسألة الصـحة ومـين يقـدر يستمر.. وماذا تكون مطالبنا .. وهكذا وبعد المناقشات الكثيرة اخبرنا الخارج وأخبرنا أيضا سجن الرجال الذى أرسل بعدم الموافقة ولكننا مع ذلـك قررنـا الـدخول فـى الإضراب والمطلب هو الإفراج .. ولحين الافراج تحسين الظروف المعيشية، قـراءة الجرائد .. الجوابات، الطرود، تحسين الأكل الخ...

ثم أعلنا الاضراب ورفضنا الأكل، وأبلغنا المأمور .. وعملنا كـل المقـدمات المطلوبة .. فطبعا حضرت هيئة السجن من الضباط وخلافه .. ونصـحونا النصـائح

المعهودة .. فأخبرناهم أننا قررنا خلاص الإضراب حتى الموت أو الإفراج .. المهـم نقلونا إلى مستشفى السجن ودخلنا كلنا مرة واحدة وكنا نشرب ماء عليه نقطتين ليمـون فقط لاغير. وفى اليوم العاشر أعتقد المباحث أعطت زيارة لوالـدى وأحضـر معـه أولادى ممدوح وحسام ليضغطوا على للرجوع عن الإضراب وقعد والدى يقـول أنـا عندى وعد أكيد أن أنت لو ترجعى عن هذا الإضراب سوف يفرج عنك .. و... و ... وكلام كثير من هذا القبيل .. قعد طول الزيارة يلح ويتكلم فى هذا الموضوع إلـى أن قلت له يا بابا أرجوك كفاية كلام لأنى تعبانة ومش قـادرة أناهـد وكلامـك ده مـش عايجيب نتيجة .. والأولاد يقولوا يا ماما بعدين تموتى علشان خاطرنا كلـى .. وهـم قالولنا أنهم هايفرجوا عنك قلت لهم ياحبايبى الكلام ده مش صحيح وأنتم لسه صغيرين ... بكره لما تكبروا هاتفهموا ماما عملت كده ليه .. ولا تصدقوا الكلام اللى بيقولوه لكم المباحث .. الكل بعد ذلك توقع أنهم سيعطوا زيارات لأولادهم .. فقلت لهم .. لا أعتقد ذلك لأن دى كانت محاولة بيعملوها لأنهم عارفين نقطة ضعفى وهى الأولاد فلمـا لـم تنجح معى لم يكرروها ...

بدأنا الإضراب فى نوفمبر سنة ١٩٦٢ واستمر سـتة عشـر يومًـا بالتمـام والكمال.. موقف الدكاتره كان كويس معنا جدًا.. والإدارة لم تلجأ للاستفزاز ... حدث مرة مع دكتور نوبطشى أن جين أصيبت بنزيف .. فحاول يعطيها حقنة بالقوة ورفضنا وهى أيضًا رفضت .. وأخبرناه أن هذا يعتبر كسر للإضراب واحنا مضـربين حتـى الموت أو الإفراج ..

تركونا على هذا الحال ١٤ يوم .. بعدها الدكاتره كتبوا أن فيـه ثلاثـة مـن المضربات مشرفات على الموت وكنت أنا وفاطمة زكى وجنفييف سيداروس .. بعـد هذا التقرير تحرك الموضوع ففى اليوم ال ١٦ حضر واحد من المباحث جـاء بهـدف إنهاء الإضراب .. كنا كلنا فى حالة سيئة فقال أنا عاوز حد يكلمنى منكم قلنا له كلنا .. وفاطمة زكى رغم حالتها الصحية السيئة تحاملت على نفسها وقعدت ومسـكت بدفـة الكلام .

قال ايه مطالبكم كلنا فى نفس واحد قلنا الإفراج الإفراج قال مافيش إفـراج .. مافيش دولة تحترم نفسها تنفذ رغبة كام واحدة أضربوا عن الطعام .. وكـان بيـتكلم بمنتهى الاستفزاز والغطرسة .. فقلنا له إذا لا يوجد كلام عندنا ما دمت بـدأت بهـذه

الطريقة .. فبدأ شخص آخر معه يلطف الموضوع .. فقلنا احنا عاوزين النيابة .. قال مافيش نيابة .. احنا ممكن نسيبكم تموتوا ولا حد يدرى بيكم .. ردينا عليه كلنا لماذا حضرتم إذا، لماذا لا تتركونا نموت .. المهم بعد أخذ ورد وكلام كثير .. قال نيجي للمفيد .. أولا افراج مافيش ولكن بعد مناهدة قال ممكن يكون فى أقرب وقت، قلنا له حدد لنا ما هى حدود أقرب وقت ممكن تكون سنة سنتين ١٠ سنين .. المهم قال مافيش تحديد .. فدخلنا فى المطالب الأخرى لحين الإفراج .. قراءة الجرائد قال موافق .. تحسين الأكل .. قلنا له احنا كلنا ستات بيوت وسوف نطبخ وحتى نتسلى .. فوافق على إحضار الخضار واللحمة ودخل لنا وابور جاز .. وأيضًا زيادة فلوس الكانتين كان ٢ جنيه قال نخليه ٤ جنيه .. قلنا زيارة قال لا .. كتب حتى من مكتبة السجن قال لا الجوابات بدل كل شهر ترسل جواب جعله كل ١٥ يوم.. ونادى على المأمور ونبه عليه بالتعليمات .. وبعد كده قال هاتو الأكل علشان يأكلوا أمامى .. وكذا سجل كل هذا فى محضر وأيضًا الوعد بالأفراج .. وانتهى إضرابنا.

المحاور : ما موقفك من حركة أنصار السلام فى مراحلها المختلفة؟

ثريا : كنت مع حركة أنصار السلام وجمعت توقيعات كثيرة فى هذا الخصوص قبل إعتقالنا .. وكنا نناقش هذه المسائل فى اجتماعاتنا التنظيمية ..

المحاور : ما موقفك. من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى ..؟

بالطبع كنت أؤيد بشدة تأميم القناة .. وعملنا مجموعات بالمصنع لشرح الكثير عن قناة السويس .. لأن فيه عمال كثير ماكنوش فاهمين .. وعندما بدأت المناوشات قبل العدوان الثلاثي أخذنا فى تنظيم انفسنا وقمت بالتمرين على ضرب النار وذلك فى نادى بنك مصر حيث كنت عضوا فيه .. وكنت اذهب بانتظام للتدريب .. وأيضًا تدربنا وكثير من العاملات بالشركة على أعمال التمريض وكيفية مكافحة الحريق .. الخ..

شهادة

عدلى برسوم

مقـــــدمــــة

أخشى أن تجئ شهادتى فى وقت متأخر. لقد تجاوزت السبعين من عمـرى... أى أنه مضى أكثر من نصف قرن على اعتناقى للفكر الاشتراكى ولابد أن تكون وقائع غير قليلة ومهمة أيضا قد اختفت من الذاكرة فى زحمة السنين الطويلة خاصة وأنه لـم يكن من الممكن بالجهد الذاتى- الاحتفاظ بأية وثائق بسبب ظروف السرية التى عاشتها الحركة الشيوعية ثم فترة ما بعد الخروج من المعتقلات عام ١٩٦٤ وما أعقب ذلك من حل للمنظمات الشيوعية فقد انتهى بالنسبة لى منذ ذلـك الحـين أى ارتبـاط تنظيمـى بالحركة الشيوعية وإن احتفظت فى ضميرى بارتباط حقيقى باليسار المصرى عمومـا لأن ذلك هو التراث الانسانى الجميل الذى كسبته منذ أن كنت فى السابعة عشـر مـن عمرى.

وبالنسبة لى أيضا كان صعب على الذاكرة أن تحتفظ بالكثير مما حفلـت بـه ساحة الحركة الشيوعية المصرية خاصة بالنسبة للكوادر الصغيرة، والمتوسطة بسـبب "ازدحام" الساحة بالكثير من التنظيمات والصراعات الطويلة والعنيفة بين قيادات هـذه التنظيمات - أقول بين القيادات لأن القواعد فى ظل غلبة المركزية لم تكـن صـاحبة تأثير قوى على حركة الانضمام والأنشقاق.. كما أن الانشقاقات المتكـررة أدت إلـى اختلاف المفاهيم والتنظيرات إلى جانب تبادل الاتهامات باليسارية حينا وباليمينية حينـا آخر علاوة على الاتهامات بالعمالة والبوليسية.. مثل هذه الامور جعلت عناصر غيـر قليلة تبتعد إلى حين عن مساحة "النضال" ثم تعود إذا ما نشطت علاقاتها الشخصـية .. فقد كانت الشللية والعائلية تحكم إلى حد ما علاقة "بعض الأفراد" بالكيانات التنظيمية.

ولعلنى واحد من الذين تأثروا بذلك كثيرا .. والاعتراف بذلك مهم للغاية حتـى لا يتهمنى أحد بأن شهادتى فاسدة علما بأنى لا أسجل تاريخا وإنما شـهادة متواضـعة أرجو أن تكون صحيحة فى الجزئيات التى لازالت باقية فى الذكراة خاصة وأنـى لـم أكن يوما "قيادة تاريخية" ولكنى كنت واثقا أنى أسلك الطريق الذى اخترته دون خـوف أو ندم.

الاســـــم : عدلى برسوم

جهة الميلاد : مدينة ملوى

تاريخ الميلاد : ٦ مايو ١٩٢٧

حصلت على الشهادة الابتدائية من مدرسة الأقباط بملـوى وخـلال المرحلـة الثانوية تنقلت لظروف عائلية بين المدارس التالية : المنيا الثانوية - الخديوية الثانويـة - التوفيقية الثانوية - أسوان الثانوية وعدت ثانية إلى المنيا الثانوية لأحصل منها على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة حاليا)

حصلت على ليسانس الآداب عام ١٩٥١ من كلية الآداب جامعة (الملك فـؤاد الأول) جامعة القاهرة حاليا

فى نفس عام تخرجى اشتغلت مدرسـا بمدرسـة عمـر طوسـون الثانويـة بالمحمودية بحيرة لمدة عامين ونصف تقريبا حتى تم القبض على فى مـارس ١٩٥٤ من داخل المدرسة وفى عام ١٩٥٦ صدر ضدى حكم بالسجن عامين كنت قد قضيتهما تحت التحقيق وبالتالى صدر قرار بفصلى من وزارة التربية والتعليم.

فى عام ١٩٥٧ ألتحقت بالعمل فى جريدة المساء وفصلت منهـا فـى مـارس ١٩٥٩ وبعد خروجى من المعتقل عام ١٩٦٤ عدت إلى العمـل بجريـدة الجمهوريـة ولازلت أعمل بالصحافة حتى كتابة هذه السطور.

بداية التعرف على الفكر الاشتراكى :

فزعى من القهر بشكل عام نشأ فى داخلى منذ الصبى المبكر عندما كنت أرى رجال الباشا عمدة المدينة يضربون الناس البسطاء بوحشية ويلقون بهم فى سجن خاص بالباشا العمدة بالرغم من وجود مركز شرطة كبير لا يبعد أكثر من مائة متر من قصر الباشا العمدة، وسجنه الخاص ..، كما أصابنى فزع آخر من رجـال الشـرطة وهـم ينتزعون الناس البسطاء من الشوارع ويسوقونهم بالقوة للعمل فى تقوية الجسور أيـام الفيضانات وكنت أسمع فى ذلك الحين كلمة السخرة تتردد علي كل الألسنة!

لم يكن لدى فى تلك السن المبكرة بطبيعة الحال أى تفسير للغضب الذى أحسه بداخلى ... كان ما أراه أمامى هو أغنياء أقوياء يمسكون الكرابيج وفقراء ضعفاء يئنون

من الوجع..

وخلال المرحلة الثانوية (فترة الحرب العالمية الثانية) تكون لدى عـداء شـديد للنازية بعد القرارات الكثيرة عن الجرائم التى ترتكبها القوات النازية فى أوربـا وفـى المقابل كنت أقرأ عن التضحيات العظيمة التى يقدمها الجيش الأحمـر السـوفيتى فـى مواجهة القوات النازية ... ثم شدتنى كثيرا انتصارات الجيش السوفيتى دفاعا عن بلاده وفى تحرر بلدان شرق أوربا من العبودية الفاشية ..، وبالتبعية تولـدت لـدى رغبـة حميمة للتعرف على بلد الاشتراكية الذى يحطم النازية الدموية ..

وعندما التحقت بالجامعة وتنوعت قراءاتى تكونت لدى الارادة الفكرية للتعرف على الاشتراكية ذاتها .. وفى البداية كنت قادما لتوى من الصعيد حيث لا كتب ولا أية مصادر للتنوير، ولكن وجدت العون من زميل بكلية الآداب عاشق للكتب يجمع منهـا بقدر ما تتوفر له القروش القليلة .. وكان الكتاب عنده أفضل من إحدى وجبات اليوم .. وأمدنى بكتب ساعدت فى فتح الطريق أمامى بالرغم من أنه لم يكن مرتبطـا بقضـية الاشتراكية بأى شكل من الأشكال.. مجرد مثقف يحترم المعرفة ويبحث عنها - وفـى نفس الوقت عرفت طريقى إلى مكتبة ميدان محمد فريد والتى كانت تبيع الكتب المتعلقة بالاشتراكية وبالفكر التقدمى عموما.

كان مسموحا بوجود هذه الكتب التى لم تكن تبعد كثيرا عن القصر الملكى لأن معسكر الحلفاء (بريطانيا وفرنسا الحرة ومن بعد الولايات المتحـدة) كـانوا يريـدون مجاملة الشريك الكبير الاتحاد السوفيتى فى حشد القوى الديمقراطيـة والتقدميـة ضـد الفاشية وما أن انتصر الحلفاء وبدأت الحرب الباردة التى أعلنها الغرب ضد المعسـكر الاشتراكى حتى تم إغلاق مكتبة ميدان محمد فريد بالضبة والمفتاح وكأنها لم تكن أبدا!!

ثم عرفت طريقى إلى مجلة "الفجر الجديد" التى كان يصدرها فى ذلك الوقـت أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف .. ولم يكن لدى علم بأن هـذه المجلـة تـرتبط بتنظيم ماركسى ولكن شدنى إليها ما كان يكتبه أبو سيف يوسف من مقالات ضد الفكر الرجعى المعادى للفكر التقدمى وكانت الحملة تنصب ضد عباس العقاد.

ذهبت إلى مجلة "الفجر الجديد".. مقرها متواضع فى بـدروم منـزل بشـارع شريف بجوار البنك الأهلى .. وخيل إلى وقتها أن ستائر النوافذ من قمـاش رخـيص أشبه بخيش الأجولة ولكن كان الشىء الطيب هو الحديث الذى استغرق نصف سـاعة

مع شاب وديع جدا . حديثه الهادئ يفتح فى العقل طاقات جديدة.. وكان هذا الشاب هو أبوسيف يوسف والذى لم أره بعد ذلك إلا فى معتقل الواحات أى بعد ١٥ عاما تقريبا..

واعترف أن مجلة "الفجر الجديد" لم تستطع أن تربطنى بها طويلا لأنها كانـت من وجهة نظرى تناقش قضايا فكرية صعبة علـى الـذين يخطـون أول خطـواتهم للاقتراب من الماركسية .. لاشك أنها كانت مفيدة للمثقفين.. وأنا الطالب الجامعى لست منهم بالطبع! الواقع أنى كنت أبحث عن "الطاقة" التى تفسر لى الأسئلة العديـدة التـى تتعلق بحياتى وحياة الناس حولى وفى مدينتى بالصعيد وفى قريـة جـدى بـالريف .. "طاقة" تفسر الأمس واليوم والغد . ،بمعنى أدق تفسر التاريخ!

وتتسع دائرة التعارف فى الجامعة .. وأجد نفسى أحضر ندوة صغيرة فى أحد البيوت بوسط القاهرة .. شباب وفتيات لمناقشة "دور المرأة فى المجتمع" .. وكان أهـم الحاضرين شاب اسمه كرومر عرفت أنة طالب يهودى بكلية الهندسة بجامعة القـاهرة وكان هذا اللقاء بداية علاقتى "بتنظيم شيوعى هو "الحركة المصرية للتحرر الوطنى"... والتقيت بكرومر هذا مرة أو مرتين بعد ذلك.. ، وحيرنى سؤال ما العمل؟ .. ولم تكن هناك إجابة مفيدة ..، لقد حصلنا على لقب "الثوريين" ولكن الثـورة لمـاذا؟ وكيـف؟ وعكفنا على قراءة الكتيبات الخضراء .. وكادت ترجماتها الرديئة أن تجلعنى أهـرب من الفكر الماركسى .. لماذا كان الإصرار عليها بالرغم من أن الحركـة الشـيوعية كانت تضم عشرات من المتمكنين من اللغات الأجنبية؟.

وكان أول كتاب كلفنا بقراءته هو "المادية الجدلية" وأنا مع حرية المعرفة، ولكن ألم يكن الأهم هو أن يعرف أعضاء القواعد البسطاء واقع بلادهم أولا .. كنا نقرأ كتبـا مترجمة ولا عيب فى ذلك ولكن جاء ذلك قبل أن نقرأ كتبا مصرية!، وبـالرغم مـن اعترافنا جميعا بأن كل حزب شيوعى يطبق الاشتراكية وفقا لواقـع بـلاده وظروفهـا الخاصة إلا أنه لم يكن متاح لنا فى ذلك الوقت أية دراسة كاملة عن صراع الطبقات فى مصر أو تفسير كامل للثورات الوطنية التى قامت فى مصر وما انتهت إليه..

ومع تزايد المد الوطنى ضد الاستعمار والسراى دخلت مرحلة جديدة من خلال عضويتى فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .. أصبحت لى مشاركة إيجابية فـى المظاهرات وتوزيع المنشورات، والمواجهة اليومية ضد اليمين الجامعى المتمثـل فـى الإخوان المسلمين الذين كانوا يعتدون على الطلبة الشـيوعيين والـوطنيين بالمطـاوى

ويساندون السلطة الرجعية بشراسة.

العمل خارج الجامعة

انتقلت أسرتى إلى مدية مغاغة بسبب ظروف عمل والـدى، وخـلال العطلـة الصيفية كلفتنى "حدتو" ببناء قاعدة لها فى تلك المدينة .. وجاءت الفرصة أن يكون بناء القاعدة من خلال عمل جماهيرى مهم .. كان الحدث هو وباء الكوليرا علـى ١٩٤٧، ونجحت فى تنظيم مجموعة من شباب الجامعات الـذين يقضـون العطلـة الصـيفية للمساهمة فى مكافحة الوباء، وأطلقت عليها "كتائب الشعب" ربما تبدو التسمية حماسـية أو "يسارية" بعض الشئ ولكن كان هذا هو حماسى فى العمل الجمـاهيرى وقتـذاك أو به..، لأن بالفعل كان أول نشاط بين الجماهير العادية .. وقامت هذه "الكتائـب" بـدور مهم فى رصد أماكن آبار المياه والطلبمات لحمايتها من التلوث وفـى توعيـة النـاس بضرورة التطعيم ضد الكوليرا وتنظيمهم فى أماكن التطعيم لتوفير الراحة لهم ..، وقـد كسبنا ثقة القائمين على شئون الصحة فى المدينة وأشادوا بالدور الذى قمنا به.

وهكذا وصلنا إلى الجماهير من خلال نشاط علنى مباشر يرتبط ارتباطا وثيقـا بحياة الناس اليومية ولم تغلفه قط أدبيات الماركسية المتداولة فى اجتماعـات الخلايـا والمطبوعات الداخلية، وكانت جريدة الجماهير التى كنا نتولى توزيعها تخدم بـدورها النشاط العلنى..

ومن أبرز العناصر التى كسبتها للحركة الشيوعية المصرية فى ذلك الوقت هو الرفيق الراحل لويس بقطر..

وانتهت العطلة الصيفية وعدت إلى الجامعة وما أذكره الآن أنه لم يكن هنـاك نشاط متميز .. ،وضعفت العلاقة التنظيمية إلى حد كبير حتى أنـى أصـبحت بالفعـل خارج إطار حدتو ولماذا وصل الأمر إلى هذا الحال؟

كان نشاطنا كطلبة يقتصر على المظاهرات داخل الجامعة لأنه كان من الصعب الخروج بالمظاهرات إلى الشارع بسبب الحصار الكثيف الذى فرضه رجال الشـرطة على الجامعة، ولم يكن هناك نشاط آخر يقوى علاقتنا بالتنظيم حتى النشاط التثقيفى كان غائبا تماما ..

وفى عام ١٩٥٠ وصلتنى مطبوعات الحزب الشيوعى المصرى (الراية) كمـا

أصرت على تسميته التنظيمات الاخرى) وبسبب الفراغ التنظيمى الذى كنت أعيشه مع "حدتو" عكفت على قراءة مطبوعات الحزب الشيوعى واشتركت فى حلقة حوار حـول هذه المطبوعات وكانت كلها تسد نقصا محددا فى أدبيات الحركة الشيوعية المصـرية، فقد شملت دراسة لصراع الطبقات فى مصر وطبيعة الثورة المقبلة وبرنامجا ولائحـة للتنظيم .. وانتهى الحوار بانضمامى إلى الحزب .

وكلفت مع رفيق آخر بإصدار جريدة لطلبة الجامعة وكان المسئول الحزبى فى ذلك الوقت هو محمد جلال كشك الذى فصل من الحزب بعد حريـق القـاهرة عـام ١٩٥٢ بتهمة اليسارية المدمرة لأنه كان يرى أن الفرصة مواتية للحزب للاستيلاء على السلطة لوجود فراغ فى السلطة عقب حريق القاهرة ..، وليس غريبا أن يتحول جـلال كشك إلى "أحد الكتاب الكبار" فى العالم العربى المعاديين للشيوعيين بل أشدهم عداء!!

وأصدرنا مجلة "الطلبة" .. من ١٢ صفحة حجم الجـاير، أى (حجـم نصـف جورنال) وكانت عناوين صفحتيها الأولى والأخيرة باللون الأحمر..، وكنـا نسـتخدم رخصة حقيقية نؤجرها من صاحبها، وهو فى نفس الوقت صاحب مطبعة صغيرة فـى شارع محمد على .. وكانت قيمة الإيجار جنيه واحد فى العدد .. وكان الإسم الحقيقـى للرخصة بقدر ما اذكر "التسعيرة" وكنا نطبعه بحروف صغيرة ونطبع كلمـة "الطلبـة" بحروف كبيرة جدا، وقد لا يصدق الكثيرين أننا كنا نطبع من "الطلبة" قرابة ثلاثة آلاف نسخة.. فقد كانت جريدة كاملة تشمل الأخبار والتحقيقيات والمقالات..، كانت تطـارد الطلبة عملاء البوليس السياسى بالإسم.. وتنشر التحقيقيات عن أحوال الطلبة السيئة فى المدينة الجامعية وعن المناهج الرجعية إلى جانب التعبئة الوطنيـة ضـد الاسـتعمار والسراى.

وبعد العدد الثانى اشتدت شراسة الحرس الجامعى وأذناب البوليس السياسى فى مطاردة الجريدة خاصة وأنه كان يتطوع لتوزيعها عدد غير قليل من طلبـة وطالبـات الكليات المختلفة وكان هذا فى حد ذاته شكل من أشكال العمل الجماهيرى كانت الجريدة تخاطب الطلاب من واقعهم المباشر دون أية شعارات مجردة، ودون أن نقول لهم "هيا إلى الشيوعية" بل كان أسلوب تحريرها الواعى غير المتعالى وغير المتحزلـق يحمـل الطلبة فى الكليات المختلفة على الاقتناع بأن الذين يصدرون هذه الجريدة هـم "قيـادة" طلابية مخلصة وجادة.

ونتيجة المطاردة البوليسية توقفت جريدة "الطلبة" فى الشهور الأولى من عـام ١٩٥١ وبعد عددين فقط !

وتخرجت من الجامعة بعد أشهر قليلة من توقف جريدة الطلبة ورفع "الحـزب الشيوعي المصرى" شعار "الجبهة الشعبية" ضد الاستعمار والسراى وصـدر تكليـف بضمى إلى لجنة الدعوة لقيام هذه الجبهة... وكانت هذه اللجنة تقوم بتحريـر البيانـات وتوزيعها على الصحف وحضور المؤتمرات المنتظمة التـى كـان يقيمهـا الحـزب الاشتراكى بقيادة أحمد حسين (مصر الفتاة سابقا) لرفع الشعارات الداعية إلـى تكـوين هذه الجبهة ،، وكانت جريدة المصرى ومجلة روزاليوسف تشيران فى بعض الأحيـان إلى هذه البيانات وتنشران مقتطفات منها .. وكانت الدعوة إلى قيام جبهة شعبية هو من أبرز نشاطات الحزب فى تلك الفترة..

واختلف الشيوعيون فى التنظيمات المختلفة حول شعار الجبهة الشعبية، وهـل الأصح أن يكون الشعار جبهة وطنية باعتبار أن الجبهة الوطنية تسمح بانضمام قـوى وطنية أوسع من القوى التى تدخل الجبهة الشعبية..

والآن تسمح لى خبرة الزمن الطويل وخبرة الأخطاء النظرية أن أقول أن شعار الجبهة الوطنية هو الشعار الذى كان يجب رفعه والنضال من أجل تحقيقه..

ولاشك أن شعار الجبهة الشعبية كان أحد صور يسـارية الحـزب الشـيوعي المصرى (الراية كما تسميها التنظيمات الأخرى)، لقد كان مـن الخطـأ فـى مرحلـة النضال ضد الاستعمار والإقطاع رفع شعار الجبهة الشعبية الذى يسمح فقـط بتحـالف العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة، فى حين أن هناك قوى أخرى تتناقض مـع الاستعمار والإقطاع مثل الرأسمالية الوطنية وقطاعات مهمة من المثقفـين والمهنيـين الوطنيين والرأسمالية الزراعية التى كانت مصالحها تتناقض مع مصالح كبـار مـلاك الأراضى..

لقد انشغل الشيوعيون المصريون طويلا بالخلاف حول شعارى جبهة شـعبية، جبهة وطنية ولو كان الشيوعيون المصريون يقومون بنشاط واسـع وسـط جمـاهير الفلاحين وجماهير العمال لتوصلوا بسهولة إلى الشعار المناسب..

إن أصلح الشعارات هى التى يفرزها العمل الجماهيرى وأكثرها عرضة للخطأ هى التى يتم صياغتها فى الغرف المنعزلة عن الجماهير ..

واعتقد أن الشيوعيين المصريين دفعوا ثمنا كبيرا نتيجة أخطاء العزلة بـالرغم من أن دعوتهم هى الأكثر عدالة والأكثر اتساقا مع التطور التاريخى..

لقد انهارت النظم الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وبلدان شرق أوربا ليس لأن هناك خطأ فى الاشتراكية ذاتها، أو أنها تجاوزت زمنها بل لأن قيادات هـذه البلـدان تجمدت وانعزلت عن جماهيرها وعن تطور الزمن من حولها .. وهو تطور كان لابـد أن يزيد الفكر الاشتراكى ثراء لا أن يتحول بفضل انعزالية القيادات إلى ثغرة ينفذ منها أعداء الاشتراكية.

سرية مفقودة !

تم تعيينى مدرسا فى مدرسة عمر طوسون الثانوية بمدينة المحمودية بحيرة .. مدينة صغيرة ولكنها كانت تحمل رائحة نضال قديم فقد كان يعيش بها اثنان من أعضاء الحزب الشيوعى المصرى حتى عام ١٩٥٤.. كانا شيخان طاعنان فى السـن أحـدهم أوشك أن يفقد بصره ..، كانا عاملان فى شركة البحيرة الزراعيـة القديمـة ..، ولـم أستطع أن أتعرف بهما لأنهما كان عازفان على مقابلة أحد وكنت بدورى غريبا عـن البلدة فيس من الأمان أن اتصل بهما خاصة عندما علمت أنه ليس لديهما شئ يقولانـه بفضل تقديمهم فى السن كما كان فى البلدة بضعة أفراد شيوعيين واعتقدت أنـه ربمـا يكونون قد حصلا منهما على بعض المعلومات التاريخية ..

وانقطعت صلتى بالحزب الشيوعى المصرى بعد حركة الاعتقالات، وفى أحـد أيام مارس ١٩٥٤ اقتحم غرفة المدرسين رجال المباحث العامة، وألقوا القـبض علـى وبتفتيش منزلى عثروا على بعض مطبوعات الحزب قلت أنها جاءتنى بالبريد ولا أعلم عنها شيئا ..

كيف وصلوا إلى وأنا فى مدينة المحمودية بعيدا عن أى نشاط وعن الشـبهات؟ المرة الوحيدة التى سبق أن قبض على فيها كان عام ١٩٤٦ أثناء مظاهرة تأييد لضباط الشرطة الذين كانوا مضربين على العمل مطالبين بتحسين مرتباتهم .. ووضعونى فـى قسم شرطة الموسكى بضع ساعات وأفرجوا عن المقبوض عليهم فى هذه المظـاهرات قبل حلول المساء ووقتها كنا نقول ساخرين لرجال القسم كيف تقبض الشرطة علينـا ونحن ندافع عن مطالبهم؟

وصلوا إلى ببساطة شديدة ..وبفضل "الوعى الكبير" بأصول التنظيم فى الوقت الذى يناضل فيه الحزب ضد العصابة الفاشية التى استولت على السلطة!! حدث أن سلم أحدهم ورقة بها إسمى كاملا وإسم المدرسة التى أعمل بها لإعادة الاتصال بى .. والذى تسلم الورقة لم يحفظ ما بها فى رأسه ويمزقها فورا إنما وضعها فى جيبه وعندما قبض عليه ضمن اعتقالات مارس ١٩٥٤ أخذوا الورقة من جيبه وهرعوا إلى وأخذونى إلى سجن مصر!

كيف غابت ضرورات التأمين القصوى وهى أساسية فى كل الأحوال فى وقت تتسع فيه حملات القبض على الشيوعيين من كل التنظيمات.

وكان قد سبق حملة الاعتقالات صدور أحكام بالسجن عشر سنوات على عدد من الرفاق من محكمة عسكرية برئاسة اللواء الدجوى، وكانت هذه هى أول تطبيق للعقوبة القصوى التى جاءت فى قانون مكافحة الشيوعية الذى وضعته حكومة اسماعيل صدقى باشا.

ولم يتم تحقيق ما فى ظروف القبض على .. ولم يكن مقبولا فى ذلك الوقت أن أطلب هذا التحقيق فقد تملكنى اعتقاد بأن مثل هذه المطالبة قد يجرى تفسيرها بطريق الخطأ على أنها تشكيكا فى المسئولين عن إعادة الاتصال .. والتشكيك جريمة فى زمن كانت عبادة الفرد تعشعش فوق رؤوس أعضاء التنظيمات الشيوعية، والتى لم يتم التخلص منها إلا بعد المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى حملة خورتشوف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى ضد عبادة الفرد والتى كان رمزها الأول الرفيق ستالين.

وبالرغم من أن الشيوعيين فى كل مكان وزمان هم دعاة التفاؤل الشجاع والآمال الثورية القوية إلا أنه من الغريب أنه ساد بين رفاق القضية التى كنت متهما بها اعتقاد بأنه ليس مستبعدا أن تصدر ضد عدد منا أحكام بالإعدام! وأننا مناضلون كذا نسخر من هذه المحاكمات التى لم تكن قد انعقدت بعد!.. هذا الاعتقاد بالطبع هو إفراز للخط السياسى المتطرف، بأن السلطة فاشية وأن أغانى أم كلثوم فن إقطاعى وفوضى، وأن أدب نجيب محفوظ هو واقعية فوتوغرافية، وأن كل شئ فى الأدب والفن هباء وغث ما لم يكن من ابداعات الرومانسية الثورية! أغمضنا عيوننا عن الطبقات الحليفة نحترم أدبها وفنها فى حين أننا لم نكن قد أنجزنا بعد المرحلة الأولى من الثورة الوطنية

الديمقراطية .

وبالمناسبة كانت قضية ثورة أو ثورتين واحدة من صور الخلافات الحادة بـين المنظمات الشيوعية فى مصر .. ضاعت سنوات فى مناقشة ثورة أو ثورتين ..، كمـا لو كان من طبيعة الأمور أن تطل بين الحين والآخر خلافات نظرية طويلة الأمد ليبقي الانقسام طويلا فى الحركة الشيوعية المصرية.

وكان يبدو لى أحيانا أن هناك إصرار من بعض القيادات على عـدم الاقتنـاع بوجهة نظر الآخر إذا كانت بالفعل صحيحة حتى لا تفقد الزعامات مواقعها علما بأنهـا زعامات سرية لا نجومية فيها ولا شعبية!

وفى سجن القناطر الخيرية حدث التحول الكبير فقد تخلت حـدتو عـن خـط الدكتاتورية العسكرية وتخلى الحزب الشيوعي المصرى عن خط الفاشية" وكان "مولـد الحكم الوطنى" من مؤتمر عدم الانحياز الأول فى باندونج عـام ١٩٥٥، ثـم صـفقة الأسلحة التشيكية بعد ذلك بوقت قصير..

وفى يوليو ١٩٥٦ تم نقلنا إلى سجن الاستئناف تمهيدا لمحاكمتنا وصدر قـرار لى من قيادة التنظيم بالسجن بأن أعترف فى المحكمـة بعضـوية الحـزب الشـيوعى المصرى .. وكانت الجملة التى كلفت بالنطق بها هى "أنى اتشرف بعضـوية الحـزب الشيوعى المصرى" ولا كلمة أخرى!

واعترف أنه وقتها داخلى شعور بالزهور..، والواقع أنه لم يكن زهوا ثوريـا إنما زهو برجوزاى صغير!! كنت أرى نفسى "بطلا" بهذا الاعتراف .. وصدر الحكـم على بالسجن لمدة عامين..

وعندما تلاشت من رؤوسنا "عقيدة" عبادة الفرد .. ناقشت مع نفسى مـا الـذى استفاده الحزب أو استفدته أنا من هذا الزهو ؟! فأنا لم أكلف مثلا بتقديم دفاع سياسـى يكون مبررا لاعترافى بالعضوية وكان من بين الرفاق فى القضية عناصر قيادية بـل أعضاء فى اللجنة المركزية، بل أعضاء فى المكتب السياسى وكان اعتـراف أحـدهم بعضوية الحزب له وقع أكبر وأهم إعلاميا وسياسيا من اعتراف عضو متوسط مثلـى! وثالثا أنه كان من الممكن أن أحصل على البراءة لأن المضـبوطات التـى وجـدتها المباحث العامة فى مسكنى هى مطبوعات يمكن أن تصل بالبريد لأى شخص .. فلـم تكن من بينها مضبوطات خطية أو أية أوراق تنظيمة كما لم يكن هناك تقرير تحريات

من المباحث العامة.

وعقب صدور الحكم صدر قرار من وزارة التربية والتعليم بفصلى من عملى.. وعدت إلى مسقط رأسى مدينة ملوى لأجد لقمة الخبز فى منـزل الأسـرة .. وكـان مستحيلا أن تجد عملا فى مدرسة خاصة مثلا والمباحث العامة تلاحقنى وتفتش خلفى !

وأصبحت مسئولا سياسيا عن منطقة المنيا ومحترفا ثوريا بستة جنيهـات فـى الشهر.. فقد كانت هذه هى أقصى قدرات التنظيم ..، وكانت الانتقالات بطبيعة الحـال تستنفذ جزءا غير قليل منها..

ونتيجة هذه التجربة أقول أن فكرة المحترف الثورى فى المدن الصغيرة فكـرة غير صائبة بل ربما تشكل خطرا على أمان التنظيم.. أنا مثلا كنت معروفا لدى كثيرين من سكان المدينة.،. وتحت مراقبة المباحث العامة .. وتحركاتى وأنا بدون عمل كانت تثير أسئلة لا إجابة عليها بين الأهل والأصدقاء.. ثم ..، ما أهمية وجود محترف ثورى فى تنظيم محدود العدد وليس له قواعد جماهيرية نشطة، يحتـاج العمـل فيهـا إلـى محترفين ثوريين كما هو الحال بالنسبة للأحزاب السياسية العلنية التى لديها سياسـيين متفرغين مع فارق السرية طبعا ..

أن وجود وظيفة فعلية للكادر الثورى هو أفضل غطاء له..

ومن الأفكار الخاطئة التى سمعتها فى الحزب الشيوعي المصرى (الراية كمـا تسميه التنظيمات الأخرى) وأنا داخل السجن أنه ما قيمة الاستمرار فى التعليم الجامعى ما دمنا ثوريين لأن الدراسة سوف تعطل المناضلين وتستنفذ وقتهم! وبالطبع هذه أفكار "يسارية" ينطبق عليها قول لينين "الشيوعية اليسارية عبث أطفال" ولم تعش مثـل هـذه الأفكار العبثية طويلا ..، وبعض الذين رددوها وهم طلبة أصبحوا الآن يسخرون ممـا ظنوه موقفا ثوريا حقيقيا بعد أن أكملوا تعليمهم الجامعى ونجحوا فى حياتهم العملية دون أن يفقدوا حقيقتهم الثورية.. لقد نسوا فى مرحلة مبكـرة مـن الحمـاس الانفعـالى أن الشيوعى لابد أن يكون قدوة ومثالا للإنسان المصرى الناجح سواء كان طالبا أو عاملا أو فلاحا أو موظفا أو فنانا مبدعا.. كان ذلك فى الواقع سـلوك بورجـوازى صـغير مغامر!

كانت قد مرت شهور قلية على إعادة بناء منطقة المنيا حتـى وقـع العـدوان الثلاثى (١٩٥).. وكان الحدث يستدعى عملا دعائيـا يـوازى خطورتـه ولـم تكـن

المنشورات التى يجرى طباعتها على جهاز الرونيو البدائى تنفع بسطورها الباهتة فـى مخاطبة الجماهير، ونجحت فى طباعة المنشورات فى مطبعـة قائمـة بإحـدى مـدن المنطقة، وقام بذلك عامل شجاع ولا يعرف أحد حتى الآن أين هذه المطبعة ومن قـام بهذا العمل الثورى مخاطرا بعمله وقوت أولاده، وجاءت المنشورات "أنيقة" وحروفهـا مضيئة .. واحتوت على المطالب التالية : تدريب الشباب تدريبا عسكريا جادا وتوزيع السلاح على الشعب، وتوفير الحريات العامة لتقوية الجبهـة الداخليـة ودعـم الحشـد الجماهيرى...

إن طبع منشور سرى فى مطبعة عامة ربما لا يمثل فى حد ذاته عملا ثوريـا خطيرا، ولكن دلالاته الحقيقية هو أن التنظيم الجيد الذى يتبع قواعد أمان كاملة ويربى كوادره تربية ثورية صادقة يستطيع أن يقوم بمهام ناجحة سواء كانت صغيرة أو كبيرة

وأصبحت احتياطى لجنة مركزية وحضرت اجتماعا موسعا للجنـة المركزيـة حيث التقيت لأول مرة بالرفيق خالد، وعندما حدثت الوحدة (الإسـمية) بـين الحـزب الشيوعى المصرى وحدتو وجدت نفسى ساقط قيد .. لا مكان لى فى التنظيم الجديـد! قيادة الحزب الشيوعى المصرى نسيت تماما أحد كوادرها النشطين الذى هو احتيـاطى لجنة مركزية ومحترف ثورى ومسئول سياسى منطقة ..

وقد يبدو ما أقوله الآن أمرا مثيرا للضحك .. ولكنه حدث فقد ذهبت إلى رفيق صديق مسئول قسم فى أحد أحياء القاهرة وطلبت منه أن يضمنى إلى إحـدى الخلايـا المهم أن يكون لى مكان فى التنظيم .. وبالطبع اعتـذر لأن ذلـك مخـالف للأسـس التنظيمية وحتى لا يتهمونه وأنا بالشللية والعائلية!!

وكنت قد انتقلت إلى القاهرة والتحقت بمكتب شهدى عطية الشـافعى كمتـرجم وعندما انهارت الوحدة الإسمية بين المصرى وحدتو كنت أول ضحاياها فقـد اعتـذر شهدى عطية عن استمرارى فى العمل - أى فصلنى - وبعد فترة تعطيل غير قصيرة استطعت الإلتحاق للعمل صحفيا بجريدة المساء وسهل ذلك أنها كانت تنشر مقالات لى بين الحين والآخر.

وجاءت ضربة يناير ١٩٥٩ وسقط فيها غالبية الصحفيين وفـى أول مـارس ١٩٥٩ أبلغتنى إدارة جريدة المساء بالاستغناء عنى وأدركت على الفـور أن اعتقـالى أصبح مسألة وقت، بل ساعات قليلة وقررت الاختفاء. ولكن كيف؟

لم تكن للحزب قواعد جماهيرية قوية تستطيع توفير وسائل الايواء والحماية .. ولأول مرة أشعر كمناضل أنى معزول تماما عن الدنيا..، ووسط هذا الموقف الصعب يذيع راديو بغداد إسمى بين المعتقلين، وكان الخلاف على أشده بين نظام عبد الناصر ونظام عبد الكريم قاسم..، وقلت لنفسى ساخرا ربما تصدق المباحث العامة فى مصدر أنى فعلا معتقل وتتوقف عن مطاردتى!

ولجأت إلى الأصدقاء العاديين فوفر لى بعضهم المأوى والطعام لبعض الوقت.. ووجد لى أحد الرفاق الصغار مكانا لدى صديق له، ولكنى كنت سجين الأماكن التى أويت إليها فقد أحطاتها ظروفا صعبة .. بعض الليالى قضيتها داخل سيارة فى مكان بعيد عن الأعين وليالى أخرى نمتها داخل قنوات الرى الجافة بأحد الحقول .. وأياما مخيفة قضيتها داخل بيت مهدم مهجور. ولا شك أنى كنت سأتحمل متاعب تلك الأيام لو كنت أفعل شيئا مثمرا .. ولكن للأسف فإن حركة الانتقالات التى بدأت أول يناير ١٩٥٩ لم تترك قيادة تستطيع مواصلة ربط الكوادر المتبقية بشكل منتظم

أن الدرس المستفاد من تلك التجربة القاسية هو أن العمل الجماهيرى الحقيقى هو وحده الذى يستطيع مساندة أى تنظيم أو أى حزب ..، ولو كنا كشيوعيين قد نجحنا فى بناء قواعد جماهيرية حقيقية لبقى الحزب قائم خارج المعتقلات مهما اتسعت حملة الاعتقالات..

ولعلة جاء الوقت لأشكر على الملأ فتاة صعيدية قدمت لى فى محنة الاختفاء المريرة عونا لا يقاس بحجمه أو نوعه، ولكنه ساعدنى أن أصمد بعض الوقت ..، ولم تكن لها أية علاقة بالسياسة من قريب أو بعيد، ولكنها أدركت بوجدان مصري موروث منذ فجر الضمير أني أحب بلدي والناس والفقراء منهم خاصة، .. ولأنها متدينة .. أكرر لأنها متدينة ..، فقد رأت فينا نقاء القديسين الذين يعطون بدون مقابل ..، وعندما استطعت أن أكون جديرا بها تقدمت بعد الخروج من معتقل الواحات لاطلب يدها ..

وجئت إلي القاهرة للبحث عن خيط يعيد ارتباطي بالنضال، وكانت مغامرة ولكنها كانت ضرورية، لأخرج من العجز الذي كنت أعيش فيه ..، ونجحت وأسندت إلي من جديدة مسئولية منطقة المنيا، وكان كل الأعضاء القدامي من الحزب المصري العمال والفلاحين قد أدخلوا المعتقلات .، كانت المهمة هي بناء تنظيم جديد.. مهمة شبه مستحيلة لكادر مطلوب من المباحث العامة، وبدون مأوي وبدون قاعدة واحدة

يمكن الانطلاق منها ..، والحملة ضد الشيوعيين التي يقودها نظام عبد الناصر في ذلك الوقت كانت مسعورة تعزف لحنها المقيت كل وسائل الاعلام في مصر وسوريا.

وسط هذا الجو ومع أول خطوات بناء أول قاعدة فردية لم يأت مسئول الاتصال المركزي في موعده ولا في الموعد التالي ولا الثالث وأقنت أنه لن أتي مرة أخري وإنه لابد وأن يكون قد اعتقل .. فقدت جنيهات قليلة كنت اتدبر بها حريتي المهددة في لحظة! ولأنه ليس هناك سوبرمان في العمل الثوري، ولا البطل الأمريكي والوهمي الذي يصوره في الأفلام صناع السينما الرأسمالية ولأن الشيوعي إنسان بسيط للغاية قدراته الفعلية هي في ارتباطه الصادق بالواقع ..، ففي لحظة معينة أدركت أن الواقع لا يساعدني علي الاستمرار في الاختفاء .. وعدت متخفيا إلي بيت أسرتي في ملوي .. هل كان هناك مقر آخر؟ أبدا .. بل لم يكن هناك أحد من رفاقي أناقش معه خيارا أخر! وأيام قليلة جدًا واقتحمت غرفة نومي قوة من المباحث العامة والغريب أن الضابط الذي قبض علي عام ١٩٥٤ في المحمودية بحيرة هو نفسه الضابط الذي قبض علي في ملوي بصعيد مصر عام ١٩٥٩.. وبذلك أكون قد استطعت الاختفاء قرابة تسعة أشهر من منتصف مارس ١٩٥٩ إلي منتصف نوفمبر ١٩٥٩..، وكم كنت أود أن تكون شهورا مفيدة للعمل الثوري ولكن للأسف لم تكن لدينا جماهير فعلية تحمي ثوريتنا..!!

أخذوني إلي سجن القلعة وبقيت هناك أكثر من أسبوع في زنزانة انفرادية طوال الأربعة والعشرين ساعة يوميا..، ومن هناك إلي أوردي ليمان أبو زعبل حيث غالبية المعتقلين الشيوعيين ..، وهناك منذ لحظة وصولي جرت مراسم الاستقبال الوحشية وبعدها استمرت دون توقف جرائم التعذيب البربرية وهي معروفة للجميع وسجلها رفاق آخرون في كتب لهم.

ويعنيني أن أذكر حدثين ..، أني في عنبر ٦ حيث جري تسكيني أصدرت مجلة الدبورة .،. وهي مجلة أسبوعية ناطقة تصدر كل يوم جمعة وهو اليوم الذي تستكين فيه إلي حد ما عيون الحراس وهو أيضا يوم راحة المعتقلين من الأعمال الشاقة في الجبل أو في التفتيش اللإنساني.. وكانت الدبورة هي وسيلة الترفية الوحيدة في عنبر ٦.

أما الحدث التالي فمن حقي أن أفخر به .. ولعل الفرصة قد جاءت لنشره حيث

لم يذكره من كتب عن ظروف معتقل أوردي أبو زعبل ..

فماذا حدث في عنبر ٦؟

منتصف عام ١٩٦٠ استشهد الرفيق شهدي عطية الشـافعي خـلال التعـذيب الوحشي الذي استقبل به علي باب أوردي أبو زعبل بعد صدور أحكام بالسـجن علـي مجموعة من رفاق حدتو..

قتلوا شهدي عطية الشافعي لأنه شيوعي ونحن داخل العنابر الست وفي الجبل نتعرض نحن الشيوعيين في كل لحظة لأعمال تعذيب وحشية لا تستهدف فقط الإيـذاء البدني، إنما تستهدف أيضا سحق آدميتنا ..

كنت وقتها المسئول الحزبي عن عنبر ٦ ورأيت أن جريمة قتل الرفيق شهدي عطية فرصة مواتية لاتخاذ موقف ضد استمرار التعذيب .. رأيت أن أبسط ما نستطيع الحصول علية هو وقف عملية التفتيش اليومية التي تهدر آدميتنا، وننال خلالها ضـربا مبرحا بالعصي وباحزمة العسكر وبأحذيتهم إلي جانب الشكل الذي يجبروننا عليه ونبدو فيه مثل كائنات مهلهلة..

اجتمعت بالمسئولين عن رفاق حدتو في عنبر ٦ وعرضـت اقتراحـي وهـو ببساطة يتلخص فيما يلي :

عندما يدخل فريق التفتيش نقف هادئين أمامهم أي لا نعطي وجوهنا للحائط كما كان يحدث ..وألا نفك رباط بنطلون رداء المعتقل، ولا نحني بوجوهنا إلي الأرض أي أن نقف مستقيمين مرفوعي الرأس..

ووافق رفاق حدتو واستطعنا أن نقنع المستقلين القلائل في العنبر الذين كـانوا يخشون أن يؤدي هذا الموقف إلي زيادة جرعة التعذيب ...، وقلنا لن نخسـر شـيء جديدا فالتعذيب هو التعذيب ..، بل يجب أن نسجل لأنفسنا أننا لا نستطيع القبول بهـذا الهوان طويلا ..

ودخلت عاصفة فريق التفتيش وكانت هذه المرة بقيادة النقيـب عبـد اللطيـف رشدي وكيل مأمور المعتقل، وأشد الضباط وحشية وقد قتلوه في الصعيد بعد تصـفية معتقل أبو زعبل.

صاح الصول مطاوع "تفتيش" وهو الساعد الأيمن للنقيب عبد اللطيف رشـدي

وقد توفي بعد عامين في مستشفي الأمراض العقلية

صاح مطاوع "تفتيش" وقفنا ..، وجوهنا تقابل وجوه قـوة التفتـيش المتحفـزة للضرب..، رؤوسنا مرفوعة بل عالية .. ملابسنا في وضعها الطبيعي ..

أعاد مطاوع صيحته بعنف أكثر فلم نغير من وقفتنا، أصاب الذهول الضـابط السفاح .. تجمد في مكانه ..، صامت في تلك اللحظات لم نكن نسمع سـوي صـوت قطرات الماء التي تسقط واحدة وراء الأخري علي إناء صغير مخصص للنظافة فـي دورة المياه بالطرف الآخر من العنبر.

لم نكن أبدا نلحظ سقوط هذه القطرات، .. ولكن في تلك اللحظات كانـت هـي الصوت الوحيد المسموع .. وتخيلت أن صوت كل قطرة كان بمثابة طرقة عنيفة علي رأس الضابط الذي فقد وجودة أمام وقفتنا الشجاعة..

وخرج الضابط من صمته ليقول بصوت خفيض واهـن "فـتش يـا حضـرة الصول"، وفهم جميع أفراد قوة التفتيش من الصوت الخفيض المطلـوب مـنهم وكـان تفتيشا صوريا سريعا لا إهانات باللفظ والفعل ولا ضرب ولا ركل بالأحذية وكان أول من خرج من العنبر هو الضابط وعينيه في الأرض لقد كسر نفسه بوحشيته!

والطريف أن جرت انتخابات اللجنة القيادية للعنبر، وسقطت، وقلت ليتني مـا قمت بهذا الدور لوقف التفتيش اللاإنساني دون استشارة القيادة الحزبية للمعتقل !!

وبعد فترة قصيرة تم نقلنا جميعا إلي معتقل الواحات وإغلاق سجن أوردي أبو زعبل نهائيا.

ذهبت إلي معتقل الواحات دون أن أتوقف طويلا عند طريقـة إسـقاطي فـي انتخابات اللجنة القيادية لعنبر ٦ بأوريي أبو زعبل بالرغم مما قمت به خـلال قيـادتي للتنظيم الحزبي بالعنبر فقد كنت أعرف جيدا أن الخلافات بـين القيـادات الشـيوعية للتنظيمات المختلفة لم تختفي نهائيا من خلال عمليات الوحدة، والاندماج، ولـم تـنجح الطموحات النبيلة لوحدة الحركة الشيوعية المصرية في إسقاط هذه الخلافات جذريا ..

وفي الواحات انخرطت في تنظيم "الأفق" نسبة للجريدة الناطقـة التـي كـان يصدرها واشتركت في تحريرها مع الرفيقين الراحلين ابراهيم عامر، وفيليب جـلاب، وللتاريخ لا أستطيع الآن أن أصف "الأفق" إلا أنه كان تكتلا خارج الالتـزام الحزبـي، لأنه كانت له لجنة قيادية منتخبة من أعضائه وله جريدة ناطقة باسمه، وكان أعضـائه

يسكنون غرفا خاصة به..، ولاشك أن العائلية وربما الشللية القديمة ساهمت في تجميع أعضائه فقد كان معظمهم بل غالبيتهم الساحقة من أعضاء الحزب الشيوعي المصـري (الراية)..

وللتاريخ أيضا أقول أن وحدة الحزب الشيوعي المصري والعمال والفلاحين لم تخلص أعضاء التنظيمين من رواسب الاختلافات السابقة ولم يحـدث فـي أي وقـت اندماج حقيقي فكري وإنساني ..

ولهذا فقدت الحركة الشيوعية المصرية الكثير من دواعي قوتها وجـاء حـل الحزب بعد تصفية المعتقل عام ١٩٦٤ دون علم الكثيرين من أعضائه .. لقد جري ذلك "سرا" بالرغم من أنه لم يكن عملا ضد السلطة!!

ومنذ ذلك الحين لم أعد بالطبع "شيوعيا" لأنه لا شيوعيين بدون حزب، فبمـاذا يحكم التاريخ؟!

شهادة

أحمد الجبالى

الاســـــــــــــم : أحمد السيد علي الجبالي
تاريخ ومحل الميلاد : ١٧/ ١٢/ ١٩٣١ أبخاص مركز الباجور منوفية
درجه التعليم : اتمام المرحلة الالزامية القديمة
الـوالـد : السيد علي الجبالى موظف بمصلحة المساحة بدمنهور
أول عمل قمت به : حضرت لشبرا الخيمة في ١٩٤٣ وأول عملي عامل تحضـيرات بمصنع ريموه بتشنو (شركة الفيل للمنسوجات) وكان تبعها مصنع ميار إلـى أن نقـل المصنع إلى الاسكندرية في ١٩٤٦ ثم تنقلت بين عدد من مصانع شبرا الخيمة إما فـي التحضيرات أو الغزل ومنها مصنع عبد الفتاح بشير ومصنع الجوت وفي مصنع نصر تاجر بشبرا مصر بالتيرو اشتغلت في الفحص وكنت أحـرص علـى تعلـم النسـيج وأصبحت نساج على الأنوال الميكانيكية ثم عدت إلى مصنع الجوت نسـاج واسـتمر عملي كنساج.

أول ارتباط بالحركة النقابية :

من بدء عملي في تحضيرات مصنع ريموه اشتركت في النقابة وشـدني إلـى الكفاح مجموعة من الناس كان منهم عبد المقصود أبو زيد ومحمد طايل وعلي خليـل وغيرهم، وقد أعجبت بهم وبمواقفهم في الدفاع عن مصالح العمال ولمـا نقلـت إلـى مصنع الشرق في بداية ٤٨،/٤٧ بدأت اشترك في تقديم الشكاوي والمطالبات بحقـوق العمال مما ترتب عليه فصلي من المصنع وكنت معجـب جـدا بـالإخوان المسـلمين وبشعاراتهم وبنظام الجوالة العسكري ولدرجة أنني اشتريت لبس جوالة على حسابي و في مشوار المنطقة في شبرا مصر وبالطرمبيطه والخطوة العسـكرية وغيرهـا ولمـا حصل الإضراب الكبير لعمال النسيج الميكانيكي في القاهرة وضـواحيها فـي ١٩٤٦ وقام الإخوان المسلمين بإفشال وتخريب هذا الإضراب بتعليمات من قيـادة الإخـوان المسلمين مكتب الإرشاد العام وبالاتفاق مع اسماعيل صدقي رئـيس الـوزارة وقتئـذ وفتحت الحكومة أبواب المصانع وبدأ العمال الإخوان ينزلوا الشغل وأذكر أن حصـلت معركة عند ترعة الحلوة بين العمال الشرفاء الذين كانوا يمنعوا الإخوان مـن الـذهاب إلى المصانع وبذلك فشل الإصراب رغم أنه كان على وشك النجاح وتحقيـق مطالـب العمال وعلى هذا الأساس تحول موقفي من تأييد وعطف على الإخوان المسلمين إلـى

معاداة لهم.

بداية معرفتي بالفكر الاشتراكي:

من بداية ١٩٤٧ كنت ساكن في بيت كان معي فيه المرحوم مصـطفي محمـد وكان بعض الزملاء عمال النسيج يحضروا عنده واللي كان ليهم دور قيادي مثل سـيد عبد الوهاب ندا ولطفي عبد الرحمن ومحمد عبد الجواد القطن وغيـرهم وبعـد ذلـك علمت أن هناك اعتقالات حدثت في ١٩٤٨ وأن كل ما ذكرت وغيرهم قد قبض عليهم باعتبارهم شيوعيين، فبدأت أبحث واقرأ لأعرف ما هو الموضوع خصوصا وأنني كنت معجب بهم وبمواقفهم النضالية ولما خرجوا من المعتقـل فـي ١٩٥٠ عرفـت مـنهم الاشتراكية وعرفت بعض حاجات عنها وبدأت الارتباط تنظيميا بمنظمة طليعة العمال.

أذكر أنني اشتركت في مظاهرات لعمال النسيج من أجل القضية الوطنية ومنها مظاهرة في ميدان الاسماعيلية (ميدان التحرير الآن) وكانت معسكرات الانجليز مكـان الهيلتون والجامعة العربية الآن، وضربنا في الانجليز بالحجارة وهـم ضـربوا فينـا بالرصاص، ومظاهرة أخري كان من عدم اشتراك مصر في حرب كوريا فـي ١٩٥٠ وكان موقف محمد صلاح الدين باشا موقف وطني لأنه قال الحرب دي لا ناقة لنا بهـا ولا جمل، وأيضا اشتركت في حركة أنصار السلام واشتركت في المظاهرات وجمـع التوقيعات.

أذكر أنني عندما اشتغلت في مصنع داوود عدس بشبرا في بداية ١٩٥١ كـان المصنع والعاملين فيه غير الخواجات وهم الإدارة كان المصنع منقسم إلى قسمين جزء من المسيحيين وجزء مع الإخوان المسلمين ولما بدأنا الكفـاح حـول تحسـين الفيـة والأجور وكسرنا فكرة الادارة في فصل كل العمال القدامي أصحاب الأجـور العاليـة والشغالين على ماكينات وبدأوا يعينوا عمال جدد حتي منهم عمال ممن سـبق فصـلهم وعلى أساس العمل على أربعة أنوال وبأجور أقل ولما تمكنا من تحقيق بعض المطالب وصلنا إلى فائدتين الأولي ضم العمال لنقابة عمـال النسـيج الميكـانيكي بالقـاهرة وضواحيها والتي كان مقرها شارع النوادي بالزيتون والفائدة الثانية هي تكسير تفريـق العمال على أساس مسلم ومسيحي وتحقيق وحدة زمالية وبدأنا نكـون لجنـة منـدوبين صفوف وأقسام من المسلمين والمسيحيين وعلى أساس اختيار العمال فقط وثقة العمـال

فيمن ينتخبوه.

أذكر أنه بعد حل النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي بالقـاهرة وضـواحيها والتي كان مقرها شبرا الخيمة ورفع العمال قضية ضد وزارة الشئون الاجتماعية لإلغاء قرار الحل تكونت نقابة لعمال النسيج الميكانيكي في القاهرة ومقرها الزيتون ولكن هذه النقابة كانت منعزلة ونشاطها محدود ولم يقم بأية أعمال كفاحية مما دفع عمال النسـيج إلى تكوين نقابة واحدة تضم كل نقابات النسيج فـي القـاهرة خاصـة بعـد حصـول الاعتقالات واعتقال عدد من النشيطين فيها وانتخاب مجلس إدارة جديد من العناصـر النشيطة والواعية والتي بدأت تفكر في توحيد كل نقابات النسية في القاهرة فـي نقابـة واحدة وهي نقابات نقابة عمال النسيج الميكانيكي بالزيتون ونقابة عمال الغزل والنسيج بالوايلي ونقابة عمال التريكو والنقابة العامة لعمال النسيج اليدوي وفعلا تكونت نقابـة واحدة من هذه النقابات الأربع باسم النقابة العامة لعمال الغـزل والنسـيج والتريكـو والصياغة وملحقاتهم بالقاهرة وضواحيها والتي كان مقرها الرئيسي بعد التوحيـد ٢٢ ميدان الظاهر واشتهرت باسم نقابة الظاهر وكنت أنا عضو في مجلس إدارة هذه النقابة كما كنت من قبل عضو في مجلس إدارة نقابة الزيتون قبل التوحيد وبعد اعتقال رئيس النقابة محمد عامر، وقد بدأت هذه النقابة الواحدة في تنظيم العمل على أساس تشـكيل لجنه مندوبين عامة في كل مصنع ثم تشكيل لجنه مندوبين عامة في كل منطقـة مثـل الوايلي ووسط القاهرة وشبرا مصر وروض الفرج والزيتون والمطرية.

أذكر عندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعد تكوين النقابة العامة مـن الأربع نقابات واعتقل عدد من القيادات النقابية، حدث في هذه الفترة إضـراب عمـال الشوربجي بامبابة الذين كانت لهم نقابة مستقلة باعتبارهم من محافظة الجيزة وترتـب على إضراب عمال الشوربجي اعتقال نحو خمسمائة من عماله وأودعونا سجن مصـر وفوجئنا في نقابة الظاهر التي كنت سكرتيرا عاما لها بعد اعتقال السـكرتير الأصـلي لطفي عبد الرحمن فوجئ مجلس إدارة النقابة باستدعاء الضابط وفاء حجازي لهم فـي مكتبه بالمخابرات العامة وجلس في مكتبه بوزارة الداخلية في وضع اسـتفزازي منـذ البداية وقد وضع المسدس على مكتبه وبدأ في تهديدنا بقوله أن العمال بدأوا يتحركـوا ضد الثورة وأن عمال كفر الدوار اضربوا وبعدهم عمال الشوربجي واحنا لازم نحمي الثورة ولو وصل الأمر إلى إعدام مليون عامل.

فرد أعضاء مجلس إدارة النقابة وأنا منهم على استفزازه بأن العمال وطنيين وليسوا خونة بل إننا كنا نحارب الانجليز والاستعمار قبل الثورة. وبردنا عليه غير موقفه وحيانا عندما خرجنا ولم يكرر طلبه منا من قبل بأن نخبره عن أي تحرك عمالى وبعد أن قلنا له أننا لن نعمل مخبرين لكم وأننا نعرف مصلحة الوطن جيدا ولن يسمح بالمساس بها.

بعد اجتماع وفاء حجازي بوزارة الداخلية اعتقل عدد وكنت منهم وكانوا من مختلف النقابات وبعد نحو شهرين تقريبا افرج عنا وخرجنا من المعتقل إلى مقر هيئة التحرير بقشلاق عابدين ووجدنا وفاء حجازي وأحمد عبد الله طعيمه في انتظارنا وتكرر في هذا الاجتماع أن الثورة في خطر ومع التأسف لاعتقالنا طلب وقوفنا معهم بجانب عدم عودة الضابط إلى ثكناتهم ولكن عندما ذهبنا إلى النقابة أخذنا قرار بتأييد الديمقراطية وعودة ضباط الجيش إلى ثكناتهم، وهو ما كان مطلب شعبي عام وبعد ذلك قام عمال النقل في القاهرة باضرابهم المشهور وفي نفس الوقت صدرت أوامر إلى المصانع بغلق أبوابها وعدم تشغيل العمال ولكن أذكر أنني تنفيذا لقرار النقابة السابق ذكره ذهبت مع العمال إلى مصنع داود عدس الذي كنت أعمل به واشتغلنا بالطريقة العادية.

أذكر أن النقابة العامة لعمال الأحذية بالقاهرة طلبت من النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي (نقابة الظاهر) أن ترسل بعض النقابين المخضرمين كلجنة محايدة للإشراف على الجمعية العمومية وانتخابات مجلس الإدارة الجديدة، وفي بداية الاجتماع حدثت هتافات بسقوط الديكتاتورية العسكرية وحياة الديمقراطية فحاصر البوليس الاجتماع وفضه وقبض علينا نحن نقابيي عمال النسيج مع مجموعة من عمال الأحذية وعلى رأسهم يس مصطفي ومصطفي حبشي وعبد العزيز شحاتة وغيرهم ثم قدمونا للنيابة للتحقيق في اتهامنا بالعمل على قلب نظام الحكم ولما قدمنا صورة خطاب نقابة الأحذية وتفويض نقابة النسيج لنا حفظت القضية وحولونا إلى معتقل القلعة ثم سجن أسيوط ثم أوردي ليمان أبي زعبل حيث وصلناه في يناير ١٩٥٥ حيث جمعوا المعتقلين الشيوعيين من مختلف السجون والمعتقلات وبقيت في معتقل الأوردي إلى أن أفرج عني في مارس ١٩٥٦.

وفي أوردي ليمان أبي زعبل تجمع الشيوعيون من منظمات مختلفة منها حدتو

وطليعة العمال والراية وطش (طليعة الشيوعيين) ووش (وحدة الشيوعيين) وغيرهم كما كان يوجد بعض الشراذم كما كنا نسميهم وهم الغير مرتبطين بأي تنظيم ومما تجدر الإشارة إليه أننا في السجون وقبل الوصول إلى الأوردي كنا محرومين من الزيارات ما عدا توصيل الملابس أو المأكولات التي يحضرها الأهالى في المناسبات، فلما تجمعنا في الأوردي بدأنا نطالب بحقوق المعتقلين ومنها زيارات العائلات لنا والصحف وصرف كفالة للعائلات كما كان متبعا في معتقل ١٩٤٨/ ١٩٥٠ بجانب أنه كان يصرف لنا الغذاء فعلا عن طريق المتعهد والذي كنا نطالب بتحسينه باستمرار وبدأت المعركة بالمطالبة ثم دخلت حدتو الإضراب عن الطعام وحدها دون اشتراك أو موافقة بقية المعتقلين مما ترتب عليه هجوم إدارة السجن وعلى رأسهم همت، حيث قامت قوات ليمان أبي زعبل والأوردي بتجريدنا من ملابسنا التي أحضرها الأهالى في الزيارات وكانوا يدخلوا عنبرا وبعد ضربه بطريقة وحشية بالشوم ينتقلوا إلى عنبر آخر وبعد الانتهاء من ضرب الجميع أخذوا بعض المضربين عن الطعام وجلدوهم في الليمان ووضعهم فترة في زنازين التأديب الانفرادية.

بدأت عمليات الإفراج عن المعتقلين في عام ١٩٥٦ وكنت من الدفعات الأولي نظرا لأنها كانت بالحروف الأبجدية، خرجت ومعي إبراهيم علي وأحمد سالم فاطلق سراحهم واستبقاني عبد الرحمن عشوب وأخذ يساومني في البداية على أن أقول له ما يحدث في داخل العنبر الذي كنت فيه وأدركت أنها بداية لتشغيلي معهم فرفضت الحديث عن هذا الموضوع من أساسه وبعد محاولات عديدة استمرت عدة ساعات، قال ودوه المعتقل ثاني ولكني وجدت نفسي قد رحلت إلى قسم عابدين ثم أعادوني في المساء إلى عشوب مرة أخري الذي أعاد المحاولة هو والبهي وأمام إصراري على عدم إعطاء أية معلومات أمر بترحيلي إلى قسم الساحل ومن هنا اتخذت إجراءات الإفراج عني بضمان محل إقامتي.

وفي العدوان الثلاثي على بورسعيد في ١٩٥٦ وكان قد أفرج عنا جميعا وكنت أنا سكرتير مساعد نقابة الظاهر شكلنا لجنة للمساهمة في المعركة وقمنا بإصدار منشورات رقمناها من ١ إلى ١٢ وكنا ندعو فيها العمال والمواطنين إلى المساهمة في المعركة والتدريب على السلاح والاشتراك في المقاومة الشعبية وقد ناشدنا في بعض المنشورات أصحاب الأعمال بعدم فصل أي عامل أو خلق أحداث تؤدي إلى توتر بين

العمال وأصحاب الأعمال في وقت ندعو فيه إلى توحيد جهود الكل في المعركة، وفـي نفس الوقت تشكلت لجنة من النقابة كانت تتقابل مع الضابط الصاغ يعقوب وهـو مـن ضباط الجيش الذين لهم دور سياسي حيث كانت تقوم هذه اللجنة مع هذا الضابط بحـل جميع المشاكل وهي في بدايتها، وكمثال فإني أذكر أن هذا الضابط قد قام بإحضار أنور قباني صاحب مصنع نسيج من منزله إلى المصنع وأجبره على إرجاع سبعة من العمال كان قد سبق أن فصلهم وحضر هذا الموقف مندوب النقابة العامة لعمال النسيج وكنـت متفرغا لحل مثل هذه المشاكل ولما أبلغت مجلس إدارة النقابة وجه الشكر للضابط.

وقد حدث أثناء وجودنا في المعتقل جمعيتين عموميتين عاديتين للنقابة ثم جمعية عمومية غير عادية وفي هذه الجمعيات الثلاث قام العمال بانتخاب جميع من كانوا فـي المعتقل من أعضاء مجلس الإدارة وكنت منهم في مراكزهم النقابية وبأعلى الأصوات، وأما عن الموقف من وحدة المنظمات الشيوعية فإنها كانت أمل بالنسبة لي وكنت أتمني إتمامها نظرا لأني كنت أري إن نزول اليساريين والشيوعيين إلى الجماهير بـآرائهم وتوجيهات مختلفة يضر بالعمل نفسه ويصوره الشيوعيين أمام الجماهير ولهذا رحبـت باتمام وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ وأذكر أنه عندما انقسم بعض أعضاء حدتو بعد الوحدة لـم يخرج في الانقسام أحد من الموقع التنظيمي الذي كنت فيه بعد ضربة أول يناير ١٩٥٩ بلغني الزميل محمد بدر بأن هناك حملة تمت لاعتقال عدد كبير من الشيوعيين وبعـد ذلك أبلغني أن عبد الناصر قد وقع على كشف لاعتقال عدد آخر من الشيوعيين فهربت وزاولت العمل التنظيمي حتي قبض على في نوفمبر ١٩٥٩. وقد تم ذلك أثناء اجتماع كنا فيه أنا وعبد الله الزغبي وسعد بطرس الطويل ونسيم يوسف وقد حضـر عبـد الله الزغبي آخر واحد فينا وكان الاجتماع فوق هضبة الهرم، وبينما نحن مجتمعين فوجئنا بجماعة من الفعلة يحملون الفؤوس والمقاطف ومعهم أفندي ببرنيطة، وظننـا أن هـذا الأفندي هو مهندس وأن هؤلاء الفعلة يعملون معه وبعد أن اقتربوا منا لمسـافة أمتـار قليلة خلع الأفندي البرنيطة وأخرج مسدسه وأمرنا برفع أيدينا وعـدم التحـرك وأمـر بعض الحاضرين بالانصراف وعرفنا أن معه ضابط وبعض المخبرين وقد قـال لـي الضابط أنت شوقي مجاهد فقال صول كان يرافقه لا يابيه ده أحمد الجبالى وقادونا بعد ذلك إلى سيارة البوليس التي كانت منتظرة في بطن الجبل ومن المؤسف أن عبـد الله الزغبي قال لنا بعد ذلك أنه كان يشك في أنه مراقب ورغـم هـذا حضـر الاجتمـاع

ورحلونا إلى معتقل القلعة حيث حققت النيابة ثم رحلونا للأوردي مع بعـض زمـلاء آخرين كانوا موجودين في معتقل القلعة ولكن مكانوش معنا في القضية، وعند تصـفيه الأوردي بعد مقتل الشهيد شهدي عطيه رحلونا للقناطر وقدمونا لمحكمة أمن الدولة في القاهرة وكان التكليف لي بأنني إذا قبض على فإنه يجب أن أعمل دفاع سياسي كنقـابي وأعترف بعضوية الحزب، وهذا ما تم في المحكمة وقد حكم على بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات وهتفنا في المحكمة بحياة الحزب الشيوعي المصري وسقوط الدكتاتورية العسكرية كما حكم على عبد الله الزغبي ونسيم يوسف بالأشغال الشاقة خمس سـنوات أيضا لاعترافنا بالعضوية رغم أنه لم يكن لدينا أي أوراق أو أدلـة تـديننا أو تثبـت عضويتنا بالحزب وحكم على سعد بطرس بالبراءة لأنه لم يعترف بعضـوية الحـزب، وفي المحاكمة وفي الدفاع السياسي كان الحديث عن وحدة مصر والعراق وقـد قمنـا بمهاجمة هذه الوحدة باعتبارها تتم من فوق وبين قيادات بعيدة عن رقابـة ومشـاركة الجماهير الشعبية وقد علق الأستاذ أحمد مجاهد الذي كان يتولي الدفاع عنا في القضية بأن هؤلاء المتهمون مكانهم كراسي الحكم وليس قفص الاتهام لأنهم سبق أن عارضوا الوحدة بين مصر وسوريا لنفس الأسباب وقد حدث فعلا بعد سنوات قليلة أن انفصـلت سوريا عن مصر وإذا كانوا يقولون اليوم بأن وحدة مصر والعراق لا تحمـل عوامـل نجاحها فإن ذلك سوف يحدث وقد عقب أحد رجال المباحث العامة على دفـاع أحمـد مجاهد بأنه ترويج للشيوعية وطلب أحمد مجاهد عندئذ إثبات هذا التهديد له.

وعندما أعلن عن عقد اجتماع بين رؤساء بعض الدول العربية ومنهـا مصـر لدراسة إحياء الكيان الفلسطيني أرسلت من سجن القناطر الخيرية وعلى مسئوليتي باسم الحزب الشيوعي المصري مع إحدي الزيارات رسالة إلى جمال عبد الناصر لترسل له بالبريد. اقترحت فيها أن تتنزل مصر قاع غزة الذي هو تحت إدارتها وتتـرك الأردن الضفة الغربية التي هي تحت حكمها وتتكون من المنطقتين نواة للدولة الفلسطينية .

بعد خروج آخر دفعة من المعتقلين في إبريل ١٩٦٤ وكان قومندان المعتقل في ذلك الوقت يوسف تمراز وهو الذي أحدث ظروفا غير عادية قتل فيها الشـهيد لـويس اسحق، وبعد ذلك أصدر جمال عبد الناصر قرارا بالعفو عن العقوبات الصادرة علـى الشيوعيين وما ترتب عليها من آثار فخرجنا بعد نحو شهر من خروج آخـر معتقـل وأذكر أنني حضرت اجتماعا واحدا حزبيا بمنزل المرحوم عوض الباز ومعي عدد من

الرفاق ونوقش موضوع حل الحزب والذي قيل في تبريره أن الحكومة قد عملت معهد لدراسة الاشتراكية وأنشأت تنظيم سياسي طليعي شبه سري وهو مفتـوح للشـيوعيين للعمل به، وكذلك الاتحاد الاشتراكي العربي هذا بالإضافة إلى أن عبد الناصر قد حقق فعلا ما كان يطالب به الشيوعيون من مطالب اقتصادية واجتماعية وانتهـي الاجتمـاع على أساس أن الحزب بيحل نفسه ولم يتم التصويت .

شـهادة

نجاتـى عبد المجيد

الإســـــم : نجاتى عبد المجيد عزب .
الميـــلاد : ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٢ .
المكـــان : كفر بنى غريان مركز قويسنا (منوفية).

أتممت دراستى الإلزامى . وبعدها قرر والدى السفر إلى القاهرة وبالمناسبة فإن الأب كان يعمل ترزى عربى . وكان إلى جانب عمله كترزى . يمارس بعض الأنشطة التجارية الأخرى . كتجارة القطن (سكرته) وتجـارة الكسـب . وبعـض الأنشـطة الأخرى .

بل أنشأ مصنع نسيج يدويا مكون من أربع أنوال خشب لأخى ولكـن لأسـباب خاصة بوالدى . قرر سفرنا إلى القاهرة وكان قرارا لا رجعة فيه ..

وهنا تدخل بعض الأقارب من أجل أن يبقينى فى القرية مـن أجـل أن أكمـل تعليمى .

هنا قال والدى جملته المشهورة . كيف أتركه . وهو سوف يكون عكازى الذى أستند عليه. وبالفعل سافرنا إلى القاهرة عام ١٩٤٦ ثم أختار والدى لى مهنـة النسـيج اليدوى (الجيكار) .

اشتغلت صبيا لمدة معينة . ثم انتقلت إلى النسيج الميكانيكى فى مصـنع(أولاد النبيعى) بميدان الظاهر .

لم أمكث طويلا فى هذا المصنع . والتحقت بمصنع نسيج أولاد شاكر الحسينى بغمرة .

كانت ماكينات المصنع الجديد تعتبر حديثة بالمقارنة بالمصنع السابق وكان عدد العاملين فيه كبيرا .

هنا فى هذا المصنع بدأت أحس بأشياء لم تكن تبدو لى من قبل، قـد وجـدت الدعوة العامة للاشتراك فى النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج من أجل الـدفاع عـن مصالح العمال .

كان أول من حدثنى عن أهمية الاشتراك فى النقابة العامة . هو العامل (أحمـد الصباغ) وهو أيضا الذى جندنى بعد ذلك فى تنظيم (نواة الحزب الشيوعى المصرى).

تحمست لهذه الدعوة وكنت بالطبع لا أدرك معنى النضال النقابى من أجل رفع

مستوى حياة العمال . وكذلك الحفاظ على وحـدتهم. كنـت بـالطبع لا أدرك معنـى الاستغلال الرأسمالى للعمال . وكذلك الصراع الطبقى. .

دعيت لاجتماع عام فى النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج بالزيتون . وفى هذا الاجتماع. رأيت عددا من الكوادر العمالية التى تعتبر من الرعيل الأول للحركة النقابية الثورية. منهم على سبيل المثال لا الحصر . المناضل محمد علـى عـامر / فكـرى الخولى / أحمد على خضر / يوسف المدرك / محمود العسكرى / أحمد سالم . كـان هؤلاء الزملاء يمثلون لى ولكثير من أبناء جيلى نموذجا للمناضل الثورى القادر علـى فهم الأمور وتحليلها التحليل السياسى الصحيح .

وأصابتنى الدهشة . كيف أن هؤلاء العمال البسطاء يملكون هذا الوعى الثورى ويحددون ويشرحون لنا معنى النضال النقابى ، وربط هذا النضال النقـابى بالنضـال السياسى . كذلك توضيح معنى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان أدركت فيما بعد أهميـة النظرية الماركسية لطليعة الطبقة العاملة .

كان مصنع نسيج أولاد شاكر الحسينى يعتبر نقطة تحول بالنسبة لى . لم أستمر طويلا فى مصنع نسيج أولاد شاكر الحسينى بغمرة . فقد فصلت فى أول إضراب عـن العمل .

شركة الشرق للغزل والنسيج بإمبابة

التحقت بشركة الشرق للغزل والنسيج (بقسم الحرير) فى أوائل عـام سـنة ١٩٥٠ وكنت قد ارتبطت بتنظيم نواة الحزب الشيوعى المصرى ومعى تجربة المصنع السابق عن العمل النقابى وبدايات العمل السياسى.

والحقيقة عندما نتكلم عن شركة الشرق كقلعة من القلاع الثوريـة لـيس فقـط لعمال الغزل والنسيج . بل للطبقة العاملة المصرية . فإن ذلك يرجع لأسباب عدة .

أولا : تمركز أكبر عدد من القيادات الثورية التى كانت تعمل فى منطقة شـبرا الخيمة ، نتيجة الفصل والملاحقة البوليسية .

ثانيا : التمثيل الكامل لأغلب تنظيمات الحركة الشيوعية الموجودة فـى ذلـك الوقت .

ثالثا : وجود خمسة أقسام مكونة للشركة . وهى أقسام / نسيج الحرير/ نسـيج

الصوف / الصباغة والتجهيز / الغزل / قسم الصيانة .

لهذه العوامل الثلاث ..

أصبح يتعين على المناضلين فى شركة الشرق أن يعـوا وينتبهـوا لخطـورة الوضع الانقسامى فى ذلك الحين وأثر ذلك على وحدة العمال .

لذلك كان يتعين علينا نحن أبناء هذه التنظيمات كبيرها وصـغيرها أن نـدرك أهمية الاتفاق. كيف نبدأ العمل معا فى ظل الانقسامية وأن يكون شعارنا العمل معا من أجل وحدة كل العاملين بالشركة وأحب أن أؤكد أن تطبيق هذا الشعار أخذ منا وقتا ليس بالقصير . حيث أن الوضع الانقسامى داخل الحركة الشيوعية المصرية كـان يـنعكس أول ما ينعكس على القيادات العمالية المرتبطة بهذه التنظيمات . وبذلك تضيع القضـية التى تحتاج من المناضلين التمسك والإرتباط بها.

لذا اتفقنا على أن نبدأ بتنظيم عمال قسم (الحرير) كخطوة أولـى حيـث أن الجزء الأكبر من الكوادر الثورية الواعية موجودة به .

وبالفعل تم الاتفاق على تكوين لجنة (بقسم الحرير) تكون مهمة هذه اللجنـة تنظيم العاملين به ، والعمل على توعيتهم . وبالفعل تم اختيار بعض الكوادر العماليـة للجنة القسم . أذكر من هؤلاء الزملاء .

كمال أبو الهوى / على العدل / محمد المنشاوى / عبد الغنى الكحلاوى / أحمد الصباغ / محمد عبد الواحد / نجاتى عبد المجيد/ محمود الشربينى/ محمد عبد الجـواد الزيات / مغاورى الهوارى / محمود علام .

وبدأ العمل بالقسم ينمو بشكل كبير . فالتف جميع العاملين حول لجنتهم بالقسـم لم تقف عند حد تكوين لجنة (قسم الحرير) وإنما تخطينا هذا بتكوين لـجـان أقسـام أخرى . كقسم (نسيج الصوف) و قسم (الصباغة والتجهيز) وهنا كان لزميلنا إبراهيم مرسى دور هام فى ربط قسم الصباغة والتجهيز ببقية الأقسام الأخرى .

وكان أمرا طبيعيا أن تحس إدارة الشركة بأن عملا تنظيميا انطلق مـن قسـم نسيج الحرير إلى بقية أقسام الشركة الأخرى .

كان رد الفعل من جانب الشركة سريعا ومفاجئا لنا، وذلك بفصل عدد من عمال قسم الحرير .

هنا على الفور. اجتمعت لجنة قسم الحرير، وقررت أن تخوض المعركة بشكل

كامل وسريع، فقررت الإضراب عن العمل والاعتصام داخل القسم للوردية النهاريـة التى تعمل من سبعة صباحا حتى الثالثة ظهرا. وأن على الوردية الثانية أن تتحرك فى شكل مظاهرة لتحريك النقابات العمالية . وكذا الرأى العام من أجل التأييد .

كنا دائما نختار أن يكون الإضراب عن العمل يبدأ يوم خميس حتى يكون لدينا يوم الجمعة يوما كاملا من أجل عمل الإثارة والدعاية لدى الرأى العام .

خط سير الوردية الثانية :

توجهت الوردية الثانية إلى الشركة لتعلن تضامنها مع الوردية الأولى وذلك من خلال الهتافات التى تعلن تضامن الوردية الثانية ، مع الوردية الأولى سارت المظاهرة مرورا بإمبابة ومدينة العمال . حيث أن الجزء الأكبر من العـاملين بالشـركة يسـكن فيهما.

عودة الوردية الثانية إلى مقر النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى بقنطرة الدكة :

لم نكتفى بهذا بل ركبنا الترام والهتافات الثورية تتعالى . عاش كفـاح الطبقـة العاملة/ عاش كفاح الشعب المصرى / عاش نضال عمال النسيج / أعداء العمال أذناب الاستعمار/ إلى أن وصلت المظاهرة إلى مبنى النقابة العامة للنسيج بقنطـرة الدكـة . وهنا يتلاحم أبناء الطبقة العاملة ويخرج عمال الأحذية الموجودين بالورش فـى هـذه المنطقة . ليعلنوا تضامنهم مع زملائهم عمال الشرق المضربين فى مسـيرة تظاهريـة يقودها المناضل (على سلفة) وتستمر المظاهرة حتى تصل إلى مبنى النقابة العامة وفى هذه الدار نجد القائد العمالى الثورى (أحمد خضر) وهو يستقبل المسـيرة التظاهريـة بشغف القائد العمالى المزود بخبرات النضال النقابى والسياسى شارحا وموضحا أهمية تضامن أبناء الطبقة العاملة بمنطق المعلم الثورى الذى لا يغيب عنه الصراع الطبقى .

ما أحلى هذه الأيام وما أجملها من تاريخ طبقتنا العاملة وشعبنا العظيم انتهـى يوم الخميس بهذا اللقاء الهام . وعلى الفور تشكلت لجان اتصال مهمتها شرح المطالب الخاصة نيابة عن جميع النقابات العمالية، وذلك يوم الجمعة وبالفعل كان هناك تجـاوب من عدد لا بأس به من مختلف النقابات العامة .

السبت : توجهت الوردية الموجـودة بالخـارج إلـى مبنـى وزارة الشـئون الاجتماعية فى ذلك الوقت ، فى شكل مظاهرة منظمة ، تردد نفس الشعارات السـابقة يتقدمها أمهاتنا وزوجاتنا . وأنا أذكر هنا أن وزير الشئون الاجتماعية فى عـام ١٩٥١ كان عبد الفتاح حسن باشا .

وما إن وصلت المظاهرة فناء الوزارة حتى خرج الوزير من مكتبـه ليطلـب ممثلين عن العمال، فكنت أنا واحدا من هؤلاء الزملاء الذين تولـوا شـرح مطالبنـا ، وكذلك الأسباب التى أدت إلى الاعتصام .

وما أن انتهينا من شرح مطالبنا حتى أكد الوزير ، أن حكومة الوفد لن تسمح بهذه القلاقل فى وقت تخوض فيه معركة ضد الاستعمار فى مدن القنال ، مؤكدا أهمية تماسك الجبهة الداخلية.

وعلى الفور كلف الغطريفى وكيل مصلحة العمل ، بالتوجه فـورا إلـى مقـر الشركة من أجل عودة كل العمال المفصولين إلى عملهم .

بعد مقابلة الوزير - تحركت المظاهرة من مبنى وزارة الشئون الاجتماعية إلى مبنى الشركة، حيث الدورية الأولى المعتصمة، وما أن وصلنا إلـى مبنـى الشـركة المحاصرة بقوات من الجيش ، حتى إنطلق صاحب الصوت الجهورى العامل عفيفـى حمودة مرددا الهتاف التالى

عاش الجندى ابن العامل .

عاش الجندى ابن الفلاح .

عاش كفاح الطبقة العاملة .

أعداء العمال أذناب الاستعمار .

ما إن انتهى عفيفى حمودة من شعاراته حتى صدرت الأوامـر بفـتح بوابـة الشركة أمام العمال وإلغاء حالة الاستعداد التى كان عليها بعد ذلك تلاقى الجنـود مـع إخوتهم من العمال وهم فى فرح شديد .

هنا أحب أن أسجل حقيقة تاريخية، هى أن الحركة الشيوعية فى ظل حكومـة الوفد كانت تجد مساحة ما من العمل الثورى، هذا فضلا عن وجود القضـية الوطنيـة التى كان لها أثر كبير فى نمو العمل الثورى وكذلك العمل الجبهوى .

بعودة جميع الزملاء المفصولين إلى عملهم ينتهى الإضراب الذى كان له أثـر

كبير على العاملين فى مختلف أقسام الشركة . وبالتالى كانت الدعوة لخلق لجان أقسـام أخرى لم تكن موجودة قبل الإضراب تلقى قبول جميع العاملين .

كان لعودة العمال المفصولين أثر طيب ليس فقط على العاملين بالشـركة بـل على جميع العاملين بمختلف الشركات والمصانع الأخرى فى مختلف المناطق .

الدروس المستفادة من معركة الإضراب الأول فيما يلى :

١) توحد القيادة .

٢) تفهم القيادة لواجباتها النضالية تجاه القاعدة العمالية .

٣) خلق الأشكال التنظيمية لخدمة العمل النضالى .

٤) التوعية الكاملة لجموع العاملين من أجل المحافظة على أشكالهم التنظيميـة وكذلك المكاسب التى حققوها .

٥) أهمية ربط المطالب الاقتصادية بالمطالب السياسية .

مرحلة ما بعد الإضراب الأول :

كانت التجربة الأولى غنية بكل المقاييس النضالية . فقد أفرزت أعدادا عماليـة متعطشة للعمل الثورى ، ورأت أن الطريق الوحيد للوقوف فى وجه كل أشكال الظلـم والاستغلال الرأسمالى هو مزيد من الإرتباط بالحركة الثورية . كان هذا هو الصـدى الثورى لدى كثير من العاملين أما نحن المسئولين عن قيادة المعركة فقـد زاد نضـجنا الفكرى والعملى من خلال هذه التجربة النضالية كما ضاقت مسـاحة الحلقيـة بيننـا، وأصبح قاسمنا المشترك هو مزيد من النضال لتطوير مكاسب طبقتنا العاملة اقتصـاديا وسياسيا واجتماعيا .

إن الأمانة التاريخية القائمة على الفهم الموضوعى، لا الحلقى تجعلنـى مـدينا لتنظيم (نواة الحزب الشيوعى المصرى) بأن جعل منى مناضلا بسيطا يعـى واجبـه تجاه طبقته العاملة وشعبه . وذلك بفضل التربية السياسية والتنظيمية، وكـذلك فهمنـا النظرى للنظرية اللينينية وحقيقة الصراع الطبقى، والتأكيد على أننا طلاب سلطة وليس دورنا فقط هو الوقوف عند حد المكاسب الاقتصادية والسياسية .

وقد تمثل هذا فى وجود مدارس الكادر التى تعمـل علـى تثقيـف الأعضـاء

وخاصة الكوادر العمالية، إلى جانب الكتب النظرية من أجل التثقيف الذاتى وفى هـذا الإطار يكون للرفيق (لويس بقطر) أثر كبير على مكوناتى الذاتية لقد كان بحق نموذج للمناضل الثورى الذى يتحلى بكل الصفات الثورية للمناضل الماركسى .

لقد أعطانى الكثير من هذه الصفات . مؤكدا على أن المناضل يجب أن يتحلى بكل الخصال والصفات التى تجعله أمام طبقته العاملة محل حب وتقدير .

كان تنظيم (نواة الحزب الشيوعى المصرى) له جريدته الخارجيـة المسـماة (بالنصر) وجريدته الداخلية المسماة (إلى الأمام) .

لم تكن جريدته (إلى الأمام) خاصة برفاق التنظيم فقط، وإنما كانت تفتح بابها لكل الرفاق على مستوى الحركة الشيوعية. وهذا يؤكد على أن تنظيم نواة الحزب كان ينطلق من مبدأ الدعوة لتكوين الحزب الشيوعى المصرى لكل الشيوعيين على أسـاس من مبادئ الماركسية اللينينية، والمتمثلة فـى مبـدأ الصـراع الأيـديولوجى حـول المستويات الأساسية والذى ينتهى بانعقاد المؤتمر الذى يقر المقومات وينتخب القيادة .

وكان من مهام النشرة الداخلية دحض المفاهيم الخاطئة التى كانت سائدة فـى الحركة الشيوعية فى ذلك الوقت .

مثل دعوة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) التى كانت ترى أن هذه التنظيمات الصغيرة خارجة منها ، وأن على الأبناء أن يعودوا إلى الأم .

أما تنظيم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) فكان له فلسفته تجاه التنظيمـات الأخرى كبيرها وصغيرها . على أنه يوجد ماركسيون ومتمركسون فالماركسيون هـم الموجودون داخل تنظيم (الراية) أما المتمركسون فهم خارج الحزب .

أما طليعة العمال فكان لها خطها المتمثل فـى النمـو الـذاتى و أن الحـزب الشيوعى سيتكون من داخلها من خلال الكثرة العددية . أى نموها ذاتيا هذه نظرة عامة إلى التنظيمات الكبيرة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ونظرتها تجاه قضية تكـوين حزب شيوعى مصرى لكل الشيوعيين المصريين . كان إلى جانب تنظيم نواة الحـزب مجموعة من التنظيمات الأخرى الصغيرة، مثل تنظيم (نحشم) وتنظيم (النجم الأحمر) وتنظيم (طليعة الشيوعيين) وتنظيم (ت ث) وتنظيم (وش).

كانت هذه التنظيمات الصغيرة أقرب إلى تنظيم نواة الحزب سواء من الناحيـة السياسية أو التنظيمية فيما يتعلق بقضية الوحدة .

هنا فقط أردت أن أشير إلى الإطار العام لمجمل تنظيمات الحركة الشيوعية فى ذلك الوقت . وذلك كى أؤكد مدى المهام الصعبة التى كانت تواجهنـا وسـط العمـل الجماهيرى .

لا شك أن معركة الإضراب الأول كان لها فضل كبير فى صهر القيادة الثورية داخل شركة الشرق .

فقد فرضت علينا مهام اقتصادية وسياسية ووطنية أكثـر امتـدادا خاصـة أن معركة الكفاح المسلح ضد المستعمر فى مدن القنال قد اشتعلت . فقد زاد هـذا الكفـاح المسلح المهام النضالية علينا، ذلك باستكمال تكوين لجان أقسام أخرى لم تكن موجـودة قبل الإضراب الأول.

على ضوء استكمال اللجان الأخرى تم انتخاب لجنة عامة ممثلة لكافة الأقسـام بحيث أصبحت الأقسام الخمسة للشركة يربطها حزام تنظيمي واحـد . آخـذا شـكله الهرمى .

معركة محافظة الإسماعيلية :

مع اشتداد الكفاح المسلح ضد المستعمر من ناحية وضد النظام الملكـى مـن ناحية أخرى وقعت معركة محافظة الإسماعيلية الباسلة التى ضرب فيها أبناؤنا الضباط والعسكر المثل والنموذج فى التضحية بدمائهم من أجل مصرهم الغالية. هنـا قـررت القوى الوطنية والتقدمية ومنها حكومة الوفد القيام بمظاهرة عامة لكل طوائف الشـعب المصرى فى يوم يطلق عليه يوم الحداد على شهداء محافظة الإسماعيلية .

لكن حكومة الوفد قد قررت أن تكون مظاهرة صامتة وأن تكتب على اللافتات شعارات فقط . منددين بجرائم المستعمر فى مدن القنال . على الفور اجتمعت اللجنـة العامة للشركة للتنسيق مع رفاق آخرين من مناطق شبرا الخيمـة وحلـوان ومنطقـة الزيتون على أن تحول المظاهرة من مظاهرة صامتة إلى مظاهرة ناطقة تهتـف بكـل الشعارات التى تم الاتفاق عليهما مع كتابة لافتة باسم عمال شركة الشرق .

كانت هى اللافتة الوحيدة التى تحمل أكثر من عشر شعارات ضد الاسـتعمار الإنجلو أمريكى . وشعارات أخرى مؤيده لحركات التحرر الوطنى فى مختلف بلـدان العالم .

منذ بدأت المظاهرة من نقطة التجمع المتفق عليها وعند ميدان الأوبـرا وهـي النقطة المتفق عليها مع مختلف القوى الثورية، بدأ الهتاف بحيـاة الشـعب المصـرى والطبقة العاملة .

وهنا تحولت المظاهرة من مظاهرة صامتة الى مظاهرة ناطقة. كـان ضـمن المشاركين فى هذه المظاهرة (فؤاد سراج الدين باشا) وكان وقتها وزيرا للداخلية .

وما أن انطلقت الهتافات حتى نظر فؤاد سراج الدين إلى لافتة عمـال الشـرق ليسجل بعض شعاراتها .

سارت المظاهرة ناطقة من ميدان الأوبرا حتى وصلت إلى ميدان عابدين حيث كان الملك واقفا فى شرفته ليستقبل المظاهرة، مما دفع رئيس الديوان الملكى من خلال مكبر الصوت . ليعلن أن عمال الشرق يطالبون بكذا، وكذا، مرددا أغلب الشـعارات. حتى أن أغلب إذاعات دول المعسكر الاشتراكى أشادت بلافتة عمال الشـرق ، ومـا تحمله من شعارات .

حقا إنها لحظة تاريخية من أعظم لحظات شعبنا وطبقتنا العاملة .

المعركة الثانية :

انتهينا من المعركة الأولى . وبدأ الاستعداد لجولة أخرى . حيث أن الصـراع بين العمال وأصحاب العمل لا يقف عند نقطة معينة . فطالما أن هناك إنسـان يسـتغل إنسان آخر تصبح معركة النضال معركة دائمة .

كان اشتداد الصراع ضد المستعمر من ناحية، وضد النظام الملكى من ناحيـة أخرى أثره على القيادة العمالية بالشركة . فقد فرض علينا مهاما وواجبات كثيرة تجـاه قضيتنا الوطنية من ناحية، وقضايانا الاقتصادية من ناحيـة أخـرى وكـذلك دعمنـا النضالى للجنة التحضيرية لتكوين اتحاد عام للعمال .

المبادأة لنا :

كان الإضراب الأول قد فرض علينا من جانب الشركة . أما الإضراب الثـانى فنحن الذين بدأناه مع الاستفادة من خبرة الإضراب الأول .

كان الإضراب الثانى تطويرا للنصر الذى حققناه فـى الإضـراب الأول مـع

إضافة مطالب جديدة تمس حياة العاملين بالشركة . خاصة تلك الأقسام التى لم تشـترك فى الإضراب الأول وعلى سبيل المثال قسم نسيج الصوف وقسم الصباغة والتجهيز .

فبتنوع الأقسام المختلفة للشركة تتنوع المشاكل . ومن هنا فإن واجـب القيـادة الثورية الواعية لواجباتها، هو التعرف على مشاكل هذه الأقسام المختلفة خاصة وأنهـا أصبحت ممثلة فى اللجنة العامة . إن ميزة هذا التشكيل النقابى الديمقراطى هو التعرف على المشاكل الخاصة بكل قسم من هذه الأقسام إلى جانب المشاكل العامة التى تمـس حياة العاملين بالشركة بشكل عام .

جاء الإضراب الثانى محققا لأغلب المطالب العمالية منها على سبيل المثال .

١) حق العمال فى حصة من أرباح الشركة فى نهاية السنة المالية .

٢) حق العمال فى وجبة غذائية بسعر رمزى .

٣) حق العمال فى أن تشترى منتج الشركة من حرير ، وصوف بسعر التكلفة.

٤) أرجئ المطلب الخاص بوجود سيارة لنقل العاملين للتفاوض فيما بعد .

وهنا أحب أن أشير إلى أن القيادة الواعية، تضع نصب عينيها مطالـب قابلـة للتحقيق ومطالب أخرى تخضع للعملية التفاوضية .

إن التجارب علمتنا أن سلاح الإضراب سلاح ذو حدين. فالإضراب لا يستخدم إلا إذا توافرت له شروطه الموضوعية القائمة على حسن التنظيم أولا، وثانيـا عامـل الإثارة والدعاية الكاملة لخلق قوى مساندة لمعركة الإضراب .

لذلك فقد سار الإضراب الثانى على نفس الأسلوب الذى تم عليه فى الإضراب الأول . مع اختلاف بسيط يتمثل فى الآتى .

١) أن الوردية التى اعتصمت بالشركة هى الورديـة التـى كانـت موجـودة بالخارج فى الإضراب الأول .

٢) دخول قسم نسيج الصوف فى الإضراب الثانى .

جاء الإضراب الثانى محققا لأغلب المطالب وذلك بفضل التنظيم السليم وكذلك القيادة الواعية التى آلت على نفسها أن تجعل من شركة الشـرق قلعـة مـن القـلاع النضالية.

كان لهذه المعارك جميعها أثر كبير على اتحاد الصناعات المصرى الذى قرر أن يغلق فيما بعد قسم نسيج الحرير لما يشكله من خطر ليس فقط على الشركة نفسـها

بل على مستوى اتحاد الصناعات المصرى .

حريق القاهرة يناير سنة ١٩٥٢

لم تمهلنا قوى الاستعمار والرجعية المتمثلة فى النظام الملكى حتـى أحرقـت القاهرة في يناير ١٩٥٢ . وكان هذا إيذانا بفرض الأحكام العسـكرية وإعـلان حالـة الطوارئ . فيما يعنى ضربا لكل القوى الوطنية والثورية .

فقد صدرت أوامر باعتقال لعدد من الزملاء القيادين فى الشـركة وكنـت أنـا واحدا منهم . إلا أننى اختفيت تماما عن أعين البوليس، أعقب ذلك قرار بغلـق قسـم الحرير بأوامر من اتحاد الصناعات المصرى .

بإعلان الأحكام العرفية وهروبى من أمر الاعتقال انتهـت علاقتـى بشـركة الشرق التى كانت تعتبر بحق مدرسة لكل المناضلين من عمال النسيج فى ذلك الوقت .

مصنع نسيج روض الفرج :

التحقت بمصنع نسيج روض الفرج فى أبريل عام ١٩٥٢ مزودا بكل خبـرات النضال المكتسبة من شركة الشرق .

المصنع الجديد . يختلف بشكل ما عن المصانع والشركات التى بها تكتل عمالى كبير . حيث أن عدد الأنوال الموجودة به لا يتعدى ٦٠ نـولا وهـى مـن الأنـوال الفرنساوى القديمة باستثناء عدد ٢ نول يابانى حديث فى وقتها وكنت أعمل على هـذه الأنوال . حيث أن الواحد كان يشتغل على نولين مدة اثنتى عشرة ساعة يوميا يتخللهـا ساعة راحة . فى هذا المصنع التقيت بزميلى محمد عبد الواحد الذى كان معـى فـى شركة الشرق ، وكذلك الزميل منير عبد الشهيد الذى لم أكن أعرفه من قبل وكنا نحـن الثلاثة ممثلين لثلاثة تنظيمات شيوعية / محمد عبد الواحد / كان وقتها يمثـل طليعـة العمال. منير عبد الشهيد / يمثل تنظيم النجم الأحمر . وأنا أمثل تنظيم نـواة الحـزب الشيوعى المصرى / ما إن تعرفنا على بعض حتى تم الاتفاق على أن نبدأ العمل سويا في هذا المصنع وخاصة وأن صاحبه (شاؤول فيتا) أحد اليهود الذين تم اعتقـالهم فـى جبل الطور عام ١٩٤٨ وكان على مقربة من الشيوعيين المصريين فى جبل الطـور. مضافا إلى ذلك مدير المصنع عبد الجواد رمضان الذى كان يوما ما صـديقا لعمـال

(مصنع داود وعدس) ثم تحول بعد ذلك ليقدم عطائه الكامل وخبراته فى خدمة ذلـك الرجل وكذلك أصحاب الأعمال .

لقد فرض هذان الرجلان علينا أن نعمل بحذر شديد لما يملكانه من ديماجوجية عالية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فكان الجزء الأكبر من العمال من أصول ريفية وأقارب وبلديات عبد الجواد رمضان .

لكل هذه العوامل قررنا أن نكون من أنفسنا (نواة لجنة مصنعية) تكون غيـر معروفة لإدارة المصنع فى مراحلها الأولى وتكون مهمتها ضـم العناصـر العماليـة النشطة إلى لجنة المصنع.

لذلك كانت مهمتنا بالدرجة الأولى هى العمل على اشتراك أغلب العمال بالنقابة العامة لعمال الغزل والنسيج بالقاهرة وضواحيها ٢٢ ميدان الظاهر .

لم نكتفى بذلك بل قمنا بجعل اللجنة المصنعية (لجنة منتخبة) كتأكيد على مبـدأ ديمقراطية التنظيم النقابى

وهنا يطرح سؤال ؟ هل لجنة المصنع فى تشكيلها تختلف عن لجنة القسم ؟

الإجابة : إن الاختلاف الوحيد بين لجنة القسم ولجنة المصنع، هو أن الأولـى توجد فقط فى الشركات متعددة الأقسام، وهو اختلاف فى الاسم ولـيس فـى المهـام التنظيمية. وسوف نرى فيما بعد كيف أن النظام أخذ شكل لجان المصانع وحولها إلـى ما يسمى باللجان النقابية الموجودة الآن فى ظل قانون النقابات الموجود حاليا.

٢٣ يوليه ١٩٥٢ :

كان الصراع الوطنى داخل المجتمع يزداد يوما بعد يوم، فمع اشتداد الصـراع الوطنى انقسم المجتمع المصرى إلى قسمين .

القسم الأول : يضم كل قوى الشعب من عمال وفلاحين وبورجوازيـة قوميـة معادية للاستعمار ومثقفين ثوريين .

القسم الثـانى : كان يضم القوى الرجعية من كبار ملاك الأرض الإقطـاعيين والسراى والاستعمار . على ضوء هذا كان لابد من حسم الصراع وحسـم التنـاقض لصالح قوة من القوتين الرئيسيتين .

فجاءت حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إيذانا بحسم الصـراع لصـالح البورجوازيـة

الكبيرة الصناعية المعادية لكـل مـن كبـار مـلاك الأرض الإقطـاعيين والسـراى والاستعمار.

الموقف من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

كان موقف أغلب التنظيمات الشيوعية ومنها نواة الحزب الشيوعى المصـرى من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أنه انقلاب عسكرى ماعدا تنظيم الحركة الديمقراطيـة (حـدتو) الذى كان يرى أنها ثورة بكل المقاييس السياسية . ثم غيرت هذا الموقـف بعـد فتـرة وأخذت نفس التحليل تمشيا مع أغلب التنظيمات الشيوعية فى ذلك الوقت .

بعد فترة قصيرة صدر تحليل سياسى من تنظيم (نواة الحـزب) ملخصـه أن هذا الانقلاب هو لصالح البورجوازية الكبيرة الصناعية .

على ضوء هذا الفهم السياسى، وضعف الشعارات التى تعمل على كشف نوايا النظام الجديد وهى كما يلى :

١) انتخاب لجنة تحضيرية لوضع دستور جديد .

٢) حق تكوين الأحزاب السياسية لكل الطبقات الوطنية بما فيها حـق الطبقـة العاملة فى تكوين حزبها السياسى .

٣) عودة الجيش إلى ثكناته .

٤) تخفيض ساعات العمل .

٥) تغيير القوانين العمالية .

٦) حق تكوين الاتحادات المهنية ، وكذلك تكوين الاتحاد العام للعمال .

٧) حق الإضراب للطبقة العاملة .

٨) حق مشاركة العاملين فى الأرباح .

وشكلت هذه النقاط الثمانية إطار عمل لتنظيم نواة الحزب الشيوعى المصـرى. وما إن وضعت هذه المطالب وسط الجماهير، حتى وقعت معركة (كفر الدوار) والتـى انتهت بإعدام كل من (خميس والبقرى) عام ١٩٥٢ .

كان لإعدام (خميس والبقرى) أثر كبير في تصاعد الصراع بين الطبقة العاملة والنظام الجديد.

فقد قوبل هذا الموقف باستنكار شديد من جانب الطبقة العاملة وكـل طوائـف

الشعب المصرى.

أشكال تنظيمية جديدة :

فرضت علينا معركة كفر الدوار كيفية إنشاء التنظيم النقـابى القاعـدى علـى مستوى النقابة العامة مثل . تكوين لجان المصانع، تكوين المناطق، تكوين اللجنة العليا، كل هذه الأشكال يتم انتخابها بالانتخاب المباشر ، وتكون مهمتهـا مسـاندة ومسـاعدة مجلس إدارة النقابة العامة للقيام بواجباته النضالية . وسنرى فيما بعد دور هذه الأشكال التنظيمية فى معركة اعتصام عمال الشوربجى .

شكلان فقط للتنظيم النقابى :

فى هذه الفترة كان يوجد شكلان فقط فى الحركة النقابية .

١) النقابة العامة وهو شكل لم يكن منتشرا على مسـتوى تنظيمـات الطبقـة العاملة.

٢) نقابة المصنع، أو نقابة المنشأة، وهذا الشكل الأخير كـان يمثـل الظـاهرة العامة على مستوى الطبقة العاملة فى مختلف تجمعاتها، حيـث بلـغ عـدد النقابـات المصنعية ما يقرب من ٦٠٠ نقابة مصنعية على المستوى العام . فى حين أن النقابات العامة التى كانت موجودة في ذلك الوقت كانت تعد على الأصابع على مستوى القطر. لذا اعتبرنا أن من أهم واجباتنا فى العمل النقابى هو العمل على حل النقابات المصنعية . حيث أنها أصبحت لا تتلائم مع احتياجات الطبقة العاملة فى هذه المرحلة، خاصة أن العمال فى كل مكان ينشدون وحدة تنظيمهم النقابى المتمثل في شكل النقابة العامة .

زملاء آخرون :

فى هذا العمل تلاقيت مع كثير من الزملاء المناضلين من مختلف التنظيمـات منهم على سبيل المثال :

محمد عبد الجواد القطان/ لطفى عبد الرحمن الشهاوى/ سيد ندا / سيد أمـين / أحمد الجبالى / إبراهيم طلبة / إبراهيم مرسى / محمد المنشاوى / مصطفى محمـد / عبد التواب عبد الله / محمد القلعاوى / إبراهيم شرف / عبد المحسن حمـوده / علـى

العدل / على عزازى/ معروف عبد الحميد / فؤاد شاويش / محمد عبد العزيز شعبان / عادل محمود / حسن حسنين / سلامه عبد الواحد / عطيه بخاتى / سيد القلعاوى .

موجز عن نشأة النقابة العامة للنسيج الميكانيكى بالقاهرة وضواحيها بقنطرة الدكة:

بعد أن تم فصل عمال النسيج الميكانيكى بالقاهرة من نقابتهم العامـة للنسـيج الميكانيكى التى كانت موجودة بمنطقة شبرا الخيمة، حيث أنها كانت نقابة عامة واحـدة تجمع كل عمال النسيج فى القاهرة وشبرا الخيمة وضواحيها فى نقابة عامة واحدة .

لم يستسلم عمال نسيج القاهرة لهذا القرار، بل ناضلوا من أجل تكـوين نقابـة عامة ترعى مصالحهم وتدافع عن حقوقهم الاقتصادية والسياسية ، والاجتماعية . وكان لهم ما أرادوا وبالفعل تم تكوين النقابة العامة للنسيج الميكانيكى بالقـاهرة وضـواحيها وكان مقرها (قنطرة الدكة) فى أواخر عام ١٩٤٧ .

فمنذ إعلان تأسيس النقابة العامة للنسيج الميكانيكى بالقاهرة واليمين الإخوانى، يحاول السيطرة على هذه النقابة الوليدة، لكن العناصر النضالية الثورية وقفت بشدة ضد هذه المحاولة، بل وشددت من نضالها ضد سيطرة جماعة الإخوان المسلمين على مقاليد النقابة الجديدة .

من هؤلاء المناضلين / المرحوم محمد على عامر / أحمد سالم / أحمد علـى خضر/ سيد ندا / عبد الله حسن / محمد عبد الجواد القطان/ فكرى الخولى/ والمرحوم لطفى عبد الرحمن الشهاوى / وزملاء أخرون .

لم تكن هذه العناصر القيادية هى وحدها التى تخوض المعركـة ضـد اليمـين الإخوانى بل كان معها القواعد العمالية التى تمرست فى معارك النضال ضد كل أشكال التدخل فى شئون الحركة النقابية سواء من جماعة الإخوان المسلمين ، أو من الأحزاب السياسية الرجعية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت . عندما كانت مرتبطـة بالنقابـة العامة للنسيج الميكانيكى بشبرا الخيمة، والتى كانت تعتبر بحق مدرسة لكل المناضلين.

أسفرت المعارك النضالية عن سقوط العناصر الإخوانية التى كان لها السيطرة بعض الوقت على النقابة العامة للنسيج الميكانيكى بالقاهرة، وعن فوز كـل العناصـر النضالية الشريفة المعروفة بانتمائها إلى العمال والدفاع عـن مصـالحهم الاقتصـادية

والسياسية والاجتماعية. منهم المناضل المرحوم / محمد على عامر الذى تولى رئاسـة النقابة العامة الجديدة وكان معه الزميل / أحمد سالم، والزميل / أحمـد علـى خضـر والزميل / عبد الله حسن، والزميل / فكرى الخولى، وزملاء أخرون .

واستمرت النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى بالقـاهرة فـى أداء رسـالتها النضالية من أجل مصالح جموع العاملين على مستوى القاهرة وضواحيها .

فى ظل هذه القيادة الواعية للنقابة خاضت النقابة العامة بالقـاهرة الإضـرابات والاعتصامات من أجل كسب الحقوق العمالية الفردية والجماعية على السواء .

واستمر أداؤها المتميز فى خدمة جمـاهير العمـال علـى مسـتوى القـاهرة وضواحيها، حتى انتقلت إلى منطقة الزيتون بالقاهرة عام ١٩٥٠ . لم تسـتمر النقابـة العامة للنسيج الميكانيكى في مقرها الجديد بمنطقة الزيتون سوى عامين حتى انتقلت إلى ٢٢ ميدان الظاهر أوائل عام ١٩٥٢ ثم تلى ذلك توحيد النقابات العامة الأربعة فى نقابة عامة واحدة اسمها النقابة العامة للغزل والنسيج والتريكو والصباغة وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها ٢٢ ميدان الظاهر .

فى هذه الفترة كان الصراع بين النقابات العامة والنقابات المصنعية على أشـده وإيمانا منا بخطورة النقابات المصنعية وتفتيتها لوحدة الطبقة العاملـة أعطينـا هـذه القضية كل إمكانياتنا النضالية، خاصة إذا ما عرفنا أن مباحث شئون العمال وأصحاب الأعمال كانت تغذى النقابات المصنعية فى هذا الوقت .

أربع نقابات عامة على مستوى محافظة القاهرة :

١) النقابة العامة للنسيج الميكانيكى بالقاهرة (وكان رئيسها الزميل محمد علـى عامر).

٢) النقابة العامة للنسيج بالوايلى. (كان رئيسها الزميل عبد التـواب عبـد الله) وسكرتيرها العام الزميل سيد أمين .

٣) النقابة العامة للنسيج اليدوى / وكان رئيسها الزميل سيد جزر / وسكرتيرها الشيخ طه.

٤) النقابة العامة للتريكو والجوارب . وكان رئيسها الزميل سعد عبد المجيـد/ وسكرتيرها العام الزميل عطية بخاتى وأمين صندوقها الزميل إبراهيم شرف .

انطلاقا من مبدأ وحدة تنظيم الطبقة العاملة أصبح ضروريا وحدة هذه النقابات الأربع في نقابة واحدة، حيث أن العمال فى كل مكان ينشدون وحدة تنظـيمهم النقـابى وبالفعل تم تفويض بعض الزملاء من النقابات الأربعة كممثلين لهذه النقابات من أجـل العمل على توحيد هذه النقابات فى نقابة واحدة .

١) النقابة العامة للنسيج بالظاهر / محمد عبد الجواد القطـان / لطفـى عبـد الرحمن الشهاوى .

٢) النقابة العامة للنسيج بالوايلى / عبد التواب عبد الله / سيد أمين .

٣) النقابة العامة للنسيج بالوايلى / الشيخ طه / وزميل آخر إسمه محمد .

٤) النقابة العامة للتريكو والجوارب / عطية بخاتى / إبراهيم شرف .

هذه هى العناصر التى لعبت دورا أساسيا ومؤثرا تساندها القواعد العمالية مـن النقابات الأربع من أجل تكوين القلعة النضالية التى عرفت فيما بعد بـ (النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج والتريكو والصباغة وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها) وكان مقرها الرئيسى ٢٢ ميدان الظاهر .

فروع النقابة العامة الجديدة :

١) فرع الزيتون .

٢) فرع حدائق القبة .

من الحقائق التاريخية التى لا يجوز إنكارها أن كل من الزملاء / محمد علـى عامر / والسيد محمد جزر / تعاونا بشكل كبير من أجل قيام هذه النقابة . ومن الأشـياء التى تحسب أيضا لهذان الزميلان، أنهما رفضا الترشيح لعضوية مجلس الإدارة الجديد، تاركين للشباب إدارتها .

ومن العناصر الشابة التى تعاونت مع هذه اللجنة كل مـن الـزملاء / حسـن حسنين / نجاتى عبد المجيد / أحمد الجبالى / عبد الفتاح سفنكس / هذه شهادة كل مـن الزملاء / عطية بخاتى / إبراهيم شرف عن توحيد النقابات الأربع فـى نقابـة عامـة واحدة :

كان لعملية الدمج أثرها الكبير فى خلق النقابة العامة للنسـيج بالظـاهر التـى أصبحت قوة نضالية على مستوى القطر .

ولا يفوتنى هنا الإشادة بموقف القواعد العمالية من مختلف النقابات الأربع فـى نضالها ودعمها للعناصر القيادية التى عملت وناضلت من أجل تكوين هـذا الصـرح العمالى .

النقابة العامة للغزل والنسيج والتريكو والصباغة وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها خلية نحل

حقا أن النقابة الجديدة كانت (خلية نحل) تعمل ليل نهار بلا كلـل أو ملـل. وذلك بفضل تمركز أكبر عدد من القيادات العمالية الثورية التى لها ماضـى نضـالى سواء فى منطقة شبرا الخيمة ، أو شركة الشرق ، أو شركة حلوان للنسيج ، مضافا إلى ذلك العناصر العمالية التى تعمل فى المناطق الصناعية الجديدة مثل منطقـة العباسـية ومنطقة الزيتون ومنطقة روض الفرج ومنطقة حدائق القبة .

عام ١٩٥٣ :

بعد أن توحدت النقابات الأربع فى نقابة واحدة أصبح الدور النضالى متعـدد الجوانب . فإلى جانب العمل على حل النقابات المصنعية ودمجها فى النقابـة العامـة الجديدة تشكلت لجنة من النقابة العامة من الزملاء/ إبراهيم مرسى/ محمد عبد الواحد/ سيد جزر/ نجاتى عبد المجيد/ للاتصال بمختلف النقابات العامة والمصـنعية، لتكـوين لجنة من مختلف النقابات تكون مهمتها نقد المواد الجديدة فى التشريعات العمالية الثلاث قانون عقد العمل الفردى/ قانون النقابات/ قانون التوفيق والتحكيم/ وخلـق رأى عـام عمالى مساند لهذه اللجنة .

جاءت التشريعات العمالية للقوانين الثلاثة غير معبرة عمـا تضـمنته مسـودة المشروع المقدم من أغلب النقابات . مرجع ذلك أن كثيرا من النقابات الموجـودة فـي ذلك الوقت كانت نقابات مصنعية مرتبطة كل الارتباط بهيئة التحرير .

هيئة التحرير والنقابة العامة لعمال الغزل والنسيج والتريكو بالقاهرة :

لقد حاول النظام الجديد أن يهيمن على حركة الطبقة العاملة من خلال تنظيماتها النقابية، وذلك بفرض سيطرته عليها من خلال ضم هذه النقابات إلى هيئـة التحريـر

كحزب سياسى للسلطة.

لكن النقابة العامة بفضل كوادرها الثورية ناضلت ضد هذا الاتجـاه وحافظـت على استقلالية النقابة العامة .

من أجل هذا سارت المعركة حامية الوطيس . بين كل من المباحث العامة من ناحية والنقابة العامة من ناحية أخرى .

ورغم ضراوة المعركة بين النقابة والمباحث العامة إلا أنهـا أفـرزت أعـدادا عمالية كبيرة متعطشة للفكر الثورى، بل ووجدت فى القيادة العمالية خبر معبـر عـن مصالحها، لذلك ارتبطت هذه العناصر بالقيادة العمالية ارتباطا وثيق الصلة . وفى أثناء هذا الصراع الحامى بين النقابة العامة والمباحث، وقعت معركة عمـال الشـوربجى، والتى انتهت باعتصام جميع الورديات، وسبب الاعتصام أن إدارة مصنع الشـوربجى قررت أن يعمل النساج الواحد على عدد أربعة أنوال بدلا من نولين .

وما إن عرفنا بموضوع الاعتصام وأساسه وحصار الشركة بالـدبابات حتـى دعيت على الفور اللجنة العليا لاجتماع عاجل . وبعد المناقشة ومعرفته الأسـباب تـم الاتفاق على أن ترسل الاحتجاجات العمالية من مختلف المناطق التى بها تشكيل نقـابى منددة بالحصار المفروض على العمال من جانب القوات المسلحة . كذلك تأييد لموقـف عمال الشوربجى الرافض لفكرة الأربعة أنوال بل تضمنت هـذه الاحتجاجـات إلـى المسئولين التحذير من تكرار مأساة (خميس والبقرى) بكفر الدوار حقـا ، لقـد لعبـت الأشكال التنظيمية الديمقراطية القاعدية دورا هاما أظهرت فيـه روح التضـامن مـع زملائهم عمال الشوربجى .

هبة مارس ١٩٥٤

جاءت هبة مارس ١٩٥٤ باعتقال الجزء الأكبر من الزملاء العمال وكنت أنـا ضمن المعتقلين، وكان وقتها عقد الجمعية العمومية للنقابة العامة لعمال الغزل والنسيج. وما أن وصلت إلى معتقل القلعة حتى تبينت اعتقـال الجـزء الأكبـر مـن الـزملاء المرشحين أنفسهم لعضوية مجلس الإدارة الجديد سواء من الزملاء القدامى أو الجدد .

لم أمكث طويلا فى معتقل القلعة حيث كان المعتقل مكان تجميع لكل المعتقلـين من ذوى الاتجاهات المختلفة حتى الإخوان المسلمين .

بعد أيام قليلة تم ترحيلى مع الإخوان المسلمين من معتقل القلعة إلـى معتقـل العامرية، وكان معى من زملاء النقابة العامة المرحوم عبد التواب عبد الله . كنا نعتقد فى البداية أن جميع المعتقلين سوف يحضرون إلى معتقل العامرية ولكن فوجئنـا بعـد الوصول إلى أننا الوحيدون الموجودون فى معتقل واحد مع الإخوان المسلمين .

مبنى المعتقل : المعتقل فى الصحراء على مقربة من مزرعة جـانكليس وبـه عدد ٩ عنابر كبيرة الحجم على النمط الانجليزى، وبه دورة مياه تبعـد عـن العنـابر بمسافة كبيرة . كنت أنا وزميلى عبد التواب عبد الله فى عنبر ١، كانـت الحيـاة مـع الإخوان المسلمين شديدة القسوة للاختلاف الموجود بيننا فى كل شئ .

أدركت على الفور أن اعتقالى مع الإخوان بالذات ليست مسألة صدفة . ولكـن تذكرت ما قاله لى (السيد وفاء حجازى) رجل المباحث من تهديده لـى فـى إحـدى اللقاءات "هأقرصك قرصة تطلع بالدم) ما أصعب أن تعيش مع أناس لا تتفق معهم فى شئ حتى الطباع مختلفة.

فى الفترة التى أمضيتها فى معتقل العامرية كان الصراع بين عمـال النسـيج والمباحث العامة قد وصل إلى أعلى درجاته . فقد حاولت المباحث العامة أن تفـرض على الجمعية العمومية للنقابة عناصرها العميلة فى مجلـس الإدارة . لكـن الجمعيـة العمومية رفضت وبشكل قوى هيمنة العناصر العميلة على النقابة العامة . بل أعلنـت وفى تحد كامل عن تمسكها بأغلب أعضاء مجلس الإدارة الجدد من الزملاء الموجودين فى مختلف المعتقلات . وكنت أنا واحد من هؤلاء الزملاء المرشحين لمجلـس الإدارة الجديد وبالفعل سلمت المباحث العامة بالأمر الواقع أمام تمسك العمال بقيادتهم الموجودة داخل المعتقلات وتم انتخاب جميع الزملاء المعتقلين من المعتقلات المختلفة .

حقا لقد كان هذا النصر على المباحث العامة تعبيرا وتجسيدا للروح النضـالية لدى عمال النسيج . وتأكيدا للدور العظيم الذى أدته اللجنة العليا ضد هيمنـة المباحـث العامة .

ولقد حافظت هذه الأشكال التنظيمية من لجان المصانع ولجان المناطق واللجنة العليا على استمرار مقاومة الجمعية العمومية فى مواجهة المباحث العامة، تحيـة لكـل الزملاء الذين شاركوا فى هذه المعركة وخاصة الزميل إبراهيم مرسى .

الإفراج :

بعد قضاء فترة فى معتقل العامرية صدر أمر بالإفراج عن جميـع المعتقلـين النقابيين الموجودين فى مختلف المعتقلات .

كان الإفراج عنى متزامنا مع عقد الجمعية العمومية للنقابة العامة للنسيج وما إن وصلت إلى مبنى المباحث العامة الساعة ١ بعد منتصف الليـل حتـى كـان فـى انتظارى (السيد وفاء حجازى) رجل المباحث الأول فى ذلك الوقت، وبعـد مناقشـات معى كانت السعادة تبدو عليه وهو يقول كيف أمضـيت هـذه الفتـرة مـع الإخـوان المسلمين.

بعد ذلك قال لى في إمكانك أن تذهب إلى البيت، أو تذهب إلى النقابـة العامـة حيث أن الجمعية العمومية عقدت اليوم وأن خطك البيانى فى الأصوات عالٍ .

ما إن خرجت من مبنى المباحث العامة. حتى وجدت نفسى فى مبنـى النقابـة العامة بميدان الظاهر . تلك الدار التى أحببتها عن إيمان وإخلاص، وهنا وجدت لجنـة الفرز تمارس عملها ووجدت التهنئة من كافة الـزملاء الموجـودين بالـدار بسـلامة الإفراج. وبنجاحى فى مجلس إدارة النقابة العامة التى أعتز كمناضل قضـى الجـزء الأكبر من مسيرته النضالية فيها .

وجاء تشكيل هيئة المكتب وانتخبت فى هذا التشكيل وكيلا ثانيا للنقابة العامـة لعمال الغزل والنسيج والتريكو والصباغة وملحقاتهـا بالقـاهرة وضـواحيها، فكانـت التجربة الأولى لى فى العمل النقابى، وهنا التقيت بعدد من الزملاء أعضـاء مجلـس الإدارة، أصحاب خبرات طويلة فى العمل النقابى والسياسى معا كنا نختلف وكنا نتفق، والحقيقة التاريخية كان الاتفاق أكثر من الخلاف، وكنا نضع دائما تجربة شركة الشرق للنسيج بما فيها من دروس مستفادة أمام أعيننا . كذلك الخبرات والتجارب المكتسبة لدى جميع الزملاء بغض النظر عن وضعهم السياسى .

إن عطاء الجماهير العمالية عطاء غير محدود، إذا ما أعطت القيادة وأخلصت فى عطائها تجاه قاعدتها العمالية .

وتعتبر بحق تجربة الجمعية العمومية لنقابة الغزل والنسيج من أغنى التجـارب فقد أصرت على أن تنتخب فى شكل تحدى للنظام والمباحث العامة بمجلس إدارة كلـه

من الزملاء المعتقلين .

لقد كان هذا بمثابة دين علينا تجاه قاعدتنا العمالية، لذلك أعطينا بلا حدود

إنجازات النقابة العامة فى المجالات الاقتصادية والسياسية والوطنية :

رغم ضراوة المعركة بين النقابة العامة وأصحاب الأعمال من ناحية والنظـام من ناحية أخرى، إلا أنها أنجزت الكثير من قضايا العمال سواء الفردية أو الجماعيـة، حيث كان الفصل من جانب أصحاب الأعمال يمثل أحد المعارك الرئيسية بالنسبة للنقابة العامة .

١) فى مجال فصل العمل فصلا تعسفيا كانت النقابة تقـوم برفـع الـدعاوى العمالية للعمال المفصولين عن طريق مكاتب العمل، وكان يتولى الدفاع عـن العمـال المفصولين الأستاذ يوسف درويش المحامى بوصفه مستشـار النقابـة القـانونى فـى السنوات الأولى ثم انضم إلى مكتبه الأستاذ حسن بسيونى المحـامى كمستشـار ثـانى للنقابة .

والحقيقة أن هذان الرجلان قد لعبا دورا هاما للغاية فى الـدفاع عـن قضـايا العمال أمام المحاكم العمالية فى القضايا الفردية والجماعية على السواء خاصـة تلـك القضايا التى كانت تحول إلى لجان التوفيق والتحكيم كذلك إلقاء المحاضرات من أجـل توعية كل العاملين عن مخاطر المواد التى تشكل خطر على حياة ومستقبل العمال .

٢) قامت النقابة العامة بجعل المندوبين فى المصانع ممثلين لها، مـن خـلال تفويض يتم اعتماده من مجلس إدارة المصنع أو المنشأة التى يعمل فيها العامل، وكذلك تمثيل النقابة العامة لدى جهات الاختصاص .

هذا الوضع الجديد تم انتزاعه من الجهات المعنية حتى يتم حصـانة المنـدوب وإعطائه الصفة النقابية .

٣) قادت النقابة العامة للنسيج الجديدة . كثير من الاعتصامات والإضرابات .

أ- أتذكر من هذه الاعتصامات والإضرابات اعتصام عمال (داود عدس) الذى انتهى بتحقيق الجزء الأكبر من المطالب .

ب - اعتصام عمال أفرينو والذى انتهى بتحقيق الجزء الأكبر من المطالب .

جـ -اعتصام عمال نسيج روض الفرج مـن أجـل عـودة بعـض الـزملاء

المفصولين وقد عادوا بالفعل إلى عملهم .

د - إضراب عمال الكسم بالدراسة واعتصامهم بمبنى الاتحاد المهنى للنسـيج والذي انتهى لصالح العمال .

فى المجال العام على مستوى المهنة :

كان التنسيق بين النقابة العامة بالظاهر وبعض النقابات الأخرى على مسـتوى الجمهورية يقوم على تدعيم فكرة النضال من أجل تكوين الاتحاد المهنى لعمال الغـزل والنسيج على مستوى القطر . وقد تم تكوين الاتحاد العام المهنى لعمال الغزل والنسيج فى أواخر عام ١٩٥٤ بفضل الكوادر المخلصة والواعية وأذكر من هؤلاء الزملاء .

١) محمد شعراوى .

٢) أحمد اليابانى .

٣) فايز علام .

٤) محمد عبد الجواد القطان .

كذلك زملاء آخرون من مختلف النقابات كان لهم دورا هاما فى تحويل فكـرة الاتحاد المهنى إلى واقع نضالى .

تحية لكل الزملاء الذين شاركوا في تكوين هذا الاتحاد المهنى والذين حـافظوا على استقلاليته بعيدا عن هيمنة النظام والسلطة فى ذلك الوقت .

على المستوى العام :

كان للنقابة العامة بالظاهر وما قبلها موقفها النضالى المؤيد للجنة التحضـيرية فى الخمسينيات من أجل تكوين الاتحاد العام لنقابات عمال مصر، بل امتد هذا الموقف المؤيد لتكوين الاتحاد العام فى عام ١٩٥٦ رغم ما كان لنا من تحفظات علـى سـير اللجنة التحضيرية وعلى مسودة المشروع. مشروع اللائحة، إلا أننا وقفنا إلى جانب هذا التكوين إيمانا منا بأن قضية إخراجه من عباءة النظام أمر يتوقف على نضالنا اليـومى ومدى حركتنا وسط القواعد العمالية .

فى المجال التنظيمى :

من الإنجازات الهامة للنقابة العامة للنسيج بالظاهر والتى تعتبر بحق دعامة من الدعامات النضالية الرئيسية هى تكوين لجان المصانع على مستوى القاهرة وضواحيها كذلك تكوين لجان المناطق وكذلك اللجنة العليا التي كانت تعتبر بحق قـوى تنظيميـة مساندة لمجلس إدارة النقابة العامة، والتى لعبت دورا هاما فى التنديد بإعدام العـاملين (خميس والبقرى) بكفر الدوار . كذلك الدور الهام فى اعتصام عمال الشوربجى عـام ١٩٥٤ تحية لكل الزملاء الذين تعاونوا من أجل تكوين هذا الصرح التنظيمـى للنقابـة العامة بالظاهر .

فى المجال الثقافى :

أنشأت النقابة العامة للنسيج بالظاهر جريدة سميت باسم (صوت العامل) كـان يحررها الزملاء العمال من عمال النسيج والتريكو وكانت مبوبة بتبويب جيـد حيـث المقال السياسى ، والقصة، والزجل، وبابا لنقد التشريعات العمالية وكـذلك الخبـرات المكتسبة من الرعيل الأكبر نسبيا.

فقد لعبت صوت العامل دورا هاما فى رفع وعى العمال وتثقيفهم بشـكل جيـد وحفزت الكثير من العمال على الكتابة سواء المقال السياسى ، أو القصة ، أو الشـعر، أو الزجل، كذلك تعد التشريعات العمالية هذا الباب الذى كان يشـرف عليـه الزميـل المناضل / حسن حسنين

تحية لكل الزملاء الذين ساهموا فى إخراج صوت العامل إلى النور وأذكر من هؤلاء الزملاء / المرحوم سيد أمين / عطية بخاتى / المرحوم حسن حسنين / سيد ندا / نجاتى عبد المجيد / إبراهيم طلبة / وزملاء آخرون .

وفى مجال التثقيف أيضا كان يدعى الأستاذ (عبـد المغنـى سـعيد) لإلقـاء محاضراته عن تطور الحركة العمالية فى مصر، كذلك عن التشريعات العمالية وكانت تعتبر بحق من العوامل التى ساعدت على وعى العمال.

فى المجال السياسى والوطن :

فى هبة مارس ١٩٥٤ وقفت النقابة العامة مع كل القوى الوطنية والتقدمية من خلال البيانات التى أصدرتها النقابة والتى تحمل وجهة نظرهـا إزاء أحـداث ١٩٥٤

كذلك موقفها الرافض للإضراب الذى دعى إليه الصاوى عميل السلطة فى ذلك الوقت.

عدوان ١٩٥٦ الغادر على بورسعيد :

فعندما وقع العدوان الثلاثى على بورسعيد صدرت البيانات والمنشورات من النقابة العامة بالظاهر منددة بالعدوان الغاشم على بورسعيد ومطالبة العمال فى كل مواقع الإنتاج بالعمل على زيادة الإنتاج هذا فضلا عن فتح باب التطوع لحمل السلاح في لجان المقاومة الشعبية .

وقد سافر بالفعل عدد من عمال النسيج إلى الخطوط الأمامية بعد تدريبهم على حمل السلاح، أذكر من هؤلاء الزملاء / معوض الجويلى / والعاملة نور الجويلى/ نجاتى عبد المجيد / وزميل آخر اسمه لطفي من عمال النسيج وبعض الزملاء الآخرون إلى معسكر (طويحر) وأذكر أيضا أنه كان معنا من نقابة الأحذية الزميل المناضل / رشاد الملاح .

الموقف من تأميم قناة السويس :

كان للنقابة العامة للنسيج بالظاهر موقفها المؤيد من عملية تأميم قناة السويس كذلك تأييد مؤتمرى باندونج وبريونى وكذلك تأييد وحدة مصر وسوريا، وبشكل عام تأييد السياسة الوطنية التى كانت تنتهجها حكومة عبد الناصر المؤيدة لكافة الشعوب المناضلة من أجل التحرر من سيطرة الاستعمار والعبودية والمؤيدة لكل حركات التحرر الوطنى فى العالم .

(سجن مصر ١٩٥٤) :

دخلت سجن مصر فى قضية (نواة الحزب الشيوعى المصرى) كان معى فى هذه القضية حسين غنيم / بهيج نصار / سمير توفيق / محمد المنشاوى / مغاورى الهوارى/ عبد العزيز اللبودى .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أدخل فيها سجن مصر ، فى هذا السجن وجدت الحياة العامة لما تمثله من أرقى أشكال المعيشة الخاصة بالشيوعية .

كانت الندوات تعقد يوميا وكذلك المحاضرات، وأيضا حفلات السمر التى كانت

تتم داخل السجن والأناشيد الثورية التى تهز المناضل هزا عنيفا .

لم نمكث فى سجن مصر سوى أيام قليلة حتى جاء الإفراج من النيابة العامـة عن كل من الزملاء بهيج نصار / حسين غنيم / سمير توفيق / نجاتى عبد المجيد .

كان عام ١٩٥٤ بالنسبة لى عاما حافل بالاعتقـالات . ففـى مـارس ١٩٥٤ اعتقلت بمعتقل العامرية، وبعدها بأشهر معينة دخلت سجن مصر فى قضـية (نـواة الحزب الشيوعى) ثم قضية التحريض على الإضراب فى مصنع شاؤول فيتا. ثم جـاء ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وهو موعد توقيع اتفاقية الجلاء بالأحرف الأولى، وتم اعتقالى فى هذا التاريخ .. عند تنفيذ أمر الاعتقال كان المصيلحى علـى رأس القـوة المكلفـة بتفتيش منزلى ووجد عدد منشورين صادرين من نواة الحزب الشـيوعى المصـرى، تهاجم فيه نص المادة التى تسمح بدخول القوات الانجليزية إلى قاعدة قناة السويس فـى حالة ما إذا تعرضت تركيا إلى عدوان من الاتحاد السوفيتى أو من دولة معينة .

تم التحقيق معى بعد انقضاء عشرة أيام من تاريخ الاعتقال، وهنا يتبين للنيابـة عدم مشروعية التحقيق بعد هذه المدة، خاصة وأنه ثبت بعد ذلـك للمحكمـة أن أمـر الاعتقال صادر من الحاكم العسكرى العام بتاريخ ٢٨ أكتـوبر سـنة ١٩٥٤ أى بعـد اعتقالى بعشرة أيام، ثم صدر أمر النيابة العامة بتحويلى إلى سجن مصر لم أمكث فـى سجن مصر مدة كبيرة، حيث صدرت الأوامر بنقل الشيوعيين إلـى سـجن القنـاطر الخيرية، وبالفعل هو سجن التجميع الوحيد للشيوعيين على مستوى الجمهورية .

وما إن وصلنا إلى السجن الجديد، حتى ظهر فى الأفـق الكـلام عـن وحـدة الشيوعية كيف كانت التنظيمات الشيوعية كبيرها وصغيرها ممثلة فى سجن القنـاطر . الحركة الديمقراطية لها اعدادا كبيرة داخل السجن من مختلـف المسـتويات / تنظـيم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) كانت له أعدادا كبيرة خاصة بعد قضية الدكتور / إسماعيل صبرى عبد الله / طليعة العمال كان لها عددا ضئيلا / منظمة (ت ث) كان أغلب أعضائها داخل السجن / (وش) كان عضوها الوحيد داخل السجن هـو الزميـل (مستجير) التنظيم الوحيد الذى لم يكن به أحد فى سجن القناطر . هو تنظـيم (نعشـم) حيث كانوا فى سجن الإسكندرية .

وما إن وصلنا إلى سجن القناطر الخيرية . حتى بدأ الكلام عن وحدة الشيوعية كيف أن الدعوة فى حد ذاتها تمثل رغبة حقيقيـة وأهميـة ثوريـة لكـل المناضـلين

المخلصين الذين يرون فى تكوين حزب شيوعى يقوم على أسس لينينية أغلى الأمـانى لطبقتهم العاملة وشعبهم .

لكن كيف يتم هذا ؟ إن التجارب العملية أثبتت أن الوحدات التى تتم عن طريق الدمج تفشل لأنها تحمل فى داخلها كل عوامل الانقسام والتفرقة، وهذا ما أكده الواقـع والتاريخ .

إذن لماذا تغفل أعيننا عن الطريق الصحيح والثورى فى الوحدة ؟ لتأخذه سبيلا وهدفا . أعنى به الطريق اللينينى في عملية الصراع الأيـديولوجى ، والمتمثـل فـى انتخاب اللجنة التحضيرية التى تأخذ على عاتقها إدارة الصراع الفكرى. مـع انتخـاب المؤتمر الذي بدوره يقر المقومات الأساسية ثم ينتخب لجنته المركزية وبهذا نكون قـد وضعنا الأساس اللينينى فى التطبيق العملى .

لكن الرفاق داخل سجن القناطر وأعنى بهم مسئولى تنظـيم الـنجم الأحمـر / تنظيم طليعة الشيوعيين / وكذلك تنظيم (ت ث) أخذوا الطريق السهل وأعلنـوا مـن داخل سجن القناطر (تكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد) فى الوقت الذى كان فيه تنظيم (نواة الحزب) فى الخارج تعمل مع رفاق (حدتو) علـى تكـوين اللجنـة التحضيرية، قبل أن تضرب العناصر القيادية فى تنظيم (حدتو) وهم الرفاق / صلاح حافظ / محمود توفيق / عبد الجابر خلاف / بدير النحاس .

كان لرفاق (حدتو) داخل سجن القناطر الخيرية، موقف محدد مـن إعـلان تكوين الحزب الشيوعى الموحد خاصة وأن الجزء الأكبر من هذه العناصر القيادية كان داخل سجن القناطر، وقد تمثل هذا الموقف فى رفضهم لهذا الإعلان مؤكدين أنه طالما أن نواة الحزب خارج هذه الوحدة فلن تدخلها .

لم تمض فترة من الوقت على الإعلان الموحد حتى وصل تقرير مـن اللجنـة المركزية لنواة الحزب، يصف هذا العمل الذى تم داخل (سجن القناطر الخيرية) بـين هذه التنظيمات الثلاثة بأنه تعبير عن قلق البورجوازية الصغيرة، بـل شـبه القـائمين والمسئولين عن الإعلان الموحد بالوصـ ـف التالى .. برجل كان عـ ـليه نذر (للسيد البدوى) فركب هذا الرجل مطيته لكى يفى بالنذر، وما إن وصل إلى بنها حتـى تقـف مطيته فما كان من الرجل أن تلفت يمينا ويسارا، وقال لنفسه لقد وصلت إلى النهايـة . كان لإعلان هذا التقرير المركزى الحامل لموقف النواة من الوحدة التى تمت رد فعـل

ثورى لدى التنظيمات الكبيرة / مثل حدتو / طليعة العمال/ الراية.

فقد صرح مسئولو هذه التنظيمات الثلاثة الكبيرة على أن موقف النواة جـدير بأن يناقش بنظرة جديدة بعيدة كل البعد عن المواقف التقليدية ...

والحقيقة أن موقف النواة وجد ترحيبا غير عادى باستثناء التنظيمـات الثلاثـة التى أعلنت قيام الوحدة.

لم يستمر موقف النواة طويلا من الوحدة، بل قررت ولأسـباب غيـر ثوريـة لموقفها الثابت من الوحدة بأنها قبلت الدخول فى هذه الوحدة علـى أسـاس أن القيـادة الحقيقية لتنظيم الحزب المصرى الموحد سوف تكون للنواة فى الخارج، حيث أن أغلب عناصرها القيادية باستثناء فوزى جرجس الذى كان موجودا بمعتقل أوردى ليمان أبـو زعبل موجودة بالخارج مما يجعل خط النواة هو الخط السائد . وهنا دخلـت الحركـة الديمقراطية الوحدة .. وكان لقرار اللجنة المركزية لنواة الحزب المغاير لخطها التـى حرصت على تأكيده من خلال جريدة إلى الأمام أثر معاكس لدى عدد من كوادر النواة الموجودين داخل سجن القناطر الخيرية .

البراءة :

حدد لى جلسة فى نهاية عام ١٩٥٥ وفى هذه الجلسة حكـم ببراءتـى، وكـان رئيس المحكمة المستشار / محمود عبد اللطيف والمعروف بعدائه للعمال، ورغم هـذا فكان له رأى فيما يختص بالمنشورات التى ضبطت معى، على أنها لا تعمل على قلب نظام الحكم وأنها لا تتعدى أن تكون وجهة نظر تعبر عن المخاطر الموجودة بالمعاهدة .. ما إن حصلت على البراءة حتى قامت المباحث العامة بتطبيق أمر الاعتقال الصادر من الحاكم العسكرى العام، وتم ترحيلى إلى معتقل أوردى ليمان أبـو زعبـل وهنـاك التقيت بعدد من الزملاء والذين كان لهم موقف مـن وحـدة الموحـد مـن مختلـف التنظيمات، خاصة بعد المشاكل التى ظهرت بعد عملية الـدمج والتـى أصـبح مـن المستحيل الاستمرار فيها .

إن الوحدات الاندماجية رغم ما يصاحبها من شعارات اتفاق سرعان ما يطفـو على سطح العمل الحزبى كل التناقضات فى الممارسة الحزبية .

إن الصراع الفكرى في محك التطبيق العملى كفيل بحل التناقضـات ، سـواء

السياسية أو التنظيمية أو الأيديولوجية .

إن الأمانة التاريخية تجعلنى أقر حقيقة تاريخية بأن فـوزى جـرجس عضـو اللجنة المركزية لتنظيم نواة الحزب الشيوعى المصرى كان موجـودا بمعتقـل أوردى ليمان أبو زعبل عندما صدر قرار اللجنة المركزية الموجودة بالخارج الخاص بـدخول وحدة الموحد على ضوء هذا قررنا أن نكون تنظيما بعد خروجنا مـن معتقـل أوردى ليمان أبو زعبل من كافة العناصر التى كان لها موقف من وحدة الموحد .

وبالفعل تم تكوين تنظيم (طليعة الشعب الديمقراطية) بقيادة مؤقتة تعمل علـى تقديم مشاريع لكل المقومات التنظيمية على أن يتوج ذلك بمؤتمر تأسيسى.

الإفراج فى مايو ١٩٥٦ :

بدأت عملية الإفراج عن المعتقلين تأخذ شكلها الطبيعى، وهنا سـارت مشـكلة داخل المعتقل حول الطلب الذى تطلبه المباحث العامة من المفرج عنهم، وهـو كتابـة تعهد بعدم الاشتغال بالسياسة. فكان موقف مجموعتنا هو عدم إقرار هذا الحق .

وبالفعل عندما تم الإفراج عنى مع مجموعة أخرى من تنظيمات مختلفة تمسكنا بعدم كتابة هذا التعهد . فما كان من المباحث العامة إلا أن أطلقت سراحنا وبهذا نكـون قد سجلنا موقفا يعبر عن وحدة وتضامن المعتقلين ضد كتابة هذا الإقرار .

حول التناقض الرئيسى والتناقض الثانوى :

من مشروع التكتيك المقدم للمؤتمر الأول لمنظمة (طليعة الشعب الديمقراطية) تحت عنوان خطنا السياسى ديسمبر ١٩٥٧ .

ففى سنوات ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ خطت حكومة عبد الناصر خطوات وطنية فـي مواجهة الاستعمار العالمى تمثل هذا فى صفقة الأسلحة التشيكية وأيضـا تـأميم قنـاة السويس، وكذلك مؤتمرى باندونج وبريونى . كان لهذا التحول الكبير من جانب النظام أثره الكبير على مواقف أغلب المنظمات الشيوعية فى ذلك الوقت .

كان لتنظيم (طليعة الشعب الديمقراطية) رؤية سياسية تمثلـت فـى خطهـا السياسى أن حكومة عبد الناصر حكومة وطنية ومن ثم وجب تأييـدها فـى مواجهـة الاستعمار .

لا شك أن المواقف الأخيرة لحكومة عبد الناصر قد دفعت بالاستعمار إلى انتهاج سياسة عدوانية صريحة ضد الشعب المصرى هى : فرض إعادة وضع مصر تحت السيطرة والاستعباد الاستعماريين .

وقد تمثلت هذه السياسة فى عدة مواقف كان آخرها هو العدوان الثلاثى على مصر، وقبله حوادث التحرشات الإسرائيلية ، والضغط الاقتصادى وسحب عرض تمويل مشروع السد العالى، وتجميد الأرصدة المصرية . وفى مثل هذه الظروف يمكن للطبقات المختلفة أن تتحد ولو مؤقتا للوقوف فى وجه العدوان الاستعمارى وفى مثل هذا الوقت أيضا يصبح التناقض بين الاستعمار وبين الشعب المصرى بمختلف طبقاته (باستثناء حفنة صغيرة من الخونة والعملاء) هو التناقض الرئيسى، بينما تصبح كل التناقضات بين الطبقات المختلفة فى داخل البلاد فى مركز ثانوى متابع، وبالرغم من ذلك فإن هذه التناقضات تظل موجودة لم يقضى عليها بأى حال من الأحوال، ومن ثم فإن واجب الشيوعيين المصريين هو الملاءمة بين هذه التناقضات الداخلية وبين التناقضات الخارجية وهى مسألة يمكن ويجب أن تتم فى الوقت الحالى بشكل يؤدى إلى إنجاز المهمة العامة وهى تصفية النفوذ الاستعمارى والوقوف فى وجه تهديداته ومؤامراته وتقتضى منا هذه ألا نسكت على أحد من هذه التناقضات بدعوى أن هذا يضر بالتناقض الرئيسى . ومن ثم فإن إغفال أو تجاهل مشاكل الشعب الاقتصادية وحرمانه الديمقراطية أمر خاطئ من أساسه، والسليم هو عدم إغفال هذه المطالب ولكن يراعى فى المطالبة بها عدم إعطائها مركز الصدارة بحيث تصبح هى التناقض الرئيسى سواء بوعى أو بدون وعى .

وإذا نظرنا إلى الأوضاع فى مصر لوجدنا أنه بالرغم من اتباع الحكومة لسياسة خارجية تتميز بعدائها للاستعمار ودفاعا عن السلام، إلا أن نفس الحكومة تتبع فى الداخل أساليب بعيدة كل البعد عن الديمقراطية . وفى نفس الوقت الذى تتعرض فيه البلاد لأزمة اقتصادية نجد الحكومة تسعى إلى إلقاء عبء الأزمة على كاهل الطبقات الفقيرة وفى الوقت الذى سمحت فيه الحكومة للجماهير الشعبية بحمل السلاح وتكوين لجان المقاومة الشعبية أيام الغزو الاستعمارى نجدها قد سارعت بحل هذه اللجان وسحب السلاح بالرغم من أن الخطر الاستعمارى كان ما زال يهدد بلادنا بل أن ذلك قد حدث قبل أن يتم انسحاب الجيوش المعتدية من بورسعيد . كل هذه المسائل وغيرها

توضح أن البورجوازية الصناعية الحاكمة وهى تسعى إلى حل تناقضها مع الاستعمار لا تستند إلى الجماهير الشعبية، فى نفس الوقت تحاول أن تكسب كل المواقـع لنفسـها دون أن يصيب الجماهير أى مغنم من وراء هذا . إنها تتبع فى الداخل سياسـة أنانيـة ضيقة الأفق وواجبنا إزاء هذا أن نكافح بكل قوتنا من أجل تغيير هذه السياسة علـى أن تراعى دائما عدم تغليب هذا التناقض الداخلى على التناقض الرئيسى وهو الخارجى .

الكفاح من أجل الديمقراطية :

قلنا أن التناقض الرئيسى فى المرحلة الحالية هو التناقض بين الشعب المصرى بجميع طبقاته المتعددة للوقوف ضد الاستعمار من جانب وبين الاستعمار من الجانـب الآخر ولكى نعالج هذا التناقض بشكل سليم تكون المهمة الأساسية الملقاة علـى عـاتق الشيوعيين هى إنجاز الوحدة الوطنية الشاملة . وهذا بدوره يستلزم قيام الجبهة الوطنية الديمقراطية كشكل تنظيمى يعبر عن هذه الوحدة، ولكن لكى يمكن إقامة هـذه الجبهـة على أساس سليم وكحلف طبقى يكون قادرا بحق على إنجاز المهام التى تواجهـه فـي هذه المرحلة التاريخية لابد من أن تتوافر الديمقراطية داخل البلاد ونحن عندما نـتكلم عن الديمقراطية فإنما نعنى ديمقراطية الطبقـات الشـعبية مـن العمـال والفلاحـين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة وحتى الأجزاء من البورجوازيـة الكبيـرة غيـر المرتبطة بالاستعمار وتتولى هذه الطبقات الشعبية المتحالفة القيـام بكبـت العناصـر المعادية للشعب والتى تقف فى وجه الاستقلال الوطنى ولا يمكن أن تقوم طبقة بمفردها بتولى هذه المهمة لأنها مهما تظاهرت بالحياد وسعة الأفق وعدم الأنانية، فإنها سـوف توجه سياستها دائما بالشكل الذى يضمن استتباب الأمور لها وعدم إشـراك الطبقـات الأخرى فى احراز مكاسب لها، وفى كفاحها من أجل الديمقراطية علينا أيضا ألا نتمسك بأشكال وقوالب جامدة. أو تنتظر حتى تهبط علينا الديمقراطية من السماء بمنصة مـن البورجوازية . بل علينا أن ندرك توسيع كافة الأشكال الصغيرة التى تتيحها المعركـة واستغلال كل الثغرات التى نستطيع أن ننفذ منها . كل ذلك على أن نكون واعيين تماما فى المحافظة على استقلالنا الكامل . وعدم ضياع منبرنا المستقل داخل أى شكل مـن الأشكال، حريصين على مصالحنا الطبقية بالأسلوب الذى لا يرفع التناقض الثانوى إلى مرتبة التناقض الرئيسى. هذه العوامل كلها متفاعلة تؤدى إلى اكتسـاب الديمقراطيـة،

وبالتالى إلى قيادة الطبقة العاملة للجبهة الوطنية الديمقراطية .

ولا شك أن هناك إمكانيات كسب كثير من الحقوق والديمقراطية فى ظل الحكم الغاشم، ولكن الذى يحدد نجاحنا أو فشلنا هو مقدار ما نبذله من جهد فى هذا السـبيل . إن اليساريين يقولون بأنه من غير الممكن لهذه الحكومة الديكتاتورية أن تمنح الشـعب حقوقا ديمقراطية .

بينما يهلل اليمينيون بأن البلاد لم تشهد فى حياتها ديمقراطية مثل التى تشهدها اليوم، ويصفون كل من يطالب بالديمقراطيـة بأنـه يطعـن فـى وطنيـة الحكومـة وديمقراطيتها وأنه من عملاء الاستعمار . إن كلا الاتجاهين خاطئ وانتهازى ومضـر بمصالح الطبقة العاملة، فالاتجاه الأول يدعونا إلى معاداة قسم من البورجوازية يمكـن كسبه كحليف في المرحلة الحالية، والاتجاه الثانى يدعونا إلى الاستسلام للأمر الواقـع وقبول قيادة هذه البورجوازية بل وأكثر من ذلك يذوب في هذه القيـادة ويفقـد تراثـه المستقل ملقيا بالطبقة العاملة وطليعتها في مستنقع التلقائية وبذلك تتأكد وتـدوم قيـادة البورجوازية للحركة الوطنية كـل هـذا تحـت شـعارات التحـالف مـع الحكومـة والبورجوازية .

من مشروع التكتيك المقدم للمـؤتمر الأول لمنظمـة طليعـة الشـعب الديمقراطية

ديسمبر ١٩٥٧ تحت عنوان خطتنا السياسية

من خلال هذا الفهم السياسى فى هذه المرحلة، كـان نشـاطنا العملـى وسـط النقابات والجماهير الشعبية مرتبط كل الارتباط بقضية الديمقراطية وكـذلك القضـايا المعيشية الأخرى.

عودة إلى النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج والتريكو والصـباغة وملحقاتهـا بالقاهرة وضواحيها .

كان العمل فى النقابة العامة لمختلف الزملاء من التنظيمات الشيوعية يقوم على أساس من الاحترام الكامل .

إن من أهم سمات النشاط العملى. صهر الكوادر العمالية داخل بوتقة النضـال اليومى . لقد علمتنا التجارب أن الواقع العملى لا يقبل غير وجهة النظر الثورية التـى

تعبر عن مصالح العمال فى مرحلة معينة ، ومن هنا كان التنسيق بـين كـل الرفـاق العمال وسيلة لتخطى كثير من العقبات التى كانت تعترض طريقنا فى اللحظات الأولى لتواجدنا بالنقابة العامة . كان هناك الاتفاق على كثير من أساليب العمل المختلفة . ومما لا شك فيه أن تجارب شركة الشرق كانت محل تقدير لدى جميع الزملاء .

فمثلا عندما تم الاتفاق على تكوين لجان المناطق وأيضا تكوين اللجنة العامـة كانت هذه الخطة تحظى بموافقة من كل الزملاء من مختلف التنظيمات .

كذلك عندما تم الاتفاق على خلق جريدة عمالية تحمل (إسم صوت العامـل) وهى جريدة حائط لقيت القبول من مجموع الزملاء، والحقيقة أن صوت العامل لعبـت دورا هاما ومؤثرا للغاية فى رفع مستوى وعى العمال والعاملات . فقد كان فيها المقال السياسى وكذلك الأبواب الأخرى التى تحمل باب القصة وباب الشعر والزجل، وأيضـا باب التشريعات العمالية خاصة المواد القانونية التى تشكل خطر على العمال .

لقد كانت بحق سنوات ١٩٥٢ حتى ١٩٥٨ من أزهى مراحل النقابـة العامـة لعمال الغزل والنسيج والتريكو ليس فقط على مستوى عمال القاهرة بل عمال الغـزل والنسيج على مستوى القطر . كانت بحق أبرز النقابات فى مصر .

لقد أصبحت مزار لكل مناضل يفد إلى القاهرة بل لكل المناضلين العرب . فهى التى لها السبق مع جميع الزملاء من مختلف القطر من أجل تكوين الاتحـاد المهنـى لعمال الغزل والنسيج على مستوى القطر . وهى أيضا التى ناضلت مع زملاء آخرين من نقابات ومهن أخرى ، من أجل تكوين الاتحاد العام لعمال مصر. كان لهذه السياسة التحريرية التى تنتجها حكومة عبد الناصر وتأييدها للحركات التحريرية فى العالم أثرها على الاستعمار العالمى وصنيعته إسرائيل وكذلك تأميم قناة السويس مما دفع هذه القوة الاستعمارية تشن عدوانها الثلاثى على مدينة بورسعيد.

تأميم قناة السويس وعدوان ١٩٥٦ :

كان تأميم قناة السويس عملا وطنيا وثوريا بكل المقاييس الأمر الذى أفقد القوى الاستعمارية صوابها وجعلها تشن عدوانها الثلاثى الغادر على بورسعيد .

على الفور اجتمعت اللجنة المركزية (لتنظيم طليعـة الشـعب الديمقراطيـة) وقررت أن يتوجه الجزء الأكبر من أعضاء التنظيم إلى الخطوط الأمامية، وتكوين مـا

يسمى بلجان المقاومة الشعبية وكذلك تكليف أحد أعضاء القياديين المناضل (محمـود المانسترلى) أن يبرم اتفاقا مع المسئولين فى حكومة عبد الناصر مـن أجـل تـدريب الشيوعيين المصريين على حمل السلاح فى مواجهة العدوان الغاشم .

وبالفعل تم الاتفاق مع المسئولين لإتاحة العمل لكل فصائل الحركة الشـيوعية وهنا ينطلق بنا الـ - - -فارس (محمود المانسترلى) إلى معسكر (طويحر) إيمانا مـن حقيقة تاريخية، هـى أن الشـيوعيين أكثـر النـاس دفاعـا عـن أوطـانهم وجـاء معسكر(طويحر) تعبيرا وتجسيدا لكل فصائل الحركة الشيوعية .

الحياة داخل المعسكر :

كانت الحياة داخل المعسكر تختلف كلية عن الحياة العادية . ففيهـا الصـرامة وكذلك الانضباط الكامل .

كانت هذه التجربة جديدة تماما على الشيوعيين المصـريين لكـن الحقيقـة أن الشيوعيين كانوا على مستوى المسئولية سواء من ناحية التدريب أو من ناحية أسـلوب المعيشة أو احترامهم للمسئول العسكرى وأقصد هنا الزميل (محمود المانسترلى) رغم التعددية التنظيمية وأعنى بها الحلقية، كان هناك اتفاق من جميع الرفـاق الموجـودين بالمعسكر على أن تظهر بالمظهر الثورى المتمثل فى الحب والاحترام المتبادل .

وقد تمثل هذا فى اختيار المسئولين عـن الحيـاة المعيشـية وكـذلك الرفـاق المسئولين عن المجاميع الأخرى بسهولة ويسردون النظر على انتماءاتهم التنظيمية .

كان المعسكر يضم الزملاء والزميلات من بينهم / علـى الشـلقانى / فيليـب جلاب/ ابراهيم فتحى / عبد الملك بواقيم / على الشوباشى / لطفى قطـيم/ مصـطفى الحسينى/ معوض الجويلى / عبد المنعم الغزالى / نجاتى عبد المجيد / رشاد المـلاح وزملاء كثيرين لم أتذكر أسماءهم من جامعات وكليات مختلفة أما الزميلات فهن / نانة الشلقانى / عايدة ثابت / أميمة أبو النصر / أنيسة أبو النصر / نـور الجـويلى وهـى العاملة الوحيدة من عاملات النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج بالقاهرة وضواحيها .

التدريب :

من الكوادر العسكرية التى تولت تدريبنا على استخدام السلاح مجموعـة مـن

كوادر المخابرات على رأس هذه المجموعة المرحوم (كمال رفعت) وأسماء أخرى لا أتذكرها الآن بحكم السن .

الحقيقة أن هذه المجموعة كانت على فهم كبير بكل ما كتبه الرفيق (ماوتسـى تونج) بخصوص حرب العصابات، لكن المرحوم كمال رفعت كان صاحب باع طويـل سواء فى مجال التدريب العملى أو النظرى المتمثل فى استراتيجية حرب العصـابات، خاصة عندما كان يقود التدريب العملى ليلا وبالذخيرة الحية .

ما أحلى هذه الأيام وما أجملها عندما تتلاقى كل فصائل الحركة الشيوعية على موقف واحد مع الفصائل الوطنية الأخرى .

إن معركة ١٩٥٦ أظهرت بكل الوضوح كيف أن الشيوعيين المصريين يعون تماما حركة التناقضات ويفرقون بوضوح بين كل ما هو أساسى وما هو ثانوى فى هذه المعركة بالذات .

لم نقض وقتا طويلا فى هذا المعسكر حتى تم توزيعنا على مختلف المنـاطق التى تم تحديدها من قبل المسئولين على ضوء احتمالات أن العدو ممكن أن يخترق هذه المناطق، وقد تم اختيارى مع مجموعة من الرفاق على أن نكون موجـودين بمنطقـة (سرابيوم المحطة) وأن أكون مسئولا عنها إلى جانب مجموعة أخـرى كـان مكانهـا (عزبة أبو جاموس) وكان ضمن كوادر هذه المجموعة الزميل رشاد الملاح ومعـوض الجويلى والزميل فكرى تادرس .

بتوزيعنا على المناطق الجديدة وارتباطا بجماهير الفلاحين أصبح لزاما علينـا أن نضع الأسلوب الذى يتعين علينا اتباعه فى الوضع الجديد. إن العمل فى الريف لـه خصوصية خاصة، ويجب على المناضل الثورى أن يكون واعيا لها خاصة إذا ما كنت تتحرك وعين السلطة عليك.

كان واجبنا فى المحل الأول هو تدريب الفلاحين على حمل السلاح .

ثانيا : تشكيل لجان المقاومة .

ثالثا : التوعية الكاملة لجماهير الفلاحين عن المرحلة الحالية .

رابعا : التعرف على جميع المشاكل التى تواجه الفلاحين والعمل على حلها .

كانت هذه النقاط الأساسية التى تشكل إطار عملنا فى هذه المناطق .

ما أن وصلنا إلى (سرابيوم المحطة) حتى انطلقت الزغاريد والهتافـات التـى

ترحب بقدوم رجال المقاومة . فكان الكل يتسابق على أن يحظى بنزول رجال المقاومة ضيوفا عليه، إلى أن جاء عمدة (سرابيوم المحطة) وحسم الموقـف قـائلا أن رجـال المقاومة لهم مكانتهم المعد بجوار سكنى وفعلا استقرينا بجوار مسكن العمـدة المطـل على المحطة نفسها .

وتم على الفور اجتماع كامل لكل الزملاء الموجودين معى فى هذا المعسكر من أجل أن نحدد واجباتنا تجاه الجماهير والتأكيد على الصفات التي يجب أن يتحلـى بهـا رجل المقاومة، خاصة ما إذا كان رجلا منظما.

كان حب الجماهير تجاهنا قويا بشكل لم أحسه من قبل، وقد تمثل هذا الحب في امرأة تربى أولادها (اليتامى) وجاءت تحمل داخل علبة بعض البيض وقالت لى هـذا ما أملكه

إن هذا الموقف إن دل على شئ فإنما يدل على أصالة شعبنا . لم يكـن هـذا الموقف هو الوحيد بل كانت هناك مواقف عظيمة وأخص بالذكر تلك العائلة الوطنيـة وهى عائلة (الفرافرة) كم كان إرتباطنا بهذه العائلة ارتباطا قويا . حيث أنها عائلة لهـا تاريخ حافل فى مقاومة المستعمر فى مدن القناة، فهـى العائلـة التـى قـدمت كافـة المساعدات لحركة المقاومة عام ١٩٥١ ضد المستعمر .

إن لشيخها الكبير الحاج (أحمد الفرفرى) مكانة كبيرة فى قلبى شخصيا حيـث كانت تربطنى به أقوى العلاقات، لقد زودنى هذا الشيخ بتجاربه ضد قوات الاحـتلال. نعم الأب والأخ والصديق والمناضل .

من خلال ارتباطنا بحركة الجماهير وضعنا أيدينا على المشاكل الرئيسية التـى تواجهها . فكانت أبرز هذه المشاكل وأعقدها هى مشكلة الفول السـودانى، حيـث أن الفول السودانى يعتبر المحصول الرئيسى لمنطقة الاسماعيلية بالفعل تم دراسـة هـذه المشكلة مع أبناء الاسماعيلية ورأيهم فى حلها من خلال لجان المقاومة .

انتهى الرأى بكتابة مذكرة تتضمن رأى المقاومة المتمثل فى أن تدخل الحكومة كمشترية لمحصول الفول السودانى وبسعر مجزى إلى الحاكم العسكرى العام لمنطقـة الاسماعيلية وبعد مشاورات صدر قرار الحاكم العسكرى العام بشراء كل المحصول من الفول السودانى وبالسعر المقترح من جانب لجان المقاومة. وقد أعلن هذا القرار عـن طريق المقاومة، مما أكسبها مصداقية لدى كل جماهير الاسماعيلية، مما دفع الجماهير

بأن تخرج فى مسيرة تظاهرية معلنة تأييدها للمقاومة والنظـام. إن القيـادة الواعيـة، خاصة المدربة والمتفهمة لواجباتها تجاه حركة الجماهير إنما بذلك تضع سياجا منيعـا تجاه جبهتها الداخلية .

لم يمض وقت طويل على أرض المقاومة. حتى جاء قرار وقف اطلاق النـار وانسحاب العدو الاستعمارى من بورسعيد. وذلك بفضـل النضـال البطـولى لشـعب بورسعيد البطل. وكذلك الإنذار السوفيتى الذى كان له أعمق الأثر فـى نفـوس كـل الشعوب المناضلة من أجل التحرر والاستقلال .

لقد كان بحق عونا لكل قوى التحرر من العبودية والاستعمار لم يمـض وقـت طويل على الانسحاب من أرض المعركة، حتى جاء قرار تسـريح المقاومـة وتسـليم أسلحتها كان يوم حزن كبير لكل رجال المقاومة ليس فقط، بل لأبناء شعب الاسماعيلية فقد بكت أعداد كبيرة من هذا الشعب العظيم لما تركناه فى نفوسهم من آثار طيبة خاصة تلك الأم العظيمة التى أنجبت عائلة الفرافرة وهى تقول لى وداعا (يا أحمـد) كنـت أتمنى أن تعيش بيننا ...

العودة إلى القاهرة :

لقد كانت تجربة مفيدة فى حياة المناضل رغم قصر المدة ففيها يتعلم الإنسـان المناضل كيف يعمل فى الريف لأن الريف له خصائصه التى تختلف اختلافا كبيرا عن المدينة ..

ولهذا الاختلاف وجب على المناضل أن يتعرف على حياة الفلاحين اليوميـة . وكذلك عاداتهم وتقاليدهم، كل هذه الأشياء توجب على المناضل أن يعيش معهم حياتهم ويشاركهم عاداتهم وتقاليدهم . أى العيش معهم فى كل شئ . حتى يثقوا فيك ويطمئنوا لك كمناضل جئت تدافع عنهم، وعدنا إلى القاهرة مزودين بخبرة هذه التجربـة التـى اكتسبناها من العمل فى ريف محافظة الاسماعيلية على أن قضية الديمقراطية والقضايا المعيشية للشعب المصرى كانت تشكل الحلقة الرئيسية فى النضال اليومى ولهذا وضعنا كل تكتيكاتنا من أجل خدمة هذا الغرض .

صار هذا خطنا السياسى فى هذه المرحلة حتى مجئ أول انتخابات برلمانية فى عام ١٩٥٧ فى ظل وجود حزب السلطة، وهو الاتحاد القومى . وما إن تم فـتح بـاب

الترشيح لمجلس الأمة حتى قدم التنظيم اثنين من الشخصيات العامة السياسـية، همـا الأستاذ/ محمد فهيم المحامى عن دائرة إمبابة العمالية، والثانى الأستاذ/ محمود النبـوى عن دائرة المطرية مع التنسيق مع بقية التنظيمات الشيوعية الأخرى . وكـان أبرزهـا دائرة قسم الوايلى والذى كان فيها الدكتور/ عبد العظيم أنيس . الذى لم يعترض عليـه من قبل اللجنة العليا للاتحاد القومى وقام العمال بدعاية واسعة لكل من محمـد فهـيم ، ومحمود النبوى ، ثم صدر قرار اللجنة العليا للاتحاد القومى بالاعتراض عليهم .

كانت هذه الفترة مناسبة لطرح البرنامج المرحلى وسـط الجمـاهير الشـعبية خاصة وأن مشروع ايزنهاور قد أخذ شكله الساخر مما جعلنا نؤكد كل التأكيد على أن قضية الديمقراطية هى السياج المانع للوقوف في وجه كل مؤامرات الاستعمار العالمى.

مجلس الأمة وموقفنا من مشروع الخطة السياسية ديسمبر ١٩٥٧ :

لقد تكلمنا فى مشروع تكتيكنا السابق عن ضرورة إجراء الانتخابات وتكـوين مجلس الأمة وكان هذا فى فبراير الماضى. ولقد تكون مجلس الأمة فما هى واجباتنـا إزاءه؟ بالرغم من الأخطاء والتفكير الأنانى وضيق الأفق الـذى اتبـع فـى إجـراء الانتخابات وتمثل فى إصدار قانون بحرمان الشيوعيين أساسا مـن ترشـيح أنفسـهم واعتراض لجنة الاتحاد القومى التنفيذية على كل المرشحين الوطنيين وهى اجـراءات نعارضها إلا أن المجلس قد أصبح حقيقة واقعة ومن هذه الزاويـة يجـب أن ننـاقش الموضوع . إن القول بأن مجلس الأمة لم يأت نتيجة ديمقراطية بالمعنى الكامـل قـول صحيح، ولكن القول بأن هذا يجعلنا نطالب بحل مجلس الأمة الأن قول خاطئ إذ أنه لا يضع فى تعتباره هذين العاملين ..

١) أن مجلس الأمة يضم فعلا عددا من النواب الوطنيين الذين يمكن أن يلعبوا دورا كبيرا في قيادة هذا المجلس نحو تنفيذ بعض الإصلاحات الوطنية والديمقراطيـة وأنه لم يثبت بعد بتركيبة الحالى أنه قد فشل تماما في أن يلعب هذا الدور .

٢) أن العبرة ليست فى الشعار فى حد ذاته إنما العبرة بالظروف التى يقدم فيها هذا الشعار والقوة التنظيمية التي يمكنها تنفيذه، ونحن نعتقد أنه يكون من غير الملائـم على الإطلاق أن نطالب فى ظل الظروف الحالية بحل مجلس الأمة وهو لـم يمضـى علي انتخابه أكثر من ثلاثة شهور ولم يأخذ الفرصة لإثبات صلاحيته أو فشـله وهـذا

بالإضافة إلى أنه لا توجد قوة تنظيمية يمكن أن تسند هذا الشعار وتنفذه وهكذا يتضح أن هذا الشعار خاطئ وفقا للعاملين السابقين.

إن واجبنا إزاء مجلس الأمة هو الضغط على كل النواب الموجودين فيه من أجل تنفيذ برنامج الجبهة وجدير بالاعتبار أن تقرر أنه كلما قوى نفوذ تأييد الجماهير وفوزنا فى الحقل السياسى كقوة وطنية واضحة كلما زادت إمكانية تحقيق هذا العمل. إن الانتهازية اليمينية بالغت كعادتها دائما فيما يمكن إحرازه من مكاسب عن طريق مجلس الأمة الحالى، بل أنها وصلت إلى حد القول بأن هذا المجلس هو أداة الانتقال السلمى إلى الاشتراكية . إن الانتهازية بهذا الكلام تكشف عن وجهها تماما كعميلة للبورجوازية فى صفوف الطبقة العاملة . فمن المؤكد أن مثل هذا الكلام خروج على أبسط المفاهيم الماركسية اللينينية التى ينشدون بأنهم يطبقونها . إن الانتقال السلمى إلى الاشتراكية يشترط توافر ظروف خاصة لن نقولها هنا، فليس هذا مجال بحثها بل يميل الرفاق إلى تقرير الرفيق (خالد) المنشور فى العدد الخامس من نشرتنا الداخلية (الشيوعى) حول هذا الموضوع، فهل ترى توافر هذه الشروط فى رأى السادة الأفاضل أصحاب هذا الاتجاه اليمينى .

والحقيقة أن هذا البرنامج المرحلى لقى قبول الجماهير الشعبية لما يتضمنه من مطالب اقتصادية وسياسية تعبر عن احتياجات الجماهير الشعبية فى هذه المرحلة ..

عام ١٩٥٨ :

فى هذا العام تم اتحاد تنظيم (طليعة الشعب الديمقراطية) مع تنظيم (وحدة الشيوعيين) ونتج عن هذه الوحدة الاندماجية تكوين منظمة (الطليعة الشيوعية) وللأمانة التاريخية فإن هذه الوحدة لم تتم على أساس من الصراع الفكرى لخط التزمنا به تجاه كافة تنظيمات الحركة الشيوعية المصرية، وأسباب ذلك ترجع إلى أن زملاء وحدة الشيوعيين أعلنوا موافقتهم على كل مقومات تنظيم (طليعة الشعب الديمقراطية) الأمر الذى جعل كثير من رفاق التنظيم وخاصة القياديين يقبلون الموافقة على الوحدة الاندماجية .

لكن سرعان ما تبين أن كثيرا من البيانات المقدمة من جانب زملاء وحدة الشيوعيين خاصة في مجال التنسيق غير معبرة عن الواقع الحقيقى لهذا التنظيم وما فيه

وعليه خرج زملاء وحدة الشيوعيين كما دخلوا .

استمر تنظيم (الطليعة الشيوعية) على الفهم السياسى القائم علـى التنـاقض الرئيسى فى هذه المرحلة ضد الاستعمار ، ومن ثم فإن التناقض الثانوى فى هذه المرحلة يصبح بين الطبقة العاملة والجماهير الشعبية ، وبين النظام الوطنى القائم . كـان لهـذا الخط السياسى تمايزه الواضح وسط العمل الجماهيرى . مما أكسبه قوة واستمرارية .

مع استمرار الصراع بين النظام الوطنى من ناحية وبين الاستعمار والرجعيـة العربية من ناحية أخرى، وفى ذلك الوقت طرحت فكرة الوحدة بين كـل مـن مصـر وسوريا، حيث أن النظامين المصرى والسورى كانا يقفان فـى خنـدق واحـد ضـد الاستعمار وقوى الرجعية العربية مما سهل للنظامين أن يدخلا فى وحدة اندماجية بـين الشعبين .

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

لا شك أن الوحدة بين الشعوب ذات الخصائص القومية الواحدة هـدف يسـعى إليه كل مناضل، خاصة إذا كانت هذه الشعوب قد انصهرت فى بوتقة النضـال ضـد الاستعمار وضد كل أشكال التخلف، بحيث لا يوجد تمايز بين هذا القطر أو ذاك .

لكن عندما تكون هناك بعض الظروف التى تجعل هذا القطر يختلف عن القطر الآخر . فى بعض القضايا الجوهرية، مثل الاختلاف فـى الحيـاة السياسـية وكـذلك ممارسة الديمقراطية بشكلها الواقع كما يوجد للطبقة العاملة حزبهـا السياسـى وهـو الحزب الشيوعى الذى يعبر عن مصالحها كذلك حق الإضراب التى تمارسـه الطبقـة العاملة السورية . كل هذه الأشياء تجعل الوحدة الاندماجية محملة بتناقضـات أساسـية تجعلها غير قائمة على أساس متين .

إزاء هذا التباين الواضح كان للحزب الشيوعى السورى موقفه الواضح القـائم على رفض الوحدة الاندماجية وأن تكون الوحدة علـى أسـاس ديمقراطـى يراعـى خصائص كل إقليم أو قطر على حده .

كان موقف تنظيم (الطليعة الشيوعية) من وحدة مصر وسوريا يكـاد يكـون موقف الحزب الشيوعى السورى، وعلى ما أعتقد كان هذا موقف الحـزب الشـيوعى المصرى ٨ يناير .

إزاء الموقف المعلن من الحركة الشيوعية المصرية إزاء الوحدة، لاحـت فـى الأفق بعض التصريحات التى تنبئ بحدوث هجمة شرسة من جانب السلطة فى مصـر على الشيوعيين المصريين إزاء موقفهم من الوحدة .

لم تمض سوى أيام قليلة حتى صدر تقرير للرفيق (فوزى جـرجس) بعنـوان ماذا تنتظر؟ طرق البوليس على الأبواب . !

إن هذا التقرير يكشف بوضوح بعد النظر الثورى الذى كان يتحلى به الرفيـق (فوزى جرجس)

فى هذا التقرير طلب من أعضاء اللجنة المركزية لتنظيم (الطليعة الشـيوعية) الاحتراف الكامل . والتخلى الكامل عن الحياة البورجوازية مع تدبير الأموال اللازمـة لهذا الاحتراف .

لم تمض سوى أيام معدودة علي هذا التقرير وجاءت ضربة يناير ١٩٥٩ لتؤكد مرة أخرى بعد النظر الثورى الذى كان بحق يستحقه الرفيق فوزى جرجس .

وشاءت الظروف أنى كنت فى هذه الليلة موجودا بطنطا وهى التى سـاعدتنى بعد ذلك على الهروب طوال ستة أشهر أعتقلت بعدها فى ٢٦ يوليـو ١٩٥٩ بمنطقـة مصر القديمة .

فترة الاختفاء :

بعد فترة من الوقت بدأت تتجمع معلومات عن الزملاء الذين تم اعتقالهم وكذلك الزملاء الذين اختفوا الزميل (حسنى تمام) عضو اللجنة المركزية .

بعد ذلك التقيت أنا وحسنى تمام فى مكان معين نتعايش فيـه، وكانـت معـى زوجتى التى لعبت دورا هاما بعد ذلك، فأثناء تواجدنا، أضفت علينا حياة عادية لا يمكن أن تكون محل شك من أحد .

فقد تعاون معى الزميل حسنى تمام تعاونا كاملا من أجل ربط الـزملاء فـى مختلف المناطق، وخاصة منطقة الاسكندرية بفضل قائدها المحنك (رمسيس لبيب) الذى لعب معى دورا هاما للغاية أقل ما يوصف به هو دور المناضـل الـواعى لواجباتـه النضالية .

وفى هذا الإطار كان لزوجة أحد الرفاق القياديين الموجودين بالمعتقل دور هام

ومؤثر للغاية .

فقد كنا نرى فيها المدد والعون الثورى الذى يحتاجه المناضل فى هذه الظروف التى كانت تعتبر غاية فى الصعوبة .

إن لهذه الزوجة المناضلة مكانة عظيمة فى قلب كل من تعرف عليها وخاصـة عن قرب، إنها مناضلة من الطراز العظيم، فهى لا تعرف الحلقية خاصة في ظـروف مثل التى عشناها إنها المناضلة (خالدة الشال). لقد عرضت على موضـوعا خاصـا بزميل من زملاء الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير الهاربين من أجل أن يعيش معى، لأن ظروفه غاية فى الصعوبة على الفور قبلت بكل ترحاب أن يعيش معى . رغم مـا فى ذلك من خطر على الأمن العام .

٢٦ يوليو ١٩٥٩ :

في يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٩ وأثناء قيامى ببعض المهام التنظيمية تـم اعتقـالى وترحيلى إلى معتقل القلعة . حيث أنه كان معتقل جميع المعتقلين الجـدد ومنـه يـتم التوزيع على باقى المعتقلات الأخرى .

معتقل القلعة :

معتقل القلعة حبس انفرادى مع غلق الزنزانة طـوال الـ ـ ٢٤ سـاعة وكـان التعذيب النفسى يشمل الآتى :

١) عصب العينين عند الخروج إلى دورات المياه مع إحداث أصوات تنبعـث من أنحاء المعتقل على أن هناك تعذيب يقع على آخرين، مثل الصـراخ والتشـنجات والتأوهات وكل ما هو معروف من أساليب التعذيب النفسى بشكل كامل طـوال فتـرة بقائى فى هذا المكان عدة شهور.

نتيجة لهذه السياسة البشعة قررنا الدخول فى معركة إضراب عن الطعام مـن أجل تحسين وضعنا أو نقلنا إلى معتقل آخر .

وبالفعل تم نقلى مع آخرين إلى معتقل العزب بالفيوم، وهناك استقبلنا بالضرب المبرح وكانوا يستخدمون كافة وسائل الضرب من عصى الشوم والكرباج مع استخدام الأيدى .

بعد حفلة الاستقبال تم توزيعنا على عنـابر كانـت فـى الحقيقـة مخصصـة كاسطبلات للخيول.

الحياة داخل معتقل الفيوم :

١) الحبس الدائم داخل العنابر طوال الـ ٢٤ ساعة باستثناء دقائق لكل عنبـر في اليوم الواحد .

٢) ممنوع عليك أن تتحدث مع زميلك المعتقل الموجود بجوارك لا بالهمس ولا بالإشارة.

٣) من ناحية الأكل فكان نصيب الفرد المعتقل لا يصل إلى خمسة قروش .

٤) كان الضرب بلا سبب لجميع المعتقلين على سبيل المثـال، وهـى حقيقـة وقعت فوجئنا بتكديرة والتكديرة فى لغة السجون . تعنى سحب ما يسمى بالامتيـازات الممنوحة للسجين أو المعتقل وسبب التكديرة أن زميلا لنا ضـبط وهـو فـى طـابور الصباح يكتب تقريرا فى الهواء لزميل أخر. ترتب على ذلك أن وضع هذا الزميل فـى زنزانة انفرادية سميت بزنزانة الخنازير، نظرا لما تحمله هذه الزنزانة من رائحة تؤدى فى النهاية للاختناق . أما بقية العنابر فكان نصيبها الضـرب الجمـاعى مـن الفـرق المخصصة للتعذيب .

مكثت فى هذا المعتقل قرابة ثلاثة شهور، ثم انتقلت مع زملاء آخـرين تحـت جنح الظلام، ولا ندرى شيئا عن المجهول الذى ينتظرنا ولا عن المكان الـذى سـنحل ضيوفا عليه .

الكل يتساءل إلى أين نحن ذاهبون ؟ وكان المكان المجهول هو أوردى ليمـان أبو زعبل.

حفلة الاستقبال :

فى مكان فسيح بعيد عن مبنى الأوردى بحوالى ٦٠٠ متر جلست مع آخـرين على ركبنا على مشط القدمين بانحناءة الظهر لمدة تزيد عن الثلاث ساعات مع انحناءة الرأس إلى أسفل مع استخدام (الشوم والكرابيج) الأمر الـذى أدى إلـى أن أغلـب الزملاء المعتقلين أصيبوا بحالة تشبه الكساح الكامل . ثم بدأ النداء علينا أن نسير بشكل

سريع فى خطوط رسموها لنا بالجير . يمين هذا الخط كردون مـن العسـكر حـاملى الشوم، ويسار هذا الخط كردون آخر من حاملى الشوم، ثم نجرى بأقصى سرعة وخلفنا ثلاثة ضباط خيالة يركضون بأقصى سرعة بخيولهم، مع حالة الكساح التى نحـن بهـا تكون النتيجة سقوط الكل تحت أقدام الخيول . هذا إلى جانب الضرب المسـتمر مـن كردون اليمين وكردون اليسار مسافة ٦٠٠ مترا حتى نصل إلى البوابة .

أى بوابة ؟

إنها بوابة التعذيب الكبرى . هل هناك تعذيب آخر بعد كل هذا ؟ نعـم هنـاك الجحيم بعينه أمام البوابة الكبيرة عشرات من الضباط والعسكر من رتب مختلفة . أعلى رتبة هى رتبة (اللواء اسماعيل همت) الذى أشرف بنفسه على عملية التعذيب البدنى والنفسى. مطلوب منك أن تخلع ملابسك كلها وتقف عاريا تماما كما ولدتك أمك . وهنا تتلقفك الأيادى الغليظة اليد الواحدة تزن ما يزيد عن خمسة أرطال تنهال عليك من كل جانب . كل هذا وأنت واقف عارى أمام ما يسمى بالبيانات . لكنها فى الحقيقـة هـى بيانات تعذيب مثل اسمك . عنوانك . محل ميلادك . وظيفتك . سنك . كل هذا ليطيـل مدة التعذيب . بعد كل هذا تجد نفسك أمام (فرن المغسلة) وهو مشتعل . وهنا يتـذكر المرء منا أننا أمام معسكرات (بوخنولد) النازية مع اختلاف الزمن . هنا نترك بوابـة الأوردى ونحن عراة تماما فى خط على يمينك كردون من العسكر حـاملى الشـوم ، وعلى يسارك كردون آخر من حاملى الشوم ينهالون عليك ضربا وعليك أن تسير وسط هذين الكردونين بأقصى سرعة. نحو العنبر المخصص لك.

ثم تجلس عاريا فى انتظار ما يحمله لك السجان من برش، وعـدد ٢ بطانيـة، الإسم بطانية. لكن الحقيقة أنها خرقة بالية . نسيت أن أمام بوابـة الأوردى حرصـت مجموعة التعذيب على أن تزين وجوهنا نحن المعتقلين بحلق شعورنا بمكنة (زيـرو) مع حلق الشارب والحاجبين لكى يغيروا من معالمنا كآدميين. الملبس بدلة سجن عبارة عن بنطلون وجاكتة نستر بها عورتنا حاف القدم كل هذا ونحن معتقلون لم نقدم للنيابة لتحدد تهمتنا هذه باختصار شديد حفلة الاستقبال التى استقبلنا بها نحن المعتقلين .

يوم من حياة أوردى ليمان أبو زعبل :

الساعة السابعة من كل صباح تفتح العنابر حسب الترتيب / عنبر ١ / عنبر ٢ إلى آخر العنابر الستة المكونة لمعتقل الأوردى . يفتح كل عنبر على حده ثـم تـدخل مجموعة التعذيب من الضباط والعساكر . نبدأ النداء (تفتيش) هنا الكل يقـف للتفتـيش ووجهه للحائط وهو فى انحناء نصفى، ثم يبدأ النداء الثـانى (لـف للتفتـيش) فيلـف الجميع، هنا تمارس مجموعة التعذيب دورها بالضرب بالشوم وبالقايش . ونتيجة للـف تتساقط الناس تباعا حيث أن اللف يفقدها توازنها ويستمر الحال على هذا أكثر من ربع ساعة ثم تتكرر العملية هذه مساء نفس اليوم، ثم يتم هذا تباعا لباقى العنابر الستة وتأتى المرحلة الثانية من التعذيب وهو خروج كل عنبر على حده من العنابر الستة فى حوش المعتقل كى يؤدوا ما يسمى فى عرف أو لغة التعذيب تمرينات الصباح، وهـو يشـتمل على جرى المعتقلين بأقصى سرعة فى طابور على يمينه ويساره كردون من العسـكر حاملى الشوم ينهالون على الطابور ضربا يمينا ويسارا تكون النتيجة تساقط الكل بعـد مضى خمس دقائق، ثم نبدأ بعد ذلك ما يسمى بتمارين أخرى مثل (مشية الأوزة) وغير ذلك من فنون التعذيب البدنى والنفسى التى كانت سمة بارزة لهذا المعتقل.

طابور الهتاف

يأتى طابور الصباح لكل العنابر الستة داخل حوش المعتقل لكى يـؤدوا تحيـة الصباح، وهى عبارة عن هتاف يأتى من (الصول مطاوع) تحيا الجمهورية العربيـة المتحدة ثلاث مرات. ثم الهتاف الثانى بحياة رئيس الجمهورية ثلاث مرات ويتكرر ذلك فى المساء .

يوم من حياة الجبل :

الخروج إلى الجبل يوميا لكل العنابر الستة. يجلس كل عنبر على حـدة وهـو راكز على مشط قدميه ووجهه إلى أسفل فى حوش المعتقل. ثم يبدأ بعد ذلك النداء مـن الصول مطاوع استعدادا للسير فى خطوة منتظمة نحو بطن الجبل.

السير إلى بطن الجبل من ظلال كردون من العسكر حاملى الشـوم والأسـلحة المختلفة كذلك كردون آخر من اليمين وأنت تضرب طوال سيرك حاف القـدمين إلـى بطن الجبل .

فى بطن الجبل يجلس كل عنبر على حدة فى شكل دائرى . ثـم يـتم توزيـع الكواسير المستخدمة فى تكسير البازلت لتحويله من كتل ذات حجم كبير إلى كتـل ذات حجم صغير . مطلوب من كل معتقل أن يشون أربعة غلقان من البازلت .. الضـرب بمختلف الوسائل من قايش الجلد إلى الزخمة. وهى عبارة عن مجموعة سيور منقوعة فى الزيت إلى جانب الجريد الأخضر.

العمل فى بطن الجبل أربع ساعات، ثم نعود بعد ذلـك إلـى الأوردى بـنفس الطريقة المتبعة، كردون من اليمين وكذلك كردون من اليسار .

عند بداية الأوردى يجلس كل عنبر من العنابر الستة على حدة، ثم نسير فرادى أمام مجموعة من عسكر التعذيب لكى يحصل كل معتقل على نصيبه من الضرب تحت بند التفتيش. بعد قليل يتم النداء على كل عنبر من العنابر الستة لاستلام وجبة الغـذاء والإفطار .

فى وسط هذين الكردونين من العسكر حاملى الشوم والمنهالين عليـك ضـربا تكون النتيجة أنك إذا حصلت على (قروانة العدس) فسيكون نصيبها التراب لذلك كثيرا كان أغلب المعتقلين لا يحصلون إلا على ثلاثة أرغفة لليوم الواحد، وهذا ما كان يـتم بالنسبة لوجبة العشاء المكونة من قروانة (اليمك) وهى عبارة عـن مجموعـة مـن الحشائش التى لا نعرف مصدرها.

طابور المساء :

يأتى طابور المساء لكل العنابر وسط حوش المعتقل . كل عنبر على حدة فى خطوط ثلاثة، ثم يأتى النداء من الصول (مطاوع) وعلينا أن نرد عليه .

الهتاف الأول : تحيا الجمهورية العربية المتحدة ثلاث مرات .

الهتاف الثانى : يحيا رئيس الجمهورية ثلاث مرات .

نعود بعد ذلك إلى العنابر ..

لا هتاف بحياة رئيس الجمهورية .

بعد مناقشة موضوع الهتاف مع الرفاق أعضاء تنظيم الطليعة الشيوعية انتهينا بأنه لا هتاف بحياة رئيس الجمهورية وأصبح قرارا ملزما لكل رفاق التنظيم .. حيـث

الهتاف بحياة رئيس الجمهورية سوف يكون مقدمة لأشياء أخرى خاصة إذا ما عرفنـا أن معتقل أوردى ليمان أبو زعبل قد اختير بعناية من جانب النظـام لأجـل التصـفية الجسدية لكل الشيوعيين المصريين كمرحلة أولى يليها تقديم الاعترافات والاستنكارات كمرحلة ثانية.

هنا أحب أن أوكد أن رفاق التنظيم كانوا على مسـتوى المسـئولية النضـالية وأذكر من هؤلاء الرفاق / محمد على فخرى / عادل حسونة / أمين أبو السعود / رشاد الملاح / نجاتى عبد المجيد / نجيب غبريال / محمود شديد / فـاروق الطرابيشـى / وزملاء آخرين لا أذكر أسماءهم . ما عدا زميل آخر قرر استقالته من التنظـيم لإنـه غير قادر على تنفيذ قرار التنظيم .

بعد ذلك ناقشت قضية الهتاف مع الرفيقين / عدلى جرجس / ورشدى خليـل / المسئولين الحزبيين عن الحزب الشيوعى المصرى قضية ٣ . كانت المسألة فى رأيـى أن الحركة الشيوعية المصرية تمتحن لأول مرة فى تاريخها على هذا النحو . كما أنها تدخل لأول مرة أيضا فى صدام مباشر مع السلطة . وكان عليها أن تثبت قدرتها على حمل لواء راية الشيوعية والسير بها إلى الأمام. كان على المخلصين أن يتصدوا لقضية الهتاف بغض النظر عن النتائج التى يمكن أن تترتب على ذلك. إذ كيف أسمح لنفسـى أن أقول وسط العمال أن الشيوعين هم أخلص المدافعين عن قضية الطبقة العاملة فـى مواجهة السلطة وديكتاتوريتها ثم أخضع عندما أختفى عن الجماهير لما تمليـه علـى السلطة، أيا كان الأسلوب. إن الموقف من الهتاف يجب رفضه مهما كانت الدعوى بأن هنالك مؤامرة لقتلنا أو غير ذلك. القضية هى جدارتنا بحمل هذا اللواء مـن عدمـه .. اتفقنا نحن الثلاثة على ذلك واتفقنا أيضا أن نكون فى المقدمة واستمر هذا الوضع مـدة معينة إلى أن جاء يوم الخميس ١٤ يناير ١٩٦٠ وكان الطابور طابور المساء وعلـى غير العادة فوجئنا (بأبواق بطرمبيطة) الحرس تضرب وكان معنى ذلك أن شخصـية كبيرة قادمة، وأعطيت الأوامر بالهتاف. وبدأ (مطاوع) هتافه بحياة الجمهورية فرددت الهتاف، ثم بحياة عبد الناصر ثلاث مرات فلم أهتف . كان الضابط النوبطشى هو سيد منصور وكان بمفرده فى هذا المساء . التقطنا الضابط أنا وزميلى عبد المقصود أبـو زيد وأمرنا أن نتقدم أمام الطابور فتقدمنا، صاح الصول مطاوع وهـو يهجـم علـى يضربنى وشك للأرض أمام سعادة الباشا يا ابن الكلب. قال له الضابط دعه لا تضربه،

سألني لماذا لا تهتف؟ قلت أهتف للجمهورية قال . لماذا ؟ قلـت بلـدى. قـال وعبـد الناصر، قلت لن أهتف لعبد الناصر أهتف فقط للجمهورية . قال إذن أنت خائن. قلـت أرفض سماع مثل هذا الكـ ـ ـ ـلام. أمر الصول (مطاوع) أن يعيـد الهتـاف مـرة أخرى. هتفت للجمهورية ولم أهتف لعبد الناصر قال إصرف العنابر يا مطاوع ما عدا هذين العيلين أتركهم واقفين هنا . سوف أوريكما يا خونة يا طلاب، قال الضابط أيـن العروس قال مطاوع موجوده يا سعادة الباشا لم تكن العروس موجودة بالأوردى. كانت بالليمان، وبدأ الضرب بالركلات واللكمات والشوم والجرى - استمر ذلك ساعتين. كان الوقت شتاء والبرد على أشده . كنت ألبس (الورد روبه) كبردعـة الحمـار. فنفعتنـى بعض النفع . إلا أن مقاومتنا بدأت تنهار . وارتميت على الأرض وسيد منصـور مـا زال يلح . (اهتف وأنا أعيدك إلى العنبر) وأنا أقول . لن أهتف حتى بدأ صـوتى فـى التلاشى وفقدت القدرة على الوقوف أمام سيد منصور . قال سـيد منصـور انزلـوه البكابورت، أمسك بى اثنان من العسكر أنزلونى فى البكابورت الموجـود فـى فنـاء الأوردى حتى رقبتى . حملت ملابسى قدر ما استطاعت من البول والبراز، ثـم أمـر بإلقائى فى الزنزانة بعد أن ملأوا أرضيتها بالفضلات أيضا . كان جسدى ساخنا للغاية من شدة الضرب والجرى وكانت محتويات المجارى باردة للغاية . فأصابتنى رعشـة شديدة إصطكت أسنانى فحاولت إغلاق فمى حتى لا أقضم لسانى وسقطت على بطنـى فظللت هكذا طوال الليل عاجزا عن الحركة. حاولت الوقوف فسـقطت حيـث كنـت. أخذت أنبش أرضية الزنزانة الأسفلتية من الألم والعجز، لم يضعوا عبد المقصود فـى المجارى مثلما فعلوا بى. لأننى كنت أنا الذى يقوم بالرد على الضابط، إلا أنهم وضعوه فى زنزانة أخرى. ملأوها بالفضلات أيضا. انتابتنى الأفكار والهواجس وعوامل ضعف فالمناضل أيا كان بشر له كل تركيبة الإنسان تذكرت زوجتى (بثينة) وابنى (أشرف) أنا أحس الآن أننى أفارق الحياة وأسئلة كثيرة تدور فى رأسى ما هذا الموقف الذى تتخذه؟ ما نتائجه ؟ وغزتنى بالفعل كل عوامل الضعف بشكل حاد، تذكرت أبى وأمى - مـن أكون أنا بين الشخصيات الأخرى فى المعتقل ؟

قارنت نفسى كعامل بسيط بالأسماء المعروفة فى الداخل والخارج .

إن هؤلاء عندما يضحون سوف يجدون من يتحدث عنهم أما أنـا فمصـيرى النسيان، إلا أن عوامل الضعف بدأت تتراجع . كنت قبل القبض على قد قرأت كتـاب

جوليوس فوتشيك (تحت أعواد المشانق) تـذكرت كلامـه والألمـان يحيطـون بـه ويواجهونه أن أحدا لن يحس به أو يدرى فكان مطلوب منه كلمة. أن يؤيد فيها النازية، ورفض فوتشيك، وبدأت أستعيد توازنى تذكرت حديثى مع المناضل المرحوم / رشدى خليل، وكذلك المناضل المرحوم / عدلى جرجس عن ضرورة المواجهة عند التضحية حتى النهاية، وعن عدم التسليم لما تطلبه السلطة وعاد موقفى إلى التماسك . يجـب أن استمر مهما كان الثمن .

فى السابعة من صباح اليوم التالى فتحوا الزنزانة، وقف سيد منصور بعيدا فقد كانت الزنزانة رائحتها كريهة للغاية، قال . نمت كويس يا ابن أمك ؟ عجزت عن الرد كنت انتفض بشدة . نظرت إليه صامتا قال، هذا ما جنيته على نفسك يا ابن أمك مـاذا تريد؟ نقول اهتف بحياة عبد الناصر فلا تهتف، أتريد أن تصبح زعيما ؟ لـن نجعلـك كذلك سوف نقتلك اهتف بحياة عبد الناصر. أدخلك العنبر. وأنا لا أرد، ثـم سـحبونى سبلا حتى بوابة الأوردى. كان ستة من العسكر وحزمة جريد أخضر فى انتظـارى . قال سيد منصور - قف - فعجزت عن الوقوف أمر بإيقافى مسنودا من اليمين واليسار والخلف . وانهال على بلكماته كان سيد منصور ملاكما . وكان قد حضر هذا الصـباح يرتدى (قفاذه) وبدأ يمارس هوايته فى ضربى. لم أعد أحس بشئ كنت فى حالة مـن الهمود والموت. عاد يقول (اهتف) أشرت بإصبعى أن لا . قال يا ابن الكلب بعد كـل هذا وترفض بإصبعك .

كان هنالك سجانان أحدهما عم عويس . وكان إنسانا والآخر كان معذبـا أيـام سجن القناطر الخيرية وسجن مصر ولم يشاركا فى ضربى. قال سيد منصور (خذه يـا عويس ينظف المازوت خارج الأوردى) سحبونى وعبد المقصود وأنا فى شبه غيبوبة . كانت الرؤية تهتز أمام عينى، وكان المقصود بالمازوت براز العسكر بنـوع الدرجـة الثانية الذين يقومون بالحراسة . أمرونى أن أحفر حفرة - فأشرت بأنى عاجز عن فعل ذلك قال سيد منصور (سوف أدفنكم هنا أحياء) .

وحفرت حفرتان، وضعونى بالطول فى واحدة منها، نظر سيد منصور حولـه فرأى كلبا ميتا متعفنا، قال : أحضروا الكلب الرمة إلى الحفرة

قال سيد منصور (خذه فى حضنك) أدرت ظهرى قدر ما اسـتطعت، كانـت الرائحة بشعة، قام بضربنى مرة أخرى وقال (يا ابن أمك لازم تحضنه يا ابن الكلب)

فحضنت الكلب وتم تغطيتى بالرمال وكانت ساخنة .

فأحسست بحاجتى إليها. وكنت كمن فى غيبوبة، سمعت أحدهم يقول لا يرد ولا يتكلم . كان عم عويس هو المتحدث . قال سيد منصور دعه يموت، عاد سيد منصـور إلى مبنى الإدارة . كانت زوجته هنالك فى انتظاره . نظر عم عويس حوله، ثـم قـال كويس أهو دلوقت مخفى مع مراته فى المكتب . عم عويس أمر واحدا مـن عسـاكر الدرجة الثانية أن يحضر ماء . تردد الجندى . وسأل لماذا الماء ؟ صـرخ فيـه عـم عويس يلعن أبوكم أولاد كلب ماء حتى نسقيه، أحسست أنى كنت أريد أن أشرب ماء . أحضر هو الماء وعيناه مغرورقتان بالدموع قال لى كده يا نجاتى إنت متجوز ؟ قلـت وعندى أشرف قال طيب ليه كده يا ابنى. إنت إنسان كويس ومخلص . لكـن طبـق المثل اللى بيقول يا كنيسة أسلمي واللى فى القلب فى القلب. وإنت لمـا تهتـف لعبـد الناصر يبقى دا على حساب مبدأك ؟ طيب شوف نفسك إنت وزملاءك فين دلوقـت - طبعا همه بياكلوا إنت فين من الستمائة اللى هنا بص لنفسك، قلت له متشكر يـا عـم عويس لكن أنا لن أهتف .

كان الشاويش الآخر قد ذهب إلى العنبر ليحضر لى خبزا، قيل له لا يوجد، قال لهم أن نجاتى فى الخارج بيموت . كان سيد منصور قد كدر العنبر بتـاعى وجعلهـم يلفون للتفتيش . ظللت هكذا ساعات ثلاث، وكان آذان الجمعة قد بدأ وطعام الظهر قـد وصل . أخذونى إلى زنزانة التأديب . كان عم عويس قد أحضـر لـى رغيفـا مـن المساجين الجنائيين العاملين فى النجارة كان يخفيه عن أعين سيد منصور قال لى كـل قلت . كيف ويدى كلها براز وبول . قطع قطعة من الرغيف ووضعها فى فمى إلا أننى عجزت عن مضغها . كان دفئ الرمل قد أعاد إلى بعض تماسكى البـدنى . فجلسـت على جردل البول، وأسند ظهرى إلى الحائط . كانت الزنزانة ما تزال مليئة بالفضلات كما هى منذ الليل .

وجاء يوم السبت . يوم وصول الجزار عبد اللطيف رشدى وحسن منير، فإن كان سيد منصور أحسنهم كما يقال فما البال بعبد اللطيف رشـدى جـزار الأوردى، وحسبت الأمر بينى وبين نفسى لن أتراجع وسوف استمر فى موقفى هذا مهمـا كـان الأمر. وكانت العنابر تتوقع أيضا (كما عرفت فيما بعد) أن تكون المجزرة الكبـرى يوم السبت، وجاء يوم السبت وخرجت العنابر كالمعتاد، ولم يبق منهـا فـى الأوردى

سوى أنا وعبد المقصود زميلى .

وانتظرت أن تفتح الزنزانة إلا أن ذلك لم يحدث . كانت فترة مشحونة بـالقلق والتوتر دامت حتى سمعت عودة العنابر من الجبل مرة أخرى . كان الرفاق العائـدون من العمل فى الجبل يحاولون النظر إلى جوار التأديب ينادون علينا، يسألون عما حدث، وان كنا ما نزال أحياء كانت تلك مخاطرة، خاصة أن عبد اللطيف رشدى لم يخرج إلى الجبل فتوقع الجميع أنه ظل بالأوردى من أجلنا . وكان عبد المقصود أقدر منى علـى الكلام فرد عليهم أننا بخير. هدأ جو العنابر) وفتحت زنزانتى وجرونـى جـرا إلـى الإدارة . كانت تسبقنى رائحتى فصرخ حسن منير (خليك عندك) خليك بعيـد وبـدأ الحديث عن بعد ..

إسمك إيه ؟ نجاتى عبد المجيد .

أنت كنت فى سجن القناطر من قبل ؟ أيوه كنت مع سيادتك عام ١٩٥٥ إنـت تعرفنى كويس .

أعرف سيادتك كويس . سيادتك كنت نقيبا وكنت مسئول عن الكـانتين يعنـى تعرفنى كويس - أنا عاوز أقول لك حاجة يا نجاتى، شوف بقة إذا كنتم فـاكرين إنكـم جايين هنا علشان تأخذوا مواقف تسجل ليكم على أنها مواقف بطولية شيلوا الحكاية دى من دماغكم . إنت هنا مسلوب الإرادة، مطلوب منك الشئ الفلانى . تجاوب عليه دون تفكير . لكن مواقف سجن مصر وسجن القناطر الخيرية مواقـف زمـان دى لا مـش هتتعمل هنا . مطلوب منك إنك تهتف يبقى لازم تهتف . المطلوب منـك لازم تعملـه وتنهيه بحاضر يا فندم .

من ناحية مسلوب الإرادة، فلا . أنا لن أكون مسلوب الإرادة فى يوم من الأيام مهما عملتم، أنتم تملكوا أن تقتلوا الناس، إنما سلب إرادة الناس وعقيدتهم فدا صعب.

أنا مش عاوز كلام وفلسفة. اتفضل إرجع العنبر بتاعك. كـان عبـد اللطيـف رشدى، وسيد منصور ، ومرجان اسحق يجلسون معه ..

فى العنبر قام الزملاء - باحضار مياه ساخنة من المغسل وبدلة سجن بيضـاء جديدة وأشرفوا على استحمامى وغسلى غسلا جيدا، وقام الزميلان عبد العزيز عطيه ، ومحمود شديد وكانا متخصصين فى علاج الأورام الناتجة عن ضرب جريـد النخـل وذلك باستخدام لبابة العيش والتدليك لتحسين حالتى ..

في الليل ساعة العشاء . فوجئت بكمية من اللحم غير معقولة. قدم لى الـ دكتور (لويس عوض) غذاءه من اللحم. قال. أرجو يا زميل نجاتى. أن تقبل منى هذه الهديـة المتواضعة التى أقدمها إليك . قلت له أشكرك فقد أحضر لى الزملاء طباقا كافيا كنـت أعلم أنه يتمسك بقراونته تمسكا شديدا . إلا أنه قال فى حزم . لا أنـت لازم تأخـذها. شكرته تناولها منه طاهر عبد الحكيم الذى قال لى كل لحما خالصا ولا تأكل غيره، بعد أيام طلب منى الدكتور لويس عوض وبعض الرفاق فى العنبر أن أحكى لهم مشاعرى عن هذه المعركة بكل ما فيها. فحكيت لهم عن كل عوامل الضعف والقوة التى انتابتنى طوال الأيام الثلاثة. فما كان من الدكتور لويس عوض أن قبلنى تعبيرا عن تقديره لهذا الموقف. رغم أنه كان يمنعنى من حضور بعض اللقاءات الفكرية التى كان يعقدها على أساس أنها خاصة بالمثقفين .

ساءت الأمور بعد ذلك داخل معتقل أوردى ليمان أبو زعبل على نفس الوتيرة السابقة، الجديد فيه أننى عرفت أن الزميل (سعد الجوجرى) عضو التنظيم سوف ينزل إلى النيابة العامة للتحقيق معه . هنا طلبت من الزميل سعد الجوجرى إذا التقى بأحـد زملاء التنظيم فى نيابة أمن الدولة أن يشرح لهم موقف التنظيم من موضوع الهتـاف . وأن هناك قرارا مركزيا بعدم ترديد الهتاف بحياة رئـيس الجمهوريـة مهمـا كانـت الظروف .

وفعلا سافر الزميل سعد الجوجرى، وهناك التقى بعدد من رفاق تنظيم الطليعة الشيوعية وكذلك زملاء وحدة الشيوعيين، وأبلغهم جميعا بموقفنا فى أوردى ليمان أبـو زعبل، لم تمضى سوى أيام معينة حتى جاءت مجموعة النيابة التى تم التحقيـق معهـا إلى أوردى ليمان أبو زعبل . وهنا استقبلهم الجزار عبد اللطيف رشدى قاتل كل مـن الدكتور فريد حداد وكذلك الشهيد شهدى الشافعى فى حفلة استقبال .

كان موقف الزملاء جميعا فى غاية الضعف رغم معرفتهم السابقة بحقيقة مـا سوف يتعرضون له فى حالة ترحيلهم إلى معتقل الأوردى ..

لم يمض على زملاء الطليعة الشيوعية ، وكذلك زملاء وحدة الشيوعيين الجدد فى معتقل الأوردى سوى شهر واحد حتى صدر قرار الاتهام الخاص بكلا التنظيمـين فى قضية واحدة. وهى القضية رقم (٣) بالنسبة للمجلس العسكرى بقيادة "الفريق هلال عبد الله هلال".

وعلى ضوء هذا تم ترحيل الزملاء الآتى أسـمائهم مـن سـجون الواحـات والأوردى إلى سجن القناطر الخيرية وهم / فوزى جـرجس/ محمـود المانسـترلى / نجاتى عبد المجيد/ حسنى تمام / شعبان حافظ / محسن الخياط / محمود عزمى / ماجد عمر / مهدى الحسينى / ومن زملاء وحـدة الشـيوعيين / إبـراهيم فتحـى / علـى الشوباشى / عادل إده / محمد كامل / أحمد فرج المحامى / إلى سجن القناطر الخيرية لم نمضى فى سجن القناطر الخيرية سوى ثلاثة أسابيع حتى تم ترحيلنـا إلـى سـجن الاسكندرية حيث مقر المجلس العسكرى الذى سيتولى محاكمتنا .

المحاكمة :

نظرت القضية أمام مجلس عسكرى برئاسة الفريق (هلال عبد الله هـلال)، وكان قد رقى من لواء إلى فريق فى بداية محاكمتنا خلال الفترة يوليو وسبتمبر ١٩٦٠ فيما يختص بالإعداد للقضية. ناقشنا مسألة الدفاعات السياسية . وقد تساءلنا فيما بيننـا إذا كانت هذه المرحلة هى مرحلة الدفاعات السياسية ؟ وكانت هناك إجابة بـأن هـذه الدفاعات أمام المحكمة يمكن للقوى السياسية المنظمة خـارج السـجن أن تسـتخدمها بنشرها بين صفوف الطبقة العاملة. لم يكن هنالك دفاعات سياسية بـالمعنى السياسـى الواضح . لم يعترف أحد على الإطلاق بالعضوية التنظيمية . ولقد قام هـذا الموقـف على أساس دراسة ظروف كل واحد منا على حدة .

فبالنسبة لفوزى جرجس لم يكن لديه أية أوراق أو مضبوطات، وكذلك شـعبان حافظ باستثناء وضعه التاريخى ودوره فى الحزب الشيوعى عام ١٩٢٤، وأيضا لم يكن لدى محسن الخياط أية أوراق. أو مضـبوطات . كـان لـدى حسـنى تمـام بعـض المضبوطات، فحدد موقفه على أساس دفاع مرتبط بقضية الديمقراطية لكنه ليس دفاعـا عن العضوية. أو خط التنظيم السياسى . أما بالنسبة لماجد عمـر فقـد كانـت لديـه مضبوطات كثيرة . و من رأيه ضرورة تقديم دفاع سياسى على أساس أننا نحاكم أمام مجلس عسكرى . الأحكام فى القضية معدة وجاهزة كان الفريق هلال عبد الله هلال من أقرباء ماجد عمر . ولقد قيل لماجد عمر ..

لا داعى للدفاع السياسى لأن ذلك يزيد الطين بله ويضع هلال عبد الله هـلال فى وضع حرج . وربما يمنعه من القدرة على التصرف . أما بالنسبة لى فقد أعلنـت

أننى سأقدم دفاعا سياسيا عن قضية الطبقة العاملة. باعتبار أنى واحد من أبنائها، وهـذا الدفاع يختص بالقضايا النقابية . ولكن لا اعتراف بعضوية التنظيم . أعـددت دفـاعى على أساس الحرية النقابية وحق تكوين اتحاد عام للعمال وحق الإضـراب للطبقـة العاملة . كان الدفاع فى إطار العمل النقابى .

كان ترتيبى الثالث فى قرار الاتهام بعد فوزي جرجس ، ومحمود المانسترلى قبل أن أبدأ دفاعى طلبت من المجلس العسكرى أن أسجل كلمة عـن حيـاة المعتقلـين الشيوعيين فى أوردى ليمان أبو زعبل خلال أربع وعشرين ساعة . سألنى هلال عبـد الله هلال إن كنت أواجه الآن أى شئ ؟ قلت . الآن لا، لكن العبرة أن تلك الأشياء قـد وقعت ويمكن أن تتكرر ولقد كان من نتائج هذه السياسة الفاشية والتى لا يعتمد علـى أى أساس غير الأساس الفاشى المعادى للإنسانية . أننا قد ضحينا بخيـرة مـن أبنـاء شعبنا. مثل شهدى عطيه وفريد حداد - الذى كان لكل منهما مجاله وقدراته التى يحتاج الشعب إليها أشد الحاجة . لذا أرجو السماح لى بتسجيل هذا الموضوع . سألنى هـلال عبد الله . إن كنت مصرا على ذلك ؟

قلت . بالطبع أنا مصر على ذلك، فلقد كنت واحدا ممن عاشوا هناك ، وعانوا من كل ما جرى، وأنا الآن أول من يخرج من أوردى ليمان أبو زعبـل ، وخلفـى ، هناك زملائى المعتقلين الذين لم يجر معهم أى تحقيق ، ولم توجه ضدهم أيـة تهمـة . ولم يصدر بشأنهم أى قرار . إنهم مجردون من الملابس الملكية . لا تطبق عليهم لائحة السجون التى تطبق على القاتل والسارق، بينما هم معتقلون سياسيون تحكمهم معاهـدة حقوق الإنسان والتى تعطى للمعتقل السياسى حقوقا، جُردنا منها جميعا . لقد كنا نقـوم بكسر البازلت دون محاكمة ودون أن تصدر ضدنا أية أحكام بذلك .

إن تلك المسألة لم تمارس إلا فى ظل النازية .

سألنى : عن الحكمة من هذا التسجيل ؟ قلت ، أنه واقع يلزم تسجيله ، هـؤلاء الرجال يعذبون الآن. أليسوا على أرض مصر ؟ إنهم ما زالوا كما تركتهم، ما زالـوا يخرجون فى الثامنة صباحا إلى بطن الجبل . ليعمل البعض منهم فى تفجيره، والبعض فى كسر الكتل الكبيرة والبعض فى كسر البازلت إلى قطع صغيرة بمقطوعيـة أربـع مقاطف فى اليوم الواحد. إنها الأشغال الشاقة المؤبدة التى تمارس فى مصـر . رغـم توقيعها على اتفاقية حقوق الإنسان عام ١٩٦٠ إلا أنها لا تلتزم بها ولا تطبقها، ولهـذا

كله فإننى أصر على تسجيل أربع وعشرين ساعة فـى حيـاة المعتقلـين الشـيوعيين المصريين فى أوردى ليمان أبو زعبل. كان من المحامين المتـرافعين فـى القضـية الأستاذ / زهير جرانه وكذلك الأستاذ / محمد عزمى، النائب العام السابق ووالد زميلنا فى القضية (محمود عزمى) فوقفا وتضامنا معى قائلين. إن هذا حق طبيعى لى. وأن صدر سيادة الفريق سوف يتسع لما أقول حيث أن ذلك واقع حقيقى. إن هؤلاء الرجـال قد امتهنت كرامتهم . ولابد من تسجيل هذا . وبالفعل بدأت التسجيل، وبدأت بمسألة لف للتفتيش ، وقمت بتمثيل طبيعى لإجرائها ، كان هلال ، بوجهه التركى الأحمـر ينظـر مشدوها ويسألنى ، هل حدث هذا حقا يا نجاتى ؟ فقلت له إن سيادتك لم تر غير التمثيل فما بالنا بالحقيقة ، ثم أكملت عرضا لما جرى، فكان يسألنى ، ما هى مشـية الأوزة؟. وما هى حركة شادية ؟

فأوضحت له أن الأولى تعنى المشى وأنت جالس القرفصاء، أما الثانية فتعنـى النوم على الظهر وفتح الساقين وضمهما إلى أعلى، ثم تناولت مقتـل فريـد حـداد ، وشهدى عطيه، وكان الحاضرون فى قاعة المحكمة يبكون حينا ويضـحكون بسـخرية حينا آخر .

كانت المضبوطات التى أحاكم عليها ثلاث مقالات نشرت فى المجلـة النقابيـة (صوت العامل) وقد عثروا عليها عند تفتيش منزلى فى بداية حملة يناير ١٩٥٩، وهى مقالات علنية وعليها توقيعى .

كذلك كان هناك تقرير المباحث العامة الذى يقول أنى أحمل اسمين واحد للجنة المركزية، وآخر ظاهر دون اللجنة المركزية . كان معنا فى اللجنة المركزية (حمـدى حمدان) ولم يقدم للمحاكمة، وقد ثبت فيما بعد أنه عميل للمباحث العامة .

كانت المقالة الأولى . بعنوان الفاشية تطل برأسها من جديد، والمقالـة الثانيـة حقيقة الموقف العالمى والثالثة بعنوان قمر السلام . بمناسبة إطلاق الاتحـاد السـوفيتى أول قمر صناعى، وقد لفتت هذه المسألة نظر هلال عبد الله هلال ، حيث كنت العامل الوحيد فى القضية. فقال أنا أفهم أن تتكلم عن مشاكل الطبقة العاملة ، لكن مـا الـذى يدعوك للكلام عن الاتحاد السوفيتى ؟ قلت ، أن الطبقة العاملة المصرية ليست بمعـزل عن حركة الطبقة العاملة العالمية وأن ما يحدث هنالك يؤثر علينا هنا، حيث لا توجـد حواجز تحجب هذا التأثير. فسألنى هل تحب الاتحاد السوفيتى ؟ قلت بالطبع، إذ لـولا

النظام السوفيتى ما استطاع العلماء هنالك من إخضاع الطبيعة للإنسان - قال - هكـذا إذن ؟ قلت بالطبع . قال ومن أجل ذلك.

أنت إشتراكى/ قلت بالطبع الاشتراكية هى الحل الوحيد لى كعامل. وهنا علـق الدكتور / زهير جرانه، والأستاذ / محمد عزمى بقولهما . إننا لأول مرة نرى عـاملا بسيطا . غير مؤهل دراسيا . وله فهمه الذى نحييه عليه، إذ استطاع أن يقول شيئا كان المفروض أن نقوله نحن . إننا نحييه ونضم صوتنا إلى صوته..

انتهت جلسات الاسكندرية وتم ترحيل القضية إلى سجن القناطر الخيرية فـى انتظار الأحكام بعد التصديق عليها. انتظرنا هنالك حوالى شهرين، وكان زملاء حـدتو موجودين معنا فى سجن القناطر الخيرية .

إعلان الأحكام :

فوجئنا فى أحد الأيام بإغلاق الزنازين، وعرفنا أن نائب الأحكام كـان ينـادى على كل واحد منا على حدة . فيخرج ويسمع الحكم الصادر ضده ثم يعود مرة أخـرى إلى العنبر، ويعلن فى زنزانته أنا فلان الفلانى إفراج أو كذا، وكانت الأحكام كالتالى .

فوزى جرجس براءة / محمود المانسترلى سبع سنوات ثم تخفيضها إلى ثـلاث سنوات مع وقف التنفيذ / نجاتى عبد المجيد سبع سنوات / شعبان حافظ خمس سـنوات / حسنى تمام عشر سنوات /محسن الخياط إفراج / مهدى الحسينى خمـس سـنوات / محمود عزمى عشر سنوات . وكان ذلك تأديب لوالده محمد عزمـى النائـب العـام السابق / ماجد عمر عشر سنوات / إبراهيم فتحى عشر سنوات / على الشوباشى عشر سنوات/ أحمد المحامى براءة / ثم رحلنا بعد ذلك إلى سجن الواحات الخارجة .

معتقل الواحات الخارجة :

انتقلنا إلى سجن الواحات الخارجة محملين بتناقضات أدت إلى وجـود شـرخ تنظيمى . كان من شأنه أن جعل اللجنة المركزية تنقسم على نفسها، جزء يقوده (فوزى جرجس) ومعه غالبية الرفاق من مختلف المستويات . والجزء الثانى يقـوده محمـود المانسترلى ومعه كل من الزملاء / شعبان حافظ / حسنى تمام / عادل كامل / والحقيقة أن هذا الانقسام كان رد فعل للوضع الانقسامى الموجودة عليه الحركة الشـيوعية فـى

ذلك الوقت .

حيث أن (حدتو) كان لها استقلالها الكامل ومعها بقايا مـن الموحـد . أمـا الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير فكان هو الآخر محملا بتناقضات أدت إلى وجـود تيار تاريخى وهو تيار (الرايه) لكى يعلن عن نفسه بتيار (الأفق) رغـم الوجـود التنظيمى فى حزب ٨ يناير.

فى هذه الفترة كانت فكرة المجموعة الاشتراكية الموجودة فى قمة السلطة والتى كانت تتبناها (حدتو) تأخذ مسارها العلنى والواضح، بل كانوا يبذلون جهودا كبيرة من أجل أن يسود هذا الخط السياسى لكل التنظيمات .

أما مجموعة الأفق فكان تحليلها السياسى يقوم على فكـرة أن حكومـة عبـد الناصر حكومة وطنية تمثل مصالح البورجوازية الوطنية، أما حزب ٨ ينـاير فكـان خطه فى ذلك الوقت أن الحكومة الموجودة الآن تمثـل الاحتكـار وشـبه الاحتكـار، والاحتكار هنا بالمفهوم الاقتصادى.

الطليعة الشيوعية : كان تحليلها السياسى ما زال كما هو لـم يتغيـر مـن أن حكومة عبد الناصر. تمثل مصالح البرجوازية الكبيرة الصناعية.

هذا هو باختصار شديد عرض موجز للتحليلات السياسية لمختلف التنظيمـات الشيوعية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت داخل معتقل الواحات الخارجة.

جاءت أحداث انفصال سوريا وما تلاها من تغيير فى خط الحـزب الشـيوعى المصرى ٨ يناير وتحويله من احتكار وشبيه احتكار إلى حكومة وطنية تمثل مصـالح البورجوازية الوطنية. وكذلك الاتصالات التى كانت تتم مع بعض الشخصيات القياديـة مع نمو فكرة المجموعة الاشتراكية . خاصة بعد الإجراءات التى كانت تقوم بها حكومة عبد الناصر. كل هذه العوامل على بعضها مع الظروف التـى مـرت بهـا الحركـة الشيوعية فى معتقل أوردى ليمان أبو زعبل كان لابد من حدوث هذا الإنهيار الذى تـم وما سمى بالحل ..

لقد كانت الطليعة الشيوعية . جزءا من هذا الكل، وكان طبيعيا أن ما يتم على مستوى الحركة الشيوعية يؤثر فينا تأثيرا كبيرا . خاصة أن العناصر المكونة لطليعـة الشعب الديمقراطية. ثم المكونة بعد ذلك إلى تنظيم الطليعة الشيوعية لم تكن من أصول تاريخية واحدة، بل كانت مجرد مجموعة رافضة لتنظيم الموحد . ضف على ذلك أنها

لم تتصهر فى معارك الصراع الفكرى، مما دفع بالرفيق (فوزى جرجس) إلى دراسة وضع الحركة الشيوعية، وما تحمله فى داخلها من عوامل التحلل والنتائج المترتبة على هذا فيما يلى :

١) أن الحركة الشيوعية يجب أن تبعث من جديد .

٢) أن على العناصر الشيوعية الجديدة أن تتحمل آلام الوضع الجديد .

٣) أن تشق طريقها نحو الطبقة العاملة .

لقد طرحت هذه الرؤية على عدد من رفاق تنظيم الطليعة الشيوعية . وليس على المستوى العام . وقد قوبلت هذه الرؤية من بعض الزملاء . بأنها تشاؤمية فيها إنكار لهذا الكم الهائل من كوادر الحركة الشيوعية .

ملاحظات عامة :

١) إن اندماج تنظيم (نواة الحزب الشيوعى المصرى) فى وحدة اندماجية مع التنظيمات التى كونت (الحزب الشيوعى الموحد) عام ١٩٥٥ كان بمثابة انقلاب وخروج على الخط اللينينى فى التنظيم. والتى أعلنته النواة منذ تأسيسها والمتمثل فى تشكيل اللجنة التحضيرية التى ستأخذ على عاتقها إدارة الصراع الأيديولوجى . وانتخاب المؤتمر الذى بدوره يقر المقومات الأساسية . وانتخاب لجنته المركزية .

لقد بررت اللجنة المركزية لتنظيم (نواة الحزب الشيوعى) دخولها وحدة الموحد على أساس - أقل ما يوصف به - بأنه موقف انتهازى حيث أنها بررت الدخول على أساس أن السيطرة فى الخارج ستكون لخط النواة سواء من الناحية السياسية أو التنظيمية نظرا لوجود الجزء الأكبر من كوادر النواة خارج السجون والمعتقلات . مما يمكنها من السيطرة على مقاليد الأمور بالنسبة للوحدة الجديدة، ومما يذكر أن الرفيق فوزى جرجس وقتها كان موجودا بمعتقل أوردى ليمان أبو زعبل .

٢) إن وحدة منظمة (طليعة الشعب الديمقراطية) مع تنظيم وحدة الشيوعية والتى نتج عنها تنظيم (الطليعة الشيوعية) كانت هى الأخرى وحدة اندماجية على ضوء ما أعلنه تنظيم وحدة الشيوعيين من وجود اتفاق كامل مع تنظيم (طليعة الشعب الديمقراطية) سواء من الناحية السياسية أو التنظيمية، أو فى أساليب العمل الجماهيرى، إلا أنه فى محك التطبيق العملى ظهر الاختلاف الكامل .

وتأتى هذه التجربة الثانية. لتؤكد فشل الوحدات الاندماجية لأنها وحدات لا تقوم على أساس من الصراع الأيديولوجى الذى يعمل على إذابة الحلقية وصهر الكوادر فى بوتقة النضال اليومى، ومن العوامل التى ساعدت على إتمام هذه الوحدة الاندماجية بهذا الشكل هو وحدة الأحزاب الثلاثة التى نتج عنها تكوين الحزب الشيوعى المصـرى ٨ يناير. الأمر الذى جعل عددا من زملاء طليعة الشـعب الديمقراطيـة مـن مختلـف المستويات أن يقبلوا هذه الوحدة الاندماجية . مع تنظيم وحدة الشـيوعيين كنـوع مـن تجميع الكوادر لكلا التنظيمين .

٣) كانت الكوادر الأساسية المكونة لتنظيم الشعب الديمقراطية مـن تنظيمـات مختلفة، وكان هناك تباين فى مواقف كثيرة . سواء خارج السجن أو داخله. فضلا عن المكونات الذاتية لهذه العناصر. لذا عندما تمت ضـربة ينـاير ١٩٥٩ لكـل الحركـة الشيوعية، مع ظروف المواجهة مع النظام، وكذلك خروج حدتو من الحزب الشـيوعى المصرى، كذلك وجود تيار الراية المسمى بتيار الأفق، كل هذا كان له رد فعل علـى تنظيم (الطليعة الشيوعية) مما دفع بعدد من الزملاء أعضاء التنظيم على الخروج مـن التنظيم واعتبروا أنفسهم هم الطليعة الشيوعية.

هذه ملاحظاتى الشخصية على تجربة كل من تنظيم نواة الحـزب الشـيوعى وكذلك تنظيم طليعة الشعب الديمقراطية. وأخيرا تجربة الطليعة الشيوعية وهنا يطـرح سؤال .

هل كان من الممكن أن نستمر ؟

الإجابة لا لأننا جزءا لا يتجزأ من الحركة الشيوعية المصـرية بشـكل عـام، وكان الانهيار قد ضرب جذوره لدى الكل مما جعل الكثير من الموجودين فى معتقـل الواحات يتعجل الإفراج وبسرعة .

وتأتى الأحداث بعد الإفراج لكى تؤكد صحة ونبوءة الرفيق فوزى جرجس .

ولكن التاريخ لا يقف عند نقطة معينة فطالما هناك صـراع طبقـى، وإنسـان يستغل إنسان آخر تصبح معركة النضال معركة مستمرة ودائمة لا تتوقف، فعند الحـل كان هناك مخاض جديد لولادة ورية جديدة. مستفيدة من كل تراث وخبرات الماضى ..

شهادة

عريان نصيف

الاســــــــــــــم : عريان نصيف
تاريخ الميلاد ومحل الإقامة : ١٩٣٦/١٠/٢ فى منشأة بسيون
المكــــــــــــان : مركز بسيون محافظة الغربية. فى أسرة من متوسـطى الملاك الزراعيين ٣٠٠ فدان)

وكانت الأم على عكس الأب، متعاطفة بشكل عام مع الفكر الاشتراكى.

المــــؤهــــــلات : كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٥.

العمــــــــــــــل : باحث قانونى بوزارة استصلاح الأراضـى، ثـم مفـتش تحقيقات بمديرية الزراعة بالغربية ثم محاميا حرا ....

أولا : العمل السياسى العام :

ارتبطت و أنا فى الرابعة عشر من عمرى بحزب مصـر القنـاة (الحـزب الاشتراكى) فى يناير ١٩٥٠ وتوليت مسئولية لجنته بالمدرسة الثانويـة التـى كنـت ملتحلقا بها فى اكتوبر ١٩٥١ .

وكنت فى ذات الوقت متعاطفا مع حزب الوفد من خـلال صـحفه ، خاصـة "المصرى " "والنداء"، ونتيجة حوارات مع بعض الاساتذة فى المدرسـة وكـانوا مـن قيادات الوفد بالمحافظة . وازداد تعاطفى السياسى مع الوفد بعد إلغاء مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ عام ١٩٥١ . وقد شكل لى هذا التعاطف مع انتمائى للحزب الاشتراكى فى ذات الوقت ، حالة من التناقض الفكرى والنفسى .

وكنت فى ذات الوقت منذ نهاية عام ١٩٥٠ ، عضوا بلجنة اعضـاء السـلام بطنطا. و بدأ تعرفى على الفكرى الاشتراكى من خلال التعاطف الإنسانى الذاتى فـى مرحلة الطفولة (٩-١٢ سنة) مما دفعنى للبحث عن فكر لا أعلمه بعد لكننـى أحـس بضرورته للاجابة على تساؤلت كانت تلح على . وجاء تعرفـى بعـد ذلـك ، (١٢-١٦سنة) مختلطا كما أسلفت بأفكار اخرى من خلال صحف الحزب الاشتراكى ويشكل عام من خلال الصحف والمجلات الشوعية واليسارية العلينة : الجماهير - الميـدان - الكاتب - المعارضة ...... الخ.

وكذلك فى ثنايا بعض الروايات والقصص العالمية وخاصة ترجمات الاعمـال الادبية لمكسيم جوركى .

لكن التعرف الواضح والمحدد جاء بعد انضمامى للحركة الشيوعية فى نوفمبر عام ١٩٥٢ وكان عمرى حينذاك ستة عشر عاما .

ثانيا : العمل الشيوعى :

أ- الارتباط بالحركة الشيوعية :

ابتداء من اكتوبر ١٩٥٢ ارتبطت بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حـدتو) عن خلال الحركة النضالية بجامعة الاسكندرية. دام هـذا الارتبـاط مـع تطـورات وامتدادات حدتو مع المنظمات الشيوعية الأخرى (الحزب الشيوعى الموحد - المتحـد - الواحد (٨ يناير ١٩٥٨) الحزب الشيوعى المصرى "حدتو " (بعد انقسام ١٩٥٨)

إلا أنه رغم هذا التواصل خرجت مع انقسام الرفيق بدر عـام ١٩٥٣ (حـدتو التيار الثورى) لمدة أربعة شهور. وبعد تركى التيار الثورى (ت.ث.) ضمن مجموعـة من أعضاء حدتو الذين كانوا مختلفين معها، نسقنا فى العمل والحركـة، دون انتمـاء عضوى مع الحزب الشيوعى المصرى "الراية" عام ١٩٥٤ مدة ثلاثة شهور. ثم عدت إلى حدتو الأصلية لأكمل مسيرتى .

ب- المستويات التنظيمية والمسئوليات التى مارستها :

١- عضو لجنة قسم بمدينة طنطا سنة ١٩٥٦ (الموحد)

٢- عضو لجنة قسم فى محرم بك بالاسكندرية ١٩٥٥ (حدتو)

٣-عضو لجنة قطاع بالاسكندرية ، سنة ١٩٥٣ (حدتو ت . ث)

٤- عضو لجنة منطقة بالغربية ، سنة ١٩٥٦ (الموحد)

٥- عضو لجنة قطاع وسط الدلتا سنة ١٩٥٧ (المتحد)

٦- عضو لجنة منطقة الحزب الواحد (٨ يناير)

كما مارست أيضا المسئوليات النوعية التالية :

١- عضو اللجنة القيادية للقطاع الطلابى بالاسكندرية ، سنة ١٩٥٣ .

٢- مسئولية الجبهة : * بلجنة الحزب بجامعة الاسكندرية ، سنة.

* بلجنة منطقة الغربية، سنة.

٣- عضوية مكتب الفلاحين : وجه بحرى تم مركزيا ، سنة.
٤- مسئوليات نوعية متعددة فى سجن الواحات ١٩٦٤/٦٠
جـ- المحاكمات السياسية :
تعرضت إلى المطاردة والملاحقة والسجن والتعذيب منذ كنت فى العشرين فى عمرى :-
عام ١٩٥٦ : إعدام : ألغى الحكم بقرار من الرئيس جمال عبد الناصر .
عام ١٩٥٩ : ١٠ سنوات اشغال : إفراج بقرار جمهورى بعد خمس سنوات .
عام ١٩٧٧ : براءة ثم إعادة محاكمة ، والقضية مازالت معلقة .
عام ١٩٧٩ : سنتيان حبس : تنفيذ ، نقض ، براءة .
عام ١٩٨١ : سنة حبس : تنفيذ .
كما ثم احتجازى عامى ١٩٨٦ ، ١٩٨٩ .
أى جرى القبض على سبع مرات خلال ٣٣ عاما ، أمضيت منها فى السجن والحبس والاشغال ٨سنوات ، ٤شهور، ١٢يوم ، ما بين السجن الحربى بالاسكندرية ، القلعة ، وليمان طرة، أوردى أبوزعبل، وليمان أبو زعيل، محاريق الواحات، أسيوط ، الحضرة، قره ميدان (سجن مصر)، مزرعة ليمان طره .
كما اضطررت الى الهروب اربع مرات :
يناير ١٩٥٢ ، مارس ١٩٥٤ ، يناير ١٩٥٩ ويوليو ١٩٨٦ ، وقد بلغ مجموع هذه المدد تسعة شهور وتسعة عشر يوما .
كما تعرضت ايضا للعزل السياسى منذ ١ يناير ١٩٥٩ حتى ١٥ يوليو ١٩٧٥، أى ستة عشر سنة وسبعة شهور وخمسة عشر يوما .

ثالثا : قضايا تنظيمة وفكرية :
أطرح فيما يلى موقف حدتو و موقفى من بعض القضايا الاساسية فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية الثانية :
أ- الموقف من التنظيمات الأخرى :
* كان موقف حدتو ، ثم الحزب الموحد - قيادة وقاعدة - موقفا شديد الحرص على الوحدة مع التنظيمات الأخرى وليس مجرد التنسيق معها .

لكن حدتو كانت شديدة العنف السياسى - والتنظيمى بالطبع - مع المجموعات او التنظيمات التى تنقسم عليها ، وخاصة "حدتو - التيار الثورى" بقيادة الزميل بدر (سيد سليمان الرفاعى) ، حيث تسبب هذا الانقسام فى شل، بل ما يقارب الانهيار، لحدتو فى وقت كانت فيه فى اوج حركتها النضالية .

* وكنت دائما من انصار وحدة الحركة الشيوعية المصرية ، على أى مستوى يمكن تحقيقه وبدون تعجل وافتعال : - وحدة تنظيمية - وحدة عمل - تنسيق جماهيرى . وكنت أرى ضرورة أن يكون الصراع فكريا وسياسيا دون اتخاذ أساليب غير موضوعية كفيلة باهدار القيم النضالة لدى الرفاق - على اختلاف مواقفهم - ومسئية لصورة الحركة الشيوعية بين الجماهير .

ب- الموقف من قضية المحترفين :

* كانت حدتو ، ثم الحزب الشيوعى الموحد ، تولى قضية المحترفين اهتماما غير عادى، إدراكا منها لأهمية دورهم فى الحزب. ولعل أحد العوامل الرئيسية لانقسام ١٩٥٨ كان بسبب قرار أغلبية اللجنة المركزية للحزب بتصفية أوضاع الاحتراف لمجموعة من قيادات حدتو.

* وكان موقفى أن الثوريين المحترفين، وليس المحترفين الثوريين (وليس هذا تلاعبا بالألفاظ) هم من الناحية التنظيمية اللبنينية الحقيقة قالب الحزب النابض .

ومن هنا يجب ان يكون الاحتراف لأفضل عناصر الحزب فكريا ونضاليا وسلوكيا لأنهم هم العصب الرئيسى للحزب الثورى .

- فالاحتراف ليس وظيفة لمن لا بجد وظيفة .

- وليس إعانة مالية، لمن يستحقها من الزملاء .

- وليس ، فى نفس الوقت ، منحة من الحزب للمحترف ، لكنه ، تضحية من أفضل رفاق الحزب بكل ما يربطهم بالمجتمع البورجوازى، ووهب حياتهم - كاملة - للحزب والشعب .

جـ- الموقف من الصراعات داخل السجون (١٩٥٩ - ١٩٦٤) :

* كان التوجه العام للحزب الشيوعى المصرى (حدتو) هو الصراع الفكرى والسياسى بكافة صوره المتاحة وبشكل موضوعى .

إلا أن هذا الصراع كان يتخذ احيانا وسائل واساليب حادة أو غير موضوعية

ولعل أهم صورة لموضوعية الصراع (من وجهة نظرى) هى وضـع حـدتو امكاناتها وخبرتها فى " المخابئ والتامين " فى خدمة التنظيم الأخر بعد هـروب أحـد المسجونين من سجن الواحات .

* وقد حاولت دائما ليس بالنسبة لى فقط ، ولكن بشكل عام ، أن يكون الصراع موضوعيا ، وقاومت دائما أى أساليب أخرى .

وكتجربة نضالية فى هذا الشأن فقد قامت الأجهزة الامنية بضم مجموعة مـن خمسة زملاء معروفين بأنهم من حدتو - وكنت أحدهم، إلى قضية الحزب الشـيوعى المصرى (المعروفة باسم قضية د .فؤاد مرسى وآخـرين) وشـرفت - ومازالـت - بتفويت المؤامرة علـى صانعيها ، وما استهدفوه من أن نعلـن الانقسـام والاخـتلاف والصراع داخل المحكمة العسكرية .إلا اننا -رغم تمسكنا بمؤقفنا الحزبى والتزامنابه - كنا جزءا من صف موحد متماسك مع الزملاء الآخرين فى مواجهة المحاكمة العسكرية ، وكافة الجهات السجنية والأمنية والاعلامية .

د- الموقف من حل التنظيمات لنفسها :

* كان للتنظيم موقف معلن وموقف غير معلن .

- الموقف المعلن : خوض شكل جديد من اشكال النضال، بوحدة العمل لكـل الاشتراكيين (الشيوعيون والتنظيم الطليعى) مع استمرار التمسك بالماركسـية وتـدعيم التيار-الثورى داخل المجتمع، ومواجهة كافة التحديات الداخلية والخارجية .

- الموقف غير المعلن : بالاضافة الى الموقف المعلن طرح سـببان آخـوان للحل:

١- ان الحركة الجماهيرية - بعد أنجازات عبدالناصر - غير متقبلـة لتنظـيم شيوعى مستقل .

٢- أن الشيوعيين فى غالبيتهم ، بعد معاناة ٥٩ - ١٩٦٤ غير قادرين علـى الاستمرار كحزب مستقل .

* لكننى لم اقتنع ، ومازلت ، بما تـم ادعـاؤه بخصـوص رفـض الحركـة الجماهيرى - بعد ١٩٦٤- للشيوعيين . وايضا بخصوص ان غالبية الشيوعيين كـانوا قد اصبحوا غير قادرين على النضال (وقد اثبتت الأيام والأحداث عدم صـحة هـذه المقولات) .

أما فيما يختص بفكرة بالحل من أجل وحدة الاشراكيين ، فقـد رفضـتها فـى البداية، من خلال وعى النظرى المحدود وخبرتى النضالية البسيطة . لكننـى وافقـت عليها بعد ذلك، وللأمانة التاريخية ، بسبب اقرب إلى "الشخصانية" إذا صح التعبيـر . ويمكن تلخيص الأمر فيما يلى: اذا كانت كل الرموز والقيادات التى تعلمـت منهـا ، ومارست النضال قبلى بسنـوات ، والتى كان وعيها الفكرى والسياسى أعلى - يقينا - من وعيى (خاصة وان التنظيم الآخر بقياداته التاريخية ، ورغم هجومه علـى حـدتو كانحراف بمينى قد اقتنع أيضا بالحل) فهل أكون أنا بخبرتى ووعيى المحـدود، أكثـر نضالية ووعيا وحرصا على مصالح الحزب والشعب منهم ؟!

وكانت إجابتى لنفسى ، والتى حسمت موقفى ، " بالطبع لا " ، ومن هنا كانـت موافقتى - والتى لا داعى شرف عكسها - على قرار الحل .

وكخبرة تاريخية بناء على تلك التجربة النضالية / الـشخصية لى : فإنه يجب، عند توعية الزملاء - وخاصة الشباب ان يؤكد لهم على ضـرورة احتـرام القيـادات والخبرات الكبيرة فكريا وسياسيا وشخصيا أيضا - ولكن دون إلغاء الفكر/ الموقـف الذى ينبع من اقتناع الزميل وتمسكه به من خلال الاوضاع التنظيمية حتى لـو كـان متعارضا مع اغلبية التنظيم وقياداته .

هـ - اسباب الانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية :

ترجع تلك الاسباب فى تقديرى :

(١) فيما قبل ١٩٥٢ ، إلى تداخل الدور الـوطنى مـع الـدور الاشـتراكى ، بمعنـى ان الكثيرين انضموا للحركة الشيوعية، دون قناعة كاملة منهم (ولـو بـدون إدراك واعى) بقضية الاشتراكية ، بقدر ما كان دافعهم فى ذلـك توظيـف طاقـاتهم الوظفية .

(٢) فيما بعد عام ١٩٥٢ ، فإن ثورة ٢٣ يوليو بقدر ما قدمت من إيجابيات فى المجتمع المصرى ، بقدر ما تسببت فى سلبيات لا تقل عنها قدرا، و من أهمها "تمييـع الصراع الطبقى" أو ما اسماه البعض - و نظر له - تحت مسـمى "تـأميم الصـراع الطبقى" .

(٣) انعدام (فى بعض التنظيمات)، ومحدودية (فى تنظيمات أخـرى)، وعـدم اتساع (فى بعض التنظيمات)، والديمقراطية الداخلية فى الحـزب واعتبـار الخـلاف

السياسى عداء للتنظيم وقياداته .

(٤) عدم الاهتمام الكافى (فى بعض التنظيمات) بدور الوعى الفكرى والسياسى للأعضاء، وانحراف بعضها إما إلى انحراف نظرى ومدرسى بالمبالغة فـى الاهتمـام بالتثقيف، أو عملى بالانغماس فى العمل الجماهيرى والنضالى واعتبار التثقيف عمليـة ترفية .

(٥) كان هنالك على الدوام رصد لمتوالية ثلاثيـة : تكتـل /انقسـام/ ضـربة بوليسية .

فهل هنالك مؤثرات من خارج التنظيمات كان لها دور فى ترتيب هذه المتوالية، أم ان الضربة البوليسية تكون نتاجا منطقيا لما تم كشفه من خلال التكتل والانقسـام؟ لا أزعم اننى امتلك الادوات العلمية للإجابة الأمينة على هذا التساؤل الخطير والهام.

و - أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية :

هنالك أسباب عدة لأزمة الحركة الشيوعية منها :

١ - عوامل الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية المصرية وعدم تواصل حلقاتها، كما أوضحت فيما سبق

٢ - إن غالبية القيادات، فى غالبية التنظيمات كانت من ابناء الطبقة الوسـطى مما كان له دورة بالتأكيد فى أزمة الحركة .

وذلك دون ابتذال لقضية دور ونسبة العمال فى الحركة والتنظيمات، فـالمثقف الثورى إن كان مناضلا حقيقيا فهو لايقل شأنا عن العمال .

٣ - للبعد الفلاحى فى حركة الثورة المصرية، دور رئيسى. إذ لـم تهـتم بـه للأسف، بشكل واقعى ، سوى منظرة واحدة وفى حدود إمكاناتها. مما كان له بـالقطع أثره .

٤ - الضربات البوليسية المتعاقبة وخاصة عام ١٩٥٩ ، والـذى لا شـك فـى دورها فى أزمة الحركة .

رابعا:- العمل الجماهيرى :-

أ- حركة انصار السلام :-

* كان للحركة الديمقراطية شرف المساهمة الاساسية فى انشاء وقيادة حركـة

السلام

جماهيريا : بجمع آلاف التوقيعات على نداء ستوكهولم ،

تنظـيمـيا : المساهمة الأساسية فى تشكيل اللجنة القياديـة لحركـة انصـار السلام،

كذلك المساهمة الاساسية فى تشكيل لجان السلام فى المحافظات .

دعائيا : إصدار وتحرير مجلة "الكاتب"

كما قام الحزب الشيوعى الموحد بعد عام ١٩٥٦ بتشكيل العديد من اللجان التى تخدم حركة السلام بمسميات مختلفة : لجان باندونج - لجان الدفاع عن جميلة بوصيرد والثورة الجزائرية ...... الخ .

* وكنت أنا عضوا بلجنة أنصار السلام بطنطا (٥١ -١٩٥٢) . ثـم عضـو سكرتارية اللجنة القومية للسلام بالاسكندرية (١٩٥٥) . ثم عضـو سـكرتارية لجنـة السلام بالغربية (١٩٥٨) .

ب- دور التنظيم وسط الفلاحين والمشكلة الزراعية :

كانت حدتو، ثم امتدادها فى الحزب الشيوعى الموحد - تولى قضية الفلاحـين اهتماما كبيرا .

برنامجيا: ١) قبل الاصلاح ، وكانت أهم النقاط :

- تحديد الملكية وتوزيع الاراضى المصادرة على المعدمين .

- حد أدنى مناسب وانسانى لعمال الزراعة .

٢) بعد الاصلاح الزراعى ، وكانت أهم النقاط :

- تنفيذ وتطوير القانون لصالح فقراء وصغار الفلاحين .

- إقامة المزارع التعاونية الاختيارية .

نضاليا : ١) الحركة وسط الفلاحين كانت أحد المحاور الرئيسية للعمل .

٢) تشكيل منظمات فلاحية جماهيرية :

- نقابات وروابط لعمال الزراعة .

- اشكال اولية لاتحاد الفلاحين .

تنظيما : ١) التجنيد، بقدر الامكان، لفلاحين أو لعناصر ذات تاثير مباشر فـى القرية(الطلبة، المدرسون، كمسارية الاتوبيسات، خريجى المعاهد الأزهرية ...الخ)

٢) مكتب الفلاحين "المركزى" ، وكذلك مكتب للفلاحين ببجرى وآخر بقبلـى. وتلك كانت مؤسسات حزبـية تنظيمية ذات اهمية كبيرة.

دعائيا : ١) نشرة حزبـية خاصة بالفلاحين.

٢) صدور مجلة عليثة للفلاحين عام ١٩٥٧ .

جـ - الموقف من تنظيمات سلطة يولية (١٩٥٢) .

كان موقف حدتو على النحو التالى :

(١) هيئة التحرير : رفضها باعتبار أنها مجرد تجمع ، ليس فقـط للعناصـر الانتهازية ولكن ايضا للعناصر المعادية لثورة يوليو .

(٢) الاتحاد القومى : الانضمام إليه قدر الامكان ، وخاصة العناصر الحزبيـة المؤهلة لذلك - كأفراد - ومحاولة خدمة الجماهير من خلاله ، هذا من ناحيـة، ومـن ناحية أخرى دعم التوجه الوطنى والتقدمى فى داخله .

(٣) الاتحاد الاشتراكى : نفسى التوجه تقريبا، لكـن مـع الاهتمـام باتسـاع عضويتنا فى داخله. ثم انتهى الأمر عام ١٩٦٥ بحل الحزب، والـدخول فـى بؤرتـه السرية المسماة "التنظيم الطليعى" .

* وكان موقفى حينذ رفض دخول هيئة التحرير بالغربية رغم امكانيـة ذلـك بالنسبة لى آنذاك . ورفض الاتحاد الاتحاد القومى انضمامى إليه، كما رفض الاتحـاد الاشتراكى طلب عضويتى.

ثم صدر قرار بعزلى سياسيا منـذ ١/١/١٩٥٩ واستحرصـتى ١٥/٧/١٩٧٥ وبالتالى عدم عضويتى فى هذه التنظيمات وقد رفضت دخول التنظيم الطليعى ، ورغم عرض ذلك على من خلال محوزين من محاور تنظيمه فى المدة من ١٩٦٤ - ١٩٦٨

د- هبة مارس (١٩٥٤) :

كان وضعى التنظيمى شديد التعقيد خلال هذا العام . فبعد أن خرجت من "حدتو " الى "حدتو ت.ث " بقيادة بدر مع مجموعة كبيرة من رفاق الاسكندرية (غالبية منطقة الاسكندرية ماعدا من كانوا بالسجن) اختلفنا مع الرفيق بدر وتكشف لنا أن الانقسام كان شديد الخطأ والخطر إذ إهدر حدتو دون أسباب جدية لذلك

وكانت العناصر الرئيسية من جدتو فى السجون .

فتصرفنا كمجموعة من حدتو. وقمنا بالتنسيق مع الحزب الشيوعى المصـرى

"الراية" (وقد احترم رفاق الراية موقفنا هذا). وكان موقف الحزب الذى وافقنـا عليـه، وبالتالى كان موقفى :

١- عودة الجيش الى ثكناته .

٢- انتخابات جمعية تأسيسية تضع الدستور المصرى .

٣- قيام حكومة جبهة من الشيوعيين الاشتراكينى ، الوفديين والاخوان . وبناء على ذلك شاركت فى المظاهرات والمؤتمرات المعروفة بالاسكندرية فى هذه الظروف . وكنا توجيهها فى إطار السقارات الثلاث السابقة

هـ- العدوان الثلاثى (١٩٥٦) :

* لعب الحزب الشيوعى الموحد دورا رئيسيا في قيادة وتنظيم المعركة :

(١) في داخل بورسعيد ، بالمقاومة المسلحة .

(٢) في كافة أقاليم مصر ، بتشكيل لجان المعركة .

(٣) تدعيم وتوظيف الطاقات الجماهيرية الوطنية .

* وقد أسهمت من جانبي في تشكيل "الجبهة الوطنية المتحدة " بالغربية. كمـا أسهمت في تشكيل "جيش التحرير" بالاسكندرية .

وقد تم ، من خلال عناصر مشبوهة ، استبعاد الشيوعيين من جيش التحرير. ثم حدث بعد محاولة سقري، وكتيبة ثم تدريبها، إلي بورسعيد أن تم القبض علـي الحكـم علي بالاعدام من مجلس عسكري ميداني!!

و - انتخابات مجلس الأمة (١٩٥٧) :

* كانت توجهات الحزب الشيوعي الموحد :

(١) إعطاء اهتمام غير عادي من كل مستويات وهيئـات وأعضـاء الحـزب للمعركة الانتخابية .

(٢) ترتيب الأولويات بالنسبة للمرشحين الذين نساندهم :

- الأعضاء الحزبيي والمتعاطفين مع الحزب ،
- عناصر الجبهة الوطنية المتحدة ،
- المرشحون العمال .

(٣) أهمية وضرورة تشكيل لجان الوعي الانتخابي .

(٤) أهمية وضرورة أن نخرج من المعركة بكسب حزبي : عضوي ، سياسي

وجماهيري.

(٥) وقد شاركت في اللجنة الخماسية التي كانت مكلفة بقيادة المعركة الانتخابية في دائرة محرم بك بالاسكندرية - للدكتور محمد عجلان .وبعـد اسـتبعاد الحكومـة لترشيح الدكتور عجلان:

أ- تحركت مع العامل اليساري أبو اليزيد يوسف مركز طنطا . ونجح بالفعـل في مواجهة أمين الاتحاد القومي بالغربية ومرشح آخر كان من كبار ملاك الاراضي.

ب- تشكيل لحنة الوعي الانتخابي بالغربية .

ز - مشروع ايزنهاور (١٩٥٧) .

* كان توجه الحزب الموحد (أو المتحد؟) أن معركتنا ضد ما يسمي بمشـروع ايزنهاور لملأ الفراغ في الشرق الاوسط، هي علي نفس درجة معركتنا ضد العـدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.

* وقد اسهمت من جانبي في دعم " الجبهة الوطنية بالغربية ، وتركيز دورهـا علي كشف هذا المشروع والدور الأمريكي الاستعماري بشكل عام .

ح- قرارات التأميم (١٩٦١) :

* موقف الحزب الشيوعي المصري / حدتو هـو الاحتفـاء الشـديدة بهـذه القرارات، وانها تعبير عن انتصار الجناح التقدمي والمجموعة الاشتراكية داخل النظام.

* وكنت أنا مقتنعا برأي الحزب ، خاصة وان رؤية التنظـيم الاخـر كانـت تتراوح في تحليلها للتأميمات ما بين : "ورأسمالية دولة" دون مدلول اشتراكي أو حتـي تقدمي لها، و"راسمالية الدولة الاحتكارية" تحكم قبضتها علي الاقتصاد المصري بـدعم من الاستعمار الامريكي .

"خامسا " - رفاق راحلون وشهداء في السجون :-

إن كثيرا من الرفاق الراحلين أدوا أدوارا هامة في الحركة الشيوعية المصرية ولم توثق أدوارهم . وكنماذج فقط لهؤلاء الرفاق اذكر :

سيف صادق : الذي قام بدور شديد الأهمية في الحركة الشيوعية المصـرية ، وخاصة :

- المشاركة الرئيسية في تنظيم وقيادة العمل الـوطني المسـلح ضـد قـوات

الاحتلال الانجليزي عام ١٩٥١.

- المشاركة الرئيسية في تنظيم وقيادة العمل الشيوعي في مجال الفلاحين قبل ١٩٥٢ وبعد الاصلاح الزراعي .

صابر زايد : ودوره شديدة الأهمية في مجال المطبعة الحزبية السرية وتضحياته البطولية من أجل حمايتها واستمرار وظيفتها الهامة .

سعد الساعي : ودوره كمثقف ثوري حقيقي ومناضل وصلب وروحه الرفاقية العالية

أما بالنسبة للرفاق الذين استشهدوا في السجون والمعتقلات، فانني أقدم الشهيد محمد عثمان كنموذج لهؤلاء الابطال :

- كان حقا رفيقا نموذجيا في وعيه ونضاله وخلقه .

- كلف بعد ضربة ١٩٥٩ ، بقيادة العمل بمحافظة الغربية - حيث كان قد تم القبض علي قياداتها - واستطاع أن يشكل لجنة عمل للتحرك الحزبي في تلك الظروف الشديدة الصعوبة.

- ثم القبض عليه - وتعذيبه حتي الموت بالمباحث العامة بطنطا - تحمل بصلابة الابطال التعذيب الوحشي بقيادة الضابط المجرم "انور منصور" دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة، مما استفز الجلادين فزادوا من تعذيبه حتي استشهد.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

رقم المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكي المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعي المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ - ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضًا بالفجر الجديد عام ١٩٤٥(يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكري، رشدي صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون). ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال في بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري عام ١٩٥٧ .	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (دحسونة من الحزب الأول وعدلي جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضي، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرون.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب،	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)	الحركة المصرية + إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(رائول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثوري	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدي عطية الشافعي وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحي الرملي	١٩٤٧
١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدني سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيري وفاطمة زكي وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تمامًا كالعمالية الثورية، والتكتل الثوري.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقي الخطيب وسعد رحمي وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدني، ميشيل كامل، فاطمة زكي وآخرون)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعي مصري (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجي أفلاطون، إبراهيم المانسترلي وآخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلي، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزي حبشي وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمي (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمي، يحيى	١٩٤٨

		المازني وآخرون).	
٢٤	اتجاه النضال الثوري	إبراهيم عرفة وآخرون.	١٩٤٩
٢٥	نواة الحزب الشيوعي المصري	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزي جرجس) واتجاه النضال الثوري وبقايا من التكتل الثوري.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعي المصري (الراية)	(فؤاد مرسي، إسماعيل صبري عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلي جرجس، فوزي حبشي، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثوري (فخري لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحي وعلي الشوباشي وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني (التيار الثوري)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعي، حمدي عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعي المصري الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعي + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثوري.	١٩٥٤ ١٩٥٦
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزي جرجس)	١٩٥٧
٣٣	الحزب الشيوعي المصري المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعي	

		المصرى (الراية).	١٩٥٨
٣٤	الحزب الشيوعي المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعي المصرى (حدتو).	١٩٥٨
٣٥	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	طليعة الشعب الديمقراطية – وحدة الشيوعيين التي خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٦٢
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات. (رمسيس لبيب).	.
٣٨			
٣٩			
٤٠	الشيوعيون داخل السجون		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى
إسماعيل عبد الحكيم
خالد حمزة
داود عزيز
رمسيس لبيب
سعد الطويل
سمير أمين
سيد عبد الوهاب ندا
شكرى عازر
طه سعد عثمان
عبد الخالق الشهاوى
فاطمة زكى
فتح الله محروس
فخرى لبيب
فوزى حبشى
مبارك عبده فضل
محمد الجندى
محمد فخرى
محمود أمين العالم
نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان

مركز البحوث العربية

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية
حتى ١٩٦٠

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر

شهادات ورؤى

الجزء الثانى

ثريا إبراهيم   سيد عبد الوهاب ندا   فخرى لبيب
فرنسيس كيرلس   متولى محمد بحر   محمد فخرى
محمد الجندى   وداد مترى   يوسف درويش

تقديم

د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

يختص هذا الجزء من «شهادات ورؤى أعضاء الحركة الشيوعية فى مصر» بتسع شهادات انتمى أصحابها فى الأصل إلى ثلاث منظمات : الحزب الشيوعى المصرى (الراية)، والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، ومنظمة اسكرا (الشرارة)، وجاء ترتيب نشرها طبقًا للحروف الأبجدية ولعله يكون معياراً مقبولا لدى أصحاب الشهادات.

والشهادات التى بين أيدينا شأن التي نشرت فى الجزء الأول لم يقتصر حديث أصحابها على تجربتهم النضالية منذ بدايات التعرف على الماركسية، ثم الدور التنظيمى، والنشاط السياسى، بل لقد تجاوزت الإحاطة بتلك الوقائع إلى الرؤية الذاتية للحركة، وهى رؤية تحمل قدراً كبيراً من النقد الذاتى الذى يكاد أن يكون فى بعض جوانبه نقداً موضوعياً .. ولم لا والزمن قد بعد من ناحية، وأطراف الصراع هدأت من ناحية أخرى، وأصبح من الممكن التأمل فيما مضي بقدر من التجرد، رغم أن ماضى الملاحقات ومتابعات السلطة لم يتوقف لأن البعض ظل على قائمة الاعتقالات حين نزل ضيفًا على السلطة لبعض الوقت فى سنوات ١٩٧٨، ١٩٨١، ١٩٨٩ لأسباب تتعلق بالموقف من اتفاقية كامب ديفيد، واغتيال السادات.

والحقيقة أن الشهادات في مجملها تعد مصدراً للتعرف على الواقع الاقتصادى - الاجتماعى فى مصر منذ الثلاثينيات .. كيف كانت الإدارة السياسية في مصر في خدمة رأس المال سواء كان أجنبياً أم مصريا ... كيف كان التفاوت الطبقي وسيطرة الانجليز على مقدرات البلاد وتغلغلهم في كافة الإدارات وراء الوعى... وكيف كانت الحركة الشيوعية وراء تثقيف العمال سياسيا وتنمية الوعى لديهم بالصراع الطبقى .. وكيف ارتبط معظم الأعضاء بالحركة وهم تحت العشرين أو ما يزيد قليلا، وهم فى مرحلة من العمر يسهل فيها التقبل والتعلم، والتمذهب.

وهذه الشهادات التى تعتبر درجة من المذكرات الشخصية تكشف للقارئ بعضا من وسائل التنظيمات الشيوعية في كيفية الاتصال بين الأعضاء، وتوزيع المطبوعات، وتحقيق درجة

«الأمان التنظيمى»، وحياة السجون والمعتقلات، وحقيقة الاحتراف الثورى وشروطه وفاعليته، وغير ذلك من خصوصيات العلاقات داخل الحركة الشيوعية.

وفى الشهادات محاولات من جانب البعض لتحليل الانقسامات التى اتصفت بها الحركة الشيوعية فى مصر، ومحاولة تحديد الأسباب وراء كل انقسام ومراجعة ما سبق اعتماده من أسباب، وبيان دور السلطة فى اختراق صفوف الحركة الشيوعية باستقطاب عناصر معينة .. ولماذا ضمت الحركة تيارات كل منها يناقض الآخر .. تيار ثورى يقابله تيار انتهازى، وتيار يسعى لتوحيد فصائل الحركة يقابله تيار يركز على التفتيت والانقسام ... وكيف أن السبب وراء هذه الانقسامات قد يكمن فى وجود عدة مرجعيات تقود الحركة بدلا من مرجعية واحدة، ومن هنا - كما تدلنا الشهادات - وقف كل تنظيم ضد الآخر، وكل تنظيم كان يعتبر نفسه أنه الوحيد الذى على صواب والتنظيمات الأخرى على خطأ، وكل انقسام يؤدى إلى آخر، فتبددت الجهود وتعددت التنظيمات، حتى أصبح من الصعب التمييز بدقة بين أسماء التنظيمات، أو تحديد فروق دقيقة تبرر الانقسام. على أن الذى يلفت النظر بعد تلك السنوات فى كل الشهادات، المرارة التى ماتزال فى الحلوق من وقوع الانقسامات، ومن الشللية التى سيطرت على بعض التنظيمات، ومن التصفية التى تمت فى عام ١٩٦٤.

وتحمل الشهادات رؤى للواقع السياسى فى مصر منذ ١٩٥٢ وتطوراته، والانقسام فيما بين التنظيمات حول سياسات جمال عبد الناصر ما بين الاعجاب والتأييد لوقوفه ضد الاستعمار ورعاية العمال والفلاحين، والسخط الشديد عليه لخنقه الحريات الحزبية، وقد انطلق هؤلاء من المقولات الثابتة بشأن الجيش والسياسة.

وتشير الشهادات فى معرض ذكر الوقائع والمواقف إلى أسماء كثير من الرفاق ما يزالون على قيد الحياة، وهم بهذا مدعوون من جانب لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر إلى تقديم شهاداتهم الخاصة اسهاماً منهم فى توثيق صفحة مجيدة من تاريخ حياتهم فى النضال ولمساعدة الباحثين فى كل مكان على دراسة الحركة الدراسية العلمية الواجبة.

ويبقى القول أن شهادة يوسف درويش فى تقديرى لها طعم خاص وسط الشهادات المنشورة فى هذا الجزء نظراً لأنه أكبر شهوده سنا (مواليد ١٩١٠)، وتجربته تختلف نوعاً ما بما شهدته من تحولات على المستوى الدينى والمحلى والخارجى.

إن هذه الشهادات التى تنشر كما كتبها أصحابها تمثل أحد مصادر دراسة تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر وهو أحد أهداف لجنة التوثيق.

شهادة

ثريا إبراهيم

البيانات الشخصية

الاســـــــم : ثريا سيد إبراهيم.

تاريخ وموطن الميلاد : مواليد القاهرة.

المؤهـلات الدراسـية : ثانوية عامة.

بيانات عائلية أخرى

ولدت فى شبرا، ولذلك بدأت علاقتى بالسياسة من هذه النقطة. فجيران أمى سنة ١٩١٩ كانوا ثوريين، وهم عائلة حفنى ناصف، لم أكن قد ولدت بعد. وكانت والدتى تخبئ لهم المنشورات والمسدسات فى بستله الجاز. كانت تحكى لنا هذه الأشياء. وكان والدى أيضًا له علاقة بالسياسة وكان وفديًا، لم يكن وفديًا كبيراً، ولكنه كان ينتمى للوفد.

أما أخوتى، فقد كان لى أخ دكتور، وأخان محاسبان. كان أصحابهم، فى زمن الجامعة، فى الطليعة الوفدية، وكانوا يأتون بالأشياء لتخبئتها فى المنزل تربيت فى هذا الجو، لكننى لم أكن أعرف الطريق، كانت هذه حكايات تحكى فى البيت، كانوا يقولون، كنا نعمل كذا مع هؤلاء الناس وكانوا ثوريين، وكانوا عظماء، وأنا كنت مازلت صغيرة، وعندما كبرت كانت هذه الأشياء فى رأسى ولكننى لا أعرف طريقى، إلى أن عرفت زوجى، تعرفت عليه عن طريق صديق لنا، قال لى أنه شاب كويس جداً، وأنه يمكنه توصيلك إلى الأفكار التى تبحثين عنها، وعرفنى بالفعل على أشياء لم أكن أعرفها. أول شئ أثر فىّ هى رواية الأم (لمكسيم غوركى)، لقد أثرت فى جدا، وبعدها المادية الجدلية والمادية التاريخية الفلسفية. ثم وجدت نفسى فى تنظيم ما، اسمه نواة الحزب الشيوعى المصرى.

المحاورة : ذكرت لى أن جو البيت وصلك لهذا ولكنك كنت لا تعرفين الطريق، ألم يساعدك أخوتك فى هذا؟

أ. ثريا : أخوتى كان لهم أصدقاء ثوريون هم المشاركون بصفة مباشرة. كانوا يساعدونهم فقط.

المحاورة : هل وجدت اعتراضات عندما بدأت تدخلين فى هذا النشاط؟

أ. ثريا : وجدت اعتراضات فظيعة، ما عدا والدتى، هى الوحيدة التى كانت تشجعنى. ثم

أ. ثريا : جداً، السيدة فى المنزل وتنتج، وتأتى لها فلوس مكسب، كنا نرعى الأسرة بهذه الطريقة وليس عن طريق اعطائها فلوس (بلغة اليوم تنمية الأسرة) .

بعد ذلك، عندما أخذت المرأة حق الانتخاب، عملنا لجنة توعية انتخابية. كانت هذه المجموعة هي أول من سعى لعمل بطاقة انتخابية. كانت الاستجابة هائلة، إذ كن يدركن أنك تقومين بعمل حاجة هى أمنية حياتهن.

الناحية الأخرى، جمعية نهضة المرأة. كانت عبارة عن بيت مغتربات (من سوريا، ولبنان يأتين للجامعة). بعد حرب ٥٦ البنات كلهن سافرن بعد أن أغلقت الجامعة، وأصبح المكان خاليا، نحن استغلناه استغلالاً حسناً. كان لابد من الاشتراك مع الاتحاد القومى (كان هناك أشياء لا تستطيعين عملها وحدك). أنا فقط أريد التأكيد على أنني لم أدخل إلى الحزب الاشتراكي، أو الطليعي، هذا كان موقفي، لكن فى هذا الوقت كان لازم الاشتراك معهم. عندما أعلن عن تأميم القناة، قلنا لازم هتقوم حرب، بدأنا فى طباعة بطاقات تطوع، وبدأنا فى الاجتماعات، وملأنا الاستمارات وكونا اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية (كلهن سيدات)، لجنة إسعاف وتمريض، لجنة دفاع مدني، لجنة أسر المهاجرين، لجنة خياطة. فمثلاً، لجنة الإسعاف والتمريض يدربن في المستشفيات ويأخذن شهادات بذلك، لجنة الإعاشة، كانت تأتي أسر من منطقة القنال، فنبدأ نعرفهم على الأسر التى نرعاها، ولم يكن لديهم مكان فنسكنهم فى بيت المغتربات (جمعية نهضة المرأة). بعد أن قمنا بفرش المكان وكنا نقوم بإعداد الطعام لهم الثلاث وجبات، الإفطار والغذاء، والعشاء. أي إعاشة كاملة. لا تتخيلي السيدات اللاتي تقابلهن ولا تتصوري أنهن لم يكن يملكن أى شئ، وعندما كنا نطلب منهن تبرعات، كانت الواحدة منهن تعطينا كل شئ فى بيتها، وكانت تبدو متحمسة وراقية ونقية، خلاف الوضع الآن تماما. كن سيدات بسيطات، وكن يأتين بالأكل مطهوا. من كانت تأتى بحلة مكرونة أو حلة محشي. كان التجاوب شديداً. بالنسبة للجنة الخياطة، كانت هناك سيدة تسمى زهرة رجب (أخت د. رجب أستاذ البرديات)، كانت بعد ذلك نائبة الجيزة، وكانت سيدة اجتماعية قد قامت بافتتاح ورشة خياطة (لا أعرف لماذا عملتها) ثم حولتها إلى ملابس للجنود. فكانت السيدات يذهبن للخياطة، متطوعات، عملنا مجلة حائط. نكتب فيها كل يوم آخر الأخبار وتعلق على الباب (كانت على شكل فيلا).

كانت «نهضة المرأة» علي شارع الهرم العمومي (بعد النفق). كنا نكتب فى مجلة الحائط

أ. ثريا : جداً، السيدة فى المنزل وتنتج، وتأتى لها فلوس مكسب، كنا نرعى الأسرة بهذه الطريقة وليس عن طريق اعطائها فلوس (بلغة اليوم تنمية الأسرة) .

بعد ذلك، عندما أخذت المرأة حق الانتخاب، عملنا لجنة توعية انتخابية. كانت هذه المجموعة هي أول من سعى لعمل بطاقة انتخابية. كانت الاستجابة هائلة. إذ كن يدركن أنك تقومين بعمل حاجة هي أمنية حياتهن.

الناحية الأخرى، **جمعية نهضة المرأة**. كانت عبارة عن بيت مغتربات (من سوريا، ولبنان يأتين للجامعة). بعد حرب ٥٦ البنات كلهن سافرن بعد أن أغلقت الجامعة، وأصبح المكان خاليا، نحن استغلناه استغلالاً حسنًا. كان لابد من الاشتراك مع الاتحاد القومى (كان هناك أشياء لا تستطيعين عملها وحدك). أنا فقط أريد التأكيد على أنني لم أدخل إلى الحزب الاشتراكي، أو الطليعي، هذا كان موقفي. لكن فى هذا الوقت كان لازم الاشتراك معهم. عندما أعلن عن تأميم القناة، قلنا لازم هتقوم حرب، بدأنا فى طباعة بطاقات تطوع، وبدأنا فى الاجتماعات، وملأنا الاستمارات وكونا اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية (كلهن سيدات)، لجنة إسعاف وتمريض، لجنة دفاع مدني، لجنة أسر المهاجرين، لجنة خياطة. فمثلاً، لجنة الإسعاف والتمريض يدربن في المستشفيات ويأخذن شهادات بذلك، لجنة الإعاشة، كانت تأتى أسر من منطقة القنال، فنبدأ نعرفهم على الأسر التى نرعاها، ولم يكن لديهم مكان فنسكنهم فى بيت المغتربات (جمعية نهضة المرأة). بعد أن قمنا بفرش المكان وكنا نقوم بإعداد الطعام لهم الثلاث وجبات، الإفطار والغذا، والعشا.. أي إعاشة كاملة. لا تتخيلي السيدات اللاتي تقابلهن ولا تتصوري أنهن لم يكن يملكن أى شئ، وعندما كنا نطلب منهن تبرعات، كانت الواحدة منهن تعطينا كل شئ فى بيتها، وكانت تبدو متحمسة وراقية ونقية، خلاف الرف الآن تماما. كن سيدات بسيطات، وكن يأتين بالأكل مطهوا، من كانت تأتى بحلة مكرونة أو حلة محشي. كان التجاوب شديداً. بالنسبة للجنة الخياطة، كانت هناك سيدة تسمى زهرة رجب (أخت د. رجب أستاذ البرديات)، كانت بعد ذلك نائبة الجيزة، وكانت سيدة اجتماعية قد قامت بافتتاح ورشة خياطة (لا أعرف لماذا عملتها) ثم حولتها إلى ملابس للجنود. فكانت السيدات يذهبن للخياطة، متطوعات، عملنا مجلة حائط، نكتب فيها كل يوم آخر الأخبار وتعلق على الباب (كانت على شكل فيلا).

كانت «نهضة المرأة» علي شارع الهرم العمرمي (بعد النفق). كنا نكتب فى مجلة الحائط

شعر، نداءات، وآخر الأخبار وآخر ما توصلنا إليه. كنا نأتى لهن بسينما من المركز الثقافى السوفيتى، عن حرب فيتنام وما شابه ذلك. كنا خلية نحل.

وفى أيام الحرب أيضًا سافرت مجموعة من النساء كانت إحداهن ليلى الشال. طبعًا كان الاختيار للأقدر والأفضل. فى هذه الأيام كان شئ فوق الخيال، المرأة تقوم بدورها فى القتال، وتستعمل المدافع.

وكانت شعاراتنا فى انتخابات ١٩٥٧ الأجر المتساوى للعمل المتساوى، إجازة وضع بالمرتب. وكنا نقول للسيدات العاملات ذلك، ووضعناها فى أولويات المرشح (وكان أبو الفضل الجيزاوى) مع ناحية المرأة، وكنا ندخل معهن فى أحوالهن فى المصنع. كنا نقول لهن لابد أن تطالبن بدار حضانة. وجاءت القرارات بعد ذلك بأن دار الحضانة لأكثر من ٩٠ موظفة. كانت لدينا مجموعة مطالب نشد بها انتباه العاملات، وكان ذلك يشدهن بالفعل، لأنه عندما تعمل المرأة بدون أى حقوق، تكون حالتها تعسة جداً. هى عندها مشاكل تعيش بها، ولا تعرف كيف تحلها، فيقوم الزملاء الشيوعيون بحلها عن طريق تدخلهم فى النقابات بشكل كبير جداً.

المحاورة : ألم تقابلكن صعوبات؟

أ. ثريا : لا، كانت لنا علاقات، وكان معنا سيدات عاديات، من كن حزبيات هن أنا، وليلى الشال، وأميرة الشال (أخت ليلى الشال) ثم مكثت فى البيت، وعفت الشال أخت ليلى. وكانت معنا واحدة اسمها شهيرة يحيى لا أعرف أين ذهبت الآن.

المحاورة : أنا سعيدة بصيغة كلامك (إحنا)، هل فعلاً كان هناك ارتباط بينكن لهذه الدرجة؟

أ. ثريا : إحنا فعلاً كنا مترابطين جداً، لنا عملنا شغل كويس جداً جداً. ولما المرحلة دى خلصت، كانت المرأة قد أخذت حقها فى الترشيح والانتخابات، واستغلينا كل نشاطنا هذا، فى التحول إلى لجان نوعية انتخابية، كان عندنا جماهير، عملنا مالا يقل عن ٥ آلاف تذكرة انتخابية للسيدات. قمنا بترضيب الجناح النسائى فى الانتخابات. إحنا كان نشاطنا نسائى. ليلى الشال كان لها نشاطات أخرى لا أعرف، فهى كان مستواها عاليًا فى التنظيم أنا كنت فى القاعدة.

المحاورة : هل تنظيم النواة دخل فى وحدة مع أى تنظيمات أخرى؟

أ. ثريا : دخلت وخرجت وأنا لا أعرف شيئا. أنا لم أكن أهتم بهذه الأمور كثيراً.

المحاورة : ماذا تعرفين عن نشأة التنظيم؟

أ. ثريا : نشأته، لا أعرف شيئًا عن ذلك.

المحاورة : هذا النشاط كان فى القاهرة، ألم يكن لكم علاقات خارج القاهرة؟.

أ. ثريا : لا طبعًا الحزب مقره القاهرة ولكن به لجان محافظات.

المحاورة : هل عندك فكرة إن كان الحزب له نشاط فى وسط الفلاحين والفلاحات.

أ. ثريا : طبعًا أكيد، ولكن للأسف إحنا لا، ولذلك حتى اليوم لا أحد يعمل فى وسط الفلاحات، مع أنهن الغالبية العظمى من نساء مصر العاملات، لأنهن كلهن يعملن فى الحقل، فهى خلقت وتموت هكذا فى عمل دائم. لكن للأسف الشديد دائما بنقول شعارات أننا لابد أن نكون وسطهن ولم نفعل شيئا فى الماضى أو الحاضر.

المحاورة : متى قبض عليك؟

أ. ثريا : ٢٨ مارس ١٩٥٩. كان عندى ابنتى عندها ٩ شهور، كانت تلك هى المأساة الكبرى. نحن لم نتصور، ولم يقل لنا أحد، أنه يمكن القبض على السيدات. ولم يقل لنا أحد ماذا نقول أو ماذا نفعل، كل تصرفاتنا كانت من رؤوسنا.

المحاورة : معنى هذا أنه قبل ٥٩ لم يكن هناك اعتقال للسيدات؟

أ. ثريا : كان هناك فى الأربعينيات، مثل فاطمة زكى ولطيفة الزيات وآخريات كثيرات ولكننى لم أكن أعرفهن، الحملة الكبرى كانت يناير ٥٩، سمعنا بها، لكن مختار لم يقبض عليه قبلها. أولا، كان متخرجًا حديثًا، لأننا تزوجنا وهو طالب عندما تخرج كان لابد أن يعمل فترة الامتياز، عمل نصفه فى شربين ونصفه فى المنصورة. عندما كان هناك كنت أكلمه من عند إحدى صديقاتى، ثم قطع الاتصال بينى وبينه، لأن أحد أقارب صديقتى هذه ضابط. لذلك امتنعت عن الذهاب إليها، حتى لا يفهم شيئا. كنت أقيم مع أخواته (أهله).

كنت آخذ المنشورات فى عربة ابنتى لكى أوصلها .ولم يكن هناك ترتيب على الإطلاق لما سنقوله. بعد حملة يناير كان المفروض أن الناس الذين كنا نراهم يقولوا لنا، «احتمال إن يقبض عليكم وتقولوا كذا»، كنت أحب إن التنظيم يقول لى، بحيث لا أعمل حاجة من نفسى. إلا أن هذا لم يحدث. المهم اعتقلنا وذهبنا إلى القناطر. وتعرفت على سيدات لأول مرة داخل المعتقل.

المحاورة : كيف تم القبض عليك؟

أ. ثريا : كان منزلى بالدور الأول وكان هناك حديقة وكان ممكن أن أهرب من الحديقة، وإذا «خبطت» على أى من الجيران كان سوف يفتح لى، لأن علاقتى كانت جيدة بالحى كله. وقد استأذنتهم لكى ألبس، وطول ما أنا بألبس كنت أفكر. سمعنا فى حملة يناير أنهم أخذوا آباء كباراً وعذبوهم لأن أبناءهم هربوا. كانت هذه القصة شريط فى دماغى، أنهم يمكن أن يأخذوا ابنتى ويرمونها فى المباحث، لذلك تراجعت عن فكرة الهرب لسلامة ابنتى.

وقد كنت أيامها أعيش مع أهل مختار. وكنا أيامها عاملين حملة نظافة وحريق لكى نتخلص من أى أوراق. وكان أهل مختار يتصورون أننى السبب فى دخول مختار فى السياسة، وكان أهلى يتصورون أن مختار هو السبب فى دخولى، رحت معهم وفى السكة كنت سأموت، الضابط رآنى وأنا أبكى فقال لى لاتبكى، قلت له إن ابنتى مريضة، فقال عندما نصل سوف أتركك تتصلى بهم فى التليفون، اتصلت وقلت لهم خلوا أختى تيجى. أول ما جاءت وشافت الدنيا مضطربة، وبيأخذوا الكتب فى الأجولة أغمى عليها، المهم راحت وأخذت بالها من البنت. عندما كلمتها فى التليفون، قالت لى أنتى بتتكلمى منين، أنت عاوزة تجيبى لنا مصيبة. أختى هذه طوال الفترة كانت غاضبة جداً، ولكن أمى كانت حماية لى، كانت أختى غير متزوجة واعتبرت ابنتى هبة لها من السماء وحاولت بشتى الطرق أن تمحى من ذاكرتها أمها ثريا، ولكن أمى كانت تذكرها بى دائما، واضعة صورتى أمامها، وتقول لها قولى لماما صباح الخير، وكانت تذكرها دائما بأن بابا وماما مسافران وسوف يرجعان.

عندما دخلنا السجن عرفنا أساليب المساجين فى كيفية الذهاب إلى القصر العينى. دخلنا عنبر المتسولات، وكل فترة يفتح الباب ويزج بواحدة وهكذا.

المحاورة : أليس هناك مكان مخصص للمسجونات السياسيات؟

أ. ثريا : دخلنا عنبر المتسولين، ولكن بعد إخلائه منهم.

المحاورة :كيف جرت الأمور عند التحقيق معك؟

أ. ثريا : كان يسأل هل هذا خطك، وتكون الإجابة لا، هل هذا ورقك، لا. طيب اكتبى، حتى تقارن الخطوط، فنحاول تغيير الخط، رغم أننا كنا نتمنى أن نقول أننا شيوعيون، لكن الحملة كانت شرسة. أنا عملوا لى قضية لأننى بعثت إلى زوجى بجواب أقول له فيه الأخبار الحزبية، ولم تكن مكشوفة. هو وضعه فى مجلة وأتى بها إلى القاهرة وأنا لا أعرف، ووضعتها أنا فى المكتبة، وعندما أخذوا الكتب وجدوه وحاكمونى بسببه وحكم على بسنتين.

كنت قد قضيتهما فى الاعتقال، وذهبنا إلى السجن على أننا سوف يفرج عنا لأننا قضينا المدة. كنت أنا وثريا أدهم فى هذه القضية. وكل واحدة من الزميلات داخل السجن توصى بما تريد، من تقول إذهبى لأولادى أو يرسلوا خطابات معنا، ثم فى طريقنا إلى المباحث كان معنا ضابط يسمى إبراهيم محسن سرحان (ابن محسن سرحان الممثل) كان شابًا صغيراً، فقال لنا أنا أعرفكم جميعا رؤوسكم صلبة، ما يقولونه لكم افعلوه لكى تخرجوا لتروا أولادكم. وعندما وصلنا هناك أرادوا أن نكتب استنكاراً فرفضنا ورجعنا إلى السجن، وكانت مفاجأة سيئة للزميلات. ثم أن المباحث حاولت تشكيكنا فى بعضنا البعض بأن أخرجت جزء منهم قبلنا بعدة شهور، حتى نشك فيهن، ولا نحاول الاتصال من خلالهن بالخارج. لكننا كنا واعين لهذه الأساليب القذرة. ولم ينجحوا مع أى منا فى كتابة أى استنكار رغم أن هناك بعض الرجال قاموا بذلك، حتى هذه البنت ذات ١٣ عامًا التى خرجت ١٦ عاما، لم تستنكر. وقد قضينا مدة هذا المعسكر على خير، قرأنا فيه، وقمنا بأشياء كثيرة.

المحاورة : من تتذكرين كان معك فى هذا الوقت؟

أ. ثريا : أنا فاكرة منظر ثريا أدهم، لا أنساه، لأن الباب فتح ووقعت ثريا، كانت مقاومتها ضعيفة، فتأثرت صحتها كثيراً بالسجن، وأصابها التهاب رئوى، ثم طوال الليل يفتح الباب وتدخل السيدات، وقد قالوا للسجينات العاديات هؤلاء الشيوعيات خطيرات لا تكلموهن، لكنهن عرفن من نكون، ووجدوننا أناسا عاديين .

المحاورة : من كان معك أيضًا غير ثريا أدهم؟

أ. ثريا : ثريا أدهم، ثريا شاكر، ليلى الشال، وليلى شعيب وليلى عبد الحكيم والمرحومة انتصار خطاب، والمرحومة إنجى أفلاطون، جينفيف سيداروس، سعاد بطرس الطويل، محسنة توفيق، أميمة أبو النصر، إيفون حبشى، إجلال السحيمى، نوال الحملاوى، سيدة، زينب ...، لا أعرف اسمها بالكامل كانت عندها ١٣ سنة كانت تلميذة لواحد شيوعي في بني سويف اسمه شبل .. عندما قبضوا عليه قبضوا عليها، ولكنها طلعت من السجن شيوعية. وكان هناك واحدة أخرى اسمها عايدة، كان أخوها شيوعياً كبيراً من بنها استخدمها، (وأنا ضد أن يخدع أحد. لابد للإنسان أن يفعل ما هو مقتنع به)، هى كانت أمية كان يحملها (السبت) مليئًا بالمنشورات ويقول لها روحى إلى قرية كذا وأعطيه لصديقى فلان. فعملوا لها قضية اتصال، على أنها مسئولة اتصال.

وكانت هناك واحدة إسمها سعيدة كانت عاملة، لكنها كانت تعرف، وكان هناك سميرة الصاوي زوجة أحمد طه عضو مجلس الشعب وفاطمة زكى طبعا.

كلنا تعرفنا على بعض، وبدأنا نعيش حياة جماعية. ولكن وقتها كان هناك انقسام فى «الحزب الشيوعى».

المحاورة : هل كنتم من تنظيمات مختلفة؟

أ. ثريا : كانت هناك حدتو وكان تسمى نفسها الحزب الشيوعى، وكان هناك الحزب الشيوعى، هؤلاء من؟ وهؤلاء من؟ لا تعرفى، هذه كانت أسوأ الأشياء.

المحاورة : هل كان هناك صراعات بينكن داخل السجن؟

أ. ثريا : لا، أنا مثلا ليلى الشال كانت صديقتى وحبيبتى كانت فى الانقسام، وأنا كنت صديقة لها، كانت هناك أشياء من هذا القبيل.

المهم فى يوم ما فى نشرة الساعة السابعة صباحًا، كان هناك سماعة نسمع من خلالها النشرات. فسمعنا أن هناك صحفيًا هنديًا يسمى (كرانچيا) وسأل عبد الناصر هل عندك معتقلين ومعتقلات، فأجاب لا، فلبسنا وذهبنا احتلينا حجرة المأمور (كان طيبًا جداً) وقعدنا وحطينا رجلاً على رجل، وكان يخجل أن يقول لنا شيئا فيقول للسجانة قولى لهم أنهم مساجين، فنقول لها قولى له أن هذه زوجة الدكتور...... وهذه زوجها أستاذ فى الجامعة وكذا، فيقول ولكن أنتو مسجونات ولا يجب أن تجلسن أمامى هكذا، فقلنا له إذا كان رئيس الجمهورية يقول أنه ليس لديه معتقلات، إذن فأنتم فى نيتكم قتلنا، فقال لنا، يا جماعة هذا لا يصح، فقلنا لن ندخل. المهم أعلنوا حالة الطوارئ فى (سجن الرجال والنساء) وجاءوا بقوة، وأتوا بالمسجونات الفتوات من السجن لكى يضربوننا، وبرغم حبهم لنا إلا أنهن شددننا من شعرنا حتى أدخلننا العنبر، وبدأ ضربنا، ثريا أدهم وفاطمة زكى كسر لهن ضلع. لأنهن كنا ضعافًا. وجاءوا أخذوا ملابسنا وحرقوها.

المهم وقفنا فى الشباك، وغنينا نشيد الشباب العالمى (آمالنا المقبلات). ومدير السجن جعل المسجونات يأتين بالرمل ويرميننا به.

مرة أخرى سمعنا من السجانات، أن هناك مجموعة من «حقوق الإنسان» سوف تأتى، كان بخارج السجن سيزا نبراوى وأخت إنجى أفلاطون فجاء وفد منهن لزيارتنا فى السجن. وبما أنهم كانوا يبعثون رسائل للخارج لجمعيات العفو الدولية وجمعيات حقوق الإنسان. فأخفونا

فى حجرة بعيدة بالمستشفى على اعتبار أننا معزولات مرضيا، لكننا سمعنا صوتهن من وراء الباب وهتفنا لنعرفهن بوجودنا.

ثم قررنا أن نقوم بإضراب، وكنا يداً واحدة لم تتقاعس إحدانا، حتى أن المباحث أتت بأولاد ثريا شاكر للتأثير عليها.

المحاورة : كم يوم أضربتم عن الطعام؟

أ. ثريا : أنا أقول ١٩ يوما ولكن زميلة قالت لى أنه كان ١٦ يومًا، أتوا لثريا شاكر بأولادها الثلاثة الصغار ومعهم مالذ وطاب لكسر الإضراب، وطبعًا هم كانوا يراقبوننا حتى يروا إن كنا نأكل أم لا. (لم يكن مسموح لنا بالزيارة)، ونحن فى العنبر فى هذا الوقت وشممنا رائحة الطعام وأبناؤها يستعطفونها لكى تأكل من أجلهم.

وكانت المباحث تعرف أنه إذا وقعت واحدة فسوف تقع واحدة تلو الأخرى، لكننا صمدنا جميعًا، ورغم أن المرحومة إنجي أفلاطون كانت ابنة باشا، لكن صمودها كان مثار إعجاب وفخر الجميع.

وكانت علاقتنا بالدكتورة والدكتور فى السجن قوية، فكانوا يقومون بإرسالنا بالتناوب إلى القصر العيني. أهلى كانوا فى منتهى القسوة فكنت أبعث لهم أننى سوف أخرج يوم كذا (غالبا للمستشفى) وأطلب منهم زيارتى وأن يأتوا لى معهم بأشياء. فكانوا لا يأتون، كانت أمهات وأهل باقى البنات يأتون إلىّ ويبعثون معى بأشياء لبناتهم، لذلك قررت أن أفعل شيئًا آخر، نصحتنى السجينات بأن آخذ حقنة جاز لكى أذهب إلى مستشفى حميات إمبابة لأنها مفتوحة دائمًا، طبعًا لم آخذ حقنة الجاز ولكن الدكتورة ساعدتنى، ذهبت إليها أنا وجينفيف وأيفون، كل يوم أخوة زوجى يأتون إلىّ ونجلس على الحشيش حتى الثانية عشرة ليلا، وأهلى رفضوا وقالوا هل جنت، لا تذهب بالبنت إلى مكان به ميكروبات فى الحميات. مكثت شهراً ولم يأتوا، لدرجة أننى اتفقت مع سائق عربة الموتى أن يوصلنى إلى بيت أهلى فى الهرم ويأخذ جنيهين، ووافق ولكن بقيت مشكلة العسكرى، سرقت بندقيته وقلت له أنا أعرف مواعيد مرور الضابط وسوف أفعل كذا، إذا وافقت فسوف أعطيك بندقيتك، إذا رفضت فلن أعطيها لك، فقال لى مرافق. المهم كنت كلما كلمت أهلى كانوا يضعون السماعة فى وجهى وعندما قلت لهم على خطتى، قالوا لى هل جننتى، لأنه كان يسكن أسفلنا مأمور قسم الجيزة، رفتها كان السائق ينادى، فنزلت وخرجت معه وتنزهت، وذهبت للكوافير، وهذا ما كان يؤلمنى أننى كنت

أستطيع الذهاب إليهم ورفضوا.

بعدها خرجنا ولكنهم حرمونا من فرحة الخروج، كنا ننتظر الخروج كل ٢٣ يوليو. حتى في السنة التي خرجنا فيها أخرجوا المساجين يوم ٢٣ يوليو، وتركونا حتى يوم ٢٤، بعد ٤ سنوات ونصف

المحاورة : ماذا فعلت بعد الخروج مما تسميه معسكراً؟

أ. ثريا : بعد ٦٣، كنا عندما نسمع عن تعذيب أزواجنا كنا نجن. ففي مرة ما عندما كنت في القصر العيني سمعنا أن فوزي حبشي مات من التعذيب، لدرجة أن البطانية كانت تلتصق بجروحه وعندما يرفعونها يجدون الذباب داخل الجروح، وأرسلوا بدلته، كنا كل المعتقلين والمعتقلات في القصر العيني في عنبر، اجتمعنا وأرسلنا تلغرافات إلى كل الجهات النائب العام، رئيس الجمهورية، ورئيس الوزرا،، من أجل فوزي حبشي. فقد تعذب الرجال تعذيباً خرافياً.

وعندما خرجنا ٦٣، وأزواجنا ٦٤، عدنا إلى اللجان النسائية للمقاومة الشعبية ٦٧، رجعنا إلى جمع سيدات، وذهبنا إلى المستشفيات إلى الجرحى وكانت أعدادهم كثيرة وحالات صعبة، كنا نخدمهم، لأن التمريض كان غير كافٍ، وكانت جيهان السادات رئيسة الهلال الأحمر، كانت تأتي فيضعون لها ورداً، وكانوا لا يعطون هؤلاء الجنود مرتبات، وأهلهم لا يعرفون مكانهم، فكنا نكتب خطابات لأهلهم، فقالوا لهم عندما تأتي جيهان قولوا لها أنكم تأكلون جيداً والتمريض جيد، فقلنا لهم قولوا لها أنكم لا تصرفوا مرتباتكم، لأن هذا حقكم. وعندما أتت قالوا لها، وكتبت لكي يصرفون لهم مرتباتهم. كان معنا سيدات بيوت عاديين جداً، كانت استجابة هائلة، خلافاً لذلك كانت جيهان السادات تظهر بصفتها نائب رئيس الجمهورية، أنا في سنه ٧٣ لم أكن متواجدة فقد وقعت لي حادثة.

المحاورة : ما هو موقفك من اليهود والأجانب في الحركة الشيوعية؟

أ. ثريا : كنت أتمنى أن تكون الحركة مصرية ١٠٠٪.

المحاورة : هل كان لهم دور في التنظيم؟

أ. ثريا : لا، نهائيا، كانوا قبلنا بكثير.

المحاورة : ألم يكن لك دور في أحداث ٤٦؟

أ. ثريا : لا، كانت لجنة الطلبة والعمال، ولم أبدأ نشاطى إلا بعد ٥٤.

المحاورة : ما هو موقفك من النضال المسلح فى القناة سنه ١٩٥١؟

أ. ثريا : آه لم يكن لى دور، إحنا كنا سنه ٥٦، وكان اسمنا اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية، وكانت رئاستها، تأخذ شكلين، شكل سرى عن طريق الحزب، والشكل العلنى عن طريق سيزا نبراوى.

المحاورة : ما هو تقييمك للمحترفين فى التنظيم؟

أ. ثريا : كان يطلق عليهم الثوريين المحترفين، أو المحترفين الثوريين، كانت تسمية تعطى تهكمًا وتسمية أخرى حقيقية، ولكن رأيى أنهم كانوا يضحون بكل شئ فى سبيل الفكر، أو العمل السرى، كانوا يضحون بعملهم، بمراكزهم، بتعليمهم بكل شئ، فى سبيل أن يكونوا أعضاء.

المحاورة : ألم يكن لهم مقابل مادى؟

أ. ثريا : طبعًا كان يوجد وإلا كيف يعيشون، وكان هنا حقهم، لأن العمل السرى يحتاج وقتًا طويلاً، لا يكفى فيه التطوع، كان عليهم مجهود أكثر من أى أحد، وكان لابد من المقابل حتى يستطيع العيش، فكان كل شخص يدخل المنظمة يدفع اشتراكًا ومن يستطيع يدفع أكثر.

المحاورة : هل طلب منكن أن تجندن أشخاصاً، وهل كان يطلب منكن عدد معين؟

أ. ثريا : طبعًا، ولكن لم يكن يحدد عدداً، نجند بقدر ما نستطيع وكان فيها صعوبة شديدة. بالنسبة للرجال عملية التجنيد أسهل منه بالنسبة للسيدات، حتى اليوم السيدات يخفن الدخول فى حزب التجمع رغم أنه حزب علنى، لذا قلنا أنه لا يشترط عضوية الحزب بالنسبة للإتحاد النسائى. وذلك لأن الدعاية ضد الشيوعيين مخيفة وفظيعة.

المحاورة : ما هو موقفك وموقف التنظيم من ثورة يوليو؟

أ. ثريا : كانت ثورة عسكر، ولكن بدأت بعمل إصلاحات كثيرة، ورغم سلبياتها الكثيرة، كانت له إيجابيات كثيرة، هذا لم نلمسه من بداية الثورة، فقد خلصنا من عبء الحكم الملكى والسراى، ثم بدأنا نحس بالسلبيات مع الايجابيات، لكنها تعتبر نقطة تحول فى تاريخ مصر، رغم كل ما فعلته بالشيوعيين إلا أننا لا نستطيع نسيان إيجابياتها: التصنيع، القطاع العام، مجانية التعليم، التوجه الاشتراكى، قانون الاصلاح الزراعى، التأميم.

كنت فخورة بكل ذلك، بالرغم من أنه ربما يكون للتنظيم رأى آخر، لا أتذكر جيداً.

المحاورة : أريد التأكيد على معرفة رأيك أو رأى التنظيم أيامها وليس الآن؟

أ. ثريا : كان موقف الشيوعيين أنهم ضد هذا الكلام، وكان لهم مقولات أنه انقلاب عسكرى، حركة قطعت الطريق على امكانية قيام ثوره حقيقية معادية للاستعمار.

المحاورة : هذا بالنسبة للثورة، أما بالنسبة لما تم من إصلاح زراعى، تأميم؟

أ. ثريا : طبعاً كانت هائلة.

المحاورة : ما هو موقفك من ضرب سلطة الإخوان المسلمين سنه ١٩٥٤؟

أ. ثريا : : لم يضرب الإخوان المسلمون فقط.

المحاورة : ما موقفك من القضية الفلسطينية؟

أ. ثريا : احنا من الناس الذين رضعوا كره إسرائيل، وكنا مع المقاومة الفلسطينية بكل أحوالها، فناصرناها، نجمع لها تبرعات، كنا نقف بجانبها من كل قلوبنا، ولكن الوضع الآن اختلف.

المحاورة : كيف اختلف، ألم تزالى مؤيدة للشعب؟

أ. ثريا : الشعب ليس له دخل، ولكن الآن عوامل الاستسلام، بعد كامب ديفيد، كل شئ تغير، لم يعد أمل. نحن محبطون جداً، أتمنى أن أفتح الراديو يوما وأجد خبراً مفرحاً.

المحاورة : ما هو موقفك من مؤتمر باندونج (صفقه الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥)

أ. ثريا : قمنا بالكثير من التأييد

المحاورة : كأتحاد نسائى؟

أ. ثريا : نعم، ولكنى لا أتذكر جيداً، أعتقد كل المنظمات.

المحاورة : ما هو موقفك من حل التنظيمات؟ وأسباب ذلك؟

أ. ثريا: الأسباب التى قيلت هى أنه طالما هناك حزب اشتراكى فلا داعى لحزب شيوعى. وهذا الرأى لم يكن رأى كل أعضاء الحزب في كل المستويات، الرؤساء تركوا القاعدة وذهبوا وقرروا هم، المفروض أن تجتمع القاعدة ويصعد رأيها حتى يصل إلى اللجنة المركزية وتقول رأيها فى ضوء ما قررته اللجان السابقة ولكننا لم يؤخذ رأينا فى هذا الحل، نحن ضد هذا الحل، لم نوافق عليه حتى اليوم وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى، الحزب الشيوعى وجوده مهم،

عبد الناصر لن يعمل للشيوعية كما كنا نقول، التوجه شيء، وأنه يعمل للشيوعية شيء آخر (الشيوعية العلمية).

المحاورة : هل كانت لديكم قناعة بأن عبد الناصر سوف يعمل للشيوعية؟

أ. ثريا : من أخذوا القرار هم الذى كانوا مقتنعين، نحن لم يؤخذ رأينا. ولذلك نحن ضد هذا القرار، أنا أرى أن هذه نقطة سوداء فى تاريخ الزملاء، رغم حبى الشديد لهم، ولكن ليس معنى هذا أن يخطئوا فقد عبروا عن رأيهم هم، وليس عن رأينا نحن (الأغلبية)، لكننى ضد هذا الكلام، ليس لكونى عبقرية أو شيء، لكن هذا احساس داخلى،وأنه لابد أن يبقى الحزب رغم كل شيء حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، ولذا ظهر رأينا صحيحًا.

المحاورة : ماهو موقفك من الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية؟

أ. ثريا : كانت الكعبة، وإذا قالوا شيئًا، نقول «ولا الضالين آمين»، كان كلامهم لامجال للمناقشة فيه، لم تكن هناك ديمقراطية. ولكننا تربينا على ذلك.

المحاورة : ما رأيك فى الانقسامات التى حدثت فى التنظيم.

أ. ثريا : أنا رأيى الشخصى أنها لم تكن على أساس فكرى، كانت على أساس تنظيمى. كنا مع فكرة توحيد المنظمات إلا أن ما حدث أثناء الوحدة لم يقم على شئ من الفكر وإنما كان هناك صراعات على القيادة داخل التنظيم، لذا سهل ضرب التنظيم وحدثت الانقسامات ولكن لو كانت هناك وحدة حقيقية فعالة فى المجتمع ومتفاعلين أكثر مع الناس لما استطاع أحد ضربها أو تأثير الدعاية المضادة نحوها.

المحاورة : فى رأيك ما هى الأسباب الحقيقية لأزمة الحركة قبل عام ١٩٦٥، قبل الحل؟

أ. ثريا : لا أعرف.

المحاورة : هل الانقسامات، أو سياسة التنظيمات، ما هو تصورك؟

أ. ثريا : عدم الاستمرار كان لأن الضربة كانت قوية. ولكنى أعرف أن هناك تنظيمات مستمرة حتى الآن، ولكن بشكل ضعيف جداً أو مستمرة بالاسم، مع إننا فى حاجة ملحة لحزب شيوعى الآن.

المحاورة: يهمنا معرفة بعض الناس الذين أدوا أدواراً مهمة فى تاريخ الحركة ولم توثق أدوارهم؟

أ.ثريا : من السيدات، عظيمة الحسيني قامت بدور مهم رغم أنها لم تكن في التنظيم، لكنها كانت لديها ثلاثة أخوة مسجونين وكانت تزورهم وتصل بين الداخل والخارج من خلالهم، حتى خارج مصر، لعبت دورا خطيراً. أيضاً، روحية الساعي، زوجة المرحوم إبراهيم خلاف قامت بدور خطير مع الشيوعيين. ومازالوا أحياء ويمكن أخذ شهادتهن وأيضاً من الزميلات اسما حليم وزينات الصباغ.

المحاورة : ما هي معلوماتك عن من استشهدوا في السجون والمعتقلات؟ من تتذكرين منهم؟

أ.ثريا : فريد حداد، وشهدي عطية.

المحاورة :كيف أثر فيك د. مختار؟

أ. ثريا : نعم، د. مختار علمني وتركني، خالص، وكان لايعرف ماذا أفعل. في البداية كنت أتعثر في أشياء، فأقول له ماذا أفعل، فيقول لي تصرفي، قولي للمسئول عنك، أنا فعلاً عملت شخصيتي وحدي بمجهودي هو دفعني.

لقد كنت أحزن عندما أرى بقية زميلاتي وأزواجهن يقفون بجانبهن، لماذا أنا زوجي لا يقف إلى جانبي، ثم عرفت بعد ذلك أن هذا كان أحسن بكثير، وفي صالحي.

المحاورة : كنت أريد معرفة بعض المعلومات عن د.مختار.

أ.ثريا : إذا كنتِ تسألين عن أشياء تنظيمية، فهو لم يكن يقول شيئًا عن التنظيم هذه كانت أسرار.

المحاورة : أنا أريد معرفة شخصيته بشكل عام، وبداية دخوله التنظيم

الأخ منتصر : (كان حاضراً وقت الشهادة) هو أتي من المنصورة شيوعيًا، كان هو وعبد الله الزغبي، طاهر عبد الحكيم، وبكر الشرقاوي.

المحاورة : هل كان له دور في القرية، ما هي العقبات التي كان يقابلها؟.

الأخ منتصر : كان بالبلدة بالمدرسة الابتدائية، ثم ذهب إلى المنصورة في المرحلة الثانوية وأخذ شقة بالمنصورة وكان يمكث بها طوال الأسبوع ويأتي إلى البلد يومي الخميس والجمعة، وفي الأجازات كان له أصدقاء من القرى المجاورة ومنهم عبد الله الزغبي، سعد الساعي، طاهر عبد الحكيم وبكر الشرقاوي. كانت علاقتهم في البداية عادية ثم بدأوا في تثقيف أنفسهم،

ولا أعرف من كان يعلمهم. كان يمكث الأربعة شهور (شهور الإجازة) يقرأ، لم يكن له علاقات ثقافية فى القرية مبدئيا فى مرحلة تكوين نفسه، ثم بعد إتمام المرحلة الثانوية أتينا إلى القاهرة، ومكثنا فى بين السرايات، ١٩٤٦-١٩٥٠، فى القاهرة دخل فى مرحلة التنظيم ثم أعتقل فى ١٩٥٤.

أ. ثريا : كان شخصاً محترماً جداً وكان خارجياً يبدو هادئاً بينما هو فى داخله ثورى جداً، كان كتوماً، لا يتكلم فى أسرار التنظيمات أبدا.

المحاورة : رغم أنك كنتِ فى نفس التنظيم.

أ. ثريا : أيامها كانت التنظيمات حديدية، لا تعرف بعضنا إلا بأسمائنا الحركية، كان يوجد ما يسمى بأمان الحزب.

الأخ : كان يعطينى الورق وقد علمنى كيف أحفر فى الأرض وأضعه فى علبة من الصفيح بالحفرة.

أ. ثريا : كان محبًا لوطنه جداً وكان يحب أبناء بلدته الفلاحين وكان يذهب اليهم باستمرار، ويأخذ معه الأدوية ويذهب لعلاجهم ويعطيهم الدواء، ثم أصبحت عيادته مزاراً لهم ولأبنائهم للعلاج، كانوا يعرفون جميعاً أنه شيوعى وكانوا يساعدونه فى الهروب، وجدته أيضاً بالرغم من أنها كانت سيدة كبيرة، إلا أنها كانت تحبه جداً ومؤمنة به وكانت تخبئه ولا أحد يقول أنه موجود بالبلدة. بالرغم من أن أغلب البلد مؤمنين، كان لا يتكلم فى الدين معهم، وهم كانوا يتكلمون معه فى السياسة وفى شئون حياتهم، وعندما قبض عليه بالبلد كانت تعتبر وصمة فى جبين القرية كلها، كان يقنع ويؤثر فى كل من يجلس معه لولا هذا لما استطاع أن يقنعنى.

المحاورة : هل سجن أكثر من مرة؟

أ. ثريا : حبس مرتين مرة ١٩٥٤، ومرة ١٩٥٩، كان شخصية خدومة جداً، وكان الطب بالنسبة له ليس عملية تجارية ولكنه واجبه تجاه هؤلاء الناس، ورغم أنه لم ينجح فى الانتخابات بالنسبة للمنطقة التى كانت بها عيادته، إلا أنه كان يفصل بين الطب والعمل السياسى، ولكن كل أهل إمبابة يتذكرونه حتى الآن لأنه خدمهم بكل ما يملك، عمل الكثير من العمليات المجانية وأرسل الكثير إلى المستشفيات المجانية.

شهادة

سيد عبد الوهاب ندا

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : السيد عبد الوهاب ندا سالم

تاريخ وموطن الميلاد : مواليد القاهرة ثلاثة يونية سنة ١٩٢٦.

بيانات عائلية أخرى

توفى والدى فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩، وفى أوائل الثلاثينيات تزوجت والدتى واستقر بى المقام فى قريتنا سنبوا الكبرى مركز زفتى غربية فى رعاية جدى ندا، ورغبة فى تعليمى دفع بى إلى كتاب القرية لحفظ القرآن وتعلم القراءة، وبالرغم من أن مصاريف التعلم فى الكُتّاب لاتتجاوز قرشًا واحداً إلا أن القرش لم يكن متوفراً لمواصلة التعلم، ففى نهاية الشهر كنت أطرد وأنضم إلى كتاب آخر وأطرد لعدم القدرة، والتحقت بالمدرسة الإلزامية المجانية بالقرية حتى السنة الثالثة، وبعدها سافرت إلى مصر تحت رعاية عمى ومررت بنفس الدورة كُتاب بعد كتاب ومدرسة بعد مدرسة حتى استقر بى المقام فى ملجأ المواساة بالعباسية وكان يطلق عليه المعهد العلمى الصناعى وكان ذلك فى عام ١٩٣٤ وتعلمت نظام الخمس سنوات ثم صناعة النسيج وتخرجت عام ١٩٣٩ لأواجه الحياة العملية وأتولى لأول مره الإنفاق على نفسى. وأول مرتب حصلت عليه ٧٥٠ مليما فى الشهر وذلك لمدة عام، وانتقلت للعمل فى مصنع الحمصانى فى الدراسة بمرتب ٤٠ مليمًا فى اليوم ومواعيد العمل من ٧ صباحًا حتى الثانية عشر ليلاً فى معظم الأيام ثم التحقت بمصنع آخر فى الظاهر بمرتب ٥٠ مليمًا فى اليوم، يوم العمل عشر ساعات ثم انتقلت للعمل فى شبرا الخيمة أوائل عام ١٩٤٠ بأجر يومى ٩٠ مليمًا ومواعيد العمل ٩ ساعات وكنت أسكن فى الدرب الأحمر ولكى أستلم عملى فى السابعة صباحًا كانت وسيلة المواصلات الوحيدة قطار السكة الحديد قطار السادسة صباحًا والمواصلات فى القاهرة عمومًا لاتبدأ قبل السابعة بقليل، إذن لابد أن أمشى هذه المسافة حتى ألحق بالقطار وبعد القطار فى شبرا أمشى حوالى أكثر من نصف ساعة. أذكر هنا على سبيل المثال للمعاناه التى كنا نلقاها، ولم يكن حتى هذا التاريخ، وسائل نقل العمال التابعة للشركات قد وجدت، والمصنع الذى كنت أعمل فيه فى هذا الوقت مؤسسة راغب لطيف الصناعية إدارة نقولا راغب طريق بيجام، وحتى نستطيع تصور ماتم من أحداث عشتها منذ ٦٠ عامًا من المفيد إلقاء

الضوء على المصانع التى أنشئت فى شبرا الخيمة وقتها وعن أصحاب هذه المصانع.

أولاد بتشوا فرنان يتشو وأخواته مصانع النصر، وسقال وخزام، ومشبل الياس واسكندر جورج أفرنيو للنسيج مصنعين، ومصنع للكوتشوك ومصنع للسيزل (الحبال والدوباره) وسباهى واحد وسباهى٢ وفرنسواه ناصر، وبسوا للنسيج، وبيار، وجورج أسود ومصنع الجوت، وورش الجيش الإنجليزى والجيش الأمريكى فى شبرا الخيمة هؤلاء هم (أولى الأمر) التى كانت تدافع عنهم جريده الدعوة لسان حال جماعة الإخوان المسلمين وقتها، ففى عناوين بارزة على الصفحة الأولى تفسر الأية الكريمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر).

أذكر هذا حتى نبين طبيعة الصراع بين العمل ورأس المال، والدولة المصرية حتى هذا التاريخ أوائل الأربعينيات لم يكن هناك مظلة قانونية تحمى قوى العمل، حتى التنظيم النقابى المستقل لم يكن مسموحًا به وكل شئ مسموح به للمصانع ساعات العمل مطلقة. أجور متدنية، فصل العمال بلاد حدود لا يوجد رعاية صحية ولا إسعافات حتى الأولية منها غير متوفرة، ولا يوجد وسائل انتقال ولا مساكن ولا أى حقوق ولاضمانات لأى شئ يخص العامل، بالإضافة إلى أن الشركات كان لها جهاز أمن من السودانيين، وكان الحظ العاثر للعامل الذى يقع تحت كرابيج هؤلاء الخفراء. وكانت أجهزة الأمن الرسمية تتولى حماية مصالح أصحاب الأعمال فمثلاً اسماعيل صدقى باشا كان رئيسا لإتحاد الصناعات ورئيسا لمجلس إدارة عديد من الشركات ورئيسًا للوزارة، وسابا حبشى باشا وزير التموين فى وزارة السعديين كان عضواً فى مجلس إدارة المحلات الصناعية، وكثير من رجالات الحكم تحمل أسهمًا اسمية لهذه الشركات ومن ثم فالأمن يحمى مصالح الحكام. ومن ثم مصالح المستثمرين اليهود أصحاب هذه الشركات. هذه كانت شبرا الخيمة فى أواخر الثلاثينيات وأوائل الاربعينيات.أما عدد العمال فى هذا الوقت فكان يربو على أكثر من ثلاثين ألف عامل، وازداد هذا العدد وبلغ بعد ذلك سبعين ألف أو يزيد فى توسعات جديدة وعمالة جديدة .. الخ فمثلاً المحلات الصناعية وحدها كان لها أكثر من ٢٣ ألف عامل والقاهرة للمنسوجات أكثر من ٢٠ ألف عامل، والشركات الأخرى تحوى الكثير من العمال فهى مدينة صناعية بحق.

أقول هذا حتى نتبين مدى العبء ومدى المعاناة، ومدى التضحيات التي قدمتها القيادة وجماهير العمال بهذا الخصوص للخروج من هذا النفق المظلم إلى النور. إنها مسيرة نضال

بطولية تستحق الدراسة.

فعلى سبيل المثال كنت أعمل فى مؤسسة راغب لطيف الصناعية ومواعيد العمل ٩ ساعات من ٧ صباحًا إلي الخامسة بعد الظهر، وكنا نعانى من مشكلة المواصلات فقدمنا إلى إدارة الشركة مذكرة موقعة من المضاربن حيث إن القطار الذاهب إلي القاهرة يتحرك فى الخامسة وعشر دقائق من محطة بشبرا الخيمة والمسافة بين المصنع والمحطة تتطلب حوالى نصف ساعة تقريبًا فإذا خرجنا الساعة الخامسة وذهبنا عدوا بأقصى سرعة فى معظم الأحيان لا نلحق القطار وعلينا الانتظار حتى التاسعة حيث القطار الذى يليه، والمذكرة تطلب أن يخصم ربع ساعة من الغذاء. ونخرج فى الخامسة إلا ربع ترتب على هذا الموقف أن إدارة الشركة أبلغت الشرطة أن هناك عمالاً مشاغبين وجاءت الخيالة وربطونا بالحبال، فى ذيل الحصان وجرجرونا إلى مركز الشرطة وحبسونا ثلاثة أيام فى اسطبل الخيل طوال هذه المدة وتلقينا أول درس فى العلاقة بين العمال وإدارة الشركات والشرطة وكان ذلك عام ١٩٤١ وعلى أقل الأسباب يدفع بالعامل للأمن السودانى ثم للأمن العام ثم إلى الشارع ويعتبر بذلك العامل قد نجا من قضية أو من الذهاب به إلي السجن أو المعتقل بتهم ملفقة ولذلك كان من الضرورى أن يلجأ العمال إلى الوحدة وإلى التنظيم، وأصبح شعار النقابة شعاراً ملحًا وضروريًا. وكنت عضواً فى النقابة من عام ١٩٤٢، وكنت عضواً مؤسسًا لتنظيم يتولى فى الأساس ردع الرؤساء الذين كانوا يأمرون بتعذيب العمال، والدفاع عن العمال المعتقلين أو المسجونين بتهم التحريض أو النشاط النقابى. وفى عام ١٩٤٣. كان عمرى وقتها سبعة عشر عامًا. وكنت مندوبًا فى لجنة قيادة النشاط النقابى فى الشركة التى كنت أعمل فيها فى هذا الوقت. وهى المحلات الصناعية بقيادة أولاد ينشتو فرنان وأخواته وبعض البشاوات منهم على سبيل المثال سابا حبشى باشا وبعض البشوات الآخرين.

وأصبحت عضواً فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى عام ١٩٤٣ .

مدة السجن والاعتقال

١ - من ١٥، مايو ١٩٤٨ إلى ٢١ فبراير ١٩٥٠

٢ - من ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ إلى ٢٨ يولية ١٩٥٢

٣ - من ٥ مارس سنة ١٩٥٣ إلى مايو ١٩٥٤

٤ - من ديسمبر سنة ١٩٥٤ حتى فبراير ١٩٥٥

٥ - من ابريل سنة ١٩٥٥ إلى مايو ١٩٥٦

٦ - من ١ يناير سنة ١٩٥٩ حتى مايو ١٩٥٤.

أى أن مدة اعتقالى وسجنى بلغت حوالى ١٢٣ شهراً.

الارتباط التنظيمى

وكنت عضواً فى خلية من أربعة أشخاص أذكر منهم مصطفى محمد مندوب العمال، أحمد سليمان عضو اللجنة المضيئة، وسيد عبد الوهاب ندا أصغر أعضاء اللجنة سنًا وآخر لا أذكر اسمه الآن وكان مسئول الخلية الزميل حسن حسنى واسمه الحركى طلعت، هذا فى الوردية أ- أما الوردية ب فكان الزميل المرحوم محمد شطا عضواً فى خلية أخرى، وبدأ معنا بكورس تثقيفى عن تطور المجتمع فى خمس مراحل؛ المشاعية البدائية، العبودى، الإقطاع، الرأسمالية، ثم الاشتراكية وفى النظام الاشتراكى ينص على تحريم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتخطينا هذه المرحلة وكان للكتب الخضراء أكبر الأثر فى فهمنا للأسس الاشتراكية والنظرية الماركسية، من هذه الكتب البيان الشيوعى، الأسس اللينينية، القيمة والثمن والربح، المادية الجدلية، المشاكل القومية والمستعمرات .... الخ.

هذا بالإضافة إلى كتب رأس المال ترجمة الدكتور راشد البراوى، وكذلك الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية. وتعرفنا من خلال البرامج الثقافية على عالم جديد جعل نظرتنا للأمور أكثر شمولية وأكثر فهمًا لطبيعة الصراع، وخرجنا بتفكيرنا من المحلية الضيقة من شبرا الخيمة إلى بقية المناطق الصناعية الأخرى فى المحله، فى كفر الدوار فى الأسكندرية، وكذلك شعار ياعمال العالم اتحدوا فى البلاد العربية والأفريقية والأسيوية وفى أمريكا اللاتينية وفى العالم الرأسمالى أيضًا. وظهر ذلك فيما بعد من إرسال مندوبين عن عمال مصر إلى المحافل الدولية فى باريس فى الاتحاد العالمى لعمال العالم مثال محمد يوسف المدرك، مراد القليوبى، أحمد طه، دفيد نحوم وتوالت البعثات إلى المحافل الدولية للاشتراك مع عمال العالم فى نضال مشترك، ومن ثم فمشكلة الأجور، والفصل التعسفى، وتحديد ساعات العمل وإقرار حق

الرعاية الصحية، وحق العامل فى أجازة سنوية، اعتيادية، أجازة الأعياد، إصدار القوانين تباعًا، قانون النقابات، قانون عقد العمل الفردي وكذلك قانون عقد العمل الجماعى، الكفاح من أجل حق العمال فى إعانة غلاء المعيشة.. الخ. من المشاكل التى كنا نعتقد أنها محلية فى شبرا الخيمة والقاهرة فقط ومع ارتفاع الوعى أدركنا أنها أصبحت مشاكل عامة لكل عمال مصر، وقضية الوحدة أصبح لها فى نظر القيادة المحلية فى شبرا الخيمة بعد عام.

أحب أن أشير إلى أن عمال شبرا الخيمة كان لهم معارك نضالية ذات الصفة العامة مثلا قاد عمال شبرا إضرابًا عن الطعام مطالبين بحق العمال على تكوين النقابات المستقلة وكان ذلك في عام ١٩٤٢ فى ظل حكومة الوفد وصدر فعلا هذا القانون ونظمت مظاهرات اشتركت فيها وقتها للمطالبة بإعانة غلاء المعيشة لكل العمال وموظفى الدولة وصدر فعلاً الأمر العسكرى الخاص بذلك.

كان موقفى التنظيمي عضو فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وأمارس دورى القيادى من خلال انتمائي للتنظيم ولم يكن لى قبل ذلك أى ارتباط بتنظيمات سياسية أو حزبية «طبعا أنا ذكرت أنى مشترك فى النقابة حتى عام ١٩٤٢ وكنت فى سنة ١٩٤٤ عضو مجلس إدارة لجمعية الإصلاح الاجتماعى التى تكونت داخل شركة المحلات الصناعية بموافقة الشركة وذلك بهدف امتصاص الشركة لحالة الفوارق أو بمعنى أصح امتصاص الغضب العمالى على أسلوب الشركة فى التعامل مع العمال، وعضو مؤسس لصندوق الإضراب ولجنة المندوبين، وكان أقرب الأحزاب إلى فكرى فى هذا الوقت هو حزب الوفد ولم أكن عضواً فيه، أما حزب العمال بقيادة النبيل عباس حليم كنت ضده أما تنظيم الإخوان المسلمين وخاصة في شبرا الخيمة كان يدعو دائما إلى الخضوع لسياسات رأس المال وكانت جريدة الدعوة تروج دائما أن أصحاب المصانع هم أولو الأمر ومن ثم وجبت الطاعة لهم.

واحتفظت بعضويتى فى تنظيم الحركة المصرية من عام ١٩٤٣ حتى تمت الوحدة مع تنظيم إسكرا الشيوعى عام ١٩٤٧ وتكونت بذلك الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بقيادة هنرى كوريل، وهليل شوارتز وهما من أصل يهودي ومع الحلول التوفيقية فى شروط الوحدة بين التنظيمين سرعان ما دبت التناقضات بين الفريقين وأهم النقاط المختلف عليها - الخط السياسى، القيادة وضرورة تعميلها بمعنى أن يعد العمال أعضاء التنظيم لشغل مناصب

القيادة، واتفق على إنشاء مدرسة كادر لتأهيل أول دفعة من العمال القادة وكان عدد المرشحين حوالى ٣٠ دارسًا منهم عدلي جرجس، سيد عبد الوهاب ندا، ومحمد شطا، وعبد المنعم الشافعي، ومصطفى بقشيش وأنشئت المدرسة وتفرغ الطلبة للدراسة وأعد الكورس الخاص بذلك ومدة الدراسة ٦ شهور، وكان هناك وجهتا نظر حول هذا الأسلوب لإعداد الكوادر العمالية، ففريق الحركة المصرية بقيادة هنرى يرى أن هذه الطريقة تفرض علي القيادة عناصر غير مرضى عنها وليست على ولاء لهذا الفريق أو ذلك. وكان يعتبر أن التثقيف الحقيقى من وجهة نظره هو الكفاح وأن الجانب النظري يكتسب من خلال الحركة بالرغم من أن أسلوب مدارس الكادر المحدودة كانت أحد أساليب تربية الكادر فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وأنا حضرت أكثر من مرة هذه المدارس وكانت عزبة هنرى كوريل مكانا يستخدم لهذا الغرض- أما فى الوضع الجديد فكان معظم المدرسين من الإسكرا، أذكر منهم سعد حليم. عبد الرحمن الناصر. عبد المعبود الجبالي، وآخرين..

التناقض الثاني وهو حول الخط السياسى وأعد هنرى باعتباره المسئول السياسى تقرير خط القوات الوطنية الديمقراطية.

التناقض الثالث : - نظرية التكتل وتبرير وجوده داخل التنظيم للزميل شهدى عطية الشافعي ولم يكتف بكتابة التقرير حول هذا الموضوع. بل بدأ يروج لنظريته بين الأعضاء خاصة العمال أذكر منهم على الشناوى وآخرين.

وأعتقد أن الخط السياسى خط القوات الوطنية الديمقراطية ليس هو أساس التناقض بل اتخذ ذريعة للانقسام والمشكلة الأساسية فى اعتقادى هى محاولة السيطرة على التنظيم لأن قوى الانقسام لم تضع برنامج أو خط سياسى فى مواجهة تقرير هنرى، وهذا الموقف انعكس على كل مشاكل التنظيم، المدرسة، تعميل القيادة، محاولة كل فريق أن يضخم فى عضويته بلا أساس موضوعى وكل فريق يرشح أنصاره لشغل مراكز القيادة الشاغرة. وهكذا.. وإذا كانت القيادة تناقش بعض القضايا خارج السجن أو المعتقل دون حاجة إلى أوراق. وفى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ تم اعتقال الجميع أعضاء وقيادة وحشد الجميع فى زنازين هايكستب والطور وعيون موسى.

وأسفرت هذه المناقشات والنداءات وبرامج التثقيف إلى فرقعة التنظيم وأبرز هذه

الانقسامات العمالية الثورية، اسم جميل سرعان ما انهار لمجرد أن الحكومة عرضت على قيادة التنظيم الوليد بعثات لنيل درجة الدكتوراه وقد كان، سافر الزملاء، وانهار التنظيم وتكون بعدها تنظيم النجم الأحمر عدلى جرجس - أحمد خضر - سيد عبد الوهاب - فوزى حبشى، عبد الرحمن الناصر، حماد عباس، ومحمد القلعاوى ورشاد الملاح، وأحمد عيد، ومحمد عبد الحليم، اسكندرية، وعبد المنعم شتله وكثيرون من الزملاء العمال والمثقفين الذين رفضوا خط المناورات داخل تنظيم الحركة الديمقراطية .. تنظيم النجم تكون حوالى ١٩٥٠ بعد خروجنا من المعتقل.

وبهذه المناسبة أذكر أنى كنت ضمن المتهمين الذين قدمهم النظام الناصرى إلى المجالس العسكرية وصدر ضدى حكم ٩ سنوات، قدمت خلالها أمام المحكمة دفاعى السياسى الذى استغرق جلسة كاملة حوالى ٤ ساعات تقريباً وبالرغم من أن الزميل شهدى عطية الشافعى أبرز فى دفاعه السياسى تأييده للرئيس عبد الناصر. إلا أنى لم أنح هذا المنحى وكان لى موقف مغاير تماماً أمام المحكمة، وأبرزت موقفى فى الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة.

وهنا يبرز سؤال ماذا أفاد انضمامى للحركة الشيوعية بعضويتى للحركة المصرية للتحرر الوطنى، سبق القول إن اشتراكى فى قيادة جماهير العمال سواء فى النقابة أو فى اللجان الفورية داخل المصانع أو اشتراكى فى الإضرابات السياسية من أجل إصدار القوانين أو تكوين التنظيمات التى تخدم أهدافاً محددة سبق الإشارة اليها كجمعية الإصلاح الاجتماعى رغم الظروف التى أحاطت بتكوينها وصندوق الاحزاب الذى لعب دوراً هاماً أثناء الإضراب الكبير عام ١٩٤٦ والمظاهرات التى سارت مطالبة بإعانة غلاء المعيشة، ومظاهرات الجوع التى نجحت إلى حد ما وأجبرت الحكومة بفتح دفاتر قيد العاطلين وصرف بعض الإعانات وبطاقة لكل عامل يأكل بها لمدة شهر كل يوم فى المطاعم الشعبية التى كانت موجودة فى القاهرة فى هذا الوقت، كان اشتراكى فى العمل السياسى ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، مظاهرات إسقاط معاهدة صدقى/ بيفن .. إلى أن جاءت الطامة الكبرى فى إعلان الحرب مايو سنة ١٩٤٨ .. وضربت الحركة الجماهيرية وتم اعتقال كل القوى التقدمية وإيداع المعتقلات. حتى فبراير سنة ١٩٥٠ هل الصراع الأيديولوجى داخل الحركة الديمقراطية انعكس بدوره على حركة القادة العمال فى أرض الواقع، فى أوائل الأربعينيات؟

وهل انعكس الصراع بين التنظيمات الشيوعية على حركة الواقع فى المصانع، وفى النقابة، وفى لجان المصانع؟

فيما يخص الجزء الأول من السؤال كان هناك صراع بالتأكيد ومظاهر الصراع انحصرت فى من له حق اتخاذ القرار المسئول السياسى أم المسئول الميدانى، لكن فى النهاية بتأكيد وحدة التنظيم فى المعركة.

أما فيما يخص الصراع بين التنظيمات، فالشيوعيون بكل فصائلهم ضد تنظيمات الإخوان حيث الميلشيات المسلحة ذات الرداء الكاكى كانت تجوب الشوارع لإرهاب العمال فى المنطقة، وكذلك القمصان السود لحزب مصر الفتاة والقمصان المميزة لميلشيات الوفد فالشيوعيون ضد هذه التنظيمات.

أما فيما يخص الشيوعين فى الحركة المصرية، وطليعة العمال فقد كانوا متفقين فى الأهداف مختلفين فى القيادة كل فريق يسعى لتأكيد زعامته لمعركة أو إضراب.

فمثلاً : الصراع داخل النقابة محمود العسكرى سكرتير يمثل طليعة العمال، وفرج ابراهيم رئيس النقابة ومحمود الدمراتى وكيلا، محمود العسكرى يشكل أقلية فى مجلس الإدارة لذا لجأ إلى دعوة الجمعية العمومية غير العادية واستطاع أن يأخذ موافقة الجمعية العمومية على وقف نشاط النقابة بحجة عدم تعاون الجهات الإدارية وإدارة المصانع مع النقابة فى حل المشاكل، وبذلك أعطى المبرر لحل النقابة وإغلاقها رسمياً بقرار وزارى.

هنا يبرز دور لجان المصانع وانبثقت منها اللجنة العامة لقيادة عمال المنطقة وتأكد وحدتهم تحت لواء هذه اللجنة.

أما تقييمى أنا الشخصى لهذا الموقف.

عمرى وقتها كان (١٩) سنة وتكوينى الأيديولوجى لم ينضج بعد حيث كنت عضواً فى النقابة وكان دورى هو الاشتراك فى أى عمل نضالى لرفع الظلم الواقع علينا أما الصراعات التى كانت أعلى من ذلك لم يكن اهتمامى بها أو إدراكى لها ناضجاً بعد.

هل هناك مواقف نضالية أخرى برز فيها التنسيق بين القوتين الكبرتين اللتين كانتا موجودتين فى هذه الفترة.

التنسيق بالمعني الناضج بين ممثلين لكيانات تنظيمية فى جلسات لها جدول أعمال ونقاط

للمناقشة لم يكن هذا فى البداية موجوداً لكن كان فيه صراع استخدمت فيه أساليب أقل ما توصف به أنها غير أخلاقية فمثلاً طليعة العمال بعض كوادرها تتهم الآخرين بالجاسوسية فبالرغم من أن محمود الدمراتى وكيل النقابة هو الذى رفع قضية ضد القرار الوزارى القاضى بحل النقابة وهو الذى تصدى لهذا الموقف قيل عنه إنه يحمل كارنيه القلم السياسى وكذلك حكمت الغزالى المناضلة الشريفة قيل إنها كانت تستخدم وسائل غير شريفة لاداعى لتكرار ما قيل وقتها ونشره طه سعد عثمان فى كتابه شهادات وآراء عام ١٩٩٨ أى بعد خمسين عاماً من الأحداث.

لكن أستطيع القول بالرغم من كل هذا فهناك معارك خاضها الجميع بأمانة وتضحية مثلا الإضراب الذى خاضه العمال مطالبين بإصدار قانون الاعتراف بالنقابات أضرب محمود العسكرى مع مجموعة من العمال عن الطعام والتف حوله جميع عمال المنطقة وكان ذلك عام١٩٤٢ . ونجح الإضراب وصدر القانون - قامت مظاهرات حاشدة لكل عمال المصانع متجهة إلى وزارة المالية مطالبين بإعانة غلاء المعيشة وكان مكرم عبيد وزيراً للمالية وقتها وصدر الأمر العسكرى الخاص بذلك.

فيما يختص بالمعارك فهناك الكثير على سبيل المثال تجلت وحدة العمال حول ثلاثة مواقف تعتبر علامة هامة فى تاريخ التضامن النضالى حين انقلبت عربة نقل العمال (أتوبيس الشركة) مصنع بيار أثناء إنهاء وردية ١١ مساءً انقلب الأتوبيس فى الترعة ومات ما يربو عن (١١) أو (١٢) عاملاً سبع منهم دفنوا فى مقابر باب النصر فى جنازة مهيبة مظاهرة بلغ طولها حوالى ساعة ونصف من شبرا الخيمة حتى باب النصر. والباقى دفنوا فى بلادهم وحمل نعوشهم زملاؤهم عمال المنظمة.

الموقف الثانى ابراهيم العامل المسيحى الذى مات تحت عجلات سيارة الشركة أثناء ذهابه إلى العمل فى الوردية الصباحية وحدثت الوفاة أمام محطة القطار فى شبرا. خرج جميع عمال الشركات والتفوا حول جثة زميلهم وبلغ عددهم الآلاف بحيث دفع تعويض فورى وجهزت الشركة لوازم مراسم الدفن من كفن وعربة بخيول ٤ وحمل العمال جثة زميلهم ابراهيم حتى الكنيسة وبعدها إلى القبر. هناك موضوع الاشتراك فى العمل السياسى اتفق بالإجماع على دخول المعركة الانتخابية عام ١٩٤٥ أنا أذكر أن التبرعات التى جمعت وقتها غطت التأمين

وكان وقتها ١٥٠ جنيهًا ومصاريف الدعاية الانتخابية وكان العامل يدفع قرشين ورئيس القسم يدفع ٥ قروش. وخضنا المعركة متحدين متفقين. بصرف النظر عن نتائجها.

أما فيما يختص بالحدث الهام للاشتراك مع كافة المواطنين يوم الطلبة والعمال ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ وكان يوما مشرفا لعمال شبرا الخيمة.

والنقطة الخاصة بالإضرابين الكبيرين الأول استمر ٢٠ يومًا وكان بسبب فصل بعض عمال من المحلات الصناعية، ونجح الإضراب وعاد العمال المفصولون إلى عملهم. أما الإضراب الثاني استمر ٤٠ يومًا والموقف كان كالآتى :

من عام ١٩٤٠ نستطيع القول إن البلاد تحوطها ظروف غير عادية بسبب اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية الشئ الذى ألقى على عاتق العمال إنجاز متطلبات الحرب من مواد غذائية ومن ملبوسات وكل ما يحتاجه المواطنون وكان هناك قرار وزارى يحدد لمصانع النسيج إنتاج ٧٠٪ من انتاجها لسدّ احتياجات الجماهير الشعبية وال٢٠٪ إنتاج حر أصواف حرير الخ ... ومن ثم فكانت هذه الظروف ضاغطة استفاد منها العمال وأحرزوا بكفاحهم بعض المكاسب فيما يختص بالأجور والأجازات وساعات العمل الخ... وحينما انتهت الحرب وأعلنت الهدنة ١٩٤٥ بدأت الشركات تعد العدة لإعادة النظر فى علاقات العمل على كل المستويات تخفيض أجور، الغاء بعض المكاسب، فصل العمال بالجملة، زيادة أعباء. حيث إن الظروف تغيرت فالحرب انتهت وزالت ضغوطها، واستخدموا القانون والسلطة فى تحقيق أهدافهم. القانون يعطى الحق للشركة فى التوقف الجزئى أو الكلى حين تتعرض لخسائر وتوفر من العمال بحيث لا يزيد عدد المفصولين عن ٢٥٪ كل عام. هذه هى الظروف التى دفعت العمال ولجانهم الطباوية للدفاع ضد هذه الهجمة الشرسة وقررت اللجنة الإضراب واستجاب له كافة عمال الشركات فى شبرا.

الإضراب الأول كان من أهدافه عودة المفصولين والغاء القرار الوزارى الخاص بالاستغناء المتعسف لـ٢٥٪ من العمال وانتهى الإضراب الأول حيث أصدر اسماعيل صدقى أمرًا بإنهاء مسببات الإضراب وعودة المفصولين حيث إن فى هذا الوقت كان الملك عبد العزيز سعود ضيفًا على مصر وآثرت الحكومة تأجيل المعركة أو المذبحة إلى وقت آخر.

ولذا فالإضراب الثانى كان دفعًا لهذا الضرر الذى حاق بالعمال واستعدت الحكومة

والشركات لخوض هذه المعركة ضدنا وقبض على اللجنة القيادية بعد أربعين يوما من المعركة وكنت أحد هؤلاء القياديين وكان عمرى وقتها ٢٠ عامًا وكنت متزوجًا منذ عام سابق أى فى مارس سنة ١٩٤٥ وانتهى الإضراب بنتائج سلبية وتشرد عدد كبير جداً إذ كان عدد العمال وقتها خمسين ألف و٢٥٪ تساوى أكثر من ١٢.٥ الف عامل وهذا الرقم رسمى أما الرقم الفعلى يتجاوز هذا بكثير. وإلى جانب عمال النسيج فى شبرا الخيمة كما ذكرت هناك ورش الصيانة التابعة للجيش الانجليزى والجيش الأمريكى وكانت هذه الورش تضم عمالاً كثيرين وأغلقت هذه الورش وسرح عمالها إلى الشارع وأصبحت البطالة تشكل حالة وبائية فى داخل القاهرة والكلام عن البطالة لا يتسع له المقام هنا ولكن حققنا بعض المكاسب فى دفاتر قيد العاطلين. دفع بعض الإعانات كانت تصرف من وزارة الشئون الاجتماعية وكل عاطل له تذكرة يتقاضى بموجبها وجبة يومية لمدة شهر.

الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨ كانت فترة قلقة وارتفع شعار الجلاء وبدأت المطالبة بخروج الإنجليز من المدن المصرية تمهيداً لطردهم وتحرير الأراضى المصرية من دنس الاحتلال. إسقاط معاهدة صدقى/ بيفن بل إسقاط الوزارة نتيجة الضغط الشعبى واشتد الصراع بفتح كوبرى عباس وسقط ضحايا كثيرون فى النيل ... ملحمة ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ يوم التضامن العظيم من العمال والطلبة وكافة القوى الوطنية . وكنت فى قلب الأحداث وكنت أصغر أعضاء القيادة على كل المستويات فى الشركة. فى اللجنة العامة وكنت فى الصف الثانى للجنة الوطنية للطلبة والعمال ولكن فى عام ١٩٥٠ كنت فى الصف الأول سكرتير اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية وأصدرنا مطبوعات موثقة منها بيان إلى الشعب المصرى يطالب بالتدريب على حمل السلاح وتنظيم الصفوف للاشتراك فى قتال جنود الاحتلال.

دور التنظيم بين الفلاحين

نشاطى أنا شخصيًا وسط العمال وكنت أعرف أن أحمد سويلم فلاح من ميت غمر تقريبًا وكان هناك نشاط إلى حد ما فى المنصورة وفى أماكن مختلفة من المدن.

المجلات التنظيمية التى كانت تصدر والكتب والدراسات التى صدرت ودور النشر

أود أن أذكر بعض الحقائق كان للحركة الديمقراطية نشاط واسع إلى حد ما فى تثقيف

الكادر والكتب التى ترجمت وسميت الكتب الخضراء وكان عددها ٩ كتب ذكرت بعضها فى سياق الحديث عن تثقيف الأعضاء الجدد. هذا عدا الكورسات الثقافية عن تطور المجتمع ودراسة بعض قوانين المادية التاريخية. هذا إلى إنشاء مكاتب نقابة مثل المكتب النقابى لمراد القليوبى فى الأربعينيات وكذلك المكتب النقابى لطليعة العمال محمد يوسف المدرك. هذه المكاتب أصدرت العديد من الكتيبات الخاصة بمشاكل الجماهير وفى سنة ١٩٥٧ بعد العدوان الثلاثى أنشأ سيد عبد الوهاب مكتب النشر والثقافة العمالية وأصدر نشرة باسم عمال مصر. ونشرة أخرى باسم الثقافة العمالية وكتاباً عن دور العمال أثناء العدوان الثلاثى باسم فتحى كامل، أحمد فهيم، سيد ندا، ونور سليمان. كما صدرت جريدة الجماهير، والملايين، والكاتب، والضمير، طليعة العمال وشبرا ونشرات كثيرة .

أما فيما يختص بتربية الكادر فهى عملية بناء مستمرة وكانت هناك كما أشرت المدارس والندوات وفى الأعياد يمتد النشاط الثقافى وإعداد كورسات مكثفة أما النشرات الداخلية فكان هناك الكفاح، حدتو، والنجم الأحمر لتنظيم النجم ونحن لطليعة العمال وصدر عن النجم الأحمر كتيب يدافع عن البطلين اللذين أعدما ظلما فى كفر الدوار خميس والبقرى ويطالب بإعادة المحاكمة، وكتب عن البطالة.

دراسات الواقع المصرى

بسبب المشكلة الوطنية ووجود الاستعمار كان الجهد كله مركزاً حول القضية الوطنية ضد الاستعمار حتى خط القوات الوطنية الديمقراطية كان تعبيراً عن هذه الظروف أما الاشتراكية ودور العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والدور القيادي للطبقة العاملة والموقف من الثورة البورجوازية الديمقراطية واستكمال أهدافها كنقطة انطلاق نحو الديمقراطية الشعبية كبداية الطريق نحو الاشتراكية هذا المفهوم لم يكن موجودا وكما ذكرت أن المعارضة لخط القوات (هنرى كوريل) كان ذريعة للانقسام. شهدى رد على الخط بنظرية التكتل الثوري. ولم يتبين خط مقابل للاشتراكية. وكذلك بقية التنظيمات التى خرجت من حدتو.

والكادر العمالى كان جل اهتمامه بحركة الواقع معارك يومية لوقف الخصم تعريفة الأجور لعمال الإنتاج، الأجازات، الرعاية الطبية، المواصلات مشاكل الواقع يومية ومتجددة.

واهتم تنظيم النجم الأحمر بتعميل القيادة وتولى العمال مراكز حساسة فى التنظيم فى القيادة، فى الجريدة فى تنظيم الأقاليم.

موقف التنظيم من قضية الثورة الاشتراكية، هل هى مرحلة واحدة أم مرحلتان كانت الأدبيات والكتابات النظرية تبشر بنظام اشتراكى، أما الطريق تكتيكيا واستراتيجيا فلم يكن هناك دراسة حول هذا الموضوع.

الوضع التنظيمي والمستويات التنظيمية التى اشتركت فيها

أنا كنت عضو خلية قاعدية فى البداية، وانتقلت إلى عضوية القسم فى الحركة المصرية قبل الوحدة، ثم رشحت لعضوية المنطقة فى الحركة الديمقراطية ثم عضو مؤسس للنجم الأحمر بعد انهيار العمالية الثورية وأصبحت عضواً فى اللجنة المركزية ومحرراً فى جريدة التنظيم ثم أنشأت مكتب النشر والثقافة العمالية واستخرجت له سجلاً تجارياً رسمياً وأصدرنا نشرة عمال مصر، نشرة الثقافة العملية وكتاب دور الطبقة العاملة فى المعركة ضد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ وأصدرنا عدداً من الكتيبات الصغيرة عن قضايا التحرر والكفاح ضد الاستعمار، ثورة الجزائر، فلسطين ...الخ، وصدر قرار جمهورى بمصادرة المكتب وغلقه وكنت عضو المكتب النضالى المركزى مع محمد على عامر، ونور سليمان، ومبارك عبده فضل وعبد المنعم الغزالى وآخرين وكان ضمن أنشطة المكتب مراسلة الجرائد بأخبار النضال العمالى كجريدة المساء، وروزاليوسف.

وفى عام ١٩٥٠، ١٩٥١ اشتركت فى قيادة عدد من المظاهرات الجماهيرية ضد الاستعمار وشغلت مركز سكرتير اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية وأصدرت بيانات باسمى أنا واعضاء السكرتارية محمد يوسف المدرك، فريد رمزى، سيد عبد الوهاب ندا، إدوار الضبع وهذا كان عملاً تنسيقيًا مشتركًا بين النجم الأحمر وطليعة العمال فى هذا المجال وعهد إلى التنظيم قيادة أكبر حملة إثارة ضد البطالة ومظاهرات الجوع والأكل فى المطاعم الخاصة كان له أكبر الأثر فى الاهتمام بهذه المشكلة، وكان لى شرف الاشتراك وقيادة المؤتمرات العمالية مثل المؤتمر الوطنى لعمال النسيج وصدر بيان وزع نتائج أعمال المؤتمر.

الموقف من الاحتراف

أنا أعتقد وهذا كان موقفي أن كلمة محترف ثوري لا تفي بالغرض ولكن نستطيع أن نقول متفرغ للعمل الثورى فى قضية التنظيم فى انجاز عمل ما يدفع العمل الثورى للأمام نحو تحقيق أهدافه المرحلية، وفي التنظيمات التى تشرفت بعضويتها كان يوجد متفرغون للعمل الثورى حسب حجم العمل وضرورة إنجازه.

ومعظم الأشخاص الذى تحلوا بهذه الصفة أي محترفين ثوريين لم يكن ذلك على أسس موضوعية وأحب أن أوضح أن الولاء الشخصى للقيادة التى لم تنتخب هو المعيار الذى يختار به بعض المحترفين بصرف النظر عن الكفاءة والقدرة على اتخاذ القرار.

موقف التنظيم وموقفي من التنظيمات الاخرى ومستوى التنسيق معها والموقف من قضية تكوين الحزب

فيما يختص بالتنسيق والموقف من قضية الحزب الواحد، نحن العمال نشعر بضرورة الوحدة فى العمل التنظيمى وفى العمل السياسى وفى العمل الجماهيرى والوحدة حول اتخاذ القرار، القادة الميدانيون فى حركة النضال يفرض عليهم بالضرورة العمل الموحد وضرورة وجود القيادة.

ماذا نفعل أمام أوضاع ليست على درجة واحدة من الفهم النظري والسياسى فإذا كانت العصبة الماركسية ترى أن حدتو تدفع بكوادرها إلى مسرح الأحداث ووفقا لهذه النظرية يعتبر تنظيم حدتو يسلم كوادره للبوليس ومن ثم فهو تنظيم بوليسى، وطليعة العمال ترى الحدتويين شيوعيين ملحدين منحلين وتتبع مثل العصبة السرية المطلقة بحيث يصرح أحدهم أنه داخل التنظيم منذ عشر سنوات ولا يعرف أنه تنظيم شيوعى والكل يدرك ما كان عليه تنظيم منظمة شيوعية مصرية (م.ش.م) رغم أنها تضم كوادر لا يتطرق الشك من بعيد أو قريب فى مدى إخلاصهم وصلابتهم والتضحيات التى قاموا بها داخل السجون والمعتقلات وخارجها إلا أنهم كانوا أسرى أفكار عزلتهم كثيرا أهمها أن كل الشيوعيين خارج تنظيمهم جواسيس وخونة. وحزب الراية يعتبر أنه لا شيوعيين خارج حزبهم.

وأنا أقر واقع وحقيقة أن كوادر الحركة الديمقراطية كانوا أقرب إلى الواقع وحركته ومن ثم فهمه رغم الحملات التى صوبت ضدهم ولذا كانوا دائما محوراً تلتف حوله بقية المنظمات

وخاصة فى قضية الوحدة من الحركة الديمقراطية إلى الحزب الموحد إلى الحزب المتحد إلى حزب ٨ يناير وهو الحزب الشيوعى المصرى. إلى حل الحزب فى إبريل سنة ١٩٦٥.

السؤال حول التنسيق فى عام ١٩٥٧ كانت هناك انتخابات لمجلس الأمة ومطلوب موقف محدد إزاء هذه الانتخابات وخاصة فى شبرا الخيمة وهذه ثالث تجربة ١٩٤٥ لعمال شبرا حول فضالى عبد المجيد، وتجربة ثانية حول محمد يوسف المدرك ١٩٥٠، وقاد المعركتين تنظيم طليعة العمال وفى ٤٥ حصيلة التصويت لفضالى حوالى ٧٥٠ صوتاً والثاني سنة ١٩٥٠ حوالى ٣٠٠ صوت وكان علينا أن نبحث سبب هذه النتائج.

ودعيت إلى حضور اجتماع لجنة الوحدة بين الحزب الشيوعى المصرى وكان سعد زهران مندوبه فى لجنة وتنظيم طليعة العمال وكان فؤاد عبد المنعم شحتو مندوبها وشهدى عطية عن الحزب الموحد. واجتمعت اللجنة مرتين لنفس الغرض وحضرت الاجتماعين لعرض نظرى الحزب الموحد، عن الانتخابات باعتبارى القائد الميدانى لجماهير العمال فى شبرا الخيمة. والحزب الموحد كان يرى أن الموقف فى شبرا الخيمة تحوطه محاذير أولاً اعتراض الاتحاد القومى على بعض المرشحين. ثانياً أن العمال ليس لهم تذاكر انتخابية فنحن نمتلك الشارع ولكن لا نمتلك صناديق الانتخاب بمعنى نستطيع أن نسير مظاهرة من عشرة آلاف عامل أو أكثر ولكن بدون تذاكر انتخابية وكان رأى طليعة العمال أن المنطقة واعدة وممكن أن ينجح مرشح شيوعى وأن الطليعة قررت ترشيح فؤاد عبد المنعم وإحنا كان رأينا تفاديًا للمحاذير أن نختار مرشحًا لا يعترض عليه وخاصة أن الاتحاد العام لنقابات العمال خاض المعركة بمرشحين عمال فى شبرا الخيمة أحمد فهيم مرشح الاتحاد، وعبد العزيز مصطفى فى العباسية، وانقسمنا فى البداية واعترض على فؤاد عبد المنعم، واستدعى طه سعد عثمان من بنى سويف وقدم أوراقه للترشيح فى شبرا الخيمة واعترض عليه أيضًا وقرروا فى النهاية الانضمام إلينا وتوحيد الصفوف وكانت قيادة المعركة أساسًا تقع على كاهلى وعملت دراسة لطبيعة السكان فلاحين مهنيين، ملاك عقارات، أعيان الريف هذه الفئات هى التى تملك تذاكر الانتخاب أما العمال لا يملكون تذاكر بتدبير من الدولة حتى لا تكون شبرا دائرة سياسية عمالية وفى النهاية سجلنا أكثر من ثلاثة عشر الف صوت ولأول مره يسقط مرشح الشلقانية الذى كان يمثل هذه الدائرة منذ العشرينيات أما فى العباسية تنظيم الطليعة وقف خلف الدكتور عبد العظيم أنيس ووقف الحزب الموحد مع عبد العزيز مصطفى ونجح وكان مرشح الاتحاد العام لنقابات العمال.

موقف التنظيم من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ والانقسامات التى أعقبتها

الوحدة تاج على رؤوس المناضلين، والانقسامات أوقعت هذا التاج فى الأرض ومن كلامى فيما يختص بأهمية وحدة المناضلين والقيادة الموحدة حتى لو كانت هذه القيادة أقل من مستوى العمل المطلوب، فإذا أخطأت فى موقف معين يصحح الخطأ أثناء الحركة وأثناء النضال. ومن خلال الديمقراطية الداخلية والمناقشات داخل الوحدات وأنا لم أخرج فى الانقسام وأى تبرير للانقسام على الحزب يعتبر جريمة.

يتساءل البعض عن موقف التنظيم من اليهود والأجانب ودورهم فى الحركة الشيوعية

وهو سؤال غريب بعض الشئ، هل كان هناك تنظيم ليس لليهود فيه مكان بدرجة أو بأخرى، اليهود مؤسسون وكانوا على الأقل نقطة بداية. السؤال نفسه فيه جانب عنصرى أو جانب نفاقى سواء كانت الحركة المصرية على رأسها هنرى كوربيل وآخرون من اليهود وطليعة العمال على رأسها أيضًا يهود وكذلك الإسكرا وباختصار كانوا هم البداية لانستطيع القول إن تنظيمًا مستقلاً عن اليهود نشأ فى البداية، نحن اشتركنا فى التنظيمات التي أنشأها اليهود، فالسؤال هنا ليس له أى معنى وخاصة أنه أثير موضوع اليهود فى التنظيم حينما تمت الكوادر المصرية وطالبت بحقها فى القيادة وتنحية اليهود عن هذه المراكز وظل كوادر حدتو يدافعون عن حق هنرى كوربيل فى عضوية اللجنة المركزية حتى آخر لجنة مركزية فى سنة ١٩٦٥.

المعارك الجماهيرية، والسياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومي والأممى التى شارك فيها التنظيم

سبق الإشارة إلى دور التنظيم والتنظيمات الاخرى فى معارك تكوين النقابات فى القاهرة والأسكندرية فمثلاً الجمعية العمومية التي عقدها عمال سباهى فى اسكندرية استشهد فيها اكثر من عشره عمال من أجل تكوين نقابة، والنقابات العامة والنقابات الصنعية الاتحادات المهنية. الاتحاد العام، إسقاط معاهدة صدقى بيفن. إلغاء معاهدة ١٩٣٦، الاشتراك فى الكفاح المسلح قيادة التنظيمات الجماهيرية، ودعوة الشعب لحمل السلاح واشترك الشيوعيون فى معارك القنال فى ١٩٥١، ١٩٥٢ وكان للشيوعيين السبق فى دخول بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى وتنظيم المقاومة الباسلة داخل بورسعيد أثناء الاحتلال عبد المنعم شتله

ومحمد فخرى، أحمد الرفاعى وآخرين، وكان لنا موقف من إبرام اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ بحيث نصت الاتفاقية على إمكانية عودة القوات البريطانية فى حالة وجود تهديد لتركيا أو إيران الشاه وقد سجلنا هذه التحفظات وقتها.

موقف التنظيم من القيادات والأحزاب قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

إن التنظيم يدعو إلى وحدة القوى الوطنية مثل الطليعة الوفدية والعناصر الليبرالية مثل البندارى باشا وكان موقفنا من حركة أنصار السلام هو أن حركة أنصار السلام نفسها تحوى كثيراً من الأعضاء الشيوعيين. أما تنظيم طليعة العمال كان له رأى آخر وتحفظ على حركة أنصار السلام وأصدر كتيب باسم فؤاد عبد المنعم شحتو يدين فيه حركة أنصار السلام.

أما بخصوص أحداث مارس سنة ١٩٥٤ فالقضية ليست أبيض أو أسود بمعنى مع عبد الناصر أو مع نجيب القضية هى أن هناك فقداناً للجانب الديمقراطى فى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ أفقدها الكثير، ورغم أن أحداث مارس كانت تطالب بتصحيح المسار نحو الديمقراطية فالمسألة ليست نجيب أو عبد الناصر. المطلب الأساسى هو انعطاف الثورة نفسها نحو الديمقراطية أى مقرطة الحكم وهذا كان رأينا فى هذا الوقت. وقد أثبتت الأحداث أنه بدون الديمقراطية انهار النظام. عندما حل السادات وتولى الحكم.

الموقف من الإخوان المسلمين : ماذا نفعل إزاء ميلشيات مسلحة تسير علنا فى الشوارع تهدد العمال فى شبرا الخيمة وخاصة أثناء الإضرابات والإضراب الكبير عام ١٩٤٦ تحديداً وحينما استولوا على النقابة ووضعوا شرطا لعضوية النقابة أن يكون العامل عضواً فى شعبة الإخوان وبمعنى أصح أصبحت النقابة فى قلعة النضال فى شبرا الخيمة تابعة لشعبة الإخوان أو جزءاً منها وتحت شعار الآية الكريمة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر) ويعتبرون أصحاب المصانع وأغلبهم من اليهود بمثابة أولى الأمر ولذلك وجب على العمال الطاعة لهم وباختصار تحريم الإضراب. وظل الصراع بين العمال وميلشيات الاخوان المسلحة حتى تحولوا إلى مرشدين للبوليس السياسى. وبالرغم من كل هذا فنحن ضد أحكام الإعدام التى صدرت ضدهم وقد سجل الاستاذ نبيل الهلالى موقف الشيوعيين واعتراضهم على التصفية الجسدية فى قضايا الرأى.

الموقف من باندونج، بالرغم من اعتقالي وآخرين عقب سفر عبدالناصر إلى المؤتمر كان موقف تنظيم النجم الاحمر وقتها أن الاجتماع صحوة لدول العالم الثالث، وهذا ليس موقف كل الشيوعيين فقد أصدر الحزب الشيوعي المصرى (الراية) بيانًا بعنوان فاشى مصر المفلس يبحث عن المجد فى باندونج، أما نتائج المؤتمر شعار عدم الانحياز وصفقة الأسلحة وإعلان باندونج وحد موقف كل الشيوعيين تقريبًا وأصبح باندونج منعطفًا على طريق الكفاح ضد الاستعمار.

قرارات التاميم، أصابها العفن بتمكين عناصر معادية للقطاع العام وغير مقتنعه بالملكية العامة من السيطرة عليه وتفرغه من مضمونه الثورى.

أما التأميم من حيث المبدأ لاقى ترحيبا بين كل القوى التقدمية والشيوعيين على وجه التحديد يمكن كان لنا بعض الملاحظات هو حجم التعويضات التى التزمت الدولة يدفعها للرأسماليين السابقين وكان أبرز قرارات التأميم هو تأميم قنال السويس.

أما بين الشيوعيين كان هناك نقاش بالغ الأهمية حول هذا الموضوع ما بين مؤيد، ومتحفظ باعتبار أن ما حدث هو رأسمالية الدولة. من وجهة نظر المتحفظين، أما المؤيدون فيعتبرون أن الملكية العامة ملك للشعب وأن ماحدث للقطاع العام من تخريب وما أصاب النظام السياسى للثورة من تدهور والتحول من سياسة بناء الألف مصنع إلى وقف دور الدولة فى عملية الاستثمار هو انعدام الديمقراطية وحرمان الشعب صاحب المصلحة من ممارسة حقه فى الرقابة على السلطة التنفيذية وحقه فى أن يختار ممثليه.

الاتحاد السوفيتي والعالم الثالث

أنا شخصيا كنت أميل لموقف السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتي فيما يختص بتأييد البورجوازية الوطنية الحاكمة فى العالم الثالث فكل حاكم وطنى يرفع يده فى وجه الاستعمار فى بلاده أيدته تلك الحكومة السوفيتية وشدت من أزره وقدمت له المساعدات اللازمة لتدعيم استقلاله، وأعتقد أن لينين أرسل لسعد زغلول برقية يعرض عليه المساعدة.. وهل كان من المفروض أن يتخلى السوفيت عن المؤازرة والتأييد والمساعدة حتى يتاح للاستعمار أن يقضى على حركة تحرير المستعمرات .. أحب أن أذكر بموقف الاتحاد السوفيتى وانسحابه من الجمعية

العامة للأمم المتحدة حين كانت تناقش مسألة النزاع بين الكوريتين واستطاعت أمريكا أن تدول الحرب واشتركت جيوش أكثر من خمس عشرة دولة تحت القيادة الأمريكية وحسم المواقف في النهاية جحافل المتطوعين الصينيين إلى جانب جيش التحرير لكوريا الشمالية.

المعارك التى خاضها الرفاق

السجون والمعتقلات وما كان يجرى داخلها بين الرفاق من صراعات سياسية وتنظيمية. وبرامج ثقافية ومعارك ضد السلطة فى تعسفها وفرضها علينا ظروفًا صعبة فمثلاً ١٤ عامًا ابتلعت معسكرات الاغتيال والسجون المصرية في أحشائها قيادات العمل السياسى، أعضاء التنظيمات الشيوعية والقادة النقابيين من العمال وكافة القوى الديمقراطية فى المجتمع.

كانت هناك وجهات نظر مختلفة ومتضادة ذات طابع نظرى حول القوات الوطنية الديمقراطية وما أثير حوله وما ترتب على هذه المناقشات من انقسامات وتكوين تنظيمات أخرى غير الحركة الديمقراطية.

المجموعة الاشتراكية، مسألة الانكار بالنسبة لمجموعة ٨ يناير، مسألة البورجوازية الوطنية بين الحضور والإنكار كانت هناك وجهة نظر تنكر تمامًا أن فى مصر برجوازية وطنية وينعكس هذا على التحالفات واستكمال أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية وأستطيع أن أقرر، لم يكن هنا دراسة عن الواقع المصري عن العمال والفلاحين. والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية دراسة منهجية يمكن الاستدلال من خلالها على حركة الوضع والصراع الاجتماعى بشكل عام.

أما عن المعارك ضد السلطة فقد حدث إضراب عن الطعام ١٩٤٨ استمر ٨ أيام اشترك فيه أكثر من ١٥٠ معتقلاً والمطالب الإفراج وإلى أن يتم يصرف كفالات لعائلات المعتقلين وأخذت الدولة بمبدأ صرف الكفاله بواقع ستة جنيهات لكل عائلة من عائلات العمال. الإضراب الثانى فى نفس الفترة ١٩٤٨ بعد إعلان الهدنة ووقف القتال اشترك فيه أكثر من ٢٠٠ معتقل واستمر ١٣ يومًا مطالبين بالإفراج والسماح بقراءة الصحف وسماع الإذاعة.

الإضراب الثالث فى ١٩٤٩ مكان الاعتقال جبل الطور واستمر ١٥ يومًا وكان المطلب الأساسى إلغاء الأحكام العرفية والإفراج عن المعتقلين.

فى الفترة من يناير سنة ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ تمت سلسلة إضرابات أهمها إضراب كبير

اشترك فيه أكثر من ٧٥ معتقلاً وبعد عشرة أيام من بدء الإضراب فوجئ المعتقل وهو أوردى ليمان أبى زعبل وفى عام ١٩٥٥ وبعد باندونج بهجمة شرسة قادها اللواء اسماعيل همت وضربوا المضربين وجلدوهم وبلغ عدد المجلودين على العروسة بواقع كل واحد ٨ جلدات على غير شروط الجلد بالإضافة إلى كل واحد أخذ نصيبه من ضرب الشوم .. قوات تترية انطلقت فى حملة مسعورة وبعد الجلد والضرب حرقوا ملابسنا بالكامل ودفع بنا إلى زنازين التأديب داخل اللومان بواقع ١٠ أفراد فى كل زانزانة واستمر ذلك أكثر من ثلاثين يومًا بلا علاج من أثر الجلد. أذكر ما كان معى فى زنزانة واحدة عادل فهمى، وفوزى جرجس وفكرى تادرس وسيد عبد الوهاب ندا ومختار العطار، وبقية الزملاء.

فى الفترة من ١٩٥٩ حتى منتصف ١٩٦٤ دخل المعتقلون عدة معارك منها إضراب عن الطعام فى سجن الواحات الخارجة استمر أكثر من ٢٥ يومًا بقيادة الزميل فخرى لبيب، وذلك بالرغم من التعذيب المتواصل وتكسير البازلت فى أبى زعبل، ضرب يومى للمعتقلين مقاومة مستمره لمدة عام تقريبًا فى أبى زعبل، ٦ سنوات متواصلة، كل السجون والليمانات تحولت إلى معسكرات تعذيب ومن أقصى أنواع التعذيب الجسدى والنفسى والمقاومة الباسلة للرفاق لهذا العدوان فكل فترة يسقط شهيد، سيد أمين عامل، على الديب عامل، شعبان حافظ عامل وشهدى عطية الشافعى وكثير من الزملاء الذين قاوموا حتى الموت ولم ينهر أحد وأمام هذا الصمود يحتاج الأمر إلى دراسة لهذه المراحل وليس مجرد شهادة أو شهادتين أو ثلاثة. فهى تجربة غنية ومرحلة هامة فى تاريخ شعبنا.

أسباب حل التنظيمات والمبررات التى طرحت للحل

أنا أريد القول إن هناك نوعين من الرفاق داخل الأحزاب الشيوعية أو التنظيمات الشيوعية، هناك العمال والعناصر الفلاحية بحكم وضعهم فى عملية الإنتاج فهم فى معركة صراع ومحاولة دائمة لتحسين شروط العمل بما فيها الأجور والأجازات وحق العلاج .... الخ بصرف النظر عن وجود الحزب أو عدم وجوده صراع دائم ومستمر، أهمية وجود الحزب بالنسبة لهم ضرورة لايمكن الاستغناء عنها، أية كانت التضحيات المطلوبة لذلك. هذا نوع أما النوع الآخر هو أبناء الطبقات الاجتماعية والذين استهوتهم الفكرة الاشتراكية ودراسة الماركسية. أنا لا أنكر التضحيات التى قدمها هؤلاء، ولا الخدمة التى أدوها إلى الطبقة العاملة لنشر الفكر

الاشتراكى والمنهج الجدلى وبرؤية شاملة للأشياء. إلا أنه فى النهاء
الاشتراكية هى إعلان عن خروج هذه الشرائح من معترك النضال من اء
كان حل الحزب والانضمام للتنظيم الطليعى البورجوازى الذى ثبت فساده
احتكاك بسلطة السادات وتفرق الجميع وكل ذهب لحال سبيله، وترك العمال واد
تحت مطرقة الاستغلال الرأسمالى والملكيات الكبيرة زراعية أو عقارية والأحد ـه
والقوانين التى تصدر تباعا تؤكد سيطرة نظام الاستغلال والشعار الآن مصر أرخص أيدى عاملة فى العالم.

أكثر من نصف قرن كفاح متواصل ومعارك وصمود وتحمل أقصى أنواع التعذيب البدنى والنفسى، إزهاق لأرواح الشهداء الذين سقطوا خلال هذه المدة بغض النظر عن صواب أو خطأ السياسة أو المواجهة إلا أن التنظيمات الشيوعية خلال هذه المدة خلفت تراثا لا يمكن تجاهله بل هو مما يفخر به الشعب المصرى وقوى التقدم العربية أذكر هذا بالمقارنة بتنظيم البورجوازية الطليعى عند أول احتكاك بين التنظيم وسلطة السادات انتهى كل شئ للذكرى.

من أسباب انقسام حركة الشيوعيين المصريين

تسطيح الفكر الماركسى وعدم دراسة الواقع، وعدم تحديد الأهداف، والتركيب العضوى للتنظيم ومن ثم القيادة فلا يوجد بالقدر الكافى من يكتوون بالصراع الطبقى الحاد يومياً خلال البحث عن لقمة العيش. وإن وجد بعض العمال فهم لم يؤسسوا نظريا بالقدر الذى يمنعهم من الانحراف. وكانت الولائية تلعب دوراً فى شغل بعض العمال فى هذه المناصب.

وهناك نقطة هامة هى محاولة كل انقسام الحصول على اعتراف دولى من أى حزب أوربى وأو من أي هيئة ترخص له بالعمل فى هذا المجال. النقطة الغائبة كان هناك اعتقاد أن الشيوعيين المصريين قاب قوسين أو أدنى من استلام السلطة وكل تنظيم أو تكتل يطمح فى الحصول على هذا الشرف العظيم (أحلام يقظة وتفكير ميتافيزيقى).

زملاء راحلون:

وفى النهاية أقول إن شهادتى لم تنشر قبل ذلك ولم أدل بها لأى جهة، وأنا أعترف بأن هذه الشهادة ليست دراسة بل هى ماوعته الذاكرة وأرجو أن أتمكن من الاقتراب أكثر من الأحداث فهى مسيرة نصف قرن وصعب أن نوجزه فى بضع صفحات.

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : فخرى لبيب حنا

تاريخ وموطن الميلاد : ٧ فبراير ١٩٢٨، سنورس - الفيوم.

الحالة الاجتماعية : متزوج من السيدة امتثال محارب غبريال (قانونية) وأنجبت ابنتين توأمتين هالة وهيام.

المؤهلات الدراسية والمهن التى عملت بها

المؤهلات : بكالوريوس علوم فى الكيمياء والجيولوجيا - مايو ١٩٥١- كلية العلوم جامعة فؤاد الأول - ماجستير فى الجيولوجيا ثم دكتوراه من ١٩٧٧- ١٩٨٧ على التوالى كلية العلوم - جامعة القاهرة.

المهن : مدرس من سبتمبر ١٩٥١ حتى مايو ١٩٥٤ (مدرس أشيا وصحة وحساب، ثم طبيعة بكفر الزيات ثم طنطا). جيولوجى من مارس ١٩٦٦ حتى فبراير ١٩٨٨ بالهيئة المصرية العامة للمساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية. من ١٩٨٦ حتى الآن مسئول الاعلام بمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية.

فترات الاحتجاز : ٢٩ مايو ١٩٥٤ إلى ٢٩ مايو ١٩٥٧ ثلاث سنوات أشغال شاقة وبعدها ستان، هروب من المراقبة. منذ الربع الأخير لعام ١٩٥٧ حتى يوليو ١٩٥٩ حيث أعتقلت حتى إغلاق المعتقل فى ١٩٦٤/٤/٤.

اعتقال فى سبتمبر ١٩٧٨ (كامب دافيد) مدة ثلاثة شهور

اعتقال فى اكتوبر ١٩٨١ (مقتل السادات) مدة تسعة أو عشرة شهور

اعتقال فى ١٩٨٩ (إضراب الحديد والصلب) مدة شهر.

أى بيانات شخصية أو عائلية أخرى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية :

والــدى : ناظر محطة بالسكة الحديدية (حاصل على الكفاءة ثم مدرسة التلغراف)

والدتى : متعلمة وإن لم تكمل تعليمها لزواجها المبكر.

الأخوة : سبعة ذكور تعلموا جميعاً فى الجامعة وكان ترتيبى الثانى بين اشقائى، وهناك

أخت ترتيبها الخامسة توفيت وعمرها تسعة شهور.

ارتباطاتي الفكرية : كان أبى معلمى وأستاذى الأول فى غرس الوطنية، كان وفديًا شديد الوطنية شارك فى ثورة ١٩١٩، يعادى الانجليز كمحتلين خاصة والأجانب عامة. أسمانى فخرى على اسم فخرى عبد النور النائب الوفدى لمديرية جرجا التى ننتمى إلى عاصمتها سوهاج. (ورغم وطنيته تلك إلا أنه سيفزع عندما أتحول إلى الفكر الاشتراكى خوفًا علىَّ مما سيحل بى، وما حل بالفعل).

نحن الآن فى عام ١٩٤٠ ووالدى معاون محطة جرجا وأنا فى السنة الرابعة الابتدائية ومنزلنا منزل حكومى قرب المحطة مباشرة - أقرأ الاهرام يوميًا. قوات الامبراطورية البريطانية هنود، موريشان، كنديين، استراليين، نيوزيلنديين، انجليز، كلها وبعداتها تعبر فى القطارات مرة إلى الشمال ومرة إلى الجنوب. ضحايا الغارات الجوية على القاهرة والاسكندرية والمهاجرين إلى منابعهم يتكدسون على المحطة وفى الحديقة الممتدة خلفها، وكذلك العمال الذين يساقون للعمل فى معسكرات الانجليز. ونحن نكره الانجليز ونشمت فى هزائمهم ونتبهر بألمانيا وهتلر، نؤمن بأن عدو عدونا صديقنا. ونحب فاروق الملك الشاب.

وقطار الركاب يحمل طبقات المجتمع جميعًا، بدءا من عربات النوم (البولمان) والأكل حتى عربات الدرجة الثالثة : تتفرج دوما عليهم وهم يتفرجون علينا أحيانًا.

المحطة وإن كانت مكانا ثابتًا غير أن العالم يأتى إليها أو يصدر عنها. هى مكان ثابت يموج بالحركة. وكل ذلك نعيشه ونعايشه.

ومدرسو اللغة العربية الأزهريون عامى ٤١ ، ١٩٤٢ (الأولى والثانية الثانوية) يهاجمون الانجليز والاستعمار فى الفصول الدراسيةفى مدرسة رزق الله مشرقى الثانوية بجرجا ويشحنوننا بالعداء لهم.

وفى أسوان الثانوية عام ١٩٤٤، ينتصب ميرابو (وهو الاسم الذى أطلقناه على مدرس التاريخ) شامخًا يحدثنا عن الثورة الفرنسية، وينهى ما يقول بضرورة أن تقوم فى مصر ثورة مثل الثورة الفرنسية وتعلن الجمهورية، ولأول مرة تنكسر صورة الملك وهتلر لينضافا إلى صفوف الأعداء.

ويجئ عام ١٩٤٥ أحد المفتشين (أ.اسماعيل مظهر على ما أتذكر) وأنا فى التوجيهية فى مدرسة أسوان الثانوية ويخطب فينا قائلا : لابد أن يخرج منكم عرابى آخر، مصطفى كامل آخر، سعد زغلول آخر.

المنزل والمدرسة وموقع عمل أبى كانت المنابع الأولى للمعرفة الوطنية وتهاويم طبقية أو اجتماعية بصورة أدق.

لكننى أود التوقف هنا عند أحداث أربعة

(١) كنا نقضى الأجازات الصيفية فى بيت أخوالى بالقاهرة. وكان خالى الأصغر وهو يكبرنى بأربع سنوات صديقا لى وطالبًا بكلية العلوم. وكنت أسمعه يتحدث مع أصدقائه وزملائه عن العدالة الاجتماعية والمساواة والعمال والفلاحين والكادحين والاشتراكية والامبريالية. غير أن تلك الاشياء كانت تبدو لى، فى تلك الفترة، مثل دردشات أصدقاء فى أمور تخصهم ولا تخصنى.

(٢) اجتاحت الملاريا عام ١٩٤٤ مديرية أسوان، وقيل إنها جاءت مع قوات «الحليفة». كان الناس يتساقطون فى أفواج متتالية. وأرسلت الحكومة معونات من الزيت والبطاطين للمنكوبين. غير أن المشرفين على التوزيع قاموا بنهبها وإلقاء الفتات إلى الفلاحين (فى المحاميد) فقاتلوا بعضهم البعض للفوز بأى شئ ثم هاجموا المشرفين المحميين بالعسكر فأطلقوا الرصاص على الفلاحين وقتل من قتل وجرح من جرح وكنت شاهد عيان لما جرى، فصدمت صدمة عنيفة، إذ لأول مرة أرى العسكر المصريين يقتلون الفلاحين المصريين المرضى الجوعى حماية للموظفين اللصوص. ولم تعد القضية التى تشغلنى هى الأجنبى أو الانجليزى المحتل فقط. إذ برزت أمامى، وربما بدون وعى كامل حينئذاك، قضايا الداخل، قضايا الشعب والحكومة. وكانت تلك نقطة حاسمة فى مسار حياتى.

(٣) بدأت أنتبه لأشياء أسمعها، ربما كانت فى البداية تثير دهشتى أكثر من قلقى، أن قرية المحاميد إلى جوار أدفو والتى كان والدى ناظرا لمحطتها، يبلغ زمام أرضها ثلاثمائة فدان تمتلكها كلها سيدة واحدة، لا تأتى لترى أرضها أو الفلاحين الذين يعملون بها أحياء أم أمواتا، وأنها تترك لأحد الرجال الفتوات مهمة جمع الإيجار أو المحصول مقابل استفادته بعائد

عدد من أفندتها.

وأن نجع حمادى بما فيها محطة السكة الحديدية ملك لأحد الأمراء ويدعى على ما أتذكر يوسف كمال. وأن وادى كوم أمبو المزروع قصبا ومصنع السكر ملك لعبود باشا. وأن هذا الرجل يملك فى يديه مصير آلاف الفلاحين والعمال العاملين فى أرضه أو مصنعه.

(٤) وبدأت أكتب لصديقى عبد الله محمود كامل والذى تعرفت عليه فى العدوة - فيوم، عام ١٩٤٣، عن الظلم الذى أراه وعن بشاعة حياة العمال والفلاحين، وأن هنالك سادة من المصريين لا يقلون هولاً عن الأجنبى والانجليزى، وبدأ يظهر، وربما بشكل هلامى فى البداية، للقضية الوطنية المرتبطة بالانجليز والأجانب، بعد اجتماعى هو العدالة الاجتماعية، ووقف القهر والاستبداد المصرى - المصرى.

(٥) تهاوى الانبهار بهتلر عدو عدوى، عندما رأيت بعينى، وكنت فى القاهرة فى الإجازة الصيفية، ضحايا الغارات الجوية الالمانية على الأحياء الشعبية وكلهم من المصريين، وليس فيهم انجليزى واحد، وقعقعة مدافع ستالينجراد وبداية هزيمة النازية. تهاوى الحب الذى كنت أكنه للملك الشاب فاروق، فهو رأس الدولة التى تقتل الفلاحين وتحمى السادة وبدأت تتجمع فى رأسى دروس مدرس التاريخ عن الثورة الفرنسية ضد الملكية والاقطاع وضرورة حدوث ثورة مثلها فى مصر. كما بدأت تستيقظ فى أعماقى الأفكار التى كنت اسمعها عن الاشتراكية والكادحين والعمال والفلاحين من أصدقاء أصغر أخوالى، وتناقشت مع بعض الاصدقاء المقربين ومنهم ألفونس عزيز فى تلك الأحوال وكونا مجموعة أسميناها «بالاشتراكيين» وكان عدونا المباشر الذى نثير معه جدلا مستمراً هو مدرس اللغة الانجليز وهو انجليزى، يقال إنه كان يعمل فى المخابرات الانجليزية، ويعيش على ربع رئة، إذ أفسدت باقى رئتيه الغازات السامة من الحرب العالمية الأولى.

وكانت توزع علينا فى المدارس حينذاك صور قادة الحلفاء، تشرشل والعلم الانجليزى، روزفلت والعلم الأمريكى، تشاى كاى شيك والعلم الصينى، وستالين والعلم السوفيتى. وعلقت على باب الغرفة التى أسكنها وأخوتى فى أسوان صورة ستالين والعلم السوفيتى، وكنا حينذاك فى أسوان فى التوجيهية (الثانوية العامة) عام ٤٤-١٩٤٥.

ارتباطاتى الايديولوجية والتنظيمية

عام ١٩٤٥، التحقت بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم. جامعة فؤاد الأول ، والتحق ألفونس عزيز بكلية التجارة، ولحق بنا عبد الله محمود كامل بعد عام ليلتحق بكلية التجارة أيضًا.

كانت شوارع القاهرة مليئة بالجنود الانجليز، ودفعنى منظرهم الاستفزازى وسلوكهم المستهتر، وكونهم جنود احتلال إلى التفكير فى ضرورة البحث عن طريقة لقتل ما أمكن من هؤلاء الجنود والضباط.

وعندما لاحظ أحد زملائى بالكلية حماسى واندفاعى فى التحركات الوطنية حينذاك، دعانى لحضور أحد الاجتماعات السرية، وكنت أتوقع وأنا ذاهب معه أن محور النقاش سوف يكون حول التدريب على الأسلحة وقتل جنود الاحتلال. لكن الأمر كان شديد المفاجأة لى إذ تأخر أحد الزملاء عن موعد الحضور خمس دقائق فجرى نقاش ممل طويل حول أهمية عدم التأخير. ثم أخذ أحدهم يقرأ من كتاب صغير ويشرح أشياء لم أفهم منها شيئا (عرفت فيما بعد بزمان أن هذا الكتاب هو كتاب الأسس اللينينية) وأحسست بإحباط شديد. وحضرت اجتماعًا آخر وآخر. وأنا لا أفهم شيئا، فقد كان ما يشغل بالى هو متى ينتهى هؤلاء من قراءة هذا الكتاب «العسير» ويبدأون فى تدريبى على قتل الإنجليز. وكان ذلك فى أواخر ١٩٤٥.

فى تلك الأثناء بدأ أصدقاء خالى الأصغر فى الحديث معى للانضمام إليهم. وكنت قد برزت فى المظاهرات أخطب وأهتف. لم أكن أعرف أن هنالك أكثر من شئ، لكنهم شرحوا الأمر لى. وبدأت أفهم : إننى الآن فى منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) وهم منظمة «اسكرا» أى «الشرارة». وأخبرتهم أننى لا أستطيع أن أترك الآخرين هكذا. فتركوا لى مهلة أختار خلالها. لكنهم كانوا الأكثر وجودا ونفوذا فى الكلية. مما شدنى إليهم لنشاطاتهم، فحسمت أمرى بالانضمام إليهم. كان منهم فى تلك الأيام جمال غالى، فاطمة زكى، سعد زهران وغيرهم وغيرهم، وكان من المعيدين عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر وغيرهما. وكان معى فى السنة الأولى فتحى خليل وميشيل سعد.

عندما أبديت موافقتى على الانضمام لاسكرا وضعونى فى تجربة. أعطونى منشوراً وطلبوا منى توزيعه دون إعطائى فكرة عن الكيفية التى أوزعه بها. يبدو أن المطلوب كان اختبار قدرتى على التصرف. وضعت خطة للتوزيع، كان المدرج يفتح مبكرًا لتنظيفه. وكان الطلبة

يدخلون لحجز أماكن لهم فى المدرج ويغادرونه. وكانت تلك فرصتى، فوضعت نسخة من المنشور على كل مقعد وغادرت أيضًا. وعندما دخل كل الطلبة المحاضرة كان فى يد كل طالب منشور. وثارت ضجة شديدة حول الموضوع. واستدعانى حرس الكلية للتحقيق، لكن شيئا لم يثبت علىّ، وانضممت إلى «اسكرا» بعد أن اعتذرت لصديقى فى (ح.م)، وأخبرته بما حدث.

عندما طرحت عليهم فكرة قتل الانجليز ناقشونى فى الإرهاب الفردى وعدم جدواه، وأن قتل جندى أو ضابط انجليزى لن يجلى قوات الاحتلال، إنما الجلاء يتم بمعركة تشارك فيها كل القوى المعادية للاستعمار. إننا نشكل جبهة من المناضلين للتحرر ضد الاستعمار وأعوانه من الاقطاعيين والرأسماليين المرتبطين به. ومن هنا يجب الاهتمام كل الاهتمام بتنظيم الشعب وتعبئته، فالمعركة طويلة وقاسية.

اهتم الزملاء اهتماما كبيرا بعملية التثقيف إلى جوار العمل الجماهيرى والذى يكاد يكون يوميا. وكان التثقيف يبدأ بالابسط إلى الأكثر تعقيدًا. وكنا نكلف نحن أعضاء الخلية (بعد فترة) بتلخيص كتاب وعرضه، وأتذكر أننى كلفت بتلخيص البيان الشيوعى، وأقبلت على تنفيذ هذا التكليف بهمة، غير أنى اكتشفت، أنه من شدة خوفى أن أفقد شيئا وأنا ألخص أننى كتبت تقريبًا نسخة أخرى من الكتاب. (غير أن ذلك أفاد كثيرا فيما بعد، حتى أصبح الواحد منا يعرض ما كلف به دون عناء).

وسوف أتناول فيما يلى بعض المعارك والنشاطات الجماهيرية :

الشهيد محمد على

عندما بدأت المظاهرات فى جامعة فؤاد الأول ابتداء من ٩ فبراير ١٩٤٦، وبعد أحداث كوبرى عباس، كنا نقطع الطريق على السيارات المحملة بالحصى أو الأحجار والعابرة أمام الجامعة، لتدخل حرم الجامعة وتفرغ ما فيها كى نستخدمه فى مهاجمة البوليس أو رده، وأوقفت إحدى السيارات وتعلق «محمد على» ببابها إلى جوار السائق كى يقوده إلي داخل الجامعة، فدفع به السائق ليسقط تحت العجلات، واندفع هاربًا.

وحُملت جثته إلى كلية طب القصر العينى وتم إخفاؤها بمعرفة طلبة الكلية، كى يتم تشييع جنازته بمظاهرة ضخمة فى اليوم التالى. وبدأنا نغادر حرم الجامعة إلى القصر العينى استعدادا

لحشد الغد ولحراسة جثمان الشهيد، وحاصر البوليس المصرى برئاسة الضابط الانجليزى فيتز باتريك القصر العينى وبدأت معركة بيننا وبين القوات المحاصرة لنا. وكان سطح القصر العينى مليئا بصناديق قديمة وأقطان فأشعلناها وألقينا بها عليهم ففروا هاربين فخرجنا إلى الشارع وقلبنا عربة ترام. وكسرت أعمدة مصابيح غاز الاستصباح فاندفع الغاز منها مشتعلا كالنافورة. ودامت المعركة حتى منتصف الليل. فطلب أحد كبار الضباط المصريين التفاوض. وتمسك بتسليم الجثة وانصراف الطلاب. فرد الطلاب عليه باحتجازه وإعلان هذا الاحتجاز. وقرابة الفجر اقتحم البوليس القصر العينى وانتزع جثمان الشهيد وألقى القبض على بعض الطلاب.

٢١ فبراير ١٩٤٦

كان يوما يؤكد بحق المواجهة بالحشد الشعبى الجبهوى للمناضلين من أجل التحرر فى مواجهة الاستعمار وأعوانه. وكنت مكلفًا بالهتاف. وكان اشتراكى فى هذا اليوم هو الذى رسخ فى أعماقى المواجهة الجماعية بديلاً عن المواجهة الفردية وعمليات اغتيال الجنود والضباط البريطانيين. كانت نقطة تحول من الثقة فى الذات فقط، إلى الثقة بالذات من خلال الثقة بالمجموع والارتباط بها.

توزيع مجلة الجماهير وصوت الطالب

كان توزيع المجلة الخاصة بالمنظمة باليد هاما للغاية. إذ كان يوفر وسيلة طبيعية لإجراء حوارات حول محتوياتها وهو عمل دعائى ممتاز كما كان يوفر علاقات تقوم على الاقتناع، وقد خلقت تلك العلاقات مراكز ثابتة للتوزيع عند بقال أو حلاق أو حرفى أو صاحب مقهى، وغدت تلك المراكز شبكة من المتعاطفين والأصدقاء الذين يجمعون التبرعات عند بيعها، وربما جُند البعض منهم.

كما كنا نقوم بتوزيع مجلة صوت الطالب فى الجامعة.

لجان مقاومة الكوليرا

شاركت رابطة الطلبة المصريين وهي في الأصل تنظيم ديمقراطي لاسكرا في معركة مقاومة

وباء الكوليرا، كنا نشكل لجانًا فى الأحياء الموبوءة. وقد شكلت أنا ومحمد محمود عثمان لجنة لمقاومة الكوليرا فى جزيرة بدران. وقد بلغ عدد المتطوعين فيها حوالى سبعين عضواً، كنت ومحمد عثمان فقط الشيوعيين فى هذه اللجنة. وقد نجحت اللجنة إلى أقصى حد ممكن. إذ كنا نقوم بأعمال الوقاية فى البيوت التى لا يوجد بها مصابون، وأعمال الإنقاذ السريع للمصابين والتطهير لمنازلهم.

وأتذكر أنه جاءت تبرعات دوائية للرابطة من الخارج، فاحتجزتها وزارة الصحة، ودعت الرابطة إلى حشد يتوجه إلى وزارة الصحة. وقد اعتصمنا على سلالم الوزارة مطالبين بالإفراج عن تلك المعونات الطبية.

النادى المصرى السودانى

كنت وفتحى خليل وميشيل سعد من سكان شبرا. ولذا كان يجمعنا نشاط الحى إلى جوار نشاط الكلية. وأنشأنا ومعنا فريد رمزى ورشدى خليل وكان صبيا فى ذلك الوقت ناديًا، فى مبنى من دور واحد تحيط به أرض واسعة أشبه بالفيلا. وأطلقنا عليه اسم النادى المصرى السوداني. وكان ناديا ثقافيا رياضيا. وقد افتتحه اسماعيل الأزهرى المناضل السودانى، والذى أصبح أول رئيس وزراء للسودان بعد الاستقلال. كان تفكيرنا منصبا على ضرورة وجود شكل علنى يربط شباب الحى بنا، وقد نجح النادى بالفعل، لكنه أغلق فى حملة صدقى عام ١٩٤٦. وأصبح النادى على ما أتذكر مركزاً لجماعة الإخوان المسلمين.

حرق الكنائس

حرقت كنيسة فى إحدى المديريات ربما فى الزقازيق، واجتمع الشباب المسيحى فى كنيسة فى شارع جزيرة بدران. كان الغضب عنيفا، والشعار المرفوع «حرق جامع مقابل حرق كنيسة». ودخلنا فى نقاش حاد للغاية، باعتبار أن تلك مؤامرة انجليزية لبتطاحن أبناء الوطن وحرف المعركة، إذ بدلا من أن تصبح ضد الانجليز، تصبح فيما بين المصريين وبعضهم البعض، تطبيقًا لشعار «فرق تسد»، وأننا يجب ألا تستكمل لهم مؤامراتهم. ونجحنا فى تحويل الغالبية العظمى إلى صفنا، ووأد فكرة العين بالعين، فى هذا المجال فى مهدها.

انتخابات الكلية

كان هنالك اتحاد الطلاب ويجيئ من خلال انتخابات عامة لكل طلبة السنة الدراسية. كنا كما قلت سابقا، وفى حدود ما كنت أعرف، ثلاثة بالسنة الأولى : فتحى خليل، ميشيل سعد وأنا. وكان هنالك حوالى ٢٥ إخوانيا. ولم يكن هؤلاء الإخوان يحصلون على غير أصواتهم، أما مرشحونا فكانوا يحصلون على غالبية الأصوات غير الإخوانية. وكان عدد طلاب السنة الأولى حوالى ١٥٠ طالباً.

وكان هنالك أيضاً الاتحاد العلمى، ويجيئ من خلال انتخابات فى أقسام الكلية المختلفة : الكيميا،، الطبيعة، الجيولوجيا، النبات، الحيوان، الرياضة البحتة .. الخ.. من السنوات المختلفة. وكنت أنجح دائما فى الاتحاد العلمى بالتزكية عن قسم الجيولوجيا للسنة الدراسية التى أكون بها.

أتذكر أن فاطمة زكى، وكانت فى البكالوريوس، خاضت معركة الاتحاد العلمى فى مواجهة زعيم الإخوان المسلمين بالكلية، وكان شعارة «لا تنتخبوا امرأة». غير أنها نجحت نجاحا ساحقًا وباء هو وشعاره بالهزيمة.

وبعد أن تخرجت فاطمة زكى أنشئ قسم للكيمياء الصناعية بكلية الهندسة جامعة فؤاد الأول، وكان معنى ذلك مزيداً من إغلاق الابواب أمام خريجى الكلية والغالبية منهم كيميائيون. وعقدنا الاجتماعات الاحتجاجية وجاءت فاطمة زكى لتخطب فينا فى أحد المدرجات، شارحة حال الخريجين السيئ للغاية الآن. فما الحال لو دخل المهندسون الكيمائيون المنافسة التى هى بالنسبة للعلميين خاسرة. إذ أن نفوذ المهندسين فى المجال الصناعى هو النفوذ السائد، ونفوذ العلميين ضئيل إلى حد كبير. واشتعلت الكلية، فأغلقت، لكننا كنا نحضر ونعقد الاجتماعات فى الحدائق القريبة من الكلية (كما كان يحدث أثناء الثورة الفرنسية)، غير أن المعركة انتهت فى غير صالحنا.

كانت كلية العلوم جامعة فؤاد الأول فى هذه الفترة معروفة بالكلية الحمراء. فقد كان النفوذ الطاغى فيها للشيوعيين.

وأود هنا أن أذكر واقعة تصور عقلية الطلاب حينذاك بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية

أو الفكرية. كان عددنا محدوداً في قسم الجيولوجيا في السنة الأولى، وكانت بيننا علاقات حميمة. كنا ندرس الجيولوجيا - الكيمياء - الحيوان - النبات - وتنتهي دراسة النبات في السنة الأولى ولا نتواصل معًا. كنا في حصة عملية وجاء مدرس النبات فوجد أحد زملائنا يسير جيئة وذهابا في المعمل. سأله في غضب، لماذا تفعل هذا؟ قال في هدوء لقد أنهيت المطلوب منا في هذه الحصة. زعق المدرس : اقعد بلاش مرقعة. وغادر . ودوت كلمة «مرقعة» في آذاننا كالفرقعة. وللحال قمنا قومة رجل واحد، وخلعنا معاطفنا المعملية البيضاء، وتوجهنا إلى مكتبة الكلية حيث كتبنا احتجاجاً شديد اللهجة إذ أننا لم نكن نتوقع صدور مثل تلك «الكلمات» من أستاذ بالجامعة، كما أننا كطلاب في الجامعة لا نقبل البتة أن توجه إلينا مثل تلك «الألفاظ» ودخل أضخم ثلاثة فينا علي الاستاذ، فخرج إلينا يعتذر بشدة، وينفي أيضاً بشدة أنه قصد إهانتنا. وفي نهاية العام اسقط هذا الاستاذ «الجامعي» كل من كان موجوداً ووقع على عريضة الاحتجاج، دور أول، ودور ثاني. وأصبح يباهي بعد ذلك بما فعله في دفعة ١٩٤٥، ويهدد به كعبرة لمن لا يأبه من قسم الجيولوجيا بعلم النبات، وبالتالي به، ولا أتذكر أننا ندمنا على ما فعلنا، فقد كان اعتزازنا بكرامتنا يفوق كل شئ. وقد غدا من أبناء هذه الدفعة اساتذة بالجامعات ورؤساء مجالس إدارة شركات وأعضاء بالبرلمان.

تلك صورة أو لمحة لما كان عليه أبناء هذا الجيل.

الوحدة والانقسام

تمت وحدة أسكرا والحركة المصرية للتحرر الوطني، وأعلن عن تكوين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني «حدتو» لا أتذكر شيئا عن هذه الوحدة، وهل كنا نخبر بما يجرى أم لا، والأقرب لما حدث أننا لم نعرف شيئا عن الوحدة قبل إتمامها. كنت وقتها عضوا قاعديا أو عضو لجنة قسم شيرا على أكثر تقدير. لكننا فرحنا بالوحدة فرحا شديداً واحتفلنا بها. قيل وقتها أن أعضاء المنظمة الجديدة حدتو حوالى أربعة آلاف عضو. وأن البعض ، ممن كانوا يزمعون الزواج، تبرعوا بتحويشة العمر دعما للتنظيم الوليد، واحسسنا فعلا بأننا قوة حقيقية، وأننا «على مشارف تحقيق الاشتراكية».

لم أحس بجديد بعد الوحدة من الناحية التنظيمية، فمن كنت أعمل معهم فى الكلية أو فى الحى ظلوا كما هم على وجه التقريب. غير أنه بدأت نغمة تذمر ترتفع بعد فترة حول نفوذ الأجانب فى المنظمة، وخط يونس للقوات الوطنية الديمقراطية، والعمل فى صفوف العمال، وأن ناتج الوحدة كان يجب أن يكون الحزب الشيوعى لا الحركة الديمقراطية.

ويظهر من ذلك أن الصراع حول مقومات الوحدة السياسية والتنظيمية والجماهيرية بدأ بعد الوحدة لاقبلها. ومشاركة المستويات دون القيادية بدأت بعد الوحدة لا قبلها. وقد حدث كل ذلك عبر ما يسمى بالاتصالات الجانبية والاجتماعات غير التنظيمية، والشحن الفكرى عبرأهل الثقة، وهم بالنسبة لى من أعضاء اسكرا سابقا. كنت متلقيا أكثر منى فاعلا، فقد كان ما يجرى أشبه بالدوامة لا أعى ما يحدث بالضبط، حتى أنه عندما حدث انقسام التكتل الثورى بقيادة سليمان وسيف (شهدى عطية وأنور عبد الملك) وجدت نفسى جزءا من هذا التكتل.

أتذكر لقاء حضره سعد زهران وربما داود عزيز ليشرحا لنا ما جرى - وظهر التكتل الثورى بعدها باعتباره المنقذ للحركة الشيوعية وأداتها لتحقيق أهدافها.

وكلفت أنا وعبد الله محمود كامل وعبد المجيد أبو زيد بإعداد المكتبات والأجهزة الفنية للتنظيم الجديد. كنت أسكن فى حجرة فوق السطح فى شبرا. وكان على أعضاء التكتل أن يقدموا ما فى حوزتهم من كتب نظرية وأجهزة فنية إلى حجرتى حيث اكتظت بما احتوت. واضطررنا إلى نقل كل ذلك إلى دكان ترزى فى الدقى بسيارة محمد سيد أحمد. وكدنا نسقط فى يد البوليس ونحن نقسم الكتب إلى مجموعات. كتب عليها اسم المنطقة التى سترسل إليها. فقد كان الدكان فى دور أرضى على الشارع مباشرة، ونحن نعمل ليل نهار. وكانت قد ألقيت متفجرات على بيت النحاس باشا بالقرب منا. غيرأننا أفلتنا بأعجوبة ونقلت كل تلك الأشياء إلى مكان ما فى الهرم.

الهام هنا، هو أن عبد الله كامل، انتقى مجموعة من الكتب النظرية ملأ بها حقيبة أخفاها فى مسكنه، باعتبار أنه يتوجب أن نعرف نحن بأنفسنا الفكر النظرى لما نؤمن به سياسيا. (وقد شكلت تلك المجموعة جوهر التثقيف الذاتى الأساسى لنا. كان علينا أن نتعرف على الماركسية اللينينية من منابعها فى أعمال ماركس وانجلز ولينين).

التكتل الثورى ينهار

توالت الضربات البوليسية على التكتل الثورى، وبدأ ينهار.

كُلفت بأن التقى بعدد من الأعضاء والعضوات الأجانب. وتم اللقاء فى منزل د. فريد حداد فى شبرا. كانوا قرابة العشرين، من جنسيات مختلفة، ولم تكن غالبيتهم الساحقة تعرف العربية. ووجدت نفسى أرفض الحديث بغير العربية وأصر على ذلك. فقام أحدهم بالترجمة للآخرين. وبعد نقاش طويل من جانبهم حول ضرورة أن يلعبوا دوراً جماهيراً وخاصة بين العمال، أنهيت النقاش بأنهم أولا لا يجيدون العربية فكيف بهم يتعاملون مع عمال لا يعرفون غيرها. وثانيًا أن لهم دوراً، ولكن فى غير العمل الجماهيرى. ويتلخص هذا الدور فى مهام ثلاث. المساعدات المالية، وإخفاء الهاربين وتأمين الاجهزة الفنية وتشغيلها. غير أن فكرة ١٠٠٪ عمال كانت سائدة كالاعصار دون تبصر أو روية. فتركوا التكتل وذهبوا إلى «القاعدة المشتركة» محتجين وهى شكل تنظيمى فضفاض ينضم إليه من يشاء لإدارة صراع نظرى وسياسى وجماهيرى. وقد انتهت أعمال القاعدة المشتركة بإعلان المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م)

انقطع الاتصال بنا (وقد عرفت فيما بعد أن فتحى خليل وفريد رمزى وفريد حداد وعبد المجيد أبو زيد قد انضموا إلى منظمة «طليعة العمال»، وأن سعد زهران وداود عزيز قد بدأوا مع زملاء آخرين الإعداد لإعلان «الحزب الشيوعى المصرى»).

كان التكتل الثورى قد تحول من الانهيار إلى التصفية التامة.

ما بعد التكتل الثورى

كان علىَّ أنا وعبد الله كامل أن نركز على تثقيف أنفسنا، فقد بدأت حرب النصوص والاقتباسات. وقد ظهرت منظمات جديدة على الساحة كلها خارجة من حدتو أو التكتل الثورى. لم يحتل فهم الواقع المصرى حيزاً كبيراً فى هذا الصراع. كان هذا التنظيم يتخندق وراء «ما العمل» وذلك وراء «خطوة للأمام وخطوتين للخلف»، وهكذا. وكانت حياتنا الخاصة والعامة تثير فى نفوسنا أسئلة اجتهدنا أن نجد لها حلاً من خلال الفهم النظرى.

وقررنا أن نبدأ مستقلين بتحسس طريقنا وأفكارنا.

لقد قررنا عدم دخول «القاعدة المشتركة»، فقد نظرنا إليها كسوق عكاظ ومباراة نصوصية، وساحة للاختراق البوليسي. كما قررنا عدم دخول م.ش.م لأنها يسارية، وأن نظرية ١٠٠٪ عمال تتنافى وأعمال سبق وشاركنا فيها أو قمنا بها، وهى أعمال جمعت بين عمال ومثقفين ومواطنين عاديين. وإن كنا نؤمن وبعمق بالدور القيادى للطبقة العاملة. كما لم يكن هنالك مكان للعودة إلى حدتو وخط القوات الوطنية الديمقراطية سياسيا والتنظيم الفئوى تنظيمياً. وكانت لنا تجربة كالصدمة مع عمال منظمة «طليعة العمال» (ولم نكن نعرف عنها شيئا) فامتلأنا بالنفور منها.

كنا لا نؤمن بنظرية ١٠٠٪ عمال، لكننا كما قلت كنا نؤمن وبعمق بدور الطبقة العاملة القائد، ولهذا بدأنا النزول إلى أماكن تجمع العمال فى المقاهى فى شبرا الخيمة وإمبابة. كنت ما أن أعود من الكلية عصراً أو مساءً حتى أرتدى ملابس قديمة ونتوجه أنا وعبد الله كامل إلى تلك المقاهى سعيا لتجنيد العمال. وأصبحت معروفا لمن ألتقى بهم فى امبابة باسم الأسطى عفيفى ومن ألتقى بهم فى شبرا باسم الاسطى مختار. كنا نقول بأننا عمال عاطلون نبحث عن عمل. ورغم أن هذه الفترة عرّفتنى جيداً بصناعة النسيج وعمال النسيج ومشاكلهم ومطالبهم غير أن حصيلة التجنيد لم تكن تعادل الجهد المبذول. كانت تجربة فاشلة.

التقينا أثناء تلك المحاولة بعمال يُطلق عليهم اسم العسكريين (نسبة لمحمود العسكرى- طليعة العمال)، وكما قلت لم نكن نعرف عنهم شيئا، غير أن النقاش معهم كان غريبا وكان صدمة. إذ عندما عرفوا أننا كنا فى «حدتو» هاجمونا بضراوة بل وهددونا بالضرب. لم يناقشوا معنا مسائل سياسية أو نضالية أو عملاً جماهيريًا، أو حتى حاولوا ضمنا إلى تنظيمهم. لقد اعتبرونا شيئا ملوثًا يجب القضاء عليه. لقد كانت «حدتو» فى رأيهم أشبه بكلوت بك (مكان الدعارة الرسمى) والتى عندما أغلقته الحكومة تناثر سكانه في دعارة سرية لبلوثوا القاهرة كلها. هكذا كان موقفهم ورؤيتهم للآخرين. (وأعتقد أنهم بما فعلوا قد أهدروا فرصة ثمينة ربما كانت تحد من الانقسامية).

كما التقينا بإبراهيم عرفة (حوتر وهى اسم فرعونى كما قال لنا). وأعتقد أنه أصلا كان من الحركة المصرية للتحرر الوطنى من ميكانيكى الطيران - وكان قد شكل تنظيما أطلق عليه اسم «اتجاه النضال الثورى»، وإن كنا لم نلتق بأحد غيره. وكان مهتما للغاية بكتابة

استراتيجية ثورية للنضال فى مصر، مليئة بعبارات مثل «نحن ديناميت الثورة». «نحن مفرقعات النضال»، ولم نكن نقبل بمثل هذه التعبيرات الضخمة، وربما كنا نسخر منها مما يثير غضبه وحنقه (الرفيق حوتر تقدم عام ١٩٥٧ بتقرير إلى أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد بالواحات الخارجة بمنفى جناح يطالب فيه بحل الحزب الشيوعى، باعتباره قد استنفذ اغراضه بانتصار عبد الناصر على العدوان الثلاثى. ودعا أعضاء اللجنة المركزية هنالك إلى كونفرنس ناقش التقرير وفنده ورفضه بالإجماع).

كما التقينا أيضًا بأعضاء من «العصبة الماركسية»، وجاء هنا اللقاء عن طريق عبد الله كامل. وناقشت مجموعتنا هذه القضية على أساس إجراء وحدة بيننا والعصبة الماركسية واتجاه النضال الثورى. غير أننا رفضنا أن تكون الوحدة تحت اسم العصبة الماركسية. فقد كان من الشائع عنها وقتها أنها رفعت شعار «فلنحنى رؤوسنا للعاصفة» أثناء حملة صدقى عام ١٩٤٦. لكننا رأينا فى هذا الشعار صورة من صور الخوف التى لا تليق بالمناضلين وليس هنالك ما يلزمنا بأن نتحمل «عار» مثل هذا الشعار. واقترحنا أن يسمى التنظيم الجديد بنواة الحزب الشيوعى، أولا لأن ما يتشكل الآن تنظيم جديد، ربما تكون العصبة الماركسية هى مكونه الأساسى لكن هنالك مكونات أخرى أضيفت إليه، وثانيًا كى يكون الاسم معبراً عن إحدى المهام الرئيسية لهذا التنظيم ألا وهو تكوين الحزب الشيوعى المصرى. إذ نحن بداءة لسنا الحزب لكننا نواة هذا الحزب. وقُبل الاسم الجديد بعد جهد مع العصبة وأعلن تكوين منظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى، وأصبح عبد الله كامل عضوا بلجنتها المركزية وكذلك إبراهيم عرفه.

وقمنا بتسليم المكتبة التى لدينا وآلة كاتبة كان قد استولى عليها أحد زملاء مجموعتنا من مقر عمله، ورونيو بدائى (عزيزة).

لكننا فوجئنا بعد فترة قصيرة بفصلنا، بعد الاستيلاء على إمكانياتنا وربما كان ذلك بسبب ما كان بيننا وبين إبراهيم عرفه من احتكاكات حول أفكاره، وما كان بسبب إصرارنا على تغيير اسم العصبة. (وأقول ربما لأننا لم نعرف الأسباب مطلقا). وكان هذا السلوك صدمة عنيفة لنا. كان ذلك فى أواخر الأربعينيات (١٩٤٩). وقررنا تشكيل تنظيم جديد. أحسسنا أن الشيوعيين الذين يقولون بأنهم طليعة الطبقة العاملة، هم أنفسهم فى حاجة إلى طليعة.

«ونحن هذه الطليعة» وأسمينا أنفسنا «طليعة الشيوعيين المصريين» (وكما هو واضح فإن الاسم هنا يحمل بوضوح تحديا بورجوازيًا صغيراً).

طليعة الشيوعيين المصريين (ط.ش.م)

أسس منظمة الطليعة خمسة هم : فخرى لبيب، عبد الله كامل، محمد درويش مصطفى وحسن حسنى (المعروف باسم فوزى أبو شنب) ومنصور زكى وكان على المؤسسين أن يصيغوا رؤيتهم فى : استراتيجية وتكتيك وبرنامج ولائحة (كانت تلك الوثائق ضرورة للإعلام عن أى منظمة جديدة).

لا يمكن القول بشكل عام أنه كانت لدينا معرفة عميقة بالواقع المصرى. كانت هنالك معرفة عامة وتجارب معاشة ومناقشات متصلة منذ عام ١٩٤٦ : فهنالك حكم ملكى تسانده قوة رجعية من الإقطاعيين وكبار الرأسماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية، وهنالك الاستعمار البريطانى الذى يحتل بلادنا ويحمى هذه القوى حماية لصالحه كما تدعمه تلك القوى حماية لصالحها ولوجودها. وأن هنالك استغلالاً رأسماليًا للعمال فى الأجور وساعات العمل وحق العمل ذاته والبطالة. وهنالك استغلال بشع للفلاحين وسطوة بلا حدود للاقطاعيين أى أننا بصدد معركة ضد الاستعمار والاستغلال تتجسد فى خندق يضم الاستعمار البريطانى أساسًا والاستعمار الأمريكى الوافد والملكية والاقطاع وكبار الرأسماليين المرتبطين برأسمال الاجنبى. وكانت المعارك التى خضناها منذ عام ١٩٤٦ بمثابة دروس عملية عن من يجسد داخليا هذه القوى المعادية وهى أحزاب الدستوريين والسعديين ومصر الفتاة والحزب الوطنى (باستثناء جناح فتحى رضوان) والإخوان المسلمين، ورجال السراى مثل على ماهر ورجل الرأسمالية بقبضته الحديدية اسماعيل صدقى - والخندق المقابل هو الخندق الذى تحصن فيه الوفد بتراثه الوطنى الليبرالى وخاصة شباب الطليعة الوفدية (الرأسمالية المتوسطة) والكتلة أحيانا (الرأسمالية المتوسطة) والشيوعيين وغالبية النقابات والمثقفين الثوريين، والبورجوازية الصغيرة (والفلاحين).

هكذا امكننا من خلال الواقع الذى كنا نعيشه أن نحدد جبهتى الأعداء والحلفاء. هنالك حليف جوهرى للطبقة العاملة هو الفلاحون والذى يشكل حلفهما معًا. المحور الأساسى للجبهة

الوطنية فى مواجهة جبهة الأعداء. إلا أننى لا أزعم أننا كنا قد شاركنا فى نضالات فلاحية، حتى يكون ذكرنا للحلف العمالى - الفلاحى باعتباره محور الجبهة ذكرا يقوم على المعايشة والخبرة لقد عايشنا وشاركنا فى المحور الطلابى - العمالى، ولذا كان الحديث عن التحالف العمالي مع المثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية المتوسطة مسألة أفرزها الواقع والعمل النضالى ضد الاستعمار وحكومات الاقلية الرجعية. كانت فكرة الحلف العمالى الفلاحى. فكرة نظرية فى الأساس. وهذه الجبهة تقودها الطبقة العاملة وحزبها الشيوعى.

وتسعى هذه الجبهة إلى تحقيق التحرر الوطنى من الاستعمار عسكرياً واقتصادياً وإقامة حكم ديمقراطى شعبى (ديكتاتورية الشعب الديمقراطية) يقضى على جبهة الأعداء. ويصادر ممتلكات الرأسماليين المرتبطين بالغرب ويقضى على الاستغلال ويصادر أراضى الإقطاعيين ليوزعها على الفلاحين المعدمين، وتعمل من أجل السلام العالمى.

كنا نؤمن بأن هنالك ثورة على مرحلتين. مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ووضع أسس الانتقال إلى الاشتراكية، ثم المرحلة الاشتراكية. وفى ذلك كنا نختلف (كما كنا نعتقد) مع خط الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني (حدتو) إذ نراه يقف عن حد الثورة الوطنية الديمقراطية، كما كنا نختلف أيضاً عن خط المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م) الذى يهدف إلى تحقيق الاشتراكية مباشرة.

أما اللائحة فقد قامت على أساس المركزية الديمقراطية، وتنظيمياً رفض الشكل الفئوى فى التنظيم.

ووضعنا لنا قواعد خاصة بالتجنيد

(١) التوجه أساساً للعمال والفلاحين

(٢) لا تجنيد من المثقفين إلا للخيرة الثورية منهم.

(٣) عدم تجنيد الأجانب

(٤) عدم تجنيد الأقارب.

وأود بالنسبة للنقطة الرابعة، والتى قصد بها محاولة منع الشللية العائلية أن أذكر واقعة فقد تقدم لى نبيل صبحى (وهو ابن عمى) يطلب دخول التنظيم معنا، ورغم ثقتى فى نضاليته

وصلابته، إلا أننى اعتذرت له تطبيقًا لهذا البند، وإن ظلت علاقتنا متصلة. وقد فوجئت، يوم اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصرى ٨ يناير ١٩٩٨، بنبيل صبحى عضوا فى اللجنة المركزية عن حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى وهنا يعنى أن ذلك البند كان متشدداً ضاراً بالنمو التنظيمى).

كما تقرر إصدار مجلة داخلية (الطليعة) ومجلة خارجية (الصراع).

أما فيما يختص بقضية وحدة الشيوعيين، فقد شغلت حيزاً كبيراً من تفكيرنا. فقد كانت تجربة الانقسام مريرة، وكانت «حدتو» معمل تفريخ لا يكف عن الانفجار. ومن هنا كان تفكيرنا فى الوحدة يستبعد الاقتراب من حدتو (للخلافات السياسية والتنظيمية ووجود الإجانب) ومن م.ش.م لذات الأسباب أيضًا. كنا نؤمن بأنه من أجل أن نتحد لابد وأن تكون نقاط الاتفاق والاختلاف واضحة.

وكانت خطوط الوحدة لدينا محددة فى

(١) تبادل الوثائق (٢) تبادل المطبوعات

(٣) التنسيق فى مجالات العمل المختلفة، وخاصة العمالية، حيث إن إيماننا العميق بالوحدة كان مصدره الخشية الشديدة من انقسام الطبقة العاملة بسبب انقسام الحركة الشيوعية.

(٤) تشكيل لجنة وحدة تصدر مجلة تدير صراعا ايديولوجيا حول الوثائق والمواقف

(٥) عند نضوج الصراع يُدعى إلى مؤتمر عام ممثل للمنظمات المشاركة فى الوحدة لاعلان الحزب الشيوعى المصرى.

(٦) أننا لسنا بمفردنا أو غيرنا بمفرده هو الذي سيكّون الحزب الشيوعى المصرى.

وقد بدأنا العمل التوحيدى والتنسيقى مع نواة الحزب الشيوعى المصرى رغم ما حدث منهم معنا. فقد اعتبرنا أن الوقوف عند تلك المسألة دعم للانقسام واستمراره.

بعد تكوين طليعة الشيوعيين المصريين انضم الينا عمر مكاوى، كان طالبا فى كلية الطب شديد التدين. فما أن بدأت حرب فلسطين حتى ذهب هو ومجموعة من أصدقائه كمتطوعين إلى فلسطين للمشاركة فى قتال الصهيونية.

وهنالك اكتشفوا خديعة الأنظمة والدور الاستعمارى، وقد لعب الشيوعيون الشوام دوراً هاماً فى ذلك، ففكر عمر ومجموعته فى الذهاب إلى فيتنام لمحاربة الاستعمار غير أنهم قرروا العودة إلى مصر لمواجهة النظام المصرى على أرضه. وانضم عمر مكاوى ومجموعته إلينا.

كان انضمام عمر مكاوى دفعة كبيرة، بحماسه ونشاطه وتضحياته وبإمكانياته المالية. إذ كان له دخل شهرى (ربما عن ميراث) قدره ١٥ جنيهاً شهرياً. وكان هذا الدخل مقارنة بدخولنا كطلاب (٢,٥ إلى ٣,٠ جنيهاً) وموظفين صغار مبلغا كبيراً. وقد مكنتنا مساهماته من النشاط على محورين هامين : الجهاز الفنى والتثقيف.

كان معنا منصور زكى وهو عامل طباعة، وكلف بإعداد مطبعة حروف على أن يتم شراء مكوناتها على أجزاء، وعلى مراحل، ومن مناطق مختلفة، حتى لا يلفت الانتباه. ونجح منصور زكى نجاحاً كبيراً فى ذلك، وأعدت المطبعة على شكل مكتب، بحيث لا تثير أى انتباه فى وضعها العادى.

أما التثقيف ومتابعة الأفكار الماركسية (وكانت النظرية تسمى حينذاك بالنظرية «الماركسية اللينينية الستالينية وأفكار ماوتسى تونج»، وبعد موت ستالين سوف يصبح المسمى «النظرية الماركسية اللينينية». فقد كانت تلقى منا اهتماماً كبيراً. وبدأنا بإرسال قائمة بالكتب التى نريدها، أرسلناها إلى مكتبة معروفة بتقدميتها فى لندن، ومعها عشرة جنيهات إنجليزية. وارسلت المكتبة لنا ما طلبنا من كتب، ومعها عدد من الكتابات الصينية لماوتسى تونج ولى شاوشى وتينج هسياوبنج وغيرهم مثل «عن التناقض» «التناقضات فى صفوف الشعب»، «الصراع الداخلى فى الحزب»، «كيف تكون شيوعياً جيداً»، «الجبهة الوطنية» الخ، وإفادة بأن ثمن الكتب عشرون جنيهاً، أى أننا مدينون لهم بعشرة جنيهات. كان معنى ذلك أنهم قد فهموا من نحن فأمدونا بكتابات هامة لم تخطر على بالنا، وأننا محل ثقة. وبالفعل أرسلنا لهم بقية نقودهم وطلب بموالاتنا بما يستجد لديهم من مطبوعات.

وكانت تلك الكتابات بالنسبة لنا كنزاً ثميناً، فقررنا ألا نستأثر به وحدنا وأن نقوم بترجمة ما يمكن وطبعه على مطبعتنا وتوزيعه. احسسنا بعمق أن تلك الأفكار أقرب إلينا وإلى واقعنا وتجربتنا. وبالطبع كان أول من أعطيناهم هذه الترجمات هم نواة الحزب الشيوعى، فأطلقوا علينا اسم «الانتهازية الصفراء»، نسبة إلى الصينيين أو الصُفر.

كذلك كانت تطبع «الطليعة» و«الصراع» على المطبعة.واتسع نشاط المنظمة ما بين عمال النسيج وعمال النقل (الترام) وأصبح لدينا لجنة منطقة فى شبرا الخيمة ولجنة منطقة فى امبابة وكان صلاح هلال من أبرز عناصرنا بين عمال النسيج، ومحمود فرغلى سكرتير نقابة عمال الترام من أبرز عناصرنا بين عمال النقل حيث كان لنا ارتكازان قويان بين هؤلاء العمال فى مخزنى الجيزة والعباسية. كما بدأت تتواجد من خلال العناصر العمالية أو المثقفين (من أصول ريفية أو عاملين فى الريف) علاقات فلاحية فى بهتيم وأرياف طنطا وكفر الزيات.

وبعد انهيار م.ش.م انضمت إلينا عناصر قليلة منهم جنفيف سيداروس وقد خاضت المنظمة بالاضافة إلى المعارك السياسية والمطلبية اليومية معركتين اساسيتين.

معركة عمال مصنع الشرق بإمبابة. كان لنا وجود لا بأس به بمصنعى الشرق والشوربجى ومحدود فى المكوك الذهبى. وكان حسن حسنى هو مسئول منطقة امبابة التابعة لطليعة الشيوعيين المصريين. وهى معركة شارك فيها كل الشيوعيين الموجودين فى المصنع والمصانع المجاورة وكان لها دويها وآثارها على عمال النسيج.

معركة المليم لعمال الترام بالقاهرة. وكان عبد الله كامل هو مسئول هذا القطاع العمالى فى المنظمة. والجديد فى هذه المعركة بل والهام للغاية ايضاً، هو تقديم شكل جديد للاضراب. إذ لم يتوقف العمال عن العمل. ولكنهم سيروا مركبات الترام ببطء، ينقلون الركاب إلى أماكن عملهم أو حاجياتهم فلا يضار أحد بسبب هذا الاضراب، وهم لا يأخذون ثمن التذاكر إنما يقوم كمسارى كل عربة بشرح المشكلة للركاب. إن للعمال فى أجر التذكرة مليماً كحافز. وقد تجمعت آلاف الجنيهات حصيلة هذا المليم لكن الشركة ترفض صرفها للعمال. وقد أدى ذلك إلى تعاطف جماهيرى واسع مع الإضراب : شكل ضغطا شديدا على الشركة.

بعد معركة مصنع الشرق بإمبابة، بدأت تثور بعض المشاكل مع حسن حسنى ثم تفاقمت بسبب عدم متابعته للوضع التنظيمى الذى كان يفترض نموه بعد هذه المعركة لا خلخلته، وانتهى الأمر بتخفيضه من اللجنة المركزية وتصعيد عمر مكاوي (ليس صحيحًا أن عمر مكاوى قد وضع فى القيادة فور انضمامه كما جاء فى ص ٢١٥. من كتاب منظمات اليسار المصري ١٩٥٠ - ١٩٥٧ للدكتور رفعت السعيد).

ملحوظة : أود هنا قبل الاستطراد إلي المواقف السياسية وخاصة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن أبرز ملاحظة : أن كل التنظيمات التى ظهرت فى نشأة الجولة الثانية للحركة الشيوعية فى مصر، لم تكن اسماؤها تحتوى كلمة الشيوعية : الحركة المصرية للتحرر الوطنى - أسكرا - الديمقراطية الشعبية (طليعة العمال) القلعة - تحرير الشعب - الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وأن كلمة الماركسية ظهرت لأول مرة فى اسم العصبة الماركسية الخارجة على حمتو. ثميجيئ التكتل الثورى، وكأنما هو رفض لما كان قائما وغير ثورى(حدتو). ثم الانفجارات المتتالية وسوف نجد غالبيتها الساحقة تحمل كلمة الشيوعية والحزب الشيوعى، وكأنما ذلك إعلان عن رفض ما سبق باعتباره لم يكن شيوعية ولم يكن حزبا شيوعياً.

٢٣ يوليو ١٩٥٢

فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ جاءت حركة الجيش واستولت على السلطة وأفرج الضباط عن المعتقلين باستثناء المعتقلين الشيوعيين، وكان ذلك إعلانًا عن موقف معادٍ للشيوعية. وعين على ماهر رجل السراى ذو الميول الألمانية رئيسًا للوزراء. ومنح الضباط الإخوان المسلمين اكبر فرص للعمل فظهروا كأقوى قوة سياسية فى الساحة.

وكان السفير الامريكى هو الشخصية البارزة الاجنبية فى صدر الصورة مع قادة الضباط. واعلنوا أنهم حماة الدستور ثم ألغوه وحلوا الأحزاب وأبطلوا الحياة السياسية بفرض تنظيم هيئة التحرير. واقتحموا مصنع كفر الدوار بالدبابات ليخمدوا حركة العمال وأعدموا خميس والبقرى. وأعلن عن منح رأس المال الأجنبى ٥١٪ فى أى مشروع يشارك معه، وهى مسألة لم تجرؤ عليها أشد القوى رجعية.

لقد بدأت حركة الجيش بالعداء للشيوعية وللطبقة العاملة وللحياة الحزبية وكل أشكال الممارسة الديمقراطية، بل وانحياز لرأس المال الأجنبى. والقوى الظاهرة على الساحة السياسة هى قوى خندق الأعداء، رجل السراى على ماهر والإخوان المسلمون والسفير الأمريكى. وتتصاعد الحملات ضد الشيوعيين وتتفاقم الامور حتى هبة مارس ١٩٥٤ ليدفع النظام بمظاهرات تهتف بسقوط الديمقراطية. وقد يقول البعض ماذا عن إسقاط الملكية؟ وماذا عن الاصلاح الزراعى؟ والاجابة هل كنا نناضل من أجل جمهورية، أى جمهورية؟ أم أننا كنا

نناضل من أجل جمهورية ديمقراطية شعبية أو ديمقراطية وطنية؟ الجمهورية التى جاءت كانت نقيض ماناضلنا من أجله، جمهورية الديكتاتورية العسكرية المعادية للطبقات الشعبية، وأما عن الاصلاح الزراعى فقد أعلن يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢، وهو ذات اليوم الذى أعدم فيه خميس والبقرى. ألم يكن لذلك أى دلالة حينذاك؟ وأبطال التأييد (حدتو يساقون إلى السجون زرافات وفرادى، قيادة وقاعدة).

إن نزع الموقف من ملابساته والظروف التى أحاطت به لا علاقة له بالمنهج العلمى. كيف يمكن لمنظمة شيوعية أن تؤيد نظاما اتسم بكل تلك الصفات. كنا أمام انقلاب عسكرى، تجسد فى ديكتاتورية عسكرية أقرب للديكتاتوريات العسكرية الانقلابية فى أمريكا اللاتينية والتى تقف وراءها المصالح الأمريكية، وهنا فى الشرق الأوسط بدت المسألة وكأنها انقلاب عسكرى لإزاحة النفوذ الانجليزى وإحلال النفوذ الأمريكى محله.

ومن هنا كان موقفنا إزاء ٢٣ يوليو هو إسقاط الديكتاتورية العسكرية.

ضربة ١٤ ديسمبر ١٩٥٢

اتسع نشاط المنظمة بصورة لفتت إليها أنظار الأجهزة الأمنية حتى أن البكباشى حسن المصيلحى بإدارة مباحث القاهرة يكتب كما جاء فى كتاب منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ -١٩٥٧ للدكتور رفعت السعيد ص ٢١٧ «أن منظمة طليعة الشيوعيين المصريين قد نشطت فى غضون عام ١٩٥٢ وقامت وتمتد بنشاط واسع المدى فى نشر المبادئ الشيوعية. وكانت تصدر منشورات شيوعية فى المناسبات السياسية ونشرة دورية باسم الصراع».

ووجهت ضربة إلى اللجنة المركزية للمنظمة فى ديسمبر ١٩٥٢ قبض فيها على كل من عبدالله كامل ومحمد درويش مصطفى ومنصور زكي وعمر مكاوي. وأفلت من تلك الضربة إذ كنت أعمل حينئذ مدرساً فى طنطا (عندما تخرجت عام ١٩٥١، عينت مدرسا فى كفر الزيات للعامين الدراسيين ٥١-٥٢، ٥٢-١٩٥٣، ثم نقلت إلى طنطا وظللت هناك العام الدراسى ٥٣ -١٩٥٤).

وقد سقطت المطبعة فى هذه الضربة، وأصيبت المنظمة لفترة بحالة من الارتباك، إذ كان علينا تحمل مسئوليات كل من سقطوا فى الضربة. وتم تصعيد محمد محمود عثمان (لم

تنقطع صلتى بمحمد عثمان منذ لجان الكوليرا، وكان من أوائل من انضموا إلى طليعة الشيوعيين المصريين عند تأسيسها)، وزميل يعمل فى الوجه البحرى.

وتواصل نشاط المنظمة حتى جاءت ضربة ٢٩ مايو ١٩٥٤، وفى تقديرى أنها كانت بسبب النشاط الذى تزايد أثناء هبة مارس ١٩٥٤.

ضربة ٢٩ مايو ١٩٥٤

أوقعت هذه الضربة بى وبمحمد محمود عثمان وصلاح هلال، وكان صلاح حينذاك عاملا يافعا مناضلا نقابيا وسياسيا ممتازاً فى شبرا الخيمة قبض علىَّ البكباشى حسن المصيلحى واليوزباشى محمود مراد، فى كمين خارج مسكنى فى طنطا وكنت فى طريقى إلى مدرسة الاقباط التى أعمل بها مدرساً للطبيعة واقتادونى إلى مسكنى مما يدل على أنهم كانوا على معرفة به لتفتيشه ثم إلى المدرسة لتفتيش مكتبى والمعمل.

وحملتنى سيارة بها حسن المصيلحى ومحمود مراد إلى القاهرة وأثناء الطريق قال حسن المصيلحى موجها الحديث لى : «احنا كنا عارفين كل حاجة بتعملوها، حتى آخر رسالة بعتّها للسجن، وقايل فيها أن المنظمة تعمل وتنتشر ولها نشاطات موجودة عندى وسأريك إياها عندما نصل إلى القاهرة».

وتجاهلته تماما وكأنى ماسمعته. إلا أن ما قاله تفصيلا حينذاك كان صحيحًا وكان واردا فى آخر رسالة أرسلتها للزملاء فى سجن مصر. كانت الرسالة تتحدث عن توسع نشاطاتنا فى المجالات المختلفة دون أن نذكر ما يمس الأمان. وفكرت سريعًا فى أنه يستهدف إضعاف معنوياتى باعتبار أن الإنكار غير مجد لأنهم يعرفون كل شئ، كما يستهدف أيضًا إثارة الشك فيما بينى وبين الزملاء داخل السجن، وكذا الزملاء فى الخارج: فأنا لم أكن أدرى من الذى قبض عليه بعد، مما يستهدف هزى واضعاف إرادتى. وقررت استبعاد هذه المسألة تماما من حساباتى. إلا أننا عندما وصلنا القاهرة لم يرنى الرسالة ولم اسأله أنا عنها. وعندما وصلت سجن مصر (قرة ميدان) سألت الزملاء عن هذه الرسالة ووجدتها لديهم، وكان معنى ذلك أنها قد مرت عليه قبل تسليمها إلى الزملاء. كان مسئول الاتصال بالسجن زميل عامل من شبرا الخيمة، وقد أبلغنا ذلك إلى حسن عثمان (شقيق محمد عثمان)، الذى أبلغنا فيما بعد أن هذا

العامل قد تم فضحه واستدراجه إلى مكان خلاء حيث قام الزملاء بتأديبه.

القضية الأولى عام ١٩٥٢ لم يحاكم فيها عمر مكاوي وكان في طريقه للإفراج عندما قبض علينا، والقضية الثانية عام ١٩٥٤ لم يقدم فيها صلاح هلال للمحاكمة وأفرج عنه بعد إعلان قرار الاتهام.

المحاكمة

قدمت أنا ومحمد عثمان للمحاكمة وكانت التهمة الموجهة إليّ «تأسيس وإدارة» ورحلنا إلى سجن الاستئناف، وكان معنا قضية فوزي حبشي (النجم الأحمر)، وقضية نسيم يوسف وشوقي مجاهد (طليعة العمال) أي أننا كنا ثلاث قضايا أمن دولة وكان رئيس المحكمة عبد اللطيف .... وكنا قد أعددنا أنفسنا لمواجهة المحكمة ولم يكن هنالك اعتراف بالعضوية أو الوضع التنظيمي، ولكن كان بمثابة دفاع سياسي عن خط المنظمة. وقد قسم الدفاع بيني وبين محمد عثمان إلى السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وكان على كل منا أن يعلن تبنيه لما يقوله الآخر.

امتلأت قاعة المحاكمة بأهالينا والأهالي حتى اكتظت وجرت المحاكمة في غرفة المداولة أي لم تكن علنية. عند بدأ المحامي المنتدب الدفاع عني وكان يبدو كالنائم، طلب منه رئيس الجلسة الإيجاز. كان إذا قال إن المضبوطات لا تخصني، أكمل رئيس الجلسة : وليست بخط يده. وكانوا قد وجدوا عندي إطار الرونيو الخشبي (عزيزة). فعندما بدأ المحامي تناول هذه النقطة، قاطعه رئيس الجلسة : وليس هذا برونيو، وعاد المحامي إلى غفوته. إلا أنه استيقظ تمامًا عندما بدأنا تقديم دفاعاتنا السياسية. كنا قد طلبنا في بداية الجلسة أن تسمح لنا المحكمة بالدفاع السياسي عن أنفسنا، ورحب رئيس الجلسة بذلك. وكنا قد طلبنا ممن انتدبا للدفاع عنا أن يقتصر دفاعهما على الجانب القانوني فقط وحذرناهما من التعرض للجانب السياسي. وطلب محامٍ من المحكمة أن توقفني عن الاستمرار فيما أقول. فرد عليه رئيس الجلسة بأن هذا حقه، وإن أردت إيقافه فعليك أن تسد فمه. وخرج المحامي ليقول لأهلنا «إننا قد ضيعنا أنفسنا ورحنا في داهية».

انتهت محاكمتنا وخرجنا إلى القفص، كانت معنوياتنا عالية، وكنا نتوقع أحكامًا تتراوح

ما بين خمس أو سبع سنوات.

انتهت محاكمة القضايا الثلاث. وكنا قد اتفقنا مع بعضنا علي ضرورة الهتاف بعد صدور الاحكام. وكان ذلك مخاطرة كبرى. إذ أن إحدى المحاكم أصدرت أحكاما إضافية بعد اعلانها الأحكام الأساسية بتهمة جديدة مبتكرة هى «الهمهمة». إذ يبدو أن بعضًا ممن صدرت ضدهم الأحكام «همهم» محتجًا فصدرت ضدهم تلك الاحكام بثلاث سنوات. ولذا قررنا أن من يأخذ منا أشد حكم يبدأ الهتاف ويرد الباقون. وقد أخبرنا الأهالى بذلك وطلبنا منهم عدم الهتاف معنا، حتى لا يتعرضوا للمساءلة القانونية.

وصدرت الأحكام على الجميع بالسجن ثلاث سنوات، ما عداى ثلاث سنوات اشغال شاقة. وما أن انتهى رئيس الجلسة من اعلان الأحكام حتى بدأت الهتاف. فقد كان الحكم الصادر ضدى هو أشد الأحكام فيما بيننا : تسقط الديكتاتورية العسكرية، عاش كفاح الشعب المصرى، عاش كفاح الطبقة العاملة، عاش كفاح الشيوعيين، عاش الحزب الشيوعى المصرى، وفوجئنا بالأهل جميعا يرددون الشعارت وراءنا وجلجلت قاعة المحكمة بالهتاف، وانسحبت هيئة المحكمة فى الحال . وارتفعت الزغاريد فقد كان الحكم غير متوقع على الاطلاق، كان أقرب إلى الإفراج، إذ كنا جميعا، على وجه التقريب قد قضينا قرابة نصف المدة أو يزيد. ووزع الأهل الشربات والحلوى. كان الأهل قد اتفقوا معًا أيضًا على أن يرددوا هتافاتنا من بعدنا، على عكس ما طلبنا منهم، حماية لنا.

كان القاضى رائعا وكانت المحاكمة رائعة وكان الأهل قمة فى الروعة كانت مظاهرة أكثر منها محاكمة.

وانتظرت فى سجن القناطر حتى تم التصديق علي الحكم. وتم ترحيلى ومحمد المنشاوى والمغاورى إلى ليمان طرة فى طريقنا إلى سجن جناح بالواحات الخارجة، وكان ذلك فى فبراير ١٩٥٦.

معركة الوحدة وتكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد

بدأت محاولات الوحدة بتلك التي جرت بين طليعة الشيوعيين المصريين ونواة الحزب الشيوعى المصرى من جانب وبين نواة الحزب والنجم الأحمر من جانب آخر. وكانت تلك

المحاولات تستبعد حدتو كما سبق وقلت. غير أن هذه المحاولات أجهضتها الضربات البوليسية التى وجهت إلى تلك المنظمات.

وكان اللقاء فى سجن مصر، حيث كانت غالبية القيادات هنالك وكان اللقاء بكادرات حدتو وقيادتها وكذا اللقاء بخروج جديد على حدتو هو التيار الثورى حدتو (ت.ث.حدتو)، وكذا منظمة وحدة الشيوعيين ممثلة فى محمد المستجير.

كانت طليعة العمال موجودة أيضًا بمسئولية لمعي المطيعى ولكن فى أعداد قليلة، مع عدم وجود عناصر قيادية، وكانت هنالك أيضًا منظمة الحزب الشيوعي المصرى بعدد لا بأس به وبعناصر قيادية.

بدأت المعركة فى تقديرى باتفاق منظمات : نواة الحزب الشيوعى، طليعة الشيوعيين المصريين، النجم الأحمر، ت.ث. حدتو، وحدة الشيوعيين، على أهمية الوحدة وتكون الحزب الشيوعى على أساس صراع مفتوح من خلال ندوات ولقاءات مفتوحة للكافة، وكان الجزء الأكبر من الكادر الاساسى فى سجن مصر.

وكان موقف حدتو السياسى قد تغير من التأييد إلى المعارضة لحركة الجيش وكان اللقاء بكادرات حدتو هامًا للغاية إذ كانت الغالبية منهم تسعى بحق إلى الوحدة ولا تكاد تختلف سياسيا فى فكرها عن أفكار المنظمات الخمس الأخرى. كما كانت كادرات حدتو مثلها مثل الآخرين لها نضاليتها ومواقفها أمام المحاكم، مما غير صورة حدتو فى رؤيانا.

أما قيادة حدتو فكانت تناقش بأن المنظمات الخمس إنما هى انقسامات على حدتو وعليها أن تدين وتنقد نفسها وتعود إلى حدتو الأم. وكان الرد على ذلك أنه ربما توجد أعداد ضئيلة من قيادات هذه المنظمات تراجدت بمنظمة حدتو إثر وحدة اسكرا ، ح.م. إلا أن هنالك عضوية جديدة هى الغالبة ولا علاقة لها بحدتو أو غيرها، وعلى قيادة حدتو أن تعالج الوضع كما هو لا كما تريد (نظرية النمو الذاتى).

ونجح ضغط كادرات حدتو فى قبول حدتو الجلوس مع الآخرين فى لجنة وحدة تناقش السبيل إلى تكوين حزب شيوعى.

أما ممثلو منظمة طليعة العمال فقد هاجموا الوحدة باعتبارها وحدة المتمركسين الانتهازيين،

وهاجم ممثلو منظمة الحزب الشيوعى المصرى الوحدة باعتبار أنهم هم الحزب الشيوعى المصرى ولا شيوعية خارج الحزب (حزبهم) وأن ما يجرى إنما هو وحدة عملاء البورجوازية.

وكان بالسجن أيضاً بقايا منظمة م.ش.م متمثلة فى سعد الطويل ونيقولا غازيس اليونانى وبرير محمد حامد السودانى، وكان الثلاثة مقاطعين لكل الشيوعيين حولهم على أساس بوليسية من هم غيرهم.

هكذا بدأت اللجنة أعمالها وكان رفعت السعيد هو سكرتير اللجنة.

دعم الموقف التوحيدى ما جاء على لسان بالم دات سكرتير الحزب الشيوعى الانجليزى فى مؤتمر الأحزاب الشيوعية في المستعمرات البريطانية، فى لندن، حيث قال ما معناه إن الشيوعيين المصريين يتصارعون فيما بينهم بأكثر مما يصارعون السلطة .. وأنه لا ينقصهم غير الوحدة. فقد اعتبر هذا القول قولا أمميًا يدين الانقسام ويدعو إلي الوحدة.

كما لعب الحزب الشيوعى الفلسطينى برئاسة فخرى مكى حينذاك دوراً دافعًا فى المعركة.

كانت نقاط الاتفاق والاختلاف تطرح على مجموع المسجونين الشيوعيين، ويدار حولها نقاشات يشارك فيها الجميع. وكانت التنظيمات، بما فى ذلك التنظيمات المضادة للوحدة، تذيع بعد تمام السجن بيانات تلقى فى شراعات أبواب الزنازين ليسمعها الكافة. كانت معركة حقيقية مفتوحة على مصراعيها. وهنا يجب أن اسجل ملاحظة هامة وهى أن مندوب حدتو كان يرى فى الوثائق مجرد أوراق (ورق، ورق)، وأن «الواقع» سوف يغير كل شئ. كانت الوثائق السياسية والبرنامجية واللائحية بالنسبة للجميع بما فيهم غالبية كوادر حدتو هى ميثاق الوحدة وميثاق القيادة مع القاعدة وميثاق الحزب مع الشعب.

واستمرت المعركة حتى نضجت تماما. فقد تم الاتفاق على كل الوثائق وعدد اعضاء اللجنة المركزية والتى أصرت المنظمات غير حدتو، ألا تكون لحدتو فيها الأغلبية، ولم تكن تلك مسألة تنظيمية بقدر ما هى سياسية، حتى لا تتعرض الأسس السياسية التى تم الاتفاق عليها للتغيير بتصويت حدتو منفردة وما كان لمثل هذا الشرط أن يتحقق إلا بضغط شديد من كادر حدتو وموجة الوحدة العارمة.

ولم يعد باق غير إعلان الحزب.

غير أن جديداً بدأ يطرأ على المعركة. بدا وكأن قيادة حدتو تسعى للانسحاب منها. كانت غالبية القيادة ترى فى معركة الوحدة هزيمة سياسية وتنظيمية لها. وبدا نوع من الخلخلة في موقف النواة. أما وحدة الشيوعيين فقد أعلنت أنها ليست موجودة فى لجنة الوحدة وأن محمد المستجير لا يمثلها ولا يمثل غير نفسه.

وأحسسنا أنه لابد من خطوة حاسمة تشل تردد النواة وتسد الطريق أمام قيادة حدتو وماتتجه إليه. وكان أن قررنا إعلان الحزب. الشيوعى المصرى الموحد فى ٥ فبراير ١٩٥٥، من منظمات طليعة الشيوعية المصرية والنجم الأحمر والتيار الثورى حدتو، ونواة الحزب الشيوعى مع إعلان مبدأين أساسيين :

١ - أننا ملتزمون، فيما يخص حدتو، بكل ما تم الاتفاق عليه سياسيا وتنظيميا.

٢ - أن الحزب الشيوعى المصرى الموحد خطوة هامة على طريق توحيد كل الحركة الشيوعية (منظمة الحزب الشيوعى المصرى ومنظمة طليعة العمال)

واقيمت الافراح احتفالا بإعلان الحزب. وانحسر التراجع وبدأت معركة عاتية مع غالبية قادة حدتو من داخل القيادة، ومن القيادة المؤقتة فى الخارج، ومن كادر حدتو.

إن حدتو لم تكن من المنظمات التى شاركت فى إعلان الحزب الشيوعى المصرى الموحد فى ١٩٥٥/٢/٥.

وانضم محمد المستجير للحزب فور إعلانه بصفة فردية وكذلك نيقولا غازيس والزميل السودانى من م.ش.م وطالب زملاء، لهم أهميتهم من حدتو بدخول الحزب، غير أننا لم نقبل بهذا، مع تقديرنا لموقف هؤلاء الزملاء.. أن وجودهم داخل حدتو كان أجدى وأنفع لمعركة الوحدة وفرض دخول قيادة حدتو فيها. إذ كان انتصار هذه الجولة من الوحدة يتحقق عندما لا تظل بعدها. أى من التنظيمات التى دخلتها،وخاصة حدتو، وإلا كان ذلك فشلا. على نحو ما للمعركة. واعلنت قيادة حدتو بعد حوالى شهر، وأمام ضغوط كادت أن تؤدى إلى انفجارات، قبولها دخول الحزب الشيوعى الموحد. وبذا اكتمل «الموحد».

كانت وحدة الموحد خطوة هامة وتاريخية وناضجة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. وكان اشتراك غالبية قيادة حدتو فى المعركة حتى إنجاز الوحدة هو دخول إكراه لا قناعة.

تعليقات على شهادات

أولاً : يقول مبارك عبده فضل فى شهادته الواردة فى كتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» للدكتور رفعت السعيد ص ٣٦٩ :«وتكونت اللجنة المركزية للموحد من ممثلين لكل منظمة من المنظمات الصغيرة .. طليعة الشيوعيين : ومثلها فخرى لبيب - عبد الله كامل - محمد عثمان (والثلاثة داخل السجن) » والصحيح أنهم كانوا: فخرى لبيب - عبد الله كامل - وعمر مكاوى. وتجئ مداخلة رفعت السعيد فى كتابه «منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧ ص ٢٥٣ أن الثلاثة من ط.ش.م كانوا : فخرى لبيب - عبد الله كامل - عمر مكاوى وهذا صحيح، غير أن تعقيبه الذى يلى ذلك والذى يقول :«ونلاحظ أن كلا من حدتو ت.ث، ط.ش.م قدمت كل قياديها من داخل السجن بما يوحى بحقيقة وضعتهم فى الخارج». (الخط من عندى) فغير صحيح، أولاً : لأن عمر مكاوى كان من خارج السجن، حيث لم يقدم للمحاكمة مع قضية عبد الله (١٩٥٢) وخرج فى منتصف ١٩٥٤. وكذلك خرج صلاح هلال بعد قرار الاتهام الذى وجه إلىّ ومحمد عثمان (قضية ١٩٥٤)، وكان بالخارج أيضاً الزميل المركزى الذى صعد بعد ضربة ١٩٥٢ كما أن أحدا من أعضاء المنظمة العاديين لم يقبض عليه.

ولذا فإن تعليق رفعت السعيد لا يستند البتة إلى أى أساس واقعى أو تاريخى، إنما هو وجهة نظر مقدمة باعتبارها تاريخا.

وإذا كان تقديم كل المركزيين من داخل السجن يوحى (كقاعدة) بحقيقة وضعية هذا التنظيم أو ذاك فى الخارج، فلماذا لم تطبق نفس القاعدة على حدتو التى قدمت كل قياديها من داخل السجن. باستثناء هنرى كورييل الموقوف العضوية ومحمد الجندى الذى كان يعيش خارج مصر «ويوشك أن يعود سرا إلى الوطن»؟ (الخط من عندى) أم هل القواعد انتقائية تطبق هنا ولا تطبق هناك بما يسقطها فى أى دراسة تاريخية منهجية!!

ونأتى إلى الشهادة الثانية والخاصة بأعضاء حدتو فى اللجنة المركزية للموحد يقول مبارك عبده فضل فى كتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» للدكتور رفعت السعيد ص ٣٦٩، «أما حدتو فقد مثلها ١١ عضوا فى حين مثلت كل المنظمات الأخرى مجتمعة بـ ١٢ عضوا فى اللجنة المركزية.....

«وكان ممثلو حدتو فى اللجنة المركزية : زكى مراد - محمد شطا - مبارك عبده فضل - أحمد الرفاعى - محمد على عامر- طاهر البدرى - محمد يوسف الجندى - شهدى عطية - هنرى كوريل (يونس وقد اتفق على أن تظل عضويته معلقة لحين بحث مشكلته) - ابراهيم عبد الحليم - فؤاد حبشى . وتقرر تحت ضغط الآخرين استبعاد كمال عبد الحليم من القيادة».

الملاحظة الأولى أن الرقم صحيح عدديًا (١١ عضوا) لكن الملاحظة الثانية والهامة بحق هى أن مبارك عبده فضل لم يذكر اسم سعد رحمى ضمن الـ ١١ فى حين أنه ليس من السهل سقوط اسمه سهوا أو بسبب الذاكرة فقد كان سعد رحمى عضوا باللجنة المركزية لحدتو، ثم عضوا باللجنة المركزية للموحد، فاللجنة المركزية بالمتحد ثم اللجنة المركزية للحزب الواحد فى ٨ يناير ١٩٥٨، واستمر به منفردا دون كل قيادىّ حدتو الذين خرجوا فى الانقسام، بل استمر به حتى حل الحزب. وسعد رحمى لم يكن عضوا عاديًا بالحركة الشيوعية كان مناضلا قدم أغلى التضحيات وله دوره المشهود فى معرفة المقاومة ببورسعيد وله مواقفه البارزة فى محاكمات الشيوعيين.

كيف سقط اسم سعد رحمى؟ ياترى من الذى حل محله فى قائمة مبارك، الصحيحة عدديا وغير الدقيقة فى الاسماء والاشخاص؟

يقول رفعت السعيد فى كتابه «منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧» ص ٢٥٣» وكان الاتفاق قد تم على أن تشكل ل.م. من :

«عشرة أعضاء من حدتو تعلق عضوية أحدهم هو يونس.

، أى أنه من الناحية العملية كان هنالك ٩ أعضاء من حدتو، خاصة المنظمات الأخرى. ويبقى أن نذكر الأسماء ..

- حدتو : زكى مراد - فؤاد حبشى - مبارك عبده فضل - محمد شطا - أحمد الرفاعى - محمد على عامر - سعد رحمى - محمد الجندى (وكان يوشك أن يعود سرا إلى الوطن بعد أن غادره سرا عقب هربه من السجن).»

الملاحظة الأولى : أن الرقم لم يكن عشرة ولكن أحد عشر .

الملاحظة الثانية : أن العدد المذكورة أسماؤهم ثمانية وليس تسعة حسب قوله باعتبار أن العاشر هو يونس موقوف العضوية باللجنة المركزية.

إذن فالعدد ينقص واحدا (عشرة بدلا من أحد عشر) والاسماء المذكورة تنقص واحدا (تسعة بما فيهم يونس بدلا من عشرة).

فيكون النقص الاجمالى اثنين، واحد فى العدد وواحد في الأسماء.

الملاحظة الثالثة : هى أن قائمة رفعت السعيد أضافت سعد رحمى (وهذا صحيح) واسقطت ثلاثة اسماء من قائمة مبارك عبده فضل هم : طاهر البدرى - شهدى عطية - ابراهيم عبد الحليم.

فأى القائمتين هى الصحيحة، خاصة وهما صادرتان عن مبارك عبده فضل ممثل حدتو فى لجنة الوحدة ورفعت السعيد سكرتير لجنة الوحدة ومن حدتو أيضًا ؟

ومن هما الاسمان الحقيقيان اللذان سقطا من القائمتين؟

فى تقديرى، وهذا استنتاج شخصى، أن القائمتين صحيحتان باعتبارها قائمتين مركزيتين. ولكن كل قائمة منهما تعبر عن شئ مختلف. قائمة رفعت السعيد هى القائمة التى قدمت إلى الموحد وعليه أن يستكملها بالاسماء الصحيحة. والقائمة الثانية قائمة مبارك عبده فضل هى قائمة اللجنة المركزية لحدتو، والموازية للجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد. أى أن حدتو لم تحل نفسها عندما دخلت الموحد وتندمج فيه كجزء من مكوناته، لكنها دخلت فى شراكة مع الآخرين فيما يسمى بالحزب الموحد، مع الابقاء على قيادة حدتو كما ذكرها مبارك عبده فضل. ودليلى على هذا الاستنتاج هو غياب اسم سعد رحمى من قائمة مبارك عبده فضل حيث كان ينظر إليه باعتباره فى الأساس «مشمشيًا» (من المنظمة الشيوعية المصرية) وليس «حدتاويا» أصيلاً يحافظ على نقاء «التيار التاريخى».

ودليلى الثانى على هذا الاستنتاج ما جاء فى شهادة مبارك عبده فضل فى كتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» للدكتور رفعت السعيد ص ٣٧ : «وبعد فترة بدأت المواقف تتحدد بشكل أوضح .. ومن جديد عاد التألق إلى تاريخ ومواقف وكوادر حدتو : **والحقيقة أنه بعد خروج المعتقلين** بدأ رفاق حدتو فى حملة نشاط جماهيرى واسعة أذهلت شركاءنا في الموحد. وبدأت حملة احتضان لهم ودفعهم إلى أحضان الجماهير، فتغيرت مواقف كثيرة، وأصبح الكثيرون منتمين إلينا فكريا وسياسيا وتنظيميًا، بعد أن كانوا خصوما أشداء، ومن هؤلاء، **أحمد خضر** - فخرى لبيب - حسين غنيم - بهيج نصار - **محمود العالم... الخ.**

إن هذه الفقرة فى الحقيقة تبين بجلاء، لا غموض فيه أن قيادة حدتو (كما ذكرها مبارك عبده فضل باعتبارها جزءاً من قيادة الموحد) لم تحل حدتو ولم تندمج البتة فى الحزب الموحد لتصبح جزءاً منه. الكلام هنا عن تاريخ ومواقف وكوادر حدتو، وعن الكثيرين من شركائهم فى الموحد (شركة لا وحدة)، قد انتموا إلى حدتو فكريا وسياسيا وتنظيمياً، وأن ذلك قد جرى باحتضان حدتو لهم، ودفعهم إلى أحضان الجماهير (صورة غريبة عن أحضان حدتو وأحضان الجماهير)، مما يعنى التجنيد من الآخرين الشركاء إلى حدتو، حيث يتحقق الانتماء السياسى والفكري والتنظيمى، والانتماء الأخير يجزم بمعنى التجنيد لحساب حدتو (كما تخيلوا).

يبدو أن غالبية قيادة حدتو التاريخية، وقائمة مبارك عبده فضل، التى كانت تعتبر الموحد هزيمة سياسية وتنظيمية لها، قد عالجت هذه الهزيمة بدخول الموحد باعتباره تجمعا لشيوعيين من أبنائها السابقين، وعليها استعادتهم بإعادة تجنيدهم من داخل هذا الشكل استمراراً لنظرية النمو الذاتي، حتى «تغير المناخ واتجهت الرياح لصالح حدتو» (المرجع السابق ص ٣٧٠).

أما فيما يختص بالانتماء الفكرى والسياسى والتنظيمى لأحمد خضر وفخرى لبيب .. الخ لحدتو، فإننى أود توضيح أنه بعد إعلان الموحد، وحتى حل الحزب الشيوعى (٨ يناير ١٩٥٨)، لم يكن لى انتماء تنظيمى أو فكرى لا لحدتو ولا لغيرها، لقد كنت عضوا أنتمى سياسيا وفكريا وتنظيمياً لطليعة الشيوعيين المصريين، وبحل هذا التنظيم واندماجه فى الموحد لم يعد لى انتماء تنظيمى لغير الحزب الذى أنا فيه، أى أننى لم أكن ألتزم بغير قرارت الحزب الذى أنا فيه، ولا علاقة لى البتة بأى التزامات موازية فى قيادات موازية مازالت تعمل بفكرها الانقسامى. إنما حددت مواقفى عن اقتناعى بما أراه فى مصلحة الشعب المصرى ووحدة الشيوعيين المصريين. إن ما أسماه مبارك عبده فضل بانتمائى السياسى لحدتو، فهو مسألة غير واردة، إذ أن تصورى حينذاك أنه لم تعد هناك حدتو ولا غيرها، ولكن هنالك الحزب الشيوعى المصرى الموحد، ونحن جميعًا أعضاء فيه، وموقعنا فى اللجنة المركزية كأعضاء قياديين يحتم علينا تناول أى متغيرات سياسية أو اقتصادية واجتماعية واتخاذ موقف منها يتفق ومصلحة الشعب. فإن حدث لقاء على موقف معين في اللجنة المركزية فهذا لا يعنى انتماءً سياسيًا لتنظيم سابق، إنما هو لقاء أو اتفاق سياسى من خلال أغلبية وأقلية داخل هذا الحزب الجديد. أما بالنسبة للأرضية الفكرية لحدتو والتى انتهت إلى المجموعة الاشتراكية أو

أرضيـات فكرية أخرى انتـهت إلى طريق التطور اللارأسـمالى، فـإننى لم أكن على تلك الأرضيات الفكرية على الاطلاق.

ودليلى الأخير على هذا الاستنتاج هو أنه رغم الموحد/ والمتحد / والحزب الواحد فى ٨ يناير ١٩٥٨، إلا أن الانقسام الذى خرج من الحزب فى منتصف عـام ١٩٥٨ عـاد إلى اسم حدتو، أو على الأصح أعلن حدتو التى لم تحل ولم تندمج فى أية وحدة.

الحزب الشيوعى المصرى المتحد ٢٨ يونيو ١٩٥٧

أفرج عنى قبل إعلان الحزب المتحد بحوالى شهر (٢٩ مايو ١٩٥٧). وكنا فى سجن جناح بالواحات بعيدين إلى حد كبير عن تفصيلات الوحدة. ويمكننى أن أقول ملخصاً إننى لم أحس بهذه الوحدة، كما أحسست بوحدة الموحد من قبل أو بوحدة ٨ يناير ١٩٥٨ فيما بعد.

إن أهم حدث وقع لى بعد خروجى من السجن هو عرض اللجنة المركزية للحزب الموحد علىّ، أن اتفرغ سياسيا وأن أكون محترفاً ثورياً. وكان أمامى عرضان بالعمل أحدهما فنى جيولوجى والآخر إدارى ومرتب كل منهما أضعاف أضعاف مرتب المحترف. لكننى اعتبرت التكليف بالاحتراف ميلاداً جديداً وثقة من الحزب يعتز بها المناضل ويرى فيها صورة من صور التقدير الثورى العميق.

وكان عملى باللجنة المركزية للموحد ثم المتحد، هو متابعة الظروف الحياتية للزملاء المسجونين وأسرهم. كان مثل هذا النوع من العمل جديدا علىّ، فقد اعتدت العمل التنظيمى والجماهيرى والفكرى. وربما كنت أنا من أوحى بفكرة هذه المسئولية، حيث إن الرفاق فى الداخل، هؤلاء الذين فى قبضة السلطة، والذين يشكلون خط صدام أمامى معها، مع الأجهزة الأمنية وأجهزة التحقيق وأجهزة الإدانة، يواجهون كل ذلك بشجاعة وبسالة، ليست فى الموقف والمواجهة فقط، ولكن فى تبعات ما يصدر من أحكام طويلة ضدهم. أحكام تمتد إلى عشر سنوات أشغال شاقة، فيفقدون وظائفهم ومصدر رزقهم، ويتركون فى الخارج أسرهم عرضة للضغط والاضطهاد والمطاردة. وبدلا من أن يكونوا عونا لأسرهم يصبحون عبئا عليها، فللسجين احتياجات.

إن أقل ما يجب أن يقدمه الحزب إلى ابنائه الذين سجنوا هو رعايتهم فى السجن ورعاية

أسرهم فى الخارج. إن هذا الواجب ليس واجبا أخلاقيا وإنما هو واجب والتزام سياسى.

ولذا كان لابد من الارتفاع بالمسئولية، والتى كانت تمارس بصور مختلفة من قبل، إلى مستوى المهام المركزية والمسئوليات المركزية.

ومن هنا فإننى عندما بدأت المسئولية لم أبدأ من فراغ، وإنما بدأتها وهنالك قنوات لها وقواعد أيضاً، ربما متناثرة هنا أو هناك، تتحرك بعفوية مرة وبطريقة منظمة مرة أخرى، لكنها موجودة وتعمل. كان لابد من تحديد الاحتياجات ومن ثم المهام:

هنالك فى الداخل احتياجات للعائلات، احتياجات معيشية فى الأساس، أو صحية، غير أن كل ذلك كانت تحكمه الإمكانيات المتاحة. والامكانيات الحزبية محدودة. ومن هنا كان لابد أن يكون الاعتماد الأساسى على تبرعات الزملاء والأصدقاء.

كنا نحصل على الأدوية للداخل والخارج، من الزملاء الصيادلة وكان أبرزهم محمد الخفيف وسعد بهجت. والكتب من دور النشر وخاصة دار الفكر (ابراهيم عبد الحليم). دار الديمقراطية (محمد سيد أحمد) ودار النديم (لطف الله سليمان).

أما المواد الغذائية. فقد كنا نجمع بعضها كتبرعات عينية (معلبات أو نقود)، وأذكر أننا كنا فى سوق روض الفرج نشترى أقفاص فاكهة لإرسالها للزملاء فى الواحات، وعندما علم التاجر الذى نشترى منه بذلك رفض بشدة أخذ أي نقود واعتبر هذه الفاكهة مساهمة منه أو هدية منه إلى الزملاء.

وكنا أيضاً نلجأ إلى جهود خاصة منا تستهدف تحقيق دخل، مثل تنظيم رحلات إلى القناطر الخيرية واستئجار بوفيه الباخرة لإدارته لحسابنا، لتقديم الساندوتشات والمشروبات، وكانت زوجات الزملاء أو أمهاتهم والزميلات يقمن بتلك المهمة على أفضل وجه.

وكان هنالك عدد من الأطباء الزملاء والأصدقاء نلجأ لهم عند الحاجة لمتابعة طبية لأى من أفراد أسر الزملاء المسجونين.

وإلى جانب تلك النشاطات المعيشية فى الأساس، هنالك النشاط السياسى المتواصل المطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين ووقف سياسة العداء للشيوعية التى تمزق الجبهة الداخلية ولا تخدم غير الاستعمار والقوى الرجعية.

كذلك هنالك الجانب القانونى فى توفير محامين زملاء وأصدقاء للدفاع عن الرفاق الذين

يقدمون إلى المحاكم.

كذلك كان على لجنة المسجونين السياسيين المركزية، أن تدعم الأعمال النضالية داخل السجون دفاعا عن الظروف الحياتية والمعيشية للرفاق وحشد العائلات وتحريكهم فى وفود النقابات والاتحادات وللضغط على مصحة السجون والمباحث العامة، مما كان يحقق الكثير والكثير للغاية حماية للرفاق المسجونين.

إن تشكيل هذه اللجنة كان يقوم على عناصر أساسية سواء، كانت أعضاء، أو غير أعضاء بالحزب مثل فتحية الطوخى، عايدة إبراهيم، عفت الشال، ليلى عبد الحكيم.

وأيضًا على تعاون عناصر ثابتة من زوجات الزملاء، وامهاتهم مثل زوجة محمد شطا، وزوجة أحمد طه وزوجة سيد ندا، ووالدة محمد عثمان، ونسيم يوسف، والعطارين، والشعراوية.

وزوجات وأمهات أخريات عديدات طبقًا لظروف وأوضاع المسجونين.

وهذا العمل يحتاج فى الحقيقة إلى دراسة خاصة مستفيضة.

شهادة

فرنسيس كيرلس

البيانات الشخصية

الاســــــم : فرنسيس لبيب كيرلس

تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٣٥/١٠/٥ - القاهرة - جزيرة بدران

المؤهلات الدراسية : ليسانس اجتماع وعلوم نفسية

المـــهـــن : مدير عام في الهيئة القومية للتأمينات الاجتماعية (آخر درجة وظيفية قبل الإحالة إلى المعاش)

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٧ سنة

فترات السجن والاعتقال : أكثر من عشر سنوات كما يلي :

١ - من ١٩٥٣/٢/٢٨ إلى ١٩٥٤/١/١٤.

ثم فترة هروب من ١٩٥٤ حتى بداية العدوان الثلاثي

٢ - سجن من ١٩٥٨/٨/٢٢ إلى أغسطس ١٩٦١ ثم اعتقال من ١٩٦١ إلى ١٩٦٤/٤/٤.

٣ - إعتقال من ١٩٦٩/٦/٢٢ إلى ١٩٧٠/١١/١

أهم المستويات التنظيمية التي اشتركت فيها : كنت عضو منطقة ثم مرشح لجنة مركزية بالحزب الشيوعي المصري (الراية) ثم عضو منطقة بالحزب الشيوعي(حزب ٨ يناير ١٩٥٨).

بيانات عن النشأة وكيفية التعرف على الفكر الماركسي

نشأت في جزيرة بدران في حارة توفيق لطفي، بعد أن نزحت الأسرة (الجد وعائلته) من الصعيد من درونكة، واستقروا في تلك الحارة في منازل متلاصقة مما أدى إلى تكوين عصبية داخل الحي.

أما والدي فقد كان عاملاً بسيطًا (سائق تاكسي) ثم أصبح سائقًا في شركة المطاحن المصرية.

وكنا عشرة أخوة؛ ست بنات وأربعة أولاد، وأنا كنت أكبرهم وكنا نملك شقة مستقلة في

منزل جدي، ولدينا إرث حوالى فدانين وبضعة قراريط مما ساعد فى مصاريف مدارسنا، وبالرغم من أن والدى كان عاملاً. إلا أنه أصر على أن يعلمنا، وبالفعل تعلمنا جميعاً.

وارتبطنا مثل أبناء الحى بمدارس جمعية الإيمان، وكان لها دور أساسى فى هذا الحى، كانت تابعة لكنيسة مارى جرجس التابعة للكنيسة الأرثوذكسية للكنيسة.

وقد أقامت الكنيسة مدارس مستقلة لمساعدة الفقراء، والمحتاجين فى هذا الحى، مما ساعدنى أنا وأخوتى جميعًا. حيث ارتبطت منذ الصغر بمدارس الأحد وقد كان يدرس لنا فيها أستاذ متفتح جداً اسمه فرج، وقد تعلمنا الكثير منه حول مساعدة الفقراء، والمحتاجين، مما ساعدنا منذ الصغر على التنشئة السليمة رغم الأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت موجودة، فقد كان كثير الحديث عن الفقر والجنة والخلود وتعاليم الدين المسيحى الذى يدافع عن الفقراء، وسرد بعض الحكايات عن المسيح عندما قام بتوزيع السمك والعيش على الناس بالتساوى ما يؤكد على فكرة المساواة.

كما كان الأستاذ فرج يتكلم كثيراً عن العداء للأغنياء، وكان يستشهد فى ذلك بجملة المسيح «من السهل جداً على جمل أن يدخل من ثقب إبرة على أن يدخل غنى ملكوت السماوات» كما كان يتكلم عن السلام ويستشهد بنص «طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون»

كما كان يدرس لنا أيضًا الأستاذ / سليمان نسيم الاستاذ بكلية التربية بجامعة عين شمس (توفى قريبًا)

كل ذلك شكل بالنسبة لى أبعاداً هامة جداً جعلتنى أستشف الأوضاع من حولى، حيث كان الوضع السياسى متفاقمًا جداً فى البلد، وكان لى عم وهو المرحوم طوسن كيرلس وهو أحد مؤسسى الحزب الشيوعى المصرى «الراية»، ومنذ صغرى كنت أحب أن أسمعه وكان يأخذنى معه للحضور فى بعض سرادقات الحزب الاشتراكى لأحمد حسين.

وقد بدأت بالارتباط بالحركة فى الخمسينيات (١٩٥١) فى الحزب الشيوعى المصرى(الراية) وقد قدمت الأسرة للحركة ثلاثة أفراد منهم عمى الذى قضى أكثر من عشر سنوات فى قضية يونيه ١٩٥٤ وأخى فؤاد الذى أعتقل فى ١٩٥٩/٣/١٢ وأفرج عنه فى ٦٤/٤/٤ وأنا وقد عجل بدخولى التنظيم المناضل سعد باسيلى.

وقد ساعدنا فى التقارب والانتشار بين الناس أننا كنا عزوة كبيرة داخل الحى، كما كان أغلب الحى طبقات شعبية.

ومنذ دخولى الحركة الشيوعية كنت مندفعًا جداً ومتحمساً، وسميت باسم (أربعة وعشرون) لأننى نجحت فى تجنيد ٢٤ عضواً فى الحزب منهم غنيم مصطفى غنيم، أمين شرف، محمد خليفة، فؤاد شفيق .... الخ، وأغلبهم من جزيرة بدران.

المواقف السياسية السابقة على الانضمام للحركة الشيوعية

لم يكن لى مواقف سياسية سابقة أكثر من حضور بعض اجتماعات الحزب الاشتراكى لأحمدحسين - كما ذكرت - وأتذكر أن الحزب الشيوعي المصرى نجح فى أن يفرض عليه أن يذكر فى برنامجه فكرة الخمسين فدان، وقد كانت إحدى النقاط الأساسية فى برنامج الحزب الشيوعى المصرى (الراية)، وأيامها تعرفت على محمد خليفة وكان عضواً فيه وقد انضم إلى الحزب المصرى (الراية) وقبض عليه فى ١٩٥٣/٢/٢٨، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات.

ما أعرفه عن نشأة الحزب الشيوعى المصرى (الراية)

تكون الحزب فى ١٩٤٩/١٠/١، حيث كان هناك مد ثورى، سقوط حكومة حسين سرى، وحكومة النحاس، كل ذلك أعطى للحزب فرصة فى أن ينطلق بأبعاد غير عادية، خصوصًا وأنه كان يتكون من مجموعة شبابية أتت بعد دراستها فى فرنسا متحمسة للغاية مثل الرفيق خالد (فؤاد مرسى)، وإسماعيل صبرى عبد الله، وطرحوا قضايا أساسية خاصة بالواقع المصرى وقاموا بوضع مقومات التنظيم الأساسية ممثلة فى الصراع الطبقى وتحديد الطبقات الأساسية وتحديد طبقات الأعدا.. وتحديد الضربة الرئيسية وتحديد البرنامج وطبيعة ثورتنا المقبلة كما هو واضح فى وثيقة تطور الرأسمالية وصراع الطبقات فى مصر. إن المجتمع المصرى مجتمع شبه إقطاعى شبه مستعمر، ولابد من إسقاطه بسلطة شعبية والتى سميت بثورتنا المقبلة (ثورة وطنية ديمقراطية تتم على مرحلتين الأولى : بإسقاط النظام الإقطاعى الاستعمارى، والإتيان بحكم وطنى ديمقراطى شعبى (كنموذج الصين) ثم الثانية تستكمل بثورة جديدة وهى الثورة الاشتراكية.

ومن أهم مجلات الحزب حينذاك «راية الشعب» وهى الجريدة الجماهيرية للحزب وهى اسبوعية وكان رئيس تحريرها وداد عزيز وكان اسمه الحركى الرفيق غالب وهو سكرتير الدعاية المركزى.

و«الحقيقة» وهى جريدة داخلية للكادر، وكانت جريدة هامة جداً تعطى دراسات معمقة للنظرية. مما أدى إلى أن أغلب عناصر الحزب المصرى (بدون تحيز) كانوا على قدر كبير جداً من الوعى النظرى بالقياس بالتنظيمات الأخرى. وشهادة للتاريخ. كان لفؤاد مرسى دور أساسى فى ذلك، حيث كان فى الحزب الشيوعى الفرنسى ثم جاء واستطاع أن يعمق هذه المسائل، وكتب كتاباً هامًا جداً بعنوان «من هم الشيوعيون المصريون، وماذا يريدون» ما هى أهدافهم، برنامجهم، وقد كان لهذا الكتاب صدى كبير فى القواعد الشعبية.

إلا أنه بالرغم من أن الحزب المصرى (الراية) قام بعمل برنامج ولائحة وحدد أسس التنظيم الحزبى حيث حدد الحزب أربعة أو خمسة عناصر منها :

١ - الحزب السرى ٢ - المركزية الديمقراطية

٣ - النقد والنقد الذاتى ٤ - الحزب الجماهيرى

إلا أنه من الغريب أننا كنا أحسن ناس كتبنا عن هذه الأسس ولكن للأسف لم تطبق حرفًا واحداً منها، حيث لم يتم فى حياتنا إطلاقًا كونفرنس أو مؤتمر.

وأتذكر أن أيام حريق القاهرة كتب رفيق اسمه الحركى (عامر) مقالة ذكر فيها (أن الحزب الشيوعى المصرى خان الثورة، وأنه كان يجب أن يستخدم حريق القاهرة فى انطلاقه كاملة لإسقاط النظام» وقد رد عليه الرفيق خالد رداً فظيعًا جداً استخدم فيه الكلمات الكلاسيكية مثل (المرتد) الأمر الذى يظهر مدى اليسار، والجمود الذى كانا يكبلان عملا، لم يكن الرأى الآخر له مكان فى صفوفنا.

وكانت الجلسات تتم شبه عائلية أكثر منها تنظيمية، وهذا إن دل على شئ، إنما يدل على عبادة الفرد، والبعد عن الجماهير بالإضافة لنوعية العناصر داخل الحزب حيث تغلبت عليه نوعية العناصر ذات الأصل البرجوازى بعيداً عن الطبقة العاملة والفلاحين. وخاصة بعد ضربة مارس ١٩٥٤.

وقبل الدخول فى الكلام عن أهم المعارك الجماهيرية التى قام بها الحزب أرى طرح نقطة أساسية أتعجب لها وهي لماذا المجتمع المصرى وبالذات الطبقة العاملة المصرية حرمت من كلمة الحزب؟!، لماذا سميت كافة التنظيمات، بكافة الحروف الأبجدية ماعدا كلمة حزب؟! والغريب أنه كان يوجد حزب سنة ١٩٢٤. فهذه نقطة هامة يجب أن نفكر فيها، فهل يا ترى للعناصر اليهودية فى الحركة الشيوعية دور فى ذلك، أم كان للصهيونية والرأسمالية والاستعمار مصلحة فى تبعثر وانقسام الطبقة العاملة وحرمانها من وجود حزب خاصة وأننا نعلم تماماً أن الحزب يعني طليعة، يعنى أركان حرب الطبقة العاملة.

وإذا كان الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لم ينجح رغم محاولته الجادة فى أن يكون حزب الطبقة العاملة المصرية، فإن ذلك يرجع فى اعتقادى إلى عدة أسباب منها :

١ - كثرة التنظيمات داخل الحركة الماركسية

٢ - أن الحزب لم يأخذ دوره كاملاً لأنه بدأ يتحرك من سنة ١٩٥٠ - إلى ١٩٥٢ ثم تمت أول قضية اعتقال للحزب (قضية مصطفى طيبة و١٨ عضواً معه (أيام الملك) ثم حكم عليهم بالسجن عشر سنوات فى عهد الثورة.

٣ - الفهم الخاطئ لطبيعة مفهوم البرجوازية الوطنية حيث سادت فكرة ستالين عن خيانة البرجوازية القومية في المستعمرات (بعد أن ألقت البرجوازية علم الكفاح فى الوحل)

* أهم المعارك الجماهيرية التى خاضها الحزب المصرى (الراية)

- أتذكر جيداً فى نوفمبر ١٩٥١ عندما عملت حكومة الوفد المظاهرة الصامتة قام الحزب الشيوعى المصرى بحشد كل قواته وخاصة من منطقة شبرا الخيمة وخرج بالمظاهرة أيامها المرحوم محمد السيد زلط من شبرا الخيمة وغنيم مصطفى من عنابر بولاق وجاء طوسون مع عمال حلوان، وخرجنا نحن من جامعة عين شمس واجتمعنا فعلاً أمام قصر عابدين، ورفع وليم إسحق لافتة «تحيا الجبهة الوطنية ويسقط النظام الملكى وتحيا الجمهورية».

وقد انقلبت المظاهرة بعدها إلى مظاهرة متحركة ناطقة.

برغم أن ذلك كان عملاً كبيراً فى أيامها إلا أننى الآن عندما كبرت بدأت أتفهم مسائل كثيرة مثل أدوات النضال وبعض المواقف التى أرى أننا كنا مخطئين فيها. ففى رأيى الآن أنه

كان من الممكن المشاركة فى المظاهرة الصامتة دون تحويلها ، وأنه كان يمكن أن تكون لها رد فعل أقوى وتشترك فيها كل الجماهير.

كما اشترك الحزب فى معارك كثيرة وفى مناطق كثيرة على سبيل المثال : ما حدث فى شبرا الخيمة بالنسبة للمعركة الانتخابية لمجلس الأمة والتى لعب فيها دوراً محمد السيد زلط ونجيب سيدراك وشاركنا فى معارك شركة الشرق للنسيج حيث كان هناك تواجد لعدة تنظيمات ويشهد على ذلك نجاتى عبد المجيد باعتباره عاش فى هذه المرحلة، وكان الحزب يكاد يكون مهيمناً على العمل الثورى فى شبرا وجزيرة بدران، كما كان له دور فى عنابر بولاق، جامعة عين شمس، الاسكندرية حيث كانت تمثل المركز الثانى فى الثقل بعد القاهرة، وفى ملوى وأبو قرقاص، أسيوط، درونكة، وعلى حد تعبير الزميل نجاتى عبد المجيد فقد كان لاسم الحزب الشيوعى المصرى صدى طيب فى الجماهيرية العمالية، .

– وبالنسبة لنشاطى الخاص فقد كان لى دورى فى جامعة عين شمس بالاشتراك فى المظاهرات والاضرابات خاصة وأن كلية الآداب كانت تقع فى شبرا التى كان يتركز فيها نشاطى الأساسى وخاصة فى حى جزيرة بدران.

* دور الحزب فى الكفاح المسلح فى القنال

لقد تم القبض عليّ ومصطفى النحاس جبر، ورفعت صالح فى ١١ نوفمبر ١٩٥١ عندما كنا نلصق المنشورات على حوائط نفق شبرا نطالب فيها بالكفاح المسلح ضد الاستعمار، وقد نشر الخبر فى جريدة «المصرى» بعنوان (القبض على طالب يوزع منشوراً يطالب فيه بالكفاح المسلح ضد الاستعمار ١٩٥١).

* كما عارضنا اتفاقية الجلاء، وقد ألف داود عزيز كتاباً جميلاً جداً اسمه «الجلاء المزيف»، وقلنا إنه لايمكن أبداً التفاوض مع الانجليز بدون الكفاح المسلح والثورة الشعبية، وقد ساعد على تبنى هذا الموقف انتصار الاتحاد السوفيتى والحلفاء، وتدمير الفاشية على النطاق العالمى والمد الثورى وانتشار الفكر الاشتراكى العالمى، ونظراً لتوزيع كتيب «الجلاء المزيف على نطاق واسع فى السبتية وعنابر بولاق فقد قامت السلطة بتزوير عدد من راية الشعب تدعى فيه تأييد الحزب لاتفاقية الجلاء، (جمال – هيد)

كما انطلق الحزب الشيوعى المصرى (الراية) بعد المعتقلات فى عام ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى بشكل إيجابى.

وقامت مجموعة بالسفر إلى معسكر طويحر وحمل السلاح مثل عبد الملك بواقيم، لطفى فطيم، فيليب جلاب وفاروق عبد القادر، بالإضافة إلى تكوين لجان للمقاومة الشعبيـة فى كل مكان.

أما بورسعيد فكان فيها ثلاثة فقط هم عبد المنعم شتلة وسعد زحمى وأحمد الرفاعى.

كما استطاع الحزب إقامة مراكز تدريب للمقاومة الشعبية فى شبرا الخيمـة وجامعة عين شمس، وعنابر بولاق وجزيرة بدران واستخدمنا الأحياء التى توجد فيها مقاهٍ كمراكز للتجمع كما عملنا مجلات الحائط، واستخدمنا المدارس كلها، وكان المرحوم مراد القليوبى، وعايدة إبراهيم زوجة داوود عزيز التى كانت أيامها مُدرسة فى مدرسة الإمام الثانوية قد لعبا دوراً هامًا جداً فى ذلك، ثم جاءت بعد ذلك ليلى الشال حتى قبل الوحدة مع الموحد وقامت بدورها بامتياز فى المقاومة الشعبية. كل ذلك كان يؤكد دور الحزب سواء فى الميدان أو فى الجبهة الداخلية، وقد شهد د. رفعت السعيد فى كتابه الخامس عن الحركة بالنص بأن «الحزب كان له تواجد فى جزيرة بدران إلى حد كبير» وقد ساعد ذلك على انتشار – العمل الجماهيرى إلا أننى أتذكر أن هناك خطأ حدث، حيث نزل الحزب بشعار مخالف تمامًا للشارع المصرى، فالشارع المصرى كله كان يقول بمقاومة شعبية، وفجئت بأن اللجنة المركزية والمكتب السياسى تقول بشعار تكوين لجان الدفاع الوطنى، وفعلاً طبق فى منطقة واحدة وهى جزيرة بدران وكان التفسير النظرى أن المعركة وطنية، وبالتالى كل القوى يمكن أن تدخلها، أما المقاومة الشعبية فتكون قاصرة على طبقات معينة ليس بينها البرجوازية الوطنية.

ومن أهم معارك الحزب معركة الانتخابات عام ١٩٥٧ ففى معركة شبرا الخيمة كان مسئول الحزب الممثل فيها نجيب سيدراك، وقد شارك الحزب المصرى بثقله فيها

ونظراً لأننا استطعنا أن نخلق فى جزيرة بدران قواعد أساسية ثابتة، وكان هناك العديد من الشخصيات منها المرحوم مصطفى طيبة، المرحوم سامى فهمى، المرحوم صبحى وهبه، المرحوم فوزى وهبه، غنيم مصطفى أمين شرف، داود عزيز، طوسن كيرلس فقد خلق كل ذلك تواجداً إيجابياً وثقلاً أساسياً فى انتخابات ١٩٥٧ وعندما تم ترشيح الزميل محمود أمين العالم رغم

أنه لم يكن في الحزب إلا أننا لعبنا دوراً أساسياً لكي ينجح، وعندما رشح سعد زهران ثم قام عبد الناصر بإغلاق جزيرة بدران في هذا الوقت على مرشح قبطي كان أمامنا أن نختار إما د. فايق فريد أو د.ميلاد حنا، وباعتبار أنني كنت مسئول معركة الانتخابات في الحي أصريت على د.فايق فريد لما يربطني به من علاقات أساسية فهو ابن بلد، وكان والده عضو في لجنة مدارس الأحد ومدرسة الإيمان. وقد ساعدت هذه المدارس في إنجاحه،بالاضافة إلى أنه كان المهندس المصري الوحيد الذي قام بإصلاح الإذاعة المصرية (المحطة الرئيسية) التي كانت بجوار بطن الجبل في أبو زعبل عندما تم ضربها في ١٩٥٦ في أقل من ٢٤ ساعة.

وفي هذه الانتخابات أخذت موقف الرفض لأي مساعدة من خارج الدائرة، وفعلاً احترمت بقية التنظيمات ذلك سواء الموحد أو ع.ف إلا أن عزت زكي هو الذي ساعدنا لصلتي القوية به ولقدرته العالية جداً على الإلقاء والخطابة.

ولأول مرة ينجح الحزب الشيوعي المصري وفي أن يدخل عضواً إلى مجلس الأمة، وهذه كانت نقطة هامة جداً، لدرجة أن النظام إهتز لها، وكان لابد من استبعاده من أول جلسة لمجلس الشعب، كما انتقلت مجموعة جزيرة بدران إلى الوايلي وشاركت عبد العظيم أنيس في انتخاباته ضد عبد العزيز مصطفى، وهذه كانت معركة كاملة بين حدتو والتنظيمات الأخرى.

وقد تبنى الحزب الشيوعي المصري موقفا خاطئا، وقريباً من الانتهازية حيث تم تجنيد عبد العظيم أنيس في معركة الوايلي. ودخل كعضو لجنة مركزية، وهذه من ضمن الأخطاء التي اعترضت عليها.

دور التنظيم وسط الفلاحين

بالرغم من كل ما ذكر من أدوار قام بها الحزب إلا أن العناصر الفلاحية كانت قليلة جداً، وقد كان الحزب يعتمد في عمله وسط الفلاحين على المنشور والجريدة أكثر، بدليل أنه أصدر عدة مجلات للفلاحين، والعمال، والضباط الأحرار بكوادر ليست عمالية أو فلاحية أو من الضباط الأحرار، وقد كان ذلك شكلاً من أشكال الدعاية التي تعطي صدى أكبر من الحجم الحقيقي وبالتالي لم ينجح في تكوين تنظيمات جماهيرية.

لذلك لم يكن كلام لينين في الهواء عندما قال «الشيوعية اليسارية عبث أطفال» بالفعل كنا قريبين جداً من هذا العبث، وكان هذا فكراً عالمياً بشكل عام.

بالنسبة لدور المحترفين فى التنظيم

أنا كنت محترفًا ثوريًا وكان هناك عدد من المحترفين داخل الحزب إلا أنه طالما دخلنا فى مناقشة مفهوم الاحتراف، فإننى أرى أنه لا يوجد تنظيم ثورى بلا محترفين، فالمحترفون هم عصب التنظيم، لكن كان هناك سوء استخدام للفظ، حيث أصبح الإحتراف مهنة للرزق أكثر منها للنضال، وقد أدى ذلك إلى إفساد المحترفين. فالمفهوم الشيوعى للمحترف هو الذى يأتى بدخل من الجماهير، هو المناضل الذى يخلق قواعد تغذية وتغذى الحزب وليس العكس، وأنا كنت كذلك لم أحصل على فلوس من التنظيم، وقد هربت أكثر من ٢٢ شهراً من ١٩٥٤ - ١٩٥٦. ولم آخذ من الحزب أى شئ.

الموقف من سلطة يوليو وتنظيماتها فى المراحل المختلفة

بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو صدر عدد من جريدة الشعب وكان رئيس تحريرها فى تلك الأيام داوود عزيز وقد ذكر فى مقاله أننا قبل أن نؤيد هذه الحركة لابد من وضع عشر نقاط للضباط الأحرار إذا تم تنفيذها سوف نؤيدهم، ومن هذه النقاط ما يلى :

١ - المطالبة برجوع الجيش إلى ثكناته، وعمل انتخابات وجمعية تأسيسة.

٢ - الإفراج عن المسجونين السياسيين.

٣ - تكوين الاحزاب السياسية

٤- الكفاح المسلح وطرد الاستعمار الانجليزى

٥ - إسقاط الملكية وإعلان الجمهورية

٦ - مسألة توزيع الأرض

٧- تكوين النقابات العمالية بمعزل عن السلطة.

إلا أننا فوجئنا بمذبحة خميس والبقرى فى أغسطس ١٩٥٢ مما أكد موقف السلطة العدائى للحركة الجماهيرية منذ اللحظة الأولى، فكان رد الفعل من التنظيم أن هذه المجموعة لا يمكن إلا أن تكون عصابة فاشية، فحينما تقتل عاملاً بهذا الشكل، ويتم عمل محكمة داخل الشركة، فإنه لابد من إسقاط هذا النظام، وبالتالى مقاطعة كل تنظيماتها من هيئة التحرير إلى الاتحاد الاشتراكى ورفض كامل للدخول فيها.

فالثورة معناها الانتفاضات الشعبية، وكانت فكرة الانقلاب مرفوضة تمامًا وقد ساعدنا على ذلك موقف الحركة الشيوعية العالمية كلها. فتقرير بلمادت كان هو الأساسى بالنسبة لنا.

ومع بداية مؤتمر باندونج وكان أغلب اللجنة المركزية قد تم ضربها صدرت جريدة «راية الشعب» وبها مقالة بعنوان «فاشى مصر المفلس يذهب إلى باندونج لطلب المجد». إلا أنه بعد

باندونج مباشرة، بدأ يتم الإفراج عن المعتقلين وأيامها أنا كنت هارباً ورجعت فى فبراير ١٩٥٦، وفوجئت بأن موقفنا أصبح التأييد لعبد الناصر، وأتذكر مقالا كان يقول «لعلنا يجب أن نفكر بعقلية حزب حكومى وليس بعقلية حزب معارضة».

الموقف من قرارات تأميم الشركات والبنوك ١٩٦١

فقد كانت هناك ثلاث أفكار أساسية فى المعتقلات أو السجون.

المجموعة الأولى : مجموعة ع.ف وهى كانت قائدة فكرة أن السلطة القائمة هى سلطة احتكارية ولابد من إسقاطها.

المجموعة الثانية : مجموعة حدتو، وكانت ترى أن فى السلطة مجموعة اشتراكية قادرة على بناء الاشتراكية.

المجموعة الثالثة : أغلبها من الراية وكانت ترى أن السلطة سلطة وطنية تمثل البرجوازية المتوسطة، وكانت مؤيدة لقرارات التمصير والتأميم، وقد قام الرفيق داود عزيز بالتركيز على مفهوم التطور المستقل ورفض تماماً طريق النمو غير الرأسمالى، وقال إن هذا الكلام غير ماركسى وخارج عن الماركسية.

وقد كانت فكرة المجموعة الاشتراكية فى السلطة فكره يمينية تسود على النطاق المحلى والعالمى، وأعتقد أن المسئول عن كل هذه الأفكار هو خروشوف فى المؤتمر العشرين حيث وضع نقاطاً أساسية معادية للماركسية مثل حزب كل الشعب، وهذه فكرة معادية للماركسية حيث إنه لايمكن أن يوجد حزب لكل الشعب بمختلف طبقاته، وإنما الحزب الشيوعى هو حزب الطبقة العاملة.

وأعتقد كذلك أن مسألة العداء للمركزية الديمقراطية والنقد الذاتى، ومفهوم الكونفرسات والمؤتمرات، مسألة ليست محلية فحسب وإنما هى عالمية، بدليل بسيط وهو لماذا سقط الاتحاد السوفيتى، لماذا سقطت أنظمة شرق أوروبا، أكيد كانت بعيدة تماماً عن مفهوم الديمقراطية، وبعيدة عن الرأى والرأى الآخر.

ونحن فى الحزب المصرى دفعنا ثمناً غالياً جداً فمن كان يختلف معنا كنا نتهمه بالبوليسية والانتهازية أو الارتداد. وهذا كان مفهوم عالمى خاطئ فى مسألة قيادة الفرد والرأى الواحد.

رأى التنظيم ورأى فى الوحدة مع التنظيمات المختلفة

فى أواخر ١٩٥٦ بدأت تدخل أفكار غريبة جداً مثل مفهوم الوحدة، برغم تناقض هذا الكلام مع موقف الحزب الذى كان يقول : «إنه لا شيوعية خارج الحزب»

وقد تمت وحدة مع المنظمة الشيوعية المصرية(مشمش) وفى رأيى أنها شكلية، نتيجة علاقات عائلية أكثر منها علاقات ماركسية نضالية فهى وحدة اندماجية فقط.

ثم بعد ذلك دخلنا فى المتحد ولكن عمليًا لم يكن متحداً، كان حزبين وكان واضحًا دائمًا فى اللجنة المركزية وبداخلنا مفاهيمنا الحلقية التى تربينا عليها وأثرت فينا فدائما يقال لك إنك الثورى وغيرك هو الانتهازى .... الخ. فكان من الصعب جداً التخلى عن هذه الحلقية، وبالنسبة لحزب ٨ يناير ١٩٥٨ فقد بدأ الحزب يأخذ دوراً إيجابيًا أقرب إلى الخط السليم وأقرب إلى الطبقة العاملة، ومن ضمن الشعارات التى رفعت حينذاك «إذا كان الاتحاد القومى حزب الحكومة، فأين أحزاب الشعب» وقد مُلئت جزيرة بدران وشبرا وكل المناطق بهذا الشعار، وفى الاتحاد القومى تم توزيع منشور باسم الحزب الشيوعى المصري(٨ يناير). وفى ٨/٢٢ تم القبض على ٧ أفراد منهم الرفيق اسماعيل عبد الحكم، محمد حسن، فتحى رفاعى، شفيق اسماعيل، غنيم مصطفى وأنا، وكانت هذه هى بداية الاحتكاك الذى أدى إلى الضربة الكبرى فى يناير ١٩٥٩، وما أعقبها من مواقف إرهابية من قبل سلطة يولية ٢٣ يوليو حتى ١٩٦٤/٤/٤، وللتاريخ لم تصف المعتقلات فى يوم من الأيام بدليل اعتقالى مرة أخرى ٢٢ شهراً من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠/١١/١ بتهمة غريبة جداً هى «التلسين ضد النظام».

الموقف من القضية الفلسطينية

طبعًا، كنا نؤيد الشعب الفلسطينى، ضد العصابات الصهيونية، وضد الاستعمار العالمى، وهذا واضح فى كتاب «صراع الطبقات فى مصر» لـ د. فؤاد مرسى، وبرنامج ولائحة التنظيم ويمكن الرجوع إلى النسخة الموجودة بمركز البحوث العربية.

الموقف من حركة أنصار السلام

كان للتنظيم دور فى حركة أنصار السلام، وكان يمثلنا فيها الزميل سعد حماد (المحامى) الذى كان موجوداً بالاسكندرية. كما كان لنا دورنا فى نشاط الحركة بالاسكندرية.

الموقف من «الأفق» داخل سجن الواحات

- أنا كنت متعاطفًا مع الرفاق الذين كونوا (الأفق) لثلاثة أسباب :

١ - كان أغلب أعضاء الأفق من «مجموعة الحزب الشيوعى المصرى»

٢ - كانت تمثل الفكر الأقرب للصحة.

٣ - أنه كان يوجد انهيار تنظيمى كامل للشيوعيين داخل الواحات. فلم يكن الحزب حزبًا حقيقيًا من الناحية التنظيمية.

وكان لابد من تنشيط الفكر، لذا كان الأفق فى هذا الوقت نبراسًا هامًا وديمقراطيًا ولعب دوراً أساسيًا، وعمل على حماية الناس من الانهيارات.

موقف التنظيم وموقفى من سياسات الاتحاد السوفيتى، وقرارات المؤتمر العشرين .... الخ

لا جدال فى أن الحركة الشيوعية العالمية كلها كانت خاضعة للاتحاد السوفيتى تمامًا فالحزب السوفيتى هو القائد وعند إتهامه لماوتسى تونج بالتحريفينية كنت أنا واحداً من هؤلاء الناس الذين رددوا هذا الكلام، وكنا نهاجم المرحوم محمد عباس فهمى عندما كان يدافع عن ماو ثم انتقل بالتالى هذا السلوك فى تأليه قادة حزبنا من منطلق عبادة الفرد. حيث كنا نقول «عاش الرفيق خالد ألف عام» وكانت الديمقراطية المركزية غائبة فقد كان الذي يقود الحزب بالفعل هو السكرتارية المركزية فقط التى تتكون من (فؤاد مرسى) اسماعيل صبرى، داوود عزيز. وليس المكتب السياسى أو اللجنة المركزية.

الموقف من حل التنظيمات

كنت معترضًا تمامًا على الحل من منطلق فكرة أساسية وهى أنه لايجب حل الحزب، وإنما الحزب يضمحل مع تطور المجتمع، وقد شبه بعض الرفاق ذوو الفكر اليمينى الوضع فى كوبا بوضع حكم عبد الناصر فى مصر، وهذه فكرة خاطئة وغير صحيحة. فالذى انتقل ليس الحزب الشيوعى الكوبى إلى سلطة كاسترو وإنما كاسترو هو الذى انتقل للماركسية، للحزب الشيوعى الكوبى.

أما ما حدث لدينا أننا انتقلنا لعبد الناصر. وهذه كانت فكرة خاطئة أهدرت كل شئ ونحن المسئولون مسئولية كاملة عما حدث للمجتمع المصرى بعد ١٩٦٥، بل للحركة الشيوعية المصرية من تخريب وتمزيق.لأن الحزب لو كان متواجداً لما حدثت كل هذه الإنقسامات. فأخطاؤنا كانت فظيعة جداً، ولكنها كانت نتيجة عزلتنا عن الجماهير، وبعدنا عن العمل الجماهيرى، وقد كان الحصول على لقمة العيش قاسيا جداً بعد الإفراج عنا عام ١٩٦٤، وقد انتهز عبد الناصر هذه الفرصة، كما لعبت القيادة جميعًا بدون استثناء، دوراً أساسياً فى هذا الحل.

ولا أنسى موقفنا فى مبنى مجلس قيادة الثورة للحاق بوظائف وقد تم تعيينى بـ ١٥ جنيها وقد اخترت التأمينات، كانت المسألة مساومة وكانت السلطة الناصرية واضحة المعالم بدليل بسيط أنها لم تعين عاملاً واحداً من العمال المصريين من خلال اللجنة التى شكلتها حينذاك، وإنما كل الذين عينوا كانوا من المثقفين المصريين، أما عمال شبرا الخيمة .. وخلافهم فقد طردوا جميعًا، ولم يعين أحد علي الإطلاق منهم.

وقد كان هناك مواقف خاطئة من الرفاق الذين تولوا مواقع قيادية مثل إسماعيل صبرى وفؤاد مرسى، فرغم اعتزازى بالدكتور فؤاد مرسى لماله من فضل كبير فى تكوين فكرى، ولآخر لحظة كنت أكن له كل الاحترام إلا أننى أخذت عليه عندما أخذ مراكز فى شركة نصر للسيارات، وفى وزارة التموين، ولم يعين أحداً معه إلا داود عزيز فقط، ووضعه فى السكرتارية. مما يؤكد على أنهم أصبحوا هم والسلطة شئ واحد.

وفى المقابل كان للمرحوم حسن صدقى، ومحمود المستكاوى مواقف مشرفة فى تعيينات الزملاء، وقد استبعدت تماماً من أى كونفرنسات حول موضوع الحل وذلك لمعرفتهم رأيى فى هذا الموضوع، وفى حوار فى إحدى المقابلات مع الدكتور فؤاد مرسى وعمى طوسن قلت للدكتور فؤاد إنك علمتنا أن حزب الطبقة العاملة هو الأساس، وأن الحزب لايجب أن يصفى » فقال «إننى موافق وقلبى يتقطع» وقد قلت له إن هذا الكلام غير ماركسى وأنت من اليوم غير ماركسى.

لذا لم يكن من المستغرب ألا أدعى إلى أى كونفرنس، بل وأن أعتقل كما ذكرت فى ١٩٦٩، بعد أن تم الإفراج عن كل الناس بل وفصلت من عملى، وعندما عدت إليه كان ذلك بتعيين جديد ومرتب جديد.

أسباب الانقسامية فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - وأسباب أزمة الحركة الشيوعية قبل ١٩٦٥

لا جدال فى أن مصر تمثل ركيزة أساسية للأمة العربية وبالتالى كلما تم إضعاف الطبقة العاملة المصرية كلما أدى ذلك إلى إضعاف الطبقة العاملة العربية، بدليل أنه عندما انطلق عبد الناصر فى الوحدة كان المد الثورى فى الوطن العربى غير عادي، وبالمناسبة نحن الذين ساعدنا فى فردية عبد الناصر عندما كانت شعاراتنا ناصر فى الوحدة، ناصر فى الأمة العربية ... الخ، كما ساعدنا فى الزعامة الفردية داخل الحركة الشيوعية.

فالانقسامية ليست معزولة عن الفكر الصهيونى أو الاستعمارى بمعنى أنه يوجد تآمر لتخريب الحركة الشيوعية من خلال الانقسامات كما ساعد فى ذلك التركيبة الطبقية للحركة، حيث اعتمدت على المثقفين وخصوصًا الطلبة، ولم يكن لدينا الكوادر العمالية الكافية، ولم يكن لدينا جيش الفلاحين، فقد نجحت الثورة فى الصين لأنها اعتمدت على الكتيبة الأساسية للمجتمع الريفى، ونحن مجتمع زراعى، لذا كان يجب أن يكون كل جهدنا وسط الفلاحين، وأن يتم إنشاء مراكز فى الريف، ويتم عمل مناطق مستقلة. الخ.

أما ما حدث فقد تم الاعتماد على البرجوازية الصغيرة وكنا بعيدين تمامًا عن الطبقة العاملة الصناعية، كما كنا نصفى أنفسنا ببعدنا عن المركزية الديمقراطية والنقد الذاتى والكونفرسات والمؤتمرات.

وكان لابد أن تتم تصفية تنظيماتنا كما تم بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية.

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أذكر أنه كان يوجد رفاق أعزاء راحلون أدوا أدوارًا متميزة منهم؛ غنيم مصطفى، وأمين شرف فى عنابر بولاق، وحتى الآن يتغنى الناس بأمجادهما حيث قدما كل جهدهما، وعملا ركائز أساسية داخل المنطقة.

شهادة

متولي محمد بحر

البيانات الشخصية

الاســــــــــــــم : متولى محمد بحر أحمد

تاريخ وموطن الميلاد : من مواليد ١٩٣٠/١/٨ النوبة - أسوان

السن عند الانضمام للحركة : عشرون عاماً

المــــؤهــــلات : الثقافة العامة ١٩٥١.

المــــهــنـــــة : عامل بشركة الملح والصودا بالاسكندرية

سكرتير مدرسة الضهرية (الضهرية - بحيرة)

فترة السجن والاعتقال : عشر سنوات متصلة من ١٩٥٤/٢/٢٨ حتى أبريل ١٩٦٤.

التحقت فى عام ٤٨، ١٩٤٩ بمعهد ليلى بالاسكندرية (مدرسة التربية الاستقلالية لاستكمال دراستى الثانوية - كنت حينذاك أعمل عاملاً بشركة الملح والصودا وأكمل دراستى الثانوية فى المساء - فى هذا المعهد كان يقوم بتدريس مادة اللغة العربية مدرس مسن (كبير السن إلى حد ما) هو الشيخ صفوان أبو الفتح (عرفت فيما بعد أثناء وجودى فى الواحات أنه كان من قيادات الحزب الشيوعى المصرى ١٩٢٤).

لم يتناول الشيخ صفوان أبو الفتح معى شيئا عن الفكر الماركسى بشكل صريح إلا أنه كان كثير الحديث عن الشاعر العربى (أبو العلاء المعرى) ووقوفه ضد الظلم وضد الأمراء ومع المظلومين والضعفاء، واستطاع بذلك أن يغرس اللبنة الأولى عن فكرة الصراع الطبقى - ثم كان حديث الشيخ صفوان عن المجتمع المصرى بشكل محدد وعن الملك وعن فساده وفساد النظام بأكمله - أثناء ذلك ظهر شخص كان يدرس معى فى المعهد وعندما لاحظ وشعر بميولى لأحاديث الشيخ صفوان أبو الفتح قدم لى جريدة «راية الشعب» وواصل تقديمه الجريدة لى بانتظام حتى اقتناعى بالانضمام إلى التنظيم إلا أن هذا الشخص انقطعت صلاته بالتنظيم فيما بعد والتنظيم هو الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وتم الانضمام إلى هذا التنظيم.

وقبل الانضمام للتنظيم وبالتحديد فى أعوام ٤٧-٤٨-١٩٤٩. كانت حركة الأخوان المسلمين تتعرض لحملات اعتقالات واسعة خاصة أثناء وزارتى إبراهيم عبد الهادى والنقراشى - فى هذه الفترة حدث نوع من التعاطف مع هذه الحركة على أساس أنها ضحية لاضطهاد

النظام الملكي - لكن كان ذلك لفترة وجيزة ودون الانضمام لهذه الحركة.

فى فترة وجودى القصيرة نسبياً (قبل السجن والاعتقال) فى هذا التنظيم من ١٩٥١ إلى أوائل ١٩٥٤ ثم لظروف عملى السرى جداً فى التنظيم فى هذه الفترة بعيداً عن العمل الجماهيرى وبعيداً عن الانغماس فى عراك التنظيمات الشيوعية - حيث كان عملى فى الأجهزة الفنية وفى قرية نائية (الضهرية - بحيرة) لظروف الأمان، لم أعرف سوى هذا التنظيم على أنه التنظيم الشيوعى الوحيد وكل ما عداه تنظيمات إما انتهازية يمينية أو انتهازية يسارية وذلك من خلال التعرف على مطبوعات هذا التنظيم الداخلية والتى كنت أشارك فى طباعتها.

وكان هناك ارتباط بالطبقة العاملة إلى حد ما وأذكر على سبيل المثال فى الفترة الأولى من ارتباطى بالتنظيم وقبل تخصصى فى الأجهزة الفنية وفى منطقة نائية بعيدة وهذه الفترة لا تتعدى عدة أشهر، كنت أعمل عاملاً فى شركة الملح والصودا بالاسكندرية، قسم السيارات وكان لنا نشاط ملحوظ فى الدفاع عن حقوق العمال وضد الشركة وضد القيادات النقابية الصفراء- وظهر تجاوب من العمال إلى حد ما لشعاراتنا - لكن هذا التجاوب ظل محدوداً لأن النشاط أصلا ظل محدوداً، وفى تقديرى أن ذلك يرجع لخط يسارى فى العمل الجماهيرى لهذا التنظيم تمثل فى رفع شعار (بل وتنفيذ) بتكوين النقابات السرية مما جعل من العمل الجماهيرى النقابى الواسع محدوداً جداً وأعطى القيادات النقابية الصفراء فرصة ذهبية لمطاردة العناصر النشطة النقابية ووصفها بأنها عناصر شيوعية تعمل فى الخفاء ضد الشركة والعناصر النقابية. قامت هذه العناصر النقابية الصفراء بالبحث والتحرى عن العناصر النشطة لإرشاد البوليس السياسى وقتذاك عن هذه العناصر وكان ذلك من أهم الأسباب التى دعتنى إلى ترك العمل بهذه الشركة.

كما كنت ألاحظ ارتباط التنظيم بالحركة النقابية إلى حد ما من خلال ماينشر من رسائل عمالية من أماكن مختلفة فى مطبوعات التنظيم ومن خلال تنوع المشاكل العمالية وتنوع أماكنها، لكن السرية الشديدة والخوف من تسرب العناصر البوليسية إلى التنظيم ورفع بعض الشعارات اليسارية مثل تكوين النقابات السرية عاق إلى حد كبير جداً من نشاط التنظيم

وسط الجماهير، خاصة وسط الطبقة العاملة.

كان للتنظيم جريدة دورية (راية الشعب) كما كان للتنظيم مجلة داخلية (الحقيقة) وأصدر التنظيم دراسة شاملة عن المجتمع المصرى منذ محمد على باشا إلى العصر الحالى (آنذاك ١٩٥١) بعنوان (تطور الرأسمالية فى مصر) كما أذكر أنه كان للتنظيم نشرات دورية بل على الأصح جرائد دورية عن الحركة العمالية والحركة الفلاحية - كما أعتقد أن التنظيم كان يحاول بجدية نشر الثقافة الماركسية بين أعضائه وتوعيتهم من خلال مجلته الداخلية (الحقيقة) ومن خلال بعض الدراسات عن التنظيمات الأخرى وذلك بغض النظر عن الاتهامات التى كانت توجه إليها بالانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية - إلا أنه كانت هناك عناية خاصة بالتربية الفكرية لأعضاء التنظيم وربما كان لهذا الجهد أثره الكبير فى وحدة الفكر داخل التنظيم وفى مرحلة محددة بالذات من أعوام ١٩٥١ إلى أعوام ١٩٥٥ بغض النظر عن الفكر اليسارى الذى ساد التنظيم، وأضرب مثلاً واحداً عن وحدة الفكر داخل التنظيم فى عام ١٩٥٥ وبعد باندونج وصلت إلى السجن جريدة راية الشعب - وكان هناك - على ما أذكر -عنوان باسم «فاشى مصر يبحث عن المجد في باندونج»، وعنوان آخر عن اليمن «الإمام أحمد يصون استقلال اليمن» - ورغم ثبوت خطأ العنوان الأول وصواب العنوان الثانى فيما بعد - أذكر أن جميع أعضاء التنظيم داخل السجن وافقوا على العنوان الأول واعترضوا على العنوان الثانى من منطلق أن الإمام أحمد إقطاعى متخلف فكيف يصون استقلال بلاده. وفى هذه الفترة بالذات وقف الإمام أحمد ضد أطماع الانجليز والسعودية فى اليمن.

كان للتنظيم استراتيجية واضحة على أساس أن مصر بلد شبه مستعمرة، شبه إقطاعية وأن هناك ثورتين لا ثورة واحدة ثورة برجوازية ديمقراطية وثورة اشتراكية وأن الثورة الأولى لابد وأن تتم تحت قيادة الطبقة العاملة حيث أن البرجوازية (حسب فكر التنظيم وحسب مقولة لستالين كما كان يذكر التنظيم) قد ألقت بعلم الوطنية فى الوحل وأن الضربة الأساسية في هذه الثورة هى عزل الفلاحين والبرجوازية الصغيرة عن نفوذ البرجوازية وفكرها وجرهما إلى التحالف مع الطبقة العاملة والسير تحت قيادتها (نموذج الثورة الصينية)

وعلى أساس هذا الفكر كان موقف التنظيم من سلطة يوليو أنها انقلاب عسكرى فاشى

وكان ذلك نتيجة لتفكير ميكانيكى- فما دامت الثورة لابد وأن تقودها البروليتاريا وهذا لم يحدث فإن ما حدث لابد وأن يكون شيئا آخر غير الثورة وهو الانقلاب العسكرى الفاشى.

وكان لذلك أساس نظرى حيث كان يذكر التنظيم مقولة لستالين «أنه فى حالة عدم استطاعة البروليتاريا الاستيلاء على السلطة وعدم مقدرة البرجوازية الاستمرار فى سلطتها بالطرق التقليدية فإن المخرج من هذا الوضع هو الانقلاب الفاشى».

تمت الوحدة فى يناير ١٩٥٨ - بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى - وقد أعقب هذا المؤتمر لغط كبير عن الجمود والعقائدية وعدم تجديد الفكر والقيادات المترسخة فى مكانها لسنوات طويلة وعن تسلط هذه القيادات وعدم مشاركة الكادر والأعضاء فى الأحزاب الشيوعية بالفعالية فى أعمال هذه الأحزاب من خلال المؤتمرات المتوالية.

هذا إلى جانب أن الوضع الداخلى فى مصر قد تميز فى هذه الفترة بقدرة عبد الناصر بعد باندونج وتأميم قناة السويس ثم الوحدة مع سوريا إلى جذب أعداد غفيرة من الجماهير وراء شعاراته.

فى هذه الفترة بالذات واجهت القيادات، وفي كل التنظيمات بلا استثناء، وبدرجات متفاوتة، عزلة كبيرة عن كادرها وأعضائها. هذا ما كنت أعتقده وكان يعتقده الكثيرون، خاصة الذين كانوا يمضون فترة السجن الطويلة فى الواحات. وظهر فى صفوف الكادر رأى بأنه قد حان الوقت لتغيير هذه القيادات المترسخة لفترة طويلة فى مواقعها بحجة السرية وحماية التنظيم من الضربات البوليسية إلا أنه بعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ والانفراجية المؤقتة بعدها والتقارب بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى ظهرت فى الصورة بعض هذه القيادات وأصبحت شعارات السرية الشديدة غير مقبولة فى صفوف الكادر وهنا ظهر مطلب واحد يكاد يكون صوتاً واحداً بين الكادر وفى جميع التنظيمات وإن كان بصور مختلفة خاصة فى الواحات وكان هذا المطلب هو عقد مؤتمرات فى كل هذه التنظيمات لمحاسبة القيادات المترسخة لمدة طويلة فى مكانها وإجراء التغييرات اللازمة لتجديد الحركة.

لذلك وهنا هو المهم فى الأمر أن نظر الكادر خاصة فى الواحات إلى ما كان يتم من إجراءات للوحدة بين مختلف القيادات ما هو إلا هروب لهذه القيادات من مواجهة الكادر فى

كل تنظيم وصرف أنظار هذا الكادر عن محاسبة قيادته فى تنظيمه إلى تعبئة الكادر فى معركة وهمية (كل تيار ضد تيار، أو تحالف تيارين ضد تيار مؤقتا، ثم تصفية تيار لتيار).

وهذا ما حدث بالفعل.

الموقف من الاحتلال الانجليزى حتى اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤

كان الموقف واضحا من الاحتلال الانجليزى بشكل لا غموض فيه حيث تناولت كل مطبوعات التنظيم سواء ما كان يتعلق بالموقف الاستراتيجى أو المواقف التكتيكية على أن الاستعمار الانجليزى هو العدو الرئيسى للطبقة العاملة المصرية وللشعب وأن الهدف الأساسى من الثورة الوطنية الديمقراطية (الثورة الأولى - قبل الاشتراكية) هو الإطاحة بالاحتلال الانجليزى وتطهير البلاد منه.

كما أن مطبوعات التنظيم كانت كل أنواع المقاومة للاحتلال الانجليزى من المظاهرات إلي الكفاح المسلح فى قناة السويس.

أما الموقف من اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ فقد كان مبنيا على أساس أن سلطة الضباط ما هى إلا ناتج عن انقلاب عسكرى فاشى متحالف مع الاستعمار الانجليزى وفى خدمته ولذلك تم النظر إلي هذه الاتفاقية على أنها اتفاقية تسليم للمحتل الانجليزى لا اتفاقية نحو تحرير البلاد من الاحتلال والعار). وللحقيقة والتاريخ كنت مقتنعاً فى ذلك الوقت بكل شعارات هذا التنظيم.

الموقف من القيادات والأحزاب الأخرى قبل ثورة ١٩٥٢

الأحزاب الأساسية كانت فى ذلك الوقت.

حزب الوفد - حزب السعديين - الاخوان المسلمون - الحزب الاشتراكى (حزب مصر الاشتراكى - أحمد حسين)

كان الموقف من حزب السعديين هو العداء على أساس أن هذا الحزب هو حزب القصر (السراى) والانجليز.

كذلك الموقف من حزب الوفد على أساس أنه حزب البرجوازية التى (ألقت بعلم الوطنية فى

الوحل) وإن اعترف التنظيم بأن هناك قواعد من الشباب الوطنى يجب عزلها عن هذا الحزب وضمها إلى الصفوف الوطنية ونظر التنظيم إلى حزب (الإخوان المسلمين) كحزب فاشى وإن ضم عناصر مضللة من الشباب يجب توعيتها وضمها إلى صفوف الوطنية.

أما الحزب الاشتراكى فهو حزب البرجوازية الصغيرة يمكن التحالف معه فى مرحلة الثورة البرجوازية الوطنية والتى يجب أن تتم تحت قيادة البروليتاريا وحزبها الشيوعى.

كان الموقف واضحًا وضوحًا تامًا مع العمال وضد السلطة إذ كان التنظيم ينظر إلى هذا الحدث على أنه مقاومة من العمال ضد الانقلاب الفاشى (سلطة يوليو) وأن العمال ضحايا هذا الانقلاب ولذلك وقف التنظيم بقوته مع العمال وندد بما حدث لهم وكان ذلك واضحًا فى الجريدة الدورية (راية الشعب) وكذلك فى النشرة العمالية التى كان يصدرها. وأدان التنظيم كل الذين كانوا يقفون ضد الأحداث واعتبرهم كأذناب للفاشية وأعوان لها.

شهادة

محمد فخري

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : محمد على فهمى فخرى

محل وتاريخ الميلاد :٢/٥/١٩٣٢ - بالإسكندرية

المـــؤهـــلات : دبلوم فنون وصناعات عام ١٩٥١.

ثم عملت بشركة الغزل الاهلية بالاسكندرية، ثم شركة الحرير الصناعى، ثم الإدارة الهندسية لمجلس مدينة بورسعيد ثم مجلس مدينة قوص ثم مجلس مدينة بنى سويف ثم مديراً عاماً بمكتب بيع الأسمنت المصرى بوزارة الإسكان والتعمير .. ثم بالمعاش من ٢/٥/١٩٩٢

وانضممت للحركة الشيوعية المصرية فى يوليو ١٩٤٧ وكان عمرى ١٥ عاماً.

أما عن فترات السجن والاعتقال فهى :-

١ - من ٢٦ يناير ١٩٥٢ إلى يـــوليـــو ١٩٥٢ : معتقل النزهة البحرى بالاسكندرية

٢ - من ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ إلى ١٤ يناير ١٩٥٣ : بالسجن الحربى بالقاهرة

٣ - من سبتمبر ١٩٥٤ إلى مــايـــو ١٩٥٦ : حجز بورسعيد ثم مباحث أمن الدولة بالقاهرة وحجز الخليفة ومعتقل القلعة ثم أسيوط ثم أبو زعبل.

٤ - من مايو ١٩٥٩ إلى يونيه ١٩٦٤ فى حملة مارس ١٩٥٩ : الفيوم من القلعة، ثم أودعت ليمان أبو زعبل ثم الواحات الخارجة، ثم السجن الحربى.

* تعرفت على الفكر الماركسى من خلال معارك النضال الوطنى فى مظاهرات عام ١٩٤٦ ومن خلال لجنة الطلبة والعمال فى مواجهة حكومة صدقى والنقراشى والملك فى مدينة الاسكندرية، وقراءات لكتاب شهدى عطية الشافعى عن تطور الحركة الوطنية في مصر ثم المجموعة الخضراء عن فكر ماركس - لينين .. ثم كتابات خالد محمد خالد «من هنا نبدأ»، و«هذا أو الطوفان»، و«ولكي لا تحرثوا فى البحر» ثم مدرسة كادر فى منظمة «نحو حزب شيوعى مصرى» التى كانت عمالية ثورية.

بالنسبة للمواقف السياسية السابقة للانضمام للحركة الشيوعية فتمثلت في المشاركة فى المظاهرات الوطنية التى شملت مصر كلها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى تطورت هذه الحركة الوطنية تحت قيادة لجنة الطلبة والعمال بمدينة الإسكندرية مع قيادات الطليعة الوفدية

والقيادات العمالية بالمدينة .. حتى التقيت بالحركة الشيوعية عام ١٩٤٧ فى بداياته.

لقد ارتبطت بعدة تنظيمات هى «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» فى بدايات عام ١٩٤٧، ثم «نحو حزب شيوعى مصرى» (العمالية الثورية سابقًا) ثم نواة «الحزب الشيوعى المصرى» .. ثم «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» .. ثم «الطليعة الشيوعية» ثم الحزب الشيوعى المصرى (٨ يناير) ثم محاولات تشكيل تنظيم جديد يسعى لوحدة الحركة الشيوعية بعد رفضى لحل الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٦٥.

* لقد كنت على معرفة بنشأة التنظيمات التى ارتبطت بها وتطورها وعمليات الوحدة والانقسام التى مرت بها وأسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥. إلا أن وجهة نظرى التى ناضلت من أجلها وكانت حلمًا نضاليًا شدنى دائمًا وحرصت عليه .. هو أهمية وضرورة توحيد الحركة الشيوعية المصرية، حيث كان هذا التدهور الانقسامى لا مثيل له فى الحركة الثورية الاشتراكية فى العالم كله :-

ووجدت فى «منظمة نحو حزب شيوعى مصرى» ثم «نواة الحزب الشيوعى المصرى» ذلك الحرص الواعى على توحيد الحركة الشيوعية المصرية. فقد خصصت نحو حزب شيوعى (نحشم) نشرة داخلية ثم نواة الحزب الشيوعى المصرى التى أصدرت نشرة دائمة تحت اسم إلى الامام فى سبيل تكوين الحزب الشيوعى المصرى، وفتحت صفحاتها كى يكتب فيها كل الشيوعيين المصريين حول المسائل الاستراتيجية للثورة الاشتراكية فى مصر والتصور العملى للمراحل التى تؤدى لها.

على أن ينتهى هذا الحوار المصحوب بتنسيق فى مجالات العمل فى نقاط الاتفاق .. إلى مؤتمر عام يشمل الكادر الأساسى للمنظمات الشيوعية المختلفة تحسم داخله الخلافات بالأغلبية والأقلية بالتصويت.

وتنتهى بذلك مهزلة بل كارثة الانقسام والتفتت الرهيب الذى ساد الحركة الشيوعية المصرية لسنوات طويلة وأصبح محل دهشة كل الأحزاب الشيوعية فى العالم ودارت حول أسبابه تساؤلات مريرة ومؤسفة.

ولعل هذا الضعف المرير الذى سببته الانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية قد أدى إلى فرار عدد ليس قليلاً من كادر الحركة الشيوعية فى مصر بعيدًا عن الحركة .. وربما هذا

الضعف هو الذى فتح الطريق للمساومات مع عبد الناصر ورجاله خلال التطورات التي شهدتها الحركة الثورية الوطنية في مصر في الخمسينيات والستينيات .. تلك المساومات مع عبد الناصر التى مارستها القيادات وأدت إلى حل التنظيمين الأساسيين فى الحركة الشيوعية المصرية فى منتصف الستينيات بأسلوب أذهل الكثيرين من كادر اليسار المصرى الشيوعى وشجع عبد الناصر على السير فى خط العداء للديمقراطية وحركة اليسار المصرى.

فقد كانت معركة كسب قضية الديمقراطية وحق تكوين الأحزاب وتداول السلطة ديمقراطيًا هو الوجه الذي اكتسبته الحركة الوطنية فى مصر .. وكان كسب الديمقراطية لصالح الجماهير هو جوهر والعصب الأساسى لنجاح الثورة وتحولها نحو طريق الاشتراكية بكسب التجمعات الجماهيرية حولها ..

وكان عبد الناصر يرى ويحرص دائما على القتال هو ومجموعة العسكريين من رجال يوليو ١٩٥٢ والفنيين والتكنوقراط والمنتفعين من التنظيم الطليعى على عرقلة وإعاقة كسب قضية الديمقراطية جوهر الثورة المصرية والذى تعلمته الجماهير من خلال نضالها الوطنى منذ بداية الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ والمعارك الوطنية بعد الحرب مرورًا بحركة الكفاح المسلح فى القنال التى فتحت طريقًا لحشد الجماهير ديمقراطيًا فى مواجهة السراى والاستعمار فى أروع أيام النضال وأعظمها حتى قطع هذا الطريق بحريق القاهرة الذى سهل على المجموعة العسكرية للانقضاض فى انقلاب عسكرى على سلطة ملكية منهارة ومفضوحة أمام الجماهير..

وبعد إصرار عبد الناصر للعداء للديمقراطية .. أصبح كسب قضية الديمقراطية ليس إضافة كمية لنظام عبد الناصر .. بل إضافة كيفية لنظام عبد الناصر يؤدى بالضرورة إلى تنحيته عن السلطة. وفى تقديرى أن حائط استناد عبد الناصر للعداء للديمقراطية وعبثه بالمتناقضات العالمية بين المعسكرين العالميين هو الذى أدى لفشل التجربة الناصرية، حيث ينتهى نظام عبدالناصر بعد وفاته .. وتنهار البنية الأساسية لنظام رأسمالية الدولة فى مصر.

فإجراءات يوليو ١٩٦١ وأغسطس ١٩٦٢ تمت وآلفان من قيادات اليسار داخل السجون والمعتقلات لمدد طويلة.

فمساومة قيادات أو معظم قيادات الحركة الشيوعية المصرية. أسقطتهم تحت القيادة

الناصرية فى التنظيم الطليعى بجوار رجال المخابرات وأبرز قيادات وزارة داخلية مصر تحت مظلة عبد الناصر الكثيفة، والتى هى جزء من بنية عبد الناصر الفكرية والاستراتيجية فى العداء الجذرى لقضية الديمقراطية من نفس الحائط الملكى والخديوى القديم .. فشعار كسب الديمقراطية يعنى فى النهاية إسقاط النظام نفسه سواء كان ملكياً قبل يوليو ١٩٥٢ أو ناصرياً فى نظام رأسمالية الدولة التى كانت رأسمالية فردية قبل عبد الناصر.

فلا فرق بين عبود وإسماعيل صدقى مالكى الأسهم القدامى فى النظام الصناعى أيام الملكية وبين عبد الناصر ورجاله الذين نقلوا هذه الملكية للدولة الناصرية ..

وهذا هو الذى سهل مسألة نقل النظام من جديد من الملكية العامة للدولة إلى الملكية الخاصة بداية من السادات أحد قيادات يوليو إلى ولى العهد حسنى مبارك الذى فتح الطريق لمصر من جديد كى تصبح دولة تدور مع وفى فلك التبعية الاستعمارية وتنحط الرأسمالية المصرية حتى بتراثها الصناعى ويسقط حتى حائط طلعت حرب إلى مستوى الرأسمالية المصرية التابعة للاستعمار العالمى ويسقط حتى الحلم الرأسمالى الصناعى فى بناء مصر الرأسمالية الصناعية، وتفتح أبواب مصر على مصراعيها أمام الزحف الإمبريالى كى تتحول مصر بخطوات متعجلة إلى بلد تابع تحت مظلة «كامب ديفيد» وسقوط «ياسر عرفات» تحت السيادة والمطرقة الاسرائيلية المدججة بالسلاح الحديث للزحف من جديد كى تتحول المنطقة العربية كلها إلى التبعية للوحش الأمريكى الإمبريالى الذى يهيمن الآن على العالم بعد السقوط الدرامى والسريع لذلك المعسكر الإشتراكى الذى كان سنداً حقيقاً لقوى التحرر الوطنى فى العالم دون تمييز حتى تعود بالثورة الاشتراكية العالمية للخلف مائة عام .. وتستيقظ الرأسمالية من فراش الموت، وكأن نبوءة لينين عن هذا الموت للرأسمالية لم تكن صحيحة .. إن ما تلقاه عبد الناصر من مساندات على حساب التنمية الاشتراكية داخل الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى كان غطاءً خارج دائرة حسابات دقيقة وفهماً عميقاً لهذا العداء للاشتراكية فى بعض البلدان المستقلة حديثاً وعلى رأسها مصر .. كان معاكساً بمستقبل الاشتراكية فى العالم، ودفعت ثمنها شعوب المعسكر الاشتراكى التى جاء هذا الاستقلال الحديث لهذه البلدان كى تظل شعوب المعسكر الاشتراكى تعيش فى دائرة الفقر وكأن ثوراتها لم تجز بعد .. بل كانت شعوب دول أوروبا الرأسمالية تعرف حياة لشعوبها أفضل من

تلك الدول التى أصبحت اشتراكية وخصم من دخولها ضريبة ساذجة لرأسماليات وطنية تعادى الاستعمار والاشتراكية معًا. بل كانت شعوب بعض الدول حديثة الاستقلال تعيش حياة أفضل من شعوب الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية.

بل كانت تكلفة تسليح جيوش عبد الناصر فى حرب ١٩٥٦ بداية من الصفقة التشيكية ثم الدعم التسليحى السوفيت فى ١٩٦٧ يلقى على رمال سيناء بجملته وكأنه إهداء للجيش الإسرائيلى يترك له الأرض والسلاح بأكمله .. وهنا الفرق بين موقف «جوزيف ستالين» وبين قيادة «خروشوف» الذى نحت وحرث أرض الردة عن الماركسية؟! لقد خرج الشعب السوفيتى من الحرب العالمية الثانية متحملاً أعباء الانتصارات فى الحرب العالمية الثانية كى تضاف له أعباء قيادات العالم الثالث والدول حديثة الاستقلال .. فلقد استحوذ عبد الناصر وجيشه ذا القيادات الهشة على جزء كبير من ميزانية الحرب التى تحملتها شعوب الاتحاد السوفيتى وكأن الثورة الاشتراكية يمكن تصديرها.

فلقد تحملت شعوب الاتحاد السوفيتى أعباء الحرب الثانية ثم أعباء عبث قيادات العالم الثالث بلافتة الاشتراكية التى أصبحت جزءاً من الفكر التحريفى للفكر الاشتراكى وكأن الثورة الاشتراكية فى مصر ومثيلاتها تصنعها شعوب الدولة الاشتراكية الأولى والمعسكر الاشتراكى..

لقد دفعت الدول الاشتراكية رصيد الاشتراكية كله لقيادات العالم الثالث الطفيلية من فاتورة عرق هذه الشعوب وعلى حساب دخولها وكان بحق عبد الناصر من أسوأ قيادات العالم الثالث التى مارست العبث بعقل القيادات السياسية فى الاتحاد السوفيتي بعد رحيل ستالين .. وكأن الثورة الاشتراكية يمكن تصديرها فى صناديق السلاح السوفيتى الذى تركه جيش عبدالناصرالمهزوم على أرض سيناء..

وهكذا أدى هذا الدعم إلى أن تلقى «حدتو» هى والحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير) بحزبها فى مزبلة عبد الناصر لرأسمالية الدولة المعادية للديمقراطية وحق التعددية الحزبية والحزب الشيوعى فى الممارسة المستقلة لقيادة الطبقة العاملة المصرية وجماهير مصر العريضة التى دفعت فى الحرب مع إسرائيل مئات الألوف من الشهداء.

لقد فشل عبد الناصر تمامًا فى خلق حزب حقيقى لما أسماه ثورة يوليو - لذلك كان الرجال

الذين التفوا حوله أثناء تناقضاته الحادة مع الاستعمار وإسرائيل هم أنفسهم الذين التفوا حول السادات فى معظمهم. وسقطت مع وفاة عبد الناصر التجربة الناصرية كلها .. وسقط رجاله القلائل فى مايو ١٩٧١ سقوطًا سهلاً فى فم السادات «رجل كامب ديفيد» حيث قطع الطريق نحو خلق دولة فلسطينية ديمقراطية تقضى على الكيان الصهيونى وتشمل اليهود ضمن الوطن الفلسطينى مسقطة الدولة الإسرائيلية.

* لقد ارتبط التنظيم بالطبقة العاملة على أكثر من مستوى، فقد استطاعت الحركة الشيوعية المصرية بمختلف تنظيماتها صغيرها وكبيرها بأن يكون لها وجود لعناصر يسارية فى عدد من النقابات العمالية .. كنقابة النسيج بالقاهرة التى عرفت في قياداتها نجاتى عبدالمجيد أحد القيادات العمالية اليسارية الواعية وأحمد الجبالى وعبد الجواد القطان، ونقابة النسيج بشبرا الخيمة كمحمد شطا وفكرى الخولى وطه سعد عثمان المناضل المثقف الذي لعب دوراً رائداً هو وسيد عبد الوهاب ندا فى حركة الطلبة والعمال فى فبراير ١٩٤٦.

وكان من أبرز قيادات الحركة العمالية فى شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية عبد المنعم إبراهيم فى الاربعينيات وإبراهيم نوفل فى حى كرموز ومحرم بك بالاسكندرية .. وفي الستينيات أبو العز الحريرى الذى أصبح عضوا بمجلس الشعب. وشحاته عبد الحليم فى النقل العام بالاسكندرية ومحمد الطرابشى فى النقل العام بالقاهرة .. ومحمود الخطارى الذى قاوم فى النقل العام بالقاهرة والذى قاوم إضراب الصاوى فى النقل أثناء أزمة مارس ١٩٥٤، وقاد الترام لتسيير القاطرات فى مواجهة الإضراب الذى دبره الصاوى مساندة للجناح المعادى للديمقراطية فى هذه الأزمة. وأحمد طه الذى أسس نقابة شركة ماركونى للتلغراف واللاسلكى وكان أحد قيادات الحركة العمالية ولعب دوراً فى محاولة تأسيس الاتحاد العام فى الخمسينيات وعضو مجلس الشعب عن دائرة الساحل لعدة دورات.

ولم يكن صدفة أن يتم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حيث جاء هذا الحريق لضرب حركة الكفاح المسلح فى القنال وإسقاط حكومة الوفد وعرقلة اجتماع اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لنقابات مصر فى ٢٧ يناير ١٩٥٢. حيث تمت حركة اعتقالات واسعة مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢.

وبعد قيام الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حاولنا نحن الشيوعيين المصريين من

مختلف التنظيمات اليسارية أن تدعو للتحضير لانعقاد اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات مصر فى ديسمبر ١٩٥٢.

لذلك تم اعتقال ١٣ شخصاً وأودعوا السجن الحربى فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ وهم حصراً الأسماء التالية :

أذكر منهم ..

١ – محمد على عامر (عامل نسيج بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى).

٢ – أحمد طه رئيس نقابة ماركونى سابقاً.

٣ – شحاته عبد الحليم عامل نقابى بالنقل العام بالاسكندرية وعضو «حدتو» والنجم الأحمر سابقاً.

٤ – سيد حسن عبده (محترف بحدتو)

٥ – عبد المنعم إبراهيم قائد عمالى بشركة الغزل الأهلية وأحد قيادات نحو حزب شيوعى مصرى

٦ – سعد عبد اللطيف الساعى أحد قيادات حدتو

٧ – فرج إسكندر أحد قيادات نحو حزب شيوعى – مثقف – ومترجم.

٨ – حمدى مرسى .. محام وعضو «بحدتو»

٩ – محمد على فهمى فخرى كاتب هذه الشهادة وأحد قيادات منطقة الإسكندرية لنحو حزب شيوعي مصري.

ويتم الإفراج عن هؤلاء مساء يوم ١٤ يناير ١٩٥٣ نفس اليوم الذى تم فيه إلغاء العمل بدستور ١٩٢٣ وإلغاء الأحزاب السياسية.

والغريب أن عباس حليم أحد أفراد الأسرة المالكة كان أحد المعتقلين ضمن هذه المجموعة .. فقد كانت له اهتمامات بالحركة العمالية وصلت إلى محاولة منه لتأسيس حزب أسماه حزب العمال.

* بالنسبة لدور التنظيم وسط الفلاحين كان دوراً ضعيفاً، ولم تبرز قيادات فلاحية (أى عمال زراعيين أو صغار ملاك) ولكن كان هناك مثقفون يساريون ارتبطوا بالريف وارتبطوا

بالحركة الشيوعية هم من أبناء الفلاحين وارتبطوا سياسياً بأبناء قراهم ونجوعهم.

ولكن أيضاً عاش بعض المحامين والمثقفين بالريف ولعبوا دوراً لنشر الفكر اليسارى وسط الفلاحين .. وكان أحمد سليم (فلاح) من حدتو ولعب محمد شطا دوراً فى الريف بقريته .. وكذلك عريان نصيف والشيخ عراقى وعطية الصيرفى وعبد الله الزغبى المحامى وطاهر عبد الحكيم وعدد آخر لاتسعفنى الذاكرة بحصرهم.

* كان لإصدارات التنظيم دورها فى نشر الثقافة الماركسية ونوعية أعضائه بها فقد كان يصدر بعض المجلات التنظيمية والجماهيرية والدراسات فمن أهم ما أصدرته نواة الحزب الشيوعى المصرى هى نشرة شبه دورية تحت اسم «إلى الأمام فى سبيل تكوين حزب»

ولعبت هذه النشرة التى خصصتها «نواة الحزب» مفتوحة لكل الشيوعيين من أجل الوحدة وطرح حوار أيديولوجى واسع مع منظمة النجم الأحمر ونحو الحزب الشيوعى المصرى ووحدة الشيوعيين والتيار الثورى الخارج عن حدتو فى بداية الخمسينيات بقيادة بدر.

وأدت فى النهاية إلى خلق وحدة «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» وفى بداية هذا الاتفاق شكلت الوحده من قيادات هذه التنظيمات الذين لم تشملهم حركة الاعتقال والسجن. ولعب محمود أمين العالم دوراً بارزاً فى هذه الوحدة ..

ولكن ارتكبت هذه اللجنة خطأ فادحاً بأن سمحت بالتنازل عن دورها ونقل عملية الوحدة داخل «سجن مصر» تحت ضغط قيادة حدتو التى كانت تدافع عن خط آخر للوحدة ترى فيه أنها الأم التى تمردت عليها هذه التنظيمات ويجب عودتهم إلى «رحمهم» الأول «حدتو».

وكان مبرر «حدتو» لسحب لجنة الوحدة إلى السجن هو وجود معظم أعضائها إن لم يكن جميعهم داخل السجن والمعتقلات ..

ولكن كان تراجع «حدتو» عن شعار عودة أبنائها هو مكسب حققه شعار النواة فى تأسيس الحزب ..

ولكن مجرد دخول الوحدة إلى داخل سجن مصر ساد منطق التمثيل النسبى للقيادة بدلاً من شعار الانتخاب للقيادة ..

نعم تنازلت حدتو عن منصب السكرتير العام للحزب وتركته كى يشغله «عدلى جرجس» المسئول السياسى لمنظمة «النجم الأحمر» وقبلت تجميد عضوية يونس بالحزب «الشيوعى

المصرى الموحد » حيث كانت هذه تحفظات أو ضمن تحفظات كل من النواة والنجم الأحمر ووحدة الشيوعيين ونحو حزب شيوعى، وخسرت بذلك نواة الحزب شعار المؤتمر العام الذى يتوج الحوار على صفحات نحو «حزب شيوعى مصرى» وخسرت أيضًا استكمال الوحدة بعيدًا عن مزايدات السجون وعزلة القيادات فيها عن الحركة الجماهيرية اليومية وأجلت الوحدة مسألة انعقاد المؤتمر لحين الإفراج عن المعتقلين فى داخل معتقل أوردى ليمان أبو زعبل ..

وحتى بعد الإفراج العام عن المعتقلين فى مايو ١٩٥٦ أجلت مسألة المؤتمر العام لهذا الحزب تحت ضغط الظروف السياسية الجديدة وهى تأميم القنال والعدوان الثلاثى ثم الوحدة مع منظمة الراية وتشكيل «الحزب الشيوعى المصري المتحد» ثم دخول منظمة «حزب العمال والفلاحين» فى ٨ يناير وسمى بحزب ٨ يناير الذى لحقته محنة الاعتقالات فى حملتى يناير ١٩٥٩ وحمله مارس فى نفس العام حيث وجه عبد الناصر أعنف الضربات للحركة الشيوعية المصرية ومارس ضدها أبشع أنواع التعذيب الذى سقط فيه عدد من الشهداء على رأسهم شهدى عطية الشافعى وآخرون ..

وعاد الوجه الانقسامى من جديد كى يؤكد أن أسلوب الوحدات الاندماجية دون حوار ينتهى بمؤتمر عام وانتخابات للقيادات ليس هو الأسلوب الأمثل .. وتنتهى المهزلة بكارثة حل الحزبين الرئيسيين فى الحركة الشيوعية المصرية.

ومن أبرز الدراسات التى قدمت من منظمة الطليعة الشيوعية التى هى استمرار لنواة الحزب وأشقاءها الصغار هى الدراسة التى قدمت باسم «فوزى جرجس غطاس» تحت اسم دراسات فى السياسة المصرية حيث تعرضت لتحليل شامل لتاريخ مصر السياسى والطبقى منذ الحملة الفرنسية على مصر ..

وأثرى هذا الكتاب أو هذه الدراسة الحركة الفكرية اليسارية فى مصر بل برز كأفضل الدراسات السياسية والتاريخية التى صدرت فى مصر فى الخمسينيات وتلقفها قسم التاريخ بجامعة القاهرة تحت إشراف محمد أنيس كجزء من الدراسات التى قررت لهذا القسم وأصبحت مرجعًا أساسيًا لأى دارس فى تاريخ مصر السياسى بجانب كتب الرافعى وتطور الحركة الوطنية فى مصر لشهدى عطية الشافعى.

* بالنسبة للمقومات الأساسية كانت منظمتا النواة (نواة الحزب الشيوعى المصرى – ونحو

حزب شيوعى مصرى) ترى أن استراتيجية الثورة المصرية من قضية الثورة الاشتراكية. هى أنها ثورة واحدة. فالبرجوازية الوطنية فى العالم بعد نجاح الثورة الاشتراكية وقيام معسكر اشتراكى ونجاح الثورة الصينية وفيتنام وكوريا الشمالية ..

فمهام الثورة الوطنية أصبحت جزءاً من مهام الطبقة العاملة فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة.

فالثورة الصينية بدأت على الفور أثناء معاركها فى مواجهة الإمبريالية والرجعية المحلية المتحالفة معها فى إنجاز مهام الثورة الوطنية وتحقيق الاستقلال كجزء من الانتقال إلى الاشتراكية .. فالحزب الشيوعى الصينى قد ألقى على عاتقه مهام الثورة الوطنية وتحرير الأرض كجزء من مهام الثورة الاشتراكية بعد أن ألقت البورجوازية علم النضال الوطنى.

وفى مصر عجزت الرأسمالية الوطنية عن إنجاز مهامها فى إقامة ثوره بورجوازية من النمط القديم الذى ساد أوروبا فى القرون الثلاثة الماضية ولافصل إذن بين مهام الثورة البورجوازية ومهام الثورة الاشتراكية من السذاجة أن نقول إن على الأحزاب الشيوعية فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة أن تدعو البورجوازية الوطنية الذى انحصر طموحها الثورى فى إطار أن تصبح جزءاً من النظام الرأسمالى العالمى ولن يسمح لها فى إطار هذا النظام فى إنجاز مهام ثورة بورجوازية من النمط القديم.

فالثورة المقبلة كانت بالضروره ثورة وطنية ديمقراطية تفتح الطريق بالضرورة نحو التحول للاشتراكية ..

وأصبح قبولاً ساذجاً للغاية أن تستجدى الأحزاب الشيوعية الرأسمالية المحلية أن تخوض معها معارك الوطن المسلحة لإنجاز ثورتها البورجوازية ...

فالثورة أصبحت بالضرورة فى البلدان التابعة هى ثوره اشتراكية مرحلتها الأولى هى تحقيق الاستقلال الوطنى لإقامة الاشتراكية .. وليس لإهداء الاستقلال الوطنى لشرائح البورجوازية العليا كى تعود بهذا الاستقلال للتبعية أو للتحالف مع الإمبريالية.

فهى ثورة واحدة على مرحلتين دون فصل بينهما مادامت قيادتها قد قامت بها الطبقة العاملة.

وهكذا تخضع البرامج المرحلية لرؤية البرنامج الاستراتيجى للثورة وهى دائما قابلة للتطوير

لهذا اليمين الذى يفتح أبواب مصر اليوم للهيمنة الرأسمالية ولرأس المال الأجنبى والعربى .. إنها الثورة المضادة المعادية للديمقراطية والتحول الاشتراكى.

* بالنسبة لدورى التنظيمى والمستويات التى شاركت فيها فقد تمثل فى : عضوية لجنة منطقة الإسكندرية فى نحو حزب شيوعى القديمة ٤٩/ ٥٠-١٩٥١.

ثم عضوية لجنة منطقة الإسكندرية لنواة الحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٣ / ١٩٥٤

ثم كمسئول سياسى لمنطقة بورسعيد عام ١٩٥٤

ثم كمسئول سياسى فى بورسعيد عام ١٩٥٦ أثناء الكفاح المسلح فى بورسعيد لمنظمة الطليعة الشيوعية.

ثم عضوية حزب ٨ يناير فى معتقل الواحات الخارجة فى بدايات الستينيات حتى رفضت حل هذا الحزب عام ١٩٦٥.

بالنسبة لتقييمى لدور المحترفين فى التنظيم، والموقف منهم

أولاً : المحترف الثورى هو كادر الحزب الذى هيأته الخبرة النضالية الشاملة، وتمتعه بقدرة تميز بها على هضم وفهم وإيمان عميق بمقومات الحزب الأساسية. وحصوله على أرقى المستويات فى فهم وهضم الماركسية اللينينية فهمًا عميقًا وشاملاً .. وأظهرت قدراته النضالية قدرته على النضال المتصل من أجل الثورة .. فيصبح بذلك وبالضرورة أن يعطى كل الوقت للثورة التى أصبحت ترتبط تمامًا بمصيره الشخصى، ويحتاج الحزب لقدراته هذه أن يتفرغ تمامًا لها .. فعلاقته بالحزب والثورة أصبحت علاقة مصيرية وهب لها حياته.

وليس شرطًا على الإطلاق أن يكون هذا المحترف الثورى عاملاً فى أحد المصانع .. بل الشرط أن يكون قد أعطى حياته كلها لقضية الثورة وحصل على ثقافة ثورية وتلقى فى مدارس الكادر الفكر الماركسى منذ إعلان البيان الشيوعى وأدبيات الثورات الاشتراكية فى العالم وقادراً على نقل هذا الفكر ومقومات الحزب للجماهير العريضة وقادراً على القيادة الحزبية ونقل خبرته وثقافته لمستويات الحزب المختلفة .

وبالطبع لم يتوفر مثل هذا الكادر المحترف للحركة الشيوعية المصرية نظراً لتواجد ظاهرة الانقسامات الرهيبة .. التى سادت الحركة الشيوعية المصرية ..

واعتمدت بعض التنظيمات الشيوعية فى مصر على أن تختار محترفيها من العمال والنقابيين.. دون إعدادهم إعداداً كافيا نظرياً ونضالياً على العمل الثورى .. وبذلك ارتبط ولاء الكثيرين منهم بالدفاع عن قيادة التنظيم التى توفر له الأجر أو المقابل المادى للاحتراف.. فكان معظمهم ولا أقول كلهم فى حالة تبعية كاملة لقيادة التنظيم .. وربما كان هذا التدهور فى مستوى الاحتراف أحد الأسباب الرئيسية لظاهرة الانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية.

فلقد شاهدت الحركة الشيوعية المصرية نوعيات من المحترفين كثيرة من هذا الطراز ..

وفى الأصل المحترف الثورى هو عصب الحزب القادر على النبض والإنجاز الشامل .. وينال إعجاب الجماهير وثقتهم وقدرته على القيادة الجماهيرية العريضة .

ولكن لم تخلو الحركة الشيوعية المصرية من قلة من المحترفين نالوا احترام كادر وأعضاء الحركة الشيوعية المصرية وأعطوا حياتهم كلها للعمل النضالى ودفعوا كل سنوات عمرهم فى العمل النضالى وسجون ومعتقلات مصر.

* كان موقفى من وحدة ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها هو الرفض لهذه الوحدة الإندماجية .. دون أن يسبقها حوار شامل على صفحات نشرة مشتركة لنقاط الخلاف حول المسائل الاستراتيجية والمرحلية، على أن يتم تنسيق فى مجالات العمل فى نقاط الاتفاق تحت إشراف لجنة إدارة الحوار أو لجنة تنسيق بين التنظيمات. فلقد حدثت وحدة اندماجية عام ١٩٤٥ بين «إسكرا» والحركة المصرية للتحرر الوطنى سرعان ما تعددت منها الانقسامات المؤسفة بداية من عام ١٩٤٨ فى مؤتمر عمالية ثورية ثم صوت المعارضة التى أدانت خط قوات وطنية ديمقراطية «لحدتو» الشهير والذى كان سبباً رئيسياً للانقسامات التى أفرختها هذه الوحدة. ثم الوحدة الاندماجية بين نحو حزب شيوعى مصرى لاستمرار عمالية ثورية و«حدتو» سرعان ما انقسمت فى نفس عام ١٩٥٢ حيث كانت هذه الوحدة فى ديسمبر ١٩٥١ ثم الوحدة الاندماجية التى تجاهلت شعار الحوار الذى يجب أن يسبق الوحدة والذى أسست نواة الحزب من أجله جريدة من أجل تكوين حزب شيوعى مصرى ناشدت فيه الشيوعيين المصريين الكتابة بها. وكان ذلك عام ١٩٥٤.

ونقلت لجنة الوحدة من الشارع إلى السجن .. فكانت وحدة الحزب الشيوعى المصرى الموحد بين حدتو والنواة والنجم الأحمر ونحو حزب شيوعى مصرى.

وسرعان ما انقسمت فى نفس العام وخرجت الطليعة الشيوعية على هذه الوحدة الاندماجية نتيجة التأييد المطلق من حدتو لعبد الناصر.

ثم الوحدة الاندماجية للحزب الشيوعى المصرى المتحد التى تمت بين منظمة الراية (الحزب الشيوعى المصرى) والموحد (حدتو).

وفى ٨ يناير أعلن (حزب ٨ يناير) شاملاً فى وحدة اندماجية الحزب المتحد ومنظمة حزب العمال والفلاحين .. وظلت الطليعة الشيوعية بعيدة عن هذه الوحدة مستمرة فى رفع شعار إلى الأمام فى سبيل تكوين الحزب رافضة التأييد المطلق لنظام عبد الناصر.

لذلك ظللت أرى أن الطريق الوحيد لمعالجة الانقسامات المريرة بالحركة الشيوعية المصرية هو الحوار أولاً والنشرة المشتركة والتنسيق فى نقاط الاتفاق وينتهى بمؤتمر عام منتخب انتخاباً عاماً بعيداً عن الحلقية وحائطها المرير .. كان فى رأيى هذا هو الطريق الوحيد الذى يخلق حزباً موحداً بالفعل يقدس مبدأ المركزية الديمقراطية ويؤكد مبدأ الانتخاب وحق الاختيار للقيادات القاعدية والمركزية.

إن أخطر خط انقسامى ساد فى الحركة الشيوعية المصرية هو الخطر الوارد من «حدتو» تحت شعار أنها الأم الرؤوم .. وتحت زعم أن عبد الناصر يقود مجموعة اشتراكية فى قمة السلطة؟! تحل الأم الرؤوم نفسها كى تضع نفسها وكل كادرها وأعضائها تحت القيادة الناصرية فيما سمى التنظيم الطليعى وساهمت بذلك فى انهيار التجمع الآخر لحزب يناير فى اللحاق بها تحت العباءة الناصرية .. بل زعمت «حدتو» أن عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة والمسئول الأول عن عار النكسة أو الهزيمة العسكرية المريرة فى يونيه ١٩٦٧ هو أهم قيادات المجموعة الاشتراكية فى قمة السلطة.

* بالنسبة للموقف من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية

نجد أنه مع تجمع اليهود والأجانب الشيوعيين المقيمين بمصر بدأ فيما سمى بحركة السلام عام ١٩٣٦.

وهناك ملحوظة هامة يجب إبرازها أولاً وهى

أن الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس عام ١٩٢٤ - أى الجيل الأول للحركة الشيوعية كانت معظم قياداته وكوادره من المصريين .. وضم كل من الدكتور حسونة حسين وأنطون

مارون الذى استشهد فى سجن الحضرة بالاسكندرية وشعبان حافظ والشيخ صفوان ومحمد عبد العزيز ومحمد عمر مقبل والشحات إبراهيم والعتال وغيرهم .. ولم يضم فى قيادته أجانب بارزين سواء يهود أو غيرهم ..

ولقد لعب هؤلاء الأجانب دوراً بارزاً سواء يهود أو غيرهم فى بدايات الحرب العالمية الثانية فى إعادة تأسيس الحركة الشيوعية بمصر.

والغريب أنهم لم يبدأوا معاً، فشاهدت عملية التأسيس ثلاثة تنظيمات قادها الأجانب فى البداية :

١ - «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» بقيادة «هنرى كوريل» اليهودى الأجنبى

٢ - «الاسكرا» وهى الشرارة بقيادة «شوارتس» وآخرين من الأجانب.

٣ - «وديمقراطية شعبية» (داش) بقيادة ريمون دويك وأحمد صادق سعد الذى أشهر إسلامه ويوسف درويش.

وليس هناك شك أن معظم هؤلاء اليهود الأجانب لعبوا دوراً أساسيًا فى خلق التيارات الإشتراكية الماركسية من بداية الأربعينيات ولا أحد يعمم اتهامات محددة فى مواجهتهم .. فلقد لعب أحمد صادق سعد دوراً فكريًا رائداً .. وصدرت له دراسات متعددة وأشهر إسلامه وضمته السجون والمعتقلات المصرية هو ويوسف درويش وريمون دويك وهنرى كوريل لسنوات طويلة .. وواجه «كوريل» عملية طرده من مصر بقرار من عبد الناصر فى بدايات الخمسينيات وعاش بعد ذلك فى باريس ولعب دوراً فى مساندة الثورة الجزائرية فى فرنسا .. وتم اغتياله فى باريس فى أسانسير منزله بباريس .. وقيل بعدها أن هذا الاغتيال الغامض تم بواسطة منظمة سرية تابعة للشرطة الفرنسية .. وأنصح بقراءة ما كتبه إبراهيم فتحى عن أوراق كوريل .. صدر فى بيروت منذ عدة أعوام.

ويصعب بإحساس كامل بالمسئولية إلقاء الاتهامات جزافًا، وإن كانت الشكوك والشبهات قد أصابت بعض كوادر الحركة الشيوعية المصريه بعدم الارتياح نحو «هنرى كوريل» بالذات وفى وحدة الحزب الموحد فى بداية الخمسينيات أصرت قيادات التنظيمات التى شملتها الوحدة مع «حدتو» على تجميد عضوية «يونس» وهو الاسم الحركى لهنرى كوريل.

وإن صدقت مقولة أن جهازاً سريًا فى الشرطة الفرنسية الذى هو الذى «نفذ» عملية

اغتيال «كوريل»، فأقول إنه أحياناً تلجأ أجهزة المخابرات العالمية للتخلص من أخلص رجالها لقطع خيوط محددة تشير لها ...

وهناك أيضاً كتاب رؤوف عباس الذى تناول «هنرى كوريل» وأوراقه الذى أنصح أيضاً بقراءته. ولعلنى كنت أرى دائما داخل الحركة الشيوعية المصرية أن لا يشغل أحد من هؤلاء الأجانب خاصة اليهود منهم المناصب القيادية المركزية أو الوسيطة فى الحركة الشيوعية خاصة فى ظروفها السرية.

والملفت للنظر أن أغلبهم كانوا أثرياء وساندوا الحركة الشيوعية المصرية بأموالهم وأسسوا مكاتب ودور نشر ولعبوا دوراً فى الترجمة للفكر الاشتراكى العالمى للعربية.

وعلى أية حال فلقد انقرض هؤلاء والوحيد الذى مات فى مصر هو «أحمد صادق سعد» الذى أثرى الفكر الاشتراكى فى مصر والذى ظل متواجداً بمصر هو «يوسف درويش».

بالنسبة لدورى فى المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومى والأممى التى شارك فيها التنظيم فقد التحقت بالعمل فى بداية تخرجى فى سبتمبر ١٩٥١ بشركة الغزل الأهلية بالاسكندرية ثم فصلت فى معركة تغيير اللجنة النقابية ضمن «قائمة» ضمت ثمانين من العاملين بالشركة. فالتحقت بعد ذلك بشركة الحرير الصناعي بكفر الدوار وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٥١، وبدأنا نناضل من أجل تشكيل اللجنة التحضيرية للانعقاد وبالاسكندرية بذلت جهداً فى هذا المجال .. وتحدد موعد للانعقاد لهذه اللجنة فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ ... وجاء حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ مما أدى إلى إعلان الأحكام العرفية واعتقال الشيوعيين المصريين بما فيهم النقابيون اليساريون مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢، وبذلك تعطل انعقاد اللجنة التحضيرية .. وظللت بمؤتمر النزهة البحرى بالإسكندرية وتم الإفراج عنى فى مايو ١٩٥٢ وألغى انعقاد مؤتمر عمال مصر..

وبعد أحداث كفر الدوار وإعدام «خميس والبقرى» فى هذه الأحداث بدأنا الإعداد مرة أخرى لانعقاد اللجنة التأسيسية لاتحاد نقابات مصر وفجأة تشن مباحث أمن الدولة (البوليس السياسى سابقاً) حملة اعتقال شملت ستة من الإسكندرية، وسبعة من القاهرة وذلك مساء يوم ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ وكنا أول مدنيين يعتقلون بالسجن الحربى بالقاهرة ..

وفى داخل السجن الحربى زارنا النقيب «وفاء حجازى» من مكتب اللواء/ محمد نجيب

والذى أصبح بعد ذلك سفير مصر فى موسكو أثناء حكم عبد الناصر لإجراء تحقيق معنا بعد أن كتبت الصحافة العالمية خبر اعتقالنا ونشرت جريدة «الصراحة» السودانية الخبر فى صدر الصفحة الأولى من أحد أعدادها وهددنا يومها بأنه لن يسمح بعد ذلك بالنشاط الشيوعى فى مصر وتم الإفراج عنا فى ١٥ يناير ١٩٥٣ من السجن الحربى بالقاهرة.

وتقدمت للنيابة فى أكتوبر ١٩٥١ فى توقيعات نداء برلين للسلام الذى وزعته لجنة السلام المصرية وخرجت بكفالة «جنيهين».

* بالنسبة لموقفى من الاحتلال الإنجليزى فى مراحله المختلفة حتى اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ ،وماشهده عام ١٩٥١ من نضال مسلح فى القناة أقول أنه قبل أن تلغى حكومة الوفد بقيادة الزعيم الوطنى الديمقراطى «مصطفى النحاس» معاهدة ١٩٣٦.

كان الشعار السائد قبل هذا القرار التاريخى الرائع هو ألا مفاوضة إلا بعد الجلاء .. وكانت الحركة الوطنية للطلبة والعمال عام ١٩٤٦ قد شجبت مفاوضات (صدقى بيفن) وما أعقبها من مفاوضات بقيادة محمود فهمى النقراشى.

وتطور شعار لا مفاوضة إلا بعد الجلاء فى أعقاب إلغاء المعاهدة إلى بداية الكفاح المسلح فى القنال عام ١٩٥١.

وهنا بدأت أزمة سياسية فى النظام خطيرة للغاية..

فالجماهير بتلقائيتها الوطنية والثورية رافضة أن تحكم بالأساليب القديمة، وترفض التدهور الذى أصاب النظام الملكى والفساد وأحزاب الأقلية الملتفة حوله .. وخط التهادن والتبعية للإنجليز.

وعجزت التنظيمات السياسية اليسارية (الشيوعية) أن تلعب الدور الرئيسى فى حل هذه الأزمة لصالح حركة ثورية تطور معركة الكفاح المسلح بالقنال تحت قيادتها وتسقط النظام الملكى الرجعى المتحالف مع الاستعمار البريطانى العالمى .. ويلحق مصر بالطريق الثورى الذى ساد الصين وجنوب شرق آسيا ..

وبذلك سنحت الفرصة الكاملة للقوات المسلحة (تنظيم الضباط الأحرار) كى يحل هذه الأزمة السياسية للنظام .. فالجماهير ترفض بتلقائيتها الوطنية أن تحكم بالأساليب القديمة،

والنظام الملكى وأحزاب الأقلية المساندة له عاجزة عن ممارسة سلطتها بهذه الأساليب المفضوحة بتبعيتها للاستعمار هى والملك .. ففتح الطريق أمام العسكريين لإحداث الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وفرضت المسألة الوطنية والاحتلال نفسها على قادة الانقلاب حيث بدأ دور عبد الناصر يبرز بعد أزمة مارس ١٩٥٤، وتخلص من العناصر العسكرية التي لعبت دوراً رئيسياً فى حدوث الانقلاب العسكرى وعلى رأسها «محمد نجيب» رئيس الجمهورية .. وقدم «يوسف صديق» الضابط اليسارى وعضو «حدتو» استقالته من مجلس قيادة الانقلاب (الثوره).

وتم اعتقال معظم العناصر اليسارية والشيوعية ومحاكمات عسكرية لعدد منهم وخلقت محاكم لأمن الدولة، وأصدرت أحكامًا قاسية ضد بعض قيادات الحركة الشيوعية المصرية وصلت إلى عشر سنوات أشغال شاقة ولأول مرة يتم نفى المسجونين الشيوعيين فى معسكر «جناح» بالخارجة (الوادى الجديد) وسجن مصر القديم وسجن الحضرة بالاسكندرية وأودع المعتقلين السجون المصرية والليمانات.

ولعبنا دوراً هاماً فى تشكيل لجان المقاومة الشعبية أثناء الكفاح المسلح عام ١٩٥١ وسافر عدد من زملائنا إلى منطقة القنال .. وكان الحصول على السلاح عملية شاقة وبدائية، حيث كنا نصنع قنابل «مولوتوف» فى زجاجات صغيرة وتم شراء بعض المسدسات والبنادق من عرب الصحراء غرب الإسكندرية وسافر عبد الفتاح إبراهيم خجاج عضو لجنة منطقة الإسكندرية لنحو حزب شيوعى مصرى إلى الإسماعيلية وقبض عليه هناك بعد حريق القاهرة واعتقل وزملاؤه هناك ونقلوا إلى معتقل الهايكستب..

وفى أزمة مارس ١٩٥٤، اختفى «خالد محيى الدين» مساء ٥ مارس فى منزل صديق له يدعى «محمود عبد» كما جاء فى مذكراته فى كتاب «الآن أتكلم» وظل مختفيًا حتى انتهت أزمة مارس لصالح عبد الناصر بافتعال طعيمة والطحاوى لإضراب مفتعل فى النقل العام بقيادة نقابى أصفر مشهور وهو «الصاوى» وقام زملاء بتسيير عدد من عربات الترام وسيارات النقل العام لقطع الطريق على الصاوى وضباط عبد الناصر .. بقيادة «محمود القطارى» عامل النقل اليسارى... ولم يعد خالد محيى الدين للقاهرة إلا بعد أن استطاع عبد

الناصر كسب أزمة مارس وتصفيتها لصالح المجموعة الرافضة للديمقراطية ولعودة الكفاح المسلح فى القنال .. وهكذا تخلى «خالد محيى الدين» عن زملائه فى سلاح الفرسان وعن الجماهير العريضة التى التفت حوله. ورفض الرجل أن يدخل التاريخ برحيله للاسكندرية تم قبوله لعملية إبعاد أو نفى ترفيهى إلى جنيف وباريس وسعد خلالها كما قال فى المذكرات بلقاء «هنرى كوريل» على الحدود الفرنسية والسويسرية..

وتبنى عبد الناصر الشعار الرجعى القديم وهو المفاوضة قبل الجلاء الذى رفضه الوفد من قبل ورفضته جماهير مصر العريضة عام ١٩٥١ .. وبذلك وقف عبد الناصر على يمين الوفد وحركة الجماهير المصرية الرافضة للمفاوضة قبل الجلاء وقامت بالكفاح المسلح بالقنال.

وأبعدت كثير من العناصر الوطنية والديموقراطية بالقوات المسلحة عن الجيش خاصة من سلاح الفرسان المزعج لعبد الناصر ومجموعته. وكان منهم «محمود فؤاد المانسترلى» الضابط الشيوعى وعضو نحو حزب شيوعى مصرى وجمد موقف كل من محمد نجيب ويوسف صديق .. وحددت إقامتهم ..

وتبنى عبد الناصر الشعار الرجعى القديم وهو المفاوضة قبل الجلاء ... وإبعاد الدور الجماهيرى عن الساحة الوطنية ومعركة الاستقلال فكانت اتفاقية الجلاء مع الحكومة الإنجليزية فى أكتوبر ١٩٥٤. ورفضها اليسار المصرى كله .. تلك الاتفاقية التى تعلن بنودها كاملة ..

وبذلك استطاع عبد الناصر أن يقطع طريق الحركة الثورية والوطنية التى فرضت الكفاح المسلح بالقنال عام ١٩٥١. وبذلك قطع الطريق تماماً أمام احتمالات أن تلحق الحركة الوطنية المصرية بمثيلاتها فى آسيا والصين وفيتنام وكوريا حتى تحرم الحركة الوطنية بقيادة اليسار المصرى من طريق مسلح للتحرير ينتهى بثورة نحو التحول الاشتراكى.

ولعل السبب الرئيسى فى تدهور الموقف إلى هذا المستوى هو عجز الشيوعيين المصريين عن فرض الكفاح المسلح والتطور به من التلقائية إلى العمل المنظم تحت قيادتهم .. ومن أهم أسباب هذا التدهور هو انقسام الحركة الشيوعية المصرية على نفسها .. بشكل ليس له مثيل فى العالم .. وبذلك سقطت السلطة ومستقبل الحركة الوطنية المصرية على يد هؤلاء العسكريين وعلى رأسهم عبد الناصر نحو مصر المستقلة ونحو إقامة نظام رأسمالية الدولة بعد الاستقلال والعدوان الثلاثى.

* بالنسبة لموقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

الحركة الصهيونية لعبت دوراً خطيراً فى خلق الكيان الإسرائيلى الذى زرعته القوى الاستعمارية الأمريكية والإنجليزية منذ وعد بلفور فى الحرب العالمية الأولى .

وكانت الضربة الموجهه للشعب الفلسطينى هو شعار التقسيم الذى ساهمت فيه دول المعسكر الاشتراكى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .. حيث تأثرت القيادة السوفيتية فى ذلك الوقت بالحركة الصهيونية العالمية .. فساندت التقسيم وقطعت الطريق تماماً على إمكانية بقاء الأرض الفلسطينية موحدة وتخلق دولة واحدة فلسطينية تشمل اليهود والفلسطينيين..

ولم تدرك الدولة السوفيتية فى ذلك الوقت (عام ١٩٤٨) أن الهدف الاستعمارى من خلق الدوله الإسرائيلية كقاعدة عسكرية وترسانة مسلحة التى تهدد استقلال الدول العربية وحركاتها الثورية كى تظل الكيانات العربية تدور فى الفلك الاستعمارى ..

وهكذا شاهدت الأرض الفلسطينية عملية طرد وتهديد وإجبار على الهجرة لمعظم الشعب الفلسطينى. وهكذا أصبحت شعارات تقسيم الوطن العربى الفلسطينى هو مصدر كل الحلول للقضية الفلسطينية وظل هذا الانحدار سارياً بداية من عدوان عام ١٩٤٨ إلى التدهور نحو مبادرة السادات بعد الهزيمة المريرة عام ١٩٦٧ ثم مؤتمر مدريد وتعجز عملية التواجد الفلسطينى فى غزة داخل أحشاء السيطرة الإسرائيلية وعمليات الاستيطان المسلح حتى الحدود اللبنانية والسورية ..

وهكذا يذبل دور فتح كمنظمة نشأ دورها فى صراعات الخمسينيات والستينيات وحروبها ... وتفتح الطرق النضالية على الأراضى الفلسطينية المحتلة لمنظمات كحماس وحزب الله ذات الفكر السلفى وينحسر دور الجبهتين الشعبيتين المسلحتين الديمقراطية والشعبية إلى وجود رمزى غير مؤثر .. ويساند الدعم الإيرانى الإسلامى هذه الكيانات الفلسطينية المسلحة.

مما أدى إلى هذا التدهور الرهيب لمنظمة فتح بقيادة عرفات فى غزه المحاصرة كى تصبح كياناً فلسيطينياً رمزياً يخضع للتدخل اليومى لاسرائيل .. وبذلك تتم عملية إجهاض للثورة الفلسطينية .

لقد كانت بداية التنازلات هى عملية التقسيم القديمة وأن الخط الوحيد الذى يجب الدفاع عنه فى هذا الزمن الصعب .. هو خلق قيادة فلسطينية جديدة تشمل جبهه واسعة لمنظمة واسعة

تضم فتح والمنظمات الفلسطينية الأخرى .. وستظل القضية الفلسطينية هى القضية المحورية للشعوب العربية فى مواجهة الإمبريالية والاستعمار العالمى ..

وستظل القضية الفلسطينية هى محور النضال الوطنى الديمقراطى للشعوب العربية والشعب الفلسطينى .. حتى تتغير كثير من القيادات فى الكيانات العربية وتسقط عمليات التطبيع .. ويتم التنسيق بين المنظمات والاحزاب الثورية فى المنطقة العربية .. فالوحدة العربية هى وحدة طلائع الشعوب العربية فى مواجهة الحكومات العربية المتعاونة مع الدولة الإسرائيلية .. وفي مواجهة الاستعمار العالمي..

وهذا هو الطريق الصعب والشاق الذي قد تتضح معالمه فى القرن المقبل وسط متغيرات عالمية تسقط انفراد أمريكا بالعالم.

* بالنسبة لموقف التنظيم وموقفى من القيادات والأحزاب الأخرى قبل ثوره ١٩٥٢، كان التنسيق يتم قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بين اليسار المصرى وحزب الوفد المصرى وشاهدت معارك لجنة الطلبة والعمال عام ١٩٤٦ وفى عامى ٥٠، ١٩٥١ نشأ داخل حزب الوفد تشكيل من الشباب الوفدى تأثر تأثراً كبيراً باليسار المصرى، تحت قيادة عزيز فهمى ومندور وإبراهيم طلعت، وسمى بالطليعة الوفدية وكان ارتباطهم بالزعيم الوطنى الديمقراطى مصطفى النحاس ارتباطًا قويًا فى آخر برلمان وفدى عام ٥٠، ٥١، ١٩٥٢ وبمساندتهم وبالتنسيق مع اليسار المصرى استطاع الوفد تحت هذه القيادة أن يلغى معاهدة ١٩٣٦ واجتاحت مصر حركة ثورية صاعدة وصلت بالنضال الوطنى إلى ذروته بالكفاح المسلح فى القنال . وبذلك تعمقت أزمة النظام الملكى وعانى من التمزق. فدخلت مصر مرحلة جديدة بسقوط النظام الملكى بواسطة انقلاب يوليو ١٩٥٢ العسكري.

* بالنسبة لموقفى من حركة أنصار السلام فى مراحلها المختلفة . فقد شاركت بالاسكندرية فى تشكيل لجان حركة السلام في نهايات عام ١٩٥١. وكان مقر قيادة حركة السلام فى شارع سعد زغلول بالاسكندرية.

وقد قبض علىّ فى حملة جمع التوقيعات على نداء برلين للسلام .. وخرجت بكفالة من نيابة «كرموز» قدرها جنيهان، وكانت لجنة قسم كرموز بالاسكندرية من أنشط لجان حركة السلام وضمت أعضاء قسم كرموز لمنظمة «نحو حزب شيوعى مصري» الذى كنت مرتبطاً به

فى هذه الفترة..

وجريدة الملايين التى كان يحررها اليساريون فى مصر لعبت دوراً هاماً فى دعم حركة السلام ونشر بياناتها.

ونجحنا فى هذه الفترة فى ضم «إبراهيم طلعت» أحد قيادات الطليعة الوفدية للجنة السلام بالاسكندرية.

* لقد كان للتنظيم موقفه من الإصلاح الزراعى فقد ساندت كل التنظيمات الشيوعية فى ذلك الوقت قوانين الإصلاح الزراعى لأنها كانت ضربة موجهة لكبار الملاك الزراعيين، وتوسيع قاعدة الملكية للأرض الزراعية بأمل خلق ملكية لجمعيات تعاونية لصغار الملاك المستفيدين من قوانين الإصلاح الزراعى.

وكان يهدف عبد الناصر من هذه القوانين أن يجبر كبار الملاك الزراعيين بأن يتجهوا بمدخراتهم وأموالهم الطائلة إلى التنمية الصناعية.

ولكن هؤلاء الملاك لم يفعلوا ذلك بعد أن سقطت السلطة السياسية من أيديهم فهربت أموالهم إلى خارج مصر.

ولعل هذا أدى إلى أن يتخذ عبد الناصر إجراءات يوليو ١٩٦١ بتأميم الملكية الصناعية لصالح الدولة وحتى يمكن التنمية الصناعية فى مصر .. بصرف النظر عن تسميتها من قبل عبد الناصر.. ورجاله بالاشتراكية.

* كان موقفى من أحداث كفر الدوار هو إدانة مسألة إعدام خميس والبقرى ومهزلة المحاكمة التى أدت لإعدامهم .. ومن المؤسف أن لعبت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) بأن حمل بعضهم المكروفونات بقيادة عدد من رجال (حدتو) التى ساندت الإعلام .. وكان على رأسهم عبد المنعم إبراهيم والمرحوم عبد المنعم الغزالى وشحاته عبد الحليم وغيرهم.

وظل هذا الموقف لتنظيم حدتو موقف شجب وإدانة ورفض من تنظيمات الحركة الشيوعية فى مصر.

* كان للتنظيم موقفه من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

فقد كان الشيوعيون موزعين على السجون والمعتقلات فى سجن بنى سويف وأسيوط والقلعة .. ثم أوردى ليمان أبو زعبل.

وقد دارت الشكوك حول حادث المنشية المعروف فى المؤتمر الجماهيرى الذى تم فى ميدان المنشية من مبنى البورصة القديم بالاسكندرية.

ولقد كنا قد تعودنا أن نحاول سماع خطب عبد الناصر المتكررة من راديوهات صغيرة كانت معنا فى معتقل سجن أسيوط .. وكان الخطاب من السابعة أو الثامنة مساء .. ولاحظنا قبل سماع الخطاب وخلاله .. قبل سماع طلقات الرصاص اضطرابًا فى صوت عبد الناصر .. وفجأة سمعنا الرصاص .. ثم تحول الخطاب إلى لهجة استشهادية تخاطب عواطف جماهير مصر.. وحضر هذا الخطاب «إسماعيل الازهرى» رئيس الحزب الاتحادى بالسودان .. وحتى هذه الفترة كان عبد الناصر لم يرتبط بعد بالحركة الجماهيرية العريضة ذلك الارتباط الذى حدث بعد تأميم قناة السويس.

وتنقل لنا الصحف فى الصباح محاولة الاعتداء التى وقعت على عبد الناصر من شخص من الإخوان يدعى (عبد اللطيف) وتم إعدامه بعد ذلك ..

وبعد أيام كانت جريدة أخبار اليوم وبقلم «مصطفى أمين» حيث كتب معبراً عن استخفافه بما يقوله البعض بأن الحادث عبارة عن مسرحية هزلية .. خاصة قصة المسدس الذى عثر عليه بواب بالميدان، رحل للقاهرة لمقابلة «عبد الناصر» بالقاهرة كى يسلمه المسدس وبصرف النظر عن سخرية مصطفى أمين من قول الناس إنها مسرحية ساذجة دبرها عبد الناصر وأجهزته وعدم منطقية أو معقولية عملية العثور على المسدس على أرض الميدان الكبير. فالذين عاصروا هذه الفترة كانوا يعلمون أن تنظيم الإخوان المسلمين وتشكيلاتهم لاتجد استجابة جماهيرية خاصة فى فترات المد الوطنى .. ففي أيام الكفاح المسلح وأثناء وجود الوفد فى الحكم بعد انتخابات عام ١٩٥١ .. ذبل دور الإخوان المسلمين تمامًا... نعم شارك بعض شبابهم فى معركة الكفاح المسلح بالقنال .. ولكن كان حزب الوفد والتجمعات الشبابية الوفدية فى الطليعة الوفدية بالتحالف مع القوى اليسارية والديمقراطية قادرة على تحجيم دور الإخوان ووضعها فى حجمها الحقيقى عديم التأثير على الجماهير.

فانتخابات الخمسينيات في مصر شاهدت سقوط «حسن البنا» فى الانتخابات وكل من رشحوا أنفسهم فى الانتخابات .. خاصة انتخابات ١٩٥- التى جاءت بالأغلبية الوفدية والتى أجريت بنزاهة تحت قيادة حكومة «حسين سرى» .

إن توجيه الضربات للحركات الدينية سواء كانت الإخوان وتنظيمها السرى المسلح فى ظل غيبة الديمقراطية .. ليس هو الأسلوب الأمثل لتصنيفها .. كما حدث فى محاكمات عبد الناصر «للإخوان» والتى أدت إلى إعدام عبد القادر عوده وقطب وغيرهم ولم تجد استجابة أو تعاطف جماهيرى أو مساندة للسلطة ..

إن كسب الجماهير للديمقراطية وممارسة الحريات هى الطريق الوحيد لوضع هذه الجماعات الإرهابية فى حجمها الحقيقى وسط الجماهير .. فهى جماعات تفتقر تماماً لبرامج لها معاصرة لحل مشاكل الجماهير اليومية والقومية بعد الحرب العالمية الثانية حتى شهدت مصر عصيان كل فئات الشعب حتى إضراب الشرطة فى ٥ .٦ ابريل عام ١٩٤٨.

* كان لنا فى التنظيم موقف من مؤتمر باندونج وصفقه الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ حيث كان عبد الناصر يهدف بتواجده فى مؤتمر باندونج هو وسيكوتورى وأحمد سوكارنو ونهرو هو المشاركة فى خلق قوى ثالثة فى العالم .. وسميت بعد ذلك بجبهة أو كتلة عدم الانحياز.

فهو يريد أن يحصل أو يحافظ على استقلال مصر بعيداً عن الهيمنة والسيطرة الاستعمارية.

وأيضًا الاستفادة من مساندات ودعم المعسكر الاشتراكى مع الحفاظ على معادات الشيوعية .. واستند عبد الناصر فى ذلك على أن الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى كانت ملتزمة التزامًا مبدئيًا بمساندة ودعم حركات التحرر الوطنى والدول النامية حديثة الاستقلال.

إذن لم تكن الصفقة التشيكية لمصر إلا دعماً لمصر للحفاظ على استقلالها.

لذلك اقتصرت هذه الصفقة على أسلحة دفاعية للدفاع عن أرض الوطن فى حالة تعرض مصر للعدوان .. خاصة من إسرائيل المدعومة عسكريًا من دول المعسكر الاستعمارى وعلى رأسها أمريكا.

وتطور بعد ذلك الدعم التسليحى بعد الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ خلال حرب الاستنزاف ثم فترة الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ .. حيث أعيد تسليح الجيش المصرى إعادة كاملة بأحدث الأسلحة على فاتورة حساب شعوب الدول الاشتراكية والشعب السوفيتى.

* بالنسبة للموقف من تأميم قناة السويس .. كان هذا هو الإجراء الذى كان يجب أن

تتخذه القيادة السياسية بقرار عبد الناصر .. حتى يصبح دخل قناة السويس دخلاً هامًا وأساسيًا كى تواجه به مصر احتياجات التنمية، وللسيطرة السيادية على هذا الممر الاستراتيجي وحتى لا يتخذ كمعبر مائى لاحتلال مصر بعد جلاء القوات البريطانية عنها .. كما حدث عام ١٨٨١ أثناء الثورة العرابية .. وأيضًا لحماية الشواطئ العربية فى البحر الأحمر وباب المندب من التدخلات الاستعمارية المسلحة، ولقد ساندت الحركة الشيوعية فى مصر بمختلف تنظيماتها قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس .

وبالرغم من كل هذه التحديات التى واجه بها عبد الناصر المستعمرين وإسرائيل، حرص عبد الناصر على عدم تسليح الجماهير تسليحًا حقيقيًا.

وخلق عبد الناصر معسكر «طريحر» بالشرقية لتدريب متطوعى اليسار المصرى كى يكونوا تحت أبصار نظامه ورجال أمن الجيش والدولة، ولا يسمح لليسار بالتطوع فى أى مراكز تدريب أخرى ..

ولم تسلح الجماهير المشتعلة حماسًا للقتال حتى وقع العدوان الثلاثى؟! ولقد أرفقت فى هذه الشهادة التى أصدرتها حركة المقاومة الشعبية فى بورسعيد حيث كنت وقتها مسئولاً سياسيًا لمنظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى وتزامل معى أعضاء من الحزب الشيوعى المصرى الموحد. (مرفق بيانات المقاومة الشعبية وجريدة الانتصار)

والزملاء الشيوعيون الذين حملوا المسئولية معي فى بورسعيد هم : إبراهيم هاجوج وأحمد شوقى المرجاوى وصالح دهب صالح (وهو الآن عضو قيادى ومحترف ثورى بالحزب الشيوعى السودانى) وعبد المحسن الحفناوى وأحد القيادات النقابية لشركة «إسو» للبترول وأسرة دكتور «نصر حمرده» زميلنا في منظمة نواة الحزب، حيث لعبت والدته دورًا كبيرًا في حماية وإيواء مقاتلى المقاومة الشعبية داخل الحى الأفرنجى. واستشهد فى المعركة نجلها الأصغر «حسن حمرده» الذي لم يتجاوز عمره الخامسة عشر بطلقات رشاش أحد جنود الاحتلال. وصمدت هذه السيدة المقاتلة ولم تزرف دمعة واحدة وهى تحمل نجلها إلى مقابر المدينة من غرفة الاستقبال بالمستشفى الأميرى بالحى الأفرنجى،

وكذلك أرفقت مع هذه الشهادة البيانات المعادية التى أصدرتها التجمعات الرجعية العملاء، والتي دارت الشكوك والشبهات فى أن الذى أشرف على إصدارها اللواء (حسن

رشدى) مفتش مباحث أمن الدولة فى بورسعيد، والذى أطلق عليه «الجنرال» فى قوات الإحتلال قبل الجلاء .. ولعل المحافظ محمد رياض محافظ بورسعيد كان يعلم تمامًا دور الجنرال «حسن رشدى» وبعض هذه البيانات المعادية أسقطتها طائرات العدوان الثلاثى البريطانية .. وجزء من بياناتنا كانت تصدره الجالية السودانية فى بورسعيد بقيادة صالح دهب صالح .. وكان مقر غرفة العمليات بقيادة المحافظ فى الدور الرابع فى البيت الحديدى أمام محل «جيانولا الحلوانى» بالحي الافرنجى ولاتشاهد غير طائرات العدوان وهى تقذف المدينة والمقاومة ولا تعلم شيئا عن المقاومة.

وصباح اليوم الأول للعدوان تم ضرب سجن بورسعيد الذى يقع أمام «معسكر الجولف» فى نهاية طريق المعاهدة ونهاية شارع محمد على وخلف الإدارة الهندسية لمرفق المجارى ومحطة الكهرباء، وأصيبت «زنزانتان» فى الدور العلوى للسجن مات بداخلهما ما يقرب من عشرين سجينًا.

وكان مأمور السجن قد غادر المدينة. والتقيت ومعى عدد من رجال المقاومة ببورسعيد «بالرائد» علاء الرجل الثانى بالسجن وطلب منى مساعدته فى فتح أبواب السجن حتى لا يموت النزلاء تحت القذف الجوى المتصل وخرج ما يقرب من ألف سجين. وخاطبتهم فى فناء السجن أناشدهم بصوت عالٍ وأخبرتهم بأننى سأفتح لهم الأبواب كي يخرجوا إلى المدينة وشوارعها وأن يلتقوا بنا فى تقاطع شارعى كسرى والدقهلية أحد مواقع المقاومة .. وسنفتح لهم بيوتنا فى بورسعيد للإقامة وأن ينضموا لنا للدفاع عن المدنية .. وتم فتح الزنازين والحجرات وفتح الباب العمومى على مصراعيه.

وخرجوا إلى شارع (مانه) وأحاطوا بنا فى حماس ومشاعر متدفقة بالحب لنا ولمصر والمقاومة التى جمعت صفوفها بتلقائية وسرعه منقطعة النظير.

كارثة داخل محطة السكك الحديدية

فقد كانت الحركة التجارية بالحى الافرنجى والعربى قد أصيبت بالشلل تمامًا، فقد أغلقت المحلات التجارية أبوابها بأسواق المدينة .. وبالتالى أصبح متعذراً الحصول على المواد الغذائية نهائيًا لتوقف الصيد فى البحر والبحيرة ..

فزحفت الجماهير بتلقائية إلى عربات البضاعة فى السكك الحديدية، حيث وجد قطار بضاعة به كميه من أجولة الدقيق، انتزعتها الجماهير من عربات القطارات.

وفجأة وجدت هذه الجماهير قطاراً للبضاعة مكدساً بصناديق مملوءة بالاسلحة معظمها من البنادق من مختلف الأنواع .. ومنها البنادق الحديثة سريعة الطلقات، وبعشوائية الجماهير التلقائية واندفاعها اقتحمت هذه العربات كى تحمل السلاح .. دون خبرة به، ومعظمهم لم يتدرب على استخدامها :

وفتح البعض وهم بداخلها «سنكيات» البنادق فسقط عشرات من القتلى نتيجة الفوضى فى انتزاع السلاح،وحمل البعض صناديق الطلقات التى قد تكون صالحة لبنادق أخرى غير التى يحملونها .. فهى فى يد آخرين ..

وأصبح السلاح عبئًا وكارثة كبرى يجب مواجهتها؟! فرفعنا أصواتنا وكتبنا على الجدران أهمية إعادة توزيع السلاح وحملت معنا بقايا الكتيبة الرابعة مشاه عبء إعادة توزيع السلاح فى نقاط محددة من نواصى الشوارع وتقاطعها بالحى العربى .. «كل منكم يدرب زميله خارج المدينة» «تبادلوا الطلقات بطلقات صالحة لسلاحكم» «تعلموا كيف تتعاملون مع القنابل اليدوية». وأصبح السلاح عبئًا على أكتاف الذين لم يتدربوا ونتجت أخطاء دامية أدت لانفجار بعض القنابل اليدوية فى يد البعض الذين نزعوا فتائلها فحصدتهم وهم يخوضون تجربة استخدام السلاح ..

لقد قتل عدد ليس قليلاً، وتفجرت عشرات من القنابل فى يد مواطنين جاهلين تمامًا بكيفية انتزاع فتائلها وسرعة الإلقاء نحو الهدف والانبطاح أرضًا.

ويتحمل مسئولية هذه الجريمة البشعة نظام عبد الناصر الذى يخشى الحرب الشعبية وتدريب الجماهير .. حتى لا تتمسك به الجماهير بسلاحها فتوجهه نحو النظام بعد المعركة .. لم يكن عبد الناصر يرى غير الجيش مقاتلاً.

وكانت الكتيبة الرابعة مشاه التابعه للواء الثانى مشاه من القوات المسلحة هى الكتيبة المرابطة للدفاع عن بورسعيد كجزء من قوات الجيش للدفاع عن بورسعيد ومقر قيادتها للواء الثانى مشاه بالعريش. وبدأ التنسيق بيننا وبين الكتيبة الرابعة مشاه .. ووضعت تحت تصرفنا سياره «جيب» يقودها جندى بدأنا استخدامها أنا وإبراهيم هاجوج وأحمد شوقى المرجارى

واستطعنا بهذه السيارة التحرك الدائم بين الجميل والمناخ والحي العربى.

وقد كنا نتوقع أن القذف الدائم والغارات المستمرة لطائرات العدوان كانت تمهيداً لإسقاط مظلى، لذلك بدأنا نؤكد وجود المقاومة وأفراد الكتيبة الرابعة فى شرق المدينة على مقربة من مطار الجميل .. والمدخل الشرقى للمدينة بمحاذاة الشاطئ.

وكانت عزبة القبوطى محمية لنا نلجأ لها ليلاً فى الجنوب الشرقى للمدينة وحى المناخ .. وأصبح القذف الجوى شاملاً لا يتوقف فى وحشية وقسوة وإصرار ..

كارثة أخرى على شاطئ بحيرة المنزله على طول كيلو متر من شاطئ البحيرة

كانت قد تدفقت أفواج من سكان بورسيعد وبور فؤاد مفضلين الهجرة عن طريق بحيرة المنزلة المخرج الوحيد من المدينة الأكثر أمناً .. مستخدمين مراكب الصيد .. وقام الصيادون بهذا الواجب ببطولة فائقة تحت قذف مستمر من الطائرات .. كجزء من قذف الحى العربي والمناخ. وساعد تخطيط المدينةالمدنى على سهولة الإصابات المباشرة .. فهى مدينة تخطيطها عبارة عن شوارع طولية وأخرى عرضية وليست بها دروب أو حوارى القاهرة يسهل الاختباء بها والمخابئ بالمدينة محددة تماماً .. فسهل ذلك على العدو أن يوجه نيرانه كما يريد فدمرت أولاً مواقع المدفعية للقوات المسلحة فأصبحت المدينه هدفاً سهلاً للطائرات.

وتتبعت الطائرات سيارة المقاومة التى حصلنا عليها بهدف إصابتها بالفعل طاردتنا عدد من الطائرات فى شارع الحميدى على ارتفاع قليل فأوقفنا السيارة ونزلنا على الفور منبطحين على الأرض تحت أقبية منازل شارع الحميدى فأصابت السيارة إصابة مباشرة استشهد فيها السائق ونجونا بأعجوبة بعد أن قفزنا منبطحين خلف جدار ..

وبدأنا نستخدم الدراجات وكانت مهمتنا الصعبة هى تنظيم عملية الهجرة على شاطئ بحيرة المنزلة وتطوع كثير من رجالنا فى تنظيمها .. وبدأت مراكب الصيد التى تحمل المهاجرين تفر إلى المنزلة ولا تعود .. فمات المئات غرقاً فى مياه البحيرة.

وفى مساء تلك الليلة بدأت سيارة غامضة تجوب شوارع المدينة بعد منتصف الليل وعليها ميكرفون ويصدر منها صوت مريب كان غالباً لأحد رجال الجنرال/ حسن رشدى مفتش مباحث أمن الدولة يزعم بأن الأسطول السوفيتى سيدخل المدينة فى الصباح وفى الواقع كانت هناك غرفتان للعمليات.

غرفة العمليات الرسمية التى لا تعلم شيئا عن المقاومة.

وغرفة المقاومة التى جعلت من شوارع الحى العربى والمناخ والرسوه ومدخل المدينة الشرقى بالقرب من مطار الجميل تنتقل بين المقاومة والجميل ولها موقعان سريان .. موقع منزل عبد المحسن الحفناوي وموقع بمنزل زميل نقابى فى شركة إسو .. تتناوب فيها النوم تباعًا لعدة ساعات قليلة لا تزيد عن ثلاث ساعات فى اليوم .

محاولة اغتيال فاشلة تمت فى ذلك المساء قبل الغزو بأقل من أربع وعشرين ساعة وكان ذلك الساعة ٧ مساءً وقرب منزل عبد المحسن الحفناوى. فقد فوجئت وإلى جوارى إبراهيم هاجوج وأحمد شرقى المرجاوى وكنت متقدمًا عنهما بخطوات قليلة، فوجئت بمساعد بمباحث أمن الدولة .... أى أحد رجال «حسن رشدى» وبيده مدفع سريع الطلقات .. وفجأة انهالت حول رأسى شحنة من الطلقات انبطحت بعدها أرضًا، وشعرت وكأننى قد أصبت، فقد شعرت بعدد من الطلقات مرت فوق رأسى لها دوى هائل ..

وجريت خلف «على عبد العظيم» وهو اسم هذا المساعد، وكانت بيدى قنبلة يدوية .. لكنه مع الأسف كان قد اختفى تمامًا بوسيلة لم أعرفها وشاهد هذه الواقعة الزميلان المذكوران على الأقل ..

وفى هذه الليلة غيرنا موقع إقامتنا هذا إلى موقع آخر فى منزل زميل يملك والده فرن ومسكنه فوق هذا الفرن.

ولم يكن سهلاً أن نحرض الجماهير على محاولة «علي عبد العظيم» الغريبة حتى لا نكون مصدراً لإثارة البلبلة والشكوك حول أى مصرى.

وحاولنا أن نجوب المدينة ليلاً، ونعلن وسط تجمعات المقاومة التلقائية بالأحياء بأن نداءات السيارة الغامضة التى زعمت أن القوات السوفيتية ستدخل المدينة فى الصباح ..؟! ولكن صدق الناس هذه الأكذوبة الخبيثة؟! حيث كانت الجماهير تثق ثقة كبيرة فى مساندة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكى.

الإسقاط المظلى وضرب المدينة من البحر

وفى الصباح الباكر .. بعد الفجر بقليل كان الإسقاط المظلى قد بدأ فى الجميل .. وأسرعت المقاومة وفى مقدمتها الكتيبة الرابعة مشاة قد التحمت مع قوات المظلات التى كان أغلبها من

الافارقة جنود المستعمرات البريطانية .. وأبيدت فرقة المظلات عن آخرها .. وسقط عشرات من الشهداء .. أغلبهم من الكتيبة الرابعة مشاه .. التى لم يتبق منها غير ثلاثة عشرة من جنود هذه الكتيبة الباسلة؟!

وبدأت الطائرات المعادية تقذف بقنابلها كل المنطقة التي تم فيها الإسقاط المظلى فى مسح شامل قضى على ما تبقى من جنودهم الافارقة.

وبعدها بدأت الطائرات تسقط جنود مظلات إنجليزية.

وبدأت طائرات تأتى من عرض البحر تقذف الشاطئ بداية من مدخل القنال عند تمثال ديلسبس الذى هدمته الجماهير الغاضبه على طول الشاطئ حتى الجميل ودمرت كل الكبائن الخشبية على الشاطئ.

وبدأ الأسطول الانجليزى يدفع بدبابات برمائية فى السادسة صباحًا .. وبذلك بدأ الغزو ونزلت الجنود مدججة بالسلاح من فوق الدبابات البرمائية وفرق المشاه المدججة بأحدث الأسلحة وعشرات من المدافع.

وقذفت مدافع الأسطول البيوت والعمارات على طول شارع كتشنر واخترقت هذه القوات شارع محمد علي .

وخرجت الجماهير أفواجًا من منازلها تستقبل هذه القوات الغازية ظنًا منها أنها قوات روسية جاءت إلينا لمساندتنا فى مواجهة العدوان الثلاثى للحلف الاسرائيلى الفرنسى الإنجليزى؟! واكتملت المأساة فالجماهير تتزاحم فيما يشبه الزحف حتى النساء والأطفال والعجزة .. قد خدعوا بنداءات السيارة الغادرة التي ظلت طوال الليل تدعو الجماهير لشارع محمد على لاستقبال القوات السوفيتية الصديقة القادمة من البحر؟!

صفقت الجماهير للجنود الغزاة ؟!

وبدأت المذبحة الرهيبة عندما وجهت نيران ومدافع هذه القوات الغازية نحو صدور أبناء بورسعيد وبناتها وسيداتها؟!

مذبحة رهيبة سقط فيها من القتلى مئات، خاصة عند تقاطع شارعى محمد على والثلاثين (سعد زغلول) فاقت هذه المذبحة وقتل فيها غدراً مذبحة ستالينجراد وسقوط برلين خلال الحرب العالمية الثانية.

حسن رشدى يرحل للقاهرة

وبتنسيق مع غرفة العمليات،وتحت أبصار جنود الاحتلال أعدت إحدى سيارات الإسعاف في بورسعيد، ورقد بداخلها (الجنرال) حسن رشدى بعد المذبحة التى حصدت مئات الجماهير بيد قوات الاحتلال التي رابطت بمعسكر «الجولف» بأول طريق المعاهدة .. وجبست قدمه زعماً بأنه مصاب .. ومر من بوابة أقامتها قوات الاحتلال على أول طريق المعاهدة، بحجة أنه ذاهب لاستكمال العلاج بالقاهرة؟! وبدت لنا هذه العملية وكأنها قد تمت باتفاق وتنسيق كامل مع غرفة العمليات وقوات الاحتلال .. فحسن رشدى كان القائد الفعلى لفرقة العمليات؟!!

وفى المساء قررنا فى اجتماع عاجل ..

أن نتوجه للمنزلة ومنها للمنصوره ويبقى «إبراهيم هاجوج» و«أحمد شوقى المرجاوى» فى المنصورة للقاء طاهر عبد الحكيم، وتركتهم متوجهًا للقاهرة للاتصال السريع بالسيد/ خالد محى الدين حيث كان رئيسًا لتحرير جريدة المساء فى ذلك الوقت وأعددت تقريرا مفصلاً وصريحًا بالتفصيل لكل ما حدث بالمعركة ورحلة «حسن رشدى» الغامضة وأهمية وضع حقائق الأمور كاملة أمام السلطة السياسية وجمال عبد الناصر بالذات.

وبالفعل سلمت هذه الرسالة «لسعد زغلول فؤاد» مراسل الأهرام حاليًا بباريس بعد أن فشلت فى لقاء خالد محيى الدين الذى لم يكن متواجداً بالجريدة وحضر لقائى «بسعد زغلول فؤاد» الاستاذ «سعد التائه» علي ما أذكر وعدد من الزملاء محررى المساء .. ووقعت هذه الرسالة باسم المقاومة ببورسعيد ، ووقعت عليها كمسئول تمامًا عن كل كلمة جاءت بها.

وفى الساعة الثانية صباحًا بعد منتصف الليل دق جرس التليفون فى منزل المقدم مصطفى كمال سعودى زوج ابنة عمتى فى منزله بالحلمية بالدرب الأحمر خلف المدرسة الخديوية الثانوية طالبًا مني لقاء فى ميدان الأوبرا فى محل ومقهى ليلى بالميدان .. وأبلغنى أنه سلم خالد محيى الدين مذكرتى الشاملة للموقف تفصيلاً داخل بورسعيد وأبلغنى أنه قرأها بعناية .. وقرر نشرها فى نفس اليوم مع حذف ما أسماه بالسلبيات الخطيرة بالمعركة والموقف المتدهور لغرفة العمليات الرسمية ومسرحية حسن رشدى وكيفية رحيله للقاهرة تحت زعم أن ذكر السلبيات قد يضعف معنويات الجماهير.

وبالفعل ففى اليوم التالى صدرت المساء، وعلى صفحاتها ما كتبته محذوفًا منه مع الأسف

الشديد ما أسماه «خالد محيى الدين» بالسلبيات التى تحرج من نشرها .. ونشر البيان بالمساء تحت عنوان «بطل عائد من المعركة» ..

والسؤال الذى يستطيع خالد محى الدين وحده أن يرد عليه؟! هل عرض على عبد الناصر التقرير كاملاً شاملاً سلبيات المعركة الخطيرة .. أم لم يسلمه البيان أصلاً؟!

وصدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار؟!

وتمكن زميلنا الراحل عبد المنعم شتله أحد قيادات الحزب الشيوعى المصرى الموحد والنجم الأحمر سابقًا .. من دخول «بورسعيد» من بحيرة المنزلة فى مركب صيد ويرفقته الفنان الراحل عبد المنعم القصاص.

وأصدروا جريدة الانتصار وعدداً من البيانات أرفقها بهذه الشهادة التفصيلية وساهم فى هذا الواجب الوطنى أحد أصحاب المطابع بالمدينة.

وفوجئت أنا وإبراهيم هاجوج وصالح عضو الحزب الشيوعى السودانى حاليًا، فوجئت بقرار بنقلى إلى مجلس مدينة قوص بمحافظة قنا.

وينقل إبراهيم هاجوج إلى مدينة «إدفو» بمحافظة أسوان.

وصالح دهب إلى مجلس مدينة «كوم أمبو» بمحافظة أسوان.

وكان خلف هذا القرار الجنرال «حسن رشدى» مفتش مباحث أمن الدولة في بورسعيد الذى دارت حوله الشكوك القوية فى أنه هو الذى قاد ووجه السيارة الغامضة التى جابت بورسعيد طوال الليل زاعمة أن الأسطول السوفيتى قادم فى الصباح ستنزل قواته إلى بورسعيد؟!

وبالطبع كان هناك قيادات تساندة فى مباحث أمن الدولة بالقاهرة.

وكان قرار إبعادنا من بورسعيد يهدف إلى عزلنا عن جماهير بورسعيد والتى التفت حولنا فى بورسعيد وأصبحت لنا جذور عميقة يصعب اقتلاعها ...

وبأمانة أحرص عليها، أقول: إن عدداً من المراطنين الذى تطوعوا «بالحرس الوطنى» قد لعبوا دوراً فى معركة الإسقاط المظلى دون أن تكون لهم قيادة خاصة .. وسقط منهم عدد من الشهداء.

ولعب المواطن «حسن حسن الجعبرى» الموظف والمحاسب بشركة الكوكاكولا وأسرته والمقيمين فى تقاطعى بورسعيد والبلدية فى حماية عدد من المقاتلين من الكتيبة الرابعة مشاه،

بقيادة أحمد أبو الخير .. أكثر جنود هذه الكتيبة وعياً ونضالاً.

تجربه مثيرة «لوليامز» مع أحمد أبو الخير :-

لقد كان «وليامز» الضابط البريطاني وقائد جهاز المخابرات في قوات الاحتلال التي سيطرت على مباني المدارس الثانوية والإبتدائية بالمدينة وجعلت من بعضها معسكرات اعتقال وحجز لبعض عناصر المقاومة.

وقبض رجال «وليامز» على «أحمد أبو الخير» في اليوم الثالث للاحتلال ودار بينه وبين «وليامز» حوار مثير عندما سأله وليامز هل أنت مشترك في المقاومة؟!

ولم يكن يدري أنه جندي بالجيش المصري حيث كان قد خلع الزى الرسمى للقوات المسلحة منذ بداية المعركة ..

فرد على «ويليامز» نافياً تطوعه في المقاومة.

وسأله .. هل لو طلب منك التطوع في المقاومة كنت ستقبل ذلك .. فقاله له بالطبع لو كنت من أبناء بورسعيد .. فأنا أعيش في بورسعيد عاملاً في أحد صالونات الحلاقه بالحى الافرنجى.

ويبدو أن «ويليامز» الذى يجيد العربية، وسبق له الإقامة فى بورسعيد أثناء الاحتلال .. قد اقتنع بردود أحمد أبو الخير .. فأخبره «ويليامز» بأنه مقتنع بما قاله ووعده بالإفراج عنه بعد يومين.

. وبالفعل أفرج عنه بعد يومين وخرج «أحمد أبو الخير» وهو لا يصدق ما حدث فلقد اختطفت عناصر المقاومة فى بورسعيد فى عملية انتحارية «ويليامز» من أمام المدرسة المذكورة.. وتم «إخفاؤه» فى منزل «محمود أبو الخيط» وخرجوا بجثته فى شكل جنازة ومروا من أمام بوابة مرور إنجليزية ودفن فى نهاية المناخ قريباً من «الجميل».

تعدد فرق المقاومة فى المدينة

كانت أغلب فرق المقاومة التي تشكلت أثناء المعركة، تعمل كل منها منفردة وأغلبها كانت عبارة عن فرق تكونت بالأحياء بتلقائية .. من مجموعات الشباب التى كانت تتجمع فى

الشوارع ليلة رأس السنه الميلادية كل عام كى يحرقوا معًا دمية تمثل «اللورد اللنبى وسط كومة من النار أشعلوها لحرق دمية هذا الرمز الاستعمارى الكريه ..

واستطاعت «مجموعة اليسار» أن توحد بعض فرق الأحياء بالحى العربي ومجموعتين بالحى الافرنجي تحت قيادتها .. وكانت مدرسة العصفورى الخاصة موقعًا للمقاومة بالحى الأفرنجي وشارك من تبقى من الكتيبة الرابعة مشاه فى معارك المقاومة وبين صفوفها وتحت قيادة «مجموعة اليسار» تلك الكتيبة الباسلة التى سقط من رجالها البواسل أكثر من ثلاثمائة شهيد فى معركة إبادة الإسقاط المظلى. وكان أبرز رجالها «أحمد أبو الخير» .

واستطاعت إحدى فرق مقاومة الأحياء أن تختطف ويليامز وهو بين رجاله .. وأعدمته المقاومة فى فناء منزل قيل أنه منزل «محمود أبو الغيط».

وحملته المقاومة وخلفها عدد من رجالها فى «نعش» وساروا فى جنازة خلفه تحت أبصار القوات البريطانية إلى مقابر الحى العربى وعبارات «لا إله إلا الله - محمد رسول الله» هى شعار الجنازه التى انضمت لها جماهير كبيرة وكأنها كانت تعلم وترد بحماس شعارات الوداع للقبر .. وبذلك خدعت قوات الاحتلال واحترمت تقليد الجنازة وتركتها تمر من البوابة ذات الحرس الإنجليزى .. وهم لا يعلمون أن ويليامز «أحد رجالهم» بل ربما أهمهم هو المحمول فى النعش .. وقال البعض إنه دفن حيًا .. ولكن الكثيرين نفوا ذلك وأكدوا أن المشكلة التى واجهت المقاومة هو التخلص من جثته بهذه الوسيلة الآمنة.

وللأمانة أقول على لسان «أحمد أبو الخير» إن بعض القوات من الصاعقة دخلت بورسعيد بعد دخول «عبد المنعم شتله» و«عبد المنعم القصاص» .. ودخلوا في ملابس صيادين، وارتدوا فى المدينة ملابس رجال الشرطة وقاموا بأعمال فدائية ضد قوات الاحتلال بعد وقف إطلاق النار..

النقل الإدارى لثلاثة من قيادات اليسار هو اعتراف من الدولة بدور الشيوعيين البارز في قيادة المقاومة :

نعم، قد نال الشيوعيون ببورسعيد سمعة طيبة ولعبوا الدور الرئيسى فى أحلك الأيام وأصعبها قبل وقف إطلاق النار... وإعادة توزيع السلاح ليد المدربين والالتحام بعدد من لجان

الأحياء التلقائية والتنسيق معها ..

ولذلك لجأت مباحث أمن الدولة على الفور ؟! إلى نقل الثلاثة المذكورين سلفًا كموظفين بالمدينة إلى ثلاث مدن فى الصعيد فى محافظتى قنا وأسوان تحت رقابة مشددة من مباحث أمن الدولة فى هاتين المحافظتين ..

وبالتأكيد قد بادر «الجنرال حسن رشدى» بأن قدم للقيادة السياسية بيانات عن دور اليسار فى معركة بورسعيد وحصر خطورتهم فى ثلاثة منهم يجب إبعادهم...

ولعلنى لا أكون مبالغًا إن قلت أن دور اليسار المصرى فى بورسعيد ظل محل تقدير واحترام أجيال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من أبناء بورسعيد .. ودور عبد المنعم شتله وعبد المنعم القصاص الراحلين قد نالوا احترام وتقدير هذه الأجيال.

فجريدة الانتصار وبيانات توحيد المقاومة قد ساهمت فى دعم المقاومة ورفع معنوياتها .. والتنسيق بينها وكاد اليسار أن ينفرد تمامًا بالقيادة.

ولقد أسقطت طائرات العدو بيانات معادية تهاجم نظام عبد الناصر مكتوبة باللغة العربية.. تهدف إلى إضعاف معنويات رجال المقاومة الشعبية وأبناء بورسعيد.

ولكن الجماهير فى بورسعيد قد تخطت السلبيات الخطيرة بوعى تلقائى كبير وتجاوزت أخطاء النظام الفادحة... كعدم تسليح المقاومة قبل العدوان .. والسلبيات الخطيرة لغرفة العمليات الرسمية؟! والسيارة الغامضة التى تآمرت مع العدوان وزعمت أن الأسطول السوفيتى سيدخل فى الصباح عن طريق البحر.. لخداع الجماهير واستغلال تقديرها العميق للاتحاد السوفيتى ودوره فى مواجهة الاستعمار والعدوان ..

ولكن لا تنسى جماهير بورسعيد دور الجنرال «حسن رشدى» التخريبى فى غرفة العمليات وشبهة قوية فى أنه الذى كان داخل السيارة الغامضة .. ومسرحية خروجه من بورسعيد فى سيارة أسعاف؟!

دور بطولى للأطباء وهيئة التمريض بالمستشفى الأميرى

ولعب أطباء المدينة ورجال المستشفى الأميرى، وعشرات من النساء والرجال الذين نقلوا الجرحى على عربات اليد الملقاة فى سوق الخضار وقامت بلور سيارات الاسعاف وفتحت

عيادات الأطباء، كى تصبح مراكز إنقاذ سريع ودخل المئات للمستشفيات للتبرع بالدم حتى بعض الأفراد من الجالية اليونانية بالمدينة وآجانب آخرين .. وكانت طائرات العدوان تطارد عمليات الإنقاذ المدنى التلقائى بالقذف .. ومات بعضهم مع جرحاهم بالشوارع.

وفى النهاية أوجه تحيتى لكل الرجال الذين قاتلوا معنا بالسلاح والكلمة ولرجال المقاومة التلقائية بالأحياء التى التحمت بنا واستجابت لشعار إعادة توزيع السلاح .. وأحيى شهداء الكتيبة الرابعة مشاه ومن بقى منهم على قيد الحياة.

-* كان لنا فى التنظيم **موقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧** حيث جاءت هذه الانتخابات في غيبة كاملة للتعددية الحزبية .. وكانت كل الطلائع الشيوعية والتقدمية قد شملها العزل السياسى .. فحرمت من دخول هذه الانتخابات..

وحرمت من خوض هذه الانتخابات رجال الأحزاب التى حلها عبد الناصر وشمل هذا العزل حزب الوفد الذي كانت له دائمًا جذور جماهيرية ميزته عن كل أحزاب الأقلية وظل منذ نشأته الديمقراطية فى ثوره ١٩١٩ أقرب إلى الجبهة القومية منه كحزب..

وشاهدت مصر دائمًا طوال حكم عبد الناصر ومن خلفوه من العسكريين تلك المجالس النيابية الهزلية والمرفوضة من جماهير مصر العريضة ..

وتمرس نظام عبد الناصر على كل أساليب التزوير والتزييف والعبث بإرادة الجماهير فى هذه الانتخابات ..

فكانت بالفعل مجالس تعينها السلطة من خلال مهزلة التزوير والتزييف والعزل السياسى..

لذلك وبالنسبة لانتخابات ١٩٥٧ رفعنا شعار المقاطعة لها .. وأرجعنا أسباب هذه المقاطعة لموقفنا التاريخى من قرارات ١٥ يناير ١٩٥٣ بحل الأحزاب وإلغاء دستور ١٩٢٣.

ولم يحدث أن أجريت انتخابات خلال حكم عبد الناصر وخلت من تزييف وتزوير شاملين، حتى فى الفترات التى اكتسب فيها عبد الناصر تأييد جماهير مصر بعد تأميم القنال وبعد إجراءات التأميم.

* بالنسبة لموقفى من مشروعات الأحلاف العسكرية (إيزنهاور، الهلال الخصيب، حلف الأمة الأوسط) كان متطابقًا مع موقف الجماهير المصرية منها حيث كانت الجماهير المصرية

العريضة والجماهير العربية وكل شعوب المستعمرات فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .. ترفض هذه الأحلاف الاستعمارية. وكان هذا هو موقف كل التنظيمات اليسارية فى مصر. وكان عبد الناصر قد رفض مثل هذه الأحلاف .. وهاجمها فى معظم خطبه السياسية فى الخمسينيات ..

ولكن أثير دائما وسط الحركة الوطنية المصرية عن بنود سرية تضمنتها اتفاقية الجلاء التى وقعها عبد الناصر مع إنجلترا .. وقيل إنها تضمنت موافقة عبد الناصر فى أن تستخدم القوات البريطانية قواعد عسكرية فى مصر - والتزامات معينة تؤديها مصر لها فى ظروف الحرب..

ونأمل أن توضع أمام المحلل المصرى لتاريخنا الحديث مثل نصوص هذه المعاهدات .. كاملة بنصوصها السرية ..

* كان الموقف هو التأييد الكامل لقرارات التمصير .. فقد كانت دائما عمليات التمصير للشركات والبنوك الأجنبية هو ركن هام من واجبات التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى والأجنبى بشكل عام .. ولكن يبقى السؤال يحمل فى طياته معنيين ..

فالتمصير قد يعنى تمليك أسهم هذه الشركات والبنوك الأجنبية لأفراد من الرأسمالية المصريه أو هيئات أو شركات خاصة مصرية.

وقد يعنى أيضًا تمليكها للدولة..

وهذا ما حدث بالفعل فقد تكونت مؤسسة بقيادة حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة لإدارة الشركات الأجنبية العاملة فى مصر التى خضعت للتمصير. وهذه المؤسسة سميت بالمؤسسة الاقتصادية؟!

وفى كلتا الحالتين أيدت كل تنظيمات الحركة الشيوعية فى مصر إجراءات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية؟!

* كان لنا فى التنظيم موقف وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية والأحداث التى مرت بها المنطقة حينئذ (حكومة النابلسي في الأردن - إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان - ثورة العراق ....) فقد تميزت هذه الفترة بداية من بدايات الخمسينيات بالمد الثوري

الواسع الذى اجتاح المنطقة العربية كلها باستثناء المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى المنتجة للبترول. بل وشمل وامتد إلى إيران حيث تشكلت حكومة مصدق التى ساندها «حزب توده» الشيوعى العراقى وعناصر الحركة الوطنية العراقية بقيادة مصدق وحكومته ..

وبعد أن حققت مصر استقلالها الوطنى وأكدت هذا الاستقلال بالهزيمة التى لحقت بالعدوان الثلاثى على مصر بمساندة واسعة من بلدان العالم الثالث حديثة الاستقلال كالهند وأندونيسيا والصين الشعبية وكوريا الشمالية وشعب فتينام ودول المعسكر الاشتراكى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .

وبرز دور عبد الناصر فى المنطقة العربية .. وفجأة تفجرت في هذا المناخ الذى شاهد صعوداً فى المد الثورى الوطنى الديمقراطى بالبلدان العربية والعالم الثالث.. تفجرت الثورة العراقية ضد نظام ملكى رجعى تابع للاستعمار الأنجلو أمريكى .. وقاد هذه الثورة «عبد الكريم قاسم» الذى استند إلى دعم قوى من الحزب الشيوعى العراقى والتجمع الوطنى الديمقراطى بالعراق .

وكانت المنطقة العربية قد اجتاحها هذا المد فشمل الأردن فى مواجهات مستمرة للأسرة الملكية بالأردن وبمساندة كامله من الشعب الفلسطينى ومنظماته المختلفة .. وتخلل ذلك إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان وبدأ الدور الاستعمارى فى تأكيد التواجد الإسرائيلى على الأرض الفلسطينية وتحولت بذلك الدوله الإسرائيلية إلى قاعدة عسكرية زرعت بالمنطقة كى تصبح قاعدة عسكرية مدعمة بأحدث الأسلحة لتهديد الحركات الوطنية فى المنطقة العربية. واتضح ذلك تماماً فى العدوان الثلاثى الذى دبر ضد مصر ..

وخرج عبد الناصر من معركة العدوان الثلاثى منتصراً، بأن اكتسب وجهًا عالميًا وعربيًا بارزاً مدعمًا من المعسكر الاشتراكى .. ونمت فى عقليته وأهدافه طموحًا يهدف إلى توحيد تجمع عربى من المجموعات العربية داخل الشعوب العربية تحت فكرة القومية العربية.. بل تكونت فى داخل الكيانات العربية خاصة فى سوريا ولبنان والأردن مجموعات تزعم بانتمائها لما سمي فى ذلك الوقت بالناصرية..

ولكن شعر عبد الناصر أن الثوره العراقية بقيادة عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعى

العراقي أقوى الأحزاب الشيوعية العربية وأكثرها تنظيماً وأكثرها قدرة وتواجداً وسط شعبه ..

شعر أن هذا التجمع العراقى الذى يقف على يساره ويحد من طموحاته فى خلق دولة عربية موحدة تحت زعامته ..

وبدأ ينسق مع الجماعات العراقية السياسية التى وقفت على يمين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعى العراقى .. فساهم بفاعلية ودعم سرى وعلنى لجماعات «الشواف» والقيادات الأخري فى الكيان العراقى وبأسلوب دموى رهيب تميزت أو كانت ظاهرة فى أغلب الحركات الوطنية العراقية وفى مذبحة مريرة سقط نظام عبد الكريم قاسم وتحالفه الحاكم مع اليسار العراقى ..

وفى أعقاب هذا الدور السيئ لعبد الناصر .. وخدعت جماهير عربية وعريضة بالتشويهات الرهيبة التى أحاطت بالتجربة الثورية العراقية وقطع عليها الطريق لإعداد شعبها لثورة اشتراكية بقيادة عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعى العراقى...

وفتح الطريق أمام وحدة مصرية سورية .. وسلم شكري القوتلي وطنه السورى كإقليم عربى، وبرزت القيادة الناصرية التى تفتقر لحزب عقائدى منظم له جذور وسط الجماهير العريضة وصدر الأسلوب الناصرى فى الحكم .. والمعادي تماما للحريات والديمقراطية ولم يدرك هؤلاء العسكريون خلف عبد الناصر .. أن كسب الديمقراطية لصالح الجماهير العريضة هو الطريق الوحيد لإعداد الجماهير بالكيانات العربية المتعدده لخوض معركتها الفاصلة المسلحة للتحرر الوطنى لإقامة الاشتراكية وسلخ المنطقة العربية بثرواتها الكبيرة من براثن الاستعمار والشرائح العربية الرجعية بانتماءاتها المختلفة نهائياً من التبعية والعمالة.

وانهارت القيادة البعثية السورية فى مواجهة الزحف الناصرى الذى خدع عبد الناصر نفسه .. وسرعان ما فقدت الوحدة المصرية السورية أسباب وجودها وعاد البعث السورى من جديد لمواقعه فى قيادة الجماهير السورية وعادت سوريا من جديد إلى دولة ذات سيادة بعد أن حولها عبد الناصر بجهل شديد لإقليم تابع لمجموعته العسكرية الحاكمة وعاد عبد الحكيم عامر الحاكم المصري للإقليم السورى إلى القاهرة مرفوضاً من جماهير الشعب السورى وطلائعه..

نعم هناك مفهومان للقومية العربية؟! .. أسوأهما الأسلوب الناصري القمعي الذى لا يرى الخصائص الإقليمية بعمق وعلمية ويسعى لإجهاض هذه الخصائص فيلجأ لمعاداة الديمقراطية

والتعددية الحزبية كجزء من التجربة الناصرية نفسها ..

وأفضلهما هو الاتحاد الاختيارى الديمقراطى الذى يضع أمامه واجب مراعاة الخصائص الإقليمية لنشأة هذه الأوطان العربية والتى خاضت نضالاً مريراً للحصول على استقلالها الوطنى من السيطرة الاستعمارية الأنجلو فرنسية، نعم خاضت هذه الشعوب العربية نضالاً مريراً فى مواجهة الاستعمار العالمى كى تحصل على وطن مستقل صالح لإقامة العدالة الاجتماعية والتحول نحو الاشتراكية ..

إن عداء عبد الناصر للديمقراطية الذى صدره لسورياً هو الذي أجهض الوحدة المصرية السورية وأدى فى النهاية إلى ضعف التضامن العربي، وتعمق العداء بين البعث السورى والجماهير السورية والقيادة الناصرية فى مصر ..

وأدانت الحركة اليسارية فى مصر والقوى الديمقراطية والوطنية إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان .. وربطت الجماهير العربية هذا التدخل الأمريكى كدعم للكيان الإسرائيلى العدوانى الذى يشكل داخل إسرائيل قاعدة عسكرية تهدد استقلال الدول العربية وحركتها نحو التحرر الوطنى وتحرير الأرض الفلسطينية.

* لقد ساندت قرارات التأميم مثلما ساندت الحركة اليسارية بمختلف منابرها وجماهير مصر، خاصة الطبقة العاملة المصرية، قرارات التأميم وملكية الدولة للمؤسسات والشركات الصناعية الكبرى المؤممة .. ولقد وجهت هذه الضربة لطبقة الرأسمالية الكبيرة فى مصر .. وتحولت البنوك (بنك مصر) إلى ملكية الدولة ..

ولكن كان يرى تنظيم (الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير) وأغلب التنظيمات الشيوعية أهمية وضرورة كسب قضية الديمقراطية وحق الجماهير المصرية وطلائعها فى تكوين أحزابها الوطنية المساندة لهذه الإجراءات التأميمية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ وأغسطس من نفس العام .. حتى لا تصبح رأسمالية الدولة هى الصفة السائدة لهذه التأميمات وتسيطر عليها العناصر المتبقية فى السلطة من العسكريين والفنيين والقيادات البيروقراطية على تنظيم السلطة (الاتحاد الاشتراكى) كى يهيمن وحده على جوهر السلطة؟! لصالح هذه المجموعات المعادية للديمقراطية ولا تسمح بتداول الحكم أو السلطة بالأساليب الديمقراطية..

وبالتالى أصبح النظام الموجود بمصر هو نظام رأسمالية الدولة التى ترى فى شعار

الديمقراطية شعار إسقاط وتنحية لها.. وعبثت بوعى الجماهير العريضة بادعائها أن نظام رأسمالية الدوله هو الاشتراكية ..

لذلك كنا نرى أن كسب قضية الديمقراطية هو الإضافة الكيفية التي تغير طبيعة النظام من رأسمالية الدولة للتحول نحو الاشتراكية بقيادة حزب شيوعى مصرى قادر على توحيد الحركة الشيوعية المصرية وقيادة الجماهير والدولة نحو التحول الاشتراكى الديمقراطى الحقيقى..

* بالنسبة للموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية وعلى مستوى العلاقات الدولية وعلاقاته بحركات التحرر (الثورة الصينية - أحداث المجر - التعايش السلمي - الموقف من البورجوازيات الوطنية فى العالم الثالث ..الخ). فإننى أرى أن كثيراً من الأحزاب الشيوعية فى العالم لم تنتبه لخطورة غيبة الممارسة الديمقراطية. وغياب شعار (كل السلطة للسوفيتات) الذى رفعه لينين فى بدايات انتقال السلطة بقيادة الحزب الشيوعى السوفيتى، ولكنها لم تقتنع بعد بحتمية الانتقال نحو الاشتراكية ..

والتناقض الغريب هو أن «لينين» نفسه الذى رفع هذا الشعار دون أن يسمح بقيام أحزاب لطبقات أخرى ارتضت التحالف والعمل المشترك فى طريق ديمقراطى للتحول الاشتراكى وتحقيق نوع من العدالة الإجتماعية لن يحققها أى نظام رأسمالى في العالم الرأسمالى ..

وجاءت ظروف عالمية جديدة فى منتصف الثلاثينيات تشير لنشأة النازية فى أوروبا .. كخطر جديد يتهدد الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى .. وبدأت روسيا توجه اقتصادها نحو التسلح الشامل .. حتى دخل الاتحاد السوفيتى الحرب .. واتخذت القيادة السوفيتية فى الحزب الشيوعى السوفيتى من ظروف الإعداد للحرب سببًا جديداً لحرمان الشعوب السوفيتية من العداله الاجتماعية التى يوفرها التطبيق الاشتراكى .. وأصبحت السوفيتات فرعًا من فروع الحزب الشيوعى السوفيتى ولا مكان لطبقات حليفه فى التواجد داخل السوفيتيات. وتعثرت تمامًا مسألة نقل الفكر الاشتراكي لهذه الطبقات الحليفة .. وعرف النظام السوفيتى تشدداً رهيبًا لمفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ودفع الشعب السوفيتى ثمنًا باهظًا فى الحرب من حرمان وقسوة ومتناهبة أدت فى النهاية لنزع الثقة الكاملة من الحزب الشيوعى السوفيتى وسيطرت عناصر فى قيادة الحزب خلقت طبقة جديدة تسرب لبنيتها الفكرية نوع من البيروقراطية والتمايز الطبقي وحولت الحزب بالتدريج فى قمته إلى طبقة رأسمالية دفعت

بأجهزة الدولة الأمنية بالذات تحت قيادة «جوربا تشوف» للانفتاح على الغرب .. وكأن اتفاقاً قد أبرم للانتكاس بالتجربة كلها وبانفتاح كامل على أجهزة المخابرات العالمية كي تنتكس الاشتراكية هذه الانتكاسة الرهيبة في انهيار سريع وعاجل وكأن الإعداد له قد تم من سنوات طويلة تمتد لبدايات الخمسينيات مروراً بالصراع الصيني السوفيتي حتى انتهت بالكارثة الرهيبة التي انتهت إليها دول المعسكر الاشتراكي كله ..

ولم تكن أحداث المجر إلا بروفة مبكرة لهذا الإعداد المدعوم من المخابرات المركزية الأمريكية والعالمية للنظام الرأسمالي تعلمت منها هذه الأجهزة أن ما حدث بالمجر لابد وأن يكون أكثر شمولية نحو المعسكر الاشتراكي كله .. حتى تم هذا السقوط الدرامي السريع للنظم الاشتراكية منذ نهايات الثمانينيات وبدايات التسعينيات..

نعم لقد توقع بعض الشيوعيين المصريين مع ظهور الصراع الصيني السوفيتي الذي فجره «خروشوف» في الستينيات .. أن هذا الصراع هو بداية لإرهاصات الغرب وأجهزة مخابراته المدعومة مالياً .. بمئات المليارات من الدولارات للإجهاز على المعسكر الاشتراكي كله لصالح الرأسمالية العالمية..

ولكن لن يكون هناك استقرار سياسي للنظام الرأسمالي العالمي .. وإسقاط التجربة الإشتراكية الأولي ودول المعسكر الاشتراكي ليست وحدها مبررا كافياً للقضاء على «الماركسية اللينينة» كنظرية لابديل لها لفتح طريق لعدالة اجتماعية حقيقية، وتجنب التطبيق لأخطاء الماضي وأهمية وضرورة نقل الفكر الاشتراكي للقطاع الجماهيري العريض .. وأن الديمقراطية مكسب إنساني لا يمكن التنازل عنه بل هو جزء من التجربة الاشتراكية نفسها ولا يجوز فرض الاشتراكية بغير الطريق الاختياري للجماهير العريضة.

ومن الممكن كسب قطاعات كبيرة من البورجوازيات الوطنية فيما كان يسمى بالعالم الثالث لقضية الاشتراكية نفسها وعلى طريق القضاء الكامل على الامبريالية والتجمعات الدولية للرأسمالية .. بمسمياتها الحديثة كالسوق الأوروبية المشتركة ..

إن قيادات العالم الثالث كي تبني استقلالها قد دخلت الأعباء التي يحملها المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي .. كأحد العوامل والأسباب الرئيسية في انهيار التطبيق الاشتراكي .. وعلى حساب شعوب الدول الاشتراكية..

* بالنسبة للموقف من الصراعات السياسية التنظيمية داخل المعتقلات والسجون كنا فى نواة الحزب الشيوعى المصرى، ومن بعدها الطليعة الشيوعية نرى أهمية أن تتحول فترة السجن والاعتقالات المتتابعة إلى ندوات سياسية تطرح فيها حوارات حول الظروف السياسية التى تجتازها مصر وتطرح خلالها الأفكار المختلفة للوحة الصراع الطبقى فى مصر وطبيعة الثورة المصرية؟! وكانت هذه المسائل هى جوهر الخلاف فى الحركة الشيوعية المصرية.

وتحولت فترات الاعتقال دائما كي تصبح فرصة للحصول على الثقافة الماركسية وتبذل الجهود الشاقة لتهريب أغلب المؤلفات الماركسية للسجون والمعتقلات لقراءتها وفتح الحوار حولها .. وبذلك تحولت هذه الفترات إلى فرصة حقيقية كى تتحول فترات الاعتقال لتربية كوادر الحركة الشيوعية المصرية فكريًا .. وكثيرًا ما كانت تعرض وجهات النظر المختلفة ..

وشهدت فترات الاعتقال الطويلة فى الواحات الخارجة فى سجن المحاريق إجراء حوارات واسعة .. والتقاط الأخبار العالمية من أجهزه استقبال (راديو) صغيرة كنا نحرص على سرية تواجدها ونستمع فيها لإذاعات العالم يوميًا .. ويقوم جهاز من الزملاء بإعداد نشرة بهذه الأخبار يوميًا فى التاسعة أو العاشره صباحًا يذيعها عبد الستار الطويله وتمتد إذاعتها أحيانًا لعدة ساعات .. وسميت «واى» اختصاراً لاسم «وكالة أنباء عبد الستار الطويلة».

وشهدت هذه الفترة مدارس للغات والترجمة ..وأسست جامعة تحت اسم جامعة الشهيد شعبان حافظ كانت تقوم بهذا الدور ..

أما عن الصراعات السياسية والفكرية فأبرز أشكالها فى الواحات تبلورت فى مجلة الهواء ومجلة الناطقة ومجلة الأفق .. وكانت تعبر عن ثلاثة اتجاهات رئيسية فى الحركة الشيوعية المصرية. وكان تقييمى دائما أن الحوارات قد تكون مفيدة فى السجون والمعتقلات. ولكن كانت وجهة النظر السائدة أن الحوار حول وحدة الحركة الشيوعية المصرية لا يصلح أبدًا داخل السجون والمعتقلات..

وأن الحوار من أجل الوحدة لابد وأن يصحبه تنسيق فى مجالات العمل السياسى اليومى وسط الجماهير حول نقاط الاتفاق .. وتعلق نقاط الخلاف كي تطرح على صفحات نشرة مشتركة تؤدى فى النهاية لوحدة فكرية تنتهي بمؤتمر عام ينتهى بالانتخاب للقيادة وتحديد الواجبات والمهام لاستراتيجية الثورة المصرية.. ولا تصلح السجون والمعتقلات لذلك ..

أما ما أود ذكره عن نضالات الشيوعيين داخل السجون والمعتقلات

ولعلنى أذكر واقعة لا أعتقد أنها جاءت فى شهادة أحد الزملاء حدثت فى معتقل «النزهه البحرى» بالاسكندرية فى بدايات شهر يونيه ١٩٥٢ وكنا حوالى خمسين معتقلاً فى هذا المعتقل كلهم من الشيوعيين وقررنا الاستيلاء على إدارة المعتقل فى صباح يوم من أيام شهر يونيه قبل قيام الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبالفعل حدث فى تمام الساعة ١٠ صباحاً أن توجهت مجموعة من الزملاء الذين عرفوا بليقاتهم البدنية منهم سعد عبد اللطيف الساعى وشحاته عبد الحليم وحمدى مرسى وأنا كاتب هذه الشهادة واحتجزنا عسكرى البوابة برتبة «إمباش» وأسندنا ظهره للحائط بعيداً عن البوابة.

وخرج المعتقلون جميعاً لاحتلال مبنى إدارة المعتقل فى تواجد «سيد فهمى» ضابط مباحث أمن الدولة الذى أصبح بعد ذلك وزيراً للداخلية..

وحددت إقامته على مقعد التف حوله ثلاثة من الزملاء. ورفع الزميل فرج الله إسكندر سماعة التليفون واتصل بالصحافة الأهرام، والأخبار، والصحف الأخرى بمدينة الاسكندرية وأخطرناهم بهذا التمرد. وطلبنا الافراج فوراً.

وبتنسيق كامل مع أهالي المعتقلين كانوا قد احتشدوا فى أكبر عدد منهم ودخلوا للمعتقل وجلسوا وسطنا .. مطالبين جميعاً بالإفراج الفورى عنا .. وكان النظام الملكى يمر فى أضعف أيامه .. وبالفعل انتهى هذا الموقف بأن صدر بعد يومين قرار بالإفراج عن دفعتين متتاليتين من المعتقلين ورحل إلى معتقل (الهايكستب) ما تبقى من المعتقلين.

لقد شهدت اعتقالات الستينيات حتى عام ١٩٦٥ أسماء كثيره لرفاق صمدوا صموداً بطولياً أمام حملات التعذيب الفردى والجماعى وسقط فريد حداد. وشهدى عطية الشافعى ورشدى خليل وحسب الله على مرسى وشعبان حافظ والعضو السابق بحزب ١٩٢٤ من الجيل الاول وساهم فى تأسيس عدد من الاحزاب العربية فى العراق وفلسطين وسحبت منه الجنسية المصريه .. وأحمد الكار. وصمود إسماعيل صبرى عبد الله فى أبو زعبل وعبد المنعم شتله ونجاتي عبد المجيد ويوسف درويش وفوزى حبشى بالفيوم. وعدلى جرجس ومحمد فخرى فى الفيوم.

وشهدت المعتقلات صمود وصلابة معظم كادر الحركة الشيوعية فى الواحات وأبو زعبل ..

ونادراً ما كنا نسمع عن انهيار أحد أمام أعنف حملات التعذيب بسجون ومعتقلات عبد الناصر .. وتحمل الجميع الجوع والتعذيب والأشغال والجلد والعرى والحفاء .. وفشل عبد الناصر ورجاله فى تصفية الحركة الشيوعية بهذه الوسائل الوحشية .. ومن المؤكد أن الذاكرة لم تسعفنى بتذكر بعض شهدائنا .. ولعل بعض الرفاق ستضمن شهاداتهم أسماء الجميع الذين صمدوا ببطولة فائقة ..

وعرفت المحاكم مواقف رائعة للمرافعات السياسية أمام المحاكم العسكرية ومحاكم أمن الدولة .. وأرشيف وزارة العدل حافل بهذه الثروات وذلك الصمود لرفاق أعطوا سنوات العمر وأعذبها خلف جدران السجون المصرية.

* لقد كان لنا فى التنظيم موقف من الحل الذاتى للتنظيمات وأسبابه وكيفيته فقد كانت كارثة حقيقية أن تلهث منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تحت فهم خاطئ وغريب بزعم أن عبد الناصر على رأس مجموعة اشتراكية فى قمة السلطة. وفوضت رجل واحد لم تشمله حملة الاعتقال الواسعة فى أول يناير عام ١٩٥٩ .. وهو «كمال عبد الحليم» المسئول السياسى «لحدتو» بإخطار عبد الناصر بهذا الحل ؟!

وجاء نص البيان متضمناً هذا التكليف فى أحد أعداد مجلة قضايا فكرية التى يرأس تحريرها «محمود أمين العالم» أحد قيادات «حدتو»

والجريمة الأبشع أن يلجأ الجناح الآخر «للحزب الشيوعى المصرى» بقيادة مجموعة «عمال وفلاحين» التى كانت ترى أن عبد الناصر يمثل نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية؟!

فلجأت إلى خطوتين متتابعتين لحل الحزب..

الأولى : تجميد النشاط لفترة زمنية لا تزيد عن شهرين ..

الثانية : حل «الحزب الشيوعى المصرى» بعد رسالة حملها الأستاذان «مشيل كامل» الذى لم يشمله الاعتقال فى حملة يناير ١٩٥٩ أو مارس من نفس هذا العام .. والثانى «لطفى الخولى» وكانت رسالة شفوية بتهديد مباشر باعتقال كل أعضاء هذا الحزب إن لم يصدر قرار بالحل ..

وصدر القرار ببيان نشر فى نفس عدد «قضايا فكرية» الذى تضمن قرار حل «حدتو»

ولقد كنت فى هذه المرحلة عضواً بهذا الحزب، ورفضت بالطبع هذه القرارات الغريبة.. وأبلغت أحد المسئولين برفض هذه القرارات .

* هناك رفاق راحلون أدوا أدواراً هامة فى الحركة الشيوعية المصرية ولم توثق أدوارهم ولذلك

١ - أرفقت شهادة مكتوبة فى عدة صفحات عن رفيقنا الراحل دكتور/ حسونه حسين.. أحد كوادر ومؤسسى حزب ١٩٢٤.

والذى انضم إلى منظمة العصبة الماركسية فى بدايات الأربعينيات وكان قد سحبت منه الجنسية المصرية بقرار من الملك فؤاد شمله وشمل شعبان حافظ..

وسيتقدم الزميل «عادل حسونه حسين» نجل هذا الرفيق الراحل وأحد رفاقنا فى رحلة نضالنا الطويل منذ الخمسينيات.. بتفصيلات أخرى عن والده.

ولقد رحل الدكتور/ حسونه حسين إلى الاتحاد السوفيتى بمساعده الكومنترن والحزب الشيوعى اليونانى .. وانتظم فى جامعة شعوب الشرق التى درس بها هو وشعبان حافظ.. وتزوج فى الاتحاد السوفيتى من سيدة سوفيتية وأنجب منها ابناً أصبح ضابطاً فى الجيش السوفيتى. وتعرف عليه شقيقه الزميل (عادل حسونه) فى بدايات السبعينيات بواسطة «عبد الملك خليل بواقيم» مندوب الأهرام حالياً بموسكو.. وزار القاهرة فى ضيافة «عادل حسونه» شقيقه.

أما الزملاء الذين استشهدوا فأذكر منهم رفيقنا الراحل «أحمد حسين البكار» الذى أصيب بالسرطان فى الأمعاء، فى منفى الواحات بالمحاريق بالوادى الجديد عام ١٩٦٣. وترك وقتاً طويلاً بالسجن دون أن يتم نقله إلى مستشفى متخصصة بالقاهرة .. وبعد أن ساءت حالته فى المعتقل وكاد أن يموت .. تم نقله للمستشفى الأميرى بالاسكندرية قبل وفاته بأيام قليلة.. وأفرجت الدولة عنه وهو بالمستشفى «وكان أحمد البكار» قد ارتبط بمنظمة «نحو حزب شيوعى مصرى» أواخر عام ١٩٤٩ بمدينة كوم الدكة وهو طالب بكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية .. وقبض عليه عام ١٩٥٣ مع عدد من الرفاق وأودع بسجن الحضرة بالاسكندرية .. وصدر ضده حكم بالحبس ثلاثة سنوات أمضاها كلها بهذا السجن بالاسكندرية .. وساهم أحمد البكار فى حركة الكفاح المسلح فى القنال وكون بحى كوم الدكة هو والرفيق عادل كامل

فخرى لجنة للمقاومة الشعبية بالقنال..

٣- الرفيق/ محمود فؤاد المانسترلى ..

كان ضابطاً بسلاح الفرسان .. وكان أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار وأحد الذين شاركوا فى الانقلاب العسكرى فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. وكان وثيق الصلة بيوسف صديق الضابط الشيوعى وعضو مجلس قياد الثورة.

وكان محمود المانسترلى عضواً بمنظمة نحو حزب شيوعى مصري وطرد من الجيش عام ١٩٥٢ وعاصر فترات اعتقال طويلة من ١٩٥٤ حتى ١٩٥٦ بأوردى ليمان أبو زعبل واعتقل عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ بالواحات الخارجة..

وأدان حل التنظيمات الشيوعية السالف ذكرها وتوفى أواخر السبعينيات.

شهادة

محمد الجندي

البيانات الشخصية

الاســـــــم : محمد يوسف أحمد الجندى

تاريخ وموطن الميلاد: ١٩٢٦/١/١٢ زفتى - غربية

المــؤهــلات : ليسانس حقوق جامعة القاهرة دبلوم لغة روسية من جامعة بودابست.

المــهــن : سكرتير مجلس الشباب العالمى - بودابست ١٩٥٢ عن مصر والسودان. وكالة أنباء الشرق الأوسط ١٩٦٥ - ١٩٦٩.

مترجم بدار التقدم بموسكو من الروسية إلى العربية ١٩٦٩ - ١٩٧٥

مراسل أخبار اليوم بموسكو ١٩٧٠ - ١٩٧٦

مدير دار الثقافة الجديدة ١٩٦٨ حتى الآن

مدير دار يوليو للنشر ١٩٦٤ - ١٩٦٩

مدير دار العالم الثالث ١٩٩٢ حتى الآن

مجلة السلم والاشتراكية - براغ ١٩٨٦ - ١٩٩٠

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٧ سنة

فترة السجن والاعتقال :

٤ أيام فى صيف ١٩٤٦ فى الجيزة

يوم وليلة فى ههيا ١٩٤٨

١٥ يوماً فى سجن طنطا ١٩٤٨

من ١٢ مارس ١٩٤٩ حتى يونيو ١٩٥٠ (حكم ٥ سنوات - وهروب من السجن).

٣ أشهر فى سجن لاسانتيه فى باريس لدخول البلاد بدون أوراق

من ١٢ مايو ١٩٥٩ حتى يوليو ١٩٦٤ اعتقال (القلعة - سجن مصر - القناطر - أبو زعبل - الواحات).

١٨ ١٩ يناير ١٩٧٧ شهران

١٩٧٩ ثلاثة شهور

١٩٨١ تسعة شهور

أى بيانات شخصية أو عائلية أخرى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية

الوالد : يوسف أحمد الجندى

قاد ثورة زفتى ضد الاحتلال البريطانى ١٩١٩ ورأس اللجنة الثورية التى تكونت فى ذلك الوقت وعرفت بجمهورية زفتى.

منذ ١٩٢٤ انتخب عدة مرات عضوا فى مجلس النواب. وقدم مشروعات بإلغاء الأوقاف الأهلية واعترض على بعض المخصصات الملكية.

فى ١٩٣٦ عين وكيلاً برلمانياً لوزارة الداخلية فى عهد حكومة الوفد وفى ١٩٣٧ أختير وزيراً للمعارف (التربية والتعليم الآن) فاعترضت السراى - أزمة بين الوفد والسراى انتهت بإعادته وكيلاً برلمانياً للداخلية.

عين فى مجلس الشيوخ وكان نائباً لزعيم المعارضة وعرف بأنه زعيم المعارضة.

تأثرت بمواقف الوالد الديمقراطية والمعادية للسراى.

التعرف على الفكر الماركسى

أساسا من قراءاتى، وقد بدأت بقراءات عامة فى الفكر الاشتراكى والفكر النقدى والديمقراطى.

روايات عن الثورة الفرنسية والثورات المختلفة - عبد الرحمن الكواكبى- المجلة الجديدة.

ومن أهم الكتب التى أثرت علىّ وأنا فى المرحلة الثانوية - كتاب عن الاقتصاد السياسى لكاتبين غير يساريين هما عبد الحكيم الرفاعى ود. زكى عبد المتعال تعرضا لمشروع الخمس السنوات الأولى فى الاتحاد السوفيتى وجاء فى عرضهما أن الاتحاد السوفيتى هو البلد الوحيد الذى لم يعان من الأزمة الاقتصادية لعام ١٩٢٩ التى عمت بلدان العالم الرأسمالى.

ثم قراءات أخرى عن الاتحاد السوفيتى منها الدستور السوفيتى وكتبت بعد معركة ستالنجراد مقالا فى مجلة الشعلة الوفدية بعنوان «روسيا السوفيتية» ربطت فيه بين الانتصارات التى أحرزها السوفييت والنظام الاشتراكى مع اقتباسات من الدستور السوفييتى.

وبعد ذلك بدأت قراءاتى فى الماركسية - كتابات ماركس وانجلز ولينين وستالين وكتابات

أخرى عن الماركسية من أهمها كتاب بعنوان ما هى الماركسية؟ لمؤلف انجليزى هو اميل بيرنز. وقد قمت بترجمته وأعطيته للكثيرين من زملائى الطلبة فى كلية الحقوق لقراءته.

وإلى جانب القراءات كان لمناقشاتى مع بعض الأصدقاء مثل جمال العطيفى، ومحمد زكى هاشم أثرها فى ارتباطى بالفكر الاشتراكى.

المواقف السياسية السابقة على الانضمام للحركة الشيوعية

فى طفولتى وشبابى المبكر كنت وفديًا متأثرًا بوالدى، ثم تأثرت فى مرحلة الدراسة الثانوية بالفكر الاشتراكى وأسست مع حوالى ٣٠ شابا تنظيمًا باسم «جمعية البعث الاجتماعى» أعددنا له برنامجًا كان البند الأول فيه «إلغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج» وبعد مناقشات مع الاخوان المسلمين بناء على دعوتهم للمحاضرة فى شعبة الأخوان المسلمين فى زفتى باسم «الاشتراكية والإسلام». وألقيت محاضرة أخرى فى شعبة الاخوان المسلمين بالسيدة زينب بعنوان «التضامن الاجتماعى والإسلام» دعانى شباب الشعبة بعدها للقاء حسن البنا وكان حديثه معى ومع أخى الذى جاء معى يقتصر على الإشادة بأبى.

فى عام ١٩٤٤ أخبرنى جمال العطيفى بأن د. محمد زكى هاشم سيلقى محاضرة فى «لجنة نشر الثقافة الجديدة» عن «الملكية الزراعية فى مصر» فذهبت إلى هناك ولم يحضر زكى هاشم ولكنى التقيت بسعيد خيال رئيس اللجنة وتوطدت علاقاتنا وبدأ يزودنى بالكتب المختلفة عن الاشتراكية وعن الاتحاد السوفيتى وتعرفت هناك بعدد من الشباب أذكر منهم مصطفى كامل منيب وعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور وأحمد صادق سعد وابراهيم سعد الدين وغيرهم. وواظبت على التردد على لجنة نشر الثقافة الحديثة وكانت بشارع القصر العينى والتى كانت تنظم فيها محاضرات أسبوعية. وفى إحدى المرات التقيت بأنور عبد الملك الذى دعانى إلى «دار الأبحاث العلمية» التى اجتذبتنى أكثر بنشاطها الأوسع وبالعدد الذى يتردد عليها والمناقشات التى تدور والشخصيات التى تعرفت عليها هناك.

التنظيم «أو التنظيمات» التى ارتبطت بها

حدثت فى البداية محاولة لربطى بالحركة المصرية للتحرر الوطنى عن طريق محمد زكى هاشم. وقد حاول تكوين مجموعة منى ومن أخى أحمد وجمال العطيفى ولكنه لم يواظب على

اللقاء بنا. ولم أعرف أنه على صلة بالحركة المصرية إلا بعد ذلك. ثم جرت محاولة أخرى لربطى «بتحرير الشعب» عن طريق سعيد خيال الذى أخذ يزودنى بالكتب عن الاتحاد السوفيتى وعن الماركسية. ولكننى انتقلت إلى دار الأبحاث العلمية وبعدها بفترة انتظمت فى مجموعة يقودها شهدى عطية الشافعى لدراسة الماركسية الذى تحدثت عنها فى الفقرة السابقة وكان معى فى المجموعة أنور عبد الملك وظريف عبد الله. وبعد أربعة أشهر من الدراسة التى لم أشك أن وراءها تنظيماً سرياً. وفى إحدى الأمسيات فى دار الأبحاث العلمية اتفق معى شهدى على اللقاء بعد الأمسية وخرجنا معا نتجول فى الشوارع المحيطة وأخبرنى بأنه عضو فى تنظيم شيوعى سرى اسمه (شرارة) (إسكرا) وعرض علىّ الانضمام إليه. ونبهنى إلى أن ذلك قد يعرضنى لمخاطر السجن والاعتقال وخلافه. ولكننى وافقت على الفور وبلا أى تردد على الانضمام إليه. وافترقنا وأنا ممتلئ حماسا. بعد أن أصبحت عضوا فى «شرارة» انتقلت إلى خلية قاعدية كان مسئولها محمد جمال الدين شلبى الطالب بكلية الطب، وكان معى فى نفس الخلية لطيفة الزيات الطالبة بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية. وكنت طالبا فى كلية الحقوق. وأذكر أن بداية ارتباطى بمنظمة شرارة كان فى ١٩٤٤ - ١٩٤٥. بقيت فى شرارة وفيها تمت وحدة مع قسم من تحرير الشعب وقسم من منظمة القلعة. وفى صيف ١٩٤٧ تمت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى وتكونت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى بقيت فيها. وبدأت فيها عضوا فى قيادة دائرة المثقفين بمسئولية كمال عبد الحليم وعضوية أسعد حليم ثم انتقلت للعمل فى الأقاليم. بقيت فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى إلى أن تمت الوحدة مع عدد من المنظمات وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد عام ١٩٥٥.

تنظيم اسكرا الذى ارتبطت به نشأ بمبادرة من هليل شفارتس وهو يهودى ثقافته فرنسية. وقد بدأ نشاطه فى النوادى التى يتردد عليها الأجانب. وعندما أسس تنظيم شرارة كان يركز العمل بين الأجانب ولم يدخل قيادتها مصريون (شهدى عطية وعبد المعبود الجبلى) إلا قبل الوحدة مع الحركة المصرية مباشرة. وبعد الوحدة بين شرارة وح.م (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) وجد قسم كبير من الأجانب (يهود - أرمن - يونانيين) جاء أساساً من اسكرا. قبل الوحدة مع ح.م اتحدت اسكرا مع قسم من تحرير الشعب ورفض القسم الآخر الوحدة وفضل أن يتحد مع الفجر الجديد. (من الشخصيات التى اتحدت مع اسكرا مارسيل اسرائيل موسى

تحرير الشعب وأسعد حليم. واتحد قسم من منظمة القلعة مع اسكرا (مصطفى هيكل - عبد الواحد بصيلة - عبد الرحمن بصيلة) واتحد آخرون مع ح.م (مثل فؤاد عبد الحليم - حمدى عبد الجواد).

واتحدت منظمة الطليعة فى الاسكندرية مع اسكرا.

كانت أكبر الوحدات هى الوحدة بين شرارة وح.م التى تمت فى صيف ١٩٤٧ - ودارت مناقشات الوحدة عدة شهور كانت تصدر فيها نشرة «الوحدة» التى كانت توزع على أعضاء التنظيمين. وكانت هناك خلافات انحصرت فى النهاية فى قضية «المركزية الديمقراطية» والانتخابات، وكانت إسكرا تقول بانتخاب القيادات. أما ح.م فكانت ترفض ذلك فى ظروف السرية. وفى هذه الاثناء كانت منظمة الفجر الجديد تحارب الوحدة وتصدر نشرة ضد هذه الوحدة ترسلها بالبريد إلى أعضاء التنظيمين المعروفين لها، وكانت تصلنى بالبريد على منزلى. وانتصرت فى النهاية وجهة نظر ح.م بالنسبة للانتخابات. وتكونت «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» وأصبحت أكبر تنظيم فى ذلك الوقت وأصبح هنرى كوريبل مسئولا سياسيًا وهليل شفارتز مسئولا تنظيميًا وعبد المعبود الجبيلى مسئولا للدعاية. ولم ألتق بهليل شفارتز إلا بعد الوحدة باعتبارى مسئولا تنظيميًا لدائرة المثقفين وكان هو المسئول التنظيمى المركزى.

كان التنظيم يقوم على أساس فئوى - عمال - طلبة - متقفون - أجانب - أقاليم، وقد نما التنظيم بشكل سريع ووصلت عضويته إلى أكثر من ٤٠٠٠ عضو ونما نشاطه. واستمر كذلك عدة شهور وبدأت التكتلات. وكان أولها التكتل الثورى بقيادة شهدى عطية.

ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة من حيث: العضوية - الاشتراك فى المعارك والنضالات النقابية والاقتصادية

كان نشاط شرارة أساسا بين الطلبة وقد اتسع نشاطها هناك. ولكن كان هناك نشاط ضعيف بين العمال. أنشأت جامعة عمالية فى شارع ابراهيم باشا (الجمهورية حاليا) كانت تلقى فيها محاضرات على العمال. ولكن بعد الوحدة ونشأة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى اتسع النشاط بين العمال والذى قامت به فى البداية ح.م ثم اتسع بعد الوحدة وزادت العضوية والنشاط النقابى والجماهيرى وتكون كادر من أصول عمالية صعد بعضهم إلى اللجنة المركزية

مثل محمد سليمان رفاعى (بدر) ومحمد محمد شطا (حميدو). وكان للعمال الشيوعيين فى الحركات الاضرابية فى شبرا الخيمة والمحلة الكبرى واسكندرية وكفر الدوار دور بارز فى الحركة العمالية والنقابية وفى تجميع النقابات فى اتحاد عام للعمال. وكان القانون وقتها يمنع تكوين اتحاد للعمال. ومع ذلك دعى مندوبى أغلب النقابات إلى اجتماع فى أول مايو أعلن فيه تكوين المؤتمر العام لاتحاد عمال مصر وأصدر بيانا بالمطالب منها الاحتفال بأول مايو عيدا للعمال. وقد حاولوا فى البداية الاجتماع فى نادى الشرقية ولما منعه البوليس توجهوا سرا إلى منزلنا فى شارع معمل البارود فى القصر العينى وحضر حوالى ٢٠٠ مندوب ومندوبة ونشرت القرارات فى الصحف فى اليوم التالى.

وفى ١١ يوليو فى إطار حملة صدقى لمكافحة الشيوعية صدر قرار بحل المؤتمر. وكان للعمال فى الحركة الديمقراطية فى ح.م بالاشتراك مع الطلبة من شرارة دورهم فى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال. وكان للعمال الشيوعيين فى حدتو الدور الأساسى فى تكوين اللجنة التحضيرية لاتحاد عمال مصر سنة ٥٠ - ٥١ والتى دعت إلى عقد مؤتمر عام أجهضه حريق القاهرة.

دور التنظيم وسط الفلاحين

لم يكن لشرارة عمل بين الفلاحين. ولكن كان للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى عمل بين الفلاحين كانت بداياته فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم اتسع بعد الوحدة. وقد تكونت فى أواخر سنة ١٩٤٧ لجنة للأقاليم وكنت عضوا فيها بالاشتراك مع فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد، وأصبح لحدتو خلايا فى كل محافظات الوجه البحرى والقبلى وتكونت لجان للفلاحين فى بعض القرى مثل ههيا ونبروه وميت يعيش وبعض قرى دكرنس وزفتى وغيرها. ووجد أعضاء من الفلاحين والعمال الزراعيين. وتكون كادر فلاحى من أبرزهم أحمد سليم الذى صعد إلى اللجنة المركزية، وصدرت جريدة سرية باسم «صوت الفلاحين» وكان للتنظيم دور فى إنشاء نقابات العمال الزراعيين التى كانت ممنوعة قانونا. وذلك فى الدقهلية وغيرها من القرى.

وقد رفع الشيوعيون شعار «الأرض لمن يفلحها». وكان لهذا الشعار فعل السحر وعلى أساسه تحدد الموقف من الملاك الذين يؤجرون أراضيهم ولا يكون لهم أى دور فى فلاحة الأرض.

وكانت الملكية الزراعية تركز فى أيدى فئة قليلة من كبار الملاك وارتفع عدد المستأجرين للأراضى الزراعية إلى مليونى شخص يتحكم فيهم ملاك الأرض. أما العمال الزراعيون وعمال التراحيل فكانت أحوالهم فى غاية البؤس.

فى هذه الظروف انتقل كادر حدتو للعمل فى الأقاليم وهو لم يذهب كزائرين للمدن والقرى، يلقى نظرة هنا أو هناك ويعود أدراجه بالقاهرة. لقد هجروا كل شئ؛ أسرهم ودراساتهم - وكانوا طلبة فى الجامعة - واحترفوا العمل الثورى وأقاموا فى الأقاليم البعض فى الوجه البحرى والبعض الآخر فى الوجه القبلى. وعندما اتسع العمل تكونت لجنة لبحرى وأخرى لقبلى وأقاموا ركائز للتنظيم فى مدن وقرى مصر.

المجلات التنظيمية والجماهيرية التى كان التنظيم يصدرها والكتب والدراسات التى صدرت عنه ودوره فى نشر الثقافة الماركسية ونوعية أعضائه بها؟

أصدرت إسكرا جريدة «الجماهير» وكان رئيس تحريرها محمود النبوى وبعد الوحدة مع ح.م أصبحت الجريدة تصدر عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وكان رئيس تحريرها شهدى عطية الشافعى. وكانت جريدة علنية. وإلى جانب التوزيع العادى كان الأعضاء يقومون بتوزيعها بأنفسهم. وكانت توزع باليد فى الجامعة وفى الأحياء، وفى الأقاليم، وكانت الجماهير تنشر أحيانًا بيانات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - وقد نشرت موقف حدتو من قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الأمم المتحدة.

وكانت حدتو تصدر مجلة - نصف سرية هى «كفاح العمال» ونشرة داخلية باسم «الكادر» وقد صدر عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ما عرف باسم الكتب الخضراء التى ترجمت داخل الحركة وطبعت بشكل سرى ومنها «البيان الشيوعى .. و«**القيمة والثمن والربح** و«**إلى فقراء الفلاحين**» و«**رأس المال والعمل المأجور**» وغيرها من الكتب الماركسية الأساسية التى لعبت دورا هاما فى التثقيف. وفى عام ١٩٤٦ نشر **شهدى عطية الشافعى** وعبد المعبود الجبيلى كتاب «أهدافنا الوطنية» وكان وثيقة برنامجية وقد صدر بشكل علنى وكذلك «الاخوان المسلمون فى الميزان». وقد صدر عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى جريدة علنية هى «أم درمان» التى كان يعمل بها عدد من الأعضاء النوبيين والسودانيين وكان شعارها هو «الكفاح

المشترك بين الشعب المصرى والشعب السودانى» وإلى جانب ذلك وجد عدد من الكورسات فى الحركة المصرية يدرسها المرشحون عن «تطور المجتمع». و«المجتمع الرأسمالى» إلخ أما فى إسكرا فكان التثقيف يتم بقراءة الكتب الماركسية وكانت كلها باللغة الانجليزية أو الفرنسية وتلخيصها وعرضها. وكانت تبدأ بدراسة المادية الجدلية والتاريخية معتمدة على كتاب ستالين ومقتطفات من مؤلفات انجلز، وتنتهى بدراسة تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى.

وفى الخمسينيات ظهرت «دار الفكر» التى أصدرت العديد من الكتب التقدمية والماركسية، وأغلقت فى الحملة ضد الشيوعية عام ١٩٥٩.

محاولات التنظيم لدراسة الواقع المصرى والدراسات التى صدرت عنه فى هذا الصدد

كانت فى البداية محاولاتٌ ضعيفة. منها دراسة عن الملكية الزراعية فى مصر قام بها محمد زكى هاشم. ودراسات فى دار الأبحاث العلمية وفى المجلات التى كانت تصدر وكان يشرف عليها التنظيم مثل «الفجر الجديد» و«الطليعة» و«أم درمان» و«الجماهير». وقد أنشئ فى الخمسينيات عدد من دور النشر أهمها دار الفكر والدار الديمقراطية وغيرهما. ومن أهم الكتب التى صدرت فى هذه الفترة دراسة لفوزى جرجس بعنوان «دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى» صدر ١٩٥٨ وكتاب لشهدى عطية الشافعى بعنوان «تاريخ الحركة الوطنية فى مصر».

المقومات الأساسية «استراتيجية - تكتيك - برنامج - لائحة تنظيمية» والخطوط التنظيمية والجماهيرية التى أصدرها التنظيم

كان الهدف الاستراتيجى دائما هو التحرر الوطنى ذا المضمون الاجتماعى. وكان الكفاح هو ضد الاستعمار البريطانى وأعوانه فى الداخل (الملكية والاقطاع وكبار الرأسماليين الكومبرادوريين المرتبطة مصالحهم بمصالح الاستعمار - وكنا لانحارب الاستعمار البريطانى وحده بل كنا نحذر من الاستعمار الأمريكى، وكنا نعتبره الخطر الأكبر خصوصا وأن بعض الأحزاب البورجوازية فى مصر كانت تروج لإحلاله محل الاستعمار البريطانى، وكان إسم الحركة

المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى يعبران عن هذا الهدف الاستراتيجى وكنا نعتبر أننا فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى كنا نسعى لأن تتم بقيادة الطبقة العاملة التى يمثلها الشيوعيون وذلك فى تحالف مع الفلاحين والمثقفين وكل الطبقات والفئات ذات المصلحة فى التحرر الوطنى الديمقراطى، وكانت الاشتراكية هى هدفنا الأبعد، **وأن تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية هو الطريق للانتقال بعد ذلك إلى بناء الاشتراكية.**

وبعض الأدبيات سواء العلنية أو السرية قد عبرت عن ذلك منها كتاب شهدى عطية وعبد المعبود الجبيلى «أهدافنا الوطنية». ولكننا كنا نضع من أهدافنا الأولى بناء حزب للطبقة العاملة. وقد عبر شهدى عطية عن ذلك فى إحدى افتتاحيات الجماهير بعنوان «نريد حزبًا من نوع جديد» وذلك رغم أن حدتو فى الواقع كانت تقوم بدور الحزب. ولكنها كانت تضع من أهم أهدافها وحدة الحركة الشيوعية - وكانت لنا مواقف تكتيكية مختلفة وهى محاولة التحالف مع الوفد أو مع القسم اليسارى منه. ومن المواقف السياسية التكتيكية المطالبة بعرض القضية المصرية على مجلس الأمن بعد فشل مفاوضات صدقى - بيفن ثم خشبة- كامبل ثم كانت الموافقة على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ورفض الحرب فى فلسطين ثم الكفاح المسلح فى القنال، وكانت اللائحة التنظيمية تقوم على مبادئ المركزية الديمقراطية مع رفض الانتخابات الحزبية فى الظروف السرية.

دورى فى التنظيم والمستويات التنظيمية التى اشتركت فيها

فى إسكرا كنت عضوا فى خلية قاعدة وبعد الوحدة مباشرة وتأسيس الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى عينت مسئولاً تنظيميًا لدائرة المثقفين. ثم عملت فى دائرة الأقاليم. وبعد اعتقالات ١٩٤٨ صُعدت إلى اللجنة المركزية وأصبحت مسئولاً عن منطقة الاسكندرية ثم مسئولا عن منطقة شبرا الخيمة واعتقلت فى ١٢ مارس ١٩٤٩ وفى يونيو ١٩٥٠ هربت من السجن وسافرت إلى الخارج، وأصبحت عضوا فى مجموعة الخارج فى باريس ثم سافرت إلى المجر. وفى عام ١٩٥٥ وبعد الوحدة التى نتج عنها الحزب الشيوعى المصرى الموحد اخترت عضوا فى اللجنة المركزية وكنت وقتها فى المجر، وعند عودتى إلى باريس عام ١٩٥٥ أصبحت

مسئولا عن مجموعة الخارج. ثم عدت إلى القاهرة سرا فى أغسطس ١٩٥٦ ومارست عملى فى اللجنة المركزية ثم انتخبت عضواً فى المكتب السياسى، وبعد فشل العدوان الثلاثى أصبحت مسئولا عن منطقة القنال ثم أصبحت مسئولا عن الدقهلية. وبعد الوحدة مع الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وتكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد كنت عضوا فى اللجنة المركزية وفى المكتب السياسى، وبعد وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ كنت عضوا فى اللجنة المركزية، وبعد الإنقسام أصبحت عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى (حدتو) وفى المكتب السياسى، وأيدت الخط الذى سارت عليه حدتو فى مساندة جمال عبد الناصر وواصلنا هذا الخط بعد الاعتقال، وبدأنا مناقشات داخل السجن بعد تأميم بنك مصر والبنك الأهلى حول وجود مجموعة اشتراكية غير علمية فى السلطة وعقد كونفرنس بعد مناقشات استمرت ستة شهور وصدر قرار المجموعة الاشتراكية. وأكدنا موقفنا بعد تأميمات ١٩٦١ وبعد صدور الميثاق صدرت عدة قرارات هامة داخل السجن (فى الواحات). ومنها القرار عن الفترة الانتقالية وعن التوجه لإنشاء تنظيم واحد مع المجموعة الاشتراكية، ورفض الدعوات لحل الحزب. وكان لى دور فى كل هذه القرارات، وفى مراسلة الصحفيين والمسئولين وجمال عبدالناصر للمطالبة بالافراج عنا.

بعد الافراج عنا عقد كونفرنس تقرر فيه تكوين قيادة ضيقة من أربعة أخترت عضوا فيها. ووافقت على القرار الخاص بقبول دخول التنظيم الطليعى. وكان القرار يقضى بأن يقطع من يقبلون فى التنظيم الطليعى صلتهم التنظيمية بالتنظيم الشيوعى وقد أخترت مع زكى مراد أعضاء فى التنظيم الطليعى ولهذا لم نشترك فى الكونفرنس الذى اتخذ قرارا بحل الحزب. ومع ذلك فكنا نوافق على القرار الذى اتخذ. رغم أننا تبينا خطأ هذا القرار فيما بعد.

تقييمى لدور المحترفين فى التنظيم

رأيى أن دور المحترفين فى التنظيم لا غنى عنه. وقد كان التنظيم يعتمد عليهم الاعتماد الأساسى وكانوا هم عماد التنظيم الذين تحملوا المسئوليات الأساسية فيه.

وقد قررت أنا شخصيا منذ ١٩٤٨ أن أكون محترفًا وعملت فى الأقاليم. وكان العمل فى الأقاليم يعتمد على الكادر المحترف وبدونه لم يكن ممكنا بناء العمل هناك.

وقد كان هذا هو موقف حدتو باستمرار. وبعد وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ ثار خلاف حول موضوع المحترفين ووقفنا (ممثلو حدتو) ضد المحاولات لتصفية الاحتراف والمحترفين التى كانت أحد الأسباب التى أدت إلى الانقسام.

الموقف من التنظيمات الأخرى والتنسيق معها والموقف من قضية تكون الحزب الواحد

كان موقف التنظيمات التى اشتركت فيها (اسكرا - ح.م - حدتو - الحزب الشيوعى المصرى الموحد) وموقفى شخصيًا مع الوحدة رغم انتقاداتنا وملاحظاتنا على ممارسات التنظيمات الأخرى. وكنا فى كل الأوقات مع التنسيق معها. وقد جرى هذا التنسيق فى الجامعة فى أحداث ١٩٤٦ وتكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وكنا دائما نسعى للتنسيق والعمل المشترك.

ولى رأى ورد فى المؤلف الذى أصدرته باسم «اليسار والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠» أنه وجد دائما فى الحركة الشيوعية المصرية تيار ثورى وتيار انتهازى دون ربط أى من التيارين بتنظيم معين، وذكرت أن التيار الثورى كان دائما مع الوحدة ومع تكوين الحزب الواحد.

موقف التنظيم وموقفى من وحدة «٨ يناير» والانقسامات التى أعقبتها

سعت حدتو منذ نشأتها لتحقيق الوحدة وتكوين الحزب الواحد. وحدتو نفسها هى نتيجة وحدة بين اسكرا و ح.م وعدد من التنظيمات الصغيرة الأخرى مثل القلعة وجزء من تحرير الشعب والطليعة. وقد وقف تنظيم «الفجر الجديد» الذى أصبح يسمى بعد ذلك «العمال والفلاحين» موقفًا معاديًا من وحدة حدتو وأصدر المنشورات التى كانت ترسل بالبريد لمهاجمة حدتو وهذه الوحدة. وقف ضد إنشاء حركة السلام المصرية وحاربها بطرق مختلفة. ومع ذلك فكان موقف حدتو دائما مع الوحدة وقد نجحت هذه الجهود فى الوحدة مع خمس منظمات صغيرة وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد رغم فرض شروط قاسية مثل استبعاد بعض القياديين فى حدتو. وسعى الحزب الموحد بعد ذلك إلى تحقيق الوحدة مع الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وضرب العمال والفلاحين. وفى عام ١٩٥٧ تحققت الوحدة مع (الراية) وتكون

الحزب الشيوعي المصرى المتحد.

ورأى حدتو ورأيى أن الانقسام الذي تم هو نتيجة اتفاق بين الراية والعمال والفلاحين الذى أصبحت لهم أغلبية بعد التنازلات التى قدمتها حدتو فى سبيل الوحدة «لضرب حدتو». وقد اعترف بعد ذلك بعض عناصر الراية «محمد سيد أحمد» بذلك. واستخدمت هذه العناصر بعد ذلك وضعها كأغلبية فى فصل العناصر القيادية لحدتو. الأمر الذى أدى إلى الانقسام.

موقف التنظيم وموقفى من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية دورهم فى التنظيم

كان للأجانب واليهود الدور الأساسى فى نشأة الحركة الشيوعية المصرية فى الأربعينيات. وكان هذا أمرا طبيعيًا بسبب وضع الأقليات الأجنبية ومن بينهم اليهود فى مصر فى ذلك الوقت بسبب الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها، وضعف القبضة الارهابية للدولة تجاههم بعد ضرب الحركة الشيوعية فى العشرينيات، وبسبب موقف اليهود ضد الفاشية فى الحرب العالمية الثانية.

وقد رفعت الحركة الشيوعية (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) شعار التمصير منذ البداية بحيث أن قيادات الحركة الشيوعية منذ بداية الخمسينيات كانت تقتصر على المصريين.

(انظر الرد على محمود السعدنى ومحمد سيد أحمد فى الأهالى عدد ٢٠ أغسطس ١٩٩٧) وقد عرضت فيها رأيى بالنسبة لهذه القضية).

المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومى والأممى التى شارك فيها التنظيم.

ساهم التنظيم منذ نشأته فى الأربعينيات في كل المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومى والأممى، وهو أمر يحتاج حصره بالتفصيل إلى مؤلف أو مؤلفات كبيرة.

ويمكن فى ذلك الرجوع إلي العديد من المؤلفات عن تاريخ الحركة الوطنية والنقابية المصرية

مثل مؤلفات طارق البشرى وعبد العظيم رمضان وشهدى عطية ورءوف عباس ورفعت السعيد وغيرهم.

ومن أبرز أدوار تنظيم حدتو الدور الذى لعبته فى الحركة العمالية فى الأربعينيات فى شبرا الخيمة والمحلة ثم دوره فى الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية وفى تحديد توجهاتها الاساسية، وفى المعارك التى دارت لتأسيس اتحاد لنقابات العمال سواء فى ١٩٤٦ أو ١٩٥١ أو بعد ثورة يوليو ١٩٥٢. وكان دور حدتو هو الدور الأساسى بين كل التنظيمات الأساسية. ثم دورها (اسكرا - وح.م) فى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وما صاحبها من تحركات جماهيرية. ودور التنظيم فى إنشاء حركة السلام المصرية التى كانت تضم ممثلين لكل الاحزاب السياسية القائمة فى مصر وحملة التوقيعات على نداء استكهولم ومعارك الكفاح المسلح فى القنال. ثم الموقف من تأييد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. والاشتراك البارز لممثلى الحزب الشيوعى المصرى الموحد ضد العدوان الثلاثى فى بورسعيد واصدار مجلة «الانتصار» هناك. وذلك إلى جانب العديد من الصحف الجماهيرية التى أصدرها التنظيم (الجماهير - الملايين - الواجب الخ). ومن المواقف القومية الذى تتميز بها حدتو الموقف من الحرب فى فلسطين وقبلها معارضة هجرة اليهود إليها وتأسيس «رابطة اليهود لمكافحة الصهيونية». ومن المواقف الأممية مساعدة اليونانيين والايطاليين الشيوعيين من اضطهاد الانظمة الرجعية فى بلادهم - والقيام بدور أساسى فى تأسيس الحركة السودانية للتحرر الوطنى التى تحولت إلى الحزب الشيوعى السودانى فقد كان قادة الحزب الشيوعى السودانى وعلى رأسهم عبد الخالق محجوب - أعضاء فى «حدتو».

وقد ساهمت شخصيًا فى الكثير من هذه المعارك. وبالذات فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال - الذي قمت بدورى فى الاعداد لها فى الاجتماعات التى كانت تضم طلبة اسكرا وح.م فى الجامعة الشعبية بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية حاليًا) واشتركت فى الأعمال التحضيرية فى ملاعب كلية الطب، وفى المظاهرات التى قامت من الجامعة فى ذلك الوقت. وكانت أغلب اجتماعات اللجنة الوطنية للطلبة والعمال تعقد فى منزلى، وكذلك الاجتماع التأسيسى لمؤتمر عمال مصر، فى أول مايو ١٩٤٦.

مواقف التنظيم ومواقفي من الاحتلال الانجليزى فى مراحله المختلفة حتى اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤

كان نضال التنظيم (اسكرا -ح.م - حدتو) هو ضد الاستعمار البريطانى وكل مظاهره من احتلال عسكرى وسيطرة سياسية وكل أنواع السيطرة التى كان يمارسها) وكان للتنظيم الدور الأساسي والريادى فى الحركات الجماهيرية بعد الحرب العالمية الثانية، سواء فى المظاهرات أو الاضرابات أو تحديد الأهداف الوطنية وكان موقفنا هو المطالبة بإنهاء الاحتلال البريطانى وعدم الاقتصار على ذلك بل ورفض أى ارتباط سياسى أو عسكرى أواقتصادى أو ثقافى بالاستعمار البريطانى، وكان ذلك واضحاً فى مختلف الاصدارات والصحف التى كانت تصدر عن رموز التنظيم فى ذلك الوقت مثل : أهدافنا الوطنية (شهدى عطية وعبد المعبود الجبيلى)، صحف أم درمان والجماهير والطليعة والمطبوعات السرية مثل كفاح العمال وغيرها من المنشورات).

وكان للتنظيم الدور الأساسى في أحداث ١٩٤٦ وتأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وتحديد الموقف من الاحتلال الانجليزى والاستعمار البريطانى والذى كان يختلف عن موقف كل الأحزاب البورجوازية التى كانت تقنع بالمطالبة بالتفاوض مع الانجليز من أجل الجلاء، مع عقد معاهدة للتحالف وهو الأمر الذى كان يرفضه التنظيم ورفضته اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

وقد لعب التنظيم الدور الأساسى فى إفشال معاهدتى صدقى بيفن وخشبة كامبل - ثم طالب على صفحات جريدة الجماهير بعرض القضية على مجلس الأمن. ثم طالب بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ التى ألغتها حكومة الوفد بعد ذلك تحت الضغط الشعبى ثم دعا إلى الكفاح المسلح فى القنال ضد الاحتلال البريطانى وشارك فيه مناضلو التنظيم مشاركة فعالة. وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عارض التنظيم اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤.

أما بالنسبة لدورى الشخصى فقد ساهمت فى كل هذه المعارك قبل مارس ١٩٤٩ عندما قبض على وحكم علىّ بخمس سنوات وهروبى إلى الخارج.

وكان لى دور نشط فى الحركة الوطنية فى الأربعينيات، وفى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وقد سبق أن تحدثت عنه (انظر بتفصيل أكبر كتيب «٢١ فبراير - توجه جديد للحركة الوطنية المصرية - تأليف محمد الجندى).

موقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

قبل صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان التنظيم يعارض هجرة اليهود إلى فلسطين. وكان وظل يناضل ضد الصهيونية وكون اليهود أعضاء التنظيم «رابطة اليهود لمكافحة الصهيونية» التى حلها النقراشي باشا. وكان التنظيم يرى قيام دولة ديمقراطية تضم العرب واليهود فى فلسطين وكان يطالب بجلاء الجيش البريطانى وإنهاء الاحتلال البريطانى. وبعد صدور قرار التقسيم أيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى القراريس باعتباره أحسن الحلول ولكن باعتباره الحل السياسى الوحيد الممكن بعد رفض اليهود والعرب قيام دولة واحدة، وكذلك معارضة الحرب التى قامت بتأييد إن لم يكن بمساندة بريطانية لصرف الأنظار عن الاحتلال البريطانى لمصر والأردن وفلسطين. (كان الجنرال جلوب البريطانى هو الذى قاد جيوش الأردن). وشنت الحرب دون استعداد حقيقى من جانب الحكومات الرسمية (فضيحة الأسلحة الفاسدة التى كانت تنفجر فى الجنود والضباط المصريين)، استخدمت الحرب لإعلان الأحكام العرفية واعتقال القوى الوطنية وفى مقدمتهم الشيوعيون).

وكان التنظيم دائما مع قيام دولة فلسطينية وهو الأمر الذى حاربته الحكومات العربية (استيلاء الأردن على الضفة الغربية والحكومة المصرية على قطاع غزة). ودعونا للسلام بين العرب واسرائيل على أساس قرارات الأمم المتحدة. ووقفنا ضد إثارة العداء ضد اليهود الأمر الذى كان يصب فى النهاية لخدمة الأهداف الصهيونية التى كانت ترى أن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو في اقامة وطن قومي لليهود، وقد عارضنا ذلك ورأينا أن اليهود يجب أن يكونوا مواطنين فى البلاد التى يعيشون فيها.

أيدنا قرارات مؤتمر باندونج التى دعت إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة، ودعونا للتعاون مع قوى السلام فى اسرائيل ضد السياسة العدوانية الاسرائيلية. وكان التركيز بعد ذلك خصوصا بعد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ هو ضد السياسة العدوانية والتوسعية الاسرائيلية. وبعد عدوان ١٩٦٧ أيدنا موقف عبد الناصر من الموافقة على قرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٤ وطالبنا بجلاء القوات الاسرائيلية. وأيدنا قيام منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى.

ومواقفى تتطابق مع مواقف التنظيم ويظهر ذلك من المنشور الذى أصدرناه سنة ١٩٤٨ عند عودة أبطال الفالوجا والضجة التى أثيرت حولهم وكان عنوان المنشور «أبطال الفالوجا يجب أن يكونوا أبطال القنال».

(انظر مقالى فى الأهالى ردا على نايف حواتمه - ومقدمة كتاب جويل بينين «العلم الأحمر هل كان يرفرف هناك؟»).

الموقف من النضال المسلح فى القنال

نادينا بالكفاح المسلح بعد إفشال معاهدة صدقى بيفن وخشبة كامبل وعرض القضية على مجلس الأمن ثم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واشتركنا فى الكفاح المسلح فى القنال.

لم أشترك شخصيًا فى الكفاح المسلح فحتى ١٩٥٠ كنت فى السجن ثم هربت فى أوائل ١٩٥١ إلى الخارج ولكننى كنت أؤيد الكفاح المسلح.

الموقف من الأحزاب الأخرى قبل ثورة ١٩٥٢

كان التنظيم فى الأربعينيات يعتبر حزب الوفد هو الحزب الممثل للغالبية وكان يؤيده فيما يتعلق بقضايا الديمقراطية والحريات ضد مواقف السراى وأحزاب الأقلية (الأحرار - الدستوريين - والسعديين الخ) - وكان يفرق داخل الوفد بين أجنحته المختلفة، وكان يعتبر فؤاد سراج الدين ممثلا للاتجاه اليمينى، وكان صبرى أبو علم يمثل الاتجاه الأكثر تقدما، وكان التنظيم يتعاون مع الطليعة الوفدية. وكان يعارض الحزب الوطنى الذى كان يتحالف مع أحزاب الأقلية ضد الوفد. وكان يعتبر مصر الفتاة حزبًا فاشيًا قبل تطوره بعد ذلك بعد نهاية الحرب وتغيير توجهاته وتسمية نفسه بالحزب الاشتراكى. واصطدم مع الاخوان المسلمين الذين لعبوا دورًا رجعيًا فى أحداث ١٩٤٦.

وبعد التطور الذى حدث لمصر الفتاة وتحوله إلى حزب اشتراكى غير التنظيم موقفه منه وكان يتحالف معه فى كثير من المواقف، وكذلك حدث تطور فى تنظيم الاخوان المسلمين وكان هناك تعاون بالنسبة لبعض القضايا.

الموقف من حركة أنصار السلام في مراحلها المختلفة

كانت حدتو هي التنظيم الذى أنشأ حركة السلام عام ١٩٥٠ وكان دور كمال عبد الحليم ويوسف حلمى وسعد كامل أساسيا فى هذا المجال. وكان يوسف حلمى وسعد كامل عضوان قياديين فى الحزب الوطنى، ثم أصبح يوسف حلمى سكرتيرا لحركة السلام وأصدر مجلة المكاتب التى أصبحت لسان حال حركة السلام وجمعت آلاف التوقيعات على نداء استوكهولم الذى يطالب بمنع الأسلحة النووية. واستطاعت حركة السلام أن تضم إلى صفوفها ممثلين من مختلف الأحزاب والاتجاهات (فكان هناك ممثلون من الوفد والحزب الوطنى ومصر الفتاة والاخوان المسلمين والأحرار الدستوريين). وكثير من الكتاب والصحفيين مثل احسان عبد القدوس وعدد من الفنانين والنقابيين. وارتبطت حركة السلام المصرية بمجلس السلام العالمى. ومن الشخصيات البارزة فى حركة السلام سيزانيراوى وحنفى الشريف وحفنى محمود وغيرهم.

ومع نمو حركة السلام واتساع نشاطهم بدأت الحكومة تهتم بنشاطها وترسل مندوبين فى وفود حركة السلام العالمية حتى أثناء وجود يوسف حلمى فى المنفى.

وكان موقف حركة السلام المصرية أن النضال من أجل التحرر الوطنى هو نضال من أجل السلام، وأن النضال من أجل السلام يدعم حركة التحرر الوطنى - أما بالنسبة للسلام بين العرب واسرائيل فقد دعت إليه حركة السلام على أساس قرارات الأمم المتحدة واشتركت فى عديد من المؤتمرات العالمية في هذا الاتجاه.

ومع اتساع ونمو حركة السلام سعت السلطة إلي تحويل حركة السلام إلى تنظيم رسمى خاضع لها.

أما بالنسبة لموقفى فقد أيدت حركة السلام منذ نشأتها وفى نشاطها فى المراحل المختلفة. وفى سنة ١٩٧٢ اخترت من مجلس السلام المصرى مندوبا فى سكرتارية مجلس السلام فى هلنسكى. وأصبحت عضوا فى مجلس السلام المصرى.

وفى الخلاف الذى نشأ فى نهاية الخمسينيات حول جماهيرية حركة السلام أو شرعيتها كنت أري أن الجهد يجب أن يوجه في الأساس إلي تدعيم جماهيرتها وأن هذه الجماهيرية هى التى ستفرض شرعيتها.

الموقف من سلطة يوليو ومن تنظيماتها في المراحل المختلفة (هيئة التحرير - الاتحاد القومي - الاتحاد الاشتراكى)

أيدت حدتو ثورة يوليو وكانت أول هيئة سياسية تصدر منشورا بتأييد حركة الجيش. ولقد لعب يوسف صديق عضو حدتو دوراً حاسماً فى نجاح حركة الجيش واعتقال قيادة الجيش. وكان بعض الضباط الأحرار أعضاء فى حدتو، وساهمت حدتو فى وضع برنامج الضباط الأحرار وطبع منشوراتهم.

وقد أيدت حدتو سلطة يوليو. وبدأ التحول بعد أحداث كفر الدوار ثم إعلان حل الأحزاب، ومنذ ١٩٥٣ كان شعار اسقاط الدكتاتورية العسكرية والصدام مع سلطة يوليو واعتقال الشيوعيين والمحاكمات العسكرية. وبدأ التحول بعد باندونج ثم صفقة الأسلحة التشيكية، وكان التحول تدريجيا، وكانت قيادة حدتو موزعة على الواحات وسجن القناطر ومعتقل أبى زعبل والخارج. وفى ١٩٥٥ اتحدت حدتو مع خمس منظمات أخرى وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد وكانت قيادة الخارج آخر من قام بتغيير الموقف من الاسقاط إلى التأييد.

وكانت قيادة الواحات من أوائل من دعا إلى تغيير الموقف وتأييد سياسة جمال عبد الناصر الوطنية، ورغم أن وحدة الحزب الشيوعى الموحد كانت تقوم على إسقاط الدكتاتورية العسكرية فقد عدل موقفه بعد ذلك إلى التأييد الذى تأكد بعد تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى ثم التأميمات.

وقد ارتبط الموقف من التنظيمات المختلفة (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكى) بالموقف من السلطة فى الفترات المختلفة. فبينما كنا نعتبر هيئة التحرير حزب السلطة الذى نحاربه وندعو إلى حرية تكوين الأحزاب، فإن موقفنا من الاتحاد القومى كان مختلفًا وقد ارتبط ذلك بتغيير موقفنا من السلطة، وكانت حدتو تدعو فى ١٩٥٨ إلى دخول الاتحاد القومى ومحاولة تحويله إلى جبهة.

أما الاتحاد الاشتراكى فقد تكون وغالبية كوادر حدتو فى السجن ومعزولين سياسيا، وعند الافراج عنهم طالبوا برفع العزل السياسى. وكان الموقف هو دخول الاتحاد الاشتراكى والعمل على وحدة القوى الاشتراكية وتكوين تنظيم واحد مع المجموعة الاشتراكية. وأيدت حدتو دخول الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى. وكانت تتم عمليات تضليل مختلفة من قيادة هذا الجهاز

السياسى (التنظيم الطليعى) من دخول بعض اعضاء حدتو وعند إعادة تنظيم (التنظيم الطليعى) لم يتم الاتصال بعدد كبير منهم مثل زكى مراد ومثلى.

أما عن موقفى فقد بدأ التغيير عندى بعد مؤتمر باندونج وكتبت تقريراً إلى القيادة أطلب منها تغير الموقف وكنت وقتها فى المجر .

الموقف من قوانين الاصلاح الزراعى

كان التنظيم يعمل فى الجمعيات التعاونية الزراعية، ويدافع عن مصالح المستفيدين من الاصلاح الزراعى ضد الموظفين البيروقراطيين وضد الملاك الذين طبق عليهم قوانين الاصلاح الزراعي. وكانت منظمات التنظيم في الأقاليم تعمل مع الفلاحين والعمال الزراعيين وتعرفهم بحقوقهم. وأصدر التنظيم «صوت الفلاحين». وقد ساعد التنظيم العمال الزراعيين فى تكوين نقاباتهم فى عدد من القرى، واستطاع تكوين كادر شيوعى من الفلاحين والعمال الزراعيين وأصبح أحد هؤلاء العمال الزراعيين عضواً فى اللجنة المركزية للتنظيم.

الموقف من أحداث كفر الدوار

دافع التنظيم عن العمال فى أحداث كفر الدوار وأيد إضرابهم ووصف التخريب الذى تم بأنه مؤامرة من أعداء العمال (حافظ عفيفى وغيره) لخلق العداء بين العمال والثورة. وأخطر الزملاء النقابيون اتحاد النقابات العالمى لكي يبعث برسالة إلى قادة الثورة للافراج عن العمال المعتقلين وعلى رأسهم خميس والبقري. وبعث الاتحاد بهذه البرقية.

وقد كنت وقتها فى بودابست فى اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى. وكنت فى نقاش مستمر مع ممثلى باقى الأحزاب الذين كانوا يهاجمون حركة الجيش ١٩٥٢، بينما أيدتها منذ البداية ونشر لى حديث فى جريدة الشباب المجرى أؤكد فيه هذا الموقف. وكان هو نفس موقف التنظيم الذى أنتمى إليه وهو حدتو.

الموقف من هبة مارس ١٩٥٤

منذ بداية ١٩٥٣ غيَّر تنظيم حدتو موقفه من سلطة يوليو من التأييد إلى المعارضة، ووصل إلى المناداة بالاطاحة بالدكتاتورية العسكرية وذلك بعد حل الأحزاب وفرض الدكتاتورية

والاعتقالات ضد الشيوعيين وبدء المفاوضة مع الانجليز واتفاقية النقطة الرابعة وغيرها من الاجراءات. وبدأنا نعمل لتكوين جبهة تضم القوى السياسية المعارضة ضد الدكتاتورية العسكرية ولهذا كان من الطبيعى أن يؤيد التنظيم هبة مارس ١٩٥٤.

وكنت وقتها فى المجر - وكنت قد تركت العمل فى اتحاد الشباب وانتقلت للدراسة فى الجامعة، ولم يكن لى نشاط عملى وكانت تصلنى أخبار مصر من الصحف المصرية التى كانت تصلنى ومن رسائل ومطبوعات التنظيم التى تصلنى.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

كان التنظيم يعارض السلطة فى ذلك الوقت ويدعو لاسقاط الدكتاتورية العسكرية، وكان يتحالف مع عدد من الأحزاب المعارضة من بينها الاخوان المسلمون. ولهذا كان من الطبيعى أن يعارض ضرب السلطة للاخوان المسلمين فى ذلك الوقت حيث كان الارهاب والاعتقالات والاحكام بالسجن تشمل الشيوعيين والإخوان المسلمين وغيرهم، وقد كانت السجون وقتها تضم الشيوعيين والاخوان المسلمين وشاهد بعضهم اعدام سيد قطب وغيره. وذلك رغم الاختلاف بين الشيوعيين والاخوان المسلمين فى كثير من المواقف.

الموقف من مؤتمر باندونج وصفقه الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥

كان مؤتمر باندونج واشتراك جمال عبد الناصر وبدء العلاقات الخاصة بينه وبين نهرو وشوان لاى حدثا دعا إلى إعادة التفكير وإعادة النظر فى الموقف من يوليو ومن جمال عبد الناصر بالذات، وقد أعقب ذلك صفقة الأسلحة التشيكية التى ساعدت أيضًا فى هذا التحول. وكانت قيادة الحزب الشيوعي المصرى الموحد الذى نتج عن وحدة حدتو مع خمس منظمات أخرى موزعة على جناح (الواحات) والقناطر ومعتقل أبى زعبل وخارج السجون. أما أنا فكنت موجوداً خارج مصر فى المجر ثم باريس، وقد بدأ التحول فى الواحات وتبعهم الزملاء فى السجون الآخرى. وأخيراً خارج السجون وكان ذلك يتم بشكل تدريجى، وكان التغيير خارج السجون بطيئا وكانت بدايته تقرير للقيادة يتحدث عن الايجابيات الجديدة لدى سلطة يوليو، ودعا إلى تأييدها وانتهى التقرير بأن هذا هو الطريق لاسقاط الدكتاتورية العسكرية، وكان

هذا يعبر عن التردد الشديد والخوف من اتخاذ هذه الخطوة.

وكان من أوائل من ذكر الايجابيات بعض الزملاء القيادين الذين أصدروا ما سمى «بيان السجن الحربى» الذى أدى إلى ثورة التنظيم عليهم واتهامهم بالخيانة.

أما عن موقفى فقد تأثرت كثيراً بمؤتمر باندونج وكنت وقتها فى المجر، وتأثرت أيضاً ببعض الكتابات التى كنت أقرأها فى الخارج فى الصحافة السوفيتية والتى كانت تقيم ايجابيا التحولات فى موقف سلطة يوليو. وأذكر أنى كتبت تقريراً بهذا المعنى إلى قيادة الحزب أدعوها فيه إلى إعادة النظر فى الموقف من عبد الناصر ومساندة الخطوات الايجابية.

الموقف من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

اعتبر التنظيم تأميم قنال السويس خطوة وطنية كبرى فى المعركة ضد الاستعمار، وأعلن تأييده لجمال عبد الناصر كقائد وطنى، وحسم أى تردد سابق فى تأييد جمال عبد الناصر، ودعا الجماهير لمسانده هذه الخطوة والدفاع عنها. وحذر أعضاء التنظيم فى الخارج من المؤامرات التى تدبر للعدوان على مصر، وأرسلوا معلومات وصلت إليهم عن الترتيب للعدوان الثلاثى، وأرسلت إلى جمال عبد الناصر عن طريق ثروت عكاشة الذى كان ملحقًا عسكريًا بالسفارة المصرية فى باريس.

وعندما بدأ العدوان الثلاثى أرسل التنظيم بعض أعضائه إلى بورسعيد للاشتراك مع بعض رجال عبد الناصر لمقاومة العدوان. وفى الوقت الذى أبدى فيه محافظ بورسعيد وبعض الاداريين هناك موقفًا متخاذلاً أصدر زملاؤنا فى بورسعيد جريدة سرية للمقاومة تحت اسم «الانتصار». ومن أبرز الأسماء الذى ذهبت لبورسعيد أحمد الرفاعى وسعد رحمى وعبد المنعم شتلة وعريان نصيف وغيرهم.

أما بالنسبة لموقفى فقد حدث تأميم القنال السويس وأنا فى الخارج فى باريس وكنت أعد للعودة سراً إلى مصر. وقد عدت عن طريق السودان الذى بقيت فيها شهراً ثم دخلت مصر سرا بمساعدة الرفاق السودانيين وعشت مختفيًا فى القاهرة، واتصلت بالتنظيم. وبعد العدوان الثلاثى قلت درجة اختفائى واشتركت فى المقاومة الشعبية فى إحدى المجموعات التى تكونت سرا وتعلمت اطلاق النار، كل ذلك تم أثناء اختفائى.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧

كان للتنظيم (الحزب الشيوعى المصرى الموحد) فى ذلك الوقت خطته المستقلة بالنسبة لانتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧. لا أذكر كل تفاصيلها الآن ولكن كان له بعض المرشحين مثل الدكتور فائق فريد الذى رشحه وساعده أعضاء الحزب فى المعركة الانتخابية. وكان له مرشحون آخرون اعترض عليهم الاتحاد القومى لا أذكرهم الآن بالاسم.

وكان موقف الحزب بخلاف تأييد مرشحينا، تأييد المرشحين العمال وعدم التنافس معهم فى دوائرهم. ولهذا اختلفنا مع د. عبد العظيم أنيس ومع بعض التنظيمات الأخرى عندما رشح نفسه ضد عبد العزيز مصطفى الذى أيدناه. وكنا فى المعركة الانتخابية ندافع عن سياسة جمال عبد الناصر الوطنية.

الموقف من مشروعات الأحلاف العسكرية (ايزنهاور – الهلال الخصيب – حلف الشرق الأوسط)

كان التنظيم الذى أنتمى إليه (اسكرا – حدتو – الحزب الشيوعى المصرى الموحد) يعارض الأحلاف العسكرية الاستعمارية منذ البداية وأصبح هذا الموقف من التوجهات الأساسية للحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية. فكان فى الأربعينيات – يرفض التحالف مع بريطانيا وكان يختلف فى ذلك مع كل الاحزاب البورجوازية التى كانت تعمل على التفاوض مع الانجليز للمطالبة بالجلاء العسكرى مقابل معاهدة صداقة. وعارض التنظيم معاهدة ١٩٣٦ وطالب بإلغائها ونجح فى ذلك عام ١٩٥٠. ورفض التحول من الاستعمار البريطانى إلى الاستعمار الأمريكى وبين أنه أكثر خطورة. وكان كل ذلك يعلن فى المنشورات والمجلات السرية (كفاح العمال – المقاومة الخ) وفى الصحف والمجلات العلنية. (الطليعة – أم درمان– الجماهير – الملايين – الواجب وغيرها). ولهذا فقد كان من الطبيعى أن يقف ضد مشروعات الأحلاف العسكرية (مشروع أيزنهاور– الهلال الخصيب – حلف الشرق الأوسط). وكان له دور كبير فى التوعية ضدها وحشد الجماهير لمقاومتها وكان لذلك أثره فى تحديد موقف حكومة عبد الناصر الرافض لهذه المشاريع. وقد كان له موقف الريادة فى هذه المعارضة. وقد ظهر ذلك فى المنشورات والمجلات السرية التى كان يصدرها التنظيم وكذلك فى تعبئة المثقفين وجماهير

العمال والطلبة ضدها وفى إصدارات دار الفكر من الكتب العلنية ومنها كتاب ضد مشروع أيزنهاور وقع عليه عدد من المثقفين البارزين.

الموقف من قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية

تمصير الشركات والبنوك الأجنبية خطوة تمت بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر وهى من الاجراءات التى تمت ضد الدول المعتدية من بين إجراءات أخرى. وقد جرى خلاف وقتها بين الاقتصاديين المصريين هل تباع للقطاع الخاص أم تصبح ملكًا للدولة. وقد أيد التنظيم فى هذه المعركة تأميم هذه الشركات وكانت هذه الخطوة هى بداية تأسيس القطاع العام. وكان التمصير خطوة هامة فى دعم الاستقلال الاقتصادى بعد جلاء القوات البريطانية.

الموقف من وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية والأحداث التى مرت بها المنطقة حينئذ (حكومة النابلسى فى الأردن - إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان - ثورة العراق ..)

ساند التنظيم وحدة مصر وسوريا والاتجاه للوحدة مع العراق بعد ثورة العراق واتخذ موقفا ايجابيًا من حركة القومية العربية فى اتجاهها التقدمى المعادى للاستعمار ومخططاته. ويظهر ذلك فى بيانات التنظيم التى كانت تصدر فى مجلته الداخلية وفى التقرير المقدم عن «القومية العربية».

وقد اختلف الحزب الشيوعى المصرى الموحد مع الحزب الشيوعى السورى ومع الحزب الشيوعى العراقى فى تصعيدهما للخلافات مع جمال عبد الناصر حول قضية الوحدة، وكنا نرى أن الاستعمار يعمل على تعميق الخلافات بين القوى الوطنية العربية لضرب الوحدة وكان ذلك هو نفس الموقف بعد ثورة العراق ثم الخلافات بين عبد الكريم قاسم وجمال عبد الناصر فكنا نرى أن تصعيد الخلافات لا يفيد إلا الاستعمار وكنا ندعو لوحدة ناصر وقاسم ووحدة الشعوب العربية فى النضال ضد الاستعمار ومؤامراته.

وانطلاقًا من الموقف ضد الاستعمار وأعوانه أيدنا حكومة النابلسى فى الأردن ووقفنا ضد إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان.

الموقف من قرارات التاميم

عندما صدر القرار بتأميم بنك مصر والبنك الأهلى كانت قيادة حدتو (غالبيتها) فى سجن الاسكندرية إنتظاراً للمحاكمة أمام المجلس العسكرى. وكنا وقتها نؤيد عبد الناصر باعتباره قائداً وطنياً ونعتبر أن الحملة ضد الشيوعية هى مؤامرة رجعية استدرج إليها عبد الناصر لتمزيق القوى الوطنية. ولهذا فلم يؤد اعتقالنا والحملة على الشيوعية إلى تغيير موقفنا واعتبار عبد الناصر عميلاً للاستعمار أو ممثلا لرأسمالية الدولة الاحتكارية كما قال البعض، بل استمر تأييدنا لسياسته الوطنية وكل إجراءاته التقدمية بعد ذلك مع المطالبة بوقف الحملة ضد الشيوعية التى لن تفيد إلا الاستعمار والرجعية.

وعند صدور القرار بتأميم بنك مصر والبنك الأهلى وبدأ الحديث عن التوجه الاشتراكى عقدنا فى سجن الحضرة بالاسكندرية كونفرنسا إستمر لمدة ستة شهور وطرح فيه وجود توجهات ومجموعة اشتراكية فى السلطة. وبعد ستة شهور صدر قرار المجموعة الاشتراكية(غير العلمية) التى تتطور فى اتجاه الاشتراكية العلمية. والسعى لتحقيق وحدة العمل معها. وقد وافق على القرار غالبية من حضروا الكونفرنس .. ووصل زملاؤنا فى الواحات إلى نفس النتيجة. وعندما صدرت التأميمات الأخرى أكدت سلامة تحليلاتنا وبدأنا نرسل الخطابات لعبد الناصر وللشخصيات البارزة والصحفيين تدعو فيها إلى وحدة كل القوى الاشتراكية، وكنت شخصياً مقتنعاً تماما بهذا التحليل وناقشت العديد من أعضاء التيار الآخرين فى التوجه وقد انتقل بعضهم بالفعل إلينا.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية وعلى مستوى العلاقات الدولية وعلاقاته بحركات التحرر (الثورة الصينية - احداث المجر - التعايش السلمى - الموقف من البرجوازيات الوطنية فى العالم الثالث.. الخ

رغم أن التنظيم لم يكن له أى علاقة بالاتحاد السوفيتى أو بمركز دولى (الكومنترن أو خلافه) فكان يثق ثقة كبيرة فى الاتحاد السوفيتى وقيادته وكان يثق فى سياساته فى بناء الاشتراكية، وكان التقدم الذى يحققه فى هذا المجال يثير حماسه، ولم يكن يعرف الكثير من

التفاصيل الداخلية، فكانت كل المعلومات التى تصل هى من الاصدارات السوفييتية، أما الانتقادات الغربية فكنا نعتبرها تزييفًا للحقائق، وكنا نؤيده فى الصراع العالمى مع الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الغربى عموما. وكنا نرى أنه السند لنا ولحركات التحرر فى نضالها ضد الاستعمار. وكنا نقف معه عند ما نشأ الخلاف بينه وبين الصين باعتباره قائد المعسكر الاشتراكى الذي كنا نعتمد عليه اعتمادا أساسيًا فى النضال ضد الاستعمار. وهذا رغم أن الثورة الصينية عند قيامها كان لها تأثير كبير علينا وساندناها ودرسنا كتابات ماوتسى تونج وترجمناها.

أحداث المجر اتفقت فى توقيتها مع العدوان الثلاثى على مصر. وأثناء هذه الأحداث كان الانذار السوفيتى (انذار بولجانين) الذى كان له في اعتبارنا تأثير حاسم لوقف العدوان. وكان له أثر كبير فى زيادة شعبية الاتحاد السوفيتى باعتباره السند الأساسى لنا. ولهذا وقفنا معه ولم نشك فى تفسيراته بالنسبة لأحداث المجر، بل صدقناها وأيدناها بالكامل.

ورغم ثقتنا الكبيرة فى الاتحاد السوفييتى وتأييدنا له، فكنا نعتمد على تحليلاتنا الخاصة بالنسبة للقضية الخاصة بنا (مصر والعالم العربى) وكان يساعد على ذلك عدم وجود صلة به أو بمركز دولى، بل وأحيانًا كنا نختلف معه فى تقييماته كما حدث بالنسبة لثورة يوليو ١٩٥٢ الذي كان له تقييم مختلف عن تقييمنا. فبينما أيدناها منذ اللحظة الأولى اتخذ الاتحاد السوفيتى والأحزاب الشيوعية الأخرى فى البداية موقفا متشككًا ومعاديًا ورغم أن موقفنا من عبد الناصر والمجموعة الاشتراكية والفترة الانتقالية سبقت الكتابات السوفيتية ولم تكن نتيجة لها ومع ذلك فقد. واختلفنا مع بعض الكتابات السوفيتية الخاصة بالتحولات الاشتراكية والمبالغة فى دور الاتحاد الاشتراكى والتقليل من دور الحركة الشيوعية المصرية (وخصوصًا في كتابات برعاكوف وبيلاييف).

وأذكر في نقاش أجريته مع ايجوربيلاييف المستشرق السوفييتى فى موسكو فى أواخر الستينات أننى اختلفت معه فى محاولته للتقليل من دور الحركة الشيوعية بسبب انقساماتها وخلافاتها، فأكدت له أن الحركة الشيوعية المصرية رغم انقسامها وخلافاتها فكان يبرز منها دائما تيار ثورى لعب دورا بارزا وريادبًا فى الحركة الوطنية المصرية.

الموقف من الصراعات السياسية والتنظيمية داخل المعتقلات والسجون ونضالات الشيوعيين داخلها؟

فى الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ وجد تياران أساسيان. التيار الأساسى الذى كنت أنتمى إليه كان يسمى «الحزب الشيوعى المصرى» (حدتو) والتيار الآخر كان يسمى نفسه «الحزب الشيوعى المصرى وذلك بعد الانقسام الذى حدث فى الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس فى ٨ يناير ١٩٥٨. وكانوا يسمون تيارنا «الانقسام» وكنا نسميهم «التكتل»، أما لدى الغير فكنا نسمى «المؤيدين» وهم «المعارضون» تعبيراً عن الموقف من جمال عبد الناصر، وكنا نعتبر جمال عبد الناصر قائداً وطنياً نعمل علي التحالف معه مع احتفاظنا بتنظيمنا المستقبل حتي قبل اعتقالنا. وبعد الاعتقال لم يتغير موقفنا بل تطور مع كل تحول تقدمى فى فكر عبد الناصر أو انجازاته. وكنا نرى دخول الاتحاد القومى مع العمل لتحويله إلى جبهة وطنية أما التيار الآخر فكان يعتبره مجرد حزب للسلطة. وبالنسبة للوحدة مع سوريا كنا نركز على الجوانب الايجابية وليس على الخلافات. وكذلك الأمر بالنسبة للخلاف بين ناصر وعبد الكريم قاسم فكنا ندعو للوحدة بينهما ضد الاستعمار الذى يعمل على التفريق بين الثورتين.

بعد التأميمات الأولى قلنا بوجود مجموعة اشتراكية غير علمية فى السلطة وحددنا واجباتنا، أما التيار الآخر فكان يعتبر أن عبد الناصر يمثل رأسمالية الدولة الاحتكارية ويدعو لإسقاطه. وكانت لكل منا جريدة ناطقة فى الواحات وكانت تظهر فيها الخلافات فى الرؤية بين التيارين.

وبخلاف ذلك فقد قمنا وبالذات فى الثلاث سنوات الأخيرة فى الواحات بإنجازات كبيرة منها استصلاح ٣٠ فدانا كنا نستفيد منها في تحسين ظروفنا المعيشية. وأقمنا مسرحًا مثلت عليه عدة مسرحيات مثل «عيلة الدوغرى» و«حلاق بغداد» و«الخبر» وغيرها. وقمنا ببناء مسجد وحمام للسباحة.

وانجز داخل السجن الكثير من الأعمال الأدبية الهامة مثل «الشاطر حسن» لفؤاد حداد ومتولى عبد اللطيف و«الشمندورة» لمحمد خليل قاسم وغيرها. وكثير من التقارير السياسية الهامة مثل «الفترة الانتقالية». وعقد المؤتمر الأول لحدتو. وكانت تدور مناقشات فكرية هامة.

وأقيم العديد من المدارس لتثقيف الرفاق منها مدرسة للغة العربية وأخرى للغة الانجليزية

وثالثة للغة الروسية ومدرسة للرياضيات وغيرها.

وفى فترات السجن هذه أوالسابقة كان الاهتمام بعملية التثقيف والقراءة كلما كان ذلك ممكنا. وكنا نناضل لتحسين أحوالنا المعيشية داخل السجن أو المعتقل. وكنا أحيانًا نضرب عن الطعام. ففى سجن الاسكندرية عام ١٩٤٩ استطعنا أن نلغى الحبس الانفرادى بالاضراب عن الطعام لمدة ٣ أيام. وفى سجن مصر عام ١٩٥٠ أضربنا عن الطعام ٢١ يوما أمكن بعدها تحسين المعاملة داخل السجون والسماح بالكتب والصحف. وكنا نعتبر أننا يجب أن نستفيد من السجن والاعتقال ونعتبره مدرسة للثوار.

الموقف من حل التنظيمات لنفسها (أسباب الحل – المبررات التى طرحت – كيف تم الحل؟

كان موقفنا داخل المعتقل يتطور. كنا نسميهم بالمجموعة الاشتراكية داخل السلطة بقيادة جمال عبد الناصر، ولم نكن نعتبر السلطة كلها اشتراكية. ونادينا فى البداية بوحدة العمل مع المجموعة الاشتراكية وبوحدة كل القوى الاشتراكية ضد الرجعية. واقترحنا تكوين تنظيم واحد مع المجموعة الاشتراكية مع الاحتفاظ بهيكلنا المستقل وذلك بعد المؤتمر الأول الذى عقد فى الواحات. وعرض البعض فكرة حل الحزب فرفضت.

وبعد الخروج من السجن غيَّر التنظيم الآخر موقفه وأصبح يلتقى معنا فى تأييد التوجهات الاشتراكية لجمال عبد الناصر.

أما نحن فقد طورنا مواقفنا وعقدنا كونفرنسا قرر تضييق اللجنة المركزية إلى أربعة، ووافق على تقرير جديد يدعو لتكوين حزب واحد مع المجموعة الاشتراكية على أساس الماركسية اللينينية. وتقرر أيضًا الموافقة على دخول بعض الزملاء التنظيم الطليعى وأن من يدخل يقطع علاقته بتنظيمنا. وجرت محادثات مع فرع أحمد فؤاد من التنظيم الطليعى الذى أبلغنا أن هناك موافقة على الوحدة مع حدتو على أساس الماركسية اللينينية. ثم سحب هذا الكلام بعد أسبوع. وقرر التنظيم الطليعى قبول البعض كنت منهم وكذلك زكى مراد، وكنا من الأربعة الذين انتخبوا كقيادة لحدتو.

وصاحب ذلك هجوم من بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى على وجود تنظيم مستقل

للشيوعيين، وطالبوا باتخاذ إجراءات ضدهم. وكنا فى نفس الوقت ندعو لتكوين حزب واحد للاشتراكيين بقيادة جمال عبد الناصر. وكنا نؤيد سياسة عبد الناصر وتوجهاته.كان خطابنا للجماهير لا يختلف عن خطاب عبد الناصر. ومن هنا وجدنا أن الطريق الوحيد لتحقيق ذلك فى تلك الظروف هو إلغاء الوجود المستقل لتنظيمنا. وصدر تقرير بهذا المعنى وعقد كونفرنس لمناقشة التقرير وتقرر الغاء الوجود المستقل لحدتو كخطوة فى طريق تكوين حزب واحد مع المجموعة الاشتراكية، واتفق على أن يبقى شخص واحد ممثل لوجودنا المستقل هو كمال عبد الحليم الذى أعلن إلغاء الوجود المستقل وأرسل برقية بهذا المعنى إلى جمال عبد الناصر.

الانقسامية للحركة الشيوعية المصرية

الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية فى الاربعينيات نشأت منقسمة واستمرت كذلك، وكان الانقسام يتحقق فى بعض الأحيان. وكان هناك توجه ثورى نحو الوحدة وتوجه انتهازى نحو تكريس الانقسام تحت شعارات مثل «النمو الذاتى» و«لاشيوعية خارج الحزب». وعندما انتصر الاتجاه التوحيدى ونتج عنه تكوين الوحدات بين اسكرا وح.م وتكوين حدتو ثم الوحدة التى أدت إلى قيام الحزب الشيوعى المصرى الموحد ثم الحزب الشيوعى المصرى المتحد ثم أخيراً الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير فقد نجحت الاتجاهات الانقسامية فى شق الحزب من جديد بالتآمر لضرب تيار حدتو.

ومن الأسباب التي أدت إلى نشأة الحركة منقسمة واستمرارها كذلك هو عدم الارتباط بمركز دولي واحد وعدم وجود مرجعية واحدة. ورغم أنه كان لذلك نواحٍ إيجابية تنحصر فى المواقف المستقلة للحركة الشيوعية المصرية إلا أنه كان لها سلبيات أيضاً مثل الانقسامية.

ولكننى رفضت وأرفض دائما تصوير أن الطابع الأساسى للحركة الشيوعية هو الانقسامية بل أرى أنه رغم الانقسامات فقد كان فى الحركة الشيوعية دائما تيار ثورى وتيار انتهازى وللتيار الثورى الفضل فى كل الانجازات الكبيرة للحركة الشيوعية المصرية فى الحركة الوطنية والثقافية والنقابية وفى حركة السلام وغيرها من المجالات.

(انظر بالتفصيل كتابى «اليسار والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠ الصادر عن دار الثقافة الجديدة).

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥

كان الشيوعيون مواجهين بأمرين :

(١) اجراءات تقدمية (فى المجال الوطنى والاجتماعى) تتم بقيادة جمال عبد الناصر، بحيث أصبح هو الذى ينفذ البرنامج الوطنى الديمقراطى للشيوعيين ويلقى بسبب ذلك هجومًا ومؤامرات من جانب الاستعمار والرجعية المحلية.

(٢) جرت أهم هذه الاجراءات وهم فى السجن وقياداتهم موجودة بالكامل تقريبا فى السجون والمعتقلات بحيث أمكن شل فاعليتها.

واستمرت هذه الاجراءات بعد الافراج عنهم والتعاون معهم فى التنظيم الطليعى والاتحاد الاشتراكى والمؤسسات الصحفية وغيرها.

وكانت المعارضة وقتها أنها معارضة لهذه التوجهات التقدمية.

وأصبح خطابهم الجماهيرى لا يمكن التفريق أو التمييز بينه وبين خطاب عبد الناصر. ولم يكن فى استطاعتهم إقناع الجماهير بوجودهم المستقل خصوصا بعد أن خرجوا من السجن فى وضع ضعيف للغاية.

وكانت هذه الأزمة التى أدت بهم إلى حل تنظيماتهم سواء المؤيدين (حدتو) أو من كانوا معارضين (الحزب الشيوعي المصرى).

الرفاق الراحلون

من الرفاق الراحلين الذين أدوا أدوارًا هامة فى الحركة الشيوعية المصرية : شهدى عطية الشافعى - زكى مراد - فوزى جرجس - أحمد صادق سعد - هنرى كورييل - ممدوح الجندى - يوسف حلمى - لطيفة الزيات - سيف الدين محمد صادق - عبد صالح مبروك - ابراهيم خلاف - صلاح حافظ - حسن فؤاد - زهدى العدوى - يوسف حلمى وغيرهم.

أذكر من الرفاق الذين استشهدوا فى السجون والمعتقلات شهدى عطية الشافعى - د.فريد حداد - محمد عثمان - لويس أسحق.

ومن الشهادات التى أدليت بها للدارسين

شهادة للدكتوز رفعت السعيد - نشرت. شهادة للدكتور فخرى لبيب - نشرت. شهادة لسلمى بوتمان (أمريكية) - لا أعرف إن كانت نشرت أم لا.

ما نشره الدكتور رفعت السعيد فى بعض أجزائه لم يكن دقيقًا وإن كان صحيحًا فى مجمله.

ومن أجل المزيد من التفاصيل أقترح محاولة أخذ شهادة

أحمد الرفاعى السيد - مبارك عبده فضل - مصطفى بهيج نصار - حسين غنيم - كمال عبد الحليم - جمال غالى - سعد كامل - محمود توفيق - محمد شطا - العزب شطا - سيد يوسف - أحمد سليم - عبد العظيم أنيس - عبد المنعم خربوش - محمد السيد يونس - شحاته هارون - عريان نصيف - حمدى عبد الجواد - أسعد حليم - شحاته عبد الحليم.

شهادة

وداد متري

البيانات الشخصية

الاســـــــــــــم : وداد مترى

تاريخ وموطن الميــلاد : ٩ أكتوبر ١٩٢٧ شبرا - القاهرة

السن عند الانضمام للحركة : بدأت معرفتى بالشيوعية فى سن ٢٣.

المؤهلات الدراسية والمهن التى عملت بها :

(١) ليسانس آداب - قسم فلسفة ١٩٥٢

(٢) دبلوم معهد الصحافة ١٩٥٦

(٣) دبلوم دراسات تربوية ١٩٦٢

المـــهـــن : عملت بالتدريس لمدة سبع سنوات من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٩ بمدارس ديروط فى الصعيد وشبين الكوم ومدارس التوفيق بالقاهرة.

* بعد الإفراج عني ١٩٥٩ أبعدت عن التدريس وعملت فى أعمال إدارية بمنطقة شرق القاهرة التعليمية، ثم فى العلاقات العامة بالمنطقة، وأخيراً موجهة أولى صحافة مدرسية بنفس المنطقة.

فترة السجن والاعتقال :

أمضيت فى السجن أربعة شهور وعشرين يومًا من ١٠ يوليو ١٩٥٩ حتى آخر نوفمبر، وكنت فى قضية (تحت التحقيق) وأخذت إفراج نيابة لعدم كفاية الأدلة ويهمنى أن أذكر هنا أننى قبل نقلى لسجن القناطر أمضيت ليلة فى المباحث العامة وثلاث ليال فى قسم الموسكى فى ظروف غير إنسانية حيث كنت أعانى من أزمة فى الكلى والتواء فى ذراعي بسبب أخذى عنوة من الشارع ووضعى فى عربة المباحث بالقوة وكان فى نظرهم لابد من شل الذراع حتى يتم ذلك وحتى لا يزداد عدد الجماهير الذين وقفوا لمشاهدة هذا المنظر البشع. استمرت آلام الذراع لشهور طويلة ومازالت آثارها حتى الآن.

كان معى وقت القبض علىّ الزميل العزيز والمناضل الشريف فخرى لبيب وكان متماسكًا وعظيمًا بينما كنت فى حالة انهيار وارتباك شديد فقد كنت أفكر فى أسرتى التى كنت مسئولة عنها بعد وفاة والدى الذى لم يكن قد مر على وفاته شهران حيث أننى أكبر أخوتى

وكنت الوحيدة التى أعـمـل وأساعد فى مصـاريف المنزل - وفى ليلة القبض علىّ كنا سنسافر إلى الاسكندرية بعد ساعات وقد أخبرتهم أننى سأخرج لفترة قصيرة لشراء بعض الطلبات ولكننى لم أعد وعبثًا حاولت التوسل إليهم لكى يتم الاتصال بمنزلى ليعرفوا ما حدث لى ولكنهم رفضوا وقد علمت بعد ذلك أنهم فـور القبض علىّ توجهوا إلى المنزل وأثاروا الرعب والفزع لكل من فيه (الوالدة وشقيقتان أصغر منى)

واستولوا على كتبى السياسية وغير السياسية وأوراقى الخاصة ومذكراتى وكل ما أعتز به ويمثل قيمة كبيرة فى فترة خصبة من حياتى.

كيفية التعرف على الفكر الماركسى

تعرفت على الفكر الماركسى فى أوائل الخمسينيات وكنت طالبة فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢ وكنت أشـارك فى العـديد من الأنشطة الثـقـافـيـة والاجتمـاعيـة والرياضـيـة وكـانت مشـاركـتى السياسـيـة فى حدود الحس الوطنى الطبيعى فى ظروف محتل أجنبى وحكم ملكى فاسد ولم تتعد مشاركتى الخروج فى المظاهرات والالتفاف حول القيادات الطلابية التى كانت تقود الكفاح الوطنى فى ذلك الوقت والإعجاب بها وتأييدها، دون علم بانتماءاتها السياسية وخلفياتها. فالكل أمامى كان يثور من أجل تحرير الوطن ويطالب بالحرية والعدالة. ومن خلال صداقات شخصية ببعض الماركسيين ومنهم الأستاذ عدلى برسوم الذى يرجع إليه الفضل فى إتاحة الفرصة لى للتعرف على الفكر الماركسى ومن خلال مطبوعات كانوا يمدوننى بها لأقرأها آمنت بهذا الفكر وتحمست له وكأننى كنت معدة له من قبل.

أمـا التنظيم الذى أتاحت لى الظروف أن أحتك به وأتعلم منه فـقـد كـان تنظيم الحزب الشيوعى المصرى وكـانت مجلته هى «الراية». وفى هذه الفترة وحتى تخرجت من الجامعة كانت كل صلتى بهذا التنظيم هى القراءة فقط والتعرف على مجموعة من الزملاء ينتمون لهذا التنظيم.

بعد التخرج والعمل فى مجال التدريس تعرفت على تنظيمات أخرى وأصبحت أنشطتى موجهة نحو هدف معين وعرفت بالتحديد مع من أقف وضد من. وكنت أعتبر نفسى ماركسية دون أن أنضم لأى تنظيم لأننى كنت أكره الانقسامات السائدة ومحاولات الهدم المستمرة لكل

تنظيم تجاه الآخر، كما أن معرفتى بهذه التنظيمات لم تتم إلا من خلال صداقات شخصية وانحصرت فى ثلاث منظمات هى الحزب الشيوعى المصرى وحدتو وطليعة العمال والفلاحين.

استمر ارتباطى بالحزب الشيوعى المصرى وأصبح هناك مسئولون عنى بشكل منتظم وفقدت الاتصال بعد أن تم القبض على أعداد كبيرة من الذين كنت أعرفهم وبعد خروجهم من السجن لم تتح الفرصة لمعاودة الاتصال مرة أخرى بشكل منتظم ولكن كان قد تحدد موقفى وكنت أقوم بكل الأنشطة التى يستدعيها هذا الموقف : زيارات المسجونين ومساعدة عائلاتهم و المشاركة فى المؤتمرات الشعبية وكل الأعمال الجماهيرية التى تدعم هذا الموقف.

فى عام ١٩٥٣ التحقت بمعهد الصحافة الذى كان يتبع كلية الآداب ودرست به ثلاث سنوات، حصلت بعدها على دبلوم المعهد الذى يعادل ماجستير. وفى السنة الأخيرة أتى إلينا زميل علمت أنه كان خارجا من السجن وهو الزميل جمال غالى وكان ينتمى إلى حدتو وقد نشأت بيننا صداقة والتقت أفكارنا فى كثير من الأمور وامتدت هذه الصداقة بعد التخرج، وقد رأى أننى لابد أن أكون منتظمة بشكل ما. فعرفنى بشابة صغيرة (طالبة) كانت تصغرنى كثيراً لكننى أدين لها بالكثير وهى السيدة عفت الشال وقد تابعت نشاطى فى مرحلة شبين الكوم وكانت حلقة الاتصال بينى وبين حدتو. بعدها انتظمت مع مجموعة وكانت المسئولة الزميلة ليلى الشال، ورغم الاتصال المنتظم ونشاطى الذى آثار إعجاب المسئولين فى حدتو إلا أننى صممت على عدم الحصول على عضوية أى تنظيم حتى تتم الوحدة الكاملة لكل هذه التنظيمات المتفرقة، وقد تم ذلك فعلا بعد أن توحدت كل التنظيمات الشيوعية فى يناير ١٩٥٨ وأصبحت عضوة فى الحزب الشيوعى المصرى، ومن خلال معرفتى بزميل عزيز هو الدكتور فخرى لبيب شرفنى بمشاركته فى العديد من الأعمال وقفت على الجهد الخرافى الذى بذله هذا الزميل حتى تمت الوحدة.

دور التنظيم وسط الفلاحين

فى رأيى لم يكن هذا الدور بارزاً أو مؤثراً ربما بسبب الانقسامات التى سادت الحركة الشيوعية طوال مسيرتها وبمختلف فصائلها. إلى جانب الضربات التى كانت تتعرض لها من وقت لآخر وحصارها ومتابعتها. كما أن العمل السرى وسط الفلاحين أكثر صعوبة منه وسط فئات أخرى من المجتمع مثل العمال والطلبة، خاصة وأن طبيعة الريف المصرى بعيدة عن

السرية ويمثل مجتمع القرية أسرة واحدة يسهل مراقبتها ورصد أنشطتها فى ظل ظروف ونظم لديها الحساسية المفرطة نحو أى تحرك جماهيرى يسبب قلقا أو تهديداً لاستقرارها.

علماً بأن هذا الرأى ناتج عن انطباع شخص نتيجة عملى بالريف لمدة خمس سنوات أتيحت لى الفرصة فيها لأعمال جماهيرية واسعة فى المراكز والقرى والاختلاط بمختلف المستويات.

المجلات التنظيمية والجماهيرية التى كان التنظيم يصدرها والكتب والدراسات التى صدرت عنه ودوره فى نشر الثقافة الماركسية وتوعية أعضائه بها

كان للمجلات والنشرات التى أتيح لى التعرف عليها وقراءتها خلال معرفتى لبعض المنتمين لتيارين رئيسيين فى الحركة الشيوعية وهما حدتو والحزب الشيوعى المصرى أثر كبير فى ثقافتى الماركسية وتوعيتى بها بل وتحديد اتجاهى الفكرى وإنارة الطريق أمام نضالى المتواضع منذ بداية الخمسينيات وحتى الآن.

كانت حدتو على ما علمت أكثر التنظيمات إصداراً للمجلات العلنية وهى : الغد- الملايين - البشير - الملان - الواجب - المستقبل، وكانت مجلتها السرية هى الكفاح.

أما الحزب الشيوعى المصرى فلم أعرف له مطبوعات علنية ولم أعرف إلا نشرته السرية وهى «راية الشعب».

دورى فى التنظيم والمستويات التنظيمية التى اشتركت فيها

المستوى التنظيمى الذى وصلت إليه هو عضو منطقة (شبرا)، أما الدور الذى قمت به فهو كل ما يستلزمه هذا المستوى التنظيمى، وظللت أمارس هذه المسئولية حتى باغتتنا حملة ١٩٥٩ بضراوتها وشتت الجميع.

بعد خروجى من السجن لم أفلح فى مواصلة العمل من خلال الحزب - لكننى لم أكف عن النشاط من خلال العمل الوظيفى ومن خلال الجمعيات والمؤسسات التى أنتمى إليها ومن خلال نقابة المعلمين والذى تحقق من خلال انتمائى إليها الكثير للمعلمين ولى. (كانت مراقفى القيادية فى النقابة كلها بالانتخاب)

موقف التنظيم وموقفى من وحدة ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها

وحدة ٨ يناير كانت الأمل والفرحة الكبرى لجميع الشيوعيين. أما بالنسبة لى فقد تحقق بها الشرط الذى وضعته أمامى والتزمت به وهو ألا أكون منظمة فى حركة طابعها الانقسام ويستنفذ كل تنظيم بها جهده ووقته فى هدم الآخر واتهامه بأبشع التهم.

لقد وافقت أن أكون عضوة بالحزب الشيوعى المصرى ابتداء من ٨ يناير وتم لى ذلك فعلا أما الانقسامات التي أعقبت هذه الوحدة فلا أعلم عنها شيئا.

موقف التنظيم وموقفى من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية ودورهم فى التنظيم

إن معلوماتى عن هذا الموضوع غير كافية لذلك لا أستطيع أن أحدد موقفا واضحًا بخصوصه، وكل ما استطعت أن أعرفه من خلال قراءات لا معايشة وقد عرفت موقف حدتو من اليهود من خلال قراءة للدكتور رفعت السعيد. وبالتحديد فقد لمست تقديره الكبير لهنرى كورييل كما قرأت آراء أخرى ضد هذه الشخصية - أما أنا فلم أقابل هذا الشخص ولا أعرفه وبالتالى فليس لى رأى فى هذه الشخصية المحيرة. والذى أستطيع أن أسجله هنا عن معايشة فترة وجودى فى سجن النساء بالقناطر والخاص بالأجانب واليهود يتمثل فى الآتى :

عندما قبض علىّ وسجنت فى سجن النساء بالقناطر لم أكن معتقلة ولكننى كنت تحت التحقيق فى قضية ولذلك لم أودع مع المعتقلات بل وضعت فى مكان خاص بسجينات يمضين فترة عقوبة نتيجة أحكام وتصادف أن كلهن كانوا من الأجانب وهم :

١ - مارى بابا ديلو يونانية

٢ - ليفكى يونانية

٣ - ميمى كاتل إيطالية وقد اختارت لها اسمًا مصريًا بعد زواجها من كمال عبد الحليم وهو ماجدة عبد الحليم.

٤ - مارسيل بنينو - يهودية وهى واحدة من مجموعة قضية لافون.

كنت أنا المصرية الوحيدة مع هذه المجموعة وكنا نعيش فى شبه جناح مكون من غرف ثلاث: إحدى الغرف لمارسيل وغرفة أخرى لماجدة أما الغرفة الثالثة فكانت لمارى وليفكى ولى-

وقد اقتضت هذه الظروف أن تعيش نحن الخمسة معًا حياة جماعية - ولما كانوا جميعًا يمضون فترة عقوبة وأنا كنت تحت التحقيق فقد كانت لنا زيارات مسموح بها وفى كل زيارة تحضر لنا أسرنا الطعام الذى يكفى المجموعة كلها وهذه الزيارات كانت لثلاث منا فقط مارى وليفكى وأنا، وكان من فوائد هذه الزيارات أن والدتى كانت تحضر معها أطفال الزميلة ثريا شاكر فقد كانت محرومة من رؤية أطفالها لعدم السماح للمعتقلات بالزيارة - أما ماجدة فلم يزرها كمال عبد الحليم ولا أحد من طرفه وهذا ما كان يسبب لها آلامًا نفسية عميقة وكانت تصاب بنوبات اكتئاب تستمر معها أيامًا ولا يخرجها من هذه الحالة إلا عزفها على الكمان فقد كانت عازفة ماهرة- أما مارسيل فلم يزورها أحد وعلمت أنه قبل انضمامى لهم كان لها شقيق يعمل مدرسًا فى مدرسة الليسية بباب اللوق وكان يزورها ويوفر لها طلباتها ولكنه ترك مصر أو أبعد عن مصر ولذلك فقد كانت هى الأخرى تعانى معاناة شديدة من هذه الظروف.

هذه هى المجموعة التى عشت معها خلال فترة احتجازى وقد تخللتها بعض المتاعب والمنازعات والمناقشات ولكنها لم تتسم بالعنف أو العدوانية وكانت خلافاتنا الفكرية فى معظمها تابعة من الانتماءات للتيارات الفكرية التى يحملها كل منا وكانت هى نفسها التى تسود الحركة الشيوعية وأدت إلى انقساماتها على مدى تاريخها وكثيراً ما كانت هناك التنازلات التى كانت تقتضيها ظروف السجن العامة وظروف خاصة لكل منا.

فبالنسبة لماجدة فكان محكوم عليها بثلاث عشر عامًا وكانت دائمًا فى حالة اكتئاب وتشعر بعدم الوفاء لمن أحبتهم وارتبطت بهم، كما أنها كانت تعتمد فى معيشتها على المجموعة.

كذلك ليفكى فرغم أن لها زيارات من زوجها وطفلها إلا أنها كانت حامل وكانت دائمة البكاء، وكنا نراعى ظروفها الخاصة من ناحية توفير الراحة لها وكنا نخصها بالغذاء الذى يلزم لحامل فى ظروف صعبة.

أما بالنسبة لمارى فقد كانت أفضل الموجودات على المستوى السياسى وعلى المستوى الشخصى وتحمل لمصر وللمصريين حبًا عميقًا وكانت أزمتها الحقيقة هى تفكيرها الدائم فى اليوم الذى تنتهى فيه مدة عقوبتها وترحل من مصر. لقد ظلت علاقتى بها قائمة حتى الآن وهى تعيش فى اليونان مناضلة عظيمة فى صفوف الحزب الشيوعى اليونانى وفى منظمات

جماهيرية وهى عضو فى اللجنة اليونانية لمنظمة تضامن الشعوب الأسيوية الأفريقية وتحضر لمصر فى مؤتمرات المنظمة بالقاهرة وهذا يسعدها ويتيح لها فرصة اللقاء مع كل الأصدقاء والزملاء القدامى التى تحمل لهم أجمل وأعز الذكريات.

الحالة الوحيدة التى عذبتنى وأرقتنى هى حالة مارسيل بنينو فبعد دخولى السجن بعد أربعة أيام معاناة فى المباحث والحجز فى قسم الموسكى سعدت برؤية الزميلات المعتقلات وترحيبهم لى وتسابقهم لتسهيل كل أمورى، فوجئت أننى لن أكون معهم ولما تم تسكينى فى المكان المخصص لى كانت المفاجأة الكبرى أن أرى مارسيل أمامى وجهًا لوجه وأسترجع كل تفاصيل القضية أو الفضيحة الحقيرة التى هى جزء منها وأعرف أننى سأعيش معها فى مكان واحد- لم أكن أعرف من هذه المجموعة إلا مارى وقد شعرت بحالتى ودون أن أتكلم انتهزت فرصة انفرادها بى وقالت لى إن هذه الإنسانة التي أمامك ليست هى صاحبة القضية لأنها الآن إنسانة أخرى نادمة على مافعلت ومن خلال المناقشة مع مارسيل نفسها حاولت اقناعى كما أقنعت الباقين بأنها كانت ضحية عملية تضليل كبيرة وأن حب مصر فى دمها وأنها تؤمن بكل ما تؤمن به وخاصة بالنسبة لقضية فلسطين.

لم يكن أمامى إلا المعايشة ولم أملك المقاطعة وكانت كل تصرفات هذه الإنسانية تثبت صدقها ولم أكن أملك ترف التحليل وهل ظروف هذه الإنسانة التعسة وحاجتها لنا على الأقل فى غذائها هى التى تفرض عليها هذا الموقف أم أنها صادقة فعلاً - لا أدرى .. علمت أنها بعد أن خرجت من السجن ورحلت إلى إسرائيل استقبلت استقبال الأبطال وتزوجت وشرفتها جولدا مايير بحضور حفل زواجها.

وهذه هى بعض معلوماتى عن السؤال الخاص بموقف التنظيم وموقفى من الأجانب واليهود فى الحركة الشيوعية.

المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وانشطة التضامن القومي والأممى التى شارك فيها التنظيم ودورى فيها

كان التنظيم حريصًا على المشاركة فى المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية.

بالنسبة لى كمدرسة فقد كنت أنتمى لمكتب المعلمين بالحزب كما كنت أنتمى لمكتب المرأة،

وكنت أشارك الأستاذة فاطمة زكي والأستاذ أديب ديمترى وآخرين فى مكتب المعلمين. وفى مكتب المرأة كنت أشارك إنجى أفلاطون وعنايات المنيرى وآخرين. وكانت هذه المكاتب تضم أعضاء من جميع التنظيمات الشيوعية ولم تقتصر على تنظيم واحد.

بالنسبة لى فقد خضت الكثير من المعارك الانتخابية وبفضل مساندة المعلمين وإيمانهم بأننى أدافع عن مطالبهم فعلا فقد تحقق لى الفوز فى كل الانتخابات التى خضتها باسم المعلمين ومن خلال تواجدى فى النقابة تحقق الكثير.

وفى إحدى المعارك الانتخابية الضارية والتى استخدمت فيها كل الوسائل الرخيصة لعدم نجاحى فقد فزت بالمركز القيادى فى النقابة بفضل مساندة المعلمين وبفضل إيمانهم بأننى أعمل فعلاً لمصلحتهم - لم يكن أمام المسئولين إلا سحب عضوية الاتحاد الاشتراكى منى وبذلك أصبحت تلقائيا خارج مجلس النقابة ولم تكن هذه آخر المعارك.

هناك مكسب آخر تحقق بعد جهد شاق يهمنى أن أسجله، وهذا المكسب هو النجاح فى إنشاء الجمعية الفلسفية العربية - وبما أننى كنت مدرسة فلسفة فقد فكرت مع زميلين لى فى إنشاء هذه الجمعية : هذان الزميلان هما الأستاذ الراحل إسماعيل المهدوى والأستاذ عيسى جبران وكنا نلتقى فى كازينو صغير مكان حديقة الأزبكية (نسيت اسمه) لدراسة كل خطوات هذا الموضوع - ولما واجهتنا عقبة ضرورة وجود مقر للجمعية حتى يتم التسجيل فقد تم الاتفاق مع بعض الزملاء فى جمعية المعلمين الذى كان مقرها ميدان الأوبرا على أن أشترك فى هذه الجمعية وقد عملت فعلا اشتراكًا باسمى وبعدها سمحت الجمعية بتخصيص إحدى غرفها كمقر للجمعية الفلسفية. وقد قدمنا كل المطلوب لوزارة الشئون الاجتماعية للتسجيل بعد أن طلبنا من الأستاذ محمد حسن ظاظا أن يكون رئيسًا للجمعية. لم يكن إقناعه سهلا ولكنه كان إنسانًا وطنيًا ومثقفًا وعلى معرفة شخصية بنا وبانتما ءاتنا (كان المفتش الذى يتابع كل أعمالى طوال فترة تدريسى للفلسفة).

وفى الفترة التى كانت الجمعية فيها تحت التأسيس قمنا بأنشطة عديدة وأقمنا العديد من الندوات والترجمات، وانتعشت الجمعية وأصبحت ملتقى لمدرسى الفلسفة وغيرهم إلى أن أعددنا ندوة موضوعها مناظرة بين الماركسية والوجودية للأستاذ محمود أمين العالم والأستاذ أنيس منصور - كان الحضور كبيراً فى تلك الليلة وقبل ابتداء الندوة تم إلغاؤها بأمر المباحث

العامة. وما يهمنى أن أذكره فى هذه القصة أن العزيز اسماعيل المهدوى قام بالجهد الأكبر فى هذا الموضوع وأن الأستاذة مريم زوجة الأستاذ عيسى جبران هى التى ساعدتنا فى التسجيل لمعرفتها ببعض العاملين فى وزارة الشئون وأن الجمعية التى كافحنا فى إنشائها استولى عليها أساتذة الفلسفة بالجامعة ومن آن لآخر أقرأ أخبارها فى الجرائد ولم يعد لنا بها أية صلة - وأخيراً فإن الجمعية الفلسفية العربية مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم ٥٥٦ لسنة ١٩٥٩ وأحتفظ بكل مستندات تسجيلها (للذكرى فقط).

موقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

لا أعرف أو لا أذكر شيئا عن موقف التنظيم من القضية الفلسطينية.

بالنسبة لى فالقضية الفلسطينية هى القضية التى سكنت كيانى وهى القضية التى ظلت وستظل من أهم القضايا فى حياتى، وقد بذلت ودفعت الكثير من أجلها منذ ١٩٤٨ حتى الآن ولن أتوقف عن النضال من أجلها بكل ما بقى لدى من جهد وحتى نهاية العمر.

موقف التنظيم وموقفى من حركة أنصار السلام فى مراحلها المختلفة

موقفى هو التأييد لحركة أنصار السلام، وشاركت فى حملات عدم استخدام الأسلحة النووية، ورغم أننى لم أكن عضوة بالحركة إلا أننى كنت عضوة فى لجنة الجزائر وكان مسئولى الأستاذ يوسف حلمى وكنت أجتمع فى مكتبه مع الأستاذة الراحلة جاكلين خورى ويشرفنى أننى قمت بنشاط مكثف في هذه اللجنة بإعداد المطبوعات وتوزيعها وتوزيع الكتيبات التى تلقى الضوء على قضية الجزائر وجمع التبرعات وقد كان عملى فى مجال التدريس يساعدنى على هذا النشاط (كنت قد نقلت من شبين الكوم إلى القاهرة)

وقد توج كل هذا النشاط بالمشاركة فى مظاهرة نسائية كبيرة طافت بشوارع القاهرة حتى وصلت لمقر الأمم المتحدة مطالبة بعدم إعدام المناضلة جميلة بوحريد والإفراج عنها، وقد شاركت طالباتى فى هذه المظاهرة كما حضرت تلميذتى العزيزة شاهندة مقلد من شبين الكوم للمشاركة فيها. وكانت سعادة طالباتى كبيرة عندما تم الإفراج فعلاً عن جميلة بوحريد واعتبرن أنهن

ساهمن فعلاً في الإفراج عنها.

(أحتفظ ببعض مطبوعات هذه اللجنة وأحتفظ ببعض مجلات الحائط من عمل تلميذاتي ويبدو فيها من خلال الصور والمقالات والرسوم التوضيحية بشاعة الاستعمار الفرنسي)

موقف التنظيم وموقفي من سلطة يوليو ومن تنظيماتها في المراحل المختلفة (هيئة التحرير - الاتحاد القومي - الاتحاد الاشتراكي)

كانت علاقتي بالتنظيم من خلال أصدقاء في حدتو وفي الحزب الشيوعي المصري.

بالنسبة لحدتو فقد كان الموقف من سلطة يوليو هو التأييد الكامل وبالنسبة للحزب الشيوعي المصري (الراية) فقد كان الرفض الكامل - ووصفت حركة الجيش بأنها عصابة فاشية أتت إلى الحكم عن طريق انقلاب فاشي أوصى به وأيده الاستعمار الأمريكي.

بالنسبة لي فقد كان أول رّد فعل هو الفرح الشديد باعتبار أن ما حدث هو تتويج لكفاح الأجيال على مدى سنين طويلة وخاصة بعد تنازل الملك عن العرش وتركه البلاد. وأول صدمة واجهتني وأربكتني كانت أحداث كفر الدوار وإعدام خميس والبقري ومما زاد في ارتباكي أن أصدقائي في التنظيمات الشيوعية لم يكن لهم موقف واحد وكان التناقض هو السمة الأساسية لمواقفهم.

بعد ذلك اختلفت مواقفي معها وضدها أمام إنجازات عظيمة قامت بها الحركة، وقهر وكبت لأي صوت مخالف واعتقال وسجن وتشريد لكل من تسول له نفسه أن يمارس حريته في إبداء الرأي أو الحركة أو يتبنى المواقف الحقيقية للناس.

بالنسبة لتنظيمات سلطة يوليو في المراحل المختلفة فقد انضمت للاتحاد الاشتراكي في عام ١٩٦٨ وأصبحت الأمينة المساعدة لوحدة منطقة شرق القاهرة التعليمية (بالانتخاب) وباسم هذه الشرعية قمت بنشاط جماهيري واسع ترك صدى واسعا ومؤثراً بالنسبة للمنطقة التعليمية بجميع مدارسها ومؤسساتها - لم تكن النتيجة طيبة بالنسبة لي، وسأرفق بشهادتي شريطاً مسجلاً به بعض الأنشطة والكثير من المعاناة وقد تم تسجيله في أمسية طلب مني الكلام فيها مع شباب وشابات مركز دراسات المرأة (معاً).

وكشهادة يجب ألا أكتمها فقد كانت أكبر الطعنات التى تعرضت لها من التنظيم الطليعى الذى ضم معظم قيادات اليسار فى هذه الفترة، ولعل هذا ما أوقعنى فى الخطأ بخصوص ما حدث فى مايو ١٩٧١ (أى انقلاب السادات) وجعلنى للأسف أطلق عليه اسم ثورة مايو.

موقف التنظيم وموقفى من أحداث كفر الدوار

كانت أحداث كفر الدوار هى المحك الحقيقى لنية النظام فى قهر وإسكات أى صوت غير صوته، وقد بدأوا بالعمال فقاوموهم بكل الأسلحة المتاحة وامتد العقاب من الاعتقال والسجن إلى الإعدام فقد تم إعدام خميس والبقرى أول شهداء للعمال وظهر واضحًا الموقف من الطبقة العاملة وأن الصراع الطبقى بينهما يمكن أن يصل إلى آخر مدى - كل ذلك عقب انتفاضة عمالية عادية لها مطالب معينة تعبر عنها - وهنا لابد من تسجيل الخطأ الكبير الذى وقعت فيه حدتو إذ أوعزت للهيئة التأسيسية لاتحاد عام نقابات العمال بإصدار بيان تنتصل فيه من الانتفاضة العمالية وقد جاء فى هذا البيان كما سجله د.رفعت السعيد فى كتابه منظمات اليسار المصرى عن جريدة الأهرام بتاريخ ١٠-٨-١٩٥٢ :

«وصل إلى علم الهيئة التأسيسية للاتحاد العام للنقابات المصرية أن أفرادًا من أعداء العمال و الوطن أرادوا أن يسيئوا إلى وطنية الطبقة العاملة محرضين من بقايا وأذناب الرجعية والاستعمار، والهيئة التأسيسية باسم العمال تستنكر هذه الأعمال الإجرامية التى لا تفيد إلا أعداء الوطن - كما ترجو أن يؤخذ هؤلاء المجرمون بشدة حتى تضمن تحرير الوطن وتوحيد صفوفنا فى ظل حياة دستورية كريمة»

موقف التنظيم وموقفى من هبة مارس ١٩٥٤

عبرت هبة مارس ١٩٥٤ عن اعتراض الجماهير على حرمانها من كل فرص التعبير عن أمانيها وطموحاتها وإجهاض حلمها فى حياة ديمقراطية سليمة - وقد عبر الدكتور فخرى لبيب فى كتابه (الشيوعيون وعبد الناصر) عن رأيه فى هذا الموضوع (الذى هو رأى الحزب) تعبيرًا صادقًا - وأنا أتفق مع رؤيته التى أسجل نصها كما ورد فى كتابه القيم :

«جاءت هبة مارس عام ١٩٥٤ تعبيرًا عن رفض الجماهير لهذا المفهوم الذى يعالج به الحزب الحاكم أمانيها الديمقراطية وارتفعت شعارات الحريات السياسية والجبهة الوطنية - أى رفض

عسكرة الحياة السياسية والحزب الواحد مهما كان هذا الحزب وطنياً ورفض الوصاية مهما كان إخلاص هؤلاء الأوصياء.

إن الحزب الحاكم لم ينجح بعد عامين من وجوده فى السلطة وبسبب مفهومه هذا من فرض نفسه على جماهير القوى الوطنية والتقدمية فى مصر بالقسر والقهر - كما فشل أيضاً أن يكون له وجود حقيقى ومنظم فى الشارع السياسى المصرى».

موقف التنظيم وموقفي من ضرب السلطة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

في إطار انفراد السلطة بالحكم ورفض الحياة الحزبية وتجريمها وعدم السماح لأي قوة سياسية على الساحة للتعبير عن رأيها - فقد كان من الطبيعى أن تضرب السلطة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ كما ضربت كل القوى السياسية الأخرى وحرمتها من حق التعبير والمشاركة فى أمور وطنها ووصلت فى ذلك إلى حد الاعتقال والسجن والعزل السياسى والوظيفى..

لا أذكر بالضبط موقف التنظيم من ضرب السلطة للإخوان المسلمين، لكن موقفى أنا الشخصى هو الاعتراض لأن المفروض فى مفهومى أن تعبر كل القوى السياسية عن رأيها وتتصارع بشكل صحى وعلنى والجماهير فى النهاية هى التى تقف مع وتساند وتلتق حول من يتبنى مطالبها ويكافح من أجل مصالحها الحقيقية ويدافع عنها.

علاقة الحزب الشيوعى المصرى بالإخوان

بعد صدور قرار حل جماعة الإخوان فى ١٣ يناير ١٩٥٤ أصدر الحزب بياناً يدعو فيه الإخوان إلى النضال المشترك ضد الفاشية. وذكر د. رفعت السعيد فى كتابه «منظمات اليسار المصرى» أنه «كانت هناك علاقة بين منظمة الحزب الشيوعى المصرى وبين سيد قطب وقد كشفت عن ذلك أوراق تم ضبطها».

موقف التنظيم وموقفي من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

كان الموقف طبعاً هو التأييد الكامل لتأميم قناة السويس والمقاومة الباسلة لكل قوى الشعب ضد العدوان الثلاثى ويروز دور الحركة الشيوعية وبدون انقسامات فإلى جانب الوحدة

التى تمت عقب هبة مارس من خمس منظمات وإعلان الحزب الشيوعى الموحد والعمل كجبهة مع النظام الحاكم إذا بالحزب الشيوعى المصرى ينضم للجبهة ويتم إعلان تكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد فى سبتمبر ١٩٥٦ وأعقب ذلك انتخابات ١٩٥٧ ورغم اعتراض الاتحاد القومى على أسماء معظم الشيوعيين إلا أن الفرصة أتيحت للعمل الجماهيرى بشكل موسع وبرز دور الشيوعيين فعلاً كقيادات واعية وسط الجماهير.

وبالنسبة لى فقد كانت هذه الفترة من أعظم فترات حياتى وقد شرفتنى الفنانة الراحلة انجى افلاطون بتسجيل بعضها فى مذكراتها «مذكرات انجى افلاطون- آخر صفحة ٦٣ وصفحة ١٦٤ :

«أما فى الأقاليم فقد برزت لجنة شبين الكوم بقيادة الرفيقة وداد مترى والتى كانت تعمل فى ذلك الوقت مدرسة فى شبين الكوم.

كانت وداد مترى مدرسة بمدرسة شبين الكوم الثانوية للبنات وقد قامت بتكوين لجنة شبين الكوم للمقاومة الشعبية، وكانت لجنة لمحافظة المنوفية وليس لعاصمة المحافظة وحدها. وكانت وداد هى رئيسة هذه اللجنة ومن أبرز أعمال اللجنة ما يلى :

- إعداد مركز للخدمة العامة والتعبئة الشعبية.

- إعداد الندوات والمحاضرات للتوعية.

- التشجيع على التطوع فى الهلال الأحمر والتمرين بالمستشفى الأميرى على أعمال الإسعاف والتمريض.

- المعاونة فى استقبال المهجرين من مدن القناة وتسكينهم وصرف المستلزمات السريعة لهم من ملابس وبطاطين وأغذية وأدوية.

- تنشيط الجهود الذاتية للتبرع بإعانات مالية لحساب المهجرين وتحديد الإعانات بعد عمل الدراسات الاجتماعية والقيام بصرفها للمستحقين.

- القيام بحملة تبرعات من التجار ومن المؤسسات.

- القيام بحملة لحث المواطنين على التبرع بالدم واستغلال مدارس القرى فى ذلك، وكانت فى المقدمة مدارس مليج وكفر المصيلحة وسرس الليان.

- كذلك شملت اللجنة فى تنمية الوعى الانتخابى بعد أن نالت المرأة هذا الحق - وكانت

محافظة المنوفية فى طليعة المحافظات فى عدد السيدات المقيدات بجداول الانتخابات وقدمت وداد صوراً لنماذج لمطبوعات أصدرتها اللجنة.

الأولي : طلب للقيد بجداول الانتخابات تملأه الطالبة وتقدمه.

الثانية : نداء يحث المواطنات على القيد بالجدول - لا تترددي وإلى الأمام - وعاشت مصر خالدة.

أما الثالثة فنداء لإيقاف التجارب الذرية - عاش كفاح الشعوب الحرة - عاشت الإنسانية المناضلة من أجل السلام.

هذا ما ذكرته المناضلة العظيمة إنجى أفلاطون عن هذه الفترة، وبهذه المناسبة يشرفنى أن أسجل ،أن المناضلة العظيمة شاهندة مقلد كانت إحدى تلميذاتى فى هذه الفترة وقد كتبت فى مذكراتها أن نشاطها معى كان أول فرصة لها لمواجهة الجماهير والتفاعل معها.

موقف التنظيم وموقفي من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧

جاءت انتخابات ١٩٥٧ عقب العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ وفي هذه المرحلة توحدت القوى الوطنية كلها صفا واحداً فى جبهة واحدة مع النظام الحاكم ضد عدو واحد وفعلاً كانت فترة من أخصب وأعز الفترات فى تاريخ مصر- وقد امتدت هذه الانفراجة إلى انتخابات ١٩٥٧ لدرجة نزول بعض الشيوعيين المعركة ببرامجهم العلنية وقد أتيحت لهم إلى حد ما الفرصة للدعاية لبرامجهم بكافة السبل - وهذا لم يمنع استخدام بعض الأساليب غير الشريفة فى بعض المواقع مثل ما حدث فى معركة الوايلى بالعباسية والتى كان مرشحاً فيها الدكتور عبد العظيم أنيس - هذا إلى جانب اعتراض الاتحاد القومى على معظم الشيوعيين.

بالنسبة لى فقد كانت فترة خصبة وعزيزة من حياتى عشتها فى مدينة شبين الكوم بحكم عملى وعشت معاركها كما شاركت في المعركة الانتخابية فى شبرا بحكم سكنى وكان مرشحنا فيها الدكتور فايق فريد وتكونت لجنة لإدارة المعركة كان ضمن أفرادها الدكتور فؤاد محيى الدين والدكتورة حكمت أبو زيد والمناضلة العظيمة ليلى الشال.

من ذكريات هذه الانتخابات أيضاً أنها أول انتخابات تخوضها المرأة مرشحة وناخبة وقد

فازت فيها سيدتان بالانتخاب إحداهما المرحومة السيدة أمينة شكرى بالاسكندرية والثانية السيدة راوية عطية بالجيزة (حيث كانت تناضل مع أسر الشهداء).

موقف التنظيم وموقفى من مشروعات الأحلاف العسكرية (أيزنهاور - الهلال الخصيب - حلف الشرق الأوسط)

موقف التنظيم وموقفى بل وموقف النظام أيضًا هو الرفض الكامل لمشروعات الأحلاف العسكرية.

الشهادات التى سبق أن أدليت بها لكتاب أو دارسين وهل تم نشرها؟ وملاحظاتى عليها

سبق أن أدليت بشهادة فى ٤ أبريل ١٩٩٤ أثناء لقاء مع مجموعة من الشباب والشابات دعيت إليه من مركز دراسات المرأة العربية (معًا) وكان هذا اللقاء ضمن خطة وضعها المركز لتسجيل نشاط الحركة النسائية المصرية من خلال مجموعة من السيدات كبيرات السن حتى يقلن ما عندهن قبل فوات الأوان. وقد ألقيت فى هذا التسجيل الضوء على الأنشطة الجماهيرية العلنية التى أتاحت لى الظروف أن أقوم بها وأعيشها فى فترات عزيزة من حياتى وقد شملت الريف والحضر كما أنها تمت فى فترات زهو وانتصار وفى فترات أخرى تخللتها الهزيمة والانكسار - وحرصت على تسجيل إنجازات ملموسة تم تحقيقها بمشاركة الناس كما حرصت على تسجيل أخطاء كثيرة وقعت فيها وتحملت نتائجها رغم أن النوايا كانت طيبة.

أرفق مع هذه الشهادة تسجيل هذا اللقاء، وأرجو أن يكون مفيداً وهو موجود داخل المركز.

شهادة

يوسف درويش

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : يوسف موسى يوسف فرج درويش المشهور بيوسف درويش

محل وتاريخ الميلاد : مواليد القاهرة فى ٢ أكتوبر ١٩١٠

المــــؤهــــلات : ليسانس حقوق

بيانات عائلية آخرى

ولدت فى حارة أبو خوذه بمحطة الجنزوري والمتفرع من شارع العباسيـة - قسم الوايلى بعمارة كان يمتلكها أحد أميرالات الجيش وأصبح ابنه واسـه عز الدين عاطف الملحق البحرى للملك فاروق، انتقلنا بعد ذلك وكان عمرى حوالى ٤ سنوات الى شارع محمد بالعباسية بعمارة مصطفى الجمال ثم بمنزل بجوار كلية التجارة بالعباسية بجوار الأرض التى كانت تخصص للاحتفال بمولد النبى والمعروفة باسم ارض مولد النبى. وأخيراً انتقلت مع عائلتى وكان عمرى ١٧ سنة إلى مصر الجديدة بشارع رشيد رقم ١٠ ثم إلى منازل اخرى فى نفس المدينة، وعندما تزوجت عام ١٩٤١ اتخذت لى سكنًا بشارع جلالة الملك رقم ٧ ببولاق أمام حوش فايد بالعمارة البلجيكية.

كنت فى بادئ الأمر تلميذاً بمدرسة الاعدادية الابتدائية بالعباسية ثم التحقت بمدرسة الفرير بالظاهر، وقضيت الدراسة الثانوية بمدرسة الفرير بالخرنفش حتى عام ١٩٢٩، وانتقلت إلى الكلية الفرنسية بالظاهر حيث حصلت عام ١٩٣٠ على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) قسم أدبى.

ذهبت إلى فرنسا لدراسة التجارة وكنت مبيت النية على دراسة القانون والتحقت بمدرسة التجارة بتولوز فى اكتوبر ١٩٣٠ وحصلت على دبلوم التجارة العليا من هذه المدرسة عام ١٩٣٢، وكنت قد التحقت في ذات الوقت بكلية الحقوق فى تلك المدينة ونجحت فى السنة الأولى فيها. انتقلت بعد ذلك إلى : أكس اين بروفانس Oix en provence فى فرنسا والتحقت بكلية الحقوق بها حيث حصلت على ليسانس الحقوق عام ١٩٣٤، كما التحقت فى ذات الوقت بمدرسة الدراسات التجارية العليا بمارسيليا Marseille وحصلت على شهادة الدراسات التجارية العليا عام ١٩٣٣ وقدمت آنذاك رسالة عن «القطن فى مصر» للحصول

على تلك الشهادة.

عدت إلى مصر فى أكتوبر ١٩٣٤ وعملت بعد بضعة شهور محامياً أمام المحاكم المختلطة التى كانت مزدهرة وقتئذ ودرست القانون المصري وحصلت على ليسانس الحقوق من جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٤.

والدى كان فى بادئ حياته المهنية عاملا حرفيا فى المصوغات ثم أقام ورشة صغيرة لصناعة المصوغات وفتح بجوار تلك الورشة متجرا لبيع المصوغات على أنواعها ومن ثم أصبح من كبار الصاغة يمتلك ورشة متوسطة الاهمية والحجم ومتجرا للبيع بالقطاعى، وسرعان ما أصبح تاجراً بالجملة يبيع منتجاته أساسا لتجار الصاغة بمنطقة القنال فى كل من بورسعيد والسويس والاسماعيلية فيذهب مرة كل اسبوع إلى تلك المنطقة لتسويق منتجاته ولتحصيل مستحقاته حتى أن العائلة كثيراً ما كانت تقضى أجازاتها فى بورسعيد ضيوفًا على عائلات تجارها، وأذكر أنه فى الاجازة إلتى قضيتها فى مصر عام ١٩٣٢خلال دراستى فى فرنسا صاحبت والدى إلى بورسعيد وقدمنى فى القطار العائد إلى القاهرة للمرحوم الاستاذ حسن البنا الذى كان قد بدأ وقتذاك فى تكوين شعبة الاخوان المسلمين بالاسماعيلية. هذا وقد توفى والدى عام ١٩٤٠.

أنا من عائلة مصرية. كان لى عم اسمه إبراهيم، وله ولدان يوسف وثابت وعم آخر اسمه ثابت. من أقاربى مراد فرح الذى كان محاميًا للخديوى عباس الثانى وهو كاتب وباحث وشاعر، كتب فى القانون وكتب فى تاريخ الفدائيين، كما كان داوود حسنى قريبى أيضا وهو الموسيقار المشهور.

ترجع أصول عائلة درويش إلى وقت بعيد فى مصر والدليل موجود بوزارة الداخلية قسم الجوازات والجنسية فى الملف الخاص بتلك العائلة. إذ يتضح فى هذا الملف وجود عقد بيع عقار لفرد من عائلة درويش يعود إلى عام ١٨٤٧ فقد كنت قدمت أنا وإخوتى هذا العقد عام ١٩٤٦ إلي قسم الجوازات والجنسية للتدليل على أصولنا المصرية وبالتالي حصلنا علي شهادة باثبات جنسيتنا المصرية.

أعطى هذا التفصيل لأبدد الأكاذيب التى أخذ البعض يروجها عن حقيقة أصولى المصرية.

وكانت عائلتى تنتمى إلى طائفة ديفانى «قرائى» ويطلق عليها «يهود قرائين»، القراؤون

يختلفون عن اليهود الربانيين حيث يقتصر اعتناقهم واعتمادهم على التوراة دون التلمود. وكان اليهود الربانيون لا يعتبرون القرائين يهودا وكذلك النظام العنصري فى ألمانيا النازية الذي لم يعد القرائين يهودا واستثناهم من الإجراءات التى كان قد اتخذها ضد اليهود عموما، وللعلم أشهرت إسلامى فى نوفمبر ١٩٤٧. أنجبت عام ١٩٤٣ ولدا أسميته «مجاهد» لأننى كنت فى ذروة النضال والنشاط. وفى عام ١٩٤٩ أنجبت بنتًا أسمتها والدتها «نوله» باعتبارها هدية تركتها لها قبل دخولى المعتقل عام ١٩٤٨.

اشتغلت محاميا أمام المحاكم المختلطة من اوائل ١٩٣٥ حتى نهاية هذه المحاكم عام ١٩٤٩، وعملت محاميا أمام المحاكم الاهلية ابتداء من عام ١٩٤٤.

عندما كنت طالبا بمدرسة الفرير بالظاهر وكان عمري آنذاك ٩ سنوات شهدت تطورات وأحداث ثورة ١٩١٩ من مظاهرات طلابية وإضرابات عمالية خاصة عمال ترام القاهرة والمدرسة الاعدادية الثانوية بأول العباسية، رأيت كيف كان الجنود الإنجليز يجبرون هؤلاء العمال على تسيير مركبات الترام، وشهدت بنفسي وكنت واقفا بمحطة ترام الحسنية أمام محل الاهوانى للبقالة كيف أن أحد الواقفين من الثوار هجم على الجندى الانجليزى الذى كان واقفا بجوار سائق الترام لإجباره على العمل، وقطع يده بالساطور. وشهدت فى تلك الفترة عندما كنت مقيمًا مع عائلتى بشارع سعيد بالعباسية بعمارة الجمال كيف أن أحد الشبان من الثوار سار وراء جندي انجليزي وذبحه بسيفه فى حقل بجوار المنزل وألقى به فى الساقية. وعندما كنت أتردد على محل والدى بالمتولي (قبل انتقاله للصاغة) إبان الثورة رأيت كيف كان الجنود الإنجليز منتشرين فى أجواء الحى شاهرين بنادقهم ومدافعهم الرشاشة فى وجه سكان وتجار الحى لإنزال الخوف فى قلوبهم. كما كنت أقرأ على حوائط المنازل والعمارت عبارات عن «اليد السوداء» وهى جمعية كانت تستهدف اغتيال الجنود الانجليز، كنت مهتمًا بالاحداث، وأذكر أنني ذهبت إلى ميدان محطة مصر فى الاستقبال الشعبى الحاشد لسعد زغلول عند عودته من المنفى، كما أذكر أنه حين أجريت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٢٤ وتقدم (حسن حسيب باشا) مرشحًا عن الوفد فى دائرة الوايلى اهتممت بمشاهدة السرادق الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة أمام المدرسة الايطالية بالعباسية واستمعت إلى الخطب والشعارات والهتافات.

وعندما التحقت بمدرسة الفرير الثانوية بالخرنفش كانت قراءاتى كثيرة ومتنوعة وتطلعاتى

نحو أهداف ومعانى الثورة الفرنسية فى المساواة والإخاء والحرية، حتى أنه عندما كنت عضوا فى جمعية ثقافية داخل المدرسة ألقيت محاضرة عن الثورة الفرنسية أغضبت كثيراً المدرس المسئول عن هذه الجمعية، وأخذ الطلبة منذئذ يشيرون إليّ على أننى ثورى. كنت فى تلك الفترة صديقًا صدوقًا لكل من حامد سلطان (استاذ القانون الدولى) ومحى حسن وعثمان الارناؤوطى (اللذين عملا فى السلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية) وجمال مدكور (المخرج السينمائى) وأحمد بدرخان (السينمائي الشهير) وأقمنا سويا مع زميل آخر اسمه نبيه عوضي جمعية ثقافية خارج نطاق المدرسة سرعان ما عملت إدارة تلك المدرسة علي تحذير الطلبة من الانضمام اليها.

كانت قراءاتى فى تلك الفترة فى الأدب الفرنسى وفى الأدب العربى فاطلعت على كل الكلاسيكيات بشكل عام (مونتسكيو، روسو . فولتير، باسكال، لامارتين، برجسون، عباس العقاد، المنفلوطى، أحمد شوقى ....) كما كنت أطلع بانتظام على كافة الجرائد والمجلات التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ومنها البلاغ وكوكب الشرق والكشكول.. لم يكن لى أية قراءات فى الماركسية فلم أكن أعلم عنها شيئًا بل انصبت قراءاتى السياسية والاجتماعية على قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان فاطلعت على العديد من مطبوعات الحزب الراديكالى الفرنسى، وكانت تصلنى نشرات جمعية حقوق الإنسان الفرنسية، كما كنت أطلع باستمرار على «جريدة القاهرة» الفرنسية Le Journal d'Egypte التى كان يصدرها فؤاد يكن وكذلك على مجلة علم مصر باللغة الفرنسية Flamlean d'Egypte التى كان يصدرها أحمد راشد وهى مجلة تقدمية تدعو إلى التقدم واحترام حقوق الإنسان، واسترعتنى آنذاك مقالة بعنوان «دفاعا عن الاتحاد السوفيتى» وكان ذلك عام ١٩٢٧ علي وجه التقريب.

فى هذه الفترة كنت أهتم اهتمامًا خاصًا بالمحاضرات التى تلقى فكنت دائم الحضور فى «الجمعية الجغرافية الملكية» حيث كان يحاضر فيها كبار المفكرين والأدباء مصريين وأجانب وخاصة فرنسيين، كما تابعت غالبية المحاضرات فى قاعة «ايوارت» Ewert بالجامعة الأمريكية، وأذكر بصورة خاصة من بين المحاضرين محمود عزمى الذى كان وقتذاك من دعاة الإشتراكية والذى عمل فترة بعد ذلك سكرتيرا خاصا للخديوى عباس حليم الثاني. وقد بلغ اهتمامى بالأدب بشكل عام أننى دعيت للحضور فى حفل الاستقبال العام الذى أعد للشاعر

الهندى الكبير رابيناردات تاجور Rabimadrat Taghore وكان ذلك فى حديقة الازبكية كما كنت أواظب على الاستماع إلى أنواع الموسيقى الكلاسيكية التى كانت تقدم فى قاعة تلك الحديقة، وحضرت أيضا كثيراً من عروض الأوبرا. وبجانب ذلك كثيرا ما كنت أتردد على مجلس النواب للاستماع إلي المناقشات التى تجرى فيه ومشاهده رجال السياسية والدولة منهم سعد زغلول، ويصا واصف، مكرم عبيد، عبد العزيز جاويش .. وكنت حاضرا مصادفة فى جلسة النواب الذي هاجم فيها عباس العقاد الملك وسمعته يقول كلمته الشهيرة «إذا وجب علينا فسوف نقضى على أكبر رأس فى البلد».

بدأت فى ذلك الوقت معالم تفكيري تتحدد نحو قضية الاستقلال وجلاء الانجليز عن بلادنا وهى القضية التى كان يعبر الوفد عنها، كما تحددت أيضًا وتجلت أكثر من ذى قبل قضايا الحرية والديمقراطية والمساواة من أعمال الكتاب الفرنسيين أساسا من تاريخ الثورة الفرنسية.

كنت وفديا كباقى غالبية شباب مصر، فالوفد كان كل شئ.. وهو الحزب الشعبى الوحيد فى الساحة.إذ التفت حوله الجماهير العريضة من العمال والفلاحين والمثقفين والتجار وأصحاب الورش وغيرهم من مختلف فئات الشعب. أذكر حين توفى سعد زغلول فى ٢ اغسطس ١٩٢٧ أننى اشتركت فى الجنازة الشعبية الكبرى التى نظمت فى القاهرة وكان حزني كبيرا علي وفاته فارتديت الملابس السودا - شهرا كاملا ثم الكرافتة السودا - سنة كاملة. إن تعلقي بالوفد حزبا شعبيًا مطالبًا بالاستقلال والجلاء كان قويا للغاية كما اتضح عداتى للسراى وللملكية، وأذكر بهذه المناسبة أنه عندما أقيلت وزارة النحاس باشا فى خريف عام ١٩٣٠ قبل سفرى إلى فرنسا بأيام كنت أشاهد جلسة مجلس النواب مع صديقى حامد سلطان حين اعلن إقالة الوزارة الوفدية فخرجنا من البرلمان ونظمنا مظاهرة احتجاج سارت بجوار قصر عابدين منددة بقرار الاقالة.

سافرت إلى فرنسا فى اكتوبر ١٩٣٠ للدراسة وتوجهت إلى مدينة تولوز Toulousc فى الجنوب وكان معى حامد سلطان ويحيى حسن، ثم انتقلت عام ١٩٣٢ إلى اكس اين بروفانس Qix en Provence التى تبعد قليلا عن مارسيليا حتى عودتى النهائية إلى مصر فى اكتوبر ١٩٣٤.

فى فرنسا استمرت قراءاتى فى الأدب الفرنسى واطلاعاتى على كتب السياسة والاجتماع

والاقتصاد، ولأول مرة بدأت اقرأ الكتب الماركسية وتاريخ ثورة أكتوبر السوفييتية ومنها مؤلفات من ماركس وإنجلز ولينين وبوخارين وتروتسكى كما اطلعت أيضًا على ما كتبه ويكتبه كل من موسولينى وهتلر. درست دراسة متأنية الجزء الأول من كتاب «رأس المال» La Capital. وكتاب «حياتى» لتروتسكى وكذلك «الدولية الثالثة أو تنظيم عدم التنظيم». وكانت تصلنى بانتظام من مصر جريدة الأهرام وبعض الكتب الأدبية وفي الشئون العامة والتاريخ، ويمكن القول أن نشأتى الأولى التى اتضحت فى ذلك الوقت كانت مزيجًا من التعلق الوطنى والاتجاه الماركسى العام. وأذكر هنا أنه حينما التحقت بالسنة الأولى فى كلية حقوق بمدينة تولوز استقبلتنى سكرتيرة الكلية بترحاب على أننى مصرى ومن بلد «مصطفى كامل» وكانت تعرفه حينما كان يدرس فى تلك الكلية.

كان تعلقى بمصر والعروبة بشكل عام أمرا أساسيا فكونت مع كل من حامد سلطان وتوفيق عبد الواحد (قرانى) ومحيد شفيق (الذى أصبح بعد ذلك موظفًا ببنك مصر) وبهاء الدين كامل (والد الدكتور حسين كامل بهاء الدين) جمعية فى تولوز عام ١٩٣١ تحت اسم «جمعية الطلبة العرب» انضم إليها الغالبية الكبرى من الطلبة العرب فى تلك المدينة ومن بينهم جزائريون أصبحوا بعد ذلك من قادة الثورة الجزائرية.

شاءت الظروف أن يحضر إلى تولوز الخديوي السابق عباس حليم الثانى وكان بصحبته محمود عزمى سكرتيره الخاص صاحب الاتجاه الاشتراكى فالتقت بهما مجموعة من الطلبة المصريين وكنت من بينهم، ودار حديث طويل عن الأوضاع فى مصر ووجوب العمل من أجل إجلاء الانجليز عن البلاد.

وعندما بدأت تظهر الهتلرية فى المانيا كنت أحد معارضيها باعتبارها عنصرية ومنافية للديمقراطية، واشتركت فى تولوز فى كافة الفعاليات والتظاهرات التى نظمت آنذاك خاصة مع حضور المحامى الفرنسى الكبير موروجيافيرى Moro Giafferi الذى كان يتهيأ لتولى الدفاع عن جورج ديمتروف امام محكمة تورمبرج.

بدأت اتجاهاتى تتضح نحو الفكر الإشتراكى وتعاليم ماركس عندما كنت فى إكس اين برفانس Oix en Provence فتشكلت أفكارى بشكل نهائي حول ذلك حيث كان التأثير المباشر من الدراسات التى تلقيتها مع آخرين من أحد الالمان الهاربين من نير الهتلرية واسمه

بورشر Borsher الذى أخذ يلقن لنا فى منزله بتلك المدينة مبادئ الماركسية وكانت الفائدة كبيرة للغاية، وفى هذه الفترة كونت مع بعض الطلبة الفرنسيين «لجنة الطلبة ضد الفاشية والحرب» عام ١٩٣٣ وتمكنت بمساعدة صديقة شيوعية من الحضور كمستمع فى بعض اجتماعات خلية الحزب الشيوعى فى هذه المدينة.

عدت إلى مصر فى اكتوبر ١٩٣٤ وأنا مقتنع تماما بوجوب العمل على استقلال مصر والانتهاء من نظام الامتيازات والاهتمام بقضية الطبقة العاملة والسلام العالمى، قضية الاستقلال لأنها هى القضية التى طالما كان الوفد ينادى بها ومن حوله الشعب كله، قضية الطبقة العاملة فقد أتى الاهتمام بها من خلال قراءاتى ودراساتى واتصالاتى.

أما عن وجوب الانتهاء من نظام الامتيازات الأجنبية فلقد استرعى نظرى ما كان قد حصل لى خلال إجازتى فى مصر عام ١٩٣٢ حيث ذهبت مع اخوتى وبعض الأصدقاء إلى نادى إيطالى بمصر الجديدة ولم أكن أعرف ولم يبلغنى احد أنه نادى فاشى واسمه دبولافورو.

فى ملتقى شارعى طنطا وسعد زغلول بمصر الجديدة عند انتهاء الحفل الراقص عزفت الموسيقى نشيد جيوفمستا giovimetsa وهو نشيد الشباب الفاشى.

وقف الجميع إجلالا لهذا النشيد بينما امتنعت أنا تماما عن الوقوف.. رغم إصرار من كان يصاحبنى، وبعد الانتهاء من عزف هذا النشيد جاءنى شابان إيطاليان ضخما الجسم وصفعانى على وجهى وألقيا بى أرضا وسحلانى من الصالة إلى خارجها حتى الطريق العام وأخذ الشباب الفاشى يركلنى بالارجل ويضربونى ضربا مبرحا، وعندما حضر رجال البوليس سرعان ما هرب المعتدون وتوجهت إلى قسم بوليس مصر الجديدة لتحرير محضر بالواقعة، والذى أدهشنى تماماً أننى استدعيت إلى قسم البوليس لأبلغ أن «المحضر حول إلى جهة الإختصاص وهى القنصلية الإيطالية للتصرف» أحسست مباشرة بهول الامتيازات الاجنبية، وأخذ هذا الشعور يزداد قوة حين كنت أشاهد الميليشيات الفاشية الايطالية ذات الرداء الأسود تجوب فى شوارع القاهرةوفى وسط المدينة بميدان الاوبرا، كما كان بعد ذلك ما بدر عام ١٩٤٢ من محكمة الجنح المختلطة فى قضية النقابى محمد مدبولى الذى فصل من عمله فى شركة البواخر البحرية بشبرا الخيمة لنشاطه النقابى. فقد كان رئيس هذه المحكمة إنجليزيا والمتهم وهو مدير تلك الشركة إنجليزى وأصدر حكما بالبراءة لأنه انجليزى ليس أكثر أو أقل كما اعترف لى شخصياً بعد ذلك.

انطلاقا من هذه المفاهيم العامة التى قد ترسخت فى وجدانى عملت فور عودتى النهائيةإلى مصر على الاتصال بحركة العمال فذهب شخصيا ومنفرداً إلى الاتحاد العام للنقابات بمقره بعمارة متاتيا بالعتبة الخضراء. وكان قائده آنذاك الأمير عباس حليم من العائلة المالكة. استقبلت استقبالا حسنا. استقبال العمال لشاب من غير طبقتهم يرغب فى اللقاء بهم. فى نفس الفترة كنت أبحث عن مقر أنصار السلام فعثرت عليه مصادفة وأنا مترجل بشارع شريف باشا، وكان هذا المقر فى العمارة التى تسبق مباشرة عمارة الايموبيليا بالقاهرة فتوجهت إليه وطلبت الانضمام إلى أنصار السلام وهى جماعة كانت تضم مختلف الجنسيات من يونانيين وقبارصة وانجليز وإيطاليين وسويسريين وأنصاف الأجانب وبعض المصريين أذكر منهم المحامى كونستانتان فرجوبولو Constantin Vergopul o والمحامى ليسوحازان Lisso Hazan وتيودوسى بيريدسTheodossi Pierrides وبول جاكو Paul Jacot ورعون دويك وعبد الرازق السنهورى وعبد الوهاب العشماوي وفاطمة نعمت راشد والأمير عباس حليم.. يبدو أن سلوكى الشخصى استرعى نظر كل من بول جاكو وتيودوس بييريدس حيث كنت لا أتعالى على الآخرين بالنظر إلى مركزى الاجتماعي كمحام ولا أمتنع خلاف البعض من المحامين عن القيام بأبسط الاعمال فى سبيل حركة السلام، بالاضافة طبعاً إلى اتجاهى الفكرى العام. وللعلم كان للتروتسكيين مقراً فى نفس العمارة وكانوا يصدرون مجلة «التطور» ذات الغلاف الأصفر اللون والتى صدر منها ثلاثة أو أربعة أعداد وكان منهم لطف الله سليمان، رمسيس يونان، جورج حنين، كامل التلمسانى وغيرهم، وكانت علاقاتنا بهم عادية على الرغم من العداء الشديد بيننا.

كانت جمعية أنصار السلام بالقاهرة ومثلها جمعية أنصار السلام فى كل من الاسكندرية وبورسعيد مرتبطة «بعصبة أنصار السلام العالمية» التى تأسست فى أوائل الثلاثينيات من هذا القرن فى أمستردام بهولاندا وكان رئيسها «نهرو» الزعيم الهندى المعروف، ومن أهدافها السلام بين جميع الشعوب ومكافحة الحرب، والكفاح ضد الفاشية، والكفاح ضد العنصرية.

لقد كافحت جمعية أنصار السلام بشكل جدى ضد الصهيونية باعتبارها شكلا من العنصرية، ورفضت رفضا قاطعا مشروعات إقامة وطن لليهود فى الاراضى العربية وفى فلسطين، وساندت حركات التحرر والحرية ومنها الثورة الاسبانية والجمهورية الاسبانية.

كانت جمعية انصار السلام بالقاهرة توزع العديد من المنشورات المساندة للقضية الفلسطينية والرافضة لمشروعات التقسيم وحملات الهجرة اليهودية فى فلسطين «انتهزت الجمعية فرصة مرور قادة الثورة الفلسطينية بالقاهرة فأوفدت كلاً من ريمون دويك وكاتب هذه السطور للالتقاء بهم، وتمت مقابلة كل من موسى الخالدى وأحمد الحسينى بفندق الكونتننتال بميدان الأوبرا، وأجرينا معهما حديثا مطولا عرضنا فيه أهداف أنصار السلام ووقوفهم بحزم بجانب الشعب الفلسطينى. كما أن نشاط جمعية أنصار السلام اشتد ضد هجرة اليهود إلى فلسطين خاصة بعد ظهور الفاشية فى المانيا ونزوح كثير من اليهود إلى فلسطين بتشجيع من السلطات الالمانية والدول الاوروبية، وكنت مع زملائى نوزع فى شوارع وميادين القاهرة وعلى الأخص فى وسط المدينة بشارع عماد الدين المنشورات التى تحتج على هذه الهجرة وترفض مشاريع التقسيم.

فى هذه الفترة أيضاً (١٩٣٦) حضرت إلى مصر لجنة موفدة من «عصبة الأمم» للتحرى عن رأى الشعب المصرى بشأن مشاريع تقسيم فلسطين التى كانت قد بدأت تطرح على الساحة العالمية، وتوجهت مع ريمون دويك باسم أنصار السلام إلى مقر تلك اللجنة بفندق شبرد القديم قبل حرقه (شارع ابراهيم باشا سابقاً وشارع الجمهورية حالياً) وأدلينا برأينا الذى يتلخص فى التمسك بحق شعب فلسطين فى وطنه كاملا ورفض أي مشروع للتقسيم .

لابد أن أذكر هنا أن من بين الكتب الرئيسية التى تولينا دراستها بشكل جماعي كتاب «نهاية اليهودية» La fin du Yudaisme تأليف «اتو هللر Otto Heller وهو كاتب ماركسى المانى.

يقف هذا الكتاب بشكل صريح وواضح مستنداً إلى الوثائق والمسببات التاريخية موقفاً معادياً للصهيونية كاشفاً حقيقتها ونافياً حق اليهود فى قيام وطن قومى خاص بهم، لقد أثر هذا الكتاب تأثيراً كبيراً للغاية فى وجداننا جميعا، وكانت الفائدة كبيرة جداً حتى أن أحمد صادق سعد حين وضع كتابه عن فلسطين بعد ذلك استند فى مواضع كثيرة وفى أطروحات كثيرة إلى ماتضمنه هذا الكتاب من معلومات وحجج.

تلك كلها عوامل كان لها الأثر الفعال فى تبنى «طليعة العمال» بعد ذلك قضية الشعب الفلسطينى وحقه فى وطنه وفى تقرير مصيره.

كان لأنصار السلام موقف معاد ثابت وأصيل ضد الفاشية والنازية وأصدرت العديد من المطبوعات باللغات العربية والفرنسية والانجليزية في هذا الشأن وخاصة تلك المنشورات التى تدعو إلى مقاطعة السلع والمنتجات الألمانية.

كما ناصرت جمعية أنصار السلام بالقاهرة ومثيلاتها بالاسكندرية وبورسعيد الثورة الاسبانية وحكومتها فى الحرب الضروس التى شنتها ضد الفاشين الاسبان وأصدرت المنشورات والبيانات. وللذكرى والتاريخ نقول إن اثنين من أعضائها احدهما يونانى لا أذكر اسمه وكان فنانا والآخر واسمه مصطفى التحقا بقوات الثورة الاسبانية للنضال فى صفوفها. اهتمت جمعية انصار السلام بجمع التبرعات من نقود وملابس وأدوية لمساعدة هؤلاء الثوار وأقامت حفلا تضامنياً معهم بسينما ميامي بالقاهرة حيث امتلأت القاعة إلى آخرها لتشاهد فيلم عن تلك الثورة واسمه «حصار بارشلونه» Blockhead وكان البطل هنرى فوندا. واستمعت إلى خطاب تأييد ومساندة ألقاه بول جاكو عن جمعية أنصار السلام وجمعت هنا أيضا التبرعات. وأذكر أيضاً بمناسبة الحديث عن الثورة الاسبانية ومساندة أنصار السلام لها أنه قد التقى فريق منا بالمناضلة الاسبانية الشيوعية العظيمة «لاباسيونارا LA Passionrra بالسفارة الاسبانية بالقاهرة، كما كان لكاتب هذه السطور وبعض زملائه من المحامين علاقات سياسية وطيبة للغاية بالقاضى المختلط فريتاس Freitas وكان أسبانيًا وعندما انقضت جحافل الفاشين على الثورة وحكومتها أعلن فى جلسة علنية فى المحكمة «إن الجمهورية قد سقطت وأخذ يبكى بدموع حارة».

ومن الأعمال القيمة التى قامت بها جمعية أنصار السلام المقابلة التى أجراها بول جاكو ممثلاً لتلك الجمعية بين كل من نهرو الزعيم الهندى المعروف وبين مصطفى النحاس باشا زعيم الوفد، وقد تمت تلك المقابلة فى مطعم الكورسال بشارع الالفى عام ١٩٣٧ وانطلقت منذ ذلك اليوم صداقة حميمة بين الزعيمين لصالح البلدين ولصالح السلام العالمى.

وللعلم كان من أكثر الناس نشاطًا فى جمعية أنصار السلام بالاسكندرية كل من سيلين حاسين وألن وتلتون Allgn Whittelton ولطفى عزوز واقبال حاسين وأليس جمبارازى Alice Gambarazi وأنا ستوليار Anna Stolirr وغيرهم الكثيرون.

هذه هى بشكل عام جماعات انصار السلام فى مصر بما لها من أهداف وما تقوم به من

نشاط وأعمال، غير أنه عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ وأصبح من غير المفهوم الدعوة للسلام والحرب تدور سجالاً رأى القائمون على تلك الجمعية تحويل نشاطها وخبرتها واتصالاتها وأعضائها إلى ميدان الثقافة والدراسة فتكونت «جماعة الدراسات» واتخذت لنفسها مقرا فى ذات مقر جمعية أنصار السلام والذى كانت قد انتقلت إليه بشارع المغربى (عدلى حاليا) بجوار مكتب التليفونات والتلغرافات. نشطت «جمعية الدراسات» نشاطا كبيراً بين المثقفين وبدأت علاقات مكثفة بالمثقفين المصريين من الشباب وألقيت العديد من المحاضرات القيمة فى دارها التى تتناول العديد من المشاكل، وأذكر بهذه المناسبة أننى ألقيت فيها محاضرة عن «تدفق رؤوس الاموال الاجنبية إلى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر» استقيت عناصرها واستنتاجاتها من كتب المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى ومن كتاب «خراب مصر» تأليف روزشتاين، واستندت إلى كتاب ليونتيف Leontiev فى الاقتصاد السياسى، وجدير بالملاحظة أن هذه المحاضرة استرعت نظر المستمعين اليها من أعضاء «جماعة الدراسات» وخاصة الرفاق منهم الذين كنت بدأت العمل معهم فى مجال الدراسة الماركسية والنشاط فى الميدان العام فزادت ثقتهم فىّ، وتأكدت لهم نهائيا انتماءاتى الفكرية والتنظيمية.

ومع اندلاع الحرب ووجود جحافل الجيوش الانجليزية فى مصر لصد الغزو النازى من ليبيا رأينا أنه يتوجب علينا توضيح أوضاع مصر الحقيقية لهؤلاء الجنود فتم تكليف أحد اعضاء «جماعة الدراسات» وهو هارى وايمنت Harry Wayment انجليزى الجنسية وكتب بمعاونة بعض الرفاق وخاصة بول جاكو كتابا باللغة الانجليزية بعنوان «مصر الآن» Egypt Now وتم توزيع هذا الكتاب توزيعا واسعا، وكان له تأثير بالغ الأهمية.

طول هذه الفترة ابتداءً من عام ١٩٣٥ كانت هناك فى البداية مجموعة صغيرة لدراسة الماركسية والاطلاع على الكتب الخاصة بها وكانت تتكون من كل من بول جاكو، ريمون دويك، نكتور دويك، وكاتب هذه السطور، انضم اليها فيما بعد فى بداية الحرب العالمية الثانية كل كونستانتين فيرجوبولو Constantin Vergopoulo وهو المحامى المختلط الذى أشرنا اليه قبلا وصادق سعد الذى كان قد وصل من الاسكندرية على التو. كانت دراساتنا تنصب كما قلت على مختلف الكتب الماركسية (رأس المال، ما العمل، القضية الوطنية، أسس اللينينية،

نهاية اليهودية، المادية التاريخية، الدولة والثورة، ضد ديورنج، أصل العائلة وكذلك كتب جارودى Garaudy وليففر Lhefivre إضافة إلى الكتب التى تعالج الاوضاع فى بلادنا (كتب الرافعى أساسا، والكتب التى تتناول مشكلة الفلاحين مثل كتاب الأب عيروتى ويوسف نحاس..)

لم يكن لنا فى ذلك الوقت اتصال بالطبقة العاملة أو بالجماهير الشعبية، إلا أننى أذكر أننى كلفت من بول جاكو فى أحد الأيام بإعداد منشور باللغة العربية عن الاحتلال واستقلال مصر لتسليمه للرفاق اليونانيين لتوزيعه بمعرفتهم وكانت لهم علاقات فى هذا المجال، وقمت بنفسى بتسليم هذا المنشور إلى أحد الرفاق اليونانيين، وكان يعمل فى شباك سباق الخيل بوسط المدينة.

كنا نطلع بانتظام على كافة الجرائد والمجلات التى كانت تصدر وقتذاك باللغة العربية، وكنا ننكب من فترة إلى أخرى على وضع التقارير السياسية استناداً إلى تلك القراءات وهو ما اعتدنا عليه منذ الأيام الاولى لوجودنا. كنا شديدى الاهتمام بالوفد باعتباره الحزب الشعبى الوحيد فى مصر وحضرنا العديد من فعالياته العامة من مؤتمرات وندوات ومهرجانات شعبية. واسترعى نظرنا المؤتمر الذى عقده الوفد لأول مرة عام ١٩٣٥ حيث تناول بالمناقشة كافة قضايا الوطن فى السياسة الداخلية والخارجية، وحصلنا على كل هذه الوثائق وتدارسناها واستخرجنا منها ما يفيدنا.

فى هذه الفترة أيضًا كان صموئيل هور Samuel Hoare وزير الخارجية البريطانية قد أصدر تصريحا (١٩٣٦) ينفى حق مصر فى الاستقلال فأيدت المجموعة قيامى مع صديقى حامد سلطان ومعه خيرت سعيد وهو أيضًا أستاذ فى القانون الدولى بجمع توقيعات من المحامين احتجاجًا على هذا التصريح.

وفى عام ١٩٣٦ كلفتنى المجموعة بإجراء دراسة تاريخية أولية عن تطور أحداث الحركة العمالية والنقابية فى مصر فتوجهت إلى دار الكتب (الكتبخانة) بباب الخلق واطلعت على كافة الجرائد التى صدرت فى الفترة من ١٩١٩ حتى ١٩٣٦ وخاصة جريدة الاهرام وحصلت بذلك على العديد من المعلومات والبيانات والاسماء عن الحركة الاضرابية والنقابية.

فى سنوات ٣٦-١٩٣٧ بدأت المجموعة تتشكل أكثر فأكثر، واستقر الرأى عندما قامت

الحرب العالمية عام ١٩٣٩ على وجوب أن يكون العمل المستقل مستقلاً تماما عن مجموعة شيوعية فى مصر مكونة من العاملين فى هذا الحقل خاصة من الاجانب فكان فيها اليونانيون أساسا والقبرصيون والانجليز والسويسريون والايطاليون واليوغوسلافيون وأنصاف الاجانب ومعهم بعض المصريين وأيضاً نحن الثلاثة ريمون دويك وصادق سعد وكاتب هذه السطور.

تعود هذه المجموعة الشيوعية الكبيرة تاريخياً إلى عناصر من الحزب الشيوعى المصرى الأول واستمرت تعمل طيلة فترة الثلاثينيات والاربعينيات فى أشد صنوف السرية. كان فى هذه المجموعة كل من بول جاكو Paul Jacot السويسرى الجنسية والمهندس الكهربائى وكان والده يعمل مهندسا ايضاً بوزارة الاشغال العمومية فى آواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالى بالقاهرة. كما ضمت هذه المجموعة كل أشقاء بيريرس حيث كان يعمل جورج بيريرس محاسباً فى إحدى شركات القطن بالقناطر الخيرية وآخر كان له محل للحلويات بدرب البرابرة فى وسط القاهرة. ضمت هذه المجموعة ايضاً كل من زينون كرامنيان[١] Zenon Caramenian أديل ميزان[٢] Ade'le Misan وجري كرامنيان Jerry Caramanian الشقيق الاصغر للسابق ولامبيس راباس LAMBIS RAPPAS ويني كرتيكوس YANNI CRITICOS[٣] وألن وتليتون ALLEN WUITTELTON[٤] ورناتو فرفرا RENATO FARFARA[٥]

(١) ارمنى الاصل . كان يعمل بمطابع ماترسيان بروض الفرج. قدم للحركة الشيوعية ولكفاح الشعب المصرى خدمات جليلة على المستوى الفكرى والعلمى وقدم لها اثنين من العناصر الجيدة احدهما عبد الحميد عوض الذى عمل بوزارة التموين وآخر عامل اسمه يونس وسافر كرامنيان إلى أرمينيا السوفيتية عام ١٩٤٨ ثم انتقل مع عائلته إلى فرنسا وتوفى هناك.

(٢) زوجة السابق، من عائلة شرقية متفرنسة. قدمت العديد من الخدمات وساهمت بدراساتها وافكارها وقدمت تقريرا هاما للغاية عن القضية الزراعية فى مصر.

(٣) شارك فى الحرب مع الجيوش اليونانية الحرة واستقر فى اليونان حيث يعمل أستاذ فلسفة .

(٤) انجليزى الجنسية كان مقيماً بالاسكندرية وعمل فيها مدرساً للغة الانجليزية بالمدارس الحكومية سافر إلى انجلترا عام ١٩٤٦ واستمر فى نشاطه فى الحزب الشيوعى الانجليزى.

(٥) ايطالى الجنسية كان يقيم بالاسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة حيث كان يعمل أحد مدراء شركة البوتاغاز. انضم للحركة الشيوعية منذ شبابه الأول وعمل فى الاوساط العمالية وتعلم اللغة العربية وكان عضوا بعد ذلك فى «طليعة العمال» حتى عودته إلى ايطاليا بعد عام ١٩٥١ . قام بأعمال هامة للغاية فى مجال المساعدات الفنية محتفظاً عنده بأرشيف كامل فى الفيلا التى استأجرها بالمعادي وكان يقوم بأعمال الطباعة وتسليم المطبوعات للموزع المركزى. ساعد العديد من الرفاق الذين افتقدوا وظائفهم على إيجاد عمل لهم لتأمينهم ضد الضربات البوليسية منهم محمد مدبولى، عبد العزيز عطية، ابراهيم علي، ابراهيم مرسى وغيرهم.

وسترلتي زربيني STRATTI ZERLINI[٦] وأنا كاينكو ANNA KAYENKO[٧] وسوقراط SOCRATE وميللي وفينا فورتي DINA FORTE[٨] وكستانتان فرجوبولو CONSTAMTIN VERGOFOULA[٩] وأليس جمبارازي -OLICE GAMBARA-ZI[١٠] ونيقولا باندليدس وستافرو باندليس وينى حاجيا نديريا -YANNI HADJIAM-DRIA[١١] وجاكو طوبي JAEST TUIIE[١٢] وسلين حاسين[١٣] ودورا ستوليار DORA

(٦) يوناني الجنسية من عائلة زربيني المشهورة والتي كانت تمتلك قبل التأميمات شركة الاقطان والزيوت بكفر الزيات، كان مهندساً كهربائيا وعلى الرغم من ثروته الكبيرة ودخله الكبير من أرباح شركة كفر الزيات فقد كان يعيش على أساس مجرد مرتب مهندس كهربائي متبرعًا بباقي دخله للحركة الشيوعية. تم استبعاده من مصر عام ١٩٤١ بعد أن وشى به أحمد المصرى الذى كان يعمل لحساب البوليس المصرى وعباس حليم. استقر فى فرنسا ومات بها، ومما يذكر أنه قد اوصى بنصف تركته إلى الحزب الشيوعي اليوناني والا فللحزب الشيوعى السوفيتي غير أن محكمة السين بفرنسا الغت الوصية.

(٧) زوجة السابق. من أصل روسى ومن عائلة شيوعية مقيمة فى مصر منذ فترة طويلة. كانت مدرسة صادق سعد.

(٨) ايطالية الجنسية. كانت مقيمة بالاسكندرية. عادت إلى بلادها قبل ١٩٤٦ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة لتكافح فى صفوف الحزب الشيوعى الايطالى. كانت لها اتصالات عامة ومنتظمة بحركات التحرر الافريقية خاصة انجولا والموزمبيق حيث عملت مؤخراً لمدة طويلة فى هذا البلد الاخير.

(٩) يوناني الجنسية. كان محامياً أمام المحاكم المختلطة. كان والده من أثرياء تجار القطن بالوجه القبلي. بعد رحيله من مصر غداة الحرب العالمية الثانية أقام فى سويسرا ولايزال فيها. ألف هناك كتاباً بعنوان «الرأسمالية المشوهة والقضية الزراعية» الجديدة – قبل اليونان» عام ١٩٦٣.

(١٠) يوغوسلافية الجنسية من سكان الاسكندرية استمرت تنشط وتقدم المساعدات حتى عادت إلى بلادها عام ١٩٥٤ وعملت هناك في صفوف عصبة الشيوعيين اليوغوسلاف.

(١١) يونانى الجنسية. من أقطاب المنظمة الشيوعية المتعددة الجنسيات. نشيط وذو قدرات كبيرة فى التنظيم. ترك مصر بعد عام ١٩٤٩ وعاش فى فرنسا وتوفى بها. صدر عنه كتاب عن أحداث مصر وأوضاعها بعنوان «مدن فى مهب الريح» عام ١٩٦٣.

Cites a'la dirive متخذا له اسم ستراتي تسيركسى Stratti Tsirkas .

(١٢) انجليزي الجنسية. ذو ثقافة عالية فى الادب الانجليزي والفرنسى من اهالى الاسكندرية من عائلة شديدة الثراء فقد كان والده يمتلك بنكا. اقتنع بالدعوة الشيوعية وترك كل شئ لينشط فى صفوف تلك الحركة. استمر يعمل فى إطار «طليعة العمال» فيما اطلق عليه عبارة «المسر». لم يترك مصرالا بعد عام ١٩٥٢ وأقام فى فرنسا وتوفى فيها.

STOLIAR وتيودوس بيريدس وزوجته السكندرا[١٤] ALEYANDRA وبول جاكو[١٥].

كان الهدف الرئيسى لهذه المجموعة الشيوعية المتعددة الجنسيات فى مصر النشاط فى مختلف الأوساط لنشر الدعوة الشيوعية وتمكين أعضائها من النشاط المنظم وفقا للتعاليم الماركسية فى إطار جنسية وبلد كل منهم. وكانت نظرتها للوضع فى مصر واضحة تماما حيث كانت تدعو باستمرار للعمل على إخراج الانجليز من البلاد وإلغاء الامتيازات الاجنبية توصلا لمجتمع ديمقراطى.

لقد أكد لى بول جاكو أكثر من مرة وجود هذا التنظيم المتعدد الجنسيات فى مصر، وحين استقلت المجموعة المصرية عن هذا التنظيم وصارت تعمل بمفردها وبإمكانياتها وبقياداتها الخاصة سلمنى بول جاكو عام ١٩٤١ وثائق هذه المجموعة الشيوعية الكبيرة مما يخص مصر، وكانت عبارة عن ١٣ وثيقة بعضها باللغة العربية والاخرى بالفرنسية منها بالتحديد وثيقة باللغة الفرنسية عن حركة الإضرابات العمالية فى مصر من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٤ مما يؤكد على وجود هذا التنظيم فى تلك الفترة وأنه هو التنظيم الذى نشأنا فى أحضانه بعد ذلك بصورة فى

---

(١٣) مصرية الجنسية تزوجت بألن وتلتون Ollin whitheelton وسافرت إلي انجلترا حيث يقيم فيها وانضمت فور حضورها انجلترا مباشرة بالحزب الشيوعى الانجليزى حيث نشطت فى لجنة الشرق الاوسط درست التاريخ المصرى خاصة فترة على بك الكبير فى القرن الثامن عشر. ساعدت فى انجلترا كافة الحركات الشيوعية العربية خاصة مصر والعراق.

(١٤) قبرصى الجنسية. كان من أقطاب المنظمة الشيوعية المتعددة الجنسيات. كان يعمل موظفا بالمحاكم المختلطة نشط نشاطا كبيراً فى الجالية اليونانية وعمل على تكوين «جمعية خريجى مدرسة أبت» اليونانية ورابطة مستخدمى المحلات العمومية اليونانيين بالقاهرة، «مؤلف وشاعر : مرض مرضا عويصًا وتوفى فى مستشفيات رومانيا وكان كاتب هذه السطور قد قابله فيها عام ١٩٦٧.

(١٥) سويسرى الجنسية . مهندس كهربائى درس الموسيقى فى برلين (المانيا). كان والده يعمل مهندسًا بمصلحة الاشغال العمومية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ترك الاسكندرية وأقام بالقاهرة حيث تولى قيادة «جمعية انصار السلام» و«جماعة الدراسات ونشط نشاطا ملموسًا فى تنظيم صفوف الشيوعيين خاصة بين المصريين منع من دخول مصر عام ١٩٤٦ بعد أن تم تفتيش منزله بشارع الوالدة بجاردن سيتى تفتيشًا دقيقًا. أقام فى فرنسا ونشط فى الحزب الشيوعى الفرنسى، استمر يقدم الخدمات الجليلة للحركة الشيوعية فى مصر ممثلة فى «طليعة العمال» له كتاب باللغة الفرنسية لم يصدر بعد عن تاريخ مصر فى القرن التاسع عشرة. توفى فى باريس عام ١٩٨٥.

غاية السرية والامان، كما أكد لى آنذاك أنه كان لنا رفاق يونانيون كانوا يعملون فى شبابهم فى صفوف الحزب الشيوعى المصرى الأول.

فى هذه الفترة لم تكن لنا أية علاقة بالعمال وانصب اهتمامنا كما قلت علي دراسة أحوالهم ومشاكلهم وتحركات نقاباتهم كما انصب أيضا على دراسة أحوال الفلاحين باعتبار مصر بلداً زراعيًا وباعتبار الفلاحين حلفاء للطبقة العاملة. وتوطئة لهذا الاتصال ولمزيد من معرفة حقيقة الأوضاع فى مصر كوننا آنذاك «جمعية نشر الثقافة الشعبية» والتى أسست فى فترة الحرب العالمية الثانية مدرسة بالسبتية فى القاهرة لمحو الأمية وتعليم اللغة العربية والحساب والتاريخ، وكان يتردد على هذا المركز عديد من عمال السكك الحديدية المقيمين فى هذا الحى، وقام بالتدريس كل من ريمون دويك ومحمد إسماعيل (الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لهيئة الاذاعة) وعبد الحميد عوض وكاتب هذه السطور. كما أنشأنا مدرسة أخري على نفس النمط فى بولاق أمام حوش فايد بشارع جلال رقم ٧ بالعمارة البلجيكية فى غرفتين مستقلتين بشقة يوسف درويش الذى كان يعمل فى هذا المركز ومعه محمد اسماعيل وريمون دويك. وفي ميت عقبة (الجيزة) والتى كانت وقتذاك قرية فلاحية أقمنا مركزاً لمحو الامية كان يؤمه أكثر من ٤٠ فلاحا وتولى كاتب هذه السطور إدارة هذا المركز وأخذ يدرس اللغة العربية والحساب، وألقى محاضرة مبسطة على نمط كتاب «الدولة والثورة». وفى ذات الوقت أقامت تلك الجمعية مركزاً فى طنطا وفى أبو مسير الملق.

وخلال الحرب العالمية الثانية بدأ خطر هجوم الجيوش النازية على مصر عام ١٩٤٢ نازحة من ليبيا بقيادة روميل Rommel وكان من المنتظر أن تنتصر تلك الجيوش على الانجليز وتدخل الديار المصرية وتصل إلى القاهرة.

رأينا أن خطراً يهددنا لانتمائنا الشيوعى (كان الاتحاد السوفيتى قد دخل الحرب عام ١٩٤١) فقررنا نحن الثلاثة، ريمون دويك وصادق سعد ويوسف درويش أن لا نغادر إطلاقا البلاد وأن نبقى فى مصر على أساس أن يقيم ريمون دويك بالصعيد وصادق سعد فى الاسكندرية ويوسف درويش فى القاهرة لنبدأ بتنظيم الصفوف من أجل المقاومة الشعبية. وبدأنا بالفعل بتنفيذ هذا القرار على أن الأحوال تغيرت بفشل جيوش المحور من غزو الاراضى المصرية إثر هزيمة العلمين.

أوضحت قبلا أنه كان هناك مجموعة شيوعية متعددة الجنسيات يديرها أساسا تيودوس بيريدس Theodossi Pilrides وبول جاكو Paul Jacot. كان لابد أن تكون تلك المجموعة شديدة المركزية نظراً لتنوع الجنسيات فيها وللاوضاع المعادية للديمقراطية وللشيوعية فى البلاد، وهذا يجعلنا نجهل كثيرا من التفاصيل عنها. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية وتحددت المعسكرات ودخلت فى الحرب البلاد التى ينتمى إليها أفراد هذه المجموعة بدأ رفاق كل جنسية من تلك الجنسيات وأساسا اليونانيون (والقبرصيون) وأيضا الايطاليون يكونون لهم مجموعات مستقلة وإن بقت علاقات تنسيق بين الجميع. هكذا كان الشأن بالنسبة لنا نحن الثلاثة فقد عقد بول جاكو اجتماعا معنا عام ١٩٤١ وأذكر أنه قال لنا «لقد حان الوقت لتقوموا بنفسكم دون إشراف من أحد بالنشاط فى واقع بلدكم، وإننى سوف أكون تحت تصرفكم فى أى مهمة ترونها وتقديم النصيحة لكم إذا طلبتم ذلك».

بدأنا نعمل مستقلين تماما ولكن فى علاقة تنسيق مع المجموعة الشيوعية المتعددة الجنسيات عبر كل من بول جاكو والذى استمر يهتم بنا اهتماما بالغا وتيودوس بيريدس Thedoci Pirrides وغيرهما. أذكر أنه فى هذه الفترة ذهب بول جاكو إلى سوريا والتقى بخالد بكداش سكرتير عام الحزب الشيوعى السورى وكان يعد آنذاك قائد الحركة الشيوعية فى البلاد العربية، وعرض عليه الاوضاع العامة فى البلاد وأوضاع مجموعتنا المصرية الصغيرة. وأبلغنا بول جاكو بعد عودته بحديثه المطول مع خالد بكداش الذى قال له :

«إذا كان عندكم عشرة رفاق قابضين على الماركسية وواضحة أمامهم أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية فعليهم أن يكونوا حزبًا شيوعيًا».

كما قلت قبلا أنشأنا «جمعية نشر الثقافة الشعبية» ومراكز محو الأمية فى كل من السبتية وبولاق وميت عقبة وطنطا وأبو مسير الملق. وأذكر بهذه المناسبة أننا أجرينا نحن الثلاثة مقابلة عام ١٩٤٤ مع الدكتور طه حسين. وكان آنذاك سكرتيراً فنيا لوزارة المعارف فى حكومة الوفد وقدمنا له مذكرة أوضحنا فيها أهمية محو الأمية فى مصر وقد اهتم اهتماما كبيراً بهذا الطرح. ويبدو أن هذا من بين التأثير الذى جعل طه حسين يهتم عن طريق وزارة المعارف بالعمل على محو الامية فى البلاد.

أقمنا خلال تلك الفترة (١٩٤٥) بالتعاون مع أعضاء من منظمة «حركة تحرير الشعب»

(حتش) «لجنة نشر الثقافة الحديثة» التى اتخذت مقراً لها بشارع قصر العينى أمام القصر العينى القديم فى شقة سعيد خيال. لقد اصدرت تلك اللجنة بعض أعداد من مجلة «الأسبوع» التى استأجر كاتب هذه السطور رخصتها. ومن أهداف هذه الجمعية الارتباط وتبادل الافكار وتنظيم الندوات وإلقاء المحاضرات. كان من أعضائها بالاضافة إلى كاتب هذه السطور كل من طارق سعد، ريمون دويك الذى انسحب بعد ذلك ليهتم بالطلبة الوفديين (كما انسحب أيضًا يوسف درويش ليهتم بالحركة العمالية)، سعيد خيال، محمد اسماعيل، نعمان عاشور، ابراهيم حلمى عبد الرحمن، عبد المعين المويلحى، أحمد رشدى صالح، ابراهيم سعد الدين، أسعد حليم وغيرهم.

عندما اجتمعنا مع بول جاكو عام ١٩٤١ لنستقل بعملنا ونشاطنا قررنا تأسيسا على ما جاء فى كتاب «ما العمل» وجوب الاهتمام بشكل خاص بالحركة النقابية وكلف كاتب هذه السطور بالتخصص فى هذا الشأن أستناداً إلى مقولة لينين فى هذا الشأن بأنه استثناء من القاعدة العامة يمكن تعيين واحد يأخذ على عاتقه مسئولية الحركة النقابية. كنت بالفعل مهيئا ذهنيًا وفكريا ودراسة لهذه المهمة منذ ١٩٣٦ وأخذت أستكمل المعلومات وأعد البيانات بأسماء النقابات وأسماء قادتها وأعضاء مجالس إدارتها، وتحديد مطالب كل منها مستعينا فى ذلك بكل ما يكتب فى هذه الامور فى الجرائد اليومية والمجلات العالمية ومنها مجلة «شبرا» ومجلة «الجيل الجديد» التى كانت تصدر بالاسكندرية.

ولما جاءت لحظة الالتقاء بالعناصر العمالية كان كاتب هذه السطور معداً إعداداً كافيا لالتقاط الفرصة الأولى التى تهيأت له عام ١٩٤١ حين التقى بـ «محمود العسكرى» الذى كان قد قرأ اسمه مرارا وتكراراً) وبالنقابة العامة لعمال نسيج شبرا الخيمة التى كان سكرتيرها العام. أما كسب ثقة العمال بعد ذلك فهو شئ ليس بالهين فهم يعتقدون فى أول وهلة أن من يعمل على الإقتراب منهم أما أنه يبغى استغلالهم (وهم المستغلون من أرباب الاعمال) أو أنه يريد الترويج لأفكار بعيدة عنهم وهم الذين عانوا كثيراً من تدخل الفئات البرجوازية فى شئونهم. كان همى الأول إذن هو كسب ثقتهم. فأخذت أساعد النقابة على إقامة مدرسة فى دارها لمحو الامية بين العمال ولتعليمهم المبادئ الأولى فى اللغة الفرنسية، وكانوا يرغبون فى تعلمها لفهم ما يدور من حديث بين أصحاب المصانع التى كانوا يعملون بها والذين كانوا

يتحدثون اللغة الفرنسية. ثم لما توطدت الثقة واستقرت العلاقات اختارتنى النقابة لأتولى قضايا اعضائها أمام المحاكم خاصة وأن محاميها السابق كان قد أهمل فى عمله ولأن معظم قضايا عمال النسيج آنذاك كانت تعرض على المحاكم المختلطة لجنسية أرباب الاعمال.

توثقت عن طريقى علاقة المجموعة الثلاثية الماركسية بتلك النقابة وبزعمائها، وبلغ عدد النقابات التى كنت محاميا عنها (حتى عام ١٩٤٨) ما يقرب من خمسين نقابة أذكر منها بالاضافة إلى النقابة العامة لعمال النسيج والتريكو بالقاهرة وضواحيها، نقابة عمال البواخر البحرية، نقابة عمال شركة النيل للنقل النهرى، نقابة عمال الكراكات، نقابة عمال المحلات العمومية بالقاهرة وضواحيها، نقابة عمال الفنادق والاندية بالقاهرة، نقابة عمال المساحة بشارع رشدى بالقاهرة، رابطة المستخدمين اليونانيين بالمحلات العمومية، نقابة عمال الأحذية، نقابة عمال المطابع، نقابة الحلاقين، نقابة عمال السويس بالاسماعيلية.

في هذه الفترة توطدت علاقتى ومن ثم علاقة المجموعة الثلاثية بكل من محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك، وانتهزت المجموعة الثلاثية مرور المحامى الانجليزى الكبير بريت Pritt بالاسكندرية فى طريقه إلى كينيا لتولى الدفاع عن جومو كنياتا Gomo Kenyata وكان هذا المحامى عضواً بحزب العمال الانجليزى ومقربا للشيوعيين فأعدت مذكرة بالتعاون بين كاتب هذه السطور ومحمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك، مذكرة مستفيضة عن حقيقة حزب العمال بقيادة عباس حليم الذى كانت له ارتباطات بحزب العمال الانجليزى ومبينة الاتجاهات الفاشية فيه، وقدمت هذه المذكرة عن طريقى إلى هذا المحامى مما أسفر عنه وقف علاقات حزب العمال الإنجليزى بعباس حليم وكان ذلك عام ١٩٤٢ بالاسكندرية. بدأت علاقاتنا تقوى أكثر فأكثر بالاضافة الي محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك بكل من طه سعد عثمان ومحمود قطب (نقابة النسيج) ومحمد حمزة وياسين مصطفى (نقابة الاحذية). ومحمد رفعت (نقابة المحلات العمومية) وكونا أول مجموعة للقراءة والاطلاع والدراسة الماركسية بالإضافة إلى بحث أوضاع الحركة النقابية والعمالية، كما تكونت بعد ذلك عدة مجموعات من هذا النوع. عندئذ فقط كشفت لهم عن حقيقة انتمائى واعتناقى الفكر الشيوعى، وتكونت مجموعات من المرشحين دون الكشف لهم عن هذه الصفة أو عن واقع التنظيم تحت التكوين مكتفيا بقراءة الكتب الماركسية ومناقشة الأوضاع الإجتماعية والعمالية التى تهمهم والاتفاق معهم على

كيفية العمل وأسلوبه وتحديد مختلف الشعارات المحركة لهذا العمل. وللعلم لم يكن هؤلاء الرفاق ماركسيين فى أول الامر فقد كان كل من محمود العسكرى وطه سعد عثمان ومحمود قطب من قادة عمال النسيج وتربطهم، بصورة أو بأخرى علاقة بالاخوان المسلمين. أما محمد يوسف المدرك فقد كان يؤيد الوفد سياسيا بشكل عام وكانت له مواقف طبقية واضحة فى قضية العمال ونقاباتهم ولعل ذلك راجع إلى ما كان له من علاقات ببعض قدامى الشيوعيين من الحزب الشيوعى الاول من أمثال حسين السروجى.

بعد أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وقيام وزارة الوفد برئاسة النحاس باشا أجريت انتخابات برلمانية، وتقدم للترشيح عن دائرة شبرا الخيمة فضالى عبد المجيد عبد الجواد رئيس النقابة العامة لعمال النسيج بشبرا الخيمة والذى كان قد أبى الانضمام إلى نقابة رؤساء النسيج وهو منهم وفضل الالتحاق بنقابة العمال، كما تقدم بالاسكندرية مصطفى محمود عامل النقل، وهى المرة الأولى فى تاريخ الحياة النيابية المصرية التى«جرؤ» العمال على ترشيح أنفسهم. لم يكن فضالى شيوعيا ولا ماركسيا بل كانت كل انتماءاته لا تتعدى قضايا العمال بشكل عام وقضية عمال النسيج بشكل خاص مع تمسكه بالكفاح من أجل استقلال مصر وإجلاء الانجليز عن ديارنا. اهتمت المجموعة الثلاثية اهتماما كبيرا بتلك الانتخابات وأبدت ترشيح هذين العاملين النقابيين ومساندتهم وخاصة فضالى عبد المجيد عبد الجواد وقد قمت مع محمود العسكرى وطه سعد عثمان بإعداد البرنامج الانتخابى وتحديد وسائل العمل ومنها تكوين اللجان الإنتخابية للدعوة لهذا المرشح. لقد انحصرت المساعدات التي قدمتها المجموعة الثلاثية على المشاركة فى إعداد البرنامج الانتخابى وعلى النصائح لدفع العملية الانتخابية إلى الأمام، فلقد تحمل عمال شبرا الخيمة بما جمعوه بينهم من قروش كافة الاعباء المالية ولم تدفع خزينة المجموعة الثلاثية مليما واحداً.

فى هذه الفترة كانت الأوضاع المعيشية وظروف العمل ومستويات الأجور متدنية للغاية حتى أن الحكومة الوفدية اضطرت أن تصدر العديد من الأوامر العسكرية لمنح علاوات معيشية للاجراء. تدارست المجموعة الثلاثية بالاشتراك مع العمال الملتفين حولها هذا الوضع وحصلت على أسماء وعناوين كافة النقابات العمالية المنتشرة فى أرجاء البلاد وكان عددها ٢٩٧ نقابة منها الكبير والصغير والهام والأقل أهمية فأعددنا منشوراً إيثارياً وتنظيمياً دعونا فيه العمال

ونقاباتهم للدفاع عن أجور والمطالبة بزيادتها. تحت شعار «كونوا لجان الاضراب كونوا صناديق الاضراب» وتم توزيع هذا المنشور على كافة تلك النقابات عن طريق البريد مع التحوط من مصادرة الخطابات من الرقابة إذ أرسلنا تلك المنشورات فى مظاريف تحمل عناوين محلات تجارية ونشاطات مختلفة وهمية. علمنا بعد ذلك بشهر أنه قد تم بالفعل استجابة لهذه المنشورات تكوين ما يقرب من ٥٠ لجنة إضراب وصندوق إضراب فى مختلف أنحاء البلاد على الرغم من عدم تواجدنا عضويا فى النقابات والتكتلات العمالية المعنية، على أننى أذكر بهذه المناسبة وكنت وقتئذ المستشار القانونى لنقابة المحلات العمومية وأحضر بتلك الصفة اجتماعات مجلس ادارتها أن قرأ سكرتير الجلسة من بين البريد الوارد هذا المنشور ومن ثمة اطلع عليه جميع الحاضرين وسرعان ما انتشر فى أوساط أوسع. إن تكوين لجان الاضراب وصناديق الاضراب بهذا القدر وبهذه السرعة إن دل على شئ فهو يدل على أهمية تحديد الشعار وأسلوب إنزاله للناس حتى وإن كانت العلاقة العضوية تكاد تكون منعدمة، غير أن تحديد الشعار السليم يتطلب الدراسة المتأنية ومعرفة الواقع الملموس وهو الامر الذى لا يمكن بلوغه سوى بالاتصال بالجماهير المعنية. لقد كان هذا المنشور محل موافقة تامة من المجموعة الثلاثية كما أقرت أن يذيل باسم «طليعة العمال» وهو الذى اخترناه مع رفاقنا العمال. لقد استمر هذا الاسم ملصقا بنا حتى يومنا هذا على الرغم من اختيارنا اسم «الطليعة الشعبية للتحرر» عام ١٩٤٦ عند التأسيس ثم اسم «الديمقراطية الشعبية» عام ١٩٤٨ وأخيرا اسم «حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» فى مؤتمر عام ١٩٥٧. ولابد أن نذكر فى هذا الشأن أن الاسم الذي أطلق علينا فى أوساط المثقفين هو «جماعة الفجر الجديد» نسبة إلى المجلة التى أصدرناها عام ١٩٤٤، كما أطلق محمود العسكرى وكان عضواً فى اللجنة المركزية اسم «نحن» فى معتقل ١٩٤٨ بالهايكستيب إمعانا فى السرية والامان. وهنا يتوجب الإشارة إلى الاحتياطات الدقيقة التى كنا نتخذها منذ اللحظة الأولى من نشأتنا فى إطار أوضاع البلاد غير الديمقراطية والشديدة الخطورة للغاية بحيث كان يختفى الاسم من لائحة المنظمة عام ١٩٤٧ حتى أنه عندما ألقى القبض علىّ عام ١٩٤٨ وعثرت المباحث فى دولاب الملابس على تلك اللائحة استعصى على النيابة توجيه اتهام محدد وقضى بالافراج من قاضى المعارضة.

في هذه الفترة أيضاً (١٩٤٤) كانت حكومة الوفد تعرض على البرلمان بمجلسيه مشروعاً لقانون عقد العمل الفردي، وعندما فاتتنا الفرصة أمام مجلس النواب وعرض المشروع على مجلس الشيوخ أعددت بموافقة المجموعة الثلاثية وبمعاونة رفاقنا العمال وبعد مشاورات واسعة مع الجماهير العمالية حولنا والتي أخذت في الاتساع مذكرة مستفيضة عن رأي نقابات العمال في مشروع القانون استناداً إلى الواقع الملموس ومقارنة بالتشريعات العمالية في العديد من بلاد العالم. لقد وقع على تلك المذكرة التي أرسلت رسميا إلي مجلس الشيوخ أكثر من ٤٠ نقابة وأخذ هذا المجلس ببعض ما جاء بها.

كنا جميعاً (المجموعة الماركسية الثلاثية ورفاقنا الجدد من العمال أساسا ومن المثقفين ومن حولهم من المتعاطفين) نهتم بالأحداث التي تمر البلاد بها. كانت صورة الوفد بدأت في الاهتزاز نظراً لمساوماته مع السراي. وبمناسبة إنتخابات ١٩٤٤ قرر حزب الفلاح (وكان حزبا ناشئا) خوض المعركة الانتخابية فأجرينا أكثر من مقابلة مع رئيسه الاستاذ قطب المحامي في مكتبه وكان مقرا للحزب بميدان العتبة الخضراء، حتى نتعرف على برنامج هذا الحزب وكان هذا المقر هو الذي كان قد آوى محمد يوسف المدرك وزملاءه المضربين عن الطعام وكانوا يطالبون منذ عام ١٩٣٩ بقانون الاعتراف بالنقابات وفي عام ١٩٤٤ عندما انتقل الاستاذ قطب بمكتبه وحزبه إلى عمارة «الأثيون» بجوار المحكمة المختلطة (محكمة القضاء العالي حاليا) بشارع ٢٦ يوليو توجهنا (ريمون دويك، محمد اسماعيل، يوسف درويش) إليه لاستطلاع الأخبار ومعرفة نوايا هذا الحزب بشأن خوض المعركة الانتخابية بأعضائه وعناصره. وعلى الرغم من المظاهر الفاشية التي أراد المحامي قطب أن يتظاهر بها حيث جئ ببعض الشباب برداء الكشافة ووقفوا لتقديم التحية والسلام فلقد قررنا أن نشاهد بأنفسنا إحدى المعارك الانتخابية لهذا الحزب لمعرفة مدى فاعليته وتأثيره. كانت مدينة طوخ هي الدائرة الانتخابية التي اختارها قطب ليرشح نفسه فيها، ذهبت مع محمد اسماعيل إلى طوخ وقضينا ليلتين بين تلك المدينة والقرى المجاورة لها وشاهدنا كيف أن حزب الفلاح ليس له أي رصيد لا في مدينة طوخ ولا في ريفها وأن الوفد لا يزال هو الحزب الذي يحرز على ثقة الجماهير وخاصة الفلاحين.

مع اقتراب نهاية الحرب وكانت الظروف المعيشية المتدنية للغاية والأجور دون المستوى المطلوب اندلعت العديد من الإضرابات العمالية في كافة أنحاء البلاد فأضرب عمال نسيج

شبرا الخيمة وعمال الكراكات وعمال شركة البواخر البحرية (الانجلوامريكان) وغيرها وغيرها فى المناطق الصناعية الكبرى. كنت أحضر هذه الإضرابات باعتبارى محاميا عن العمال والنقابات، ولم أكن معروفا لاجهزة الأمن بانتماءاتى الفكرية والتنظيمية حتى أنه عندما طلبت من وزارة الداخلية قسم الجوازات والجنسية شهادة دالة على إثبات جنسيتى المصرية علمت من قريب لى كان يعمل بوزارة الداخلية وهو ابراهيم حسنى ابن الموسيقار داوود حسنى أنه ليس لى ملف بالقلم المخصوص. كان هذا فى ذروة عملى الشيوعى ونشاطى الجماهيرى.

لايجب أن ننسى أنه بمناسبة مطالب العمال وإضراباتهم احتل قادة عمال شبرا الخيمة بقيادة محمود العسكرى بيت الامة وهو بيت سعد زغلول والذى اتخذ الوفد مقرا له، وأذكر أنه حينما طلب النحاس باشا إلى العمال الصعود إليه فى الدور والعلوى كان رد العمال أن يأتى إليهم النحاس باشا، وقد كان واستجاب إلى مطالبهم.

كان نشاطنا واسعا فى هذه الفترة فبالإضافة إلي اقتحامنا مجال الجماهير العمالية والفئات الكادحة (شبرا الخيمة، السبتية، ميت عقبة، بولاق، حلوان ، المحلة، كفر الدوار...) أصدرنا مجلة «الفجر الجديد» فى يونيو ١٩٤٤ وكان مقرها فى غرفة صغيرة أعلى منزل بشارع شريف باشا بالقاهرة. كان يتولى رئاسة تحريرها أحمد رشدى صالح ومعه كل من صادق سعد، نعمان عاشور، سعيد خيال، أبوسيف يوسف، عبد الرحمن الشرقاوى، سعد لبيب مكاوى، أمين تكلا، محمد إسماعيل، عبد المعين الميلحى، على الراعى، يوسف الشارونى، محمود امين .. وتكونت حول تلك المجلة «جمعيات قراء الفجر الجديد» وكتبت فى المجلة مقالين أحدهما بعنوان «الثورة الفرنسية والكادحون» عدد ١٥ يوليو ١٩٤٥ باسم حسن زكى والآخر بعنوان «التشريعات العمالية فى مصر» عدد أغسطس ١٩٤٥ باسم حسن زكى أيضًا، كما أصدرنا أيضًا مجلة «الضمير» فى ١٩٤٥/٩/٢٦ حتى ١٩٤٦/٦/٢٤. كان يتولى مسئوليتها أساسا محمود العسكرى بمشاركة كل من طه سعد عثمان ومحمد يوسف المدرك ومحمود قطب وشاركت فيها بكتابة العديد من المقالات باسم «محمود خير»، فى ذلك الوقت أيضا أقمنا داراً للنشر تحت اسم «دار القرن العشرين» تولى مسئوليتها ريمون دويك وكان مقرها خلف البنك المركزى ودار الاذاعة وقتئذ وأصدرت تلك الدار العديد من الكتب فى شتى الشئون المصرية والعامة، وكانت توزع داخل البلاد وخارجها خاصة فى العراق ولبنان وسوريا والاردن.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية (مارس ١٩٤٥) انطلق تفكير المجموعة الثلاثية ومعها المرشحون من العمال والمثقفون وأيضا من حولنا من المتعاطفين للقيام بعملين أساسيين وهما :

(١) المشاركة الجادة فى تكوين إتحاد نقابات مصر والعمل مع الإتحاد العمالى للنقابات تحت التكوين.

(٢) تكوين هيئة سياسية علنية.

كان حولنا فى ذلك الوقت أكثر من مائة نقابة عمالية فعملنا بالاتفاق التام مع مرشحينا العمال ومع من حولهم على تأسيس «اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال مصر» التى أخذت على عاتقها منذ اللحظة الأولى من تكوينها انتداب أحد قادة العمال لتمثيل عمال مصر فى المؤتمر العالمى للنقابات الذى انعقد فى باريس فى سبتمبر ١٩٤٥. ضمت «اللجنة التحضيرية» ١٠١ نقابة واتخذت مقراً لها فى مجمع النقابات بحارة الخازندار بميدان الخازندار بالقاهرة.

أذكر بهذه المناسبة أن كاتب هذه السطور وجه للنائب العام شكوى على يد محضر لتدخل رجال البوليس فى شئون النقابات واجتماعاتها. انتخبت «اللجنة التحضيرية» محمد يوسف المدرك مندوبًا عن عمال مصر لحضور هذا المؤتمر والمشاركة فيه. وجدير بالملاحظة أن كلاً من محمود العسكرى وسعد عثمان قد أصبحا عضوين فى المنظمة الصغيرة تحت التأسيس. كان محمد يوسف المدرك حقا قائدا سياسيا بالاضافة إلى كونه قائداً نقابيًا فقد عايش كافة الاحداث السياسية والنقابية منذ العشرينيات وتبوأ العديد من المراكز القيادية فى الحركة النقابية. كان كثير الاطلاع واسع الافق عليم بالأحداث والتطورات فكان يمثل النموذج الصادق للعامل المثقف وحائز على احترام وتقدير الجميع فكان اختياره سليما ومبشراً. ذهب محمد يوسف المدرك إلى فرنسا على الرغم من المعوقات العديدة التى تمثلت فى المناورات التى قامت بها مجموعة «حدتو» ومنهم «داقيد ناحوم» الذين حملوا السفارة الفرنسية على أن تضغط على شركة الطيران الفرنسية لعدم صرف تذكرة له بحجة عدم وجود أمكنة ليحجز عن حضور المؤتمر فى ميعاده المحدد فذهبنا كل من كاتب هذه السطور وطه سعد عثمان ومحمد مدبولى إلى بيت السفير الفرنسى الساعة السابعة صباحًا بعد إرسالنا برقية احتجاج إلى وزير الطيران الفرنسى وكان شيوعيا فأصدر السفير أمره للطائرة بقبول محمد يوسف المدرك راكبا عليها،

كانت المجموعة الثلاثية ومن حولها من أعضاء ومرشحين وعاطفين مهتمة اهتماما بالغا بهذه الرحلة تراقب الأوضاع عن كثب وتقدم المساعدات والأفكار غير أنه يتوجب هنا الاشارة إلى أن المنظمة الصغيرة تحت التكوين لم تصرف مليما واحدا من خزائنها فلقد تحملت جماهير العمال بقروشها كافة مصاريف الانتقال والاقامة. لقد وقع (٨٠ الف عامل) على تفويض المدرك. كانت «اللجنة التحضرية لنقابات عمال مصر» قد أعدت برنامجا نقابيا وقوميا من عشر نقاط أبرزها استقلال مصر ومساندة القضية الفلسطينية والحرية النقابية ورفع مستوى المعيشة. للعلم كان قد سافر أيضًا «دافيد ناحوم» كما سافر «أحمد المصري» موفداً من عباس حليم بالاتفاق مع المباحث العامة. وأحمد المصري هذا كان يقيم بالأسكندرية هو الذى سلم رفيقنا ستراتى زربينى STRATTI ZERBINI عضو المجموعة الشيوعية الكبيرة المتعددة الجنسيات إلى المباحث العامة وقضى بنفيه من مصر. إلا أن محمد يوسف المدرك أختير مندوبا أساسيا عن مصر، وانتخب عضوا فى المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى، وعندما عاد من رحلته استقبلته الجماهير العمالية استقبالا حاراً سواء فى الاسكندرية أو القاهرة، ونظمت من أجله مهرجانًا خطابيا احتشدت فيه جموع العمال، وكان ذلك فى إحدى صالات روض الفرج على ضفاف النيل. استمر المدرك مندوبا عن مصر وحضر مؤتمر إتحاد النقابات العالمى الذى عقد فى براغ (تشيكوسلوفاكيا) عام ١٩٤٧ وذلك على الرغم من معوقات الإدارة وأجهزة الامن وحين عودته إلى مصر قبض عليه ثم افرج عنه.

أما الامر الثانى الذى تركز الاهتمام عليه فهو العمل على تكوين هيئة سياسية علنية فتأسست «لجنة العمال للتحرير القومي» – الهيئة السياسية للطبقة العاملة – وأعلن عن هذا التأسيس فى أكتوبر ١٩٤٥. حددت لحظة الإعلان بالغا، الأحكام العرفية وقامت مجموعة من ٦٠ عاملا من عمال شبرا الخيمة الذين أصبحوا من المرشحين وخاصة من العاطفين بالذهاب إلى مختلف مناطق القطر حاملين معهم بيانا وبرنامجًا طبع من الأول ٣٠٠٠٠ نسخة ومن الثانى ١٥٠٠٠ نسخة تم توزيعها فى ذات اليوم وفى ذات الساعة تقريبا فى كافة المدن الكبرى والمناطق الصناعية من أسوان إلى الاسكندرية إلى دمياط وبورسعيد والسويس. كان قد تم إعداد هذا البرنامج بعناية فائقة واشترك فى ذلك العديد من الرفاق نذكر منهم أحمد رشدى صالح، صادق سعد، يوسف درويش، محمود العسكري، محمد يوسف المدرك، طه سعد

عثمان. كان برنامجًا شاملا تضمن العديد من القضايا التى تهم البلاد وتهم الطبقة العاملة المصرية سواء على مستوى السياسة الداخلية أو الخارجية فتكلم عن استقلال مصر ومحاربة الاستعمار القديم والجديد ومساندة القضية الفلسطينية، كما تحدث عن الاصلاح الزراعى وتأميم قنال السويس والشركات الاحتكارية واستقلالية الحركة النقابية ورفع مستوى المعيشة. استمرت «لجنة العمال للتحرير القومى» تعمل بنشاط حتى بلغ عدد طالبى الانضمام اليها ٤٠٠٠ مواطن أكثرهم من العمال ومنهم المثقفون. وكانت مجلة «الضمير» السابق الإشارة إليها لسان حال تلك اللجنة، كما أصدرت عدة مطبوعات لعل أهمها «الرد على خطاب العرش» أى الرد من جانب الشعب مباشرة (وليس فقط من جانب النواب وفقا للقواعد الدستورية المعمول بها) على الخط السياسى للحركة بالصورة التي تقدمها به فى بداية الدورة البرلمانية. وكان لهذا الكتيب وضع وتأثير هام وكان مذيلا باسم «لجنة العمال للتحرير القومى» وقد أعد كاتب هذه السطور مشروع هذا الخطاب وتم تعديله والموافقة عليه من رفاقه.

ولما تأسست «لجنة العمالّ والطلبة» فى بداية عام ١٩٤٦ شارك فيها بعض رفاقنا ومرشحينا من العمال جاء تمثيلهم لعمال نسيج شبرا الخيمة. كان «محمد مدبولى» يحضر اجتماعات اللجنة إذ كان قد قبض قبلا (ديسمبر ١٩٤٥) على كل من محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك وطه سعد عثمان بتهمة إثارة الطبقات، وظلوا فى السجن ستة شهور كاملة بعد أن تم تبرئة كل من محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك وحكم على طه سعد عثمان بالسجن ثلاثة شهور لما نشره من شعر طبقى فى مجلة «الضمير» . هذا وقد سبق هذا الاعتقال بشهر تقريبا أن استدعى «محمود النقراشى باشا» رئيس الوزراء كل من القادة العماليين الثلاثة بالاضافة إلي محمود حمزة باعتبارهم أعضاء مجلس ادارة «لجنة العمال للتحرير القومى» وحاول النقراشى دون جدوى إبعاد هؤلاء العمال عن العمل الذى يسيرون فيه بعد أن حدثت بينهم مناقشات مستفيضة فى القضايا الرئيسية، ولاشك أن هذا الاستدعاء وتلك المقابلة من النقراشى رئيس الحكومة وممثل البورجوازية المصرية لقادة الطبقة العاملة آنئاك تعد الأولى من نوعها فى تاريخ مصر، وهى إن دلت على شئ فهى تدل على رعب البورجوازية خاصة من بلورة الطبقة العاملة وصعودها.

بقى أن نقول إنه فى اوائل هذه الفترة فى عام ١٩٤٤ اتصل بنا «سلامه موسى» وكان يملك

مجلة اسبوعية باسم «العهد الجديد» وعرض علينا أن نعمل مع بعض التروتسكيين على إصدارها مناصرة للاتحاد السوفييتى الذى كانت الفاشية قد شنت حربها عليه عام ١٩٤١.

كان التروتسكيون منقسمين بمناسبة تلك الحرب إلى قسمين أحدهما يستمر فى معاداة الاتحاد السوفيتي والثاني يدافع عنه باعتباره أول وطن للاشتراكية، وقد تولى كاتب هذه السطور تحرير العقد مع سلامه موسى، وكما شاركت المجموعة الماركسية الثلاثية فى تحرير تلك المجلة بالاشتراك مع العناصر التروتسكية المتعاونة منهم لطف الله سليمان ورمسيس يونان وآخرون، صدر عن تلك المجلة ثلاثة أو ربعة أعداد ثم توقفت، وكان مقر تلك المجلة غرفة فى أعلى عمارة التأمين على ناصية شارعى علوى وقصر النيل بجوار البنك المركزى.

فى أواخر هذه الفترة وابتداء من نهاية الحرب فى مارس ١٩٤٥ كانت الإضرابات تشمل القطر كله وأضرب عمال شبرا الخيمة، وتوجهوا بحشود كبيرة إلى محطة مصر عبر شارع شبرا وحاول اسماعيل صدقي باشا وكان وقتئاك رئيس الحكومة وفى ذات الوقت رئيس اتحاد الصناعات أن يجرى حديثا معهم فى وسط الطريق لينهيهم عن الإضراب والتظاهر ولكنهم رفضوا الالتقاء به رفضا باتا.

وفى يوليو ١٩٤٦ انتهز إسماعيل صدقى باشا فرصة الإجازة البرلمانية واستصدر مرسوماً بالقانون رقم ١٩٤٦ الذى يجرم الدعوة للشيوعية والتنظيمات الشيوعية، وأصدر قرارات وزارية بغلق كافة المجلات والصحف الديمقراطية والتقدمية ومن بينها مجلتا «الفجر الجديد» و«الضمير» وأيضا الهيئات النقابية ومن بينها «دار القرن العشرين» و«لجنة نشر الثقافة الحديثة».

عندئذ كنا أمام واقع جديد فأبواب العلنية قد أغلقت تماما وسلبت من المناضلين والعمال هيئاتهم ومؤسساتهم فكان لابد عندئذ من التفكير فى نهج جديد وأسلوب جديد خاصة وأن العناصر الاساسية لتكوين تنظيم شيوعى كامل قد توافرت من حيث الكوادر العاملة والعلاقات الجماهيرية والنفوذ السياسى وإنضاج الرؤية..

قررنا نحن الثلاثة (صادق، ريمون، يوسف) وجوب إقامة تنظيم شيوعى كامل واتصل كل منا بمن حوله من الأعضاء والمرشحين لمناقشتهم فى الوضع الجديد ودعوتهم ليأسروا معنا هذا

التنظيم فالتقيت فى هذا الشأن بكل من محمود العسكرى وطه سعد عثمان فى اغسطس ١٩٤٦ بكفر ابو محمود بالدلتا حيث استضافنا أحد الاصدقاء المقربين وتداولنا لمدة يومين كاملين حول هذه الأمور، وتم الاتفاق على كل شئ، وهذا لاشك إنجاز هام من حيث البعد الجماهيرى والنضال العمالى والنقابى واتصلنا بعد ذلك لنفس الهدف بكل من محمود حمزة، عبد المقصود أبوزيد، عبد العليم عمارة، محمد فوده، محمد طايل، فؤاد عبد المنعم شحتو، محمد عبد الغفار، محمد مدبولى وغيرهم، كما اتصل صادق سعد، ريمون دويك بكل من أبوسيف يوسف، حلمى ياسين، أحمد رشدى صالح، إقبال حاسين، دينا محوى، إسحاق مشعال، أديب ديمترى، المرحوم عبد العزيز فهمى (الصحفى باخبار اليوم)، سيد عبد الله وغيرهم من أجل نفس الاهداف. لقد كان كل هؤلاء أعضاء فى منظمتنا الصغيرة وبالتالى كان يتوجب مشاورتهم فى أدق الأمور وأخطرها وهو ما حصل بالفعل.

كان عدد المنتمين إلى التنظيم أصحاب العضوية الكاملة بخلاف المرشحين والعاطفين ٢٤ عضوا موزعين على مجموعة من الخلايا وجدت فيها مناقشات مستفيضة حول المقومات الرئيسية وإبداء الرأى فيها والموافقة عليها بعد التعديل، ومن ثم عقد أول اجتماع مؤتمرى فى سبتمبر ١٩٤٦ بالسكاكينى بالقاهرة بمنزل شقيق صادق سعد واستمر الاجتماع طيلة اليوم وتمخض عنه اعتماد الرسالة السياسية التى كان صادق سعد قد أعد مشروعًا لها والرسالة النقابية من إعداد يوسف درويش ومحمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك، والرسالة التنظيمية من إعداد يوسف درويش، ورسالة العمل الجبهوى والعلاقة بالوفد من إعداد ريمون دويك وأحمد رشدى صالح، محمود العسكرى، محمد يوسف المدرك وكاتب هذه السطور، وتم فى الاجتماع انتخاب أول لجنة مركزية من كل من صادق سعد مسئول سياسى ومحمود العسكرى مسئول جماهيرى ونقابى ويوسف درويش مسئول تنظيمى، وجرى أيضا فى هذا الاجتماع اعتماد أول لائحة لهذا التنظيم أعد مشروعها يوسف درويش، واتخذ التنظيم لنفسه اسم «الطليعة الشعبية للتحرر»

وفور قيام التنظيم ضم اليه خمسين رفيقا كانوا يعدون من المرشحين فأصبح على الفور عدد أعضائه ٧٥ عضوا وجرت دراسة المقومات الرئيسية من قبل هؤلاء المرشحين السابقين فى

خلاياهم الناشئة. كان هذا الاجتماع المؤتمرى قد ناقش أيضا باستفاضة وضع الرفاق من أنصاف الاجانب الذين ناضلوا جنبا إلى جنب معنا طيلة الفترة السابقة وقدموا خدمات جليلة لا يمكن إنكارها بحال ويعود تاريخ نضال العديد منهم إلى عام ١٩٣٥ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل من زينون كرامنيان ZENON CARAMANIAN، جرى كرامنيان GERRY CARAMANIAN أديل ميزان ADEL MISAN هنريت ميزان HENIELTE MISAN ريناتو فرفاراREMATO FARFARA، اليس جمبارازىALICE GAMBARAZI مارجو شبردMARGOT SHEPPERD وغيرهم وكان عددهم حوالى ٢٠ رفيقا. قرر الاجتماع المؤتمرى عدم التخلى عن هؤلاء الرفاق لأن من حقهم أن يناضلوا كشيوعيين طالما هم موجودون فى ربوع البلاد. وقد تم تنظيمهم على انفراد تحت مسئولية المسئول التنظيمى مباشرة، وأطلقنا على هذا الشكل الفريد فى نوعه عبارة «الممر»، بمعنى أن على هؤلاء الرفاق أن يبقوا على هذا الوضع وأن تكون مهمتهم الأولى تعلم اللغة العربية وإيجاد علاقات بالواقع المصري فإذا ما تم لهم ذلك ينتقلون إلى صفوف التنظيم بحق العضوية الكاملة. ذلك أن أعضاء «الممر» لم يكن لهم حق التصويت غير أنه كان يؤخذ رأيهم فى الأمور الهامة دون الدخول فى التفاصيل. أما مهمتهم النضالية فقد انحصرت فى تقديم العون والمساعدة سواء على صعيد العمل الفنى من طباعة وتوزيع أو على صعيد المشاركة الفكرية بإعداد التقارير وجمع البيانات. لقد وافق هؤلاء الرفاق تماما على هذا التفكير وعلى إسلوب العمل معهم، ويذكر أن من بين إنجازاتهم إصدار نشرة دورية باللغة الفرنسية فى الشئون العالمية وخاصة في ميدان النضال الشيوعى.

ونص القرار الذى صدر فى هذا الشأن على أنه إذا تعذر على أحد منهم طيلة فترة «الممر» تعلم اللغة العربية والارتباط الوثيق بالواقع المصري فعليه أن يغادر البلاد متوجها إلى وطنه للعمل فى صفوف الشيوعيين فيه. لقد سافر إلى الخارج العديد من هؤلاء الرفاق الذين لم يكتب لهم النجاح فى هذا الامتحان. فعلى سبيل المثال سافر كل من زينون كرامنيان وشقيقه جرى وزوجته اديل ميزان إلى أرمنيا السوفييتية عام ١٩٤٨ ثم انتقلوا إلى فرنسا وسافر الن ويلتون ALLEN WHILTELTON مع زوجته سيلين حاسين إلى انجلترا وعملا بنشاط كبير فى الحزب الشيوعى الانجليزى وقدما من خلاله خدمات لا تنكر لحركة التحرر المصرية وللحركة

الشيوعية ولتنظيمنا على وجه الخصوص، وسافرت اليس جمبارازى ALICE GAMBARA-ZI إلى يوغوسلافيا موطنها حيث نشطت فى صفوف «عصبة الشيوعيين». كان موقف هؤلاء الرفاق الأعزاء صلبًا ومشرفًا للغاية سواء على صعيد القضايا المصرية أو قضية فلسطين، فكانوا شديدى التمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه وأرضه وحق تقرير مصيره رافضين وقتذاك مجرد وجود إسرائيل فى قلب الشرق الاوسط. وبهذه المناسبة استمر موقف تنظيمنا متماسكا تماما حتى ابريل ١٩٤٨ حيث اضطررنا بطريقة ذيلية وعلى أساس قيادة الاتحاد السوفيتى الفكرية أن نتخلى عن موقفنا السابق الذى كان يرفض تمامًا مشاريع التقسيم ومشاريع قيام دولة اسرائيل، غير أن الموقف الذى استجد بعد هذا التاريخ لم يكن يوما ما ثابتا بحيث ظهر العديد من الإرهاصات الفكرية والعملية ضد إقامة دولة اسرائيل.

عندما أغلق إسماعيل صدقى باشا كافة المنافذ القانونية وقرر تصفية كافة المؤسسات والمجلات التقدمية فكرنا فى إقامة مكتب عمالى أطلقنا عليه اسم «مكتب الخدمات النقابية» تولى إدارته محمد يوسف المدرك الذى كانت له علاقات قوية جداً بمختلف النقابات فى القطر وخاصة نقابات القاهرة حيث كان يقوم بتنظيم ومسك دفاتر حسابات العديد منها، وكان بمثابة المستشار النقابى لهم. وكان مقر هذا المكتب فى وسط المدينة بكلوت بك. وقد صدر عنه عدة كتيبات تباع بقروش للعمال والذين يحتاجون إليها، ومن الكتيبات التى أصدرها كتاب «دليل النقابات» و«تشريعات العمل» و«قانون إصابات العمل» و«إضراب عمال المحلة الكبرى». وكان يؤم مقر هذا المكتب قادة الحركة النقابية ومناضلوها.

وقبل إعلان الحرب على إسرائيل عام ١٩٤٨ فى مايو ألقى القبض علي كل من صادق سعد وريمون دويك ومحمود العسكرى، طه سعد عثمان، أحمد سالم، محمد عبد الغفار، عبد الغفار سلام، عبدالمقصود أبو زيد، عوض الباز، عبد العليم عمارة وغيرهم من أعضاء التنظيم وأودعوا جميعًا فى معتقل هايكستب قرب مصر الجديدة، وألقى القبض على كاتب هذه السطور وطه فوده ومحمد مدبولى فى نوفمبر ١٩٤٨ وبعد الإفراج من قاضي المعارضات حولنا إلي المعتقل.

على أنه يتوجب أن نذكر أنه خلال عام ١٩٤٧ وكان عبد الهادى رئيسا للديوان الملكى أمكن لتنظيمنا أن يفسد خطة السراى فى إلقاء القبض على الشيوعيين جماعات حيث إنه

عندما علمت من عبد الرحمن الشرقاوى بخبر مشروع هذه الخطة بادرت بإعداد منشور صغير أفضح فيه المؤامرة وتم توزيعه بأوسع نطاق علي الصحافة وخاصة على وكالات الأنباء الأجنبية التى سألت عبد الهادى عن حقيقة الأمر فنفاه وفشلت المؤامرة..

فى معتقل هايكستب كان الجو ملبداً بالغيوم فقد كانت به أكثر من تنظيم فبالإضافة إلى العناصر المنتمية إلى تنظيمنا كانت هناك عناصر من «حدتو»و«التكتل» «عصبة الشيوعيين» و«الحزب الشيوعى لشعوب وادى النيل» و«اسكرا» الخ كانت المناقشات تدور بحمية وحماس واشتركنا في هذه المناقشات عن طريق صادق سعد وريمون فى عنبر الادارة وعن طريق مجموعة عناصرنا فى عنبر «السمكرجية» كما كان يطلق عليه من قائد المعتقل على اعتبار أن من يقيمون فيه ينتمون إلى الطبقة العاملة. وقد أطلق محمود العسكرى على تلك المجموعة من عناصرنا عبارة «نحن» حرصاً على الأمان. وأذكر بهذه المناسبة أنه حدثت فى هذا العنبر مشادات بيننا وبين عناصر «حدتو» حول بعض شئون المعتقل والمنظور السياسى، وكان هنا الحوار بين ممثل «طليعة العمال» وكان كاتب هذه السطور. وبين عناصر «حدتو» وممثلها «مبارك عبده فاضل» وأنهينا المناقشة وقلنا لهم :

«إننا نتكلم لغتين مختلفتين ولن نلتقى أبدا»

كانت العلاقات قد ساءت للغاية فى المعتقل بين محمود العسكرى وصادق سعد فقررت اللجنة المركزية التى مازال بعضها خارج السجن التعامل مع كل فريق على حدة إلى أن تعود الأمور إلى طبيعتها. اتخذنا هذا القرار استناداً إلى حقنا المشروع فى هذا الشأن على أساس القاعدة التي كانت اللجنة المركزية كانت قد اعتمدتها منذ الأيام الأولى من وجودها بعد التأسيس والتى تقضى بأن القيادة تتمثل فيمن هم موجودون علي الساحة خارج السجن وأن على الرفاق الذين داخل السجن أن يمتثلوا لقراراتها رغم المناصب التى كانوا يتبوءونها قبل اعتقالهم. عندئذ قررنا أنه توجد مجموعتان داخل معتقل هاكستيب إحداهما بقيادة صادق سعد والاخرى بقيادة محمود العسكرى.

عندما أعتقل صادق سعد ومحمود العسكرى تسلم أحمد رشدى صالح المسئولية السياسية، وتفرغ للعمل الحزبى، واختفى هروبا من ملاحقات البوليس، كما اختفى فى ذات

الوقت أبوسيف يوسف وأقام بمفرده فى شقة بشارع الخليج تاركًا عائلته تقيم وحدها بشارع عبد العزيز. وفى غضون صيف ١٩٤٨ عقدنا أول اجتماع للجنة المركزية بعد حملة الاعتقالات وكان ذلك بالاسكندرية بحى بحرى فى منزل محمد مدبولى، وقد حضر هذا الاجتماع كل من أحمد رشدى صالح، أبو يوسف ومحمد مدبولى وآخرين وأجريت مناقشات حول الأوضاع السياسية وتطور العملية التنظيمية.

أعتقلت فى نوفمبر ١٩٤٨ بعد أن تم القبض علىّ مع محمد مدبولى وطه فوده وإيداعنا السجن بتهمة الشيوعية والافراج عنا من قاضى المعارضات ومن ثمة جرى تحويلنا إلى معتقل هايكستب بعنبر «السمكرجية» حولت بعد ذلك بفترة طويلة إلى عنبر الادارة حيث نظم بعض المعتقلين إضرابا عن الطعام انطلقت فيه «حدتو» من شعار الافراج وانطلقت أنا بقرار من المجموعة الحزبية داخل المعتقل من شعار «تحسين الاوضاع المعيشية» وبعد فك الإضراب تم تحويلنا إلى معسكر «عيون موسى» فى شبه جزيرة سيناء.

استمر الاعتقال العام من مايو ١٩٤٨ إلى ديسمبر ١٩٤٩ على أننى لم اعتقل إلا فى نوفمبر ١٩٤٨ وأفرج عنى فى نوفمبر ١٩٤٩ إثر الحملة التى قامت بها «رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية».

وعندما انعقدت اللجنة المركزية بعد خروج جميع الرفاق من المعتقل قررت أن اتفرغ تماما للعمل الحزبى بل وأن أختفى خوفا من القبض علىّ مرة ثانية.

وللعلم كان مكتبى فى غاية الازدهار فقد كنت محاميا لعدد كبير من النقابات بالاضافة إلى القضايا العادية، واضطررت عندئذ التنازل عن مكتبى عام ١٩٥٠ للاستاذ مصطفى كامل منيب الذى كانت تربطنى به علاقة، والذى استقال من وظيفته فى بنك التسليف الزراعى وقيد اسمه فى نقابة المحامين. لم يكن مصطفى منيب عضوا معنا فى التنظيم ولا فى أى تنظيم آخر إلا أنه كان ماركسيا ووطنيا وديمقراطيا وأصدر مجموعة من الكتب، وترجم العديد من المؤلفات. جاء هذا القرار تلبية لنية الاعلان عن أنفسنا حزبًا شيوعيًا فاختفيت بمصر القديمة بحارة الفرنساوى المتفرعة من شارع الفرنساوى فى شقة أرضية بحديقة صغيرة كان يسكنها رفيقنا المرحوم عبد الرحمن عزت الذى كان عضوا معنا بعد انضمام المنظمة التى كان فيها

إلينا وهى منظمة «حركة تحرير الشعب»(حتش) وكان هو أيضا عضوا فى لجنتنا المركزية. تركت إذن مكتبى كما تركت منزلى مما اضطر زوجتى نظرا لظروفها الخاصة للانتقال إلى الاسكندرية فى منزل عائلتها. وفى نوفمبر ١٩٥٠ تم القبض علىّ بمنزل مصر القديمة وعثر البوليس السياسى على مخبأ فيه يضم بعض الأوراق الحزبية ومنها مشروع لائحة الحزب الشيوعى، وكنت مكلفًا بإعداد مشروع لها، والطريف أن البوليس عندما عثر على مشروع اللائحة ظن أنها خاصة بالحزب الشيوعى المصرى (الراية) والذي لست عضوا فيه أو أن البوليس وهذا الأرجح أراد أن يزيد الاوراق التى ضبطت بمعرفته فى منازل أعضاء الحزب الشيوعى المصرى (الراية) ودس عليهم هذه الوثيقة للاستفادة منها للتدليل على قيام حزبهم. وتم فى ثانى يوم لإجراء تفتيش منزلى والقبض علىّ، القبض على كل من فؤاد عبد المنعم واحمد رشدى صالح وحلمى ياسين الذين حضروا للاجتماع لمناقشة بعض الامور. كانت معاملة المتفرغين والمحترفين على أساس تقاضيهم أجر مستوى العامل الفنى وكان ذلك استرشادا بقاعدة عمل بها الحزب الشيوعى الفرنسى بالنسبة لأعضائه المنتخبين فى البرلمان حيث كانوا يدفعون لخزينة الحزب الذى يزيد عن هذا القدر. وعملت «طليعة العمال» بهذه القواعد باستمرار، وللعلم كان أول المحترفين هو الرفيق صادق سعد الذى تفرغ تماما للعمل الحزبى منذ عام ١٩٤٣ وتلاه أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف عام ١٩٤٨ وكاتب هذه السطور عام ١٩٥٠ ثم حلمى ياسين الذى كان يعمل آنذاك فى وزارة الصحة العمومية وكان تفرغه فى مدينة المحلة الكبرى.

كان المتهمون فى قضية ١٩٥٠ كلاً من يوسف درويش وفؤاد عبد المنعم وأحمد رشدى صالح، وقدمت تلك القضية لمحكمة جنايات القاهرة فى ٢٨ يناير ١٩٥٢ أى بعد يومين من حريق القاهرة فكان لابد للمحكمة أن تتأثر بهذه الاحداث وتستغلها النيابة فى مرافعتها ضدنا خاصة وأن «ابراهيم امام» رئيس القلم السياسى آنذاك حضر إلى سراى المحكمة صبيحة المحاكمة، ودخل على الدائرة قبل نظرها الدعوى فأصدرت المحكمة حكما بالسجن ثلاث سنوات على كل من المتهمين. حضرت المحاكمة إجباريا لاننى كنت محبوسًا احتياطيًا على ذمة تلك القضية. ولم يحضرها فؤاد عبد المنعم الذى امتثل لقرار اللجنة المركزية بعدم المثول أمام

المحكمة والاختفاء من ملاحقات البوليس. أما أحمد رشدى صالح فلم يذعن لهذا القرار وحضر المحاكمة ظنا منه أنها سوف تفرج عنه. كانت هذه أول بادرة بعدم الالتزام لهذا الرفيق بقرارات القيادة الحزبية التى كان هو جزءًا منها. حكم أيضًا على عبد الرحمن عزت الذى كان قد تم القبض عليه بعد بضعة شهور من القبض علىَّ وصدر عليه حكم بنفس العقوبة. وللعلم قضت محكمة النقض بإلغاء حكم الادانة والاحالة إلى دائرة أخرى من محكمة الجنايات وقضت تلك المحكمة بالبراءة بعد أن كنا قضينا فى السجن العقوبة بأكملها.

أما عن أحداث السجن فقد أضرب المسجونون الشيوعيون عن الطعام عام ١٩٥١ لعدم قيام إدارة السجن بتطبيق اللائحة (أ) الخاصة بالسجون على العمال واقتصار تطبيقها على الفئات البورجوازية ومنهم المثقفون الشيوعيون، وهى تلك اللائحة التى كانت الحكومة قد أصدرتها مؤخراً والتى تحدد نظام الإعاشة فى السجن من دخول الطعام الخاص وتخصيص المبيت فى زنزانات مستقلة والفراش السليم. لقد أبى المثقفون الشيوعيون أن تكون معاملة رفاقهم العمال أدنى من المعاملة التي يتمتعون بها. وأضرب الجميع عن الطعام فاستجابت مصلحة السجون إلي هذا المطلب وطبقت اللائحة منذ ذلك الوقت على كافة المسجونين الشيوعيين.

وعندما توفى ستالين عام ١٩٥٣ - وكنا جميعا هيئات ومنظمات نقدر ستالين - نظمنا احتفالا كبيرا فى السجن اشترك فيه الجميع، وكان عدد الشيوعيين المسجونين وقتذاك يزيد على مائة، وجرى هذا الاحتفال فى مشهد مهيب فى حوش السجن حيث أنشدنا النشيد الجنائزى المعروف لدى البروليتاريا العالمية. لقد رضخت إدارة السجن تماما بموافقة مصلحة السجون على قيامنا بهذا الاحتفال.

لما وقع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقبض علي مئات من المواطنين زج بهم فى سجن مصر حيث كنا فيه، ومن بينهم عبد المنعم تمام وكان شيوعيا من «حدتو» أقحمه البوليس إقحاما فى أحداث الحريق لتوجيه اتهام القيام به إلى الشيوعيين عموما، غير أن هذه المحاولة فشلت تماما.

علمنا باندلاع ثورة ٢٣ يوليو ونحن فى السجن وتابعنا أحداثها ممن كانوا يفدون إلى السجن من المتهمين فى مختلف القضايا. أرسلنا برقية إلى محمد نجيب باعتباره قائد الثورة

آنذاك نؤيد فيها العمل من أجل إخراج الانجليز واستقلال مصر، أذكر أنه حضر الينا فى أعقاب الثورة مجموعة من الصحفيين ومنهم سعد التائه عن مجلة «التحرير» ودارت المناقشات وأخذت الاحاديث والتقطت الصور وهو ما نشر آنذاك في تلك المجلة.

وفى السجن عملنا أعضاء «طليعة العمال» على إيجاد تنظيم خاص ديمقراطى يدافع عن الحياة العامة وكان أول تنظيم فى السجون من هذا القبيل «فالحياة العامة» فى السجون والمعتقلات التى يعمل بها حتى الآن ترجع إلى هذا التاريخ. ومبدأ «الحياة العامة» مبنى على تطبيق المساواة فى الدفاع عن الحقوق والمعاملة على كافة المسجونين الشيوعيين أيا كانت إنتماءاتهم التنظيمية ولم يخرج على هذا الإجماع سوى «المنظمة الشيوعية المصرية» (مشمش) وقد أردنا نحن «طليعة العمال» أن تجرى انتخابات قيادة هذا التنظيم بحرية تامة دون التقيد بقرارات تنظيمية، وطبقنا هذا المبدأ علي أنفسنا ولم تطبقه «حدتو» على نفسها رغبة منها فى إحلال محل هذا التنظيم الديمقراطى لجنة تنسيق بين المنظمات المتواجدة فى السجن. أذكر أنه كان من بين المسجونين من «طليعة العمال» كل من كاتب هذه السطور وأحمد رشدى صالح وحلمى ياسين (فترة قصيرة) وفؤاد عبد المنعم وعبد الرحمن عزت وسيد عبد الله ومن المنظمات الاخرى عبد المنعم شتله، عدلى جرجس، توفيق فانوس من «النجم الاحمر»، وفؤاد حبشى، أسعد حليم، موريس يوسف، شهدي عطيه (بعد عودته من سجن طره)، مبارك عبده فضل من «حدتو»، وظريف عبد الله، مارسيل اسرائيل، من «نحو حزب شيوعى مصرى» (نحشم) ومصطفى طيبة وغيره من «الحزب الشيوعى المصرى»،«الراية»، ونينوكوهين، ماركوكوهين، نيقولا جازيس، بولص لطف الله، شوارتز وغيرهم من «المنظمة الشيوعية» (مشمش)

جدير بالذكر أن الحكومة كانت قد أصدرت عام ١٩٥٢ قانونًا بالعفو عن الجرائم السياسية طبق على الفور دون إجراءات تذكر على كافة عناصر الاخوان المسلمين بينما لم تطبقه محكمة الجنايات على الشيوعيين، وهى المحكمة التي نص القانون عليها للنظر فى طلبات العفو أمامها بحجة واهية مؤداها أن الشيوعية جريمة اجتماعية (مثل جرائم التموين) وليست جريمة سياسية، وذلك على الرغم من أحكام الإدانة التى صدرت ضد الشيوعيين والتى كانت تنص بصريح العبارة على أنها جريمة سياسية، ليس أدل على ذلك من الحكم الذى صدر ضد كاتب

هذه السطور فى ٢٨ يناير ١٩٥٢ والذى نص صراحة على أن الجريمة سياسية والذى ارتكبها سياسى، ولابد من أن نذكر هنا أن موقف أحمد رشدى صالح فى هذه المحاكمة من أجل العفو كان سيئا للغاية إذ تركزت مرافعته على أساس ذاتى مبجلا الثورة وأعمالها ونافيًا أية علاقة له بالفكر التقدمى، وقد استرعى هذا الموقف نظر كافة المشاهدين، من مسجونين وعائلاتهم. إنها السقطة الثانية لأحمد رشدى صالح وقد سبقه موقفه الفردى والمنعزل والمتعالى داخل السجن وهى كلها مقدمات تنبئ عن مصيره فى قضية الطبقة العاملة وفى الانتماء إلى تنظيمها. وحين خرجنا من السجن أرادت اللجنة المركزية أن تعبر عن تقديرها لموقفى وسلوكى داخل السجن وفى المحاكمة فأطلقت علىّ اسم «الحديدى» اسما حركيا.

حين قامت ثورة ٢٣ يوليو كان موقف منظمتنا هو الترقب للحكم عليها، واقترحت برنامجا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مشيرة بتأييدها للثورة بالقدر الذى تقترب منه وتنفذه وجرت اجتماعات عامة عدة نظمها رفاقنا وخاصة بين عمال شبرا الخيمة ولعل أهم تلك الاجتماعات كان بمقهى «عوف» بشبرا الخيمة، كما شارك أعضاؤنا ومنهم محمد يوسف المدرك ومحمود العسكرى فى الاجتماع العام الذى عقد وقتذاك بمقر نقابة المعلمين بجوار برج القاهرة.

وقعت فى نفس هذه الفترة أحداث كفر الدوار حيث تم فيها إعدام كل من خميس والبقرى من عمال شركة نسيج كفر الدوار، وهو الامر الذى اتضح منه اتجاه الثورة ضد الطبقة العاملة خاصة بالمقارنة لموقفها الذى اتسم باللين والمرونة إزاء عدلى لملوم وهو من كبار الاقطاعيين عندما احتل بقواته الخاصة قسم بوليس مغاغة بالوجة القبلى واقتصر الحكم عليه بعشر سنوات.

واستنادًا إلى هذه الاحداث وغيرها وصفت «طليعة العمال» القائمين على ثورة ٢٣ يوليو بالفاشيين، على أنه لابد وأن نذكر أنه عند عودة عبدالرحمن الشرقاوى وكان عضوا فى التنظيم من رحلة قام بها فى فيينا للمشاركة فى مؤتمر السلام، أبلغنا برأى الرفاق السوفييت الذين كانوا يرون أن هؤلاء القادة «فاشيين غير عاملين» non militant fascist كما أكد قولهم أن هذه المجموعة وطنية موضوعيا.

إن أول مظاهر المواقف الوطنية لتلك المجموعة بشكل عام رفضهم بزعامة جمال عبد الناصر دخول مصر فى حلف «السنتو» حتى أنه حين أرسلت بهذه المناسبة برقية تأييد لعبد الناصر

عن هذا الموقف وافقت اللجنة المركزية على هذا. كان ذلك فى أواخر ١٩٥٣ بعد خروجى من السجن فى أبريل من نفس السنة، غير أنه عندما رفضت الحكومة تحقيق المطالب الديمقراطية وإعادة تكوين الأحزاب وقامت بعمليات الإرهاب المنظم خاصة من عمال النقل وقد استدرجتهم الحكومة فى شراكها استنكر تنظيمنا هذه الاعمال استنكاراً شديداً، كذلك الشأن بالنسبة للمحاكمات غير العادلة التى نصبت للاخوان المسلمين- على الرغم من العداء المتبادل - أصدرت المنظمة منشوراً خاصاً تندد فيه بهذه المحاكمات وبالاسلوب غير العادل وغير الديمقراطى الذى اتبع فيها.

إنعقد مؤتمر باندونج فى هذه الفترة، وحضره جمال عبد الناصر شخصياً وشارك مشاركة جادة فى هذا المؤتمر والتزم بمواثيقه. اعتبر التنظيم أن هذا خطوة إلى الامام لا يجوز إنكارها ومن ثمة اتخذ التنظيم موقفا مختلفا من الثورة متخلياً عن مقولته بأنها مجموعة فاشية للتأكيد على أنه حكم وطنى، وكان أول تنظيم شيوعى مصرى فى تلك المرحلة من مراحل ثورة يوليو يؤكد على هذه الحقيقة .وتلاه بعد ذلك «الحزب الشيوعى المصرى» (الراية) و«الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» (حدتو) والمنظمات الصغيرة الأخرى. وقد شاركنا مع آخرين فى العمل على تعبئة الجماهير وتنظيم صفوفها حول شعارات باندونج، وشاركت مع آخرين منهم الاستاذ عصمت سيف الدولة والسيدة تحية كاريوكا وعبد العزيز بيومى وعصمت الهوارى فى إقامة تنظيم ديمقراطى مؤيد لباندونج وتم الاجتماع الاول بمكتب عبد العزيز بيومى.

وحين بدأت الأمور تتأزم بين نظام عبد الناصر والامبريالية العالمية وأساسا الولايات المتحدةالامريكية التى كانت تراوغ وتساوم فى تقديم القرض اللازم لبناء السد العالى وبعد أن دخلت مصر فى سلسلة عمليات المساندة والدعم لكافة حركات التحرر الوطنى وخاصة الجزائر مما سبب انزعاج وغضب الحكومة الفرنسية ... أفرجت عن جميع المعتقلين فى اوائل ١٩٥٦ وعملت على حشد الجماهير حولها. انعقد فى هذا مؤتمر فى نقابة المحامين وبمبادرة من نقيبها آنذاك الاستاذ الحناوى ضم ممثلين عن مختلف النقابات المهنية والنقابات العمالية. تحدث فيه الحاضرون عن وجوب إقامة نوع من الجبهة تضم كافة تلك النقابات على أنواعها لمواجهة الامبريالية ومساندة الحكم الوطنى. وألح ممثلو العمال وكان منهم محمود العسكرى وياسين مصطفى وطه سعد عثمان ومحمد يوسف المدرك وعبد المقصود أبو زيد وغيرهم بأن يكون فى

مجلس إدارة هذه الجبهة أغلبية من ممثليهم. كان اجتماعا حاشدا غير أنه لم تثمر عند أية نتيجة عملية.

جاء بعد ذلك تأميم قناة السويس وهو الأمر الذى حاز حماس وإعجاب وتقدير كافة الجماهير الشعبية، وأيدته كل المنظمات الشيوعية. وعندما هاجمت فرنسا وانجلترا ومعها إسرائيل الديار المصرية تم تنظيم المقاومة الشعبية وشارك أعضاؤنا فيها وأصدر جمال عبدالناصر القرار بضرورة إشراك الشيوعيين فى هذا النضال حتى أن كاتب هذه السطور وكان فى اجتماع للمحامين بنقابتهم لهذا الغرض استدعى من الاجتماع للتوجه إلي مقر هيئة التحرير بعابدين حيث تمت مقابلة مع عبد الله طعيمه وابراهيم الطحاوى اللذين كانا يشرفان على شئون الاتحاد القومى آنئاك وطالبا كاتب هذه السطور بالمساهمة فى أعمال المقاومة فكرا وكتابة وعملا. وبالفعل كان يتوجه كل يوم إلى مقر المقاومة بالاتحاد القومي ويعد المنشورات، وكان من المقرر أن يسافر إلى بورسعيد للمشاركة فى المقاومة هناك لولا ما طرأ من الظروف، وكان فى كل تحركاته وأعماله ونشاطه فى هذا المجال دائم الاتصال بمسئول المنظمة آنئاك أبوسيف يوسف.

وعندما انتهى العدوان على مصر بالفشل نتيجة مقاومة الشعب ونتيجة تدخل كل من أمريكا وخاصة الاتحاد السوفيتى، ولما استقرت الامور للحكم الوطنى لم بنس لحظة واحدة أنه حكم برجوازى معاد للطبقة العاملة وللاشتراكية فبدأ هجومه علي الشيوعيين فور الإنتهاء من العدوان وتمثل ذلك أساسا فى غلق مكتب كاتب هذه السطور للمحاماة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ تحت ستار مقتضيات الحراسة. هنا لابد لي أن اذكر أننى لقيت كل العون من رفاقى لمساعدتى فى تلك المحنة وأخص بالذكر صديق العمر حسن صدقى حين جاء هو وزوجته مصادفة إلي منزلى يوم غلق المكتب فكان أول من عرف بهذا الخبر وعرض على إيوائى وعائلتى فى شقة بمنزل عائلته بالدقى إذا ما اقتضى الامر. إلا أن المكتب فتح بعد اسبوع من غلقه فى ٢ ديسمبر ١٩٥٦ رغم رغبة السلطة فى أن يصبح مغلقا «إلى أبد الابدين» على حد تعبير الحناوى نقيب المحامين المعين فى ذلك الحين. الحقيقة أن المكتب لم يتقرر فتحه إلا بفضل الرفاق ومعهم الجماهير الشعبية حيث قدمت إلى رئاسة الجمهورية عريضة وقع عليها ما يقرب من عشرة آلاف عامل وأخرى موقع عليها من ٢٧٠ محاميا يطالبون بفتح المكتب

ويؤكـدون على وطنيـتي وولائي لبلدي. إن دل ذلك على شئ فـهـو يدل على مردود العـمل الدؤوب والصـبور بين الجماهير وخاصة في الأوساط العـمالية وهو ما يؤكد مرة أخرى على الإسلوب الذى كان يتبعه تنظيمنا في الالتصاق بالجماهير العريضة وبالواقع الملموس. وأذكر بهذه المناسبة أن ثاني يوم غلق المكتب جاء إلى منزلى الاستاذ شحاته هارون المحامى الذي كان قد أغلق مكتبه أيضًا ودعاني لتقديم شكوى إلى الهيئات العالمية ولكنني رفضت ذلك رفضا تاما مفضلا أن تأخذ الامور مجراها الطبيعى بالاستناد إلى الرفاق والجماهير.

فى هذه الفترة أيضًا هجمت القوى الامبريالية على المجر مما حمل حلمى ياسين بتكليف من التنظيم بوضع كتاب عن هذا الحدث وربط الهجوم على المجر بالعداوان على مصر فى عملية إمبريالية مزدوجة، وقد نشرت هذا الكتاب « المؤسسة القومية للنشر والتوزيع» وهى المؤسسة التى أنشأها التنظيم ووضع مسئوليتها فى رقبة ريمون دويك. اتخذت هذه المؤسسة مقرا لها بشارع زكى بالتوفيقية بالقاهرة ثم انتقلت بعد التوسيع بشارع شريف باشا. كان يتعاون مع ريمون دويك فى هذه المؤسسة كل من حسن صدقى وحسين توفيق طلعت وصلاح خطاب ومحمد حسين شريف وميلاد حنا وغيرهم. لقد استمرت المؤسسة تسجل نجاحا بعد آخر إلى أن تم حلها بالأمر العسكرى الذى صدر باعتقال الشيوعيين فى ديسمبر ١٩٥٩.

فى صيف ١٩٥٧ جرت فى مصر إنتخابات برلمانية عامة تتم لأول مرة بعد استيلاء الضباط على السلطة فى يوليو ١٩٥٢ وفتح مجال الترشيح لكل العناصر أيا كانت انتماءاتها باستثناء من كان يصدر اعتراض عليه من الاتحاد القومى. كانت «طليعة العمال» قوية وتنذاك فكان لها مقومات مستقرة في كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية وتتمتع بتأثير واسع على الجماهير خاصة العمالية منها وعلى وجه الخصوص فى شبرا الخيمة وحلوان وكفر الدوار وكانت تضم عددا كبيرا من العمال والمثقفين وقليلاً من الفلاحين ومن حولهم المرشحون والعاطفون. قررت المنظمة الدخول فى المعركة الانتخابية بمرشحين من أعضائها وأعدت برنامجا انتخابيا عاما وقررت مساندة أي مرشح من غير أعضائها يوافق على هذا البرنامج. كلفت المنظمة كاتب هذه السطور ليتولى مسئولية إدارة المعركة الانتخابية بمساعدة بعض الرفاق، وتحول جزء كبير من مكتبى للمحاماة بشارع شمبليون رقم ٢٠ إلى مقر انتخابى عام لمنظمة «طليعة العمال» فتم فيه استقبال أعضائه المرشحين مثل حلمى ياسين وحسين

توفيق طلعت وسعيد خيال وطه سعد عثمان .. وكذلك عدد من الذين أيدوا برنامجنا الانتخابى من غير أعضائنا ومنهم على سبيل المثال مجدى حسانين ومجدى غيث وغيرهما وخاصة عبد العظيم أنيس وقد أيدت المنظمة هؤلاء المرشحين وغيرهم مثل شفيق أبو عوف وأمين نور الشريف ومصطفى كامل مراد وأبو الفضل الجيزاوى.

ولما اعترض الاتحاد القومى على كل مرشحينا ومنهم طه سعد عثمان (شبرا الخيمة) وحسين توفيق طلعت (الساحل) وحلمى ياسين (روض الفرج) قررت «طليعة العمال» على الرغم من ذلك الاستمرار فى خوض المعركة الانتخابية البرلمانية بمناصرة «أقل العناصر سوءاً» من بين الذين لم يعترض الاتحاد القومى عليهم وأبقت على اللجان الانتخابية التى كانت كونتها وحولتها إلى لجان الوعى الانتخابى لتستمر فى شرح برنامجنا الانتخابى ومطالبة المرشحين بتبنيه، ومما يذكر أن نشاط «طليعة العمال» كان كبيرا جداً فى هذا الشأن لا سيما فى دائرة الساحل حيث استمر حلمى ياسين يعمل بنشاط مكثف فى هذا السبيل، وكذلك حسين طلعت.

على أنه يتوجب هنا الإشارة إلى المعركة التى خاضتها «طليعة العمال» فى دائرة الوايلى مساندة لعبد العظيم انيس الذى لم يكن عضوا فى «الحزب الشيوعى الموحد» الذى رفض ترشيحه وتأييده مفضلا عليه عبد العزيز مصطفى من عمال الترام. وحين أقبل عبدالعظيم أنيس علينا مؤيداً برنامجنا الانتخابى قررنا تركيز نشاطنا الأساسى على دائرته خاصة بعد غلق باب الترشيح أمام أعضائنا. وبالفعل انتقل كاتب هذه السطور إلي مقر عبد العظيم أنيس بدائرة الوايلى ليدير تلك المعركة وعاونه العديد من الرفاق أعضاء التنظيم منهم على سبيل المثال المرحوم شفيق اسماعيل وبعض من أهالى الدائرة، وقمنا بكافة الاعمال التنظيمية والدعائية بالاتفاق التام مع عبد العظيم انيس وشقيقه المرحوم محمد أنيس أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة. كانت معركة دامية حقا جرت فيها الإعادة بين عبد العظيم انيس وعبد العزيز مصطفى وانحازت الحكومة بأجهزة الامن إلى هذا الاخير معبرة بسفور عن معاداتها لعبد العظيم أنيس وكان عبد الرحمن عشوب رئيس قسم مكافحة الشيوعية بوزارة الداخلية يحضر كل يوم مع عنصر آخر من هذا القسم إلى الوايلى للتجول فى الدائرة وإصدار التعليمات لعملائه للوقوف ضد عبد العظيم أنيس ولتخريب معركته الدعائية ومن ذلك أنه حين أقمنا مهرجانا جماهيريا انتخابيا فى سرادق كبير أعد خصيصا فى أحد المواقع ضم الآلاف من أهالى

الحى ومن المؤيدين من خارجه وحضره الشيوعيون من كل الاتجاهات (عدا الحزب الشيوعى الموحد) ليعبروا عن تعاطفهم معه افتعلت المباحث حادثًا لتشويه صورة المهرجان وفضه من الحاضرين حيث أشهر أحد عملائها السلاح فى وجه الحاضرين، وافتعلت مشادة مما أتاح الفرصة لتدخل رجال الامن.

لقد تم فى هذا اليوم القبض على ما يقرب من مائة من الشيوعيين من بينهم كاتب هذه السطور ونبيل الهلالى والمرحوم مجدي أبو العلا الذى كان وقتئاك وكيلا للنيابة وتم احتجازهم فى قسم الوايلى وتولت النيابة التحقيق موجهة الاتهام الأساسى إلى كاتب هذه السطور باعتباره المتهم الأول والذي كان رده فى التحقيق إتهام وزير الداخلية شخصيًا بتدبير تلك المؤامرة.

كان لابد لعبد العظيم أن يفوز فى المعركة الانتخابية وأن يتغلب على خصمه فى الإعادة إلا أنه كان بحق يخشى التزوير خاصة بتغيير صناديق الاقتراع. ألححنا على عبد العظيم انيس بـ«النوم» على الصناديق وعلى أن نقوم بمساعدته بالعناصر العديدة التى كانت حولنا، غير أنه رفض ذلك رفضا باتا. لقد تغيرت الصناديق بالفعل وشاهدنا ذلك بأنفسنا من شبابيك المنازل التى تطل علي مقر اللجنة الإنتخابية بقسم الشرطة.

نشط كافة الرفاق فى المعركة الانتخابية بالتنظيم والإثارة والدعاية واختص البعض منهم فى تجنيد العناصر الصالحة لتنضم إلى صفوف منظمتنا. كانت الحصيلة عظيمة للغاية وهو ما جعل العضوية تصل إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ عشية الوحدة عام ١٩٥٨ إضافة إلى تدريب عناصرنا على رفع مستوى الأداء وتحسين أسلوب علاقاتهم بالجماهير العريضة.

وبعد انتهاء المعركة الانتخابية رأت قيادة المنظمة أنه يتوجب استثمار هذا الحدث التاريخى إلى أقصى حد وهو إجراء انتخابات برلمانية فى مصر لاول مرة منذ عام ١٩٥٢ ومن هنا تقرر تكوين لجنة خاصة وهى «اللجنة التحريكية» التى أخذت على عاتقها العمل على استمرار قيام اللجان الانتخابية أو لجان الوعي الانتخابي لتنشيط الجماهير العريضة فى المجال السياسى حول القضايا الأساسية فى البرنامج الانتخابى. كان من أعضاء تلك اللجنة كل من حسن صدقى، ثريا المنيرى (ثريا ادهم) فؤاد عبد الحليم، رفيعة النحاس، عادل الضبع، محمد عبد الغفار، عوض الباز، أحمد سالم، طه فوده، لبيب رمزى، وقد تولى كاتب هذه السطور

مسئولية تلك اللجنة التى كانت تعقد اجتماعات بمنزل حسن صدقى بشارع ابن مروان رقم ٧ بالدقى وبمنزل والده بشارع الرافعى بالدقى أيضًا. وبعد فترة من الزمن تقرر فض تلك اللجنة لانتهاء المأمورية الموكولة اليها وبالنظر لعقم الأوضاع الديمقراطية آنئاك.

فى يوليو ١٩٥٨ بعد إتمام عملية الوحدة بين المنظمات الشيوعية لها اندلعت الثورة فى العراق بقيادة «عبد الكريم قاسم» وشارك الحزب الشيوعى العراقى فى الثورة وعمل على توطيد أركانها وقد أيد كافة الشيوعيين هذه الثورة. كان جمال عبد الناصر فى الاتحاد السوفيتى ثم فى يوغسلافيا وعاد إلى مصر بعد أيام من قيامها. قررنا إظهار تأييدنا لسياسة عبد الناصر المعادية للامبريالية والتى تنتهج نهج الصداقة مع المعسكر الاشتراكى وحماية الاتحاد السوفيتى، كنت آنئاك مسئولا سياسيا فى لجنة منطقة شبرا الخيمة الحزبية والتى قامت عملا بهذا التوجه العام بتنظيم حشد عمالى كبير ينتقل من شبرا الخيمة إلى محطة مصر والوقوف فى ميدانها للتعبير عن شعورها عند مرور جمال عبد الناصر من المطار إلى منزله. اتفقنا على تركيز الهتافات بتحية الصداقة المصرية السوفيتية. كان كل شئ معداً تماما وانتظرت فى منزلى بشارع يوسف الجندى ساعة الصفر لألتحق بالجماهير المحتشدة وبرفاقنا غير أننى فوجئت بحضور عبد الرحمن عشوب من قسم مكافحة الشيوعية ومعه موظف أمن آخر وأخذانى أنا وخادمة المنزل إلى مبنى وزارة الداخلية بلاظوغلى، وفوجئت بتوجيه الاتهام إلىّ من رئيس قسم مكافحة الاجرام بتدبير مؤامرة لاغتيال عبد الناصر. غير أن «حسن المصيلحى» وكان وقتئاك رئيس قسم مكافحة الشيوعية تصدى لهذا الاتهام قائلا:

(١) إن الشيوعيين علي علاقة طيبة للغاية بالنظام وبعبد الناصر.

(٢) إن الشيوعيين لا يؤمنون بالارهاب الفردي.

(٣) أن يوسف درويش ليس هو الشخص الذى يقوم بمثل هذا العمل، وعلي الرغم من اقتناع رئيس قسم الاجرام بهذا الطرح استبقيت في وزارة الداخلية حتى تأكد لرجالها أن عبد الناصر قد وصل إلى منزله وآوى إلى فراشه ومن ثمة تم الافراج عنى. اتضح فيما بعد أن الذى قدم البلاغ ضدى كان بإيعاز من «مصطفي أمين» صاحب أخبار اليوم حيث كان يعمل بها فى قسم الحسابات موظف صغير باسم «زكى.» كانت تربط ابنتى «نوله» بأولاده علاقة زمالة فى مدرسة «الليسية» بباب اللوق ومن ثمة بدأت العلاقات بين العائلتين. لقد عمد هذا الموظف

على مراقبتي بعد أن اشتري إلى جانبه خادمة المنزل «أم مصطفى» والتي هرعت إليه عشية القبض عليَّ لسماعها مكالمة تليفونية بيني وبين عبد الرحمن عزت وكان يعمل آنذاك محاميا بمكتبي قلت له فيها «أن كل شئ معد» مشيراً إلى الاحتفال بعيد ميلاده في منزله وترجم «مصطفى امين» بطريقته الخاصة هذه العبارة بأن كل شئ معد لاغتيال عبد الناصر وحمل هذا الموظف على تقديم البلاغ المذكور وقد تبين ذلك من حديث طارئ بعد اعتقالي في آخر ديسمبر ١٩٥٨ بين إحدى بنات هذا الموظف والسيدة «عايدة» التي كانت تعمل سكرتيرة في مكتبي وبعد غلقه اشتغلت خياطة وأصبحت تتردد على منزل هذا الموظف. كان الهدف الذي يرمي اليه «مصطفى أمين» وهو المعادي الشرس للشيوعية والذي أخذ يجمع في أرشيف أخبار اليوم ملفات كاملة بأسماء الشيوعيين وعناوينهم ومهنهم ونشاطهم، كان الهدف باتهامه كاتب هذه السطور الوصول إلى وضع نهاية للعلاقات الحسنة التي كانت سائدة وقتئذ بين عبد الناصر والشيوعيين.

خلال عام ١٩٥٧ وفي بدايته كان هناك حدث هام بالنسبة لمنظمتنا حيث عقدت «طليعة العمال» مؤتمراً حضره ٣١ عضوا أذكر منهم بالاضافة إلى كاتب هذه السطور كل من أبويوسف يوسف، صادق سعد، ريمون دويك، حلمي ياسين، نبيل قرنفلي، حسن صدقي، ثريا المنيرى (ادهم)، رفيعة النحاس، جمال البراد، رجائي طنطاوي، أحمد سالم، محمد بدر، محمد عبد الغفار، فؤاد عبد المنعم، رشدي خليل، حسين توفيق طلعت، عبد الباسط خلاف، عوض الباز، لويس اسحاق..

عقد المؤتمر جلساته لمدة ثلاثة أيام كاملة بشقة استأجرها نبيل قرنفلي باسمه بعمارة الايموبيليا بشارع شريف بالقاهرة، سبق عقد المؤتمر إجراء مناقشات واضحة ومستفيضة لمشروعات التقارير المقدمة في مختلف القضايا.

وأجرى بعدها انتخاب المندوبين في الكونفرنسات التداولية التي قامت بدورها بمناقشة الأوراق وبانتخاب المندوبين إلى المؤتمر الذي أقر الوثائق النهائية ومنها الخط السياسي والخط التنظيمي وأسلوب العمل الجماهيري وقضية توحيد الشيوعيين. وتغير اسم المنظمة من «طليعة العمال» إلى اسم «حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري» وانتخب أبو سيف يوسف سكرتيراً عاما كما انتخبت لجنة مركزية من ضمنهم بالاضافة إلى السكرتير العام كل من

كاتب هذه السطور وصادق سعد وريمون دويك وحلمى ياسين وحسن صدقى وثريا المنيرى (ادهم) وعوض الباز وأحمد سالم ومحمد بدر ومحمد عبد الغفار وحسين توفيق طلعت...

وبهذه المناسبة لابد أن أذكر أنه تم فى تاريخ «طليعة العمال» خلاف هذا المؤتمر انعقاد الاجتماع المؤتمرى التأسيسى عام ١٩٤٦ وانعقاد كونفرس مندوبى خلايا القاهرة في نهاية عام ١٩٤٧ والذى حضره حلمى ياسين ومحمد يوسف المدرك وتولى طه سعد مسئولية انعقاده وقد ركز هذا الكونفرس الاهتمام حول كيفية تطبيق المقومات السياسية والتنظيمية والجماهيرية على الأوضاع فى القاهرة والعمل على إجراء مسح شامل لها علي المستوى الاجتماعي اساسا.

(٢)
من عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤

إذا بدأت بقضية الوحدة .. فأنه ينبغي على أن أؤكد على أنها كانت على الدوام إحدى القضايا المحورية وغاية فى الأهمية بالنسبة للشيوعيين المصريين.. حيث إن ضرورة التوحد طرحت فى أوقات متباينة وعلى مدار فترات زمنية مختلفة.

وأذكر أنه فى عام ١٩٤٦ قام تنظيم «حدتو» بتوزيع خطاب .. قال إنه مرسل من الحزب الشيوعي الفرنسي .. يطالب الشيوعيين المصريين بالتوحد. وفى هذه الأثناء كان للحزب الفرنسى ثقل خاص على المستوى الدولى .. وربما كان يشكل من حيث الأهمية الحزب الثانى فيما يلى الحزب السوفيتي.

وتم توزيع هذا الخطاب .. رفضنا فى حزبنا «طليعة العمال» مضمون الخطاب، رغم ما كان يمثله من ضغط علينا، وقام زملاؤنا فى الخارج بسؤال الحزب الشيوعي الفرنسي حول إصداره لمثل هذه الورقة، وكان رد الحزب وقتها أنه لا يتدخل فى شئون الأحزاب الشيوعية الأخرى، وكذلك أنه لم يصدر أبداً مثل هذا الخطاب.

ونحن فى «طليعة العمال».. كان لنا تقييمنا الخاص «لحدتو» .. حيث كنا نراها مجرد منظمة برجوازية لها توجهات تقدمية، وليست منظمة شيوعية.

ولكن خلال السنوات التى سبقت الوحدة ظل الخلاف قائماً ما بين المنظمات الشيوعية حول طبيعة عملية الوحدة. كان تصورنا أنه لكى تتم عملية من الوحده بين المنظمات الماركسية. فإنه لابد من أن تتم على أساس القواعد، بحيث تلتحم الخلايا القاعدية فى نضال سياسى مباشر، مع إحتفاظ أعضاء كل حزب بتوجهاتهم وخطهم السياسى والفكرى. وأنه خلال هذا العمل المشترك سيحدث نوع من الصراع الفكرى، وإذا حدث التقاء فى الرؤية فإن القواعد ستفرض هي على القيادات الوحدة. وهوما يفترض أن يحدث في الاحزاب التي تخوض هذه التجربة. إلا أنه فى عام ١٩٥٧ تم رفض هذا التوجه من قبل «حدتو» وكذلك من المنظمات الأخرى. وأوكد هنا أن «طليعة العمال» تخلت عنه ضمنياً بدورها .. ضمنياً وليس صراحة.

لم أكن مشاركًا فى مفاوضات الوحدة .. حيث إنها كانت تتم على مستوى «السكرتارية

المركزية».. التى كانت تضم فى «طليعة العمال» كلاً من - «حلمى ياسين» و«أبو سيف يوسف». كنت فقط عضواً فى اللجنة المركزية وبالتالى لا أعرف الكثير من التفاصيل الخاصة بوحدة المنظمات الشيوعية. إلا أننى أذكر أنه خلال آخر مؤتمر عقده تنظيم «طليعة العمال» فى عام ١٩٥٧ .. صدرت ورقة من بين أوراق المؤتمر، لا أتذكر جيداً مضمونها، إلا أننى أعتقد أنه كان بها نوع من التخلى عن الخط القديم للحزب فيما يخص وحدة الشيوعيين. وكانت هذه الورقة تمهيداً للوحدة مع المنظمات الأخرى.

وإذا نظرنا الآن إلى وحدة الشيوعيين ١٩٥٨/١٩٥٧ فـإنها كانت وحدة فوقية، تمت عن طريق ائتلاف اللجان القيادية، بناءً على الثقل الخاص لكل حزب من حيث العضوية.

وقدتم عمل استطلاع للرأى داخل حزبنا، حول مسألة التوحد، وجاءت نتائج هذا الاستطلاع مؤيدة للوحدة.

وخلال مفاوضات الوحدة اقترحت قيادة «الراية» عدم دخول من هم من أصل يهودى إلى اللجنة المركزية، وكانت بهذا الاقتراح تعنى تحديداً ثلاثة من الأشخاص .. «أحمد صادق سعد»، «ريمون دويك» وأنا . وكان «صادق سعد» وكذلك «دويك» قد أعلنا إسلامهما قبل الوحدة بفترة قصيرة .. وكنت أنا قد أسلمت في عام ١٩٤٧، إلا أن جملة «سعد زهران» فى توصيف ما يعنيهم القرار هى «من هو منحدر من أصل يهودى».

وأعتقد أن هذا التصور يعبر عن قمة العنصرية. وقد كان هذا الاقتراح وكذلك الاستجابة له بمثابة جرح لنا نحن الثلاثة. فبعد تضحيات كثيرة ونضال طويل، يتم التعامل معنا باعتبارنا شيوعيين درجة ثانية أو ثالثة.

وكون حزبنا «طليعة العمال» يقبل بهذا الشرط، فإن هذا أيضًا انزلاق فى هذا الخطأ العنصرى. والعناصر الوحيدة التى سجلت اعتراضها على هذا الشرط.. هى العناصر العمالية، أنا لم أعترض وكذلك «دويك» و«صادق سعد» حيث تصورنا أنه لا ينبغى أن نعوق الوحدة.

وحين جاء إلىَّ «حلمى ياسين» يبكى وهو يخبرنى بهذا الشرط .. لم أسجل أى ملاحظة أو اعتراض على اقتراح «الراية». وبالفعل قبل «حلمى ياسين» و«أبو سيف يوسف» هذا الشرط. ولم يكن لتنظيم «حدتو» أي تدخل فى هذه المسألة.. حيث لم يكن لديها مشكلة فى التعامل مع اليهود أو الأجانب.

وفى نفس هذا السياق كان يحدث ضغط من قبل الحزب الشيوعي الإيطالي من أجل إتمام عملية الوحدة. وحضر إلى مصر أحد قيادات هذا الحزب ليقوم بالضغط باسم حزبه .. وتحدث فى اتجاه الموافقة على مثل هذا الشرط.. مادام ليس شرطاً جوهرياً أو مبدئياً.

وربما ما يبرر تراخي «طليعة العمال» فى قبولها بمثل هذه الشروط أنه حدثت أصلاً حالة من التراخي والتسيب داخل الحزب بعد مؤتمر الحزب وإنتخابات ١٩٥٧.

وقد تكرر هذا الموقف العنصرى مرة أخرى، ولكن داخل السجن هذه المرة. فبعد اعتقالنا ضمن المجموعة الأولى فى «قضية الشيوعية الكبرى». تم تقديمنا إلي المحكمة العسكرية فى الأسكندرية. وجاء تكليف من «أبو سيف يوسف» بصفته السكرتير العام للحزب الشيوعي الموحد بأن على جميع أعضاء اللجنة المركزية المقبوض عليهم وكذلك كل عضو له صفة جماهيرية أن يقدم دفاعاً سياسياً واعترافا بعضوية الحزب. وكنت وقتها شخصاً له صلات جماهيرية واسعة بالعمال فى شبرا الخيمة. فكان من المنطقى أن أقدم دفاعاً سياسياً واعترافاً بالعضوية.

ومن أجل تنظيم وإعداد الدفاعات السياسية تم تشكيل خلايا داخل سجن مصر، لتجتمع وتناقش هذه المسألة. وكنت فى خلية تضم «محمد سيد أحمد»، «عبد العظيم أنيس»، «نبيل الهلالى» وآخرين.

وقدم «عبد العظيم أنيس» اقتراحاً إلى الخلية .. بألا أعترف بعضوية الحزب .. حيث إننى من أصل يهودي، ووافقت الخلية على هذا الاقتراح. وكان هذا هو الموقف العنصرى الثانى، فخرجت عنه وقدمت دفاعاً سياسياً، واعترافاً واضحاً أمام المحكمة بعضوية الحزب الشيوعي المصرى.

وبالرغم من تكليف السكرتير العام للحزب إلا أن هناك عناصر من أعضاء اللجنة المركزية والذين هم أصلاً أعضاء من «الراية» أو «حدتو» خرجت عن هذا التكليف.. ولم يعترفوا بعضوية الحزب .. مثل «فؤاد مرسى» و«إسماعيل صبرى عبد الله».

وأذكر هنا أنه كانت هناك اعترافات جيدة جداً منها اعتراف «حلمى ياسين» وكان القاضى يدعى «هلال عبد الله هلال» الذى حاول أن يستهزأ بالحزب حين أعلن «حلمى ياسين» عضويته به فقال القاضى «هو فين ده الحزب الشيوعى المصرى اللى بتتكلم عنه» فكان رد «حلمى ياسين» ..«الحزب الشيوعى موجود فى المصانع والقرى والمدارس والجامعة .. وفى قاعة المحكمة كمان».

وحدث هرج بالقاعة فقام الأمن بإخلائها من الأهالى.

وبالعودة إلى مسألة الاعتراف بعضوية الحزب فإننى أعتقد أن كسر قرار السكرتير العام بخصوص الاعتراف يعد رغبة من العناصر البرجوازية فى الحفاظ على علاقتها بالنظام السياسى القائم .. وبالرغم من هذا فإن هذا الخروج عن القرار لم يحدث أى خلاف حقيقى داخل الحزب.

ويمكن هنا أن نعود إلى الوراء قليلاً خلال فترة الوحدة وما يليها قبل الاعتقال، حيث إننى أذكر أن اللجنة المركزية للحزب الموحد تم تشكيلها بنسب العضوية، وكانت طليعة العمال قد تقدمت بعدد ٢٠٠٠ عضو. وتم تشكيل اللجان القيادية بناءً على هذا، إلا أننى لا أعرف الكيفية التى تم تشكيل السكرتارية المركزية على أساسها.

وحين حدث توحيد للخلايا .. كنت مسئولا عن منطقة شبرا الخيمة، وكان مسئول التثقيف على ما أذكر هو «فرنسيس كيرلس» وظل التعامل داخل الخلية الواحدة أو على مستوى المنطقة وفقًا للتنظيمات القديمة .. فكانت هناك تكتلات بناءً على الانتماءات السابقة. وكنت تشعر وأنت فى إحدى الخلايا أن هناك أكثر من حزب وليس حزبًا شيوعيًا واحد.

وقبل اعتقالنا وعقب الوحدة وبعد انتهاء إنتخابات ١٩٥٧، حدثت حالة من التراخى داخل الحزب، حتى على مستوى الأمان الحزبى برغم العمل السياسى الذى كان على أشده، وبدأت حالة الحذر فقط مع تصريح عبد الناصر الخاص بانتهاء معركته مع الاستعمار، بعد هذا التصريح استشعرت وجود خطر، وجهزت نفسى للأختفاء. فقمت بتأجير شقة فى مصر الجديدة وأخرى فى السيدة زينب. بحيث أختفى فى إحداهما وأمارس عملى الحزبى والسياسى من خلال الأخرى. ولم أخبر أى أحد حتى زوجتى بهذا الموضوع.

وقتها كان مسئول لجنة التنظيم فى القاهرة هو «عادل سيف النصر» .. وأثناء وجودنا فى أحد الاجتماعات اقترحت أخذ الاحتياطات بناءً على وجود خطر أمنى، واقترحت كذلك اختفاء العناصر التى تعمل فى مواقع معينة، وقام هو برفض هذا الاقتراح، وأكد عدم وجود أى خطر بوليسى.

وبالفعل فإنه بناءً على ما قاله حدثت حالة من الراحة النفسية والتراخى. وكان الوحيد من القيادة الذى كان بالفعل لديه الحرص الكافى هو «أبو سيف يوسف» الذى اختفى ولم يتم القبض عليه معنا.

وجاءت ليلة رأس السنة .. وكنت مدعواً مع زوجتى إلى حفلة فى منزل أحد زبائنى اسمه «جاسر» وبعد عودتنا الساعة ٢,٠٠ صباحاً، تم القبض على واقتيادى إلى مقر المباحث ضمن قضية الشيوعية الكبرى التي ضمت ٦٤ عنصراً قيادياً.

بقيت فى المباحث يومين، لم يكن هناك ضرب أو تعذيب، كان فقط استجواب ثم ترحيلى إلى القلعة مع بقية المجموعة، حيث كان لنا فى البداية حرية كاملة فى إعاشة أنفسنا.

وأذكر هنا حادثة لها دلالتها، وهى أن عناصر حدتو التى لم تشارك فى الوحدة ورجعت عنها كانوا يحاولون إقناع الآخرين بمساوئ الحزب ومشاكله، وبضرورة الخروج عنه، وأحد هؤلاء الزملاء «جمال غالى» تناقش معى ضد الوحدة، واستمعت لوجهات نظره وثار «إسماعيل صبرى عبد الله» ثوره عارمة لمجرد أننى أستمعت له أى «جمال غالى».

فى هذه الفترة كانت قد بدأت تحقيقات النيابة معنا .. وفى إحدى المرات سألنى وكيل النيابة عن رأيى فى الأوضاع بمصر، فأجبته بأنها لابد من أن تتقدم. فسأل إن لم تتقدم؟ - فرديت بأنه «يوجد دستور على الدولة الالتزام به .. فبادر بالسؤال وه إذا لم تلتزم الحكومة بالدستور؟!» .. بحيث أنه وضعنى فى ركن خلال الحوار وأضطررت أن أجيبه بأننا سوف نجبرها على هذا بالقوة.

وكان هذا هو السبب فى أننى حصلت على حكم بالسجن لمدة عشر سنوات من المحكمة العسكرية.

فى مارس من نفس العام تم ترحيلنا إلى الواحات، حيث تم ترحيلنا إلى محطة القطار بالجيزة فى لوريات، وتم ربطنا بالسلاسل مثل البهائم، وكان أهالى المعتقلين منتظرون فى محطة القطار وقام البوليس بإخلاء المحطة، وحدثت صدامات بين الأهالى والشرطة نتيجة لهذا. وأذكر أن الكثير من المارة تجمعوا حول هذه المشادات .. وكان هذا هو يوم ٢١ مارس ووقع «أديب ديمترى» على الأرض أثناء تحرك القطار، وتم سحبه لمسافة حتى تمكنا من سحبه إلى داخل القطار.

وحين وصلنا إلى الواحات كان فى انتظارنا «عمت» رئيس مصلحة السجون، وكانت «العروسة» منصوبة فى ساحة السجن كنوع من التهديد، وحدث ضرب فى التشريفة، لكن التعذيب لم يكن قد بدأ بعد.. وكذلك فى هذه الفترة الأولى الخاصة بالواحات، لم يكن هناك

عمل في الجبل. بقينا هناك شهر ونصف،كانت ممنوعة عنا الزيارات وقتها، وأذكر أن منظمات دولية من بينها «الأفيش» قد أرسلت لنا أطعمة وملابس. تمت مصادرتها بالكامل من قبل إدارة السجن.

قبل المحاكمة تم ترحيلنا إلى سجن مصر، وسمح لنا بشكل محدود بالزيارات السلك وبقينا هناك حوالى العشرين يومًا، وأثناء ترحيلنا إلي سجن الحضرة بالأسكندرية من أجل المحاكمة كان هناك ضرب شديد العنف، وتم تكثيف الضرب على فؤاد مرسى»، بسبب احتجاجه بصفته عنصراً قياديًا على الضرب.

لابد هنا أن أتوقف قليلاً عند المحامى الذى ترافع عنى .. لم أكن أعرفه من قبل، كان محاميًا وفديًا اسمه «محمود البدينى» .. قدم مرافعة جيدة جداً عن حق الشيوعيين في العمل السياسى، وبعد انتهاء المرافعة وخروجه من المحكمة تم القبض عليه، وبقى فى المعتقل حوالى سنة. سافر بعدها إلى فرنسا ثم إلى بريطانيا حيث عمل مذيعًا فى الـ B.B.C، وفيما بعد وبينما كان يذيع خبراً عن إسرائيل، قام هو بتكذيب هذا الخبر حيث إن صياغة الخبر كانت مؤيدة لإسرائيل فتم فصله، فعاد إلي باريس وعمل فى منظمة اليونسكو. وقام بزيارة مصر عدة مرات إلا أنه بقى مستقرا فى الخارج.

بعد المحاكمة تم نقلنا إلى «أبو زعبل». وهنا بدأ التعذيب المكثف منذ اليوم الأول لوصولنا حيث كانت تقف سيارات الترحيل بعيداً عن بوابة السجن، وفى المسافة بين السيارات والبوابة كان هناك ضرب مكثف.

أذكر جيداً اليوم الذى مات فيه «فريد حداد» فقد كانوا يضربونه بجوار زانزانتى. ورأيته وهو مرمى على الأرض يموت وهو صامت تمامًا، كانوا أثناء تعذيبه يريدونه أن يقول «أنا خواجة» فكان رده الوحيد عليهم «أنا مصرى» حتي اللحظة الأخيرة من حياته.

واستمر الضرب والتعذيب بمعدل شبه يومى فى «أبو زعبل»، وكنا نبقى أغلب أوقات الاعتقال فى عنبر التأديب.

وكان من ضمن الزملاء الذين يعرفون كيف يقيمون علاقات جيدة وصداقات مع المسجونين العاديين «عبد المنعم شتلة».. وكان المسجونون يمدونه بالمعلومات والأخبار من الاذاعة. وعرفنا وقتها عبر هذا الطريق أن أذاعة العراق قامت بالحديث عن المعتقلين الشيوعيين وذكرت

أسمائنا .

وخلال هذا العام ١٩٥٩ ، عرفنا داخل السجن أن هناك عزبة إلى جوارنا أغلب سكانها من السجانين، ويبدو أن صوتنا أثناء الضرب وصل إلى هذه العزبة.وعرف الأهالى أن هناك أشخاصاً يتم تعذيبهم داخل هذا السجن، وتزامن هذا مع استشهاد «فريد حداد» وعرفنا أن زوجات السجانين رفضن مضاجعة أزواجهن، ودخلن فى احتكاكات ومشاكل أسرية معهم احتجاجًا على ضربنا ، وحين سمعنا بهذا الموضوع في «أبو زعبل» تأثرنا كثيراً وارتفعت معنوياتنا .

ومن المواقف المؤثرة أيضًا .. أنه أثناء ضربى فى إحدى المرات احتججت على هذا الضرب ورفضته . فأودعونى فى عنبر التأديب كعقاب، وكان هناك سجان اسمه «فرج» لايشارك فى الضرب، نظر إلىّ من خارج الزنزانة فوجد الطعام لم يمس وهو متروك بجانبي، وحين سألنى عن السبب فى عدم تناولى للطعام أجبته «مليش نفس» فرد علىّ رداً أتذكره جيداً حتى اليوم .. قال.. «ياعبيط كُل .. عشان هم عايزين يموتوكوا».

فى إحدى المرات تم تحويلى من «أبو زعبل» إلى مستشفى الحميات بالعباسية، وكنت قد أصبت بالحمي، بقيت هناك لأيام زارتنى خلالها زوجتى «إقبال» وابنتى «نولة» وكانت كل قدمى مشققة من الضرب والظروف في أبو زعبل، وحاولت تغطية قدمى حتى لا يروتها.

وأعتقد أن صحتى كانت قد بدأت فى هذه الفترة فى التدهور، حيث إنه بعد هذه المرة مرضت مرة أخرى ولكن بالقلب هذه المرة مثلما حدث عام ١٩٥٧ عقب الانتخابات وكان قد عالجنى فى تلك المرة المرحوم «فريد حداد». فتم نقلى من السجن إلى مستشفى القصر العينى لفترة قصيرة عدت بعدها إلى الواحات مرة أخرى، وبمناسبة الواحات، أود أن أشير هنا إلى أنه عندما تم القبض على «أبو سيف يوسف» في عام ١٩٦٢ .. كانت علاقتنا قديمة جدا وقوية وحميمة للغاية، تناقشت معه أثناء وجودنا فى الواحات حول ضرورة الهرب من السجن، بناء على أن هذه الفكرة فىَ جوهرها «ثورية وطبقية» ووافقنى هو على ذلك .. إلا أنها كانت مسألة شديدة الصعوبة، ولم نتحدث فيها مرة أخرى، وكان هذا قبل الهروب الشهير الخاص بـ«إبراهيم هراري».

وفى الواحات قررنا أن ندخل فى إضراب عن الطعام لتحسين الأحوال داخل السجن،

وكذلك تحسين معاملتنا ، وكان يتم وقتها إتصال ما بين عائلتى وعائلة الزميل «نبيل سمعان» الذى كان متزوجًا من أخت «نسيم يوسف» وكان كذلك له أختان مصابتان بالصمم، يزورانه بالتبادل. وفى إحدى المرات كان يوم عيد ميلاده، وكان ذلك قبل توقيت بدء الإضراب، وأثناء الزيارة قام «نبيل سمعان» بإخبار أخته عن طريق الإشارات بموعد الإضراب وأسبابه، ولم يفهم الضابط الموجود أى شئ .. وأثناء عودة أخته مع زوجتى من الواحات أخبرت الأخيرة بكل التفاصيل. وقامت «إقبال» زوجتى بالاتصال بعدد من الإذاعات الأوروبية وأبلغتهم بالموضوع، وبالفعل أذاعت بعض القنوات أخباراً عن الإضراب وهوما ساهم فى نجاحه وتحسنت أوضاعنا نسبيًا. وهذه أهم الأشياء والأحداث التى أتذكرها عن فترة السجن.

فيما يخص مسألة حل الحزب، لابد أن أشير بداية إلى أن موضوع الحل لم يتم إثارته معى إطلاقًا داخل السجن ، ولم يتم مفاتحتى فى الموضوع إلا بعد الخروج من المعتقل فى عام ١٩٦٤.

وأعتقد أن الحوار حول حل الحزب كان يقتصر وقتها داخل المعتقل على حفنة محدودة من الزملاء وداخل حلقات ضيقة للغاية.

وحسبما أعرف فأنه قد حدث إتصال من قبل السلطة مع الزملاء .. «فؤاد مرسى»، «إسماعيل صبرى عبدالله»، «عبد العظيم أنيس» وذلك أثناء زياراتهم للمستشفيات من أجل العلاج .. أما داخل السجن فكان الحديث معاكسًا لهذا التوجه تمامًا. كان دائما يدور الكلام حول ضرورة التماسك ووحدة حزبنا.

وقبل خروجنا من المعتقل مباشرة وفى الفترة الأولى بعد الإفراج كانت تدور عملية لإقصائى عن مواقع ومناصب معينة كنت متواجداً بها، لم أكن طبعًا عضواً باللجنة المركزية للحزب. إلا أننى كنت مسئولاً عن منطقة شبرا الخيمة، وهو الموقع الذى كان يقربنى من مركز الحزب فتم إقصائى عن هذا الموقع، وأصبحت مسئول خلية ليس لها أى سمات مشتركة وليس لها كذلك أى موقع نضال يوحدها وكانت تضم «نبيل الهلالى» و«أحمد عبد العال» وآخرين.

وقتها تصورت أن هذا الإجراء إجراء عادى، إلا أننى الآن أعتقد أنها كانت عملية إقصاء للعناصر التى تراها القيادة متشددة فيتم إبعاد هذه العناصر عن المواقع الهامة والمؤثرة وكانت هذه هى مقدمات الحل.

ومن هنا فقدت أية صفة للتأثير فى العضوية، وتم إبعادى عن صلاتى العمالية، وبعد الإفراج عنى فى مايو ١٩٦٤.. لم يتم عرض مسألة الحل أبداً على تلك الخلية، وفى أحد الأيام حضر إلى منزلى الزملاء .. «حلمى ياسين»، «أبو سيف يوسف»، وقالوا إن قيادة الحزب تفكر فى حله. وحين سألت عن مبررهم فى هذا التفكير، قالوا إنه لا يوجد الآن عضوية، وإن الظروف شديدة الصعوبة، وإنه أيضاً توجد حالة من التفكك الفعلى للحزب. هنا طالبت بالصبر لفترة. إلا أننى وجدت منهم إصراراً على موضوع الحل. اقترحت بأنه إذا كانوا قد أصدروا قراراً بالحل فأنه من الضرورى أن يتم تشكيل مجموعة أو هيئة تضمن الاستمرار فيما بعد بأى شكل، بحيث تجتمع هذه الهيئة على فترات لتراقب مدى التزام عبدالناصر بتعهداته الخاصة بدخول كل الشيوعيين إلى الاتحاد الاشتراكى العربى. وأنه إذا تغيرت الأوضاع تتم إعادة تأسيس للحزب وهو ما ينبغى أن يحدث فى حالة عدم التزام النظام بتعهداته فيكون لهذه الهيئة الحق فى أن تقرر عودة الحزب الشيوعى.

وبالفعل تم الاتفاق على هذه المجموعة وضمت «صادق سعد»، «أبو سيف يوسف»، «حلمى ياسين»، «فؤاد عبد المنعم»، «حسن صدقى»، «حسين توفيق طلعت»، و«يوسف درويش» وآخرين لا أذكرهم.

وبالفعل اتضح بعد فترة أن السلطة منعت دخول كثير من الشيوعيين للاتحاد الاشتراكى فطالبت بعقد اجتماع لهذه المجموعة، إلا أن جميعهم تهربوا أو رفضوا الاجتماع.

وبالعودة إلى الخلية التى أشرت إلى أننى كنت مسئولها.. فإن موضوع الحل لم يطرح أمامها أبداً .. حيث كانت هذه الخلية قد انتهت فعليًا قبل الإعلان عن حل الحزب الشيوعى المصرى.

لقد كنت ضد الحل، إلا أن صلتى بالقواعد كانت قد انتهت فعليًا، وكانت إمكانياتى الذاتية فى الحركة قد تضاءلت، وخصوصا مع خداعى وتزييف الحقائق الذى تم، حين قاموا بإبلاغى بأن أغلب العضوية قد انفرطت، فقد اكتشفت بعدها أن الكثير من القواعد كانت رافضة بصلابة حل الحزب، وخصوصاً القواعد ذات الطابع العمالى.

عرفت بعدها من «حلمى ياسين» أن «ميشيل كامل» قام بممارسة بعض الضغوط من أجل حل الحزب وأنه قابل «أبو سيف يوسف» وقال له .. «لو مش هايحصل حل للحزب، هاترجعوا

السجون مرة تانية»

وفي أحد لقاءاتي مع «ميشيل كامل» خلال السبعينيات في باريس، قمت بسؤاله عن هذه الواقعة، فلم يؤكدها أو ينفيها.

أما على المستوى الخاص.. فحين خرجت من السجن كان مكتبي قد صفي وأغلق فعليًا، ولم يكن لدى إمكانية مالية لدفع إيجاره، حاولت أن أجد عملاً من خلال الحكومة بناءً على وعود السلطة بأنها ستقوم بتشغيل جميع الشيوعيين، وذهبت إلى المكان الذى حددوه من أجل المقابلات في مجلس قيادة الثورة بصاحبة «حلمى ياسين».. وقاموا بتشغيل كل المتواجدين يومها إلا أنا.

بعدها أخذت حجرة في مكتب «ظريف عبد الله».. وبدأت أعمل في بعض القضايا إلا أن «ظريف عبد الله» قام بتصفية المكتب وسافر إلى باريس، فعرض عليّ: «نبيل الهلالى» حجرة في مكتبه، وبالفعل أخذتها وبدأت أعمل مرة أخرى كمحامٍ من خلال هذه الحجرة.

(٣)
حوار مع المناضل / يوسف درويش

حول ماجاء في سيرته الذاتية وشهادته في ٢٠ فبراير سنة ١٩٩١، أجراه رمسيس لبيب جلسة الحوار الأولى مساء يوم الثلاثاء ١٩٩٦/٨/٦.

س - ذكرت في سيرتك الذاتية أن المنظمة التي اشتهرت باسم «طليعة العمال» والتي كنت واحداً من الرفاق الثلاثة الذين أسسوها عقدت مؤتمرين، الأول عام ١٩٤٦ عندما تسمت بـ«الطليعة الشعبية للتحرر» والثاني عام ١٩٥٧ عندما تحولت إلى «حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري» فهل تم عقد المؤتمرين بانتخاب المندوبين؟

جـ - أجل، في المؤتمر الأول كان يوجد ست خلايا اختارت كل خلية مندوباً للمؤتمر، وأذكر أن المؤتمر الثاني تم أيضا بانتخاب المندوبين، ويمكن التأكد من ذلك بسؤال حلمي ياسين لأنه كان المسئول التنظيمي حينذاك.

س - لماذا لم يعقد أي مؤتمر في المدة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٧؟

جـ - لا أعرف ، وإن كنت أذكر أننا كنا نعد لعقد مؤتمر عام ١٩٥٠ وألقى القبض عليّ في ذلك العام ومعي مشروع اللائحة الذي كنت مكلفًا بإعداده.

س - غابت أسماء رفاق عمال مثل محمود العسكري ويوسف المدرك وطه سعد ومحمود قطب من أسماء أعضاء اللجنة المركزية الذين ذكرتهم والتي انتخبها مؤتمر عام ١٩٥٧ فهل يعد هذا مؤشراً علي غلبة عضوية عناصر البرجوازية الصغيرة على التنظيم حينذاك؟

جـ - كان في اللجنة المركزية التي انتخبها المؤتمر عمال مثل محمد بدر وأحمد سالم وعوض الباز ومحمد عبد الغفار.

س - قلت في سيرتك الذاتية إن عدد أعضاء منظمة «حزب العمال الفلاحين الشيوعي المصري» وصل عام ١٩٥٧ إلى ألفين، كم كانت نسبة العمال بينهم؟

جـ- يُسأل في هذا حلمي ياسين فقد كان المسئول التنظيمي حينذاك. وفي عام ١٩٥٠ كان ٤٧٪ من أعضاء التنظيم عمالاً، وكنا نضع قاعدة تقضي بأنه عند تجنيد عشرة أعضاء لابد أن يكون منهم سبعة عمال.

س – أشرت إلى انضمام منظمة «حركة تحرير الشعب» حتش إلى طليعة العمال فهل هى نفس «منظمة تحرير الشعب» التى أسسها مارسيل إسرائيل؟

جـ – لا .. هذه منظمة أخرى انضمت إلينا كان قد أسسها راؤل مكاريوس وعبد الرحمن عزت وحسين توفيق طلعت ، وأذكر أن انضمامها إلينا كان بناء على نصيحة الحزب الشيوعى السورى (حزب سورياولبنان قبل أن يصبح حزبين) وقد كانت علاقتنا بذلك الحزب جيدة.

س – بماذا تفسر عدم حدوث أى انقسام فى«حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» منذ تأسيسه؟

جـ – يرجع ذلك للأسباب الآتية :

أولاً : وضوح الرؤية، منذ تأسست المنظمة عام ١٩٤٦ ، وضوح الرؤية فى المسائل الفكرية والتنظيمية والعمل الجماهيرى.

ثانيًا : كنا نتبنى نظرية سليمة فى العمل الجماهيرى تقوم على أساس أننا لسنا المهيمنين على الجماهير ولا أسيادهم. ولكننا نعمل على توجيه الجماهير وتنظيم صفوفها ونتعلم منها كما تعلمها، أى أننا كنا نعمل على مساعدة الجماهير علي أن تتطور. فمثلاً فى داخل النقابات كانت وجهة نظرنا تقوم على عدم فرض آرائنا كمجموعة أو تكتل داخل النقابة على العمال بل نعبر عن آرائنا وندع العمال يقررون ما يشاءون، وذلك بخلاف النظرية التى كانت تتبناها حدتو وهي الهيمنة على الحركة الجماهيرية بالهيمنة على النقابات

ثالثًا : كانت توجد بالتنظيم مركزية ديمقراطية حقيقية لا مركزية فقط، فبعد الاتفاق على الخط العام تكون كل خلية مسئولة عن عملها لا يتدخل فيه أحد. فمثلاً فى الحياة العامة داخل السجون وكنا نحن أول من أنشأها كنا نضع الأسس العامة كقيادة ونترك للرفاق أن يختاروا من يشاءون حتى ولو كان من يختارونه لقيادة الحياة العامة من خارج التنظيم.

رابعًا : سلوكيات القيادة، كنا نحرص علي أن يكون سلوكنا الشخصى ممتازًا فى حياتنا العامة والخاصة، وعندما كانت تثور مشاكل فى الحياة الشخصية لرفيق أو بين رفيق وآخر كنا نتدخل لحلها بروح رفاقية، وكمثل على ذلك، فى غمرة النضال فى الأربعينيات كانت ظروف العمل تستلزم أن أسير مسافات طويلة وشاقة وإلى ساعة متأخرة من الليل واقترح رفاق شراء عربة لى لتسهيل عملى ورفضت ذلك تمامًا حتى لا أبدو أمام العمال «خواجة ليس منهم»

س - ما قولك فى الاتهام الذى كان يوجه إلى «طليعة العمال» باتباعها نظرية «النمو الذاتى»؟

جـ - مضبوط بشكل عام لأننا كنا ننظر إلى هنرى كوريل ومن معه بأنهم ليسوا شيوعيين ويخربون الحركة الشيوعية، وكنا نعتبرهم إتجاهًا برجوازيًا صغيراً، وفى معتقل الهايكستب دار بيننا حوار بين حدتو وكان يمثلها مبارك عبده فضل، وقلت له إننا نتكلم لغتين مختلفتين ،ولن نلتقى أبداً.

س - ما رأيك فى الاتهام الذى وجه إلى «طليعة العمال» بالانحراف الاقتصادى؟

- غير صحيح كان لابد أن يكون التحريك مع العمال فى نضالاتهم النقابية والاقتصادية.

س - إلي أى حد كان هذا التحرك مصطحبًا بنشر الاشتراكية العلمية وكسب العمال للنضال الشيوعى؟

جـ - لقد تم ربط كثيرين من العمال بالعمل الشيوعى، وفى عام ١٩٥٠ كان عندنا كما سبق أن قلت ٤٧٪ من أعضاء المنظمة عمالاً وكنا نضع قاعدة أنه عند تجنيد عشرة أعضاء لابد أن يكون منهم سبعة عمال.

س - بالنسبة لقضية الاحتراف هل كان التنظيم يهتم بإيجاد محترفين؟

جـ - كان عندنا محترفون، أبو سيف يوسف كان محترفًا، وكان حلمى ياسين محترفًا فى المحلة الكبرى، كان محترفًا لكنه كان يمارس عملاً حرصاً على الأمان.

س - ماذا كان موقفك من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨؟

جـ -كان موقف طليعة العمال من قضية الوحدة أنه لا ينبغى أن تتم وحدة فورية، كنا نرى أنه لابد أن توجد لقاءات فى القمة للتشاور دون اتفاقيات، وأن تتم وحدة العمل بين خلايا المنظمات فى القاعدة، أى أن تتم الوحدة من القاعدة لا من القمة، وعندما تمت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ كان يصعب عليّ الاعتراض رغم اعتقادى بأنها لم تكن فى مصلحة «طليعة العمال» لأنه تقرر فى مناقشات الوحدة إبعاد اليهود عن القيادة، ولأننى فى الأصل مصرى يهودى الديانة اعتنقت الإسلام عام ١٩٤٧ لم أعبر عن اعتراضى حتى لا يبدو أن الأعتراض وراء أسباب شخصية.

وأرى أن القبول بهذا الشرط فى الوحدة هو أول التنازلات التى كان لابد أن تعقبها تنازلات

أخرى فى مواجهة البرجوازية، وأعتقد أنه إرضاء للبرجوازية، كان مطلوب استبعاد الثلاثة مؤسسى «طليعة العمال».

س - ما رأيك فى أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥؟

جـ- أرى أن السبب الرئيسى هو عدم ربط القضية الوطنية بالقضية الطبقية بما يكفى، وطبعًا درجة عدم الربط بين القضيتين يختلف من منظمة لأخرى، وأعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة مستفيضة.

جلسة الحوار الثانية مساء يوم ١٩٩٦/٨/٢٩

س - هل كان لمنظمة طليعة العمال وجود بين الفلاحين؟

جـ - وجودنا بين الفلاحين كان ضئيلاً جداً. وقد كانت لى علاقات بالريف والفلاحين قبل نشأة «طليعة العمال» فقد افتتحت فى ميت عقبة فى الثلاثينيات فصلا لمحو الأمية كان فيه حوالى أربعين أو خمسين فلاحًا. وكان لحلمى ياسين علاقات بفلاحين فى قرية فى محافظة بنى سويف، وحاول فتح مركز لمحو أمية الفلاحين بريف طنطا.

س - هل شاركت «طليعة العمال» فى النضال المسلح فى القنال، وفى مقاومة الانجليز داخل بورسعيد عام ١٩٥٦؟

جـ - لا أذكر أننا شاركنا فى النضال المسلح في هذين الظرفين، وأرجح القول بأننا لم نشترك اشتراكًا فعليًا.

س - يقول محمد صادق سعد فى كتاب «صفحات من اليسار المصرى» إن جميع المنظمات فى الحركة الشيوعية الثانية كانت مصابة بالجمود العقائدى فما قولك فى مدى انطباق هذا القول على طليعة العمال؟

جـ - الحركة الشيوعية المصرية كلها كانت ذيلية من الناحية الفكرية للاتحاد السوفيتى، والدليل على ذلك أن «طليعة العمال» كان لها موقف حاسم بالنسبة لإقامة دولة اسرائيل إذ أنها كانت ترفض إقامة هذه الدولة، وفجأة وعندما وافق الاتحاد السوفيتى على قرار التقسيم غيرت طليعة العمال موقفها. وعلىّ أن أذكر أن «طليعة العمال» كان لها اجتهادها وكتاباتها فى قضايا مثل قضية الفلاح وقضية التمرين.

س - هل كان لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى استراتيجية تحدد طبيعة الثورة القادمة وقوات الثورة وحلفائها وأعدائها، وغيرها من المسائل الاستراتيجية والتى على أساسها يحدد التكتيك والبرنامج والخط التنظيمى أم كان لها فقط خط سياسى تكتيكى؟

جـ - بالنسبة للطليعة الشعبية للتحرر كان يوجد ما يسمى بالرسائل، كانت يوجد ما يسمى بالرسالة السياسية، وكانت توجد أخرى تنظيمية وثالثة جماهيرية، كما كانت توجد لائحة، وبالنسبة لعام ١٩٥٧ فقد أقر المؤتمر المقومات الأساسية.

وبالمناسبة وبخصوص ما يقال عن دراسة تاريخ مصر فقد وقع فى يدى منذ سنوات كتاب بالفرنسية لم يترجم إلى العربية لبول جاكودى كومب الأب الروحى لبدايات تأسيس طليعة العمال يتضمن دراسة لتاريخ مصر.

س - قال طه سعد فى حوار أجرى معه يوم ٢٨ سنة ١٩٩٦ أن قضية السلطة لم يكن لها حضور فى كتابات طليعة العمال، أى أن مسألة الاستيلاء على السلطة لم تكن واضحة فى الرسائل السياسية التى كانت تصدرها المنظمة فما رأيك؟

جـ - كان مفهومًا بالطبع أننا كشيوعيين نسعى إلى السلطة، ولكن لم يكن بالفعل لهذه القضية حضور فى الكتابات عن الأهداف التى نسعى إليها وذلك حتى عام ١٩٥٧ قبل انعقاد المؤتمر، ولا أذكر ما جاء فى المقومات التى أقرت عام ١٩٥٧ بهذا الشأن.

س - إلى أى مدى كان يتم تثقيف أعضاء المنظمة بالماركسية اللينينية؟.. هل كانت تعمل مدارس كادر أو توضع برامج لتثقيف الأعضاء بالماركسية؟

جـ - عملت بالفعل مدارس كادر، وقد قمت بالتدريس فى واحد منها، وكانت توجد محاضرات عن قضايا ماركسية مثل الأرباح والأجور والاستغلال الرأسمالى.

س - بالنسبة لتشكيل «هيئة العمال للتحرير القومى» فى الاربعينيات بمعرفة رفاق من طليعة العمال كطه سعد ومحمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك باعتبارها حزبًا للطبقة العاملة يستهدف تأسيسه. ألا ترى أن إنشاء مثل تلك الهيئة يعنى عدم ضرورة الحزب الماركسى اللينينى لقيادة الطبقة العاملة؟

جـ - كان خلف تلك المحاولة المجموعة الماركسية المؤسسة لطليعة العمال وكان الهدف هو إيجاد شكل علنى للكفاح.

س – معروف أن مؤتمر ١٩٥٧ الذى أعلن تكوين منظمة حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصري ناقش موضوع الوحدة مع المنظمات الماركسية الأخرى فماذا كان موقف المندوبين من قضية الوحدة.

جـ – الأغلبية فى المؤتمر كانت مع عمل الوحدة وذلك وفقًا للتقرير المقدم للمؤتمر والذى تمت الموافقة عليه أى الوحدة وفقًا لمفهومنا الذى سبق أن تكلمت عنه. وقد شارك في ذلك المؤتمر الذى عقد فى عمارة الأيموبيليا حوالى عشرين مندوبًا أذكر منهم ابو سيف يوسف وحلمى ياسين وصادق سعد وريمون دويك وأحمد سالم ومحمد عبد الغفار وعوض الباز وفؤاد عبد المنعم ولم يحضر محمود العسكري أو طه سعد.

س – يقال إنه فى عام ١٩٥٧ كانت تجرى مفاوضات بين منظمة حزب العمال والفلاحين ومنظمة طليعة الشعب الديمقراطية لعمل وحدة بأسلوب اللجنة التحضيرية والمؤتمر التأسيسى الذى كانت تدعو إليه المنظمة الثانية. ولكن سرعان ما أوقفت منظمة حزب العمال والفلاحين المفاوضات لعمل وحدة مع المنظمتين الكبيرتين الأخريين فما رأيك فى هذا القول؟

جـ – لا أعرف شيئا عن مفاوضات من هذا النوع، وأنا لم أشترك فى أية مفاوضات لعمل الوحدة.

س – كانت لك تجربتك المبكرة والناجحة للوصول إلى الطبقة العاملة وتجنيد عناصر عمالية قيادية بارزة فما هى فى رأيك العوامل والأساليب التى ساعدتك على ذلك؟

جـ – لا تبالغ فى دورى، وأرى أنه لابد من عدة أمور يحقق توافرها الوصول إلي الطبقة العاملة والارتباط بها. فلابد من دراسة أحوال ومشاكل العمال جيداً. وفى الثلاثينيات ذهبت إلى دار الكتب وقرأت كل ما كتب عن الطبقة العاملة فى أعداد الأهرام منذ ١٩١٩ إلى ١٩٣٤ وكنت أعمل ملفًا لكل مشكلة أجمع فيه التفاصيل الخاصة بها. ولابد للمناضل الشيوعى أن يجيد الاستماع وأن يدرك أنه يتعلم من العمال قبل أن يعلمهم. وأن يتعامل معهم أولاً وقبل كل شئ بدون استاذية أو تعالٍ أى أن يكون فى تعامله معهم كواحد منهم يتكلم لغتهم لا لغة المثقفين والأساتذه، وأن يحترم تقاليدهم ومعتقداتهم، وأذكر أننى لم أتناقش مع أحد من العمال في المسائل الدينية. كان العمال يصلون بأنفسهم عبر الكفاح وظروفهم الخاصة إلى الحقيقة العلمية. لقد ارتبطت بعمال مثل الزميل طه سعد كانوا اخوان

مسلمين وأصبحوا شيوعيين دون أن أتحدث معهم أبداً عن الدين. لابد أن يعيش المناضل حياة ليست غريبة ولاشاذه عن حياة الطبقة العاملة، وأذكر أننى فى بداية الأربعينيات افتتحت فى منزلى ببولاق فصلا لمحو أمية العمال وتعليمهم الحساب واللغة الانجليزية كنت أقوم بالتدريس فيه، وكان منزلى مفتوحًا للعمال وزوجاتهم وأولادهم فى أى وقت، ولذلك سموه بيت الطبقة العاملة، ولابد للمناضل أن يكون شريفًا فى تعامله مع العمال، لقد كنت محاميًا لكثير من النقابات والعمال، وكنت أتقاضى أجراً عن عملى لأننى لم أرث شيئًا مذكوراً عن أبى ولكنه كان أجراً رمزيًا فى حين كنت أتقاضى من التجار الذين يتعاملون معى مقابلاً مرتفعًا وبذلك كنت أستطيع توفير نفقات معيشتى، وكثيراً ما عرضت علىّ رشاوى كبيرة من أرباب العمل، وعندما كانت تعرض رشوة كنت أرفضها وأسارع بإبلاغ العمال بالأمر، وأعتقد أنه فى الكفاح وحتى ينجح الثورى ويستمر فى نضاله لابد أن يؤمن أن الطريق طويل جداً، وأنه يمكن أن يقضى حياته كلها فى الكفاح دون أن يرى النصر بعينيه أو يعيشه.

قائمة بتصويبات كتاب شهادات ورؤى

«الجزء الأول»

رقم الصفحة	رقم السطر	الكلمة قبل التصحيح	الكلمة بعد التصحيح
١٠	١٠	اختباريا	لختباريا
١٦	٣	بيت عمر	ميت غمر
١٦	٥	ساعهة	ساعة
١٦	١٠	هاشت	هاشيت
١٦ (٢١)	١٢(٢٠،٢٢)	بنيقولا شادى	بنيقولاشاوى
١٦	١٣	بقداش	بكداش
١٦	١٤	الكونترن	الكومنترن
١٧	١١	الجمهوربين	الجمهوريين
١٧	١٩	ن	من
١٧	٢١	ميكل	تحذف
١٧	٢٥	بنظم	تنظيم
١٨	١٤	ابسكرا	لسكرا
١٨	١٥	انقست	انقسمت
١٩	١١	البجيلى	الجبيلى
١٩	١٧	ألا تشترك	الاشتراك
٢٠	٨	١٩٤٨	١٩٤٦
٢٠	١٣	٦٠٠	٦٠
٢٠	١٤	مصاحة	مصلحة
٢٠	١٥	عزار	عزرا
٢٠	١٦	ثلاثن	ثلاثين
٢١ (٢٥)	١٨ (٣)	كزان	حزان
٢١	١٨	المصولة	المصونة
٢١	٢١	لرنيه	لرتين

٧٦	٢٥	المعطم	المطعم
٧٧	٢٠	المجلة	المحلة
٧٧	٢٧	الضباط	الضباط
٨٠	١١	الديكتاريورية	الديكتاتورية
٨٠	٢٧ الأخير	تزدهر	تحذف
٩٢	١	اضطرب	فاضطرت
٩٢	٦	على	علم
٩٦	١٥	المطل	المطلق
٩٧	١١	حوهلا	حولها
٩٧	١٣	الشيوعيزلقت	الشيوعى ألقت
٩٧	١٤	قلت	قالت
٩٩	٢	المختزية	المخزية
١٠٢	١٥	مبدأية	مبدئية
١٠٣	١٨	تحليل	تململ
١٠٥	٢٢	من يتعقدون	ما يعتقدون
١٠٩	٧	الحسنى	الحسينى
١١١	٢	الن	الآن
١١٢	٢٣	سيده حسن	سيدة حسين
١١٢	٢٤	الترب	العزب
١١٢	٢٦	أو زعبل	أبو زعبل
١١٣	٣	الشهير	الشهيد
١١٩	٤	المستحرات	للمستحضرات
١٢٤	١٥	متحق	منمق
١٤٤	٩	بلا لرغم	بالرغم
١٤٧	٢١	منحت	فتحت
١٥٢	١٦	الجيل	الجبل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٢	١٨	نصيفه	تصفية
١٥٧	١٣	التبيمى	التبيعى
١٦٣	١٤	(ث ث)	(ت.ث)
١٦٣	١٥	وشى	(و. ش)
١٦٤	٢٥	المعركة الاولى	المعركة الثانية
١٧٩	٣	النقابى	الثقافى
١٨٠	٢٣	بالاعتقلات	بالاعتقالات
١٨٤	٢٦	حربانه	حرمانه
١٨٦	٤	بمحنة	بمنحة
١٨٨	٦،١٠،٨	الماتسترلى	المانسترلى
١٨٩	٧	ملوتسى تونج	ماوتسى تونج
١٨٩	١١	تتلاقى	تتلاقى
١٩٥	٢٠	الحلقية	الحلقية
٢٠٠	٢٤	عد المقصود وأبو زيد	عبد المقصود أبو زيد
٢٠١	٤	طلاب	كلاب
٢٠١	٦	الورد رويه	الوردة رويه
٢٠٣	١٢	النجار	التجارة
٢٠٥	١	النقابة	النيابة
٢٠٥	١٨	علدل إده	عادل إده
٢٠٥	١٩	أحمد مرنع	أحمد فرج
٢٠٩	٢٣	وشبه	وشبه احتكار
٢١٥	٣	مركز سيون	مركز بسيون
٢١٥	١٧	الزنسانى	الإنسانى
٢١٧	٤	محاكمة	إعادة محاكمة
٢١٨	١١	التوربين	التوربين
٢٢٠	٤	تسوعية	توعية

٢٢٢	٤	المزراع	المزارع
٢٢٥	٢٥	تغذية	تغذيه
٢٢٧	١	الشعرينات	العشرينيات
٢٢٨	٢٧ الأخير	منطقة	منظمة

* حذف جملة (وقد قسم داخل اللجنة إلى ثلاث لجان فرعية: لجنة الوثائق ولجنة الشهادات واللجنة المالية) من السطر العاشر صفحة ١١.
* اضافة هذه الفقرة (الاقتصادى الهائل للاتحاد السوفيتى نتيجة الانتهاء بنجاح من مشروع السنوات الخمس الأولى، بين كلمتى "ترجع إلى التقدم ... الأول" فى السطر الأول من ص٢٤.
* حذف جملة "دخولى المعهد" من السطر الثامن عشر ص ٤١.
* إضافة (وشقيقة) بجوار شقيقان فى السطر التاسع من ص ٦١ وإضافة اسم (د. أنور الطويل لم يعتقل) بجوار الأسماء الأخرى.
* إضافة هذه الجملة (المتطلعة الى الهيمنة العالمية) بعد الامبريالية الأمريكية فى السطر الحادى عشر ص ٧٢ .
* حذف جملة "وقيام الاستعمار" من السطر الثانى عشر من ص ٩٢.
* إضافة الفقرة "وجاء الرد برفض هذا الطلب وكان الشرط لقبولنا داخل التنظيم" بعد (داخل التنظيم) فى السطر السادس- ص ٩٧.
* حذف السطرين ١٥،١٦ حتى كلمة (التوازن) لأنهما مكرران من ص ١٢.

• إضافة هذه الجملة (يعنى يبقى لها زيارة زى بقية المساجين، فاتفقت معها بصفتها اسمها حبشى) إلى السطر الخامس عشر من ص ١٢٢ بعد كلمة (مسجونة).

• حذف اسم "تجاتى عبد المجيد" من السطر الثامن، ص ١٧٠.

• حذف كلمة (بشراء) فى السطر ٢٦ من ص ١٩٠ وإضافة جملة "الحاكم العسكرى العام" بعد (صدر قرار) فى السطر ٢٧ من نفس الصفحة.

• إضافة جملة "دام هذا الارتباط مع تطورات وامتدادات حدتو مع المنظمات الشيوعية الأخرى" بعد كلمة (بجامعة الأسكندرية) فى السطر الرابع ص ٢١٦.

• حذف جملة "تحديد الملكية وتوزيع الأراضى المصادرة على المعدمين" من السطر الاول- ص ٢٢٢ (مكررة).

• إضافة هذه الفقرة (ورفض الاستعمار تسليح مصر لمواجهتها، ولا اصطدام الضباط مع الأخوان المسلمين واعتقال المئات منهم، كل تلك الأحداث لم تغير هذه القناعة، فقد كان من الممكن تفسيرها فى إطار "نفس التحليل".

وكانت الفترة السابقة على اشتراك جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج تتميز بتوالى الاستفزازات). بين "الاستفزازات الإسرائيلية........على الحدود" من ص ٩٣- السطر (١٧)

اسم الكتاب : من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر : شهادات ورؤى
المؤلف : مجموعة من المؤلفين
الناشر : مركز البحوث العربية بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية حتى ١٩٦٥
عنوان المركز :٨/١٠ ش متحف المنيل - منيل الروضة
تليفون وفاكس : ٥١١-٣٦٣
E.MAIL arc@click.Com.eg or arcaasd1@yahoo.com
الجمع والتوضيب : هبه حمدى

الطبعة الأولى
١٩٩٩

مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية
والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية
حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء الثالث

جنيفيف سيداروس
رزق مكارى
سعاد زهير
عبد العال البسطاويسى

حلمى ياسين
رشاد الملاح
سعيد مصطفى
فوزى حبشى
محمد سيد أحمد

خالد حمزة
رمسيس لبيب
شريف حتاتة
محروس سليمان حنا

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

وهذا الجزء الثالث من شهادات أعضاء الحركة الشيوعية فى مصر، يضم مجموعة شهادات ينتمي أصحابها لفصائل مختلفة فى تيار الحركة الشيوعية. وذلك تطبيقًا للقاعدة التى أقرتها لجنة توثيق الحركة، حتى لا يختص الجزء الواحد بفصيل واحد.

ولقد سجل أصحاب هذه الشهادات نشاطهم التنظيمي على مدى مراحل النضال متضمنا الظروف التى صاحبت الانضمام للحركة، وبعض المراجعات لجوانب من النشاط هنا وهناك، وبعض وجهات النظر حول طبيعة الانقسامات داخل الحركة، وحقيقة الأزمة، ووضع البروليتاريا والمثقفين، وانتهاء بالموقف من حل الحزب الشيوعى المصرى فى ١٩٦٤، وهى وجهات نظر سوف يجد القارئ فى متابعتها متعة محببة.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الشهادات تضع يد القارئ على حقائق تبدو غائبة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، وتكاد تكون مجهولة لدارسيها. ومن هنا تأتى أهمية الشهادات بشكل عام. ذلك أن الشهادات أصبحت تدخل فى باب التاريخ الشفهى Oral History الذى يعتبر أحد مصادر التاريخ المعترف بها فى دوائر بحوث التاريخ ومراكزه، وخاصة عندما يتعذر الاطلاع على المصادر الرسمية، إذ تتضمن قدراً من الانطباعات الخاصة لصاحبها ووصفا للجو المحيط اجتماعياً وثقافياً.

على أن تعدد وجهات نظر أصحاب الشهادات حول مسائل محددة قد تبدو محسومة، يثبت أن الحقيقة متعددة المصادر، ولا يمكن لأحد أن يحتكرها. كما تصبح مهمة الباحث فى التاريخ

للوصول إلى الحقيقة الحقيقية، أمراً من الصعوبة بمكان. وهذا التعدد من ناحية أخرى، يبرهن بدرجة واضحة على أن دائرة العلوم الاجتماعية ما تزال فى نطاق الفلسفة أكثر من العلم .. أى فى نطاق محاولة التوصل إلى إجابات متفق عليها لمسائل معينة.

وهذا التعدد الصحى فى الآراء لا يمكن ضمانه إلا بتوفير أكبر قدر من الشهادات وعلى هذا فإن لجنة توثيق الحركة الشيوعية، ما تزال فى انتظار شهادات رفاق النضال الذين لم يتقدموا بها حتى نكون أمام الباحثين فى المستقبل عن الماضى وحقائقه.

شهادة

جنيف سيداروس

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : جنيفيف سيداروس بقطر- راسم الشهرة فايزة. وكانت تحدث أشيا، مضحكة بسبب صعوبة الاسم، مثل أن العساكر في القسم حينما كنت محتجزة كانوا يتكلمون عن شخص اسمه حنفى بقطر.

محل وتاريخ الميلاد : ١٢ أغسطس ١٩٢٥ – القاهرة وعشت طفولتى فى الفجالة.

بيانات عائلية :

تعلمت فى مدرسة الأمريكان بجوار منزلى، ثم ذهبت بعد ذلك إلى مدرسة الأمريكان بالأزبكية كان مدرسونا أجانب ولا يكفون عن الإشادة بالحضارة الغربية، وكان من الممكن أن يؤثر هذا علىّ لولا جوانب أخرى جذبتنى إلى الناحية الوطنية. فمثلاً والدتى رغم أنها كانت غير متعلمة إلا أنها كانت وطنية جداً وحكت لى عن ثورة ١٩١٩ ولم يكن لدينا راديو وقتها فكانت أمى تصعد إلى الجيران لتستمع إلى نشرة الأخبار. كذلك كان أخى مثقفاً جداً ويحضر إلى المنزل الكثير من الكتب التى كنت أقرأ فيها أيضاً. كما كنت أستعير الكثير من الكتب من مكتبة المدرسة التى كان بها مجموعة كبيرة من الكتب غير الموجودة بأى مدرسة أخرى. وأيضاً كان هناك رجل بجوار سور المدرسة يؤجر لنا الكتاب بخمسة مليمات. وكل تلك كانت رسائل تثقيف هامة جداً. وبعد ذلك اشتركت فى دار الكتب حيث أعطانى توفيق الحكيم حق استعارة ثلاثة كتب بدلاً من كتابين فى المرة الواحدة. وحينما دخلت كلية الآداب (قسم اللغة الانجليزية) تزيد عندى الميل للكتابة فى الصحف، ويبدو أن هذا وضع العين علىّ من جانب القوى الوطنية فى الجامعة، فأدخلنى صلاح التهامى فى مجموعة أسمها "شكسبير جروب" مناقشة الكتب والأفلام والأعمال الأدبية، وطبعاً كان هدفه من هذا التقاط العناصر التى يمكن توجيهها إلى السياسة.

أثناء هذا وجدت زملاء يوزعون مجلة "الفجر الجديد" فاشتركت معهم فى توزيعها، خاصة أن سلامة موسى كان يمت بقرابة لوالدى وكان والدى يشترى الكثير من المجلات الثقافية وكتبت "للفجر الجديد" مقالة بتوقيع "ج.س". ولم يعرفوا وقتها أننى التى أرسلت هذه المقالة.

---

* أجرت الحوار حنان رمضان – مركز البحوث العربية.

وتدريجياً بدأت أتجه إلى السياسة حيث ازداد نشاطى فى "رابطة فتيات الجامعة والمعاهد" مع لطيفة الزيات وعنايات أدهم. ومن الطريف أننى وجدت نفسى عملياً مشتركة فى أنشطة كل التنظيمات الماركسية دون أن أدرى.

وفى أحد الأيام طلب منى صلاح التهامى أن أذهب معه لمقابلة ضابط جيش فى حديقة الأورمان هو أحمد حمروش، وفى المقابلة قلت لحمروش: "أنتم بكم قلوب؟ أنتم مصريون؟ تحاصروا الجامعة وتكبتوا الطلبة اللى عايزين يعبروا عن شعورهم الوطنى؟" فضحك وقال لى: نحن لا نفعل ذلك وستعرفين ذلك بنفسك وقابلته بعد ذلك فى نادى قسم اللغة الإنجليزية حيث أكد لى: نحن حركة، ونحن ندرس. فقلت له: أنا امرأة متدينة جداً. فقال لى: لا شأن لنا بالدين. وبدأت أقرأ معهم عن تطور المجتمع وبعض الكتب الاقتصادية. وهو ما جعل أفكارى تتبلور جداً.

وفى أثناء ذلك كانت إنجى أفلاطون تلتنط الفتيات هى الأخرى من رابطة فتيات الجامعات والمعاهد، وفى فيلمها أظهر بين الفتيات فى أول اجتماع لتأسيس الرابطة فقالت لى حينما رأت معى كتاب برنارد شو "دليل المرأة الذكية إلى الاشتراكية": برنارد شو ليس كافياً. وطلبت منى مقابلتها فى بيتها فى شارع شمبليون. وهناك قلت لها: هل سنقرأ فقط بينما توجد حركة. كنت مشهورة بطيبتى وسذاجتى فقالت لى: عرفينى بهذه الحركة. فعرفتها بأحمد حمروش، وكانت هى من اسكرا وهو من الحركة المصرية. وكان هذا اللقاء من خطوات توحيد المنظمتين.

أيضاً كانت هناك دار الأبحاث العلمية التى كانت تقدم محاضرة كل أسبوع، وو جدتهم يحللون تحليلات غريبة علىّ. وذهبت إلى سلامة موسى فقال لى: احضرى ندواتنا فى جمعية الشبان المسيحيين وبعدها سيكون لك القدرة على التحليل.

فى هذا الوقت كنا نجتمع مع إنجى أفلاطون فى رابطة خريجى الجامعة وكان مسئولها عبد الرحمن الشرقاوى. كما كانت تجرى لنا مدارس كادر. وفى أحد هذه اللقاءات هاجمنا البوليس ونحن مجتمعون فى شقة خاصة بعلى الشلقانى، وكان ذلك سنة ١٩٤٧. بعد أن تخرجت لطيفة الزيات من الجامعة وجدتنى دون أن أشعر ألعب دوراً فى الجامعة لأننى كنت أقود الهتافات بسبب تمتعى بصوت عالٍ جداً. وكنت أهتف: يسقط الجزارون، يسقط صدقى الجلاد.

والطلاب يرددون الهتاف ورائى. وعندما قبض علينا كان معنا أسعد حليم وزوجته اسما حليم ومحام اسمه فتحى محمود وعصمت التى كانت زوجة لأحد ضباط الجيش. وصدرت الصحف لتقول عن القبض على خلية شباب فى الساعة الثالثة فجراً وأن البوليس وجد بالشقة ثلاثة أو أربعة آلاف كتاب. وقد أفرج عنا فى نفس اليوم. وذهبت فى اليوم التالى إلى الجامعة فوجدت البنات غاضبات ولا يردن الحديث معى فقلت لهن: نحن قبض علينا الساعة الرابعة عصراً -وليس الثالثة صباحاً كما جاء بالصحف- وأفرج عنا فى الساعة السادسة. فلما لم يجد ذلك ذهبت لصحيفة الأهرام فى شارع مظلوم وطلبت من عصمت الذهاب للمصرى كما ذهبت للبلاغ وأعطيتهم تكذيباً وحينما دخلت صحيفة الأهرام طلبت مقابلة رئيس التحرير - وكان وقتذاك أنطون الجميل - فوجدت صالة واسعة جداً مليئة بالمحررين. توقفت فى منتصف الصالة وقلت أريد أن أحدث أنطون الجميل. قالوا: من أنت؟ قلت لهم أنا التى قبض عليها فى قضية شيوعية. فإذ بالصالة يرن عليها الصمت والكل يتطلع بشغف لهذه الظاهرة الغريبة على المجتمع المصرى. قلت : أنتم كتبتم أشياء تمس سمعتنا وأشياء ليست صحيحة فإما أن تنشروا تكذيباً وفى نفس المكان وإلا سوف أرفع عليكم قضية فنشروا التكذيب. واقتنعت زميلاتى بالجامعة بأنها ليست تصرفاً لا أخلاقياً.

ومن نتائج هذه المسألة أن أبو سيف يوسف -وكنت تعرفت عليه من جريدة البلاغ حيث كنت أكتب مقالات فيها وأبدأ عمل أرشيف للبلاغ - عرفنى بريمون دويك الذى كان يسكن فى شقة مفروشة بجوار صحيفة البلاغ. وطلبوا منى مقابلة أحمد رشدى صالح. وحينما ذهبت إليه بادرنى بالسؤال: ماذا وجدوا معكم؟ فلما أجبته، عقب بأن هذه نشرة داخلية ومعنى هذا أنك لست داخل التنظيم. وخصوصاً وأنا أطلب أن أكون داخل التنظيم وذهبت لأحمد حمروش وحكيت له ما حدث من أحمد رشدى صالح فظل يضحك كثيراً. المهم أنه حدثت وحدة بين إسكرا والحركة المصرية وتكونت حدتو وقبلوا كل الناس فى عضويتها، وهكذا دخلت التنظيم متأخرة. وكان ذلك فى ثانى سنة لى بالجامعة حيث كنت أعيد السنة الأولى بسبب رسوبى فى الجغرافيا رغم محاولات أساتذتى لاستثنائى بسبب تفوقى فى اللغة الإنجليزية التى حصلت على الجائزة الثانية فيها فى الثانوية العامة وعلى نطاق القطر كله ولكنهم فشلوا فى ذلك.

بعد ذلك حدثت الانشقاقات، حيث أسس شهدى عطية التكتل الثورى. ولكن أعجبنى

خط عادل (عبد المعبود الجبيلى). وفى هذا الوقت ظهرت م ش م بفكرة القاعدة المشتركة والمؤتمر، فانضممت إليهم وكانوا من الخبث حيث وضعونى فى خلية أغلبيتها لهم وكنت العادلية الوحيدة فيها. وفى الحقيقة لم يكن لى دور تنظيمى كبير داخل الحركات الشيوعية وكان كل دورى هو النشاط الجماهيرى والمشاركة فى تحرير مجلة سرية اسمها "صوت الطالب". وكنت داخل م ش م كثيرة الاعتراضات على كل ما لا يعجبنى. وكان اسمى الحركى "جلال".

كانت م ش م قد رفعت شعار "عمال فقط ولا شأن لنا بأى تنظيم آخر". ومنعتنا من الاشتراك فى أية تظاهرات. حتى قبض علىّ فى أول قضية عام ١٩٤٩، وأرسلونا إلى سجن مصر. وصدرت إلينا أوامر من التنظيم بألا نتحدث مع أى أحد من تجاه آخر، وكانت معى فاطمة زكى ومن الاتجاه الآخر ماجدة زوجة كمال عبد الحليم، وكنا كلنا مع ذلك نتبادل الحديث.

وقبل ذلك كنت هربت لمدة شهر عند سعدية عثمان التى فصلت من م ش م بسبب كثرة اعتراضاتها، وكانت زوجة للدكتور عزت عبد الغفور، ورغم ذلك كانت تخبئنا عندها. كنت أصبغ شعرى وألبس ملاءة لف.

وفى السجن كان معى ثريا أدهم وسعاد الطويل. وكنا ممنوعات من الحديث مع ماجدة التى كانت تذهب وتجىء أمامنا مثل الأسد الجريح ومن الجرائم التى حوسبت عنها تنظيمياً وطولبت بتقديم نقد ذاتى - حيث كانت الأخبار تنتقل يومياً إلى سجن الرجال -أننى قدمت صابونة إلى مارى بابا دوبلو فاتهمت بالتعاون مع الأعداء، وحدث مرة أن دخلت اسما حليم علينا الزنزانة وقالت إن هناك اتجاهاً بالإفراج عن السجناء السياسيين، فقلت لها: حقيقى؟! فاتهمت بجريمة القبول بتحليلات الأعداء.

أما الجريمة الكبيرة فى نظر م ش م فهى أننى كنت سأمثل أمام المحكمة العسكرية، وكان المحامى الخاص بى هو المحامى الوفدى رياض شمس، وكان من المفروض نظر القضية يوم ٢٨ ديسمبر وطلب منى المحامى أن أسمح له بتأجيل القضية لأن الانتخابات البرلمانية بعد ذلك بستة ايام وأن الوفد سيعود للحكم. وحينئذ يأتى لى بالبراءة ولكن التنظيم أمرنى برفض رجاء المحامى وأن أمثل أمام المحكمة وألتزم الصمت التزاماً بشعار المقاطعة وصدر الحكم علىّ بعامين.

وبالنسبة لحادثة القبض علىّ فهى طريفة فعلاً. فقد كلفت بحمل كتب ونشرات إلى

المخزن العام للتنظيم، وأن أنقل تقريراً بخط يد آخر بخط يدى وأسلمه لثريا أدهم. إلا أنه قبض علىّ فى الشارع، فرميت الكتب والمنشورات وصرخت: حرمى! فتجمع الناس لإنقاذى، وبصعوبة شديدة استطاع الرجل إخراج كارنيه المباحث وطلب ممن معه جمع النشرات والكتب من فوق الأرض وأخذونى فى السيارة، وكان التقرير الذى بخط يدى فى شنطة يدى فنمت عليها كأنى متعبة وفتحتها خلسة ووضعت الورق فى فمى، فتنبه الرجل وأخرجه من فمى إلا أننى اختطفته مرة أخرى ورميته من النافذة، فأوقف السيارة واستعاد الورقة مرة ثانية، وعند العرض على ضابط قسم الأزبكية هجمت على الورق ومزقته إرباً، وبالفعل قضيت على الدليل الذى بخط يدى ونشرت هذه التفاصيل فى الجرائد اليومية. ولذلك فقد كان الحكم علىّ بعامين حكماً شديداً.

وفى السجن تقرر عمل إضراب عن الطعام هذا الحكم. وبعد ثلاثة أيام من الإضراب لم تحتمل صحة ثريا إبراهيم ذلك فقرروا أن تفطر. وفى اليوم السابع أخبرتنى الطبيبة أننى سيحدث لى هبوط فى القلب فأنهيت الإضراب بعد ذلك بأربعة أيام. وكان معظم المضربات من م ش م التى قررت فصلى وأنا فى السجن ومحكوم على بعامين بسبب نفس الأسباب التافهة كالصابونة والتعاون مع الأعداء، وفك الإضراب.

كانت والدتى على علاقة طيبة بمأمورة السجن التى سمحت لها بأن تدخل إلىّ الشاى والطعام والدخان بالإضافة إلى الكتب. وذات يوم أخبرتنى أمى فى الزيارة من وراء السلك أن شقيقى توصل إلى واسطة لتخفيف الحكم فخيرتنى بين وقف التنفيذ أو التخفيف إلى سنة فأخذت الحل الأخير لأننى كنت قد قاربت على السنة فى السجن، وخشيت إن تم إيقاف التنفيذ أن يظل هذا السيف مصلطاً علىّ لمدة ٣ سنوات يمكن خلالها تنفيذ الحكم إن قبض علىّ بنفس التهمة، كما خشيت من اتهامات م ش م لى بالخيانة ومن ثم مقاطعة الجميع لىّ لأن هذه المقاطعة كانت قاتلة.

وبعد وقت قصير أخبرتنى السجانة بأننى سوف يفرج عنى فى عيد ميلاد الملكة نازلى وكنت قد أمضيت بالسجن عشرة شهور. وظللت لمدة سنة تحت المراقبة، حيث كنت أذهب إلى القسم مرة كل أسبوع لإثبات وجودى. وفى هذه الفترة تقابلت مع عزت عبد الصبور وسعدية وكثيرين آخرين كانوا معنا فى م ش م قبل القبض علىّ وعلمت أن المنظمة قد فصلت ٧٠ عضواً من خيرة كوادر الحركة، وكانوا قد طردوا أيضاً فاطمة زكى.

دورى ومسئولياتى فى م ش م

طلبوا منى أن أجند عمالاً، وقالوا : اذهبى أمام المصنع. فقلت لهم: بنت تقف أمام باب مصنع لابد أن يقال عنها إنها تعاكس الرجال. ولو حدث ونجحت فى تجنيد أحد العمال كيف سأعرف أنه أفضل العناصر؟ وماذا يمنعه من التعامل معى كبنت فقط!.

وحدث فى هذه الفترة أننى كنت مسئولة عن عامل مهم جداً فى ورشة السكك الحديدية، ثم حولوا مسئوليته إلى فتاة أجنبية، ولما كان يسكن فى حى شعبى فقد اعترضت زوجته على ذلك بشدة وطلبت أن أعود أنا مسئولته.

وقبل م ش م كان لى نشاط فى مجلة "الجماهير" التى تصدرها حدتو، وأعطونى مسئولية صفحة المرأة واخترت لها مانشيت "المرأة نصف المجتمع". ومن الذين أحب ذكرهم فى هذا النشاط ثريا شاكر وكذلك فاطمة زكى. وقد نشرنا موضوعات عن الغلاء، وأسعار الخضار وهكذا. أما صفيه فاضل فكانت واحدة من الثلاث اللاتى ذهبن إلى باريس وأسسن رابطة فتيات الجامعة والمعاهد، واقترحت علينا أن نهتم بإضافة موضوعات نسائية مثل التفصيل وغيره. ومن ضمن ما نشرته فى الجماهير أول مقابلة تجرى مع السفير السوفيتى وفى مقر السفارة، ونشر الحديث تحت عنوان "لا سلام مع استعمار ولا حرية دون استقلال". كما كنت أنشر موضوعات حماسية مثل "إلى فتاة الشرق الأبية". والتوقيع كان أسماء مستعارة. وطلبت منى المجلة أن أتابع نشاط الجمعيات النسائية فذهبت إلى زوجة أحمد حسين فى منزلها عند كوبرى عباس وكان وقتها عائداً من أمريكا ويروج لدعايتها. وكانت إجاباتها جميلة جداً إلا أن أعضاء فى "مصر الفتاة" قابلوا رئيس التحرير وحذروه من نشر الموضوع، فوافقهم، ثم بعد يومين وجدوا قنبلة على سلم المجلة.

وحدث أن وقعت مواجهة بينى وبين هدى شعراوى حينما أتت "مس ريد" رئيسة الاتحاد النسائى الرجعى. فسألت الأخيرة عن رأيها فى حق الانتخاب للمرأة فردت بأن الاتحاد لا يتدخل فى السياسة الداخلية للدولة. وانتقدت هدى شعراوى بأن حركتها ارستقراطية لأنها جعلت رسم الاشتراك ١٢ جنيها فى السنة وهو أكبر من مقدرة النساء الشعبيات.

كما اشتركت فى تحرير مجلة نصف سرية هى "صوت الطالب" مع طالب اسمه محمد جمال الدين لكنهم طردوه من الجامعة بسبب السياسة والهروب من البوليس. وكنت أشترك فى عمل

الريبورتاجات فى الجماهير مع حسين كاظم.

المهم بعد أن خرجت من السجن عام ١٩٥٠ أسسنا -نحن مجموعة المفصولين من م ش م- تنظيماً جديداً وكنت قد انتقلت إلى الاسكندرية، واشتركت فى حركة السلام هناك. كما نشطت فى التجنيد مع عمال "مصنع نحاس". كنت أجمع الأموال وأرسلها إلى م ش م رغم أنى منصولة منه، ولم أكن أدرى أنهم حلوا التنظيم. وحينما علمت بذلك وجهت المجندين الجدد إلى تنظيمنا الجديد لا ذكر اسمه. وفى حركة السلام كان معنا سعد الساعى وسعد حماد وسعد عبد المتعال والمحامى فوزى حمزة، وكنت ضمن الهيئة العليا لمدينة الإسكندرية التى تقوم بالتعبئة القومية أثناء حرب ١٩٥٦. وقد اشتركت مرة فى مظاهرة كبيرة بالإسكندرية لا أذكر مناسبتها واستدعانى رئيس المباحث. وكان ذلك بعد انتهاء حرب ١٩٥٦ وقال لى إنه أخرج ملفى ويريد أن يكمله. وسألنى عن زوجى وماذا يعمل. وكنت قد تزوجت سنة ١٩٥١ وأنجبت طفلاً ثم توءمين سنة ٥٤، ٥٥ وقد جاء زوجى فوزى أبو شنب إلى الإسكندرية ثم تركنى فيها لأكمل نشاطى فى حركة السلام. وهو كان قد أسس تنظيماً مهماً لا أذكر اسمه. ولعل نشاطى فى الإسكندرية وفتح ملفى مرة أخرى من أسباب اعتقالى سنة ١٩٥٩.

وقبل أن أعود من الإسكندرية إلى القاهرة تقابلت مع سعد رحمى وطلبت منه دخول لتنظيم. وأظن أنه حزب العمال والفلاحين. وبالفعل قبلت فوراً.

دورى فى التنظيم

لم يكن عددنا فى الإسكندرية كبيراً. أما فى القاهرة فقد كنت أتحرك من وراء زوجى الذى اختار "البزنس" فى النسيج وخلافه، رغم أنه كان فى الماضى محترفاً ثورياً. أما أنا فلم أحترف أبداً.

رأيى فى الاحتراف الثورى

رأيى أنه أسلوب خطأ لأن الإنسان يفقد ارتباطه بالحياة والناس بمجرد الاحتراف كما أنه يخضع لسياسة التنظيم. وكان أحد العمال المحترفين قد قال لى مرة: كيف أعيش بثلاثة جنيهات؟ فقلت له اذهب لثريا ادهم -مسئولتى- فقالت له ليس لدينا سوى هذا.

موقف م ش م من قضية فلسطين

حقيقة تؤرقني مواقف م ش م من هذه القضية، كما أنني لم أتعرف على مواقف أو تحليلات أخرى وقتها. كانوا يقولون لنا إن العمال الذين سيأتون من أوربا إلى فلسطين متقدمون وسيفيدون الشرق الأوسط البائس. وحدث أن قامت مظاهرة للشابات المسلمات فسرنا معهن، هن كن يهتفن "لا لتقسيم فلسطين". ونحن نهتف "يسقط الاستعمار" ولا نهتف ضد التقسيم.

وكانت تلك المظاهرة من أنجح المظاهرات الشعبية الخاصة بالقضية الفلسطينية إذ انضم إلينا جموع وفيرة من الأحياء الشعبية.

وصور هذه المظاهرة تظهر في فيلم إنجي أفلاطون وأظهر في لقطة منها.

علاقة التنظيمات المختلفة بالطبقة العاملة

في م ش م كنا نرفع شعار "١٠٠٪ عمال". وحدث مرة أن جاء إلينا كوريل ليشرح خط القوات الديمقراطية وبناء تنظيمات منفصلة للنساء والعمال والطلبة. وبالنسبة للفلاحين فقد طلبوا مني في م ش م أن أعد بحثاً عن الإقطاع في القرية المصرية، ولا أعرف ماذا فعلت به القيادة بعد ذلك. وعموماً هو كان مجرد بحث ولم يكن احتكاكاً عملياً بالفلاحين.

تجربة القبض عليَّ في ١٩٥٩

كان لدي ثلاثة أطفال أكبرهم عمره ٤ سنوات وحينما ذهبت المباحث إلى المدرسة ليدلهم على بيتي رفض من يعرفونه أن يدلوهم عليه. ولكنهم على أي حال استطاعوا الوصول. وطلبت منهم الذهاب لأخي لأترك عنده الأولاد. وهذه كانت من أصعب لحظات حياتي. وأحضر لي أخي طعاماً ولحافاً. وحاول الضابط وضع الحديد في يدي رغم أنه ممنوع قانوناً فرفضت هذا وأصررت فرضخ ،حيث كنت أبعد الأطفال عني وهم يبكون. وبعد التحقيق رحلت إلى المباحث وفي يوم كنا مجموعة كبيرة من النساء في عربة السجن في طريقنا للتحقيق فأخذنا نهتف هتافات وطنية مما جعل المارة يتجمهرون ليروا ما حقيقة الحكاية. وبدأت تجربة سجن طويلة في القناطر عمرها خمس سنوات بدون أية زيارة أو طعام من الخارج. وبدون كتاب أو ورقة أو قلم. وبالطبع كنا نتحايل على كل هذا.

كان معى فاطمة زكى، ثريا أدهم، سعاد الطويل، ثريا شاكر، وجاءت أسما حليم وهى حامل، وإجلال السحيمى وتعرفت فى السجن على ثريا إبراهيم وزينب وعاملة اسمها سيدة وسميرة الصاوى، كما جاءت إلينا محسنة توفيق ونوال الحلاوى وأمينة أبو النصر. ورفض بعضهن الاعتراف بعضويتى فى الحزب. وتمت عمليات مقاطعة فى المعيشة والطعام،ورفضتها أنا وثريا ابراهيم. لولا أن جاءت إلينا إنجى وقالت لهن أنا أعرفها، وإلا كان من الممكن أن أظل منبوذة طوال فترة الاعتقال.

وكانت لنا تجربة فى الإضراب عن الطعام، كنت مريضة بقرحة فى الإثنى عشر وقالت لى طبيبة السجن لا تضربى حتى لا يحدث لك نزيف فقلت ليحدث ما يحدث ودخلت الإضراب. ولم تدخل ثريا أدهم الإضراب لأن صحتها لا تسمح. وحتى سميرة الصاوى التى كانت بعيدة عن التنظيمات دخلت الإضراب. وفى اليوم الثالث من الإضراب تم نقل ثريا شاكر وسميرة الصاوى وأنا إلى المستشفى. وبدأت أنزف فى اليوم الثالث عشر، فجن جنون الطبيبة حتى أنه فى الأيام الثلاثة الأخيرة من الإضراب ظلت أبواب السجن مفتوحة والأطباء يروحون ويجيئون لأن الحالة كانت حرجة. استمر الإضراب ستة عشر يوماً وكنت أنزف وشعرت أن جسمى كله مسمم. ولا أنسى أبداً موقف الطبيبة التى كانت على خط ساخن مع المباحث. كنا نعيش على الماء فقط بدون أدوية أو جلوكوز. وبعد انتهاء الإضراب بشهرين تم الإفراج عنا.

جاءوا فى اليوم الثالث عشر يساوموننا لفك الإضراب فرفضنا وقلنا لا نقبل بأقل من الإفراج. ولم ننه الإضراب إلا فى اليوم السادس عشر عندما أبلغونا بأنه سيتم الإفراج عنا قريبا.

أعتقد أن الرجال أضربوا معنا. وأحب هنا أن أذكر أن السجينات العاديات كن متعاطفات معنا جداً ويرجوننا أن نفك الإضراب ويأتين إلينا بماء أرز وعصير وغيره ولكننا كنا نرفض. كما أذكر جهود سيزا نبراوى مع منظمات حقوق الإنسان التى جاء وفد منها لزيارتنا فأدخلونا غرفة فى نهاية المستشفى وصفحوها بالصفيح لكى لا تسمع هتافاتنا. ولكن السجانة التى كانت متعاطفة معنا قالت لنا: بمجرد أن يأتوا سنفتح لكن. وظللنا نهتف ولكنهم احتالوا على ذلك بأن رفعوا صوت الموسيقى ليغطى على هتافاتنا. ورفضت الإدارة أن يقابلنا وفد حقوق الإنسان.

وفى مرة أخرى جاءت سيزا نبراوى لزيارة غرفة الموسيقى التى كانت أمام عنبرنا. فتكلمت معنا وأعطتنا "كافيار". وقالت بياتريس جبراوى -وهى زوجة صادق بقطر الطبيب بالمستشفى- لماذا تفعلوا ذلك بالناس؟ وكان هذا الطبيب متعاطفاً معنا وله وعى تلقائى وإنسانى بالسياسة، وكان له دور فى القضية الفلسطينية. كما أنه هو الذى أقنع مجلس الكنائس العالمى بالتبرع "بالأنسولين" الذى دخل مصر ولم يكن بها ذرة من "الأنسولين".

ومن حوادث الاعتقال أن الضابط إسماعيل همت المعروف بفظاعته قد زارنا مرة فى العنبر، وحينما وجد أن به شباكين أمر بإغلاق أحدهما فأتوا بصفيح وسمروا الشباك الخلفى.

حوادث التعذيب

من حوادث التعذيب أن ميكروفون السجن أذاع خطاباً لعبد الناصر ينفى فيه وجود معتقلين. فحكت لنا ثريا شاكر أن الرجال المعتقلين أخذوا حفائهم مرة وتوجهوا إلى مأمور السجن الذى أفرج عنهم. وقررنا أن نفعل الشىء نفسه فتقدما ٢٦ معتقلة باتجاه مكتب المأمور، فلما رآنا قادمات إليه بهذا المنظر خرج على الباب. فقلنا له أفرج عنا لأن عبد الناصر يقول هذا. وكان هذا المأمور يمت بصلة قرابة لإجلال السحيمى، قال لنا: عدن وسآتى إليكن فى العنبر.

قلنا له لا نحن نريد الإفراج. فأتى بالعسكر الذين وقفوا صفين أمامنا، وأمر بإغلاق كل أبواب الزنازين وإعادة السجينات من الورش. ولما أعطى إشارة البدء بدأ الضرب والسحل على الأرض، وكانت أسما حليم حاملاً. وجروا عايدة بدر من شعرها بينما هى لا تكف عن الهتاف.

وكانت الدكتورة "إيدا" متعاطفة معنا جداً، وهى كانت صديقة لزوجة أخى وكان يرسل إلينا من خلالها النقود والشاى والكتب.

هل قضيتن جميعاً مدة الخمس سنوات كاملة؟

لا خرجت زينب وسعدة مبكراً. كذلك كانت ايفون حبشى تخرج وتجىء. كما كانت هناك قضية الرفاق مشرى لكنها لم تكن معنا فى العنبر وأسما أخذت بعد الولادة غرفة خاصة. وزينات الصباغ كان عندها طفل.

هل كانوا يضغطون عليكن بالأطفال؟

نحن كنا نهرب أولادنا لزيارتنا. تكتب الزيارة باسم مسجونة أخرى ونذهب إلى المستشفى لرؤيتهم. ولا أنسى أبداً كيف أن أحد أولادى صرخ فى وجهى ولم يقبل أن يأتى إلىّ. حاولوا كثيراً معنا بالتلويح بالإفراج عنا بشرط أن نكتب استنكاراً، أو حتى إقراراً بأننا لن نعاود نشاطنا إن أفرج عنا.. ولكننا رفضنا.

موقفي وموقف التنظيم من اليهود والقضية الفلسطينية

بالنسبة لليهود القادمين إلى فلسطين سبق وشرحت لك الموقف الخطأ الذى نقلوه إلينا فى م ش م عن أولئك المتقدمين الذين سوف يرفعون مستوى الشرق المتأخر. أما اليهود الذين فى داخل الحركة الشيوعية لقد كانت علاقتنا بهم جيدة، وبالذات من فى المستويات القاعدية وليس القيادات حتى أننى اختبأت فترة عند عائلة يهودية. ونادراً ما رأيت أوديت حزان وزوجها سيدنى سلمونى. لقد كنت فى القاعدة ولا شأن لى بالقيادات. وكان اليهود متواجدين فى الحركة بنسبة كبيرة

الموقف من أحزاب ما قبل ١٩٥٢

كنت أكتب فى صحيفة "البلاغ" الوفدية، وكانت علاقتى بهم جيدة. وكان الوفد فى نظرنا حزباً يمثل تجمع الشعب كله. كما أننى كتبت بعض الموضوعات لجريدة "السياسة" لسان حال الأحرار الدستوريين.

والموقف من سلطة يوليو وتنظيماتها المختلفة

عندما قامت الثورة أسميناها انقلاباً لأن الثورة يجب أن يقوم بها الشعب. وزاد من تشككى مبادرة قادة الثورة بإبلاغ السفير الأمريكى بنية القيام بها. وعن نفسى لم أدخل أياً من تنظيمات يوليو، وحتى هم لم يحاولوا معى، رغم أنهم حاولوا إدخال عناصر كثيرة منا إلى هيئة التحرير.

رأيى ورأى التنظيم فى قوانين الإصلاح الزراعى وتأميم قناة السويس

هذه الإجراءات كانت السبب الذى جعلنا نناصر الثورة، وخاصة فى عام ١٩٥٦ بعد أن كنت متشككة جداً فى اتفاقية الجلاء مع بريطانيا.

موقفك من أحداث كفر الدوار

غضبت جداً. خصوصاً أن ابن عمتى كان يعمل هناك. وأخبرنى كيف كان العمال يجبرون على الانبطاح فى العراء، وكيف تم إعدام خميس والبقرى. وقد أثار هذا سخطاً شديداً على الحاكم الذى رفض مقابلة العمال وأصر على الإعدام.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

الذى رأيته فى فترة الجامعة أنهم كانوا دائماً يكسرون الحركة الوطنية. حتى أن أحدهم أخرج لى مسدساً وأنا أقود مظاهرة. وأمسك سعد رحمى بالسلاح وأبعده عنى وفى اعتقادى أنهم كانوا جماعة دورها غير وطنى.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧

أشيد بسيدة جاءت إلى فى البيت لأوقع على استمارة ليكون لى حق الانتخاب. وأنا رغم تحررى وأننى أعمل لكننى كنت لا أكلف خاطرى أن أعمل خطوة كهذه، ولذا أنصح بعمل هذه الخطوة لتسجيل أكبر عدد من النساء فى جداول الانتخاب.

الموقف من الأحلاف العسكرية

كان لدى وعى جيد بها وكنت ضدها جميعاً.

وبالنسبة للوحدة بين مصر وسوريا

طبعاً كنا نوافق على الوحدة مع أى دولة عربية. ولكننا كنا نشك فى أن هذه الوحدة قد قامت على أساس سليم يجعلها تستمر.

وبالنسبة لقرارات التأميم

هى من الأشياء التى أدخلتنا فى الحبة.

شخصيات تستحق إلقاء الضوء عليها

أريد أولاً أن ألقى الضوء على نشاطنا فى الحركة النسائية. كانت عنايات أدهم -فيما أظن- التى أقنعتنا بدخول "رابطة فتيات الجامعة والمعاهد". ولكن بعد حل الرابطة تم التفكير فى بناء تنظيم نسائى جديد، فذهبنا إلى سيدة قبطية اسمها "ماتيلدا جريس" لتكون عنواناً للتنظيم وعندنا اجتماعاً كبيراً فى صالة بيتها فى شارع رمسيس، وكانت السيدة مرحبة جداً بتأسيس التنظيم النسائى. ولكن أخطأنا حينما وضعنا فى اسماء مجلس الإدارة بعض المشتغلات بالسياسة مثل انجى أفلاطون وجاءت السيدة ثائرة جداً بعد العرض على الداخلية، وقالت لنا لماذا لم تقل لى أن هؤلاء لهم اتجاه سياسى؟ وهو ما أودى بجهودنا لعمل تنظيم نسائى مع "ماتيلدا جريس" إلى الفشل.

والشيء نفسه حدث حينما حاولنا إنشاء مركز فى روض الفرج لمحو الأمية وتعليم الخياطة وخلافه. كما أن الدكتور شريف حناتة كان سيفتتح عيادة. ولكن هذه الأسماء المعروفة للأمن -مثل انجى أفلاطون أيضاً- أعاقت المركز.

وأحب أن أحدثك عن عصمت حيث طلبوا منها مرة أن تشترك فى استقبال النقراشى العائد من عرض القضية المصرية على مجلس الأمن عام ١٩٤٧ وقد أخذت عصمت حصاناً من أحد الضباط وركبته فى الميدان وكان منظرها لطيفاً. وزوجها كان ضابط جيش اسمه صلاح. وكتب عيسى متولى عموداً فى الاهرام يشيد فيه باشتراك النساء فى المظاهرات.

أما عن دور الأهل

أصبح للأهالى علاقات مع بعضهم البعض. وفى هذه الفترة كان هناك دور بارز لخالتى أم محمد عثمان التى كانت تعد طعاماً فى كل عيد أو مناسبة وترسله للمساجين. وقد تعرفت عليها بعد الخروج من المعتقل. وقيل لى إن الأمهات قد تم القبض عليهن بعد تجمهرهن فى مناسبة ما، وتم وضع حوالى ٤٠ سيدة فى غرفة ضيقة حتى كدن أن يختنقن. وأعتقد أن هذه هى المرة الوحيدة التى قبض فيها على أم محمد عثمان.

نبذة عن والدة الشهيد محمد عثمان

إنها والدة الشهيد محمد عثمان الذى قبض عليه ثم اختفت آثاره ولم يعثر عليه حتى الآن. سمعت عنها وأنا فى المعتقل .. نوال الحملاوى التى قبض عليها بعدنا أبلغتنا أول أخبارها

أن خالتى أم محمد بحثت عن ابنها فى كل السجون والمعتقلات والمستشفيات فلم تعثر له على أثر وهي فى ضائقة مالية لا تستطيع أن تدبر مصاريف الدراسة لابنها سيد (كان ابنها الآخر حسن عثمان معتقلا).

وسمعت عنها أيضًا من ثريا شاكر بل عرفنا أنها كانت تحضر مع أولاد ثريا حين كانت تحاول أن تراهم سرا. كانت تبيت عندهم ثم تحضر معهم إلى سجن القناطر.

وصممت على التعرف عليها بعد خروجى. وحين دخلت عليها كانت تغسل على طشت غسيل.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتى. كانت تزورنى كثيراً فتركب المواصلات العامة وهى سيدة سمينة.

وكانت القاسم المشترك حفلاتنا التى كان يؤمها جيل السبعينيات.

ولايمكن أن أنسى يوم أن ذهبت إلى النيابة لتستمع لأول مرة عن قصة اغتيال ابنها فى القضية التى رفعها فوزى حبشى ضد المباحث. كنا نحتفل بإحدى المناسبات وشككنا فى قدرتها على الحضور فى ذلك اليوم ولكنها فعلت رغم الالام النفسية التى كانت تعانيها.

فى كل عيد كانت خالتى أم محمد، رغم فقرها، تذهب مع جيل السبعينيات ومع من بعدهم مثل عماد أبو غازى.

وفى بيتها تمت احتفالات وحدة الحزب وكانت هى التى قامت بمفردها بعمل كل الطعام.

كانت عضوة بالحزب وفى يوم كانت موكلة بتوزيع المنشورات وركبت أحد الأتوبيسات وفى وسط الزحام رفعت يدها بالمنشورات على فتحة الأتوبيس العليا فطارت المنشورات فى كل مكان.

* أيضاً أحب أن أذكر سعدية عثمان التى كانت طالبة فى كلية العلوم وقت أن كانت هذه الكلية ممتلئة بالتقدميين والتقدميات مثل فاطمة زكى وحورية مصطفى وسعاد كامل. زرتها فى بيت والدها فى السيدة زينب قبل انتقالهم إلى جاردن سيتى. كان والدها من النوع الرجعى جداً والذى اراد حرمانها من الخروج والتعليم لكنها خاضت مع والدها معركة كبيرة وفتحت الطريق لأخواتها البنات للتعليم وتولى مناصب كبيرة فيما بعد.

ومن مواقفها أيضا بعد انتهاء علاقتنا مع م ش م، أنها كانت تقيم مع زوجها فى بيت

والدته، وكان لديها طفلة واحدة فى هذا الوقت. وقال عزت نؤسس تنظيمًا جديداً. وكان أهله قد أنشوا له عيادة ليعمل فيها بوصفه كطبيب أسنان ولكنه قال لأهله إنه مسافر لإنجلترا. بينما هو استأجر شقة صغيرة فى الجيزة. ووقفت سعدية مع زوجها الذى أصبح بدون عمل، وكانوا يرسلون لأهل عزت خطابات تبدو كأنها صادرة من انجلترا. وقد طردت سعدية من م ش م لأنها كانت تتجادل وتختلف مع أوديت حزان كثيرة فأعطوا زوجها عزت أمراً بأن يطلقها. ويجوز أن من الأمور التى أخذوها على عزت أنه لم يطلقها. كانت سعدية مثالاً للطهر والإخلاص والتفانى والحيوية. ولم يكن ممكناً لسعدية أن تستمر طويلاً فى م ش م لأنها صاحبة رأى، أما أنا فقد اضطررت أن أقول أشياء مخالفة لضميرى وأن أكتب اعترافات منتظمة. أما هى فلا تريد وغير مقتنعة. وبعد تجربة م ش م عاصرتنا سعدية فى التنظيم الجديد الذى شكلناه من المطرودين وذلك قبل إتمام الوحدة. وبعد تجربة م.ش.م أقسمت ألا أقول شيئًا أيا غير مقتنعة به مهما هددونى بتهمة خيانة المبادئ.

أيضاً أذكر حورية مصطفى زوجة عبد العظيم أنيس الذى كان يقبض عليه كثيراً، فكانت تربى الأولاد وترعاهم. كما كانت انسانة لها شخصيتها وآراؤها. وقد كانت من العادلين. وهناك سعاد أنيس شقيقة د. عبد العظيم أنيس التى كان لها نشاطها المحلوظ

كذلك أحب أن أكلمك عن سميرة الصاوى وهى "ست بلدى" غير متعلمة، فوجئت أن زوجها أحمد طه يعمل بالسياسة ويقبض عليه كل فترة، فكان لابد أن تقف مع زوجها. وذات يوم ذهبت للمصيلحى مدير المباحث وربطت حبل غسيل فى مكتبه ونشرت عليه ملابس ابنها، وقالت له: ليس لى بيت، أنت مشردنى ومشرد عيالى. ورغم كل التناقضات والصراعات فقد كنا نحب بعضنا جداً. وفيما بعد السجن بسنين سألتها: كنت أعلمك اللغة الإنجليزية فلماذا انقطعت عنها؟ قالت لى لأنهم قالوا لى: إنك ستصبحين ذيلاً لها. وإذا كانت نساء كثيرات قد خرجن من الحركة فإنها -هى وعايدة بدر- قد بقيتا فيه معنا لآخر لحظة.

عايدة بدر كانت أيضا "ست بلدى" من بنها كانت متزوجة ولها ابن. وكانت تناصر أخاها وتحمل له المنشورات. وعندما قبضوا عليها قضت الخمس سنوات من أول لآخر يوم. أما سيدة العاملة فقد خرجت مبكراً ولا نعلم عنها شيئاً.

وبالنسبة لحل الحزب

كان شيئاً مفزعاً. وطبعاً لم أوافق على الحل، ولكنى أعتقد أننى لم أكن عضوة فى تنظيم وقتها. فقد تركونا أنا وثريا فى السجن فى موقف غامض. لا وقف ولا طرد ولا .....

رأيى فى الانقسامية وعدم التواصل

القيادات هى السبب. ففى اعتقادى أن القيادات المخلصة كان لابد أن تشجع الصراع الفكرى وتبادل النشرات الداخلية. لكننى أعتقد أن القيادات كانت تحب الزعامة. فلم يكن هناك تنظيم يسمح بتبادل الرأى والرأى الآخر.

ما موقفك وموقف التنظيم من الحركة الشيوعية العالمية؟

كانت هناك علامات استفهام كبيرة لم يلتفت لها أحد. أولها كيف قام الاتحاد السوفيتى بعقد معاهدة مع هتلر قبل الحرب العالمية الثانية؟ إذا كانوا حقاً يحاربون الفاشية فكيف فعلوا ذلك؟

علامة الاستفهام الثانية أن الاتحاد السوفيتى كان ثانى دولة تعترف بإسرائيل بعد دقائق من إعلانها. ورغم أننى لم أكن أعرف القضية الفلسطينية جيداً فى ذلك إلا أننى اندهشت جداً من موقف الاتحاد السوفيتى من تقسيم فلسطين.

شهادة

محمد حلمي ياسين

البيانات الشخصية

الاســــــــم : محمد حلمي يسن

محل وتاريخ الميلاد : ٥ ابريل ١٩١٩ قرية أبو صير الملق مركز الوسطى- بنى سويف من عائلة شبة إقطعية

المـــؤهـــلات : شهادة البكالوريا عام ١٩٣٦ وهى الشهادة القديمة لإتمام الدراسة الثانوية خمس سنوات بعد الشهادة الابتدائية.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : وفترات السجن والاعتقال:

فى أوائل الأربعينيات كان عمرى ٢٢ سنة، التقيت بالشيوعيين، كنت وفديا بحكم انتمائى العائلى، وعملت مع الشيوعيين سنوات عديدة، وبنشاط كبير دون أن أكون عضوا منظما فى خلية، الأمر الذى تحقق فى الشهور الأخيرة عام ١٩٤٦.

بيانات عائلية :

فترات السجن والاعتقال : دخلت السجن أول مرة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٠ فى عهد الملك فاروق وكنت محترفا ثوريا من شهر مارس ١٩٤٩، وبعد خمسين يوماً، حوالى ٢٠ ديسمبر، أفرج عنى بكفالة والتحقت بعمل فى شركة لبيع السيارات وماكينات النظافة، وكانت وقتها حاجة جديدة، واستمريت فى هذا العمل حتى صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢، يوم حريق القاهرة، وفى ظهر ذلك اليوم وضحت معالم المؤامرة المدبرة على الكفاح المسلح الذى بدأ فى القنال، وفى المساء غادرت المنزل ونجوت من الاعتقال حتى منتصف مايو ١٩٥٢ قبض على فى الشارع وأودعت فى معسكر الهايكستب لمدة ثمانين يوما حتى أفرجت عنى الثورة فى ٢٨ يوليو ١٩٥٢ وصدر لى توجيه بالسفر إلى الإسكندرية، اعتبارا من أول أغسطس، وهناك عملت مدرسا خاصا بمعونة الزملاء، ثم انتقلت إلى المحلة الكبرى حيث عملت ممرضاً فى عيادة خاصة حتى يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٥، واعتقلت ضمن حملة على الوفديين والإخوان واليساريين والعمال النقابيين بمناسبة زيارة الصاغ/ صلاح سالم للمدينة، ولم تعرف حقيقة شخصيتى إلا مساء اليوم التالى، وأمضيت عشرة شهور فى سجن القناطر، حيث كان مخصصا للشيوعين

---

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. تجانى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق.

وأعيدت محاكمتى فى القضية ذاتها وحكم على بالبراءة وأطلق سراحى فى يوم ١٩٥٦.

وظللت حرا إلى أن تم القبض علينا أول يناير ١٩٥٩ وحوكمت أمام مجلس عسكرى عال، ودافعت عن عضوية الحزب الشيوعى وحكم على بعشر سنوات، وأفرج عنا جميعاً معتقلين ومسجونين عام ١٩٦٤ من كان معتقلا ومن كان محكوما عليه بسنتين سجن أو بعشر مثل حالتى.

ثم قبض على فى عهد السادات مرتين ١٩٧١، كنت عضوا فى قسم الزيتون فى الاتحاد الاشتراكى، وهذا القسم كان معروفا بنشاطه الشديد ولوجود أعضاء التنظيم الطليعى فى ذلك الوقت، ولم أكن عضوا فى التنظيم الطليعى، وكان القسم مرتبطا بسامى شرف، رقمنا بعمل نشرات ضد السادات ومؤتمرا واتهمونا بعد ذلك بأننا قلنا إن السادات خائن، وبناء عليه قبض علينا جميعا.

ونحن فى التحقيق كان موقفى مميز جدا لأننى رجل متمرس وكانت لى تجارب سابقة وكنت أفهم جيداً كيف تكون الإجابات.

وبعد قضاء فترة عشر أيام أفرج عنى، ثم أعيد اعتقالى بأمر المدعى الاشتراكى وصدر قرار اتهام ولم أكن واحدى فيه حتى أفرج عنى.

رحلة الانضمام للحركة الشيوعية

أرجو العذرة من القارئ لأنه سيفاجأ بسرد طويل عن أيام الطفولة والشباب وحكايات عن عنصرى الأمة، وبالنسبة لى فإن أحدا لن يفهم طريقتى فى العمل والحياة دون أن يعرف كيف عشت أيام الطفولة والشباب صاحبة الفضل الأول فى أن أصل للماركسية وأنا أحمل قدراً كبيراً من المعرفة والاستنارة .

أنا من عائلة سياسية هى عائلة ياسين، من عائلات بنى سويف، فى ذلك الوقت كانت من أقوى عائلات الإقليم، بمعنى أنها كانت من العائلات التى كانت لها كلمة مسموعة فى الإقليم.

وسوف أعطيك حادثة بسيطة-فى إحدى التشريفات الملكية التى كانت تتم فى عيد ميلاد الملك وعيد جلوسه على العرش، كان الأعيان وكل رجال الدولة يمرون ويقبلون يده، فذهب ولد

بنى سويف رأخذوا معهم ولدا من العائلة عمره ١٦ سنة- كبير التشريفات الملكية عندما رآه انزعج جدا وقال: لا يكن أن يدخل معكم إلى مولانا، وبكل بساطة والدى قال له : إذن بنى سويف كلها لن تدخل التشريفة تفضلوا يا رجل لنعود إلى بلدنا.

فى هذا الموقف، ما إن بدا وفد بنى سويف ينفذ هذا الكلام، حتى تصرف كبير التشريفات وسمح بدخول الولد الصغير معهم فى التشريفة، وهذا مثل يبين لك العنجهية والاعتزاز بالنفس.

طبعا فى ذلك الوقت كانت العائلات الإقطاعية وشبه الإقطاعية تحكم- بمعنى أن لها نفوذاً كبيرا جدا- كان عندنا ونحن فرع من العائلة الكبيرة التى تملك أربعة آلاف فدان وخرج من العائلة حسن ياسين الذى كان زعيماً للطلبة فى ثورة ١٩١٩ وكان شخصا محبوبا جدا ومقربا من سعد زغلول أولا ومصطفى النحاس ثانيا إلى أن مات.

ووالدى كان رئيس لجنة الوفد فى القرية وكان طبيعيًا جدا أن تصلنا صحيفتا الجهاد وكوكب الشرق، وكنت مكلفا من والدى طوال الإجازة الصيفية أن أستلم البريد من ساعى البريد الطواف الذى يصل للقرية ظهرا ومعه الصحف والخطابات، ووالدى يقول لى افتح الصحيفة واقرأ للناس الموجودين إذا كان هناك خطب للنحاس أو مكرم عبيد، وكان سنى أحد عشر عاما، كنت أقرأ الصحف وأقرأ الخطب السياسية والدفاعات أمام المحاكم فى القضايا السياسية المتتالية والكثيرة.

وبعد حصولى على الشهادة الإبتدائية سنة ١٩٣٠ التحقت بمدرسة الجيزة الثانوية وفصلت من المدرسة بدون أن أعمل شيئا وأنا فى أولى ثانوى، وأضرب التلاميذ وخربوا المدرسة، ورغم أن المدرسين أخرجوا كل صغار السن مثلى قبل أن يحدث التخريب، وصلنى خطاب بقرار الفصل كشرط ودفع غرامة ٢٠ جنيهًا لإعادة القيد، وكان ذلك مبلغًا كبيراً فى ذلك الوقت.

تبين بعد ذلك أن سبب الفصل والغرامة هو وجود خطاب من حسن ياسين لوزير المعارف فى ذلك الوقت بشأن التحاقى بالمدرسة وكان الخطاب هو استمارة الالتحاق.

وبعد ذلك التحقت بالمدرسة الخديوية، وفى صيف سنة ١٩٣١ خلال الإجازة الصيفية تظاهرت قريتنا أبو صير ضد مرشح الحكومة وخرجت القرية كلها رجالا ونساءً، وكان والدى

وباقى أفراد العائلة الرجال هم القيادة، وأيضاً خرجت نساء العائلة من القرية وعلى رأسهم والدتى وشقيقاتها، وأغلقوا الطريق لمنع المرور، مفتعلين حادث غرق طفل، وحدث اشتباك مع رجال الأمن، واعتقل نحو مائة من النساء والرجال، ومن بينهم والدى ووالدتى، وأفرج عن النساء، وحكم على الرجال وسجن والدى شهرين مع عشرين آخرين.

أثناء المدرسة الخديوية كان نشاطنا وفديا، وكنا قد اقتربنا من سنتى ٣٥-٣٦ وظهر فى هذا الجو الإخوان المسلمون، وحسن البنا كان يخطب فى بيت فى الحلمية، وكان هناك أيضا أحمد حسين مؤسس "مصر الفتاة" وأنشأ فرقة القمصان الخضراء، وكان مركزه فى تقاطع الفلكى وشارع محمد محمود.

وكانوا جميعا يتكلمون فى السياسة، لكن زعيمنا كان مصطفى النحاس، كان شيئا طبيعيا أن نذهب إليهم فى بيت الأمة ويأتون إلينا. ونجلس و معهم مصطفى النحاس ومكرم عبيد ويوم الجمعة يأتى النحاس لزيارة حسن ياسين ويكون كل شباب العائلة فى انتظاره ويسأل النحاس باشا كل واحد باسمه عن أحواله وعن صحته.

ولكى تدرك كيف كانت الزعامة الوفدية ترتبط بقاعدتها من اللجان، أذكر لك حادثة عندما حضرت لجنة الوفد فى قريتنا بكاملها إلى بيت الأمة لإعلان تأييدها، استقبلنا مكرم عبيد، وبعد مصافحته لأعضاء اللجنة جميعاً، فوجئنا به يسأل عن شخص غائب هو أمين صندوق اللجنة الحاج تغيان، وأنا أتذكر طبعا كل رجال الوفد، ومصر الفتاة. أول منشور سرى وزعته كان لمصر الفتاة فى أوائل عام ١٩٣٦ وأنا فى البكالوريا، وكنا نعمل محاضرات، وأتذكر مثلا أنى عملت محاضرة عن مغزى أن لطيفة النادى أنها تعد أول مصرية تقود طائرة من أوروبا إلى مصر فى منتصف الثلاثينيات، وما يطرحه ذلك من إمكانيات للمرأة ومستقبلها.

وبالنسبة لى مهمة جداً الفترة التى عشتها أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، أولا لأنها كانت فترة غنية جدا بالسياسية وأحداثها، ثانيا لانحدارى من عائلة لها نفوذ. بعد ذلك بسنوات أصبحت شيوعيا أقرأ عن السلطة والحكم، وبدأت أتذكر معنى هذه الأشياء، معنى أن ضابط النقطة يأتى للبلد ويسكن مجانا فى ديوان من دواوين العائلة وكل أكله ومصروفاته وعائلته وضيوفه، ويتم عمل عربة مليئة بالسمن واللحم والبيض، ومعنى ذلك أن أى فلاح من

القرية يتجاسر ولا ينفذ ما يطلب منه، أجد والدي يقول للضابط هذا الولد قليل الأدب خله عندك ربيه وبأخذه للنقطة ويضربه علقة ولا أحد يستطيع أن يتكلم عن الذى فعله أيضا هذا الضابط، لكن هذا يعنى أن الذى فعله جدى نعله أبى مع أن أبى لم يكن عمدة أو شيخ بلد، فقط أخوه كان نائب عمدة وهو لم يترك منصبا ولكنه كان يحكم.

كان فى العائلة خلافات وظهر شيء غريب جدا فى العائلة، الأجيال الكبيرة يتشاجرون مع بعض ويضربون رصاص بالشبابيك ويسممون المواشى ويخلعون الزراعة ولكن نحن الأولاد الصغار جميعا وسننا صغيرة فى ذلك الوقت، إحدى عشر عاما، اجتمعنا وقررنا أنه لا شأن لنا بهؤلاء الكبير المجانين، نحن تلاميذ ونأتى إلى القرية فى أجازة الصيف، نحن سنستمر أصدقاء وأحباء ولا شأن لنا بالكبار، وكان شيئا عاديا أن يدخل أحد الكبار إلى منزله ويجدنا - نحن الصغار - من أبناء الأعداء، جالسين فيدللنا ويطمئن على أننا قد تناولنا الطعام والحلو.

ليس هذا فحسب، بل فى عهود الأحرار الدستوريين وصدقى، كانت العمودية تنتقل من عائلاتنا إلى عائلة عبد الحافظ، وكان والدى يرسلنى لإحضار أوراق خاصة من العمدة، أوراق خاصة بملكية الأرض، وكنت أتلقى تحذيرات كثيرة من نساء المنزل ألا أتناول شيئا أو أشرب شيئا خوفا من أن يسمونى، كان يحدث عكس هذا تماما عندما أصل إلى منزل العمدة الذى يصر على أن أتناول الطعام وأن أدخل عند نسائهم ليرونى.

شاهدت أيضا نوعًا غريبًا من العلاقات عندما تأتى سيدة اسمها غالية، زعيمة عصابة هى وأولادها وتسكن فى عزبة بعيدة عن القرية، وهى تأتى لزيارتنا وتتناول العشاء، والهدف من الزيارة طلب الإذن أن تمر هى وأولادها دون أن يعترضهم الغفر، وفى المقابل لا يسرقون من قريتنا.

لاحظ هنا العلاقة المزدوجة والمعروفة للجميع بين السلطات الرسمية والخارجين عن القانون.

وهكذا كانت طفولتنا مليئة بالأحداث والتجارب، مثلا فى وقت الانتخابات كنا نجلس لأسرة كلها السيدات والأولاد فى انتظار عودة الموكب الانتخابى من القرى الأخرى، وفجأة نسمع أصوات الرصاص فى الظلام ونحن لا نعرف ماذا حدث إلا بعد فترة عندما يصل المشتركون فى الموكب، ورأينا أيضا كيف ينزل الناس إلى الترعة الكبيرة بملابسهم عندما

ينقلون صناديق الإنتخاب من القرية إلى مكان يبعد عنها، ويغلقون الكبرى، وكذلك عندما يذهب الفلاحون ويقولون لهم تنتخبوا مين؟ يكون الرد: الوفد.

وهكذا كانت طفولتنا غنية بشكل كبير، زادها غنًا أننى حضرت أول مرة إلى القاهرة سنة ١٩٢٨ كان عمرى ثمانية سنوات وأبى كان يحمى عائلة مسيحية (عائلة مرقس) وهى عائلة غنية جدا، أحد أبنائها أسلم (عريان برسوم) وكان وكيل شركة سنجر بالجيزة، وعندما أسلم أسمى نفسه لطفى ولم يكن أمامه من ملجأ بحيمة من القرية عند حضوره سوى منزلنا. وبعد أن يقضى الإجازة هو وزوجته وأطفاله يعود إلى القاهرة، وقتها بكيت، وقلت أسافر معه، فقال له والدى خذه معاك أدخله المدرسة، وحضرت أنا وخالى الصغير، سه تسع سنوات، إلى القاهرة، وأدخلنا مدرسة وادى النيل فى السيدة زينب، هذا الرجل كان مسيحيا وأنا بعد أن قارب سنى على الثمانين، أعلن أن أية صفات طيبة فى شخصيتى لا توجد منها صفة لا تمتد إلى هذا الرجل أو إلى هذه الفترة بالذات.

فلم يكن تجرى أى تفرقة بيننا نحن الاثنين وبين أولاده الثلاثة فى المصروف أو فى الأكل أو فى النوم، وإستمرينا معه حتى حصلت على الإبتدائية سنة ١٩٣٠ وكان عمرى أحد عشر عاما، وبعد ذلك جاء أصغر أعمامى من البلد توظف هنا فى القاهرة، وطبعا كان طبيعيا أن أسكن معه، وانتقلت للسكن معه، ولكن فى نفس المنزل فى السيدة زينب.

وحتى وفاة عمى لطفى، وبعد أن أصبحت رجلا كان يبكى عندما يرانى، يقول: هذا ابنى محمد حلمى ياسين، ويقدمنى على أننى ابنه الذى رباه، وهو الخواجة عريان برسوم، وكنت أرى والدى يمد حمايته على أسرة مرقس ولا يقبل أن ينزل بها أى ضرر ويقضى لهم مصالحهم

فى أولى ثانوى، ونحن فى المدرسة الخديوية، رأينا كيف كانت المدارس زمان، ناظر المدرسة عبد السلام الكرداني قال: كل الطلبة الذين من خارج القاهرة وغير مقيمين مع أهاليهم يخرجون من الطابور ويقفون صفا، وأخذوا أسمائنا، وبعد قليل نادى علينا مدرس ومعه سيارة، وذهبنا إلى بيتنا فى شارع السد البرانى، قرع الباب وقال: هذه شقة فلان الفلانى؟ أنا مدرس من الخديوية وبدأ يسأل أين ينام محمد حلمى، أين يأكل؟ والشقة فيها كام تلميذ؟ وهذا الكلام كان يحدث من ٦٨ سنة فى مصر. وسألهم: هل لكم شكوى؟ هل لكم ملاحظة؟ هل يشكو الطالب من شيء فى المدرسة؟ ونزل المدرس بيتنا، وهكذا لكل التلاميذ. هكذا كانت

علاقة المدرسة بطلابها.

كان أبي كريما جدا وكان يضرب المثل بكرمه وكان يحمى أية امرأة فى القرية مظلومة من زوجها، وكان شيئاً عادياً فى بيتنا أن تأتى أية امرأة من الفلاحين وتدخل عند جدتى وتشكو ما فعله زوجها معها من أخذ بعض ممتلكاتها أو بيع شىء يخصها بدون موافقتها. ولم يكن والدى يسمح بأن تعود هذه السيدة إلى زوجها إلا بعد أن تستعيد منه ما أخذه منها.

إن كل هذه الأحداث والإنطباعات، تترك أثرها فى نفسية الإنسان، ولازلت أذكر أول مرة قرأ فيها البيان الشيوعى عام ١٩٤٦ أو أوائل ١٩٤٧ كنت أتذكر لحظتها وقائع عشتها فى صباى بين كبار الملاك والعائلات، تذكرت الكلام الذى يقال عن الإنطاعيين فى أوروبا، أقول: هذا الكلام عشته فى قريتى أو شبيه به، مثلا: يدخل الرجل من الأعيان وله عشيقة فلاحة متزوجة، يدخل إليها وزوجها فى البيت وبعد ربع ساعة تجد زوجها يحمل فأسه ومقطفه ويخرج تاركا الضيف مع زوجته

أخذت البكالوريا ١٩٣٦ وكانت أمنيتى أن أدخل كلية الحقوق لأصبح محاميا. فذهبت إلى حسن ياسين أطلب مساعدته فى دخولى الحقوق، فقال لى : إنت مجنون؟ إنت رجل الآن سنك ١٧ سنة ولا تعرف أن أباك قد بدد الثروة ولم يعد عندكم شيء، لو لم تشتغل، أمك وإخوتك لن يجدوا طعاما، ولا بد أن تعمل لتطعمهم، أنا سأجد لك عملا ، وفعلا أخذنى وألحقنى فى العمل فى وزارة الصحة مساعد معمل كيماوى بمرتب خمسة جنيهات، وكان والدى مازال حيا، ولكن الثروة انتهت وعندما توفى والدى عام ١٩٤١ ظللنا نعيش على آثار وبقايا الثروة نحو خمس سنوات، فكان الفدان الواحد من الأرض مباعا لشخص ومرهونا لشخص ومؤجرا لشخص. وجرى كل من هؤلاء ليحفظ حقه فى الارض ولم يكن لدينا أية مستندات سوى العقد الموجود مع الفلاح، وفى المحكمة كنا نحصل على الباقى فى العقد لكى يحكم القاضى بالموافقة على صحة العقد ونفاذ، كنت أعول أخوتى، وكان عملا جيداً والحمد لله، كنا أحد عشر مساعدا للمعمل وكلنا لأول مرة حاصلين على البكالوريا ونعمل كمساعدين للكيمائيين خريجى كلية العلوم أو الحاصلين على الدكتوراه فى الكيمياء. ووقتها كان كل رؤساء المصالح إنجليز، وكان مديرى إنجليزيا اسمه ويليام شررت. وبعد الغاء الامتيازات، جاء أول مدير مصرى وكان مدير معمل بلدية الإسكندرية الدكتور مصطفى صبرى، جمع الإثنى عشر كيمائيا

وقال لهم : أريد مساعدا يكون شخصاً جيداً ومضمونًا وقالوا بالإجماع : إذن خذ الأخ ياسين، هذا هو يصلح لك! كان الدكتور صبرى عالما كبيرا تعلمت منه الكثير حتى توفى أثناء العسل.

في سنة ١٩٤٢ ، وقت الحرب، كنت وفديا وكان لي موقف لا أعرف سببه، أني كنت معادبًا لهتلر والألمان في وقت كان غالبية المصريين فرحين بهتلر وبالهزائم التى أنزلها بالإنجليز، وأنا أهاجم هتلر والألمان، وكنت مواليا للإنجليز والخلفاء والروس دون سبب علمى، ولا تأصيل ولا اشتراكية، مسألة عاطفية هكذا، فجاء لى أحد أقاربى قال أنت عقلك كبير تعالى معى يوجد جماعة يقولون محاضرات جيدة فى شارع عدلى كان وقتها شارع المناخ، ذهبنا وقتها إلى جماعة تسمى نفسها "جماعة الدراسات GROUPE ETUDES" وكان فيها خليط من أنصاف الأجانب والمصريين الذين كانوا فى هذه الجمعية وقتها يعدون على الأصابع، وعندما كثر عدد المصريين في الهيئة وأصبحنا عشرة أو أحد عشر، قالوا : نعمل لجنة للمصريين، فعملنا "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" بنفس المقر، ونجتمع مرة فى الأسبوع وكان معنا فى المجموعة يوسف درويش وصادق سعد يوسف ومحمد إسماعيل وريمون دويك وعبد العزيز فهمى ورشدى صالح ودكتور سالم قريبى وأنا، ثم انتقلنا لمرحلة أخرى، أن نذهب نعطى دروسا للفلاحين والعمال، فذهبنا إلى ميت عقبة، كنا ننزل عند كوبرى الزمالك القديم ونمشى حتى نصل إلى ميت عقبة لنعطى فصول محو أمية والتعليم بمعناه الحضارى المسيس، فكنا نركز على التاريخ وحركة الشعب، ثم ذهبنا بعد ذلك لمقر أمام الترسانة فى بولاق وكان يوسف درويش يسكن هناك وهناك أيضاً كنا نطبق نفس ما فعلناه فى ميت عقبة.

وبدأنا تنظيم المحاضرات فى مقر الجمعية (جماعة الشباب) وأذكر أن بول جاكو أحد زعماء مؤسسى الحركة الشيوعية كتب محاضرة عن كهربة خزان أسوان وكتب المحاضرة بالفرنسية وأعد نماذج للتوربينات التى سوف تولد الكهربة وترجمت المحاضرة بالعربية، وأنا الذى ألقيتها، قلنا المحاضرة أعدها فلان وسيلقيها عليكم الزميل حلمى، وهناك حصلت أسئلة كان هو يرد ويترجم، كانت مرحلة عندما أستذكرها الآن أشعر كيف كانت المجموعة تحلم بمستقبل مصر واحتياجاتها.

ظلت الأمور تسير بهذا الشكل أواخر ١٩٤٤ أو ١٩٤٥ ، حتى ظهرت الفجر الجديد، أنا تحمست لها وكنت أوزعها وكتبت فيها بأسماء مستعارة (حمادة وأحيانا محبى) وكنت أذهب

إلى المحلة وأتردد عليها حتى عرفوا أننى أكتب لهم من وقت لآخر باسم مستعار

فى الفجر الجديد بدأ المرء يسمع كلاما عن الاشتراكية كلاما عن الاتحاد السوفيتى، وصدرت فى نفس الفترة مجموعة كتب مهمة، مثل كتاب أبو سيف، حول الفلسفة الماركسية، رد على العقاد، كل هذا ولم أكن أعرف أن هناك تنظيما يضم مثقفين وعمالاً فى الفجر الجديد، وفى شبرا الخيمة، كنت أتابع أسماء محمود العسكرى-محمد يوسف المدرك وغيرهم من القيادات العمالية.

فى هذه الفترة حدث شيء مهم جدا، سألنى الزميل ريمون سؤالا محدداً جدا: هل قرأت تاريخ مصر؟ قلت: طبعا نعم. قال لى: ماذا قرأت؟ قلت له: قرأت كذا وكذا وكلها كتب مدرسية، وقال لى: أليس عيبا أن تتصدى وتقول إنك تريد أن تخدم مصر وشعبها بدون أن تكون درست تاريخ مصر بشكل جدى.

قلت له: وماذا يعنى ذلك؟ قال: هناك سلسلة كتب عبد الرحمن الرافعى، وكانت ستة أو سبعة أجزاء فى ذلك الوقت، وبعد أن قرأتها جميعا بدأت أعيد قراءتها مرة أخرى، وطلب منى أن أضع عينى على حركة الشعب وليس على حركة الملوك والحكام، وأدرس ماذا كان يفعل الشعب والناس البسطاء ليقاوموا الظلم وأعمل ملخصا. لهذا قرأت كتب الرافعى بهذا الشكل مرتين، وقرأت «دمار مصر» لروزشتين، وكتاب بلنت "التاريخ السرى للاحتلال البريطانى" وعندما إنتهيت من قراءة هذه الكتب، قال لى أنت الآن تستطيع أن تتكلم مع أى أحد وإن لديك الآن من المعرفة القدر الذى يسمح لك بذلك.

بدأت فعلا بتوجيه من المجموعة نجمع توقيعات وحملونى أشغال مثلا عندما وصل رميل للعلمين، قلنا للزملاء اليهود المصريين، لابد من إجراءات تأمينهم لأنه لو وصل هتلر سيتم إعدامهم. ولابد من تأمينهم وأنا أخذت ريمون وذهبت إلى قريتنا وعرفته بالناس وله صور جميلة هناك -ياليتنى أستطيع أن أحضرها لكم - مرتديا الملابس البلدية جالسا على الأرض يقص شعره وكنا نقول: هذا الأستاذ إبراهيم دويك.

وفى تلك الفترة، كلفت بجمع توقيعات لإلغاء الأحكام العرفية وجمعت بالمئات توقيعات للمطالبة بإجراء انتخابات جديدة بعد انتهاء الحرب.

تشكيل رابطة الفئة التى أنتمى إليها: واشتركت مع آخرين بنشاط تشكيل "رابطة

مساعدى المعمل"، وأسهمت بنشاط كبير فى تأسيسها، ولكن لم أكن أنا مؤسسها، وإنما لعبت دورا أساسيا، ولكنى بدأت أشعر أن هؤلاء شيوعيين وأنا بقيت مثلهم لدرجة أننا فى يوليو ١٩٤٦ عندما حدث حملة ١١ يوليو ١٩٤٦ وتم القبض على معظم الزملاء الذين أعرفهم جئت من البلد وكنت مسافراً أخذت النقود التى جمعتها لزواج أختى الوحيدة وقسمتها نصفين: نصف لجهاز أختى والنصف الآخر أخذته لزوجة ريمون، وقلت لها : خذى هذه الفلوس لدفع أتعاب المحامى للدفاع عن الزملاء المقبوض عليهم.

فى سبتمبر قالت لى: تعرف كازينو سفير فى مصر الجديدة؟ اذهب إلى هناك ستجد شخصاً تعرفه، نفوجئت أن الذى كان فى مقابلتى صادق سعد وأخذنى إلى أحد المقاهى الموجودة على حافة الصحراء وكانت مشهورة فى وقتها، وقال لى : موقفك الذى اتخذته بعد اعتقالنا كان موقف جيد، لذلك أنت ستكون مرشحًا، قلت له : بل أنا عضو، معلوماتك غير دقيقة وأنا فعلت كذا وكذا، قال لى: هل قرأت اللائحة؟ هل قرأت الخط السياسى؟ قلت :لا، قال الشرطى تكون عضواً أن تقرأ اللائحة والخط السياسى وتوافق عليهما، وإذا لم توافق لا تصبح عضوا، وأنا سأقابلك الجمعة القادمة وآتى لك باللائحة، وهكذا بعد ست سنوات عمل معهم فى مختلف الأنشطة أصبحت عضوا فى تنظيم الطليعة الشعبية للتحرر (طليعة العمال)، وكانت المنظمة قد غيرت أسمائها طبعا دون إنقسام أو إتحاد مع تنظيم آخر وأسمت نفسها الطليعة الشعبية للتحرر، ثم طليعة العمال ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، هذه المنظمة لم تنقسم أبدا، وأنا من جهتى لم التحق بأى تنظيم غيرها وكان المؤتمر التأسيسى لحزب العمال والفلاحين مؤتمرا منتخبا بطريقة ديمقراطية، وبالنسبة لى كان ثانى مؤتمر أحضره.

فكرتي عن النشاط التنظيمي لطليعة العمال

حلمى: المجموعة التى كانت موجودة أو أنصاف الأجانب منهم جزء تمصر تماما واعتنق الدين الإسلامى ويتكلمون العربية جيدا مثل: صادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش، وهؤلاء أصبحوا لا يختلفون عن أى واحد ونجحوا جدا فى العمل مع العمال، أما الجزء نصف الأجنبى الذى كان اسمه "الممر" أى مرحلة انتقالية لمن يريد أن يكون فى خدمة الشعب المصرى، فقد عاد معظمهم بعد انتهاء الحرب كل إلى وطنه الأصلى.

وبمجرد انضمامنا إلى مجموعة الزملاء هؤلاء بدأنا ننتظم فى خلية ونقرأ كتب الماركسية وكان أولها البيان الشيوعى، ثم كتاب ترجمة د. راشد البراوى عن الاقتصاد السياسى للبوليتيف، وأسس اللينية، وكانت المجموعة تعمل منذ البداية لغرس مبادىء الماركسية لعدد من المصريين عمالا ومثقفين ليس فقط عن طريق القراءة النظرية فحسب، ولكن بممارسة نشاط عملى فى مختلف القطاعات كانت هناك مجموعتان أساسيتان: واحدة قطاع العمال فى شبرا الخيمة والإسكندرية وبورسعيد ويتزعمها محمود العسكرى والمدرك، وواحدة فى وسط المثقفين وعلى رأسها رشدى صالح وصادق سعد وأبوسيف يوسف ومعهم يوسف درويش.

المؤتمرات التى حضرتها

أنا لم أحضر مؤتمرا عاما غير المؤتمر التأسيسى لإعلان حزب العمال والفلاحين الشيوعى لكن حضرت مؤتمرا لمنطقة القاهرة عقد فى شارع الشيخ ريحان فى دور أرضى وحضره خمسة عشر شخصا منتخبين، منهم الأسماء المعروفة: محمد إسماعيل وطه سعد وغيرهم وانتخبنا لجنة قيادية لقاهرة، وبعد أن إنتخبت اللجنة بشهر استدعانى رشدى صالح، وكان يسكن فى المنيل وكان هو المسئول السياسى فى ذلك الوقت. وقال لى: تقرر ضمك للجنة القاهرة، واعترضت وقلت له: هناك فلان وفلان أكفأ منى، قال لى: أنت حضرت معهم اجتماع المؤتمر، ولكننا نعرف إمكانيات الجميع وحجم نشاطهم وأنا أذكر جيدا أن الاجتماع الذى حضرناه كانت المناقشة فيه حرة جدا وكانت مستريحة جدا جدا وكل إنسان كان يعبر عن نفسه وتفكيره، أنا اعترضت فى البداية ولكنى بعد ذلك نفذت القرار.

ولم يكن هناك مؤتمر فى ١٩٤٩ وما أحب أن أشير إليه هو أن "المنظمة" بعد المؤتمر أو الاجتماع التأسيسى الذى أعلن قيامها فى ١٩٤٧ قد قامت على أساس وثائق أهمها الخط السياسى (وكان يسمى بالرسالة السياسية)، وكان تعبير الرسالة السياسية مرادفا للاستراتيجية، ولشرح هذه الاستراتيجية أصدرت المنظمة كتيبات صغيرة تشرح بتوسع القضايا الأساسية فى الاستراتيجية.

وكان كل كتيب يختص بقضية رئيسية مثل: القضية الوطنية والطبقة العاملة والسياسية والمسألة الفلاحية ومحاضرة فى مبادىء التنظيم، صدرت تحت عنوان: "من نحن وماذا نمثل"؟ وغير ذلك من الموضوعات.

تطورى التنظيمى

:خلت لجنة القاهرة، كنت مسئول تنظيم بالقاهرة، ثم ظللت هكذا حتى الأحكام العرفية حتى عام ١٩٤٨، إختفى رشدى صالح بالإسكندرية وأبو سيف فى القاهرة وأنا كنت لا أزال موظفا، وفى أوائل مارس ١٩٤٩ وعندما بدأ واضحا أن الأحكام العرفية ستمتد عاما آخر طلبوا منى فى التنظيم أن أكون محترفا ثوريا. وقلت لهم: أنا جاهز فورا، ومن الغد للتنفيذ، وفعلا قدمت استقالة وقلت للناس فى المصلحة إنى وجدت عملا بمرتب كبير فى إحدى الشركات، وكان هذا بعد ١٢ سنة كاملة فى الوظيفة الحكومية بمرتب جيد ومركز أدبى جيد.

وطلب منى أن أسكن لوحدى بعيدا عن العائلة وإستأجرت غرفة فى السطوح بأحد المنازل فى باب الشعرية، كان دخلى قبل الاحتراف يصل إلى ١٨ جنيهًا شهريا فى ذلك الوقت تقرر لى ثلاثة جنيهات لإيجار الغرفة وستة جنيهات للمعيشة والمواصلات.

ظللت هكذا، وبعد فترة قبض على يوسف درويش وزميل لنا من الإسكندرية، وأبلغنى أبو سيف بأننى سأدخل اللجنة المركزية لأن اللجنة المركزية يعاد تشكيلها من جديد، ونحن النظام كان عندنا بطليعة العمال أن القيادى الذى يتم القبض عليه يجمد مركزه فى اللجنة المركزية أو المنطقة حتى نهاية خروجه من السجن ويتحدد من استرداده موقعه القيادى أو عدمه على ضوء سلوكه ومواقفه فى فترة الاعتقال أو المحاكمة.

وأذكر واقعة مشهورة عندما كان الزملاء فى الطور، أرسل صادق سعد-وكان المسئول السياسى قبل اعتقاله-يقول نحن نكلفكم أن تعملوا كذا وكذا، فرد عليه رشدى صالح وأبو سيف قائلين: ليس من حقك أن تكلفنا بشىء، وأن كل ما تستطيعه هو أن تطلب منا ما تريد. أنت مثلك الـ ٣٠ أو ٤٠ زميلا الآخرين الموجودين معك فى المعتقل.

دخلت اللجنة المركزية فى نهاية ١٩٤٨ واستمريت فيها عدا فترة السجن، وانتخبت فى المؤتمر التأسيسى لحزب العمال والفلاحين عضوا فى اللجنة المركزية ودخلت اللجنة المركزية للحزب ٨ يناير ضمن مجموعة ممثلى ع.ف ثم عند تصغير اللجنة المركزية من أكثر من ثلاثين إلى ١٤ عضواً فقط، واستمريت عضوا فى اللجنة المركزية إلى أن تم حل الحزب.

خلال عملى مع عائلات المعتقلين فى الفترة الأولى من الاحتراف، كنت مسئولا عن عائلات المعتقلين وهذه المسئولية أعطتنى خبرة من واقع احتكاكى بزوجات العمال المعتقلين ومشاكلهم

وكان يسود هناك مرض عند الشيوعيين هو الاتهامات البوليسية، فيذهب النساء مثلا إلى المحافظة ليحصلوا على تصريح زيارة المعتقلين فيحدث أن واحد صول يجد إمرأة منهم قريبته أو معرفة فيجلسها بجانبه ويأتى لها بشاى، يأتى النساء وتعلن: إنتبه فلانة دى تعمل مع المباحث لأنه عندما ذهبنا لنحصل على تصاريح بالزيارة، واحد صول عمل كذا وكذا.

وقد رتبت جيدا من خلال مسئولياتى عن العائلات فى فترة الأحكام العرفية، هذا إلى جانب العمل التنظيمى والسياسى فى مختلف المجالات. ونحن أبدعنا جدا فى العمل الحزبى فى السنة الأولى من الأحكام العرفية.

وأتذكر أننا عملنا حصر فوجدنا أننا قد أصدرنا فى السنة ٢٤ منشورا، وأذكر جيدا أن مجموع النسخ التى طبعت ووزعت من هذه المنشورات ٦٠ ألف نسخة، وهذه أمور أتذكرها، لماذا فعلنا هذا الحصر؟ لأنه فى عام ١٩٤٩ عملنا حركة تحرير الشعب (حتش) وقلنا لابد لنا أن نقول ماذا فعلنا وماذا حققنا وسجلنا هذه الأشياء للتاريخ وتمت الوحدة.

الشكل الذى تمت به الوحدة

تمت الوحدة بين التنظيمين بدون مؤتمر، ولكن كانت هناك مناقشات بين القيادات ووثائق مشتركة تمت الموافقة عليها بوسائل تنظيمية. حدتو كانت أسست لتوحيد الشيوعيين، ونحن كان لنا موقف من حدتو بأنها منظمة معادية ومخترقة. وعلى أساس هذا رفضت أيضا حركة تحرير الشعب الدخول فى اللجنة التى اشترك فيها مع حدتو ست منظمات أخرى، فكان طبيعيا أن المنظمتين اللتين رفضتا الاشتراك فى لجنة الوحدة التى شكلتها حدتو ولنفس الأسباب تقريبا، وكان من الطبيعى أن يتحدوا مع بعضهم البعض.

حركة تحرير الشعب التى اتحدنا معها كانت جماعة من المثقفين عندهم عامل متميز اسمه سيد أمين - الله يرحمه - وكان عامل نسيج، وكان من بينهم أيضا المهندس حسين طلعت.

تمت مناقشات فى البداية ثم مناقشات وثائق، كل طرف كان له ملاحظات تم تصنيفها، ثم تمت الوحدة بعد الاتفاق عليها، وعلى أساس المساواة فى المراكز القيادية، وأذكر أن عدد طليعة العمال فى ذلك الوقت كان مائة شخص وكانوا هم ستين تقريبا، نحن لم نعمل مؤتمراً ولكن كان عندنا شكل آخر كنا نسمية كونفرس، وعقدناه وأقر الوحدة.

فى عام ١٩٤٩ وضح أن الحكومة تستعد لمد الأحكام العرفية سنة أخرى من ١٥ مايو ١٩٤٩ ونحن قلنا- التنظيميين - نتوحد لمواجهة الموجة الجديدة التى ستصاحب مد الأحكام العرفية، جماعة حتش كانوا كلهم مجموعة مثقفين ليسوا أهلاً للعمل وخبرتهم التنظيمية محدودة للغاية وكذا وتطبيقهم المبادىء التنظيمية، ولكن كان منهم عناصر نشطة مثل حسين طلعت وسيد أمين.

استمرار الوحدة وعدم حدوث انقسامات

لم يحدث أى انقسام فى التنظيم الجديد، ولكن ناس منهم تركوا العمل من غير أسباب، اتفقنا معهم - كطلبهم - على تغيير الاسم وأصبحنا بعد الوحدة الديمقراطية الشعبية ورمز لها د.ش.

وفى سنة ١٩٥٠ كانت هناك انتخابات وخاضها الوفد بقوة، كان لنا اتصالات بالطليعة الوفدية، ورشح مصطفى موسى زعيم الطليعة الوفدية فى دائرة باب الشعرية أمام سيد جلال الرجل القوى الذى كان من رجال الملك فاروق وساندته بقوة أخبار اليوم التى كانت تقول عن مصطفى موسى جايبين تلميذ أبوه وأمه مازالا يصرفان عليه.

ولكن نجح مصطفى موسى باكتساح ورسب سيد جلال رجل الملك ومازلت أذكر فى ليلة ظهور النتائج شعار "الحكم للوفد وحده" أى حكومة وفدية وليست ائتلافية، كما كانت تروج دوائر القصر وصحافته (أخبار اليوم) طوال الشهور السابقة، ونجحت تجربة هذه الانتخابات وبلورت الجناح اليسارى للطليعة الوفدية، ونحن كنا أصحاب فضل فى هذا وجنينا ثمرة عمل الزملاء عدة سنوات فى الصحافة الوفدية، ومع عناصر من الطليعة الوفدية عمل أبو سيف ورشدى صالح ومحمد إسماعيل فى صوت الأمة، وكان أبو سيف يعمل فى جريدة البلاغ اليومية وزعمون دويك فى النداء الأسبوعية، كان لنا نشاط آخر فى الطليعة الوفدية. لكن كنا شيئا مستقلا وكانت الطليعة الوفدية تصدر مجلة اسمها "رابطة الشباب" يكتب فيها زملاؤنا بأسمائهم، وكانوا معروفين بأنهم شيوعيون متحالفون مع الوفديين، ولكن ليسوا جزءاً منهم.

سوف أعطيك مثلا بسيطا جدا عن أسلوب عملنا مع الوفد، كنت عضوا فى لجنة بالخليفة بحكم سكنى، وكان رئيس اللجنة المرحوم أنور مرزوق ضمن الطليعة الوفدية، أنا أعددت كتاباً

أسمه «الوفد والعدالة الاجتماعية» وصدر باسم أنور مرزوق لأنه كان رئيس اللجنة. مثل آخر عن مفاجآت نى العمل مع الوفديين، فقد دعينا إلى مؤتمر جماهيرى فى طنطا، لكن المؤتمر فشل بعدما فجر شبان وفديون قنابل وكانوا بصحبة سيف العزالى وتسبب الانفجار فى قلب سيارة بلوك النظام، وكان فى المظاهرة وفود من المنيا ومن الإسكندرية ومن كل الأنحاء، وكانت مشكلة أين يذهب الناس، وليس هناك أى ملجأ. وقد أقفلت البيوت والمتاجر أبوابها بعد تفجير القنابل.

علاقة التنظيم بالطبقة العاملة

التنظيم عندنا كان يتميز بشىء، إنه كان وثيق الصلة بالعمال وعلى أسس نضالية فى أوساط المثقفين. كانت هناك الفجر الجديد "دار القرن العشرين للنشر" التى نشرت كتبهم الماركسية حول الفلسفة الماركسية ردا على العقاد لأبوسيف، وكتاب المادية الجدلية لمحمد إسماعيل، وفى أوساط العمال، نحن نجحنا فى إرسال المرحوم يوسف المدرك إلى المؤتمر التأسيسى لمؤتمر الاتحاد الديمقراطي العالمى فى باريس ممثلا لمائة وثلاث نقابات مصرية.

ولكى تدرك النفوذ الأدبى لزملائنا القياديين لشبرا الخيمة، فان نساء شبرا الخيمة كنّ يشتكين أزواجهن إلى محمود العسكرى عندما يسىء أزواجهن معاملتهن.

كان عندنا سيطرة شبه كاملة فى شبرا الخيمة ضد الإخوان وضد حدتو، لامؤاخذة، أنا الآن ضد أى نوازع انقسامية قديمة، ولكن أنا هنا أسرد التاريخ والواقع، زملاؤنا كانوا يقولون لشخص يريدون سبه: "بنت حدتو" وكان الزملاء العمال محمود العسكرى ويوسف المدرك وطه سعد عثمان وطه فودة وأحمد سالم وعبد المقصود الوزير ومحمد عبد الغفار وعبد الحليم عمارة وغيرهم، كانوا هم قيادة شبرا الخيمة وكانوا يتحكمون فى لجان المصانع.

وكان لنا فى الإسكندرية عمال قياديون من أمثال محمد مدبولى، وكان لنا فى المنيا وسط عمال الخليج. وفى بورسعيد كان للمدرك علاقة قوية بعمال الرباط الذين رفضوا تقديم أية خدمات للباخرة الهولاندية "نولندام" المحملة بمهمات لتعزيز القوات الهولاندية التى كانت تحتل إندونيسيا.

الكلام الذى يقال عن الانحراف الاقتصادي إنه كان الاهتمام بالمطالب العمالية وتحسين

الظروف المعيشية بعيدا عن تسييس الطبقة العاملة وربطها بالفكر الماركسي أتت من أنه كان فعلا هناك ثقل للعمال كبيرا جدا، لكن أنا لم أشعر أبدا بأية محاولة لعدم تلقين الماركسية، وأنا شخصيا شاركت في التدريس بمدارس كادر للتثقيف، استمرت مرة طوال الصيف بالإسكندرية وكان أعضاؤها كلهم من العمال. ولكن النفوذ القوي لمحمود العسكري والمدرك وطه سعد جعلهم يبرزون كقدة حقيقيين وجماهيريين وذوي فعالية مؤثرة وكبيرة ليس فقط في شبرا الخيمة، ولكن كان لديهم أيضًا ارتباطات عمالية ونقابية في معظم أنحاء مصر.

يشهد بذلك سفر المدرك إلى باريس مفوضا من أكثر من مائة نقابة. وأيضا تأسيس لجنة العمال للتحرر القومي أول منظمة سياسية علنية للطبقة العاملة ببرنامج سياسي.

هذا النفوذ الجماهيري الكبير والذي كان لا شك مصدر إزعاج للسلطات العاملة في الحقل السياسي، كان أكثر تأثيرا وبروزا من دور الفجر الجديد التي كان يصدرها جناح المثقفين وعلى رأسهم رشدي صالح وصادق سعد وأبو سيف يوسف. وفي بعض القطاعات العمالية كانوا يطلقون على زملائنا اسم العسكريين نسبة إلى محمود العسكري ونفوذه الطاغي، أما بالنسبة للفلاحين، فقد كانت هناك أماكن محدودة في المنيا بين عمال الحليج وأيضا في القرى المحيطة بشبرا الخيمة.

بالنسبة للفلاحين: كان النشاط محدوداً جداً وكانت هناك دراسات عن الواقع المصري وتاريخ مصر.

تصورنا للثورة الاشتراكية في المرحلة القادمة

كان تحليلنا أن المرحلة هي مرحلة استكمال مهام الثورة الديمقراطية، ثم الثورة الاشتراكية.

ظروف ترك رشدي صالح للتنظيم

رشدي شخص جيد جدا، لكن هو قال جملة واحدة: أنا مت في السجن.

رشدي صالح وهو هارب من الاعتقال سنة ١٩٤٨ كتب كتاب الأدب الشعبي وأخذ عليه جائزة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، وأنا الذي سجلت الخطاب في بريد العتبة باسم عميد كلية الآداب، بينما رشدي كان في الإسكندرية، وظهرت النتيجة ولم يحضر استلام الجائزة إلا

بعد سنوات.

رشدى صالح دخل السجن فى قضية مع يوسف درويش وفؤاد عبد المنعم شحتو وحكم على كل منهم ٣ سنوات وقال رشدى إنه غير قادر وقال : أنا مت فى السجن. وهذا حدث بعد المحاكمة وصدور الحكم.

دور المحترفين فى التنظيم

كان هناك أبو سيف محترفا، ورشدى صالح محترفا وأنا كنت محترفا ويوسف درويش كان محترفا وكان هناك عدد من عمال شبرا لا أذكر الأسماء، ولكن الحزب كان من أنصار كثرة المحترفين طبقا للاحتياجات.

الموقف من التنظيمات الأخرى

لم نكن نشعر بها، كنا نواجه حدتو، وكانت موجودة ولها عمل، وحتى لما حدثت انقسامات فيها كان هناك عمل، هذه هى الحقيقة. لكن عندما رأيت أعضاء الراية فى أول مرة فى السجن لاحظت أن لهم طقوسًا معينة تتركز حول تقديس زعامة الرفيق خالد وقرارات القيادة، وكانت لهم تعبيرات كلها عبارة عن عبادة النصوص.

وفى الهايكستب كان أعضاء المصرى الموجودون فى المعتقل عشرة من ٢٥٠ وكان يقودهم المرحوم حسين الغمرى الذى عمل بعد ذلك رئيس الشركة القومية للتوزيع. وتوفى يحدث فى يوم من الأيام أن جاء عبد الستار الطويلة وقال : يا زملاء تعالوا، وجمعنا جميعا قائلا: هناك نص حصلت عليه يبين لنا حقيقة أحمد حسين وهل هو فاشستى أم وطنى وكانت هذه قضية خلافية بين المنظمات، وأخذ عبد الستار يقرأ أمام الجميع النص الذى زعم أنه حصل عليه والذى يفند أى احتمال بأن أحمد حسين ليس فاشستيًا، وكلما تقدم عبد الستار فى القراءة يمتقع وجه حسين الغمرى، وبغاية اللطف يجلس على حافة السرير المقبل ويقول: يا رفيق عبد الستار ممكن أعرف هذا النص لمن؟ فيجيب عبد الستار: تسأل لمن؟ كيف لا تعرف أنه خاص بعد الستار الطويلة؟ فإذا بالشخص الممتقع الوجه المنهار يهجم على عبد الستار الطويلة ويخنقه ويشتمه، وهذا يبين لك نوع العقلية.

وأنا أذكر عندما جاء لنا طاهر عبد الحكيم فى معتقل الهايكستب كان أول واحد بدخل المعتقل من تنظيم النواة وكان معه زميل آخر. كنا قريبين من بعضنا، ولكن لست متذكراً حكاية ومحاولة الوحدة مع طليعة الشعب الديمقراطية التى هى نواة الحزب الشيوعى المصرى.

وبالنسبة للموقف من مجموعة فوزى جرجس ابتداءً من النواة حتى طليعة الشعب الديمقراطية ثم طليعة الشعب الشيوعية

الشيء الوحيد الذى عملناه ١٩٥٠ هو التنسيق ولكن لم نتحد إلا مع حركة تحرير الشعب ثم وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ مع تأسيس الحزب الشيوعى المصرى.

رأيي فى وحدة ٨ يناير

أنا من الناس الذين ساعدوا على الوحدة. لماذا؟ لأن هذا راجع لطبيعتى وتكوينى وعرفتم أنتم الآن عنها فكرة، ولماذا أنا هكذا؟ مثلا دخلت سجن القناطر عندما تم القبض على وأنا هارب بالحكم على ثلاثة سنوات، وطبقا للنظام وقتها أعلنت بالحكم وعارضته، وسقطت العقوبة وأعيدت محاكمتى،وظللت فى سجن القناطر عشرة شهور، وفيها حدث الآتى: وصلت السجن ووجدت زملاءنا فى السجن: نسيم يوسف وسامى عجيب وأحمد رضا ولمعى المطيعى، قالوا لى : أنت معاملة حرف (ب)، حرف (أ) كان له حق السرير وليس هناك غير حجرتين فيهم ناس (ب) بناموا على الأرض واحدة للحزب المصرى وواحدة لحدتو، ورأينا أن تسكن انفرادى كى نستطيع أن نجتمع عندك، قلت لهم سوف أسكن فى غرفة حدتو، وكان فى الغرفة عشرة أشخاص، أذكر لك بعض أسماء: محمد على عامر - مبارك عبده فضل - حمدى عبد الجواد - عطية الصيرفى - شكرى عبد الوهاب - فؤاد عبد الحليم، يعنى "عتاولة" حدتو فى ذلك الوقت، وبمجرد دخولى الغرفة قلت لهم: يا جماعة اعتبرونى ضيف عندكم، قالوا أهلا وسهلا، قلت لهم: لكن سوف أقول لكم شيئا لا تعتبرونى موجودا وتكلموا بكل حريتكم وافعلوا أى شيء، لن تخرج كلمة واحدة - تقال فى هذه الغرفة - عن طريقى، وسوف تثبت الأيام ذلك وهذا ما حدث فعلا، كانت تحدث مشاجرات واشتباكات بالأيدى بين محمد على عامر وشكرى عبد الوهاب وعطية الصيرفى، ولكنى لم أنقل لزملائى كلمة واحدة مما ظهر أمامى. ويوجد منهم الآن أحياء أطال الله عمرهم يشهدون على هذه الواقعة.

ولذلك أنا كنت مقتنعاً بالوحدة رغم أنى كنت أعرف أن حدتو فيها ناس سيئون، لكن نحن لابد أن نؤيد الوحدة وفترة وجودى العشرة شهور فى القناطر عمقت عندى قضية الوحدة.

مداخلة من فجاتي عبد المجيد

توجد مسائل تمت على مرحلتين من قبل ثلاث تنظيمات هى لطليعة الشعبية لفخرى لبيب والنجم الأحمر وت ث ورفضت الحركة الديمقراطية حدتو أن تدخل الوحدة لأن النواة مازالت خارجها . المهم نحن عندما خرجنا من المعتقل كونا طليعة الشعب الديمقراطية عن طريق ما يسمى "وش" وعلى نفس الوضع للمجموعة التى كانت عندكم - أن إبراهيم فتحى قال لا توجد لدينا أية قضايا خلافية مع طليعة الشعب الديمقراطية، ومن ثم فنحن مع بعض.

المهم أنا أذكر أننى كنت مكلفاً بالاتصال بالزميل عدلى جرجس الله يرحمه وعادل فهمى وكان هناك تنسيق بين رفاق النواة سنة ١٩٤٩ .

أريد أن أقول شيئا إن التحفظ الذى كان موجوداً والذى كان من جانب الحدتويين ومن جانب طليعة العمال، لم يكن موجوداً لدينا.

أنا أذكر فى الطليعة الشيوعية، التكليف كان على ضوء التنسيق وعلى أساس أنتم لم تكونوا فكرتكم بعد فى الوحدة، وبعد أن عقدتم المؤتمر وقررتم فيه إعلان حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى وأنتم عندما نظرتم للساحة كنتم من أقرب الناس لنا ومن النواة والطليعة الشيوعية، وتم التنسيق فعلا وأنا أذكر أن التنسيق قيادى وتمت الإجابة من رفاق العمال والفلاحين على الآتى: الموافقة على لائحة الشيوعيين.

نحن متفقون على طبيعة الثورة المقبلة، ثورة ديمقراطية شعبية ولا توجد مرحلتان هى مرحلة واحدة.

حلمى : أنا لا أذكر هذا على الإطلاق.

س : العداء الذى بدأ منذ المرحلة الأولى منذ أن كانت المجاميع صغيرة، ثم أخذت الشكل الأخير الذى تطور إلى حزب العمال والفلاحين وعداء للحركة الديمقراطية وأنتم تعلمون تماما أن الوحد هو تجميع للوحدة كيف قبلتم هذه الوحدة وتغاضيتم تماما عن مفاهيم الديمقراطية؟

حلمى: رأيى أنه من المؤكد أننا دخلنا بضغط غير معقول من كل الأحزاب الشقيقة عامر عبد الله من الحزب العراقى وغيره جاءوا هنا ومارسوا ضغطاً فوق ما يتصوره عقلك إنه لا بد تدخل الوحدة وقال نحن نعرف هؤلاء جميعا أكثر مما تعرفونهم، ونحن دخلنا الوحدة بضغوط

شديدة كنا نخاف أن لا نفعل ذلك فيعترف الآخرون بالحزب الذى قام ونصبح نحن خارج الأممية ولعلك عندنا الأممية فى هذه الأمور كانت مقدسة، كانوا يقولون لماذا أنتم خائفون، نقول لهم : فلان جاسوس، يقول كل هذا نعرفه أنتم خارجهم لم تستطيعوا كشفه ونحن وراؤكم سنوضحهم.

ورأيى أن حدتو دخلت الوحدة مرغمة ونحن دخلنا معهم وليس لدينا نية الانقسام.

حقيقى نحن دخلنا على أساس بناء حزب موحد جديد، لكن عندما دخلت حدتو فوجئت أنها ليست أغلبية وهى كانت تعتقد أنها أغلبية، لكن نحن والآخرين كنا أغلبية، بدأوا هم يشعرون أنهم أقلية، فعندما جاءت أول مشكلة، كمال عبد الحليم الذى كان فى رأيى مبيتا النية على الانقسام منذ دخوله، وانتهز فرصة حكاية المحترفين الذين كان منهم الأستاذ المؤرخ الإسلامى محمد عمارة وهو من الذين كان حولهم خلاف كبير، كنا معترضين على أساس أن هناك أناسًا منهم لا يصلحون محترفين.

نعم نريد محترفين فقط، لكن فى أضيق نطاق ممكن، وكانت هذه أول نقطة فجرت الموقف وجعلتهم يشعرون أن هذا الحزب ليس ملكهم، وبدأوا يخفون أجهزة فنية ولا يقدمون الكوادر المتضمنة في القوائم كلها، نذهب مثلا لنتسلم قسمًا من الأقسام، فنكتشف أنه لا يوجد أحد أشياء كهذه، ثم جاء بعد ذلك الانقسام.

موقف التنظيم من اليهود والأجانب

موقف التنظيم معروف، فلا تفرق حكاية يهودى أو غير يهودى، لكننا كان لدينا موقف ناصل عندما بدأنا تكوين لجنة مركزية للحزب الجديد، طلب عدم دخول اليهود إلى اللجنة المركزية للعمال والفلاحين، كنا ثلاثة عشر شخصًا عضواً، صوت اثنا عشر منهم مع عدم الدخول باستثناء شخص واحد أصر على أن يستمر وكان هذا الزميل هو صفوت ياسين. ونحن جميعًا صوتنا خضوعا لضغوط ممثلى الأممية.

المعارك السياسية التى شاركت فيها

أولاً شاركت في معارك كثيرة، وكنت ما زلت فى فترة الترشيح، جمعت مئات التوقيعات ولأكثر من مناسبة، مثلاً إلغاء الأحكام العرفية، الدعوة لإجراء الانتخابات الجديدة للبرلمان،

وكنت عنصرا نشطا وفعالا فى تأسيس رابطة مساعدى المعمل، وعملت فى إطار لجنة الوفد بالخليفة، وفى انتخابات ١٩٥٧ كنت مرشحًا فى الدائرة ١٩ فى السبتية والجلادين، وهناك برنامج مطبوع باسمى، وبعد اعتراض الاتحاد الاشتراكى كنت نائبًا مشتركًا فى كل السرادقات الانتخابية، ومن أبرز الأحداث التى حدثت فى دائرة أحمد شهيب فى مصر الجديدة عندما قام أحد رجال الدين المعروفون ليتكلم، فجاء كلامه موضوعيا ضد أحمد شهيب، على سبيل المثال يقول : إن الناس تقول إنه يسب الدين وإنه لو عرف كيف يستخدم السلاح ما قعد، وأدى ذلك إلى تفريغ السرادق من الحاضرين، فما كان من عادل فهمي الذى كان يتحمل مسئولية إدارة المعركة إلا آن طلب من شهيب أن يطلبنى للكلام، وقمت واستطعت أن أفجر حماس الناس لشهيب، سوف أعطيك نموذجًا خطبة قلتها فى روض الفرج فى انتخابات ١٩٥٧، كنا جالسين على النيل نزيد أحد المرشحين، قلت للناس الجالسين، وأمامنا النيل وأمامنا عمارات خمسة أدوار وستة، هل أنت كمواطن تستطيع أن تضع فاترينة لزيادة دخلك مثلاً؟ ستأتى البلدية وتأخذ الفاترينة وترميك وتضربك، ولكن الجانب الآخر مالك العمارة يستطيع أن يبنى عدة أدوار فوق عمارته ولا أحد يقول له إنت فين (لماذا تفعل ذلك) هذا الكلام كان فى ١٩٥٧، وقلت للناس هذا يعرفنا من تخدم الحكومة؟ هل هى فى خدمتنا نحن الفقراء، أم هى فى خدمة الأغنياء؟ بعد ذلك امتلأ السيران على آخره، بعد أن كان خاليا، وهذه القصة تعنى أن الناس تريد كلاما تفهمه ويمس حياتها وليس كلاما عقائديا.

فى معركة القناة كنت قريبًا جداً، لنا زميل من الشرقية اسمه عبد العزيز عطيه، وكان معنا الدكتور محمد عجلان، لم أحارب أو أحمل سلاحًا، رغم أنى تطوعت فور حدوث العدوان، وكنت أعمل فى شركة الألبان بالأميرية ومازلت أذكر الطابور الذى خرج من الشركة فى أول أيام العدوان، خرجنا كمتطوعين وذهبنا إلى ساحة التدريب، وكنت أول واحد فى الطابور، كنا نشكل قاعدة للفدائيين الذين يعملون فى داخل منطقة الاحتلال.

دورى فى سنة ١٩٥٦

كنت كعضو فى التنظيم أقوم بتوزيع منشورات وأشترك فى مظاهرات، يعنى مثلا فى مظاهرة ١٩٤٦ الكبرى كنت مشتركًا فيها، كنت أعمل فى معامل الصحة وهى قريبة من الجمعة الأمريكية وميدان التحرير والمعسكرات الإنجليزية فى قصر النيل التى كانت قائمة فى ذلك الوقت (مكانها الحالى الجامعة العربية).

موقف التنظيم وموقفي من تنظيمات سلطة يوليو :

من بداية الثورة وحتى خروجي من السجن في مايو ١٩٥٦ لم يكن ممكنا أن أنضم لأي تنظيم أو خلاف، ولكن ما إن عملت في شركة الألبان بالأميرية والتابعة إداريا لقسم الزيتون في الاتحاد الاشتراكي، لتحقت بالاتحاد الاشتراكي في ١٩٦٦، وانتخبت في لجنة الوحدة، ثم عضواً في لجنة القسم في الزيتون والذي كان قسماً من أنشط الأقسام في القاهرة، وكان يحظى برعاية خاصة من عبد المجيد فريد أمين القاهرة في ذلك الوقت.

أنا أتذكر منذ أول وهلة كنا كتنظيم نعلن أن الديمقراطية هي المحك الأساسي الذي سيبين أن هؤلاء الناس جادون ويريدون عمل شيئاً أولا، وعندما بدأت حكاية كفر الدوار (أي بعد إعدام خمس والبقري) أخذنا موقفا معارضا من نظام يوليو ١٩٥٢.

كنا نقول عنها ديكتاتورية عسكرية حتى جاءت صفقة الأسلحة التشيكية، كنا التنظيم الوحيد الذي أعلن بصراحة تامة وأعلى صوت تأييده لموقف عبد الناصر لباندونج. وأنا عندما دخلت سجن القناطر في يوليو ١٩٥٥ فوجئت بالسجن كله، وبكل تنظيماته، معادين بل حتى زملاؤنا في سجن القناطر عندما وصلهم تقرير باندونج الذي أصدره الحزب، قالوا إن هذا التقرير مدسوس على الحزب، وعندما دخلت السجن ظللت أشرح لكل الناس وأتكلم وأستعيد فقرات من التقرير إلى أن تحول السجن كله إلى أن الحكومة وطنية ومعادية للاستعمار، (في هذه الفترة بالذات كانت قيادات التنظيمات كلها موجودة في السجن ولكن لم يكن موجوداً من قيادة طليعة العمال غيري فقط).

موقفي من تنظيمات الثورة
(هيئة التحرير- الاتحاد القومي-الاتحاد الاشتراكي)

في الحقيقة أنا عن نفسي ظروفي في وقتها لم أكن أستطيع الدخول ولم يحدث هذا إلا بعد ابتداء من ١٩٥٥/١٩٥٦ قبل حبسة ١٩٥٩ كنت من أنصار الدخول للعمل فيها.

كنت عضوا منتخبًا بلجنة قسم الزيتون طبعًا ابتداء من ١٩٦٦ وهناك حادثة مشهورة. ذهب نبيل نجم أمين القسم وكان عضو مجلس الأمة وأمين الزيتون، تقدم إلى شعراوي جمعه أمين التنظيم في الاتحاد الاشتراكي بقائمة بأربعة أشخاص متفرغين يطلب تفرغهم، واعترض

شعراوى بالنسبة لى. وبعد أن دفع نبيل عنى وشرح الجهود التى أقوم بها ومدى التزامى. سأله شعراوى منذ متى تعرف حلمى ياسين؟ فقال له : إنه يعمل معنا من سنة ١٩٦٥ وإنه ممتاز ومؤيد للثورة، فرد شعراوى نحن نعرفه منذ ١٩٥٢، دع حلمى ياسين لنا ولا شأن لك به. ورفض الموافقة على تفرغى ومازلت أذكر الجلسة التى دعينا إليها وجاء نبيل نجم ليبلغ لجنة القسم بأسماء المتفرغين الذى وافق عليهم قال : ياجماعة دى أمانة كان حدث كذا وكذا وقال أنتم تعرفون مكانة حلمى، وأنتم تقدرونه ونحن جميعًا نقدره ونقدر الدور الذى يلعبه وأنا حاولت مع شعراوى وقال : لا شأن لكم بحلمى ياسين.

موقفى وموقف التنظيم من هبه مارس ١٩٥٤

كنت هاربًا فى المحلة فى ذلك الوقت، يعنى مختبيًا وكنت أعمل بصلة وثيقة مع الوفديين.

أما التنظيم فكان له نفس موقف الحركة الشيوعية - تأييد قرارات مارس وعودة الجيش لثكناته.

وقد قامت المنظمة بدور من أهم الأدوار الرئيسية، فتحركت مع كل القوى السياسية التى كانت تنادى بحكم دستورى وبرلمان وأحزاب، وكان مسرح تحرك الأعضاء فى القاهرة والإسكندرية وشبرا الخيمة. فى القاهرة كانت القيادات العمالية ممثلة فى قيادات نقابات عمال النسيج وعلى رأسها نقابة الظاهر (عبد الجواد القطان وزملاؤه) وكان يعمل بتنسيق موحد مع ياسين مصطفى، ومصطفى حسنين (نقابة عمال الأحذية) ومع إبراهيم على الحضرى (نقابة البوتاجاز) وكان هناك اتصال بالعناصر الديمقراطية فى الوفد وخاصة بالمنتمين منهم إلى الطليعة الوفدية، ونجح العمال فى عمل حشد يطالب بعودة الجيش إلى ثكناته وإقامة حكم نيابى، ورفضوا كل العروض المغرية التى قدمها لهم مكتب العمال فى هيئة التحرير (الطحاوى وطعيمه) وسافر القطان وياسين مصطفى إلى الإسكندرية واتصلوا بأعضاء ط ع فى نقابات النسيج وعمال النقل بالإسكندرية وهناك كان تنسيق بين إبراهيم طلعت وبين الزملاء العمال الذين كتبوا بيانًا نشرته بالكامل جريدة المصرى فى اليوم التالى بتوقيع القيادات العمالية، وفى شبرا الخيمة كان توجيه المنظمة لأعضاء الطليعة مقاومة الإضراب الذى رتبت له هيئة التحرير واستمرت المصانع تعمل ولكن عند الظهر تحرك عمال من شبرا الخيمة باتجاه ميدان

التحرير الذى كان مليئا بظاهرات متطاحنة بعضها مع هيئة التحرير وبعضها ضد هيئة التحرير. وفى نهاية اليوم تمكنت الحكومة من قمع المعارضة، وكان لذلك أسباب شتى. وفى مذكرات محمد نجيب يقرر أنه كان يتوقع أن تلقى طليعة العمال بثقلها مع القوى السياسية المطالبة بالدستور ... الخ ولكنها لم تفعل أنظر كتاب: «مذكرات محمد نجيب: كنت رئيسا لمصر ص ٢٥٨ »يقول محمد نجيب : طليعة العمال، كان التنظيم الوحيد الذى كان يمكن أن يلعب دوراً، ولكنه لم يفعل» (كلمة دور هنا تتعلق بأحداث مارس ١٩٥٤ وما ذكره محمد نجيب عن طليعة العمال يرجع إلى أن المنظمة لم تكن متحمسة للتنسيق معه، لأن ارتباطه باليمين كان أقوى.

الموقف من الأحلاف وتمصير الشركات ووحدة مصر وسوريا

تأييد الوحدة المصرية والسورية بشرط أن ما يطبق على سوريا لابد وأن يختلف عما يطبق على مصر وأن سوريا فيها أحزاب قوية، وكنا نشعر بأن الحزب الشيوعي هناك سيضرب.

الموقف من التاميم

كانت هناك مواقف مختلفة بعض الشئ: فالزملاء فى السجن كانوا يسمونها رأسمالية الدولة الاحتكارية، وعندما أعتقل أبو سيف وجاء الواحات فنحت المناقشات وتوحد الموقف.

الموقف من الاتحاد السوفييتى

أنا كنت مسئول خلية بالسيدة زينب وكان معى سائق يعمل فى أتوبيس ياسين صاحب مصانع الزجاج المعروف، عم محمد هذا كان رجلا كبيراً فى السن وسائقًا وكان يحب محمود العسكرى والمدرك ويعرف أنهم اشتراكيون، أنا أشرح الموقف وأقول الاتحاد السوفييتى كان يفعل، وإذا بالعامل يقول غاضبًا :- كان اسمى الحركى عزمى-

ما هذا الذى تقوله يا عزمى (اسمى الحركى) ملعون أبو الاتحاد السوفييتى، مالنا وماله، وموقف انفعالى وعاطفي بكيت لأن هناك عاملاً مصريًا يسب الاتحاد السوفييتى.

وهنا يعطيك فكرة كم كنا عاطفيين واعتقد أن هذه المسألة جعلتنا كشيوعيين لا نرى كثيراً من السلبيات فى ممارسات ومواقف الأحزاب الاشتراكية.

الصراعات التنظيمية في حزب ٨ يناير الكبير

كان هناك نوع من العلاقات. وطبيعي كان للحزب المصرى أخطاء فظيعة، فى الحياة العمة مثلا، وعندما رحلت من سجن القناطر إلى سجن الاستئناف جاءتني كمية كبيرة من الأكل، وذهبت وسلمتها من المسئول، أصبحت مشكلة خطيرة، هم يعيدون هذا الأكل، وجاء المسئول يقول جميع الحجرات يكون فيها أكل كثير جدا وكانت والدتى دائما تحضر طعامًا يكفى غرفتين أو ثلاثة وكانت لهم أخطاء كثيرة سبق أن أشرت إليها.

موقف التنظيم وموقفى من الحل والأسباب التى أدَّت للحل

طبعًا هناك أسباب كثيرة وأشياء كثيرة جدا كلها فى رأيى ليست إلا إرهاصات، وكلام، وأحب أقول إنه بعد هذه السنوات جميعًا إن ثلاثة أرباع الكلام غير حقيقى وأن الناس كانوا يتفاوضون مع عبد الناصر، وكانت هناك اتصالات ممكن تكون حالة اتصالات بشخص أو اثنين وليس من باب عمل انقسام أو تنظيم. ولكن بعض الناس كانوا يبحثون عن حل لوحدهم للخروج من المعتقل.

نحن خرجنا من المعتقلات يوم ١٠ مايو ١٩٦٤ وعندما حوكمنا فى الإسكندرية صيف عام ١٩٥٩ قلنا نحن أعضاء الحزب الشيوعى، تسعة أشخاص اعترفوا بعضوية الحزب، وأنا على رأسهم كنا نفهم جيداً أننا جميعاً الـ ٦٤ شخصا سنخرج من السجن فى يوم واحد سواء منهم الذى أخذ براءة أو الذى حكم عليه بعقوبة عشر أو خمس سنوات أو سنتين. كلنا سنخرج فى يوم واحد لأنها قضية سياسية، وهذا ما حدث فعلا، ففى ظرف أسبوعين أو ثلاثة، كل المعتقلين والمحكوم عليهم كلهم خرجوا. الذي كان محكومًا عليه والذى أنكر والذى كان يدافع عن الحزب الشيوعى وأبو سيف وزملاؤه الذى أعلن أنه سكرتير الحركة، كلنا خرجنا فى نفس اليوم لتدعم التحولات التي حدثت على يد عبد الناصر في معركته ضد الاستعمار. فى أثناء هذه التطورات طبعاً كان هناك كثير من القصص مثلا ونحن فى المحكمة، زميلنا حسين طلعت كان المدعى العسكرى قال لعائلته لا شأن لنا بما يجرى فى المحكمة وتعال إنكر وأشهد أمه وكانت موجودة، وعندما ذكرت لوالده ما حدث قال لها : قولى لحسين لو حدث منك هذا سأضربك بالنار ابنى لا يفعل ذلك.

كيفية الحل

أنا رأيي الآن طبعًا أن حل الحزب الشيوعي كان خطأ، أنا كنت في السكرتارية المركزية قمة الحزب كان الحزب مهلهلا جدا، كل أسرارنا وكل معلوماتنا موجودة على المناهي في الشارع، وفعلا لم يكن هناك التنظيم الذي تربينا عليه في الأحزاب الشيوعية. وبالتالي لم يكن هناك حزب من الناحية العملية والفعلية.

وكان الأفضل أن نقفل المسألة. طبعًا بعد كل هذه السنوات أقول لك لا. هذا الحزب الشيوعي المهلهل والمريض لو كان استمر لم يكن ليسمح بوجود الحالة التي نعمل بها الآن، حالة الشيوعيين المصريين الآن والتي هي في غاية السوء.

الأجيال الجديدة من الشيوعيين لم يتعلموا من الخبرات الماضية، نحن الجيل القديم، أولاد الكلب في نظرهم ولكن نحن عملنا أشياء سيئة، ولكن عملنا أيضًا أشياء طيبة، خذوها واتركوا الأشياء السيئة وتعلموا من الذي مضى باسم جيل السبعينيات، نبدأ من فراغ منقطع الصلة بالماضي.

التهديد الوحيد الذي حدث أثناء الحل وهذه قصة مشهورة، هو عندما ذهب ميشيل كامل إلى أبو سيف يوسف في البيت في شبرا وقال له: ياسيف إنك لابد أن توافق على حل الحزب وإلا ستدخل المعتقل، ورد سيف عليه بأن هذا كلام خطير وكيف تقول هذا الكلام، إن كل إنسان حر في عقيدته، وأنهى ميشيل المقابلة بتهديد قال : أنا لم آت بكلام أنا أتيت برسالة إما الحل أو الاعتقال. هذا هو التهديد الوحيد الذي حدث، ولم ألحظ أو أحس بأي أثر في سلوك وموقف أبو سيف ولا باقي الزملاء عندما أبلغوا بما حدث، وطبعًا لم ينجح هذا التهديد وبعد فترة طويلة حدث الحل.

عرفت أن بعض زملائنا قال : إنني والزميل حسين طلعت نزلنا في شبرا وجمعنا الناس وقلنا لهم إما تحلوا الحزب أو تدخلوا السجن، هذا كلام لم يحدث إطلاقا وأنا أتحدى أن يواجهني أي إنسان بأنني طلبت منه حل الحزب، أنا عن نفسي وافقت على الحل، ولكن لم أحضر اجتماعًا واحدا دعوت فيه لحل الحزب غير اجتماع المستوى الذي أنا منه والذي صوتُّ فيه، وكل واحد ملتزم برأيه، هكذا تتابعت الأحداث.

ما قيل عن إعادة تنظيم الحزب ثانية

نحن عندما جئنا لحكاية الحل كان هناك كلام عام، نحن نتقابل ونتناقش ونرى ماذا سيحدث فى الدنيا. هذا كلام عام، لكن إن الناس جلست وتناقشت وفكرت فى شكل من التنظيم أيا كان هذا لم يحدث- إنما هو هذا الذى حدث وحتى هذه اللحظة - أنا وأبو سيف مثلا أصدقاء، عمر وأولاده أولادي وزوجاتنا أصدقاء، وأحباء. ونتكلم كل يوم بالتليفون وإن كنت مريضًا يأت لى بالدكتور، هذه عشرة عمر، هناك أكثر من شخص قالوا نعمل شيئًا مجموعة صغيرة جداً، أفراد يعنى لكن لم يحدث اجتماع واحد بعد حل الحزب.

وبالمناسبة لاتوجد صلة بين مقتل لويس وحل الحزب كما قيل

كنا أمام باب العنبر أنا وسيف وآخرين ولويس. لا أذكر الآخرين وضرب النار جاء ناحية السور وأصيب لويس وهو واقف فى وسطنا. وللعلم لم يكن موضوع الحل مطروحًا حتى في مناقشات جانبية، وطرح الموضوع بعد خروجنا من المعتقل بعدة شهور. أنا في اعتقادي الشخصى أن المقصود قتل أبو سيف يوسف، ولم يكن موضوع الحل مطروحًا حتى يكون هناك مؤيدون ومعارضون.

لا أعتقد بأى حال بأن هناك صلة بين مقتل لويس وحل الحزب أعتقد أن كانت هذه الرصاصة موجهة لابوسيف أو ربما تكون موجهة للتجمع كله، وكان يمكن أن تصيب أي إنسان.

وقصة أن لويس قتل لأنه عارض حل الحزب. أنا أسمعها لأول مرة وهى حدوتة تضاف إلى التشنيعات، كيف كان لويس معارضا لشئ لم يطرح ولم يناقش حتى فى الكواليس؟

أسباب أزمة الحركة حتى ١٩٦٥

أنا أرى أن سبب الأزمة الأساسى هو العزلة الجماهيرية واللخبطة بين الاتجاهات اليمينية حينا واليسارية حينا آخر، ورأيي الآن أننا كنا عاطفيين جدا، أنا حكيت لك حكاية العامل الذى شتم الاتحاد السوفييتى وبكيت، كنا نأخذ الشيوعية ببعدها العاطفى والرومانسى. والبعض كان يعتقد أن السلطة على بعد خطوات منا غداً نأخذها، لم نكن نفهم ولا نشعر أن هذه المسألة فيها نضال شاق لسنوات طويلة لنستطيع أن نبلغ هذا، مع ذلك كله، نحن نجحت

في زرع الاشتراكية في ضمير الشعب المصري في الشقفين والعمال، هذه حقيقة نحن غرسنا الاشتراكية في ضمير الشعب المصري وعلمنا الناس ماذا تعني الاشتراكية.

الشهادات التي سبق أن أدليت بها

نعم نخرى أخذ أشياء، وأبو سيف أخذ أشياء.

شهادة

خالد حمزة أحمد

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : خالد حمزة أحمد أبو اليسر

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٤/٧/٩ – بولاق أبو العلا – القاهرة

بيانات عائلية :

نشأت يتيما، توفيت والدتي سنه ١٩٣٧، احتضنتني جدتي لأمي في قرية بأسيوط، ثم زوجة عمي وابنة عمي عندما تركت الصعيد لأتعلم في بولاق أبو العلا. كانت شخصية والدي مسيطرة على الأسرة كلها، ولم يكن لي أية حرية شخصية، لا أذكر ملامح كثيرة من طفولتي، أدركت التعليم الأولى بمدرسة سليمان باشا الفرنساوي ببولاق أبو العلا ثم مدرسة مكارم الأخلاق الابتدائية بجزيرة بدران كانت المدرسة متنفسا للنشاط الممنوع في البيت، كونت مع اثنين من الطلبة تحت قيادتي فرقة لحماية الطلبة الضعفاء وأعجبتنا اللعبة فضربنا معظم الطلبة.

حصلت على الابتدائية سنه ١٩٤٦ دور ثان وانتقلت إلى مدرسة خليل أغا الثانوية بشارع الجيش (فاروق سابقاً). استمر الكبت في البيت يقابله التهريج ومشاغبة المدرسين، كان في فصلي سنة أولى ثانوي اثنان من اليهود أحدهما يدعى عبد الله والثاني لا أذكر اسمه، كنا واثنان آخران نحرص على الجلوس على ترابيزة واحدة في مطعم المدرسة ومن معه يعطي الآخرين وكنا ننتهز فرصة الإضراب لنذهب نحن الخمسة إلى السينما وأحيانا نتناول الطعام في بيت عبد الله بالظاهر، ورسبت وأعدت السنة بينما انتقل الأصدقاء الأربعة إلى السنة الثانية ثانوي واستمرت صداقتنا، فتحت في مدرسة الظاهر بالشرابية فصول ثانوي، وتقرر نقل بعض الطلبة إليها، كانت فرصة للناظر أن يتخلص مني فانتقلت إلى هناك سنة ثانية ثانوي، تباعدت اللقاءات بيني وبين أصدقاء خليل أغا ولا أتذكر الآن عنهم شيئا. تحول التهريج إلى تمرد وكان مشرف المدرسة يتحاشاني، لم أكن تلميذا مواظباً كنت أساعد زعيم المدرسة على عمل الإضراب، وبعد نجاح الإضراب والخروج من المدرسة أنسلخ للسينما أو القهوة، في يوم ذكرى الشهداء، لا أذكر الآن تاريخه بالضبط، تقاعس زعيم المدرسة وأخذه الناظر إلى حجرته وكاد الإضراب أن يفشل، على الفور صعدت إلى سلم مطعم المدرسة حيث كانت تبدأ

الإضرابات دائماً و خطبت فى الطلبة متهماً زعيم المدرسة بالضعف أمام الناظر ومتهما الناظر بإفساد الحركة الوطنية وكان بالمدرسة بعض الوفديين ا لتفوا حولى وساعدونى وخرجنا من المدرسة إلى الشارع حيث اعترضنا بعض العساكر بالعصا وكنت محمولا على الأعناق فأنزلنى الطلبة طلبا للسلامة، ولكننى استمررت فى الهتاف حتى ثبت الطلبة وحملونى مرة ثانية ولم يعترضنا العسكر وكنا نواة مظاهرة كبيرة بعد ذلك بأن ذهبنا إلى مدرسة مصر ثم خليل أغا ثم ركبنا الترام إلى الجامعة.

كنت أسبب إزعاجاً لوالدى، وكانت قد فتحت مدرسة ثانوية عسكرية لأول مرة، فقدم أوراقى إليها ونجحت فى جميع لاختبارات بما فيها الهيئة، وفى طابور أول يوم فى المدرسة، استعرض الطابور حيدر باشا وزير الحربية وكان يركز عينه فى عينى الطالب وجاء دورى فركزت عينى فى عينيه فأطال النظر ثم أشار إلىّ بعصاه، أن أخرج من الطابور وهكذا عدت إلى مدرسة الظاهر واحتفى بى الوفديون وجعلونى زعيما للمدرسة.

الطالب أنور أبو العلا زميلى فى الفصل، كان عضوا بتنظيم "دال شين" قرر تجندى وكان يسكن معى فى بولاق أبو العلا، أعطانى كتاب "نحن النسـ - المصريات" للزميلة إنجى أفلاطون، أعجبنى الكتاب جداً خاصة أننى قارنت بين ما تطالب به المؤلفة وبين واقع المرأة فى عائلاتنا وحينا بولاق ثم أعطانى قصيدة من أب مصرى إلى الرئيس ترومان ثم طلب منى أن أشترى كتاب "من هنا نبدأ" لخالد محمد خالد ثم أخبرنى أن هناك مجلة سرية تصله بالبريد وسألنى هل تحب أن تقرأها دون أن يراك أحد فأجبت بإيجاب فأعطانى إياها وأعجبت بجرأتها ووعدنى بإعطائى إياها كلما وصلت إليه وعرفنى أن الشيوعيين يصدرونها وشرح لى بعض المفاهيم العامة وكان يقوم بتوجيهى. وكان ذلك أثناء وزارة الوفد الأخيرة فى الحكم حيث كانت هناك حركة طلابية نشطة كنت أنا أحد قادتها، وفجأة أخبرنى أنه عضو فى تنظيم شيوعى اسمه "طليعة العمال" وأنه سيترك هذا التنظيم، انزعجت وتساءلت، لماذا تترك الشيوعيين وهذه مبادؤهم قال لن أترك الشيوعيين سألتحق بتنظيم شيوعى آخر اسمه (الحزب الشيوعى المصرى) ولأول مرة علمت أن هناك تنظيمين شيوعيين وأخبرنى أنه سيصحبنى معه فتحيرت ولم أستطع تحديد موقفى، علمت بعد ذلك أن مسئوله فى طليعة العمال الزميل ألبير الضبع، طلب منه مقابلتى ليشرح لى الموقف، وعلى أنا أن أختار بين البقاء فى طليعة العمال

أو الذهاب مع أنور إلى الحزب الشيوعى المصرى. وفى الاجتماع الثلاثى طلب ألبير من أنور أن يعرض أسباب انتقاله فذكر سببين هما عدم انتظام صدور الجلة ورداءة طباعتها، وأقر ألبير بالسببين وقال هذا يدعو للاستمرار ولعمل على التغلب على ظروف السرية وقلة الإمكانيات وأن هذه ظروف عارضة ويمكن تغييرها أو تلافيها. وقال له أن المهم والأولى بالمناقشة سياسة التنظيم وأسلوب عمله وصحة توجيهاته من عدمها وإن انتهت المناقشات بوجود أخطاء فى السياسة أو التنظيم، فالحل هو العمل على تصحيحها لا هجرة التنظيم وأذكر أنه لم يكن لأنور انتقادات سياسية أو تنظيمية فقررت البقاء فى التنظيم. وأحب أن أسجل أن علاقتى بأنور بعد ذلك كانت ودية وكنت أتعامل معه على أنه صاحب فضل، فهو الذى عرفنى بالشيوعيين وعملنا سوياً فى أعمال جماهيرية إلى أن ترك العمل السياسى وتوفى بعدها بسنوات، علمت فيما بعد أن خروجه من التنظيم كان متزامنا مع خروج أخيه الزميل محمد أبو العلا وزوجته الزميلة إنجى أفلاطون.

أدركت أننى طوال الشهور الماضية كنت مرشحاً للعضوية شهوراً قتربت من السنة وزعت خلالها منشورات فى دكك الطلبة فى الفصول عدة مرات ومرتين فى حجرة المدرسين. ضبطنى أحدهم فى المرة الأولى وطلب منى عدم تكررها، لكنى فعلت المرة الثانية وكذلك وزعت منشورات فى حى بولاق فى مناطق الورش وعلى عتبات البيوت وكنت عضواً نشطاً فى إضرابات المدارس بمنطقة الظاهر فطالبت بأحقيتى بالعضوية وحصلت عليها بعد ٣ أشهر من بدء اتصالى بأنور.

كانت التوجيهات أن أشارك فى تأسيس لجنة أنصار السلام فى بولاق أبو العلا وأن أعاون فى توزيع مجلة الكاتب وفى المقر الرئيسى للجنة التحضيرية لأنصار السلام (مكتب يوسف حلمى) تقابلت مع عدد قليل من أبناء الحى منهم رفعت صالح وأنشأنا لجنة أنصار السلام فى بولاق واتسعت وانتخبت سكرتيراً للجنة وبعد عدة اجتماعات انضم إلينا الزميل الصاوى وكان صاحب محل خردوات وسجاير بالسبتية هو وزوجته وكان رأيه المعلن أنه لا يجوز أن تكون واجهة اللجنة تلميذ صغير السن وأنه هو بسنه وخبرته (٣٥ سنة فى هذا الوقت) أولى بالسكرتارية وتمسكت أنا بالسكرتارية وانتهت المناقشات عبر عدة اجتماعات انحسر فيها نشاط اللجنة إلى تقسيم اللجنة إلى ثلاث لجان توليت إحداها وتولى الثانيتين رفعت صالح

(علمت بعد ذلك بانتمائه إلى الراية)، والصاوى (وعلمت بعد ذلك بانتمائه إلى حدتو) وكان هذا التقسيم خصما من نشاط اللجنة وجماهيريتها.

فى فترة ازدهار لجنة أنصار السلام ابتكرنا أسلوباً جديداً لنشر أفكار السلام أنور وأنا وشاركنا رفعت صالح، كنت أقوم أنا وأنور بكتابة مسرحيات ذات فصل واحد أغلبها يضم شخصيات إله الحرب وصحافة السلام وعامل وفلاح كانت لمسرحيات ضعيفة فنياً أقرب إلى الخطب منها إلى الحوار الدرامى وكنا نقوم بالبروفات فى منزل أحد أعضاء اللجنة واشتركت أنا ورفعت صالح فى التمثيل وكان مكان العرض الحدائق العامة، حديقة النزهة خلف حديقة الأندلس وحديقة لأورمان القريبة من الجامعة، نذهب إلى مكان العرض فى الجمع والإجازات ونعمل حلقة ونصفق بأيدينا فى إيقاع موحد فيجتمع حولنا الناس فنبدأ العرض وكان لا يزيد عن ٢٠ دقيقة بعدها نسرع بالانصراف إلى حديقة أخرى وأذكر أننا كنا نقابل بقبول حسن وكان أعضاء اللجنة غير المشتركين فى التمثيل يظلون يناقشون الناس وينشرون مبادىء السلام وكنا نركز على أن السلام لا يعنى استسلام الشعوب المقهورة وأن الكفاح المسلح ضد الاستعمار هو عمل من أعمال السلام، وكان زملاؤنا بعد انتهاء مناقشاتهم يتبعوننا إلى مكان العرض القادم، اكتشفنا بعد عدة عروض أن البوليس السياسى ينتظرنا فتوقفنا، عرفت من خلال عملى فى أنصار السلام أن الشيوعيين مقسمين إلى عدة تنظيمات وأن الجهد المبذول من أجل السيطرة على لجنة أنصار السلام الموجودة بالفعل أكبر من الجهد المبذول لتوسيعها.

صدرت توجيهات من التنظيم بتشكيل لجان وطنية نى الأحياء والمدارس والتركيز على ضرورة انتزاع الحريات السياسية وتشمل حرية التنظيم الجماهيرى والتعبير وبناء جبهة داخلية قوية لمساندة أعمال الفدائيين ضد قوات الاحتلال الإنجليزى فى القنال وكان رأينا أنه بدون جبهة داخلية جماهيرية ، فالعمل الفدائى سيظل محصوراً ومهدداً فتكونت اللجنة الوطنية فى بولاق أبو العلا وقمنا بكتابة الشعارات على الحوائط وأذكر فى ذلك الوقت أن كان هناك تنسيق بين طليعة العمال والنجم الأحمر فى العمل الجماهيرى والسرى (المظاهرات والكتابة على الحوائط وتوزيع منشورات) أذكر أعمالاً مشتركة مع الزميل عامل النسيج أحمد الجندى وكان من سكان بولاق وكان عضواً بالنجم الأحمر.

يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ الساعة الرابعة عصراً علمت بأن القاهرة تحترق فنزلت إلى شارع

فؤاد والتقيت صدفة بالزميل عبد الحميد الأزهرى عضو طليعة العمال وكان من أصل أندونيسى وحاولنا التصدى لمن يحرقون وكان ذلك مستحيلاً، عند عودتى فى المساء سمعت من راديو فى الشارع بإعلان الأحكام العرفية فلم أذهب إلى المنزل وقضيت الليلة عند أحد أقاربى وهو بجوار بيت والدى وقام عمى بإرسالى إلى بيت أحد أصدقائه المزارعين فى محافظة البحيرة واختبأت هناك شهرين عدت بعدها للقاهرة حيث التقيت بالزميل إدوار الضبع (عادل الضبع فيما بعد) ولامنى على عدم اتصالى بالتنظيم طول هذه الفترة وأوضح لى أننا حينما نهرب لا نترك العمل السياسى وأن على أن أدبر مكان للاختفاء داخل القاهرة حتى يتسنى لى القيام بواجباتى السياسية وطلب منى التعاون مع زميل لا أذكر اسمه فى عمل جهاز فنى بدائى وفعلنا وطبعنا منشورين نندد بالأحكام العرفية ونطالب بالإفراج عن الفدائيين وعن المعتقلين وإلغاء الرقابة على الصحف وأذكر أنه قبل حركة ٢٣ يوليو انقطع اتصالى بالتنظيم، وفى يوم ٢٥ يوليو وكان يوم جمعة كتبت منشوراً وطبعته ووزعته على القهاوى فى بولاق أبو العلا وكان مضمونه تأييد حركة الجيش بشرط إطلاق الحريات السياسية والإفراج عن المعتقلين وتنشيط العمل الفدائى فى القنال وإلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وكنت قد اتصلت ببعض العناصر من اللجنة الوطنية ببولاق واتفقت معهم على عمل مؤتمر سياسى بعد صلاة الجمعة فى جامع السلطان أبو العلا وأذكر من هذه العناصر الزميل عباس عبد الحميد عضو النجم الأحمر والزميل فتحى المطبعجى عضو حدتو وخطبت فى المؤتمر فى اتجاه ما كتبته فى المنشور، شعرت وأنا أخطب والجامع كله ملتف ويسمع بحماس أن ضابط مباحث قسم بولاق يقترب منى ليقبض على تنفيذاً لأمر الاعتقال فأنهيت الخطبة وطلبت من عباس أن يخطب هو وتسللت خارجاً بعيداً عن هذا التجمع الكبير وكان هذا خطأ فلقد تمكن منى ضابط المباحث بعيداً عن الناس وكان قوى البنيان تصرخت (بوليس سياسى) مستنجداً بالناس نهبوا ناحيتى وكل منهم يحمل حذاءه، وانهالوا ضرباً على الضابط الذى لم يفرط فىّ وأدركه العسكر ودخلوا الجامع بالأحذية وكانت معركة بينهم وبين المصلين حملنى خلالها الضابط إلى قسم بولاق وهناك انتقم منى شر انتقام، صلبنى اثنان من المخبرين على الحائط ووقف هو فى مواجهتى يضرب وجهى بكلتا يديه حتى سقطت مغشيا علىّ ومزق ملابسى وكان مصراً خلال الضرب على أن يسأل "مين البغل اللى خطب بعدك وساكن فين"

وكان يقصد عباس بعد ساعات من إغراقى بجردل المياه أفقت وجاء مخبر يخبرنى أن الضابط اتصل بالداخلية وأنهم كانوا مرتبكين وطلبوا منه الإفراج عنى.

عند اتصالى بالتنظيم وافقونى على المنشور والمؤتمر وكتشفت أن ذلك أيضاً كان رأى القيادة.

أصدرت طليعة العمال منشوراً يندد بقمع الجيش لحركة العمال فى كفر الدوار وإدانة إعدام الشهيدين خميس والبقرى وسمعت أن الزميل عبد المنعم الغزالى عضو حدتو كان يدعو العمال من خلال ميكرفون على عربة جيب إلى الهدوء والسكينة بدل المقاومة.

أذكر أن تكليفاً صدر لى بالمشاركة فى تنظيم استقبال جماهيرى لزعيم الحزب الاشتراكى الإيطالى وكان وقتها متعاوناً مع الحزب الشيوعى الإيطالى وأذكر أننى رغم قيادتى للحركة الطلابية فى منطقة الظاهر والعباسية لم أنجح فى إقناع أحد للذهاب معى إلى المطار لأن الأمر لم يكن يعنى الطلاب. انتقلت إلى المدرسة السعدية الثانوية وكان بها عدد من الشيوعيين يمثلون معظم التنظيمات وقتها عام دراسى ١٩٥٣/ ١٩٥٤ وكان بها أيضاً أضخم تجمع للإخوان المسلمين وكانوا جميعاً يمارسون الرياضة خاصة فرق الملاكمة والمصارعة والسويدى ولم يكن الشيوعيون يهتمون بذلك، كنت بتعاون جميع الشيوعيين أصبحت زعيم المدرسة وبتكليف من التنظيم كنت عضواً بلجنة الخطابة واشتركت فى عدة مناظرات ضد الإخوان المسلمين حول حقوق المرأة، وحق تكوين الأحزاب وحق العلاج المجانى، فى البداية كان الإخوان يستعملون العنف فى إفشال الإضرابات فى المناسبات الوطنية ومنعنا من الخروج إلى مؤتمرات الجامعة وكان الفكر السائد وسط الشيوعيين عدم مقابلة العنف بالعنف إلا أننى تمردت على هذا وفى إحدى محاولات استخدام الإخوان للعنف هاجمت زعيمهم وكان اسمه الفيومى وكان مصارعاً ضخم الجثة وبدأت "معركة" بين الشيوعيين والإخوان تحت جموع الطلبة إلينا وكانت الغلبة للشيوعيين تكرر ذلك أكثر من مرة إلى أن كف الإخوان عن مهاجمتنا. أقر التنظيم سياسة مقابلة العنف بالعنف، أذكر أنه فى إحد المعارك كاد أن يتمكن منى عدد من الإخوان فإذا بى أجد نفسى محميا من ناظر المدرسة الأستاذ بنونه وهو يصرخ فى وجهى "دول وحوش يا غبى أنت ما متعرفهمش" وبالمناسبة أذكر أن ناظر مدرسة الظاهر الثانوية الأستاذ إبراهيم حمودة الذى كان يمنع زعيم المدرسة من الإضراب أذكر له هذه الواقعة، طلب البوليس من الناظر

استدعائى لحجرته لإلقاء القبض علىّ فرفض وطلب منهم انتظارى خارج المدرسة ففعلوا بينما أرسل إلى مدرس العربى يسحبنى من الفصل ويشرف على خروجى من المدرسة عبر السور الخلفى.

فى هبة مارس سنة ١٩٥٤ كانت التكليفات متلاحقة للدعاية حول شعارات عودة الجيش إلى الثكنات وحرية تكوين الأحزاب وانتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور وأذكر موافقة كل الشيوعيين على ذلك وكذلك الوفديين وأذكر أن مؤتمراً طلابياً حاشداً عقد فى حرم جامعة القاهرة وكنت قد خرجت بمدرسة السعيدية وشاركنا فى المؤتمر. وأذكر أيضاً أن عدداً من المدارس الثانوية بالقاهرة وصلوا وشاركوا وأذكر أن الإخوان المسلمين شاركوا فى هذا المؤتمر على أن يخطب فى المؤتمر مندوب عن كل من الشيوعيين والوفديين والإخوان واتفق على أن يلقى الزميل عادل فهمى كلمة الشيوعيين وكان مطلوباً القبض عليه فلم يتمكن من دخول الجامعة وكان مسئولى فى هذه الفترة الزميل محمود عبد الخالق فكلفنى بأن ألقى كلمة الشيوعيين وأثناء إلقائى للكلمة اقترب منى الزميل نسيم يوسف وأخبرنى أن هناك مؤامرة تدبر للاعتداء على المؤتمر لفضه من قبل السلطة فضمنت كلمتى تحذيراً من ذلك وقبل أن انتهى من كلمتى دوى انفجار هائل فى حرم الجامعة كانت قنبلة فجرها أحد ضباط الجيش اسمه على ما أذكر وحيد رمضان وفى نفس التوقيت هاجم العسكر المؤتمر بالعصى وانهالوا ضربا على الطلبة وحاولوا منعنا من الخروج من الجامعة لكننا قاومنا وخرجنا وأذكر أن طالب الهندسة عبد المحسن حمودة (الدكتور عبد المحسن حمودة الآن) وقع على ظهره وانهال عليه العسكر ضرباً بالعصى وكنت قريباً منه فألقيت بنفسى فوقه وتلقيت أكثر من عصا على ظهرى، الغريب أن العسكر توقفوا.

أذكر أنه فى إحدى مظاهرات هبة مارس ١٩٥٤ وكان بها نبيل غالى شقيق جمال غالى ونسيم يوسف وعبد الباسط خلاف ومنير المغربى وفكرى تادرس وشفيق محمد إبراهيم وكنت محمولاً على الأكتاف ووصلنا إلى منتصف كوبرى قصر النيل حيث يواجهنا على أول الكوبرى عساكر بوليس مسلحون بالبنادق يتقدمون نحونا وتقدمنا نحن أيضاً نحوهم فبدأوا فى إطلاق النار فى الهواء فوق رءوسنا مباشرة فأنزلنى من يحملوننى خوفاً من إصابتى ومع اقتراب العسكر واستمرار إطلاق النار بدأت المظاهرة فى التراجع وحاولت أن أمنعهم بذارعى فلم أفلح

نرفعت الشعار الآتى: "صوبوا المدافع للقتال" نردده المتظاهرون وثبتوا وحملونى مرة أخرى وتقدمنا ناحية العسكر فصدرت لهم الأوامر بالكف عن إطلاق النار وإفساح الكوبرى ولما وصلنا إلى ميدان التحرير فوجئنا بعدد هائل من العسكر بالعصى وتمكنوا من تشتيت المظاهرة. والدرس المستفاد أن نزول الشعار المناسب فى الوقت المناسب يمكن أن يحول مسار المظاهرة، صدر أمر اعتقالى وهربت وفاتنى امتحان التوجيهية.

أذكر أن طليعة العمال قامت بتنسيق العمل الجماهيرى والسرى مع النواة واشتركت أنا مع الزميل نصر حمود، وكان وقتها طالباً فى كلية العلوم، فى توزيع منشورات تخص التنظيمين فى العجوزة وحوارى الجيزة.

أذكر أننى سألت المسئول عما إذا كان لطليعة العمال اتصال واعتراف من الحزب السوفيتى وكانت الإجابة بالنفى وكان ذلك يقلقنى، فى المعتقل أعوام ٦٢، ٦٣، ٦٤ وبوصول مقالات وقرارات الحزب السوفيتى عرفت أنه كان من الأفضل لنا عدم الاتصال بالسوفييت فربما كنا قد تأثرنا بفكرهم الذى تسبب فيما حدث بعد ذلك وانهيار التجربة السوفيتية.

ابتكرت طليعة العمال أسلوب عمل جماهيرى جديد، كنا نلتقى نحن الأعضاء المكشوفين (اعتقد سنتى ٥٣، ٥٤) بالتواجد فى حارة فى حى شعبى ثم نبدأ مظاهرة داخل الحوارى وكل قهوة نمر بها يسحب الزميل حسن صدقى كرسى ويقف عليه ويلقى خطبة لا تزيد عن ١٠ دقائق ثم نمضى إلى قهوة أخرى كان الزميل عبد المجيد أبو زيد يلقى هو الخطبة أحياناً ثم نتفرق بعد عدة قهاوى وكانت المظاهرات تستمر أقل من ساعة، بعد عدد من المظاهرات كان يتواجد معنا زملاء من النجم والنواة، تمكن البوليس فى بعض المظاهرات من اللحاق بنا قبل أن نتفرق وأذكر أنه قبض على واحد منا أو اثنين وعدد من المتظاهرين.

أذكر أن التنظيم ضم جميع الزميلات على مستوى الخلايا فى خلية مغلقة عليهن وكلفت بمسئولية جزء من هذا القسم وكانت التجربة تناسب ربات البيوت. قمنا بعمل دراسات بسيطة عن ظروف المرأة كأم وكطالبة وكمواطنة وكعاملة، وطالبنا زملائنا العمال أن يدفعوا زملاءهم العمال العاديين نحو تحسين معاملتهم لزوجاتهم وبإشراكهم فى العمل والحياة اليومية والامتناع تماماً عن ضربهن، علمت إحدى زميلات النسم أن عاملاً عضواً بالمنظمة يضرب زوجته بسبب غيرتها الشديدة عليه فكلفناها بمناقشته، لكنه دافع عن الضرب كأسلوب للتربية الزوجية

فطلبنا إيقاف عضويته حتى يقلع عن هذه العادة الرديئة فأوقف حتى أقلع عن ذلك وبعد حوالي سنة من ذلك تطورت هذه الزوجة وقبلت في خلية مرشحين، انتهت علاقتي بهذا القسم بهروبي وعلمت بعد ذلك أن التنظيم أنهى هذه التجربة.

أذكر أن أسلوب عمل طليعة العمال واتباعهم الدقيق لقواعد الأمان والدقة والمغالاة فيها في الترشيح وإعطاء العضوية جعل منا تنظيماً صعب اختراقه بدليل أننا رغم اتساع حركتنا التي كشفت عنها الوحدة كنا دائماً قلة في السجون لفترة طويلة. وكنت أعتقد أن تنظيم طليعة العمال مع تطوره ونموه يمكن أن يكون الحزب الشيوعي المصري دون وحدة مع باقي التنظيمات مع العمل المشترك مع أعضاء من النواة والنجم الأحمر. وتطور فكري إلى أن الحزب الشيوعي المصري ينتج من التنسيق والعمل الجماهيري المشترك بين التنظيمات لفترة طويلة تسمح بوجود وحدة فكرية وسياسية وتنظيمية بين أغلبية الشيوعيين في التنظيمات المختلفة بعدها تتم الوحدة. وبناء على هذا تحفظت على أسلوب وحدة ٨ يناير وطالبت بفترة من التنسيق والعمل المشترك قبل الوحدة، ولكن كان رغبة أعضاء طليعة العمال في الوحدة غالبة وأنستهم مبادىء أساسية، كنت أعتقد لكثرة سقوط شيوعيين من تنظيمات أخرى في قضايا أن هذه التنظيمات مخترقة وأن الوحدة السريعة قبل اكتشاف الجواسيس ستجعل من كل التنظيمات تنظيمات مكشوفة للسلطة. شارك عدد من الأجانب واليهود المصريين في تأسيس طليعة العمال وكان لهم دور بارز وعطاء عظيم وفي رأيي أن اليهود المصريين الذين أعلنوا إسلامهم أضروا بأنفسهم وبالحركة فيما بعد إذ أنهم وضعوا الأساس الخاطىء فيما بعد لاستبعادهم من القيادة وهذا مناف للمبادىء، وأعتقد أن قبول طليعة العمال لذلك كان موقفاً غير موضوعي وأذكر أن عدداً من المنقسمين في الواحات ناقشني في خطورة أن يكون على رأس الحزب الشيوعي لشعب مسلم قائد مسيحي. هكذا تدهور الفكر وتدهورت المبادىء، فسر أصحاب هذا الخط أن الشعب المصري وقتها كان يفضل التعامل مع التجار اليهود ويثق فيهم لفهمهم أصول التجارة وأن حكاية مسلم ونبطي وقتها لم تكن واردة في الأذهان.

أسجل أننا في مظاهراتنا ومنشوراتنا وكتاباتنا على الحوائط كنا نركز أكثر على المطالب السياسية وهذا خطأ فلو كان التركيز على متاعب المواطن اليومية ومشاكل العمل والتعليم واحتياجات الناس لكنا اقتربنا من الناس أكثر.

شاركت طليعة العمال فى عمل مؤتمرات ومظاهرات ومنشورات تضامناً مع شعب فيتنام والشعب الكورى والجزائرى والثورة العراقية. أذكر أن زعيم الحزب الاشتراكى فى بداية الخمسينيات قام بزيارة لمصر وكان متعاوناً مع الحزب الشيوعى الإيطالى فصدرت تعليمات بحشد فى المطار للترحيب به وأذكر أننى لم أنجح فى ذلك فما شأن الناس فى مصر بزعيم أوربى يتعاون مع حزب شيوعى أوربى.

تعاون التنظيم مع فتحى رضوان وممثل للإخوان المسلمين والعشماوى والكاتب إحسان عبد القدوس فى عمل مؤتمر سياسى بإحدى القاعات خلال صراع سلطة يولين مع الاستعمار، وكان صوت التأييد من المنظمة يعلو على صوت المطالبة بالديمقراطية والحرية واستفادت سلطة يوليو من ذلك فلم تسمح للجماهير بأية مساحة للحركة واعتمدت فى كل إنجازاتها على الأجهزة دون الحركة الجماهيرية، ضبطت وأنا أوزع مجلة المقاومة وكان بها مقالة وحيدة تأييد لجمال عبد الناصر وكنا نوزعها عقب تأميم قناة السويس بشكل علنى وحجزت بالداخلية عدة أيام وكان موقف الشرطة : لا نريد منكم تأييداً ولا معارضة، لم ينضم أعضاء التنظيم لأى تشكيل من تشكيلات سلطة يوليو.

قام التنظيم بتأييد الإصلاح الزراعى وطالب بتجميع الأراضى الصغيرة المقسمة فى جمعيات ومساعدتها ونشرت المقاومة مقالاً لأحد المهندسين الزراعيين من العاطفين على التنظيم يحذر من خطورة تفتيت الملكية الزراعية على الثروة الحيوانية وإنتاجية الفدان وقد تحقق من ذلك. عارض التنظيم فكر ومشاريع الإخوان المسلمين واصطدم بهم فى المجالات الجماهيرية ومع ذلك رفض الإجراءات القمعية التى قامت بها سلطة يوليو ضدهم وأذكر أن الزميل محمد عضو اللجنة المركزية سجل اعتراضه على أحكام الإعدام التى صدرت بحقهم وهو مفرج عنه فى إحدى دورات اعتقاله وكذلك اعترض الشيوعيون بالسجون على المعاملة الوحشية التى عومل بها الإخوان وطالبوا بوقفها علماً بأن الإخوان المسلمين كانوا طول الوقت فى جانب سلطة السجون فى حالات الاعتداء على الشيوعيين. بناء على تكليف من التنظيم تطوعت بعد تأميم القناة للتدريب على السلاح أنا وعديد من أعضاء التنظيم ولكن السلطة تمشياً مع سياسة معاداة الحركة الجماهيرية لم ترسل أياً من المتطوعين لمناطق الصراع المسلح لقد كان الصراع بين السلطة والاستعمار حول السوق تريده للطبقة التى تمثلها دون أى عائد

للجماهير.

شارك التنظيم فى انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ بنزول بعض كوادره فى الانتخابات وتأييد بعض العناصر الوطنية وأقام العديد من المؤتمرات وكانت الغلبة للشعارات السياسية، رفض التنظيم مشروعات الأحلاف العسكرية وقام بتعبئة الجماهير ضدها بالمظاهرات والمنشورات والكتابة على الحيطان وبعض الكتابات فى المجلات العلنية فى بعض الجرائد. أيد التنظيم قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية ولا أذكر إن كان التأييد يقودنا للمطالبة بحق الجماهير فى عائد هذا التمصير أم لا.

أذكر أن التنظيم كان يعمل فى صفوف حزب الوفد وأنه ساعد على تبلور تيار يسارى داخل الحزب (الطليعة الوفدية) وأن قيادة اليمين داخل الحزب (فؤاد سراج الدين) تنبهت لذلك وقامت بفصل عدد من أعضاء التنظيم من حزب الوفد.

أيد التنظيم وحدة مصر وسوريا واشترط لنجاحها أن تتم فى إطار ديمقراطى ومنح الشعبين حقوق التعبير المختلفة بحرية حتى يتمكن الشعبان من تحقيق مصالحهما وحل أى تناقضات بينهما، وأعتقد أن التنظيم أيد حركة القومية العربية متأثراً بتطلعات الطبقة الحاكمة للسيطرة على الأسواق العربية. أيد التنظيم حكومة النابلسى فى الأردن والثورة العراقية وعارض إنزال القوات الأمريكية فى الأردن. غاب عن قيادة حزب ٨ يناير وكذلك كثير من القواعد ومنهم أنا أن حركة التأميم إنما تتم لصالح البيروقراطية التى تضخمت بفعل التمصير والصناعات التى نشأت برأس مال الدولة الأمر الذى أنعش فكر المنقسمين وكان لمقالات الحزب السوفيتى اليمينية والخارجة عن مبادىء الماركسية اللينينية أثر فى زيادة البلبلة.

حالت فكرة أن الحزب الشيوعى السوفيتى هو الحزب القائد وأنه الأكثر علماً ودراية دون تعرض الشيوعيين المصريين له بالنقد والمراجعة وأذكر لصالح طليعة العمال أنها لم تكن معتمدة من الحزب السوفيتى الذى ضرب التجربة السوفيتية.

فور اعتقالى فى يوليو ١٩٥٩ ودخولى سجن مصر انكشفت أمامى صراعات الأصول التاريخية وأصابتنى وأصابت عدداً من الزملاء من أصول مختلفة بدرجات متفاوتة من خيبة الأمل وأذكر أن عدداً ممن كانوا يقودون هذه الصراعات خارج القواعد التنظيمية كان لهم تاريخ نضالى مشرف، لقد كانت هذه الصراعات سبباً فى ضعف عدد من الزملاء وابتعادهم عن

الحزب فيما بعد. فى القناطر كانت الصراعات أقل، فى الواحات كانت الكرثة لم يكن هناك تنظيم ولم يحترم أحد قواعد التنظيم. الجميع شاركوا بدرجات متفاوتة فى الإطاحة بقواعد التنظيم، أبناء طليعة العمال كانوا يمارسون الاتصالات الجانبية ومناقشة أمور التنظيم والسياسة خارج مستوياتهم وشاركت أنا فى هذ، لكن أحداً منهم فترة وجوده فى الواحات من يوليو سنة ١٩٩٢ إلى أبريل سنة ١٩٦٤ لم يفكر فى التمرد أو الانقسام أو تشكيل تنظيمات موازية رغم سخطهم على أعضاء اللجنة المركزية من أصولهم التاريخية خلافاً لما حدث من بعض زملاء الراية، تمردوا وشكلوا تنظيمات خارجة وموازية وعاجوا علناً قيادة الحزب واتبعت قيادة الحزب سياسة تنظيمية خاطئة وتهاونت وساومت ولم تأخذ مواقف حاسمة لردع الخارجين على الحزب، ورأيى أن أعضاء اللجنة المركزية من أصل طليعة العمال مسئولون بحكم أغلبيتهم عن الخراب الذى أصاب الحزب بضعفهم وترددهم، فتصوروا: شيوعيون يناضلون من أجل تطبيق الاشتراكية العلمية يقعون فى الأسر وتجرى ضدهم حرب إبادة وتجويع وعرى وحرمان من العلاج، يختلفون على نظام الحياة العامة ويقرون أن تتفاوت مستويات المعيشة بينهم بحجة تشجيع القادرين على تغذية الحياة العامة بالموارد فيرفض هؤلاء الشيوعيون مصادرة الموارد ١٠٠٪. أؤكد أنه لو لم تتم وحدة ٨ يناير على النحو التى تمت به، ويحضرنى أنه كانت التنظيمات تتأكد من أعداد كل تنظيم وأذكر أننا فى طليعة العمال جمعنا ١٧ زميلاً أعضا، فى اجتماع واحد ليعدهم مندوب من الراية ومندوب من الموحد، لو لم تتم الوحدة على هذا النحو الخاطىء، وجاءت ضربة يناير لكانت الضربة ستكون أقل بكثير من العدد الذى وقع أسيراً وكانت التنظيمات فى الخارج ستكون قادرة على الحركة وربما التنسيق وكانت التنظيمات داخل الأسر كل تنظيم على حدة وستحترم قواعد التنظيم وكان سيتم بينهم تنسيق وبالتالى سيخرج كل تنظيم متماسكاً فيواصل الحياة، لقد كان قرار حل الحزب بعد الخروج من السجون اعتماداً متأخراً لشهادة الوفاة التى حدثت بالواحات نتيجة خوف القيادة من انقسام ثان.

أخطأت قيادة حزب ٨ يناير فى مواجهة حملات التعذيب والتصفية الجسدية واختارت عدم المقاومة بحجة إنقاذ الكوادر من الموت وكان الخط الصحيح هو المقاومة والرفض وكان سيموت عدد أكبر بالفعل لكن من سيبقى سيكون مناضلاً حقيقياً.

بقى أن ألخص أسباب وفاة الحزب قبل اعتماد شهادة الوفاة :

١- الخطأ فى إجراءات الوحدة .

٢- عدم توحيد الفكر السياسى لجموع الكادر.

٣- عدم التمسك بالقواعد التنظيمية وميوعة القيادة وضعفها فى مواجهة الأخطاء.

٤- عدم المقاومة فى مواجهة عمليات التعذيب فى المعتقلات.

٥- عدم قدرة القيادة ومجموع الكادر على فهم المتغيرات السريعة المتلاحقة وقرارات التأميم.

٦- عدم قدرة الحزب على نقد الآراء السياسية الصادرة من الحزب السوفيتى .

٧- عدم الوعى الكافى التنظيمى بكيفية بناء حزب حديدى قادر على إسقاط طبقة .

٨-وهم الطريق اللارأسمالى، وهم وحدة كل القوى الوطنية باعتبار أن السلطة قوة وطنية تبنى الاشتراكية .

٩- قدرة الكادر الشيوعى على السيطرة على أى وحدة يدخلها الشيوعيون .

١٠- عزلة الحركة الشيوعية المصرية عن جماهيرها .

فبينما نجح المصريون على امتداد تاريخهم فى تمصير الأفكار الوافدة عليهم حتى الأديان فلقد مصر المصريون المسيحية وكذلك الإسلام، فما بعد عجز الشيوعيون المصريون عن تمصير الماركسية وتقديمها للبسطاء أصحاب المصلحة فيها بطريقة سهلة مبسطة تتفق ووجدانهم وعاداتهم وتقاليدهم.

بقى أن أسجل خطيئة موافقتى على حل الحزب، بعد خروجى من المعتقل بشهور، فى اجتماع حضره عدد من الزملاء، والزميل المركزى فخرى لبيب عرض وجهة نظر المركز فى قرار حل الحزب وكانت تتلخص فى أن الحل سيؤدى إلى دخول الشيوعيين الاتحاد الاشتراكى وإمكانية تحويله والسيطرة عليه وأن هذا سيحول دون تصادم الشيوعيين مع قوى ذات ميول اشتراكية.

وافقت منطلقا من أفكار خاطئة نبعت من ضعف فى فهم النظرية الماركسية اللينينية.

١- أن الحزب مهلهل ولا يصلح للنضال، وأننى بحكم خبرتى فى قيادة الحركة الجماهيرية

وخبرة زملائى ستتمكن من السيطرة على الاتحاد الاشتراكى

٢- غاب عنى أنه لا مبرر على الإطلاق لعدم وجود حزب يمثل الطبقة العاملة وأن دعوى توحيد القوى التقدمية لا تستوجب حل حزب يدافع عن مصالح طبقية موجودة ونامية.

وبعد أن أدركت خطأى وأصبحت الساحة خالية حسب معلوماتى وقتها قررت أن أحافظ على نفسى وأن يكون الحاضر والمستقبل امتداداً للماضى علماً بأننى أضعت وقتاً طويلاً فى محاولة الحصول على عضوية الاتحاد الاشتراكى ولم أحصل عليها واعتقد أننى تمكنت من مواصلة حياتى اليومية والسياسية بلا شوائب تعوق عودتى مرة أخرى للنضال من أجل انتزاع حقوق الشعب المصرى من أيدى الطبقة الأنانية.

شهادة

رزق مكاري إبراهيم

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : رزق مكارى إبرهيم مرقص

محل وتاريخ الميلاد : ولدت فى ٢٠ غسطس ١٩٢١ فى شارع حبيب شلبى فى حارة صغيرة خلف مطبعة وهدان حاليا - تبع قسم باب الشعرية.

المــــؤهــــلات : حصلت على ثانية ثانوي سنة ١٩٣٤ ثم عملت كصانع، ثم كاتب فى الغورية، ثم فى السينمت بعد الظهر وفى الصباح كنت أعمل فى ورشة فى السبتية. بعد ذلك عملت فى شركة من الشركات التابعة للنقل المشترك وكان عمري حينذاك واحداً وعشرين سنة تقريبا.

فترات السجن والاعتقال : سُجنت فى يناير ١٩٥٤ وحُكم عليَّ بخمس سنوات أشغال شاقة لأنى كنت متهمًا بإدارة وتأسيس تنظيم شيوعى وخرجت سنة ١٩٥٩ وكان الحكم يتضمن خمس سنوات مراقبة أيضًا. لكن التنظيم طلب مني أن أكسر المراقبة. فهربت وانضمت لخلية فى مصر الجديدة مع مارى بابا ديلو المدرسة فى مدرسة الليسية فى مصر الجديده. وحاليا هى متزوجة من الزميل نيقولا درويش المولود فى اليونان، وهما الاثنان عضوان فى الحزب الشيوعى اليونانى.

وقد قبض عليَّ مرة أخرى فى يوليو ١٩٥٩. ورحلت الى القلعة، ثم إلى الفيوم، ثم إلى الواحات. وأفرج عنى سنة ١٩٦٤.

اعتقلت سنة ١٩٨٠، بتهمة تحريض الجماهير على قلب نظام الحكم وإثارة الجماهير وسب رئيس الجمهورية سبا علنياً فى ميدان التحرير وظللت سبعة أشهر فى سجن الاستئناف. وكانت هذه الأيام أيام التطبيع بيننا وبين إسرائيل، ومرة أخرى قُبض عليَّ فى الاسماعيلية سنة ١٩٨١، عندما اغتيل السادات، وظللت فى سجن طرة سبعة شهور ونصف.. وخرجت فى إبريل سنة ١٩٨٢.

بيانات عائلية :

عرفت أن الجبرتى ذكر عائلتى، لأن جدى الكبير كان فى أيام محمد على، الذى كان يطلب من الملتزمين نقوداً والفلاحين باعوا جواهر نسائهم، ثم باعوا الماشية ولم يعد لديهم شئ.

فاعتقد محمد على أن الملتزمين هم الذين حرضوا الفلاحين، فأمر بنفى جميع الملتزمين فى

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. نجاتى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق.

الصعيد إلى دمياط وكان منهم جدي الكبير. كما أن جدي - أبو والدي - اشترك في ثورة ١٨٨٢ مع عرابي. ووالدي اشترك في ثورة ١٩١٩ وكان يختارني دائما بالذات من بين إخوتي ليخبرني بما فعلوا لأني كنت دائما أشتري الصحف وأحب جداً صحيفة .....لا أتذكر اسمها الآن والتي كان يحررها محمد توفيق دياب.

كيفية تعرفي على الفكر الماركسي

عرفت الفكر الماركسي عن طريق الرفيق يونس بواسطة موعد من أحد زملائي في السينما أحمد شكري اسماعيل الذى حدد موعداً في ساحة سينما تريومف. وهناك قابلت الرفيق يونس، الذى تحدث معي وأعطاني بعض الكتب الخضراء. وكان ذلك سنة ١٩٤١ تقريبًا. وكنت أنا قبل ذلك إرهابيًا على أساس أن الانجليز يحتلون بلدى. وكان المصريون يأتون لنا بأخبار أن الانجليز يقتلون المصريين في داخل المعسكرات، سواء إذا كان ضابطاً أو صف ضابط أو عسكرى. فكنا نختار هؤلاء عند السبتية في مكان مظلم عند السكة الحديد. وندخلهم فيه.

وكنت قد أسست هذا التنظيم الأرهابى الذى كان يشترك فيه مثقفون ومسلحون. ولم تكن لنا علاقة بفرق أخرى تشكلت في هذا الوقت.

وعندما انضممت للحركة الشيوعية وطلب منى الرفيق يونس أن أقلع عن الاغتيالات .. قال يمكن أن نحارب عدو بلدنا بشكل آخر.

وأعطاني الكتب الخضراء لأقرأها. كان فيها كتاب عن التطرف، وكتاب عن الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، وكتاب عن العدوان. وهكذا بدأت رحلتي مع الحركة الشيوعية المصرية، في تنظيم الحركة المصرية سنة ١٩٤١ والتي دخلت بعد ذلك في وحدة مع تنظيم اسكرا، لتنشأ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

وأنا لم أتخل عن الحركة الديمقراطية لأنى كنت ضد الانقسامات التى حدثت، مثل «التكتل الثوري» لشهدى عطية. وتنظيمات أخرى مثل النجم الأحمر.

وكنت مع وحدة الشيوعيين. في أي طريق نسير فيه، فلابد من توحد الصفوف.

المؤتمرات التنظيمية أو الكونفرنسات أو مدارس كادر

حضرت مؤتمرا كمندوب عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني لتكوين الاتحاد العام سنة ١٩٤٦.

أما المؤتمرات أو الكونفرنسات داخل التنظيم فإن هذه الأشياء كانت تتم على مستوى ضيق لأنه كان هناك في هذا الوقت ضربات كبيرة مثل الضربة الكبرى التى تمت للحركة الشيوعية فى الفلاحين.

وقد حضرت مدارس كادر سنة ١٩٤٧ فى بيت محمد الحبيب فى شارع المنصورة على سكة حديد حلوان. وكان معى كمال عبد الحليم لإلقاء بعض قصائده وكان معنا أحمد شكرى سالم وكان منظراً .. ومحمد شطا.

كان هنالك أكثر من أربعين شخصاً. وكانت هنالك محاضرات عديدة. محاضرات عن التنظيم ومحاضرات عن تنظيم الاضرابات والمظاهرات وإثارة الجماهير ومحاضرات عن النقابات. وكذلك كانت هنالك محاضرات عن الماركسية اللينينية.

وكان هناك بعض زملاء مصريين أو أجانب يتكلمون العربية يقدمون المحاضرات التى استمرت لفترة عيد الأضحى.

الحركة الديمقراطية والطبقة العاملة والفلاحون

كانت لها ارتباطات بالطبقة العاملة، مثل ارتباطات بعمال الغزل والنسيج وبعمال النقل وعمال السكة الحديد وهكذا، لأنه كان هنالك من الأصل ارتباطاتنا بالنقابات العمالية والتى ساعدتنا كثيراً. فعندما تكونُ لاتحاد العالمى للنقابات، أنا جمعت أكثر من ثلاثة آلاف توقيع من جميع العمال نقابيين وغير نقابيين. وكان مندوبنا فى اتحاد النقابات فى فرنسا لبيب مرحوم وسراج أمين.

وكانت للحركة علاقات وطيدة بالفلاحين من سنة ١٩٤٦، وكان لها دور مؤثر أيضاً.

المطبوعات

كان التنظيم يصدر المجلات التنظيمية : الكادر والعامل والعمال داخلية. ونشرات أخرى جماهيرية لا أتذكر أسماءها وقد كتب بعض الزملاء كتبا كثيرة وقد قرأت أنا كتبًا كثيرة، حتى أننى ولدت من طينة خاصة وهى الماركسية اللينية.

مقومات التنظيم

كانت هنالك استراتيجية وتكتيك ولائحة داخلية تنظم العمل الداخلى للأعضاء. وكان التوقيت شيئًا هامًا حتى لا ينتظر أحد الزملاء زميله فيتعرض للقبض عليه.

وكـان عـدد أعضـاء القـاهرة فقط سنة ١٩٤٧، ٨٠٠ عـضـو وكنت دائما إذا حضـرت كونفرنسات أو اجتماعات أرى أن الثورة لابد أن تكون مرة واحدة، إنها الثورة الاشتراكية.

المحترفون

كان هناك عدد كبير من المحترفين. وكنت أنا محترفا. إذ فُصلت من عملى فى النقبة. فأعطانى التنظيم نصف احتراف، وأراد أن يعطينى احترافا كاملاً فرفضت. وظللت هكذا حتى سنة ١٩٤٦، حيث انقطع احترافى عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وقد رفضت أن أكون محترفا كاملاً لأن عملى وسط العمال أفضل من تحت. وكنت أحصل على سبعة جنيهات ونصف.

التنظيمات الأخرى

بالنسبة للتنظيمات الأخرى غير الحركة الديمقراطية : كان هناك المصرى والعمال والفلاحين وطليعة العمال.

وكل هذه التنظيمات الأخرى لم أعرفها إلا فى الحبس الأول. لم أكن أعرف أن هناك تنظيمات أخرى، ولم أسمع عنها بالمرة، وبعد وحدة ثمانية يناير وحدوث الانقسام تألمت جداً وعدت لأصلى مرة أخرى. الحركة الديمقراطية طبعاً.

النشاط النقابى

شاركت فى تأسيس نقابة عمال النقل مع زميل كان معنا فى القضية وأخذ إفراج نيابة وهو الزميل فريد ناشد بشاى، سنة ١٩٥٤. عملية النقابة هذه كانت سنة ١٩٤٩.

العمال لم يكونوا يعملون تحت سقف واحد. كانوا يجلسون على مقاهى فى كل حى من الأحياء. وكل شخص يريد أن يتناقش مع العمال يأتى بهم من المقاهى. نطبع بياناً صغيراً. وبعد أن نتناقش مع العامل نطلب منه قرشين قيمة هذا البيان ليساهم فى تأسيس النقابة.

وهكذا حتى جمعنا تسعمائة عامل تقريباً من أنحاء القاهرة من المقاهى التي كانت مخصصة لعمال النقل فى السيدة زينب، فى مصر القديمة، فى حلوان، فى المعصرة، فى العباسية، مصر الجديدة، وهكذا تأسست النقابة سنة ١٩٥١.

كما كونت نقابة عمال شركة (النجوم الثلاثة) التى فصلت بسببها. عملت هذه النقابة ضد استغلال رأس المال اليهودى.

كما عملت وسط عمال الترام. وكان عبد العزيز مصطفى من ضمن الأعضاء الذين جندتهم. وأنا في الواحات عرفت أن هناك انتخابات سنة ١٩٥٧. وكان التنظيم مع عضو تنظيمنا الذى هو عبد العزيز مصطفى العامل والتنظيمات الأخري مع عبد العظيم أنيس.. تم نجح عبد العزيز مصطفى ودخل مجلس الشعب.

نشاطات إيجابية أخرى و أعمال جماهيرية

حرب القنال شاركنا فيها، وكونا العديد من لجان الشباب فى جميع أحياء القاهرة. فى حى العباسية وحى الظاهر وحى الفجالة وباب الشعرية.

وكان الأعضاء الذين أثق فيهم مائة فى المائة أجندهم للتنظيم.

وقد تشكلت لجنة من الطلبة والعمال وكان يرأسها الزميل فؤاد محيى الدين. هذا التنظيم كان يعتبر حزبًا جديدًا للشعب المصرى فوق جميع الأحزاب التى دنست وخانت قضية مصر مع الانجليز، أول حزب ينشأ والشعب التف حوله كان لجنة الطلبة والعمال التى أنشئت سنة ١٩٤٦.

وكان التنظيم هو الذى يوجه هذه اللجنة طبعًا. كان هناك أعضاء، وكان فؤاد محيى الدين ماركسيًا فى الحركة الديمقرطية للتحرر الوطنى، وكنت أثير الجماهير وأحرضها حتى تشترك فى هذا العمل وكنت أعمل وقتها فى النجوم الثلاثة.

موقف التنظيم من القضية الفلسطينية

قد قال جروميكو فى الجمعية العامة أنا مع قرار التقسيم، رغم أنه أسوأ الحلول ونحن نسير مع الاتحاد السوفيتى مباشرة، كموقف أممى.

دور التنظيم فى النضال المسلح

اشترك التنظيم كله في حركة ١٩٥١ .. اشتركنا فى المؤتمر الذى عقد فى شارع مجلس الأمة عند إلغاء معاهدة ١٩٣٦. يوسف حلمى حضر عن حركة السلام، والعماوى حضر عن

الاخوان المسلمين، وعن الوفد حضر فؤاد سراج الدين، وإبراهيم شكرى حضر عن مصر الفتاة، وكان التنظيم قريبًا من الوفد. وقد عملنا جبهة وطنية مع تنظيم عبد العزيز فهمى.

موقف التنظيم من ثورة يوليو

كان التنظيم مؤيداً لثورة يوليو ... حتى أن هناك أعضاء قياديين وقاعدين فى داخل التنظيم شاركوا فى ثورة يوليو.

ولولا أحداث كفر الدوار لم نكن أبداً لنتخلى عن عبد الناصر. كان تأييداً كاملاً حتى أحداث كفر الدوار، فتعاملنا مع ثورة يوليو بحرص وحذر.

وكان موقف التنظيم مع العمال، لأن العمال ثاروا فى وقت كان إبراهيم عفيفى وابنه هم أصحاب الكلمة. لم يقبض على أحد من الجماعة الكبار هؤلاء. وقد أدان التنظيم إعدام خميس والبقرى إدانة تامة. وكانت ثورة يوليو، كما يراها التنظيم تمثل مصالح الطبقة الوسطى. وكان دخول الاتحاد القومى بمثابة حالات فردية. لم تكن دعوة للاشتراك فيه.

بالنسبة لهبة مارس

كان التنظيم مع خالد محيى الدين ومحمد نجيب، وقد صدرت منشورات بذلك.

وكان التنظيم ضد الأحلاف العسكرية بجميع أشكالها. ومع الوحدة التى تتم بإرادة الشعوب.

الموقف من التأميم

كان موقف التنظيم هو التأييد مع الحذر. وقد أحدث التأميم تغيير جعل البلد فى الطريق للاشتراكية. إنه إجراء بورجوازية متقدمة فى طريق النمو اللارأسمالى.

كان التنظيم يقول إن هناك مجموعة اشتراكية فى السلطة متمثلة فى عبد الناصر وآخرين، أما كلامنا الحقيقى فضد هذه المسائل كلها. كيف تكون هناك اشتراكية وهو يضعنا فى السجن؟

كان موقف التنظيم من الثورة الصينية أو من أحداث المجر سنة ١٩٥٦ مثل موقف الاتحاد السوفيتى.

الاتحاد السوفيتى كان عندنا مثل الكعبة.

حل الحزب الشيوعى

حلوا الحزب الشيوعى فى مصر عى صفحات الجرائد القومية. حلفت يمينا ألا أتبع أى أحد فيهم فى يوم من الأيام لأن هؤلاء خائنون. الذين حلوا الحزب خونة فى رأيى. حتى خرجوا وعادوا إلى تنظيمات أخرى. أنا ضد هذا. حل الحزب خطأ جسيم جداً. مثل جورباتشوف.

ولم يأخذ رأيى أحد. كانت صدمة بالنسبة لى. ولم أحضر اجتماعات أو كونفرنسات أو أى شئ من هذا القبيل. عرفت بالحل من الجريدة القومية الأهرام.

وسبب الحل فى رأيى أن عبد الناصر قال لهم إذا كنتم تريدون دخول الاتحاد الاشتراكى لابد أن تحلوا الحزب وأعتقد أن النية كانت مبيتة. كان هنالك اتجاه للحل، حتى أن الذى خرج، ذهب للاتحاد الاشتراكى. وكمال عبد الحليم جاء كمندوب من الاتحاد الاشتراكى لنا فى الواحات. وأصدر بيانات. وبعد أن نصل. بدأ يقع هكذا. إلى أن خرجنا. خرجنا بعدها بشهر فوجئنا بالحل. وبعد الحل لم أرتبط بأى تنظيم.

أسباب الانقسام

كان ينقصنا التخطيط الماركسى السليم بدراسة الواقع المصرى دراسة كاملة. وهو حتى اليوم لم يدرس .. العادات والتقاليد الموجودة، عند الشعب المصرى ليست موجودة فى أى مكان.

شهادة

رشاد الملاح

البيانات الشخصية

الاســـــــم : رشاد الملاح

محل وتاريخ الميلاد : مارس ١٩٣١ فى شربين/ من أعمال المنصورة/ الدقهلية

المــؤهــلات : خلال عملى ماكنجى أحذية حصلت على الشهادة الابتدائية القديمة (نظام المنازل) ثم حصلت على بعد ذلك على شهادة الاعدادية ثم الثانوية العامة، وبعد انتها، فترة اعتقالى عام ١٩٦٤، دخلت كلية الآداب جامعة القاهرة ووصلت حتى السنة الثالثة بقسم التاريخ إلا أن ظروفاً خاصة حالت دون إستكمال دراستى الجامعية.

المهنة : مصمم لموديلات الأحذية.

الحالة الاجتماعية : متزوج ولي ثلاثة أبناء أحدهم فى طب أسنان القاهرة بالسنة الثالثة، والثانية خريجة كلية العلوم - قسم الكيمياء - والثالثة طالبة فى السنة الثانية بكلية الحقوق.

السن وقف الانضمام للحركة الشيوعية

إنضممت للحركة الشيوعية المصرية وأنا سنى حوالى ١٩ أو ٢٠ عام أى فى عام ١٩ أو١٩٥٣ وذلك قبل حركة الجيش.

فترات السجن والاعتقال

١- دخلت سجن مصر عام ١٩٥٣ فى بداية حركة الجيش وظللت فترة على ذمة قضية لكن حصلت على البراءة لعدم ثبوت أى شيء ضدى.

٢- من ١٩٥٤ وحتى ١٩٥٦ وهى كلها اعتقال فى أبى زعبل ثم القلعة ثم نقلت إلى سجن أسيوط ثم العودة مرة أخرى إلى سجن أبى زعبل، حيث ظللت فيه أكثر من عشرين شهراً. وكانت أسباب اعتقالى هى هبة مارس ١٩٥٤ والتى طالبت بالديمقراطية.

٣- من ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٤ بداية من حملة الاعتقالات الشهيرة للشيوعيين المصريين فى عهد عبد الناصر حيث اعتقلت فى أبى زعبل حيث التعذيب المعروف ثم نقلت إلى معتقل الفيوم ثم إلى الواحات حتى عام ١٩٦٤ .

* أجرى الحوار أ. محمود مدحت - عضو لجنة التوثيق.

كيفية التعرف على الفكر الماركسي والحركة الشيوعية

قبل حركة الجيش بسنة تقريباً، وقد كنت معتاداً على الذهاب إلى النقابة وهناك التقيت بزملاء ماركسيين، كانوا يعملون فى حركة السلام وأعضاء فى اتحاد عمال الأحذية (كان هناك اتحاد عام لعمال الأحذية) وأيضاً نقابة محلية فى القاهرة.

أنا شعرت أن هذا الفكر مفيد للإنسان وللبشرية، فاشتركت فى لجنة السلام ثم بعد ذلك (فى نفس الفترة) نخرطت فى منظمة "النجم الأحمر"، وبدأت أكثف نشاطى النقابى حيث كنا والمجموعة التى تعرفت عليها نعقد حلقات ثقافية للعمال. ثم تكونت لجنة اقتصادية تقوم بدراسة أحوال العمال الأعضاء فى النقابة وتدرس حالتهم، ويمكن تبحث لهم عن عمل فى أى من مصانع الاحذية، وكانت هذه اللجنة تضم مركسيين ووطنيين آخرين، كذلك كان عمل لجنة السلام مستمراً. وقد أصدرنا كذلك مجلة لتعليمهم القراءة والكتابة، وأقمنا مكتبة وشكلنا فريقًا رياضيًا وانضم إلينا طبيب للكشف على العمال أعضاء النقابة وعلاجهم، فضلاً عن كثير من الأعمال الأخرى مثل تكليف محام للدفاع عن العمال فى القضايا العمالية.

كما استطعنا أن نوفر للعمال العاطلين أجوراً رمزية من خلال اشتراكاتنا حتى يتمكنوا من تلبية احتياجات أسرهم. هذا العمل الانسانى والنقابى هو الذى شدنى لهذه المجموعة التى أتاحت لى الاطلاع على الفكر الاشتراكى وحقوق العمال والطبقة العاملة فى مصر والعالم كله.

ممارساتى قبل التعرف على الفكر الاشتراكى

كان عملى فى البداية نقابيًا فقط كما أوضحت، وكنت أساهم فى العمل النقابى بقدر معلوماتى البسيطة والمساهمة فى حل مشكلة القراءة والكتابة وعملنا سبورة وفصلاً للتدريس للعمال ولم أنضم ولم أشترك فى أى حزب سياسى قبل ذلك.

التنظيم الذى ارتبطت به وكيفية ارتباطى به

التنظيم كان "النجم الأحمر" وعرفت من خلاله أن هناك تاريخًا للحركة الشيوعية المصرية وعرفت أيضاً أن هناك تيارات تدعو للطبقة العاملة، ومن خلال هذا التنظيم عرفت أن حكم الطبقة العاملة هو الوحيد العادل وعرفت طبعاً النظرية، ودرست الأجور ومعنى فائض القيمة وما هو الاقتصاد السياسى، وأشياء أخرى كثيرة عرفت منها أنه لا توجد وسيلة لمنع استغلال الإنسان لأخية الإنسان غير أن تكون الطبقة فى الحكم.

تنظيم النجم الأحمر وكيفية نشأته

أعرف أن النجم الأحمر تنظيم منشق عن تنظيمات أخرى كانت موجودة في مصر، تدعو للحركة الوطنية فقط، والمؤسسون للنجم الأحمر درسوا الماركسية وعرفوا أن المسألة ليست معركة وطنية فقط ولكن معركة اجتماعية تنمو فيها الطبقة العاملة وتعي دورها، ومن ثمَّ تتمكن من حكم البلاد. غير أن التنظيمات الأخرى لم تقل بذلك، وخلال فترة عملى النقابى اطلعت على هذه الأفكار مكتوبة، ومناقشات مكتوبة أيضاً من التنظيمات الأخرى، وشعرت بحكم تكويني كعامل أن الأفكار الأخرى لا تجذبني وأن اتجاه النجم الأحمر كان أكثر ثورية وأكثر جدية وأنه اتجاه أصيل. لم يحدث أى انقسام في النجم الأحمر.

الحياة السياسية داخل التنظيم

دائماً كان يتبع الاسلوب السليم، أسلوب المناقشات وأسلوب الانتخابات وكان يتبع أسلوبًا ديمقراطيًا ورغم أن العمل كان سريًا فلم يأت أى مسئول بالتعيين، وأنا لا أتذكر إن كان قد عقد مؤتمراً أم مؤتمرين، لأنى كنت حديثًا بالنسبة لهم كما أننى دخلت السجن على فترات متقاربة، أما بالنسبة للعضوية فكان يدقق فى الاختيار.

ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة

أغلبية التنظيم كان طبقة عاملة، والأقلية كانوا من المثقفين، وكانت القيادة فى التنظيم منتبهة إلى هذه النقطة، وكان يقال لنا إن العمال هم أكثر ضماناً من المثقف فى النضال وأن المثقفين هم عقل الطبقة العاملة وهم يقومون برسالة كبيرة، لكن القيادة لابد أن تكون للطبقة العاملة.

النضالات النقابية التى خاضها التنظيم وشاركت فيها

كثير من المعارك والمعركة الاساسية كانت معركة الديمقراطية فى مارس ١٩٥٤ وقامت النقابة التى كنت أعمل بها ومن خلالها بعمل لافتات، وكنت أنا والزملاء قادة للمظاهرات، ونزلنا بها للقاهرة، وكانت تطالب هذه مارس أن تمس إلى الديمقراطية لولا مؤامرة (الصاوى) واستمر الحكم العسكرى الديكتاتورى

موقعي التنظيمي في النجم الأحمر

في فترة من الفترات كنت عضواً قاعدياً ثم تدرجت إلى عضو منطقة، وكان المتبع في النجم الأحمر أن يمر العضو بفترة اختبار ليتضح مدى نشاطه وإخلاصه وينتظم في دفع الاشتراك، وبناء على أدائه التنظيمي والسياسي، كان يصعد إلى مستويات أعلى تتفق مهامها مع خبرته وإمكانياته وقدرته على العمل.

موقفي من الاحتراف

كان في النجم اثنان محترفان فقط، وكانا يحصلان على أجر لا يكفي لإطعام طفل، وكان وضعهما قاسياً، وقد كانا بالنسبة لي وللزملا، مثلاً للتضحية والتفاني، وكانت علاقتنا بهما طيبة.

موقف «النجم الأحمر» من التنظيمات الأخرى ومن الوحدة

النجم الأحمر نشأ على أسس ومبادىء لينينية ومبادىء شيوعية بمعنى الكلمة وكان يرفض التنظيمات الأخرى التي تكثف كل جهدها فقط أو تتكلم فقط عن الديمقراطية أو الوطنية وكان يقف ضد من يقول إن حركة الجيش ثورة أو إنها قادرة على إقامة الاشتراكية، لكن التنظيمات التي تراجعت عن هذه المفاهيم الخاطئة وأدركت الخط الصحيح كنا نتعاون معها مثل منظمة نواة الحزب الشيوعي المصري التي كان يقودها المرحوم / فوزي جرجس وكان هناك (نحشم) نحو حزب شيوعي مصري كذلك طليعة العمال وط.ش ودش والعمال والفلاحين وفي الحقيقة طليعة العمال كانت أقرب التنظيمات إلينا من التنظيم الذي يقول "خط القوات الوطنية"، يعني لا يوجد نضال بخصوص الطبقة العاملة من أجل مصالحها، يعني لايوجد فكر ولا كلام عن سلطة العمال والاشتراكية.

موقف التنظيم وموقفي من تكوين الحزب الشيوعي المصري (الموحد)

أنا كنت في المعتقل في عام ١٩٥٥ عندما تكون الحزب الموحد، وعموماً أنا سمعت أنه تكون من فوق، يعني مركزين مع مركزين، لكننا رأينا أن يكون هناك شكل ديمقراطي داخل

التنظيم، ومن هنا رفض بعض ازملاء الدخول، وحتى وحدة ١٩٥٨ رأينا أن تكون الوحدة على أساس فكرى وأيديولوجي سليم، وعلى هذا خرجت عناصر من "نحشم" والنجم الأحمر ووحدة الشيوعيين وأسسوا (و.ش) منظمة وحدة الشيوعيين.

انقسامات أعقبت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨

كان هناك انقسامات وخاصة بعد أن ظهرت مقولات "الحكومة الوطنية"، "المجموعة الاشتراكية" وعموماً الناس التى قالت وطنية واشتراكية هى التى حلت الحزب بعد ذلك فى سنة ١٩٦٥.

حل الحزب

كل التيارات كانت تتجه نحو سياسة عبد الناصر، وبصراحة الناس التى حلت كانت لها اتصالات وعلاقات عمل، يعنى منهم ناس تم تعيينهم وزراء وفى الصحافة، فالعملية ليست تحللاً إنما هم من البداية كانوا (سائرين) فى اتجاه الحل.

رفض وجود الأجانب أو اليهود داخل التنظيم

النجم والنواة، كانوا يحاربون اليهود فى التنظيم مهما كانوا مخلصين وكانوا يرفضون أيضا الأجانب.

تأييد التنظيم لحركة التحرر فى العالم

كان يوجد نشاط مستمر وكان فيه تأييد لحركة التحرر فى أى مكان فى العالم وكنا نكتب شعارات على الحيطان لتأييد الاعتراف بالصين الشعبية والوقوف مع الشعب الكورى وضد الاحلاف العسكرية.

موقف التنظيم وموقفى من الاحتلال الانجليزى:

التنظيم أساساً نشأ على أن التحرر الوطنى من الاستعمار ضرورة أساسية حتى نبنى الاشتراكية وكذلك نشأنا على فكرة الكفاح المسلح وكنا رافضين فكرة التفاوض.

المشاركة فى الكفاح المسلح

أنا شخصيا كنت على رأس مجموعة ذهبت للإسماعيلية أثناء العدوان الثلاثى، لكن قبل ذلك لم تكن هناك مشاركة؛ فالتنظيم كان فى سبيل التكوين سنة ١٩٥١ لكن بعد خروجى من المعتقل فى ١٩٥٦ ذهبت كما قلت سابقاً وتدربنا على جميع أنواع السلاح.

انتفاضة سنة ١٩٤٦

لم يكن تنظيمنا موجوداً فى عام ١٩٤٦ لكن أنا عرفت ١٩٤٦ ودرسته أيضاً كتاريخ.

موقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

نحن دائما كنا بجانب الشعب الفلسطينى وضد الصهيونية لأن دورها هو استغلال المنطقة لصالح الأمريكان وكنا نقول : إن إسرائيل هى معسكر أمريكى فى الشرق الأوسط.

موقف التنظيم من الأحزاب السياسية وقياداتها قبل ١٩٥٢

كان موقفنا معاديًا باستمرار للإخوان المسلمين وكشف سياستهم فى التستر خلف الدين وقالت عليهم مجلتنا (النجم الأحمر): إنهم على علاقة بالأمريكان.

موقف التنظيم وموقفى من حركة أنصار السلام

كنا مشتركين فى حركة السلام كما قلت سابقًا، يعنى بعض الزملاء الذين يعملون فى عمل جماهيرى كانوا أعضاء فى حركة السلام، أما الزملاء غير العلنيين فلم ينضم أحد منهم إلى منظمة أنصار السلام.

موقف التنظيم وموقفى من تنظيمات يوليو

التنظيم منذ اليوم الأول يهاجم الانقلاب العسكرى ولم يدخل أحد من أعضائه فى أىٍ من تنظيماته سواء هيئة التحرير أو الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى، لكن استمرينا فى العمل النقابى.

موقفى - بعد حل التنظيم - من الاتحاد الاشتراكى

بعض الأفراد دخلوا، لكن أنا شخصيا لم أدخل ورفضت الاتحاد الاشتراكى لأنه لا يمثلنى.

موقف التنظيم وموقفى من الإصلاح الزراعى

التنظيم كان له رأى فى المسألة الزراعية والفلاحية، وسبق أن قلته قبل ذلك، وأن قانون الاصلاح الزراعى ما هو إلا حل توفيقى ومفيد فقط للرأسماليين لأن الغرض من الإصلاح الزراعى فتح السوق فى الريف أمام الرأسمالية المصرية لتنتعش ونتج عنه تفتيت الملكية الزراعية ولم يستطع هذا القانون تطوير أحوال الفلاحين أو الزراعة كما ترى.

موقف التنظيم وموقفى من أحداث كفر الدوار فى أغسطس / سبتمبر ١٩٥٢

قلنا إنها مذبحة ضد الطبقة العاملة وأنا قلت قبل ذلك إن سكرتير التنظيم أصدر كتاباً يطالب فيه بإعادة محاكمة خميس والبقرى وعمال كفر الدّوار.

موقف التنظيم وموقفى من الاحكام ضد الإخوان المسلمين والمحاكمات الصورية

نحن كنا معتقلين أيضاً. كما أننى كنت أتنقل من أبى زعبل لأسيوط، الخ. لكن عموما لا يوافق أحد على المحاكمات الصورية والاحكام العسكرية. لقد كنا نطالب بعودة الجيش للثكنات وإعادة الدستور والحياة النيابية.

الموقف من باندونج وصفقة الاسلحة التشيكية

نحن رحبنا بباندونج وصفقة الأسلحة، لأن هذا يجعلنا نرتبط بالمعسكر الاشتراكى، وكل الشعوب المحبة للسلام حتى لمجرد أن ننعزل عن الاستعمار فهذا مكسب كبير فى حد ذاته لحركة السلام وللحركة الديمقراطية فى مصر والعالم.

الموقف من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

كنا ضد العدوان ومع تأميم القناة وكما قلت سابقاً إننى خرجت من المعتقل، وحملنا السلاح أنا وزملائى وذهبنا للإسماعيلية وكنا قبل جمال عبد الناصر نكافح الاستعمار الأنجلو أمريكى وعندما جاءت خطوة التأميم أيدناها لأن من غير المعقول أن نقف ضدها، لأن التخلص من الاستعمار الأجنبى ضرورة لتحقيق الاشتراكية.

الموقف من الدستور وانتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧

هناك قضايا حتى الآن لم تحل وهى قضية العزل السياسى، ولم نستطع وقتها أن نرشح أحداً من التنظيم، وطبعاً الذين نزلوا من منظمات أخرى حاربهم النظام ولم يدخلوا مجلس الأمة، كما أن الدستور كان يعبر عن أوضاع طبقية وينصر الرأسماليين.

الموقف من المشاريع الاستعمارية في الخمسينيات

كانت تصدر من عندنا بيانات ضد هذه المشروعات الاستعمارية وكنا نكتب على الجدران حتى يزيد وعى الناس وكنا ننشر ذلك فى المجلة ونكتبه على الجدران ونعلن أن حلف بغداد وخلافه هدفه ربط بلادنا بعجلة الاستعمار.

الموقف من حركة التمصير والتأميم ٥٦/ ١٩٥٧

أنا رأيى أن هذا لم يكن تأميماً إنما كان "تدريلا" بمعنى أن دولة البرجوازية كانت هى التى تلك الشركات المؤممة وليست الأمة أو الشعب ونحن كنا نقول للناس لا تنبهروا كثيراً فالشعب لن يحصل على شيء والحكومة ستحصل على كل شيء ولن يستفيد الشعب شيئاً.

الموقف من المد القومى العربى أعوام ٥٧/ ١٩٥٨

بشكل عام أنا لا أكافح من أجل تأييد حكام رأسماليين أو حكام يجلدون الشعوب أو يحرمونها من حقها، وأنا عموماً أعتبر هذا شيئا لا أتدخل فيه، لكن أنا والتنظيم الذى كنت عضواً فيه مع حق الشعوب فى تقرير مصيرها واختيار حكامها الذين يحققون مصالحها.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى

منذ أن جاء خروتشوف، بدأت أشعر كعامل وليس كرجل مثقف وبإحساسى الطبقى أن هناك انحرافات موجودة داخل الاتحاد السوفيتى، لأنى بدأت أسمع كلامًا عن أن الاشتراكية ممكن تنجز بالطرق السلمية، وهذا الكلام لم أعرفه أبداً فى الماركسية، نحن تعلمنا أن الاستعمار عدوانى بطبيعته، وأنه عندما نحمل السلاح للاستيلاء على السلطة، تكون هذه العملية مفروضة علينا وإنه إذا وصلت الطبقة العاملة إلى السلطة والحكم بدون إراقة دماء،

فهذا هو جوهر الثورة، وليس ضرورياً أن تكون هناك دماء، هذا هو ما قيل لنا وأنا قرأته واقتنعت به، وهناك كتاب (صينى) يقول إن الثورة ممكن تحدث دون هبة مسلحة، لكن كلام خروتشوف كان غير ذلك، كان يقول إن الاشتراكية يمكن أن تزود بالرأسمالية، أفكار كثيرة بدأت تطرح، شعرت منها أن هناك بداية انحراف، وكان بعض الزملاء يعترضون على رأيى هذا لكن الأحداث أثبتت فيما بعد صحة إحساسى.

الموقف من الصراعات والنضالات داخل المعتقلات :

توجد مسألتان.. الأولى داخلية خاصة بالمعتقل والثانية خاصة بالوطنية أو السياسة... بالنسبة للمسألة الداخلية .. أنا شاركت فى إضرابين كبيرين استمر كل واحد منهما حوالى ٢١ يومًا واستطعنا أن نحقق مكاسب من خلالهما، الإضراب الأول كان فى أبى زعبل ورغم الضرب والإصابات والجروح خاصة عندما جاء قائد اسمه "همت" وقام وجنوده بما يشبه المذبحة، إلا أننا حققنا مكاسب.

الاضراب الثانى كان فى الواحات وأنا فى هذه المواقف كنت أريد أن أحافظ على الشيوعيين حتى يتم الإفراج عنهم.

أما الشق الثانى وهو المواقف السياسية فأنا لم أشترك فى أى مواقف سياسية ولم أوقع على أى بيان صدر فى المعتقل لأن المواقف السياسية والبيانات التى كانت تصدر فى السجن كانت كلها بيانات تأييد لعبد الناصر فى أى شىء يعمله، فى كل كبيرة وصغيرة يرسلون له برقية تأييد لدرجة أن أحد المعتقلين هتف وقال "سيظل عبد الناصر قائداً لنا وزعيما لنا رغم أنف الاستعمار وعملاء الاستعمار "تصورْ..!! ماذا يعنى هذا الكلام؟!.. عبد الناصر قائد دولة نعم لكن عبد الناصر قائد للشيوعيين لا.... وليس معنى ذلك أنى مغلق فقد سبق لى التطوع فى المقاومة الشعبية عام ١٩٥٦ وحملت السلاح أنا ورفاق آخرون ضد الاستعمار والعدوان، والفلاحون الذين كنا وسطهم، ومندوبو الحكومة، كانوا يقولون لنا نحن نعرف أنكم وطنيون وتدافعون عن لبلد، وعندما كانوا يضغطون علينا فى أبى زعبل حتى نهتف بحياة عبد الناصر، أنا وآخرون لم نكن نهتف وكنا نتعرض لضرب شديد، الحقيقة أنا لم أشترك فى مواقف سياسية من هذا النوع فى المعتقل لأنها تأييد دائم وذيلية دائمة.

لكن في الحقيقة لا يمكن أن أعيش وحدي منعزلاً عن الناس، إنما كل شيء كنت مقتنعًا به كنت أتعاون معهم فيه، كنت أتعاون مثلاً ونحن في الواحات في أدق العمليات التي يمكن أن توكل لأي شخص من زملائهم، وكانوا يوكلون إليّ تلك الأعمال على أساس الثقة- أشياء سرية جداً كنت أعمل معهم فيها، كذلك الحفاظ على الكتب الماركسية والمكتبة السرية ولم يضع مني شيء على الإطلاق وأعتقد أن هذا راجع للتدريب الذي تدربت عليه في النجم الأحمر.

لكن في عام ١٩٦٤ وعندما بدأ الحديث عن الإفراجات، لاحظت أن هناك اتصالات بين قيادة الحزب والحكومة وتسربت معلومات أنهم اتفقوا على حل الحزب وكان - الله يرحمه- شتله يقول لي : خسارة أنك لاتتعاون معنا، فرددت عليه : إذا لم تحلوا الحزب سوف أتعاون معكم، ونفى شتله هذا الكلام، وفعلاً بعد الخروج بدأت أتعامل معهم في الخارج، وكنت أنا وهو والمرحوم منصور زكي على موعد، غير أنه لم يحضر، وعرفت بعد ذلك أن الحزب قد تمّ حله، وطبعاً الذين اتفقوا مع الحكومة منهم من ذهب إلى الأهرام ومنهم من أصبح وزيراً، وهكذا .. ورغم ذلك فكثير من الزملاء رفضوا حل الحزب وكنت أتعاون معهم.

أبرز الرموز التى قابلتها

أما عن أبرز من قابلتهم فكان شعبان حافظ، وكنت معه في الواحات وهو رجل مناضل شيوعي أصيل وعامل نسيج ميكانيكي، وأنا لا أستطيع أن أقول تاريخه في كلمتين، فيه ناس جلست معه هناك وأخذت معلومات، وأعرف أنه كان مجال عمله ميكانيكي في الاسكندرية لأنه من هناك. هذا الرجل أرادوا أن يرحلوه لكبر سنه، فنزل مصر، وعندما طلبوا منه في الماضي أن يوقع على استنكار رفض وقالوا له: ستموت هناك فقال لهم: أشرف لي، وعاد فعلاً للواحات ومات هناك وأقيمت له جنازة عظيمة داخل السجن واعتقد أن هذه خاتمة عظيمة جداً لرجل مناضل منذ عام ١٩٢٤ .

حركة الانقسامات فى تنظيمات الحركة الشيوعية المصرية

أنا أرى أن حركة الانقسامات هذه نابعة من أنه لا يوجد وضوح بالنسبة للكادر هذا أولاً، وثانياً الحركة الشيوعية كان فيها بهو، وكانوا يوجهون هذه الانقسامات، وبدأت هذه الانقسامات مع ظهور ما يسمى بخط القوات الوطنية الذي قالت به حدتو ولأن هذا الكلام

ليس مصريا ولاماركسيا فإن هناك أناسا انفصلت عن هذا التنظيم وكان منها النجم الأحمر، الحقيقة أنا لا أدخل حزبًا وطنيًا أو جمعية خيرية. لا. أنا أدخل حزبًا اشتراكيًا. والانقسام كان مبنيًا على رؤى سياسية ضد الأفكار اليمينية، ولذلك لا ينبغي تسميته انقساماً ولكنه الفرز إلى يمين ويسار، وأنا لم أر خلافاً شخصيا، فحتى عندما حدث انقسام في الموحد تم تأسيس وحدة الشيوعيين التي هي الطليعة والتي كان فيها فوزي جرجس والماسترلي وإبراهيم فتحي، كذلك عندما كانوا يقولون حكومة وطنية كانوا بذلك يريدون ويحاولون إبعادنا عن الماركسية.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية

أرجوا ألا يغضب مني المثقفون، المثقفون هم عنصر هذه الأزمة لأنهم - وهذا واضح - السبب في حل الحزب وواضح في الاتجاهات السياسية فهي قد بعدت عن الاشتراكية وكان المثقفون هم قيادة تلك الاتجاهات، وحتى في المستويات العليا، كانت الطبقة العاملة فيها قليلة العدد وأصواتهم لا قيمة لها... والأزمة تحل عندما تكون الطبقة العاملة هي التي في القيادة وهذا درس ينبغي أن تعيه الحركة الشيوعية. طبعاً هناك عوامل أخرى مثل الاضطهاد والمطاردة والتعذيب والظروف الاجتماعية التي تغيرت والتحطيم الذي تم.. مناضل والحركة الشيوعية في مجموعهم ذاقوا المر، تبهدلوا، والمثقفون أكملوا على الموضوع.

اجراءات يوليو ١٩٦١ لم يكن لها دور في تفاقم الأزمة

لا إجراءات يوليو ولا غيرها كان يستطيع عمل أزمة في الحركة الشيوعية طالما كان هناك حزب قوي شيوعي حقيقي وموجود في وسط الطبقة العاملة والفلاحين، لكن الأزمة الأساسية أنه لم يكن هناك هذا الحزب القوي على الساحة والمرتبط بأصحاب المصلحة الحقيقية.

الشيوعيون الذين أدوا أدواراً نضالية في الحركة

كل الناس بشكل عام قدموا تضحيات، حتى الناس الذين كانوا في الاتجاه اليميني أيضاً قدموا تضحيات، لكن هناك زملاء يمثلون قيماً ومثلاً رفيعة في النضال، وليس من المعقول أن أستطيع وحدي تذكر تاريخهم المجيد مثل عدلي جرجس وفوزي جرجس فهؤلاء على قمة العناصر، كانوا فعلاً قادة بمعنى الكلمة وقدموا أفكاراً وربوا أناسًا والحركة الشيوعية بشكل

عام تحترمهم لمجهوداتهم الثورية... حتى شهدى عطية الشافعى الذى ذهب ضحية النظام الذى كان يؤيده، إنما العناصر التى أحكى عنها مثل سعد لبكار من القاهرة وأحمد البكار من الإسكندرية وكثيرون آخرون ماتوا بعد خروجهم من المعتقل مباشرة نتيجة لما جرى لهم من تعذيب. كانوا عناصر لها دور فى الحركة الشيوعية وكانوا أناساً مناضلين وكانوا ثوريين وكانوا يحملون الفكر الماركسى بمعنى الكلمة، وكانوا يؤمنون بالطبقة العاملة رغم أنهم مثقفون.. هناك ناس كثيرون مثل سيد أمين من العمال ومحمود العسكرى من شبرا الخيمة.. ناس كثيرة لهم قيمتهم وحياتهم التى ضحوا بها فى الحركة الاشتراكية.

الشهادات التى سبق أن أدليت بها

لقد أدليت بشهادات فى قضايا التعذيب وقدمت أكثر من خمسين شهادة فى المحكمة وهذه أول مرة أقدم فيها هذه الشهادة.

ومن أجل مزيد من التفاصيل اقترح أخذ شهادة

بعض العناصر العمالية مثل نجاتى عبد المجيد وسيد عبد الوهاب ندا، من الممكن أن يكونوا حجة قوية لأنهم من العمال وممكن حتى لو اختلفوا معى فى الرأى، إنما هم رجال معتدلون ويحبون الحق ويضعون كل شيء في مكانه، أما عن المثقفين فليس فى ذهنى أحد الآن، ناس كثيرة ماتت ونحن نقول هناك أزمة والعملية حدث فيها فوضى.

هذه شهادتى وأوافق على نشرها.

شهادة

رمسيس لبيب

البيانات الشخصية

الاســــــــم : رمسيس لبيب غبريال

محل وتاريخ الميلاد : ٤ أغسطس سنة ١٩٣٨ بغيط العنب بقسم كرموز بالإسكندرية.

المــؤهــلات : ليسانس الحقوق عام ١٩٦٠.

والعمل بالمحاماة عدة شهور ثم العمل باحثاً بالجهاز المركزى للمحاسبات (ديوان المحاسبة) ثم محققاً بشركة الإسكندرية للمجمعات الاستهلاكية بعد الإفراج عنى بعام بسبب رفض اعادتى إلى عملى بالجهاز، ثم العودة للعمل بالجهار اعتباراً من مايو عام ١٩٦٨.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٨ عامًا وأربعة شهور.

فترة السجن أو الاعتقال : الحبس على ذمة لقضية رقم ٣٠٩٥ لسنة ٦٢ أمن الدولة اعتباراً من ١٢/١٠ سنة ١٩٦٢ وصدور الحكم بالسجن خمس سنوات ثم الإفراج عنى ١١/٧ سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

كان والدى مقاولاً صغيراً لأعمال البناء، وكان يجبرنى على العمل فى الإجازات الدراسية مع عماله من الفعلة والبنائين والنجارين، ومن خلال عملى ومعايشتى لعمال أبى أدركت استغلال أبى لهم فانحزت إليهم، وكنت أدافع عنهم فى مواجهة أبى، ثم عرفت الطريق إلى القراءة فى نحو الثالثة عشرة عن طريق شاب كان يسكن بيتنا وكان يعمل كواء وكان صعلوكًا وسكيراً، وعن طريقه تعرفت على الأدب الروسى وخاصة كتابات مكسيم جوركى، ومن خلال الأدب الروسى وكتابات سلامة موسى وخالد محمد خالد اقتربت من الاشتراكية، وفى نحو السادسة عشرة قرأت كتابًا عن كارل ماركس لا أذكر إسم مؤلفه أو مترجمه فأعجبت بالماركسية مع بعض التحفظات والتساؤلات.

وكان لإثنين من أساتذتى فى دراستى الثانوية تأثير خاص، الأول مدرس الفلسفة فى السنة الثانية الثانوية، وقد علمنى بالإيجاب وبالسلب التمسك بالعقيدة والمبدأ، بالإيجاب وذلك عبر دروسه وأحاديثه الخاصة إذ كان يخصنى بشئ من اهتمامه، وعندما فصلت من المدرسة لمجاهرتى برأى مضاد للعقيدة الدينية والتقيت به فى الخارج شد على يدى بطريقة لا أنساها حتى الآن، وقال،

- التمسك بالمبدأ.

وعلمنى بالسلب. فقد قبض عليه واختفى شهوراً عام ١٩٥٥ وعاد محطماً يتجسد اليأس فى ملامح وجهه وشفته الممدودة دائما فى تبرم وإهماله لعمله وصمته شبه الدائم دون أن يفصح لى برغم إلحاحى بشئ عما حدث له، وإن كنت قد أدركت وقتها أنه تعرض للتعذيب فتخلى عن عقيدته، ولابد أن طريقته وهيئته بعد الإفراج عنه بقدر ما أشعرتنى بخيبة الأمل قد نفرتنى من تخلى الإنسان عن عقيدته.

والثانى، الأستاذ فاضل زكى مدرس اللغة الفرنسية فى السنة النهائية بالدراسة الثانوية والذى أثر فىَّ بأحاديثه المتفرقة عن الاشتراكية وقد أخبرنى - وكان على وشك الإحالة للمعاش - أنه كان عضوا بالحزب الشيوعى الفرنسى فى أثناء دراسته بفرنسا، ودارت الأيام وقمت بتجنده للعمل بالتنظيم عام ١٩٦١.

وفى أثناء تطوعى بالحرس الوطنى (كتيبة كلية الحقوق - لواء جامعة الإسكندرية) فى فترة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ إلتقيت فى معسكر كلية الهندسة بالزميل عبد الفتاح موافى، ودارت مناقشات بيننا حول الماركسية حسمت مسألة انحيازى إليها، وإن لم يعرض علىَّ عبد الفتاح موافى الانضمام إلى تنظيم معين.

المواقف السياسية السابقة للإنضمام للحركة الشيوعية

فى صباى الباكر كنت أميل إلى الوفد وأعجبت كثيراً بمصطفى النحاس، واشتركت وأنا فى المدرسة الإبتدائية فى المظاهرات ضد الاستعمار والملك، وعندما دخلت المدرسة الثانوية (مدرسة المرقسية الثانوية بالإسكندرية) عام ١٩٥١ إشتركت فى المظاهرات عامى ١٩٥٢/١٩٥١ وكنت أحد العناصر النشيطة فى تحريك مظاهرات المدرسة.

وفى أواخر عام ١٩٥١ أحرقت كنيسة فى رمل الإسكندرية، فاتجهت إلى التعصب الدينى، وكونت مجموعة من حوالى ثمانية من الطلاب للإنتقام لحرق الكنيسة وما اعتبرته اضطهاداً للمسيحيين. وسرعان ما تفرقت هذه المجموعة، وانتهزت حينذاك فرصة الإحتفال بعيد مارى جرجس فى حينا الذى كانت تسكنه نسبة كبيرة من الأقباط، وحولت الموكب الدينى الذى كان يسير فى شارع الكنيسة إلى مظاهرة دينية كبيرة. ولم يستمر هذا التعصب الدينى سوى شهور قليلة.

التنظيمات التى ارتبطت بها ونشاتها والوحدات والانقسامات التى مرت بها :

لم يحدثنى الزميل عبد الفتاح موافى - كما سبق أن ذكرت - فى شأن الانضمام إلى تنظيم معين، ولكن فى أثناء التطوع فى الحرس الوطنى وبمعسكر كلية الهندسة تعرفت بعدد من الزملاء الذين كانوا معروفين بين الطلبة بأنهم شيوعيون وأعجبت بحماسهم وسلوكهم، ومنهم الزميل متولى السلماوى، وفور تسريح الحرس الوطنى فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٦ وعودتنا إلى الكلية عرض علىَّ متولى السلماوى الانضمام إلى منظمة «طليعة العمال» فقبلت وتشكلت مجموعة من الزميل فؤاد مصطفى ومنى، وأذكر أنه فى أول إجتماع أعطانى الزميل متولى كتاب لينين «الإستعمار أعلى مراحل الرأسمالية» وكمية من المنشورات لتوزيعها دون أن يكون لدى الخبره بذلك فقمت بإلقائها فى مداخل البيوت ليلاً.

وفى الحى الذى كنت أعيش فيه (غيط العنب - كرموز) كان يوجد بعض الأشخاص المعروفين كشيوعيين منهم نجيب غبريال، وتوفيق فانوس، ومقار خلف الشهير بالنمر، وعلى الحجار، وكانت أسرتى تعرف أسر أكثر أولئك الزملاء وبصفة خاصة أسرة نجيب غبريال. لم أكن أعرف بوجود تنظيمات شيوعية متعددة فالتقيت بنجيب وحدثته فى ضرورة التنسيق بيننا باعتبارنا أبناء حزب واحد، وفاجأنى نجيب بالقول بأنه لا يوجد حزب واحد وإنما تنظيمات متعددة، وصارحنى بأنه عضو فى منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» التى تختلف عن التنظيمات الأخرى، وحدثنى عن الخلافات بين المنظمات وكانت صدمة كبيرة بالنسبة لى، وطلبت منه أن يعطينى مطبوعات منظمته، وقررت أن أقرأ مطبوعات المنظمتين لاختيار واحدة للارتباط بها.

وطوال حوالى شهرين ودون أن أخبر الزميل متولي السلماوى بشئ كنت أقرأ ما أحصل عليه من مطبوعات المنظمتين، وأناقش الزميلين فى الخلافات بين المنظمات، ثم قررت الارتباط بمنظمة (طليعة الشعب الديمقراطية) وأخبرت الزميل متولى السلماوى بأن ظروفى الخاصة لا تسمح لى بمواصلة الكفاح، وأننى سأضطر لترك التنظيم، ورفضت محاولته الحديث معى فى تلك الظروف الخاصة بحجة أنها خاصة جداً.

وكانت منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» منظمة صغيرة كونها فوزى جرجس من بعض الرفاق الذين رفضوا الدخول فى وحدة «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» عام ١٩٥٥، وكانت تعتبر امتداداً لمنظمة «نواة الحزب الشيوعى المصرى» التى كونها فوزى عام ١٩٤٩. وامتداداً

للعصبة الماركسية» التى تكونت فى الأربعينيات كانقسام فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

كان يتولى قيادة العمل فى الإسكندرية - كما عرفت بعد ضربات عام ١٩٥٩ - الرفاق شعبان حافظ ومحسن الخياط عضوا اللجنة المركزية وأحمد البكار. وكان عدد أعضاء التنظيم صغيراً ولم يكن يوجد به مستويات أقسام. وعملت مع نجيب غبريال لفترة قصيرة ثم انضممت إلى مجموعة كان مسئولها الرفيق أحمد البكار وكان من أعضائها الرفيقان أمين أبو السعود وعادل حسونه.

وكان عملى موزعًا بين الجامعة والحى. فى الجامعة كان نشاطى ثقافيًا، ومما يذكر أننى جمعت عدداً من الطلاب من الكليات المختلفة وأصدرنا مجلة «الجامعة» التى أشرفت على تحريرها ولم يصدر منها سوى عدد واحد بسبب الافتقار إلى الإمكانيات المادية.

وبعد ما تمت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ بين المنظمات الثلاث الكبيرة، والتى رفضها تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» لأنها قامت على أساس الوحدة الاندماجية وليس بأسلوب اللجنة التحضيرية والصراع الفكرى حول المقومات والذى يتوج بالمؤتمر، عرض فى التنظيم موضوع الوحدة مع منظمة «وحدة الشيوعيين» وكان يوجد فى تنظيمنا وجهتا نظر، وجهة نظر تقول بالوحدة الاندماجية مع منظمة «وحدة الشيوعيين» لعدم وجود خلافات بين المنظمتين، ووجهة نظر أخرى تقول بضرورة الالتزام بالأسلوب الذى نرى أنه الأسلوب الثورى الوحيد وهو أسلوب اللجنة التحضرية والصراع الفكرى والمؤتمر، وعقدت كونفرنسات. عقد واحد منها بالإسكندرية إنتهى أغلب المشاركين فيه - وكنت منهم - إلى ضرورة الالتزام بأسلوب اللجنة التحضيرية والصراع الفكرى. ولكن أغلب أعضاء التنظيم رأوا الأخذ بأسلوب الوحدة الاندماجية، وتمت الوحدة وتكونت منظمة «الطليعة الشيوعية» التى خرج منها عشية تأسيسها رفاق منظمة وحدة الشيوعيين.

وفى صباح سنة ١٩٥٩ أبلغنى الرفيق أحمد البكار بأنه تم اعتقال أغلب أعضاء اللجنة المركزية للتنظيم، وأنه قد صدر قرار بأن اشترك معه فى مسئولية العمل بالاسكندرية، وبأن أكون احتياطى لجنة مركزية، وفى حالة القبض عليه - والذى كان متوقعًا لسبق اعتقاله- سيتم الاتصال بى من القاهرة وأكون عضواً باللجنة المركزية للتنظيم.

واشتركت مع الرفيق أحمد البكار فى مسئولية العمل بالأسكندرية، ولم يكن أعضاء التنظيم يزيدون عن خمسة عشر من المتوقع اعتقال الكثيرين منهم. وفى حملة ٢٨ مارس

١٩٥٩ اعتقل أحمد البكار والرفاق الذين سبق اعتقالهم، وبقى نحو سبعة من أعضاء التنظيم.

وحضر الزميل نجاتى عبد المجيد إلى الإسكندرية، وكان هو والزميل حسنى تمام عضوى اللجنة المركزية الهاربين، وتم تنسيق العمل. ثم اعتقل حسنى تمام بعد فترة قصيرة، واشتركت مع الزميل نجاتى عبد المجيد فى مسئولية العمل حتى اعتقل فى يولية عام ١٩٥٩.

وبعد اعتقال نجاتى عبد المجيد لم يعد لى صلة بالقاهرة إلا ببعض عائلات الرفاق المعتقلين وزوجة الزميل محمود المنسترلى التى كانت تمدنى بالتبرعات التى كانت تقوم بجمعها، وكان يقوم عليها العمل التنظيمى إلى جانب الاشتراكات الضئيلة، ولم تكن تلك التبرعات تزيد عن عشرين جنيهاً كان يدفع جزء منها لعائلة فوزى جرجس.

واستمر العمل أساساً فى الإسكندرية، وبسبب المناخ المعادى للشيوعية تركنا بعض الزملاء، وارتبط بنا أشخاص جدد وتركونا بعد فترة، ولم يبق معى أكثر من خمسة زملاء.

كان الهم الأساسى لنا هو إصدار منشورات باسم التنظيم تتحدث عن أحوال المعتقلين وتطالب بالإفرج عنهم كما تتحدث عن ديكتاتورية عبد الناصر.

كان توزيع المنشور الذى نصدره يتم فى ليلة واحدة فى عدة أحياء متباعدة بهدف إظهار القوة، ولكى نبين لنظام عبد الناصر أن الشيوعيين لم يقض عليهم برغم حملات الاعتقال والهجوم الشرس عليهم، وعندما اتسع نطاق عملنا قليلاً وأصبح لنا زملاء فى دمنهور التحقت أنا بالعمل فى القاهرة فى ٤ فبراير سنة ١٩٦١ كان يتم توزيع المنشورات فى القاهرة ودمنهور والإسكندرية فى ليلة واحدة.

وعندما انتقلت للعمل بالقاهرة أشركت معى الزميل محمود ندا فى قيادة التنظيم. وفى مستهل عام ١٩٦١ كان عدد أعضاء التنظيم قد وصل إلى نحو عشرين عضواً موزعين بين الإسكندرية ودمنهور والقاهرة وإحدى قرى محافظة البحيرة. وكان اهتمامنا موجهاً نحو بناء التنظيم وتدعيمه كما كنا قد بدأنا فى إصدار النشرة الداخلية للتنظيم وهى «التنظيم الشيوعى».

وفى عام ١٩٦١ أفرج عن الزميل محمود المنسترلى الذى كان عضواً باللجنة المركزية للتنظيم، وأبلغنى أن تنظيم الطليعة الشيوعية حدث فيه انقسام وتحلل بمعتقل الواحات، ولم يعد له وجود، وكانت صدمة كبيرة لى.

كنت أعتقد حينذاك أن تنظيم «الطليعة الشيوعية» هو التنظيم الثورى الوحيد، وأن التنظيمات التى كونت حزب ٨ يناير سنة ١٩٥٨ كانت تسيطر عليها الانتهازية فاستبدت بى الحيرة، رفضت عرض الزميل محمود المنسترلى بالعمل معًا خاصة وقد استوقفنى خروجه المبكر من السجن وطلبه للخريطة التنظيمية فى اللحظات الأولى من لقائنا، وبعد الحيرة والتفكير لعدة أيام انتهيت إلى أن الحل الوحيد هو تكوين تنظيم شيوعى جديد يكون بداية للحركة الشيوعية المصرية.

كتبت دراسة عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية الذى كنت أعرف خطوطه العامة بطريقة لا بأس بها من تقرير كنت قد قرأته فى بداية ارتباطى بمنظمة «طليعة الشعب الديمقراطية»، وأعتقد أن كاتبه كان إما الرفيق شعبان حافظ عضو الحزب الشيوعى الأول فى العشرينيات والذى كان أحد قادة المنظمة، أو الرفيق مارسيل إسرائيل، وانتهيت من الدراسة إلى أن مشكلة الحركة الشيوعية المصرية تتمثل فى سيطرة الانتهازية التى خربتها بأربع وسائل، هى تركز الحركة فى وسط البورجوازية الصغيرة وخاصة المثقفين، ومنع تثقيف الكادر بالماركسية اللينينية وعدم توصيل الوعى الماركسى إلى الطبقة العاملة، والعمل بلا مقومات وهى الاستراتيجية والتكتيك والبرنامج واللائحة، ومحاربة تأسيس الحزب الواحد بالأسلوب الثورى وهو أسلوب اللجنة التحضيرية والصراع الفكرى والمؤتمر، والحرص على أن تتم كل الوحدات بأسلوب الوحدة الاندماجية حتى تكرس الانقسامية والتشرذم.

وخلصت من الدراسة إلى ضرورة بداية جديدة للحركة الشيوعية المصرية، ضرورة وجود نواة ثورية تضم مناضلين ثوريين وتنعطف نحو العمال والفلاحين حتى يكون تشكيلها وجذورها من الطبقة العاملة والفلاحين، وأن يكون لهذه النواة مقوماتها، وأن عليها أن ترفع عندما يتم الإفراج عن الشيوعيين شعار الوحدة على أساس اللجنة التحضرية والصراع الفكرى وذلك لتأسيس الحزب.

وتم عقد كونفرنس فى دمنهور حضره ستة من الكادر الجديد والرئيسى فى التنظيم. ونوقش التقرير وتمت الموافقة عليه، كما نوقش مشروع اللائحة الداخلية الذى قمت بإعداده. وهكذا تكونت «نواة الحزب الشيوعى المصرى» فى أول عام ١٩٦٢.

وانطلق العمل

قمت بإعداد برنامج تثقيفى لتثقيف أعضاء التنظيم بالماركسية اللينينية يستغرق عامين وينتهى بدراسة كتاب رأس المال لماركس، وكتبت مجموعة محاضرات فى قضايا الماركسية،

كما بدأنا الإعداد للاستراتيجية فكتبت دراسة فى تاريخ مصر الاقتصادى والسياسى فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٤ أستناداً إلى كتابى فوزى جرجس وشهدى عطية الشافعى وكتب أخرى، وقد كانت تلك الدراسة ضمن مضبوطاتى عندما قبض عليّ.

وبالرغم من بدء العمل لبناء التنظيم الجديد وتثقيف أعضائه والشروع فى وضع مقوماته ظل يسيطر على تفكيرنا وعملنا إصدار المنشورات كما كان يحدث من قبل، لم نعط لأنفسنا فرصة كمون لتأسس لتنظم وبنائه فى أمان، ولعل ذلك كان الخطأ القاتل الذى ساعد على كشفنا وضربنا.

وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٢ قبض عليّ وعلى سبعة من أعضاء التنظيم ونحن نستعد لتوزيع المنشور رقم (٢) باسم «نواة الحزب الشيوعى المصرى»، وكان يتحدث عن التعذيب فى السجون والمعتقلات، وضبط فى بيتى ٥٠٠ نسخة من المنشور معدة للتوزيع فى القاهرة، ونسخة من مشروع اللائحة الداخلية، فضلاً عن الدراسة الخاصة بتاريخ الحركة الشيوعية، والدراسة الخاصة بتاريخ مصر فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٤.

ظننت أننى الوحيد من أعضاء التنظيم الذى قبض عليه فقررت تحمل مسئولية كل المضبوطات ما كان منها بخطى وما لم يكن بخطى والقول بأننى معد كل الكتابات لتعبير عن رأيى ككاتب شيوعى فى نظام عبد الناصر، والدفاع عن الشيوعية، وأخبرت بذلك زوجتى التى كانت عضوة فى التنظيم وتشاركنى الطاعة والتى أخذت واحتجزت ليلتين فى مبنى المباحث العام، ونحن فى الطريق إلى المباحث العامة، وطلبت منها أن تخبر محمود ندا الزميل الذى أشركته معى فى مسئولية العمل بذلك، وباسم من أشك فى أنه مصدر الضربة، وأن تطلب منه التوقف عن إصدار أى شئ لمدة شهرين أو ثلاثة حرصاً على الأمان، ولكن بعد حجزى عدة أيام بمبنى المباحث العامة علمت بالقبض على الزملاء لسبعة من الإسكندرية ودمنهور واعتراف أكثرهم تحت تأثير الاعترافات التفصيلية والإدانه للشيوعية من قبل اثنين من الزملاء الأساسين فى التنظم، ووجهت بالاعترافات وبقيام الزملاء الذين يعرفوننى بإخراجى من طابور العرض فأيقنت بفشل تجربة إنشاء التنظيم الجديد، خاصة وأن الرفاق الذين كانوا بالخارج وكنت على صلة بهم لم يكونوا قادرين على الاستمرار فى تأسيس التنظيم الجديد.

تحملت مسئولية كل المضبوطات التى ضبطت معى، وأنكرت معرفتى بأحد من المقبوض عليهم، ودافعت عن الشيوعية والشيوعيين وموقفى السياسى فى تحقيق النيابة. وبعد أسبوع

رحلت إلى سجن القناطر الخيرية، ورحل الزملاء الآخرون إلى سجن دمنهور، وفي طريقي إلي لقناطر قررت حرصًا على الاستمرار في النضال الانضمام إلى التنظيم الذى يضم أغلب الشيوعيين المصريين مهما كانت خلافاتي مع سياساته.

وفي سجن القناطر حدد عسكرى الامانات التنظيم الذى انضممت إليه إذ سألنى وهو يأخذ ملابسى واشيائى الخاصة عمن ارغب فى الذهاب إليهم. المعارضين أم المؤيدين؛ فسألته عمن يقصد بالمعارضين والمؤيدين؟ فقال إنه يوجد شيوعيون يؤيدون عبد الناصر وآخرون يعارضونه فطلبت منه أخذى إلى المعارضين فسلمنى إلى من أوصلنى إلى زملاء حزب ٨ يناير الذين أسماهم الرفاق الآخرون بعد الانقسام الذى حدث عام ٥٨ بالتكتل وكانوا يشغلون نصف دور ٦ من عنبر «ب».

كان فى قيادة الحزب بالقناطر الزملاء سامى عجيب ونسيم يوسف وأحمد الجبالى وسعد بطرس الطويل، وبعد استقبالهم لى أخبرتهم بكل شئ، ووضعت نفسى تحت تصرف الحزب فتقرر ترشيحى حتى يصل قرار الاتهام.

واكتشفت وجود الرفاق الآخرين الذين كانت إدارة السجن تسميهم بالمؤيدين وكان رفاق الحزب يسمونهم بالمنقسمين، والذين كانوا يقولون بوجود مجموعة اشتراكية وأن النظام يسير فى طريق النمو اللا رأسمالى، وأجريت حوارات مع اولئك الرفاق لأحدد موقفى، كما أجريت حوارات مع الرفاق الذين ارتبطت بهم والذين كان حزبهم يرى فى ذلك الوقت أن سلطة عبد الناصر تمثل الاحتكار وشبه الاحتكار ويرفع شعار الإسقاط، وبعد نحو أسبوعين إنتهيت إلى البقاء فى حزب ٨ يناير (ما كان يسمى بالتكتل) بالرغم من أننى كنت أختلف مع تقييمه لطبيعة السلطة كما سأذكر فى صدد تقييمى حينذاك لسلطة عبد الناصر.

وجاء قرار الاتهام بعد حوالى عشرة شهور فصحت عضوية الحزب، وطلبت الموافقة على قيامى بالدفاع عن عضوية الحزب فى المحاكمة لأننى سأفقد، باعتبارى مؤسسًا لتنظيم «نواة الحزب الشيوعى المصرى» فوافقت المنطقة الحزبية على قيامى بالدفاع عن عضوية الحزب فى إطار الدفاع السياسى الذى تقدمت به فى تحقيق النيابة.

وسرعان ما جاء الرفاق الآخرون من دمنهور، ودخلوا فى إضراب عن الطعام لمدة ثلاثة أيام لحضور النيابة وتغيير أقوالهم التى أدلوا بها تحت تأثير الضرب والتهديد، وبالفعل حضرت النيابة وتم تغيير أقوالهم.

وخلال شهور يونيه ويوليه وأغسطس وبعد الإفراج عن كل المعتقلين والمسجونين باستثناء قضيتنا والزملاء في قضية أخرى تمت محاكمتنا، وقدمت دفاعًا عن الشيوعية وعن موقفي من نظام عبد الناصر وعن عضوية الحزب، وصدر الحكم بسجني خمس سنوات.

وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٤ أفرج عني وعن زملاء قضيتي والزملاء المتبقين من آخر قضايا الحزب والتي كان منهم فيها الزملاء محمود علام وحسن بيومي وعبد المحسن شاشة وآخرين.

مدى ارتباط التنظيمات التي انضممت إليها بالطبقة العاملة

ما أعرفه أن تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعده تنظيم «الطليعة الشيوعية» كان به عدد قليل من العمال أبرزهم الزميل نجاتي عبد المجيد وكان أغلب أعضاء التنظيم من المثقفين. ولا أعرف شيئا عن تفاصيل نضالات أي من التنظيمين داخل صفوف الطبقة العاملة.

وعند تكوين منظمة «نواة الحزب الشيوعي المصري» الجديدة تكونت أساسًا من الموظفين وطلبة الجامعة.

مدى الارتباط بالفلاحين

لا أعتقد أنه كان لتنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعده تنظيم «الطليعة الشيوعية» أي ارتباط بالفلاحين.

وعند تكوين «نواة الحزب الشيوعي» استقر الزميل عبد المنعم رزق بقريه «عزبة نصار بالبحيرة» وبدأ في عمل علاقات كما شرع في كتابة دراسة عن أوضاع الفلاحين في المنطقة لبدء العمل بينهم.

وقد ترددت مرات على القرية، وأصبح لي فيها أصدقاء بينهم عناصر فلاحية كنت أحاول أن أطور علاقاتي بهم.

المجلات التنظيمية والجماهيرية، والكتب والدراسات عن الواقع المصري

كان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» يصدر النشرة الجماهيرية «صوت الشعب» والنشرة الداخلية «التنظيم الشيوعي». وبعد تكوين «الطليعة الشيوعية» بوحدة «طليعة الشعب الديمقراطية» و«وحدة الشيوعيين» والتي تشكلت عشية إتمامها احتفظ التنظيم الجديد بأسماء نشراته.

وبعد الاعتقالات أصدرنا أعدادًا من «صوت الشعب» وعددًا واحدًا من «التنظيم

الشيوعي» وعند تكوين «نواة الحزب الشيوعي المصري» أصدرنا عدداً من «التنظيم الشيوعي» وركزنا عملنا في إصدار المنشورات التي وعدنا في أحدها بإصدار جريدة «الثورة» لتكون جريدة التنظيم.

وبالنسبة للكتب لم يصدر من «طليعة الشعب الديمقراطية» غير كتاب فوزي جرجس «دراسات في تاريخ مصر منذ العصر المملوكي» وكان المعروف لدينا أن كتابة فوزي لهذا الكتاب مقدمة لوضع مقومات التنظيم.

وقد أصدر تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» في ديسمبر ١٩٥٧ خطة سياسية بعنوان «خطتنا السياسية – مشروع تاكتيك مقدم إلى المؤتمر الأول للمنظمة» والمعروف أنه لم ينعقد أي مؤتمر. وقد عبرت الخطة السياسية – وقد قدمت إلى لجنة التوثيق – عن موقف التنظيم من سلطة عبد الناصر.

ولأن التنظيم لم يضع استراتيجية فإنه لم يحدد موقفاً واضحاً من قضية الثورة الاشتراكية وهل تحقيقها يتم عبر مرحلة واحدة أم مرحلتين، وإن كانت بعض كتابات التنظيم قد عبرت عن السعي لتكوين جبهة وطنية تكون القيادة فيها للطبقة العاملة لإقامة الديمقراطية الشعبية التي تنجز مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية ثم تضع أسس الاشتراكية، وذلك دون الفصل بين الثورة الديمقراطية والاشتراكية.

دور المحترفين

ما أعرفه أنه لم يكن بتنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ولا «الطليعة الشيوعية» محترفون. وبعد حملات الاعتقال، وفي عام ١٩٦٠ طلبت من الزميل ابراهيم حلمي ترك عمله بقنا والاحتراف بالقاهرة خاصة وأنه بعد اعتقال الزميل نجاتي عبد المجيد قطع الاتصال بمن تبقى من أعضاء التنظيم بالقاهرة، ولكن الزميل إبراهيم حلمي الذي أشركته معي في مسئولية العمل لم يقدم شيئاً وقبض عليه بعد شهور قليلة.

موقف التنظيمات التي ارتبطت بها من التنظيمات الأخرى

كانت منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» ترى أن الانتهازية قد سيطرت على قيادة الحركة الشيوعية المصرية، وأنه لابد لوجود الحزب الشيوعي الواحد من تكوين لجنة تحضيرية تشارك فيها كل المنظمات، وتدير الصراع الفكري حول المقومات والذي ينتهي بعقد المؤتمر الذي يقر

المقومات وينتخب القيادة. ولم يلتزم التنظيم بهذا الموقف فى وحدته مع منظمة «وحدة الشيوعيين» عام ١٩٥٨ بعد اتمام وحدة ٨ يناير بين المنظمات الثلاث الكبيرة.

وعند تكوين «نواة الحزب الشيوعى المصرى» فى أول عام ١٩٦٢ كنت أتبنى نفس النظرة السابقة الخاصة بسيطرة الانتهازية على الحركة. وكنت أستهدف بتكوين المنظمة الجديدة خلق تيار ثورى بغرض الوحدة بأسلوب الصراع الفكرى والمؤتمر التأسيسى بعد الإفراج عن المعتقلين.

ولا أعرف شيئاً عن حدوث تنسيق تم بين طليعة الشعب الديمقراطية ومن بعدها الطليعة الشيوعية وبين تنظيمات أخرى فى مجال محدد.

الموقف من لاجانب واليهود فى الحركة

كان موقف «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعدها «الطليعة الشيوعية» امتداداً لموقف «العصبة الماركسية» و«نواة الحزب الشيوعى المصرى القديم» وهو موقف يرفض وجود الأجانب واليهود فى قيادة الحركة. وذلك تحت شعار التمصير.

الموقف من سلطة يولية وتنظيماتها المختلفة

كان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعده تنظيم «الطليعة الشيوعية» يريان أن سلطة يوليه تمثل الرأسمالية الكبيرة. وأن هناك تناقضاً رئيسياً بين الاستعمار وبين الشعب المصرى بمختلف طبقاته باستثناء حفنة صغيرة من الخونة والعملاء. فى حين أن التناقضات بين الطبقات المختلفة فى مركز ثانوى وتابع. ولكنها تظل موجوده وتمارس دورها كتناقضات ثانوية وعلينا ألا نتجاهلها وألا نؤيد البورجوازية الحاكمة تأييداً كاملاً أو مطلقاً.

جاء فى «خطتنا السياسية» الصادرة عن تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» فى ديسمبر ١٩٥٧ «... ومن ثم فإن واجب الشيوعيين والمصريين هو الملاءمة بين هذه التناقضات الداخلية وبين التناقضات الخارجية، وهى مسألة يمكن ويجب أن تنسق فى الوقت الحالى بشكل يؤدى إلى انجاز المهمة العامة وهى تصفية النفوذ الاستعمارى والوقوف فى وجه تهديداته ومؤامراته، وتقتضى منا هذه الملاءمة ألا نسكت عن أحد هذه التناقضات بدعوى أن هذا يضر بالتناقض الرئيسى، ومن ثم فإن إغفال مشاكل الشعب وحرياته الديمقراطية أمر خاطئ من أساسه، والسليم هو عدم إغفال هذه المطالب، ولكن يراعى فى المطالبة بها عدم إعطائها مركز الصداره بحيث تصبح هى التناقض الرئيسى بوعى أو بدون وعى».

وكان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ينادى بتكوين الجبهة الديمقراطية. فقد جاء في «خطتنا السياسية» : «.. وعندما تكون الحلقة الرئيسية هى الكفاح من أجل الديمقراطية يصبح الشكل التنظيمى الواجب تحقيقه هى الجبهة الديمقراطية .. وبشكل أكثر تحديداً فإن هذه الجبهة يجب أن تضم الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية المتوسطة والأجزاء من البرجوازية الكبيرة غير المرتبطة بالاستعمار».

وكان التنظيمان المذكوران يرفضان دخول الاتحاد القومى باعتباره حزب البرجوازية الذى نشأ بشكل فوقى ومعزول عن الجماهير، وإن كان يمكن تسريب بعض العناصر غير المعروفة إلى داخله.

وبالنسبة لى قبل انضمامى إلى «طليعة العمال» فى أواخر عام ١٩٥٦ ثم إلى «طليعة الشعب الديمقراطية» أوائل عام ١٩٥٧ فقد تحمست لحركة يولية ١٩٥٢ التى قامت وأنا فى الرابعة عشرة لمواقفها من الملك والإنجليز والإصلاح الزراعى، ولكن بعد صدور الدستور الجديد فى يناير ١٩٥٦ وجدت أنه مقيد للحريات فأرسلت عدة رسائل مغفلة التوقيع لعبد الناصر أبين فيها أوجه معاداة الدستور للديمقراطية، وأطالب فيها بإصدار دستور ديمقراطى.

وعندما ارتبطت بمنظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» اقتنعت بوجهة نظرها بالنسبة لسلطة يولية وظل هذا الاقتناع طوال فترة الاستمرار فى النضال بعد الاعتقالات وحتى صدور قرارات التأميم عام ١٩٦١ التى كان لى تقييمى الخاص لها والذى سأوضحه فى موضعه.

الموقف من تأميم القناة والعدوان الثلاثى

بالطبع أيد تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» تأميم القناة وما أعرفه أن بعض أعضائها شاركوا فى الحرس الوطنى الذى تواجد بالاسماعيلية.

وبالنسبة لى فقد كنت فى ميدان المنشية بالاسكندرية الذى أعلن فيه جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ورقصت فرحاً عندما سمعت قرار التأميم. وفور وقوع العدوان الثلاثى سارعت بالتطوع فى الحرس الوطنى (كتيبة كلية الحقوق - لواء الجامعة) ولم أكن وقتها قد ارتبطت بالحركة الشيوعية، وفى معسكر كلية الهندسة تعرفت بعدد من الشيوعيين الذين أثاروا بسلوكهم وتصرفاتهم إعجابى وإعجاب غيرى.

الموقف من وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية والأحداث التى مرت بها المنطقة حينذاك

كان تنظيم «طليعة الشعب لديمقراطية» يطالب بالوحدة الفيدرالية بين الدول العربية ذات الاتجاهات الوطنية، وكان يرى أن تحقيق الوحدة مهمة الشعوب. جاء في «خطتنا السياسية» الصادرة عن التنظيم فى عام ١٩٥٧ :

«.. كما كشفت الأحداث السياسية أيضاً عن مدى تلاعب الدوائر الحاكمة فى القضايا الوطنية للشعوب فى المملكة السعودية والأردن ولبنان ولا نقول فى العراق فإن ارتباطها بحلف بغداد العدوانى أمر قديم، الأمر الذى يجعل مسئوليتنا جسيمة فى إثارة مسألة الوحدة الفيدرالية بين الدول العربية المتحررة .. وكان التحرش الاستعمارى الوقح بالشعب السورى دليلاً على أن الاستعمار لن يهدأ أو يكل عن تدبير مؤامراته للتطويح بالحكومات الوطنية الصامدة فى وجهه مما يجعل مسألة الوحدة الفيدرالية بين مصر وسوريا واجبة التنفيذ السريع».

وعندما تمت الوحدة بين مصر وسوريا أصدر التنظيم بيانا يطالب بأن تقوم الوحدة على أساس ديمقراطى.

الموقف من قرارات التأميم عام ١٩٦١

عندما صدرت قرارات التأميم عام ١٩٦١ لم أر أنها تشكل اتجاها نحو الاشتراكية لأننى كنت أرى أنه لبناء الاشتراكية لابد من سلطة «الطبقة العاملة» التى تحدث بثورتها تغييراً فى علاقات الإنتاج.

كان رأيى أن التأميم يوجد شكلاً من رأسمالية الدولة لجأت إليه سلطة عبد الناصر للخروج من مأزق التنمية التى تسعى إليها نتيجة لعدم توفر التراكم الرأسمالى، ولإحجام الرأسماليين المصريين عن الدخول فى المشاريع الكبيرة التى تستلزمها التنمية.

وفى البيان رقم (١) الصادر عن «نواة الحزب الشيوعى المصرى» أشرنا إلى أن عبد الناصر يهرج باسم الاشتراكية.

وفى مرحلة متقدمة وصلت إلى تحليل مفاده أنه بإجراءات التأميم وجد شكل من الانفصال الطبقى، فالسلطة تضرب الطبقة العاملة والمعبرين عن مصالحها من الشيوعيين والنقابيين، وفى نفس الوقت توجه ضربات أساسية للرأسمالية الكبيرة وجزء من الرأسمالية المتوسطة، ومن

ثم ونتيجة انفراد عبد الناصر بالحكم تدخل السلطة مرحلة انفصال طبقى، انفصال طبقى بالسلب نتيجة ضعف الطبقتين الأساسيتين، لا نفصال طبقى نتيجة توازن قوة تعجز فيه إحدى الطبقتين عن حسم موضوع السلطة لمصلحتها.

وهذا الانفصال الطبقى له ملامح بونابرتية ولكنه ليس بونابرتيًا تمامًا لاختلاف ظروف فرنسا فى ظل حكم لويس بونابرت عن ظروف مصر فى ظل حكم عبد الناصر، وهذا الانفصال موقوت بالضرورة، وإن كان يمكن أن يستمر لفترة نتيجة مساندة الاتحاد السوفييتى وبلدان المعسكر الاشتراكى لنظام عبد الناصر. وفى ظل هذا الانفصال يظل محتوى علاقات الإنتاج برجوازيًا لمصلحة الطبقة البرجوازية ككل.

وفى تحقيقات النيابة بعد القبض علىّ فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٢ عبرت عن وجهة نظرى الرافضة للقول بأن سلطة عبد الناصر تبنى الاشتراكية، وقلت إن الاشتراكية الحقيقية هى الإشتراكة العلمية، وأنه لا يمكن أن تبنى الاشتراكية إلا بسلطة الطبقة العاملة بقيادة حزبها الشيوعى.

وحين وصلت إلى سجن القناطر الخيرية كنت أتبنى وجهة النظر التى تقول بالانفصال الطبقى، وتناقشت فيها مع بعض الرفاق، وبدت غريبة فى نظر رفاق يقولون بتمثيل سلطة عبد الناصر للاحتكار وشبه الاحتكار أو تمثيلها للبرجوازية الوطنية، ورفاق يقولون بوجود مجموعة اشتراكية فى السلطة.

الموقف من الاتحاد السوفييتى وسياساته فى بناء الاشتراكية ومواقفه من حركات التحرر الوطنى

لم يكن لمنظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» ولا «للطليعة الشيوعية» ملاحظات نقدية على المرحلة الستالينية أو طريقة بناء الاتحاد السوفييتى للاشتراكية، وكنا كلنا ننظر إلى ستالين باعتباره قائداً ماركسياً عظيماً.

وبعدما هاجم خروتشوف جوزيف ستالين قوبل هذا الهجوم بعدم ارتياح، ومن جانبى ملت إلى تقييم الحزب الشيوعى الصينى فى كتيب «مزيد من خبرة ديكتاتورية البروليتاريا» للظاهرة الستالينية باعتبارها نتاجاً لعوامل ذاتية وموضوعية، وأعتقد أن أغلب رفاق التنظيم كانت لهم وجهة النظر هذه.

وبالنسبة لأحداث المجر عام ١٩٥٦ لم يكن للتنظيم ولا لي وجهة نظر مخالفة لوجهة النظر السوفييتية، ولم تتردد داخل التنظيم بقدر علمي ملاحظات ناقدة لسياسة الاتحاد السوفييتي أو علاقاته بحركات التحرر. كنت وكل من كنت أعرفهم من رفاق لتنظيم نشيد بسعى الاتحاد السوفييتي للتعايش السلمي وبمساعداته لحركة التحرر الوطني.

ولكن بعد أطروحات خروتشوف والمفكرين السوفييت حول طريق التطور اللارأسمالي ودولة الوطنية الديمقراطية وبناء الاشتراكية في مصر وبعض بلدان العالم الثالث كنت ضد هذه الأطروحات، وفي جلسات المحاكمة عام ١٩٦٤ - وكانت إحداها في أثناء زيارة خروتشوف لمصر - هاجمت ما يقال من أن عبد الناصر يبني الاشتراكية، وقلت بأن النظام الاقتصادي في مصر يقوم على أساس رأسمالية الدولة لأن الاشتراكية لا تبنى إلا بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي وعلى أساس علاقات إنتاج اشتراكية.

حل المنظمات الشيوعية

تنظيم «الطليعة الشيوعية» الذي كنت أنتمي إليه حتى نهاية عام ١٩٦١ حدث فيه انقسام داخل السجن وتحلل داخل الواحات وانتهى، وأترك الحديث عن ذلك للرفاق الذين عاشوا التجربة.

وبالنسبة للحزب الشيوعي المصري (حزب ٨ يناير) الذي انضممت إليه داخل السجن فبعد الإفراج عني ببومين (في نوفمبر ١٩٦٤) ذهبت إلى الرفيق فؤاد مرسي وكان يقيم وقتها بالاسكندرية، ووضعت نفسي تحت تصرف الحزب، وأدهشني أن الرفيق طلب مني أن آخذ أجازة لمدة شهر أستريح فيها وأحل مشاكلي فأخبرته أنني لست في حاجة إلى إجازة فأعطاني نسخة من تقرير طلب مني قراءته والعودة لمناقشته، وأدهشني التقرير الذي كان يتحدث عن النمو اللارأسمالي والتوجه الإشتراكي في مصر، وعدت بعد أيام لأناقش الرفيق فؤاد مرسي، وأعبر عن وجهة نظري الرافضة لما يذهب إليه التقرير.

وانتهى الأمر بضمي إلى مجموعة فيها الرفيقان متولي السلماوي وفؤاد مصطفى ومسئولها الرفيق محمد شعراوي. استرعى انتباهي أيامها وضع الحزب المهلهل من الناحية التنظيمية والذي اعتقدت أنه متعمد، ووجود عدد من الزملاء في الإسكندرية يعيشون في ظروف معيشية بالغة القسوة دون أن يمد لهم أحد يد المساعدة. وفي إحدى سفرياتي إلى القاهرة التقيت بالرفيق أبو سيف يوسف سكرتير الحزب في بيته وشكوت له من الأوضاع، ودار حوار

بيني وبينه حول التقرير الذى قرأته، ولم أسترح للمناقشة وتولد عندى اعتقاد بأن الحزب فى طريقة للحل.

وانتهينا نحن الثلاثة، متولى السوى وفؤاد مصطفى وأنا، إلى أن القيادة تعد لحل الحزب، وذلك دون أن تسمح عن انعقاد كونفرنسات لمناقشة موضوع الحل، واتفقنا على أن نعلن للزميل المسئول رأينا وإدانتنا لحل الحزب وانسحابنا، وما كدت أعبر عن وجهة نظرنا حتى أخبرنا الزميل محمد شعراوى بأن قرار الحل قد صدر بالفعل.

الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية المصرية وعدم تواصل حلقاتها

الانقسامية كانت سمة أساسية للحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية التى بدأت فى مستهل الأربعينيات. ويقال إن الطابع الانقسامى للحركة يرجع إلى أنها بدأت منقسمة. وأرى أنه لا يمكن الأخذ بهذا القول لأن الحركات الشيوعية فى بلاد كثيرة بدأت منقسمة وسرعان ما وجد الحزب الواحد الذى يضم معظم أو أغلب الشيوعيين.

كذلك لا يمكن تحميل تنظيم بعينه مسئولية الانقسام كما فعل الدكتور رفعت السعيد عندما حمل مجموعة الفجر الجديد (طليعة العمال ثم الحزب الشيوعى للعمال والفلاحين بعد ذلك) مسئولية الانقسام لرفضها الدخول فى وحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإيسكرا فى منتصف الاربعينيات، وذلك لأن الانقسامات حدثت أساسًا فى منظمة «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» التى كانت نتاجًا لوحدة الحركة المصرية وإسكرا.

وأرى أنه وإن كان للانقسام عدة أسباب فإن هناك سببين هامين هما :

أولاً : تركز العمل وسط المثقفين، وهيمنة المثقفين على قيادة الحركة. وإذا كان المثقفون يتسمون بالفردية باعتبارهم فئة من البرجوازية الصغيرة فإن المثقفين المصريين يتصفون نتيجة لتاريخ القهر الطويل ولعناء الذى عاشه شعبنا بدرجة عالية من الذاتية. إن شعبنا نتيجة للظروف التى عاشها والتى فرضت على أفراده دائما البحث عن الحلول الفردية، تتسم بالذاتية بمعناها السلبى لا بمعنى الاستقلال والمبادرة، ويأتى المثقفون فى المقدمة بالنسبة لهذه الصفة فهم يفتقرون إلى العمل بروح الفريق، وينزعون إلى الزعامة عندما تتاح الفرصة. ولو كان الفكر الإشتراكى قد وصل إلى صفوف الطبقة العاملة المصرية لتغير الوضع كثيرا لأنه برغم السمة العامة لشعبنا فإن ظروف عمل ووضع الطبقة العاملة تعطى الفرصة للعمل الجماعى.

ثانيًا : كل التنظيمات بلا استثناء قامت فى بنائها التنظيمى على المركزية وليس المركزية الديمقراطية، ولم توجد فى أى تنظيم آلية لتغيير القيادة أو السياسات، الأمر الذى كان يدفع فى كثير من الأحيان إلى الانقسام.

ويلاحظ أن الوحدات التى تمت فى تاريخ الحركة كانت تتم بأسلوب الوحدة الاندماجية، أسلوب تجاهل الخلافات فى التنظيم والسياسة، وتكريس وجود القيادة، لا أسلوب الصراع الفكرى والتنسيق الحقيقى فى العمل ثم المؤتمر، ولذلك كان لابد أن يعقب كل وحدة انقسام وتشرذم وضياع للأمان.

اسباب ازمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥

تتمثل الأزمة فى تصورى فى عدم وجود حزب شيوعى قوى له جذور وسط العمال والفلاحين وذلك حتى عام ١٩٦٥ برغم بداية الحركة الشيوعية المصرية فى مستهل العشرينيات.

ولتحديد أسباب الأزمة لابد من الحديث عن مرحلتين: مرحلة «الحزب الشيوعى» القديم الذى تأسس عام ١٩٢٢ وضرب عام ١٩٢٤، والمرحلة الثانية التى بدأت فى نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات.

وبالنسبة للحزب الشيوعى الأول أو القديم فلابد فى البداية أن نضع فى اعتبارنا أنه عاش منذ نشأته فترة قصيرة لا تتجاوز العامين ثم جاءت ضربات حكومة سعد زغلول الشاملة فقضت على هذا الحزب، وسبب تمكن الضربات من القضاء على الحزب يرجع فى تقديرى إلى أنه نشأ فى البداية فى علنية كاملة على نمط احزاب الديمقراطية الاشتراكية وذلك عام ١٩٢١ وعندما بدأ تميزه عام ١٩٢٢ حافظ على علنيته الكاملة، ولم يحتفظ بكادر سرى تحسبًا لضربات السلطة.

لا يرجع ضرب الحزب إلى اتباعه خطا يساريًا فى مواجهة السلطة كما يرى البعض، لأنه وإن كنت أختلف فى مسألة يسارية الحزب التى يذهب إليها البعض فإن اتباع حزب شيوعى لسياسة يسارية أو يمينية أمر وارد ويمكن تصحيحه عبر النضال طالما أن بنية الحزب لا تسمح لخصومه الطبقيين بالقضاء عليه.

وبالنسبة للمرحلة الثانية يمكن تلمس عدة أسباب للأزمة، منها :

أولاً: انقسامية الحركة :

فلاشك أن انقسام المنظمات وكثرتها والعداء بينها وتبادل الهجوم والاتهامات إستنفد

الكثير من إمكانيات الحركة ونفر الكثيرين منها. ولعل الوحدات التى تمت بأسلوب الاندماج واقتسام القيادة وكان يعقبها عدة انقسامات، قد أضرت بالحركة اكثر مما أضرت بها البداية لانقسامية.

ثانيًا : تركز الحركة وسط المثقفين :

وإذا كان تركز الحركة وسط المثقفين وهيمنتهم على قيادتها عاملاً أساسيًا فى وجود لانقسامية فقد كان له آثاره الهامة فى طابع الحركة ونضالاتها، فإن تركز نشاط الحركة الشيوعية المصرية وسط المثقفين جعل الطابع العام لنضالاتها هو الطابع الوطني العام لا الطابع الوطنى ذو المحتوى الطبقى الذى يستلزم النظر إلي القضية الوطنية من زاوية مصالح الطبقة العاملة وسعيها للوصول إلى السلطة، ولذلك لم يكن غريبًا أن يحدث مد كبير فى عضوية المنظمات الشيوعية فى المراحل الساخنة من النضال لوطنى يعقبه جزر فى المراحل الأخرى.

وقد ساعد على انضمام كثير من المثقفين إلى الحركة الشيوعية المصرية وتباعد أكثرهم عنها بعد ذلك أن الحركة الشيوعية كانت ترفع اكثر الشعارات راديكالية وتقدمية فى الحركة الوطنية فى الوقت الذى كانت فيه البرجوازية المصرية ممثلة فى قيادة الوفد وخاصة منذ عام ١٩٤٢ تسعى لحل القضية الوطنية بالتفاهم داخل الدائرة الاستعمارية.

وأرى أن القول بأن الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية كانت فى مجملها حركة وطنية ذات رطانة ماركسية ليس فيه مبالغة كبيرة.

وتركز العمل فى صفوف البورجوازية الصغيرة أوجد التربة الخصبة لنمو وازدهار الانتهازية التى عانت منها الحركة كثيراً. والمثقفون المصريون يعمل أغلبهم فى أجهزة الدولة نظراً لتضخم جهاز الدولة فى مصر بسبب طبيعتها الجغرافية، أى أن كثرهم عبيد الوظيفة الحكومية، وذلك يؤثر فى ثوريتهم وفى مدى وإقبالهم على الإحتراف الثورى، ومن ثم كان العمل فى مجمله عمل هواة فى أوقات الفراغ.

ثالثًا : لم توجد دراسات حقيقية ووافية للواقع المصرى وأوضاع طبقاته المختلفة، ولم تبذل محاولات جادة لوضع مقومات (استراتيجية وتاكتيك وبرنامج) ولذلك إتسم العمل فى حالات كثيرة بالعفوية والتلقائية، وثمة تساؤل، إلى أى حد تم تمصير الماركسية والبحث عن أساليب عمل فى السياسة والتنظيم تتفق مع ظروف مصر وطابع شعبها؟

رابعًا : التخريب المتعمد :

لا يمكن استبعاد عامل التخريب المتعمد، وذلك إذا وضعنا فى اعتبارنا الوضع الخاص لمصر

بالنسبة للمنطقة والعالم.

وإذا كانت قد وجدت محاولات من بعض الشيوعيين للعمل بطريقة مغايرة للطريقة السائدة مثلما فعل شهدى عطية الشافعى (التكتل الثورى) وفوزى جرجس (العصبة الماركسية ثم نواة الحزب الشيوعى ثم طليعة الشعب الديمقراطية)، فإن هذه المحاولات خرجت من أحشاء القديم حاملة لصفاته وأمراضه، ولم تقم بقطيعة كاملة مع الأساليب والممارسات القديمة، ومن ثم لم تشكل أى منها بداية جديدة، ومنظمة الراية التى تشكلت فى نهاية ١٩٤٩ إلتف حول الرفيق فؤاد مرسى القادم من فرنسا كأفراد كانوا خارجين من المنظمات القديمة وحاملين لأمراضها، وتركز نشاطها أساسًا وسط المثقفين.

رفاق أرى أخذ أقوالهم

نجاتى عبد المجيد، أمين ابو السعود، ابراهيم حلمى، محمود بنا، حمدى الخولى، عبد المنعم رزق، وفاروق الحديدى.

رفاق توفوا ولم توثق ادوارهم

من الرفاق الذين توفوا وكنت أعرفهم عن قرب :

١- ابراهيم كيرياكو

مات فى منتصف السبعينيات، وكان يعرفه زملاء قلائل برغم ارتباطه بالحركة الشيوعية المصرية منذ منتصف العشرينيات. كان فتوة لأحد أحياء الاسكندرية، وحبس فى أثناء القبض على رفاق الحزب الشيوعى المصرى القديم عام ١٩٢٤ بسجن الحدراء لجرحه أحد الأشخاص فى مشاجرة، والتقى داخل السجن برفاق من الحزب مثل شعبان حافظ، وعبر احتكاكه بهم آمن بالشيوعية، وخرج من السجن لينخرط فى النضال، والتحق مع مجموعة الحزب القديم بالحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم بالعصبة الماركسية ونواة الحزب الشيوعى المصرى ثم طليعة الشعب الديمقراطية فالطليعة الشيوعية، عمل معظم الوقت فى الأجهزة الفنية وأجهزة الاتصال، وظل أميًا حتى مات، وهو أصلاً من الصعيد، عمل فى مهن كثيرة : جزار وكواء وبائع فول وطعمية وغيرها.

عرفته عام ١٩٥٩ بعد حملة مارس، كان الرفيق أحمد البكار قد أعطانى عنوانه وطلب منى الاتصال به بعد القبض عليه وألا أقوم بتوصيله لرفيق آخر إذا شعرت بخطر الاعتقال،

وبالفعل لم أعرفه بأحد من أعضاء التنظيم، وعندما انتقلت للعمل بالقاهرة كنت ألتقى به فى أثناء حضورى إلى الإسكندرية، وبعد الإفراج عنى ربطتنى به علاقة ود حميم حتى مات فى منتصف السبعينيات، وحتى موته لم يهتز إيمانه بالشيوعية، وكان برغم أميته وبساطته رفيقًا رائعًا بحسه الطبقى وخبراته الهائلة وانسانيته الغنية، تعلمت منه الكثير، وأعتبر نفس محظوظًا لأننى عرفته وحظيت بصداقة

٢ - أحمد البكار:

أصيب الرفيق أحمد البكار بمرض خطير فى الواحات نتيجة التعذيب وأخرجوه ليموت خارج السجن حتى لا يتحملوا مسئولية موته، وذلك عام ١٩٦٢.

كان عضواً قيادياً فى منظمة ثم «طليعة الشعب الديمقراطية» ثم «الطليعة الشيوعية» وقبل ذلك كان عضواً فى «نحو حزب شيوعى مصرى». كان طالبًا فى كلية الحقوق وظل بها حتى اعتقاله فى ٢٨ مارس ١٩٥٩، وهو من مواليد كوم الدكة بالإسكندرية، كان والده المنحدر من الصعيد يمتلك محلاً لبيع الثلج بكوم الدكة، وكان أحمد يقوم بالعمل معه فى أوقات كثيرة. عرفته أول عام ١٩٥٧، وعملت معه حتى اعتقل. تعلمت منه الكثير وأخذت عنه القدر الأكبر من الخبرة التى واصلت بها النضال بعد اعتقاله.

٣ - مقار خلف الشهير بالنمر:

توفى فى عام ١٩٩١، كان عامل نسيج منذ الاربعينيات وفصل فى أحد الإضرابات فعمل فى مهن كثيرة، بائع عيش، بائع أكلمة، ارتبط بالحركة الشيوعية منذ الأربعينيات، كان فى السنوات الأخيرة من عمر الحركة فى مرحلتها الثانية فى منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» ثم «الطليعة الشيوعية»، اعتقل فى حملة مارس ١٩٥٩ وأفرج عنه عام ١٩٦٤ واعتقل قبل ذلك مرات، كان يعيش فى حى غيط العنب بكرموز بالإسكندرية، وكان معروفًا بين الكثيرين من أهالى الحى كشيوعى، وكان يقرأ بصعوبة، ولم يتخل عن إيمانه بالشيوعية حتى مات.

* * *

هذه شهادتى، ولعل الذاكرة لم تخنى كثيراً، فالحقيقة أننا تأخرنا كثيراً وكثيراً فى التوثيق لتاريخ الحركة «الشيوعية المصرية».

شهادة

سعاد صالح زهير

البيانات الشخصية

الاسـم : سعاد صالح زهير

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٥/١١/١٦

المؤهلات : إتمام الدراسة الثانوية .. (البكالوريا)

المهنة : صحفية. وسيرد بالتفصيل المؤسسات التى عملت فيها مثل "بنت النيل" و"روزاليوسف".

بيانات عائلية :

كيفية التعرف على الفكر الماركسى

للإجابة على هذا السؤال يتحتم الرجوع قليلا للوراء .فأنا بحكم المولد .. وحكم النشأة التى تشكل تكوين الإنسان.أستطيع أن أصطفى لنفسى صفة فلاحة مصرية .

لقد ولدت فى بيت جدى بقرية الرحمانية بحيرة، تلك القرية الصغيرة الراقدة فى أحضان نيل مصر التى قدر لها أن تدخل إلى صفحات تاريخ مصر الحديث من خلال وقائع سيرة الحملة الفرنسية على مصر عندما وقع عليها اختيار نابليون بونابرت لتكون مركز تجمع فرق جيشه الزاحفة من الإسكندرية إلى القاهرة بسبب وقوعها على فتحة ترعة الإسكندرية -المحمودية فيما بعد عند تفرعها من النيل- وهو الموقع الذى جعل منها مفتاح الطريق النهرى بالنسبة لجيشه.وإن كانت جميع الكتب التى أرخت للحملة الفرنسية على مصر تكشف كيف احتفظ نابليون باهتمامه بهذه القرية الصغيرة بعد ذلك طوال إقامته فى مصر. فقد جعل منها حاضرة البحيرة لفترة بدلا من مدينة دمنهور وأقام على مدخلها قلعة عسكرية شهدت الكثير من أحداث مصادماته مع المماليك والعثمانيين وكذلك المفاوضات التى دارت بينهم.وخصها من دون باقى القرى بتخصيص أحد رجاله الفرنسيين - غالبا من المستشرقين- للإقامة بها لإدارة شؤون الأهالى فيها، وقد كان لاحتكاك الثقافتين على هذه الصورة علاقة بظاهرة تميز أهالى الرحمانية بشيء من الانفتاح فى أسلوب حياتهم .فضلا عن شبق ملحوظ للمعرفة وللتعلم تتوارثه أجيالها المتعاقبة ومن بينهم لو صدق هذا الحدس والدى..

لقد كان والدى أحد أول شابين من أبناء الطبقة الوسطى فى الرحمانية يتجهان إلى مصر

* أجرت الحوار حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

المحروسة فى طلب مستوى أعلى من التعليم، حيث كان المتبع بالنسبة لأبناء هذه الطبقة الاكتفاء بالتعليم الأزهري. وللابن الأكبر فقط غالبا كما حدث مع والده..

تخرج والدى من مدرسة المعلمين العليا- وعمل مدرس إنجليزي ثانوى- وذات يوم يمر مفتش التعليم الإنجليزي على المدرسة التى كان يعمل فيها والدى ،وكان اسمه تقريباً دانلوب -هو والناظر، فيتجاهله ويواصل درسه فيسأله المفتش ألم يكن من المفروض أن يقف تلاميذك احتراماً لدخولى؟ فيرد عليه أبى: إن طلبتى لا يقفون لمن يحتلون وطنهم. ويخرج الرجل الإنجليزى. وبعد يومين من التنقيب فى تاريخ أبى يأتى زوار الفجر فى البيت ويأخذونه. ثم يقدم للمحاكمة بتهمة أنه ذات يوم كتب فى جريدة اللواء قصيدة شعرية ينذر فيها الإنجليز بالطرد من مصر. وأنه كان وهو طالب يشترك فى السكن مع زميل له من لأقاليم كان ينتمى إلى جمعية الانتقام المتهمة بالعمل لاغتيال العناصر البريطانية. فلابد أنه كان يشاركه فى نشاطه. وبناء على ذلك قدم للمحاكمة التى قضت بنفيه إلى السودان إلى أن نجح والده بالواسطة والرشاوى أن يخفف الحكم إلى تحديد إقامته فى قريته مع فصله من جميع المدارس الحكومية.. وبمجرد عودته للبلد حدثت حكاية الوفد وجمع التوكيلات من أجل سعد زغلول فكانت تجمع داخل بيت جدى. وأصبح والدى زعيماً فى قريته. وبقدر استطاعته كان يساعد أهله فى القرية سواء من ظلم العمدة أو من الإقطاعيين الذين كانوا يأخذون الفلاحين ليعملوا فى الرسية.

وظل فى القرية حوالى خمس أو ست سنوات ، فى هذه الفترة أنا ولدت .وبعد مرض أمى بالروماتيزم فى العظام كانت لابد أن تذهب لبلد حار. وسهل صديق قديم لوالدى-فى الحركة الوطنية -هذه المهمة حيث كانت لديه مدرسة فى بلد قريبة اسمها المنيا. فأرسل له ليعمل معه.

وكانت لى أخت أكبر منى بإحدى عشر عاماً.وهى أيضاً كانت فى الحركة الوطنية وكانوا يسمونها فى المنيا جان دارك،حيث كانت تقود وتخطب فى المظاهرات.

وعندما مات أبى -كان عمرى عشر سنوات- لم يكن لديه معاش،لم يكن هناك غير خمسة أو ستة أفدنة، وكانت لاتكفى احتياجاتنا -أظن كان إيجار الفدان مثلا اثنى عشر جنيهاً بالرغم من أنها أرض جزيرة. الأرض العادية كانت بستة جنيهات ،والذى تنعنا أن أختى

تخرجت وعملت مدرسة وكان لها برنامج فى الإذاعة اسمه (نسائيات) (ماتت وهى شابة).

وفى ظل هذه الظروف لم تستطع أمى دفع مصروفات مدرسية لثلاثة أبناء أنا أحدهم، لذلك اقترحت عليها أن أذاكر فى المنزل ،تخلفت سنة، وأصبحت أنا وأخى فى الثانوية ،وفى هذه السنة كنت آخذ كتب أخى لأذاكر فيها ،ونتشاجر عليها، ثم فى باقى الوقت كنت اقرأ فى مكتبة والدى ،حيث كانت لديه مكتبة متنوعة فى التاريخ والسياسة والشعر .. واستطعت من خلال القراءة تكوين عقلى وتوسيع أفقى للعالم الذى أعيش فيه ،وكانت تستهوينى القراءة لدرجة أنى أصبت بقصر نظر، لأنى كنت اقرأ وأنا ممدة فى السرير .وهكذا بدأت عملية تثقيفي الذاتى.

بدأ يتركب ذهنى بطريقة معينة ، وأتت لى فكرة البطولة وفكرة الفداء والعدل التى كان يمارسها والدى وتذكرت ما كان يقوله لى عن ضرب الفلاحين بالكرباج وأخذ محاصيلهم. وعندما يموت أحدهم كانت الحكومة تجعل أولاده يدفعون ثمن الأرض إذا أرادوا أن يرثوها أو تأخذها منهم. وفى أيام فيضان النيل عندما يقطع الجسر يساق الفلاحين- نساء ورجال- بالفئوس يعيدون بناء الجسر بالسخرة -عبودية -وأشياء كثيرة من هذا ،ولم تكن قد ظهرت فكرة اليسار أو الاشتراكية، لكن فكرة العدل والحرية والكرامة الإنسانية كانت الميراث الذى أورثه لى أبى .

وهذا ما جعلنى انجذب إلى فكرة الاشتراكية، فقد كان لدى الاستعداد النفسى والتكوينى وخصوصاً عندما لم أستطع استكمال تعليمى بسبب عجز أمى عن دفع مصروفاتى شعرت بعدم وجود تكافؤ فرص أوعدالة. فبحثت عن مخرج ضد الظلم الذى يقع على الناس.

حدث بالصدفة أن أتى فتحى الرملى إلى بيتنا- كان وقتها فى الخبز والحرية، وأظن وقتها كونوا شبناً ضد الفاشية. وكان يرتدى بدلة مثل بدلة مارتسى تونج- بدلة العمال، وكان صحفياً ناجحاً وأتى إلينا لأنه كان هارباً من البوليس فكان يقضى النهار كله فى بيتنا مع زوج أختى ثم يذهب ليبيت فى بيت أحد أصدقائه ،وأيامها كنت فى الإجازة بعد الانتهاء من الثانوية،وأثر فى كلامه عن مبادئ الاشتراكية وبدأ يعطينى كتباً للقراءة.

المهم قررنا الزواج ولم تكن أمى موافقة عليه ،إلا أنى أصريت على الزواج منه.

وقد استلهم إحسان عبد القدوس روايته (فى بيتنا رجل) من حكايتنا أنا وفتحى، وكان

يأخذ الكثير من نصصه من الحياة الواقعية. مثلا قصة (أين عمرى؟) هذه التكوينة خاصة بهدى شعراوى، التى زوجوها للوصى عليها، وأمها هى التى زوجتها له، رغم أن الأم كانت متزوجة من رجل كبير أيضاً أبناؤه أكبر منها سناً.

وعمل فتحى مع إحسان فترة فى آخر ساعة. عندما كان إحسان فى خصام مع والدته عمل مع محمد التابعى فى آخر ساعة، كان معهم وقتها حسنين هيكل ود.سعيد عبده ،وعندما تزوجت، أقاموا لى حفلة فى درب اللبانة فى القلعة حضرها إحسان وقال لى أنت صغيرة جداً على التحدى الذى قمت به. وكان ذلك أواخر ١٩٤٣، وأوائل ١٩٤٤ وكان عمرى ثمانية عشر عاماً.

وقد أصدر فتحى مجموعة كتب عن التعريف بالاشتراكية ،مثل ما هى الاشتراكية؟ وكتاب "الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار"..وكل هذا ضاع حيث كان زوار الليل يأتون كل شهر أو شهرين ليأخذوه ويأخذوا الكتب رغم أنه لم يكن يشارك فى العمل السري لأنه كان يؤمن بأن التنظيم السرى يمكن أن يعمل مع ألف أو ألفين فقط ،لكن من خلال الكلمة المكتوبة العلنية يمكن التأثير فى مجموعة كبيرة من الناس وقتها، كنت مرتبطة طبعاً بأفكار الزوج.

وإن كان قد بدأ نشاطه بالمشاركة فى تكوين بعض التنظيمات كالفن والحرية ،والخبز والحرية وآخرها الجبهة الاشتراكية قبل الثورة بسنتين ١٩٥٠-ونحن لدينا مجلدات عند ابني-وكان وقتها لديه جريدة اسمها (المعارضة). وعندما قامت الثورة صادرتها وحلت الأحزاب، وكان لهم مقر فى شارع الساحة.

كان فتحى رجلاً مخلصاً، إلا أن العيب الوحيد لديه هو نزعة الزعامة.

فى أواخر سنة ١٩٤٤- أعلنت وزارة أحمد ماهر التى كانت فى الحكم أنها ستجرى انتخابات فرشح فتحى نفسه على المبادئ الاشتراكية. ونشر الخبر فى الأهرام، وطبعاً كلمة الاشتراكية أقامت الدنيا والمراسلين الأجانب.عشت هذه التجربة، وكانت أول تجربة لى بعد زواجى أن أدخل فى عمل بهذا الشكل.وهو وجدها فرصة ودخل المعركة وكانت الرسوم مائة وخمسين جنيها وكان مبلغاً كبيراً جداً فى ذلك الوقت. إلا أن الزملاء حتى الذين لم يكن يتعاملون معه ساعدوه فى جمع المبلغ مثل حمدى سيف النصر وبعض العمال ومجموعة التروتسكيين :بولا العلايلى وجورج حنين-وقد تزوجا فيما بعد- ولطف الله سليمان .. وعندما

أرسل له كوربيل خمسين جنيها رفضها. كما أرسل اثنان أو ثلاثة من الأجانب له، فاستطاع أن يدفع المبلغ. وقبل الانتخابات بيوم أقمنا سرادقا كبيراً في السيدة زينب في شارع مجلس الشعب- كان اسمه شارع مجلس الأمة- باعتبار، مرشحاً عن دائرة السيدة زينب. في هذا اليوم البوليس حاصر السرادق وضربوا في الناس وهدموا السرادق ،وكان مليئا بالناس بل ويقفون بالخارج ،فكلمة الاشتراكية هذه كانت سحر. وكان أكثرهم شبابًا وعمالاً. ثم أخذوه لقسم السيدة وأردت الدخول فرفضوا فظللت أهتف على سلالم القسم حتى استجاب المأمور وأدخلنى. وظللنا في القسم. وفي اليوم التالي خرجنا. وهو سقط بجدارة كما كان متوقعاً بالطبع.

هذه التجربة التي جمعت فعلا شيوعيين من اتجاهات مختلفة. لم تكن من أجله، بل كانت لأن أول مرة اسم الاشتراكية يمكن أن يمثل في البرلمان، وهم يعرفون بالتأكيد أنها لن تمثل لأنهم لن يسمحوا بذلك، ولكن مجرد ترددها كان كافياً لإثارة فزعهم.

فترات السجن

سجنت مرة واحدة أيام حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ لمدة أربعة شهور .. أنا وطفلاي . الاعتقالات كانت ليلة ١٥ مايو،ولكننا نحن لم نعتقل ليلتها ربما لأننا لم نكن مع قرار التقسيم، وكان زوجي يكتب هذا الكلام. وقبضوا على جميع الشيوعيين إلا نحن فكان علينا مسئولية عمل شيء .. لذلك عندما قرأ في إحدى الصحف الأجنبية، بأن هناك مؤامرة شارك فيها الملك عبد الله والملك فاروق وهذه المؤامرة هي دخول مصر الحرب لكي يحرفوا الناس عن الكفاح ضد الاستعمار البريطاني فيشغلوا الشعب المصري في معركة أخرى تستنفذ طاقته .. يومها قال لي أن علينا تأكيد أن الشعب المصري قضيته لم تنته مع الاحتلال البريطاني، فأصدرنا منشوراً للشعب المصري في ٢٣ مايو سنة ١٩٤٨ قبل القبض علينا بيومين ، أذكر منه أننا علينا مسئولية بالنسبة للشعب الفلسطيني، ولكن يجب ألا تشغلنا عن مقاومة احتلال ثمانين ألف عسكري بريطاني في مصر، وقد عرفنا أن الخطة التي رسمها الجنرال كلارك مع الملك عبد الله والسراي والتي نشرت جريدة البلاغ وثائق تفاصيلها على وشك أن تنفذ وأن قوات الجامعة العربية ستستخدم كمخلب قط للاستعمار البريطاني في مغامرة جديدة

مهد لها المهاجرون الفاشيست والإخوان المسلمين بمنات الخطب التى تفيض بالحماس و الشعارات المزيفة والمصحوبة بعشرات الحركات -فيا شعب مصر تضيك لا تنساها ، قضيتك مع الاحتلال البريطانى، فالإنجليز هم الذين دبروا حكاية إسرائيل ،وأعطوا أسلحتهم وإمكانياتهم لها قبل أن يرحلوا).

و قد عز عليه وهو صحفى أن يطرق أبوابًا كان يتمنى أن تساعده فى فضح هذه المؤامرات الاستعمارية الكبري ولم يجد جريدة واحدة تقبل.

وطبعا كشف هذا المنشور أثنياء، وبعد أن كانوا لا يروا داعيًا لحبسنا ،تم القبض علينا ،وتم ترحيلى لسجن الأجانب ،ولم أجد زميلة واحدة مصرية معى فالجميع تم القبض عليهن لأنهن يهوديات وشيوعيات.

وكان سجن الأجانب فى شارع رمسيس ،وعندما قبضوا على النساء أخلوا دور سكن المأمور، حيث كان يسكن فى الدور العلوى من مبنى السجن وتحته الزنازين ،ووضعوا سراير فى الغرف لإقامة المسجونات الأجانب . وعندما تم ترحيلى لسجن ومعى الأطفال، استقبلتنى الزميلات المعتقلات بالأناشيد وفرحوا جداً. وكان البعض يعرفنى وأعرفهن، وتولوا مسئولية الأطفال معى.

وكانت معركة فلسطين مستمرة ونحن فى المعتقل ،وكانت الصحف تنشر فى البداية انتصاراتنا ،ثم بدأت اللغة تتغير وبدأ يظهر أن الإسرائيليين هم المنتصرون ، وقد طلبت منى زميلاتى اليهوديات أن أحصل على الصحف ،لأننى أنا التى صدروننى للتعامل مع إدارة السجن ،باعتبارى مصرية فاتفقت مع السجانة على أن تحضر لنا كل صباح الصحيفة وكنت اقرأها معهن . وفى البداية كن يسمعن الأخبار بدون تعليق. ثم عندما بدأت المعركة تتحول ضد العرب، بدأ يظهر عليهن السعادة، ويعبرن عن ذلك صراحة،وهذا دائما أكد لى أن الأجنبى لا يمكن أن يشعر بشعور الوطنى.

وقد التقطت السجانة ظاهرة تحولهن هذا قبلى. ففى يوم أتت لى وانتحت بى جانباً، وقالت لى وهى متأثرة (وانبى على قلبك، الصحيفة التى أحضرها لك لا تعطيها لهن . سألتها لماذا؟ قالت لى ألا ترين اليهوديات عندما انتصرن، أصبحن يغنين ويرقصن، ولو أعطيتهن الجريدة مرة أخرى،فلن أحضرها) .

فانتابني شعور أن سجانتي في هذه اللحظة أقرب لي من زميلاتي اللاتي أرتبط بهن فكرياً وأعمل معهن.

فاتفقت معها أن تعطيني الصحيفة عندما أدخل الحمام صباحاً، وعندما أخرج أعطيها لها وعندما يسألنني. أين الصحيفة؟ أقول لهن لم تحضرها.

في هذه الفترة مرض ابني الصغير، فطلبت من المأمور أن يحضر لي طبيب. ومر يوم واثنان ولم يأت. فقمت بالإضراب عن الطعام،حتى يأتي الدكتور(بمفردي ،فلم يضرب معي زميلاتي) ،وظللت يومين. وأثناء ذلك جاء طلبة من الهايكستب لسجن الأجانب لأداء الامتحانات. فأرسلوا لي ورقة، قالوا نحن سمعنا إنك تخوضين إضرابًا لماذا؟ فأرسلت لهم. بأن ابني الصغير مريض وطلبت الدكتور ولم يأت. وعندما أنهوا الامتحان ،ورجعوا إلى الهايكستب أبلغوا فتحى فقرر لإضراب هو أيضا وانضم إليه زملاؤه من أجل ابن سعاد الرملي ومطالب أخرى لهم.

فبالإضافة إلى التآزر مع مرض ابني ،كانت لهم مطالب خاصة بمعتقلهم. حيث كانوا في ظروف أسوأ من سجن النساء بكثير ،فكانوا يعذبونهم بشدة . ويدخلون عليهم في أي وقت وبدون مناسبة ويضربونهم بالعصا ،كما ذكر لي زوجي. المهم بعد يومين أو ثلاثة ،أرسل لي المأمور وقال لي : بأن الطبيب وصل. وكان وكيل وزارة الصحة واسمه شوشة باشا ،وأتذكر أول شيء قاله لي: يا ابنتي أليس حراما عليك أن يدخلى طفلان صغيران لسجن. قلت له أنا لم أحبسهما الحكومة هي التي تحبسهما ،وقلت له: هل يجب أن أكون أما أو وطنية، ألا يمكن أن أكون وطنية وأمًا؟ فضحك وأعجبته الكلمة وقال لي يا أم يا وطنية ما حكايتك؟ فقلت له ابني ،فكشف عليه، وأحضر الدواء، وقال لي وهو ينصرف- أعدك سأقدم تقريراً، أطلب فيه الإفراج عنك من أجل أطفالك. لكن تعديني بألا تكون لك علاقة بشيء. قلت له إن شاء الله-واعتقدت أن هذا الكلام عابر، إلا أنه مر يومان أو ثلاثة، ثم أرسل لي نائب المأمور وقال لي: جاء قرار بالإفراج عنك. قلت له: لماذا؟ قال يبدو أن شوشة باشا تكلم من أجلك، وكانت الساعة حوالي التاسعة مساء، عندما أفرجوا عني أنا وأطفالي.

وكان لابد بعد خروجي من المعتقل أن أزور زوجي في الهايكستب. وكان علي أن أقطع طريقًا طويلاً من المحطة إلى معسكر اعتقاله يمر بمعسكر للإخوان المسلمين -كانوا يدربون

فدائيين لكى يذهبوا لفلسطين -على بعد كيلو ونصف من سجن الشيوعيين، وعندما رأونى أسير باتجاه معسكر الشيوعيين اعتقدوا أنني يهودية. وبدأوا يجرون ورائى، وقتها لم أكن أعرف أن هؤلاء إخوان مسلمون، لكن وجدت بينهم ملتحين. فظللت أجرى بقوة من شدة الخوف وهم يجرون ورائى ويشتمون. ولكن لم يستطيعوا الإمساك بى، إلى أن وصلت قرب معسكر حبس الزملاء. وجدت أسعد حليم يقف وراء الأسلاك ،وطبعاً وجدت بعض العساكر، فتنبهوا وأدخلونى وخلصونى منهم.

بعد يومين جاءنى عسكرى من الهايكستب ومعه خطاب من فتحى، يقول لى (إننا مستمرون فى الإضراب وأن هناك زملاء حالتهم خطيرة جداً وطلبنا نقلوهم للقصر العينى ولم يسألوا فينا، فلابد أن تذهبى للداخلية وتحتجى وتطلبى نقل الذين حالتهم خطيرة للمستشفى).

وفى وزارة الداخلية قابلت أسما حليم. وكانت ذاهبة للحصول على تصريح لزيارة زوجها، قلت لها الحكاية ،وأننا لابد أن نقابل أحداً هنا. فقالت لى نقابل من؟ قلت لها لابد أن نقابل النقراشى باشا-كان فى هذا الوقت رئيس الوزراء والحاكم العسكرى للقاهرة. وهناك حالة طوارئ ،فذهبنا إلى مكتبه وقلنا لهم نحن فلانة وفلانة، ولنا مطلب لابد أن نقابل فيه رئيس الوزراء، ومرت ساعة و اثنتان. قالوا لنا أنه غير ممكن-اتركا ورقة، وظلوا يساوموننا وكانت الساعة قد بلغت الرابعة ونحن كنا هناك منذ الحادية عشرة فقالت لى أسما إنهم يسرفوتنا وسينصرفون قلت لها إذا كنت تعبت انصرفي فأنا سأنتظر.

وقلت لهم. سأظل جالسة، وعندما يخرج سوف أمسكه من يده وأقول له ما جئت من أجله. قالوا سيخرج من باب آخر. قلت لهم سوف أبيت هنا. وبعد الساعة الخامسة جاءنى شخص وسألنى لماذا تريدين مقابلته؟ قلت له من أجل كذا. قال لى انتظرى قليلاً. الباشا سيقابلك-لكن تكلمى بأدب. قلت له هل ستعطيني درساً؟

وعندما دخلت مكتب الباشا قال لى : أنت سعاد الرملى التى أفرجت عنها الأسبوع الماضى من المعتقل قلت له: لا أعرف أن حضرتك الذى أفرجت عنى. قال لى: إذن من الذى أفرج عنك؟ أنا الحاكم العسكرى- قلت له: لماذا أفرجت عنى؟ قال لى: شوشة باشا جاءنى وظل يقول لى أم مصرية شابة، معها طفلان، وظل يؤثر على فأرجو أن يكون الإفراج عنك أثر.

قلت كيف؟ قال تمشين منتظمة. قلت له: إن شاء الله. قال لي: ماذا تريدين؟ قلت له: أنا أتيت لك من أجل زملائي، فهناك حالات في الهايكستب على وشك الموت والمراسلون الأجانب بدأوا يكتبون وحقوق الإنسان قال: لا بد تناقشيني لو كنت شجاعة. ماذ تريدون. قلت له: نحن نريد أن يكون في البلد حكم وطني وأن تقف الحكومة مع الشعب في مقاومة الإنجليز.لأن المفروض أن الوطن وطننا جميعاً.وألا تكون الحكومة عميلة للسراي، تكون عميلة للشعب. قال لي: هل لديك فكرة أن النقراشي باشا ليس وطنياً. أنا رجل لي تاريخ. قلت له: أنت كنت وطنياً عندما كنت في حزب الوفد. عندما كنتم تريدون عقد اتفاقية للجلاء مع الإنجليز. وبعد ذلك تركت الوفد وأصبحت رئيساً للوزارة. قال لي أنتم يا شيوعيين ما حلمكم؟ هل تعتقدون أنكم ستصلون للسلطة؟ قلت له:أرجوك، أنا لم آت إليك للمناقشة. أنا آتيت لك بمطلب إنساني. هناك ناس يموتون. قال لي: حتى ترتاحي لن أفرج عنهم. ولن يذهبوا للمستشفى. أنا قابلتك لأتناقش معك. وقبل أن أقابلك اطلعت على ملفك وملف زوجك ورأيت الكلام الذي تكتبونه. ولدي فكرة عنكما. لكن أنتم كشيوعيين ماذا تريدون؟ لماذا أنتم وحدكم شاذون؟ قلت له نحن نعبر عن آمال الشعب،وعن مصالحه وحقوقه. قال من فوضكم تتكلمون باسم الشعب. قلت له: نحن الشعب، نحن جزء منه.

المهم حاولت أن أتفادى أي إجابات تستفزه من أجل المهمة التي أتيت بسببها. لكن بعد فترة تطورت المناقشة لدرجة أني قلت له: أنت الذي فتحت كوبري عباس، وأسقطت طلبة الجامعة في النيل، فهل بهذا تكون وطنياً؟ قال: ليس أنا. قلت له: لا أنت. وقلت له السراي عميلة للإنجليز وأنتم الحكومة عملاء لهم والشعب كله يعلم هذا. فقام وثار لاتهامه بالخيانة وفي النهاية هددني" مادام رأيك فيَّ هكذا ، ففي الصباح ستعودين للسجن وستقدمين للمحاكمة فشنقك لا يكفيني ». قلت له افعل ما تريد وانصرفت .

وفي الطريق ظللت أؤنب نفسي. وقلت بدلاً من أن أخدم زملائي ،زودت الخناق عليهم. كان لابد أن أمسك لساني.

وعندما وصلت المنزل حضرت شنطتي على أساس أنهم سيأتون في الصباح يأخذونني وطوال الليل لم أنم ، لكن مر يوم واثنان. ثم جاء العيد، وطبعاً الوزارة لا تعمل.

وبعد مرور كم يوم. جاءني العسكري من الهايكستب وقال لي: ماذا فعلت؟ فكتبت

خطابًا لزوجي بدموعي بأنني ارتكبت جريمة كبرى في حقهم،وبدلاً من أن أستعطفه للإفراج عنكم،وقعت في الاستفزاز لكن هو الذي استفزني وأنا أعتذر لك وللزملاء.

بعد يومين جاءني خطاب منه ، قال لي: أنا عرضت خطابك على الزملاء، وأعجبوا جداً بشجاعتك ويقولون لك ولا يهمك.

بعد العيد. ذهبت للداخلية -قلت أقطع الشك باليقين وذهبت لمكتب القلم المخصوص .قلت لهم أنا جهزت شنطتي منذ أسبوع لماذا لم تأتوا لتأخذوني؟ هل تتعبون أعصابي. فقال لي عمر بك رئيس القلم المخصوص وهو يضحك :لن نقبض عليك. فقبل أن ينصرف النقراشي باشا، قال لا أحد يقترب منها اتركوها، لا تستحق وهي بنت صغيرة ولديها أطفال، وعلى كل حال هي شجاعة لو كان زوجها مكانها لما كلمني بهذه الجرأة.

بعدها بفترة اغتاله الإخوان المسلمين أمام المصعد في وزارة الداخلية. وأنا تأثرت إنسانياً من أجله بسبب موقفه الكريم معي.

فكرة السرية في العمل

التنظيمات السرية- كانت ضرورة في ظروف معينة وفي أوقات بالذات .فمثلاً بالنسبة للثورة البلشفية. كان الحكم القيصري لا يسمح لأي عمل علني،كانوا يرسلونهم لسيبيريا وحتى لينين هرب من روسيا، وعندما عاد كانت هناك ضرورة لأن يعمل تحت الأرض للتحضير للثورة. لم تكن هناك أية فرصة للعمل العلني. ولا اجتماعات تناقش علنا والشيء الذي أتخيل أنه لعب دوراً علنياً في التمهيد للثورة، هي قصص وروايات جوركي وتولستوي .. وتصويرهم للظلم في المجتمع بشكل فني سائد الحركة في إيقاظ الوعي . وهنا في مرحلة أيضاً كان لابد أن يكون العمل السياسي تحت الأرض، لكن لا مانع أن العمل لسري يوازره عمل علني. فلكل منهما مميزاته وعيوبه ،فالعمل الحزبي يكون أسلوبه أقوى لأنه ممنهج وهو مفروض أن يجمع مجموعات ويمثل طبقات مختلفة ويقدم مادة علمية مدروسة. وكان كورييل يعجبني ويمتاز عن الآخرين، لأنه برغم أن لديه تنظيماً سرياً، كان مهتماً جداً بالعمل العلني نحن كنا نسميه العمل الجماهيري- ففي العمل السري يستقطب المثقفين وذوي الوعي والفهم الذين يستطيعون استيعاب النظرية، والعمل الجماهيري يتصل بالجماهير اتصالاً مباشراً من خلال

ناس ممنهجين ويقرأون ولديهم النظرية ،ولكن لا يقولون للناس قال ماركس ولينين ،فمن خلال تعاطفنا مع آلامهم ومشاكلهم يرون نموذجنا - أشخاص لديهم فكر يدعون للعدل وضد الظلم ويساعدون الناس ،من خلال عمل يفيد الناس ويحسوه.

تجربة السفر للمؤتمر التاسيسى للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى

بدأت فى الحركة الاشتراكية العلنية، ولم أنضم لتنظيمات سرية، بل كنت أنشط فى العمل الجماهيري دون أن أكون منظمة ،وكان كل الشيوعيين يعرفون بعضاً. لكن لا نعرف بالضرورة فى أى تنظيم. إنما نعرف أنه شيوعى.

وعندما كنت أشعر أن هناك أي عمل جماهيرى، فيه خدمة للناس، كنت أشترك فيه .

وكان كوربيل لديه القدرة على اكتشاف قدرات الآخرين ونوعية هذه القدرات وحدودها ،والذى يرى أنه لا يقبل العمل السرى، يستفيد منه فى العمل الجماهيرى ،وعندما سمع عنى أرسل لى موسى عبد الحفيظ ،وقال لى إن كوربيل يريد مقابلتك. سألت لماذا. قال لا أعرف. قلت له: أنا أسمع عنه وأريد أن أراه. أبوه كان له مكتب فى وسط البلد. وذهبت لمقابلته هناك وتحدثت معه وعندما طلب منى الاشتراك معه فى التنظيم .شرحت له موقف زوجى من ذلك.

وبالرغم من أن كوربيل كان يرشحنى للجنة المركزية، إلا أنه عندما علم أن هذه الحكاية ستسبب هزة فى بيتى طلب منى: أن أحافظ عليه وقال لى تعالى معنا فى العمل الحر-العلنى .. أى اشترك فى التنظيم، لكن فى نشاط علنى.

وقال إنه سيتصل بى عندما يكون لديه عمل يحتاجنى فيه ،وبالفعل فى يوم أرسل لى وأخبرنى بأنه توجد دعوة لمؤتمر نسائى دولى وأنا رشحتك له. قلت له: أنا لست عضوة فى الحزب، لماذا ترشحنى؟ قال لى: أنا أشعر أن شخصيتك يمكن أن يكون لها حضور هناك. فقلت له أنا لغاتى الأجنبية حتى مرحلة الثانوية،خصوصاً الفرنسية لغة ثانية، فقال لى كل المشاكل سوف أحلها اكتبى ورقة بعد أن تقرأى أوراق التحضير للمؤتمر. لو ذهبت ماذا ستفعلين ومن تمثلين. ففكرت، وكنت دائماً أكتب فى قضايا العمل والعمال قلت له - أنا فكرت أمر على المصانع وأحصل على تفويضات من العاملات وأدرس أوضاعهن ومشاكلهن، بالتالى يكون

تقريرى للمؤتمر حول مشاكل وقضايا وضع المرأة العاملة قلت له هذا سيغطى القوانين الظالمة والبؤس الذى فى البلد والحركة النقابية. فقال لى فكرة جيدة .. وكلف زوجته أن تخرج سيارتها معى لنزور المصانع و عاملات التليفونات والممرضات والعاملات الصناعيات. وكنت أعرف نفسى بأنى صحفية، طبعاً بعض الناس منعونى، وناس أخذوها على أنها عمل صحفى، وآخرون قالوا أنى أتيت لتحريض العاملات.

كان اسمه المؤتمر التأسيسى للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى ،وسافرت بصفتى بنت الشعب فأنا لست جامعية ،وكلف كوريبل سيدة فى السوربون بأن تلازمنى طوال الوقت للمعاونة فى اللغة. كما كانت هناك سكرتيرة عامة للمؤتمر اسمها مارى كلود أحبتني جداً وساعدتنى.

وسافرت إنجى أفلاطون معى على نفس الطائرة، بترشيح من (رابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا). وقد كنا نعمل مع بعض فى العمل العام ،حيث كنا نتقابل أنا وإنجى ولطيفة فى "دار الأبحاث" باعتبارها منبراً علنياً.

ونبهنى كوريبل من البداية وقال لى بطريقة غير مباشرة، أنت لون وهى لون وكان يقصد الانتماء الحزبى، وقال لى إننى أمثل العاملات، وهذا سيعطينى نوعاً من التميز وسيكون له صدى كبير لديهم ، ورغم ذلك اتصلت بإنجى واتفقنا أنها ستتكلم عن الاحتلال الإنجليزي لمصر ،وأنا سأتكلم عن الطبقة العاملة فى مصر ومشاكلها وكتبت تقريراً.

وكانت تجربة المؤتمر مهمة- فالصدى كان طيباً لى ولإنجى- فبالنسبة لقضيتنا الوطنية، اتخذ المؤتمر قراراً بالاحتجاج على احتلال الإنجليز لمصر - حتى المندوبة الإنجليزية- أرسلت برقية لرئيس الوزراء فى إنجلترا تحتج فيها باسم نساء العالم كله على احتلال مصر وبأن الشعب المصرى لابد أن ينال استقلاله. واتخذ المؤتمر أيضاً موقفاً شبيهاً- بالتضامن مع القضية المصرية. ونشر ذلك، حيث كانت هناك متابعة صحفية للمؤتمر.. ليس فقط من فرنسا ،ومن ثم فرضت القضية المصرية نفسها فى وقت كنا نحتاج لذلك.

الشيء الثاني- كانت الفكرة عن التحضر فى المجتمع المصرى مشوهة،فعندما كنت أقول عاملات، كن يتساءلن- هل فى مصر عاملات؟ أشياء بهذا الشكل ... وتكلمت عن كفاح العاملات ومشاركتهن مع العمال فى الإضرابات وفى النضال.وطبعاً كنت أقول إن الفكر

الاشتراكى أحدث تنبيهاً للوعى وأصبحت مصر من الدول المؤسسة للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى وما زال موجوداً حتى الآن- وفى النهاية كانت سيزا نبراوى وكيلته وبسبب ذلك طلبوا منها الاستقالة من الاتحاد النسائى .

وترجع أهمية المؤتمر أيضاً،أنه حتى ذهابنا كان الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى هو الممثل الوحيد دوليا للمرأة المصرية ومن بعدها سيزا نبراو ى ،كما أصبحت أيضاً هدى شعراوى وكيلة الاتحاد النسائى الدولى الذى يتكون من عدة اتحادات ومن نساء من دول استعمارية ،وكن يرفضن الدخول فى السياسة،أى يتكلمن فقط عن القضايا النسائية.ومن ثم كان أقرب إلى أن يكون استعمارياً .وفى مواجهة هذا الاتحاد تأسس الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى الذى يمثل نساء العالم ولكن من منظور متقدم. وكان يعتبر هذا مكسباً للحركة اليسارية .

وبعد انفصالى عن زوجى كانت لى حرية الاختيار ،فأنا انفصلت عن زوجى أظن فى ١٩٥٥/٥٤. وفى سنة ١٩٥٦ انضممت إلى حدتو، بعد أن قال لى فتحى خليل زميلى فى روزاليوسف ،بأنه يسعده أن انضم إلى التنظيم، فقلت: هذا ما كنت أتمناه من زمن لكن الظروف العائلية لم تسمح. وبعد ذلك أتى لى السحرتى وقال لى- نحن رشحناك لقسم. وكنت وقتها وضعت خطة لحياتى المستقلة بأن أول شئ أفعله بعد الانفصال هو استرداد لقبى العائلى. فيصبح اسمي سعاد زهير، وأن أوقع كتاباتى باسم سعاد زهير،وأبحث عن عمل ثابت لكى أستطيع أن أكون مستقلة اقتصادياً.

وقد كنت أعمل قبل انفصالى مع درية شفيق التى كانت مسئولة عن مجلة (بنت النيل) وكانت صديقة فتحى وتأتى لزيارتنا فى المنزل وكنت أكتب فيها بين الحين والآخر بدون انتظام، بسبب مسؤولياتي العائلية. وكان جزء من العمل هو الرد على خطابات القارئات،حيث قالت لى إننى أستطيع أن أبث أفكاراً جديدة بالنسبة للمرأة.استمريت على هذه الحكاية فترة .. ثم بعد الانفصال بدأ يتزايد عملى فى المجلة إلى أن تم تعيينى.وقد حاولت إعطاء المجلة نغمة جديدة ومنظوراً جديداً للمرأة،وقضاياها بعد أن كانت تهتم بالأزياء والموضة ...

وعندما وضعوا مشروع الدستور سنة ١٩٥٦ كانت هناك معركة داخل اللجنة التى تضع الدستور حول حق المرأة فى الانتخاب .لذلك اهتممنا بهذا الموضوع فى المجلة وأصدرنا عدداً

خاصاً لتبنى القضية. واستضفنا المستشار ... عثمان وذكر لنا أنه مؤيد لحصول المرأة على حقها فى الانتخاب إلا أن الأغلبية داخل اللجنة ترى أنه لم يأت الوقت الذى يضعون فيه حق لانتخاب للمرأة.

واقترحت على درية شفيق أن نقوم بإضراب عن الطعام،احتجاجاً على عدم تضمين الدستور الجديد حق الانتخاب، وفكرنا أن نفعل ذلك فى نقابة الصحفيين ،وكانت درية شفيق تريد أن تكون هى النجمة. فقالت نقسم المسئوليات، بينى وبينها؛ بأنها سوف تبدأ الإضراب وأنا أتولى مسؤولية الإعلام عنه فى الصحف محاولة لجلب النساء إلينا.

أنا طبعاً فهمت أنها تريد أن تكون هى المتصدرة، وأنا بتكوينى ليس لدى الميل للظهور والتصدر، وأفضل العمل الإيجابي الذى يعبر أكثر عن نفسه. كما قلت إنها سيدة بورجوازية، وهذا سيساعد على إنجاح المشروع .

فذهبنا فى صباح يوم للنقابة، وطلبنا منهم أن يخلوا الغرفة لأننا سنقوم بعمل إضراب.فطبعا اهتزوا، وبدأنا نرسل للصحف فإذا بالنساء تتوافد. وكل فترة تأتى سيدة بشنطة وتقول أنا منضمة للمضربات فى وقت قصير اتسعت الحركة وانقلبت الصحف ووكالات الأنباء.

وأنا غطيت كل ذلك إعلامياً، وأرسلت الحكومة من يتحدث معنا بعد أن شعرت بخطورته، واستغلت الدول المعادية لثورة يوليو الحكاية وبدأوا يكتبون (ثورة نساء مصر ضد الحكم العسكرى) فتنبهت وقلت لدرية،أننا كنا نريد أن نجعل الحكومة تعترف بالحق، لكن يبدو أن الإضراب سوف يستغل ضد مصر فيجب ألا نكون نحن الأداة التى يستغلونها. فكان لابد من التفكير فى مخرج وخصوصاً بعد أن بدأنا خطوة تجاه هدفنا. فكان رأيى أن نحاول إقناع الحكومة بأننا لن نتنازل عن طلبنا ،ونرجوهم أن يغلقوا الباب فى وجه استغلال هذه الحركة ضد بلدنا. فنحن ليس هدفنا إحراج الدولة.وفعلا أرسلوا لنا أحد رجال الثورة الغير مشهورين فتكلمت معه أنا ودرية شفيق فى غرفة بمفردنا. وقلت له: أن الحل الوحيد أن تغيروا اللجنة التى تضع الدستور وتأتوا بلجنة جديدة، فقال أن اللجنة التى كانت تضعه تجاهلت حق المرأة، وقد قمنا بحلها لأننا مؤمنين كثورة بإعادة تشكيل الحياة فى مصر.وبحق المرأة، لذا كونا لجنة جديدة من شخصيات مستنيرة، وتقريباً هذا هو ما حدث. لم يحلوها، لكن أدخلوا فيها عناصر جديدة، ووضعوا حق المرأة فى التصويت والانتخاب. والمسألة لم تكن سهلة، بل أخذت

مساومات كثيرة. ففي البداية قالوا نبدأ بالتصويت فقط كمرحلة أولى. نقلنا لابد من التصويت والانتخاب.

ولم يعجب هذا الحل درية شفيق. لماذا؟ لأن ما كان ينشر بالخارج جعلها نجمة وأظهرها كمتصدرة للحركة. وقالت أنها ستظل مضربة حتى يوضع الدستور. ومن هنا حدثت نقطة خلاف بيني وبينها. وتركت بنت النيل بعد تصميمي على أننا لم نقم بالإضراب من أجل الإضراب. طالما أنهم أعطوا لنا وعداً وبدأوا في تطوير اللجنة.

وتبينت أنها كانت تحاول أن تستفيد من توجهاتي في الكتابة المتقدمة، لكن هي في داخلها كانت بورجوازية رجعية. إلا أنها وجدت هذه نشرة براقة.

بعد ذلك بوقت قليل حددوا إقامة درية شفيق واتهموها بأنها قامت بهذه الحركة بهدف الشوشرة على ثورة يوليو.

بعد ذلك ذهبت لمقابلة إحسان عبد القدوس وأبديت له رغبتي في العمل في روز اليوسف، فرحب بي، وكانت روزاليوسف تفتح أبوابها للكتاب اليساريين بالذات عن ذكاء منها- فأحسست أنني وجدت مكاني. كان ذلك عام ١٩٥٦ وكان وقتها محمود أمين العالم مدير تحريرها وكان هناك فتحي خليل وجمال كامل، كلهم رحبوا بي، وأتذكر أني أعددت موضوعاً عن النقابيات، وأعطيته للعالم. وكنت أسلم المقالة وانصرف. بعدها طلب مني محمود العالم أن أحضر بانتظام ويكون لي مكتب.

وقد تغلب إحسان على مشكلة ضعف مرتبات المجلة في ذلك الوقت بأن خصص لي إلى جانب المرتب مكافأة شهرية عن باب أحرره أسبوعياً عن نشاط المرأة، ولأنه إنسان فنان فقد راقه اقتراحي أن أبدأ من أول درجات العمل الصحفي عندما صارحته بأن خطتي بعد الانفصال عن زوجي أن اعتمد على جهدي الذاتي في إعادة بناء حياتي وتشكيل شخصيتي المستقلة.

وقد اشترطت ذات الشرط عند انضمامي للتنظيم أن أبدأ من أول مستوى، فدخلت في خلية، وبعد ثلاثة أشهر قالوا لي أنهم صعدوني لمستوى القسم وعهدوا إلى مسؤولية خلية جديدة مكونة من نتحية العسال وإجلال السحيمي وثريا إبراهيم.

كان انضمامي إلى حدتو، بعد رحيل كورييل،. والذي رشحني نتحي خليل زميلي في روزاليوسف، ثم بعد عامين حدثت الوحدة في١٩٥٨. التي لم تكد تبدأ حتى بدأت معها

الانقسامات وسوف أتحدث بالتفصيل بعد قليل عن ذلك.

وبدأت الاعتقالات فى يناير١٩٥٩، وفى البداية اعتقلوا الرجال وتركوا النساء. ثم فى مارس. فوجئت عندما ذهبت إلى روزاليوسف ذات يوم، بحركة غريبة، وعلمت أن البوليس جاء وفتش المكاتب والأدراج وأخذوا عدداً من المحررين منهم فتحى خليل وحسن فؤاد وعبد الستار الطويلة وآخرون، ولم يكن هناك من المحررات اليساريات سواى ..فسألت وهل سألوا عنى أنا أيضاً قالوا لا ..بعد ذلك علمت أنه تم القبض على عدد من الزميلات من بينهن إجلال السحيمى وثريا إبراهيم من الخلية التى أتولى مسئوليتها. وكل منهما تركت طفلة، وبدأت أتساءل ، لماذا تركونى أنا وراودنى شعور بتأنيب الضمير كأننى المسؤولة عن ذلك. إلى أن عرفت من قريب لى فى موقع مسؤول، بأن عبد الناصر كان قد أعطى أمراً فى البداية بعدم القبض على النساء..ولكن عندما تحركت السيدات المنضمات بعد اعتقال الرجال قال هاتوهم هم أيضاً ولكن فقط من المستويات العليا - اللجنة المركزية والمناطق - أثناء هذه الفترة، بدأت أسأل على الزميلات والزملاء من منهم تم القبض عليه ومن لم يقبض عليه. وفى يوم دق الباب وكنت أعيش مع أخى فوجدت زميلاً كان مسئولاً عنى- كنت اعتقد أنه قبض عليه. إلا أنه حكى لى: أنه عن طريق الصدفة لم يقبض عليه حتى الآن، حيث كان قد نقل سكنه فى اليوم السابق إلى حى آخر وترك بعض متعلقاته ومنها شنطه فى فناء العمارة التى كان يسكن فيها لحين عودته من عمله ظهراً ليأخذها إلى سكنه الجديد، إلا أنهم أتوا فى المساء ولم يجدونه يجدوه الشنطة، وكان بها منشورات ولما عاد علم بما حدث ووجدها فرصة للهرب.

وكلفنى بمهمة عاجلة وهى توصيل بعض المعونات المالية لأسر الزملاء، التى بدأت تعانى من انقطاع موارد معيشتهم بسبب اعتقال الزوج أو الابن. وانفلت منى سؤال منزعج لماذا اخترتنى لهذه المهمة، فأجاب وهو يحدجنى بنظرة طويلة أغرقتنى كلماته فى عرق الخجل من نفسى. بأنه يعفينى لو كنت أرى مخاطرة على نفسى من ذلك، وقد ذكرتنى على الفور بحكاية سمعتها عنه منذ أيام قليلة تحكى أن والده وهو شخصية اقتصادية كبيرة فى الإسكندرية سعى حتى حصل له من عبد الناصر شخصياً بوعد بتسهيل خروجه من مصر إلى أى بلد أوروبى بدعوة استكمال تحضير رسالته للدكتوراة، ولا يعود إلا بعد أن تستقر الأمور ولكن المفاجأة؛ وربما لعبد الناصر نفسه وليس لولده فقط. أنه هو الذى رفض ذلك العرض المغرى وقال للذين

أبلغوه به أن ضميره لا يقبل له أن يفر بجلده ويترك زملاءه بالسجون يواجهون مصيرهم المجهول.

لحظتها أحسست بنفسي صغيرة جداً أمامه وحتى أخفف ارتباكي علقت متضاحكة (دا أنتم لسه ناس بتوع مبادئ أهو) ولم أعد أتردد في تقديم أي معونة تساعده على مواصلة الهروب، فبحثت له عن شقة مفروشة بالإيجار وذهبت معه وقلت لصاحب البيت أنه أخي وأننا من الإسكندرية، وأنه مختلف مع العائلة وأنا أخته الكبيرة ، كما كنت حلقة وصل. فبدأ يتصل بي عن طريق شخص آخر أظن كان النشار. وأعطاني أموالاً وكشفًا بالعائلات التي سيتم التوزيع عليها ، ووقتها اقتربت من عدد من زوجات وأمهات المعتقلين. فرأيت أم محمد عثمان هذه السيدة العظيمة. ولم أكتف بهذا بل كنت أذهب أيضاً للداخلية لاستخراج تصاريح زيارة باسم غير اسمي، وأحياناً كانوا يحتاجونني في كتابة تظلمات، كما قمنا أكثر من مرة بمظاهرات في الشوارع، ولم يتركنا البوليس طبعاً بل كانوا يجرون وراءنا ويضربوننا.

وظللت هكذا حتى قبض عليه بعد حوالي ثمانية شهور، وقدم للمحاكمة مع زملائه وكان نصيبه خمس سنوات سجن قضاها كاملة.

وأريد باستعادة هذه الحكاية القديمة أن أقول أن التجربة علمتني ألا أقع في مصيدة تعميم الأحكام لأن الاختلاف غالباً ما يكون في الطبيعة البشرية للأفراد وليس في المبادئ ذاتها.

الخط السياسي والوحدة

عشت فترة في جاردن سيتي مع أخي، كان فاروق ثابت مسئول المنطقة، ثم ذهبت لبيت أمي في العباسية. وهناك ظللت فترة بدون ارتباط مع أحد. وفي هذه الفترة كان موضوع أزمة الوحدة. كنت أسمع كلاماً من هنا ومن هناك، ولكن لم أستطع الحكم على الموضوع لأني لست متداخلة فيه. وذات يوم جاءني أحمد الرفاعي وطلب مني أن أصحبه لمقابلة عبد العظيم أنيس -وكان عبد العظيم أنيس في الجناح الآخر (الراية)- للاشتراك في مناقشته في الاتهامات المثارة حول عملية الوحدة. وذهبت معه ورغم محاولتي الدفاع عن موقف حدتو، إلا أنني خرجت وفكري مضطرب بعشرات الأسئلة عن الحقيقة في الاتهامات التي أطلقها عبد العظيم أنيس حول الكشوف التي شملت الجميع التي قدمتها حدتو بأعداد مبالغ فيها عن أعضائها

خاصة بالنسبة للمستويات العليا -اللجنة المركزية والمناطق بهدف الحصول على مقاعد أزيد فى هذه المراكز فى تنظيم الموحد الجديد، ولأننى كنت بعيدة عن هذه الخلفيات فقد قصرت مناقشتى معه على الخلاف حول الخط السياسى. وانتهت المناقشة وخرجنا ولم نصل إلى شئ.

وفى الطريق، طلبت من أحد أن يبلغ القيادة بضرورة عمل تحقيق، وأن يأتى مسئول ليجلس معى و يناقشنى ويرد على كل هذه النقاط وإلا فإننى لا أستطيع الاستمرار بعيون مغمضة وأرفض الأساليب الملتوية بطبيعتى. فبدلاً من أن نضع قيماً جديدة نفعل ذلك! وانتظرت أن يرد على فلم يسأل ،وظللت ستة أشهر لا أذهب لأى مكان ولم يرد أحد .وقلت احتمال لأنى انتقلت إلى منطقة أخرى لم يتصلوا بى إلا أننى لم أجد أى إجابات. كان كل هذا قبيل الاعتقالات مباشرة، فكنت ضائعة بين الاثنين.

استراتيجية التنظيم ولائحته

لم أكن متداخلة فى العمل التنظيمى. فى هذا الوقت كنت صحفية لامعة ،وهم ضمونى إليهم بهذا الشكل، لكن لم أكن محتكة تماماً بما يسمى المطبخ أو الشئون التنظيمية.

ولكن طبعاً كان له برنامج ولائحة. وكانت هناك نشرة تصدر للعمال وتوزع بشكل كبير جداً.

قضية الثورة الاشتراكية مرحلة واحدة أم مرحلتان وعلاقة التنظيمات بالفلاحين

كانت هذه القضية مثارة داخل التنظيمات ،فالبعض كانوا يرون أن ظروف الشعب المصرى لا تسمح بقيام ثورة غداً. وهذا أيضاً كان يعود لعجز فى التنظيمات السياسية. فالتنظيمات السياسية لم تكن تصل مثلا لأعماق الريف. بالرغم من أن الفلاح هو عماد البلد ،ففى ثورة ١٩١٩ وصل نداؤها إلى أعماق الريف والكفور من خلال جمع التوكيلات فى البداية ،ففى الحقيقة الذى قام بالثورة هم الفلاحون فى مصر والإسكندرية.

وفى الاتحاد السوفيتى كان للفلاحين دور كبير جداً فى الثورة البلشفية وليس العمال فقط،وبفضل لتنظيمات البلشفية التى كانت موجودة رغم أنهم كانوا يُضربون ويتم نفيهم وإعدامهم،لكن استطاعوا أن يصلوا لقلب لريف. والفلاح الروسى كان يستشعر الظلم إلى الحد الذى لا يجعله يخاف من اشتراكه فى الثورة.

لذلك كان هناك ناس يرون أن الشعب المصرى لم يصل لدرجة الوعى التى تجعله يقوم غداً بثورة شعبية، فكانوا يقولون بمرحلتين : الأولى لابد أن يحدث فيها إيقاظ للشعب وتوعيته، ثم عندما يصل الشعب لمرحلة امتلاك الوعى الكامل- تكون هذه هى المرحلة الثانية.

وكانت حدتو أفضل التنظيمات بالنسبة للاقتراب من الفلاحين، أما باقى التنظيمات كانو كلهم مثقفون، بل حتى ليست لديهم لغة لمخاطبة الفلاح، وكانت حدتو تحاول أن يكون لها عدد من الأعضاء فى أكثر من قرية.

وكنت أرى أن الثورة كما يقولون عنها هى عملية جراحية. ولابد أن يمتلك الثائر القدرة على التقييم السليم للموقف. وليس أن نهلك أنفسنا. فالفرد يمكن أن يهلك نفسه ويموت وحده، دون أن يحقق شيئًا، فأنا نظرياً كنت أرى أن الشعب المصرى يتحرك بدون دعوة فى حالة الأزمة الوطنية، وهذا كان واضحاً فى ثورة ١٩١٩، لكن الأزمة السياسية تحتاج لوقت وعمل سياسى قوى جداً يصل للريف، وللمصانع.

دور المحترفين فى التنظيم

تجربة الاحتراف منتشرة فى العالم كله، ولكن له شروط. وليس مجرد أن شخصاً يريد أن يتفرغ للحزب. فلا بد أن يكون المحترف لديه العقل المفكر والمنظم الذى يستطيع أن يعطى ويرسم استراتيجيات. وألا يكون هناك شئ آخر يشغله ،وعلاقاته تكون فى خدمة العمل. أى يكون قائداً. ليس زعيماً ولكن قائداً للعمل. ومن هذه الزاوية لابد أن يحتاج أى حزب للاحتراف.

والمشكلة إذن فى اختيار المحترف. لابد من الدقة الشديدة فى اختيار المحترف بحيث أن تكون لديه المواصفات التى تعطيه الحق فى الاحتراف.

ولأنى لم أكن مندمجة فى الأشياء التنظيمية. فلا أستطيع أن أقدم أسماء محترفين أدو دورهم على الوجه الأكمل.

دور اليهود فى الحركة والقضية الفلسطينية

فى الفترة الأولى من حياتى أثناء زواجى،كان الزوج فاقد الثقة فى هذه الأحزاب لنشأتها وتكوينها على يد اليهود فأنا كنت أسمع منه، وأذكر أنى تناقشت مع كورييل ذات مرة عندما

طلب منى الانضمام للتنظيم. وقلت له أنا لى ملاحظات وأنت يهودى ومؤسس التنظيم ،إلا أنه قال أنه ليس مع إسرائيل ولكن مع أصحاب الأرض. وأعطانى محاضرة شرح لى فيها أن الشيوعى ليس شوفينيًا بل دوره أن يرتفع عن التحيز الجنسى والعرقى فلا يكون ضد المرأة أو اليهود أو السود ،وإذا تحيز لا يكون شيوعياً،ثم قال لى أن حدتو تضم أقل عدد من اليهود وأكثر التنظيمات تمثيلاً للطبقة العاملة ،وأذكر أنه قال إن الشىء الذى ينقصنا ونعمل على استكماله هو الوصول إلى القرية.

ومن جانبى كان كل ما يشغلنى كيف نستطيع تكوين مجتمع فاضل بداخله أناس لهم مثاليات وأخلاق وشرف لا يتفق مع روح الاستغلال.

فأنا لست ضد الأجانب كأجانب، ولكن أنا ضد الأجنبى المتحيز الذى لديه روح الشوفينية. لذلك يجب أن نفرق بين الإسرائيليين واليهود .كما يجب مراعاة أن اليهود لديهم- حتى غير المتعصبين منهم - تكوين تاريخى محفور داخلهم ،يجعلهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأنهم ظلموا تاريخيا.

ومن ثم فهذا الموضوع لا نستطيع أن نضع له قاعدة يمكن إطلاقها على الجميع. فحالة كورييل يقابلها حالة الزميلات فى سجن الأجانب اللاتى فرحن عند انتصار اليهود-كما ذكرت سابقاً- فالفاصل أن يكون شيوعياً حقيقياً .

ولا أستطيع أن أدعى أننى كنت أعرف موقف الحزب من القضية الفلسطينية فى فترة الحرب، فلم أكن منظمة. ولكن كنت أعرف أن موقف التنظيمات عموماً تأييد قرار التقسيم، على أساس أن الاتحاد السوفيتى تبناه وإن كنت قد اكتشفت فيما بعد أن الاتحاد السوفيتى لم يقل بالتقسيم منذ البداية،لكن عندما وجد مؤازرة الإنجلز لليهود وترك السلاح لهم عاد الاتحاد السوفيتى وأحدث تفعيلاً للموقف.أصبح قرار التقسيم إنقاذ ما يمكن إنقاذه خوفاً من استيلاء الإسرائيليين على فلسطين كملة.

وهذا ما ذكره الذين دافعوا عن قرار التقسيم ،حيث قالوا إنه أفضل للعرب أن يعيشوا ويتعايشوا فى مجتمع مع اليهود، وكانت الحسبة أن اليهود أقوى، فلو العرب استطاعوا أن يتعايشوا مع اليهود فى تكوين مجتمع ديموقراطى فإن هذا سيكون جيداً. إلا أن الفلسطينيين فى المرحلة الأولى مكنوا اليهود من خلال بيع أراضيهم ورحيلهم، فلم يكن الفلسطينيون

متنبهين أن المسألة ستصل إلى حد الصراع.

وأنا طبعاً مع أن يكون للفلسطينيين وطن. فهم لهم حق الأرض وهذا حق تاريخي والمفروض ألا يفرط الإنسان في أرضه، أو على الأقل يأخذون نصف الأرض.

أما رأيي وقتها في قرار التقسيم، فكما شرحت سابقاً كنت ضد قرار التقسيم أنا وزوجي، فكنا نخاف من قرار التقسيم، كنا نعرف أن الفلسطينيين ليست لديهم خبرات بناء دولة أما الآخرون متقدمون، فكلهم مهاجرون من دول متقدمة، وكنا نشعر بهذا الشكل أنه سيتم وضع الذئب بجانب الحمل، وأن اليهود بقرار التقسيم سيكون لديهم وجود شرعي يمكنهم من السطو على الأرض العربية.

لكن المؤامرة التي حدثت وقتها (الحرب ودخول العرب فيها) مكنت اليهود من الاستيلاء على فلسطين بحد السيف!

وفي البيان الذي قبض علينا بسببه كما ذكرت لم نتعرض فيه لقرار التقسيم. بل تعرضنا لهذه المؤامرة.

الاحتلال الإنجليزي واتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤

ذكرت تجربة أبي في مقاومة الإنجليز والمطالبة بالاستقلال. وكنت أؤمن بأنه لابد أن تكون هناك هبة شعبية. أي أن الإنجليز لن يرحلوا بالكلام، ولو أدى الأمر إلى حرب عصابات لابد أن يشعروا بقوة الشعب المصري لكي يرحلوا. وقد نظم فتحي إضراباً عن الطعام سنة ١٩٥١ لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ في نادي الكتلة الوفدية. وبالفعل جذب الإضراب الكثيرين. وأعطتهم الحكومة وعداً بأنها ستفكر في إلغاء المعاهدة. وتصورنا أن هذه الوعود فقط لن تكفي لحل المشكلة لذلك فكرنا بأنه لابد أن نشارك في المقاومة، لأن هذا هو الضغط الحقيقي. فالشعب كله يجب أن يشترك في مقاومة القنال لإخراج الإنجليز.

وبدأت تنتشر فرق المقاومة، كان وقتها فؤاد سراج الدين وزير الداخلية، وقيل إنهم كانوا يرسلون ضباط الجيش ليدربوا الفدائيين- وهذه من الأشياء القليلة التي قام بها الوفد- وبدأت الصحف تكتب ومنها جريدة المصري.

وذهبنا أنا وفتحي واثنان من الزملاء لبورسعيد لنرى تطور الموقف وسألناهم عن كيفية

مساعدتهم ؟ فطلبوا منا توفير السلاح لضرب الكامبات الإنجليزية.

وعندما عدنا إلى القاهرة بدأنا بكتابة بيان لتوزيعه على عساكر الإنجليز تقول فيه على ما أتذكر- (نخاطبكم بأن تعودا إلى بلادكم، وترفضوا من يقودونكم لاحتلال بلاد الناس،فاطلبوا أن تعودوا). واستمر فتحي في كتابة منشورات.

ولكن ظلت في ذهني مسألة كيفية توفير بعض السلاح للفدائيين، وخصوصاً بعد أن سألت وأنا في بور سعيد من أين يأتون بالقنابل ؟ وقالوا إن هناك بعض الكيميائيين المصريين يصنعون قنابل مولوتوف فلو وجد أحد الكيميائيين العاطفين على الحركة يمكن أن تحل المشكلة .فبدأت أسأل من أعرفهم. وعندما جاء لزيارتنا أحد الأصدقاء وهو سعد زغلول فؤاد ذكرت له الموضوع ووعدني بأنه سوف يتولى هو البحث لتوفيرها ،وبعد ثلاثة أو أربعة أيام قال لي أن هناك شخصاً مهتماً بالحركة وهو (عزيز المصري باشا) وقد وعدني بأنه يستطيع بسهولة توفير ذلك بحكم تردد الضباط عليه، فمن الممكن أن يأتوا له بأسلحة. إلا أنه طلب أن أقابله عندما عرف من سعد بأني وراء الموضوع ،وكان وقتها مفروض عليه الإقامة الجبرية في عين شمس في فيلته وحولها سور وأسلاك وعسكري يقف على الباب ، فذهبت وقابلته بعد أن تسللت من خلال جزء من السور لم يكن عليه سلك. ووعدني فعلاً بأنه سوف يرسل مع سعد هدية لي خلال أيام.

وبعد أسبوع جاء سعد ومعه شنطة،وقال لي إنه رتب لسفرها إلى بورسعيد،إلا أن هذا سيكون غداً ،ومن ثم لابد أن احتفظ بالشنطة حتى الغد.ووضعتها تحت السرير ولم أبلغ فتحي- يمكن نسيت أو خفت أقول له- ولم يعرف إلا عندما أتى سعد في الصباح ليأخذها. فثار فتحي متسائلا هل كنت أنام طوال الليل فوق هذه القنابل.

وأذكر أيضاً ذات مرة أثناء زيارتنا لبيت أناس في الإسماعيلية من الذين يعملون في المقاومة، تحدثنا كثيراً عن كيفية توفير السلاح وكان هناك طفل عمره تسع أو عشر سنوات. سمع المناقشة. ثم فوجئت بعد يومين وأنا أقرأ في جريدة المصري ،حيث كانت تنشر كل يوم الحوادث التي تقع في القناة. عن طفل اسمه نبيل منصور أخذ معه زجاجة كيروسين، ومر من الأسلاك الشائكة و خلع قميصه وبلله وألقى به على كامب إنجليزي، وطبعاً الإنجليز قتلوه. وقد ذكرني ابني لينين بأن هذا الولد هو الذي قابلناه في بيت الإسماعيلية، وهذه القصة نشرت

فى جريدة المصرى بشكل بطولى، كما كتب فتحى عنه .

وقد ألف لبنين وكان عمره تسع سنوات كتاباً عن نبيل منصور، وطبعه نتحى له.

وبعد إلغاء المعاهدة بدأت المسائل تهدأ ، ثم جاء حريق القاهرة، ثم ثورة يوليو.

اللجنة الوطنية الطلبة وللعمال

لم أكن فى الجامعة، لكن كان هناك زملاء من اللجنة أعرفهم وأتصل بهم. ففى يوم أرسلت لى لطيفه الزيات وكنا أحياناً نقوم بعمل جماهيرى معاً، كتوزيع منشورات ... فذهبت إليها ،وكانت طالبة فى السنة الثانية تسكن أسرتها فى شارع نوبار.وبدأت تشرح لى أنهم كونوا فى البداية لجنة للطلبة، ثم فكروا فى ضم عمال إلى الطلبة. فضموا عمالاً رجالاً فى البداية، ثم اقترحت لطيفة تمثيل للعاملات فى اللجنة. فطلبت منى ترشيح عاملة لتنضم للجنة. فرشحت حكمت الغزالى وهى أخت زميل لنا .كانت هذه العائلة غريبة. فيها الوفدى (سيف الغزالى) وفيها الإخوانية (زينب الغزالى) والثالث شيوعى (عبد المنعم) وكانت حكمت تعمل فى شركة غزل ونسيج بشبرا الخيمة، فذهبت إليها وكلمتها وحددت لها موعداً مع لطيفة. ثم ضموها للجنة وكانت لطيفة البنت الوحيدة الطالبة، وهى العاملة فى اللجنة المركزية . وأصبحت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

وقد بدأ الطلبة المظاهرات ثم انضم إليهم الشعب. قامت مظاهرة من ميدان الإسماعيلية ومظاهرة أخرى فتح فيها كوبرى عباس على طلبة جامعة فؤاد -القاهرة الآن. وأنا خرجت فى المظاهرة الأولى، لكن لم أخرج فى مظاهرة كوبرى عباس.

الموقف من الأحزاب والقيادات الحزبية الأخرى قبل عام ١٩٥٢

عائلتى كانت وفدية.وأبى قبل أن يكون وفدياً كان فى الحزب الوطنى، ثم حلوا الحزب الوطنى وشتتوه فأصبح وفدياً كما سبق الإشارة ،وعندما كنت تلميذة فى الابتدائية كنت أخرج فى المظاهرات..

الوفد كانت له شعبية، لكن قيادته فى النهاية غلب عليها الإقطاعيون، فبدخول سراج الدين ومجموعة من الإقطاعيين، سيطروا على سياسته ،ثم مر الحزب بأزمة شديدة عندما فرض الإنجليز على الملك أن يتولى مصطفى النحاس الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ ، من بعدها بدأت

شعبية الوفد تهبط تماماً ،وفى هذا الموضوع كلام كثير فبعض الناس قالوا أن الوفد ارتمى فى أحضان الإنجليز من أجل السلطة. لكن الحقيقة أن الإنجليز استخدموه فى حركتهم، بعد خوفهم من دخول الألمان مصر ،فأرادوا أن تكون هناك حكومة قوية حتى لو كانت وطنية لأن الشعب كان يهتف فى الشوارع (إلى الأمام يا روميل).

فى هذا الوقت حدث شيء مهم. أسس عزيز فهمى وكان ابن باشا من أعضاء حزب الوفد- لكن كان فى داخله اشتراكيًا- (لجنة الشبيبة الوفدية..)وظل ينمى هذا التيار بين الشباب الوفدى-وكان علنياً للطليعة الوفدية- وكانت مجموعة متقدمة، تكاد تكون معارضة داخل الوفد.

وعزيز فهمى كان له ثقل عند اليساريين،كان أحد أصدقائنا ،ولديه مكتب فى ميدان مصطفى كامل،فكنت أذهب إليه أحيانا عندما نقوم بنشاط أو نصدر بيانًا أعطيه له. كان متعاطفاً جداً، وحزنا كثيرا لموته.

حركة أنصار السلام

كان فيها يوسف حلمى وأظن يوسف درويش وسيزا نبراوى وإنجى أفلاطون- أنا عرفت بعد تأسيسها ، لكن لم يدعنى أحد للمشاركة فيها.

وقد يرجع ذلك لأن أكثر هذه التنظيمات كانت على علاقة سيئة بفتحى، لأنهم كانوا يرون أنه فردى وأحيانا كان هذا ينعكس على بالرغم من أنه كان مشروعًا علنيًا.وكنت أعرف إنجى جيداً إلا أنها مارست المكر معى ولم تذكر شيئا ، كما كان هناك اختلاف بيننا من الناحية الفكرية فقد كنت أقرب لفكر حدتو، رغم أننى لم أكن منظمة فى هذه الفترة.

لكن كانت لدى علاقة قوية جداً بسيزا نبراوى.. ويمكن أكون أنا الوحيدة التى كتبت عنها فى روز اليوسف عند وفاتها.

سلطة يوليو وتنظيماتها

كان هناك تياران وتيار عريض ينظر إلى الثورة على أنها حركة انقلاب عسكرى ،بل ويعتبرها سرقت منهم الثورة الشعبية الحقيقية - ومنهم فتحى الرملى- فكانوا يرون أن الشعب بعد حريق القاهرة وتوالى تغيير مجموعة وزارات غير محبوبة من الشعب وانكشاف السراى

بشكل واضح جداً، كل هذه الظروف كانت مهيأة لثورة شعبية. وكان ينقصها عود كبريت وتنفجر.

الخط الثانى كان لا يعادى ثورة يوليو ،كان يختلف معها فى أشيا ء ولكن وقف بشكل عام مع خط الثورة.

وأنا كنت أميل للخط الذى اتبعته منذ البداية والذى كان مع ثورة يوليو.ومع الإصلاحات التى قام بها عبد الناصر بالرغم من أنها ليست إصلاحات اشتراكية كاملة ،إلا أنه عندما أتى عبد الناصر وجعل التعليم مجانا ووزع الأرض على الفلاحين، وبعد أن كانت هناك بطالة شديدة قبل الثورة قام بتشغيل الخريجين فوراً، سوا ء ولداً أو بنتًا، وكانت هناك الضمانات الاجتماعية، كل ذلك جعلنى أميل للثورة .وكنت أرى لديهم رغبة مخلصة فى التغيير وفى إنقاذ الشعب. لكن ليس لديهم التمرس أو الخبرة أو النظرية التى تجعل هذه الثورة فى صالح مطالب الشعب، وهذا ما أخذ عليهم من البداية منذ إعلان النقاط الست-مبادىء الثورة- فالثورة عندما قامت كان أول شيء فعلته أن ألغت الأحزاب والصحف كلها واستخدمت الأسلوب الديكتاتورى فى التنفيذ، وحاولوا أن يقيموا عدالة اجتماعية. ويقيموا نوعاً من تكافؤ الفرص،لكن بأسلوب عسكرى، وطبعاً كنت بفكرى أؤيد الأسلوب الديمقراطى،فالديمقراطية بالنسبة لى هنا هى تمكين الشعب من التعبير عن نفسه و تحمل المسؤولية.

وأعضاء التنظيم لم يكونوا يدافعون عن الجانب غير الديمقراطى للثورة. لكن كانوا يقولون أن دورنا إحداث نوع من التأثير والتوجيه بتخلل الثورة.وهذا مشروع بدلاً من التضحية بكل المكاسب التى حصل عليها الشعب،خصوصاً أنه لم تكن هناك قوة أخرى مستعدة أن تحل محلهم، وهذه أيضاً من الأشياء السيئة للثورة إذ أنها حجمت كل القوى السياسية الأخرى ،بحيث يومها لو كان عبد الناصر وقع، لم يكن يوجد البديل.

الشيء الثانى الذى كنت آخذه عليهم أنهم كانوا يبنون الاشتراكية بناس غير اشتراكيين. فالضابط الذى يسرق فى الجيش يضعونه رئيساً لمؤسسة ! فيها إنتاج عام تابع للدولة تحت مظلة أهل الثقة أهم من أهل الخبرة!! والتنظيمات السياسية التى أقامها هى التى نضت على كل مكاسب الثورة، بما فيها الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى.فكلها كانت تنظيمات ليس

لديها فكر أو استراتيجية، بل تنظيمات هلامية والشعب لم يؤمن بها ولم تحرك فيه شيئاً. بالعكس كانت تعطى صورة سيئة للقيادة الموجودة وبالتالى لم تبن الثورة قوة سياسية اشتراكية أو حتى ليست اشتراكية بل متقدمة فى فكرها وأميل إلى الشعب وإلى قضاياه. لو كان هذ حدث، لم يكن السادات وجد الفرصة لينقلب بهذه السرعة ،فقد قال أنا فرقتهم بعصا ،وهذ يرجع إلى أن الجهاز السياسى الموجود لم يكن يملك لا النظرية ولا الفكر أو التكوين ولا حتى الانتماء الطبقى الذى يجعله يستطيع أن يصمد ويدافع عن مكاسب الثورة.

فكان جمال عبد الناصر محرك الأشيا ،وكان يملك ميزة وعيباً. عيبه أنه كأى رجل عسكرى يخاف من الشعب.والميزة التى كانت فيه أنه شخصية قابلة للتطور .ليس استاتيكياً يظل واقفاً مكانه.

وقد فهم أن أمامه قوتين يمكن أن تنافساه على السلطة، ليس على السلطة كسلطة،بل القوة التى تستطيع أن تجتذب الشعب أكثر. وهما الإخوان المسلمين، واليساريون، رغم أنه كان حذراً من الإخوان إلا أنه لم يكن يخاف منهم، لأن دعوتهم وأسلوبهم واضح .

أما الذين كان يخاف منهم ويؤثرون فيه فهم الشيوعيون وقد تركهم فترة،لأنه لم يكن يشعر بخطرهم بعد ،وكان يعلم أنهم لم يصلوا لأعماق الفلاحين والعمال، ومن ثم فتأثيرهم على الهامش-إلا أن الأزمة بدأت بعد الوحدة مع سوريا.فقد تصور الشيوعيون أنهم سيقيمون وحدة بمعنى أن الوحدة التى بين البلدين، سيتبعها وحدة بين الحزبين. هذا الكلام قيل وكتب عنه.وعندما ضربت الوحدة، شعر عبد الناصر بخطر الشيوعيين، فبدأ القبض عليهم. وكانت لديه قدرة أن يغير ويبدل عن الآخرين. ففعل شيئين. حبس الشيوعيين، لكن أخذ شعاراتهم ونفذها وهم فى السجن لاحول لهم ولا قوة ،أخذ الشعارات البراقة وأسماها قرارات اشتراكية-ليست مجرد قرارات وطنية أو ثورية- هو نفذ ما يعجب الناس والذى يسحب الأرض من تحت اليساريين. وهذا يبين لك أنه يستطيع أن يتطور، لكن فى أى اتجاه؟ فى مصلحة الناس أم فى مصلحة الحكم لحماية نظامه؟!

بالنسبة لجمال عبد الناصر أنا بينى وبين نفسى انقسام نحوه ،وعندما أجروا حواراً مع لينين ابنى فى جريدة الأهالى كان المانشيت (اختلفت مع أمى الشيوعية حول عبد الناصر)، فهناك جزء وجدانياً داخلى يحب عبد الناصر، ويعود ذلك لظروفى. أما أولادى الجيل الجديد

فلديه قضية الديمقراطية هى الفيصل وعبد الناصر فعل الكثير لمسح البؤس عن الطبقات المحرومة من الفلاحين والعمال والنساء ، لكن بقرارات فوقية بلا ديموقراطية.

بالنسبة لأحداث كفر الدوار

طبعاً أدنت ما حدث وكل الناس أدانته، وكان رد فعلها سيئاً على الحكم. حيث كشفت مباشرة خوفه من هؤلاء العمال، خصوصاً وأنهم خرجوا فى مظاهرة ليست ضد البلد أو أحد، ولكن من أجل حقوقهم. فاتضح من ذلك أن النظام هو الذى يعطى الحقوق أو لا يعطى. لكن أصحابها ليس لهم حق التعبير عن أنفسهم أو عن حقوقهم. وهذا أسوأ شىء!

هبة مارس ١٩٥٤

طرحت فكرة بين قيادات الثورة أننا أزحنا النظام الفاسد الظالم، وعلينا أن نرجع لثكناتنا ونأتى بناس وطنيين يكملون. فحدث خلاف بين الثوار فى القيادة وحدثت هبة مارس.

كان فيها خالد محيى الدين، وتقريباً اتحد نجيب مع خالد. وباختصار بصرف النظر عن الأشخاص. كشفت هذه الأزمة عن موقف الخط الموجود فى السلطة هل سيكون مع الديمقراطية أم لا؟ وأكثر اليساريين لم يقفوا مع خط عبد الناصر. حتى العمال الذين خرجوا فى مظاهرة ضد نجيب كانوا عمال الترام واستأجروهم ،ومنهم رئيس إحدى النقابات اسمه الصاوى-رجل مأجور - أما العمال كعمال فكانوا مع محمد نجيب لكن لم يكن فى يدهم شىء.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤

المرء كان يتمنى ذلك، لكن الطريقة بينت أنهم ضربوا ليس لأنهم كانوا خطراً على البلد،أو كانوا يهددون الشعب وقيمه وحضارته،بل لأنهم تجمع يهدد السلطة.

بالنسبة مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية

خرجنا أنا وفتحية العسال وعدد من الزميلات فى مظاهرة استقبلنا بها عبد الناصر عند عودته من باندونج. كما أيدنا صفقة الأسلحة التشيكية.

ملخص موقفى، أنا لست ضد أشخاص، أنا أريد أن يكون فى البلد ديمقراطية وعدالة اجتماعية، وألا يكون هناك استغلال، فالذى يحقق ذلك أباركه، والذى يريد أن يقيم نظاماً

جديداً بكرس الاستغلال والفوارق، طبعاً لست معه بصرف النظر عن الأشخاص.

وأيدت وسعدت بقرارات عبد الناصر الاشتراكية، رغم أن زملائي كانوا ما يزالون في سجونه. بينما أحزن الآن عندما أقرأ من يطالبون بخصخصة البنك الأهلي بقدر ما أسعدني تمصيره من قبل.

انتخابات مجلس الشعب سنة ١٩٥٧

كنت رقتها في التنظيم. قالوا نحن سنؤيد أحمد فؤاد، وكان مدير بنك مصر وشخصية وقد رشح نفسه عن دائرة الدقي، فذهبت إلى الدقي لأرى الموقف كصحفية، وكانت أمامه مرشحة اسمها راوية عطية، واكتشفت مدى جماهيريتها، فكلما دخلت بيتاً أو محلاً يواجهونني سننتخب راوية عطية.. وكانت هي مدرسة وأيام العدوان على بور سعيد لبست ملابس كاكي وذهبت إلى هناك. فكانت مثالاً للشجاعة عند الناخبين على أنها بنت، وعندما عدت قلت لهم لن أستطيع الوقوف ضد هذا التيار لأنه تيار شعبي وسحبت نفسي، ووقفت معها، ليس ضده، لكن شعوري كان معها ونجحت راوية عطية وكانت أول سيدة مصرية تدخل البرلمان، ولم يكن لها اتجاه كانت مجرد وطنية وشجاعة، أما هو فكان رجلاً في البرج العاجي. وكانت السيدة الثانية التي دخلت البرلمان هي المرشحة نادية شكري في الإسكندرية، وكانت ممرضة وتقوم بعمل اجتماعي.

والاثنتان نجحتا بتفوق وهذا بين كيفية تحضر الشعب المصري، وخصوصاً أن الاثنتين امرأتان بسيطتان.

الموقف من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦

كان فتحي الرملي يصدر جريدة اسمها البشير، وضمنها استمارة استفتاء عبارة عن سؤال هل تؤيد ردم القناة أم تأميمها أم مد امتياز تأجيرها وفعلاً انهالت عليه الخطابات، وكانت أغلبها تؤيد التأميم، كان هذا قبل التأميم.

وبالنسبة لموقفنا كنا نشعر أن القناة هي قلعة الاستعمار في مصر. لذلك عندما تم التأميم كنا سعداء به جداً.

وقد قمت خلال العدوان الثلاثي بعمل كبير من المحتمل أن يكون هو سبب انتباه الحزب لي، فبمجرد بدء العدوان الثلاثي ذهبت كصحفية واثنان صحفيان معي للقناة ورأينا الضرب

والخراب الذى حدث.

وباختصار عندما أتت لى سيزا نبراوى فى روزاليوسف لتسألنى عن ماذا نفعل؟ قلت لها: نكون لجان مقاومة شعبية. أنا التى أسستها ،كانت لسيزا ابنة أخ مدرسة فى مدرسة خاصة في شارع صفية زغلول. فوفرت لنا مكانا نبدأ فيه لأن المدارس كانت مغلقة. وكتبت دعوة نشرت فى روزاليوسف ودعوت مجموعة كبيرة من الشخصيات النسائية منهن حكمت أبو زيد.. ،، وقررنا تكوين لجان، وبدأنا فى منطقة المنيا، وطلبنا من الحكومة التدريب العسكرى فرحبوا بذلك، وخصصوا لنا مكانا للتدريب فيه على السلاح. وكونا مجلس إدارة -قيادة لجنة مركزية.

وكونا فى القاهرة ست عشرة لجنة.وكنا نريد أن نصل لنساء السيدة زينب فاقترح جمال غالى علىّ أن أذهب إلى سيدة هناك كان يعرفها هى وزوجها أثناء هروبه ،حيث أقام فترة فى منزلهما وقال لى أنها ربة بيت لكن ممتازة جداً وشعبية جداً وبنت بلد. وكانت تسكن فى حارة اسمها درب البهلون وذهبت إليها وعندما عرضت عليها الموضوع قالت لى:أنا معكم. وكانت لها شعبية كبيرة جداً فى المنطقة وقد اتضح ذلك عندما سرنا معاً طوال شارع زين العابدين، فبائعات الخضار والمحلات ينادينها بست توحة،ويحكين لها مشاكلهن، فرأيت فيها بالفعل قائدة شعبية وتولت تكوين لجنة مقاومة فى السيدة زينب، ودخلت معنا مجلس الإدارة وهى فتحية العسال.

وعندما انتهت المعركة عقدنا اجتماعاً لمجلس الإدارة، لنقرير مصير هذه اللجان ،فقد كنا نرى أن وصولنا للأحياء الشعبية يعتبر مكسبا كبيرا. فاقترحت سيزا نبراوى تحويلها إلى اتحاد نسائى.

إلا أنه خطر فى ذهنى أن سيزا تقصد إنشاء اتحاد نسائى على مستوى الاتحاد النسائى الأرستقراطى السابق أيام هدى شعراوى، لذا اقترحت استمرار هذه اللجان الشعبية لتقديم خدمات لنساء الأحياء الشعبية مثل محو أمية ... الخ.

وعندما احتد النقاش أخذنا بالتصويت، يومها فتحية وقفت معى وأذكر كانت معنا ليلى وعنت الشال وأنجى افلاطون وزميلات أخريات، وحصلنا على الموافقة على اقتراح اللجان الشعبية. وأخذنا قراراً بوضع خطة عمل للجان كل لجنة حسب موقعها الجغرافى واهتماماتها وطبيعتها. إلا أننا فوجئنا فى اليوم التالى بمنعنا من الدخول إلى مقرات اللجان. وحتى الآن أحياناً يراودنى إحساس بالندم على عدم موافقتى على فكرة سيزا .لكن اعتقد أيضاً أن الأمور

لم تكن ستستقر على كل الأحوال إلا إن ما قمنا به كان له صدى كبير وقتها.

وأثناء الوحدة مع سوريا، بدأ وقتها توحيد القوانين (قانون الأحوال الشخصية،قوانين العمل) كنت أعرف وقتها أحمد فهيم- كان رئيس اتحاد عمال مصر-كان رجلاً ممتازاً جداً ولديه ميول يسارية. وعندما عقد مؤتمراً في الإسكندرية لمناقشة مشروع قانون، ذهبت إلى هناك كصحفية عن روزاليوسف وكانت هناك عايدة فهمي.ونزلنا معاً في فندق متروبولتيان في محطة الرمل وعندما قرأنا القانون السوري وجدنا فيه أشياء متقدمه. وقلت لعايدة إن هذه فرصة ،فلو مكثنا مائة سنة نطالب بحقوق المرأة العاملة فربما لا تتاح لنا مثل هذه الفرصة. أما الآن فهم مضطرون لتوحيد القوانين فالقانون المصرى بالنسبة للمرأة لم يكن يعطى لها أكثر من خمسة عشر يوماً إجازة وضع، ولا توجد دور حضانة. أما قانون سوريا ففيه إجازة أكبر ودور حضانة .فتحدثت مع أحمد فهيم وبعد مناقشة طلب أن اشترك مع عايدة فهمى فى وضع بنود جديدة خاصة بالمرأة العاملة، فظللنا طوال الليل ندرس مواد القانون السورى التى فى صالح المرأة، وزدنا عليها ،ووضعنا مشروعًا بعشر نقاط. عشر مواد هى الموجودة فى القانون الآن. أخذها منا أحمد فهيم ووضعها فى القانون. فجعلنا إجازة الوضع خمسة وأربعين يوما، مدفوعة الأجر وتوفير ساعة رضاعة أثناء اليوم،وإنشاء دور حضانة فى الشركات التى تزيد عن مائة عاملة.....الخ.

الصراعات السياسية والتنظيمية داخل المعتقلات والسجون

كنت أسمع كلاماً، لكن لا أستطيع أن أعرف الحقيقة. كانوا يقولون إن هناك صدامات وصراعات بين التنظيمات. فبانتقال الأعضاء من تنظيم إلى آخر كان من الطبيعى أن تنتقل معهم خلافاتهم وتشيئاتهم .لكن فى النهاية لابد أن وحدة الظروف ووحدة المعاناة ووحدة العذاب الذى لاقوه فى السجون، أكيد قربت فيما بينهم ، فمثلا أكيد أثر قتل شهدى عطية فى الجميع، حزبه وحزب الآخرين. بل أثر فى الناس الذين فى الشوارع وعلى المقاهى.

الموقف من الاتحاد السوفيتى وسياساته فى بناء الاشتراكية

أنا أحب فلاديمير اليتش لينين. وأعتبره أعظم زعيم فى القرن العشرين برغم الانقسام الذى حدث فى بداية تأسيس الاتحاد السوفيتى بسبب اختلافه مع تروتسكى حول السياسة الزراعية. فى اعتقادى أن أنضج مرحلة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى كانت مرحلة قيادة لينين، وأن

أصعبها كانت مرحلة ستالين، وإن كان ذلك يجب ألا يمنعنا من الاعتراف بفضل ستالين فى كسب الحرب فلولا ذلك لتغيرت خريطة العالم ومصيره ولما أمكن للاتحاد السوفيتى أن يفرض وجوده بعد ذلك على الساحة الدولية كقوة عظمى أو أن ينفتح الطريق أمام تجربة الاشتراكية إلى عدد من دول أوروبا بعد النصر الذى حققه الجيش الأحمر ... والواقع أن المرء يحار فى فهم شخصية ذلك الرجل عندما يضع فظاعة أسلوبه فى تصفية خصومه السياسيين باسم تأمين المجتمع السوفيتى إلى جانب عبقريته فى إدارة الحرب وكسبها من هتلر وجيشه الذى اكتسح دولا أوربية عريقة كفرنسا. كيف نجح فى إقامة صناعة للسلاح وفوق جبال الأورال فى عز المعارك الدائرة على أرض بلاده؟ وكيف أدار معركة المقاومة الشعبية فى مدينة ستالينجراد التى كان صمودها الأسطورى نقطة التحول فى سير معارك الحرب الثانية أجمع؟.. بعده جاءت المرحلة الثانية التى تعاقب فيها عدد من القيادات من النوع الاستاتيكى، فرضت الجمود على حركة المجتمع وحولت سلطة البروليتاريا إلى سلطة بيروقراطية فى خدمة مصالح أباطرة الحزب. ربما باستثناء خروتشوف ذلك القائد الفلاح الذى حاول أن يضخ دماء نقية فى شرايين الدولة والنظام بكشفه وإدانته لديكتاتورية ستالين خلال المؤتمر العشرين الذى كان يمكن أن يكون فاتحة عهد جديد فى الاتحاد السوفيتى لكن منتفعى السلطة والحزب لم يمهلوه لإنجاز حلمه وتحقيق التغير.

ثم فى النهاية.. يأتى جورباتشوف ويلعب لعبته تحت عباءة سياسة الانفتاح والمصارحة والله يعلم من كان وراء دعوته.. مصلحة الوطن وارتقاؤه أم مصلحة العم سام. واليوم لا يملك المرء أمام دراما انهيار تراتم البناء الاشتراكية فى الوطن الأول سوى أن يتساءل هل هى نهاية المطاف أم بداية تصحيح المسار فى عالم كل شىء فيه يتغير ويتطور والفائز فيه هو من يستطيع إعادة حساباته ومواجهة أخطائه لينجو من طريق سيزيف الذى لا نهاية له ولا شطآن.

حل الحزب

بعد اعتقالات عام ١٩٥٩ وتعرض الشيوعيين لعملية تعذيب شديدة جداً- وأنا أؤمن دائماً بأن يراعى الإنسان البعد الإنسانى عندما يحكم - فأتساءل هل لو كنت عذبت هذا العذاب وقالوا لى حلى حزبك هل كنت سوف أحل أم لا ؟ هم عذبوهم بشكل غير معقول والإنسان له

قدرة والإنسان الذى لم يعذب ليس له أن يحكم. نعيد الناصر لعب لعبته وأخذ شعاراتهم كما ذكرنا سابقاً وقطع الطريق عليهم. بعدها بدأ يجرى حوارات معهم داخل السجن. وحدثت المفاوضات والمساومات حول حل الحزب ودخول بعض القادة فى حزب عبد الناصر. بحيث يكونون جزءاً من النظام. فالبعض قال (هو تبنى أفكارنا وسيشغلنا معه، إذن نحن جزء من النظام. ولن نعاديه من أجل المعاداة). بل تصوروا أنهم ستكون لديهم فرصة للتأثير باعتبارهم مستشارين كما وعدهم خصوصاً بعد صدور القرارات الاشتراكية.

وقبل خروجهم .. البعض أعطيت له العضوية فعلاً فى التنظيم الطليعى، ومنهم أخذت مجموعة ووضعت كقيادات للحركة الثقافية فى مصر كخالد محيى الدين وعلى الراعى ومحمود العالم .الخ .ويمكن هنا أن نعذر الذين قاموا بالحل، نتيجة للتعذيب أو الإغراءات أو الامتناع .

الطابع الانقسامى للحركة

هناك شيئان يصعب الاختيار بين أحدهما للحكم على ما حدث : **الأول** إنها من الممكن أن تكون حركة تخريبية .. لأنه ثبت عندما تمت الوحدة وحدث الانفصال أن كان هناك اختراق للمنظمات من البوليس. فقد كان لدى البوليس الكشوف كاملة بالأسماء التى قبض عليها، ولو أن هذا الشكل سيعطى شبهة أنه كان هناك عناصر فى القيادة أو من لهم تأثير على اتصال بالبوليس وهذا الذى يخيف، ولكن لا أستطيع الحكم به.

الشىء الثانى عيب فى المصريين وهو الذاتية .العنصر الذاتى يتغلب على المصلحة،وقد ظهرت أكثر فى أيام مناقشات الانفصال. فكل حزب يريد أن يقول أنا الأقوى .. أنا الذى عددى أكبر، أنا الذى خطى السياسى أصح. ولذا من حقى أكون فى اللجنة المركزية وليس فى المنطقة، وذلك كان لدى البعض أهم من أن تتم الوحدة أم لا. وبدلاً من أن يذوبوا فى بعضهم اصطدموا ، وهذا التصادم ليس حول الأفكار فقط،بل تصادم حول المواقف، والذاتية فيها جزئية شهوة الزعامة لأنها كانت تحدث بين الكبار وليس الصغار. ومن ثم لم تكن التكوينات البشرية الموجودة على المستوى. فالمفروض إذا كنت مخلصاً أن أتجاوز عن بعض الأشياء فى سبيل المصلحة العامة

أنا أتصور أن هذين السببين لعبا دورا فيما حدث من انقسامات،والدليل على ذلك محاولاتهم للوحدة أكثر من مرة ،وفى كل مرة تتكرر نفس المشكلة.

أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل ١٩٦٥

-أولا : عدم الوصول إلى القواعد الشعبية. فهى التى تعطى أو لا تعطى القوة..

- التفتت، ولا نستطيع أن نقول عدم وضوح الرؤية بل يوجد تضارب فى الرؤية وليس خطاً واحداً ،وبالتالى لا توجد استراتيجية واحدة. بالرغم من أن الهدف فى النهاية واحد. فللوصول إلى الهدف المشترك لابد أن تكون هناك استراتيجية على الأقل متقاربة.

ولا أركز بقوة على موضوع الأجانب بأن لهم تأثيراً فى النشأة،لأنها مرحلة وانتهت. فبعد موضوع فلسطين، انكمش الأجانب خصوصاً اليهود، بعد أن أصبحت هناك روح معادية للصهيونية ،والناس العاديون لا يفصلون بين الصهيونى واليهودى. وحتى إذا كانوا يريدون أن يلعبوا دوراً فى أزمة الحركة الشيوعية والانقسامات التى تمت،لم تكن الفرصة متاحة لهم تماماً. فى البداية نعم بحكم تأسيسهم للحركة،لكن أصبحت كلها قيادات مصرية بعد ذلك وتربت كوادر مصرية كثيرة فى كل مكان.

بالنسبة للرفاق الذين أدوا دوراً وينبغى أخذ شهاداتهم

محمد الجندى ونبيل الهلالى وجمال غالى وفاطمة زكى .

هناك رفاق من الذين ماتوا كنت أعجب بهم وكان يمكن أن يضيفوا الكثير، منهم محمد عباس، وأم محمد عباس، وكان له أخ اسمه صفوت محمد عباس كان مدرساً. وقد ظل محمد عباس شيوعياً بعد أن حلوا الحزب ويعتبر نموذجًا للمناضل المتمسك بعقيدته ولا شيء يزحزحه،مع أنه من أسرة بسيطة.

وهناك أناس استشهدوا فى السجن منهم محمد عثمان الذى لم يُعرف طريقه ،وكنت وقتها أرى والدته ضمن الأمهات. فمرة يقولون لها أنهم نقلوه طنطا ومرة المنصورة، ولم يجدوه فى أى مكان وقيل إنه قتل.

شهادة

سعيد مصطفى[1]

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : سعيد مصطفى أحمد حماد

محل وتاريخ الميلاد : ١٥ سبتمبر ١٩٣٠ بطنطا

المــؤهــلات : الابتدائية وقد حصلت عليها وسنى حوالى ١٦ سنة ولعدم تمامى للتعليم حكاية لها صلة بالعمل التنظيمى سأذكرها فى مناسبتها. والمهنة التى عملت بها منذ حوالى سن الثانية عشر، هى الطباعة.

فترات السجن والاعتقال : السجن لمدة سبعة أعوام فى المدة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٢، واعتقلت مرتين كل مرة نحو أربعة شهور أو أكثر عام ١٩٧٥ ، ١٩٧٧.

بيانات عائلية :

سأحاول بقدر الإمكان أن يكون الكلام الذى اكتبه قريباً من الحقيقة لأننى للأسف لم أكتب أى شئ عن حياتى يمكن الرجوع إليه عند كتابة هذه الشهادة التى تعد الأولى التى أدلى بها.

كنت أحب التعليم كثيراً، وكنت أحب أن أكمل تعليمى لكن ظروفى العائلية والشخصية لم تساعدنى على ذلك وهذا شئ آسف له كثيراً، ويمكن أن يكون الأشخاص الذين ارتبطت بهم عند انضمامى للحركة الشيوعية قد لعبوا دوراً فى عدم اكمالى تعليمى وهذا ما أذكره ولا انسه أبداً. فقد حصلت عى الابتدائية وكنت ادرس للحصول على الاعدادية فقيل لى ماذا ستفعل بهذه الدراسة وهذا التعليم، نحن لا نحتاج له، فى المستقبل لن نحتاج لهذا النوع من التعليم، ماذا تتعلم فى المدرسة ، أتعرف كم عدد أرجل النملة؟ .. أنا لا أنسى هذه الحكاية أبداً .. وكان باق أيام على دخولى امتحان الإعدادية فاقتنعت بهذا الكلام ولم أدخل الامتحان.

وبالنسبة لنشأتى الأسرية فقد نشأت فى أسرة متوسطة الحال. كان والدى تاجر منسوجات على قده، كان له محل صغير فى طنطا. وقد ربتنى خالتى التى كنت أعرف أنها أمى حتى سن الثامنة حين أخذتنى أمى التى لا أبالغ إذا قلت إنها كانت امرأة عظيمة جداً برغم أنها لم تكن تعرف القراءة والكتابة. لا يمكن أن اقول عنها إنها أمية لأنها برغم أمية القراءة والكتابة

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب – عضو لجنة التوثيق.

لم ألتق بامرأة مثلها فى حياتى، كان لديها قدرة كبيرة على تربيط الناس، وكان لابد لكل من يعرفها أن يحبها. كانت قادرة على جذب الناس وكسب ثقتهم وحبهم لها، وهي أيضاً لم تكن تعرف غير أن تحب وقد كانت تخصنى بحب خاص. لقد تأثرت بها وتعلمت منها الكثير برغم أننى لم أعرف قدرها الحقيقى إلا بعد وفاتها.

انتقلت أسرتى إلى الاسكندرية فى مستهل الأربعينيات، للاستقرار بها بعد أن كان قد سافر لها أخى الأكبر فتحى ومن بعده سعد للعمل فى الطباعة التى كانا قد تعلماها من ابن خالتى الذى كانت له مطبعة فى طنطا، وظللت أنا فى طنطا مع خالتى التى ربتنى وكنت متعلقاً لها، وأخيراً سافرت إلى الإسكندرية عام ١٩٤٢ وعملت فى مطبعة اسمها مطبعة النهضة.

وبالنسبة لارتباطى بالفكر الماركسى فعندما جئت إلى الإسكندرية كان والدى بلا عمل لأنه كان كبيراً فى السن، وكان متديناً، ينادى بالشيخ مصطفى، وكان مرتبطاً بجماعة انصار السنة المحمدية، وكان وفدياً ويبدو أن هذا كان بالوراثة، يعنى سعد زغلول كان كل شئ بالنسبة له، كان كل ما يفعله أنه يذهب إلى المسجد ويأتى من المسجد، وكنت دائماً معه وكنت متديناً أصلى وأصوم وأتكلم فى الدين بشكل جيد لاننى طوال عمرى كنت أحب القراءة جداً. كان الكتاب لا يفارقنى ولا أفارقه. تعرفت على جماعة أنصار السنة المحمدية وارتبطت بهم، وأحببت ناساً منهم، وظللت فترة طويلة معهم بعد أن تأثرت بفكرهم، وبعد ذلك ارتبطت بالإخوان المسلمين وأسست شعبة أنا وشخص أذكره جيداً اسمه محمد الحصرى كان ممتازاً وأحببته منذ أن جلست معه، كانت الشعبة التى أسستها شعبة ابن الخطاب فى محطة مصر (الإسكندرية) وظللت فترة مع الإخوان، ولكنى لم أقتنع بفكرهم تماماً، لم أجد فى الإخوان المسلمين تمسكاً بالدين الذى تشبعت به وفهمته من أنصار السنة المحمدية، كانت صدمتى الأولى هى رؤيتى لصورة حسن البنا معلقة فى شعبة محسن باشا إحدى شعب الاخوان بالإسكندرية، وقد كنت احفظ الحديث الذى يقول إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور وتماثيل، وتناقشت مع رئيس الشعبة وقد كنت طفلاً بالنسبة له فأبدى اقتناعه بوجهة نظرى وطالبته بانزال الصوره فعبر عن عدم قدرته على ذلك. المهم تركت الإخوان وعدت إلى أنصار السنة المحمدية، ومنها ذهبت إلى الشيوعية .. كيف؟.

في المطبعة التي عملت بها وبعد ثلاثة أو أربعة أعوام من عملي بها وجدت أنها تطبع مطبوعات تيل لي إن المفروض الا يعرف عنها أحد شيئًا. احسست بأهمية الأمر وشاركت في الطبع وفي التخلص من الورق (الدشت) وأخيراً عرفت أن ما يطبع هو أوراق شيوعية، كان يقوم أساساً بالطباعة أسطى بالمطبعة وكان اسمه فاضل القليوبي، وكان صاحب المطبعة يقوم بالطباعة من منطلق أنها تحقق له ربحًا أكثر. لكن فاضل القليوبي كان مرتبطًا بالشيوعيين الذين كانوا يأتون لأخذ المطبوعات، وكان يحضر إلى المطبعة اشخاص عرفت منهم الشيخ محمد صفوان وعبد العزيز عوض وآخرين. وعن طريق عبد العزيز عوض دخلت الحركة الشيوعية.

طبعًا لأوراق التي كنت أقوم بطبعها يرجع تاريخها إلى ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧ أي قبل نشأة «الحزب الشيوعي المصري» «الراية» الذي انضممت إليه بعد ذلك. ولابد أن تلك المطبوعات كانت تخص «حدتو» وطبعًا لم يكن مسموحًا لي ولا متاحًا وأنا أطبع أن أقرأ المطبوعات، وأعطاني عبد العزيز عوض كتابات لأقرأها فوجدت الكلام جديداً تمامًا خلاف ما كنت أسمعه وأقرأه، كن بالنسبة لي سهلاً جداً، وكان يرد على الأشياء التي كانت تدور في ذهني وكانت تحيرني ولم أكن أجد أجابات عنها، ووجدت نفسي في تلك الكتابات فعلاً.

بعد فترة حدثني عبد العزيز عوض عن الحزب، وأبلغني أنني أصبحت عضواً في الحزب لشيوعي المصري، وأذكر هنا محمد عبد الكريم الذي حببني في الشيوعية وكان أستاذي فعلاً.

وكان طبيعيًا أن أعمل في الأجهزة الفنية ووجدت نفسي مسئولاً عن الجهاز الفني بالاسكندرية. استأجرنا شقة في العطارين على أنها مكتب محاسب ومارست فيها عملي. هو إعداد المطبوعات وتجهيزها لتوزيعها على البلاد الأخرى، وكان في الشقة أيضًا مكتبة الحزب، وكان يشاركني العمل الزميل درويش مصطفى القليوبي قريب فاضل القليوبي والذي أجر هو الآخر شقة فيها رونيو لطباعة المطبوعات التي تطبع على الرونيو.

كانت مجلة «الراية» تطبع في المطبعة التي افتتحها فاضل القليوبي بعد أن ترك مطبعة النهضة، والتحقت أنا بالعمل عنده، والكل يعرفون جودة طباعة مجلة «الراية». مجلة الحزب الشيوعي المصري التي كانت تطبع بالحرف بلونين، ولعل ما كان طبع في مطبعة النهضة وكنت أشارك فيه وأنا صغير هو الكتب الخضراء.

مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة

من حيث العضوية كان الحزب الشيوعي المصري (الراية) يضم في عضويته عناصر عمالية، كانوا في اعتقادي من خيرة الطبقة العاملة، ونسبتهم كانت معقولة إلى حد بعيد، وهذا ينطبق أيضاً على الفلاحين.

أما المعارك التي خاضها الحزب فأنا للأمانة لا أستطيع التحدث عنها لأنني بحكم طبيعة عملي في الجهاز الفني كنت بعيداً عن أي عمل جماهيري لدواعي الأمان طبعاً.

المجلات التنظيمية والجماهيرية التي كان يصدرها التنظيم

بالنسبة للمجلات التنظيمية التي كان التنظيم يصدرها يمكن أن أقول إن الحزب الشيوعي المصري كان يتميز عن باقي التنظيمات الأخرى في هذه المسألة، وهذه حقيقة يعترف بها الكل لدرجة أن الحزب كان متهماً باهتمامه بالفكر والنظرية على حساب العمل، وأعتقد أن الحزب كان من أوائل التنظيمات التي كانت تملك- يعني عند اعلان وجوده - كل المقومات الأساسية من تكتيك وبرنامج ولائحة تنظيمية، طبعاً سبق هذا محاولة لدراسة الواقع المصري بعنوان «ثورتنا المقبلة» والتي على ضوئها تحددت طبيعة الثورة ومهامها وقواتها وحلفاؤها. بعد ذلك كانت هناك مجلات ونشرات وكتب عديدة. هذا بخلاف التقارير التي كان يصدرها الحزب في مناسبات مختلفة، وأذكر منها بالنسبة للمجلات (مجلة الانتصار) ومن الكتب (من هم الشيوعيون المصريون؟وماذا يريدون؟) وهذا كان كتابا في غاية البساطة، والذي يقرأه إذا لم يصبح شيوعياً لابد أن يحب الشيوعية، ومن الكتب أيضاً (الخدعة الكبرى والخدعة الصغرى) وكتابات عديدة عن العادليين والشنديين، وهذه نسبة لأسماء زملاء من تنظيمات أخرى - وكانوا طبعاً متهمين بالانتهازية، كان الحزب يرى أنه لا أحد شيوعي غير الذي كان في الراية. وهذا ما تعلمته من الحزب، وتلك الكتابات كان يكتبها الرفيق خالد والرفيق غالب، وبالمناسبة عندما دخلت السجن اكتشفت وجود آخرين من غير الأعضاء في الحزب الشيوعي المصري، وهؤلاء كان يقال لهم زملاء لارفاق لأن صفة الرفيق كانت لا تطلق إلا على عضو الحزب الشيوعي المصري، وبالمناسبة أيضاً أنا كنت ومازلت احترم جداً جداً فؤاد مرسي، هو دون كل الذين قابلتهم وعرفتهم وعشت معهم في السجن، في الخارج طبعاً لم أكن اعيش مع أحد لكن

فى السجن قابلت الكثيرين، وفؤاد مرسى شئ آخر تماماً، وبالرغم من كل المآخذ التى يمكن أن تؤخذ عليه الآن، فإنه كان قيمة كبيرة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

دور المحترفين

الاحتراف التنظيمى شئ هام جداً وضرورى ولا غنى عنه لكن بشرط أن يكون احترافاً ثورياً ولا يتحول الاحتراف إلى عمل وظيفى، لأنه فى رأيى من أخطر الأمور على حياة الحزب وحيويته أن يتحول الكادر الثورى إلى موظف، وبالتالى يتحول العمل الثورى إلى روتين، ويصبح الارتباط بالحزب ارتباط مصلحة حياتية.

موقف التنظيم من التنظيمات الأخرى

كما سبق أن قلت لم يكن الحزب الشيوعى المصرى يعترف بوجود شيوعيين خارج الحزب، وكانت هناك مقولة مشهوره تقول «لا شيوعية خارج الحزب» كل الذين خارج الحزب انتهازيون، هؤلاء يسار وهؤلاء يمين. أنا شخصياً لم أعرف ولم أقابل احداً من خارج التنظيم قبل السجن، وبالبتنى كنت قد قابلت فربما كانت النظرة قد تغيرت.

وقد تغير موقف الحزب من الآخرين بالطبع وتمت الوحدة، وكان الحزب طبعاً مع وحدة الحركة الشيوعية وبشكل خاص القواعد، القواعد من كل التنظيمات.

الموقف من الأجانب واليهود

الحزب كان ضد تواجد عناصر يهودية، ولم يكن هذا على الإطلاق موقفاً عنصرياً من وجهة نظري - بل كانت اسبابه سياسية - لم تكن المسألة هى الدين اليهودى بقدر ما كانت المسألة أجنبية العناصر إذ كانت المسألة توضع فى شكل وجود وعدم وجود الأجانب وليس اليهود، بدليل أن الحزب كان يضم بين اعضائه نسبة كبيرة من غير المسلمين، ولم يكن يدور بخلد أحد مسألة المسلم والمسيحى مثلاً. وبالنسبة لليهود فلا شك أن الحساسية تجاه تواجدهم كانت بسبب مشكلة اسرائيل، ولو ناقشنا المسألة من زاوية من الأقدر على تفهم مشاكل بلادنا : أهلها أم الوافدون عليها من الخارج؟ وإذا كنا نضع شروطاً لصفات عضو الحزب أن يكون كذا وكذ فمن باب أولي أن يكون مواطناً مصرياً. هذا رأيى بالنسبة لفكرة عدم وجود أجانب فى الحزب فالمسألة لم تكن مسألة يهود، واليهود لم يكن لهم وجود فى الحزب الشيوعى المصرى.

موقف التنظيم من سلطة يوليو

الكلام الذى يقال هنا مفروض أن يؤخذ من الوثائق باعتبارها المرجع الأساسى لموقف التنظيم. والمعروف أن تقييم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لثورة يوليو عندما قامت كان أنها انقلاب عسكرى فاشى، وهذا الموقف انعكس على مواقف الحزب السياسية المختلفة. قانون الإصلاح الزراعى كان فى نظر الحزب مثلاً الخدعة الكبرى أو لصغرى. أحداث كفر الدوار كان الحزب بالطبع ضدها وكان مؤيداً ومدافعًا عن عمال كفر الدوار الابطال، وطبعًا أحداث كفر الدوار كانت تدعم موقف الحزب حتى مؤتمر باندونج وذهاب عبد الناصر لحضوره كان مجرد(فاشى مصر المفلس .. راح يبحث عن المجد فى باندونج). وقد أصدر الحزب بياناً بهذا المعنى.

يعنى حتى باندونج كان هناك إصرار على الفكر الخاطئ والمنهج كان خاطئنا. كنا نريد أن نكيف الواقع لفكرنا وليس العكس، يعنى كنا عميان عن الحقيقة وبعد ذلك تغير الموقف خصوصا بعد صفقة الأسلحة التشيكية وتأميم قناة السويس.

حل المنظمات الشيوعية لنفسها

بالنسبة لقرار حل الحزب لم يحدث أى اتصال بى قبل الحل لأخذ رأيى، وعرفت بحل الحزب من الصحف. لكن رأيى أن قرار حل الحزب - مهما كانت الأسباب والمبررات التى قدمت وقتها - هو قرار خاطئ، واعتقد أن كلمة خاطئ هذه ليست كافية، أنا اعرف أنها جريمة، واعتقد أنه لا أحد منا الآن، سواء كان الذين قالوا نعم أو لا لهذا القرار يستطيع أن يدافع عنه الآن،هو خطأ جسيم لكنه نتيجة لأخطاء جسيمة فى السياسة والتنظيم، وأنا فى الحقيقة لا أميل إلى تخوين كل الذين وافقوا على الحل، ولا إلى تبرئة كل الذين رفضوا الحل فهناك من أدان الحل بالمصلحة، والواقع الآن يؤكد هذا، فكثير ممن ادانوا الحل وكانوا أبطالاً أين هم الآن أو ماذا فعلوا، هذا ليس معناه أننى ابرر، والموضوع لابد أن يناقش فى إطار الظروف التى أحاطت به، ولا ننسى أن الحزب فى الحقيقة والواقع لم يكن موجوداً قبل قرار الحل، لم يكن موجوداً فعلاً.

مسألة أخرى، لابد أن نفرق بين الذى نظر والذى قاد للحل وبين الذي أطاع ووافق، وأود أن

أقول إننى لا أرى فائدة كبيرة يمكن أن تعود علينا وعلى مستقبلنا من النقاش الطويل فى هذه الأمور، وأخشى أن يتحول آخر الأمر إلى ضياع الوقت. صحيح أن المسألة مهمة ومهمة جداً لكن لا ينبغى أن نضيع حياتنا الباقية فى التساؤل عمن كان مع الحل ومن كان ضده، وإن كان الكل مسئولين، لا أحد منا لا يتحمل مسئولية الموافقة على الحل.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥

أرى أن الأسباب كثيرة جداً منها مثلاً أن الفكر الاشتراكى والماركسى بشكل خاص معظمه جاء منقولاً وجاهزاً، وبالتالى كان غريبًا على الواقع المصرى. كانت هذه هى البداية، البداية فكر لا يعبر عن الواقع، فكر خاطئ، فكر منقول كما هو، والماركسية علمتنا غير ذلك، يعنى الماركسية ليست عقيدة، ليست دينًا، ليست نصوصًا، الماركسية منهج، وعندما يأتى فكر لا يعبر عن واقعنا لابد أن تكون هذه نهايته. أقول إنه إذا كانت البداية هكذا فلابد أن تكون النتيجة هى ما وصلنا إليه، فلا يمكن أن ينتظر من حزب بدأ بفكر خاطئ، يساريًا كان أو يمينيًا أن يصل إلى نتائج صحيحة.

أريد أن أقول إن تكوين الحزب كان يحمل معه بذور الانقسام والأزمة والنهاية، وهذا شئ طبيعى، أقصد نتيجة طبيعية للبداية، يعنى فى الحقيقة التاريخ لم يظلمنا.

والسبب الثانى أنه لم يكن هناك شيوعيون حقيقيون، أنا أعرف أن هذا الكلام كبير؟ معذرة مرة أخرى، وليتنا عندما نسمع هذا الكلام ولا يكون متمشيًا مع الكلام الذى فى رؤوسنا لا نرفضه مباشرة بل نفكر فيه، ونضع احتمال أن يكون الرجل الذى يجازف بهذا الكلام صادقًا أو مقتنعًا بما يقول وإن كان مخطئًا. أقول لم يكن هناك شيوعيون حقيقيون أى شيوعيون بالدم واللحم، كان الموجود شيوعيين بالفكر على الأكثر، وليته كان الفكر السليم، هناك من دخلوا الحزب من أبواب جانبية غير باب التضحية والفداء من أجل البلد وليس من أجل أى شئ آخر، وهؤلاء هربوا عند أول فرصة.

ومن بين الأسباب أن الماركسية فهمت خطأ، فهمت على أنها فكر لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، الماركسية فهمت على أنها آخر كلمة، وهذا طبعًا خطأ نتج عنه الجمود الذى وقعنا فيه فعلاً، لقد أصبحت الماركسية فى أيدينا أقرب إلى شئ يشبه الكتاب المنزل، ونتج عن

هذا الجمود الفكري الذي يؤدي إلى كرثة، الجمود الفكري عمى بصر وبصيرة، مع أن المفروض أن الماركسية هى نظرية نسترشد بها لدراسة واقعنا، ونخرج منها بحلول للمشاكل الموجودة. كان كل همنا أن نعرف ماذا قال ماركس وماذا قال لينين وماذا قال ستالين، والذى قالوه كان لابد أن يسرى علينا، وكان المفروض أن نعرف كيف وصلوا هم لمقولاتهم، وطريقة البحث التى جعلتهم يصلوا للنتائج التى وصلوا إليها، نحن أخذنا النتائج جاهزة وتركنا المنهج وطريقة التفكير وأساليب البحث التى اتبعوها ووصلوا بها للنتائج التى وصلوا إليها. نحن أخذنا من الآخر (بدون وجع دماغ) على طريقة التجار (هات من الآخر).

لقد حولنا المقولات إلى حقائق مطلقة مع أن الماركسية علمتنا أن الحقيقة المطلقة الوحيدة هى أنه لا توجد حقائق مطلقة غير الحركة، لا توجد حقائق ثابتة.

وأريد أن أقول إنه لا أحد منا خالٍ من المسئولية، لا أحد أبداً معفى منها مهما كان، الصغير والكبير الذى ربى الصغير تربية خطأ، لكن بالرغم من كل هذا، بالرغم من تلك الأخطاء الجسيمة فلا يمكن أن نتنكر لماضينا، لايمكن أن نتخلى عنه لأننا لو فعلنا ذلك سنكون فى الحقيقة قد تخلينا عن أنفسنا.

المفروض ألا ننقطع عن هذا الماضى بل نتواصل معه، لكن التواصل بالنقد والبناء، فمن غير الممكن في رأيي سقوط المعاني الانسانية للاشتراكية التي كنا نناضل من أجل تحقيقها، من غير الممكن سقوط هذه المعاني لمجرد سقوط تجربة محددة حاولت أن تبنى الاشتراكية وفشلت فى هذه المحاولة. بالنسبة لنا، بيتنا هدم. نعم. لكن أصحاب البيت لازالوا أحياء مستيقظين، ويمكن أن يبنى البيت على أساس جديد تماماً .. جديد بحق لأن الترميم لا يمكن أن ينفع.

المطلوب إعادة النظر في المفاهيم التى تحولت فى أذهاننا إلى مسلمات لا تقبل النقاش، المطلوب دراسة الواقع دراسة واعية وشاملة، دراسة ينتج عنها فكر يعبر عن هذا الواقع.

المطلوب فكر مصرى .. نعم فكر مصرى مسترشد بالنظرية الماركسية، وأظن أنه لم يعد من الممكن الاعتماد على عبقرية فرد لتحديد مهام الحركة الاشتراكية وصياغة رؤية لمستقبل هذه الحركة لماركسية لم تعد حكراً على أحد ولا على حزب. ولابد أن نتخلى عن رهبة التحريم والتخويف وعقلية الوصاية وأسلوب التجريح والتشهير.

وفى النهاية أريد أن أقول إن أفضل أيام عمرى هى الأيام التى قضيتها فى السجن، ولست نادمًا على شئ بالرغم من أننا لم نفعل شيئًا ، أو أن الذى فعلناه لم يصل إلى الذى كنا نريده وكانت النهاية مؤسفة جداً جداً ، وأرى الآن أنه إذا كان الناس الآن يحبوننى فإن الحب الذى أحظى به سببه هو ارتباطى بالحركة الشيوعية التى لو لم أرتبط بها ولو لم أدخل السجن ولو لم أعش مع الناس الذين عشت معهم لكان ممكنًا الآن أن أكون شخصًا تافهًا جداً ، فأنا لم أخسر شيئًا ، بالعكس أنا كسبت.

شهادة

شريف حتاتة

شهادة

شريف حتاتة

البيانات الشخصية

الاســـم : شريف يوسف فتح الله حتاتة.

تاريخ وموطن الميلاد : ولدت فى لندن سنة ١٩٢٣، فى ١٣ سبتمبر.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : انضممت للحركة الشيوعية سنة ١٩٤٥، كان عمرى اثنتين وعشرين سنة.

المؤهلات الدراسية والمهن التى عملت بها : حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة. والمهنة الثانية مناضل سياسى. والثالثة كاتب روائى.

فترة السجن والاعتقال : كلها ثلاث عشرة سنة سجن وسنة ونصف هارب من السجن فى المنفى. أما بالنسبة لفترة السجن فكانت عشر سنوات أشغال، وثلاث سنوات متفرقة.

المناصب العلمية : عملت لفترات خبيراً للهجرة والسكان فى منظمة العمل الدولية فى الهند وأفريقيا وآسيا. وعملت أربع سنوات أستاذاً زائراً فى جامعة (ديول) بأمريكا.

بيانات عائلية :

جدى كان إقطاعياً، وكانت لديه أراض كثيرة، وعندما وزعت الأرض أصبح والدى من الطبقة المتوسطة. تعلم فى الخارج، في جامعة كمبردج بى انجلترا وتزوج انجليزية، وولدت فى انجلترا ثم جئت هنا وعمرى خمس سنوات تقريباً. فأنا ابن ثقافتين، ثقافة إنجليزية وثقافة عربية، وكان لهذا تأثير على حياتى، جعلتنى فى بداية حياتى معزولاً عن المجتمع المصرى، نشأت أتكلم الانجليزية. لم أتعلم اللغة العربية ، إلا عندما حصلت على شهادة معادلة في كلية الطب. ثم عندما نشطت سياسياً. تعلمت العربية تحت السلاح وهذا فيه عيب لكن فيه ميزة، أن لغتى بسيطة. تعلمت من خلال الخطابة والكتابة ثم بعد ذلك من خلال الكتابة الروائية، واهتممت بالقراءة. لكن نشأتى كانت كلها بعيدة عن الثقافة المصرية وكنت أشعر بالاغتراب. ربما لهذا ميزة، أنه فى سن مبكرة جداً لم يكن لدى إحساس بالتفرقة بين الأديان أو

أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب – عضو لجنة التوثيق.

الاجناس أو القوميات وكنت منفتحًا على الثقافة الأجنبية وبعد ذلك على الثقافة العربية وهذا التزاوج كان مفيداً .

كيفية التعرف على الفكر الماركسى

تعرفت على الماركسية بطريقة قد تختلف عن عدد كبير من الزملاء. كنت طوال حياتى الدراسية فى كلية الطب طالبًا مجداً. كنت من النوع الذى يحقق الترتيب الأول باستمرار. حقيقة لم أكن أجلس فى الصف الأول ولم أكن أحفظ المعلومات عن ظهر قلب مثل الكثيرين لكنى لم أكن مهتماً بأى شئ آخر غير الدراسة وظللت منعزلاً عن المجتمع المصرى.

وفى آخر سنة لى فى كلية الطب، كان معى طالب اسمه عصام الدين جلال، كان قوميًا متعصبًا إلى حد ما، ويساريًا- هو كان يعتبر نفسه يساريًا فى فترة من الفترات، لكنه لم يكن كذلك تمامًا، كان أساسًا قوميًا - ومتحمسًا جداً ضد الإنجليز وضد الاحتلال الانجليزى وكان وطنيًا جداً وطموحًا من الناحية السياسية. فعندما بدأت الحركة الوطنية تشتد فى نهاية الحرب العالمية الثانية، اخذنى معه لأحضر اجتماعات الطلبة فى الجامعة، لم أكن أدرك ما يدور بالضبط ومع ذلك بدأت أنفتح على عالم جديد بالنسبة لى، وأخذت تنكسر العزلة التى كنت أشعر بها . وكانت المناقشات التى تدور ثرية لأنها كانت بين اتجاهات مختلفة فى الجامعة، وكان المشاركون من المتحمسين جداً وقتها، وكان يدور حوار حقيقى فحضرت هذا الحوار، ثم وجدت نفسى دون أن أعرف كيف، وبدون أن أشارك فى الانتخابات، عضواً فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة. لذلك أشعر أن الذين يؤرخون للجنة «العمال والطلبة» يهندسون الاشياء ويضعونها فى أطر معينة، بينما كان فيها قدر كبير من التلقائية والفوضى، وكانت هذه إحدى نقاط ضعفها، لكن كانت إحدى نقاط قوتها أيضًا. لأنه دخل فيها أعداد كبيرة من الناس. فوجدت بنفسى عضواً فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وقابلت صدقى باشا فى اللقاء الذى حدث بين مندوبى اللجنة وبينه، وتناقشنا فيه حول المفاوضات ومشروع صدقى بيفن، ووجدت نفسى جزءاً من الحركة السياسية. وكانت طبيعتى ألا آخذ الاشياء على سبيل المزاح. عندما درست فى المدرسة كنت آخذ الدراسة بجدية، وعندما كنت فى كلية الطب كنت أريد أن أكون طبيبًا ناجحًا، وعندما دخلت الحركة السياسية كنت أريد أن أكون سياسيًا

ناجحا، فأخذت الأمور بجدية.

وانضممت للحركة الماركسية. انضممت لايسكرا فى البداية من خلال «مركز الأبحاث». والذى ضمنى فيما أظن هو على الشلقانى. لا أذكر تماماً هذه الأشياء، لأنها لم تكن لها أهمية كبيرة عندى.

وبعد أن انضممت لايسكرا، حدثت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى، وأصبحت فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

انضممت للحركة الماركسية بهذه الطريقة، انضممت أولاً عن طريق الاشتراك فى معركة الطلبة. أى لم أعرف الماركسية إلا عندما أصبحت عضواً فى الحركة اليسارية، لم آت اليها عن طريق القراءات وإنما جاءت المعرفة أساساً عن طريق الممارسة السياسية.

الارتباطات السياسية قبل الماركسية

كانت اشياء بسيطة، يمكن أنا بدون أن أدرى كنت أبحث. أتذكر أنى حضرت كذا اجتماع للحزب الوطنى القديم، عندما بدأ فتحى رضوان ونور الدين طراف يجددان فيه.

أتذكر أيضاً أنى ذهبت للإخوان المسلمين فى الحلمية الجديدة، وحضرت اجتماعاً فوق السطح وحاولوا أن يجندونى، لكنى بحكم تكوينى كان من الصعب أن أتعاطف مع الإخوان.

ثم كان لى نشاط سياسى غريب بعض الشئ فى هذه السن، قبل الماركسية وقبل أى شئ. انشأت جمعية اسمها (جمعية الارتقاء الذهنى والثقافى)، وأتيت بعدد من الناس فى هذه الجمعية وكنت نشطاً فيها، وكان من ضمن أعضاء الجمعية المرحوم فريد حداد، وكنا صديقين حميمين. لكنى لم أعرف أنه انضم للحركة الماركسية فيما بعد. هو انضم إلى (د.ش.) وكانت سرية جداً، ولم يكن أحد من اعضائها يصرح بشئ.

كيفية الاستمرار فى الحركة الديمقراطية

حدث أنى تخرجت وأصبحت طبيباً، ولأننى كنت من المتفوقين، عينونى فى القصر العينى، وفى فترة القصر العينى هذه نشطت نشاطاً كبيراً جداً رغم أن أحداً لا يعرف هذه الحقيقة. كنت أوزع خمسين عدداً من الجماهير فى هذه الفترة على الاطباء والممرضين والممرضات فى المستشفى، وأنا أول من أقام نشاطاً مع الممرضين، عندما قاموا بإضراب سنة ١٩٤٨.

صلتى بهذا الإضراب

فى هذه الفترة عندما قام الممرضون بالإضراب كنت فى الاسكندرية لكن التنظيمات الأولى وسط التومرجية أنا الذى قمت بإنشائها، أتذكر أن عدد المنضمين كان ثمانية كان هناك شخص اسمه محمد إمام وشخص أبيض البشرة اسمه عبد الغنى - كان هو رئيس النقابة فيما بعد. ستجد اسمه فى الغالب موجوداً، قد يكون أحد ذكره قبلى. واتصل بهم فيما بعد مصطفى أغا وأدخلهم فى الاضراب الفاشل الذى أدى إلى فصل جميع المرضين. كنت أذهب لهم فى بيوتهم، وكان عدد كبير منهم يسكن فى حوارى مصر القديمة، وكنت أذهب إليهم فى هذه الحوارى وأجتمع معهم فى البيوت وجندنا عدداً كبيراً من التومرجية فى هذه الفترة.

النشاط الجماهيرى الآخر بعد ذلك

بعد ذلك لم يكن لى نشاط جماهيرى لأن الذى حدث، أنه عندما تمت الوحدة. عرضوا علىّ التفرغ للعمل السياسى - فتركت الطب وكل شئ وسافرت للإسكندرية ، وأصبحت مسئولاً تنظيميًا فى الاسكندرية، وكانت لجنة الاسكندرية على ما أتذكر تضم عبد العظيم أنيس، وكان مسئولنا كمال عبد الحليم، وكان معنا أيضًا عبد المنعم ابراهيم العامل النقابى وآخرون وكنت موجوداً فى الاسكندرية اثناء الاضرابات الكبيرة التى حدثت فى القاهرة وفى الاسكندرية فى هذه الفترة. وعندما حدث إضراب الكونستبلات، نزل الناس إلى الشوارع وحملنا لافتات مكتوب عليها «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» وسط مظاهرات ضخمة جداً وكذلك فى مظاهرات مارس ١٩٤٧، ووزعنا منشورات، ثم قبض علىّ فى أول قضية فى الاسكندرية، فى يونيو سنة ١٩٤٨. والذى قبض علىّ هو ممدوح سالم الذى أصبح رئيس وزراء فى عهد السادات وظللت فى القضية ستة شهور، ثم أفرجوا عنى، فى الغالب قالوا ده ابن ناس ولن يستمر فى النشاط، فلنعطه فرصة ونفرج عنه.

لكن كان هناك دفع قانونى فوقتها لم يكن قد صدر بعد قانون صدقى باشا - الدفع القانونى هو أننى وكمال عبد الحليم كنا نسكن فى بيت واحد، فالمحامون قدموا دفعا بانه لا يوجد ضمن القضية شئ بخط يد أحد الطرفين، والمضبوطات على المشاع، ممكن تخص هذا أو ذاك. ممكن يكون أحدهما برئ نظلمه. فأفرج عنى على هذا الأساس.

خرجت، وتم القبض على مرة أخرى أيام ابراهيم عبد الهادي - بعدها بمدة قصيرة بحوالى أربعة شهور - وأودعت فى سجن الأجانب ثم تم ترحيلى لسجن مصر، وفى سجن مصر ظللت فترة بعدها احتجزت في القصر العينى، وهربت من القصر العينى فى مايو ١٩٥٠ وسافرت للخارج وظللت فترة فى فرنسا.

لكن الشئ الذى أريد أن أذكره أنه منذ أن حدثت الوحدة تعاطفت مع زملائى فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى أكثر من تعاطفى مع ايسكرا.

والحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت أقرب للمصريين وأقرب للشعب، وبالتالى كان من الطبيعى أن أتعاطف أكثر مع أعضائها أكثر من التعاطف مع أعضاء ايسكرا الذين كنت أراهم يقيمون حفلات فى الأحياء الراقية. ولى رأى قلته عندما كنا نتناقش فى مركز البحوث العربية وهو أن المشكلة الكبرى للحركة الشيوعية كانت ايسكرا أكثر من المنظمات الأخرى. رأيى أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى، التى أصبحت الحركة الديمقراطية فيما بعد و(د. ش) - رغم اختلافى مع الأخيرة - كانا يمثلان شيئًا مرتبطًا بالحركة الوطنية. إنما ايسكرا كانت بعيدة عن الحركة الوطنية للشعب. وجميع الاتجاهات المتطرفة فى الحركة اليسارية ظهرت بعد ذلك من ايسكرا بشكل أساسى. الآخرون كانت لهم أخطاء وأحيانًا ينحرفون يسارًا أو يمينًا ولكن أخطر الاتجاهات اليمينية واليسارية نشأت أساسًا من ايسكرا.

المحاولات الحقيقية لدراسة الواقع المصرى

كانت هناك محاولات، لكن الذى حدث أن المسائل لم تأخذ فرصتها للنضوج خلال مراحل طبيعية. مثلاً الخط الذى هوجم بشكل شديد جداً وكانوا يسمونه خط يونس (خط القوات الوطنية الديمقراطية) اتجاهاته الأساسية كانت مبشرة، ليس بمعنى أنه كان كاملاً أو ليس فيه نواقص أو ليس فى حاجة لأن يتطور. إنما لأنه استطاع أن يرى حقيقة أساسية فى الموقف، وهى أنه حتى تلعب الحركة الشيوعية دوراً فى المجتمع المصرى لابد أولاً أن ترتبط بالحركة الوطنية ضد الاستعمار وضد الانجليز وضد الطبقات المتحالفة مع الاستعمار. وبالتالى فإن طبيعة المرحلة التى نعيش فيها طبيعة وطنية ديمقراطية. والذين هاجموه قالوا عنه إنه ليس اشتراكياً وليس طبقيًا، وهذا كلام خطأ، لأن الحركة الوطنية كانت حركة طبقية أيضًا. لأنها كانت تحالفًا

بين طبقات معينة ضد طبقات أخرى، وكانت مرحلة لابد أن تنتقل فيما بعد لمرحلة أخرى. وفي رأيي أن هذا الخط كان نابعًا من دراسة الواقع المصري والاحساس به، وأن هذا الإحساس لا ينشأ فقط من قراءة الكتب، ستجد حتى من قرأوا الرافعي وقرأوا تاريخ ثورة ١٩١٩ لسعد زغلول وتاريخ الوفد أنهم ظلوا بعيدين عن فهم الواقع.

وفي رأيي أن السبب الرئيسي هو أن الحركة المصرية للتحرر الوطني كانت على علاقة بالناس - بأحاسيس الناس - وطبعًا أنا رأيي أن هذا جزء كبير من الفكر والنظرية. النظرية ليست كتبًا. النظرية تجربة تتحول لكتب وليست كتبًا تتحول لنظرية هي تفاعل مستمر بين الاثنين. طوال عمرنا نقرأ النظرية ونقول نطبقها على الواقع. لا هذا خطأ. النظرية تأتي من الواقع. ثم أنت ستعود للواقع مرة أخرى وتطورها. ثم يخرج شئ جديد من الواقع فتغير فيها. هناك علاقة جدلية بين الواقع والنظرية، ونقطة البداية في - رأيي - هي الواقع. ماذا تعني النظرية؟ طريقة في التفكير، أنا أشعر، أنني أفكر بطريقة يمكن أن تسميها اشتراكية أو مادية جدلية أو ماركسية ورغم أنني لا أقرأ كثيرا في النظرية فإنني أفكر الآن بطريقة أسلم كثيرًا من الطريقة التي كنت أفكر بها وأنا شاب أنهل من الكتب الماركسية. ومع ذلك عندما تقول لي وما النظرية التي تطبقها؟ أقول: أطبق بعض البديهيات، أن العالم يتغير باستمرار، أن هناك تناقضات، وأن هذه التناقضات تؤدي أحيانًا إلى التحول ... وأشياء أخرى من هذا القبيل. وهناك ناس في رأي يفكرون بطريقة جدلية وقد لا يكونون قد قرأوا لينين أو ماركس.

وهناك ناس قرأوا لينين أو ماركس ولا يفكرون بطريقة جدلية أبدًا وهذه المسألة شغلتني، لأن المشكلة كانت أننا لم نكن نفهم أن النظرية تأتي من الواقع أولاً وفي الأساس، لأنك مهما قرأت في الكتب، لابد أن تعيش وتدرس وتلاحظ.

غير ذلك - غير هذا الخط - كانت هناك اشياء أخرى في الحركة المصرية للتحرر الوطني. أولاً كان هناك قسم للجيش خلافًا لأي تنظيمات أخرى. ثانيًا كان فيها قسم للأزهريين دونًا عن النظمات الأخرى. هناك شيوعيون في هذه الحركة كتبوا عن الإخوان المسلمين، وأذكر أنني كنت أحضر معهم اجتماعات أحيانًا، وكان لابد أن يتوقف الاجتماع، ليصلوا ركعتين ثم يعودون. هذا دليل على أنه كان هناك تغلغل في الفئات المختلفة التي تشكل المجتمع المصري. أتذكر عندما أقيمت مدرسة للكادر، نوقشت فيها قضية المرأة في فترة مبكرة جداً... الاهتمام

بالعمال، بالفلاحين بالنساء، صحيح أن كل هذه كانت أشياء بدائية لم تكن متبلورة، وكان هناك نواقص، لكن كانت تدل أن هناك حاسة معينة، وهذه الحاسة المعينة هي التي كانت تنبئ أنه يمكن أن يحدث تطور في الاتجاه السليم وهذا لم أشعر به عندما كنت موجوداً في ايسكرا.

الاحتراف في الحركة الديمقراطية أم في ايسكرا

في ايسكرا لم أكن أعرف هل كان يوجد محترفون أم لا. يهيئ لي لا. يبدو لي أن فكرة المحترفين جاءت من الحركة المصرية، والذي عرض عليَّ الاحتراف كان زميلا من الحركة المصرية، حيث كان هناك اهتمام بموضوع المحترفين. كنت أعيش وقتها بأربعة جنيهات في الشهر، وكان يطلب منا عمل كثير جداً، لكن في الوقت نفس الشئ الذي كان يضايقني أنه كان هناك تعامل مع الناس ليس فيه مساواة أو ديمقراطية مثلا كنت موجوداً في الاسكندرية في فترة الانقسامات. لم أعرف شيئًا عن هذه الانقسامات أبداً إلا عندما تمت، لم تكن هناك مناقشة. لم يكن هناك الإحساس بأن الأعضاء يجب إشراكهم في المشاكل المختلفة ومعرفة رأيهم.

كان وقتها كمال عبد الحليم يسافر إلى القاهرة ويعود ولا يقول لنا شيئًا. هناك أشياء كثيرة في القاهرة مفروض أن تعرفها. كان هناك نوع من التعالي على الناس ومن الإحساس بأن هناك قيادة وأنفاراً باسم السرية وباسم الامان، صحيح هناك أشيا، ليس من الضروري أن نقولها للناس أو نناقشها. لكن لم تكن هناك فعلاً ديمقراطية.

مؤتمرات وكونفرنسات

أما بالنسبة للمؤتمرات أو الكونفرنسات – ففي رأيي أننا ضربنا بسرعة جداً. مثلاً أنا التحقت بالحركة اليسارية سنة ١٩٤٦/٤٥. في مايو ١٩٤٨ بدأت الانقسامات. وقبلها كان الناس يوضعون في السجون والمعتقلات، وكان الكثيرون منا يحملون التنظيمات اليسارية اكثر من طاقتها، من باب الحماس أو عدم الخبرة، والكلام الكثير عن الكونفرنسات والمؤتمرات. في رأيي لم يكن عملياً تماماً في هذه الفترة – الديمقراطية ليست كونفرنسات – هي موقف في الحياة، هي موقف من الناس من حولك، تأخذ رأيهم، تحترم رأيهم، تناقشهم أم لا؟ هل تؤخذ القرارات جماعية أم لا؟ هل توجد توعية أم لا؟ هذا أهم، أما الكونفرنسات نتحدث

كل ثلاث أو أربع أو خمس سنوات. الديمقراطية لم تكن موجودة، كان هناك تشديد على فكرة المركزية. الديمقراطية موقف، وممارسة يومية.

الموقف من الوحدة والانقسامات التى حدثت

طوال تاريخى فى الحركة اليسارية لم أتنقل بين التنظيمات. التحقت بإيسكرا . ثم الوحدة- أى الحركة الديمقراطية، وظللت معها وهى تتحد أو وهى تنقسم. والسبب بسيط جداً، ليس لأن رأيى أن الحركة الديمقراطية كانت على حق دائماً، إنما لإحساس أن هؤلاء أقرب إلى السلامة عن باقى الحركة اليسارية، هذا كان السبب الوحيد.

الموقف من الانقسام الذى حدث والمسئول عن الانقسام

الحقيقة أحيانًا كثيرة جداً لم يكن أحد يعرف من المسئول عن الانقسام، لأن كل طرف يتهم الطرف الآخر. وكان الطرفان يقومان بأعمال انقسامية فى نفس الوقت. مثلاً فى الحزب الأخير الذى ضم كل التنظيمات، من الواضح أنهم كانوا جميعاً يلعبون لعبة انقسامية منذ البداية- وهذا وارد فى المرحلة الأولى ولابد من الصبر حتى تستقيم الامور- لكن الكثيرين لم يكونوا مستعدين للكفاح الحقيقى حفاظًا على الوحدة.

الوحدة الاندماجية والانقسام

من الطبيعى أن الفكر الانقسامى يظل موجوداً لفترة زمنية معينة. إنه لا ينتهى فى يوم وليلة، لم تترك الفرصة لكى تعيش التنظيمات مع بعضها حتى فى شكل كتل تتوحد بالتدريج. كان العداء أعمى، والجمود منتشراً.

الموقف من قضية الأجانب فى الحركة الشيوعية ودور الأجانب واليهود فى الحركة

التاريخ شاء أن تجئ الماركسية إلى مصر عن طريق الأجانب، وأغلبهم من اليهود، كان هناك أيضًا إيطاليون ويونانيون وبعض الانجليز وقتها. هؤلاء الناس لعبوا دوراً أساسيًا فى مولد الحركة اليسارية وقدموا تضحيات. والكثيرون منهم فيما بعد رفضوا أن يذهبوا إلى إسرائيل. وهذه أشياء لا نستطيع أن ننكرها، ربما حاولت الحركة الصهيونية أن تلعب دوراً

داخل الحركة الشيوعية المصرية. كما كانت تلعب المباحث داخل الحركة اليسارية. وكانت المباحث تتعامل مع الصهاينة، بل وتتعاون معهم. كانت مع الصهاينة ضدنا. المشكلة بالنسبة لليهود أنه عندما أخذت الحركة تتطور كان مطلوبًا أن تحدث تغييرات في القيادات. وفي رأيي أن المشكلة في كل الحركات السياسية أن القيادات كثيراً ما لا تكون مستعدة للتنازل عن دورها. تريد أن تبقى، حتى لو كان من الضروري أن تحل قيادات أخرى محلها وحتى لو كانت عاجزة، عن التطور مع الزمن. نادر جداً أن تجد من يتطور دائمًا مع الزمن، ونادر جداً أن تجد قائداً يشعر أن دوره انتهى ويقول سوف أخلي مكاني لغيري. هذا ينطبق بدرجات مختلفة على كل القيادات لكني شخصيًا لا أساوي مثلاً بين يونس وبين اليهود الآخرين مثل هليل شوارتز مثلا. رأيي أن يونس كان لديه من الناحية السياسية تبوغ وقدرة على الإحاطة بأشياء كثيرة جدا وكان قادراً على أن يحمس الناس، وأنا شخصيا عندما رأيته كنت سعيداً به، ليس لأنه بلا أخطاء، ولكن لأن لديه مقتضيات القيادة، لديه ما يسمونه بالكاريزما ، وهذا مهم. وكان صاحب كثير من المبادرات، كأن يكون هناك قسم في الجيش ويكون هناك قسم للأزهريين وأن يناقش موضوع المرأة، وأن يكون هناك قسم للسودانيين. كل هذه أشياء لابد أن توضع في الاعتبار. لكن الخطأ هو أن ينقسم الناس لأن يونس في القيادة. هذا الذي فعله شهدي، باسم أنه ضد وجود يهود في القيادة، رأيي أنه خلق مشكلة ألعن من المشكلة الأولى، لأن تغيير القيادات عملية تاريخية. القيادات تتغير ويحل محلها قيادات جديدة وبنضال منظم وأساليب ديمقراطية. أنا رأيي أن شهدي مناضل وشهيد ولعب دوراً لا ينكر وظل خمس سنوات في زنزانة وحده، ولكن رأيي أن مواقفه السياسية لم تكن سليمة دائما حتى في مواقفه الأخيرة. فأنا مع تأييد الثورة، لكنني أرى أن التأييد كانت فيه مبالغة. هو كان من النوع المتطرف. ممكن يكون التطرف ناحية اليمين أو اليسار، هو كان مثل الفنانين . هؤلاء لديهم ميل للتطرف.

أحيانًا الناس، وهذا شئ تعلمته من السيرة الذاتية التي كتبتها، لا تدرس نفسها، النوازع الانسانية معقدة. من الممكن أن أكافح لأقيل اليهود من القيادة، لأنني أريد أن أكون أنا القيادة. المسائل ليست بسيطة وسهلة، كان رأيي أن يترك اليهود القيادة ... ولكن هل يرحلون كلهم في نفس الوقت أم لا؛ هذه هي المسألة لأن الكفاءات كانت مختلفة. كيف

يرحلون؟ وبأى طريقة. كل هذه كانت مسائل مهمة. وأنا مثلاً لى رأى خاص فى موضوع الوحدة، وتقريبًا كل الناس ضدى فى هذه الحكاية. أنا الآن ضد الوحدة التى تمت بين الحركة المصرية وإسكرا. أنا لست ضد الوحدة بشكل مطلق. أنا مع الوحدة. لكن متى وكيف وفى أى ظروف؟ وهل تكون مفيدة اليوم أم لا؟ حتى الانقسام يمكن أحيانًا أن يكون مفيداً. لينين انقسم عن الدولية الثانية. هل هناك قول مطلق بأن الانقسام خطأ؟ هل الانقسام يدفع بالحركة الثورية للأمام أم يشدها للخلف؟ إذا استطاع أن يقدمها للأمام يكون سليمًا أما إذا شدها للخلف يكون الانقسام خطأ.

الطابع الانقسامى للحركة الانقسامية

هذا الطابع له أسباب كثيرة. رأيى أن بعض القيادات اليهودية كانت تريد أن تظل فى مناصبها. فى هذه الفترة. شخص مثل هليل شوارتز،كان يعمل خلف الستار بعض الشئ، وحرص علي الانقسام. بدأت المسألة تدخل فى تنظيم أكبر، لو أحس أنه لن يلعب الدور القيادى الذى كان يلعبه ربما تصرف حتى بشكل غير واعٍ. فالانسان قادر على التبرير لأشياء كثيرة تتعلق بمصالحه. الشئ الثانى : يسكرا - الاجانب والطلبة الكثيرون و الطبقة المتوسطة التى ليست لديها فكرة عن الحياة. إن الحياة ليست سهلة. إن هذه المسائل تحتاج أن يكون لدى المرء صبر ويكون ثابتًا. طابع البورجوازية الصغيرة والمتوسطة لأن الانقسامات أتت من هؤلاء، وهم الذين أنشأوا م.ش.م، عندما نفكر فى م.ش.م اليوم، يمكن أن تقول هؤلاء كانوا مجانين. كان لى قريب فى السجن اسمه (الخرادلى) لم يكن يكلمنى .. حتي الموقف اليومى للناس العاديين لم يكن موجوداً عندهم. ثم الهلع من ضربات البوليس. نجد الناس لا تعرف أن تفكر، أو تفكر بطريقة متعجلة فى المسائل. طبعًا الانقسامية توجد فى بلاد كثيرة جداً وليس فقط فى مصر، لكنها كانت ظاهرة موجودة فى مصر أكثر من أى مكان آخر، ولازالت حتى اليوم، الشرذمة هى طابع الفترة السياسية التى نعيشها اليوم.

الموقف من خميس والبقرى

موقف الحركة الديمقراطية بدءًا من أواخر ١٩٥٣ أوائل ١٩٥٤ أصبح معارضًا للجيش لسببين أحدهما كان خطأ والآخر كان صحيحًا. الخطأ هو رفض المفاوضات مع الانجليز لأنه ثبت أن المفاوضات يمكن أن تكون وسيلة لحل المشاكل إذا كانت مسنودة بالقوة. الفيتناميون أجروا

مفاوضات وأوقفوا الحرب، وعبد الناصر أجرى مفاوضات وأخرج الانجليز. كانت كلمة المفاوضات عندنا عقدة، وهذا نوع من التفكير الجامد. ولذلك عندما بدأت المفاوضات عارضت الحركة الديمقراطية الثورة.

الامر الثانى، عندما بدأ ضرب الحركات اليسارية قبل أزمة مارس كان رد الفعل طبيعيا، رد الفعل البشرى الطبيعى عندما يضربك أحد، تقول أنا أيضا سوف أضربه. تحتاج اتزانا شديداً جداً لتعرف كيف تعالج الوضع، لأنه كان مفروضاً أن يستمر التأييد المشروط للثورة. بمعنى أننا مع هذه الثورة لأنها فعلت كذا... أخرجت الملك، وقامت بعمل إصلاح زراعى، ولكن هناك إجراءات نحن ضدها. يجوز أن هذا لم يكن ليغير شيئا. لكن على أقل تقدير كان هذا هو الموقف المناسب. الحركة الديمقراطية استمرت تعارض الثورة فترة، حتى باندونج وتأميم قناة السويس.

الموقف من قضية فلسطين

كان موقف التنظيم الموافقة على التقسيم ... سنة ١٩٤٨.

وجهة نظرى قبل قرار التقسيم

قبل قرار التقسيم كانت وجهة النظر دولة موحدة فيدرالية. لست متذكراً تماماً، لكن أعرف أنها دولة موحدة، أعتقد كان هناك كلام عن الفيدرالية، دولة ديمقراطية علمانية موحدة بين العرب واسرائيل. عندما طرح قرار التقسيم وافقت عليه الولايات المتحدة ووافق عليه الاتحاد السوفيتى. الحركة الديمقراطية وافقت على قرار التقسيم. وأنا كنت موافقاً عليه، حتى اليوم لازلت ميالاً للموافقة فى ضوء ما حدث بعد ذلك. هذه ربما تاريخياً قد لاتكون طريقة سليمة. عندما تنظر اليوم لعشرين أو ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة مرت، من السهل أن تقول أنا كنت على صواب. الظروف تغيرت. لكن مع ذلك ثبت أن الحكومات العميلة أخذت الجزء العربى من فلسطين ولم تعد هناك دولة فلسطين، واسرائيل أخذت الجزء الخاص بها وأكثر وأصبحت هناك مشكلة فلسطين. لو كنا وافقنا على قرار التقسيم، هل كانت ستوجد دولة فلسطينية؟ يقول البعض إن الشارع المصرى كان ضد القرار، وأنت عزلت نفسك عن الشعب المصرى وأصبحت متهماً بالصهيونية. أنا رأيى أن هذه قضية قديمة. أنت مواجه باستمرار بسؤال هل فى كل وقت

تختار الموقف الذى يجعلك تسير مع الجماهير. هتلر سارت الجماهير معه فى الفاشية. هل يأتى وقت معين تقول فيه سوف آخذ موقفًا مبدئيًا فى هذه المسألة موقفًا سلبيًا، وسوف أخسر الناس لكن فيما بعد سوف أكسب نتيجة هذا الموقف لأن سلامته ثبتت فيما بعد. اليوم هذا الاسلوب انتهى تمامًا .. وأصبحنا نعيش فى السياسة من يوم ليوم وتسير المسائل حسب المنفعة العاجلة، روح من الانتهازية. لكن الاشتراكية علمتنى أنك أحيانًا تأخذ موقفًا تخسر فيه الناس لأن هذا هو الموقف السليم.

التبعية للحزب الشيوعى السوفيتى

لقد لعبت التبعية للحزب الشيوعى السوفيتى دوراً كبيراً فى هذا الأمر. لكنه فى نفس الوقت صادف أن كان تقديرا سليمًا. وعندما يتفق الاتحاد السوفيتى وأمريكا على القرار، من الذى سيعارضه؟ كيف سيعارضه؟ ولم تكن هناك أى دراسة للواقع ولا للقوى الموجودة ولا للدول العربية وتدخلها وما الذى سيترتب عليه. كانت هناك تبعية فكرية حقاً للاتحاد السوفيتى، إنما يظل صحيحًا أن حدتو اتخذت مواقف أخرى مستقلة، منها موقفها من حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

الموقف من أنصار السلام

لم يكن لى دور فى أنصار السلام.

الفرق بين المعارضة والارهاب

هناك فرق بين المعارضة والارهاب. وهذه نقطة لابد نضعها فى اعتبارنا. رأيى أنه من المفروض يكون لكل القوى السياسية الموجودة فى مصر الحق فى تكوين أحزاب، بما فيها الاخوان حتى لو كان الاخوان يلعبون بشعار الديمقراطية، لكن عندما يقتل بعض الناس، لابد أن نضع من قتلهم فى السجن. العنف يقابل بالعنف.

وطبعًا تمصير الشركات والبنوك كان التنظيم معها.

موقف التنظيم من وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية فى ١٩٥٨

موقف التنظيم كان وحدة فيدرالية على أساس ديمقراطى وكان رأيى هكذا.

قرارات التأميم ١٩٦١-١٩٦٢

كنت أؤيدها شخصياً. والتنظيم أيضاً أيده. على أساس أنه يضرب الرأسمالية الكبيرة، طبعاً بعض التأميمات ضربت الرأسمالية المتوسطة وامتدت أكثر من اللازم. كان يقول عبد الناصر من الإبرة للصاروخ وكان هناك شئ من التطرف فى موقف التأييد الذى اتخذناه. كان هناك تفكير أن هذا يمكن أن يؤدى للاشتراكية. كنا نعيش متأثرين بتجربة كاسترو - إذ لهذا أسباب كثيرة:

١) السجن الطويل والانعزال عن الواقع.

٢) السجن الطويل يؤدى للاحلام. نريد أن نخرج مستعجلين الاشتراكية. تتحول آمالنا الى حقائق. فطبعاً إذا كنا نسير فى الاشتراكية، سنخرج قريباً.

٣) عدم تقدير سليم لطبيعة الصراع الطبقى، لحقيقة وحدود ثورة يوليو التى أنجزت أشياء كثيرة كنا نؤيدها، لكن بينها وبين اليسار كان هناك صراع. فهى ثورة بورجوازية لها حدود. واليسار ليس بالقوة والنفوذ بحيث يدفعها فى طريق الاشتراكية، ويعزل عنها الاتجاهات المعادية كما حدث فى كوبا مثلاً.

الصراع لابد أن يوضع فى الاعتبار، و إن لم أكن ضد الكلام عن أن هناك مجموعة اشتراكية، فعبد الناصر كان يتطور كثيراً خلال فترة الحكم.

فترة المعتقل بعد الزملاء

كان محكومًا علىّ بالسجن، فمدة العشر سنوات انتهت بالنسبة لى فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٣. قبل ذلك عندما كانت تنتهى المدة وينزل المفرج عنه للقاهرة، كانوا يعيدونه إلى المعتقل. لكن يبدو أنه كان قد أتخذ قرار فى هذا الوقت بالإفراج عن الشيوعيين. فبدلاً من أن يعيدونى تم الإفراج عنى مثل آخرين قبلى - صلاح حافظ ومحمود توفيق.

الصراعات داخل السجن

كان هناك صراع حول الأفكار، وكانت هناك عوامل شخصية وعداوات تاريخية، إنما كانت هناك أساسا صراعات فكرية مثل التى كانت موجوده بالخارج، الفرق بين التنظيمات .. الفرق بين تنظيم حدتو وتنظيم الراية، بين الحركة المصرية والراية ود.ش. كانت هناك فروق فى العقلية

وفى النظرة والسياسة، فى عادات الحياة. نحن كنا شعبيين أكثر، كنت تجدنا دائما فى الاشياء التى تؤدى إلى تحسين الحياة المادية والمعنوية، والفنية، فى البناء، نعمل فى مزرعة. نحن الذين بنينا المسرح وجامعًا للإخوان. كنا أناساً بسطاء ويحبون العمل. ويجوز أننا لم نكن منثقفين تمامًا بالمعنى الجامعى، إنما إيدينا فى الحياة أكثر، أنارن بالراية مثلا. لكن فى نفس الوقت كانت الضغائن الشخصية والمنافسات بين القيادات تلعب دوراً، لم أكن متداخلاً تمامًا فى هذه المسائل. كنت أعمل طوال النهار.

حل التنظيمات

عندما عقد الاجتماع الذى اتخذ فيه قرار الحل، لم أحضره، لم يدع اليه أحد. كنا أخذنا قراراً ونحن داخل المعتقل أنه إذا عرض علينا أن ننضم للاتحاد الاشتراكى، ننضم. وعلى ما أتذكر- لست متأكداً - كان هناك كلام أن المرء يمكن أن تكون علاقته التنظيمية ليست واضحة تمامًا ماذا يعمل فى الاتحاد الاشتراكى، مع بقاء الشكل التنظيمى. أنا لم أحضر المناقشات الاخيرة التى تمت بين مارس وابريل عندما خرجوا. إنما عندما تم حل التنظيم بصراحة شعرت بالراحة. أولاً لأنى تعبت ولم يكن لدى استعداد لأن أدخل السجن مرة أخرى و بدأت أشك فى جدوى هذه العملية. ثم إذا دخلت ماذا سيحدث لنا؟ عشر سنوات فى السجن، انعزلنا ولا نتيجة. لقد قضيت حياتى كلها تقريبًا فى السجن منذ سن ثلاثة وعشرين و خرجت وعمرى واحد وأربعون سنة. أى كل شبابى. فأريد أن أعيش وأرى ما الذى فى الدنيا، هذا لعب دوراً بالنسبة لعدد كبير من الناس، لكن ليس لديهم استعداد أن ليعترفوا بهذه الحقيقة، ويحولوها لقضية سياسية. رأيى لا، هى لم تكن فقط قضية سياسية. هى قضية الرغبة فى التخلص من القيد الذى يمكن أن يعيد المرء للسجن مرة أخرى ليقضى باقى حياته خلف القضبان، وقد كان هناك ناس لم تكن تجد طعامًا وناس لم تكن تجد عملا... والروابط الاسرية وعوامل كثيرة.

لكن أنا رأيى أيضًا أن حل التنظيم هذا كان تحصيل حاصل من الناحية العملية، كانت التنظيمات انتهت على أقل تقدير أنا أتكلم عن التنظيم الذى كنت أنتمى إليه، وأعتقد أن هذا ينطبق على الباقى. هناك سابقة تاريخية. أتذكر أن الحزب الفيتنامى حل نفسه مرة، لكنه

كوّن نفسه مرة أخرى، وكانت هذه الفكرة واردة. أن تحل تنظيمك، ثم ترى الناس الذين لديهم قدرة على المواصلة وتبنى تنظيمًا جديداً لأن أغلب الذين كانوا موجودين لم يعودوا صالحين للاستمرار.

فرغم أننى لم أحضر القرار، لكن لم أكن معارضًا له.

أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

رأيى فى أزمة الحركة الشيوعية أن تجربة الاشتراكية والفكر الاشتراكى تجربة خطيرة جداً، لأنها عبارة عن ثورة كاملة فى أسلوب الفكر وفى الفلسفة وفى النظرة للحياة، وفى تنظيم المجتمع فى الاقتصاد والثقافة والدين والجنس. المجتمع عاش طوال عمره مجتمعاً طبقيًا. ثم أنت تقول إنك تريد أن نسير نحو مجتمع يلغى الطبقات. عملية معقدة جداً. ولابد أن تمر بتجارب كثيرة، إن الفكر المتعلق بالاشتراكية ثبت أنه بعد ماركس، حتى أيام لينين نفسه، لم يتطور بشكل يمكن أن يتمشى مع الظروف المتغيرة التى وجدت فى مصر، بدليل أن اليسر فى أشياء كثيرة جداً مازال يفكر بطريقته القديمة الجامدة حتى اليوم. عندما تناقش الناس تجد أن نفس أساليب العمل والتفكير لازالت موجودة حتى اليوم.

فأزمة الحركة الشيوعية المصرية هى أزمة الفكر أولاً، فالفكر لا ينفصل عن الواقع إنها أزمة فكر بمعنى عدم القدرة على ملاحقة التطور السريع الذى يحدث فى العالم. الرأسمالية تتطور بطريقة سريعة جداً - اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وعمليًا وفكريًا - رغم أن نظرياتها ضد الانسان، لكن هى تطور فكرها لتخدم مصالحها أما الفكر الاشتراكى لأنه جديد ولأنه بادئ ولأنه يعيش فى قلب المجتمع الطبقى ووسط أجهزة طبقية، وفلأنه لا يتمتع بإمكانيات الرأسمالية.. لم يستطع أن يطور فكره ليتمشى مع التطورات السريعة بنفس المعدل الذى كان موجوداً. وهذه هى الازمة الاساسية.

بعد ذلك فإن لانقسام جزء منها وكذلك الديمقراطية، المواقف السياسية الخاطئة جزء منها، كل هذه الاشياء. وهذا هو التحدى الموجود. عندما تنظر للوضع الموجود فى العالم تجد الناس لا تعرف أين تذهب. عندما تبحث عن الفكر الاشتراكى ماذا يقول فى الموقف الجديد؟ هناك اجتهادات بدأت وستنمو ستجد فكراً رأسماليًا موجوداً وله مواقف معينة وكتب ودراسات

ويعمل على الانترنت والميديا. أما الحركة الاشتراكية فلأنها وتبعثرت وانهارت فى المعسكر الاشتراكى ولأنها تواجه مشاكل كثيرة جداً، لديها أزمة فكرية خطيرة. وأنا رأيى أن الأزمة الفكرية اليوم هى امتداد للأزمة الفكرية القديمة، وهذه مرحلة تتطلب أن يُبذل جهد كبير فى هذا المجال. وبالفعل توجد بدايات فى أماكن مختلفة من العالم. ولكن علينا أيضًا أن نتعلم من الحركات الجديدة التى تنشأ كل يوم. من حركات النساء، والبيئة، وحركات التحرير جديدة وغيرها، فالفكر الاشتراكي فى المستقبل سينهل من روافد كثيرة ومنها روافد بورجوازية رأسمالية، تمامًا كما نهل ماركس منذ أكثر من ١٥٠ سنة من السابقين، والمعاصرين له.

شهادة

عبد العال البسطويسي

البيانات الشخصية

الاســــــــم : عبد العال إبراهيم البسطاويسى جمال الدين بكر

محل وتاريخ الميلاد : ٧/ ١٩٢٦ - شبراوين مركز أجا - دقهلية.

العـــمـــل : من سنة ١٩٣٢ أعمل مع والدى بقريتنا فلاحًا صغيراً لا يزيد عمره عن خمس سنوات حتى سنة ١٩٤٠. ثم عامل فى عدة مصانع.

الظروف التى عشتها مع والدى من ١٩٣٢ حتى ١٩٤٠

عملت فلاحًا مع والدى أسرح وأرجع معه وأتحمل أعباء أسرتنا معه، حيث أننى الابن الكبير. وفى هذه الظروف عملت فى بلد. كانت بلدتنا لا يملك أحد فيها أكثر من فدانين للأسرة الأسرة التى يعولها فرد واحد- وكان والدى يملك من الأرض فدانًا ونصفًا. وكانت له أمه ووالدتى التى هى زوجته. وفى ظروف من سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٤٠ عشت ظروفًا قاسية جداً كانت تعيشها قريتنا، وكنا فى ذلك الحين نفرح فى الأعياد أثناء لبس الجلابية الجديدة. والحذاء لأنه كان الفرد منا يلبس الجلابية والحذاء. وطوال السنة يمشى حافى القدمين يزرع ويقلع.

نزرع القطن ونجنى القطن وننقى آفاته ونجنى الذرة ونباشر زراعتنا مع والدى. وفى هذه الفترة كانت بلدتنا أغلبها ناس فقراء لا تملك حوالى ٦٠٪. وكان حوالى ٢٠٪ يملكون نصف فدان فأقل. وكان هناك ناس تملك فدان. المهم إن القرية كانت ملكيتها عبارة عن ناس لا يملك رب الأسرة فيها أكثر من نصف فدان بالتساوى. إذا وزعنا الأرض كلها على أهل القرية.

فى هذه الفترة كان والدى يعيش ظروفًا صعبة مثل أهل قريته، وكان أغلب البلد- حوالى ٦٠٪ - يخرجون للعمل بالأجرة عند الإقطاعيين فى شمال الدلتا وشرق الدلتا خاصة الدقهلية وكفر الشيخ . كان ملاكها الإقطاعيون الباشوات، عائلة سراج الدين وعائلة الأتربى. وكان فى ذلك الوقت أيضاً عائلة البدراوى عاشور. فكان والدى وأمثاله من بلدتنا ومن أغلب القرى المصرية. خاصة مركز أجا لأنه كان مركزاً فقيراً ليس فيه أثرياء إلا الأتربى وشخص

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. تجانى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق.

اسمه محمود عبد النبى. فهؤلاء كانوا هم الأثرياء، وكان بعض الخواجات اليونانيين يملكون أرضًا فى مركز أجا. فكان الفلاحون فى القرى - التى هى بلاد فقيرة - بخرج الناس يشتغلون بالفأس والكوريك. يحفرون ترعًا ومصارف، وكان والدى أحد هؤلاء الناس. فكانت ظروف حياة والدى صعبة جداً، وعانيت أنا نفس هذه الحياة.

فى سنة ١٩٤٠ - وكان عمرى أربعة عشرة عاماً - اقترح والدى علىّ أن أعمل فى المحلة. وبيننا وبين المحلة حوالى ١٨ كيلو. نحن شرق الدلتا، والمحلة وسط الدلتا. فذهبت إلى المحلة، والتحقت بعمل فى شركة المحلة، وعملت فى قسم اسمه قسم الزوى فى الشركة. عملت حوالى سبعة شهور، وفى أثناء سنة ١٩٤٠ فى هذه الشركة كانت العمال ظروفهم صعبة جداً، كانت الأجور بسيطة جداً. أربعة قروش اليومية ثمانى ساعات، واثنتى عشرة ساعة أربعة قروش. فكان العامل يئن تحت ظروف القهر داخل الشركة وضعف الأجور.

وكان فى هذا الوقت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٠ كانت لازالت مشتعلة. وكان لعمال يعتبرون ظروف المعيشة صعبة جداً، وفى ذلك الحين أصدروا بطاقات تموينية تعطى الناس سكراً وزيتًا وتعطى بعض الناس المواد التموينية. لكن فى نفس هذه الظروف كانت العمال تبحث - فى داخل الشركة وخارجها فى صناعة النسيج اليدوى- عن المخرج من الأزمات التى يعيش فيها العمال. أزمات الأجور والمعيشة الصعبة. وكل عائل لا يستطيع أن يعيش فى هذه الظروف.

فى ذلك الحين - كانت توجد نقابة عباس حليم وكان هناك حزب الأخوان المسلمين وحزب أحمد حسين الذى هو مصر الفتاة؛ وكانوا بجتذبون العمال على أساس أنهم ينشئون جمعية للعمال. لعمال شركة المحلة. وكانوا يعدون العمال بإنشاء نقابات معظمها فى ظروف ١٩٤٠-١٩٤١ - رجل اسمه عبد الحميد لطفى. وعبد الحميد لطفى هذا كان محامياً. العمال تقابلوا معه وفكروا فى اجتماعات معينة فى الظروف القاسية التى يعيشها العمال، وكان فى هذه الفترة ١٩٤٢-١٩٤٣ هناك غلاء. ففكر العمال أن ينشئوا نقابة ليواجهوا بها ضغوط الشركة وعنف وديكتاتورية الشركة داخل العمل على العمال. ولم يكن هناك شئ اسمه قوانين عمالية يتعامل بها العمال فى الشركة. لكن فى هذا الوقت كان العمال يحاولون أن يجدوا شكلا من أشكال العمل القانونى على أساس أن العمال يتفاهمون مع إدارة الشركة على

لكيفية التى بها يحصلون على حقوقهم.

فى هذه الفترة عبد الحميد لطفى كان يعتبر نجمًا للعمال، وقيادات العمال ارتبطت به، فكانت مجموعات من هذه العمال يعتبرو، داخل المحلة نجمًا صاعداً جداً جداً. وفى نفس هذه الظروف أنا دخلت اجتماعات هؤلاء العمال فى نقابة عبد الحميد لطفى التى بدأت ١٩٤١-١٩٤٢ . ولم يستمر عبد الحميد لطفى أكثر من سنة. طبعاً العمال تركوا نقابة عباس حليم، وفى ظروف عمل الإخوان كانت الناس أيضاً قد ارتبطت بالإخوان المسلمين كحزب سياسى، ولكنه لا يحل مشكلات العمال. لكن العمال رأت أن نقابة عبد الحميد لطفى هذه هى التى فيها الحل. فانقرضت نقابة عباس حليم تماماً. ثم ظهرت محاولات العمال وعبد الحميد لطفى لتسجيل النقابة لتأخذ شكلاً قانونياً لإيجاد تشريعات عمالية تحمى العمال من بطش الشركة. لأن الشركة فعلاً تعامل العمال على أنهم شئ لا يتعامل بقوانين، وهذا الذى كان يجعل العمال يبحثون عن نظام قانونى يخفف من ضغوط الشركة وعنفها مع العمال.

وكان فى هذا الوقت الشركة عندما تفصل عاملاً لكثرة عيوب أو غياب أو أى شئ، تفصله ولا توجد أى قوانين تحمى. وكانت شركة المحلة هذه تابعة لبنك مصر، فتتعامل بقوانين وبأسلوب غير إنسانى وبأسلوب غير حضارى نهائياً. فى هذه الظروف العمال بحثوا وكانوا يبحثون دائماً عن نقابة تحميهم وعبد الحميد لطفى عندما أراد أن يؤسس النقابة ويحصل على ترخيص بها، فعلى ما أظن فى هذه الفترة لم يصدر ترخيص وقبضوا على عبد الحميد لطفى وانتهى عبد الحميد لطفى فى حوالى ١٩٤٢ من المحلة. وبدأت العمال تبحث عن شكل آخر من أشكال النضال ضد سياسة الشركة مع العمال، وكان عمال الشركة فى ذلك الحين تعدادهم حوالى أربعين ألفًا. لأن هذه الشركة كانت واسعة جداً. وكانت تعتبر أكبر شركة فى مصر، بل فى العالم العربى وفى أفريقيا أيضاً. ثم فى هذه الظروف بدأت العمال تتمرد وبدأت تعمل حركات وبدأوا يقبضون على ناس ويعملون لهم إرهاب وتخويف وناس يخرجونهم وناس يدخلونهم.

فى هذه الظروف ذهبت لشركة المحلة ناس تقابلوا مع ناس خارج المحلة، وكان هناك شخص اسمه عبد المنعم اسحلى. كان سنة ١٩٤٣ والحرب دائرة. فى عام ١٩٤٣ بدأ عمال النسيج اليدوى وعمال محالج الأقطان يتجمعون. والعمال هى التى تجمع نفسها ويحاولون أن يعملوا

شكلاً من أشكال العمل النقابى على أساس يتعاملون مع القطاع الخاص وشركة بنك مصر التى هى شركة المحلة هذه. يتعاملون معها على أساس أن يكون هناك شكل قانونى يربط العمال بالشركة، لكى يحصل العمال على حقوقهم.

كيفية تعرفى على الفكر الماركسى

وصلنا لسنة ١٩٤٤. ثم فى ١٩٤٥ فُصلت من الشركة لكثرة عيوب عندى. المهم عملت فى القطاع الخاص، وكنت تعرفت على عبد المنعم السحلى، وكان ميكانيكيًا فى مصنع قطاع خاص. وأنا كنت أسكن مع ناس أقاربى فى المحلة، كنا نسكن حوالى خمسة فى غرفة واحدة، كانت ظروف المعيشة أيضاً صعبة جداً جداً. لكن فى الفترة التى عشتها فى بلدنا كنت أشعر رغم الظروف الصعبة التى عشتها فى العمل فى شركة المحلة والعمل الصناعى والأجور بسيطة وساعات العمل ١٢ ساعة، كنت أشعر أنها بالنسبة لعمل قريتنا فهى كانت أفضل بالنسبة للراحة لأن الزراعة نروى الأرض ونحرث ونجنى القطن ونقطع الذرة إنما هذه كنا نستريح يوم الجمعة فى داخل الشركة.

فى ١٩٤٥ ظهر عبد المنعم السحلى هذا، وبدأ يتصل بالعمال هو وناس آخرون. لكننى عرفت أن عبد المنعم السحلى هذا هو وناس آخرين بدأوا ينظمون العمال ويعملون تجمعات وتكتلات تناقش العمل النقابى وتناقش سياسة العمال فى المحلة وسياسة الأجور، أمراض العمل كيف تأتى؛ والعمال ليس لهم أطباء، فالعمال بدأت تغنى بنغمة جديدة وبأفكار جديدة داخل المحلة سنة ١٩٤٥.

وفى سنة ١٩٤٦ كان عبد المنعم السحلى قد حصل على ترخيص رسمى لجريدة الجماهير بشكل يعطيه الحق أن يكون له جريدة لها قرار من الشعب المصرى. ثم هذه الجريدة كان عبد المنعم السحلى يديرها عن طريق ناس، وعندما ارتبطت بهم بدأ يأخذ معى مواعيداً. فى أن أتقابل معه، فبدأ يناقشنى فى أمور خاصة بالنقابة والعمال والسياسة. ثم أقرأ (الجرنال) فلا أجده كالجرائد الأخرى. كانت هناك آخر ساعة والأهرام والأخبار. كنت أرى جريدة الجماهير هذه- الكلام الذى فيها والمانشيتات والكتابة والخطوط العريضة - تختلف فى مضمونها عن الأهرام والأخبار وجريدة الزمان وآخر ساعة. فقد كانت جريدة الجماهير تطرح أفكاراً جديدة.

فبدأت الدولة وشركة المحلة وأصحاب رؤوس الأموال التجارية في القماش والقطن يشعرون بأنه معاد لهم. فبدأت الدولة عن طريق أجهزة الأمن تفتش على عبد المنعم السحلي، وهرب في ١٩٤٦، وبعد ذلك لم أره.

في ١٩٤٦ كانت هناك أمراض جلدية_شبه جرب طبعاً هذا الجرب ظهر نتيجة سوء تغذية ونتيجة عادات سيئة حيث تجمع أعداد كبيرة في غرفة واحدة، فظهر هذا الجرب في أيادي العمال وأقدامهم وبدأت أشياء مخيفة جداً.

سنة ١٩٤٦ كانت المحلة في حركة صراع ظاهر وخفي بين عمال الشركة والحكومة، ثم اضطرت الشركة أن تعمل نقابة داخل المصنع، فأتت بشخص اسمه عبد الحميد سليمان مدير أحد أقسام الشركة وجعلته رئيساً لها والعمال سارت معه ولكن العمال اكتشفوا أن عبد الحميد سليمان لن يحقق لهم مطالبهم، وإن هذه النقابة لن تصنع لنا شيئاً؛ لأنها نقابة الشركة، وبدأت في سنة ١٩٤٧ تظهر في المحلة وفي مصر كلها أمراض الكوليرا أنا كنت أعمل طبعاً في القطاع الخاص بعد فصلي من الشركة بسنة. ثم فكرت أن أسافر إلى مصر. وفي هذه الظروف أقامت الدولة كردونًا حول المديريات التي أصبحت الآن محافظات، وكان مدير المديرية – المحافظ حاليًا – وكانت وزارة الصحة قد أعطت تكليفات للمديريات على مستوى الدولة ألا يخرج أحد من مديرية إلى مديرية، خوفاً من انتشار المرض واتساع نطاقه. وأنا في هذه الظروف ظللت أعمل حتى آخر سنة ١٩٤٧. وفي أوائل ١٩٤٨ خفت حدة هذا المرض بعض الشيء ثم استخرجت تصريحاً من مكتب الصحة في المحلة على أنني أريد أن أذهب لمصر لأن عمي هناك، وأريد أن أعمل هناك. وكشفوا عليّ. المهم إنني أخذت التصريح وسافرت إلى مصر سنة ١٩٤٨ تقريباً في شهر فبراير.

نسيت أن أقول عندما كنت أقبض كانت ماهيتي أربعة قروش في الشركة. كنت أقبض ٤٨ قرشاً في ١٢ يوم عمل. نصف شهر. كنت أعطي والدي ثلاثين قرشاً أو ٣٥ قرشاً وأصرف الباقي في ١٥ يوماً وهو ١٣ قرشاً، فقد كنت أسافر إلى بلدتنا كل أسبوع وأحضر أكل من البلد لكي أعيش عليه، وأدفع ١٢ قرشاً للسكن. لأن الحجرة كان يسكن فيها خمسة أو ستة.

سنة ١٩٤٨ نزلت القاهرة لأبحث عن عمل . نزلت مصنعًا كان قد أنشئ حديثاً اسمه

مصنع جوزيف فاخورى فى دار السلام. تمنا هناك كانت العمال تنام فى بيت عمدة البساتين. ثم ذهبت للتعيين وكان قد جاء ناس كثيرون من المحلة فلم يتم تعيينى وكنت أعرف ناس أقاربى شخص اسمه منصور أبو حليمة ومحمد أخوه كانوا فى شبرا الخيمة. كنت أعرف مكانهم. ركبت مواصلات من مصر القديمة للعتبة، وأفاجأ فى العتبة بجنينة اسمها جنينة الأزبكية وجدت فيها ضباطًا محجوزين، ثم سألت عرفت أن ضباط البوليس هؤلاء يقومون بإضراب فى شهر فبراير على ما أعتقد أو مارس، إضراب ضد سياسة الحكومة ، قلت يا سبحان الله. إذا كان الشعب المصرى فى ظروفه التى يعيشها فلاحيه وصانعيه وحرفيه البسطاء فما القول بالنسبة لضباط البوليس الذين يحصلون على أجور جيدة، ويلبسون بدل جيدة وملابس نظيفة؟ لماذا قاموا بالإضراب؟ ومن هذا اليوم شعرت إن فكرة الإضراب فعلاً وسيلة يلعب بها المظلومون والمقهورون على أساس الضغط لتحسين مستوى معيشتهم. لكن أنا بدأت أقول : ضباط البوليس هؤلاء لهم مطالب ليقوموا بإضراب يطالبون بمطالبهم.

هذا يوم لا أنساه طوال حياتى. قلت على مصر بلد عظيمة وفيها عمال وفيها ناس جيدون جداً وصلوا إلى أن ضباط البوليس يقومون بإضراب. فهذه مصر الحرية والأشياء الجميلة. وسألت على الترام فلم تكن هناك وسيلة مواصلات غيره من العتبة إلى شبرا المظلات. ثم سألت على منصور حليمة وأخوه. وجدت (حدايد) يجلس على مقهى. (حدايد) اسم آخر، اسم شهرة لمحمد. فعرفته وأخذنا بعضنا بالأحضان. المهم ظللت معهم يومين، قال لواحد من بلدنا أيضاً خذ عبد العال شغله معاك. وكان هذا الشخص – الله يرحمه – اسمه أبو كامل الشريف. نزلت معه واستلمت العمل فى مصنع رجل اسمه رمضان شحاته فى شبرا مصر حى الشماشرجى وكان مصنع نسيج. يشتغل قماشًا غريبًا جداً. كانوا يقولون عليها خراطم مطافئ. والحاج رمضان شحاته هذا كان له ابن، رئيس الغرفة التجارية. وكان عنده مصنع شنط وصناعة جلود. ففى ظروف سنة ١٩٤٨ هذه كان فى شبرا الخيمة والقاهرة صناعة نسيج وعمال عاطلة. لكن الحركة كانت لم تظهر تماماً. وكان العمل بسيط. وفى مصنع رمضان شحاته كانت أجوره بسيطة. فتركته ونزلت المصنع الذى يعمل فيه منصور فى شبرا الخيمة.

وفى شبرا الخيمة اكتشفت أن بها عمالاً أول مرة يبهروننى جداً

بحكم إننى إنسان نشأت فى الريف والمحلة أيضاً منطقة ريفية. فلأول مرة أري عمالاً

يتكلمون في القوانين والتشريعات والسياسة. وتعرفت على العمال ونقابة العمال والإضرابات والمظاهرات، فبهرت جداً بمنطقة شبرا الخيمة، وبدأت أجلس مع العمال على المقاهي وأماكن الاجتماعات العامة الخاصة بهم، والنقابة لمناقشة العمال في رفع الأجور والإضراب والضغط على أصحاب المصانع وشكاوى إلى وزارة الشئون- في ذلك الحين لم يكن هناك وزير عمل- فكانت وزارة الشئون الاجتماعية هي التي تتولى حل مشكلات العمال مع أصحاب الأعمال.

فعملت في هذا المصنع وكان يعمل به ناس من بلدنا ثم في فترة عملي عملت حوالي أكثر من سنة. وكان أيضاً عناد أصحاب الأعمال مع العمال، وكانت طبعاً سلطة أصحاب الأعمال أقوى على العمال.

نسيت أن أقول إن فترة ١٩٤٥ وأنا في المحلة. كان قد قُبض على عمال. عندما قبض على عبد المنعم السحلي وآخرين معه. قُبض على عمال من شركة المحلة، وهؤلاء العمال أيام جريدة الجماهير قُبض على حوالي سبعين أو ثمانين عاملاً. وكان منهم اثنان من بلدنا. أحدهما اسمه محمد جبر والآخر اسمه سليم محمد أبوإسماعيل. وقُبض على حوالي ثمانين أو تسعين عاملاً أرسلوهم إلى سجن طنطا. هذه الحكاية أحدثت هزة سياسية في مصر. وعرفت أنا في المحلة أن هناك في مصر سياسيين أرسلوا ناسًا من نقابة المحامين ليدافعوا عن هؤلاء العمال. لأن هؤلاء العمال مظلومون ويطالبون بحقوقهم وليس من المفروض أن تفصلهم الشركة وترمي بهم في السجن، هي والدولة. وكان العمال في ذلك الحين في مناقشات أن هذا النظام الملكي نظام ظالم فاسد وهو الذي ينهب أصحاب الشركات والأموال من خلاله حقوق العمال، والملك في صف أصحاب الأعمال ولم يكن في صف العمال. وفي هذه الظروف جاء وفد نقابة المحامين من القاهرة إلى طنطا للدفاع عن العمال_ في محكمة طنطا- وأخيراً أخذ العمال براءة لأنه لم تكن هناك أسباب أو أي شئ أو أي جرائم تستدعي محاكمتهم. فخرجوا براءة. وكان الأمر أنها قضية رأي وهؤلاء العمال يريدون أن يكونوا نقابة وهذا من حقهم. وهذا شئ طبيعي.

أعود مرة أخرى لموضوع عملي في شبرا الخيمة. أنا عملت أنا ومحمد جبر - الذي قبض عليه- عملنا في المحلات الصناعية حوالي أكثر من سنة. ثم فصلونا. وبعد ذلك كنا دخلنا على سنة ١٩٤٩ أوائل ١٩٥٠.

فى أوائل الخمسينات بدأت مصانع تتوقف ومصانع تعمل. ففى هذه الفترة العمال تناقش واضرابات ومظاهرات. هذا الجو كان جديداً علىّ. فبدأت أجلس مع العمال أريد أن أتعلم شيئاً أنا أحبه وهو الدفاع عن حقى كعامل فى وسط هؤلاء العمال، وأن أتكلم وأدافع عن نفسى فى داخل المصنع، وفى أى مشكلة توجد داخل العمل، كيف أدافع عن نفسى وكيف آخذ حقى حتى لا أفصل كما فصلت من شركة المحلة؟ والظروف التى فصلت فيها قالت الشركة أسباب عيوبى، ولم يكن لى فى هذا الوقت أن أعرف سلاح حق الدفاع عن نفسى إلا عندما رأيت العمال فى شبرا الخيمة يقومون بهذه الأعمال. شعرت أن هنا عقولاً، توجد طبقة عاملة، هنا ناس تتناقش، يوجد ناس يريدون أن يأخذوا حقوقهم.

فى هذه الظروف جاءت سنة ١٩٥١، وبعد أن فُصلت عملت فى ساحل روض الفرج بعض الشئ، ثم عملت فى مصنع شخص اسمه الخواجة شازار. ثم حدثت أزمة الحرير الصناعى فى كفر الدوار فتوقفت. وكان طبعاً طبيعة أصحاب المصانع والشركات والرأسمالية كانت هى وسيلة للتخلص من العمال. على أساس كانوا يعطون مكافآت للعمال حتى لا يعمل العامل أكثر من سنة أو سنتين؛ حتى لا يحصل على مكافآت، لعبة يعلمها أصحاب المصانع بالاتفاق مع اتحاد الصناعات، كانوا يعملون العملية على أساس أن يكسبوا العمال وليس أن يكسب العمال حقوقهم من أصحاب الشركات.

وفى هذه الفترة كان هناك شخص اسمه محمد عبد الله، توفى صاحب مصنع النسيج فى ساحل روض الفرج فى مصنعه. فقابل شخصاً من عمال النسيج هو يعرفه وقال له: يا عبد الحفيظ أنت وسعيد عبد الصمد تحتاجون عمال. المهم جمع حوالى عشرين عاملاً وذهبنا لشخص اسمه عبد المجيد إسماعيل. بهذا الرجل فى عهد الملك بعد ذلك - كنا نعمل عنده - حصل على الباشوية. هذه الجزئية أقولها لأبين أن الفترة التى عملنا فيها فى دمنهور البحيرة كان معى ناس شيوعيون ولم أكن أعرف شيئاً عن الشيوعية. لكن أحس وأقرأ. وقرأت اسم الشيوعية وبدأت تقع منشورات فى يدى أقرأها وأشياء فى الشوارع أقرأها. يأتى لى منشور شيوعى أقرأه لتنظيم طليعة العمال، تنظيم حدتو. تنظيمات أخرى. الحزب الشيوعى المصرى.

عندما عملنا فى دمنهور البحيرة كنا حوالى سنة ١٩٥١، وكانت هناك لجنة السلام العالمى التى هى ضد الحرب، وكانت طبعاً الحرب انتهت سنة ١٩٤٥، لكن أيضاً كانت لجنة السلام

العالمى موجودة ولها فروع فى مصر كثيرة جداً. فكانت هناك منشورات وكانت هناك حمامة سلام، وكان قد صممها الفنان العظيم بيكاسو. حمامة السلام كانوا يعلقونها شارة على الجاكيت. ثم عندما نزلنا دمنهور البحيرة. كان معى عشرون شخصاً. بدأنا نعمل لجان سلام فى دمنهور ونناقش السلام وآثاره على حياة الشعوب. فبدأ الناس فى دمنهور ينتبهون لأفكار هؤلاء الناس. وكان معى فى هذه الفترة من القاهرة. المصيلحى حمزة وسيد فايد وسعد العوضى الديب وهؤلاء، كانوا - فى ذلك الحين - فى تنظيم حدتو. وسعيد عبد الصمد كان منتمياً لتنظيم اسمه طليعة العمال. وكان هناك شخص اسمه عبد الرازق خفاجة، عرفت أيضاً أنه قادم من مصر مطروداً، لأنه يشتغل جاسوساً على العمال. من أصحاب المصانع والمباحث. ولذلك كانت العمال تتجنبه، وكنا طبعاً نضجر منه.

فى هذه الظروف قُبض على زملائنا المصيلحى حمزة وسعد العوضى الديب سيد فايد. ثم كان صاحب العمل قد أجّر لنا بيتاً، عمال مصر يقيمون فيه، وكنا فى هذه الفترة طبعاً نتعرف على الناس ونتناقش معهم، فالمصيلحى حمزة تعرف على شخص من دمنهور البحيرة، وكان هذا الشخص ينتمى إلى حزب مصر الفتاة. وبدأ المصيلحى حمزة بطريقة متعجلة يعطيه مطبوعات شيوعية ويعرفه أن هذه المطبوعات للشيوعيين الذين سيقومون بثورة وليس حزب مصر الفتاة، فحزب مصر الفتاة بدأ يراقب الشيوعيين ويرى أين يعملون هذه الأشياء.

كنا نسكن جميعًا داخل هذا البيت. فمصيلحى حمزة وسعد العوضى الديب وسيد فايد كانوا يسكنون فى غرفة وأنا وشخص اسمه عبد الحفيظ بيومى- الله يرحمه - وشخص اسمه رياض القاضى، كنا نسكن فى غرفة من البيت الذى أجّره لنا عبد المجيد بركات. أما سعيد عبد الصمد لأنه كان متزوجاً وكان أولاده معه كان يسكن فى بيت آخر خارج سكن العمال. فجاءت المباحث وقبضت على مصيلحى حمزة وسعد العوضى الديب وسيد فايد من السكن.

وعندما بدأوا يتساءلون عن من يكون أبلغ عنهم. فقالوا لابد أنه عبد العال هو الذى عملها لأنى كنت قد تشاجرت مرة مع سيد فايد بسبب مناقشات سياسية، ولأنى كنت قريب من سعيد عبد الصمد، حيث كنت أحب أفكاره وهدوءه، وأسلوبه الموضوعى فى حل أى مشكلة داخل مصنع بركات، فقد كان إنساناً هادئاً جداً، وبدأ يعطينى مطبوعات طليعة العمال التى كان منضماً لها وهى كانت مطبوعات موضوعية وجيدة

وقد أغضبهم ذلك. وقد قال لى سعيد عبد الصمد أنهم سوف يضايقونى، ويغضبونى لكى أتعامل معهم. إلا أنهم بعد خروجهم من السجن بشهر، اكتشفوا أن الذى أبلغ عنهم هو صاحبهم الذى كان فى حزب مصر الفتاة، واعتذروا لى بعد ذلك، واستمرينا فى العمل داخل المصنع.

وبعد ذلك بدأت الحكومة تبلغ عبد المجيد بركات أنه يأتى بناس شيوعيين، وبدأ عبد المجيد بركات يقول لمحمد عبد الله. وبدأت الأمور يحدث فيها تململ بين صاحب المصنع والعمال، مما أدى إلى أنه سرَّح عدداً من العمال. فعدد من العمال ذهب إلى الإسكندرية وأنا ظللت أعمل، ثم بعد ذلك عدت لمصر مرة أخرى. وعندما لم أجد عملاً فى مصر ذهبت إلى الإسكندرية فى أوائل ١٩٥٢.

وذهبت لعبد الصمد وكان يسكن فى منطقة اسمها غبريال فى الإسكندرية، وكان يسكن فى شقة مشتركة أيضاً. وعشت معه ليلتين رغم أنه كان متزوجاً، ثم بعد ذلك وجد لى سكناً فى منطقة الحضرة مع زميل لنا كنا نعمل معًا فى دمنهور اسمه حامد. كان يعمل فى شركة سيتا ويقيم فى الحضرة. عشت معه فى سكن إلى أن أعمل. ثم عملت فى شركة الطوبل. تمَّ تعيين حوالى ثمانين عاملاً كنت أنا من بينهم. وبعد خمسة عشر يوماً كنا فى أوائل شهر مايو. لم يكن هناك قطاع عام. فُصلت ووجدت أنه لم يعد لى عيش فى الإسكندرية.

فعدت مرة أخرى للمحلة الكبرى فى حوالى شهر يونيو أو يوليو. عدت لبلدتنا وظللت فيها فترة، ثم عملت فى المحلة.

وأثناء عملى فى المحلة قامت ثورة ٢٣ يوليو، وبعد حوالى شهرين زار الضباط الأحرار مديرية الغربية وخاصة المدينة الصناعية مدينة المحلة.

وجاء موكب الضباط الأحرار العسكرى بالحراسة من المديرية إلى شركة المحلة. كان محمد نجيب يركب عربة جيب ووراءه عربات جيش وحراسات من الداخلية والجيش. وكانت المحلة فى هذه الظروف مزروعة بشرا شوارعها وميادينها، وهتافات للضباط الأحرار ومحمد نجيب. كنت أشعر أن الشعب المصرى استطاع فعلاً أن يلعب دوراً فى إضرابات، ومظاهرات شبرا الخيمة والمحلة، حيث قاموا العمال بالإضراب والمظاهرات، ورفع الشعارات ضد سياسات الحكومة والملك فى الهمس. وفى هذه الفترة قامت ثورة ٢٣ يوليو فكانت الناس تهتف بحياة

محمد نجيب كما لو كان محمد نجيب هذا الشخص شخصٌ ربنا أرسله لشعب المصرى من السماء. وفى المحلة لا أستطيع أن أصف صورة المظاهرات والجماهير، وخاصة المحلة الكبرى. كان شيئاً فظيعاً جداً. لدرجة أن هناك ناساً ماتت فى هذه الظروف.

وفى حوالى سنة ١٩٥٣ بعد الثورة، فكرت فى أن أعود إلى القاهرة مرة أخرى. وعدت لشبرا الخيمة. وعملت فى مصانع صغيرة عند امرأة اسمها أم عايدة لديها أربع ماكينات نسيج. وفى هذه الظروف بعد أن عملت عندها فترة- تعرفت علىّ شخص اسمه مصطفى الفلسطينى كان منتمياً لتنظيم اسمه الحزب الشيوعى المصرى. بالإضافة إلى معرفتى بـ محمد عبد الغفار ومحمود العسكرى وطه سعد عثمان والقيادات العظيمة المحترفة والناس المناضلين فى وسط عمال شبرا الخيمة. العمال الذين هم فى منتهى العظمة وفى منتهى التفكير، حتى العاملات المناضلات. كنت أشعر أن هذا شئ جميل جداً جداً. وقد نبهنى محمد عبد الغفار بأن عبد الرازق خفاجة الذى كان معنا فى دمنهور البحيرة كان جاسوساً وبوليس وكان يعمل لحساب أصحاب المصانع، والبوليس. فمحمد عبد الغفار بدأ يثق فىّ ويعطينى أشياء أقرأها بالإضافة للأشياء التى كنت أقرأها من سعيد عبد الصمد. فعرفت من سعيد عبد الصمد ومن محمد عبد الغفار أنهم فى تنظيم واحد هو طليعة العمال. وكانت مطبوعاتهم واضحة جداً وتناقش القضايا بطريقة مبسطة ولطيفة وبقدر الفهم البسيط نفهمه، وكنت أستريح لمطبوعاتهم.

وعندما التقيت بمصطفى الفلسطينى وبدأت أتعامل معه. اكتشفت أنه إنساناً مخلصاً جداً وإنساناً مناضلاً- الله يرحمه- ووجدت مطبوعات الحزب الشيوعى المصرى التى كان يعطيها لى أفكارها كبيرة على، أو لا أفهمها وليست واضحة. وكان فى ذلك الوقت هذا التنظيم- الحزب الشيوعى المصرى- يعتبر أن ثورة ٢٣ يوليو. الضباط الأحرار، ثورة فاشستية وديكتاتورية. وكانت هذه الرؤية تختلف عن تنظيم طليعة العمال.

وفى ذلك الحين بدأت أترك مصطفى. وقبل أن أتركه كنت أسكن فى بيت فى شبرا البلد عند سيدة، وأعمل فى مصنع شخص اسمه عبد الكريم محمد على. هذا الرجل الذى كنت أعمل عنده كنت أعمل ثمانى ساعات. أذهب الساعة الحادية عشرة مساء، وأنتهى فى السابعة صباحاً. ففى يوم أحد- كانت العطلة يوم الأحد- عدت للبيت. فصاحبة البيت قالت لى. وكنت

أسكن عندها في غرفة كانت في مسقط نور، لم يكن أحد يعرف أن هنا غرفة. وكانت لديّ مطبوعات. ففي ليلة الأحد هذه - وأنا في عملي في المساء - جاءت عربة البوليس فيها - كما وصفت لي صاحبة البيت - عشرون عسكريًا وخمسة يرتدون ملابسًا مدنية. فدخل اثنان وقالوا : فتشوا البيت الدور الأرضي والدور الثاني، وقالوا: هناك شخص يأتي هنا ونراقبه منذ حوالي شهرين وهو يلبس جاكتة بني وقميص كحلي وشعره طويل. ونحن نراقبه وهو يدخل ويخرج من هذا البيت.

في هذا الوقت عندما قالت لي هذه السيدة. أنا قلت : سوف أتخلص من المطبوعات التي عندي. أشعلها في الفرن، وكان معي ساكن واحد - الله يرحمه- اسمه عبد الفتاح محمد سعد. قلت له: يا عبد الفتاح هات فرشتنا . كان عندي سرير ومرتبة. قلت له : هاتهم وتعالى ساحل روض الفرج عند أم عبد العزيز، أم عبد العزيز هذه تملك مطعمًا مطعم وكنا نأكل عندها ونحاسبها في نهاية المدة حين نقبض. فقلت لها : يا أم عبد العزيز أريد سكنًا . لأن السكن لذي في شبرا البلد بعيد عليّ وأنا أريد أن أقيم هنا فالمهم وجدت لي زريبة، وهذه الزريبة كانت (زريبة) غنم خاصة بصاحب البيت ، ويبدو أن صاحب البيت باع الغنم بعد ذلك فسكنتني فيه ، وكان فيها طوالة ونخلة، المهم اضطررت للسكن فيها ، وبعد خمسة عشر يوماً وجدت سكنًا آخر. وبعد ذلك عشت في ساحل روض الفرج ولم أعُد لشبرا الخيمة بعد ذلك. ثم بدأت أشتغل وأتعامل مع الناس.

في هذه الظروف في منتصف ١٩٥٤ قابلني حسن الساكت وقال لي : يا عبد العال. نحن مرشحينك منذ سنة أو سنة ونصف، للدخول في عضوية طليعة العمال ونحن نرحب بك. وننتظر ردك. قلت له : يا أخي أنا أجري وراءكم منذ أكثر من شهور أو سنة. منذ أن قرأت مطبوعاتكم ، وأنا أريد أن أنضم إليكم وأعمل عملاً نقابياً وسياسياً. وفي هذه الظروف قال لي : سآخذ موعداً معك. سوف أقابلك بشخص، وهذا الشخص بعد ذلك ستقابله وتعمل معه. وتقابلت مع هذا الشخص وكان شاباً صغيراً، وكان يبدو عليه أنه ليس عاملاً، فالمهم اكتشفت أنه طالب. وبعد ذلك تم تنظيمي وكنت أنا وهو في مجموعة من ثلاثة أفراد وكان هو مسئولها ، وبدأنا نناقش الأعمال السياسية والأعمال المالية والعمل النقابي، والعمل النضالي والإضرابات والمظاهرات والدفاع عن حقوق العمال وفتح باب المناقشات حول الوحدة السياسية،

وكانت المناقشات جميلة جداً. بدأنا فى أواخر ١٩٥٤، وفى مطلع ١٩٥٥ بدأ يقول لى: أنت مطلوب منك أو معروض عليك أن تعمل عمل آخر سوف نعرضه عليك ولك حق الاختيار.

أنت سوف تأخذ مسئولية عمل. طبعًا الوحدة التى نحن فيها وحدة سياسية ووحدة عمالية. فيها ناس تعمل عملاً جماهيرياً وتعمل وسط النقابة، وأنت لست معروفاً لأحد ولا لأجهزة الأمن. فنحن نريد أن تقوم بعمل وسنناقشك فيه. المهم عرض علىَّ أسلوب هذا العمل ونظامه. هذا العمل أن آخذ جهازًا لطبع المنشورات والمطبوعات التى تصدر، وبعدها عرّفنى العمل. وقال: نحن الاثنان نعتبر وحدة سياسية نتناقش سوياً. نناقش العمل الفنى، وهذا العمل الفنى والعمل النقابى والسياسى والتنظيم الحزبى نناقشه كله. لكن هذا العمل نناقشه أنا وأنت فقط لا أحد يعرفه غيرنا، وسيأتى شخص يتسلم منك هذه المطبوعات، نكون أنت وهو وأنا مسئولى هذه المجموعة. واتفقنا على ذلك، واستمر عملى فى الجهاز الفنى- جهاز الطبع - من عام ١٩٥٥ من منتصفها - إلى عام ١٩٥٧. وفى ١٩٥٧ كان هناك كلام عن وحدة الشيوعيين فى مصر وهناك كلام بين المنظمات الشيوعية فى مصر على أن يعملوا وحدة الشيوعيين فى حزب واحد. وفى هذا الوقت فى أواخر ١٩٥٧ كان للشيوعيين قد بدأوا يصلون لنتائج يعملون وحدة على أساسها، وحدة فهم سياسى ورؤية سياسية للحركة الشيوعية المصرية على المستوى الوطنى. وفى هذه الظروف كنت أتولى أيضاً الجهاز الفنى فى حزب طليعة العمال، ولكن ربما فى هذا الوقت كان اسمها حزب العمال والفلاحين الشيوعى. ثم ظللت أعمل فى هذا الجهاز الفنى حتى أواخر ١٩٥٧.

وحدة الشيوعيين فى حزب ٨ يناير سنة ١٩٥٨

وفى أوائل ١٩٥٨ توحد الشيوعيون فى حزب ٨ يناير، وطُلب منى أن أسلم الأجهزة الفنية وكل ما يتعلق بها إلى التنظيم، وكانوا قد تسلمها الناس الذين كنت معهم فى حزب العمال والفلاحين. وبعد ذلك أخذت الأشياء، أعطونى عملاً آخرا مرتبطًا بهذا الجهاز الفنى. بدلاً من أن أعمل فى الطبع. كنت آخذ مطبوعات شبرا الخيمة ومطبوعات شبرا مصر. وتم عمل وحدات صغيرة فى شبرا الخيمة وشبرا مصر، وأنا كان علىَّ أن أسلم هذه المطبوعات لشخص معين، أو أشخاص معينة بترتيب وتنظيم حزبى دقيق جداً، وفى هذا الوقت بدأت أعمل فى هذا العمل

من ١٩٥٨ حتى سبتمبر حدثت القبضة على عدد من الشيوعيين. وبدأت حركة المقاومة بين الشيوعيين ونظام الحكم بدأت تظهر صراعات ومواجهات مباشرة.

ظروف القبض عليَّ

في سبتمبر ١٩٥٨ قبض على مجموعة من الشيوعيين المصريين، وفي يناير ٥٩ قُبِض على قيادة الحزب الشيوعي المصري، ٨ يناير، وفي مارس ١٩٥٩ قُبض على يوم ٢٨ ، الموافق ١٧ رمضان لأنها كانت ذكرى لا أنساها. ظروف القبض عليَّ. كنت متزوجاً منذ عشرة شهور، زوجتي قالت لي : يوجد ناس ينادون عليك. فعرفت أن هؤلاء الناس قادمون للقبض علي، وقد كنت في الحمام وقتها، وتذكرت العمال المتهمين الذين خانوا في شبرا الخيمة وعبد الرازق خفاجة، وتذكرت المناضلين الشرفاء أمثال محمد عبد الغفار و محمود العسكري وطه سعد عثمان وحسن الساكت وسعد عبد الصمد. تذكرت العاملات العظيمات داخل منطقة شبرا الخيمة. المناضلات لم يكن أقل من هؤلاء. الواحدة منهن تتحمل عبئاً أكثر وفي منتهى النضالية والشرف. ففي هذه اللحظة مرَّ الشريط أمام عيني وحركات العمال في شبرا الخيمة والحركات النضالية والعمل النضالي المستمر. هذا أعطاني دفعة قوية جداً. في أن أقوم وأنا مُصر إن أي شئ سيُطلب مني، ولا يوافقني كعضو منظم في الحزب الشيوعي سأرفضه. وكانت أول مرة يقبض عليَّ. وقلت على جثتي. وخرجت وأنا مقتنع تماماً وراضٍ تماماً عن كل ما يحدث لي. فالمهم وجدت اثنين يقفان أمام باب الحمام واثنين أمام باب الشقة.

كان يسكن معي شخص بالشقة سائق في البلدية، شقة مشتركة أنا وهو، كان دخلي بسيطا وكنت أعمل في شركة البطاطين (أفارينو) في هذه الفترة. ثم جاء هذا الرجل اسمه فؤاد خليل. وقال لي : قل لنا يا ابني من الذي أتى بك في هذه النار الحمراء التي أنت فيها هذه والشيوعيين وهذا القرف، قلت له : الكلام الذي سيسألوني فيه سأجيب على الذي أريده، وأنت اذهب بي إلى أي مكان تريده بعد ذلك تخلى مسئوليتك. المهم أخذوني لشبرا الخيمة.

في شبرا المظلات في بر القاهرة قبل ترعة الإسماعيلية كنت أعمل في مصنع. كنا رفعنا قضية غلاء على هذه الشركة. ثم عندما فُصلت من عملي عملت في مصنع في شبرا الخيمة يملكه شخص يهودي أعتقد اسمه شاؤول. وكان يعمل معي شخص اسمه محمد عبد الواحد كان

عضواً فى الحزب وكان هناك شخص نسيبه اسمه إبراهيم الخامولى متزوج أخت محمد عبد الواحد. عندما رأيته وأنا أركب العربة الملاكى القبوض علىّ فيها من ظهره. عملت حركة حتى أريه وجهى وإننى مقبوض علىّ، فوضع يديه فوق بعضهم، فهززت رأسى بعد أن عدهما. وقلت له : نعم على أساس إذا لم يكن محمد عبد الواحد قد قُبض عليه يبلغه. ثم بعد أن ذهبت بعشر دقائق إلى قسم شبرا الخيمة وجدت محمد عبد الواحد ووجدت أعداداً ضخمة لا أعرفها، حوالى ٤٠٠ شخص فى مكان ضيق جداً مساحته عشرة أمتار فى عشرة أمتار. وكان زحام القسم كبيراً جداً وفى نفس هذا اليوم ظللنا ليلة فى قسم شبرا وفى صباح اليوم التالى رحلونا وركبونا العربات اللورى وحراسة الأمن. وزوجات الزملاء الشيوعيين الذين من شبرا الخيمة بدأن يقفن فى طريق مصر إسكندرية ويقمن بمظاهرات وعملن ثورة فى الطريق. وعندما ملأوا عربة لورى بدأت الناس تهتف. فالضباط والعساكر يضربون بعض الزملاء. بدأت حركة صراع رهيبة جداً وبدأ الجمهور يهتف ضد سياسة الحكومة فى هذا الوقت. ثم دخلنا مرة أخرى القسم. وظللنا ليلة أخرى بعد أن اتصل القسم بمباحث أمن الدولة. فقالوا لهم: أدخلوهم مرة أخرى.

معتقل القلعة وبداية مرحلة جديدة

وفى اليوم التالى تم ترحيلنا بحراسة قوية جداً جداً. وعملوا كردوناً رهيباً جداً. حراسة حول القسم. على أساس نخرج والعربات تسير ولا أحد يدركنا. وفعلاً حدث. ثم ذهبنا لمكتب مباحث أمن الدولة فى شارع شبرا المظلات ثم ذهبنا بعد ذلك لمعتقل القلعة، و فى معتقل القلعة وجدت حوالى ٢٠٠٠ شخص من الشعب المصرى من كل محافظات وقرى مصر من الإسكندرية للسويس. وفى هذا الوقت بدأت أرى نمطاً قمماً فى الذكر قمماً فى التضحية وقمماً فى العمل السياسى، وكان فيهم أطباء ومدرسون وعمال وفلاحون وكان معنا ناس عمال زراعة. وكانت مرحلة القلعة مرحلة جديدة فى حياتى.

فى القلعة بدأنا نتناقش. الناس تعمل وحدات ومجموعات سياسية وتناقش قضايا. ظهر أيضاً نوع من التكتلات داخل الحزب الشيوعى المصرى. وكان هذا شئ مؤسف جداً ومحزن جداً جداً. لكن بشكل عام الناس تتناقش عموماً كحزب شيوعى مصرى - حزب ٨ يناير-

يناقشون كيف نواجه سياسة الدولة، كيف نواجه عنف ثورة ٢٣ يوليو مع الشعب المصرى ومع الطبقة العاملة المصرية ومع الشيوعيين وقيادة الشعب المصرى؟ سنقوم بثورة العمال والفلاحين. وهنا وجدت أننى فى عالم آخر. كل مرحلة تمر علىّ أشعر أن فيها جديداً، فمراحل حياتى من عامل زراعى لعامل نسيج فى المحلة، لعامل نسيج فى مصر، لعامل نسيج فى دمنهور البحيرة، لعامل نسيج فى إسكندرية، كل دورة فيها دروس. فاكتشفت أن فى داخل معتقل القلعة مدرسة للتربية وأنا كالطفل الصغير الذى يسمع كلاماً جميلاً جداً من أهله. وأظل أستمع لهذا الكلام على أساس أنه كلام عين العقل المفروض نسمعه اليوم، لكن الأصول التاريخية داخل حزب ٨ يناير لا زالت آثارها موجودة. والمهم ظللنا فى ذلك الحين فى القلعة حوالى أربعين يوماً.

فى هذه الفترة جاء دورى فى تحقيق النيابة.

نسيت أن أقول أنه عندما قُبض علىّ وجدوا لدى مضبوطات كانت من المفروض أن تُسلم قبل ٢٨ مارس. كان المفروض أن تسلم قبلها بثلاثة أيام، وعندما قُبض على الناس حدث اضطراب وارتباك شبرا والقاهرة والإسكندرية وكل المحافظات. بدأت حركة الحزب والعمل السياسى تتجمد. ولم يأت إلىّ أحد يقول لى شيئاً. المهم احتفظت بهذه المطبوعات وخفت أن أرميها. وكانت هذه هى قضيتى التى حسنتها بعد ذلك. هذه المضبوطات كانت حوالى عشرين لفة. هذه العشرون لفة كانت عبارة عن منشورات ومجلات وكان أغلبها منشورات حوالى خمسة آلاف منشور. المهم قُبض علىّ. ومع هذه المنشورات خطاب أرسله لى أخى يقول فيه : خالك محمد يبلغك أن تنتبه لنفسك لأن الظروف هذه الأيام سيئة. فعندما جاء وكيل النيابة يحقق معى فى وزارة الداخلية. كنا حوالى الثانية صباحاً. فعندما دخلت قال لى : الاسم، قلت: عبد العال إبراهيم البسطاويسى جمال الدين. المواليد، قلت له : من شبراوين مركز أجا دقهلية، ومقيم بالقاهرة فى ساحل روض الفرج، ثم قال لى : وهذه المضبوطات تخصك؟ قلت له :لا ، قال لى : إذن هذه تخص منْ؟ الضباط هم الذين وضعوها لك؟ قلت : لا الشركة التى كنت أعمل فيها شركة البطاطين- ملك ونيس فلتس- الذى اشتراها بعد أن خرج اليهود من مصر. زوج ابنته نخرى كرياكوس، وعندما رفعنا قضية الغلاء وأنا أعمل بالشركة وفصلونى لذلك. فونيس فلتس مرة أرسل لى فى مكتبه وقال لى : أنا سوف أعرف أؤدبك وأعرفك.

كيف تقف أمامى فى قضية الغلاء هذه تتحدانى وتذهب لنقابة وتأخذ عمالاً. المهم أنا لحظة التحقيق رجعت بالشريط وكلام وحسن فلتس لى وزوج ابنته فخرى كرياكوس. كان فى هذه الفترة يعمل مديراً فى الشركة، لكن كانت علاقته قوية بالقلم المخصوص الذى سمى فيما بعد بالمباحث العامة كان قد هددنى، لأنه ترك الداخلية وأصبح موظفاً بالشركة.

قال لى : سوف أعرف أؤدبك. فأنا فى التحقيق قلت لوكيل النيابة إن هذه المضبوطات ملفقة لى لأن فخرى كرياكوس هذا كان رئيسًا فى المباحث العامة، وطبعاً له ناس. فهذه الحكاية دُبرت لى وهى لا تخصنى. فقال لى: وهذا الخطاب؛ فقلت له: يخصنى.

ويقول لى : انتبه للشخص الذى معك لأنه يشرب مخدرات. والمهم وكيل النيابة يسألنى، فقلت له: الغرض من كتابة أخى لخطابه لى أنه يحذرنى من الرجل الذى يسكن معى فى الشقة. وقبل التحقيق كان موجوداً ضابط مباحث. وأنا احتججت على وجود ضابط المباحث. وقلت : أنا لن أتكلم، فقال لى : إذا ضابط المباحث تكلم أى كلمة أنا سوف أخرجه. وهو سيجلس مستمعًا ليس له أى كلام معك. أنا الذى سوف أسألك وأنت الذى تريد أن تجيبنى عليه تجيبنى، والذى لا تريد أن تجيب عليه لا تجيب. وانتهى التحقيق على ذلك.

معتقل الفيوم والتعذيب

بعد أن خرجنا من عند وكيل النيابة عدنا بالعربات الساعة الخامسة صباحاً، ثم نمنا. وبعد فترة من التحقيقات حوالى شهر رحلونا فى مجموعات كل عشرة فى جنزير، ورحلونا على معتقل الواحات. نخرجنا من معتقل القلعة إلى معتقل الفيوم فى طريق صحراوى من الساعة الواحدة وحتى الساعة السادسة. وفى معتقل الفيوم فوجئنا بعلقة وضرب لا يتصوره عقل بشر. وفى هذا اليوم لم أضرب، ومن السنبر نمت. ثم صحونا الساعة الواحدة دخلنا دورة المياه، حول المعتقل طابور عساكر ونحن نخرج عنبر عنبر تذهب إلى دورة المياه ونعود بسرعة، وأخذنا جرادل معنا نتبول فيها. نظام رهيب جداً غير معتقل القلعة، لأن معتقل القلعة غرف ويغلقون علينا الزنازين. وفى النهار مَنْ يريد أن يذهب لدورة المياه يذهب. لكن فى معتقل الفيوم كانت هذه العنابر لا توجد بها دورات مياه. وضُرب فوزى حبشى فى معتقل الفيوم. وأصيب المعتقل بدعاية سيئة جداً ضد عبد الناصر. عندما ضُرب فوزى حبشى أذاعت وكالات

الأثناء احتجاجات دولية، ومن برلمانات وبعض الصحافة وبعض الهيئات الدولية الديمقراطية عملوا احتجاجًا على تعذيب الديمقراطيين الشيوعيين فى داخل معتقلات عبد الناصر، حملة شديدة جداً، فبدأ عبد الناصر يخلى سجونًا جديدة، وأماكن جديدة وبدأ ينقل الجزء الأكبر منهم إلى أبى زعبل، وشاحت الأنذار إن إننى لم أكن من ضيوف معتقل أبى زعبل، أو من نزلاء معتقل أبى زعبل. فظللت أنا وعدد من الناس، كانوا حوالى تسعين شخصًا، كان موجوداً معى -الله يرحمه- د. محمد الخفيف، وإبراهيم أبو حديقة وعدد من زملائنا كان شخص اسمه حماد عباس وسيد عبد العال أمين- وكان مريضاً بالقلب- وكانت الدولة تعتبرنا ضعفًا ولسنا عتاولة فى الحركة الشيوعية. فمن الممكن أن يؤثروا علينا وأفرجوا عنا. فى هذا الوقت كانت الدولة ترسل رئيس مباحث أمن الدولة من القاهرة للفيوم ويفتحون معنا مناقشات على أساس أنَّ مَنْ لديه استعداد أن يستنكر الشيوعية سيتركونه. وفعلاً حدث. كنا فى هذا الوقت حوالى أواخر ١٩٥٩، أوائل ١٩٦٠. وطبعاً طلبونى. وناقشنى ضابط المباحث. وقال لى : أنت شيوعى؟ قلت له : أنا رجل نقابى. طبعاً أنا لم أكن مكلفاً ماذا أقول، لأن الناس رحلت فجأة. وكان مسئولنا فى المعتقل سيد أمين عبد العال وحماد عباس فسيد أمين قال : لا تقل أنا شيوعى، قل : أنا نقابى فقط. على أساس أن هذا أسهل لك وهناك احتمالات أن تخرج. وإن لم تخرج هذا تخفيف. فالمهم قال لى الضابط : تستنكر الشيوعية؟ قلت له لا. قال لى : ماذا؟ إذن أنت شيوعى؟ قلت له : والله احسبها كما تريد. أنا لست شيوعيا ولكنى لا أستنكر الشيوعية. أنا أعيش مع هؤلاء الناس، وهؤلاء الناس ممتازون وأنا أحترمهم وهم يعاملوننى معاملة طيبة ويحترموننى، فأنا لن أستنكر الشيوعية. فهو بعد مناقشة شعر أننى لست متجاوباً معه، فقال لى : تفضل. وبعد ذلك بيومين أفرج عن إبراهيم أبو حديقة ود. الخفيف وباقى الناس، وسيد أمين عبد العال كان مريضاً بالقلب أرسلوه للقصر العينى وحماد عباس أيضاً كان مريضاً بالقلب. وأنا وحوالى ٣ أو ٤ وكان معنا دكتور- حاليا أستاذ جامعى- اسمه صلاح قنصوة، وإبراهيم فتحى الكاتب الروائى والناقد. فصلاح قنصوة كان خريجاً جامعياً حديثًا، وعندما طلب منه أن يعمل استنكاراً للشيوعية. لا أعرف ماذا فعل. المهم رجع معى.

أخذونا من الفيوم لبنى سويف، ومن بنى سويف أرى ميدان المحطة فى بنى سويف كأننا

قوة مكونة من آلاف لناس.. وزارة الداخلية كانت تعمل أشياء رهيبة جداً فى المحطة. وكنا فى عربة جيب. كنا أحد عشر شخصاً. وطبعاً ليس فيها غيرى وشخص آخر ٨ بنايـر والباقى مشكوك أنهم منظمون. لا شأن لهم بالشيوعية.

المهم خرجنا من معتقل الفيوم لبنى سويف الساعة السابعة مساء، وكان معنا قوة من الضباط وثلاثة شاويشية وحوالى خمسة عشر عسكريًا. ثم ركبت قطاراً من بنى سويف بعد أن أحضروا لنا طعامًا. نحن اشتريناه، وجلسنا فى القطار، سافرنا حتى السادسة صباحاً. نزلنا فى بلد اسمها أبو تشت تتبع محافظة قنا . وفى أبو تشت ركبنا قطاراً صغيراً اسمه قطار ثالثة، كما كنا نسميه فى بحرى، وركبنا هذا القطار لسجن الواحات. هذا فى حوالى أوائل ١٩٦٠. وذهبنا لسجن الواحات.

وأحد الناس الذين كانوا مقبوضاً عليهم فى القلعة والفيوم الذين رحلوا وذهبوا إلى سجن أبى زعبل، كلهم جاءوا إلى سجن الواحات. أعداد منهم وأعداد أخرى لا أعرف أين ذهبت لكنهم موزعون على أماكن أخرى. ثم ظللت شهر فى سجن الواحات، وفوجئت إننى مطلوب أنا الزميل دكتور مختار محمود السيد -الله يرحمه- ومحمد مستجير مصطفى وعبد العزيز رشوان وعدد من الناس ونزلنا حوالى سبعة عمال إلى سجن القناطر بالقاهرة. وفى القاهرة فوجئت إننى ضمن قرار الاتهام. المتهم الأول فى قضية فيها خمسة وعشرين شخصاً منهم اثنين سيدات، السيدة زوجة المناضل حلمى ياسين وهو فى قضية الحزب الشيوعى المصرى. القضية القيادية - اللجنة المركزية- وزوجة د.مختار وهما موجودتان فى سجن النساء. انتظرت أن نحاكم، وبعد ذلك عشت حوالى ستة شهور فى القناطر. وبدأت المحاكمة فى القناطر. وبدأنا ننزل المحكمة، السيدات ينزلن فى عربة صغيرة، والرجال(ثلاثة وعشرون شيوعياً) يركبون عربة كبيرة ووراءهم عربتان حرس. المهم ظللنا ننزل حوالى شهراً ونصفًا ونحضر محاكمات. وفى داخل المحكمة حدث شئ غير طيب، أريد أن أقول هنا أن الذى كان يشهد علىّ فى قضية الخمسة وعشرين هذه. بحكم أننى المتهم الأول فيها اتهمنى وقال لى: إننى عضو منظم ومؤسس فى الحركة الشيوعية.وأنا طبعاً لم أنف هذا الكلام. لكن ليس أنا المهم، المهم حسن المصيلحى كان معروفًا لدىّ الشيوعيين، وكان يقول لبعض لشيوعيين : إننى مكلف بالقضاء على الشيوعية فى مصر ، بل فى العالم العربى وأفريقيا. كان رجلاً مغروراً ومحظوظًا عند

ضباط ثورة يوليو.

أثناء نداء القاضى على الأسماء. قال لى : أنت شيوعى؟ قلت له : أنا أخذت تكليفًا من الحزب فى القناطر ألا أستنكر الشيوعية وألا أقول إننى عضو فى الحزب. وكان هناك رجل اسمه سيد سالم-الله يرحمه- بعد أن خرجنا كان موظفًا فى بنك مصر، هو الوحيد الذى يدافع عن قضية الحزب فى المحكمة وتكلم عن دور الحزب الشيوعى المصرى. لكن أنا كان تكليفى أن أعمل دفاعًا نقابيًا وديمقراطيًا، ثم كان كل منا مكلفًا. حتى ثريا أدهم زوجة حلمى ياسين أخذت دفاعًا ديمقراطيًا، وكان من أجمل الدفاعات الموجودة داخل القضية لأنها بهرت المحكمة وبهرت كل العائلات التى حضرت فى المحكمة.

المهم بعد أن سألنى القاضى قلت له: أنا نقابى، وأنا رجل ديمقراطى، وأنا أريد أن أتكلم عن ماهية الحركة النقابية ودور الحركات النقابية وآثارها على حماية العمال من أصحاب الأعمال. فقال لى : فى نهاية الجلسة، ولم يعطنى فرصة.

وتعامل مع الأربعة والعشرين على نفس المستوى، إلا أنه سمح لثريا أدهم لأن عمها سعيد باشا أدهم أيام الباشوية كان رئيس محكمة القضاء العالى. فالقضاء أعطوها فرصة فى أن تقول دفاعها مجاملة لعمها وهو كان قد أحضر محاميًا للدفاع عنها وكان دفاعًا من أجمل ما يكون. وبعد ذلك بعد أن قال كل منا كلمته وأنا قلت طبعاً كلمتى لأنى أول متهم فى القضية. وبعد أن انتهت المرافعات. تم تأجيل القضية حوالى عشرة أيام. ثم بعد ذلك نزلنا لسماع الأحكام. حُكم علىّ أنا وشخص اسمه عبد العزيز رشوان من كفر الزيات و د. جميل إسماعيل حقى- وكان ممتازاً جداً- وسيد سالم عضو الحزب الشيوعى، المهم كنا حوالى خمسة، وكان معنا عزت زكى أخذنا كل واحد خمس سنوات. وكان هؤلاء أصولهم التاريخية من طليعة العمال.

نسيت أن أقول أننا فى داخل السجن فى ظروف أكل السجن الصعبة، جاءت لنا نقود من العائلات. فحاولنا أن نزيد المصروف أو السماح - أى بدلاً من أن يكون مسموح للشخص فى الكانتين باثنين جنية يكون بخمسة جنيهات فى الشهر على أساس أن نشترى طعامًا من الخارج يغير طعم أكل السجن، فالمهم إدارة السجن لم توافق، وكانت هناك مكتبة وصحف. غير مسموح لنا أن نقرأ صحفًا أو كتبًا أو نسمع نشرة أخبار راديو السجن التى كانت تصل

لعنابر سجن القناطر. فى وقت النشرة يغلقون السماعات، ولم يكن مسموحاً لنا بأى شئ ولا طوابير مثل الإخوان المسلمين والآخرين مثل الإقطاعيين. كان سراج الدين معنا فى السجن وكان طوال النهار فى ساحة السجن فى العنابر. فنظمنا إضرابًا عن الطعام وكنت أنا وسيد سالم وعبد العزيز رشوان وعزت زكى براهيم. وجميل حقى وعدد من الزملاء الذين هم أصلاً من أصل تريخى واحد، لكن هم داخل حزب ٨ يناير. نحن دخلنا معركة إضراب عن الطعام لتحقيق مطالب المكتبة والصحف والخروج للطابور ورؤية السينما الترفيهية للسجن وتحسين أكل السجن وظللنا عشرين يوماً مضربين عن الطعام. وبعد عشرين يوماً كان يأتى ناس من خارج السجن، من مكتب النائب العام ورئاسة الجمهورية. فنحن كنا رافضين لكى تُلبى مطالبنا. المهم فى نهاية اليوم العشرين لإضرابنا جاء شخص من رئاسة الجمهورية. قالوا مسئولاً كبيراً. وفتحوا لنا السجن الساعة الواحدة صباحاً بمحضر من إدارة السجن، وجاء هذا المسئول الكبير وبدأوا يناقشون مندوبيا المفوضين. كان شخص اسمه سامى عزيز وأحمد ( ) قالوا : نحن لنا مطالب تحسين مستوى الأكل والمكتبة والصحف ونشرات الراديو. وزيادة التعامل مع الكانتين. هذه كانت كلها مطالبًا نعتبرها مشروعة دخلنا الإضراب من أجلها. وكنا نطالب بالإفراج عنا. نحن نعرف إننا سنحاكم، لكن نضع مطلبًا استراتيجيًا على أساس أن هذا المطلب يخدم المطالب الصغيرة التى قلنها. ثم بعد ذلك عندما تناقشوا معنا ووعدوا أنهم سيحققون لنا هذه الأشياء. اتفقنا وكتبنا اتفاقًا فى مكتب المأمور وفكينا الإضراب. وكان د.جميل حقى يشرف على حل الإضراب وأسلوب التغذية. باعتبار أننا مضربون عشرين يوماً ومعدتنا خاوية. كيف سنحل الإضراب. فبدأنا نشرب سوائل. ماء ساخن بسكر. نشرب جلوكوز. المهم انتهت معركة الإضراب عن الطعام.

فى الواحات عندما حركنا ورحلونا. ذهبنا لسجن مصر. وكانت قضية سكرتير الحزب لأنه كان قد قُبض عليه وحده وهو أبو سيف يوسف. هذه القضية- سكرتير الحزب- جاءت من الإسكندرية. أما القضية التى كنا فيها جاءت من سجن القناطر لسجن مصر. وفى سجن مصر اتفقت القيادة السياسية للقضيتين. كان هناك مشروع سياسى وكان وراءه إسماعيل المهدوى-الله يرحمه- اتفقت على أننا ونحن خارجين من الزنازين وفى ساحة السجن سنركب عربات لمحطة القطار للذهاب للواحات. فالقيادة السياسية كان أحمد سالم وإسماعيل المهدوى اتفقوا على أن نهتف عاش الحزب الشيوعى المصرى. عاش كفاح الشعب المصرى. عاش كفاح

الشيوعيين المصريين. عاش الشعب المصرى. فالمهم مأمور السجن، وكان هناك رجل مقيم من وزارة الداخلية قال : يا جماعة عيب. نريد أن تخرجوا فى أمان وأنتم مبسوطون وتذهبون للمكان الذى تذهبون إليه بدون مضايقات أو إحراج فالمهم قلنا إننا مُرَحَّلون ولابد من أن نعبر عن مشاعرنا ورأينا. فالمهم ركبنا العربات لمحطة الجيزة. ومن محطة الجيزة ركبنا قطاراً لسجن الواحات. وكان قد تم عمل طريق من أسيوط لسجن الواحات بعيداً عن طريق القطار العادى. ثم نزلنا ونمنا ليلة فى سجن أسيوط، وقابلنا المساجين فى سجن أسيوط فى قضايا المخدرات والقتل إلى آخره قابلونا مقابلة طيبة جداً وأرسلوا لنا طعامًا شعور جميل جداً حتى من السجناء العاديين. وفى الصباح ركبنا العربات وذهبنا لسجن الواحات.

الصراعات داخل المعتقل

وفى سجن الواحات عشت الصراع داخل الشيوعيين المصريين حزب ٨ يناير الذى كان مجموعة تنظيمات. صراع جانبى ومناقشات جدنبية وسلوك أنا كعامل شيوعى، وكعامل نشأ نشأة ريفية كلها بؤس وضنك، وعملت عاملاً فى ظروف بائسة من فترة ١٩٣٢ حتى سُجنت فى ظروف صعبة جداً. وجدت الشيوعيين مرة أخرى. عادوا للمناقشات الحلقية، وأنا فى نفس التنظيم الذى أنا فيه.

كانت تحدث معارك فى السجن، وهذه المعارك معارك سياسية. انتهت إلى أنه عندما شعرنا أن هناك قربًا للإفراج، فى أواخر ١٩٦٣ وأوائل ١٩٦٤. أفرجوا عن الشيوعيين. كان من المفروض أن خروشوف سيأتى لزيارة مصر وقال لعبد الناصر: لا أستطيع أن أنزل مصر والشيوعيين فى السجن. فالمهم عمل قراراً جمهورياً بأن نخرج. كنت قد قضيت مدة السجن. قبلها بعشرة أيام. مات لويس إسحاق. وحدثت معركة. وكان د. إسماعيل صبرى عبد الله له موقف عظيم جداً فى داخل السجن وكان كل السجناء الشيوعيين لهم حركة مقاومة ممتازة جداً وعنيفة جداً. لأنه كان دفعًا عن الذات طبعاً. هذا شئ طبيعى. ثم بعد ذلك خرجنا إفراجاً.

حل الحزب

أنا بعد أن خرجت كان علىّ خمس سنوات مراقبة. طبعاً أنا خرجت إفراجًا. جعلت المراقبة فى بلدنا لأنه لم يكن لى عمل. وطبعاً الذى يراقب ينام من المغرب للصباح فى البيت لا يخرج

فى المساء، وهناك غفير يوقع لى على دفتر مراقبة. وبعد أن صدر القرار الجمهورى بإلغاء المراقبة كسابقة سياسية. كانت لأسباب سياسية أيضاً بينه وبين الاتحاد السوفيتى. فذهبت إلى مصر مرة أخرى. كنت متزوجاً حديثاً. فأخذت زوجتى وسافرنا إلى مصر، وحاولت أشتغل. طبعاً أرجع شركة البطاطين. عملت فى مصانع صغيرة. وفى الظروف التى خرجنا فيها ونعمل كانت الحكومة قد أخذت على عاتقها أن تشغل الشيوعيين، وكان عبد الناصر قد بدأ يناقش الشيوعيين فى أن يحلوا الحزب واقتنعوا بذلك. عندما عدت وجدت الحزب يُحل. طبعاً كان شيئاً مؤسفاً بالنسبة لى. كنت عضوا قاعدياً فى الحزب، وكنت أعتبر الحزب هو خروج بى كإنسان من الشعب المصرى. الخروج بالشعب المصرى إلى حياة أفضل من الجو الرأسمالى والنظام الرأسمالى الرهيب والاستغلال الرهيب. وفى هذه الظروف عندما شعرت بحل الحزب، قابلت زملاء، هؤلاء الزملاء كانوا زملاء قياديين فسألتهم. فقالوا: لا. وبعد ذلك تم حل الحزب. فحدث بينى وبين أحد الزملاء مرة نوع من الاحتكاك أثناء مناقشة وكانت هذه المناقشة فى الجهاز المركزى، وأنا لا أريد أن أقول ما الذى حدث، ثم انتهى بنا الأمر إلى أن الحزب الشيوعى تم حله. وانتشر الشيوعيون فى أرض مصر. لكن طبيعتهم النضالية من ١٩٥٩ حتى دخلوا السجن ليست هى طبيعتهم النضالية التى خرجوا بها. فبدأت الناس تنصرف عنهم، وبدأت الناس تتحلل منهم وتعاملهم معاملة عادية جداً غير معاملة ما قبل ١٩٥٩.

أنا أريد أن أقول كلمة هنا. أنا فى فترة وجودى فى الحركة الشيوعية كنت عضواً قاعدياً. ولم يكن لى دور جماهيرى لأن عملى فى الحركة الشيوعية أغلبه كان تحت الأرض وعمل شبه شديد السرية جداً. ولهذه الأسباب كان دورى بسيطاً جداً جداً. وأنا لا أستطيع أن أقول أنه كان لى دور أكثر من العمل الذى قمت به، وهو العمل الفنى. وفى داخل السجن أيضاً عندما قُبض علىّ كانت مساهماتى بسيطة ومحدودة. لكن قرأنا وتعلمنا. كانت هناك مدرسة داخل السجن.

دكتور يعلمنا القراءة والكتابة للذى لا يعرف. فأنا تعلمت القراءة. داخل السجن، رغم إن خطى ضعيف جداً جداً. لكن شعرت كشيوعى فى مرحلة وجودى وسط هذه الكتيبة العظيمة إننى اكتسبت خبرات عديدة جداً جداً. وأنا أعتبرها جزءاً أساسياً جداً فى سلوكى الاجتماعى

نى أسرتى وفى داخل مجتمعى. ووالدى بعد أن سُجنت كان يناقشنى فى السياسة وكان مسروراً منى جداً. رغم إنه كان بريدنى أن أترك الشيوعية. لأنه شعر أننى كنت عبئًا عليه، وطبعاً هو كان أبًا وأمًا، كان يستريح لى جداً. فأنا وجودى داخل الحركة لشيوعية وعملى لبسيط جداً جداً داخل الحركة الشيوعية، أعتبره بالنسبة لى جزءاً مهمًا جداً لأنه لعب دوراً طيباً. وجودى فى وسط الشيوعيين كان له دور أساسى جداً فى تربيتى وفى معرفة ذاتى ومحدوديتى فى منطقتى وعلاقتى بالناس المنظمة بزملائى، بأهلى، بجيرانى، بزملائى فى المصنع، بالناس فى الشارع، وفى داخل الأتوبيس، وفى داخل قريتى. لذلك اعتبره فضلاً عظيمًا جداً تركته فىّ الحركة الشيوعية رغم الأسى الكبير جداً والمرارة الكبيرة التى شعرت بها التى كانت النتاج المؤلم والمرارة الفظيعة لما حدث فى المعسكر الاشتراكى والذى تعانيه شعوب العالم اليوم وبخاصة الشعوب العربية والأفريقية. التى هى فى نظر العالم الأمريكى والحكومة الأمريكية والرأسمالية الأمريكية والحركة الصهيونية العالمية أننا دول متخلفة ويجب أن نُقاد ولا نقود. تقردنا الحركة الصهيونية وأمريكا بعد أن قاد المعسكر الاشتراكى الحركة الثورية العالمية. وهذه مأساة العصر ومأساتى أنا رغم ما تركته نىّ الحركة الشيوعية.

شهادة

فوزي حبشي

سأحاول أن اكتب شهادتى للتاريخ قبل أن أنهى العقد الثامن لئلا أصل إلى حد الخرف فلا يصير لما اكتب أى فائدة ترجى.

ولدت بمدينة المنيا فى يناير سنة ١٩٢٤ وحصلت على بكالوريوس العمارة سنة ١٩٤٦ وبدأت التعرف على الفكر الماركسى سنة ١٩٤١ منذ بدء دراستى بالجامعة اذ كنت حينذاك فى شقة واحدة مع د. لويس عوض (ابن عمى) وكان عائداً للتو من بعثته بكيمبريدج وقد كان النقاش محتدماً بيننا دائما مما خلخل علاقتى ببعض المجموعات الدينية فى ذلك الحين قبل اندماجى فى الحركة الشيوعية وأنا فى سن السابعة عشرة تقريباً.. وقد دأبت على الحضور فى اجتماعات دار الثقافة بشارع القصر العينى وكذلك دار الأبحاث بشارع المبتديان أحياناً.

عانيت من السباحة ضد التيار كثيراً واعتقد اننى نجوت من الغرق فما زلت على معتقداتى حتى اليوم. فجملة سنين السجن والاعتقال تصل إلى عشر سنوات بدأت من سنة ١٩٤٧ مــوزعة على أربعين سنة.

ففى عهد الملكية قبض علىّ فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ لتوزيع منشورات لمدة أيام ... ثم اعتقلت سنتين مع بدء حرب فلسطين الأولى من منتصف سنة ١٩٤٨ إلى أوائل سنة ١٩٥٠ بالهاكستيب وجبل الطور... ثم فى عهد عبد الناصر قضيت سنة ١٩٥٥ تحت التحقيق فى قضية شيوعية ..ثم الخمس سنوات التى ضمت الكثيرين سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٤ .. ثم لفترات متقطعة فى عهد السادات سنة ١٩٧٥، ١٩٧٩، ١٩٨١ ثم بضعة شهور سنة ١٩٨٧ فى عهد حسنى مبارك حين عودتى من منفاى الاختيارى لمدة عام فى المجر.

وسأذكر هنا واقعة شخصية لتداعيات الاعتقال:

انتدبت فى مايو سنة ١٩٧٩ مديراً عاماً بوزارة الكهرباء ثم اعتقلت فى أغسطس من نفس العام لمدة شهر فى القضية ٦٣٢ شيوعية فصدر قرار وزارى فى مايو سنة ١٩٨٠ بإلغاء الندب وجاء الاعتراض كتابة فى رد مدير عام الشئون القانونية بالنص: «لأنه لا يزال على معتقداته.. وتصالاته المستمرة بالشيوعية.. (خطاب رقم ١٤٤ فى ١٩٨١/١٠/٢٦)».

وقد ارتبطت «بحدتو» الأولى قبل انفجارها مع بدء معتقلات مايو سنة ١٩٤٨ .. حينئذ

دخلت «العمالية الثورية» ثم فى أوائل سنة ١٩٥٠ شاركت فى تكوين «النجم الأحمر». وقد كنا فى ذلك التنظيم نعمل بشكل دائم لوحدة الحركة الشيوعية المصرية..

ومن النوادر أيام دراستى بالكلية أننى كنت كثير النقاش مع بعض قادة الإخوان المسلمين حول المشكلة الفلسطينية.. ودارت الأيام .. وفى لقاء خاطف حين كنا مئات من الشيوعيين بمعتقل جبل الطور سنة ١٩٤٨ وجاءونا سنة ١٩٤٩ بآلاف من الأخوان السلمين عقب هدنة حرب فلسطين الأولى .. واعترف لى الأخ/ مصطفى مؤمن زعيمهم ذلك الحين قائلاً: «كنتم أبعد نظراً ..» فقد كنت دائماً أؤكد موقفى التنظيمى فى مناقشاتى السابقة معه والمهاجم لحرب فلسطين واصفاً إياها بأنها «مؤامرة استعمارية»... فى حين يتشنج الإخوانى فى الدعوة لحمل السلاح والكفاح الدينى هناك بطريقة لا عقلانية ..

وقد كان من أهم اهتمامات تنظيم «النجم الأحمر» الذى انتميت إليه ذلك الحين هو الاهتمام بالحركة العمالية وأذكر أننى شاركت فى طبع أول كتيب على مطبعة حروف مصنوعة يدوياً بعنوان: «أعيدوا محاكمة خميس والبقرى» (عمال كفر الدوار).

وأذكر أثناء اعتقالات سنة ١٩٤٨ أن قمنا بأول اضراب عن الطعام استمر حوالى ١٥ يوماً مطالبين بالافراج أيام حكم إبراهيم عبد الهادى، وطبعًا لم يفرج عن أى منا.. ولكن تم بعض التحسين لأحوال المعيشة، كأن أعطينا سراير للنوم بدلاً من البرش وتحسن الغذاء بعض الشئ.

وأذكر هنا واقعة طريفة، فبعد أن جاء النحاس باشا للحكم سنة ١٩٥٠ وأعلن: «أنه لا يوجد عنده أى معتقل».. فقد حزمنا أمتعتنا وذهبنا إلى باب السجن بالقناطر منادين بالإفراج !!

وفعلاً تمت الاتصالات بين مدير المعتقل ووزارة الداخلية وخرجت مع آخر دفعة من المعتقلين فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٠.

وفى تلك الأيام أذكر واقعة ذات دلالة إذ طلب منى مسئولى فى التنظيم أوائل الخمسينيات.. وبعد الثورة، أن اعاونه فى «سرقة» آله كاتبة من إحدى الوزارات مستغلاً فى ذلك أنى املك سيارة، وبالمناسبة كان مسئولى هذا مثالياً حتى النخاع ولما رفضت من حيث المبدأ استطال الجدل بيننا مثل قوله: «الغاية تبرر الوسيلة؟! إلخ» ومن حجتى وقتها أن الذى

سيصار هو موظف الأرشيف البسيط الذى فى عهدته الآلة .. فرد علىَّ: «إنها تالفة ومركونة على الرف منذ شهور .. وسنصلحها ونكتب عليها منشوراتنا ضد الدكتاتورية العسكرية» وفعلاً وبعد أيام انتظرته كأي سواق تاكسى فى الصباح الباكر على باب المصلحة الحكومية .. وتمت العملية فى سهولة ويسر .. وللآن لا أعرف ماذا كانت تداعيات تلك الواقعة..؟! ولكن أذكر أنه لم نسعفنا تلك الآلة العرجاء فى محاربتنا للديكتاتورية العسكرية وشجعنى مسئولى حينذاك على صناعة آله طباعة يدوية .. وقد اهتم التنظيم سنة ١٩٥٠ بحركة السلام العالمية فكنا نجمع مئات التوقيعات على بيان ستوكهولم الداعى للسلام ونبذ القنبلة الذرية..

وكان اهتمام التنظيم بالحركة الفلاحية أقل من اهتمامه بالحركة العمالية .. حتى أننى أذكر أن موقفنا من قانون الأصلاح الزراعى لم يكن واضحًا فوصفناه مرة بأنه سيفتت الملكية الزراعية ودعونا للمزارع التعاونية أو الجماعية وقلنا إنه وضع بتوجيه أمريكى .. الخ.

كما اهتم التنظيم جداً بقضية الوحدة بين الشيوعيين لتكوين الحزب الواحد فكان دائما يستضيف لجن التنسيق ثم لجان الوحدة .. حتى أننى أذكر احتفالنا بوحدة ٨ يناير والتى قامت بعد مفاوضات شاقة..

وقد عارضنا ثورة يولية فى البداية واصفين إياها بأنها «ديكتاتورية عسكرية» .. تضرب كل تقدم، وازداد موقفنا تشنجًا ضد الثورة إبان هبة مارس سنة ١٩٥٤، وكذلك بعد ضربها للعمال فى كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى..

ولكننا أيدناها وغيرنا موقفنا بعد مؤتمر «باندونج» فى فبراير سنة ١٩٥٥ وصفقة الاسلحة التشيكوسلوفاكية أواخر سنة ١٩٥٥ وازداد تأييدنا لها عقب تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦ وارتفع الحماس لدرجة أن بعضنا أثناء العدوان الثلاثى حمل السلاح دفاعًا عن مصر والثورة .. وعلى سبيل المثال كان الرفيق محمد على عامر - الشيخ الذى جاوز السبعين من عمره فى ذلك الحين - يفخر بمدفع رشاش يسير به فى شوارع القاهرة آنذاك.

وقد ذهب أغلبنا وحتى زوجاتنا لتعلم ضرب النار فى الساحات والنوادى التى فتحت أبوابها فى تلك الأيام لتشحذ الهمم.

وفى انتخابات مجلس الأمة على سنة ١٩٥٧ كان الموقف صعبًا فقد أيدت شخصيًا المرشح

المتقدم فى شبرا الدكتور/ فائق فريد الذى انتمى لتنظيم غير التنظيم الذى كنت مرتبطًا به والذى أمرنا بتأييد مرشح آخر بالغاسة هو عبد العزيز مصطفى.

هاجمنا جميع مشروعات الأحلاف العسكرية من مشروع «ايزنهاور» .. إلى «الهلال الخصيب» .. «الشرق الأوسط» حتى مشروع «روجرز».

أما الموقف من حركة السلام فقد كان فيه بعض التردد من التنظيم لأن القائمين على الدعوة لحركة السلام كانوا رفاق «حدتو» أساسًا ولكنى قمت بجمع المئات من التوقيعات على نداء ستوكهولم رغم عدم انتمائى لحدتو فى ذلك الحين.

وهنا يجدر أن أذكر تفاصيل موقف هام تعرضت له أيام السجن سنة ١٩٦١ إذ كان بسجن القناطر تنظيمان شيوعيان منفصلان تمامًا فى السكن وفى المعيشة وحتى فى الاتصال بالإدارة: «تنظيم الحزب الشيوعى حدتو»، و«تنظيم الحزب الشيوعى التكتل» (كما كان يسميه الآخرون) .. وأنا كنت من المنتمين للتنظيم الثانى والمتحدث باسمه لدى الإدارة.. وقد كنت مع آخرين فى داخل التنظيم نعارض خطه السياسى والذى يهاجم عبد الناصر بتشنج فى كل شئ حتى جاء قرار عبد الناصر فى سبتمبر سنة ١٩٦١ بالتأميمات .. فوقعت مع ثلاثة آخرين بيانًا إلى الحكومة مؤيدين القرارات واصفين إياها بأنها خطوة وطنية مخالفين بذلك الخط الرسمى للتنظيم وقد كان الموقعون معى: الاستاذ/ عبد الله الزغبى المحامى، والدكتور/ مختار السيد، والأستاذ/ مستجير مصطفى - ويومها جاء قرار بترحيلى من القناطر إلى سجن الواحات .. وفوجئت الإدارة حين وجدتنى أسير إلى باب السجن حاملاً امتعتى منفرداً على غير العادة بدون زفة المرحلين إلى الواحات بمظاهرة صاخبة لرفع الروح المعنوية؟! ... فلم تعرف السبب والذى عرفته فيما بعد أنه صدر قرار بمقاطعتى حين الترحيل من القيادة الحزبية داخل السجن بسبب توقيعى على ذلك البيان.

وفى رأيى أن السياسة تمس كل البشر لذلك لا يجب أن يعطى الاحتراف السياسى فى التنظيمات الثورية أهمية كبرى .. وفى التطبيق العملى أذكر أن بعضنا تندر فى وقت ما على «المحترفين الثوريين» بلفظ «المغترفين الثوريين».. ولا يفوتنى أن أذكر هنا تصحيحًا للتسمية بلفظ لم يؤخذ به غالبًا وهو «الثوريون المحترفون» وليس «المحترفين الثوريين» لأن صفة

الثورية يجب أن تسبق الاحتراف.

ومن الأمثلة على أخطاء الاحتراف أن طلب من أحدهم هو سعد رحمى وقد كان طالبًا فى كلية الطب أن يترك الكلية ليحترف ... وقد كان .. ولكنه بعد ضياع عشرات السنين بين التنظيمات المختلفة عاد ليأخذ ليسانس الآداب.

أما دور اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية ففى رأيى أنه ما كان يجب أن يأخذ دوره المتعاظم الذى أخذه وذلك لبعدهم عن الواقع المصرى.

وقد كان موقفى وموقف التنظيم من الاحتلال الانجليزى صريحًا وواضحًا فى صراع دائم وقد رفعنا شعار حمل السلاح وبعضنا قد حمله فعلا ضد قوات الاحتلال فى القنال فى سنة ١٩٥١ وقد هاجمنا معاهدة سنة ١٩٥٤ التى أعطت الانجليز مهلة سنتين للخروج من القنال فكنا أكثر حماسًا من المفاوض المصرى.

وفى سنة ١٩٤٦ أثناء أحداث الجامعة سرت مع المتظاهرين حتى كوبرى عباس إذ كنت وقتها فى نهائى كلية الهندسة .. وأذكر فى حينه كم اختلفت مع زميل لى من الإخوان المسلمين كان يدعو لإعطاء صدقى باشا فرصة فى مفاوضة الانجليز فى الوقت الذى كان الشارع المصرى يغلى ضد الاستعمار .. وكم كنا نعيب على الوفد موقفه المتردد.

وأما بعد الثورة وحين اختلف الأخوان المسلمون معها وضربتهم بشراسة فقد كان موقفنا أن أيدنا ذلك. وهذا الموقف كان خطأ منا فى تصورى اليوم.

وقد أيدنا الثورة فى تمصير الشركات والبنوك الاجنبية ودعونا لمزيد من التمصير وطالبنا بالتأميم بكل الحماس .

أما موقفنا من وحدة مصر وسوريا فقد اختلف، اذ كنا نرى أن الوحدة لا يجب أن تتم فى عجلة بل علينا أن ندعو لتقارب الشعبين أكثر وأكثر حتى يقترب الواقع من الوحدة فتصير الوحدة من القوة فلا تنفصم بسهولة كما حدث فعلاً سنة ١٩٦١. وفى تسارع الأحداث انزعجنا من الإطاحة بحكومة النابلسى سنة ١٩٥٥ فى الأردن .. وتظاهرنا ضد نزول القوات الأمريكية فى لبنان. ولكن حين قام عبد الكريم قاسم بثورته فى العراق سنة ١٩٥٨ بدأ الخلاف بيننا وبين عبد الناصر إذ أيدنا ثورة العراق بكل شدة ولكن عبد الناصر أيد عبد السلام عارف ضدها.

وبدأ الصراع العنيف حتى بدأت المعتقلات الرهيبة سنة ١٩٥٩ .

أما المواقف من الاتحاد السوفيتى فقد كانت أغلبها ذيلية - وذلك برؤيتنا اليوم - فقد أيدنا مثلاً موقفه من هبة المجر، وحتى فى خلافه مع الصين ولو أنى شخصيًا كنت أميل أكثر لمواقف الصين مع عدم تمكنى الاطلاع الكافى على الوثائق الصينية ..أما فى صداء عبد الناصر معنا ومحاولته التصفية الجسدية سنة ١٩٥٩ فقد كنا من المهاجمين له بعنف واصفين نظامه «بالديكتاتورية العسكرية» على خلاف آخرين وصفوه «بالفاشية» (الراية) وآخرين وصفوه «بالوطنى» الذى يضرب أعداء، حتى أننا كنا نتندر عليهم بأغنية عبد المطلب القائلة «حسنتك، وبحبك ، وهاحبك على طول..» لموقفهم اللا ناقد لعبد الناصر؟!. وهم رفاق «حدتو» .

ولما وصلنا سنة ١٩٦٥. جاءوا يقولون إنه لا داعى لتواجد حزبى مستقل إذ أن اتحاده الاشتراكى سيبنى الاشتراكية فكان هذا مبرراً للحل والذى أرى فيه اليوم خيانة لقضية الاشتراكية.

من أمثلة التصفية الجسدية إبان سنة ١٩٥٩ وما بعدها أن مات كثيرون فى داخل المعتقلات إما من سوء التغذية أو من عدم العلاج الطبى، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : المهندس/ رشدى خليل، أما الذين ماتوا من التعذيب فكثيرون أذكر منهم الرفيق/ شهدى عطية، والدكتور/ فريد حداد، والعامل سيد أمين .. الخ. وقد نالنى شخصياً من ذلك التعذيب القسط الوفير .. وهنا قد أعطى بعض التفصيل لواقعة محاولة اغتيالى داخل معتقل الفيوم فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٩ :

لما كنت من المهاجمين للنظام علنًا وفى كل مناسبه فقد تربصوا بى حتى أنه فى اليوم المذكور فوجئت باستدعائى إلى مكتب مأمور المعتقل ووجدت ضيفًا من القاهرة بالملابس المدنية، هو العقيد/ عبد العزيز شاكر يتوسط حلقة من الجند لا يقل عددهم عن العشرة وأمرت بخلع ملابسى تماماً .. ودون سابق انذار انقضوا علىّ جميعهم بالكرابيج بشكل وحشى حتى أن الوجه لم ينج من الضرب.. وقد كسرت العصا الخشبية لأحد الكرابيج فى يد واحد من العسكر وطلب تغييره من جندى هجانة من الحراس خارج سور المعتقل ولكن ذلك الجندى نهره

صائحاً: «كفاية يا وحوش الراجل مات فى ايديكو ..»!!

وبما سال الدم من جميع أجزاء جسمى أمر ذلك العنيف الثقيل بإحضار كيس ملح طعام من سيارته وإذابته فى جردل مياه وعصر منه على جرحى بملابسى الداخلية متصوراً أن صدمة الألم الشديدة قد توقف القلب فسقطت شبه فاقد الوعى على الأرض فأمرهم بسحلى إلى الزنزانة ولكنى رفضت واتكأت على كتف أحد الجند ووصلت ببطء شديد إلى حيث سقطت مغشياً علىّ على أسفلت الزنزانة منفرداً وتصور الجميع أنى سأقضى نحبى .. فأضرب الزملاء مطالبين بالنيابة والاطمئنان علىّ فسمح لطبيبين من المعتقلين هما : الدكتور/ مختار السيد، والدكتور/ ممدوح الجندى فجاءانى ببعض المواد الطبية من قطن وخلافه وضمدا جراحى بعد أكثر من ٢٤ ساعة وقد صدرت الأوامر بعدها بترحيلى إلى سجن الواحات وتحملت مشقة الرحلة بصعوبة شديدة ملفوفا فى القطن تحت روب حرير أعارنى إياه أحد الرفاق .

وأمام باب السجن تركت ملقى على الأرض لمدة ساعتين أو أكثر وقت أن تبادل قائد السجن الاتصال مع القاهرة شارحاً خطورة الحالة ومحاولاً إخلاء مسئوليته الشخصية، إذ أنه قد رفض قبولى بدعوى أنى على وشك الوفاة.

وبعد أن تم قبولى أردعت مستشفى السجن لمدة حوالى شهر حتى تم تضميد الجراح.

وفى تلك الأثناء ذكرت الإذاعات الأجنبية خبر وفاتى نتيجة التعذيب فى سجون عبد الناصر وطير الخبر إلى الزوجة التى كانت معتقلة هى الأخرى فى سجن النساء بالقناطر وحارت زميلاتها فى شأن ابلاغها بالخبر وكان لى إحدى القريبات المهتمات بشئون أطفالنا الثلاثة بعد الاعتقال والتى انزعجت للخبر بعد أن جاءها بعض أهالى المعتقلين للتعزية بعد سماع الإذاعات فذهبت إلى الإدارة العامة للسجون وبمقابلة أحد المسئولين طالبت بإثبات عدم صحة الخبر إذا كان كذبا .. وفعلاً يومها فوجئت بأننى فى سجن الواحات، ولأول مرة بعد شهور من الانقطاع عن العالم الخارجى، بأن نودى باسمى لاستلام طرد أدوية مرسل لى من قريبتنا هذه وطلب من التوقيع بالاستلام.. وكان ذلك الإيصال هو الدليل الذى قدمته مصلحة السجون لها لتكذيب الخبر وقامت هى بارسال التكذيب إلى سجن النساء.

ومن الحوادث الهوجاء التى تمت بها سنة ١٩٦٩ أن حاول ثلاثتنا : محمود المانسترلى

وسيد عبد الله وفوزى حبشى كمندوبين عن المعتقلين أن نفتح صفحة جديدة مع السلطة فى تلك المناسبة .. فذهبنا يوم ٣١ ديسمبر إلى مأمور المعتقل مهنئين بالعام الجديد .. إلا أننا فوجئنا بموقف غريب : إذ هجم علينا فجأة من سيارة لورى حوالى عشرين من الجند المسلحين بالعصى الغليظة. والتف حول كل واحد منا حوالى سبعة من العسكر ليشخنوه ضربًا بشكل عشوائى وكأنهم فى معركة حربية وكانت نتيجة لذلك كسر ذراع سيد عبد الله وكسر كذلك مشط أحد قدمى وبقى المانسترلى مضعضعًا أكثر من شهر فى المستشفى يعانى من كدمات فى كل جسده.

ومن أمثله لتصفية الجسدية الحرقاء إبان فترة تعذيب سنة ١٩٥٩ وما بعدها أن كان يقاد المئات منا ونحن حفاة فى ملابس السجن البالية وبدون ملابس داخلية، تحت ضرب العصى إلى البرارى المحيطة بمنطقة السجن بالواحات لننقل اكوامًا من الرمال التى كانت تحوى العديد من الحشرات السامة والثعابين مثل الطريشة .. كنا نجبر على تحريك تلك الرمال من مكان لآخر لا لسبب إلا للتنكيل واهدار الكرامة البشرية ثم نعود عند الغروب للسجن فلا نجد من الأكل إلا بعضًا من العسل الاسود والذى لا يخلو من رائحة الجازولين مع جراية السجن السوداء.. ومن فرط حالة الجوع هذه أن أفتى أحدنا فى إحدى مرات العودة إلى السجن : بأن حبات الخروع على الشجر مفيدة صحيًا ؟! فأكلنا منها الكثير .. لدرجة أن تسممنا جميعًا .. حتى أن أحدنا وهو اسماعيل عبد الحكم وصل إلى حافة الموت وتم إسعافه بصعوبة..

وبعد أن قتل الشهيد شهدى عطية على باب سجن أبو زعبل وكان وقتها عبد الناصر فى زيارة ليوغوسلافيا وسمعنا أن تيتو عاتبه لقتل رفيقه الشيوعى شهدى عطية الشافعى فى سجونه أمر من هناك بايقاف التعذيب البدنى ففوجئنا بايقاف تلك المساخر العبيطة وسمح لنا بملابسنا الداخلية، فتنفسنا الصعداء، وعدنا نضمد جراحنا.

وهنا جاءتنى فكرة أن نستغل وقتنا الفارغ فى عمل مفيد فاقترحت على زملائى وإدارة السجن أن نبدأ ببناء مسرح فى حوش السجن .. وفعلاً بدأنا ضرب الطوب اللبن فى معجنة لا تقل مساحتها عن عشرة أمتار كان يقف فيها الرفاق بأرجلهم حتى الركب وكل يوم كنت أخرج بورقة تلصق على حائط زنزانتى أشرح فيها نتيجة المنافسة بين المعتقلين فى عملية البناء هذه، وأذكر أن الرقم القياسى الذى وصل إليه ضرب الطوب فى يوم واحد قد وصل إلى حوالى

عشرة آلاف طوبة وأذكر هنا واقعة طريفة حيث سرقت إدارة السجن جميع الطوب الذى ضربناه تلك الليلة لبناء سور حول منزل المأمور حسب تعليماته .. مما دفعنى أن أدخل عليه في صباح اليوم التالى أضرب على مكتبه بقبضتى واصفًا إياه بالصفل الذى رمى بالتراب على تروس ماكينة تسير بسرعة فأوقفها لأن الزملاء قد رفضوا المشاركة فى ضرب الطوب بعد تلك الحادثة السخيفة.. فاعتذر لى بكل مهانة؟!

وكان هذا الاعتذار سببًا لعودة الرفاق لضرب الطوب مرة أخرى.. واستؤنف العمل، وحين تم بناء المسرح بالتصميم لروماني القديم على شكل مصاطب مستديرة قام المرحوم الفنان حسن فؤاد المعتقل معنا بإخراج مسرحية «عيلة الدوغرى» لنعمان عاشور ومثل فيها عشرات من المعتقلين وأذكر أنه قد قام بدور إحدى بنات «الدغرى» الممثل المعروف «على الشريف» الذى كان معتقلاً كذلك.

وقد دعونا لحفل الافتتاح مدير السجن وضباطه ومحافظ الواحات والذى جاء تعليقه مشجعًا لنا لدرجة أننا تابعنا أداء الكثير من المسرحيات فيما بعد.. ومنها مسرحية لآرثر ميلر، وقد قام بالدور الرئيسى فيها الاستاذ/ نبيل الهلالى المعتقل.

وفى مايو سنة ١٩٥٩ صرح عبد الناصر كذبًا للصحفى الهندى كارانجيا بأن ليس لديه معتقلين فازداد الهجوم عليه من كل القوى التقدمية فى العالم حتى أنه فى سجن النساء قامت المعتقلات الشيوعيات بمظاهرة هتفن فيها :«تسقط سياسة الكذب والنفاق؟!».

وكان من نتيجتها أنهم أثخنوهن ضربًا بواسطة العشرات من المسجونات وتحت حماية السجانات وسارت الحياة رتيبة قاسية فى سجون الرجال والنساء حتى مايو سنة ١٩٦٢ حين صرح عبد الناصر للصحفى الفرنسى ايريك رولو أنه سيصفى المعتقلات.

وعندئذ قرر خروشوف أن سيزور القاهرة ولكنه قال إنه لن يزورها إلا بعد خروج زملائه الشيوعيين من السجون. فبدأنا نرى فى الافق بعضًا من وميض الحرية .. وفعلاً بدأت الافراجات في يولية ١٩٦٣ بخروج بعض من المعتقلات السيدات.

وتحدد يوم ٩ أبريل سنة ١٩٦٤ موعداً للزيارة لافتتاح السد العالى ومع أوائل سنة ١٩٦٤ بدأت الافراجات للرجال حتى خرجت مع آخر فوج من المعتقلين فى ٤ أبريل سنة ١٩٦٤. وقد

نكل بالبعض منا فى تلك الساعات .. فمثلاً أخذ د.اسماعيل صبرى عبد الله فى ذلك الحين ورحل إلى سجون مختلفة كثيره بدن متباعدة ليمكث ليلة أو أكثر فى كل سجن فى عملية تسمى «كعب داير» حتى أنه لم يخرج إلا صباح ٩ أبريل.

وفى نفس اليوم قامت مباحث أمن الدولة بمؤامرة شنيعة إذ أمرت بأن يستفز الحراس لسجن الواحات المعتقلين ليندفعوا فى مسار معين حتى يقال إنهم حاولوا الهرب فيحصدوا بمدفع رشاش؟!.. فيكون الحدث ذريعة لإلغاء زيارة خروشوف، وفعلاً اندفع أحد الرفاق «لويس اسحق» وقتل بالرصاص ولولا تحذير من أحد ضباط السجن الوطنيين صائحًا : «إنها مؤامرة»؟! فتراجع باقى الشيوعيين، لكانت المجزرة أشنع؟!

وفى أوائل سنة ١٩٦٥ حول عبد الناصر سياسته عنا وبدأ فى ضرب الإخوان المسلمين وأقام الاتحاد الاشتراكى والذى قال بعضهم إنه سيبنى به الاشتراكية فكان ذريعتهم لحل الاحزاب الشيوعية فى حينه ولكن البعض اعترض على ذلك .. وصدرت قرارات الحل من التنظيمين الرئيسيين فى ذلك الوقت : «حدتو» و«الحزب الشيوعى المصرى - الراية».

شهادة

محروس سليمان

البيانات الشخصية

الاســــــــم : محروس سليمان حنا

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٤/١٢/٢٤- القاهرة - شبرا.

المـــؤهــلات : ١- ليسانس آداب تاريخ ١٩٤٧.

٢ - دبلوم معهد تربية ١٩٤٩- مدرس.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢٢ سنة تقريباً

فترة السجن والاعتقال : من ١٩٥٩/٣/٢٨ وأفرج عنى فى ١٩٦٤/٤/١

بيانات عائلية :

كان الوالد عاملاً بشركة الترام له ميول وفدية ولم ينضم إلى أى حزب - كثيراً ما كان ينتقد الوفد لموقفه من حركة الطبقة العاملة ولا ينسى موقف رئيس الوزراء سعد زغلول من اتحاد العمال والحركة العمالية وحزب الاتحاد.

تأثرى بالدكتور محمد مندور:

وجهنا أستاذ اللغة العربية بمدرسة الاستقلال الثانوية بشبرا ونحن طلبة فى الصف الأول الثانوى عام ١٩٣٩ لقراءة مجلة «الثقافة» الأسبوعية وكذلك مجلة «الرسالة» (الأستاذ عبد الحميد مدرس اللغة العربية كان أستاذاً متفتحاً ومثقفاً وكان يناقشنا كثيراً فى القضايا الثقافية والسياسية العامة فكان له منا كل الحب والتقدير).

وقد واظبت على قراءة مجلة «الثقافة» بانتظام حيث التقيت بكتابات الأستاذ أحمد أمين «زعماء الإصلاح الإسلامى فى القرن التاسع عشر» ورواية «زنوبيا» لفريد أبو حديد ولكثيرين آخرين وكان من بينهم الدكتور محمد مندور «نماذج بشرية» و«الشعر المهموس» و«شعراء المهجر» لعرفته كأديب وناقد وأحببت كتاباته.

ثم التحقت بكلية الآداب عام ١٩٤٣. وفوجئت فى تلك الفترة بالدكتور مندور قد ترك موقعه بالجامعة وتفرغ للعمل السياسى منضماً إلى الوفد وبدأت أقرأ له فى الصحافة الوفدية (صوت الأمة - الوفد المصرى). وأعترف أنه قد كان للدكتور مندور فضل كبير فى تشكيل فكرى السياسى فى تلك الفترة فعمق فينا - شباب الأربعينات - أنه لا خير فى استقلال

سياسى إن لم يدعم بالتحرر الاقتصادى والاجتماعى والتخلص من كل أشكال الهيمنة الاستعمارية، وبناء مجتمع تحقق فيه العدالة الاجتماعية، أي البناء الاشتراكي الديمقراطي.

وخاض المعارك الكبرى دفاعا عن الاستقلال الوطنى، فقاد النضال ضد مشروع «صدقى بيفن» الاستعمارى وضد حكومات الأقليه المعادية للديمقراطية والمهادنة للاستعمار. وقد تكون من خلال نشاطه هذا الجناح اليسارى بالوفد وعلى رأسه «الطليعة الوفدية».

ومن أهم ما نشره بالصحافة الوفدية سلسلة «البشاوات الرأسماليون» وفضح فيها مواقع هؤلاء الباشوات فى الشركات وارتباط بعضها بالرأسمال الأجنبى أيضاً، ومن ثم فقد أدركت أن الدكتور مندور كان ينطلق من فكر اشتراكى ديمقراطى.

معرفتى بالماركسية

كان ابراهيم فؤاد فهمى أحد أصدقائى بشبرا، وزميلى بكلية الآداب. ودعانى فى إحدى زياراتى له لقراءة كتاب بالإنجليزية حتى نقوى أنفسنا فى هذه اللغة. وإذ به يقدم لى كتاب «الدولة والثورة» تأليف لينين فأدركت بعد قليل أنه من الكتب الشيوعية ورحبت بقراءته تماما وتقبلت أفكاره ببساطة شديدة. ثم عرفنى بمجلة «الفجر الجديد» الأسبوعية.

وكان يكتب فيها أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف وعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور وكثيرون غيرهم. وأستطيع أن أقول إننى قد حصلت على الحد الأدنى من الثقافة الماركسية.

لقاء الشيوعيين

وفى عام ١٩٤٧ (وأنا في الليسانس) ثارت مشكلة طلابية (لا أتذكرها) فتجمع جمع من الطلاب وشاركت فى هذا التجمع وكنت أناقش بعض الطلبة فتنبه لهذا الحوار طالب بقسم اللغة الفرنسية اسمه «ليون كرامر» فتعرف علي وتناقشنا وكنا متفقين فى التفكير والتقى بى بعد ذلك عدة مرات ثم دعانى إلى حفل بسيط بمنزله فى شارع عبد العزيز وتوجهت فى الموعد المحدد فالتقيت ببعض طلبة وطالبات الكلية. وكان ذلك قرب نهاية العام فاتفقنا على اللقاء بعد نهاية الامتحانات وتعرف على عنوانى. وزارنى فيما بعد ودعانى إلى التنظيم فأصبحت عضواً فى خلية، وكنت أظن أن هذا هو الحزب الشيوعى الوحيد بمصر. ولم يجذبنى

العمل الذى كنت أكلف به (رسم خريطة مساحية لحى شبرا موضحًا عليها الوضع الطبقى لسكان الحى) وأحياناً كنت أكلف بترجمة كتاب (مثل كتاب عن التنظيم تأليف ستالين). ثم لاحظت بعد قليل اضطراب فى التنظيم وفقدت الاتصال التنظيمى. واتصل بى بعض الزملاء الجامعيين من شبرا ودعونى إلى الانضمام إلى «التيار الثورى»، والحقيقة أننى كنت حديث عهد بالتنظيم ولم أدرك تماما حقيقة الوضع التنظيمى ولكنى لم أر تحمسًا للانضمام إلى «التيار الثورى» كانقسام ولكن لم أكن واعيًا تمامًا ومدركًا خطورة هذه العملية الانقسامية وظللت بعيداً عن التنظيم حتى مطلع الخمسينيات.

بعض أنشطة هذه الفترة

فى عام ١٩٤٨ انتشر مرض الكوليرا فى مصر وخصوصا فى الأحياء الفقيرة فتشكلت «رابطة الطلبة المصريين» التى قامت بدور فى توعية الطبقات الشعبية من الناحية الصحية وتزويدهم ببعض المعونات (صابون ....)، وقد انضممت إلى الرابطة. وشاركت فى هذا العمل الذى قام فيه بدور بارز فى ذلك الوقت طالب الطب «سمير حنا صادق»، وهو من سكان دوران شبرا (شارع المنس).

كما كنت أشارك فى بعض المظاهرات السياسية فى تلك الفترة خصوصاً عقب صلاة الجمعة بالأزهر. وتوزيع بعض المنشورات.

الانضمام إلى النواة

لا أتذكر تماما تاريخ انضمامى إلى النواة، (ربما كان عام ١٩٥١) وقد عرض علىَّ الانضمام الصديق بهجت حسنى عبده (مدرس ومن سكان شبرا) وهو صديق لعباس أحمد الذى كان يعمل بالإذاعة ومن جيران بهجت. كما كان عباس صديقًا لمحمود أمين العالم. ولم أستمر طويلاً بل فقدت الاتصال ولاحظت عدم الانضباط وكانت هذه الفترة مشحونة بالقلق.

الصديق أديب ديمترى: «طليعة العمال»

تعرفت على الصديق أديب ديمترى منذ عام ١٩٤٩ تقريبًا فهو زميل مهنة وأيضًا من جيران شبرا وغت هذه المعرفة تدريجيا حتى أصبحنا أصدقاء. وعندما دعانى إلى التنظيم –

ربما عام ١٩٥١- كنت فى تلك الفترة فى تنظيم «النواة» فاعتذرت له. ولم أبق سوى فترة قصيرة لاتزيد عن العام وفقدت الاتصال وظللت كذلك وقد تعمقت صداقتى بأديب حتى عرض على الانضمام إلى تنظيم «طليعة العمال» عام ١٩٥٥ تقريباً.

ويتميز أديب بشخصية ديمقراطية فهو ينصت إلى الآخرين جيداً ولا يتعصب لرأيه بل لديه الشجاعة كى يعدل ويبدل فى فكره هذا إلي جانب نضجه الفكري وثقافته وسعة اطلاعه وتفكيره. أما سلوكه الشخصى فنموذج للشيوعى الجيد صاحب القيم والمثل ولذلك كان أديب دائما عنصر جذب وتأثير على معارفه وأصدقائه.

ولاحظت أن تنظيم «طليعة العمال» حريص جداً ومنضبط فى اتباع قواعد التنظيم. ولا يضم إنساناً إلا بعد معرفته معرفة دقيقة وإخضاعه للملاحظة والمتابعة ربما لسنوات ولذلك يأخذ البعض على هذا التنظيم الجمود والحرص المبالغ فيه، وهذه سمة فى التنظيم منذ بدايته.

وبعد فترة من التنظيم تم تصعيدي إلى مستوى مسئول قسم ثم عدت إلى موقعى عضواً بأحد الأقسام بشبرا حتى عقد مؤتمر عام التنظيم، وبمقتضاه تحول إلى حزب «العمال والفلاحين»، كما اتخذت قرارات فى اتجاه العمل على تحقيق وحدة الشيوعيين المصريين. (عقد المؤتمر ١٩٥٧).

وفى ٨ يناير ١٩٥٨ تم إعلان الحزب الشيوعى المصرى الذى ضم أغلبية الشيوعيين المصريين فضم «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» و«الحزب الشيوعى المصرى» و«حزب العمال والفلاحين».

ولأهمية معركة المعلمين فى هذا الوقت اتخذ الحزب قراراً بتكوين «المكتب المركزى للمعلمين» الذى ضم بعض معلمى الحزب أذكر منهم «أديب ديمترى - الحسينى عطا - وداد مترى - شوقى جلال - محروس سليمان».

الفجر الجديد:

من أهم المجلات التى لعبت دوراً هاماً وخطيراً فى نشر الفكر الماركسى: ومن كتابها أحمد رشدي صالح وابو سيف يوسف ونعمان عاشور ... وكانت تتناول القضايا السياسية والوطنية الملحة بالتحليل وتوضح مواقفها الوطنية من هذه القضايا.

كما حققت ارتباطها بالطبقة العاملة ويبدو ذلك من الأخبار العمالية التى تحفل بها المجلة

وكانت تتابع أهم القضايا والمشاكل العمالية.

كما احتل الجانب الثقافي أهمية كبيرة بالمجلة وكان يساهم فيها العديد من المثقفين الشبان الذين لعبوا دورهم في نشر الفكر والثقافة الجديدين.

كما اهتمت المجلة بالتراث، وكان أحمد رشدي صالح من أكثر المعنيين بهذه القضية وهو صاحب كتاب «الأدب الشعبي» الذي صدر في هذه الفترة وربما كان أول كتاب في هذا الميدان.

غير أن الاهتمام بالتراث لم يقدر له الاستمرار. وكانت «الفجر الجديد» البؤرة التي جمعت وربطت أعضاء التنظيم الذي عرف في أول الأمر «بجماعة الفجر الجديد» ثم «طليعة العمال» ثم «حزب العمال والفلاحين».

وكان التنظيم يصدر مجلة داخلية وأخرى للعاطفين والأصدقاء التنظيم ولا أذكر للأسف أسماء هذه المجلات.

وفي حدود خبرتي أعتقد أن حزب «العمال والفلاحين» كان أكثر التنظيمات ارتباطًا بالطبقة العاملة خصوصًا في قلعة شبرا الخيمة منذ وقت مبكر في الأربعينيات. فعدد العمال في التنظيم كان مرتفعًا بالمقارنة بالتنظيمات الأخرى (لاحظت ذلك بوضوح خلال معتقل ١٩٥٩-١٩٦٤).

كما خاض عمال التنظيم معارك مشرفة في الأربعينيات في شبرا الخيمة بحيث أصبحت قلعة شيوعية واستطاع الشيوعيون المصريون أن يهمشوا الإخوان وأن تصبح لهم السيادة في شبرا الخيمة. أما بالنسبة لدور التنظيم وسط الفلاحين فلا أكاد ألحظ وجوداً لهذا الدور.

وكان أعضاء التنظيم يعتزون كثيراً بنقاء قياداتهم وإخلاصهم وانضباطهم التنظيمي ومن ثم كان المعتقلون والمسجونون من أعضائه قليلون وإن كان البعض من التنظيمات الأخرى يأخذون عليه المبالغة في الانضباط الذي يؤدي إلى نوع من الإغلاق والبطء الشديد في تجنيد الأعضاء الجدد فقد يظل المرشح في وضع العاطف على التنظيم سنوات حتى يكتسب العضوية. وكثيراً ما كان الأعضاء يصفون قياداتهم بأنهم كالرهبان في تفانيهم وإخلاصهم.

ويلفت النظر أن النشاط التنظيمي وسط الطبقة العاملة خصوصا في قلعة شبرا الخيمة موثق جيداً وقام بهذا التوثيق بعض القيادات العمالية بالتنظيم وعلى رأسهم الرفيق طه سعد عثمان فهو معروف بكتاباته الدقيقة والموثقة عن تاريخ شبرا الخيمة.

التنظيم وانتخابات مجلس الأمة فى ١٩٥٧

تم ترشيح بعض أعضاء التنظيم فى هذه الانتخابات، أذكر منهم الرفيق حلمى يس والرفيق أديب ديمترى غير أن الاتحاد القومى اعترض عليهما. بل وصل الأمر إلى حد اعتراض الاتحاد القومى على أى مرشح تربطه أية علاقة بالشيوعيين فاعترض مثلا على ترشيح فاين حليم الذى كان صديقًا شخصيًا لى ولأديب ديمترى.

ملحوظة: رشح الرفيق حلمى يس والرفيق اديب ديمترى فى دائرتين من دوائر شبرا وكذلك الصديق فاين حليم. فاضطر التنظيم إلى أن يناقش المرشحين فى بعض الدوائر ويساند من يرى فيهم أنهم جديرون بهذه المساندة ويوافقون على البرنامج الذى يقدمه التنظيم. وقدر ما أتذكر كان مسئول لجنة الانتخابات بشبرا الرفيق حسن صدقى.

مؤتمر التنظيم ١٩٥٧

من قرارات المؤتمر إعلان التنظيم نفسه «حزب العمال والفلاحين» كما اتخذ قرارات فى اتجاه تأييد وحدة الشيوعيين المصريين.

حزب ٨ يناير ١٩٥٨

تم إعلان الحزب بعد مفاوضات مضنية بين تنظيمات ثلاثة:

(١) الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)

(٢) الحزب الشيوعى المصرى

وكانت قد تمت بينهما وحدة (كلية إلى حد كبير) قبيل إعلان الحزب الواحد

(٣) حزب العمال والفلاحين.

ملاحظات على هذه الوحدة

- طالت المفاوضات كثيراً واستغرق الجزء الأكبر من الجهد فى الصراع على المراكز القيادية، ويتساوى فى هذا الاتجاه التنظيمات الثلاثة.

- حاول كل تنظيم أن يزيد من ثقله قبيل الوحدة ففتح باب الانضمام لعناصر كثيرة ربما كان الكثير منها غير مؤهل ثقافياً ونضالياً لعضوية الحزب.

- الظروف التى أحاطت بالمفاوضات أدت إلى كشف أغلب عناصر الحزب الهامة. بحيث يمكن القول إن المباحث العامة عرفت الكثير من خبايا الشيوعيين. ففى تنظيم العمال والفلاحين كانت أغلبية الكوادر غير مكشوفة لكنها كشفت خلال المفاوضات من أجل الوحدة ومعركة الانتخابات وأعتقد أن الموقف اليمينى كان عاملاً هامًا فى هذا الأمر.

- ظلت خلافات تنظيمية قائمة بين بعض الاتجاهات فى القيادة، ولاشك أن منبع هذه الخلافات كان سياسيًا.

الانقسام فى صيف ١٩٥٨

وبعد عدة شهور ظهر بالتدريج الانقسام التنظيمى والسياسى بين فريقين :

(١) الكثير من رفاق حدتو.

(٢) أغلبية رفاق الحزب الشيوعى المصرى والعمال والفلاحين سابقًا.

ولاشك أن منبع الخلاف كان سياسيًا، أى خلاف فى التحليل السياسى للموقف وكان يجب أن يحل الخلاف فى هذا الإطار مع احترام رأى الأقلية وأن يدار الصراع فى مناخ ديمقراطى.

وهذا لم يحدث طبعًا بل حدثت بالتأكيد تصرفات خاطئة من الطرفين وإن كان المنطق يحمل الأغلبية المسئولية الأساسية باعتبارها كانت قادرة - لو أحسنت إدارة المعركة السياسية بشكل ديمقراطى - على الوصول إلى نتائج فى صالح وحدة الحزب وانصهاره.

كما التقيت ببعض عناصر من رفاق حدتو المخلصين والحريصين على وحدة الحزب ولا أنسى من هؤلاء الرفاق الشهيد محمد عثمان الذى اغتالته مباحث طنطا بعد اعتقاله أثناء هروبه فى صيف ١٩٥٩.

النشاط الحزبى بعد الوحدة

- قدر ما أتذكر ركز الحزب على قضية الديمقراطية واحترام الرأى الآخر ووقف بصلابة ضد اتجاه الدولة للضغط على الحزب كى يحل نفسه ويلتحق كأفراد بالاتحاد القومى.

- المطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجماهير الشعبية.

- ثم كانت الوحدة المصرية السورية وكان موقف الحزب واضحًا فهو ليس ضد الوحدة، لكنه

يفضل ويرى أن يتكون اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا حتى يحتفظ كل إقليم بظروفه الخاصة وأن يزداد التقارب والاندماج تدريجيًا وبشكل وأسلوب ديمقراطيين فهذا هو الطريق الآمن لبناء الوحدة.

وكان من الطبيعى أن ترفض السلطة هذا الموقف الناضج والبعيد النظر، بل زيفت موقف الحزب وادعت أنه معاد للوحدة بين مصر وسوريا.

واشتعلت المعركة وكان لا يمر يوم كما أذكر الآن إلا ويخطب عبد الناصر فى كل مكان مهاجمًا الشيوعية والشيوعيين حتى بإدعاء المواقف غير الأمينة وغير الصادقة عليهم. وأثبتت الظروف بعد الانقلاب السورى وانفصال سوريا بعد النظر السياسى ونضج موقف الشيوعيين.

– واتخذت السلطة بزعامة عبد الناصر نفس الموقف غير الديمقراطى إزاء شعب العراق الذى ثار فى ١٩٥٨ وتخلص من الحكم الملكى وعرض رغبته فى الارتباط بالوحدة المصرية السورية إلا أن السلطة بزعامة عبد الناصر اشترطت حل جميع الأحزاب فى العراق وأن يقبل الشعب العراقى الانضمام إلى الوحدة بهذا الشرط ففشلت المفاوضات وبدأت التصرفات الخاطئة من سلطة «الجمهورية العربية المتحدة» بحيث تحولت العلاقة بينها وبين حكومة الثورة العراقية إلى سلسلة من العلاقات العدائية.

فتح المعتقلات والسجون

– لم يحدث أن كانت السجون والمعتقلات المصرية خالية من معتقلين ومسجونين شيوعيين فى وقت ما، فكما كان يقول الرفاق كانت هناك دائمًا «خميرة» من الرفاق مسجونين ومعتقلين فى أيام حكم عبد الناصر. ومن ثم اعتقل عدد قليل من الرفاق الحركيين والنشطين جماهيريا أذكر منهم: المرحوم محمد شفيق اسماعيل والمرحوم محمد سعدة وفتحى رفاعى.

وفى يناير ١٩٥٩ وجهت ضربة كبيرة اعتقل فيها معظم أعضاء اللجنة المركزية والعديد من رفاق قيادات المناطق وشمل هذا أيضًا رفاق «حدتو» الذين انقسموا على الحزب.

– فى ٢٨ مارس وجهت ضربة أخرى للأغلبية الكبرى من أعضاء الحزب وكوادره وكنت من بين من صدرت قرارات باعتقالهم ولكنى تمكنت من الهرب من المنزل والمباحث على باب

البيت وتمكنت من الهرب مدة ستة شهور تقريباً واعتقلت في ١٩٥٩/٩/٢١. وكان الإفراج في ١٩٦٤/٤/١.

نشاطي في صفوف المعلمين وبين الطلاب

تعرفت على الماركسية منذ وقت مبكر ولكن فترة ارتباطي بتنظيماتها تعتبر محدودة نسبياً. وأطول فترة قضيتها في تنظيم العمال والفلاحين لا تزيد على ثلاث سنوات.

إلا أن نشاطي بدأ مبكرا في صفوف المعلمين والطلاب من خلال عملي المهني كمعلم فكان نشاطا طبيعيا لا شذوذ فيه، كما كان مثمراً خصوصاً بين الطلاب.

منذ أن كنت طالبا بمعهد التربية وأنا مهتم بمشاكل وقضايا المعلمين. بل كنت أنا والصديق فائق حليم (زميلي بالمعهد كما كنا زملاء بكلية الآداب - وهو الآن من رجال الأعمال المعروفين) نتردد على لجان تصحيح شهادة الثقافة والتوجيهية ونناقش بعض المعلمين الذين نعرفهم في قضاياهم ومشاكلهم.

إضراب معلمي التعليم الحر: ١٩٤٨ أو ١٩٤٩

اختار بعض خريجي الجامعة - خصوصاً كلية الآداب- أن يعملوا بمدارس التعليم الخاص القاهرة، حيث أن تعيينهم بالمدارس الأميرية كان يعني بالضرورة عملهم بالأقاليم فيستحيل عليهم بذلك متابعة دراساتهم العليا. ومن ثم فقد عمل عدد كبير من خريجي الاداب والعلوم خصوصا بالمدارس الحرة.

وقد خاض معلمو التعليم الحر (عام ١٩٤٨ قدر ما أتذكر) إضرابا عاما وانتزعوا القيادة من القيادة التقليدية لمعلمي التعليم الحر التي كانت تتمثل في محمود عثمان. وكان يغلب على قيادة هذا الإضراب الاتجاه الماركسي والشيوعي. ومن هؤلاء القيادات الذين كنت أعرفهم عبد العزيز فهمي الذي عمل بعد ذلك بالإذاعة ثم بالصحافة وقد انتقل إلى رحمة الله - ميخائيل رومان وهو خريج كلية علوم والكاتب المسرحي فيما بعد كما عمل بوزارة التعليم العالي - وكذلك منير بسطا الذي عمل في مجال الاثار بعد ذلك يرحمه الله. وهؤلاء جميعاً ماركسيون على الاقل وربما كان عبد العزيز فهمي وميخائيل رومان مرتبطين بتنظيم طليعة العمال وهذا احتمال كبير.

لزم التنويه بهذا الإضراب الذي ربما لا يعرف عنه أغلبنا شيئاً.

دورى بين الطلاب

هذا دور تلقائى بحكم المهنة خاصة أننى كنت أقوم بتدريس العلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا) فكان تدريس تاريخ مصر الحديث فى الثقافة وتدريس تاريخ القرن التاسع عشر فى التوجيهية مجالا خصبًا لتحليل وتفسير الأحداث التاريخية بمنهج ماركسى وكنت ألحظ استجابه الطلاب لهذا المنهج أو على الأقل بعضهم.

كما كانت فترة أواخر الأربعينيات ومطلع الخمسينيات عامرة بالأحداث الوطنية الحية والهامة. فكان الطلبة يثيرون الكثير من الأسئلة المرتبطة بالأحداث الجارية فكنت أناقشهم وأجيبهم بحيث تطورت المسألة بعد ذلك إلى أن بعض الفصول (خصوصا الثقافة - تاريخ مصر الحديث) كانت تصر على تخصيص ربع ساعة من كل حصة تاريخ لمناقشة الوضع السياسي الحاضر. وكانت استجابة الطلاب لدروس التاريخ ولهذه الحوارات قوية جداً وكان يخيم عليهم الصمت والإنصات بطريقة مثيرة للانتباه. ممايدل على أن الطالب إذا وجد التفسير العلمى المقنع فإنه يستجيب له بكل اهتمام وتقدير وتحضر. وقد حدثت مصادفة عارضة ولكنها ذات مغزى. حيث استوقفنى شخص لا أتذكره وحيانى باسمى وذكرنى باسمه فقد كان طالبا ودرست له فى الثقافة وفى الشهادة التوجيهية أدبى (كان هذا اللقاء عام ١٩٩٠) وكان تعبيره الذى خصنى به : نحن لا ننساك يا أستاذ محروس فقد علمتنا الوطنية.

وكان هذا الإنسان فى عام ١٩٩٠ لواءً بالقوات المسلحة .

المعلمون قبل عام ١٩٥١

كانت السلطة تعى تمامًا خطورة تجمع المعلمين فى نقابة واحدة ولذلك عملت باستمرار على تعميق التنافس الطائفى بين طوائف المعلمين الذين تفرقوا فى تجمعات متباينة ولذلك أعلن أحمد مرسى بدر الذى تولى وزارة المعارف فى حكومة ابراهيم عبد الهادى (عام ١٩٤٩) أنه لا يمكن معاونة المعلمين على تكوين نقابتهم.

ومن أمثلة تشكيلات المعلمين الهامة

- جمعية المعلمين (المعلمين العليا)
- اتحاد المعلمين خريجى الأزهر

- اتحاد المعلمين خريجى دار العلوم (محمد جبر)
- رابطة المعلمين الجامعيين (أحمد عبد الحميد عتارة).
- رابطة خريجى معاهد التربية.
- اتحاد التعليم الحر.
- رابطة خريجى معاهد المعلمين الخاصة (نصر عبد الغفور)
- رابطة مدرسى العلوم

وغير هذه التشكيلات الكثيرة.

ومنذ الأربعينيات تم التوسع فى التعليم وزاد عدد المعلمين من خريجى الجامعة مما أضفى على المعلمين وضعا اجتماعيا مقبولا كباقى المهن الأخرى وغير من وضعية المعلم.

وكان المعلمون من خريجى الجامعة (شباب المعلمين) يطمحون إلى الارتفاع بمستوى مهنتهم المادى والأدبى ومن ثم كانت لهم تطلعاتهم المشروعة.

وكانت هذه العوامل تتفاعل بين صفوف المعلمين حتى عبرت عن نفسها فى إضراب ١٩٥١ أثناء تصحيح الشهادات الابتدائية والثقافة والتوجيهية.

لقاءات من أجل العمل

يقول الزميل الحسينى عطا

«كنت مشاركًا فى تصحيح العلوم بلجنة التوجيهية فوقع فى يدى منشور صغير يدعو إلى لقاء فى نادى المعلمين بالجزيرة بتوقيع نصر عبد الغفور ومحمد نصر فذهبت حسب الموعد المحدد وتناقشنا فى مشاكل المعلمين».

وللعلم فالحسينى خريج كلية علوم ومعهد تربية دفعة ١٩٥٠ ونصر عبد الغفور أول دفعة من خريجى دبلوم المعلمين الخاص (ربما عام ١٩٤٨) ولا يختلف عن ذلك محمد نصر فهو من خريجى دار العلوم ومن شباب المعلمين كما كان يطلق علينا من أساتذتنا الكبار بتنظيمات المعلمين المختلفة.

ودعا الحسينى زملاء آخرين لمناقشة مشاكل المعلمين والشعب الدائرة وانضم لها سعد زهران وأديب ديمترى ورشدى عبد البارى ومحروس سليمان وآخرون ... وقد تبلورت مطالب المعلمين

من خلال الحوار على :

(١) المطالبة بتكوين نقابة واحدة لجميع طوائف المعلمين فالنقابه هى الطريق الصحيح لتحقيق أهداف المعلمين وهى وسيلتهم النضالية التى لا غنى عنها.

(٢) معاش للمعلمين، وربما كان المعلمون أول طائفة تطالب بالمعاش بعد إلغاء نظام المعاشات خلال أزمة الثلاثينيات الاقتصادية على يد الحكومات الرجعية.

(٣) تحقيق المساواة المادية بين المعلمين وزملائهم فى المهن الأخرى.

واتفق على تسمية هذه القيادة التى تعمل على تجميع المعلمين «قيادة جبهة المعلمين».

ودعا المعلمون إلى مؤتمر عام خلال التصحيح وكان وزير المعارف فى ذلك الوقت الدكتور طه حسين الذى سافر إلي الخارج للمشاركة فى أحد المؤتمرات وناب عنه فى الوزارة سليمان باشا غنام.

وتم انعقاد المؤتمر العام بنادى الجزيرة حيث عرضت على المجتمعين المطالب الأساسية التى تبناها المؤتمر كما تبنى إضراب المعلمين والذى صدر شعاره من بين صفوف المؤتمرين، وشمل الإضراب جميع لجان التصحيح : الابتدائية والثقافة والتوجيهية ودعيت لجان التصحيح إلى اختيار ممثليها فى لجنة قيادة الإضراب.

وقد عقدت عدة مؤتمرات فى خيام تقاوم فى ساحة نادى الجزيرة الذى كان لايزال أرض فضاء باستثناء مبنى الإدارة. وقدتحمل جمهور المعلمين جمع التبرعات لسداد تكلفة هذه الخيام والكراسى.

وتنطوى خطورة هذا الإضراب وعقد هذه المؤتمرات على تهميش القيادات التقلدية لقديمة ولو لفترة ما (المرحوم أحمد عبد الحميد عنارة - المدرسين الجامعيين ومحمد جبر - مدرسى لغة عربية دار علوم وغيرهم...)

وقد برز فى هذه المؤتمرات عبد الصبور مرزوق مدرس اللغة المشهور بتدفق حديثه ومقدرته الخطابية وكان زلق اللسان فأطلق عليه المعلمون اسم طه الصغير.

- وبرزت الكثير من العناصر الثورية التى لعبت دورها خلال هذه المعركة ولا أنسى معلمة شابة بالابتدائى برزت بحماسها الشديدة ونضجها ووعيها : سميحة التى أصبحت فيما بعد زوجة الرفيق سعد زهران.

وقد تمثلت قيادة المعركة التى خاضتها جبهة المعلمين فى

١ - المرحوم / نصر عبد الغفور (معلمين خاص دفعة ١٩٤٨)

٢ - محمد نصر (مدرس لغة عربية وخريج دار علوم)

٣ - على شعلان (مدرس لغة عربية وخريج دار علوم)

٤ - الحسينى عطا (مدرس علوم وخريج معهد تربية دفعة ١٩٥٠)

٥ - رشدى عبد البارى (مدرس علوم)

٦ - سعد زهران (مدرس علوم ١٩٤٦)

٧ - أديب ديمترى (مدرس فلسفة - معهد تربية ١٩٤٥)

٨ - أحمد تعلب (مدرس علوم - كان معيداً بكلية العلوم وقد تم استبعاده مع العديد من معيدى كلية العلوم فى عهد وزارة صدقى ١٩٤٦ فنقلوا إلى وزارة المعارف).

٩ - سيف (مدرس لغة عربية - إخوان مسلمين)

١٠- سامى الجبار (مدرس رياضة - خريج المعلمين الحديثة ١٩٥٠)

١١ - المرحوم/ محمد سليمان (مدرس رياضة دفعة ١٩٥٠ وميول إخوانية)

١٢- ضياء (مدرس علوم - معلمين عليا حديثة ١٩٥٠)

١٣ - محروس سليمان (مدرس علوم اجتماعية - معهد تربية ١٩٤٩)

ومن بين هذه القيادة ستة ماركسيين وبعضهم منظم.

لاحظت خلال الاجتماعات الصراعات بين بعض الزملاء، واتضح فيما بعد أن ذلك كان يرجع إلى تعدد التنظيمات بل اتضح أنه كانت تعقد اجتماعات فى الخارج لمحاولة تصفية هذه الخلافات. وطبعًا لم أشارك فيها بل عرفت حقيقتها بعد سنوات طويلة ولاشك أن تلك الخلافات قد انعكست على العمل واستطاع بعض الأعضاء أن يستفيدوا منها واستغلالها لمصلحتهم الخاصة. وكان ذلك موقف المرحوم/ نصر عبد الغفور ممثل خريجى المعلمين الخاص وهو شخصية قيادية متكلم وخطيب وذكى لكنه فى هذه المعركة كان ضيق الأفق محصوراً إلى حد كبير فى حدود مصلحة طائفة كما يراها، غير مدرك أن وحدة المعلمين هى الطريق إلى تحقيق الأهداف المشتركة. فقيل فى تلك الفترة أنه كان على اتصال (سرا طبعًا) مع سعد اللبان

فى حين أن الرفيق سعد زهران كان يحتضن نصر عبد الغفور رغم هذا الموقف.

وعندما ظهرت عوامل الضعف فى مواقف بعض قوى الجبهة تقرر فك الإضراب.

ملحوظة : الماركسيون فى قيادة الجبهة

١ - الحسينى عطا (ماركسى)

٢ - رشدى عبد البارى

٣ - سعد زهران (منظم)

٤ - أديب ديمترى (منظم)

٥ - أحمد تعلب

٦ - محروس سليمان (ماركسى)

ملحوظة :

لم تكن قيادة الجبهة على بينة بالخطوات التى قد تتخذ أو اتخذت فى طريق تأسيس النقابة، فخبرة القيادة فى هذه المسائل محدودة؛ خصوصا وأن الحكومة كانت حريصة أن يصدر القانون بعيداً عن المعلمين وقيادتهم التى تولت ادارة معركة الاضراب.

الاتصال بين المعلمين والأطباء

أضرب الأطباء فى نفس وقت إضراب المعلمين تقريبًا وتحققت درجة من التنسيق بين الطرفين وتولى الاتصال بالأطباء الزميل الحسينى عطا وكان يمثل الأطباء الدكتور فؤاد محيى الدين (يرحمه الله).

بعد معركة الإضراب : مجلة «اتحاد المعلمين»

فكر بعض قادة الجبهة فى تأسيس مجلة تعبر عن وجهة نظر جبهة المعلمين. وكان هذا المشروع موضع اهتمام أديب ديمترى والحسينى عطا ومحروس سليمان وهم الذين كانوا على صلة دائمة وثابتة بالمعلمين وقضاياهم.

وتم الاتفاق على إصدار مجلة «اتحاد المعلمين» والعمل على تكوين شبكة اتصال لتوزيع المجلة على المعلمين مستفيدين من العناصر النشطة والمتحمسة التى ظهرت خلال المعركة.

وتم فعلا صدور نشرة غير دورية «مجلة المعلمين» تعالج مشاكلهم وتتابع أخبارهم وأخبار قضاياهم. وقد صدرت ثلاثة أعداد كان آخرها في يناير ١٩٥٢ ثم كان حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ وتوقف صدور هذه النشرة.

وشارك في إصدار هذه النشرة بل ولعب دوراً هاماً فيها أحمد رشدي صالح (المرحوم) وحرر فيها بعض المقالات أذكر منها «المعلم بعقرب صنوع».

النقابة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٥

كمال الدين حسين :

صدر قانون النقابة بعيداً عن المعلمين تماما فقد فاجأهم تنفيذه وانتخاب الوزير كمال الدين حسين نقيباً. فلم يعرض القانون لأي نقاش عام أو على جماعات المعلمين وجماهيرهم، ومن ثم كان قانوناً غير ديمقراطي فالدولة قبل ٢٣يوليو ١٩٥٢ أو بعد ثورة يوليو كانت تخشى نقابة المعلمين التي تضم آلاف المعلمين ذوي التأثير الكبير على جماهير الشعب المصري بحكم أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

ونظرة سريعة إلى تشكيل مجلس إدارة النقابة العامة للمعلمين خلال عشر سنوات منذ تأسيسها تكشف عن هيمنة الدولة وسيطرتها على هذه النقابة الخطيرة.

السمات العامة لمجلس إدارة النقابة

- النقيب هو الوزير طوال عشر سنوات.

- بقية أعضاء المجلس من طاقم وكلاء الوزارة أو مديري العموم أو كبار الموظفين بديوان الوزارة والمناطق التعليمية. أي أن المجلس بعيد تماماً عن تمثيل جماهير المعلمين العاملين بالمدارس.

وخلا المجلس طوال السنوات العشر من أي عنصر نسائي من المدرسات العاملات بديوان الوزارة أو دواوين المناطق.

- أغلب الأعضاء من كبار السن.

ويكشف هذا الوضع عن الأوضاع غير الديمقراطية التي تسود النقابة. هذا بالإضافة إلى أن الجمعية العمومية سلطاتها محدودة جداً بمقتضى قانون النقابة. وظهر من ثم من يمكن أن تطلق

عليهم «محترفى العمل النقابى» وبعضهم يمارس عضوية مجلس الإدارة منذ تأسيس النقابة وربما حتى اليوم ولعل من بين هؤلاء «ابو صالح الألفى» أما الأسماء التى كانت محترفة لهذه العضوية فمنهم أحمد عبد الحميد عنارة ومحمد الجوهرى عامروعوض الله عثمان رهؤلاء وزملاؤهم يمثلون حاشية وبطانة النقيب الوزير.

وأذكر أن هؤلاء المحترفين ذهبوا فى شبه موكب أو زفة يعرضون منصب نقيب المعلمين على كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فجمع بين الموقعين حتى خرج من الوزارة ثم خرج بالتالى من النقابة عام ١٩٦٥.

وانعكس هذا الوضع على أحوال المعلمين فمجلة «الرائد» لا تعبر عنهم ولا عن مصالحهم ومشاكلهم. وميزانيتها كانت ضخمة بالنسبة لذلك الوقت فى حين أنها لم تكن تصل إلا لعدد قليل من العلمين، والمعلمون أنفسهم زاهدون فى قراءتها.

ولم يكن يوجد نظام واضح محدد لمعاش المعلمين وظل ذلك فترة طويلة ربما حتى عام ١٩٨٠ عند بدأ المعاش بمبلغ عشرة جنيهات.

موقف المعلمين

بلور المعلمون موقفهم فى الهجوم على النقيب الوزير ورفضوا هذا الوضع وتبنت «جبهة المعلمين» فى بياناتها وفى أنشطتها شعار «النقيب من حملة الطباشير» كما طالبوا بتعديل النظام الانتخابى بحيث ينتخب مجلس الإدارة والنقيب على المستوى القومى. كما كان من مطالب المعلمين التوسع فى سلطة الجمعية العمومية.

الجمعية العمومية فى فبراير ١٩٥٩

- أخذ أعضاء «جبهة المعلمين» يعدون لانتخابات الجمعية (أديب ديمترى - الحسينى عطا - محروس سليمان) واقترحنا على الحزب أن يولى هذه المعركة عناية خاصة لأهميتها وأن يعاون الجبهة كى تعد لهذه المعركة على النطاق القومى.

- تلبية لهذا الاقتراح شكل الحزب «مكتب المعلمين المركزى» ومن بين أعضائه الذين أذكرهم : أديب ديمترى ، وداد مترى، فاطمة زكى، الحسينى عطا، شوقى جلال، محروس سليمان.

- تم توجيه المعلمين فى التنظيم الحزبى والعاطفين عليه إلى الاهتمام بمعركة انتخابات الجمعية العمومية التى ستنعقد فى فبراير ١٩٥٩.

- أحسسنا من خلال الاتصالات أن المعلمين استجابوا لهذه النشاط وبدأوا يعقدون الاجتماعات فى الاقاليم لاختيار مرشحيهم فى الجمعية العمومية.

- سمعنا أن أجهزة الوزارة والنقابة تضغط فى بعض المناطق لإجبار المرشحين على التنازل حتى ينجح من تريدهم بالتزكية. وكان هذا يتم فى الدوائر التى تريد فيها استبعاد أشخاص بالذات وهم المعروفون كماركسيين أو شيوعيين.

- واجهت هذه المعركة فى شمال القاهرة حيث كنت أعمل مدرساً بروض الفرج الثانوية بنين وكنت معروفاً بنشاطى النقابى داخل المدرسة وفى المدارس الأخرى القريبة منها.

- توجهت إلى معظم مدارس شبرا بنين وبنات أدعو الزملاء والزميلات إلى عقد الاجتماعات ومناقشة مشاكل المعلمين واختيار من يرونه صالحا لتمثيلهم فى الجمعية العمومية.

- تم ذلك فى مدرستى «روض الفرج الثانوية بنين» وشارك فى اجتماعاتها ناظرها المرحوم الأستاذ أحمد قاسم وكان شجاعا وناضجاً سياسيا فاختار جبهة المعلمين كى يؤيدها وعندما اختارنى الزملاء مرشحاً لهم فى الجمعية العمومية زكى هذا الاختيار وأيده.

- كان هذا الاستاذ العظيم «أحمد قاسم» كثير الاهتمام بمكتبة المدرسة وكلفنى بالاشراف عليها ووجهنى إلى الاهتمام بشراء مجلات الصين الشعبية وغيرها من المجلات المفيدة ولكى يطمئننى ذكر لى أنه زميل شهدى عطية الشافعى وزميله فى بعثة كستر بانجلترا فكان ذلك التصريح دافعا لى للنشاط والعمل وكلفت بتوجيه كلمة الصباح اليومية ثلاث مرات فى الأسبوع وكان ذلك خلال عام ١٩٥٨ ويناير من عام ١٩٥٩.

- تعرض ناظر المدرسة رحمه الله «الأستاذ أحمد قاسم» للضغط من مدير عام المنطقة «على مختار خيرى» (على ما أتذكر) فرفض الضغط علىّ وإجبارى على التنازل فأخذت أجهزة المنطقة والنقابة الفرعية تروج أن ناظر روض الفرج الثانوية شيوعى يحمى محروس سليمان فى نشاطه النقابى ومحروس معروف بأنه شيوعى.

أرهق هذا الموقف ناظر المدرسة خصوصًا بعد ضربة يناير وفتح المعتقلات ففاتحنى بأن

الضغط شديد ونصحنى بالتفكير جداً فى موقفى لأن المعتقلات قد فتحت وإصرارى على عدم التنازل يعنى الاعتقال.

شكرته وبلغته إصرارى على الاستمرار فى المعركة وأننى لا أملك التنازل بعد أن رشحنى الزملاء لعضوية الجمعية العمومية.

وتوفى المرحوم والدى فى ١٤ يناير ١٩٥٩ وفوجئت فى صوان العزاء بشخص يحدثنى بعد انصراف المعزين ووجود الأسرة والأقارب فقط بالصوان وعرفنى أنه مبعوث للعزاء من طرف السيد مدير عام المنطقة التعليمية ثم أخذ ينصحنى بالتخلى عن الترشيح بعد الظروف الجديدة التى ألمت بى وتحملى المسئولية العائلية محاولا أن يكتسب إلى جانبه بعض كبار العائلة. على أى حال رفضت هذا الموقف غير الإنسانى بشدة وأصررت على أن أخوض المعركة.

- أجبروا آخرين على التنازل وبالتالى اكتسبت عضوية الجمعية العمومية.

- اجتمعت الجمعية العمومية فى فبراير ١٩٥٩ وتسرب إليها أيضًا الحسينى عطا وفاطمة زكى ووداد مترى وهؤلاء من أعرفهم من القاهرة.

- كنت أحمل منشورات بتوقيع جبهة المعلمين وتتضمن المطلب الأساسى بتعديل قانون النقابة بحيث لا يجمع الوزير بين الوزارة والنقابة. بل إننا كنا نطالب بأن يكون النقيب من «حملة الطباشير» وبإجراء تعديلات تشيع المناخ الديمقراطى بالنقابة.

- أتى موكب الوزير ومعه بطانته أحمد عبد الحميد عنارة (رئيس رابطة المدرسين الجامعيين) والذى يعرفنى جيدا فأنا عضو بهذه الرابطة ولقاءاتنا عديدة. فسلمت الوزير نسخة من المنشور فطواه ووضعه فى جيبه.

وما إن بدأ الاجتماع وتولى الوزير النقيب الكلام حتى هاجم الشيوعية والشيوعيين هجومًا عنيفًا وقال إنه يعلم أن البعض منهم قد تسرب إلى الجمعية العمومية ونحن لهم بالمرصاد ... وما أتذكره أن الهجوم كان شنيعًا وهذا وصف لا يعبر عن مدى العنف والقسوة التى انطوت عليها كلمته التى اقتصرت فقط على هذه النقطة.

وتبعه المرحوم سعيد العريان فكان أشد عنفًا وقسوة والهجوم طبعًا على من تسرب ونحن نعرفهم بالاسم كما كانوا يقولون.

وبالتالى أصبح الموقف واضحًا ولابد وأن توجه ضربات تشمل عناصر المعلمين الفاعلة

والتشطة.

وهذا ما حدث فى ٢٨ مارس ١٩٥٩. ولكنى استطعت الهروب ثم اعتقلت فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٩ وتم الإفراج فى ١٩٦٤/٥/١.

موقف طليعة العمال من التنظيمات الأخرى والموقف من قضية تكوين الحزب الواحد

عاصرت وانضممت إلى «طليعة العمال» فى الفترة الهامة التى سبقت تنظيم الحزب الواحد. ويمكن أن أوضح موقف هذا التنظيم فيما يلى :

- ينظر أعضاء التنظيم إلى تنظيمهم باعتباره تنظيمًا جديديا منضبطًا وأعضاؤه مخلصون وأطهر، وكما كان يصف بعض الرفاق أنفسهم باعتبارهم ملائكة. ولعل هذا يرجع إلى بداية التنظيم والأب الروحى صاحب الفضل فى تكوينه (دى كومب). ومما لاحظته أن العاطف على التنظيم لا ينضم إلى التنظيم الا بعد سنوات يوضع خلالها تحت الدراسة والملاحظة.

وكان أعضاء التنظيم يعتقدون خلال فترة طويلة من نضالهم أنهم سوف يكونون الأساس فى تأسيس الحزب الواحد فى مصر، وهذا ما دفع المنظمات الأخرى إلى أن ينسب إلى «طليعة العمال» الموقف السلبى من الوحدة وإيمانها بالنمو الذاتى. ولا شك أن هذا النقد فيه الكثير من الصحة.

- إلى جانب ذلك كان هناك العديد من الرفاق الذين يناضلون من أجل الوحدة ويطالبون بالانفتاح على التنظيمات الأخرى والتنسيق معها والتعرف على رفاقهم تمهيداً لتحقيق الوحدة وكان قسم الطلبة بالتنظيم أكثر الرفاق انفتاحًا ونضالاً من أجل الوحدة والتنسيق مع رفاقهم من التنظيمات الأخرى بالجامعة وكان على رأس هذا الاتجاه المرحوم المناضل رشدى خليل الذى استشهد فى أبى زعبل.

وعندما دخلت التنظيمات فى معركة الوحدة بشكل جدى خلال عام ١٩٥٧ كان هناك بعض المعارضين الذين يعتبرون تنظيمهم حديديا ومنضبطًا والعناصر المكشوفة للأجهزة قليلة ولم تتعرض فى تاريخها إلى ضربات بوليسية كبيرة، بل كانت دائما أقل التنظيمات عدداً فى المعتقلين.

غير أن الاتجاه التوحيدى هو الذى تغلب فى لنهاية وفرض نفسه فى مؤتمر التنظيم ١٩٥٧ والذى أعلن فيه التنظيم نفسه «حزب العمال والفلاحين»

موقف التنظيم من وحدة «٨ يناير» والانقسامات التى أعقبتها

دخل التنظيم وحدة ٨ يناير ولاحظت الآتى على مفاوضات الوحدة.

- كان التنافس قوياً بين مختلف التنظيمات على كسب المراكز القيادية مما دفعها إلى التوسع فى التجنيد أو ضم عناصر قديمة سابقة كانت تخلت عن النضال كى تزيد من وزنها خلال المفاوضات. وهذه الأخطاء وقعت فيها جميع التنظيمات بما فيها «طليعة لعمال».

- وحدث خلال المفاوضات الكثير من المواقف غير المبدئية.

- حدث الانقسام بعد أشهر قليلة من الوحدة ولعل هذا يوضح أن اتفاقيات الوحدة لم تنضج تماما فلم تعالج المشاكل القائمة بين التنظيمات بشكل سليم. وأعتقد أن هذا الانقسام التنظيمى يرجع إلى خلاف سياسى فى الأساس لم يعامل بطريقة ديمقراطية. وكان يجب أن ينظم الصراع السياسى بشكل ديمقراطى سليم. ولو اتبع هذا الأسلوب لتوصلنا إلى نتائج أفضل.

- كما أعلم أن الكثير من التصرفات السيئة غير التنظيمية اتخذتها جميع الأطراف غير أن الجناح الأقوى (كان يضم رفاق العمال والفلاحين والحزب الشيوعى المصرى سابقاً) يتحمل مسئولية أكبر.

- موقف التنظيم من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية ودورهم فى التنظيم:

- كان أمرا مقبولا أن ينقل بعض الأجانب النظرية الماركسية إلى الشعب المصرى وكان من المفروض أن ينتهى دور الأجانب عند هذا الحد. ومن هنا كنت أكن الاحترام لشخصية «دى كومب» الأب الروحى لجماعة «الفجر الجديد» لما عملته عنه من رفضه أن يشارك فى التنظيم فهذه مسئولية المصريين.

أما الأجانب الذين ارتبطوا بالتنظيمات الأخرى فأعتقد أن تواجدهم زاد مواقف الشيوعيين المصريين تعقيداً ... أما الموقف من اليهود المصريين فهم أبناء الشعب المصرى ومن حقهم بل ومن واجبهم أن يناضلوا بين صفوف الرفاق من أجل بناء مجتمع أفضل متحرر من الاستعمار

والاستقلال ومن التخلف.

احتل اليهود في تنظيم «طليعة العمال» مراكز قيادية وهم ثلاثة رفاق أحمد صادق سعد* ويوسف درويش وريمون دويك. ويرجع شغلهم لهذه المراكز إلى أنهم هم الأساس في تأسيس التنظيم. وإذا كان هناك بعض المآخذ على بعض التصرفات (لم أكن معاصراً للفترة الأولى من التنظيم) فيرجع ذلك إلى نقص الممارسة الديمقراطية خلال العمل السرى. فمثلاً كان أحمد رشدى صالح أول سكرتير للتنظيم ثم اختفى وأزيح من التنظيم وترك الشيوعية ولأمر غير واضح .. هل فصل من التنظيم كما يقول البعض؟ أم أنه اعتزل التنظيم؟ وإذا كان قد فصل فلماذا؟ ويعزو البعض فصل أحمد رشدى إلى الاختلاف سياسيا مع بعض رفاق القيادة وخصوصا الرفاق اليهود وبصفة خاصة حول موضوع الانفتاح على التنظيمات الأخرى في سبيل الوحدة.

موقف التنظيم من الاحتلال الانجليزى:

التنظيم معاد للاحتلال الانجليزي وكان يعمل دائما على تعميق الوعى من أجل تحرير مصر اقتصاديا وسياسيًا وعسكريًا وثقافيًا.

ويتضح هذا في المنشورات التى توزع على الجماهير وفى التحليلات في المجلة الداخلية والخارجية سواء قبل ثورة يوليو أو بعدها. وكان التنظيم يشارك في المظاهرات ضد الاستعمار خصوصا المظاهرات التى تعقب صلاة الجمعة بالأزهر.

وأيد التنظيم معركة الكفاح المسلح وكان يدعو إلى المزيد من الديمقراطية خلال حكومة الوفد ١٩٥١ وكنت أعجب وهل هناك مزيد من الديمقراطية أكثر من حمل السلاح ضد المحتلين في منطقة القنال. وللعلم لم يشارك التنظيم في معركة الكفاح المسلح في منطقة القناة.

الموقف من اتفاقية الجلاء ١٩٥٤

هاجم التنظيم هذه الاتفاقية واعتبرها تعبيراً عن التعاون مع الاستعمار وكنت مؤيداً لهذا الموقف لأن الاتفاقية بها بعض النصوص التى تربط مصر بالاستعمار في حالة تعرض تركيا

* لابد من معلومة هنا عن اسمه الأصلى اليهودى ثم تحوله إلى الاسلام. وهل انضم إلى التنظيم قبل إسلامه أم بعد إسلامه؟!

لخطر عدوان مثلاً.. ووجه التنظيم النقد المرير لهذه الاتفاقية ووزع المنشورات بهذا المضمون.

موقف التنظيم من أحداث ١٩٤٦

شارك فيها فى الجامعة وفى منطقة شبرا الخيمة الصناعية وكان بعض الرفاق العمال فى تشكيل اللجنة الوطنية ممثلين لشبرا الخيمة.

موقف التنظيم من القضية الفلسطينية

أعلم من الرفاق القدامى فى التنظيم أنه اعترض على تقسيم فلسطين ١٩٤٧ ثم عاد وأيد التقسيم مسترشداً بموقف الاتحاد السوفيتى بعد أن أعاد دراسة القضية. وكنت مؤيدا لقرار التقسيم على أمل إعادة توحيد فلسطين فى ظل نظام ديمقراطى علمانى.

الموقف من الكفاح المسلح

- أيد التنظيم الكفاح المسلح فى كتاباته ومنشوراته.
- طالب حكومة الوفد بالتوسع فى الديمقراطية.
- وهل هناك ديمقراطية أكثر من حرية حمل السلاح ضد الاستعمار؟
- لم يشارك التنظيم فى معركة الكفاح المسلح.
- ولم أشارك فيها بحمل السلاح ولكن أيدتها ودافعت عنها.

موقف التنظيم من الأحزاب قبل ١٩٥٢

كان متعاطفًا مع الوفد خصوصا جناح اليسار فيه وعلى قمته الطليعة الوفدية. بل كان بعض أعضاء التنظيم فى الطليعة الوفدية لأنهم كانوا تاريخيا أعضاء فى الوفد (سيد البكار - حسن صدقى - عادل الضبع).

وكان التنظيم معاديًا لأحزاب الأقلية والقيادات الرجعية من أمثال على ماهر واسماعيل صدقى والمتعاونين معهم من «المستقلين».

أما عنى فكما أوضحت سابقًا كنت أنتمى فكريًا إلى الطليعة الوفدية كما ساهم الدكتور مندور فى تشكيل وعيى السياسى التحرر وطبعًا كنت معاديًا لأحزاب الأقلية والباشوات الرأسماليين.

موقف التنظيم من سلطة ثورة يوليو ومن تنظيماتها

اعتبر التنظيم ثورة يوليو انقلابا عسكريا خصوصا بعد أحداث كفر الدوار. واتخذ موقف لرفض من هيئة التحرير والاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي باعتبارها التنظيمات الوحيدة بالبلاد وكان لتنظيم يتمسك بحق الشعب فى تكوين أحزابه الديمقراطية الوطنية. وكان يتخذ موقف التعاون فى أوقات التعرض للخطر كما حدث فى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧ (رفض هذه التنظيمات من منطلق أنها تنظيمات شمولية لاتشاركها تنظمات أو أحزاب أخرى).

الموقف من أحداث كفر الدوار

الاعتراض عليها وفضحها باعتبار هذه لأحداث عدوانا على عمال كفر الدوار الذين أضربوا لتحقيق بعض مطالبهم ثم إعدام الخميس والبقرى.

وقد اعترض على طريقة تعامل الحكومة مع العمال المضربين من أجل مطالب عادلة.

الموقف من هبة مارس ١٩٥٤

أيد التنظيم هبة مارس ١٩٥٤ وكذلك فعلت وقد شاهدت بعينى كيف عمل الطحاوى وطعيمة على إجبار عمال الترام على الإضراب بالترهيب والترغيب فكانت حركة عمال النقل مفتعلة لتأييد الحكومة واستخدام طعيمة والطحاوى أحط الأساليب (توزيع الأموال)

موقف التنظيم من ضرب السلطة للإخوان ١٩٥٤

موقف سلبى «الصمت» وقد اتخذت نفس الموقف

الموقف من باندونج وصفقه الاسلحة

كان تنظيم «طليعة العمال» من أول لتنظيمات التى أخذت تتحول تدريجيًا نحو تأييد الثورة بعد باندونج وقد ظهر ذلك فى مقالات عبد الرحمن الشرقاوى الذى كان على اتصال بالتنظيم بشكل ما.

وقد اتخذت نفس الموقف تدريجيًا فى تأييد مواقف السلطة ابتدا ، من مؤتمر باندونج وصفقة السلاح.

الموقف من التأميم والعدوان الثلاثى

التأييد الكامل للتأميم والتحذير من مؤامرات الأعداء الاستعماريين والوقوف ضد العدوان الثلاثى، وقد عبأ التنظيم كل قواته متعاوناً مع الاتحاد القومى فى التعبئة الوطنية وتدريب الشباب على حمل السلاح.

شاركت فى التعبئة الجماهيرية فى الحى الذى تقع به المدرسة كما تدربت على حمل السلاح.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة ١٩٥٧

تقدم التنظيم ببعض المرشحين أذكر منهم حلمى يس وأديب ديمترى اللذين اعترض عليهما الاتحاد القومى كما اعترض على فايق حليم وكان صديقاً لى ولأديب ديمترى.

واضطررنا إلى مناقشة بعض المرشحين.

واخترنا أفضلهم والذى وافق على البرنامج الذى طرحناه عليه فأيده التنظيم.

الموقف من مشروعات الأحلاف العسكرية

رفض جميع هذه الأحلاف وتوعية الشعب بأخطارها بالمنشورات وفى المساحات المتاحة من الصحافة وقد شاركت فى تعبئة الطلاب ضد هذه الأحلاف من خلال مناهج التاريخ ومن خلال كلمة طابور الصباح وبعض الندوات حول هذه القضايا التى كنت أدعو إليها بعض الصحفيين والشخصيات العامة. كما قمت بجمع التوقيعات ضد هذه المشروعات خصوصاً مشروع ايزنهاور يناير ١٩٥٧ وكان رجال المباحث يعترضون على جمع التوقيعات. فى حين يقوم رجالهم بذلك العمل نفسه. وكان ردهم المثير : نحن نجمع التوقيعات ضد مشروع ايزنهاور أما أنتم فلا نسمح لكم بهذا العمل الجماهيرى.

ملحوظة :

كان من الشائع بين طلبة الجامعة فى الأربعينيات التمييز بين فريقين من الطلبة الوفديين :

(١) النحاسيون أى المرتبطون بشكل مباشر سياسيا وعاطفيا بزعيم الوفد والبعض من هؤلاء من الطليعة الوفدية التى كان لها تأثيرها على معظم الطلبة الوفديين النحاسيين.

وأذكر منهم المرحوم سيد البكار بكلية الآداب، والمعروف عن هؤلاء الطلبة النحاسيين أنهم

وفديون مخلصون عقائديون وكان سيد البكار خير من يمثل هذا الفريق بكلية الآداب.

(٢) الطلبة الوفديون السراجيون (نسبه إلى فؤاد سراج الدين) وهؤلاء تفكيرهم واتجاهاتهم محافظة. والشائع أنهم كانوا يبحثون عن مصالح شخصية مادية. وكان يوجد من يمثل هذا الفريق من زملائي الطلبة بكلية الآداب ويصعب أن نتبين وفديتهم من خلال اتجاهاتهم ومواقفهم فهم يسعون فقط إلى المصالح الشخصية المادية. وكان يشاع أن البعض من هؤلاء القريبين من الباشا سراج الدين ينالون الكثير من عطفه المادي.

شهادة

محمد سيد أحمد

البيانات الشخصية

الاســــــــم : محمد سيد أحمد

محل وتاريخ الميلاد : ٢٩ نوفمبر ١٩٢٨، من مواليد القاهرة.

المـؤهــلات : بكالوريوس هندسة وليسانس حقوق. أباشر مهمة الصحافة ابتداء من عام ١٩٦٤.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٧ سنة تقريباً في ١٩٤٦/١٩٤٧

فترة السجن أو الاعتقال : الحبس على ذمة القضية رقم ٣٠٩٥ لسنة ٦٢ أمن الدولة إعتباراً من ١٢/١٠ سنة ١٩٦٢ وصدور الحكم بالسجن خمس سنوات ثم الإفراج عنى ١١/٧ سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

كان والدى محافظاً لمدن مختلفة (السويس فالفيوم فبورسعيد). وكان قريباً لصدقى باشا. ولم يكن صدقى باشا يكنّ لوالدى تقديراً كبيراً من وجهة النظر السياسية، حيث كان صدقى ينظر إلى والدى وكأنما قد ولد وفى فمه ملعقة من ذهب، وبالتالى، فلم يكن من النوع الكفيل بالقيام بالأعمال "السبتة" التى كثيرا ما يقوم بها السياسيون، ويصبحون بفضلها "موضع ثقة". وصدقى باشا كانت أعماله فى أحوال كثيرة من هذا النوع . لذلك كان يعطى والدى، كلما جاء فى السلطة، مناصب شرفية، كمحافظ بور سعيد مثلا. وفى هذه المواقع ميزة، ذلك أن أناسا مهمة كانت تمر بالقناة ، وكان يشرّف مصر استقبالها، وكان والدى يحتفى بها على حسابه الخاص. بهذا المعنى كان والدى بعيداً عن السياسة . وقد عشت هذا النوع من المعيشة وأنا صبى.

ولكن أذكر أول مناسبة، سنة ١٩٤٢، بعد أن عدنا من بور سعيد إلى القاهرة. كانت حكومة الوفد قد أحالته إلى التقاعد، وأعطت له الباشوية. أخذها كنوع من الترضية. ولم يأخذها والدى من صدقى باشا. أخذها من النحاس باشا.

وفى ذات مرة دعانا إلى منزلنا بالقاهرة محمود عزمى. وكان شخصية ذات شأن. وكانت

أجرى الحوار كل من أ. حلمى شعراوى، حنان رمضان - مركز البحوث العربية

زوجته روسية. ذكرت أمامهما أننى أشعر بأنى لست مصرياً، لأن ثقافتى فرنسية وإنجليزية، ولا أعرف اللغة العربية. وقد التقطت زوجة محمود عزمى هذا التعليق، ورأت فيه شيئاً جديرا بشد انتباهها. ثم دعتنى على حفل شاى فى منزلها ومعى "نيفين سرى"، بنت حسين باشا سرى، الذى أصبح فيما بعد رئيسا للوزارة. وقد قدمت لى كتابا عن لينين. كان أول كتاب أراه عن لينين. كنت أعرف أنه رجل مهم. ولكن لم أكن أدرك بالضبط من هو. وكان سنى وقتذاك حوالى أربعة عشر عاماً.

وقد قررت بعد ذلك أن أدخل امتحان البكالوريا الفرنسى بجانب البكالوريا المصرى، وكنت تلميذا متفوقا لا أحصل على أعلى مجموع فى الفصل وحسب، وإنما كذلك فى كل علم على حدة. فقررت أدرس الأدب الفرنسى بجانب لأدب العربى. وكان هناك مدرس شيوعى فرنسى اسمه "رونيه جرانيبه" كان يلقى محاضرات فى الجامعة المصرية، ويدرّس فى مدرسة أرستقراطية لبنات البيوتات فى الزمالك (مدرسة "موزان") وأيضاً فى الليسيه فرنسيه بباب اللوق. وقد عاش جرانيبه فى مصر من ١٩٣٤ تقريباً حتى ١٩٥٦، حيث رحل قهراً قبيل العدوان لثلاثى. وأنا أزعم أن جرانيبه قد ربانى، وكان له أعظم الأثر علىّ. بل وربّى أشخاصا كثيرين ممن كان لهم شأن فى تاريخ مصر. أذكر منهم شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك. هؤلاء كانوا تلامبذه. وقد ألتقيت بأنور بالذات، لأول مرة، فى منزل جرانيبه. وقد درّس جرانيبه لى الأدب الفرنسى، وفى امتحان الأدب الفرنسى الشفهى، سألنى الممتحن بعد أن أجبت على بعض أسئلته: هل أنت الذى كتب هذا ذاك فى امتحان التحريرى؟ قلت نعم. قال لى هذا الكلام خارج الموضوع، وبالتالى لا تستحق سوى (٢) من (٢٠). ولكن لأنك قد أثبتّ أن معلوماتك كثيرة بالمقارنة مع الآخرين، وأنك تستحق من هذه الزاوية (١٨) من (٢٠)، فأعطيتك عشرة من عشرين!؟

كان السؤال فى التحريرى: "هل الأدب يكتب بالعقل أم بالقلب"؟ أذكر أننى قلت إن هناك مراحل رومانتيكية، وأسبابها كذا وكذا، والأدب فيها يكتب بالقلب، ومراحل كلاسيكية وأسبابها كذا وكذا، ويكتب فيها الأدب بالعقل. لم يكن جرانيبه قد أحاطنى علما بأن النهج الذى اتبعه معى فى الدراسة هو النهج الماركسى. وهكذا كنت متشبعاً بالفكر الماركسى دون أن أعلم أن هذا هو الماركسية.

إلى أن جاءنا بالسنة النهائية بالدراسة فى الليسيه أستاذ أحمق كان يدافع علنا عن الإلحاد فى الفصل، فلفت نظري. وأخذت أوجه إليه أسئلة فى السياسة. فقال لى ذات مرة "إن هناك جمعية اسمها "دار الأبحاث العلمية" بشارع نوبار قرب لاظوغلى. وجدير بك أن تزورها". فذهبت إلى جرانييه وأخطرته بما أبلغت. فقال لى: "لم أرد أن أقول لك لأن وضعك الاجتماعى يحول دون ترددك على مثل هذا المكان، ولا أريد أن اتسبب فى متاعب". ولكن لم أر أنا أن آخذ بهذه المشورة. وبدأت أتردد على "دار الأبحاث العلمية"، وكنت أبهر بما يجرى فيه من نشاط.

غير أننى فوجئت، بعد فترة بأن والدى قد استدعانى، ليكشف لى عن خطابات غير موقعة كان يتلقاها، وقد أحاطته علما بأنى بت أتردد على أماكن مشبوهة. وختم بسؤالى: "هل هذا صحيح"؟ قلت: "غير صحيح". كنت أكذب لأول مرة. وذهبت إلى الدار لأسأل ماذا أفعل؟ فتقرر إبعادى ووضعى فى خلية من خلايا المرشحين لعضوية منظمة "إسكرا".

وفى "الدار"، تعرفت على جمال غالى، وإبراهيم المناسترلى، وعلى الشلقانى وشريف حتاتة، وكثيرين غيرهم. وكان شهدى يبهرنى بمداخلاته الملتهبة. وقد وضعت فى خلية مرشحين كان معى فيها: حليم طوسون والشاعر فؤاد حداد وأخوه توفيق، وأظن أيضا مدحت غزالى. وكان مسئولنا طالب يهودى بكلية آداب القاهرة اسمه ليون كرامر. وكان نشيطاً للغاية.

وجدت نفسى مضطرا أن أحتجب نوعا من الحياة العامة، المكشوفة، للحركة، لأسباب أمنية، ولكن ظللت متواجداً بشدة فى المناخ العام. كان جو الليسيه مشحونا بالنشاط السياسى، وبالذات فى "جمعية الصداقة" AMICALE، ذات المقر داخل الليسيه، والتى شجعتنى على مواصلة النشاط اليسارى بشدة. غير أن جزءا هاما من النشاط الذى كنت أمارسه. كان يجرى بين متمصرين أجانب أغلبهم من اليهود، وبتشجيع من أساتذة فرنسيين تقدميين ينتمون إلى القوات الحرة الفرنسية المناضلة قبل نهاية الحرب ضد احتلال ألمانيا النازية لفرنسا. كان هذا المناخ تشجيعا لممارسة نشاط تقدمى، خصوصاً فى الليسيه. ثم بالنسبة لليهود، كان هذا جوا مريحاً لأن الكثيرين منهم كانوا يتقنون اللغة الفرنسية، ثم كانوا يجدون فى فرنسا الحرة التى تقاوم النازية مناخا أليفا يحميهم ضد العنصرية واللاسامية التى كان يدعو لها هتلر ويهدد اليهود بها فى صميم وجودهم.

وكان تنظيم "إسكرا" يباشر التجنيد من خلال حفلات، حيث يجتمع ما بين عشرين وثلاثين "زميلا" لإجراء ما كان يوصف بمناقشة مفتوحة فى مشكلة عامة. وكان الهيكل التنظيمى خلف منظمى هذه الحفلات شديد السرية والانضباط. وكنا لا زلنا مرشحين أو ما شابه ذلك، ولسنا أعضاء بالتنظيم بعد، ولا نعلم أن العملية برمتها منظمة. كنا نظنها أمورا اعتباطية . يقيمون حفلات لنزداد ثقافة وإلماما بأشياء تكمل ثقافتنا المدرسية.

وكانوا يدبرون مناسبات للتجمع على غرار بيوت الشباب فى أوروبا. هكذا أقيم "أوبرج" فى شارع الهرم، و"مصيف" بجوار سيدى بشر فى الإسكندرية، ليتجمع "الزملاء" فيهما. وكان أغلب قيادات إسكرا، كما قلت، من "الخوجات" اليهود. بلغ عددهم حوالى ثلاثمائة فى تنظيم عدده الكلى لا يتجاوز الألف (حسب ما نيل لى فيما بعد). وكان هذا كله له دلالة، بمعنى أن صفته كتنظيم نضالى أحاطتها أسئلة كثيرة. كان من الممكن أن يكون تنظيماً ماسونيا، أو شيئا من هذا القبيل، حيث لم يكن التجنيد فى مواقع النضال. بل كان بمقتضى مدخل ثقافى، أو من خلال حفلات. ولم تكن توجد اختبارات نضالية حقيقية للمجندين.

كنا نتلقى فى اجتماعات الخلية حصصا. تدعى لحلقة دراسية. أربعة أو خمسة زملاء وزميل مسئول. وكانت الدراسة تشمل كورساً كاملاً، هو عبارة عن مجموعة كتب حول الثقافة الماركسية والاتحاد السوفيتى. أتذكر منها كتابين أحدهما تحت عنوان (كيف تدار الدولة السوفيتية؟)، وكان الكتاب الآخر يتوج مجموعة الكورسات وهو كتاب ستالين عن (المادية الجدلية والتاريخية)، الذى نشر بهذا العنوان فى صورة فصل فى كتاب عن "تاريخ الحزب البلشفى". وقد اعتبرت دراسة ستالين هذه فيما بعد تبسيطا مخلا للماركسية إلى أقصى درجة. فلقد لخص الفلسفة الماركسية فى عدد معدود من المقولات، والكتاب كله خمس عشرة صفحة.

وقد شملت الدراسات أيضا حصصا فى الاقتصاد. وكان يطلب من كل مشارك فى الحلقة الدراسية عرض كتاب أو أكثر. ومن يتقن هذه العملية يعتبر صالحا لدخول "إسكرا". ففى آخر جلسة ، كان ينفرد المسئول بكل زميل، ويفاتحه بأنه يوجد تنظيم، وأنه توجد نشرة سرية جداً (كانت تكتب بالفرنسية!)، وأنه يجب تمزيقها بمجرد الانتهاء من قراءتها، بصرف النظر عن حقيقة أنها كانت مجرد تحليلات سياسية لاتنطوى على أية خطورة. وقد قبلنا جميعا أعضاء

فى "إسكرا"، باستثناء فؤاد حداد. لأنه جرأ أن يقول بعد نهاية الكورس إن ستالين ديكتاتورا

والحقيقة أن "إسكرا" كانت تبدو وكأنما هى تنظيم عالمى. أوبتعبير أدق "عوالمى" COS-MOPOLITAN . كانت المعلومات عن مصر فيها معلومات خواجات، معلومات مستمصرين. ليست الثقافة المصرية الأصيلة. طبعاً ضم التنظيم مصريين أصلاء. ولكن لم يكن أصحاب الفكر المهيمن والنهج المهيمن منهم. فكنا نقرأ الأدبيات الشيوعية. وكنا ننتمى إلى الثقافة الماركسية. وكان المفروض أن يكون هناك قدر من التمصير. ولكن لم تكن هناك قدرة حقيقية على تمصير حقيقى، ذلك أن الذين يهيمنون على مقدرات التنظيم لم يكونوا مؤهلين لإجراء عملية تمصير حقيقية، على غرار ما فعله مثلا الحزب الشيوعى الصينى. وقد كان الولاء للمعسكر السوفيتى فى النهاية هو المهيمن. حتى الاسترشاد بسلوك وأدبيات الحزب الشيوعى الفرنسى كان سوفيتي النزعة. كان ستالين وقتذاك المرجع والمحك. كان هو بشخصه التجسيد الحى للأممية. وعند وجود تضارب بين الوطنية والأممية. كان المحك هو القدرة على تغليب الأممية على الوطنية.

واختلفت أوضاع "إسكرا" كثيرا عن أوضاع "ح.م." (الحركة المصرية للتحرر الوطنى). كانت (ح.م) متسيّبة جداً ،ونضالية أكثر، والتركيب الطبقى فيها أكثر شعبية بالمعنى العريض، لا بالمعنى الطبقى المفرط الحاد، حيث كان كوريل حريصاً على تجنيد طلبة الأزهر، والنوبيين، والسودانيين. هكذا جند عبد الخالق محجوب، وغيره من قادة الحزب الشيوعى السودانى فيما بعد. كما جند أناسا كان يعملون فى فيلا عائلته الفاخرة مثل عبده ذهب، الذى أصبح من الكوادر المهمة، والذى ذهب إلى السودان فيما بعد، ونهض بدور مهم. وكان كوريل يصوم فى رمضان، لمشاركة الشعب فى مشاعره، وليس لأسباب دينية، وإنما تمشيا مع المزاج العام واحتراما للتقاليد.

وعندما وقعت الوحدة بين (ح.م) و(إسكرا) فى يونيو ١٩٤٧ لتشكيل "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" (حدتو)، لم نستشر فى تنظيم "إسكرا"، ولم يناقشنا أحد فى موضوع الوحدة إطلاقا. بل أخطرنا فقط ذات يوم إن الوحدة بين التنظيمين قد تقررت. كنا قبل ذلك نسمع أن هناك تنظيمات أخرى. كنا نسمع عن تنظيم كوريبل (ح.م.) وننتقده أحيانا، إلى أن فوجئنا يوماً بأننا نتحد معهم. وبعد أن كان يقال عنهم أشياء سيئة، أصبح يقال عنهم

أثيا - طيبة. كما كنا نسمع عن تنظيم آخر كان يصدر مجلة باسم (الفجر الجديد)، هو تنظيم كان معروفا وقتذاك باسم (د.ش.) أى "الديمقراطية الشعبية" (سميت فيما بعد بـ"طليعة العمال"). وقد اشتهر وقتذاك من قادة هذا التنظيم الآخر أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف وحلمى يس ويوسف درويش وريمون دويك وأحمد صادق سعد. وكان هذا التنظيم، نسبيا، على مسافة أبعد من إسكرا، ذلك أنه اتخذ خط العمل داخل الجناح اليساري للوفد، مسترشدا بالحزب الشيوعى الصينى الذى عمل فترة داخل الجناح اليسارى لحزب "الكوامينتانج" الصينى، فى ظل قيادة "سون يات سين" له فى العشرينات، وقبل أن يعمل خلفه "تشانج كاى تشيك" على مطاردة الشيوعيين.

بعد اتمام الوحدة ببضعة أشهر، انفجرت "حدتو" قبيل اندلاع حرب فلسطين. وأذكر أن أنور عبد الملك قد اتصل بى وقال لى: إن القيادة فى يد عناصر يهودية وقد أسسنا تكتلاً ثورياً لمحاربة هذه الأوضاع المختلة. وحدث أن الشباب والطلبة قد اندفعوا نحو "التكتل". وثبت أن تنظيم "حدتو" لم يكن مؤمّناً ضد احتمالات وقوع حركات عصيان من هذا النوع. لقد أسفر التنظيم عن هشاشة ملموسة. وقد تركز الهجوم على خط التنظيم الذى وضعه "يونس" (الاسم الحركى لكوريبل) والذى عرف بخط "القوات لوطنية الديمقراطية". فقد هوجم الخط على أنه لا يمثل حزبا شيوعيا، بل حزبا فئويا مهنيا يضم القوات الوطنية الديمقراطية. وليس هذا بالتنظيم الشيوعي الذى يقوم على تنظيم خلايا بغض النظر عمن تشمله الخلايا.

لقد ارتبكت الأمور كلها واستمر الارتباك فترة طويلة. وعندما بدأت حرب فلسطين فى ١٠ مايو ١٩٤٨، كانت الدولة مرتاحة تماما لحال الشيوعيين، ذلك أنهم كانوا منصرفين كلية إلى مناقشات نظرية حول شكل الحزب وما ينبغى أن يكون عليه. وقد أعلنت الأحكام العرفية، وظل "الزملاء" يلتقون فى بيوت، دون احترام أى هيكل تنظيمي، ودون مراعاة قط لقواعد الأمان، لممارسة صراع أيديولوجي. ضمت المداولات أحيانا أربعين أو خمسين شخصاً والأحكام العرفية معلنة، ونصف لتنظيم فى السجن، والزملاء يتساقطون. كان يأتى إلى هذه الاجتماعات أناس مطاردون من البوليس، لحضور الاجتماع ثم يعودون بعده إلى مخابئهم. أذكر على سبيل المثال عبد المعبود الجبيلى (الزميل "عادل") الذى كان مطارداً من البوليس بصفته عضو لجنة مركزية، ولكنه مع ذلك كان يحضر فى بعض هذه المناسبات ثم يختفى.

ثم كنت ممن التحقوا بـ"صوت المعارضة" (عرفت بـ"م.ش.م"، أى "المنظمة الشيوعية المصرية" فيما بعد). وكانت تتسم بالانضباط الصارم. قادها أوديت وسيدنى سلمون. وقد أراداها تنظيماً متطرفاً يساراً. لا يجند لها إلا العمال، كرد فعل للخط اليمينى الفضفاض الذى نادى به كوربيل، والذى أصبح يتهم بالانتهازية. عقدت "صوت المعارضة" بعد ستة شهور من انشائها مؤتمرها الأول والأخير فى آخر يوم من عام ١٩٤٨ نفس اليوم الذى وقع فيه اغتيال رئيس الوزراء، النقراشى باشا. وتحولت "صوت المعارضة" إلى (م.ش.م).

وفى البداية نجح تنظيم "صوت المعارضة" فى اجتذاب غالبية قواعد حدتو، وإبطال مفعول التكتلات الأخرى التى أصبحت وقتئذ تزاحمها الساحة. والجدير بالذكر أن الذى لعب دوراً فاصلاً فى نقل (م.ش.م) من تنظيم ثمردىء أو "تكتل" ضمن تكتلات أخرى، إلى شىء أصبح له وزن وقوام. هو ميشيل كامل. كان هو زعيم تكتل طلابى أسماه (نحو منظمة بلشفية). أنشأه ميشيل ومعه ثلاثة أو أربعة من زعماء الطلبة، منهم زميل اسمه مصطفى أمين ومحمد عباس فهمى وعبد الغفار خلاف وإلهام سيف النصر، وغيرهم. وقد عاش تنظيم "نحو منظمة بلشفية" فترة، وعلى منتصف ١٩٤٨، انضم إلى (م.ش.م).

وكانت قيادة (م.ش.م) تتشكل من أوديت وسيدنى وميشيل وفاطمة زكى، وأنا (بعد انتخابى لهذا الموقع بعد اعتقال ميشيل). وكانت فاطمة زكى هى التى تخرج إلى الشارع، بينما لم يكن سيدنى وأوديت يخرجان أبدا. ظلا فى شقة لا يخرجان منها أبدا. ولا يلتقى بهما أحد أبدا. كان اتصالهما بالتنظيم عبر المراسلات فقط، وعبر شخص فاطمة زكى. وكنا نعتقد، ونحن على غير اتصال مباشر بالزعيمين سيدنى وأوديت أن فاطمة هى الزعيمة الكبيرة، وأن أوامرها الصارمة كانت تصدر منها هى. ولكنها فى حقيقة الأمر كانت المسئولة قبل غيرها عن تنفيذ خط أوديت بالذات، وكانت تتعرض - كما أدركت فيما بعد عقب ضمّى للقيادة - لحملات ضارية من أوديت، بتهمة التقصير فى تنفيذ كل ما تصورت أوديت أن تنفيذه ممكن، أو حتى مرغوب فيه!

أنا لم أستمر طويلا أباشر نشاطى كطالب فى الجامعة، لأنه بعد فترة وجيزة من عقد المؤتمر، وتحديدا فى فبراير ١٩٤٩، قبض على شقيقى عمر، الأصغر منى سنا. كان سنه وقتئذ خمسة عشر عاما. وكان سنى أنا ثمانية عشر عاماً. قبض على عمر وكان يهوى قيادة سيارة

العائلة خسة. وكنت قد جندته ضمن كثيرين من المحيطين بي. وكان قد طلب منه نقل مطبوعات تنظيمية من مطبعة الحزب السرية إلى موقع آخر. وضبط متلبسا. وانزعج والدى إلى أبعد حد، لأنه كان وقتئذ عضوا سعديا بالبرلمان. فجاءت المباحث لتفتيش البيت. وكان من حقه أن يعترض بصفته يملك حصانة برلمانية. ولكنه لم يفعل. وعلى أى الأحوال لم يعثروا على شيء. علما بأن الفيلا التى كنا نقيم فيها من ثلاثة أدوار، وكانت مملوءة بالمطبوعات. بل كان الأمر قد بلغ حد أن زملاء كانوا يأتون أحيانا للإقامة لدينا ليلا دون علم أصحاب البيت!

كان لوالدى، فى فترة من الفترات، وبعد تركه للحكومة، مكتب صغير فى حديقة الفيلا، وكان يرى زملاء يدخلون ويخرجون من الباب الخلفى. وذات مرة ناداني، وقال لي: "من هؤلاء؟" قلت له "زملائى فى الجامعة". قال: "دول بلغوا عدد لا بد أن آتى بعسكرى مرور لتنظيم دخولهم وخروجهم"!!

والحقيقة أن تنظيم (م.ش.م) قد انتهج نهجا بالغ التشدد أفضى فى النهاية إلى ما هو أشبه بالانتحار. أسلوبه العنيف ذكرنى بسلوك قوات كوريا الشمالية فى حربها مع كوريا الجنوبية. كانوا يقذفون الآلاف إلى الصفوف الأمامية فى وجه وابل من القنابل. كانت م.ش.م. تنتهج نهجا مماثلا. تلقى بالبنات اليهوديات اللاتى انضممن إلى التنظيم، وتلزمهن بترك أحياء وسط القاهرة التى نشأن فيها لتذهبن إلى أبواب المصانع فى شبرا الخيمة، كى يجندن عمالا دون معرفة سابقة بهم!!. كان بعضهن لا يتحدثن باللغة العربية. طبعا كانت استجابتهن للتعليمات الحزبية موضع شبهة. وتعرضن للقبض عليهن بالجملة.

وبصفتى كنت مع القيادة داخل شقة لم أخرج منها أبدا، ظللت لفترة اقتربت من العامين منعزلا عن الحياة. ثم قبض علينا كقيادة لـ"م.ش.م."، ودخلنا السجن، وحكم علينا. ومكثنا بالسجن عامين. وكنا لا نتكلم مع الآخرين قطعيا، لا حتى فى السجن، بدعوى أن كلهم بوليس. وقد وصلت الأمور إلى درجة أن أحد زملائنا، كريم الحرادلى، وقد حكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، وكان طالبا عبقريا فى كلية الهندسة. (وجد ذات مرة الحل الصحيح لمسألة ظلت تدرس بطريقة خاطئة طوال عشرين عاما!). أرسل إلى سجن الواحات، ولم يكن يتحدث إلى أحد، لأنه كان السجين الوحيد المنتمى إلى (م.ش.م)، فسأله مأمور السجن ذات مرة:

"لماذا لا تتحدث إلى أحد؟" قال: "لأنهم جميعا مباحث". قال له المأمور: "هل تعتقد أنك من الأهمية بحيث أن الدولة تبنى لك سجن وتملأه مباحث، من أجلك أنت دون سواك؟!"

كان بعض أعضاء م.ش.م. ينتهجون نهجا استفزازيا حيال الشيوعيين الآخرين. ولم أكن أنا منهم، وكنت أتجنب الكلام الاستفزازى، لدرجة أنه عندما انهارت م.ش.م. فيما بعد، عدنا نلتقى مع الاخرين وكأن شيئا لم يحدث. بالأحضان.

كانت كل التنظيمات فى تلك الفترة بها انقسامات، كان ذلك نتيجة منطق ساد بشدة، هو "أننى أنا التيار الثورى، وكل من سوايا انتهازى وخائن وتيتوى" لأن تيتو كان يعتبر وقتذاك الشر الأعظم، لخروجه على ستالين! كان الاتهام بالتيتوية شتيمة أسوأ من الاتهام بالمباحث، لأن المباحث فى النهاية هم جزء من جهاز الدولة. أما تيتو، فكان مثل تروتسكى، منظور إليه على أنه المخرب الأول للطبقة العاملة العالمية.

أهم التنظيمات التى ارتبطت بها ورأيى فيها

كنت عضوا فى إسكرا. ثم فى "حدتو" بعد توحيد إسكرا مع "حمتو" (الحركة المصرية للتحرر الوطنى). ثم انفصلت عن حدتو ودخلت التكتل الثورى (ت.ث) ثم صوت المعارضة ثم (م.ش.م). بدأت فى القاعدة، ثم أصبحت عضو لجنة قسم قبل الوحدة عام ١٩٤٧ وكنت مسئولا عن اثنين أو ثلاثة، منهم حليم طوسون، ثم دخلنا "الراية" ثم المتحد، فالمرحد الذى جمع الكل باستثنا، "وحدة الشيوعيين".

لقد كان النقاش فى غرف مغلقة حول قضايا العالم. تعرض نفسك لعشر سنوات سجن من أجل أن تجرى مناقشات عن الحزب الشيوعى البلشفى. أشياء غير معقولة. ما سبب هذا التماسك؟

الحقيقة أن الحركة الوطنية أتت رغماً عنا. ظهرت أولا فى فبراير ١٩٤٦ "لجنة العمال والطلبة" وقد شملت بعض أعضاء "إسكرا" ممثلة فى جمال غالى وسعد زهران وغيرهما، منهم فؤاد محيى الدين، الذى أصبح رئيسا للوزراء فى أواخر أيام السادات! لكن بالمصادفة. قد جندت إسكرا طلبة قياديين فى الجامعة، ولكن لم يكونوا فى مراكز قيادية فى التنظيم. كانوا

فى القاعدة.

وضع المرأة فى هذه العملية؟

وهل برزت زميلات ذات شخصية متميزة؟

هنا، قصة مهمة استهل بها فى الرد على هذا السؤال، وهو ما قيل عن التحلل. لا شك أن إسكرا بالذات كان فيها بالفعل بنات يهوديات "متساهلات"، ولا أستطيع أن أقول أن هذا كان مقصودا. ولكن الغالبية الساحقة من هذه البنات ذهبن بعد ذلك إلى فرنسا، وكثيرات منهن التحقن بالحزب الشيوعى الفرنسى.

كان هناك قدر من الانفتاح. العلاقات كانت سهلة، حتى جنسياً. كانت إسكرا تشجع الشبان والبنات على المعاشرة. لا أقول بإباحية، ولكن دون تزمت. وكثير منهم كانوا يتزوجون أو شيء كهذا. كانت العلاقات عموما "أوروبية". وكانت العقلية أوربية أيضا.

ثم كان هناك رد فعل لذلك، استنادا إلى أن هذا السلوك "ليس من قيم الشعب المصرى". وفى ح.م.، كان كوربيل ضد أن يتزوج مصريون من يهوديات. وكان موقف كوربيل صارما، وأعتقد أنه طالب بفك كل رباط من هذا النوع.

أما (م.ش.م) فلقد تمادت فى عكس اتجاه التساهل فى هذا الصدد. كادت تشترط أن يفك كل زميل له ارتباط مع فتاة وأن يتركها بدعوى أن هذا لهو. ولم تكن زعامة (م.ش.م) لديها احترام حقيقى ولا حرص خاص على أعضاء التنظيم. كان رأى أوديت أن هذا كله "مرحلة انتقالية". كانت تقول: "نحن نريد عمالا حتى لو ضحينا بمائة بنت من الطبقات المتميزة اليهودية. وحتى لو كان ذلك من أجل عامل واحد!"

وكانت منظمة إسكرا تنظم لقاءات، ولكن كان المقصود بها أساساً أهدافا سياسية. وكانت بعض هذه البنات قياديات. ويتكلمن جيداً.

كانت أوديت، وهى امرأة، وكانت بلا جدال زعيمة م.ش.م. الحقيقية، وكانت ستالينية بكل معانى الكلمة، قد فوجئت ذات يوم بوفاة أبيها، وكانت تعشقه. وكانت قد حبست نفسها، هى وزوجها، فى غرفة لا يخرجان منها أبدا، ولا يعرف مكانهما أحد، لمدة سنتين! لم تحاول الاتصال بأهلها حتى لا يتاح لأحد معرفة مكان مخبأها. وبكت أسبوعا. ثم عادت لعملها كالعادة.

لم تكن أوديت وزوجها سيدنى يخرجن أبدا. ذلك أن الأحكام العرفية قد فرضت بعد حرب فلسطين الأولى فى ١٩٤٨، وقررا عدم تعريض أمانهما لأى خطر على وجه الإطلاق. ثم قررا حبسى معهما فى غرفة أخرى بنفس الشقة، بعد عودتى من باريس عام ١٩٤٩، وانتقالى معهما إلى الحياة السرية. كنا ثلاثة، ومعنا زميل وزميلة تم عقد "قران رسمى" بينهما فقط لحمايتنا والظهور أمام البواب بمظهر المقيمين دون سواهما فى الشقة.

وفى هذا الوقت كانت الصرامة قد حلت محل التسيب. وأذكر حدثا يبرز هذه الحقيقة. فلقد تقرر زواج الزميلين "رسميا"، دون السماح لهما بممارسة الجنس فعليا بدعوى أن الزواج تلبية لحاجة "حزبية"، هى حمايتنا فى هذه الشقة، وتيسير مهمة اختفائنا فيها، ولم يكن الزواج نتيجة استلطاف أو حب بينهما!! فذات مرة تجرأ الزوج وأبدى رغبة فى أن ينام مع زوجته، فشتمته أوديت وبهدلته. وقالت له أن الزواج تنظيمى فقط، ولا يكسبه أى حق على الزميلة زوجته!

وبعد مشاهدتى لمثل هذه الأمور التى طالت الكثيرين (كثيرون من كادر التنظيم طالبتهم أوديت بالتخلى عن صديقاتهم)، بل وطالبتنى أنا شخصيا، إذ حرمتنى أوديت من أن تظل زميلة كنت على علاقة بها وقتذاك (دون أن ألتقى بها قط وقتئذ بدعوى الأمان) (ولو بالمراسلة فقط!)، بحجة أن تشبثها بهذه العلاقة كان بهدف الزواج، لا من أجل النضال. فلقد انتابتنى نتيجة الفراق الذى فرض علىّ وأنا محبوس تماما داخل الشقة حالات اضطراب بلغت حد أن أخذت تلاحقنى أحلام. تكررت كثيرا أنى أقتل أوديت، وأنى أجد متعة فى قتلها. فضلا عن أنى فكرت كثيرا فى الانتحار. وكانت أوديت تشعر بأن مشاعر مكتومة لا أبوح بها تستبد بى. فكانت تصر على جلسات للنقد الذاتى أفصح فيها عن كل ما هو بداخلى، وكنت أجد نفسى أقول لها: "أنا كثير الحلم بأنى أقتلك". وكانت هى ترحب بمثل هذه الاعترافات، وترى فيها تنفيسا عما فى قلبى، وتطهرا من "الصديد" الذى يملأ مخى!

فترات السجن والاعتقال؟

حكم علىّ بالسجن مرتين: من ١٩٥٠-١٩٥٢، ومن ١٩٥٩-١٩٦٤.

المرة الأولى بعد عودتى من الخارج، ومكوثي سنتين فى حجرة- كما سبق وذكرت - ظللت

سنتين أخريين بالسجن وقد تقرر ستثمار وجودى معهم للتخفيف من حدة العقوبة إلى أقصى درجة. فتقرر أن أتصدى أنا للعملية وأن أسيء إلى نفس من الوجهة القانونية إلى أقصى حد ممكن، حتى تكون الجهود المنتظر من أهلى بذلها لإخراجى من الورطة كفيلة بتخفيف أحكام المجموعة كلها. وهذا ما حدث. فلقد صدرت أحكام بسجن الرجال لمدة سنتين، والنساء لسنة. ثم خرجنا ستة شهور مبكراً. بثلاثة أرباع المده.

غير أنه تقرر فى آخر لحظة ألا يفرج عنا، وأرسلنا إلى معتقل هايكستيب. وقد شجع والدى ذهابى للمعتقل. بل قد تدخل كى أعتقل. طبعا بأحسن النوايا. لقد جاء مرة واحدة فقط ليزورنى فى السجن. لأنه لم يكن يحتمل فكرة أن ابنه مسجون. جاء ليقول لى : ماذا ستفعل بعد الإفراج عنك؟ أجبت: سوف أسأل الحزب. سألنى: هل ستعود إلى البيت؟ قلت: لا. أريد أن تعد لى شقة فى حى شعبى بقدر الإمكان. فأعد لى شقة بالفعل فى المنيل.

غير أنه خاف أن أخرج، وأن أعود إلى النشاط الشيوعى، وأن يحكم علىّ فى هذه المرة بحكم أكثر قسوة بكثير من الحكم الأول. فاتصل بوزير الداخلية "مرتضى المراغى" الذى كان وكيلا لمحافظ بور سعيد وقت أن كان والدى محافظا، ليطلب منه اعتقالى بمجرد انتهاء مدة السجن، كى يكفل تأمينى داخل السجن فى ظرف اتسم فيه الوضع فى الشارع بهشاشة بالغة، عقب حريق القاهرة وقبل استيلاء الضباط الأحرار على الحكم. وقد أبلغ وزير الداخلية رئيس الوزراء نجيب الهلالى بطلب والدى. وقد أتيح لنبيل الهلالى (نجل نجيب الهلالى) أن يعلم، فأخبرنا بما حدث (لم يكن نجيب باشا يعرف وقتذاك شيئا عن نشاط ابنه السرى للغاية).

فتقرر أن أقاطع عائلتى مقاطعة تامة إذا ما زارونى فى معتقل هايكستيب للضغط عليهم. وعندما جاءت العائلة لزيارتى، لم أقابلهم، طبعا، دون اعتراف صريح، بسبب هذه المقاطعة (حرصا على أمان المصدر)، وبأمل أن يدركوا سبب غضبى. وقد اندهش المعتقلون لسلوكى. تصوروا أنه سلوك شخص مختل، يريد أن يجبر أهله على عمل مستحيل هو إخراجه من الحبس! بينما الحكاية كلها كانت بغرض الضغط. وقد ظللنا فى المعتقل لعدة شهور. وقرب نهاية حبسنا، حدثت حادثة غريبة جداً. كان يضم المعتقل، ضمن من ضم، عبد المنعم الغزالى، وكنت أعرفه جيدا. وكان هناك أيضا عادل حسين وإبراهيم شكرى وفتحى رضوان عن حزبى مصر الفتاة والوطنى. وفى يوم إعلان حركة الجيش، أرسلوا ضابطين ليلتقيا بالمعتقلين، وتقرر

أن تقابل كل مجموعة على حدة الضابطين. فكانت مجموعة (م.ش.م) تعتبر نفسها تمثل الشيوعيين الحقيقيين، "لتيار الثوري" دون سواه، بل والتنظيم الأكثر تشددا ،حيث كان يقاطع من ليس م.ش.م.

وكلفت من تنظيمي أن أتحدث مع الضابطين عن مجموعة م.ش.م. لأطالب بالإفراج عنا. فحاول البعض، وعلى رأسهم عبد المنعم منعي، بدعوى أننا استفزازيون، ولا ينبغي السماح لنا بالكلام. إذ قد يهدد ذلك بإفساد فرصة لإفراج عن الجميع. وبالفعل، قد وقعت معركة في المعتقل. فريق قال: مجموعة م.ش.م. تأخذ حقها كغيرها، وهم مسئولون عن أنفسهم. وفريق آخر قال لا. ذلك أن هؤلاء سيفسدون العملية برمتها. وانتهى الأمر، بأن عبد المنعم الغزالي الذي كان من قبل صديقا حميما، وعشنا تجارب كثيرة معاً، هو الذي تصدى، وحاول منعي من الكلام. وانتهى الأمر بأني استطعت أن أتكلم. وتكلمنا بطريقة إيجابية. ولم نكن مخربين ولا استفزازيين. وانتهى الموضوع بخير، وأفرج عن المعتقلين بهايكستيب جميعا، واستثنى ١٤ زميلا لم يفرج عنهم، منهم سيدني سلامون و هليل شوارتز و مارسيل إسرائيل وتوفيق حداد وغيرهم، وهؤلاء تم ترحيلهم على حسب رغبتهم إلى فرنسا وإيطاليا.

وقد خرجت أوديت قبلنا ، وأنشأت تنظيماً كان عبارة عن فخ من البوليس، أعضاؤه مخبرون. ثم هي أدركت، فصفت التنظيم فورا. غير أنها وصفت حركة الضباط بأنها حركة فاشية ،وأن هذا يقتضي تجميد نشاط التنظيم .وكنت أنا بعد خروجي أريد أن أذهب لكليتي لأستعيد السنوات التي ضاعت. كنت أريد أن أذاكر وأن أنجح. وأوديت كانت هي الأخرى تريد أن أذهب للكلية. ليس من أجل المذاكرة، وإنما من أجل أن أتعرف على ناس تمهيداً لبناء تنظيم جديد. كانت تريد أن أذهب إلى الجامعة لأجند، لا عمالا ١٠٠٪ كما كانت تقول من قبل، ولا أن تتم عملية التجنيد بواسطة عمل سياسي ولكن بمجرد الاتصال وإقامة علاقات شخصية، تحاشيا للفاشية السائدة. وكان ينبغي أن يكون هذا هدفي بغض النظر عن النجاح. فإن المذاكرة في نظرها كان ينبغي أن يكون مجرد مبرر للذهاب إلى الجامعة.

سنوات المذاكرة

وهكذا عدت إلى المذاكرة. ولم أكن سعيداً، لأني كنت في كل من كلية الهندسة (بجامعة القاهرة)، وكلية الحقوق (بجامعة عين شمس) والفنون الجميلة (بالزمالك). ثلاث كليات.

لتوسيع دائرة معرفى وتنويع مجالات اتصالى بالناس. وبالرغم من أن انتمائى إلى كليات ثلاث معا كان مخالفا للقانون ، إلا أن الدولة تساهلت وغضت النظر حتى لا أستطيع أن أقوم بأى نشاط غير المذاكرة. واضطررت أن أعيد امتحان التوجيهية (فرع أدبى) لدخول كلية الحقوق، وهذا عطلنى سنة. فانتهيت من كلية الهندسة فى ١٩٥٦ ، ومن كلية الحقوق فى السنة التالية. وقد كتشفت لنفسى قوة إرادة مذهلة، كى أنجح، ربما بسبب مشاعر مكبوتة فى هذا الصدد. كنت أفتح كتاباً لأول مرة ليلة الامتحان وأنجح فى صبيحة اليوم التالى، ربما ليس بتقدير فى أحوال كثيرة، لكن كنت أنجح. كان هناك إصرار لتعويض ما فاتنى، وتكشفت من خلال ذلك كيف يمكن أن يتحول المخ إلى نور تحت ظروف قهرية من هذا النوع.

أنهيت الدراسة، وحصلت على بكالوريوس هندسة وليسانس حقوق، ثم تقرر أن أؤسس دار نشر هى "دار الديمقراطية الجديدة"، وقد أصبحت منبرا لزملاء م.ش.م، ثم لحزب "الراية" بعد اندماجنا معهم. كان هناك نبيل الهلالى ومحمود المستكاوى وفاطمة زكى وسعد الطويل وبولس حنا. وتقرر أن أكون المسئول عن جماعة م.ش.م. فى اللجنة المركزية بحزب "الراية". ثم، فى حزب "المتحد" إثر اتحادنا مع حزب "الموحد"، ، ثم فى الحزب الواحد لكل الشيوعيين المصريين يوم ٩ يناير ١٩٥٨. وكنت عضوا باللجنة المركزية فى بداية حزب ٩ يناير. ولكن بعد إعادة تأسيس الحزب فى منتصف عام ١٩٥٨، قلصوا ل.م. وجعلوها من ثلاثة عشر عضوا فقط. وقتها لم أكن فى اللجنة المركزية، واستمر الوضع هكذا حتى اعتقلنا جميعنا فى أول يناير ١٩٥٩، وبقينا فى السجن حتى أبريل ١٩٦٤.

اليهود والحركة الشيوعية

أحب أن أشير هنا إلى نظرية أؤمن بها. وهناك على أى الأحوال مقال يتناول هذه النظرية نشر فى مجلة "القاهرة" برئاسة تحرير غالى شكرى فى نوفمبر ١٩٩٢ وكنت أود أن يناقشنى الزملاء فى هذه النظرية، وقد دارت فعلا بعض المناقشات المحدودة، ولكن بطريقة غير معمقة.

تبلورت هذه النظرية فى ذهنى عبر محطات كثيرة. والفكرة الجوهرية فيها أن هناك مرحلتين أساسيتين فى التاريخ المعاصر للشيوعيين المصريين: مرحلة "يهودية"، فمرحلة "قومية"، ولم تكن هناك أبداً مرحلة "بروليتارية". هذا ليس معناه أنه لم يكن هناك عمال فى

الحركة، ولكن السلطة لم تكن للعمال أبداً. لم تحكم الطبقة العاملة الحركة الشيوعية المصرية أبداً. وأنا أزعم أن المرحلة الأولى قد يرى لبعض فيها (لست منهم) بعاداً صهيونية، خاصة لو تناولنا الموضوع من زاوية رؤية "الاستعمار الثقافي".

لقد غابت الحركة الشيوعية عن الساحة المصرية كلية ما بين ١٩٢٤ - ١٩٤٠ والسبب فى ذلك أن الإنجليز كانوا مصممين على إبعاد السوفيت تماماً عن المجتمع المصرى، بالرغم من أنه قد وجدت بعض التنظيمات الشيوعية فى مصر لدى بعض الجاليات الأجنبية طوال هذه المرحلة. كانت الجالية اليونانية أهم جالية أنشئت بداخلها تنظيمات شيوعية، تلتها الجالية الإيطالية، وكان لدى هذه التنظيمات تعليمات بألا شأن لها بالشعب المصرى. لماذا؟ لأن مصر كانت ملاذاً للحزبين الشيوعيين اليونانى والإيطالى فى ظل حكم ميتاكساس وموسولينى الفاشيين. كان شيوعيو البلدان الفاشية يحتمون بجاليتهم فى مصر دون علم السلطات المصرية. ولذلك لم يكن ينبغى تعريض هذا النشاط لأى نوع من الاضطراب.

وأنا لست من أنصار التفسير التآمرى للتاريخ. ولا أرجع ما جرى فى مصر إلى مخطط يهودى. ولكنى أقول إن هناك أموراً تكشف عن سياق منطقى معين يتعذر ادعاء أن الصدفة وحدها جمعت مكوناته. فى سنة ١٩٣٦، غزا موسولينى الحبشة. فخشى الإنجليز أن يستفيد موسولينى من المشاعر المعادية لإنجلترا فى الحركة الوطنية، فقرروا مهادنة الوفد باعتباره حزباً وطنياً كبيراً، تخفيفاً لوطأة التهديد الفاشى الذى أصبحت له قاعدة عند منابع النيل. فوقعوا المعاهدة بغية مهادنة الوفد. ولأن الحركة الوطنية لم يكن لها بعد أى منظر إلى عدو عدوى (الفاشية) على أنه قد يكون عدواً أسوأ، فإن التيار الأكثر راديكالية فى الحركة الوطنية قد راح يؤيد ألمانيا وإيطاليا.

وفى ٤٠/ ١٩٤١، أخذ كورييل وغيره يتحركون. ولا يبدو صدفة أن أنشئت ثلاث أو أربع منظمات فى نفس الوقت، أهمها طبعاً (ح.م)، و(إسكرا)، و(الفجر الجديد) بقيادات كلها يهودية. لقد كان تنظيم "إسكرا" تحت قيادة ثلاثمائة زميل يهودى يتزعمها هليل شوارتس، والمراكز القيادية كلها لهؤلاء اليهود باستثناء اثنين وصلا للقيادة هما شهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى. وكان لشوارتز نظرية سماها "نظرية المراحل"، حيث كان يعتبر المثقف الأجنبى هو الأكثر قدرة على استيعاب الماركسية، لأن الماركسية نتاج للفكر الأوروبى.

وبالتالى، فإن المجتمعات المتخلفة ليست لديها القدرة على استيعاب هذه الفكرة مباشرة. ومن ثم فإن المرحلة الأولى ينبغى أن يقودها زملاء قادرون على استيعاب هذه الثقافة. إنهم الزملاء الأجانب. ثم يصبح للمثقفين المصريين دور ثان (مرحلة التمصير)، ثم يأتى تجنيد العمال كمرحلة ثالثة (مرحلة التعميل).

إلا أن ما تم فى الحركة الشيوعية هو التوقف عند المرحلة الثانية. ومن هنا سيطر المثقفون ذوو الاتجاه القومى. فكثيرون ممن جندوا من القواعد كانوا رموزاً لأناس تعرضوا لعمليات إفساد وتحوير فى الهوية بصور شتى، ولو لمجرد أنهم قد نزعوا من بيئتهم العمالية، بدلا من زرع الحركة كلها فى بيئة عمالية صحيحة وأصيلة. وهذا ما حدث بالنسبة لجميع المنظمات بدرجات متفاوتة. أنا لا أريد أن أظلم أحداً، ولا أهوّن من شأن تضحيات أحد، لأن هؤلاء جميعا قد ضحوا، وأغلبهم قد تفانى فى التضحيات. إلا أنه فى نهاية الأمر، قد كثرت ظاهرة البروز كزعماء، قبل أن يكونوا شيوعيين ويختبروا كشيوعيين! وكانت لهم قيم قبل أن يكونوا شيوعيين، وفقدوا الكثير من هذه القيم بعد أن أصبحوا شيوعيين. ذلك أنهم قد استدرجوا للعبة أخرى، وتبعوا آلية أخرى.

كان روميل سوف يقتحم مصر لو كان قد انتصر فى معركة العلمين عام ١٩٤٢. وأصبح الطريق مفتوحا أمامه إلى القدس وفلسطين. إذن كان خط الدفاع الأخير فى ضده هو معركة العلمين. وهنا جاز لنا أن نتساءل: ما هى الأيديولوجية التى تجمع ما بين اليهود وغير اليهود فى مواجهة روميل؟ الأيديولوجية الوحيدة اللاعنصرية ضده هى الماركسية. وإنجلترا التى منعت دخول الشيوعية فى مصر أصبحت محرجة، ذلك أن معركة العلمين قد لازمتها معركة ستالينجراد فى روسيا، ولم يكن واردا أن تركز إنجلترا وقتذاك على معاداة الشيوعية. واستنادا إلى هذه الحقائق، امتنعت عن التدخل، ووجد اليهود فى هذه الأيديولوجية الماركسية ملاذا واحتماء، فى إطار أوسع من اليهودية، إطار كفيل بجذب الحركة الوطنية المصرية أيضاً. فضلاً عما تسرب إليهم من أنباء عن اضطهاد اليهود وتعرضهم للإبادة بالجملة فى معسكرات النازى، ومن ثم كان الشيوعيون هم الحلفاء الطبيعيون لليهود فى مثل هذه الملابسات.

وبدأ عدد من الشخصيات اليهودية ينشئون منظمات. بيد أن القضية بدت قضية هوية تتعلق بأشخاصهم. وبهذا المعنى، فإن الشعب المصرى استخدم روظف، لغرض يتعلق بهوية

اليهود، لا أقول أن ثمة مخططا جمع هؤلاء اليهود وإلا لفسدت العملية. وأنا أقطع فعلاً بأن ٩٩٪ منهم كانوا أناسا مخلصين ومؤمنين بما كانوا يفعلونه.

أما عن موقفهم الرسمي من الصهيونية. فهذا تكتنفه التباسات، أذكر منها أن إسكرا أنشأت تنظيماً ضد الصهيونية اسمته "المنظمة اليهودية المصرية المعادية للصهيونية"، وكان قائدها رجلا محترما جداً، كان أستاذا للرياضيات، اسمه شيء ما (لا أذكر) "هراري".

إلا أن كوربيل قرر حل هذا التنظيم عندما تمت الوحدة بين (ح.م) و (اسكرا)، وشكلتا معا (حدتو) في منتصف ١٩٤٧، من منطلق أن هذا التنظيم ذو طابع انعزالي حيال الجماهير اليهودية في مصر، وأن قطاعاً هاماً من الجماهير اليهودية له ميول صهيونية، ومن ثم علينا أن نقنعهم بأن يكونوا ماركسيين بدلاً من معاداتهم بإنشاء تنظيم عنوانه ذاته إدانة لهم. صحيح أن هذا القرار بحل هذا التنظيم كان قبل نشوب حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨، ولكنه مؤشر عن موقف من الصهيونية يتعارض تعارضا صريحا مع شيوعية تسمت بصبغة قومية.

وبالمناسبة لم أكن أبداً ممن التفوا حول كوربيل في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. كنت دائما في صفوف من انتموا إلى مجموعات تخالفه الرأي وحتى تعاديه. و لكن أنظر لتاريخه اليوم على أنه ليس شخصاً يمكن طرحه جانبا بسهولة. كان لا شك شخصية. وهناك فريق من الناس في مصر تعبده، بداية بأحمد حمروش وانتهاء برفعت السعيد، ولست قطعا عدوا لأي منهما. بل هناك أناس غير شيوعيين يعظمون من شأن كوربيل. أذكر على سبيل المثال ثروت عكاشة.

فإن هنري كوربيل قد أبلغ مصر، على حد قول البعض، بموعد وقوع العدوان الثلاثي في ٢٩/١٠/١٩٥٦ قبل وقوع العدوان بأيام. غير أن النبأ لم يؤخذ بجدية، ولم يستفد من هذا الإنذار المبكر.

ومع ذلك، فإن كوربيل سعى دائماً إلى محاولة التوصل لحل سلمي للصراع العربي/الإسرائيلي، ولم يكف عن ترتيب لقاءات وأمور كثيرة في هذا الصدد. واصل هذه المعركة حتى ضد رأي كثير من زملائه الذين انتموا إلى تياره.

أنا شخصياً لم أكن أعرفه، وهذا ربما عيب سببه الصراعات الداخلية. لم ألتق به إلا مرة واحدة وفى مناسبة غير مألوفة أسردها باختصار على النحو التالى: بعد أن تأسس "التكتل الثورى" وكان ذلك بعد اندلاع حرب فلسطين بشهرين تقريباً. قرر شهدى أن يكتب تقريرا مطولا يبرر به تكتله، وكان ذلك فى عز الأحكام العرفية، ووقتها كان معنا فى التكتل شخص قريب سفيرنا فى إيطاليا وقتذاك اسمه على ما أتذكر عادل حقى. كنا قد دخلنا كلنا "التكتل الثورى"، ولأن السفير كان غائبا فى إيطاليا ترك مفتاح شقته بالإيموبيليا مع ابنه العضو معنا بالتكتل الثورى، وتقرر طبع ألف نسخة من هذا التقرير بهذه الشقة. إلا أن أعضاء التنظيم الأصلى "حدتو" علموا. فقرروا الاستيلاء على الشقة.

وقتها كان هناك قسم اسمه قسم "الأحذية" وهو الاسم الحركى لقسم يضم ضباطا بالجيش، وكان به عدد من ضباط الجيش، أذكر منهم ضابطا باسم عبد المنعم بصيلة وغيره. نكنت بالشقة قبل وصول هؤلاء الضباط للاستيلاء على التقرير. وقد أخذنا نحرقه. وبدأ الدخان يتصاعد من النوافذ. وتجمعت جماهير فى فناء الإيموبيليا وجاءت المطافىء. وفجأة فتح باب الشقة بعنف ودخل مع الضباط على الشلقانى (قريب عادل حقى) وقد كان أصلا فى "اسكرا" ثم انضم لكوريبل. دخل على الشلقانى ومعه هنرى كوريبل. كنا نحن بداخل الشقة من الزملاء المكلفين بحماية طبع التقرير. وبعد أن غالبونا واستولوا على ما أمكن الاستيلاء عليه من التقرير وقد كانوا حوالى عشرة، قصدنى كوريبل وقال لى: أنا لا أعرفك شخصياً، ولكن أسمع عنك. ثم أصر بأن يأخذنى بسيارته لنتحدث. وكنت أنا ضده، ووقفت أدافع عن التكتل الثورى. وظللت عضوا متحمسا به حتى تحولت مع كثيرين غيرى إلى "صوت المعارضة" وإلى م.ش.م.، لم يكن لى أى استعداد للاستجابة لكوريبل .وأشعرنى بأنه من النوع الناعم الأقرب إلى القسيس الجزويت منه إلى المناضل الشيوعى. ولم ألتق به أبدا مرة أخرى.

ولا بد أن أشير إلى حرص بعض القيادات اليهودية على تجنيد أبناء الطبقات العليا. وأنا أذكر ذلك لأننى لا أريد أن تنسب لى أمجاد لا أستحقها. وما أعنيه بذلك أن القول بأننى انتميت إلى الحركة الشيوعية حباً فى الفقراء، أو ميلاً للشعب، أو تعاطفاً مع الجماهير، فكل ذلك غير صحيح. وعندما أنظر إلى الوراء، أجد أن المحرك الأساسى كان منظوراً فلسفياً للتاريخ، تصورته مجسدا فى الماركسية بفضل تلمذى على أستاذى الفرنسى رونيه جرانييه.

كانت القضية فى التحليل الأخير قضية هوية، بالذات لدى القيادات اليهودية. وكانت كل الطرق تستخدم لضمان عدم تعرض هويتهم (وتحديدا: أمانهم فى جو متقلب) لأخطار، بما فيها الاتصال رأسا بالدولة عن طريق تحبيذ تجنيد أولاد الارستقراط. وكانت الشيوعية فى ذاك الوقت جذابة للغاية: انتصارات متلاحقة للشيوعية بعد معركة ستالينجراد. نصف العالم شيوعى، هزيمة الغرب أمام هتلر، ثم يستعيد الغرب وضعه بفضل الدور الحاسم للسوفييت. كانت الشيوعية لها وقت ذاك جاذبية لا تقهر، حتى فى الطبقات العليا. وكنت أرى فى الوسط الذى نشأت فيه، وسط الباشوات، إعجابا بالروس بعد أن كانوا يكرهونهم ويزدرونهم. ويقولون: ها هى الدول التى بهدلت البلاد الصغيرة، أنظروا كيف بهدلتهم روسيا! كان هناك كلام كهذا. فى البداية تقهقرت روسيا، و لكن بعد عامين عقب معركة ستالينجراد تتابعت الانتصارات. كانت ترمز للقوة . وهكذا استغلت القيادات اليهودية الدعوة للشيوعية ليأتوا بجمهور لا ينظر إليهم على أنهم يهود. وإنما يراهم مناضلين تقدميين بغض النظر عن الهوية اليهودية. وما المانع أيضاً أن يأتوا بأولاد الطبقة العليا؟ ليس فقط من أجل ما يمثلونه من قدرات مالية، ولكن لما عندهم أيضا من علاقات ونفوذ ومكانة اجتماعية.

وكثير من المنظمات الشيوعية كانت تنظر هكذا إلى أولاد الذوات. ونحن نعرف اليوم كيف كان اليهود متغلغلين فى المجتمع المصرى دعك من المصريين الأصلاء بينهم مثل قطاوى باشا- هؤلاء يهود، ويهود مصريون. ولكن طبعاً كان هناك حنين ما لإسرائيل، وأنا أذكر أنه بعد تولى صدقى باشا الوزارة سنة ١٩٤٦ عوملت معاملة خاصة فى صفوف إسكرا، وكانوا سعداء جداً بأن لى أقارب على قمة السلطة.

وعندما أعود إلى سنوات التكوين، أجد أنه كان لدى زميل يهودى بالليسيه، كان صديقا عزيزا، كان له دور مهم جداً فى بداية حياتى، هو ألبير آرييه. كانت لديه نقطة تميز، حيث كانت له أخت تكبره سنا وتقرأ كثيرا فى الأدب الفرنسى والشعر الفرنسى، وبالذات شعر المقاومة للاحتلال النازى، والكثير من هؤلاء الشعراء مثل "أراجون" و"إيلوار" كانوا شيوعيين. تتأثر ألبير بها وبهؤلاء الشعراء. وتأثرت أنا بدورى به. وهكذا لو نظرنا إلى مصادر إعجابى بالشيوعية، فإنها لا تمت للشعب المصرى بصلة، أدب وحضارة وثقافة على الصعيد العالمى.

وطبيعى أن يكون العمال والفقراء عموما أكثر أهلية للانتماء إلى الحركات الثورية من

أناس مثلى أصبحت لهم هذه الانتماءات لاعتبارات فكرية مجردة. ولكن لم تكن تشكل مثل هذه الاعتبارات مبررا للنظر إلى قضية الشيوعية على أنها قضية ضرورة تاريخية. وأكون كاذباً إن قلت غير ذلك. وهذا مهم فى تفسير خط سيرى فيما بعد، لأننى عندما أجد نفسى بصدد شىء يربطنى بقضية عقائدية، ولكن أجد الجنب العقلانى يدعو إلى تفسير الأمر على نحو مختلف، فإنى آخذ بالجانب العقلانى. والذى يقرر خيارى فى النهاية هو ما أكتشفه بالتحليل العقلانى وليس بالانتماء العاطفى، أو التلقائى، أو الغريزى، أو الطبقى. وهذا يفسر أشياء كثيرة فى حياتى فيما بعد. وأغالط لو ادعيت غير ذلك. وهنا مجموعة من الدروس التى استخلصها من تجربتى:

١- أنت قد تنسج لنفسك هوية وتقول أنا أريد أن أنتمى لكذا، وأنا اقتنعت بأن أنتمى لكذا. وقد يكون ما تفعله فى الحقيقة شيئًا آخر تماما.

٢- المحصلة التى هى نتاج حركة جماعية كثيرا ما تكون مختلفة فى دلالتها الحقيقية عما هو مراد من كل المشاركين فيها.

٣-فى كل موقع، تناقض رئيسى ما، يفرض نفسه على كل من هو حوله. والتناقض الأكثر خطورة فى الشرق الأوسط هو التناقض الناجم عن الصراع العربى/الإسرائيلى، وليس تناقض الاشتراكية مع الرأسمالية. هذه هى القضية لأن البعد القومى أكثر تأثيرا فى مجريات الأمور من البعد الأممى. وقد ثبت هذا من تجربتنا، لأننا كنا نعتقد أننا أساساً ماركسيون، ولكن اتضح أننا أصبحنا فى النهاية أداة - أو رد فعل - لأمور خارج إرادتنا لم نخطط لها. لم نكن مقررين (بكسر الراء) وإنما كنا مقررين (بفتح الراء).

وأضف: كثيراً ما ينطلق المرء من الإيمان بشىء معين، لكن المحصلة الحقيقية شئ آخر. وليس هناك وسيلة للتحقق مقدماً بأن ما تدعيه لنفسك هو الصحيح. طبعاً هنا ندخل فى قضايا فلسفية عويصة. إن الانتماء لمدرسة سياسية تنسب نفسها إلى العلمية تفترض القدرة على السيطرة، بينما يثبت كثيراً أن الاعتقاد بأنك مسيطر، هو تعبير عن أنك خاضع لسيطرة شىء خارجك دون أن تدرك.

لقد انفجرت حدتو بعد حرب فلسطين. كيف يمكن تفسير ذلك؟ ليس صدفة أن كل القيادات اليهودية أزيحت على مراحل. بعد نشوب حرب فلسطين، بدأت عمليات إزاحة القيادات

اليهودية، كل تنظيم بدوره، حدتو، ع.ت. إلخ. وكانت القرارات الجماعية للشيوعيين المصريين وليست قرارات كوريل، هي التي تسود. وعندما أممت قناة السويس كتتويج لحركة عبد الناصر الثورية ذات البعد القومي، وجد الشيوعيين أنفسهم مع عبد الناصر "البرجوازي" لدرجة أنه أصبح من غير المحتمل والمعقول والمقبول أن يكون الخلاف بين الشيوعيين أعمق من خلافهم مع عبد الناصر. وهذا هو الذي حسم الوحدة، والذي حسم الوحدة لا مجرد الرغبة في الوحدة، ذلك أنه كانت هناك مجموعات يهودية في حدتو تقاوم الوحدة. الذي وحد الشيوعيين أنه لم يكن بوسعهم ألا يتحدوا فيما بينهم وأن يتحدوا مع عبد الناصر. والأمر الذي عطل الموضوع هو أن الزملاء اليهود ناهضوا بعناد تخليهم عن مراكزهم القيادية. ولكن في النهاية تخلوا. وهنا تحول التنظيم من تنظيم تابع لليهود إلى تنظيم تابع للناصرية. وعندما نصحهم خروشوف بحل الحزب (هذا على الأقل السيناريو الذي أتصوره)، لم يعترض الشيوعيون، وأعضوا ولا هم لعبد الناصر، انطلاقا من افتراض أن عبد الناصر وارد أن يصير في طريق التطور اللارأسمالي، وأن يصبح هو نفسه اشتراكيا لا يناهض الشيوعيه يوماً ما، لذلك كان على الشيوعيين عدم معاكسة حركته في اتجاه الشيوعية، وألا يشكلوا قطباً بنفره من الشيوعية، بل قطباً يجذبه. وليس مصادفة أنه بعد ستة أشهر من الخروج من السجن، وبعد كل ما تحمّله الشيوعيون في السجن من عنت وتعذيب واضطهاد، قد تخلوا عن تنظيماتهم المستقلة. ومحافظة على كرامة الشيوعيين، جاءت عمليات الحل خارج السجون، بعد الخروج، وليس داخلها. والكل حل، باستثناء الذين تبنوا الخط الصيني المدين لخط خروشوف أصلا.

لقد كان يوجد في مصر ماويون. وكنا في السجن نتابع بعناية شديدة الخلاف الصيني السوفيتي، ولم نكن مدركين أبعاد هذا الخلاف قبل دخولنا السجن عام ١٩٥٩، ولم يكن الخلاف قد بلغ ذروته قبل ١٩٥٩، وبالتالي لم نكن مدركين أبعاد الموضوع. أما داخل السجن، فلم يكن هناك مفر من التسليم بخطورة الخلاف. وكنا نسمع الإذاعات. وأبرز مجموعة تبنت الخط الصيني، قادها إبراهيم فتحي وشملت عادل رفعت وبهجت النادي وعلى الشوباشي وغيرهم. ثم كان هناك محمد عباس فهمي العضو المخضرم بحدتو الذي تبنى هو الآخر الخط الصيني.

الموقف من القضية الفلسطينية

قضية فلسطين لم تكن في منظورنا، ولوقت طويل، محورية قط. وهذا أيضاً دليل على صحة نظريتي بشأن ما أسميته "المرحلة اليهودية". فعندما كنا تنظيمات تتحدث عن هذه الأمور، لم يكن هناك هذ التركيز الذي كان من المفروض أن يركز عليه أي تنظيم له بعد وطني أو قومي. لم يكن الموضوع يلفت انتباهي، وانتباه كثيرين غيري، كما كان ينبغي.

أذكر ذات مرة أن لطيفة الزيات (زميلتنا منذ أيام اسكرا) قد ألقت محاضرة عن القضية الفلسطينية بجامعة القاهرة عام ١٩٤٧، ولفت نظري ما قالته. فكنا ملتبسين في هذا الموضوع، لأن الذي كنت أسمعه أن اسكرا كانت تدافع عن قرار تقسيم فلسطين.. على الأقل في الجلسات الخاصة وشفاهة. وأعتقد أن لطيفة لم يكن هذا موقفها، إذ أذكر أنها تحدثت عن مظاهرات من أجل فلسطين، وأنه كان هناك بعد مشترك مع القوى الوطنية والقومية. كان هذا في ساحة الجامعة، ولكن لأني كنت قادماً من الليسيه، ومن الحالة الفكرية التي كانت سائدة في اسكرا، بكوادرها اليهود، فكان مدخلي إلى موضوع فلسطين مخالف للمدخل القومي أو العربي. كان الشيوعيون في لبنان وسوريا أكثر حساسية لنبض الشارع. وقد خالف خالد بكداش موقف الحزب السوفيتي من قرار التقسيم، وأعلن صراحة عدم موافقته على قرار التقسيم. هذا ما أتذكره. وأعتقد أن شيوعيين غيره في المنطقة قالوا وقتها إنه "من الصعب جداً تحدي قرار لستالين". وكان جروميكو هو الذي أعلن قرار التقسيم في الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧، وكان ما فعله خالد بكداش ملفتاً للنظر. وأنا أذكر في (م.ش.م) مسألة كنا نبرر بها موقفنا وهي: لماذا يترك الإنجليز القوات المصرية تعبر، وتحارب في فلسطين، والإنجليز ما زالوا مرابطين في القناة؟ أليس معنى ذلك أن خوض الحرب في فلسطين عملية تتم في تواطؤ مع بريطانيا؟ مع الاستعمار البريطاني ضد قرار التقسيم؟ ذلك بينما السوفييت يريدون قيام دولة يهودية جنبا إلى جنب مع دولة فلسطينية. فعلمنا أن ننتقد الموقف العربي الرافض للتقسيم، وقيام دولتين في فلسطين.

كنت في ثقافتي السياسية في هذه الفترة قاصراً تماما فيما كان يتعلق بالقضية الفلسطينية، وبالتالي في القضية القومية عموما. والمطروح في نظرنا وقتذاك كان موضوع التحرر الوطني في اتجاه الاشتراكية، بمعنى أننا كنا أكثر حرصا على الاشتراكية منا على

الوطنية، ولم يكن البعد القومى مطروحا بشكل واضح. كان البعد القومى غائبا، والبعد الوطنى فى إطار البعد الاشتراكى (الشيوعى). كان التحرر فى جوهره أممية واشتراكية وشيوعية والحلقة الوطنية غامضة والقضية المركزية فى البعد القومى مغفلة. أنا أعبّر عما تذكر أنه كان تصورنا وقتذاك.

وبمراجعة القضية الفلسطينية كما كنا ندركها وقتذاك، تتخذ الأزمة التى نشبت فى صفوف الشيوعيين المصريين عام ١٩٤٨ كل أبعادها، ويصبح لها تفسير منطقى. فلقد انفضح كوريبل وخط القوات الوطنية الديموقراطية الذى كان يدعو له، لا لاعتبارات "وطنية" تتعلق بمصر، ولكن لإغفاله تماما البعد القومى. وقام شهدى وأنور عبد الملك (شهدى المسلم وأنور القبطى) لتأكيد البعد القومى وإزاء نجاح هذه الانتفاضة ضد قيادة كوريبل، وخطه المتهم باليمنية، قام فريق آخر يهودى (أوديت وسيدنى)، وقد نجح فى اجتذاب مجموعة "تحر منظمة بلشفية" بقيادة ميشيل كامل، وهى التكتل الذى جذب غالبية الطلبة وقتذاك. نجحت "صوت المعارضة" (تنظيم أوديت وسيدنى) فى احتواء تمرد الشيوعيين على قيادة كوريبل بانتهاج خط "يسارى" متطرف، بعد أن دارت المعركة ضد كوريبل على أرضية إدانة خطه "اليمينى" المتمثل فى "خط القوات الوطنية الديموقراطية".

باختصار، أزعم أن تطرف م.ش.م. يساراً كان لإعادة احتوا ، ما أفلت يمينا. كان كوريبل، بخطه الفضفاض، خط القوات الوطنية الديموقراطية، قد عرّض نفسه لهجوم سهل: "أنت لست شيوعيا، أنت ديموقراطى. خطك ديموقراطى وليس شيوعيا. وهو خط لمجموعة طبقات فى صورة تنظيم طائفى وفئوى، يجمع أكثر من اتجاه. وأنت لست تنظيماً طبقيا متجانسا. حدتو ليست تنظيماً طبقياً. ليست شيوعية. هى حركة، وليست حزباً. إنها حركة ديموقراطية للتحرر الوطنى، ليست اشتراكية، ولا هى شيوعية ولا هى طبقية. حتى عنوان الحركة معبر". وبعد العمل من أجل تصفية حدتو، جاءت م.ش.م. لتعلن: "لا نستطيع إنشاء حزب.. لأنه يجب أن نحقق قاعدة ذات ثبات ودوام فى الطبقة العاملة قبل أن نعلن إنشاء حزب، لأن الحزب عرضة لأن يختفى إذا قبض على قياداته. وبناء على ذلك، فنحن لسنا حزباً شيوعياً بعد. نحن مجرد منظمة شيوعية، لحين نثبت أهليتنا وأحقيتنا فى أن نكون حزبا". وانتهى الأمر بهدم القائم دون إحلال بديل محله!

ولذلك أقول إن هذا التنظيم كان رد فعل من المجموعات اليهودية لاستعادة السلطة بعد أن فقدها كورييل، وبعد أن رأينا عدة تنظيمات تتابعت زمنيا، أولا (التكتل الثوري)، ثم (المنظمة البلشفية المصرية)، ثم تنظيم آخر أنشأه عادل (عبد المعبود الجبيلي) وأسموهم وقتئذ (العادليين). وأخيرا حزب (الراية)، وقد اتسمت كل هذه التنظيمات، كل بطريقته، بالتعبير عن خط يحرص على التراؤم، لا التعارض، مع الاتجاه القومي.

وأنا أزعم أن حرب فلسطين كانت من أهم الأسباب التي ترتب عليها عجز الشيوعيين المصريين من امتطاء الموجة الثورية التي برزت بعد الحرب العالمية الثانية. لم يمتطوا موجة ١٩٤٦ كما كان ينبغي، وعجزوا عن امتطاء الموجة الثانية عام ١٩٤٨، بل انفجرت الحركة من داخلها. وأتاح ذلك الفرصة للضباط الأحرار كي يملأو الفراغ.

كيف تتذكر أحداث ١٩٤٦

سنة ١٩٤٦ كنت لا زلت في الليسيه. وقد دخلت الجامعة سنة ١٩٤٧. شاركت طبعاً في مظاهرات. كنا في إعدادي هندسة، وكان معنا حسن صدقي. كان هو زعيما طلابيا من السنة السابقة، ولكن عن منظمة أخرى. توحدنا وكان ينتمي هو إلى تنظيم كوريل. لكن كان المناخ بالجامعة أقل حدة مما كان في العام السابق. ثم أخذت المشاجرات التي نشأت في أعقاب الوحدة ومع تفشي التكتلات هي التي تسود. أصبح أغلب نشاطنا تنظير الخلافات التي بررت قيام التكتلات. أي أصبح النشاط منصبا على داخلنا وليس نشاطاً جماهيرياً. وقمنا بالنشاط الجماهيري في حده الأدنى، مثل توزيع المنشورات. ثم كانت هناك فيما يخصني حكايات أخرى. إذ بدأت السلطات تعلم أن لدي نشاطا كثيفا. وكان النقراشي باشا، رئيس الوزراء، قد التقى بزوج خالتي، عبد الحميد الشواربي باشا، وقال له اذهب قل لعباس باشا إن ابنه متورط مع الشيوعيين. بيد أن عقليتنا كانت عقلية فدائية إلى أقصى درجة تصل إلى حد الانتحار، وكنت أدرك أن عام ١٩٤٨ آخر عام سوف أواصل فيه الدراسة، وأن الظروف تنبئ بانتقالنا قريبا إلى السرية، وتحولنا إلى محترفين ثوريين. كنا في الكلية نتوقع أننا لن نستمر. وكان ضميري يؤنبني لشعوري بأني لا أعطي للتنظيم ما يكفي وليس العكس.

كانت الحالة النفسية عطاء بلا حدود. وكنت أنا ممن يملكون مالا، أو وارد أن أملك مالا. ولكن لم أكن أملك سلطة. وكانت هناك قيادات تملك سلطة ولا تملك مالا. وبعد حدوث الوحدة، وبالذات وحدة يناير ١٩٥٩، برزت مشكلة تمثلت في التباين بين مصادر المال المطالبة

بالإسهام الكثيف فى تمويل التنظيم، وبين توزيع المحترفين الذين يتعين تزويدهم بالقدرة على مباشرة نشاطهم. على سبيل المثال: كان أغلب المحترفين من "الموحد"، بينما كانت مصادر التمويل الرئيسية من "الراية". وهكذا أصبح التمويل أداة تأثير سياسى، خاصة فى مناخ تسوده التكتلية، مع ادعاء خضوع الجميع لقواعد التنظيم اللينينى واحترام "المركزية الديموقراطية"!.. أصبحت المشكلة المالية تعبيرا صادقا وملموسا عن ازدواجية التنظيم. ومن الأمور التى أغضبت فؤاد مرسى منى فترة ،ونحن فى سجن الواحات كتابتى لتقرير عن تاريخ الحركة الشيوعية، و قد سجلت فيه الآلية الحقيقية التى كانت تحكم إعمال التكتلية فعلا مع التظاهر باحترام قواعد التنظيم اللينينى شكلا. كانت نظريتى أن هناك تنظيماً رسمياً وتنظيماً فعلياً. والتنظيم الفعلى يحكمه العمل التكتلى أولاً، والتنظيمات عندما اتحدت لم تكن أبداً تخلت عن ذلك. وهكذا بدأت أدرك عنصراً "واقعيا" فى مزاولة العمل الشيوعى. كانت المرحلة الأولى من انتمائى إلى الحركة مثالية جداً بحكم أوضاعى وكيفية انتمائى إليها. وعندما أخذت المنظمات الشيوعية تتوحد، بدأت أدرك أن افتراضاتى المثالية بعيدة تماماً عن الواقع، وبدا لى أن الاحتراف فى الشيوعية لا يختلف كثير عن الاحتراف فى حزب الوفد، أو حتى فى حزب كالحزب السعدى.

الموقف من النضال المسلح سنة ١٩٥١ فى القنال

كنت فى السجن وكنت أتابع الأحداث فقط من خلال ما كان يصلنا من صحف ومجلات.

الموقف من السلطة

كنا ضد السلطة، وكانت توجهات (م.ش. م) تدفعها إلى اعتبار السلطة بعد قيام الثورة "فاشيستية"، و"عصابة عسكرية"، ثم بدت وجهة نظرنا وكأنما تأكدت بعملية كفر الدوار التى حكم فيها بإعدام عاملين: خمس والبقرى.

الموقف من قوانين الإصلاح الزراعى

كنت طبعاً مناصرا لقوانين الإصلاح الزراعى، دون ما نظر إلى أنها قد وجهت ضربة قاضية لممتلكات والدى (كان هو ضمن الباشوات العشر الذين رأوا أن يعبّروا لضباط الثورة عن عدم رضاهم بهذه القوانين). كنت قد انفصلت تماما عن طبقتى، وانقطعت صلتى بأهلى تماما، وحتى

سفر أوديت وسيدني إلى باريس عقب أحداث مارس ١٩٥٤، اقتصرت علاقتي بأهلي على زيارة واحدة في بداية كل شهر، لأخذ نقود منهم بدأت بمبلغ ثلاثين جنيهاً في الشهر، ثم زودت لمبلغ خمسين فسبعين جنيها شهريا. وكان ذلك وقتئذ مبلغاً كبيرا. فكنت أعيش على ستة جنيهات، واستأجر شقة أنا وأحد الزملاء بستة جنيهات أخرى. وكان الباقي كله للتنظيم. كانت أوديت في هذه المسائل صارمة.

الموقف من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثي

حتى مؤتمر باندونج في ١٩٥٥، كان الموقف ثابتًا من الضباط الأحرار وهو أنهم مجموعة فاشيستية. ثم بدأ الموقف يتغير، وقد مثل تأميم قناة السويس فالتعرض للعدوان الثلاثي الذروة في هذ ا التغيير والشعور بضرورة الدفاع عن النظام، فوق أي اعتبار آخر. وكان والدي عند وفاتي قد ترك لي أرضا ومبلغا في البنك. وذهبت صبيحة شن العدوان الثلاثي لبنك ،وأخذت ثلاثة آلاف جنيه وأعطيتها للحكومة، عن طريق خالد محيي الدين الذي كان يرأس وقتذاك صحيفة "المساء". كانت هذه أول مرة ألتقي بخالد محيي الدين. ولكن رأيته المؤهل قبل غيره على تلقي تبرعي.

الموقف من وحدة ٨ يناير

كنا بالتأكيد مع الوحدة. واجتمعت اللجنة المركزية، في أول اجتماع لها، بشقتي التي ما زلت أقيم بها. لقد عدت بعد وفاة والدي إلى شقة أهلي. فؤاد مرسي هو الذي دعاني إلى أن أعود. قال لي: لا داعي لمواقف بطولية لا مبرر لها، وعدْ للإقامة مع والدتك. فعدت للبيت قبيل اعتقالات يناير ١٩٥٩.

كانت والدتي سمعتها طيبة للغاية عند الشيوعيين، حيث ذهبت ثلاثين مرة على الأقل إلى سجن الواحات، وكانت تحمل أمتعة لكثيرين من المسجونين، وذلك بعد إجراء عملية استئصال للثدي في ظروف صعبة. ظلت مؤمنة بي، مؤمنة بأنه، في يوم ما، سوف يثبت أن الطريق الذي اخترته ليس ضياعا، حتى مع غيابي التام، وعدم علمها قط بأين أنا. كانت ترفض أن يقال في حضورها أي شيء سيئ عني.

ذكرت أن الذي وحّد الشيوعيين هو الرغبة في التوحد مع عبد الناصر. وتطلب ذلك إبعاد

الزملاء اليهود من المراكز القيادية. وكانت حدتو بها "مجموعة كوريل" (المسماة حركيا "مجموعة روما") التى كان معروفا عنها أنها تملك كلمة حاسمة فى تقرير مقدرات هذا التنظيم. فعندما تم التوحيد، تقرر إبعاد كوريل وجماعته فى باريس، على الأقل من الوجهة الرسمية، وأصبح التنظيم يتسم بطابع مزدوج. إذ كانت هناك الاجتماعات الرسمية التى يحضرها جميع أعضاء الحزب، ولها لغة وطقوس وأساليب عمل، ثم تجتمع التنظيمات التكتلية الموازية فى نفس الوقت، وكل مجموعة تجتمع حسب أصولها، وتتكلم لغة خاصة بها.

وكل تكتل كان يبرر اجتماعاته الخاصة بدعوى أنه يمثل "التيار الثورى"، والباقون انتهازيون ومنحرفون. ولولا ظروف تلزمنا – دون أن يقول أحد ما هى هذه الظروف– لا أحد يريد أن يعترف بأننا كنا نريد أن نشبع زعيما "بورجوازيا"، قائدا للمسيرة الثورية. وهذا كان فى نهاية الأمر المعضلة التى كانت تحكمنا، حتى لو لم نكن نريد أن نسلم بها.

فلم يتخل أى من التكتلات عن تكتله. باستثناء عناصر لم تكن تنتمى إلى أى تكتل أصلا، ولم يكن لها غير مركزها فى التنظيم "الرسمى". وفى أحوال كثيرة، كان هؤلاء ينهضون بدور الوسطاء بين التكتلات. فى أغلب الأحوال ضمنيا، وأحيانا عند احتدام الصراعات بشكل علنى. من هنا كانت لهم وظيفة ما. شخصيات ذات صفة مستقلة نوعاً ويرى كل طرف أن كسبها إلى صفه مهمًا. منهم زميل كمحمود العالم مثلا، لم يكن ينتمى إلى صلب "حدتو". وأتى عن طريق "الموحد". لا هو "راية" ولا هو "حدتو" ولا هو "ع.ف." ولكن بصفته هذه، وصل إلى أعلى المراتب فى الحزب.

وهكذا كانت الوحدة مفتعلة، لأنها محكومة باعتبارات خارجية (ضرورة إنجاز وحدة الشيوعيين كشرط سابق على "الوحدة" مع عبد الناصر)، وهذا الافتعال وجد انعكاسه وتعبيره التنظيمى فى صورة "التنظيم المزدوج".

إلا أن المسائل ارتبكت فى نهاية الأمر. لأن فكرة أن عبد الناصر كان يريد "وحدة شاملة" على صعيد "الوحدات العربية"، بينما كان الشيوعيون يطالبون بـ"وحدات فيدرالية"، وباستقلالية نسبية إنما أفضى إلى صراع مر كان مآله دخول الشيوعيين فى أغلبيتهم الساحقة السجون ابتداء من أول يناير ١٩٥٩ .

انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧

كنا ضد هذه الانتخابات. كنا كشيوعيين نقول إن هذه لعبة. وكنا وقتئذ ننتهج الخط الصينى، وشعار "الوحدة والصراع". نتصارع طبقياً وننتهج خط الجبهة قومياً ووطنياً. ولكننا كنا فى الحقيقة ننتهج خط "الوحدة" بدون "صراع". كنا نهاجم، لكن كان هجومنا فى تقديرى صوريا. لذلك ذهلنا عندما اعتقلنا فى أول يناير ١٩٥٩. لم نكن نصدق ما حدث، لأننا كنا فى الحقيقة قلباً وقالباً مع عبد الناصر. كنا نزعم التمايز عنه بالقدر الضرورى، حتى نبرر لأنفسنا أن يكون لنا تنظيم مستقل.

من أهم القضايا التى ميزت التجربة كلها بقاء نظام "التكتلية" رغم تتابع عمليات الوحدة بين التنظيمات الشيوعية. فلم يكن صحيحاً أن التنظيمات السابقة حل محلها تنظيم الحزب الموحد. كانت اللجنة المركزية تجتمع. ولكن تصويت أعضاء اللجنة كان مقررا سلفا ومعروفا. كانت الاجتماعات الحقيقية تنعقد فى صورة اجتماعات تكتلية خارج اجتماعات ل.م. الرسمية. كان هناك شبه اعتراف ضمنى بذلك، بمعنى أن كل طرف كان يعلم أن الأطراف الأخرى تقيم هى الأخرى تكتلا، وكان هناك أفراد تلصق بهم التكتلية حتى مع عدم انخراطهم فى أى من التكتلات، مثل سعد رحمى، وإلى حد ما محمود أمين العالم.

عندما أنشئ الحزب الذى جمع المنظمات جميعا فى ٩ يناير ١٩٥٨، تشكلت قيادة ثلاثية من ممثل "للراية" (فؤاد مرسى)، ول"ع.ف." (أبو سيف يوسف) وللموحد (كمال عبد الحليم). غير أنه سرعان ما "تكتل" اثنان ضد الثالث. كان الاثنان قبل تشكل حزب ٩ يناير هما طرفا "الحزب المتحد" (الموحد والراية) ضد (ع.ف). غير أن تشكل حزب ٩ يناير أسفر عن معادلة جديدة، ونشأت لقاءات تكتلية ضمت (ع.ف والراية) ضد المجموعة التى نظر إليها على أن ولا بعد ما زال لكوريبل فى الموحد. وحاول محور الراية-ع.ف. سلخ التنظيمات الصغيرة التى انضمت إلى الموحد، وضمها إلى محورهما. كان محمود العالم الوجه الأبرز الذى استعين به فى هذه المناورة. فقد تشكلت قيادة ثلاثية من فؤاد مرسى وأبو سيف يوسف حل فيها محمود العالم محل كمال عبد الحليم. كان كمال ممثلا أصيلا لاتجاه كوريبل، ولكن هذا لم يكن ينسحب قط على محمود العالم. كانت هذه المناورات تعبيراً صادقا عن ازدواجية السلوكيات فى داخل إطار ما وصف بالوحدة.

وقد كان التمويل، كما سبق وأشرت، يلعب دوراً خطيراً، بما فى ذلك دورا مفسدا فى محاولة كسب الأصوات وتغيير موازين القوى. كنت شخصيا أقدم لحزب الراية ما كان يشكل قسطا كبيرا مما كان ينفق عليه. وظللت ممولا رئيسيا للحزب حتى اعتقلنا جميعا. وانتابنى الشك، بعد فترة، أن موقعى المتميز فى التنظيم كان محكوما باعتبار التمويل قبل اعتبار الكفاءة، فكرية كانت أم نضالية.

وكان هناك التمويل الرسمى والتمويل الباطنى. كان يأتى لى كمال عبد الحليم وأنا من أصل تنظيمى مختلف عنه، ويطلب منى أن أسهم ماليا فى مشروعات جانبية لا أعلم عنها شيئا. وكنت أشعر بأننى لا بد أن أُلبى. وكان فؤاد مرسى يتهمنى بالخلل فى التصرف. وكان بعض الأعضاء القياديين فى الراية (وربما أيضا غير الراية) يقدمون على مخالفات تنظيمية صريحة، وعلى محاولات مكشوفة لافساد الزملاء، وكانت وسيلتهم للخروج من المأزق، إذا ما ضبطوا، ليس بتصحيح الخطأ، وإنما بالتورط فى أخطاء أكبر، لتغطية الخطأ الأصغر! وهكذا تتوه الأخطاء، ويتوه التحقيق، ويفلتون من الحساب. وتصبح المخالفات بدون بداية أو نهاية.

وقد لعب الحزب الشيوعى الإيطالى دوراً هاماً فى الوحدة والانفصال. فإن مسئولين كبارا فى الحزب الإيطالى كانوا أصدقاء شخصيين لقياديين فى حزب الراية. وكذلك بعض المسئولين بالحزب الشيوعى الفرنسى، نتيجة إقامة إسماعيل صبرى عبد الله، وأيضا فؤاد مرسى، سنوات طويلة فى فرنسا. وقد اتبع الحزب الفرنسى بالذات سياسة العصا والجزرة. كان يؤكد أن الحركة الشيوعية الدولية لن تعترف بالشيوعيين المصريين طالما ظلوا منقسمين. فقط عندما تتم الوحدة بينهم سيكون هناك دعم، حتى وإن كان بشكل غير مباشر من خلال مشروعات تجارية.

وقد لعب الحزب الشيوعى العراقى دورا حاسما، سواء فى إنجاز الوحدة أو فى الانقسام الذى تلا الوحدة بعد ستة أشهر. وكان ذلك على ما يبدو، وفى الحالتين، محكوماً بالمصالح الاستراتيجية للحزب الشيوعى العراقى، بغض النظر عن اعتبارات مصر. فبعد وحدة الشيوعيين المصريين فى يناير ١٩٥٨، تمت فى فبراير من العام ذاته الوحدة بين مصر وسوريا. واضطر الزعيم الشيوعى السورى خالد بكداش أن يخرج من سوريا فى آخر لحظة، وهاجم عبد الناصر بشدة، وألقى خطابا شهيرا فى بيكين ندد فيه بموقف عبد الناصر من سياسة الوحدة، وإصراره على وحدة اندماجية بدلا من الوحدة الفيدرالية. وبعد ذلك بأسبوع بدأت الاعتقالات

التى كادت تشملنا جميعا.

كان العراقيون يبحثون عن قوة فى مصر يمكن لهم الاعتماد عليها وموازنة قوة عبد الناصر. فكان لا بد من إبعاد اليهود، وأن يكون الحزب قادراً على إقامة علاقات مفتوحة وصحية مع قوى قومية لا تترك الساحة لشخص عبد الناصر وحده. كان هذا ما يشغل العراقيون، ذلك أنهم كانوا متخوفين من أن يوجه عبد الناصر ضربة للتجربة العراقية الأكثر راديكالية، كما وجه ضربة للتعددية الحزبية فى سوريا.

وعندما جاءت ثورة تموز، أصر مندوب الشيوعيين العراقيين قبيل الثورة على أن يحدث انفصال، لأنهم اعتبروا مجموعة كوريبل مستسلمة لعبد الناصر، بينما الآخرون كانوا أكثر حرصاً على الاستقلالية عن عبد الناصر. سواء "الراية" أو (ع.ف).

وأنا لا أقول أبداً أن العناصر اليهودية فى الحزب وقتذاك كانوا صهاينة. بل بالعكس كان هناك تماد من جانبهم فى الاتجاه العكسى. ولكن كان هناك أيضاً فى صميم قلبهم شىء ما لا يريحهم. فعندما كانوا يتمادون ضد الصهيونية، تمادوا أيضا فى تحفظاتهم حيال فكرة القومية العربية. فلم يكن معقولاً أن يقلعوا عن شىء وارد أن يؤثر فى شخصيتهم وهويتهم ثم أن يجدوا أنفسهم قد أفرطوا فى الاتجاه النقيض. فكانوا أكثر صلابة حيال أوجه الخلل وعدم الاتساق فى الموقف القومى.

وجاء مندوب الحزب الشيوعى العراقى الرفيق جاسم (عامر عبد الله). وشجع حدوث انفصال. وتقرر فصل أربعة: كمال عبد الحليم وشهدى عطية وأحمد الرفاعى ومبارك عبده فضل. وكان القرار لا شك قراراً تعسفياً. أسلم بذلك علما بأنى كنت ضمن من صوتوا له.

ثم حدث بعد ذلك بقليل أن استدعى السادات محمود العالم، وطلب منه حل الحزب. ولكن محمود رفض وقال إنه لا يملك. كانت المقابلة ببيت السادات وقتذاك بشارع الهرم واستمرت حتى الثانية صباحا. ثم طرد السادات محمود العالم من البيت، ولم يكن يوجد تاكسى فى ذاك الوقت المتأخر من الليل. واضطر محمود أن يمشى إلى منزله فى جاردن سيتى، بعد أن رفض السادات أن يوفر له سيارة لأنه لم يلبى طلبه.

وقد بلغ التوتر مع الشيوعيين مداه مع زيادة تسلط عبد الكريم قاسم على الحكم، ثم وقت حدوث حركة الشواف. وهى حركة دبرت داخل البعث، بتحريك من عبد الناصر. وعندما ضربت بقسوة فى العراق، عوملنا وكأننا رهائن، وأرسلونا للواحات. وبدأ التعذيب بصورة منتظمة.

سياسات الاتحاد السوفيتي

كنا نؤمن بأن السوفيت هم المرجع. ولكن تعرض إيماني للاهتزاز، ربما قبل غيري في هذا الصدد لظروف أتيحت لي ولم تتح لكثيرين غيري في مصر على نحو مماثل:

أولاً- عندما مات ستالين، بكيت عليه أكثر مما بكيت على أبي. هكذا كانت تتجسد الأشياء في أعيننا سنة ١٩٥٣، كنت أعتقد أن مقتضيات الاستقامة تقتضي تغليب أشياء على أشياء.. الحزب على العائلة، وعلى حبي لأهلي، حتى لوالدي ولوالدتي. وهذا ما جعلني أتكشف إذا كان ما أغلبه كذبا، أو تضليلا، أو تلاعبا بي، فإنه من حقي استعادة حريتي في نقده.

الصدمة الثانية، التي أوجبت النقد، كانت المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي. كان المؤتمر صدمة كبيرة. وتساءلت: ما الذي حدث؟ علما بأني في ذلك الوقت (فبراير ١٩٥٦) كنت قد ابتعدت نسبيا عن العمل الحزبي المنظم، ذلك أن أوديت كانت قد سافرت إلى فرنسا في مارس ١٩٥٤، وكنت قد عدت إلى كلية الهندسة، كما دخلت كلية الحقوق في توازٍ مع دراسة الهندسة الإلكترونية ابتداء من عام ١٩٥٣/٥٢. سافرت أوديت قبل أيام من هبة مارس الشهيرة. سافرت وتخلت عن جنسيتها المصرية. وكانت معها جنسية فرنسية أصلاً. سافرت ولم تعد. وحاولت أن تشكل في باريس مجموعة تدافع عن مصر. وأنا ظللت فترة أسهم ما وسعني في دعم أنشطة أوديت في باريس من القاهرة ماديا. فكان والدي قد توفي وأصبح بمقدوري النهوض بهذه المهمة. إلى أن جاء يوم وقررنا نحن المتبقون من م.ش.م. القديمة، فاطمة زكي ونبيل الهلالي والمستكاوي وبولس حنا وسعد الطويل. وقال بولس إن استمرار الوضع على ما هو عليه غير معقول. فنحن مقبلون على مواجهات خطيرة (على ما عرف فيما بعد بالعدوان الثلاثي: إسرائيل وفرنسا وإنجلترا). فإن أوديت ومجموعتها تقيم في فرنسا وهي يهودية. فهل يستقيم أن تقود من هذا الموقع الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي البريطاني-الفرنسي-الإسرائيلي؟

ولا شك أننا قد تأثرنا بوجهة نظر بولس، لأن كلامه كان مقنعا (ظل بولس معنا في مجموعة م.ش.م. حتى انضممنا إلى "حزب الراية" فالمتحد، فحزب ٩ يناير، ولم ينفصل عنا إلا بانتقاله إلى حدتو ونحن في المعتقل، وهو محام ناجح الآن ويعمل طوال سنواته محاميا مع

نبيل الهلالي في مكتبه).

وقبيل انفصالنا عن أوديت ومجموعتها، أرسلت هي وسيدني سلامون نقداً ذاتياً، جاء فيه أننا عادينا الوفد معاداة لم تكن مبررة. وقاطعنا كل الشيوعيين الآخرين بصفتهم بوليس وتيتويين، وهنا أيضا لم يكن له ما يبرره. والحقيقة أن هذا النقد الذاتي الذي جاء بعد أوانه وعلى نحو أوحى بأن الغرض منه هو فقط استعادة الاتصال قبل فوات الأوان، لعب دوراً أساسيا في مقاطعتنا لهم بعد ذلك بصفة نهائية. وقد اشترطت "الراية" كي تضم مجموعة م.ش.م إليها، استبعاد مجموعة باريس كلية، وأن نقطع بهم كل صلة. وشعرت بأن هذا القرار، الذي نقله إلينا إسماعيل صبري، صعب للغاية. كان رأدا لمرحلة تاريخية، وتجارب قاسية وسجن. ولكننا قبلناه.

إسماعيل صبري عبد الله شخص عبقري وعقل موسوعي وداهية، ولكن مشكلة إسماعيل أنه كان يريد أن يجمع بين تواجده في مركز قيادي بالدولة (المؤسسة الاقتصادية وقتذاك) وبين قيادة الحزب الشيوعي المصري. فكان يتجنب قدر ما يستطيع التواجد المادي مع الشيوعيين، تحاشيا للتعرض لظروف تكشف هذه الازدواجية. فمثلا، كان اتصاله الوحيد بالحزب طوال مرحلة معينة قبل اعتقالات ١٩٥٩ عن طريق التواجد بشقتي في الزمالك، حيث كان يتولى مسئوليته كمسئول أمام اللجنة المركزية والمكتب السياسي عن الفيوم والمنيا وبني سويف. كنت أنا مسئولاً عن الفيوم وأحيانا عن بني سويف، وأمضي يوما أويومين كل أسبوع بين زملائنا بهما. وكان هناك زميل آخر مسئولاً عن المنيا. وكان إسماعيل يأتي ليجتمع معهم عندي بمنزلي بالقاهرة. وكان إسماعيل يعتقد أن للبوليس عينا داخل اللجنة المركزية. هل هذا صحيح أو غير صحيح؟ لا أعلم، ولكن كان هذا إيمان إسماعيل.

الصراعات السياسية بين المنظمات

رأيي أنه ليس هناك تيار يستطيع أن ينسب لنفسه صفة "التيار الثوري"، فـ"التيار الثوري" لا يتقرر بأن يعلن عن نفسه أنه يتسم بهذه الصفة. وإنما يتقرر من خلال الممارسة وبحكم يصدر من الغير وليس بحكم صادر من الذات. وأن الحركة بالتالي ينبغي النظر إليها ككل لا يتجزأ. وإن الحركة بتمايزاتها هي تمايزات كل لا يتجزأ. وليس لطرف أن يزعم لنفسه صفة "المرجع" إزاء الأطرف الأخرى.

إلى ليوم ما زال الكل ينهج نهج اعتبار نفسه "التيار الثوري". وما كتبه رفعت السعيد في تاريخه للحركة هو عرض لتاريخ الحركة من وجهة نظر معينة، وتقرير من هو الجيد ومن هو السيء، ومن الكبير ومن الصغير، ومن ينبغي تعظيمه ومن ينبغي التشهير به، كله من وجهة نظر مقررة سلفا، حسب موقع المؤرخ من الأطراف المختلفة.

كنت أنا من أنصار النظرة الشاملة وأن نرى الإيجابي والسلبي لدى الكل، كشبكة متكاملة متعددة الأطراف ومعبرة عن حقائق موضوعية. ومن هنا أقول إن الصفة الطاغية لفترة ما من تاريخ الحركة هي الصفة "اليهودية"، والصفة الطاغية في فترة أخرى كانت الصفة "القومية"، وإن الصفة "البروليتارية" لم تتحقق، وأذهب إلى أبعد وأقول، كما سبق وذكرت، إنه لو كانت الحركة شيوعية حقيقة حركة شيوعية، فلم يكن ينبغي أن أجند، لا أنا ولا نبيل الهلالي، ولا علي الشلقاني، إلخ. ذلك أننا، من حيث التركيب الطبقي والاجتماعي، أعداء طبقيون لهذه الحركة. ولكن أتوا بنا لأغراض أخرى، ولأن الإنسان، خلافا للحيوان، لديه القدرة على التحليل والتجرد عن الذات، ويتعين عليه أن يرى موقعه متجردا من مصلحته الشخصية، وهذا مفترض في المثقف. فلا مهرب من إدراك أنه لا توجد حتمية أن تكون الحركة الشيوعية هي وفق ما هو يتعين عليها أن تكون، من الوجهة النظرية المجردة.

حل الحزب، كيف تم؟ وأسباب أزمة الحركة

حل التنظيم كان صفقة بين عبد الناصر وخروتشوف. هذا رأيي. وهناك قرائن قوية على ذلك، حتى مع افتراض عدم وجود أدلة قاطعة:

أولاً - بعد خروجنا من السجن في ١٩٦٤، وجدنا أننا نحن الشيوعيين المصريين، لم نكن وحدنا الشيوعيين الذين حلوا الحزب، بل كان هناك أيضا على المستوى العربي الحزب الشيوعي الجزائري. ثم طبق هذا فعلاً في كوبا- كان كاسترو والثوار المنتمون إلى حركته وطنيين، وحل الحزب الشيوعي نفسه ونصب كاسترو نفسه زعيما له. ولم يكن كاسترو شيوعياً إلا أنه سمى نفسه شيوعياً.

ثم كانت هناك - ثانيا- نظرية المنظر السوفيتي أوليانوفسكي الذي ظل ١٩ سنة في السجن أيام ستالين، ثم أصبح أحد كبار منظري القيادة السوفيتية أيام خروشوف، وسميت نظريته بـ"الطريق اللارأسمالي إلى الاشتراكية". وكانت الفكرة المركزية هي أن القادة الوطنيين

اليوم أصبحوا بصدد موازين قوى قد تغيرت وأصبحت متاحة لهم فرص تطور لم تكن موجودة من قبل. فإن الاشتراكية صاعدة والرأسمالية هابطة، وإن كثيرا من القوى الوطنية وارد أن تصبح روافد للبلدان الاشتراكية وللقضية الشيوعية. ولا ينبغي للتنظيمات الشيوعية المحلية أن تعوق تطور القادة الوطنيين، وأن تكون مبررا أو سببا فى إشعارهم بأن الشيوعيين ضدهم، ويدينون بالولاء لدولة أجنبية. بل لا بد من تشجيعهم على مواصلة الطريق نحو الاشتراكية. هذا الاتجاه على الشيوعيين تشجيعه بأن يتركوا لهم التنظيم. ففيه مكسب أكثر للأطراف المعنية جميعا، ودور أكثر فعالية للشيوعيين هم أنفسهم.

ومن هنا كانت المشكلة مع خروتشوف حتى أن يخرجوا من السجن بكرامتهم وألا يطالبون باستنكارات. وفجأة تغير الموقف فعلا. وبعد أن كانوا يسألون عند نهاية مدة السجن: "هل أنت ما زلت شيوعيا؟" وإذا أجاب بنعم أو حتى إذا امتنع عن الرد، فكانوا يعاودون إلى السجن، فإن هذا كله تغير فجأة فى أبريل ١٩٦٤، قبيل وصول خروتشوف لافتتاح السد العالى وخرج الكل، مسجونين ومعتقلين، دون ما التفات إلى مدة العقوبة. فكيف يمكن تفسير ذلك؟ لا شك أن هناك صفقة قد تمت على نحو أو آخر.

ثم لا ينبغى النظر إلى فكرة الصفقة على أنها معيبة. فلها تبرير نظرى. ثم كان هناك وقتها انقسام بين حدتو والحزب. والاثنان بعد ثلاثة أشهر من الخروج أقدما على حل الحزب. وحدث فعلاً أن بعض الماركسيين قد احتضنتهم الدولة، ووضعتهم فى مراكز حساسة. بيد أنها كانت مراكز إعلامية ولم تكن مراكز صنع القرار، وإنما مراكز كفيلة بأن تسمع بها السلطة. على أن تقرر هى إن كانت هذه المراكز مقبولة أم مرفوضة. لم يؤخذ أى من الماركسيين فى مركز تنفيذى، بل فقط فى مركز فيها ابداء للرأى.

ثالثا- كلفت فى هذه الفترة من محمد الخفيف الذى كان على صلة وثيقة بزكريا محيى الدين (كان وقتذاك رئيساً للوزراء)، بالاتصال بمكتب رئيس الوزرا، لتقديم كشوفات عن الزملاء العمال الذين لم يكونوا قد عادوا إلى عملهم، ذلك أنه كان هناك قرار بإعادة الزملاء إلى أعمالهم. وكانت الطلبات تصب عندى وأتابع. وكنت أقابل سمير مصلح، مدير مكتب زكريا محيى الدين، بمعدل مرتين فى الشهر أحيانًا. كى نراجع إلى أى حد نفذت لقائمة أم ظلت معلقة.

وفى أول مرة سافرت فيها إلى الخارج، جاءت لى دعوة من تشيكوسلوفاكيا وبولندا. تبلت الدعوة. رفوجئت بتلقى رسالة من رئيس الوزراء، تبلغنى بأن زكريا محيى الدين يطلب مقابلتى. وسألنى: هل أنت مسافر إلى تشيكوسلوفاكيا وبولندا؟ قلت نعم. قال لى: لا أريد منك سوى شيء واحد، وهو أن تبلغهم عن وضعك. ولم أفهم دلالة هذا الطلب وقتذاك. ولكن أدركت فيما بعد. فيبدو وكأنما هناك وعد أو اتفاق ما. وها هو أحدهم (أنا) بوسعه أن يشهد، وأن يبلغكم بنفسه حقيقة أوضاعهم.

وعندما ذهبت لبراغ، كان نورى عبد الرازق يتقلد هناك منصب الأمين العام لاتحاد الطلبة الديموقراطيين (وهو الآن سكرتير عام منظمة التضامن الأسيوى الأفريقى). فجمعنى نورى ذات يوم على الغداء مع عزيز الحاج، أحد كبار مسئولى الحزب الشيوعى العراقى وقتذاك (تخلى عن الحزب فيما بعد، وكان منذ وقت قريب مندوب العراق فى اليونسكو، ممثلا لصدام حسين!). وقال لى عزيز الحاج: كيف تحلون الحزب؟.. وأبدى معارضته بكل حزم، وبحدة.

وحدث وقتذاك أن زرت المجر وبولندا، فضلا عن تشيكوسلوفاكيا. وبصرف النظر عن حل التنظيم، فلقد عاملتنى البلدان الاشتراكية بشرق أوروبا معاملة متميزة.

رابعا- نفس الاهتمام بمصالحة الماركسيين المصريين مع عبد الناصر شهدته القاهرة فى الندوة التى عقدت بـ"الطليعة" سنة ١٩٦٥ بين مجموعتها من الماركسيين ومجلة السلم والاشتراكية فى براغ، وهى مجلة الأحزاب الشيوعية العالمية. وكان معنى ذلك أن موسكو تقول لعبد الناصر إننا نتبنى مجلة " الطليعة"، ونعتبرها مجلة "صديقة"، ونوعا من همزة الوصل بيننا. كل هذا يؤكد أن عملية الحل قد تمت بمباركة السوفييت.

انعدام الديموقراطية

وبالتالي جاز لنا القول، إذا كانت نظريتى صحيحة، إن هناك عملية قد تمت بطريقة غير ديموقراطية، عملية قررت مصير الحركة الشيوعية، دون إشراك كادر الحركة الشيوعية أنفسهم، عملية قدمت لهم على أنها قرار ذاتي.. وأنا شخصيا لم أحضر مؤتمر حل الحزب، ولا أستطيع أن أحكم على تفاصيله، ولكن أعتقد أنه كان قراراً علوياً. وهكذا تكرر، للمرة الثانية (بعد قرار وحدة إيسكرا وح.م. فى ١٩٤٧)، صدور قرار علوى يمس مصير الشيوعيين فى الصميم بطرق غير ديموقراطية.

إن المنطق القائل بأننى أكون أنا "التيار الثورى"، التيار السليم، هو منطق معيب ومنطق أناس هم فى حالة طاعة ولا يستقلون بتفكيرهم ونضالهم. إن النضال لا بد أن يعتى استقلالية الموقف، ووضوح الرؤية، وليس أن يوظف المرء نفسه لدى قيادات تجند، ليعمل لحسابها ومن أجلها. وهذه قاعدة أعم تنسحب على مجتمعاتنا. نجد أمامنا هرما كبيرا هو حزب الحكومة وتحيط به أهرامات صغيرة، وهى، فى أحوال كثيرة، مماثلة للكبيرة، أو صورة مصغرة لها، حتى فى بنيتها الداخلية، وأن الشخص الغيور على استقلا له لا موقع له.

ففى التنظيمات الشيوعية، لم يكن مسموحاً لأحد بالاستقلالية عن التنظيم أبداً ، إلا فى حالات خاصة، نادرة، أنتجتها فى بعض الظروف موازين قوى معينة، وهى دائما ظاهرة مؤقتة فقط، وليس لها ثبات ولا أصالة . فإن الأصالة فقط لرؤوس الأهرامات!

ومن ثم لا توجد ديمقراطية. وعندما تمت الوحدة عام ١٩٥٨، كان المقياس لتقدير وزن المنظمات المختلفة، هو المقياس العددى ،لأنه تقرر أن يكون التمثيل فى اللجنة المركزية بحسب نسبة عدد الأعضاء. فكيف يتم التحقق من هذه النسب؟ هذه كانت مشكلة فى ظل السرية. فتقرر إجراء عمليات تفتيش على العضوية فى القواعد. وفى التفتيش حدث أن نفس الأعضاء يتقدمون أكثر من مرة متنكرين مرة فى صورة عمال، وأخرى فى صورة فلاحين، إلى غير ذلك من الأحابيل. وهى نوعية من الأحابيل لم تكن قطعا مقصورة على الشيوعيين وحدهم.

وعندما جاءت هزيمة ١٩٦٧، ونهض جيل تال من الشباب المناضل، نظر إلى الجيل السابق على أنه قد استسلم لعبد الناصر ويتحمل مسئولية فى الهزيمة. فى نفس الوقت، لم يحظ هذا الجيل بأى تقدير من قبل عبد الناصر. فحتى لطفى الخولى الذى تولى رئاسة تحرير الطليعة قد تعمد الاتحاد الاشتراكى إسقاطه فى انتخابات الهيئة العليا للاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٨، بل حبسه عبد الناصر قبل وفاته، وظل محبوسا هو وزوجته فى عملية تآمرية صغيرة حتى رحل عبد الناصر.

أسباب الطابع الانقسامى للحركة

إن الذى يوحد هو الممارسة حيال جماهير خارجية، ذلك أن الممارسة تنشئ التزاما إزاء هذه الجماهير. ويصبح المرء غير حر فى إحداث انقسامات، وفى تلبية نزعات فردية. إن النضال

ينشئ توزيعا للعمل، ويحمّل الزملاء مهاما وتكليفات واجبة التنفيذ. إن هناك طرفا خارجيا يحاسب، ويراقب، وذا مصلحة في الإنجاز. إنه يلزم بالوحدة. وفي التجارب التي عشناها، لم يكن الأمر كذلك في أحوال كثيرة، بل سادت حالات ثرثرة، وتنظير، وحفلات.

وهذا هو سبب الانقسامات، لأنها انطلقت من تلبية رغبات أفراد ولم تكن تلبي مقتضيات حركة اجتماعية موضوعية صاعدة من أدنى. إن الانقسامات تتفشى في جو غابت عنه ضوابط حاكمة، أو حركة جماهيرية ملزمة.

ثم من أسباب الانقسامات ظاهرة جديرة بالتأمل، ذلك أن أغلبنا ينتمي إلى أكثر من طبقة. فإن الآلية المجردة كما شخصها وعرفها كارل ماركس عن فكرة "الصراع الطبقي" هي عبارة عن نموذج مثالي حيث يكون العامل ١٠٠٪ عاملا، والرأسمالي ١٠٠٪ رأسماليا. وفي حقيقة الأمر، فإن المجتمع ليس هكذا. إن هذا تبسيط بغية تفهم الآليات. لكن واقع المجتمع أن كل إنسان ينتمي إلى أكثر من طبقة في آن واحد، ودون أن يدرك ذلك في أغلب الأحوال.

فأنا أتحرك محكوماً بعدد من المواقف الطبقية التي كثيرا ما تكون متعارضة في نفس الوقت. فينتهي الأمر بأنه إذا كنت أنا أجسد أكثر من طبقة، فمن الممكن أن تكون المصالح متضاربة داخلي، وبدلا من أن يكون الصراع الطبقي بيني وبين غيري، يمكن أن يكون بيني وبين نفسي! بهذه الصفة يتمثل الصراع الطبقي في صورة صراع نفسي، بمعنى أن الفصل المطلق بين الصراع النفسي والصراع الطبقي هو ضرب من ضروب التبسيط المخل.

بالنسبة للزملاء الذي من المهم الحصول على شهاداتهم

أنا أزعم أنني من الناس المتحررين أكثر من غيري في النظرة إلى الماضي نظرة نقدية. وأعني بذلك أن كثيرين ما زال لديهم الإحساس بأنهم يخونون شيئا إذ ما صارحوا الناس بأشياء دقيقة تعنيهم. والمسألة في الحقيقة ليست بسيطة، وليست هي ترضية أو مجاملة لأناس بالذات. ويشعر المرء أحيانا أنه يأخذ مواقف، ويعرف أنه يغضب أناسا أعزاء. ولا يريد أن يغضبهم، ولكن هناك حاجة للمصارحة والشفافية.

ويعتبر نبيل الهلالي، في تقديري، أكثر الناس احتراماً في الحركة الشيوعية على وجه الإطلاق. فلديه حس راق جداً واستقامة يندر أن يرى المرء مثلها. ثم أرى أهمية أخذ شهادة

إسماعيل صبري عبدالله، وأبوسيف يوسف، وكمال عبد الحليم، ومحمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، وشحاته هارون، وإبراهيم فتحي، فإن كل هؤلاء، على تنوعهم، بوسعهم تقديم شهادتهم بالغة الأهمية. وللأسف هناك أيضا شهادات كان ينبغي جمعها من آخرين رحلوا.

وباعتبار أن هذه شهادات في النهاية، وليست تبنيا لرأي، لذلك أرى أنه من المفيد أن ينظر إلى رؤى الناس، مفصولا عما كيف ينبغي تقييم هذه الشهادات، حتى من جانب أطراف أصبحت معادية.

وقد قدمت شهادات لأكثر من باحث خارجي، أتذكر منهم باحثة يسارية أمريكية في مجموعة MERIP أخذت مني شهادة لرسالة دكتوراه كانت تعدها وقتذاك في هارفرد. ولم تشمل شهادتي كثيرا مما أوردته هنا. كان ذلك منذ حوالي ١٥ سنة، في ظروف مختلفة نوعيا. ثم هناك جويل بنين أثناء إعداده لكتابه. وأنا ما زلت أريد أن أعدّ كتابا عن مذكراتي. وما زلت عاجزا عن تنفيذ هذا المشروع، لأسباب قد تكون طاغية ولكن ليست قطعا مبررة.

قائمة بالأعضاء المؤسسين

أحمد نبيل الهلالى
إسماعيل عبد الحكيم
بشير السباعى
خالد حمزة
داود عزيز
رمسيس لبيب
سعد الطويل
سمير أمين
سيد العشماوى
سيد عبد الوهاب ندا
شريف حتاتة
شكرى عازر
صلاح العمروسى
طاهر البدرى
طه سعد عثمان

عبد الخالق الشهاوى
فاطمة زكى
فتح الله محروس
فخرى لبيب
فوزى حبشى
مبارك عبده فضل
محمد الجندى
محمد فخرى
محمد قناوى
محمد مستجير مصطفى
محمود أمين العالم
محمود العطار
مصطفى طيبة
نبيل صبحى
نجاتى عبد المجيد

مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء الرابع

أديب ديمترى — أمينة رشيد — بهيج نصار
جمال البراد — حمزة البسيونى — شحاتة عبد الحليم
فؤاد مصطفى — متولى السلماوى — محمد شريف
معروف عبد الحميد — نبيل قرنفلى

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

هنا هو الجزء الرابع من شهادات ورؤى رفاق الحركة الشيوعية المصرية بمختلف فصائلها التى تقوم على إعدادها "لجنة توثيق الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥".

وليست هناك أهمية معينة أو وضعية خاصة تميز الشهادات التى صدرت فى الجزء الأول عن الشهادات التى صدرت فى الأجزاء التالية وتصدر تباعا فيما بعد كما تأمل اللجنة. ذلك أن هذا الترتيب فرضته ظروف إعداد الشهادات بمعرفة أصحابها. وقد لا يعلم القارىء مدى المعاناة التى تواجهها اللجنة فى السعى وراء الرفاق لتشجيعهم على تسجيل شهاداتهم للتاريخ ولإجلاء ما يحيط بالحركة من غموض بسبب تبدد الوثائق، وسيطرة وسائل الإعلام البورجوازية على أذهان الناس فى النظر إلى كل ما هو شيوعى، والخلط بين انهيار حكم الأحزاب الشيوعية فى أوربا الشرقية وبين فكرة العدالة الاجتماعية التى حملتها تلك الأحزاب على عاتقها وعملت على التبشير بإقرارها.

ومجموعة الشهادات التى تنشر فى هذا الجزء تمثل رؤى أجيال مختلفة العمر ابتداء من الذين ولدوا فى أول العشرينيات وانتها ء بالذين ولدوا فى نهاية الثلاثينيات. لكن كلاً منهم ارتبط بفصائل الحركة وهو فى العشرينيات من العمر شأن الغالبية العظمى لعناصر اليسار. وتتنوع درجة تعليمهم من التعليم المتوسط إلى التعليم الجامعى وفى مختلف فروع وتخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الأساسية والتطبيقية. كما تتراوح أصولهم الاجتماعية بين شرائح البورجوازية الصغيرة والمتوسطة إلى الأرستقراطية المالية والعقارية؛ مما

يبدد فكرة الربط العشوائى المطلق بين الوضع الطبقى للإنسان وبين انتمائه السياسى وتوجهاته الفكرية، فليس شرطا فى النهاية أن يكون البورجوازى فى زمرة الرأسماليين فكريا وسياسيا. لكن هؤلاء جميعا وغيرهم استقروا فى منطقة اليسار بعد جولات متعددة اقتربوا فيها من مختلف التجمعات السياسية القائمة آنذاك، سواء التجمعات الفاشية التى التحفت برداء الدين مثل جماعة الإخوان المسلمين ومصر الفتاة أو التجمعات التى أخذت صفة ليبرالية.

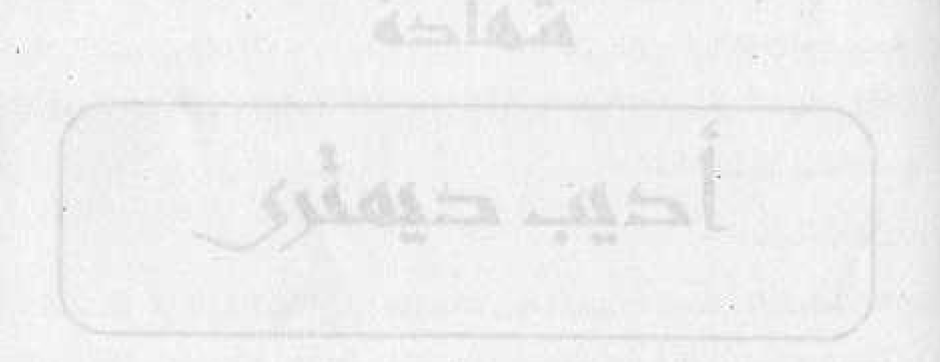
وفى هذه الشهادات معلومات تؤكد بعض ما كتب عن فصائل الحركة الشيوعية، وأخرى جديدة تعكس التجربة الفردية، وثالثة عن طبيعة العلاقات التنظيمية الصارمة والمتشددة داخل الحركة، ورابعة عن تأثير قيادات بعض التنظيمات على توجيه الخط السياسى للتنظيم وخاصة فيما يتعلق بالتحول من وصف حركة الجيش بالفاشية إلى وصفها بالوطنية، وابتداع نهج الطريق اللارأسمالى لتحقيق الاشتراكية لتفسير إجراءات التأميم، وتفسيرات لافتة لمساندة عبد الناصر للأجنحة اليمينية العسكرية فى ثورات التحرر الوطنى. وبعض الشهادات تبين أن الموقف من حركة يوليو ١٩٥٢ كان أحد أسباب انقسام الحركة الشيوعية ثم ذوبانها فيما بعد مع حل المنظمات الشيوعية عام ١٩٦٥ .وفى الشهادات بعض المراجعات حول لماذا كان الإصرار على أن يكون حل الحزب الشيوعى قرارا جماعيا وليس بالأغلبية، ولمصلحة من كان قرار الحل.. وأيهما كان أفضل.. تحالف اليسار مع البورجوازية العسكرية كما عبرت عنه منظمة حدتو، أم التحالف مع الطليعة الوفدية التى تمثل بورجوازية الملاك كما عبرت عنه منظمة طليعة العمال. وجدل آخر حول وضع اليهود فى الحركة الشيوعية بين الوطنية والأممية.

وتلفت بعض الشهادات النظر إلى خطورة الاعتماد على محاضر التحقيق مع المعتقلين الشيوعيين فى كتابة تاريخ الحركة حين تذكر أن المحقق كان يكتب كلاما لم يرد على لسان المعتقل مما يثير إشكالية الاعتماد على المصدر الواحد مهما كانت قيمته الرسمية.

وهكذا فإن المعلومات التى حفلت بها تلك الشهادات وغيرها مما سبق نشره، وما سوف ينشر فيما بعد، تؤكد أن تاريخ الحركة الشيوعية محيط بلا شواطىء وقاع بلا قرار، والإحاطة

به عملية مستمرة.

وأخيرا .. تحية إلى روح المناضل نجاتى عبد المجيد أحد الأعضاء الأساسيين فى لجنة التوثيق الذى رحل دون أن يشهد ثمار جهده فى إعداد هذا الجزء، ودون أن يحتفى به مع رفاق نضاله، ودون أن تسعد تحن بملاحظاته.. وعزاؤنا أن التوثيق مستمر، وهو ما كان يحرص عليه أشد الحرص ويتعجل الانتهاء منه، ولم يكن يدرك أن طائر الموت يحوم حول روحه الطاهرة.



شهادة

أديب ديمتري

البيانات الشخصية

الاســـــــــــم : أديب ديمترى بولس

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٢/٧/٧ - أرمنت، مركز الأقصر

المـــــؤهـــــلات : ليسانس فى الآداب قسم الفلسفة سنة ١٩٤٣.

دبلوم معهد التربية العالي سنة ١٩٤٥.

دبلوم خاص فى التربية سنة ١٩٥٦.

المـــــهـــــنـــــة : مدرس الفلسفة بالخديوية الثانوية سنوات ٤٦-٥٢.

مدرس التربية وعلم النفس بمعاهد المعلمين الخاصة (معهد بورسعيد ثم معهد الزيتون)

فترة السجن والاعتقال : اعتقلت سنة ١٩٤٨ حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠، ثم من منتصف مارس سنة ١٩٥٢ حتى ٢٠ يوليو ١٩٥٢، ثم من ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ حتى ابريل ١٩٥٦، ثم من يناير سنة ١٩٥٩ حتى إبريل سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

من أسرة قبطية، وحسب ما يرويه والدى كانت تقطن فى الأصل فى قرية الضبعة غرب النيل بالأقصر، وكانت الأسرة كلها بالنظام الأبوى تعيش كلها فى دوار واحد، الآباء والابناء والأحفاد، الأزواج والزوجات، الجميع يشاركون فى حياة واحدة . والدوار تحده بوابة تغلق على الجميع بعد العودة من العمل فى الحقول. فقد كانت الأسرة تملك أرضا وتزرعها، حوالى ٥٠ فدانا على ما يرويه والدى. وخلال الحرب الأولى، مع ارتفاع أسعار القطن اغتنى كبيرها كمزارع وأصبح يملك بعدها (٥٠٠٠) فدان وحصل على لقب الباشوية (بولس باشا حنا) ولكن الأسرة حافظت على ارتباطها الأبوى.

رحلت الأسرة وراء أولادها طلبا للتعليم على عادة وتقاليد الأسر القبطية التى كانت ترحل إلى حيث توجد المدارس. فانتقلت من الضبعة إلى الأقصر، ولكنها حافظت على نفس الروابط العائلية. فبدلا من الدوار الواحد الذى تحده البوابة أصبح أفرادها كل يسكن مع زوجته وأولاده فى بيت خاص ولكن يجمعهم جميعًا شارع واحد يكاد مخرجه يشبه البوابة القديمة

فى الضبعة، ويطلق على هذا التجمع من الفيلات أو البيوت الصغيرة اسم «الساحة». ابن الباشا وبناته وأحفاده يسكنون نفس الساحة، ومعهم أولاد العم والخال.. الخ. ويجتمعون فى «العصارى» الجميع يثرثرون أما الباشا فقد بنى لنفسه قصراً على النيل فى الأقصر.

فى هذا الجو الأبوى والأسرة الكبيرة المترابطة كانت نشأتى الأولى.

وكان زوج خالتى قنصل إمبراطورية النمسا والمجر فى الأقصر، على عادة الدول الأجنبية فى عهد الحماية، باختيار قناصل من أهل البلد، وكانت الأقصر فى ذلك الزمان مقصد الأسر المالكة والنبالة الأوربية لآثارها وجوها ... ولم تكن لسياحة بعد شعبية.

وفى بيت خالتى هذا عشت فى بداية حياتى المدرسية فى «التحضيرى» وهو ما يعادل روضة الأطفال. ثم السنة الأولى الابتدائية بمدرسة الامريكان بالاقصر. وأذكر قروانة كبيرة كانت تبس فيها الردة للكتاكيت، وكانت تستهوينى بألوانها ورسومها الزاهية على الوجه الأخر. وفهمت حين كبرت أن هذه القراونة كانت شعار امبراطورية النمسا والمجر، يعلقها القنصل على باب بيته الذى يكاد يكون قصراً صغيراً حوله حديقة واسعة وساقية تروي الجنينة. وعندما مات القنصل قبل مولدى وانهارت الامبراطورية تحول شعار الإمبراطورية إلى قروانة لطعام الكتاكيت!

وكان والدى ووالدتى ابنى عم وكان والدى يعمل ناظر معاون محطة بمحطة الأقصر قبل مولدى، ثم أصبح ناظراً لمحطة أرمنت حيث ولدت ونشأت حتى سن الحادية عشرة. ولكننى لضرورات الدراسة كنت أعيش مع إخوتى وأخواتى فى هذا البيت الكبير خلال العام الدراسى حيث لم يكن بأرمنت سوى المدرسة الأولية.

واشتغل شباب الأسرة بالوظائف الحكومية (الميرى) وفى الأغلب فى الوظائف التى تعمد الانجليز تخصيصها للأقباط مثل السكك الحديدية والبريد والمالية.. وغيرها.. وكانت مؤهلات الآباء تقف تحت الابتدائية أو ساقط ابتدائية، وكان هذا مؤهلاً للوظيفة، أو الكفاءة أو ساقط كفاءة .. وقلما حصل واحد منهم على البكالوريا لعدم توفر المدارس الثانوية فى مدن الصعيد (الجوانى).

ومع انتشار التعليم انتقلت هذه الأسرة الأبوية بكاملها الواحد وراء الآخر بالطبع وراء أولادهم إلى القاهرة حيث الجامعة. والتحق الجيل السابق على جيلنا بالجامعة، ولكن كان اللافت أن هذه الأسرة عندما انتقلت إلى القاهرة سكنت بشبرا، فى بيوت للإيجار فى شوارع

تكاد تكون متلاصقة، فالعائلة رحلت إلى العاصمة ولكنها حافظت على نفس الترابط والتلاصق حتى فى السكن.. أما الباشا فقد بنى قصراً فى العجرزة.

وظل جيلنا على نفس الترابط.. أولاد العم والخال، والخالة والخالات الخ. تدور داخل نطاق العائلة، ويتزوج جيلنا من داخل العائلة نفسها، ماعداى. وبعد الثورة، طبق الإصلاح الزراعى على ابن الباشا وأحفاده، وصودرت مئات الفدادين من أرضهم. ولكن ما أذكره أن أحفاد الباشا وكانوا من جيلى وسنى، وبعد أن عرفوا أننى شيوعى، حسبونى على عبد الناصر عدوهم، ومع ذلك ظلت نفس علاقات المودة الأسرية، فقد تغلبت على الحقد الطبقى. ولا يزال من يعيش من جيلنا سواء فى مصر الجديدة أو الدقى على نفس الترابط الأسرى والعلاقات الحميمة.. وقد هاجر الكثير منهم إلى امريكا وكندا واستراليا، ومن ثم فقد تقطعت هذه العلاقات الأبوية الحميمية فى جيل أولادنا، ولكن ظل هناك خيط من الترابط والتآزر هو البقية الباقية من التراث الأبوى .. ولعله الآن فى طريق الاندثار فى عصر الانفتاح.

حرصت أن أروى هذه التفاصيل حتى أقدم صورة لمصر فى جيل آبائنا الذين عشنا عليهم وفى جيلنا، منذ أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين من بدايته ..وحتى يومنا هذا.

وأحب أن أضيف لاستكمال الصورة حياتى فى قريتى أرمنت التى ولدت فيها وكان والدى كما سبق وذكرت ناظر المحطة فيها. فقد كان الأفندى الوحيد فى القرية، أصدقاؤه العمدة ومشايخ البلد وناظر المدرسة الأولية المعمم، وكان ناظراً ومدرسًا وحيداً بالمدرسة يدرس لمختلف الصفوف. وكان بجوارنا فى قرية أرمنت، نجع النصارى، الذى يسكنه فلاحون ورعاة وحمالون ومراكبية وكذلك صيادون عندما يتحول النجع إلى جزيرة فى وسط مياه الحياض أثناء الفيضان.

وكانت والدتى تتزاور مع فلاحى النجع، وأجلس معهم على الحصير يثرثرون، وكنت أسعد بزيارتهم أو زياراتهن، إلا واحدة، أنكر اسمها «سفينة»، كلما تحضر كانت تمسك بقطة من القطط التى كنت أحبها، وتدفع بها إلى شوال تحمله معها وتعلق والدتى : «مسكينة لا تذوق اللحم» .. وكان من عادة والدى دعوة العمدة ومشايخ البلد وناظر المدرسة الأولية وراعى كنيسة «دير القديس» فى الصحرا، على أطراف القرية فى أول أيام رمضان يتناولون الافطار، وكانوا هم يدعوننا فى الأعياد وعند العودة من الحج، ولايزال طعم لحم الجمل فى فمى، وكنت لا أقوى على قضمه فى طفولتى. كما كنت أزور مع والدى الموالد التى تقام فى القرية أو حولها وأسعد

بالمراجيح والطراطير وملابس أطفال الفلاحين وظهورهم.

كان اقباط القرية ومسلموها نسيجاً واحداً بالفعل، نسج خيوطه عبر التاريخ نساج عبقرى. كنت أشم رائحة المودة والمشاركة فى الأفراح والمياتم، دون أن أعيها .. وقد تنقلت خلال طفولتى المبكرة بين الأقصر وقنا وأسوان، وكان نفس الإحساس.. وغادرت الصعيد سنة ١٩٣٧.

تعليمى :

التحقت بالمدرسة الأولية بأرمنت، وكان ناظرها المعمم هو مدرسها الوحيد يعلم كل الصفوف ، والتحقت فى السنة الأولى الابتدائية بمدرسة الأمريكان فى الأقصر وأقمت مع إخوتى للدراسة فى بيت خالتى فى المنزل الذى سبق وصفه، ثم انتقلت إلى أسوان فى السنة الثانية الابتدائية وأقمت عند عمى، ثم انتقلت فى الثالثة الابتدائية إلى مدرسة إسنا الأميرية عندما عمل والدى ناظرا لمحطتها، والرابعة الابتدائية كانت فى أسوان الأبتدائية الإميرية بعد أن نقل والدى ناظرا لمحطة أسوان.

واذكر أنه فى امتحان الابتدائية سنة ١٩٣٤ كان موضوع الامتحان فى اللغة العربية (الإنشاء)، محادثة بين قطين أحدهما سمين يعيش حبيساً فى بيت ولكنه يشبع، والآخر ضامر يعيش حراً فى الشارع.. واخترت الدفاع عن القط الضامر الحر.. وطالع المراقب فى الامتحان ما أكتب وكان يعرف والدى ، وذهب يعبر عن إعجابه بما كتبت لوالدى، وبالفعل حصلت على ٤٠ درجة من ٥٠ فى اللغة العربية.

وفى الأولى الثانوية، انتقلت إلى مدرسة شبرا الثانوية سنة ٣٤-١٩٣٥ وأقمت عند عمى مع إخوتى فى القاهرة. لأن اسوان لم يكن بها مدرسة ثانوية أميرية. وفى شبرا الثانوية كان ناظرها ابراهيم تكلا بك، وكان مرهوب الجانب من الطلبة، كما كان آخر ناظر مدرسة ثانوية أميرية من الاقباط، وبعدها أصبحت نظارة المدارس الثانوية محرمة على الأقباط، إلى أن جاء طه حسين فى وزارة الوفد الأخيرة سنة ١٩٥٠، وعمد إلى تعيين اثنين أو ثلاثة من الأقباط فى أكبر مدارس القاهرة الثانوية، وكان منها المدرسة الخديوية، وهى المعروفة بأنها فى حى إسلامى ولايكاد يتجاوز عدد التلاميذ الأقباط فيها عدد أصابع اليد الواحدة، وكانت تضم اكثر من ألفى طالب. وكنت حينذاك مدرساً للفلسفة فيها. وكان الطلبة الإخوان قوة بها حيث كان مركز الارشاد يقع خلف الخديوية فى نفس مبنى قسم الدرب الاحمر حالياً، ولم يكتب

الاخوان المسلمون خيراً، وكان أن هجموا على ناظر المدرسة الجديد القبطى بالأسياخ الحديدية وتصدى لهم المدرسون المسلمون والأقباط والطلبة الوفديون والشيوعيون، وأنقذوا الناظر القبطى من أسياخهم.

فى شبرا الثانوية، شهدت أول إضراب ومظاهرات وطنية للطلبة، وكان عام ١٩٣٥ حافلا بالصدامات بين الحركة الوطنية، وفى طليعتها طلبة الجامعة والمدارس الثانوية، وكانت كلها مسيسة.

وفى الثانية الثانوية انتقلت إلى مدرسة الأقباط الثانوية فى أسوان، لأن والدى عجز عن تحمل مصاريف ثلاثة من أبنائه فى القاهرة، رغم أنهم يقيمون فى منزل عمهم. ثم افتتحت فصول ثانوية بالمدرسة الابتدائية الأميرية بأسوان حتى الثالثة الثانوية فانتقلت إليها .. وفى مدرسة الأقباط الثانوية بأسوان شهدت المظاهر الوطنية الثانية. وأذكر أنها كانت ضد تصريحات لوزير الخارجية البريطاني هور، وكانت تهتف «يسقط هور ابن التور» وكانت أسوان مدينة مسيسة تماماً، وقلعة من قلاع الوفد. أذكر بائعة الحلوى أمام المدرسة الابتدائية الخالة أمينة تجلس أمام صندوقها على الأرض ونشترى منها الحلوى بمليم، ويوما رأيتها تهرع فجأة وتترك صندوقها بما فيه من حلوى وتجرى إلى شارع البحر (النيل) تهتف عاش الوفد، عاش النحاس، ويبدو أنه كان فى زيارة للمدينة ورأت موكبه فانطلقت تهتف. كما أذكر وأنا فى الثانية الثانوية بنفس المدرسة عندما أصبحت ثانوية، أن كان هناك طالبا متحمساً لمصر الفتاة ويهاجم الوفد بشدة، وكنت أتصدى له، وأسفه من كلامه .. وكان الصراع وقتها بين القمصان الزرق والسود، عنيفًا ممتداً من القاهرة إلى أسوان. كما أذكر فى دروس التربية الوطنية أن سأل المدرس عن معنى «الحرية» ورفعت إصبعى وأجبت، وكان أن استحسن المدرس كلامى، وفى آخر العام حصلت على (٢٠) درجة من (٢٠) فى التربية الوطنية.

قضيت فى مدينة أسوان خمس سنوات، تمت فيها الصياغة الأولى لمشاعرى الوطنية الملتهبة.. أثناء حرب الحبشة، كما كنا نسميها فى ذلك الحين .. وغزو إيطاليا الفاشية للحبشة وكان قتال الأحباش بأسلحتهم البدائية، ودفاعهم عن وطنهم.. مما أثار موجة من الحماس فى المدينة بأكلمها .. كانت تقدم مسرحيات مدرسية بدائية تشيد بالأوطان والدفاع عنها، وبالأحباش ودفاعهم المجيد عن وطنهم.

وأذكر الحماس الشديد الذى كان يسرى بين جمهور الحاضرين.. كما كنا نتابع الحرب

يوما بيوم.. الامبراطور هيلاسلاسي ومن حوله الرجس، الرأس كاسا وغيرهم.. وكانوا في أعيننا أبطالا. وكان بالمدينة مدرسة إيطالية للراهبات .. وكان قسيسها الراهب من المتحمسين الأشداء لموسوليني وغزو الحبشة، وكنا نتصدى لهم ونجادلهم بحماس ..

وقبلها، وقبل منظر الخالة أمينة وهي تنطلق وتهتف للوفد .. رسب في ذاكرتي حادث لا أنساه، وإن لم أعه وقتها، كان سني حوالي العشر سنوات في إسنا عندما كان والدي ناظراً لمحطتها.. وكان بيتنا، مثل كل بيوت نظار السكك الحديدية يفتح على رصيف المحطة بالنظام الانجليزي .. حتى يتواجد الناظر إلى جوار مكتبة إذا لزم الأمر.

وذات يوم وأنا أقف على الرصيف ، أنتظر وصول قطار الاكسبريس، إذا بالرصيف يفرغ من المسافرين، ويذرعه جبنة وإيابا ضباط بوليس بكروش وعساكر ببنادقهم.. وحول سور المحطة احتشدت جموع غفيرة تهتف ولكنها ممنوعة من أن يتخطى واحد منها الرصيف.

وإذا بالقطار يقف أمام الرصيف ويطل من نافذته رجل لا أعرف اسمه ولا هويته.. وفجأة قفز فارس أسود بحصانه، تخطى سور المحطة وقفز عليه إلى الرصيف وأخذ يجرى بفرسه على الرصيف ويهتف، وبالطبع ارتبك الضباط ذوو الكروش ارتباكًا شديداً وأخذوا يصرخون والعساكر يجرون على طول الرصيف وعرضه.. أما الراكب الذي يطل من النافذة فهو يشتم ويسب «سيبه يا ولد .. سيبه يا ابن... سيبه» كان هو النحاس باشا بشخصه، وبالطبع لم أعرفه، ولكن هذا ما فهمته فيما بعد.. بعد سنين.. كان النحاس في اكسبريس الصعيد في طريقه إلى أسوان، في عهد الانقلاب الدستوري ، وكان وقتها في الوزارة إسماعيل صدقي، كان ذلك حوالي سنة ١٩٣٢ أو ١٩٣٣.. طفل يرقب حرب النجوم!!

ولم يتحمل والدي الإنفاق علينا وقد اقتربنا من نهاية التعليم الثانوي، وهو في أسوان والجامعة في القاهرة وحدها، فطلب النقل إلى بلد قريب من القاهرة . وبالفعل نقل إلى شبين القناطر ناظراً لمحطتها، وكنا نسافر يوميًا بالقطار إلى القاهرة ونعود آخر النهار. وكنت منقولا من الصف الثالث الثانوي إلى الرابع (أو الثقافة). وقدم والدي طلبًا لتحويلي من اسوان الثانوية إلى القبة الثانوية ومعها طلب بالمجانية، وقبل تحويلي ورفض طلب المجانية. فاضطر والدي إلى الحاقي بمدرسه أهلية هي النيل الثانوية بشبرا، وشعرت وقتها بمرارة شديدة أن أحرم من مدرسة أميرية لألتحق بمدرسة أهلية دونها في المصروفات .. ولكن الواقع أن مدرسة النيل الثانوية لم تكن مدرسة أهلية تجارية بالمعنى المعروف في ذلك الوقت، بل

مدرسة تابعة لجمعية تربوية أنشأها فيما يبدو مجموعة من خريجى المعلمين العليا الذين اشتركوا فى ثورة ١٩ ومعظمهم فصل أو اضطر إلى مغادرة البلاد، فأنشئوا هذه المدرسة، ومن بينهم محمد ثابت الرحالة المعروف فى ذلك الوقت والذى سجل رحلاته فى كتب عديدة، وكذلك ناظرها على ما أذكر واسمه سيد باشا (ليس لقباً بل اسماً) وكان فى الأغلب ممن حكم عليهم فى الثورة وأضطر إلى الهرب إلى ايطاليا، وعندما عاد أصبح ناظراً لهذه المدرسة.

ولكن مرارة رفض طلبى للمجانية، واضطرارى للالتحاق بمدرسة أهلية، عمق لدى الإحساس بمرارة الفقر والعوز وتفهم التضحية التى يقوم بها والدى وهو الموظف الصغير لتعليم أولاده، وكان مريضًا بالسكر فلم يكن يعنى بصحته وكان همه أن نكمل تعليمنا. فأحسست بالمسئولية، ولم أغال فى أى طلب خاص بى تقديراً الظروف.

ثقافتى :

لم يكن بالمدارس التى التحقت بها مكتبات أو كتب للقراءة غير الكتب المدرسية، كما لم يكن فى بيتنا سوى الإنجيل وبعض كتب الدراسة الانجليزية لأعمامى فى الأغلب.

أما مدرستى الأولى فقد كانت هى جريدة الأهرام بلاشك. كان والدى يشتريها يوميا، وكنت وأخى نتسابق عند عودته من العمل ربيده الصحيفة، ونتخاطف الأهرام. وكانت صحيفة مدرسة بحق، فيها الأخبار والمقالات السياسية والاجتماعية والأدبية، وفيها أيضاً قصة مسلسلة تنشر يوميا فى أسفل صفحة من صفحاتها. وكنا نقرأها بشغف شديد. وأذكر منها قصة عالمين مخترعين، كل منهما يخترع اختراعا يريد به أن يدمر الآخر، يفاجئه بأحسن منه، وهكذا.. وأرجح أنها هى قصة حرب الأكوان لويلز التى لم أجد فرصة لقراءتها حتى يومنا.

وبعد الاهرام جاء دور سمير التلميذ، وكانت مجلة للتلاميذ ، وأعتقد أنها قامت بدور هام فى تدريب الصغار على القراءة والاطلاع، وكنت أتابع أعدادها بشغف.. كما عثرت فى منزلنا على دائرة معارف وجدى .. وقرأتها من الجلدة للجلدة.

هذا قبل أن التحق بالجامعة... وكانت فى أيامنا جامعة بحق بين سنة ٣٩ تاريخ التحاقنا وسنة ٤٣ تاريخ تخرجنا، كان عميد كليتنا أحمد أمين، وكان الصراع السياسي الداخلي قد انطفأ بالانشغال فى الحرب الثانية وكان جيل الأساتذة فيها هم تلاميذ طه حسين، ولطفى السيد ومنصور فهمى ومحمد عوض محمد وغيرهم من جيل الجامعة الاهلية ١٩٠٨ وكبار

المستشرقين الذين تركوا بصماتهم فى الاستشراق وبعث تراث الحضارة العربية الاسلامية.

كان أساتذتنا فى قسم الفلسفة، هم عبد الرحمن بدوى ويوسف مراد ومصطفى زيور وأبو العلا عفيفى ويوسف كرم.. ومندور والشيخ أمين الخولى وغيرهم..

وكان أستاذنا الرائد بحق هو عبد الرحمن بدوى.. وكان قد عين معيداً بعد تخرجه وكنا أول تلاميذه، نتحلق حوله بعد المحاضرة، هو يدافع بحماس شديد عن الفاشية والمحور ومصر الفتاة.. وعن نيتشه. وبعدها عن الوجودية .. ونحن نرد عليه بمثلها دفاعا عن الحلفاء وعن الديمقراطية وعن الوفد.. ولكنه كان أستاذا جامعياً بحق.

وأرانى متفقًا مع الرفيق نبيل قرنفلى فى مجمل وجهات النظر والتنظيمات التى وردت فى شهادته(١). ولذلك لا أرى ضرورة للتكرار، وأكتفى ببضع ملاحظات وإيضاحات، من خلال تجربتى فى العمل الجماهيرى الذى شاركت فيه.

بداية تعرفى على الماركسيين :

التحقت بكلية الآداب قسم الفلسفة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٩ وفى سنة ١٩٤٠ على ما أذكر، حدثنا زميل عن جمعية فى وسط القاهرة تقدم محاضرات وبحوثًا علمية، وكانت الدراسة فى القسم لا تشبعنا، خاصة فى علم الاجتماع لأن أستاذ الاجتماع ومدرسيه كانوا ينتسبون لمدرسة دركايم، كما كان سلوكه لا يروق لنا، فتوجهنا مع الزميل إلى هذه الجمعية، ووجدنا فيها مجموعة من الأجانب والمتمصرين يتحدثون العربية، بينهم يونانيون وأرمن ولا أذكر مصريين، وكان اسمها «جماعة الدراسات» Groupe Etudes. ومقرها قرب شارع الألفى على ما أذكر. واستمعنا لمحاضرة حول «قضية الفلاح فى مصر» فى الأغلب أو عن موضوع حول مصر، أعقبه مناقشات ومساهمات من الحاضرين. وأعجبنا بالمحاضرة والمناقشات حولها، وكنا شلة فى قسم الفلسفة نسكن متجاورين فى شبرا، نتحرك معا ويقودنا ترام (١٥) إلى الجيزة. وكانت هذه الشلة المترابطة، فى الدراسة والمرح، تتكون من أبو سيف يوسف وعبد العزيز قسطندى (أصبح اسمه بعد ذلك كصحفي عبد العزيز فهمى) وإسحق حنا ومحمد اسماعيل. وواظبنا على الحضور، واستهوتنا الأفكار الجديدة التى كنا نسمعها وكذلك المناقشات الجادة من أجانب ومصريين، وكلها محاولات للتعرف على مشاكل مصر وأحوال أهلها، وأنارت لنا طريقًا لم نكن نعرفه، كما أثارت فينا اهتمامات فكرية وثقافية جديدة.

---

(١) انظر شهادة أ. نبيل القرنفلى فى نفس الجزء من شهادات ورؤى، ويلاحظ أن الزميلين يقيمان فى فرنسا منذ سنوات.

وتعرفنا فى حينها على شخصيتين ظلت صداقتهما صداقة العمر، هما ريمون دويك وصادق سعد. أما يوسف درويش فقد تعرفت عليه فى فترة لاحقة، لأنه كان ينشط فى المجال العمالى. وأحب أن أسجل أن علاقتى بريمون ظلت حميمة فى باريس، رغم اختلافنا اختلافا بيننا فى الرأى السياسى فى بداية وصولى إلى هناك، وكان ذلك بعض تراث «طليعة العمال» فقد كان الحوار والمناقشات التى تجرى بداخلها أحياناً حادة، ولكنها كانت رفاقية على الدوام. ولذلك لم يكن واردا فيها لتفكير فى الانقسام من جانب أى من أعضائها، وظلت أخبار الانقسامات تدور من حولنا ونسمع عنها، ولا تترك فينا أى أثر. أما عن شخص ريمون دويك وزوجته مارجو، ورغم غيبته الطويلة عن مصر بعد أن أقعده المرض العضال، وأصبح عاجزاً عن الحركة حتى داخل بيته، فقد كنت أحس أن مصر تعيش فى أعماقه، وفاجأنى فى أيامه الأخيرة بسؤال عجبت له. سألنى عن السفر إلى مصر، وأى شركات الطيران أفضل، وعجبت بينى وبين نفسى، كيف يفكر فى السفر وهذا حاله. وأحسست وقتها أن النهاية قد قربت.. وأنه يحلم بأن يدفن فى ترابها، وظلت أفضل هدية نقدمها له مى طبق فول أو طعمية .. حتى أن مذاق طعامهما ظل فى فمه لآخر لحظة.

وبعد انتهاء الحرب أسست نفس المجموعة «الفجر الجديد» وكان مقرها على ما أذكر فى حى الفوالة الشعبى قرب ميدان الأوبرا ومعها «دار القرن العشرين» للنشر والتوزيع وكان مديرها ريمون دويك. وكنا نلتقى فى الفجر الجديد، البعض منا يشارك فى التحرير، أما بالنسبة لى فقد شغلت بمواصلة الدراسة فى معهد التربية، ولكننى ظللت على اتصال دائم بها حتى إغلاقها والقبض على محرريها فى حملة صدقى سنة ١٩٤٦ وتعرفت من خلالها على شخصيات بارزة منها أحمد رشدى صالح وعلى الراعى ونعمان عاشور، ولابد أن يذكر لرشدى صالح ريادته فى ميدان الفولكلور المصرى، فهو مؤسس المدرسة المصرية فى الفلكلور، وكتابه من جزئين يظل علامة فى هذا الطريق، وكان هذا التوجه فيما أعتقد جزءاً من التوجه العام لمجموعة الفجر الجديد نحو دراسة الواقع المصرى وفهم مشاكله، ولاشك أن تاريخ مصر وأدبها الشعبى يمثل ركنا هاماً فى فهم هذا الواقع ودراسته. وكذلك كان اهتمام نعمان عاشور بالجبرتى، وعلى الراعى نحو دراسة تاريخ الفن المصرى فى خيال الظل وغيره، جزءاً من التوجه العام لهذه المدرسة.

وكنا بالطبع نسمع عن جماعات أخرى للدراسة والبحث، ولكنها اقترنت فى ذهننا بحكايات عن تجاوزات تجرى بداخلها لا تتفق مع تقاليد الشعب المصرى، وتلك ما أبعدنا عنها منذ

البداية.

خط د.ش ثم «طليعة العمال» حتى إعلان حزبها «ع.ف»:

وهى الأسماء التى تعاقبت على نفس المنظمة فى مراحلها المختلفة. كان خطها ثابتًا فى التحالفات، وأساسه التحالف الوطنى الديمقراطى، وهو ما كان شائعا فى الأدبيات الماركسية، ولدى التنظيمات الأخرى أيضاً. ولكن تميز طليعة العمال فى هذا المجال، كان فى ثبات الربط بين القضية الوطنية وقضية الديمقراطية واعتبارهما وجهى عملة واحدة، وأى فصل بينهما كفيل بتدمير العملة ذاتها. ولذلك كان توجهها فى العمل الجماهيرى - بعد العمال - نحو الجماهير الوفدية باعتبارها قاعدة النضال الوطنى الديمقراطى المنحدر من ثورة ١٩ وما قبلها.

أثمر تركيز العمل فى وسط الجماهير الوفدية فى النهاية ما سمى «بالطليعة الوفدية» بين شباب الوفد. وقد اتهمت المنظمة في حينها من البعض، بأنها تحولت إلى جناح يسارى فى الوفد، وفقدت بذلك صفتها الطبقية «كتنظيم ماركسى» وذابت فى الوفد.

وانطلاقا من مفهومها الوطنى الديمقراطى كان موقفها الثابت أيضًا برفض التعاون أو التحالف مع أى من الاجنحة اليمينية فى البورجوازية الوطنية، بدءًا من الفاشية الصريحة فى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والداعين إلى المستبد العادل، حتى الجناح اليمينى فى أحزاب الأقلية وفى حزب الوفد. وهذا ما ميزها عن قيادة حدتو والحزب الشيوعي المصرى (الراية) اللذين شاب تحالفاتهما الكثير من التردد بين هذه الأجنحة، والتحالف أحياناً أو الدعوة للتحالف حتى مع الحركات الفاشية الصريحة واليمينية المتطرفة فى الاخوان المسلمين، وهو ما أوضحه الرفيق نبيل قرنفلى فى شهادته.

على سبيل المثال موقف الراية الصريح من الوفد، والذى لم يميز بين بعض قياداته اليمينية وجماهيره الواسعة، ودعوته للتحالف مع الاخوان المسلمين، وكذلك موقف قيادة حدتو في قمة صعود الحركة الوطنية سنة ٤٦ من محاولاتها الدائبة لجذب الاخوان المسلمين للتحالف الوطنى، بدعوى جذب جماهير الاخوان المخدوعة، وهو مالم يُجد، وظل الاخوان على موقفهم الثابت من الشيوعيين والتقدميين والطليعة الوفدية وحزب الوفد.

وبعد الثورة كان تأييد قيادة حدتو المطلق ودون شروط للثورة منذ لحظتها الأولى، وقبل أن تتكشف خطوطها واضحة بالنسبة لقضية الديمقراطية والحزبية والحريات الديمقراطية. وكذلك

موقف بعض القادة الكوريليين فى حدتو من أحداث كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى، ولا يغير من الأمر شيئاً موقفهم بعد أن تكشفت الجريمة وأبعادها .. وكان هذا الخطأ من القيادة الكوريلية سواء قبل الثورة أو بعدها يتعلق بقضية الديمقراطية بدورها فى التحالف الوطنى، ومدى ضرورتها كشرط لهذا التحالف. كان هذا الخطأ ينبع من مفهوم خط القوات الوطنية الذى يجنح إلى تحقيق أوسع تحالف وطنى بصرف النظر عن مكوناته وجوهره، وقد وصل هذا الخط إلى قمته بعد حملة يناير - مارس ١٩٥٩ وموقف قيادة حدتو من عبد الناصر ونظامه، وتأييدهم له دون شروط داخل السجن والمعتقلات، ومهما كانت الضربات التى يوجهها لديمقراطية.. ووصل بعدها هذا الموقف إلى عنان السماء بالدعوة إلى الحل، وكانت المبادرة منها، وكان الذوبان فى الاتحاد الاشتراكى بصرف النظر عن طبيعته الاستبدادية المعادية للديمقراطية. وشارك مع قيادة حدتو الكوريليين فى هذا التوجه قيادة الحزب الشيوعى المصرى، التى تصدرت أيضاً الدعوة إلى الحل والذوبان فى الاتحاد الاشتراكى.. ولا يغير من هذه الصورة فى شئ انزلاق الجميع بعد ذلك إلى نفس المصير، ما عدا قلة وفى قواعد الشيوعيين خاصة.

كان هذا الجوهر والشرط الديمقراطى للتحالف الوطنى هو ما يميز خط طليعة العمال، سواء عن خط القوات الوطنية أو خط المصرى عن البرجوازية من النوع الجديد.

وفى تقديرى أن هذا الموقف الثابت، فكرا وممارسة، من الديمقراطية كشرط أساسى للتحالف الوطنى، ووضع الديمقراطية فى قلب العمل الثورى وكأداة أساسية من أدواته لا يمكن التخلى عنها بحال، هو من أهم الإسهامات والإضافات للفكر الماركسى، فى إطار العلاقة بين الماركسية والديمقراطية، وبشكل أكثر تحديداً بين الحريات الديمقراطية الليبرالية المكتسبة، والديمقراطية الثورية بأبعادها الطبقية والاجتماعية الراديكالية. وهى علاقة، رغم وضوحها القاطع فى الفكر الماركسى اللينينى، شابها الالتباس والغموض والتورط فى الأخطاء الجسيمة، حتى على المستوى الأممى إلى حد إهدار الحريات الأساسية فى الممارسة والتطبيق، والتى قادت إلى الكوارث التى حلت بالمعسكر الاشتراكى، وكانت الماركسية اللينينية بريئة منها تماماً.

ولنزيد الأمر وضوحاً وتحديداً نقول: ولد الجيل الوسط من الماركسيين المصريين، بوجه خاص ووراءهم تراث عريق من الفكر الليبرالى، ومفاهيم الحريات الديمقراطية الليبرالية، امتدادا من رفاعة الطهطاوى، إلى الحزب الوطنى الذى قاد الثورة العرابية ودستورها

الليبرالى، ثم تلتها ثورة ١٩ ودستور ٢٣، وانطلاقًا منها كانت نضالات الوفد الممتدة فى مواجهة السراى ومن أجل الدستور، هذا التراث الذى لا يقارن به أى من البلاد العربية أو بلدان شرق أوروبا التى قامت بها النظم الاشتراكية، وروسيا نفسها حتى ثورة اكتوبر. ويكاد هذا التراث فى مصر يقف فى مصاف التراث الديمقراطى الليبرالى فى بلدان الغرب الرأسمالية، رغم كل الإحباطات التى صادفها هذا الفكر فى مصر ولأسباب كلها كانت خارجه عن إرادة الشعب المصرى.

وكان تعلق الفلاح المصرى الأمى، ولا أقول جمهور المثقفين فحسب، بالحريات الديمقراطية ودفاعه عن الدستور، وما سجلته نضالات الجماهير الشعبية خلال الثلاثينيات والأربعينيات، ضد حكم صدقى وأحزاب الاقلية، وخلده عبد الرحمن الشرقاوى فى رائعته «الأرض»، وبالطبع يأتى أدب نجيب محفوظ وعظمة روايته الأدبية لهذا التاريخ فى المقدمة.

ولد جيلنا ووراءه كل هذا التراث فكراً ونضالا لا ينقطع، وكان علينا المضى به قدماً، وإكماله، والارتفاع به إلى مستوى المرحلة الثورية الجديدة. وكان فكر ماركس وموقفه من هذه القضية لا لبس فيه. فقد احتفى ماركس بالثورات البرجوازية الليبرالية، ثورة ١٨٢٠ وثورة ١٨٤٨ المحبطة، وأشاد بالمدى الذى وصلته فى كميونة باريس، التى لم تتنكر للحريات الليبرالية فى شئ، بل زادتها عمقا وتجذيراً وراديكالية، فلم يكن وارداً فى فكر ماركس ومن بعده لينين، أن الديمقراطية الثورية تعنى الارتداد أو التنكر للحريات الليبرالية، التى جاءت بها الثورات البرجوازية التاريخية. بل اعتبرها مكاسب للجماهير الشعبية، يتعين التمسك بها والانطلاق منها. فالعلاقة بين الديمقراطية الليبرالية وحرياتها الأساسية، والديمقراطية الراديكالية فى فكر ماركس ولينين، هى علاقة جدلية، علاقة نفى النفى، بمعنى أن الديمقراطية الاشتراكية تنفى الديمقراطية الليبرالية، ولا تلغيها، بل تعلو بها إلى المركب الجديد وهى الديمقراطية الاشتراكية. أى دفع الديمقراطية الليبرالية وإعطائها بعدها الاجتماعى والطبقى، دون التنكر بحال لأى من حرياتها الأساسية، التى اعتبرها الفكر الماركسى كما سبق وذكرنا من منجزات البرجوازيات الصاعدة، ومكتسبات الشعوب والطبقات الشعبية.

هذه القضية، قضية العلاقة بين الاشتراكية والديمقراطية، بين البناء الاشتراكى والحريات الديمقراطية، وبين النضال من أجل الاشتراكية والنضال الديمقراطى، كانت ولاتزال محل جدل وخلافات شديدة وانقسامات، خلال تاريخ الاشتراكية، وفى الدولية الثانية، والدولية الشيوعية،

ليس هنا مجاله. ولكنه ازداد أهمية وإلحاحا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى، بما تكشف من ممارسات، لا نقول خاطئة، بل كارثية، ولم نكن نعلم عنها شيئا بالطبع، إلا من خلال كتابات من كانوا يسمون بالمنشقين، وهذه كانت من البداية مرفوضة من جانبنا أصلاء ولكن الحقيقة التى تكشفت بعد انهيار المعسكر الاشتراكى كانت أبعد بكثير مما كنا نجمله ونبسطه فى الستالينية، وكان الجميع يدينها، كانت تتعلق بجوهر الفكر والممارسة بجوهر العلاقة بين البناء الاشتراكى والديمقراطية، وفى المعسكر الاشتراكى بمجمله.

تعود هذه القضية اليوم بقوة ويزخم أشد فى الجدل الدائر فى أوساط اليسار والأحزاب الشيوعية الغربية بوجه خاص، وهى تتصدى لإعادة بناء فكرها واستراتيجياتها فى هذه المرحلة. وفى هذا الإطار تبدو أهمية التأكيد على الإنجاز الذى حققته طليعة العمال، فى الفكر والممارسة فى الواقع المصرى بالنسبة لهذه القضية، وأهمية الانطلاق من تراثنا الديمقراطى. وإغنائه لا التفريط فيه.. ولا يعنى هذا بالطبع إنكار دور التنظيمات الشيوعية الأخرى، سواء قيادة حدتو أو المصرى فى النضالات الديمقراطية فى مصر. فنضالات الماركسيين المصريين وتضحياتهم الجسيمة، بمختلف فصائلهم وتنظيماتهم لا يستطيع أن ينكرها أحد. ولكننى أعنى، فى إطار الفكر والممارسة فى هذه القضية، كان الالتباس قائما، والرؤية الضبابية غالبة، وتمثلت فى المواقف السياسية الخاطئة أو المترددة التى سبق ذكر أمثلة منها، سواء قبل ثورة يوليو أو بعدها..

طبيعة قيادة كورييل داخل حدتو :

وفى هذا أتفق مع الرفيق نبيل قرنفلى فيما جاء فى شهادته، وتوصيفه لها بالهيكل الكورييلى تشبها بالهيكل العظمى داخل الجسم.

وأحب بادئ ذى بدء أن أسجل، أننى لم أعرف كورييل شخصيًا، ولم التق به، وهو من الشخصيات التى يحيط بها الكثير من الغموض، وتتضارب حولها الآراء خاصة فى الخارج، حيث عاش وكان له حضوره السياسى. وكذلك أيضا بالنسبة لموقفى من الحلقة المصرية التى التفت حوله وتعلقت به، فاننى لا أحاول أن أغمط من شأن أحد فيها، أو التنكر لتضحياتهم، وإنما هو خلاف فى الفكر والممارسة والسلوكيات لا أكثر.

وانطلاقًا من هذا التنويه الضرورى، واعتماداً على تجربتى الخاصة فى العمل الجماهيرى الذى شاركت فيه، سواء العمل النقابى أو السياسى أو السلامى، ومن خبراتى الشخصية مع

أفراد من هذه المجموعة الضيقة التى التفت حول كورييل وتعلقت به، أرى أنها حلقة بالغة الضيق، أقرب إلى توصيفها «بالنحلة» أو «الطريقة» Secte تستلهم زعيمها « شيخ الطريقة» Gorou ولا تقف عند حدود «عبادة الفرد» التى كانت شائعة فى التنظيم الشيوعى فى مصر والخارج أو الستالينية، بل تتعداها إلى الاستلهام الروحى، والركون الى صاحب الوحى والسطوة فيها.. كما درجت هذه الحلقة على تسمية نفسها باسم «حدتو» وكانت تتماهى دائما فى هذا التنظيم «الأم» كما كانت تطلق عليه أحيانًا، وهذا غير صحيح على إطلاقه.. فتنظيم حدتو أوسع بكثير، وانقسم إلى تنظيمات وحلقات تجاوزت بكثير هذه الحلقة الضيقة، بالغة الضيق، حتى ولو كانت هى التى أنشأته فى الأصل، وسيطرت عليه من أعلى بفكرها وممارساتها وسلوكياتها الأبوية والقبلية فى أحيان كثيرة . فتنظيم حدتو تنظيم واسع يضم عدداً كبيراً من الماركسيين المخلصين والمناضلين الأشداء. كانت لى صداقات حميمة ولا تزال مع البعض منهم أحياء وأمواتا. وأذكر على سبيل المثال والحصر المرحوم زكى مراد، والمحسوب تاريخيا على هذا التيار، ولكننى أعتقد أنه كان له من نضاليته وأخلاقه وشارعيته، ما لوكتب له العمر، لاختط طريق المناضل الراحل شيخ العرب محمد على عامر فى استقلاليته، ولذلك كان موت زكى مراد المفاجئ خسارة جسيمة للحزب الذى ساهم فى ولادته.

كان دأب هذه «الحلقة» «النحلة» أو «الطريقة» على الدوام، وفى كل تاريخها، السعى بلا كلل للسيطرة والانفراد بالسلطة داخل أى تنظيم أو حزب وجدت فيه. وممارساتها فى سعيها هذا الدوب، كما فى فكرها وسياساتها وسلوكياتها، براجماتية تمامًا، تلجأ إلى كل الأساليب والوسائل الأخلاقى منها وغير الأخلاقى، «القبلى» دائما و«النفعى» أحيانًا، إذا اقتضى الحال، وكان شعارها على الدوام «اللى تكسب به العب به»!! ولذلك فهى فى تقديرى، بخط زعيمها وشيخها «خط القوات الوطنية»، كما فى ممارساتها السياسية وسلوكياتها، أقرب إلى أن تكون فصيلاً يساريا فى البرجوازية الوطنية.

أما بالنسبة لتنظيم حدتو على اتساعه، فكان له حضوره البارز وسط الجماهير، كما كان له إنجازاته الهامة. ولكن بحكم سيطرة الحلقة الكورييلية معظم الوقت، فقد غلب على سياساته ومفاهيمه خطها اليمينى. وكذلك كانت قاعدته المتسعة هلامية لا تتوفر لها صفات التنظيم اللينينى الحديدية. فقد تجمع فيها عدد كبير من رفقة الطريق. ولذلك سهل على الأجهزة اختراقه، كما تميز بالتمدد الواسع مع صعود الموجة الثورية، والتقلص والانكسار إلى حد التلاشى مع جزرها.

قضية الكفاح المسلح فى القناة سنة ٥١ – ٥٢ :

وقد أشار الرفيق نبيل ترنقى فى شهادته إلى أن المشاركة فى هذا الكفاح المسلح، أو ما سمى فى حينها «بحركة الفدائيين» من جانب طليعة العمال جاء متأخراً بعد تردد.

وأذكر المناقشات التى دارت داخل التنظيم وقتها، وكذلك كان يزاملنى فى تلك الفترة صادق سعد فى التدريس بالمدرسة الخديوية، أنا مدرس الفلسفة، وهو مدرس للغة الفرنسية، بعد أن أبعدته الأجهزة عن العمل وسط العمال بحكم مؤهله كمهندس. وبالطبع كانت علاقتى به أقدم، تعود إلى بداية الأربعينيات، كما ذكرت سابقًا، فى «جماعة الدراسات» وفى الفجر الجديد. وأذكر المناقشات التى دارت بينى وبينه فى المدرسة الخديوية، وكان وقتها فى قيادة التنظيم. وكانت الخديوية كشأن المدارس الثانوية الكبرى فى القاهرة فى ذلك الوقت، مركزاً هاماً من مراكز الحركة الوطنية الطلابية، وقياداتها من جميع الفصائل والانتماءات امتدادا من الشيوعيين إلى الوفديين والطليعة الوفدية إلى الاخوان المسلمين إلى البوليس السياسى، وكانت المدرسة تموج بالثورة والدعوة إلى التطوع والتعبئة والانضمام إلى حركة «الفدائيين». ومن خلال مناقشاتى معه، كان صادق يقدم دائمًا قضية الديمقراطية فى الداخل وتشديد النضال من أجلها فى نفس الوقت كشرط ضرورى لحماية ظهر المقاتلين، خاصة وأن وزير الداخلية فى الوزارة الوفدية، فى ذلك الحين، كان فؤاد سراج الدين باشا الإقطاعى، وكان جناحه اليمينى فى قيادة حزب الوفد يغلب سياسة المهادنة مع السراى، ويسعى إلى قمع الحركة الوطنية، خاصة الطلابية، ويعطل حركة الفدائيين، بإلقاء عبء القتال على قوات الأمن فى القناة. أما حجته الثانية التى أذكرها، فهى ضرورة أن تتوافر للكفاح المسلح بمعناه الماركسى المعروف، قواعد فلاحية واسعة، وكان الشيوعيون بجميع تنظيماتهم يفتقدونها فى مصر عموما، وفى منطقة القناة بصفة خاصة. فهى التى تقدم للكفاح المسلح قاعدته وعمقه الشعبى، وإلا تحول إلى عمل من قبيل ما قام به الإخوان المسلمون فى فلسطين وبعدها فى القناة.

ورغم كل هذه الحجج، فقد انخرط التنظيم فى الحركة المسلحة بدفع من قاعدته الشعبية، وإن جاءت مساهمته متأخرة. وقد كشف تطور الأحداث وجاهة الرأى الذى كان يعبر عنه صادق سعد. فما إن احترقت القاهرة بتدبير من السراى والانجليز، وأعلنت الأحكام العرفية، وطرد الوفد من الوزارة، حتى اعتقل جميع الفدائيين عن بكرة أبيهم!! وانهارت حركة الفدائيين

التى افتقدت أساسها الشعبى.. وعندما اضطرت «حركة يوليو ٥٢» (قبل أن تتحول إلى ثورة) أثناء تعثر المفاوضات مع الانجليز، إلى اللجوء إلى نوع من الكفاح المسلح، حرصت فى نفس الوقت على إبعاده عن الجماهير تماماً، وحصرة فى إطار قوات الجيش.

قضية الوحدة :

تميز تنظيم طليعة العمال - منذ منشأه - بالحذر الشديد ولكن هذا الحذر، لم يؤد به إلى الانغلاق والعزلة عن الجماهير، بل على العكس نجح، بفضل خطه السياسى والجماهيرى السليم فى أن يخلق له قواعد راسخة فى الطبقة العاملة، وبين جماهير الوفد خاصة الشباب فى «الطليعة الوفدية» وكذلك فى الحركة الطلابية. وكان على حق تماما فى حذره وصرامته التنظيمية تجاه قضية الوحدة. فقد كانت الحركة الماركسية تموج بالتنظيمات التى تتوحد ولا تلبث حتى تنقسم، ثم تعود إلى التوحد، وهذه فى ذاتها كانت تقدم للبوليس السياسى فرصة التسلل والتغلغل داخل هذه التنظيمات. ولذلك تعرضت كل هذه التنظيمات دون استثناء، لضربات بوليسية قاسية، طالت قياداتها مثلما طالت قواعدها. وامتلأت بهم السجون نتيجة التسيب التنظيمى الذى اقترن بالضرورة بخطوطها اليمينية أو المغامرة، ونجت منه «طليعة العمال» بفضل تنظيمها اللينينى «الحديدى» كما سبق القول وخطها السياسى والجماهيرى، وبذلك تحقق لها نمو متواصل وهادئ لا تعكره صراعات لا مبدئية أو انقسامات، ولا اختراقات بوليسية. وكنا فى عملنا الجماهيرى نتحرك يملؤنا شعور بالثقة والاطمئنان لأن ظهورنا محمية تنظيمياً.

ولكن وبعد أن اجتازت المرحلة الأولى من حياتها بنجاح، مرحلة بناء تنظيمها وخطها السياسى والجماهيرى، وأرست لها قواعد جماهيرية حقيقة وواسعة، وكان الحذر التقليدى الذى لازمها إلى حد الانغلاق التنظيمى خلال هذه المرحلة مفهوما ومبرراً بل وضرورياً .. أقول بعد اجتياز مرحلة التأسيس والبناء هذه بنجاح يثور سؤال : كيف لم تقبض هذه المنظمة بقوة على قضية مركزية وجوهرية، قضية الحزب والوحدة.. فلا ثورة دون حزب قائد بداهة، ولا حزب فى الواقع المصرى دون التصدى لقضية الوحدة..؟

لم يكن السبب على الإطلاق ما أشيع حولها عن إيمانها، «بالنمو الذاتى» . فلا أذكر خلال كل مراحل هذا التنظيم من (د ش) إلى (طليعة العمال) إلى (ع ف) والتى عشتها كلها، لا أذكر

أن طرح ولو مرة هذا المفهوم، لا بهذا العنوان، ولا بمضمونه.

كما لم يكن وارداً أن يسقط تنظيم طليعة العمال فى الوهم الذى سيطر على (م ش م) على سبيل المثال، والمفهوم الانطوائى الانعزالى بأنها التنظيم الشيوعى الوحيد، وكل من خارجها بوليس!! فمثل هذا المفهوم الانعزالى كان غريبًا عن «طليعة العمال» قيادة وقاعدة، بحكم جماهيرية الغالبية الكبيرة من قادتها وقواعدها، وهم يلتقون يوميا فى ساحات النضال السياسى والنقابى، مع رفاق من تنظيمات أخرى، قد يكون لهم رأى فى سياساتهم، ولكنهم ماركسيون ومناضلون مثلهم أو اكثر. فكيف يطرأ على أذهانهم هذا الوهم.. أو يغيب عنهم أن هناك ماركسيين آخرين ومناضلين صادقين أعضاء فى التنظيمات الأخرى ويتعين أن يبحثوا عن طريق للوحدة والتوحد معهم فى حزب واحد؟!

ما أذكره من هذا التاريخ، أنه كلما طرحت قضية الوحدة، وكثيراً ما كانت تطرح، لأن الساحة كانت تموج بالانقسام ثم التوحد ثم الانقسام.. الخ. كان لتنظيم طليعة العمال موقف مبدئى ثابت وفى تقديرى صحيح فى هذه القضية : أن الوحدة لا يمكن أن تتم باتفاقات علوية ومساومات بين قيادات على كراسى القيادة ، كما كان الحال فى كل محاولات الوحدة التى تدور من حولهم.. بل لابد للوحدة، من خط سياسى وفكرى موحد يتم من خلال صراع بين القواعد .. وتنسيق فى العمل الجماهيرى بشتى ساحاته. وأذكر أن كان لهم اقتراح جيد فى هذا الشأن، وهو ضرورة نشرة أو مجلة للحوار، والأهم التنسيق فى العمل الجماهيرى.

وحتى فى المؤتمر الذي أعلن فيه حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، لم يكن هناك رفض للوحدة من حيث المبدأ، ولكن رفض للطريقة التى كانت تجري بها، الوحدة بأى ثمن وبأى طريقة.

ولكن لماذا بدت طليعة العمال، وحزب العمال والفلاحين متخلفة عن ركب الوحدة، ولماذا انزلقت آخر الأمر إلى عين الطريق التى ظلت ترفضها طوال حياتها، طريق الاتفاقات العلوية بين القيادات؟ والتى قادت إلى خراب الحزب وحله آخر الأمر؟!

فى تقديرى أن خطأ طليعة العمال ، وبعدها (ع ف) بدأ حين وجدت نفسها وسط موجة متعاظمة وبحر صاخب من عمليات الوحدة التى أدت إلى (الموحد) ثم (المتحد) عن طريق اتفاقات علوية وصفقات بين القيادات على توزيع للكراسى والمناصب. وهو طريق كانت ترفضه مبدئيا، وتاريخيا، نغلبها حينذاك حذرها التقليدى، وركنت إلى موقف سلبى لتنأى بنفسها عن هذا البحر المتلاطم، ولم تلتقط الفرصة التاريخية السانحة لطرح وجهة نظرها ورؤيتها المبدئية

للوحدة، التى لا تتم باتفاقات علوية انتهازية فى الأساس، بل بوحدة الكوادر والقواعد حول خط سياسى وتنظيمى يأتى من خلال صراع، تتوفر له الوسائل اللازمة، وفى المحل الأول من خلال تنسيق فى العمل والكفاح الجماهيرى اليومى.

أقول لم تلتقط الفرصة، وقد جاءت بخاصة بعد العدوان الثلاثى، حين تلاقت جميع كوادر الحركة الشيوعية، وشاركت ببطولة سواء فى اختراق الحصار المضروب حول بورسعيد، أوتنظيم المقاومة الشعبية المسلحة بداخلها، وكذلك ساحات التعبئة فى لجان «المقاومة الشعبية» التى شاركت فيها كل التنظيمات وتلاقت فيها قواعدها وكوادرها .. تعارفت وتعاونت.. وكاد التنظيم الشيوعى فى مجموعه أن يصبح نصف علنى. وكانت هذه هى الفرصة السانحة لطرح رؤيتها ومواقفها المبدئية من قضية الوحدة، ولنشرها وتعميقها بكل وسائل النشر والتنسيق العلوى والقاعدى بين مختلف التنظيمات والفصائل الماركسية، بدلاً من الركون إلى السلبية والتباعد عن الموج الهائج، موج الوحدة الذى تصاعد بشكل طبيعى عقب العدوان والمشاركة الفاعلة فى المقاومة من جانب الجميع.

ولغياب هذه المعالجة الواعية والثورية، كنت واحدا من الذين حملتهم موجة الحماس هذه للوحدة العاجلة والفورية وبأى طريقة .. فبحكم عملى الجماهيرى كانت لى علاقات وصداقات مع أعضاء فى مختلف التنظيمات.. والعمل النقابى المطلبى بطبيعته يوحد بصرف النظر عن الأفكار والسياسات.. وتصادف وقتها أن رشحنى التنظيم لعضوية مجلس الأمة فى الانتخابات التكميلية للمجلس، لخلو دائرة شبرا من نائبها حينذاك.. وكانت هذه الدائرة بالصدفة أيضاً تجمع كل التنظيمات الرئيسية، فى جنوبها جزيرة بدران حيث قاعدة الحزب المصرى، وفى وسطها كانت طليعة العمال غالبة، وفى أطرافها الشمالية حيث تلتقى بالساحل وشبرا الخيمة كان تواجد حدتو وطليعة العمال كثيفاً مؤثراً.

وأصبحت الدائرة فى «جيبنا» وفى فترة وجيزة من العمل والتعاون الصادق بين جميع هذه التنظيمات (لولا حق الاعتراض بالطبع الذى كنا نتوقعه).. مما أثار لدى الحماس الشديد.. وأصبحت من غلاة الداعين للوحدة الفورية وبأى طريقة.

ولكن الأحداث التى تلاحقت عقب إعلان الحزب : انقسام قيادة حدتو وانجرار بقية أعضاء التنظيم دون وعى وراءهم، ثم ما تلاه من اعتقالات سنة ٥٩، وبروز نتائج ما سمى «بالدمج» وكشوفه التى سلمت بالكامل للأمن... وما حدث بعدها بداخل المعتقلات مما رواه الرفيق نبيل فرنفلى فى شهادته. ذلك كله فتح عينى على الحقيقة المرة : لم يكن العائق الأساسى للوحدة

كما توهمت لحظتها فى فورة اندفاعى، هى الحلقية، بل كان أعمق بكثير، فكرى وسياسى وتنظيمى بل وطبقى.. وانكشف الأسلوب الانتهازى الذى اتبع فى تحقيقها، أسلوب المفاوضات بين القيادات، والتى تؤدى بالضرورة إلى المناورات والأكاذيب وكشوف المج المزيفة.. وسقطت (ع ف) فى البحر الهائج الذى طالما نأت عنه .. لأنها لم تمسك باللحظة السانحة وتتقدم برؤيتها المبدئية بل تخلفت فحملتها موجة الوحدة الكاسحة حينذاك، فضلاً عن ضغوط الأحزاب الشقيقة فى الخارج التى كان لها أثرها.

وبالمناسبة فقد ذكر الرفيق نبيل قرنفلى فى شهادته أن ما عجل بحركة الانقسام، هو ما اكتشفته قيادة حدتو الكوريلية، من استحالة سيطرتها على الحزب فى تشكيله الجديد، وهى لعبتها التقليدية وهدفها الثابت الذى لا يتحول. وتفسير الرفيق نبيل صحيح، يضاف اليه عامل آخر يكشف طبيعة العلاقات التى أقامت عليها هذه «الحلقة» - «الطريقة» تنظيمها، فقد صادف إعلان الحزب فى ٨ يناير أن أعقبه ثورة العراق، وانكشف موقف عبد الناصر من الديمقراطية ومن الشيوعيين، وانحازت غالبية الكوادر من جميع التنظيمات إلى الخط الجديد للحزب، وبخاصة قواعد حدتو بحكم جماهيرية الغالبية منهم. ولم يكن خط الحزب الجديد يمينيا أو ينتمى لفكرهم -خط القوات الوطنية، والتحالف مع عبد الناصر ونظامه بأى ثمن ومهما كان موقفه من الديمقراطية - فهرولت القيادة الكوريلية إلى سحب قواعدها بآربطتها الحلقية والنفعية والقبلية، قبل أن تذوب هذه القواعد فى الحزب الجديد.

قضية الحلقية :

استلفت نظرى أثناء مطالعة كتاب المناضل العظيم فخرى لبيب «الشيوعين وعبد الناصر» وهو كتاب بالغ الأهمية وتسجيل فريد لوقائع الاعتقال وسياسات عبد الناصر التصفوية، كما سيظل وثيقة تاريخية نادرة. أقول لفت نظرى أن فخرى لبيب، هذا المناضل الشيوعى الصادق والصلب، قد حمل مسئولية الحزب وحيدا فى الواحات كمسئول مركزى، فى فترة من أحرج الفترات والهجمات التى واجهها الحزب، سواء من داخله أو خارجه لتصفيته . وكانت هذه الهجمات من داخله بخاصة شرسة، أغلبها بلا وعى، تكاد تمزق جسمه تمزيقًا، لتعود به إلى مكوناته الحلقية قبل الوحدة كما تقدم أجل خدمة خطة لتصفيته، وقد بدت هذه الصراعات فى أعين القائد المسئول حلقية فى الأساس، جذرها فى الصراعات التاريخية بين التنظيمات قبل

الوحدة.

والحقيقة فى تقديرى على خلاف ذلك، بالطبع كانت حرارة الصراع وقتها داخل السجون المغلقة، شبيهة بالحمى، ولا يستبعد معها بروز أعراض جانبية حلقية وغير حلقية. ولكن بحكم معرفتى لرفاق (ع.ف) وعلاقاتى الحميمة مع الغالبية منهم، كان الدافع لهؤلاء الرفاق فى الأساس ليس حلقياً، بل دفاعا عن الحزب الذى رأوه أمام أعينهم يتعرض لهجمات تكاد تغرقه وتؤدى به إلى التفتت والانهيار الكامل. وكانت معاناتهم من الانقسام الأول، انقسام القيادة الكوريلية لا تزال غصة فى حلوقهم. ومن هذا الصراع الشرس، كان دفاعهم المستميت عن الحزب، من خلال الدفاع عن خطه السياسى. ولسوء الحظ كان خط الحزب متطرفاً يساراً وخاطئاً، بمقولة الاحتكار وشبه الاحتكار فى السلطة والحكم. ولأن تجمعهم كان حول خط خاطئ، فقد بدا على السطح تجمعاً حلقياً، ولكن حقيقته كانت غير ذلك، وكان من المستحيل أن يكتشفوا هذا الخطأ وهم بين جدران السجن وعذاباته، بعيداً عن أرض الواقع، وهى الفيصل والحكم الوحيد. وبالفعل ما إن خرجوا إلى الشارع وعادوا إلى جماهيرهم، حتى ذاب هذا الخط وتبخر.

كانت القضية حينذاك فى مواجهة خطة التصفية داخل السجون والمعتقلات، هى قضية حزب أو لا حزب، يكون أو لا يكون، وليس أدل على ذلك من أن غالبية رفاق الوحد ومنهم فخرى لبيب وغيره من الرفاق وكذلك المرحوم وديع ساويرس من المصرى وغيرهم كانوا على رأس المدافعين عن الحزب وخطه وليس رفاق (ع.ف) وحدهم.. كان الدفاع عن الحزب ذاته، وبصرف النظر عن سياساته يجمع كل الرفاق الواعين من كل الأصول التاريخية دون استثناء.

وإذا كان خط القيادة الكوريلية فى القول بالمجموعة الاشتراكية على رأس السلطة - كان فجا فاضحاً، فقد اختار بعض رفاق المصرى دون وعى، فى حربهم الحلقية على الحزب، الانطلاق من مقولة معروفة ومسلمة وهى «الطبيعة المزدوجة للبرجوازية الوطنية» ليتكشف فى النهاية مضمونها الحقيقى، من رواسب المفهوم اليمينى القديم لقيادة المصرى فى مقولة «البرجوازية من نوع جديد» التى تسعى إلى الاشتراكية. وزاد الرفاق السوفييت الطين بلة بقولهم بالطريق غير الرأسمالى للنمو.. فالتقى الخطان اليمينيان، خط المجموعة الاشتراكية الفج الصريح، وخط البرجوازية من نوع جديد، فى الواقع العملى، وأصبح الفارق بينهما هامشياً ضيقاً. وباحتدام الصراع داخل الحزب، وانتصار الخط اليمينى كنتيجة للعزلة عن الواقع من الخارج، فقد أدى ذلك إلى نتيجته الطبيعية، وهى تبنى الحزب ، واندفاعه إلى نفس

المصير الذى اختارته القيادة الكوريلية بوعى وإصرار.. أى إلى حل التنظيم الشيوعى والاندماج والذوبان فى الناصرية واتحادها الاشتراكى.. واندفع النظام الناصرى بدوره، رغم وطنيته التى لا شك فيها، وبعد أن قضى على كل معارضة يسارية أو ديمقراطية .. إلى مصيرة المحتوم فى ٥ يونيو..

ولعل الأجيال الصاعدة الشابة من الماركسيين المصريين تتحصن بهذه الخبرة الثمينة لجيلنا: بما لم يعه قادة اليمين فى الحركة الشيوعية، أن الوطنية والديمقراطية وجها العملة، لا يمكن فصل واحد منها دون تدمير العملة ذاتها..

شهادة

أمينة رشيد

شهادة

أمينة رشيد

البيانات الشخصية

الاســــــم : أمينة رشيد

محل وتاريخ الميلاد : القاهرة - ١ يناير ١٩٣٨

المؤهـلات : دكتوراه في الأدب المقارن من جامعة السربون بباريس في مايو ١٩٧٦.

المهنة : استاذة جامعية

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية: اقتنعت بالفكر الماركسى مبكراً كما سأذكر بعد قليل. إلا أنى لم انضم إلى منظمة شيوعية إلا وأنا عمرى ١٧ سنة تقريباً.

فترة السجن والاعتقال: سجنت بعد ذلك بكثير عام ١٩٨١ ولم يكن بشكل مباشر بسبب انضمامى للحركة الشيوعية، ولكن اتهمت فى هذه الفترة بأننى جزء من فتنة طائفية فى الزاوية الحمراء بين المسلمين والمسيحيين، ولم يكن هذا حقيقياً بالطبع، واتهمت أيضاً بأننى كنت جاسوسة روسية فى تنظيم "التفاحة" وكانت هذه تهمة مضحكة كما ظهر فى التحقيق.

البيانات العائلية التى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية :

بدأ تأثرى بالأخلاقيات الشيوعية منذ فترة طويلة قبل انضمامى لأى تنظيم. فعندما كنت صغيرة كنت متأثرة بأننا نعيش فى سرايا توجد فى حى شعبى، حيث كان يوجد حول البيت الكبير بيوت كثيرة فقيرة، وكانت صاحبتى ابنة النجار، وطبعاً لم يكن أهلى موافقين على هذه الصداقة وأنا كنت مصرة عليها ولا أريد أن أصادق أبناء أصدقائهم، وكان لدى شعور بغياب العدل، لماذا أنا امتلك كل هذا، وابنة النجار لا يوجد لديها شىء؟! هذه هى البداية، بالرغم منه كان يوجد لدى أهلى شعور بالخير، فأمى ظلت طوال حياتها تعمل فى مبرة محمد على وترى أن من واجبها هى وخالاتى أن يعطين جزءاً من نقودهن وجزءاً من وقتهن للفقراء، ولكن مع الاحتفاظ فى رأيهن بأن هناك تفرقة، وأن الله رتب الأمور بهذا الشكل بحيث يكون هناك أغنياء وفقراء، ونحن من واجبنا أن نساعد الفقراء، لكن الفقراء يظلون فقراء ونحن نظل كما نحن أغنياء، ولم أرض عن هذا المنطق تماماً منذ طفولتى.

* أجرت الحوار : حنان رمضان.

وبعد ذلك وأنا فى الحادية عشرة من عمرى، بدأ الكلام عن محمد سيد أحمد (ابن خال أمى) بأنه فى الحركة الشيوعية وأن والده يخاصمه وأنه مطارد من البوليس، فبدأت أتساءل ما هى الشيوعية؟ فقالت أمى لى إن هؤلاء الناس يريدون ألا يكون هناك أغنياء وفقراء، يريدون أن يكون الناس مثل بعض، فأتذكر جيداً أنى سألتها لماذا ترفضين مع أن هذا شئ جيد، فردت على قائلة: إنهم يريدون أن يوصلوا لذلك عن طريق العنف ويموتونا ويموتوا الملك والأغنياء، وهذا غير مقبول، ثم بعد ذلك سترجع الأمور كما كانت، لأن الإنسان هو الإنسان ولا يتحمل المساواة. فسكت ولم أجد أى مبرر ومرت السنوات، واختفى محمد سيد أحمد، بالرغم من أن أهله سفروه إلى فرنسا حتى لا يتم القبض عليه، إلا أنه هرب من فرنسا وترك خطابا، يقول فيه لا تبحثوا عنى فأنا سوف أستمر فى الدفاع عن قضيتى. فتأثرت جداً بهذا النموذج وتصورته بطلا، وظل غائباً سنوات، وأنا فى خيالى أننى وجدت أخيراً أحداً يدافع ضد ما أرى من ظلم فى المجتمع وهذه كانت بداية التأسيس، مع تأثرى بدروس الفلسفة التى كان يدرسها لنا أستاذى الماركسى الفرنسى مسيو جرانييه، حيث درس لنا تيارات الفلسفة المختلفة، وبلور فكرة الفلسفة الماركسية، وعلى نهاية السنة كنت قد اقتنعت تماماً بهذا الفكر، وبدأت أذهب إلى أقارب محمد سيد أحمد الموجودين فى مصر: إلهام سيف النصر، وهدايت سيد أحمد وقلت لهما أنى أريد أن أنضم إلى تنظيمكم. ولكن قالوا لى : أنت صغيرة ولا نستطيع أن نتحمل مسؤوليتك، وهذه مسؤولية فيها سجن، ولكن من المفيد جداً أن تكملى وتفهمى وتتعلمى وبعد ذلك تقررين عندما تكبرين.

وظلت الفكرة بداخلى. وبعد سنتين تقريباً انضممت إلى مجموعة داخل الحزب الشيوعى المصرى (الراية) من خلال إنجى أفلاطون وزوجها المرحوم حمدى أبو العلا، حيث شجعونى وقالوا لأقاربى لماذا ترفضون طالما هى مصرة على الانضمام.

وبالتالى أنا لم أختر التنظيم تماما لأن هؤلاء الناس هم من كانوا حولى، وكان هناك كلام سيئ عن المجموعات الأخرى.

ولم أكن أعرف كل الزملاء فى التنظيم، حيث كنا نعرف بعض بالأسماء الحركية فقط. وأول عمل لى فى الحزب كان كتابة بيانات ومنشورات الحزب على آلة كاتبة، وفى هذه الفترة كانت مجموعة الراية تتمصر وترفض الماضى الأجنبى للحزب الشيوعى. وفوجئت بهم يقولون لى إننى لا يجب أن أقرأ أى شئ فى الفكر الماركسى بل أقرأ فقط منشورات وبيانات

الحزب الشيوعي المصري. وطبعاً هذا أفادني كثيراً في قراءتي باللغة العربية، لأني تربيت في منزل كان الحديث يدور فيه باللغة الفرنسية، وفي هذه الفترة اعتكفت فحلا على قراءة بيانات الحزب وأتذكر أنها كانت بيانات عن الإصلاح الزراعي، وعن الحركة الوطنية، وعن طبيعة النظام الناصري وهذه القضية الأخيرة كانت تأخذ كلاماً كثيراً جداً. حيث انقسمت المجموعات حول دور جمال عبد الناصر وحركة الضباط الأحرار إلى مجموعتين، فجزء كان يراها وطنية وثورية، والجزء الثاني (والراية كانت منهم) كان يراها حركة عسكرية جاءت بمساعدة الأمريكان وأوقفت المد الثوري الذي كان موجوداً في البلد منذ سنوات. فمنذ نهاية الأربعينات كان في مصر مد ثوري عالٍ جداً، مد وطني وفي الغالب مد اجتماعي ورفض لغياب المساواة، وحتى في الأوساط الإقطاعية بدأت تنتشر فكرة إصلاح زراعي ما لوقف هذا المد الثوري.

ومع الراية كنت مقتنعة بأن الحركة حركة عسكرية وليست حركة ثورية في الأعماق. لكن بعد ذلك وأنا أناضل في الحركة حضرت التوحيد بين المجموعات الثلاث : حدتو، حزب العمال والفلاحين ، والراية، وتم التوحيد بينها وسمي الحزب الجديد بالحزب الموحد. لكن رغم التوحيد ورغبة الزملاء جميعاً في التوحيد، إلا أنه كانت هناك مفارقة، فكل فرد تمسك بمجموعته وأدى ذلك إلى حدوث أشياء غريبة مثل أن تسرق مجموعة مطبعة مجموعة أخرى. وأتذكر أني استغربت من هذا السلوك داخل حزب موحد، حتى جاء عام ١٩٥٩ وتم القبض على الكل، من مجموعات مختلفة، وعلى حسب الكلام الذي سمعته أن المناقشات والخلافات استمرت في السجن وأن التوحيد كان توحيداً شكلياً، وليس توحيداً في الأساس. حيث كانت رغبة فقط عند جميع الزملاء، فالكل يرى ضرورة التوحيد وأنه لا يوجد داعٍ لانقسامنا إلى ثلاث مجموعات ضعيفة. إلا أن هذا لم يتحقق في الواقع واستمر الخلاف الأساسي حول طبيعة النظام الناصري بين المجموعات. وفي الغالب بين الأفراد.

بعد ذلك انتقلت من شغل الآلة الكاتبة إلى دور آخر استخدمت فيه معرفتي باللغة الفرنسية في مكتب العلاقات الخارجية، وهو ترجمة منشورات وبيانات الحزب إلى اللغة الفرنسية وترجمة المقالات من الفرنسية إلى العربية، وفي هذه الفترة حدث في فرنسا توحيد بين فرق اليسار، وهذا كان مهماً جداً بالنسبة لنا. فكنت أترجم إلى اللغة العربية كل الكلام الذي يصدر في فرنسا عن ذلك ولم تكن توجد منشورات سرية، حيث كان الحزب علنياً.

لم يكن لى دور ريادى أو أساسى، ولم أشترك فى الحركة الجماهيرية، حيث كان هناك إصرار على أن أظل فى الجهاز السرى، لأنى كنت ما أزال جديدة فى الحزب وكان الحزب مصراً على أن يظل هناك أناس غير معروفين، و كان هذا يشعرنى بنوع من الكبت لرغبتى الشديدة فى الاشتراك فى العمل الجماهيرى، وفى هذا الوقت كان فى الجامعة حركة نشطة، فقررت ذات مرة ألا أطيع تنظيمى واشتركت فى مظاهرتين أساسيتين ضد تعذيب المناضلات الجزائريات عام ١٩٥٦. حيث تخلقت فى أوساط الجامعة حركة للدفاع عن جميلة بوحريد، وجميلة بوباشا وكل المناضلات الجزائريات اللاتى قبض عليهن الفرنسيون وعذبوهن. فعملنا مظاهرة بنات، وكانت معى ليلى الشال وغيرها من المناضلات اللاتى كن يشتركن فى الحركة الجماهيرية. وطبعًا كان معروفًا فى هذه الفترة أن هناك جواسيس فى الحركة، لذا كانت فكرة السرية مطلوبة جداً للاستمرار.

وأعتقد أن وضعى الطبقى لم يؤثر فى تعاملهم معى. لأنى كنت أناضل فى وسط مجموعة أعرفها جميعا، وكلهم إلى حد ما من طبقتى إلا بعض الاستثناءات .

وطوال حياتى لم أتأثر بأى فكر آخر غير الفكر الشيوعى بالرغم من أن عائلتى كانت عائلة سياسية وكنت مستاءة جداً من الأحزاب البرجوازية الرسمية فى مصر. فبالرغم مثلا من أن الوفد حزب جماهيرى، لكن كنت أعرف أن قادة الوفد لهم علاقة بالسرايا، وقد انتقل والدى من الحزب السعدى إلى حزب الوفد باعتباره الحزب المكتسح فى الانتخابات فى نهاية الأربعينات، ولم يعجبنى سلوكه فى هذه الفترة. وكنت مشدودة إلى الحركة الاشتراكية.

نشأة التنظيم :

ما أعرفه عن تنظيم الراية أنه تكون عندما عاد بعض الأساتذة مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله من باريس، بعد أن حصلوا على الدكتوراه فى الاقتصاد فى نهاية الأربعينات، وكانوا مقتنعين بالفكر الماركسى. فأسسوا الراية، وأصروا على فكرة القطع مع الأجانب وأن يكون هذا الحزب مصرياً من الصميم، جذوره مصرية، قراءته عربية، اهتماماته هى الحركة التقدمية فى مصر. ورفضوا تماما التأثيرات الخارجية رغم العلاقات التى ظلت مستمرة بين الراية والحزب الشيوعى الفرنسى أوالحزب الشيوعى الإيطالى، حيث كانت العلاقات معهما مهمة فى هذه الفترة. وكان هناك نوع من الاحترام من هذه الأحزاب للنزعة

المصرية والرغبة في القطع مع أجانب مصر الذين لعبوا دوراً في الحركة المصرية. وكان هناك مجلتان رئيسيتان هما الراية، ومجلة أخرى كانت تصدر عن التنظيم الموحد. وأتذكر الراية، وكانت فيها أفكار متفرقة، ولم أشعر بأن لها دوراً في نشر الأفكار الماركسية، وإنما ورقة داخلية توزع علينا فقط. ولكن ربما لم يكن بإمكاني الحكم بشأن هذا الموضوع، لأني كنت ممنوعة من أن أوزعها حتى على زملائي في الكلية، وبالمناسبة بعد ١٩٥٩، ساعد زملائي هؤلاء في تهريب بعض الأفراد المقبوض عليهم. أما في فترة ما قبل ٥٩ فكان ممنوعاً تماما أن أتكلم عن نشاطي. عمري ما سمعت عن أصداء النشرات الخاصة بتنظيمنا في خارج مجموعتنا.

مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة والفلاحين :

في البيانات التي كنت أكتبها على الآلة الكاتبة وفي المنشورات وفي ترجماتي لها كان يتضح لي وكأن هناك قاعدة هامة جداً للعمال. بعد ذلك في نهاية ١٩٥٨ وقبل القبض عليهم عرفت من بعض الناس أن كل هذا الكلام زائد عن الحد وأن حجم العمال والفلاحين ضئيل جداً في المجموعة، ولم أعرف بالضبط مدى ضآلته أو مدى أهميته داخل الحزب وعرفت أن أغلبية المناضلين كانوا من البرجوازية الصغيرة أو الكبيرة.

وكان يقال -حتى في مجموعتنا- أن حدتو والعمال والفلاحين كانت لهم قاعدة جماهيرية أكبر، حدتو في البرجوازية الصغيرة ، والعمال والفلاحين في الطبقة العاملة. أما مجموعتنا فكان معروفاً أنها مجموعة دكاترة و قليلة الاتصال بالجماهير.

هل كانت هناك محاولات لدراسة الواقع المصري :

كل ما ذكرته كان يعبر عن رغبة في دراسة الواقع المصري. وأتذكر بالأخص عمل فؤاد مرسي عن الإصلاح الزراعي، فقد كانت محاولة جادة لدراسة فئات الفلاحين المختلفة كالمالك وغير المالك، أتذكر أني قرأت كثيراً عن هذه الفئات، وعن دور الاستعمار في مصر. ولكن لا أذكر أنه كان هناك دراسات مهمة عن التعليم أو المؤسسات المدنية مثلاً.

وكانت الثقافة الشيوعية تنتشر وسط المثقفين من خلال قراءة الروايات العالمية مثل عناقيد الغضب، أو قراءة شعر شيوعي للوركا وأراجون الخ. بمعنى أنه كانت هناك ثقافة عالمية شيوعية لا تدخل فيها الثقافة المصرية أو العربية.

الاستراتيجية والتكتيك :

كان هناك كلام كثير عن الاستراتيجية والتكتيك. والاستراتيجية كانت الوصول إلى مجتمع لاطبقي، تسود فيه الرفاهية والعدل ..الخ ولكن كان هذا يوضع على جنب، بينما ظل الكلام الأساسي في التكتيك. وكانت هنالك اختلافات كثيرة، وأنا بصفتي إنسانة مثالية دخلت الحركة بأغراض وأهداف مثالية، كنت أزهق كثيراً من التكتيك، لأني كنت أشعر بأن هناك شيئاً انتهازياً، وغير أخلاقي. فالتكتيك كان هو طريقة العمل اليومي، وكان هناك اختلاف كبير كما ذكرت بين المجموعة التي ترى أننا يجب أن نتعاون مع نظام الحكم الناصري وبين المجموعة التي ترى أننا يجب أن نصل إلى هدمه أو رفضه، ومن ثم كان هناك اختلاف كبير في التكتيك بين الاثنين. ولكن كان التكتيك السائد هو التعاون، لذلك استغربت جداً عندما حدثت حركة القبض ١٩٥٩ .

وطبعاً كانت هناك لائحة تنفيذية إلا أنني لا أتذكر بنودها الآن، أتذكر فقط أننا كنا نعمل بجدية شديدة، وكنا نجتمع في الأسبوع مرتين. وفي الجزء الأول من الاجتماع يعرض كل فرد ما جمعه من أخبار في خلال ٥-١٠ دقائق، بحيث يتم في النهاية معرفة الأحداث الكاملة التي تجرى في العالم الخارجي والعالم العربي ومصر، وكل هذا من خلال قراءة الجرائد. والجزء الثاني من الجلسة معرفة أدبيات الحزب، بمعنى قراءات في الاستراتيجية والتكتيك، ومتابعة التكليفات السابقة وأتذكر ذات مرة أنني تلقيت لوماً لأني انشغلت ببحثي بالكلية وأهملت تكليفي الحزبي في هذه الفترة. قيل لي يا زميلة هذا لا ينفع. فلا بد من إعطاء ساعتين على الأقل في اليوم لعملك الحزبي، ولا يصح أن تقولي أنني لم أكمل عملي الحزبي لأي سبب. وكان هذا تعاملاً صارماً جداً.

أما الجزء الثالث من الاجتماع فكان حول ماذا نعمل بعد ذلك وما هي التكليفات الجديدة؟ مثل ما هي المواد التي نختارها للترجمة وكيفية توزيعها علينا . أوالتحضير لمؤتمر الحزب. كان علينا عمل كثير جداً وكنت أتصور في هذه الفترة أن هناك جهازاً شعبياً كبيراً . ولكن اتضح

لى أنه القراءة والكتابة كانت أكثر من الشغل العملى. فكنا نسعد عندما نعلم أن عمال شبرا الخيمة الشيوعيين لهم حركة ودور وسط العمال. وهذه كانت فرحة كبيرة جداً كانت تخرجنا من الورق الكثير الذى نقرأ، ونكتبه.

الديمقراطية داخل الحزب :

كانت هناك ديمقراطية على الأقل وسط المجموعة التى كنت فيها، فكنا نستطيع أن نقول فيها رأينا بحرية، ولكن كان هناك مبدأ وهو أن نقول رأينا كما نريد، ولكن إذا انتصرت الأغلبية، يمكن أن تحتفظ الأقلية برأيها، إلا أنها يجب أن تخضع للقرار. وكنا عادة نخضع لهذا المبدأ ولا نحاول أن نقوم بأية انقسامات.

وأتذكر المجموعة الأولى التى كنت أكتب فيها آلة كاتبة، كانت حوالى ٤-٥ أفراد، أما مجموعة الترجمة فكانت حوالى عشرة أفراد. والمجموعة الثالثة التى انتقلت إليها كانت تقوم بعمل نظرى كمناقشة الاستراتيجية والتكتيك إلا اننى لم أحضر معهم أكثر من حوالى ثلاثة اجتماعات، ثم بدأت حملة القبض ١٩٥٩. ولم أكن أعرف أى شئ عن المجموعات الأخرى داخل التنظيم.

رأى التنظيم فى قضية تطبيق الثورة الاشتراكية :

الموقف العلنى للتنظيم هو أنها يجب أن تتم على مرحلتين، ولكن كثيرين منا كانوا يرون أنها يجب أن تكون مرحلة واحدة، ولا يجب أن نفرق بين العمل الوطنى والعمل الاجتماعى.

واختار الحزب الموحد مقولة المرحلتين بمعنى أنه يجب أن نكمل الثورة الوطنية قبل الانتقال إلى الحركة الاجتماعية.

دور المحترفين فى العمل :

طبعاً كان للمحترفين احترامهم، لأنهم كانوا يعطون كل وقتهم للحزب، إلا أنهم من ناحية أخرى كان عليهم لوم أو عتاب. لأنهم بهذه الطريقة كانوا يفقدون الصلة بالمجتمع ويتحولون إلى محترفين ضيقى الأفق ولا يهتمون إلا بالمهام الحزبية الضيقة.

الموقف من وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ :

كانت هناك فرحة بالوحدة لأنه لم يكن هناك مبرر لوجود ثلاثة أحزاب كما ذكرت، ولكن كان هناك أيضًا شعرور بأنها وحدة على الورق، حيث لم يتصاف الأطراف من الداخل تجاه بعضهم. وهذا هو الوضع الذى استمر، وأحزننى دائمًا وما زال يحزننى.

الموقف من اليهود والأجانب بشكل عام :

اتذكر أننا ناقشنا فى أحد اجتماعات الحزب ضرورة أسلمة اليهود، إلا أن مجموعتنا داخل الحزب كانت ترفض ذلك، لأننا كنا أمميين، ونرى أن البشر واحد أيًا كانت دياناتهم يهودية أو مسيحية أو إسلامية طالما دخل الإنسان فى حركة شيوعية، بمعنى أنه دخل فى شئ يتجاوز كل هذه الخلافات والتقسيمات. وبالتالى لا يصح أن يطلب منهم ذلك، وكان مبرر الحزب لهذا المطلب هو علاقة هذا الموضوع بإسرائيل والعدوان الثلاثى فى هذه الفترة، إلا أننا كنا نرى أن هذا ليس له معنى، ولكن قبلنا القرار فى النهاية لأنه قرار أغلبية.

لم يكن لى دور فى ١٩٤٦، إذ كنت فى هذا الوقت تلميذة صغيرة ولكن قامت بنت بقذفى بالطوب وأنا فى المدرسة فى تلك السنة، حيث كان معروفًا أنى حفيدة إسماعيل صدقى، ويعتبر هذا شرارة أول وعى سياسى لى بشكل طفولى فقد أفزعنى ذلك وشعرت أن هناك شيئًا خاطئًا وأدركت أن الشعب ضد ما يقال فى بيتنا، وفهمت أن الناس ضد معاهدة صدقى-بيفين، وأتذكر أنى سألت جدى عندما أقيلت الحكومة فى ذلك الوقت عندما وجدت العائلة كلها حزينة، هل أنت زعلان؟ فرد على مبتسمًا: لا، فأنا حاولت أن أعمل ما رأيته صحيحًا والناس رفضته وانتهى الأمر.

ومدرستى كانت تنقسم إلى مجموعات : مجموعة كانت مسلمة وواضح أنها كانت وطنية، ومجموعة تتكلم الفرنسية وأغلبهم يهود، وأنا كنت فى الغالب أقرب لهذه المجموعة الأخيرة من منطلق اللغة لأن لغتى العربية كانت ضعيفة بينما كنت أجيد الفرنسية.

القضية الفلسطينية :

بالنسبة لموقفى: لم أكن أفهم القضية أيامها بالضبط. كنت أفهمها كشعار، بمعنى أنى كنت أعى تمامًا أنى ضد إسرائيل وضد العدوان الثلاثى، وكان هذا أكثر من وعيى بالقضية

الفلسطينية. ولم أدرك أهمية القضية الفلسطينية إلا بعد ذلك بسنوات عندما بدأت المقاومة فى ١٩٧٥ فأدركت وقتها أنها كانت ورقة تلعب بها الحكومة ولا تدافع عنها بشكل صادق، ولا مجموعاتنا أيضًا.

الموقف من تنظيمات الثورة :

كنت ضد كل هذه الأشكال، حيث كنت أشعر أنها مجموعات بوليسية جاءت لتفرض سيطرة الحكومة على الحركة الجماهيرية، والالتفاف على الحركة النقابية التى كانت قوية قبل ١٩٥٢. وكان هذا أيضًا رأى الحزب.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين ١٩٥٤ :

كنت ضد هنا على أساس أن الإخوان جزء من الحركة الوطنية حتى لو كنت مختلفة معهم فكريًا.

الموقف من مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ :

اشتركت فى المؤتمر الكبير الذى عقد بهذا الشأن فى الجامعة، وكان هناك انفعال وتأثر فى القاعة كلها. وهذه كانت من الأشياء التى تجاوزت التنظيمات، فالكل كانوا سعداء جداً بإعلان فكرة العالم الثالث فى هذا المؤتمر.

أما بالنسبة لمشروعات الأحلاف العسكرية فكنا ضدها تمامًا.

الموقف من قوانين الإصلاح الزراعى :

كنت أراها جيدة إلا أنها ليست جذرية، وفى الغالب كان هذا رأى المجموعة. لأن هذه القوانين لم تصاحب بحركة فلاحية ديمقراطية، بمعنى أن الذى قام بالإصلاح الزراعى هم موظفون من الحكومة وليس الفلاحون أنفسهم.

وكنت أشعر بذلك حتى من واقع عائلتى الإقطاعية. فمثلا خالى "عزيز" كانت لديه أرض فى زفتى، وانضم إليه الفلاحون ضد موظفى الحكومة، لأنهم كانوا يرون أن هؤلاء أتوا لكى ينهبوهم وأن الإقطاعى- بسبب معايشتهم له- يمكن أن ينفعهم فى أشياء. أما هؤلاء الموظفون

فلم تكن هناك ثقة بهم.

كانت لى وجهة نظر أخرى ترتبط بالديمقراطية، حيث لم يفتح الباب الذى يجعل الفلاحين هم من يقومون بالإصلاح الزراعى.

الموقف من قرارات التمصير وتأميم قناة السويس :

سعدت جداً بذلك، وكنت أرى أنها صحيحة، وفرحت بشدة أيام تأميم القناة. لأنه كان واضحًا أنه مطلب عام وجماهيرى، وكل فرد عاشه بفرحة .

ولكن بعد ذلك أدى غياب الديمقراطية إلى جعل هذه الأشياء تدار بشكل بيروقراطى يعزز سيطرة الحكومة على الكل.

الموقف من العدوان الثلاثى وانتخابات ١٩٥٧ :

اشتركت عام ١٩٥٦ فى الحركة الجماهيرية أثناء الحرب. فذهبت إلى الهلال الأحمر، ولكن لم يكن هذا فقط مع عناصر حزبية، بل أتذكر أن كل دفعتى فى الكلية ذهبت معى وتعلمنا التمريض وكيفية أخذ عينات الدم. وهذه كانت تجربة مهمة جداً بالنسبة لى لأن الآفاً من النساء الشعبيات حضرن للتبرع بدمهن وقلن إنهن لم يستطعن أن يقدمن شيئًا لأولادهن فعلى الأقل يقدمن لهم دمهن. وكان هذا شعوراً جميلاً جداً. لدرجة أننا حزنا لأن الحرب توقفت بسرعة لتدخل الروس والأمريكان. كنا نريد أن نكمل النضال ولكنهم أعادونا إلى بيوتنا. وطبعًا النظام الناصرى كان ديكتاتوريًا دائمًا. فقد طالبنا فى هذه الفترة أن تبقى لجان المقاومة الشعبية وتنتقل من التمريض إلى العمل فى الأحياء مع الفقراء أو فى التدريس.....الخ، إلا أن كل ذلك مُنع وتوقفت لجان المقاومة.

وأتذكر أيضًا أنى اشتركت فى انتخابات ١٩٥٧ عندما أعطى عبد الناصر حق التصويت للمرأة، على أساس أن تذهب النساء إلى أقسام أحيائهن وملأن استماراتهن فقلنا سوف لا تذهب واحدة لملء أوراق، وإنما مشينا فى الأحياء شارعًا شارعًا ودخلنا بيتًا بيتًا لكى نعمل بطاقات للنساء. وفى الغالب كنا نستقبل بشكل جيد حتى من الرجال. وكانت النساء متحمسات لعمل ذلك. وأحيانًا أخرى كن يرفضن ويقلن: اهتموا بدراستكن وشغلكن.

وهاتان الحركتان الجماهيريتان قمت بهما ليس بشكل مباشر مع التنظيم ولكن عرفت بعد ذلك أن التنظيم كان وراءها.

وحدة مصر وسوريا :

كان الموقف مضطربًا على أساس أننا كنا نرى أن هناك سيطرة من مصر على سوريا وبداية سيطرة على العالم العربى، وكنا نراها خطيرة لأنها موجهة بشكل أساسى ضد الحركة الشعبية العربية (العمالية والتقدمية) وأن البرجوازية الوطنية التى تمثلها الثورة والحكومة كانت قامعة وسوف تفرض ديكتاتورية على هذه البلاد. وفعلا تم القبض على الناس فى ١٩٥٩. ليس فى مصر فقط وإنما فى سوريا وبعد ذلك فى العراق.

الموقف من سياسة الاتحاد السوفيتى :

كنا نؤمن بأن الاتحاد السوفيتى جنة فى الأرض، ومثل أعلى، ونرفض أى انتقاد له أو أى كلام ضده، ونعجب بدوره مع العالم الثالث.

أما الثورة الصينية فقد خلقت لدينا حماسًا شديدًا جدًا، لأننا كنا نعلم أن ظروف الحركة فى الصين قريبة من الواقع المصرى، لأنها أساسًا ثورة فلاحين، وقد استطاع ماوتسى تونج والقادة الصينيون أن يغيروا تطبيق الماركسية حسب ظروفهم، وبالتالى كنا نرى أن هذا هو ما يجب أن نعمله داخل بلادنا.

وفى أحداث المجر كانت هناك لخبطة فقد كان هناك أناس ضد المجر، حيث كانوا يرون أن الاستعمار قد أثر على المجريين، وآخرون يرون أن دور الاتحاد السوفيتى ربما كان قمعيًا، ولكن فى الغالب كان الرأى السائد أنها دعاية استعمارية ونفوذ استعمارى فى هذه البلاد، وذلك على العكس من انبهارنا بالصين والاتحاد السوفيتى.

الصراعات السياسية داخل المعتقلات والسجون :

أولا كانت هناك مجموعة لم تدخل السجن وكنت على صلة بهم، وكانوا مع الخط الواحد، أى التوحيد بين الحركة الوطنية والحركة الديمقراطية وقررت هذه المجموعة أن تنشر ذلك خارج مصر حيث سافر أحد الأفراد (د.سمير أمين) ونشر كتابًا باسم آخر وكان الاتفاق أن ينشر فى الخارج ثم يترجم باللغة العربية ويرجع مصر ويعمل حركة، ولكن كل هذا لم يحدث.

وما أعرفه أن الصراعات ظلت داخل السجن ولكن مع حقيقة وجود معيشة جماعية، حيث كانت هناك حياة عامة ودروس ومسارح. الخ، ثم بعد ذلك بدأت فكرة حل الحزب داخل السجن وأتذكر أنهم اتهموا بأنهم قاموا بالحل من أجل الخروج من المعتقل.

حل الحزب :

ظاهريًا كان حل الحزب معناه الدخول فى الاتحاد الاشتراكى، وكانت سمعته أفضل من تنظيمات الثورة السابقة عليه(هيئة التحرير - الاتحاد القومى). والسبب الأساسى الذى كان يقال هو أن الشكل التنظيمى للشيوعيين -فى النهاية- لم يكن حزبًا، وبالتالى فإن حله أفضل من استمراره هكذا.

الطابع الانقسامى للحركة وأسباب أزمتها :

يرجع ذلك بالأساس إلى عدم جماهيرية الحزب، فالمعيار الذى يفرض صحة الأشيا. غير موجود، والمعيار الشعبى معيار مهم فى حركة حزبية، مع الطابع البوليسى للحكومة وانعكاسها داخل التنظيمات. بالإضافة إلى وجود فجوة بين القيادات المثقفة التى تستطيع أن تتكلم وتقنع حتى -وإن كان هذا الإقناع ليس عميقًا - البرجوازية الصغيرة (إذا اتفقنا على أنه لم يكن هناك جماهير بمعنى الكلمة) التى يمكن أن يكون لديها رد فعل سليم، ولكن لا تستطيع أن تثيره كما تفعل هذه القيادات.

ومن الرفاق الذين أدوا أدواراً مهمة. د. فوزى منصور ود.سمير أمين (حيث لعبا دوراً مهمًا فى نقل الوعى فى الداخل)، ود.عبد العظيم أنيس (وكانت لديه دائمًا أمانة وذكاء تجعله يضبط المواقف، ولعب دوراً مهمًا فى الربط مع المجموعات العربية)، وإنجى أفلاطون.

وكان لى دور مع إنجى أفلاطون، حيث كنا معًا فى مجموعة الترجمة. ثم بعد ١ يناير عندما بدأت الاعتقالات استطعت توفير مكان لتخبئتها لدى أصدقائى فى شبرا، وكنت أنا الصلة بينها وبين المجموعة داخل السجن. وبينها وبين أهلها لتوفير احتياجاتها. وظلت هاربة حوالى ثلاثة أشهر حتى تم القبض عليها.

بعد ذلك انتهى دورى الحزبى، ومازلت أشعر بنقص، رغم اشتراكى فى كثير من المجالات العامة، ما زلت أشعر أن فعلى فى الحياة لا يتماثل مع وعيى العميق بضرورة التغير الثورى فى أحوال مجتمعاتنا العربية.

شهادة

بهيج نصار

البيانات الشخصية

الاســــــم : مصطفى بهيج طه مصطفى نصار (اسم الشهرة بهيج نصار)

محل وتاريخ الميلاد : ٢ يناير ١٩٢٣ - فى القاهرة

المؤهلات : تخرجت فى الجامعة، كلية الآداب قسم فلسفة. ثم ذهبت رغما عنى، بفرض من والدى حتى يطمئن على مستقبلى الوظيفى، ملتحقاً بمعهد التربية.

المهنة : أصبحت مدرساً وموظفاً بالدرجة السادسة. بعد عامين خرجت من التدريس وعملت فى المجال الإعلامى كصحفى، ثم بعد ذلك تركت العمل الصحفى، وأصبحت مستغرقاً فى حركة السلام والحركات السياسية كاملا.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : حوالى ٢٠ عاماً.

فترة السجن والاعتقال : سجنت واعتقلت فقط فى عهد جمال عبد الناصر حوالى أكثر من عشر سنوات، سنة ونصف وأنا أعارضه، وبقية الأعوام مؤيدا له، وكانت أقسى سنوات التعذيب ونحن نؤيده.

بيانات عائلية :

كان هناك ميل للسياسة بدأ فى المدارس الثانوية، ولازلت أذكر المظاهرة الأولى التى شاركت فيها فى المدرسة الخديوية - كان ذلك قبل الحرب العالمية الثانية وكنت صبياً صغيراً فى الصف الأول الثانوى. سعدت بالمظاهرة، وبهتاف يحيا الوطن، وأنا خارج من الباب، إذ بى أواجه وأفاجأ فى نفس الوقت بكونستابل بريطانى على اليمين وكونستابل آخر على اليسار بريطانى أيضاً، وكل واحد منهما شاهراً مسدسه فى وجه أى طالب يخرج، ففزعت. المسألة إذن جادة.

خرجت للشارع، وتم حصارنا دون أن ندرى، ولكنى أيضاً أدركت حقيقة أخرى، أن هناك أناساً وطنيين- فإذا بسيارة من سيارات الاوتوبيس تخترق العسكر الذين كانوا يحاصروننا، ثم تقف وسطنا من أجل أن نقفز إليها، ثم تنطلق بعد ذلك. كان هذا درساً بسيطاً وعظيماً ..

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب وأ. نجاتى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق

أدركت أن المسألة جد وأن هناك مصريين وطنيين.

كيفية الانضمام للحركة الشيوعية :

فى المدرسة الثانوية بدأت أتعرف على بعض القضايا السياسية بشكل متفرق وطبعا غير عميق. كان اتجاهى مثل اتجاه والدى وفدياً، ويحيا الوفد، والاستقلال التام أو الموت الزؤام.

ولكن لازلت أذكر بوضوح أنه بالقرب من مسكنى فى شارع جوهر القائد بالدراسة. كان هناك حلاق. فقير جداً. كنت أقص شعرى عنده، وكان يروى أحاديث عن الفقر، وكيف أن أهل الموسكوف - وعرفت بعد ذلك أنه يقصد موسكو - قد تمكنوا من أن يواجهوا الفقر ويصلحوا من أمورهم، وكانت هذه هى أول معرفة لى بأهل الموسكوف، وبأن هناك أناساً حاولوا أن يعالجوا مشكلة الفقر. كان الرجل طبعاً لا يعرف شيئاً غير ذلك وأن غداً سنكون مثل أهل الموسكوف، فلماذا فقط أهل الموسكوف؟ فقط لا غير؟

التحقت بالجامعة - كلية الآداب - قسم الفلسفة، فتعرفت بشكل أوضح على ما كان يفعل أهل الموسكوف. كان ذلك فى العام الأول من دخولى الجامعة سنة ١٩٤٢. أول منظمة عملت فيها هى منظمة (الخبز والحرية) عن طريق أنور كامل الذى كان يحضر محاضرات الفلسفة هو وبعض الاصدقاء، وكان على علاقة بدكتور لويس عوض، وإلى حد ما ألقى به لويس عوض إلينا، بشكل أو آخر، وتعرفت منهما على الاشتراكية والشيوعية. غير أن تجربتى مع جماعة (الخبز والحرية) كانت تجربة غير مريحة. كان كل همهم القاء الحديث مجرداً، وهذا كان تصورهم لأننا في قسم الفلسفة، كان حديثهم عن الشيوعية وأهل موسكو الذين يواجهون الفقر حديثاً نظرياً مجرداً بحثاً عن التناقض، عن المادية الجدلية، عن المادية التاريخية، دون أن أتكشف من خلال هذا الحديث كيف تمكن أهل الموسكوف الذين كان يحدثنى عنهم صديقنا الحلاق من أن يواجهوا مشكلة الفقر . فقد اقتصر الحديث على النظرية.. كنا نتلقى المحاضرات فى الجامعة وخارج الجامعة فى حديقة الأورمان. عن هذا الطريق عرفت المنزل الكائن فى شارع القصر العينى والذى تبين فيما بعد أنه كان منزل أنور كامل. ثم انتهت علاقتى بمنظمة أنور كامل حينما ألقى القبض على عدد من أعضاء هذه المنظمة، منهم بعض اصدقائى الذين كانوا يشاركوننى دراسة الفلسفة، وهم مصطفى سويف الذى أصبح أستاذاً فى الجامعة بعد ذلك ثم صديق آخر اسمه محمد جعفر عمل فى سلك التدريس. وتم القبض على أنور كامل وبعدها انتهت تجربتى مع الخبز والحرية، وهى تجربة لم تكن ناجحة على الاطلاق بالنسبة لى

لأنهـا لم تقدم لى الإجابة عن كيف تمكن أهل المرسكوف - الاتحـاد السوفيتى - من أن يواجهوا قضية الفقر.

بدأت بعد ذلك أبحث عن أى منظمة أخرى، فووجهت بمشكلة. تحدثت مع مصطفى هيكل (القلعة). وتحدثت مع بعض الناس الذين تبين لى من خلال معرفتى بهم أنهم يرتبطون بالمنظمة التى أصبحت (طليعة العمـال).. أو مع المجاميع من المثقفين. وقمت بزيارة دار الأبحاث (إيسكرا) كما تعرفت على أصدقاء فى الحركة المصرية. وكانت المسألة بالنسبة لى بالغة الاضطراب، من منهم الصحيح ومن منهم المخطئ؟ ولم أتبين الفروق الواضحة بينهم وطبعاً كنت أسمع كثيراً عن حفلات ايسكرا التى اتضح أن بعض ما يقال عنها مغالى فيه، ولكنى أيضاً لم أنجح فى تحديد أى منظمة أنضم لها بعد أن أصبت بمرض المثقفين وهو حيرتهم وشكوكهم. حتى جاءت مرحلة العمل الجماهيرى الواسع عام ٤٥-١٩٤٦. وهنا انخرطت كلية فى هذا العمل، وكان واضحاً وبشكل جلى أمامى أن الشيوعيين الذين كانوا يتحركون بوضوح فى هذا العمل هم أهل إيسكرا -لطيفة الزيات - والحركة المصرية، فتعرفت عليهم وانخرطت فى العمل معهم.

وكنت بالغ الحماس فى العمل الجماهيرى، كنت ألتزم بتوجيهاتهم، وكنت لم أنضم بعد تنظيميا وان التزمت نضاليا. ولازلت أذكر أنه يوما ما، حين برزت فكرة تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، عقد اجتماع فى مدرج بكلية الآداب، الذى كنا نتلقى فيه محاضرات عامة فى الجغرافيا والتاريخ. فى هذا الاجتماع حاولت لأول مرة فى حياتى أن ألقى خطاباً من أجل الانتخابات. ولازلت أذكر كيف أن صوتى تحشرج، ولم يستمر الخطاب إلا فى حدود خمس أو ست جمل. كنا نرى ضرورة الانتخاب حتى يمكن أن نشارك فى اللجنة الوطنية التى عرفت باللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

هذه المعركة أيضاً أشعرتنى بالبعد الحقيقى بينى وبين الإخوان المسلمين. لازلت أذكر موقف مصطفى مؤمن— زعيم الاخوان المسلمين فى الجامعة - وكان هو وأصحابه يميلون بشكل واضح للهجوم على الوفد، وطبعاً الهجوم على الشيوعيين. كما يميلون بشكل أو آخر إلى الاحزاب التى تتعاون مع القصر حيث أيدوا صدقى. ولازلت أذكر خطابه الذى قاله مدافعاً عن حكومة صدقى (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صديقاً نبياً) فأصبح كلام القرآن منطبقاً على إسماعيل صدقى، كان هذا نموذجاً واضحاً أمامى حول حقيقة الإسلام السياسى وحول

استغلال الاسلام بشكل بشع كما فعل مصطفى مؤمن. ثم قررت بيني وبين نفسي أن أرتبط بهؤلاء الذين يكافحون، أى الشيوعيون. غير أنه حدث أمر غريب، فما أن قررت ذلك، حتى انفجرت الحركة الديمقراطية، وتحطمت إلى شظايا بسبب خط القوات الوطنية الديمقراطية، وعادت حيرتي مرة أخرى.

قمت باتصالات واسعة لمناقشة اعضاء مختلف المنظمات، منهم بطبيعة الحال الأخوة في (د.ش) فبانت لى حقيقة اتجاه بعضهم أكثر وأكثر، ومن الطبيعي أننا كنا نعرف الاتجاهات هنا وهناك، بحكم علاقاتنا كطلاب وهى علاقات خاصة بيننا وبين بعض.

وأيضاً هناك الأخوة فى «التكتل الثورى» والانقسامات التى نشأت عن التكتل الثورى وما أكثر الشظايا!! وبطبيعة الحال الكل يتهم الآخر، وهذه كانت مسألة مخيفة بالنسبة لى. أذهب إلى هذا فيتهم ذاك، أذهب إلى ذاك فيتهم الطرف الآخر.

لم أكن متبيناً فى واقع الأمر حقيقة ما كان يدور. وأيضاً لم أكن مقتنعاً بكل ما يدور. لأن الذين يتهمون بعضهم كلهم أعرفهم وكلهم مناضلون بالنسبة لى، كانوا يكافحون ويناضلون فى الفترة السابقة، غير أنهم أصبحوا جميعًا مرتدين، هؤلاء هم الخونة وأولئك عملاء الرأسمالية .. إلى آخر الاتهامات البشعة، والتى انتهت باتهامات بوليسية من منظمة م ش م (مشمش) لكل المنظمات.

وأذكر أننا كنا مجموعة من الأصدقاء، أنا ومحمود أمين العالم وصديق آخر هو عباس أحمد الذى أصبح من العاملين فى الاذاعة والتليفزيون، ثم أمين عز الدين. وكنا ننتقل مع بعض هنا وهناك، ثم أصبح هناك نوع من الفرز بيننا، أمين عز الدين بعد ذلك اتجه للحركة النقابية، وعن طريق المجلس البريطانى ذهب لبعثة فى بريطانيا. أما محمود العالم فتوثقت علاقتى به أكثر وأكثر، وكذلك عباس أحمد.

غير أن حيرتى انتهت حين عينت بعيداً فى أحد مراكز الصعيد مدرساً فى مدرسة ثنوية بمدينة مغاغة، وكنت أعود فى الصيف لأواجه بنفس الخلافات الحادة .. وبعد عامين عدت للقاهرة لأننى كنت عازمًا على ترك سلك التدريس، وأن أذهب وأعمل فى مجال الإعلام. عدت للقاهرة، فقابلنى محمود العالم بنبأ، وهو أنه انضم إلى نواة الحزب الشيوعى. الاسم براق. إذن هناك منظمة اسمها «النواة» وتسعى لتوحيد الشيوعيين. وقال لى العالم نريد أن نكون الحزب، فقلت له يدى فى يدك نكافح لتكوين الحزب وننتهى من هذه الخلافات المتعبة. ولا أريد

طبعًا أن أستطرد فى التفاصيل الخاصة بنتائج المناقشات التى كنت أجريها قبل السفر الصعيد، مع مختلف المنظمات التى كانت موجودة، كان الانقسام مخيفًا. وكانت الاتهامات مخيفة. . هذا خائن، وهذا مرتد، هذا ..... من هو إذن الصـحيح، السليم؟ لا تدرى. لهذا جذبتنى بشدة فكرة تكوين الحزب.

وود أن أسجل ملاحظات أربع على الانفجارات التى حدثت والاتهامات التى ألقيت. الملاحظة الأولى أن الانفجار كان محصوراً فى الحركة الديمقراطية، ولم يمس على الاطلاق منظمة (د ش).

الملاحظة الثانية أن الانفجار كان لسبب سياسى أولا وأخيراً وهو خط القوات الوطنية الديمقراطية، وأن كل الذين خرجوا على حدتو (وكذلك طليعة العمال) أخذوا يتبنون التصور الخاص بالديمقراطية الشعبية، وهى تعنى شكلاً من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا، وكانت موجودة فى الصين، وهذا الاسم نفسه أطلق على نظام ديكتاتورية الطبقة العاملة فى بلدان شرق أوروبا.

وكانت الأفكار التى تتردد أمامى حول خط القوات الوطنية الديمقراطية أفكار متضاربة، خاصة فيما يتصل بالخلط بين الطبيعة الطبقية للحزب والمصالح الطبقية التى يدافع عنها الحزب فى هذه الفتره أو تلك. إلا أن الأمر الاساسى هو أن خط القوات الوطنية الديمقراطية كان يطرح تصورات مختلفة عن تصورات ديكتاتورية البروليتاريا وأشكالها فى الصين وبلدان شرق أوربا باعتباره الخط المناسب لمصر فى الظروف التى مرت بها حينئذ.

الملاحظة الثالثة، إنه إذا كانت الحركة الشيوعية عند تكوين الحركة الديمقراطية وقبلها قد ضمت شخصيات يهودية هنا وهناك لها نفوذها فإن الشخصيات الفاعلة فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ثم فى إحداث الانفجار كانت شخصيات مصرية، حتى الحركة الديمقراطية أصبح أغلبها حينئذ مصريين. كنت أعرف كمال عبد الحليم ولطيفة الزيات وعز الدين فودة، كان وقتها محامياً، وشهدى عطية وكنت أعرفه حيث كنت أذهب إليه فى دار الثقافة... وغير هؤلاء من الذين قادوا النضال الوطنى ثم صنعوا الانفجار. نعم كان هناك يهود لكن نفوذهم أخذ ينحسر ولم يصبحوا القوة الرئيسية. كانت هناك شكوى من أن هنرى كورييل مسيطر، ولكن هؤلاء الذين قادوا النضال الوطنى الذى أسفر عن خروج القوات البريطانية من المدن المصرية واستقرارها فى منطقة القناة ثم قاموا بعد ذلك بالانقسامات والذين يحتدم النقاش

بينهم هم أساساً مصريون مع إضافة اليهود إليهم، وهذه ملاحظة هامة. إن نفوذ اليهود أخذ ينحسر بشكل واضح مع انخراط المنظمات الشيوعية فى النضال الجماهيرى والتحررى.

والملاحظة الرابعة أن مجموعة طليعة العمال والتى اشتهرت باسم «د.ش» أى الديمقراطية الشعبية بمن فيها من يهود كانت بمعزل عن ذلك ولم يتدخلوا إلا فى حدود التصرفات الصبيانية التى يمكن أن تتم فى مثل هذه الظروف : تعميق الخلاف هنا أو هناك، أو اعتبار كل هؤلاء الناس غير شيوعيين «فنحن فقط الشيوعيون».

هذه الملاحظات تبلورت فى ذهنى مع الأيام، ولفت انتباهى أيضًا الدوامة الهائلة من الاتهامات المفزعة التى كانت قائمة على الرغم من أن كل هؤلاء الناس اثناء الهبة الجماهيرية سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ كانوا مناضلين ومواطنين عظماء.

ارتبطت كل هذه الامور فى ذهنى وأصبح طبيعيا أن يكون رد الفعل هو السعى إلى تكوين الحزب. هكذا وجدت البر الذى كنت أسعى إليه من أجل أن أرتبط عضويا بتنظيم شيوعى.

وبمجرد أن انضممت للنواة أصبحت عضواً فى لجنة النشرة. وكان يرأس هذه اللجنة الرفيق فوزى جرجس، وأصبحت معرفتى به قريبة. هو إنسان لطيف جداً، ابن نكتة، يحب الطرب، واسع المعرفة بالفكر الماركسى وساعد فى انتاج ما عرف بالكتيبات الخضراء التى نقلت الادب الماركسى إلى العربية، ولكنه حينما يتحدث فى السياسة يصبح شخصاً آخر. لو اختلفت معه، فأنت بورجوازى صغير، مباشرة وبلا رحمة. وكنا بطبيعة الحال نناقش مواد المجلة، فنناقش السياسة، فأختلف معه أحيانًا وسرعان ما يتهمنى بالبورجوازية الصغيرة. وكنت طبعاً أتساءل أيهما أكثر فى بورجوازيته لصغيرة- أنا أم هو؟ هو زعيم على كل حال. والشئ الذى لفت نظرى، هو الحدة الشديدة فى الأحكام القاطعة : الليل أو النهار، أبيض أو أسود، دون محاولة لمعرفة الجدل الذى يمكن أن يتم هنا وهناك، ومن ثم كان غياب القدرة على تطبيق الفكر الماركسى على الواقع. غير أن جلساتى معه كانت ممتعة ومفيدة سياسيًا. واستمرت عضويتى فى لجنة النشرة، إلى أن أصبحت مسئولاً عن الجهاز الفنى.. حتى تم إلقاء القبض على فوزى وسعد المهدى وابراهيم عرفة فأصبحت المسئول عن النشرة، والجهاز بالتعاون مع صديقى ورفيقى شعبان حافظ. وكنت أقوم بإعداد النشرة، ثم إعداد نشرة أخرى هى «الى الأمام» والتى خصصناها للحوار مع المنظمات الاخرى من أجل تكوين الحزب، ثم أسافر للاسكندرية حيث يتم الطبع مع شعبان حافظ.

عندما عدت للقاهرة وتركت مهنة التدريس عملت في الاذاعة. وأصبحت لى علاقة بأجهزة الاعلام وبالاعلاميين. وكان هناك عباس أحمد الذى ارتبط بالنواة لفترة، ثم تركها وإن التزم بالفكر بعد أن ترك التنظيم. وأيضاً كنت أعمل وسط بعض العمال وفى وحدات عمالية، أقوم بالتدريس والتثقيف ومناقشة القضايا الجماهيرية وأتعلم منهم. وكنت أمارس عملى فى هذه الفترة فى إطار الحركة الجماهيرية التى تصاعدت مع عودة الوفد إلى الحكم والمطالبة بالغاء معاهدة ٣٦. وكانت نهضة الحركة الجماهيرية باستمرار تؤدى إلى سعى الشيوعيين إلى الترابط والتوحد، فعاد كثيرون من الذين تذمروا وتمردوا على حدتو إلى تنظيمهم السابق وكان أغلب المتذمرين والمتمردين من اسكرا. وتشكلت حدتو من جديد وبدأت تعمل من جديد. واستمر البعض الآخر فى منظمات صغيرة مثل «النواة» و«النجم الأحمر» و«نحشم» وكلهم كانوا فى الأصل من الحركة المصرية واسكرا ثم حدتو. كنا على صلة مع هذه المنظمات الصغيرة، وكنت أيضاً أشارك فى الاتصال بهذه المنظمات ومناقشتها ودعوتها لأن تشارك فى الكتابة والنشر فى نشرة «إلى الأمام» حيث كنا نتبنى تقليداً كان يتم من قبل فى روسيا القيصرية. فنحن لينينيون، إذن فلنسر على نفس نهج لينين حين أصدر «اسكرا» لتجميع الشيوعيين وبلورة فكر موحدٌ لهم، ولتكن لنا نشرة كما فعل اسمها «إلى الأمام» لتجمعَ هذه النشرة المنظمات الأخرى ولتتحاور على صفحاتها فيكون هناك صراع فكرى بين فصائل الحركة يتوج بمؤتمر يؤسس الحزب. وكانت علاقات النواة طيبة بكثير من المنظمات الصغيرة لكن المنظمات الاخرى التى كانت تعمل مثل دش أو طليعة العمال والحركة الديمقراطية وتنظيم الراية الذى تشكل حينئذ ... كلها كانت بعيدة عنا.

على أننى أثناء عملى فى الاعلام وفى المجال الثقافى، تعرفت على كثير من المرتبطين بتنظيم عُرف فيما بعد باسم «طليعة العمال»، الأمر الغريب أنه على الرغم من علاقاتى الشخصية بهم وسهراتى معهم، ومعرفتهم الواضحة بأنى شيوعى - فأنا لم أخف هذه الحقيقة - لم يذكر واحد منهم كلمة واحدة عن الشيوعية، وكان هذا شيئاً غريباً بالنسبة لى.

وأذكر أنه فى يوم من الايام جاءنى عبد الرحمن الشرقاوى، وكنت على صلة به، ليعرفنى بأحمد رشدى صالح الذى أراد أن يصدر مجلة، وكنت أعرف أن أحمد رشدى صالح هو أحد قادة المجموعة التى كانت تتشكل منها رويداً رويداً منظمة «طليعة العمال». فرحبت وقابلت أحمد رشدى صالح، فإذا به يحدثنى حديثاً مهنياً خالصاً فلقد قرروا إصدار مجلة أو صحيفة

ومطلوب مني كمهني أن أعمل معه، وكنت أتصور أن نتناقش في الأهداف السياسية لما كان سيصدره. فلم أعد إليه بعد ذلك. هذه كانت صورة غريبة مع زملاء كانت علاقتي بهم وثيقة، بل ونشأت علاقات عائلية مع بعضهم. ومع ذلك لم ينبس واحد منهم بكلمة واحدة أنه يرتبط بتنظيم شيوعي. طبعاً كان اتجاههم واضحاً في مناقشاتهم السياسية العامة. بل وكنت أعرف أيضاً علاقتهم بتنظيم معين. غير أنهم التزموا الصمت. ولم يكن الشأن على هذا المنوال مع ابناء الحركة الديمقراطية. فقد كنا نلتقي بهم في إطار العمل الجماهيري، وكانت لي معهم مناقشات، وكنت وقتها من أنصار الديمقراطية الشعبية بوصفها نظاماً مناسباً لمصر، ناقداً في نفس الوقت خط القوات الوطنية الديمقراطية. ومع ذلك لم ينقطع حديثنا معهم حول الاشتراكية العلمية الشيوعية. والمفارقة أن هذا الحديث كان يتم مع أصحاب خط القوات الوطنية الديمقراطية .. بينما لم يكن هناك أي حديث حول الاشتراكية والشيوعية مع أعضاء طليعة العمال الداعين إلى الديمقراطية الشعبية كشكل من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا.

ثم قامت حركة الجيش عام ١٩٥٢ بعد تفكك النظام الملكي أمام ضغوط الحركة الجماهيرية، والجميع يعرف مواقف مختلف المنظمات من حركة الجيش. أيدت الحركة الديمقراطية حركة الجيش بحكم مشاركة أعضائها من ضباط الجيش فيما تم. أما المنظمات الأخرى ومنها تنظيم النواة فقد وضعت شروطاً للتأييد ثم سرعان ما أخذت الواحدة تلو الاخرى تقف موقف المعارضة، وكان أشد هذه المواقف وصف الفاشية الذي أطلقه تنظيم الراية على حركة الجيش. ورافق ذلك معارضة الاحزاب الشيوعية في العالم لحركة الجيش.

وجسد هذه المعارضة تقرير أصدره الرفيق بالم دات (من قادة الحزب البريطاني) انتقد فيه بشدة موقف الحركة الديمقراطية وطالب الحزب السوداني بقطع علاقاته بحدتو ووقف تأييده لحركة يوليو المصرية. كان الوضع بالغ الغرابة : الحركة الديمقراطية وحدها هي التي تؤيد حركة الجيش في مواجهة كل المنظمات الشيوعية المصرية والاحزاب الشيوعية العربية والاحزاب الشيوعية في مختلف البلدان. وكانت الرؤية العامة عند هذه الاحزاب لحركة الجيش عام ١٩٥٢ أنها مثل الانقلابات العسكرية في بلدان أمريكا اللاتينية التي كانت تساند المصالح الامبريالية وتضمن بقاء نفوذها. ثم أتى بعد ذلك تقرير بالم دات الذي يدين علناً موقف الحركة الديمقراطية الذي صاغته من رؤية خاصة للأوضاع في مصر، ومن معرفة بحقيقة الضباط الذين قاموا بهذه الحركة كضباط وطنيين. ولقد شكلت مواقف هذه الاحزاب

والمنظمات ضغوطًا هائلة على قيادة الحركة الديمقراطية خاصة أن المنظمات الشيوعية المصرية (ومنها حدتو) كانت منقطعة الصلة بقيادة الحركة الشيوعية العالم ومن ثم تعذر الحوار إذا ما نشأ تباين أو خلاف فى المواقف.

لقد نشأت حركة الجيش من ظروف بالغة التعقيد . كانت هناك حركة جماهيرية يشارك فيها أساسا حزب الوفد والمنظمات الشيوعية. ومارست هذه الحركة ضغوطًا على نظام الحكم فى مصر مما أدى إلى شرخ فى بنائه تمثل فى قيام الوفد - وهو فى الحكم - بالغاء معاهدة ٣٦ ثم قبوله عن رضى بحركة المقاومة المسلحة فى منطقة القناة ضد قوات الاحتلال البريطانى ثم تم صدام جنود البوليس مع هذه القوات. وأدى هذا الشرخ فى نظام الحكم المصرى إلى اضطراب شديد فى سلوك الملك الذى أخذ يشكل الوزارات بعد حريق القاهرة الواحدة بعد الأخرى ومن يوم لآخر. كان مستحيلا أن يستمر الوضع على ماهو عليه .

ولم يكن بين قادة حركة الجماهير بعد عودة الوفد (وهى الحركة الجماهيرية الكبيرة الثانية التى شارك فيها الشيوعيون منذ الحركة الأولى عام ٤٥-٤٦) لم يكن بينهم من يصلح لمواجهة الأزمة وتجاوزها. كان الشيوعيون عامة لهم تصوراتهم حول التحالف للنضال ضد الاحتلال البريطانى وأعوانه بين القوى المصرية، ونجحوا فى اقامة هذا التحالف إلى حد كبير. ولكن لم يكن لديهم تصورات حول ما يمكن أن يكون بديلاً عن الأوضاع القائمة التى تنهار أمام عيونهم، أى بديلا عن السلطة القائمة، اللهم إلا تصورات حول الديمقراطية الشعبية، هى أحد أشكال ديكتاتورية البروليتاريا، وهو ما كان مستحيلاً تنفيذه على ضوء الظروف السائدة حينئذ، محلياً واقليمياً ودولياً. فى مثل هذه الظروف بالغة التعقيد توافرت شروط أتاحت لتنظيم الضباط الاحرار كل الفرص للتحرك وتولى السلطة باعتباره التنظيم الوحيد الذى يملك القوة لتحقيق الهدف، أى أن ما حدث بدا وكأنه انقلاب من داخل السلطة قام به الجيش لإنقاذ الحكم .فصدر الحكم على أن ما حدث شبيه بما يحدث من انقلابات عسكرية اشتهرت بها بلدان امريكا اللاتينية، فأطلقت المنظمات الشيوعية شعار إسقاط الديكتاتورية العسكرية كما أطلق تنظيم الراية شعار إسقاط الفاشية. تنظيم واحد اختلف مع كل التنظيمات الشيوعية المصرية ومع كل الاحزاب الشيوعية فى العالم، وهو تنظيم «حدتو» لأن ما حدث بالنسبة له لم يكن مجرد قيام الجيش بالاستيلاء على السلطة لإنقاذ النظام القائم، إنما الذى نفذ ما حدث هو تنظيم سياسى للضباط الاحرار داخل الجيش كان بين قادته أعضاء شيوعيون من تنظيم

حدتو. وقام تنظيم الضباط الأحرار أول الأمر بالإطاحة بقيادة القوات المسلحة بل إن الضباط الشيوعيين فى التنظيم هم الذين قاموا بالدور الرئيسى فى هذه الإطاحة ليصبح للقوات المسلحة قيادة جديدة (سياسية) من الضباط الأحرار الذين استعانوا بعد ذلك بهذه القوات للاطاحة بالسلطة القائمة. هناك إذن حلقة مفقودة لم تدركها التنظيمات والأحزاب الشيوعية الأخرى تجعل ما حدث فى مصر مختلفا عن الانقلابات العسكرية التقليدية. أضف إلى ذلك أن قيادة حدتو كانت تعرف طبيعة الضباط أبناء البرجوازية المصرية بقدر ما كانت تعرف نزعاتهم الوطنية بحكم الممارسات النضالية مع هؤلاء الضباط. ومما زاد الامر تعقيداً أن تنظيم الضباط الاحرار لم يكن يضم فقط ضباطاً وطنيين بالمعنى العام لهذه الكلمة، بل كان يضم أيضاً ضباطاً من الإخوان المسلمين أصحاب التوجهات اليمينية بقدر ما كان يضم ضباطاً شيوعيين.

وأذكر أنه فى اليوم التالى لما حدث أقبل علىّ الاصدقاء من الحركة الديمقراطية مهللين مبشرين ذاكرين أسماء الضباط الشيوعيين أعضاء تنظيمهم ممن شاركوا فيما حدث شارحين الظروف الجديدة التى تقتضى الوقوف مع حركة الضباط لحمايتها والتأثير فى توجهاتها، فالصراعات مشتدة بين الأعضاء بسبب تعدد الانتماءات والتوجهات.

ولقد قامت حركة الجيش بأعمال وطنية منها إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية وتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى والسعى إلى توطيد صناعة وطنية، ولا زلت أذكر ما قاله الرفيق سمير توفيق عضو النواة الذى كان يعمل فى مصانع (رباط) عن زيارات الضباط الأحرار المصنع والتحدث مع أصحابه فيما يمكن عمله لتعزيز وتطوير إنتاجه. وفى نفس الوقت قامت حركة الضباط الاحرار بكثير من الخطوات المعادية للديمقراطية لعل أخطرها نجاح بعض أعضائها فى محاكمة وإعدام العاملين خميس والبقرى ثم التنكر للحياة الديمقراطية ثم أحداث مارس عام٥٤.

وتم كل ذلك فى خضم صراعات عنيفة بين أعضاء التنظيم بل وبين وحدات القوات المسلحة، تمت بمشاركة جماهيرية أحياناً، وذلك كله أصبح معروفاً ولا داعى لتكراره.

وما يهم هو التأكيد على أن قيادة حدتو أصبحت عاجزة عن مواجهة الضغوط التى تشكلها معارضة كل التنظيمات المصرية والأحزاب الشيوعية فى العالم لموقف حدتو من تأييد حركة الجيش، كما أن تصرفات حركة الضباط المعادية للديمقراطية والصراعات العنيفة التى تمت

ضد ضباط حدتو المنتصرين للديمقراطية جعلت القيادة تنهار سياسيا مرتدة عن مواقف التأييد، وصاحب ذلك انفجار جديد فى التنظيم ليتحول إلى شظايا متناثرة، حتى أن سكرتير عام حدتو لم يحتمل مسئولية ما تم من تأييد حركة الضباط فانقسم بدوره على التنظيم الذى كان يقوده، كانت الضغوط هائلة ومستحيل تحملها.

ولازلت أذكر الهجمات العنيفة التى كانت توجه من أعضاء حدتو إلى قيادتها، ثم أذكر الهجمات القاسية التى كانت التنظيمات المصرية توجهها إلى أعضاء حدتو مثل شعار «قتلة خميس والبقرى»، كما لازلت أذكر كيف كنت أحمل معى تقرير الرفيق «بالم دات» الذى أدان الحركة الديمقراطية وأدور به على كافة التنظيمات ثم على أعضاء حدتو معلنا أن الأممية كلها تدين حدتو .. ومرة أخرى تحول تنظيم حدتو إلى شظايا.. ورغم كل ذلك لم تنقطع صلاتى بالاعضاء فى تنظيم حدتو لأنهم كانوا فى الشارع اكثر من غيرهم. وأبداً لم تكن تنقطع مناقشاتهم بصراحة ودون إخفاء أو اختفاء. ومع هذه التطورات طرأت على تنظيم النواة تطورات أخرى هامة حتى أصبح بين التنظيمات الصغيرة – فى تقديرى – هو اكثرها نشاطاً.

فلقد دخل فوزى جرجس ومهدى وعرفة السجن، وحل الضعف بالقيادة أول الامر ثم أصبحت القيادة أساسا فى يد أعضاء اختلفت توجهاتهم الجماهيرية والعلنية عن السابقين، وكان أبرز القادة الجدد هو محمود أمين العالم، وكنت وغيرى معه فى القيادة. وسعى كل أعضاء التنظيم إلى العمل الجماهيرى بين العمال والمثقفين، غير أن نشاطنا فى الريف كان غائبًا. ولا شك أن أعضاء النواة ممن سيدلون بشهادتهم سيذكرون أطرافًا من نشاطهم الجماهيرى، وكان معظمنا يتولى أكثر من مهمة واحدة فى نفس الوقت لقلة عددنا. كذلك كانت علاقاتنا بالتنظيمات الصغيرة وثيقة لم تنقطع، ثم كان لبعضنا مقابلات ومناقشات مع أعضاء حدتو. أما علاقاتنا مع أعضاء طليعة العمال وتنظيم الراية الجديد فتكاد أن تكون غائبة تماماً وإن كانت نشراتهم تصلنا، وكانت مواقف النواة السياسية متماثلة مع مواقف المنظمات الاخرى المعارضة لرأى حدتو، باستثناء تنظيم الراية الذى اشتد فى معارضته مطلقًا شعار إسقاط الفاشية.

على أنه بين كل أنشطة أعضاء النواة الجماهيرية كان نشاط محمود العالم الأكثر جماهيرية والأكثر علنية، فهو بارز بين المثقفين، وقد دارت فى هذه الفترة بينه وبين طه حسين والعقاد حوارات شاركه فيها عبد العظيم أنيس، ولأن هذه الحوارات كانت تدور حول الأدب

والنقد والمفاهيم المطروحة بشأنهما، ولأن محمود وصاحبه طرحا مفهوم الواقعية الاشتراكية فى هذه الحوارات المنشورة فى الصحف مع أبرز المثقفين وهما طه حسين أساسا والعقاد إضافة،مقدمين على السطح وعلنا وفى الصحف موقف الشيوعيين من هذه القضايا، فقد أصبح هذا الحوار حينئذ بين أبرز الشواهد العلنية على نشاط الشيوعيين تأكيداً لأفكارهم. ولم يكن فى الكلام أى إخفاء أو اختفاء. وكان لنشاط محمود فى هذا المجال بالاضافة إلى نشاطه السياسى، ما وسع من آفاق عمل تنظيم النواة بين المثقفين وفى المجال الثقافى.

ومع توسع النشاط ازدادت متابعة البوليس لنشاط الاعضاء. وحدث أن تم إعداد النشرة يوما ووصلت من الاسكندرية.. إلا أن تطورات هامة طرأت على الأحداث فى مصر جعلت المعلومات الواردة فى النشرة بعيدة عما تم فى الواقع، ولم يكن لتوزيع النشرة فائدة. غير أن إعداد النشرة كان مكلفًا جهوداً ومالا ومخاطرة. فأخذت القلم وكتبت سطرين على أول صفحة من صفحات النشرة لأنبه القارئ مسجلاً تعليقًا خاطفًا على ما استجد من تطورات . وكان معى رفيق آخر هو عبد العزيز اللبودى، المحامى الشاب، فأخذ بدوره يسطر على الصفحة الأولى لبعض النسخ ما كتبت. وكان ذلك خطأ جسيماً ارتكبته، إذ وقعت بعض هذه النسخ فى يد البوليس. وتمت الحملة على الاعضاء للاستفادة من الكلام المكتوب كدليل يضع من كتبه تحت طائلة القانون، وكنت واللبودى من بين من ألقى القبض عليهم. وشاءت الظروف أن ما وقع من نسخ فى يد البوليس سجل عليها خط اللبودى فأفرج عنى بعد عدة أشهر وظل اللبودى فى السجن إلى أن أفرج عنه هو الآخر مع عدد من الرفاق. دخلت سجن القناطر ولى تجربة لابد أن أذكرها. صديقى فوزى جرجس، بحدته الشديدة فيما يتبنى من أفكار، كان يرى أن كل من يدخل السجن ليس له الحق فى أن يحكم على سياسة التنظيم أو يتدخل فيما يصدره التنظيم من قرارات، فمن فى الخارج هم وحدهم القادة، ومن فى داخل السجن عليه أن ينفذ قراراتهم. ولقد جئت إلى السجن من الخارج، إذن أنا قائد عليهم .. على فوزى ومهدى وعرفة، وكان بينهم مشاكل : مهدى وفوزى من ناحية، ومن ناحية أخرى ابراهيم وعرفة أو «حوطر»، وهو اسمه الحركى المأخوذ من آلهه الفراعنة، وكانت للأخير علاقات قديمة بأعضاء الحركة الديمقراطية، بينما فوزى ومهدى ينفرون منهم ولهذا بدأ الخلاف بينهما وبين «حوطر» وكان على أن أحكم فى هذا الخلاف الذى أخذ طابعا سياسيا اتصل بموقف النواة ومنهجها لتحقيق الوحدة.

كنت عضواً فى النشرة. ثم أصبحت مسئولاً عن الجهاز. ثم أصبحت مسئولاً عن النشرة ومشاركًا فى مسألة الجهاز. ثم ..... ثم ..... ثم.. إذا بى عندما أدخل السجن، أصبح الحكم والقطب الأكبر بين كل قادة النواة القدامى .. هذه مسألة ليست بسيطة . وأصبحوا يطلبون منى أن أحكم وأن أصدر القرار. طلب منى أن أعلن أن هذا مخطئ وعقوبته كذا، وهذا صالح و..... هذه المسألة بالنسبة لى لم تكن معقولة على الإطلاق. المسائل تؤخذ بالسياسة وبالمناقشة.. ثم بمشاركتهم هم أيضًا فى اتخاذ القرار. أنا لست أهم منهم وأرفع شأنًا من الناحية التنظيمية. كانوا يطلبون منى - بخصوصاً فوزى وأيضًا مهدى - لابد أن تحكم ولك أن تصدر قراراً.

وكنت موقنًا أنه لو حكمت بقرار سينفذه فوزى فهو صاحب هذا المبدأ، ولكن هذه رؤية شكلية ولا صلة لها بالواقع، ولا صلة لها بالتعامل مع حل المسائل. ليست المسألة إصدار قرارات. ثم هل أنا هو من سيصدر مثل هذا القرار بشكل منفرد والذى سيحكم على فوزى وسيحكم على مهدى وسيحكم على ابراهيم عرفه.. بأى حق؟ حاولت أن أؤجل، أقول صبراً يا رفاق، دعونا نفكر معا، حتى جاءنى الفرج حين نودى على يوما «بهيج نصار . إفراج» .

فى النهاية ، أفرج عنى وعدت للإذاعة، لسبب هو أن صلاح سالم كان مسئول الاذاعة ممثلاً للجيش، وقد شكل لجنة لتنظيم ومناقشة سياسة الاذاعة كان من بين أعضائها أحد أصدقائى، وكان مسئولاً عن قسم السودان فى الاذاعة المصرية، فدافع عنى. هذا يقول نطرده وصاحبى يدافع عنى ثم تقررت عودتى للإذاعة. ولكن بعد أشهر كانت محاولة الاعتداء على جمال عبد الناصر فى المنشية، فدخلت المعتقل مع غيرى من الرفاق، ولهذا المعتقل قصة. تركنا محمود العالم والرفاق فى الخارج والبعض فى سجن القناطر، وأنا موجود فى سجن أبو زعبل ومعى عدد من الرفاق منهم محسن الخياط وعبد الله الزغبى وفوزى جرجس الذى كان قد خرج من السجن. ووجدت أيضًا أعضاء من تنظيم (نحشم) كان يتولى أسرهم محمود المانسترلى .. وكان معنا أعضاء من د ش أو تنظيم طليعة العمال ورئيسهم محمود العسكرى الذى كان يجلس بينهم مثل كبار المعلمين، كما كان هناك العديد من أعضاء حدتو ومن تنظيم الراية.

وبدأت قصتنا فى المعتقل. لم أكن أثق فى (د ش) على الإطلاق. ومظاهر تقربهم إلينا ورغبتهم فى التعامل وخلق علاقات طيبة معنا، لم تكن غير أكذوبة. وبطبيعة الحال أول شئ

فعلناه هو إصدار «إلى الأمام»، فنحن محصورون على تكوين الحزب وطريقنا هو «نشرة إلى الأمام» وكان لمجموعة الراية عنبر خاص هو العنبر رقم ٢ وكانت هناك مجموعة ضخمة جداً من كوادر الحركة الديمقراطية. وتشاء الظروف أن ألتقى برجل منهم كانت الحركة الديمقراطية قد كلفته بالاتصال للتعاون والتنسيق معى، فألقى عليه القبض ثم قبض علىّ بعد ذلك لنتقابل معا فى المعتقل، وهو الرفيق محمد عباس فهمى. كنا نعيش فى عنبر نحن ومحمود المانسترلى وكل مجموعة (د.ش) ولم يكونوا كثيرين، وكذلك أعضاء من الحركة الديمقراطية. أما باقى أعضاء حدتو فكانوا يعيشون فى عنبر آخر مع المستقلين بالاضافة إلى تواجدهم معنا. وكانت لنا علاقات فى الخارج مع نحشم ومع النجم الأحمر. وكان طبيعيا أن تكون لنا علاقات مع محمود المانسترلى ومن معه من أعضاء نحشم .. وعلى الفور حاولت (د.ش) أن تلتقى بنا جميعًا نحن أعضاء المنظمات الصغيرة وكان واضحًا أنها تريد أن تجمعنا لكى نطلق مدافعنا معًا على الحركة الديمقراطية.

المشكلة عندى كانت كيف أقنع فوزى جرجس بأكذوبة د.ش وبحقيقة الوضع الذى نحن فيه. فقد كان لا يطيق إقامة علاقات مع حدتو، ومعنى ذلك ضرورة إقامة علاقات مع الآخرين.

أصدرنا (إلى الأمام) وأول عدد حمل مقالات لنا ولزملاء فى مجموعة (نحشم) كنا نطلب من الزملاء فى (د.ش) الكتابة فى النشرة ويكون الرد : العدد القادم ثم العدد القادم .. كنت أعرف أنهم لن يكتبوا كلمة واحدة، لأنهم لا يريدون أن يورطوا أنفسهم فى علاقات تنظيمية مع آخرين.. هذا موقف أساسى لهم. وظللت أنبه فوزى طوال الوقت إلى هذه الحقيقة.

من ناحية أخرى كان الإخوة فى د.ش أو طليعة العمال يعتبروننى رجلاً طيبًا صالحًا غير ملوث. لست مثل فوزى جرجس ولست مثل آخرين لهم تاريخ طويل فى «التآمر» و.. إنما أنا رجل صالح وطيب. وكذلك كانوا يعتبروننى فى الحركة الديمقراطية رجلاً صالحًا، خاصة أننى كنت على علاقة بهم رغم اتهاماتى لهم بشدة وعنف، وهى اتهامات طابعها سياسى بحت. وكانت بينى وبين بعض منهم مناقشات سياسية مثل محمد عباس فهمى وجمال غالى وسيف صادق. كنت أستمتع بالمناقشة معهم حول الماضى والحاضر والمستقبل.

ثم حاولت بعد ذلك محاولة أخرى فيها تحد لـ(د.ش) قلت لهم : دعونا نتحدث معًا حول قضية الوحدة. طبعًا هذا لا يمكن فهى جريمة كبرى. ولكنى ألححت عليهم، ثم اتفقت مع فوزى مؤكداً له ألا داعى أن نضحك على أنفسنا ولنقطع علاقتنا أو لنعلن بوضوح بيننا وبين

أنفسنا أنه لا أمل فى حكاية الوحدة والمجلة المشتركة من أجل الوصول إلى خط سياسى موحد مع (د.ش) فهذا أمر ميئوس منه. واقتنع الرجل .. ولكن حيث أنه هو صاحب الفكرة الأساسية (النشرة المشتركة) وهو تقليد لينين القديم فقد كان من الصعب عليه أن يعترف بفشل المشروع لأن ذلك يعنى طرح السؤال من جديد. هل يا ترى هذا هو الطريق أم لا؟ ثم ما هو الطريق الآخر؟ نعم ينبغى أن يكون هناك وضوح فى خط واحد للحزب الواحد، لكن ربما كانت للينين ظروفه الخاصة. كانت لديه وحدات فى سيبريا ووحدات فى أوكرانيا، ولنه لشئ مفتعل أن نفعل مثلما فعل، فنحن نقيم بجوار بعضنا فى عنبر واحد بسجن أبى زعبل، هل لابد من أن تكون هناك نشرة مشتركة مع أنه من الممكن أن نتبادل الأفكار طوال الليل والنهار. هذا النهج اللينينى فرضته ظروف معينة مختلفة عن ظروفنا، هذه مسائل كانت تحتاج منا لنظرة واقعية، دون أن نتمسك بهذه الشكليات. ومع ذلك استمر إصدار النشرة بيننا وبمحمود المانسترلى الذى كان ينام بجوارى. حتى حدث ظرف جديد، وهو وجود ناس جدد من (د.ش) وكان معهم ريمون دويك. وبدأت علاقتى بريمون دويك تتوثق. هو رجل حديثه عذب. حينما يتحدث عن قضية ينتقل بك من فرنسا إلى سويسرا ثم أمريكا .. ثم يلقى بك فى قلب القضية آخر الأمر. كانت له طريقة فى الحديث. هو لا يقدم فكرته أول الأمر. إنما يطرح أسئلة وأسئلة، ثم أسئلة جانبية أخرى، ثم أسئلة جانبية ثالثة. وعليك أن تجيب على هذه الأسئلة، حتى يصل إلى مرحلة معينة يشعر فيها أنك اقتربت من فكرته الأولى التى توجد خلف رأسه، فيلقى بهذه الفكرة، فيكون منك الاقتناع ما بعده اقتناع.

كنت أعرف هذا الأسلوب، لكننى كنت أستمتع حقيقة بالقصص التى كان يرويها والخبرات المختلفة مستخلصا ما كن يقرأه، وكان واسع المعرفة بلاشك، غزير المعلومات بلاشك.

وكانت طبيعته - كشخص كزموبوليتانى له أصول يهودية يجوب تائها فى العالم كله - كانت طبيعته تجعل لكل قضية يطرحها أبعاداً عديدة ومتنوعة. حينما كنت أشعر بضيق كنت أذهب لأتناقش مع هذا الطرف أو ذاك، وكان ريمون من بين الاطراف التى أناقشها دائما. ولن أنسى أبداً حكاية قالها لى - وكنا نتحدث عن الحركة الديمقراطية - فقال لى فكرة عبقرية ولا تحتاج لجهد كبير لتدمير الحركة الديمقراطية: لا داعى للمناقشات ولا داعى لكل هذا الضجيج، فهذه منظمة ينبغى أن ننتهى منها، ويمكن أن ننتهى منها لو تمت تصفية الأربعين أو الخمسين محترفًا الذين يمسكون بالتنظيم فى قلبه. وقد دهشت من هذه الفكرة لبساطتها،

وعبقريتها. إنك بضربة واحدة تنهى تياراً. وأنا لم أكن فى هذه الفترة أنتمى لحدتو ولهذا لم أنزعج من هذه الفكرة حينما تقدم بها. فالحركة الديمقراطية كانت تؤيد حركة الجيش التى أدانتها الاممية، وإذا تمكنا بضربة واحدة من تصفية أربعين أو خمسين عضواً محترفاً فى هذه المنظمة تنهار المنظمة فكرياً وتنظيميا ونضالياً. وقد استرجعت هذه الفكرة فى يوم من الأيام حين تم تنفيذها.

وأثناء ذلك كانت تصلنا معلومات من الخارج بأن الوحدة ستتم مع الحركة الديمقراطية. كانت علاقتى بقيادة الحركة الديمقراطية طيبة، ولم تكن فقط علاقتى بالكوادر القائدة، إنما كانت علاقتى كذلك بالعديد من الزملاء القاعديين المتمردين على قياداتهم والذين يدينون بشدة هذه القيادة الملعونة التى أيدت حركة الجيش. وكانوا يجدون عندى هذا الصدر الطيب الرحب. أسمع منهم الشكوى تلو الشكوى من قيادتهم التى ارتكبت هذه الجريمة، ولهذا كانت علاقتى بهم طيبة على أساس أننى ضد هؤلاء الذين ورطوا تنظيمهم فى تأييد حركة الجيش، ولهذا ستصبح هذه العلاقات مشكلة المشاكل حينما تتم الوحدة وحينما يتغير الموقف السياسى.

ثم جاء يوم من الأيام، وفتح باب السجن ودخل عدد من القيادات من بينهم أنور عبد الملك، وكنا نعرف أن له علاقة وثيقة بشهدى عطية، لأنه كان له دور كبير جداً فى تمرد التكتل الثورى على حدتو الذى قاده شهدى، وكان أحمد الرفاعى يعرفه جيداً، وكنت أعرف أيضاً أنه يعرف محمود العالم جيداً. كان يحمل توجيهات من الخارج فطلب الاجتماع بأحمد الرفاعى وفوزى جرجس ومحمود المانسترلى وأنا أيضاً. كان مفهوما أن يجتمع بأحمد الرفاعى فهو المسئول عن الحركة الديمقراطية، وفوزى جرجس المسئول عن النواة، ومحمود المانسترلى المسئول عن مجموعة (نحشم) أما أنا فلا أعرف لماذا طلب تواجدى معهم حتى ينقل إلينا التوجيهات. وطلب من الثلاثة حل منظماتهم جميعًا وأن يندمجوا معا جميعًا وأن يشكلوا تنظيمًا واحداً. أما المسئول السياسى عن التنظيم الجديد فى أبى زعبل.. فهو «أنا». كانوا فى الخارج يعلمون أننى لست مثل فوزى حاداً فى خصومتى للحركة الديمقراطية. وفى نفس الوقت كان صعباً أن يتولى رفيق من تنظيم الحركة الديمقراطية المسئولية رغم أنه التنظيم الأشمل والأكبر بسبب الخلافات السابقة، وكان الحل أن يقولوا إن بهيج نصار هو المسئول السياسى داخل المعتقل..

ياللهول .. سوف أواجه كل هذه المشاكل وأنا وحدى فى المعتقل. أما محمود المانسترلى فرفض التنفيذ - قلت الحمد لله، تكفى المشاكل الباقية بين فوزى والحركة الديمقراطية

وأعضائها ثم هناك تغيير الخط السياسي. أصبحت مسئولاً إذن وعليّ التصرف. طبعا إن تصور أن المسئول يضرب بيمينه فيطيح بالبعض ويضرب بيساره فيطيح بالآخرين مسألة بعيدة عني كل البعد، ولكن لابد من معالجة الموقف. والحقيقة أن أحمد الرفاعي رجل لديه الخبرة العملية، كان ذكيا جداً، فقبل على الفور. يتميز أحمد الرفاعي بشئ غريب فليس هو رجل التحليلات النظرية، ولكنه قائد معارك يمكن أن يصدر توجيهات عملية سليمة. والكمبيوتر العملى عنده رائع وليس الكمبيوتر النظرى على الإطلاق.

حسم أحمد الرفاعي الأمر على الفور. حتى أن هناك بعض رفاقه الذين بدأوا يتساءلون مثل ابراهيم عبد الحليم – لماذا ونحن أغلبية وهم أقلية.. إلى آخره. ولكنه ركن ابراهيم عبد الحليم بعيداً عن التنظيم كله وأبلغني أن له ظروفه الخاصة، وكنت أعرف الأسباب الحقيقية، ولكن حمداً لله. فقد أبعد عني شخصاً آخر كان من الممكن أن يثير مشاكل لا حد لها، هو مع الحزب، لكن له ظروفه الخاصة، إذن فليكن بعيداً عن التنظيم عمليا بسبب هذه الظروف.

ثم أصبحت أواجه فوزى والحركة الديمقراطية. وأنا أعلم أن مسألة رفضه للحركة الديمقراطية مسألة "دينية". هو سينفذ وسيقول نعم، لكن كيف سيتفاعل مع قيادة حدتو. وأيضاً أحمد الرفاعي يعلم "جيداً" أن خصومة فوزى جرجس للحركة الديمقراطية مسألة دينية ويرفض التعاون معها – لكنه سينفذ، فهكذا جاء القرار من الخارج، وهو لا يملك إلا التنفيذ. المشاكل إذن قائمة. وبدأت الاجتماعات وتشكلت اللجنة المؤقتة. كنت المسئول ومعى ثلاثة من النواة هم فوزى جرجس ومحسن الخياط وعبد الله الزغبى، وكان في اللجنة أربعة من حدتو هم أحمد الرفاعي ومحمد عباس فهمى وسيف صادق وجمال غالى.

المهم أن فكرة التوحيد كانت واضحة وحاسمة في ذهني. فمن أجل هذا اختارني رفاق الخارج مسئولا فبدأت العملية معقدة أمامى وبالذات بين فوزى وأحمد. فوزى متسرع ليس لديه صبر وأخذ يهاجم أحمد ورفاقه بشدة ولأقل الأسباب، وأحمد الرفاعي يستفز فوزى ليزداد هجومه لأى سبب.. واستمرت هذه العملية جلسة وراء جلسة. وكان عندى أمل أنه مع الزمن يمكن أن تنتهى هذه الأمور الصبيانية أو أن نخرج من المعتقل وأستريح من هذه المشكلة. حتى جاء يوم وحدث ماكنت أخشاه لاتخاذ القرار الصعب. طلب فوزى وأنور عبد الملك اللقاء معى. وكان فوزى يعتبر أنور هو المرجع فهو الذى أتى بالتوجيهات من الخارج وما على من في الداخل إلا أن يطيع وينفذ، ولكنه نسى أن بين التوجيهات أن أصبح أنا المسئول السياسى وليس أنور عبد الملك.

هل كان أنور تنظيميا فى هذه الفترة، فى النواة قبل الموحد؟ هل كان فى الحركة الديمقراطية؟ لا أستطيع الحكم، لأنى كنت فى المعتقل ولكنه جاء بتوجيهات. معنى ذلك أنه له صلة عميقة. ربما كان أنور عبد الملك يستند إلى شهدى، وأن شهدى كان قائد للحركة الديمقراطية فى الخارج على الرغم من أنه لم يكن فى قيادة حدتو بسبب «التكتل الثورى».

المهم جاء اليوم وكان هناك اجتماع بينى وبين فوزى وأنور عبد الملك. أنور يقول أنت مسئول وعليك أن تفصل فلانا وعلانا. وهنا صدمت. المفروض أنهم فى الخارج أوكلوا إلى مسئولية سياسية ليس لأفصل وأقطع الرقاب إنما لأدعم الوحدة الوليدة، خاصة أنه بدأت تبدو بعض التباشير بأن ثمة احتمالات فى تغير الموقف السياسي من حركة الجيش .. أى العودة إلى رأى حدتو السابق... ثم يأتى فوزى وأنور عبد الملك يطلبان منى أن أصدر أوامرى باعتبارى المسئول بفصل فلان وعلان (أحمد الرفاعى ورفاقه)، ولم أكن أهتم حقيقة بمسألة الوحدة كشئ مجرد. ولم أكن أهتم بمسألة الفصل فى ذاتها، إنما كنت أدرك بوضوح أنه لو فعلت ذلك والوحدة وليدة، ونحن فى المعتقل ومعظم الكادر والأعضاء فتكت بهم الصراعات طوال السنوات الثلاث الماضية ومنذ قيام حركة الجيش، كان تدمير الوحدة وهو ما سيؤدى إلى انهيار معظم الاعضاء فتتم تصفية معظمهم. هنا اتخذت قرارى وطلبت من فوزى أن يختار هل يستمر وراء أنور أم مع الحزب ومسئوله؟ فقرر أن يسير وراءه وأعلن أنه خارج الحزب الموحد، واستمر جميع الأعضاء فى اللجنة القيادية معى : عبد الله الزغبى ومحسن الخياط وأنا، بينما خرج ومعه بعض الاعضاء ممن تربوا على يديه، ولم يكن لخروجه أى تأثير على أعضاء النواة فى الخارج الذين ارتبطوا بالحزب، لأن الناس كانت سعيدة. ولأن الموقف السياسى بدأ يتغير نحو نفس الموقف الذى كانت تتهم به الحركة الديمقراطية وكان هذا هو السبب فى أن فوزى خرج ومعه الأربعة أو الخمسة الموجودون معه فى المعتقل، وقد استمروا هم فقط معه بعد الخروج من المعتقل، ولم يضف اليهم أحدا...

وقد اختلفت ظروف المنظمات فى المعتقل عند تغيير الموقف السياسى :

بالنسبة لطليعة العمال كان التغيير أكثر يسرا إذ لم تتم بسبب الموقف من حركة الجيش اضطرابات وانفجارات تنظيمية بين أعضاء المنظمة. فحين كان التنظيم ضد حركة الجيش كان موقفه متوافقًا مع الاحزاب الشيوعية العربية والأحزاب فى مختلف بلدان العالم ومع «الأممية». وعندما أيدوا حركة الجيش كان موقفا متوافقًا متطابقًا مع كل هذه الأحزاب ومع الأممية، ولم أعلم أثناء وجودى فى المعتقل معهم أنهم قدموا نقدًا لمواقفهم السابقة، وإذا كان الامتناع عن

النقد قد حدث فإن موقفهم هذا سيكون بدوره متوافقًا متطابقًا مع الأحزاب الشيوعية فى العالم والتى لم يتقدم أى منها بنقد لمواقفها السابقة .. والمسألة هنا لا تتصل بأخطاء بعضها جسيم ارتكبتها حركة الجيش ويمكن أن تكون موضع نقد. إنما المسألة تتصل بالموقف الاساسى من رفض مطلق لحركة الجيش فى مصر عام ١٩٥٢ إلى قبول تام ورضى وتمجيد لنفس الحركة وقادتها منذ عام ١٩٥٥ وبعد مؤتمر باندونج.

أما بالنسبة للحزب الشيوعى الموحد (الحركة الديمقراطية + النواة + نحشم + غيرها) فكان الموقف بالغ التعقيد بين الأعضاء الذين كانوا أشد ضراوة فى نقد قيادة الحركة الديمقراطية بسبب مواقف التأييد لحركة يوليو عام ١٩٥٢ ثم يطلب منهم الآن مراجعة مواقفهم من الرفض إلى القبول. وكان موقفى شخصياً بالغ التعقيد لأنى كنت عنيفًا فى نقدى السياسى لقيادة حدتو، وكل الأعضاء يعرفون موقفى السابق، وكان على أن أشارك الاعضاء نقاشهم ،خلية تلو خلية، شارحًا بصدق ضرورة تأييد السياسة التى تنفذها حركة الجيش، ناقداً فى نفس الوقت مواقفها السابقة الخاطئة، ثم معترفا بموقفى الخاطئ كذلك. كان الموقف الجديد فرصة عظيمة للبحث، ولو جزئيًا، عن الحقيقة وللمناقشة السياسية الموضوعية. وكنت أريد مما حدث ومن النقاش حوله أن يكون درسًا عظيمًا لنا جميعًا، وحاولت قدر الإمكان الحفاظ على استمرار القواعد سليمة لتواصل النضال ولتعود الثقة إليها وإلى قيادتها وحزبها. وكان أسلوب النقاش فى الخارج من أجل تغيير موقف الحزب وعقد كونفرنس لكادر الحزب ليتخذ قراره بإرادته الحرة، مما أشاع الثقة بين الأعضاء فى المعتقل .

أما بالنسبة لتنظيم الراية فكان الموقف بين أعضائه بائسا يصل إلى حد الكارثة. فقد أقاموا منفردين فى عنبر خاص هو عنبر ٢. وكانوا كل ليلة - عندما يأتى المساء - يستدعون إلى محاضرة، ثم تنطلق أصواتهم كالرعد فى المعتقل بهتاف كان يتكرر كل ليلة ثلاث مرات «عاش الرفيق خالد ألف عام وعام»، وهو الاسم الحركى للمسئول السياسى عن التنظيم الدكتور فؤاد مرسى، ثم تنطلق حناجرهم بهتاف آخر زاعق يتردد هو الآخر ثلاث مرات «تسقط الفاشية». استمروا على هذا الحال أياماً وأسابيع وأشهر حتى جاءهم ذات يوم خبر تحول الفاشية إلى وطنية، فأصيب بعضهم بانهيار عصبى وكان مستحيلاً النقاش والإقناع. كنا نستمع إلى الصراخ ونرى البعض منطلقا خارج العنبر ليتولى رفاقه الإمساك به ومنعه من الخروج. وقد شاهدت واحدا منهم عند باب العنبر يسقط منهاراً .

وتم الإفراج عن المعتقلين، وانطلق الحزب الموحد كالصاروخ فى نشاط جماهيرى واسع

بينما تنظيم الراية يضمر ويتقلص ببطء، وتنظيم طليعة العمال يواصل الانكفاء على نفسه وأعضاؤه يصارعون القيادة حتى تقلع عن مواقفها الرافضة للتنظيمات الأخرى والتوحد معها.

وكانت معركة بورسعيد المجيدة ضد الغزو الثلاثي عام ١٩٥٦ شاهدا على ما وصلت إليه التنظيمات الثلاثة بعد الافراج عن المعتقلين. وهو ما سنتناوله في حديث آخر.

خبرات مستخلصة من الماضي: أول ما ينبغي ذكره هي الانقسامات التي شغلت بعض المؤرخين للحركة الشيوعية حتى جاءت صفحات كتبهم مملوءة بالاخبار والحكايات حول الصراعات بين الشظايا التي كانت تتناثر هنا وهناك مما كان يفزع القارئ وكأن تاريخ الحركة ليس الا تاريخ الانقسامات.

وما ينبغي أن نفعله حتى نلم بالموضوع هو البحث عن الاطار العام الذي كانت تتم فيه هذه الانقسامات، لعلنا نجد بذلك سبيلاً لفهم ما حدث، ولعلنا نتبين من الواقع الذي أسفرت عنه الاحداث حقائق أساسية.

أولها أن الانقسامات الأساسية تمت على دفعتين : أولها بعد اختتام الحركة الجماهيرية مع النضال التحرري ٤٥-٤٦، الثانية بعد انتصار - ومن حقي أن اقول انتصار الآن - حركة يوليو عام ٥٢ وإزاحتها للسلطة الحاكمة حينئذ.

والحقيقة الثانية أن هذه الانقسامات في كلتا الحالتين كانت تتم فقط في إطار الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

والحقيقة الثالثة أن هذه الانقسامات كانت لأسباب سياسية في المحل الأول والأخير، أولها بسبب طرح خط القوات الوطنية الديمقراطية، وثانيها بسبب تأييد حدتو لحركة الجيش عام ١٩٥٢، وكلا الموقفين يختلفان عما طرحته الآداب الماركسية وما تعودت على قوله الأحزاب الشيوعية في أوقاتها.

إن ربط هذه الحقائق بعضها ببعض قد يسمح لنا بفهم الأسباب المتواترة للانقسامات في الحالتين، خاصة إذا أضفنا إليها حقيقة رابعة وهي أن الشظايا التي كانت تتناثر من قلب حدتو سرعان ما كانت تعود مرة أخرى إلى تنظيمها القديم مع عودة الحركة الجماهيرية من جديد، وبعد أن يتم الفرز عند الهوامش فتخرج عناصر من حدتو - أي الحركة المصرية وإسكرا - لتنضم إلى التيار الأساسي المعادي لها، كما حدث للتجمع الذي أسفر عن قيام تنظيم الراية وكما حدث لأفراد من تنظيم النواة بقيادة فوزي جرجس، بينما تميل عناصر جديدة إلى التيار العام لحدتو، كما حدث بالنسبة لعدد من قادة النواة مثل صاحب هذه

الشهادة. وللتوصل إلى فهم مشترك علينا أن نتفق على تحديد طبيعة الانقسام.

فى رأيى أن تشوه الحركة الشيوعية فى الأربعينيات متبلورة فى اكثر من تنظيم ليس انقساما، وذلك حين تشكلت تجمعات من المثقفين الأجانب أغلبهم من اليهود، ومعهم مصريون، للتقارب مع الحركة العمالية والنضال التحررى على أساس التصورات والمفاهيم الماركسية. هذا أمر طبيعى، إنما الانقسام سيكون عندما تتجمع هذه الجمعيات أو التكوينات الأولية لتشكل جسما مشتركًا ثم ينقسم هذا الجسم الواحد بعد ذلك على نفسه.

هنا يكون الانقسام، وهو الذى بدأ فى رأيى بعد تكوين «جسم» حدتو من الحركة المصرية واسكرا أساسا ثم تفرق التنظيم وانقسم على نفسه. ولهذا حصرت حركة الانقسامات فى فترتين أساسيتين : الأولى ارتبطت بخط القوات الوطنية الديمقراطية والثانية بخط تأييد حركة الجيش عام ١٩٥٢.

ولقد طرح العديد من التفسيرات والأسباب لهذه الانقسامات منها ما يتصل بالتنظيم الفئوى وهو أمر لا غبار عليه إذا دعت إلى الضرورة النضالية. فلقد نشأ قسم خاص للضباط الشيوعيين مستقلاً عن جسم حدتو ومن الممكن أن ينشأ فى ظروف معينة قسم متضخم لطلبة مستقل. هذه أمور يفرضها النضال وظروفه كما تفرضها الأوضاع الخاصة بالمعركة المعينة، وهذا لا ينفى أن تكون الوحدة الأساسية هى وحدة المنشأة أو المصنع أو الحى. وقيل إن السبب الأساسى هو عدم التمصير أو وجود اليهود بكثرة فى القيادات، ولكن انفجار حدتو الثانى بعد قيام حركة الجيش قد تم ولم يكن لليهود أثر فعال فى توجيه سياسة التنظيم. كان لهنرى كورييل آراء متفرقة يرسلها من بعيد وهو فى باريس، ولكن القرارات كانت تناقش وتتخذ أساسا من مصريين فى قيادة حدتو، كما تمت الخلافات بين قادة مصريين.

علينا إذن أن نبحث عن الأسباب السيسية لما حدث من انقسامات، والتصور المستخلص من واقع ما حدث خلال السنوات الماضية أن الحركة الشيوعية المصرية كانت تتكون أساساً ولاتزال تتكون من فصيلين أساسيين، أولهما هو فصيل الحركة الديمقراطية (الحركة المصرية +اسكرا)، والآخر فصيل أو فصائل أخرى .. وكان الأمر أولا محصورا فى مجموعة عرفت فيما بعد بطليعة العمال ثم انضم إليها فصيل آخر هو تنظيم الراية .. والخلاف الاساسى بين الاتجاهين يتبلور فى الموقف من تفسير ما يجرى فى مصر، فالحركة الديمقراطية كانت تميل إلى تفسير ما يجرى على أساس ارتباطه بالتصورات حول حركة التحرر والنضال ضد الاحتلال والاستعمار والامبريالية، أما خصوم حدتو فكانوا يميلون إلى تفسير ما يجرى على

أساس المفاهيم والتصورات الطبقية التى وردت فى الكتب الماركسية دون محاولة إجراء تعديلات تسمح بتطبيقها على الواقع المصرى.. كان الطرفان يناضلان فى المجال العمالي الطبقي وفي مجال حركة التحرير (نشاط طليعة العمال مع الطليعة الوفدية) ولكن الفرق بينهما كان فى تفسير ما يتم، ولهذا تمسكت طليعة العمال بالتصورات الخاصة بالديمقراطية الشعبية (شكل من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا) طوال تاريخها أو معظمه حتى أنها كانت تضع حرفى د.ش. (أى ديمقراطية شعبية) على رأس إحدى نشراتها. كما كنت شخصياً وأنا فى النواة أروج لتقرير أصدره السكرتير العام للحزب المجرى حول الديمقراطية الشعبية فى المجر، وكان ذلك في فترة خصومتنا الشديدة مع التأييد الذى منحته حدتو لحركة الجيش، وغير ذلك مما كانت تفعله الحركة الديمقراطية التى حاولت اكتشاف مفاهيم تتفق مع ظروف النضال التحررى الذى كان شعب مصرى يخوضه، فتجاسرت وقدمت خط القوات الوطنية الديمقراطية ثم تجاسرت ومنحت تأييدها لحركة الضباط الاحرار.

وفى حدود ما أعرف سُجل خط القوات الوطنية الديمقراطية فى صفحات خمس، وقد وضع هنرى كورييل اسمه عليه، ولكنه فى الحقيقة تجميع لآراء الرفاق على ضوء كفاحهم فى خضم الحركة الوطنية العارمة وقيادتهم لها خلال عامى ٤٥ و٤٦ وفى إطار اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، وكان التقرير مضطربا فى بعض أجزائه وكانت بعض أفكاره مختلطة، خاصة ما يتصل منها بالخلط بين التمثيل الطبقى للتنظيم والمصالح الطبقية التى كان التنظيم يدافع عنها (وهى متعددة بحكم النضال الوطنى)، وقد كان من الممكن بالنقاش الموضوعى الهادئ أن تتبلور الأفكار السليمة بما يكفى لتقدم الحركة الشيوعية المصرية خبرة دولية تلقتها هى من غيرها بعد ذلك فيما عرف بالمرحلة الوطنية الديمقراطية، وما أكثر تشابه الكلمات وارتباط ما تحمل من دلالات.

ونفس الامر حدث بالنسبة لرأى حدتو حول حركة يوليو عام ١٩٥٢ حين كانت وحدها على رأى، والكل فى الدنيا ضدها.

الانقسام الاساسى فى الحركة الشيوعية المصرية هو بين اتجاهين : الأول يحاول ساعيا فهم الواقع كنقطة بدء مستعيناً بتصورات ماركسية، والثانى قدم بعض الاجتهادات ولكنه يتمسك أساسا بما ورد فى الكتب حتى وصل به الامر فى مستقبل الأيام إلى حد فهم ما يجرى فى مصر فى عهد حكم عبد الناصر على أنه رأسمالية الدولة الاحتكارية .. تماما كما وردت فى الكتب. كان هذا هو الانقسام الأساسى ثم ظل هكذا حتى آخر الآخر.

أما الشظايا التى كانت تطلق من قلب حدتو كرد فعل للأفكار والتفسيرات الجديدة والتى شغل بها كتاب التاريخ، فسرعان ما كانت تعود من جديد إلى تنظيمها لتواصل الكفاح، وتم أوسع تجمع ملتزم لهذه الشظايا فى الحزب الشيوعى الموحد عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦. الانقسام الاساسى، إذن، كان قائماً بين تيارين.

والخبرة الثانية التى استخلصتها من كفاح الأعوام السابقة ما يتصل بعمليات التوحيد بين المنظمات. وهذه العملية كانت من الناحية الفعلية قاصرة على تجميع الشظايا المتناثرة من حدتو مع تنظيمات أخرى صغيرة كانت فى التفكير وفى العمل الجماهيرى قريبة من الأولى. والملاحظة الأساسية أن عملية التوحيد كانت تتم مع نهضة الحركة الجماهيرية كضرورة تطلبها الجماهير ليتحمل الشيوعيين مسئولية ما تنشده من أهداف. كانت حركة التحرير المصرية تفرض التوحيد. حدث ذلك مع حركة الجماهير بعد عودة الوفد إلى الحكم والمطالبة بإلغاء معاهدة ٣٦، وحدث مع حركة الجماهير فى مقاومتها لأخطاء ارتكبتها حركة الجيش، ثم فى تأييد السياسة الواضحة التى انطلقت منذ باندونج، وسيحدث مرة أخرى مع النضال ضد عدوان ٥٦ الثلاثى على مصر.

التوحيد كان وسيظل يتم كضرورة عملية تفرضها حركة الجماهير، ولكن النقاش الجاد بين الشيوعيين حول ما جرى ويجرى لمعرفة الأخطاء ولتحديد المعالم السليمة للخط السليم كان غائباً، ولا أقصد بذلك إدانة هذا الطرف أو ذاك، فليس هذا هو القصد من النقاش كما كنا نتصور، إنما القصد هو بلورة التصور السليم لطريق النضال، القصد هو إصلاح ما كنا نقع فيه نحن من أخطاء أساسا وليس نقد الآخرين، وهى أخطاء كانت تفسد ما كان يقوم به الفصيل الذى يضع على عاتقه مسئولية طرح الجديد من التصورات لطريق الثورة المصرية. وستقع نفس الأخطاء فى المستقبل مرة أخرى كما سنرى. الحركة الجماهيرية تطلب من الشيوعيين التوحد لتحمل مسئوليات تفرضها عليهم ولكن يظل النقاش الجاد حول ما جرى ويجرى وسيجرى غائباً.

وقد يقال إن الخط الذى كانت تحمله النواة - أى الصراع الفكرى - هو الأمر الطبيعى. غير أنها لم تكن وحدها تقول ذلك، لأن كل العالم يقول إن الوحدة تكون على أساس وثيقة فكرية من خلال نقاش طويل. كل العالم وليس النواة فقط تقول ذلك. إنما النواة كانت تقول بآلية محددة لتحقيق الوحدة هى النشرة المشتركة. وهذا كان نقلا عن الرفيق لينين، وهو ماكان يميز النواة - صوابا أو خطأ. المهم بعد أن تم التوحيد وبعد أن تم تكوين الموحد، لماذا لم تتم

المناقشة؟ كان يمكن إجراؤها بعد الموحد. كنا نشرب الشاى مع بعض ولا توجد مشاجرات والثقة والمحبة سائدة، كلنا كنا نقول سياسة عبد الناصر ممتازة بل وبدأت حكاية الطريق اللارأسمالى . فلماذا لم تتم مناقشة جادة؟؟

ولم تكن القضية التى وحدتهم أن عبد الناصر وطنى، وهو ما اتفق عليه الجميع بعد الخروج من المعتقل. وهل يمكن لأحد أن يقول إن عبد الناصر لم يكن وطنياً؟ كانت الناس تضربك فى الشارع. كنت لو سافرت إلى أوروبا وقابلت الأحزاب الشيوعية وهاجمت عبد الناصر يطردونك من مقراتهم- ليست هذه هى القضية. أريد أن أقول إنه لم تتم مناقشة حتى بعد أن أصبحنا هادئين ورفاقًا فالقول بأن عبد الناصر وطنى هو مجرد شعار وليس تحليلاً سياسياً.

والخبرة الثالثة تتعلق بالأممية فقد ثبتت سذاجة التصور المثالى للأممية التى ينبغى أن نطاع قراراتها التى تصدرها فى حق شعوب أخرى لها ظروف خاصة. والأمر الغريب أن الأحزاب الشيوعية التى أدانت الحركة الديمقراطية لموقفها من حركة الجيش المصرى لم تفكر فى نقد أو حتى فى تفسير ما فعلته بعد أن اخذت تكيل المدح والتمجيد لنظام عبد الناصر وسياسته، وكأن المفروض علينا أن نطيع عندما استنكرت وأن نطيع عندما مجدت ومدحت. الأممية جوهرها هو التضامن الأممى مع الشعوب فى نضالها من أجل التحرر من الامبريالية من ناحية، ومن الاستغلال الرأسمالى من ناحية أخرى. وغير ذلك أمر مرفوض لأنه يتصل بالإملاء والهيمنة. كان النقاش الرفاقى هو السبيل الواجب عندما تنشأ تساؤلات، وكم عانينا ونحن نطيع عندما تمت إدانة نظام تيتو وسياسة الصين، ثم عانينا ونحن نطيع عندما تم مدح نظام تيتو وسياسة الصين. نعم كنت ساذجاً خفيف التصرف حين كنت أدور على المنظمات ومعى تقرير «بالم دات» بإدانة الحركة الديمقراطية وكأنها الشهادة المقدسة المنزلة من الأممية وليست مجرد وثيقة قد تكون صحيحة وقد تكون مخطئة.

ولا أقلل بذلك من شأن الأممية وضرورة التضامن الأممى، المهم أن تكون ممارستنا أمميا سليمة، فنحن اليوم فى حاجة ماسة إلى مثل هذا التضامن أكثر من أى وقت مضى، ثم فى حاجة ماسه إلى فهم الأممية فى ظروف تتغير دائماً.

دور اليهود فى الحركة الشيوعية :

حديثى السابق كان شهادة مستخلصة من ممارسة ومعاينة ومشاركة. أما بالنسبة لقضية اليهود فسيغلب على الحديث الرأى لأننى تعاملت مع معظم اليهود ممن قاموا بدور فى الحركة الشيوعية، بعد أن خرجوا من مصر. والقليل منهم قابلته وتعاملت معه داخل مصر، ولهذا

سيكون الحديث بعيداً عن الشهادة، قريباً من الرأى. ولن أتكلم من زاوية التنظيم، إنما أتكلم على ضوء الظروف التاريخية لمصر والتى تشابه ظروف الكثير من بلدان العالم الثالث حيث نجد من له أصول أجنبية مختلفة عن أصول السكان الأصليين يقوم بدور بارز عند نشوء الحركة النقابية وحركات التحرير من الاحتلال والاستعمار بحكم توافر مستوى رفيع من الثقافة لبعضهم وبحكم خبرة الأهل فى بلدانهم الأصلية. وقد كان من الممكن أن تتجنب الحركة الشيوعية المصرية التعرض لهذه المسألة لو أن قيادة الحزب الشيوعى المصرى القديم قد تواصل كفاحها. ولكن انقطاع هذا الكفاح قد أدى بالحركة فى مصر أن تبدأ من جديد مع الأربعينيات. وتشاء الظروف فى هذا الوقت بالذات أن تشيع التقاليد الديمقراطية والنضال الديمقراطى والتقدمى والشيوعى بين عدد من اليهود المثقفين بسبب ما جرى لليهود على أيدى الفاشية والنازية فى إيطاليا وألمانيا. ولقد كان أكثر الناس الذين أيدوا مشروع «روزفلت» فى امريكا قبل الحرب العالمية الثانية ودور الدولة فى الانتاج وإشاعة الخدمات التى تقدمها الدولة للناس هم يهود ديمقراطيون وتقدميون. وحين أرادت لجنة مجلس الشيوخ الامريكى تصفية ما فى الدولة والمجتمع من العناصر التقدمية والشيوعية بعد أن اشتدت الحرب الباردة بين امريكا والاتحاد السوفيتى، كان عدد كبير منهم مثقفين يهود ممن تعاونوا مع الرئيس السابق (روزفلت) ومن بينهم أدباء وفنانون أشهرهم كما تعلم هو شارلى شابلن. وكذلك لعبت العناصر من أصول مختلفة عن السكان الأصليين (الأجانب) دوراً هاماً فى حركة التحرير فى جنوب افريقيا، وتشاء الظروف أن يكون لليهود دور خاص فى الشرق الأوسط بسبب الحركة الصهيونية فكان منهم من أيدها ومنهم من عارضها وحارب أفكارها. ثم إن مصر طوال تاريخها كانت دولة مفتوحة للوافد من خارجها ليعيش فيها ويتمصر، ثم يعيش ويصبح مصرياً بل وليحكم مصر بعد ذلك.

كل هذه الظروف جعلت لمجموعة من المثقفين التقدميين ممن لهم أصول يهودية دوراً بارزاً فى الحركة الشيوعية عندما تأسست وأعادت النشاط والعمل فى الأربعينيات. نعم كان لهذه العناصر دور بارز وتأثير فعال فى الحركة الشيوعية فى الأربعينيات فنشأت معهم وبفضلهم وبالتعاون مع عدد من المصريين جمعيات وتجمعات وتنظيمات. وكان من أبرزهم هنرى كورييل ومارسيل إسرائيل وهليل شوارتز. بينما كانت هناك عناصر أخرى لها أصول أجنبية تنشط هى الأخرى وبطريقتها الخاصة، وفى مقدمتهم دى كومب وريمون دويك وصادق سعد ويوسف درويش. وشبيه ما فعله هؤلاء بما فعله من قبل بعض الأجانب عند نشوء الحركة النقابية فى

مصر. كان للمثقفين ممن لهم أصول أجنبية ويهودية دور خاص فى إعادة تشكيل الحركة الشيوعية فى الأربعينيات بسبب الظروف التى ذكرتها من قبل. وقد تبنى البعض منهم أفكاراً اشتراكية وشيوعية فى مواجهة حملات الاضطهاد فى أوربا ضد السامية، وخاصة الحملات الفاشية والنازية، ثم فى مواجهة الأفكار الصهيونية التى كانت تقصد منطقتنا لاقامة اسرائيل على أرض فلسطين. كان دور المثقفين ممن لهم أصول يهودية دوراً طبيعياً حين عملوا على استنهاض العمل الشيوعى فهم أنفسهم ديمقراطيون وتقدميون وشيوعيون.

ثم تقلص هذا الدور مع نهضة حركة التحرير المصرية ضد الاحتلال والاستعمار البريطانى ومع النضال من أجل فلسطين. وكان ذلك أمراً طبيعياً، وتحديداً ابتداً من قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال للنضال الوطنى. كان كل قادتها مصريون، وكان كل قادة ما حدث بعد ذلك من انقسامات هم أيضاً مصريون على الرغم من وجود يهود فى قيادة المنظمات. ولنتذكر أنه صاحب ذلك دعوة لتمصير القيادات، وكان شوارتز يرفض الفكرة، ويعتبرها اضطهادا (عنصريا) بينما وجدنا هنرى كورييل يتبنى الفكرة بحماس وينفذها حتى يصبح القادة مصريين دون أن يعنى ذلك نفى المثقفين ممن لهم أصول يهودية من القيادة (وهو يعنى بذلك نفسه). أما مارسيل فيطلب الا يكون هناك أجنبى فى القيادة.

ولقد تزايد الصياح والصراخ حول هذه المسألة بسبب ما نشب من صراعات واكبت الانقسامات. وهكذا ضخمت مسألة وجود اليهود فى القيادة مع أنه عملياً وبسبب نهضة الحركة الجماهيرية الوطنية أصبح نفوذهم ضعيفاً بل وسرعان ما انحصر آخر الأمر، بالنسبة لحدتو، فى دور هنرى كورييل كعضو فى قيادة حدتو. ومما ساعد على ذلك خروج هنرى ومارسيل وشوارتز ثم أوديت - التى حكمت لفترة وجيزة تنظيم «مشمش» بيد من حديد - من مصر.

جرى تضخيم قضية دور اليهود بسبب الصراعات التى قامت بين الشظايا التى خرجت من قلب حدتو نفسها خلال دورة الانقسامات الأولى، حتى أصبح الخلاف فى الرأى بين هنرى وشوارتز ومارسيل حول مسألة تمصير القيادة هو القضية الأولى فى الحركة الوطنية المصرية، وهى مسألة لايكاد يدرى بها أحد فى مصر باستثناء المتصارعين من الشيوعيين المصريين قادة تلك الشظايا التى تفجرت من حدتو، والتى كانت تغذيها أطراف اخرى من خارجها. فلم تحدث تلك الضجة حين كان السكرتير العام للحزب الشيوعى العراقي رفيقاً أجداده من اليهود، وحين كان «منيو» (وأصوله يهودية)، رئيس القسم المسئول عن حركات التحرر فى المستعمرات فى

الحزب الشيوعي الفرنسي، يصدر توجيهات مباشرة إلى الحزب الجزائرى محدداً بذلك سياسته، أو حين اتفق «منيو» هذا مع شابين من الدارسين المصريين لشهادة الدكتوراه فى فرنسا كى يعودا إلى مصر ليشكلا حزبا شيوعيا هو تنظيم «الراية»، أو حين استمر ريمون دويك وصادق سعد ويوسف درويش القادة الحقيقيين لتنظيم طليعة العمال حتى تشكل حزب ٨ يناير الشيوعي المصرى من الموحد والراية وطليعة العمال. رأيى أن هؤلاء جميعاً شيوعيين لهم أعمال مجيدة ولهم أخطائهم مثل بقية الرفاق.

غير أن هناك أمرا لا يمكن إنكاره وهو أن بروز النضال من أجل فلسطين وضد اسرائيل جعل وجود الرفاق أصحاب الأصول اليهودية فى القيادة أمام الرأى العام المصرى مسألة شائكة وحساسة بل ويصعب تجاوزها. وهذا ما جعل بعض الرفاق يطلبون بإخلاص، ولهذا السبب أساساً، ألا يتصدر هؤلاء الرفاق للعمل الشيوعى قادة له. ولازلت أذكر اجتماعاً عقد فى نقابة المحامين بدعوة من المحامين الشيوعيين والديمقراطيين أثناء عدوان عام ١٩٥٦ من أجل التعبئة لمواجهة العدوان، وكان رفاق شيوعيون من أصول يهودية بين المشاركين، فإذا بالمحامى عبد العزيز الشوربجى يخترق قاعة الاجتماع فجأة ويعلن أن جهات مسئولة اتصلت به وأبلغته أن عناصر مشبوهة تشارك فى الاجتماع ولهذا لابد من فض الاجتماع فوراً. كان صوته حاداً آمراً. وانفض الاجتماع. وبطبيعة الحال كان وجود رفاق من أصول يهودية حجة استند اليها الشوربجى والمحركون له لمنع لجتماع نظمه الديمقراطيين والشيوعيون ويضم عددا كبيراً من المحامين المثقفين، ثم لمنع أن يكون الاجتماع نفسه بداية لنشاط جماهيرى يقوده الديمقراطيون والشيوعيون. وقد كان من المحتمل تحقيق ذلك كله لو لم يكن هناك فى الاجتماع رفاق لهم أصول يهودية.. هذا مجرد احتمال.

إن المثقفين من أصول يهودية فى الحركة الشيوعية المصرية يختلف كل منهم عن الآخر. فحين توقف التنظيم الشيوعى عام ١٩٦٤. خرج ريمون دويك من مصر ليعمل مترجماً فى مؤتمرات الامم المتحدة، وكنت ألتقى به حين توليت مهمة سكرتير مجلس السلام العالمى كلما سافرت إلى جنيف للمشاركة فى المؤتمرات. وحين خرج مارسيل إسرائيل من مصر منذ قرابة أربعين عاما توجه إلى ايطاليا واتصل بالحزب الشيوعى وقدم تقريرا عن نشاطه، وقبله الحزب عضوا ملتزما بين أعضائه ولا يزال حتى اليوم عضواً فى الحزب الشيوعى الايطالى معتزاً بشيوعيته مناضلاً تحت راياتها. أما هنرى كورييل فقد شق طريقاً آخر، كان مستحيلاً أن يكون هنرى بلكنته الاجنبية قائدا شيوعياً جماهيرياً فى مصر، ولكنه كان مفترناً بخبرته مع

الكفاح الوطني والتحرري لشعب مصر، فحمل معه هذه الخبرة وشكل تنظيماً لدعم حركات التحرر الوطني من الشيوعيين أصحاب الأصول اليهودية الذين غادروا مصر إلى فرنسا. لم يتأقلم هنرى مع الحزب الشيوعى الفرنسى بتقاليده الأوروبية بل ظل متمسكًا بقيم التحرر الوطنى التى تعلمها فى مصر. ومن الطبيعي أن يكون النضال التحررى الوطنى فى مصر نفسها أكثر ما يشغله أول الأمر، لذا ظل مستمراً فى قيادة حدتو دون أن يمنعه ذلك من مساندة حركة التحرر فى الجزائر التى أهدى اليها قصره فى الزمالك ليصبح سفارة الجزائر فى القاهرة. ثم تزايدت علاقاته مع بعض حركات التحرر في امريكا اللاتينية وآسيا كما كانت له صلات بقوى سياسية فى اسرائيل، وأسفرت هذه الأنشطة عن خلافات مع الحزب الشيوعى الاسرائيلى(ركاح) ثم خلافات أخرى عنيفة مع الحزب الفرنسي وتحديداً مع «منيو» مسئول حركات التحرر فى الحزب الفرنسى، ووصل الأمر إلى توجيه الحزب الفرنسى اتهامات بالعمالة والخيانة إلى هنرى كوربيل، وقد تقدم الحزب مؤخراً بنقد لموقفه من هنرى في وثيقة أكد فيها تقديره لنضاله.

إن هنرى كوربيل هو مؤسس حركة فى مصر فعجز عن مواصلة قيادته لها لأسباب سبق ذكرها، ولهذا عمل على تشكيل مؤسسته الخاصة فى فرنسا. وواصل على رأس مؤسسته مناضلاً ومؤيداً لحركات التحرر، فيصيب ويخطئ، حتى تم اغتياله. ولم يتوقف لحظة عن النضال. ولهذا ليس غريباً أن ينشغل خصوم حدتو والشيوعيون المصريون عامة بدور هنرى حتى بعد أن خرج من مصر، وحتى بعد أن خرج من قيادة التنظيم الشيوعى المصرى بطلب منه، وحتي بعد أن أصبحت علاقاته بمصر مقطوعة تماماً، ثم حتي اغتياله .. هذا أمر طبيعى لأنه اختار لنفسه هذا الدور وقام به بلا انقطاع.

هل كان هنرى القائد المسيطر في حدتو حينما كان في مصر؟ الاجابة نعم فرجل له مثل هذه القدرات لابد أن يكون بفضل قدراته صاحب نفوذ غلاب، فيصيب ويخطئ. هل كان هنرى هو نفس القائد المسيطر بعد أن أصبح بعيداً فى فرنسا ؟ الجواب مستحيل. يقيناً هناك فى القيادة من ظل معجباً بهنرى كوربيل وينصت إلى نصائحه. غير أن هذه النصائح والتوجيهات كانت تصل بعد أيام وأسابيع فتكون الأحداث قد تجاوزتها، ثم أن هذه النصائح والآراء لم تجد سبيلها إلى النضج والتطور خلال النقاش مع الرفاق فى الاجتماع، بسبب بعده عنهم. فظلت مادة خاماً فيها من الاخطاء بقدر ما قد يكون فيها من الصواب. وأذكر أن الأصدقاء فى دارالثقافة الجديدة عرضوا على منذ سنوات أوراقًا تضمنت ما كان يرسله هنرى إلى قادة

حدتو، مقترحين نشرها. ورأيتها مفككة مضطربة ونصحت بأنه إذا كان لابد من النشر فينبغي أن تكون هناك مقدمة طويلة تؤكد أنها آراء أولية -مادة خام- وليست نتيجة نقاش تطور في الاجتماعات كما يحدث عادة، ثم ينبغي تناول ظروف صدورها وما فيها من نواقص وعيوب أو من صواب .. ثم هل يتصور أحد أن قادة حدتو كانوا سينتظرون رأى هنرى حين قامت حركة الجيش بليل وعليهم اتخاذ قرار في الصباح؟ أو حين بدأ الغزو الثلاثي على مصر؟ أو حين نشب حريق القاهرة؟ هذه قرارات مصيرية. هل يتصور أحد أن قادة حدتو الذى أصبحوا قادة في الحزب الموحد هم صبية عاجزون ينتظرون النصح من صاحبهم في باريس؟ كان الرجل يرسل آراءه وكانت تقبل أو ترفض، وكان كثير منها قد تجاوزته الأحداث. وقد شعر الرجل تدريجيا أنه بعيد عن مصر حتى اضطر آخر الأمر أن يرسل طلبا بإعفائه من الاشتراك في القيادة متمسكًا بعضوية بسيطة في الحزب اتصالا بتاريخ مضى، وقد شاركت في الاجتماع الذى طرح فيه طلب هنرى.

ولعلى كنت آخر من قابل هنرى كوريل من المصريين الشيوعيين قبل اغتياله (ولم أكن قد التقيت به وهو في مصر ولكن تمت لقاءات معه بعد أن تركها) كنت في باريس لحضور أحد المؤتمرات فجلسنا في مقهى متواضع، وأخذ حديثنا ينتقل من موضوع لآخر، ثم فجأة أخذ يسألني عن العديد من رفاقه القدامى. أظن فلان يناضل كما كان؟ أقول نعم. وفلان .. هو نضج وتطور؟ وأقول نعم. وأين فلان؟ هل لايزال قائدا في النسيج؟ أقول نعم.. ثم فلان تلو فلان.. والغريب أن معظم من ذكرهم كانوا قد تركوا التنظيم الشيوعي وبعضهم ترك الكفاح عامة. أدركت على الفور أن صلاته قد انقطعت بمصر منذ سنوات عديده، وشعرت كذلك عمق حنينه إلى مصر والرفاق في مصر. ثم جاءني خبر اغتياله بعد أسابيع فحزنت.

ما أحوجنا إلى تقدير رفاقنا بالعدل والانصاف.. وبموضوعية. فهم أولاً وأخيرًا جزء من تاريخ نضال شعبنا.. صادق سعد ويوسف درويش ومارسيل وكوريل ومن صحبه من رفاق.

بعد المعتقلات - حزب ٨ يناير:

خرجنا من المعتقلات والسجون لنواجه مرة أخرى حركة جماهيرية عارمة. وأذكر أنه كان هناك موكب زهور بمناسبة خروج قوات الاحتلال، وأذكر أن الحزب الموحد أعد عربة لتشارك في هذا الموكب، معلنا عن نفسه بشكل أو آخر. ولازلت أذكر كيف أنني زرت محمود العالم في روزاليوسف حيث كان يعمل صحفيًا، وكان هناك جمع من السيدات والشباب لإعداد هذا

الموكب، وأنا أتابعهم متفرجاً، ثم اندمجت فى العمل بشكل أو اخر.

عمليا كان محمود العالم المسئول، كذلك شهدى عطية كان مسئولا هاماً جداً رغم أنه لم يكن فى قيادة الحركة الديمقراطية حينئذ بسبب التكتل الثورى، ولكنه كان هو القائد الممثل لحدتو. ودعنا نقول الآن إن الذى لعب دوراً أساسياً فى إقامة الحزب الموحد فى الخارج هما محمود وشهدى، ثم خرج الرفاق قادة الحركة الديمقراطية بعد ذلك من السجون والمعتقلات وانخرطوا فى العمل.

واجهنا حركة جماهيرية عارمة بعد مسألة موكب الزهور، وارتبطت هذه الحركة بتأميم قناة السويس. لازلت أذكر كيف أننى وبعض الرفاق من الحزب منهم محمد عباس فهمى قد ذهبنا للاسكندرية ونحن لا ندرى لماذا؟ نريد أن نؤيد حركة الجيش ونضالها ضد الاستعمار. كانت هناك بعض المواقف المشهودة : باندونج والموقف من الأسلحة التشيكية والعلاقات مع الاتحاد السوفيتى التى بدأت تتضح أكثر وأكثر، ثم الافراج عنا. ذهبنا المنشية وتلقينا كما تلقى المواطنون خبر تأميم القناة بصوت عبد الناصر خلال خطابه الشهير. كان عريس هذا الحفل الهائل هو جمال عبد الناصر. قررنا أن نذهب وكأننا سنؤيده ونعبئ الجماهير من أجل تأييده، ولكن كان الموقف عارماً بالنسبة لتأييد جمال عبد الناصر بفضل مواقف عبد الناصر نفسه.

وبدأت الحركة الجماهيرية فى مصر تنهض من جديد فى إطار ما جرى بعد تأميم القناة – النضال فى مواجهة بريطانيا وفرنسا وامريكا واسرائيل، وأنا لا أريد أن أكرر تفاصيل ما جرى فى هذا الأمر – فالتفاصيل السياسية معروفة– ولكن أصبحت هذه هى القضية الأساسية التى تهمنا وتهم الشعب المصرى وتهم قيادة الدولة ممثلة فى عبد الناصر.

أذكر أنه كان من رأينا نحن أن هناك احتمال هجوم عسكرى على مصر .. وكان عبد الناصر لا يرى ذلك .. علمت ذلك من مناقشاتى مع خالد محيى الدين إذ كنت أعمل صحفياً فى المساء، وأذكر أن اتصالات خالد كانت مباشرة فى هذا الوقت مع جمال عبد الناصر، وكان ينقل إلينا أن عبد الناصر يرى أنه لن يكون هناك هجوم، وأيضاً أذكر التقرير الذى أرسله من باريس كورييل ورفاقه مع الملحق العسكرى – ثروت عكاشة – يؤكدون فيه بالوقائع والحقائق التى لديهم، أن العدوان سيتم. ورغم ذلك أصر عبد الناصر أن الهجوم لن يقع.

لا أدرى لماذا كان عبد الناصر يرى هذا الرأى : هل كان هذا حقاً تقييمه السياسى للأمر؟ هل كان يتأثر بموقف آخر، وهو أنه إذا كان سيقر بأن العدوان سيتم، فكان عليه أن يفتح باب العمل الجماهيرى على مصراعيه، وأن يأخذ الإعداد للمعركة طابع التسلح الشعبى. وهذا أمر

ليس سهلاً أن يسمح به عبد الناصر – فهو رجل عسكرى لا يحكم مصر مع الجماهير الشعبية كما فعل كاسترو إنما بطريقة فوقية – هل يا ترى أثرت هذه الأمور فى تقديره السياسى؟ المهم بدأنا ننخرط فى حركة المقاومة الشعبية فى القاهرة وغيرها من المدن، وكانت حركة محكومة بيد من حديد من ضباط عبد الناصر ولم يكن هناك فى حقيقة الأمر توزيع للسلاح، إنما تدريبات أولية وتعبئة شعبية عامة.. حتى جاء العدوان، وهنا انقلب حال الحزب الشيوعى الموحد تماما. على الفور قرر الحزب دخول بورسعيد لمواجهة العدوان والاحتلال. ومعركة بورسعيد للأسف لم تعط حقها، ودور الشيوعيين فيها لم يأخذ حقه.. ولبيان دور الشيوعيين، أقول إن القوى السياسية الوحيدة، التى كانت تكافح داخل بورسعيد، ومعها مجموعة من المخابرات كانت هى قوى الشيوعيين، وتحديداً ولا غيرهم هى قوى الحزب الشيوعى الموحد. لم يكن على الاطلاق رفيق واحد من التنظيمين الآخرين موجوداً داخل بورسعيد. لم يكن للأحزاب القديمة أو للاخوان المسلمين أى دور فى معركة بورسعيد، وكانت فى بورسعيد وحدة حزبية من رفاق الموحد ضمت رفاقا كانوا فى النواة وفى حدتو، وكنت أعرف من كان فى النواة واحداً واحدا. وعندما وطأ جند فرنسا وبريطانيا أرض بورسعيد سارعوا فى نفس اليوم وطبعوا منشوراً بجهاز بدائى يدعو شعب بورسيعد إلى المقاومة. صحيح أن عدد ما صدر من هذا المنشور قليل لكن المغزى عظيم. وأحسب من الناحية التاريخية أن ما قام به هؤلاء المناضلون الشبب كان أول إعلان عن عزم الحزب الموحد على مقاومة الاحتلال. وظنى أنه سبق قر ر القيادة فى الصباح التالى للاحتلال عندما قررت تكريس كل جهود الحزب للمقاومة داخل مدينة بورسعيد.

وبالإضافة إلى الوحدة الحزبية داخل بورسعيد استندت خطة المقاومة على ركائز محددة. فهناك قيادة تجتمع علنا فى مقهى بالقرب من مبنى الاسعاف وسط القاهرة، وقد قررت أن يكون كل نشاطها علنًا بما فى ذلك توزيع المنشورات باسم الحزب. وقد ألقى القبض على صنع الله ابراهيم وكمال القلش بسبب توزيع المنشورات ثم أفرج عنهما فوراً. وكانت القيادة تتولى توجيه كل إمكانيات الحزب لدعم المقاومة، والركيزة الثانية كانت مجموعة الرفاق فى الدقهلية الذين عبئوا الطريق لدخول بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة وتولوا هذه المهمة، ومنهم كانت أول مجموعة دخلت بورسعيد ومعهم سعد رحمى عن قيادة الحزب، كما شارك بعد ذلك من القيادة عبد المنعم شتلة فى النشاط داخل المدينة. واتخذت قيادة الحزب قراراً بأن يكون المسئول داخل بورسعيد هو أحمد الرفاعى الذى تولى الاتصال بواسطة محسن لطفى بضباط

عبد الناصر وتعهد لهم بنقلهم إلى بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة. ثم دخل المدينة هو الآخر مع المزيد من الرفاق القياديين. وظهرت بطولات فئة من الصيادين والباعة المتجولين الذين ساعدوا وحرسوا عملية نقل الرفاق وفرقة المخابرات ومعهم المنشورات والأسلحة إلى الداخل. كما قام سكان المدينة أنفسهم بحماية الرفاق وحماية نشاطهم وإيوائهم. وتجلت مظاهر لتضامن الأممى فى إعداد الرفاق الشيوعيين اليونانيين الذين كان يعيشون فى بورسعيد تقريرا مفصلاً حول مواقع الوحدات البريطانية والفرنسية فى المدينة وحول أسلحتها ونشاطها أرسل إلى قيادة عبد الناصر. وكانت القيادة البريطانية والفرنسية عقب دخولها المدينة قد أخذت تستعين بالأجانب لتوفير النظام وإعادة الحياة إلى المدينة. وكانوا منهم الرفاق اليونانيون، وبدأت الاتصالات بالقيادات النقابية بالمدينة وبشخصياتها المعروفة فى مختلف الأحياء والقطاعات السكانية لتنظيم المقاومة التى شارك فيها الجميع حتى صبية الحوارى الذين كانوا يثيرون المشاكل للدوريات العسكرية التى كانت تجوب شوارع المدينة. وتزايدت أعداد المنشورات لتوعية الناس سياسياً وتهيئتهم للعمل. وقد حاولت مجموعة المخابرات البدء بالعمل المسلح فور دخولها المدينة ولكن الرفاق أقنعوهم بخطورة هذا العمل قبل إعداد السكان وتهيئتهم لتحمل نتائج مثل هذا العمل المسلح الذى قد يصيب البسطاء من الناس، خاصة أن قيادات هيئة التحرير التى كان قد شكلها عبد الناصر لتقود العمل السياسى كانت موضع استنكار الناس، ولأنه لم يتم تدريب جاد لأهل المدينة حتى يواجهوا الاحتلال لمدينتهم، ولأن صناديق الأسلحة قد فتحت فقط عندما بدأ الاحتلال فتلقفها الناس بلا معرفة الأمر الذى أدى إلى مقتل البعض منهم. وتقبل أهل المدينة نشاط الرفاق ليضيفوا إليه الكثير من المبادرات الخلاقة. فإذا الذى ورد فى المنشورات قد تحول إلى أغانى وطنية مع عزف على السمسمية، آلة أهل بورسعيد الموسيقية، ومعها شكل الناس البسطاء الكثير من مجموعات المقاومة فى مختلف الاحياء، وبرزت قيادات من أهل المدينة نفسها الأمر الذى كان يتطلب متابعة من الرفاق ساعدهم عليها الرفاق من أهل المدينة. وما أكثر البطولات التى برزت بين الناس وكان أعظمها ما حدث يوم قرر الرفاق أن الوضع السياسى بين السكان قد نضج للقيام بمظاهرة جماهيرية ضد الاحتلال. واتفق أن تتم المظاهرة بعد صلاة الجمعة منطلقة من الجامع الرئيسى. ولأنها ستكون جماهيرية فقد أصبحت أخبار الإعداد لها معروفة للجميع ولقوات الاحتلال. وذلك أمر طبيعى. مما أفزع رجال المخابرات فسعوا لدى الرفاق بكل الطرق لمنع المظاهرة خوفاً مما قد يترتب عليها من ضحايا. غير أن الرفاق اعتبروها نقطة التحول اللازمة لانطلاق المقاومة

ولإشاعة الثقة لدى الجماهير فى القدرة على تحدى قوات الاحتلال. وكانت اللحظة الحرجة عندما انطلقت المظاهرة من داخل الجامع تردد الهتافات نحو الساحة الخارجية لتواجه منظراً يثير الرعب. فقد أحاطت بالجامع عشرات المدافع والدبابات والعربات المصفحة وتوجهت كل أسلحتها نحو باب الجامع لتُواجه المتظاهرين. هنا توقف الهتاف. وساد الصمت. فمن الذى سيتحمل مسئولية مقتل العشرات بل والمئات من الناس؟ فى هذه اللحظة الحاسمة والفاصلة بين الفشل والنجاح، فى لحظة الصمت الرهيب، انطلقت صيحة فتاة بسيطة فقيرة وسط الجمع تهتف بشعار بسيط: يحيا الوطن. تحيا مصر. فردد الناس الهتاف الذى أخذ فى التصاعد مزهواً. وانطلق احمد الرفاعى ورفاقه من جديد يقودون المظاهرة إلى المقابر حيث كان يرقد من سقط شهيداً برصاص المحتلين. كان تقدير الرفاق سليما حين أدركوا أن وعى أهل المدينة قد نضج من أجل تحدى الاحتلال والقيام بمظاهرة جماهيرية ضد قواته، وكانت هذه المظاهرة هى بداية لانتصار شعب بورسعيد على الاحتلال.

ولقد قامت جريدة المساء بدور عظيم خلال معركة بورسعيد والنضال العام ضد العدوان الثلاثى. وكان عبد الناصر قد عهد لخالد محيى الدين برئاسة تحرير المساء لتعبر عن توجهات نظامه التقدمية. كما عهد لأحمد حمروش برئاسة تحرير مجلة كان من المفروض أن تصدر لتعبر كذلك عن نفس التوجهات، وطلبت للعمل فيهما معا فقبلت بعد موافقة الرفاق على أن يخصص دخلى من المجلة (٤٠ جنيها) للنشاط الحزبى، ولم يقدر للمجلة أن تصدر عندما قامت ضجة فى إحدى لجان مجلس الشيوخ الأمريكى بسبب كثرة التقدميين والشيوعيين العاملين فى صحف عبد الناصر. حدث ذلك فى نفس الوقت الذى أخذت فيه أمريكا تعارض علناً العدوان الثلاثى على مصر .. هنا قرر عبد الناصر وقف إصدار المجلة مع تحويل المحررين للعمل فى إحدى مجلات دار التحرير حيث لم يكلفوا فى الحقيقة بعمل أى شئ. وفى نفس الوقت ترك المساء تصدر مساء كل يوم.

وقد فتح خالد محيى الدين أبواب الجريدة للعمل أمام الشيوعيين من مختلف التنظيمات الثلاثة. وكان الرجل أمينا مع الجميع.. حتى أنه بعد تشكيل (حزب ٨ يناير) من كل هذه التنظيمات، وعلى الرغم من ميله سياسياً إلى تيار «الراية + طليعة العمال» فإن موقفه لم يكن يؤثر على الاطلاق فى معاملته لى، ثم كان الرجل شجاعاً فى معارضته السياسية لاعتقال الشيوعيين فى اليوم الأول من عام ١٩٥٩ ثم معارضته لسياسة جمال ازاء العراق بعد حوادث «الشواف» مما اضطر عبد الناصر أن يبعده عن جريدة المساء ليظل بلا عمل سنوات عديدة..

المهم أن دور جريدة المساء أثناء العدوان كان عظيماً وعبر الشيوعيون من خلالها عن سياستهم أمام الرأى العام، كما أن المساء قامت بطبع جريدة «الانتصار» التى تم توزيعها داخل بورسعيد.

ولقد واصل الشيوعيون بتنظيماتهم الثلاثة العمل الجماهيرى العلنى بعد اغلاق المعتقل، وشواهد ذلك عديدة، منها استقبال الوفود الشعبية العربية والآسيوية والافريقية بمناسبة انشاء منظمة التضامن بين شعوب آسيا وافريقيا. وكان للحزب الموحد دور كبير بين عمال النقل «أبورجيله» ونقابتهم بقيادة الحاج توفيق إلى حد القدرة على تحويل سير عربات ابو رجيله لنقل الرفاق إلى المطار لاستقبال الوفود.. وهو أمر لم يحدث من قبل. وكان حفل افتتاح المؤتمر التأسيسى للمنظمة غارقًا فى شعارات أطلقها الشيوعيون وحلفاؤهم من مختلف المنظمات والنقابات. ومنها المظاهرات التى انطلقت فى الشوارع بمناسبة إجراء أول انتخابات عامة تتم فى عهد حكم الجيش، والتى قامت أساسا بتوجيه الشيوعيين من مختلف المنظمات. كان هذا واقع لم يكن ليفوت على عبد الناصر أبدا، وهو أن الشيوعيين أصبحوا القوة السياسية الوحيدة في الشارع بعد أن نجح جمال فى تصفية الأحزاب القديمة، ثم فى ضرب تنظيم الإخوان المسلمين وتشتيت أعضائه. وسنذكر شواهد عديدة على متابعة عبد الناصر بل وقلقه من نشاط الشيوعيين.

ويحسن قبل ذلك أن نذكر ما حدث بين الشيوعيين أنفسهم فكما تم فى الماضى تزايدت الرغبة بين أعضاء التنظيمات الثلاثة في توحيد تنظيماتهم فى حزب واحد مع تعاظم المد الجماهيرى الذى كان يؤكد لكل الأعضاء ضرورة الوحدة حتى يقدروا على تحمل مسئولية النشاط المتصاعد فى مواجهة قوى الإمبريالية والحفاظ على المكاسب التى تم إنجازها، خاصة أن عبد الناصر بعد العدوان الثلاثى قام بما عرف بتمصير الشركات البريطانية والفرنسية فى مصر، أى تأميمها، وهى خطوة جسورة بعد تأميم شركة القناة. وكان نجاحه فى هذه التأميمات عملا رائداً أمام كل شعوب بلدان العالم الثالث، ولهذا ازدادت علاقاته بالاتحاد السوفيتى توثقًا كما ازدادت مسئولية الشيوعيين المصريين. ورفعت قيادة الحزب الموحد شعار الوحدة بقوة بين الشيوعيين – بل وبأى ثمن، كما سترى – واندفعت القيادة فى هذا الاتجاه، وكلفت مبارك عبده فضل ومحمود العالم بإجراء الاتصالات اللازمة والعمل على تحقيق الهدف. ومما ساعد على ذلك أن تنظيم الراية كان يزداد ضعفا وأن قواعد طليعة العمال كانت تضغط بشدة على قيادتها للتخلى عن مواقفها التقليدية كى تتحقق الوحدة.

والمحزن أن ضغوط العمل الجماهيرى واحتياجاته قد جعلت النقاش الجاد لفهم الواقع واتجاه الأحداث غائبا- تماما كما حدث فى الماضى - والأغرب من ذلك أن تنظيم الراية المتهالك طلب أن تكون القيادة مناصفة بيننا وبينهم حين قررت قيادة الموحد الوحدة مع هذا التنظيم. وكانت ثقة رفاق الحزب الموحد زائدة فى أنفسهم بعد نجاح تجربة قيام حزبهم الموحد وبعد انصهار أعضاء هذا الحزب وكوادره فى عمل جماهيرى مشترك وتحت قيادة واحدة كانت أبرز تجلياتها معركة بورسعيد المجيدة التى كانوا هم وحدهم ودون غيرهم قادتها، وهكذا تحول مطلب الوحدة الضرورى إلى مرض -فى رأيى- لابد من تقديم التنازلات تلو التنازلات لتحقيقها سريعًا. ولازلت أذكر اجتماع اللجنة المركزية للموحد الذى عقد فى منزلى لانتخاب الاعضاء الذين سيصبحون فى لجنة قيادة الحزب الجديد مع تنظيم الراية الذى سعى هو لآخر إلى الوحدة نوراً لإنقاذه مما هو فيا من حال. فى هذا الاجتماع اقترح محمود العالم: أن يكون كمال عبد الحليم وشهدى عطية الشافعى عضوين فى قيادة التنظيم الجديد (ولم يكونا فى قيادة الموحد) ووافق الجميع لأنهما فعلا كانا بين قادة لنشاط، ثم قال محمود: أقترح استبعاد الرفاق من أصول يهودية من قيادة الحزب الجديد، فاختلف رفاق حدتو القدامى بينما وافق أحمد الرفاعى وتردد الآخرون، وبين الموافقة والتردد أطلق محمد الجندى قذيفته حين أعلن أن خطابا وصل من هنرى كورييل يطلب عدم ترشيحه فى قيادة الحزب لأنه أصبح بعيداً عن الواقع المصرى ويريد أن يتشرف فقط بأن يكون عضوا عاديًا فى الحزب الجديد، ولم يكن أمام الجميع الا الموافقة. بقى انتخاب الأعضاء الآخرين وعددهم سيكون قيلاً. هنا شعرت برغبة بين أعضاء حدتو القدامى فى استبعاد رفاق معينين من القيادة الجديدة، مثل عدلى جرجس. وقد يكون الحق معهم، غير أنى خشيت من انفراط العقد خاصة أن نقاشا سياسيًا لم يتم وأن الانتخاب يستند إلى التقدير الشخصى للآخرين. أعلنت أنى لن أرشح نفسى للقيادة الجديدة، ثم فعل ذلك أيضًا حسين غنيم عضو القيادة من النواة سابقًا، وفى فترات الاستراحة ألح رفاق حدتو القدامى على كلينا للترشيح للقيادة الجديدة حتى يتم استبعاد آخرين لا يصلحون فى رأيهم للعمل مع أعضاء من الراية. ومع إصرارى وإصرار حسين تم انتخاب لقيادة الجديدة مع ما وقع على أعضاء الحزب الموحد من غبن شديد فيما تم، وأكبر دليل على ذلك القصة التالية. كان عبد العظيم أنيس عضوا فى الحرب الموحد بعد عودته من بريطانيا وقيامه بالعمل فى جريدة المساء، وعندما بدأت لانتخابات العامة قرر الحزب الموحد تأييد كافة من رشحهم اتحاد نقابات العمال فى دوائر معينة، فهذه هى أول مرة

ستتم فيها انتخاب عمال فى الهيئة البرلمانية، وتشاء الظروف أن يتقدم عبد العظيم بالترشيح فى إحدى هذه الدوائر، وفشلت كل الجهود لإقناعه بتغيير الدائرة. ويبدأ صراع غريب. الحزب الموحد يؤيد مرشح اتحاد العمال ضد عبد العظيم عضو الحزب بينما الراية وطليعة العمال تبذلان الجهود لتأييد عبد العظيم. وقبيل اعلان الحزب الجديد بيوم أو يومين اتصل بى عبد العظيم فى جريدة المساء وطلب منى إبلاغ الرفاق أنه مستقيل من الحزب. هذا طبيعى ومعقول، ولكن الغريب أنه بعد يوم أو يومين أعلن رفاق الراية عن أسماء ممثليهم فى القيادة الجديدة فنجد اسم عبد العظيم لا يقدم فقط عضواً فى اللجنة المركزية الجديدة بل وفى المكتب السياسى الجديد، وضربنا كفًا على كف.

أما الذى حدث بعد ذلك مع تنظيم طليعة العمال فكان هو الأغرب، فبعد أن أصبح الموحد والراية حزبًا واحدا أصرت قيادة تنظيم الطليعة أن تكون القيادة الجديدة للحزب الواحد الجديد مناصفة مع أعضاء القيادة المشتركة من الموحد والراية. وكان ذلك يعنى تقلص أعضاء الموحد مرة أخرى فى القيادة المنتظرة. وحتى يتم ذلك عدلت قيادة تنظيم الطليعة موقفها من العضوية فبعد أن كانت تتشدد إلى أقصى حد فى اختيار العضو إذا بها تصدر أوامرها إلى الاعضاء كى يمنحوا العضوية لمن يقبل ودون توافر أى شرط.

وتقدمت قيادة طليعة العمال بقائمة بأسماء الأعضاء مطالبة، بحكم العدد الوفير الذين أدرجت اسماؤهم فى القوائم، أن يكون نصف القيادة الجديدة من أعضائها مع القبول بشرط عدم ترشيح من له أصول يهودية فى هذه القيادة. وقبل الرفاق، ثم تبين بعد ذلك أن مئات الاعضاء من تنظيم الطليعة لا وجود لهم.. من يكذب على من؟ ولمصلحة من؟ وما هو الهدف؟

بعد أن تشكل الحزب وبدأنا نعمل، كنا نسمع عن خلافات شديدة قائمة فى اللجنة المركزية، ولم نكن ندرى بوضوح ما هى هذه الخلافات، ولم نكن بشكل أو آخر مستريحين لبعض التصرفات، وخاصة بالنسبة للمنطقة التى كنت أعمل فيها بالجيزة، وكنت مسئولاً عن العمل الجماهيرى، وكان جمال غالى مسئول الوحدة فى الجيزة وفاطمة زكى مسئولة امبابة. وكان المسئول السياسى إلهام سيف النصر. أذكر مرة أن كان اجتماع المنطقة فى بيتى، وأطلت زوجتى من البلكونة، فوجدت سيارة فاخرة ووجدت شابًا وسيمًا جدا بجوارها فنظرت لى وقالت من هذا؟ قلت لها : مسئولى السياسى. فقالت هذا يذكرنى بميمى بك، وكان هناك كريكتير مشهور جداً بهذا الاسم، وأطلقنا عليه من هذا اليوم اسم ميمى بك.

كان نشاطنا فى الجيزة واسعاً وتكاد العضوية كلها أن تكون من الحزب الموحد، ثم فوجئنا بعد العمل بفترة بقرار يقضى تحت حجة الظروف المالية الصعبة بتصفية العدد الأكبر من الكوادر المحترفة من الحزب الموحد، وقد استهدفوا المحترفين من الحركة الديمقراطية، وظل الرفاق المرجونون فى القيادة من المحترفين كما هم مثل فؤاد حبشى ومبارك عبده فضل وغيرهما. تحت شعار الأزمة المالية، صدر قرار بتصفية العشرات من رفاق احترفوا منذ سنوات طويلة. الأغرب من ذلك أنهم عينوا محترفين آخرين من (د ش) طليعة العمال. تذكرت ما قاله ريمون دويك فى المعتقل، وصرخت وأعلنت تمردي ، ووجدت الوحدة تنهار أمامى؛ فريمون دويك لم يعد فى القيادة ومع ذلك ما قاله فى المعتقل ينفذ وتنفذه كوادر الراية بغباء شديد، وأعلنت فوراً فى هذا الاجتماع رفضى لتنفيذ القرار. وذكرت الأسباب. قلت إن هذا الموقف مدبر ومختزن منذ سنوات عديدة حتى تأتى الظروف لتنفيذه. وكنت أدفع شهريًا أربعين جنيهًا للحزب، فقررت ألا أدفع مليمًا واحداً، وأن الأربعين جنيهًا ستذهب للرفاق الذين سيتضورون جوعًا، ويجب أن يستمروا مكافحين كما كانوا من قبل، نعم، كما كانوا فى بورسعيد، وقلت لهم أن يبلغوا ذلك لأعضاء اللجنة المركزية. وطبعًا تمرد معى بقية أعضاء الحزب الموحد. وحدث نفس الأمر فى مناطق أخرى وانشق الحزب بسبب مؤامرة دبرها البعض لتصفية كوادر ناضلت طوال حياتها. والأمر العجيب أنهم جميعًا كانوا محترفين فى الحزب الموحد بماليته الضعيفة بينما الحزب الجديد لايحتمل وجودهم على ثراء أعضاء فى قيادته.

وبعد أن كنت مكرسا جهدى للوحدة طوال حياتى حتى أننى دخلت النواة على أساس أنها نواة الحلم الذى تمنيته، أصبحت أكثر عنفًا ضد المؤامرة التى أدت إلى شق الحزب. وقد أصروا هم على اتخاذ القرار فحدث ما حدث. وأصبحت القصة معروفة لنا وللتاريخ. وأذكر أن جميع الناس فى الحزب الموحد خرجوا باستثناء مجموعة يرأسها محمود العالم. فهو مع مبارك عبده فضل كانا مسئولين فى الحزب الموحد عن عملية الوحدة واشتركا دائما فى اجتماعات الوحدة وكان عزيزًا عليهما أن ينهار الحلم الذى بذلا جهدهما من أجله. وللتاريخ أيضًا أذكر أن مبارك ذكر لى شخصيًا، أنه لا يوافق على ما تم متأثرا بدوره مع محمود العالم، قال : ولكن ماذا أفعل؟ هل سأبقى وكيف سأستمر؟ ليس لى من تاريخ ومن حياة إلا معكم، ولكن لا أوافق على ما تم. هذا للتاريخ. أما الباقى فكانوا مقتنعين أن الحزب قد دمر، ونحن لسنا مسئولين عما حدث.

كان الأمر الذى أفزعنى أكثر ما أفزعنى هو ما قاله ريمون دويك منذ سنوات. كان مختزنًا فى الكمبيوتر، لكى يظهر على الشاشة وينفذ بعد سنوات بحذافيره. وبدأ الصراع مكشوفًا بين أعضاء الحزب الوليد فى شوارع المدن وفى القرى لكسب الوحدات إلى هذا الفصيل أو ذاك، وأصبح كل شئ معروفًا مكشوفًا. ونسى الجميع الشواهد العديدة التى كانت تؤكد أن هناك من يتابع تحركاتهم ليعصف بهم جميعًا. وما أكثر هذه الشواهد.

السجن والتعذيب – لقتل شهدى

لقد اعتقلنا فى أول يناير عام ١٩٥٩ بحجة أننا نختلف مع عبد الناصر فى مسألة الوحدة العربية، وهذا غير صحيح. نحن كنا نؤيد الوحدة، ولكننا كنا نختلف حول الأساليب غير الديمقراطية التى قامت الوحدة عليها حيث تم تجاهل الظروف الخاصة بكل قطر، مصر وسوريا. وكانت نظرة الرفاق الآخرين شديدة. كانوا يؤكدون على الخلافات، ركنا نحن نؤكد على ضرورة التحالف فى مواجهة الامبريالية التى لا يمكن أن تسكت ازاء ما فعله عبد الناصر من تأميم وتمصير .. إلى آخره. وكان موقف الرفاق الآخرين متأثرًا بالحزب الشيوعى العراقى. كان قادة من هذا الحزب يزورون مصر، وكانوا يشجعون على طردنا. وكانوا ينقلون إلى الآخرين أفكارا وآراء حول عبد الناصر الذى أصبح رجلاً متخلفًا بينما القائد المتقدم والمتطور هو عبد الكريم قاسم .. إلى آخر هذه النظريات التى يعرفها بالتفصيل محمود أمين العالم بحكم موقعه فى القيادة والتى كان يعارضها معارضة شديدة.

الضربة لم تكن نتيجة لمعارضتنا للوحدة لأننا لم نكن نعارضها من حيث المبدأ، سواء نحن أم هم.. الأمر بالنسبة لعبد الناصر كان غير ذلك تماما فلقد أدرك أن الشيوعيين أصبحوا القوة السياسية الوحيدة فى الشارع، لقد صفى الأحزاب كلها، سجنًا واعتقالاً وتصفية تنظيمية.

لقد صفى بالحديد والنار جماعة الإخوان بينما الشيوعيين يشتد نفوذهم، وهذه مسألة لا تفوت على عبد الناصر أبدًا. الشاهد الأول على ذلك، أنه فى خضم معركة بورسعيد وفى خضم الدور البطولى الذى قام به الحزب الشيوعى الموحد دفاعا عن شعبنا وعن سياسة عبد الناصر أيضًا أرسلت ملكة بريطانيا رسالة لعبد الناصر، بأن أحد أقاربها كان ضابطًا فى الجيش البريطانى وقد فقد ولم يعثر عليه وطلبت معرفة ما حدث له حيًا أو ميتًا. سأل المخابرات . قالوا

له لا تعرف. لم يبق الا الشيوعيين يسألهم، فهو يعرف أن الشيوعيين كانوا أصحاب سلطة فى بورسعيد. دعا محسن لطفى، الذى حكى لى تفاصيل اللقاء أثناء اجتماع لحركة السلام فى بلغاريا. حينما دعاه عبد الناصر، دارت فى عقله أوهام حول التحالف بين عبد الناصر والشيوعيين. سينطلق إذن فى الحديث عند اللقاء ليؤكد له أهمية التحالف لأن الوضع التاريخى الذى واجهته مصر يؤكد ضرورة ذلك، أحلام لا تنتهى، حتى قابل عبد الناصر. فانطلق محسن لطفى فى خطاب طويل عريض حول أهمية التحالف و.. إلى آخره. فأسكته عبد الناصر- قال له : لم أستدعك من أجل ذلك، هؤلاء عملاء للاتحاد السوفيتى.

قال عبد الناصر ذلك عن الشيوعيين المصريين الذين لم تكن لهم علاقة بالحزب السوفيتى، فى الوقت الذى كان يقابل هو جميع الشيوعيين فى العالم - العرب وغير العرب- ليتفق معهم، إلا الشيوعيين المصريين لأنهم فى إطار تنظيمه غير مسموح لهم بالبقاء، بوجودهم، حركتهم، نشاطهم أمور مرفوضه - هم إذن عملاء لأنهم ليسوا أتباعه. صدم محسن لطفى. ثم قال له عبد الناصر إن ملكة بريطانيا اتصلت بى. ولا أعرف إذا كان من الممكن أن تجمعوا لى معلومات حول هذا الرجل، حتى يمكن أن أبلغها، هل هو موجود معكم أم قتل؟

والشاهد الثانى ما حدث فى منطقة الجيزة بعد قيام حزب ٨ يناير، كان عبد الناصر يزور الاتحاد السوفيتى، وفجأة حدثت مشكلة لعمال النقل التابعين لشركة ابو رجيلة، وقرر عمال النقل التمسك بمطالبهم أو سيضطرون إلى القيام بإضراب، أى أن الحركة فى القاهرة ستتشل بينما عبد الناصر فى لاتحاد السوفيتى، والمسيطر على هؤلاء العمال هم الشيوعيون. إذن هم المسئولون، فتكون الفرصة لضرب الشيوعيين وسحقهم لأنهم سبب شل القاهرة بينما عبد الناصر يزور الاتحاد السوفيتى لدعم العلاقات بين البلدين. وذهبنا إلى رمضان وطعيمة وهما المسئولان عن تنظيمات الشباب والعمال بين ضباط عبد الناصر لإنقاذ الموقف، خاصة أن ابو رجيله يرفض رفضا باتًا الاستجابة إلى مطالب العمال العادلة، غير أنهما أصرا على تأييد موقف أبو رجيله وعلى رفض التعاون معنا من أجل حل المشكلة، وظللنا ساعات نناقشهما ولا فائدة على الإطلاق .. فماذا نفعل؟ ذهبنا إلى أبو رجيلة نفسه، تركنا رجال عبد الناصر ونظام عبد الناصر، وذهبنا للتفاوض مع الرأسمالى أبو رجيله، من أجل إنقاذ الموقف. كان أبو رجيله واعياً ويدرك حرج موقفنا كشيوعيين. دخلنا فى مساومة واضحة معه، وتم الاتفاق بعد طول نقاش على أن يستجيب للمطالب الراهنة مقابل التنازل عن مطالب هامة أخرى كان يتوقع أن يتقدم بها العمال فى المستقبل. وتم الاتفاق. قال ابو رجيله: أنا أعمل فى إيطاليا وأعرف أن

الشيوعيين الإيطاليين رجال وكلمتهم شريفة. فأنا أعتبر كلمتكم كلمة رجال .

هذه الحكاية علمتنا شيئين وكنت أنا وجمال نلعب دوراً فى هذه الحكاية ومعنا الحاج توفيق وهو معلم كبير جداً. كان أبو رجيله يفتح له الباب بمجرد وصوله. لانه يمكن أن يشل نشاطه ويوقف كل عرباته. نعم تعلمنا شيئين. أولاً : أن نظام عبد الناصر ليس هو النظام الذى نتصوره، ففيه الكثير من خصوم الشيوعيين. الشئ الثانى أنه فى السياسة الباب مفتوح للمساومات ولابد أن تتوافر لك الشجاعة تقوم بها. قمنا بمساومة مع الرأسمالى، بينما نعجز عن الاتفاق مع نظام عبد الناصر الحليف. وكان هذا درساً سياسياً.

أما الشاهد الثالث فهو ما جرى فى مقابلة السادات مع كل من محمود العالم وشهدى عطية. ويمكن تلخيص المقابلتين فى كلمة واحدة، أنهما انذار. غير أن الصراع العنيف بين الشيوعيين من الفصيلين قد أنساهم شواهد تنذر بقرب الكارثة.

ملخص ما أريد أن أقوله: تم القاء القبض علينا في يناير، بعد أن كنا مع زوجاتنا وأطفالنا نمضى ليلة رأس السنة سعداء. فإذا بنا نجد من ينتظرنا لإلقاء القبض علينا، وهو أمر له مغزى خاص، ولازلت أذكر صبيحة أول يناير ١٩٥٩. حينما كنت أشاهد زميلاً تلو زميل، ثم زميلاً تلو زميل وقد ألقى القبض عليهم، لا تفرقة بين هذا الاتجاه وذاك، وكأن الجميع قد ألقى القبض عليه. كان المنظر مريراً.

لم يكن ما جرى مثل حالات إلقاء القبض على الشيوعيين فى القضايا الأخرى - حيث يمكن أن يلقى القبض عليهم، ثم يسجنون، ثم يخرجون - إنما كان الهدف هو أن يفعل بهم عبد الناصر مافعله بالأحزاب الأخرى أى التصفية النهائية. ودخلنا السجن جمعياً باستثناء أعداد قليلة، بالنسبة لنا : كمال عبد الحليم وعدد قليل وفد إلينا منهم الواحد تلو الآخر، وبالنسبة للآخرين كان أبو سيف وعدد قليل أيضاً مع الرفاق.

على أن الحملة على الحركة الشيوعية فى مصر هذه المرة ارتبطت بظروف عربية وعالمية. ارتبطت بالوحدة المصرية السورية، وبالثورة فى العراق، وتدهور العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بسبب موقف عبد الناصر من الحزب الشيوعى السورى، وبالتالى ارتبطت بالصراع العربى بين أمريكا والاتحاد السوفيتى، ثم أولا وقبل كل شئ ارتبطت باتجاه نظام عبد الناصر نفسه .. هل سيواصل معركته داخليا وخارجياً ضد الامبريالية أم سيتراجع فينتكس نظامه؟؟

ولقد مرت الحملة على الشيوعيين فى مصر وكذلك فى سوريا والتى صاحبتها بالضرورة حملة على الشيوعية عامة فى مرحلتين. الأولى كانت ناعمة حاول فيها عبد الناصر الحديث عن

الشيوعيين كوطنيين ارتكبوا أخطاء. وذلك حين كنا معتقلين فى سجون القلعة، ثم اتخذت الحملة أبعاداً عنيفة ضارية بعد أن نشلت حركة الشواف فى العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم، وكان الشواف قومياً حليفاً لعبد الناصر. بعد هذا الفشل أخذ عبد الناصر يعد العدة لمحاكمتنا. وكانت محاكمات صورية. كما أخذت حملة الدعاية ضد الشيوعيين أبعاداً عربية ودولية طالت الاتحاد السوفيتي نفسه، وأخذ الرجل يلقى كل يوم أكثر من خطاب حول عملاء الاتحاد السوفيتي، وتبعه فى ذلك الحاكم المصرى على سوريا المشير عبد الحكيم عامر الذى كثيراً ما كان يخطئ الحديث فيقول (العلماء) بدلا من (العملاء). كان الوضع فى سوريا مهدداً بسبب الحدود السورية المشتركة مع العراق وبسبب تصرفات النظام الناصرى فى سوريا نفسها بعد أن فرض تطبيق نظام الحكم فى مصر على القطر السورى دون مراعاة لاختلاف الظروف بين القطرين .. ثم أضيف إلى ذلك كله حملة تعذيب بشع للشيوعيين بعد أن تمت محاكمتهم لبلقى بهم فى أوردى ليمان أبى زعبل. وهكذا أصبحت عملية التعذيب الجماعى للشيوعيين من ناحية واستمرار سجنهم واعتقالهم من ناحية اخرى جزءاً لا ينفصل من اتجاه نظام عبد الناصر وسياسته على الصعيد العربى والصعيد الدولى. ومن ثم أصبحت مسألة وقف التعذيب والإفراج عن الشيوعيين مدرجة فى مقدمة جدول الأعمال السياسى للاحزاب الشيوعية فى مصر والأقطار العربية وفى العالم (وتحديداً فى الاتحاد السوفيتى). نعم هكذا أصبحت عملية تعذيب الشيوعيين بعد اعتقالهم عاملا هاماً فى تحديد سياسة نظام عبد الناصر.

كان هذا واقعاً حقيقياً أدركه الشيوعيون المصريون جميعاً وفى كلا الفصيلين اللذين انقسم إليهما حزب ٨ يناير. على أن ذلك لم يكن كل الواقع، إذ نشأ الخلاف فى موقف الفصيلين، والامر يتصل بسياسة عبد الناصر الداخلية، الاقتصادية والاجتماعية التى ينبغى أن يحسب وزنها الحقيقى فى التأثير على مجمل السياسة الناصرية. وهو ما اهتم به فصيل الحزب الشيوعى الموحد أو ما عُرف فى وثائق أجهزة البوليس بالحزب الشيوعى (حشم) لتمييزه عن الحزب الشيوعى ٨ يناير. ولهذا الخلاف قصة قديمة.

بعد خروجنا من المعتقل عام ١٩٥٦، وخاصة بعد تمصير الشركات البريطانية والفرنسية وتأميمها إلحاقاً بتأميم شركة قناة السويس، ثار سؤال هام بين القيادات الشيوعية فى مصر: ما هى طبيعة نظام عبد الناصر؟ وحدث فى نفس الوقت أن شاعت فى المطبوعات والمجلات السوفيتية مقولة الطريق اللارأسمالى، حيث كانت يُضرب مثلا بسياسة الهند شاهداً على هذا

الطريق!

وأذكر أنى فى مساء يوم قابلت ريمون دويك بالصدفة (قبل وحدة ٨ يناير) وجلسنا على المقهى نتحدث فى الشئون السياسية، وأخذ كعادته يرمينى بسؤال تلو السؤال: ما رأيك فى نظام عبد الناصر؟ وما تقديرك لسياسته؟ وهل يكفى أن نقول عن نظام عبد الناصر إنه نظام وطنى يمثل البورجوازية الوطنية؟ ألا ينبغى أن نقول أشياء أخرى؟ وبطبيعة الحال امتنعت عن الإجابة وأخذت بدورى أطرح عليه أسئلة لسبب بسيط، لأننى لم أكن أعرف بوضوح الإجابة، ولم يكن هو أيضًا يعرف الإجابة، وفى تصورى أنه لجأ إلى لتكون مناقشته معى أكثر حرية وأكثر طلاقه وانطلاقًا مما كان يمكن أن يجريها مع رفاقه داخل التنظيم.

وأذكر أيضًا مناقشات علمت أنها دارت حينما كنا فى سجن القلعة قبل أن نذهب للواحات، وقبل أن تشتد ضراوة عبد الناصر ضدنا بعد اعتقالات ١٩٥٩. كان صادق سعد يلقى محاضرات على رفاق (د ش) طليعة العمال حول ما كان يقوله ماركس تفسيراً لنظام لويس بونابرت، وكان يشبه عبد الناصر به. ولا أعرف ماذا كان يقول بالدقة، ولكنى كنت أقول لنفسى هذا خطأ جسيم لأن هناك فرقًا كبيراً بين أوضاعنا فى مصر وأوضاع فرنسا البورجوازية الأوربية. نحن نعادى لامبريالية، نحن حركة تحرير فى بلد مستقل حديثًا. وأتصور أن هذا تأكيد لرؤيتى أن الرفاق فى الفصيل الآخر يميلون إلى تفسير التطورات فى مصر على أساس التفسير الطبقى التقليدى، وهو ما سيتضح أكثر فيما بعد، حينما ترفع رايات رأسمالية الدولة الاحتكارية. وهذا بدوره تأكيد لرؤيتى من أن الانقسام الحقيقى فى الحركة الشيوعية هو أيضاً انقسام بين حركتين واتجاهين وهو مستمر حتى اليوم.

أعود مرة أخرى للحركة الفكرية فى هذا الوقت، وأضرب مثلا آخر شدنى وجذب انتباهى بشكل واضح. أثناء معركة الانقسام فى حزب ٨ يناير عدت إلى قيادة الحزب الجديد وتوليت مسئولية منطقة القاهرة. وكان ضمن أعضاء المنطقة عادل حسين الذى قدم لى باعتبارى مسئول المنطقة مجموعة من الكراسات لفت انتباهى فيهما أمران: الأول اعتماده الشديد على الاحصائيات وهو يوضح اتجاهات نظام عبد الناصر، مما يؤدى إلى طرح نفس السؤال الذى طرحه ريمون دويك ولكنه ليس مجرد سؤال سياسى عام كما طرحه ريمون بل ارتبطت به حقائق واحصاءات ودراسة تشرح الواقع. الأمر الاخر أن عادل حسين كما عرفته له طريقة شبيهة بطريقة ريمون دويك حينما يناقشك وفى عقله أمر يريد أن يقنعك به، فيطرح أسئلة عديدة حول هذا الأمر، حتى يحاصرك بإجابات يصل بها إلى النتيجة التى يريدها هو، تماما

كما كان يفعل ريمون، والشئ الغريب أنه أيضاً فى كتاباته يفعل ذلك، يجمع الوثائق الكثيرة، ولكنه ينظمها بطريقة تجعلك تصل بالتأكيد لنفس النتيجة التى يريدها وهى فى ذهنه منذ البدء. فهو لا يبحث عن الحقيقة ولكنه دائما يريد أن يثبت صحة ما فى ذهنه هو من معتقدات. وكان حماسه فى التقرير جامحاً شديد التأييد لسياسة عبد الناصر دون أى نقد لهذه السياسة، إلا أن التقرير لافت للنظر ويستحق النقاش، وكان من العبث أن يطرح فى الظروف التى كنا فيها. حيث كنا فى صراع عنيف مع الرفاق فى الفصيل الآخر. فأخذ هو يُسرب التقرير إلى رفاق آخرين فى القيادة للتأثير فى أفكارهم، وكانت تلك عادته.

حين اعتقلنا عبد الناصر دفع بالحملة على الشيوعيين إلى أقصى الحدود ولكن لوحظ أنه استمر فى سياسته الداخلية ثبتاً، فقام بتأميم شركات أخرى فى مقدمتها شركة ليو رجيلة، ثم قام بما هو أكثر عندما أمم بنك مصر وشركاته. صحيح أن إحدى شركات بنك مصر قد اندمجت مع شركة بريطانية غير أن بنك مصر هو بنك مصر. ولهذا لم يهتز تقييمنا لسياسة عبد الناصر المعادية للامبريالية فى عمومها على الرغم من اشتداد الخلاف بينه وبين الاتحاد السوفيتى. فلم تنزعج القيادة من شعارات حول مواقف الأممية قد تطلق كما حدث فى الماضى. وكانت هناك قناعة بين أعضاء القيادة أن استمرار عبد الناصر فى انتهاج هذه السياسة الداخلية لا يمكن أن يستقيم مع حملته السياسية ضد الشيوعيين، وأن الأمر لابد أن ينتهى بانتصار أحد الاتجاهين آخر الأمر. ولم نكن نعتنى كثيراً بقضية الديمقراطية السياسية فانتباهنا كان منصباً على الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية، أما الديمقراطية السياسية فكان محورها الوحيد هو الموقف بين الشيوعيين، وقد تأثرنا فى هذا الموقف بما كان عليه الحال فى الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى. وبدأ النقاش بين الرفاق بتزايد دون أن يكون فى هجوم عبد الناصر علينا ما يخفى حقيقة تأميمه للشركات الرأسمالية التى كان بعضها مصريا. وفى خلفية كل ذلك كان هناك سؤال : ما الذى يمكننا عمله كى ينتهى التناقض بين سياسته الداخلية، الاقتصادية والاجتماعية، وخصومته للشيوعيين والاتحاد السوفيتى بحيث ينتصر الشق الأول على الثانى؟؟ ثم انتقلنا إلى الاسكندرية وقدمنا للمحاكمة. وحاولنا أن نستفيد من المحاكمة لتأكيد رأينا. فنبرتنا فى القضية تختلف عن نبرة الآخرين. كنا نشير إلى الديمقراطية وإلى الظروف الخاصة بكل من مصر وسوريا -مجرد إشارات - ولكننا أكدنا ضرورة التعاون والتحالف ضد الامبريالية. وبعد المحاكمة فكرنا فى تنظيم النقاش. وكنا قد قررنا أن يكون شهدى عطية هو المسئول السياسى. ولا أذكر بالدقة

متى قررنا عقد الكونفرنس. هل كان قبل وصولنا إلى أبى زعبل مع وجود الرفيق شهدى أم بعد الوصول إلى أبى زعبل واستشهاد الرفيق؟؟

ولا أريد أن اذكر تفاصيل رحلتنا من الاسكندرية بليل حتى وصلنا إلى أبى زعبل عند الفجر، وأظن أن شهادات أخرى قد وفرت معلومات مفصلة فى هذا الشان، ولا أريد كذلك أن أذكر تفاصيل عملية التعذيب ومراحلها التى استمرت عدة ساعات بحضور اللواء همت الذى كان يشرف على مثل هذه «الحفلات». فالمعلومات بشأنها متوافرة فى شهادات أخرى.

ولكنى سأذكر حقائق يصعب أن أنساها. أتذكر أن رجلا جاء إلينا، وكان مسئولا عن العلاقات العامة فى مصلحة السجون، وكان وحده يلبس لباسا مدنيا، بدلة بيضاء زاهية. وأخذ يتحدث بأدب جم ووقار شديد. قال : أين الاستاذ شهدى عطية؟ فوقف شهدى بقامته الهيبة. قال له تسمح تأتى معنا. بأدب شديد. وذهب شهدى معه ليتلقى تعذيبا خاصا يفوق ما كنا نلقاه من هول التعذيب . وكانت هذه آخر مرة أرى فيها شهدى عطية.

أتذكر أننى فى المرحلة الأخيرة من التعذيب وبعد أن مررت من باب أوردى ليمان أبى زعبل أخذت أشعر بضغوط متكاثرة على قلبى من الضرب، والضابط يقول اضرب. اضرب. وأخذت أفقد الشعور بالألم وامتنع صوتى وامتنعت حركتى. بل وأخذت أسرح فى أمور مضت وكأنى أبتسم. أدرك الضابط أنها لحظة الاقتراب من الموت. وتوقف الضرب بأمر منه.

أتذكر أننى سقطت آخر الأمر على البورش فى العنبر وكان بجوارى مبارك عبده فضل. كانت حالته بالغة السوء. والغريب أنه نفس العنبر الذى عشت فيه عندما اعتقلت عام ١٩٥٤، ويكاد يكون مكانى حيث سقطت هو نفس المكان السابق. كنت أنظر إلى مبارك وهو ينازع، فقدت الاحساس والشعور. التعذيب أوصلنى إلى حد فقدان أى شعور نحوه وهو الرفيق والصديق. كان مجرد شئ.

اتذكر أن رفيقًا شابًا صحته جيدة هو محمد الليثى أدرك حالة مبارك، فتحامل على نفسه وأمسك به واحتضنه. وكانت أمامى «قروانه» فى انتظار الطعام : الفول والسوس. فأخذ «قروانتى» وطلب من مبارك أن يتبول. فعلها مبارك آخر الامر فى «القروانة». وقذف الليثى ما فيها ثم وضعها أمامى. وبعد لحظات جاء الفول ووُضع فى «قروانتى» وتناولته دون أى شعور بأنى أتذوق الفول مع بول مبارك. فقدت كل احساس بالتميز بين الأشياء. هذا هو التعذيب.

عندما أغلق الباب علينا أدركنا جميعًا أن شهدى عطية غير موجود ولم يسأل أحد من الرفاق أين هو؟ كنا نعرف. وما جرؤ أحد منا أن ينطق بما يعرف. وران الصمت علينا جميعًا.

تركونا يومين. وقيل إن العادة أن يتركوا الجدد فترة بعد «حفلة» التعذيب الأولى لقسوتها، ثم جاء طبيب السجن ليكشف على جراحنا وليكتب تقريره (علمنا أن التقرير ذكر أن كدمات حدثت لنا حين تمردنا على نظام السجن) وعلمنا من الرفاق من العنابر الأخرى أنباء الليل أطرافا مما يحدث من أهوال في المعتقل. ونقلوا إلينا كلمات تشجيع. وأوصونا أن نأكل السوس قبل الفول حتى نستفيد من بروتين السوس. كنا من الاعياء لا نكاد نقف على أرجلنا حتى نسقط. وفي اليوم الثالث أو الرابع حدث مالم يتوقعه أحد.

فتح باب العنبر مع صوت جهير يقول افتح الباب. دخل رجلان كبيرا السن إلى العنبر. والضابط «مرعي» يقول لهما «سيحاولون الاعتداء عليكما». نهره أحدهما وأمره بغلاق الباب. أغلق الباب. نظرا الينا. وقفنا مندهشين مما يحدث.. مرت لحظة صمت.. قال كبيرهما وهو ينظر إلينا : هل اعتدى عليكم أحد؟ السؤال فاجأنا لغرابته. هنا خلع فؤاد حبشي قميص السجن الابيض وظهر لحمه الممزق مختلطا بدم يتجمد. وفعلنا كلنا مثله. نظر الرجل إلى أكوام اللحم أمامه ممزقة منهكة. غطى عينيه بيده وهو يقول «مجرمين . مجرمين» . وحتدما ازدادت دهشتنا قال أحدنا ببراءة : أين شهدي. صمت الرجل ثم قال «البقية في حياتكم». أجهشنا بالبكاء. قال فؤاد «تماسكوا يا زملاء لا داعي للبكاء» ثم قال الرجل الثاني «لاتخافوا . لابد من الحساب .. اجلسوا . لا تخافوا» ثم تركا العنبر ونحن لا ندرى ماذا يحدث حولنا . مات شهدى ومبارك يكاد يموت. ثم نظر فؤاد حبشي حوله وهو يقول «يا أحمد يا رفاعي تول أنت المسئولية»

(عرفت بعد أيام أن أحد الرجلين لواء بوزارة الداخلية يعمل بالتفتيش، والآخر رئيس نيابة القليوبية وهو قريب لأحد الرفاق أظنه محمد الجندي، وقد أمرا بالتوجه إلى أوردي ليمان ابى زعبل لان شهدي قد مات ولأن هناك حوادث. ثم علمنا أن عبد الناصر كان قد أمر باستمرار التعذيب بشرط الا يقتل أحد، وذلك بعد الضجة التى ثارت بسبب مقتل رفيق طبيب في الاوردي. وأن جمال الان يزور عواصم اوربية وأنه قوبل من الصحفيين بهجوم شديد بعد أن شاعت اخبار مقتل شهدي وما حدث لنا في أبى زعبل فاصدر جمال امره فوراً بالتحقيق لأن توجيهاته لم تنفذ).

لحظتها لم نكن نعلم شيئاً غير هذه الاشارات التى حدثت أمامنا في العنبر، وكنت أعرف أحمد الرفاعي منذ أيام أبى زعبل القديمة. فهو قدير لماح في قيادة المعارك وفي الظروف الصعبة، ثم هو قادر على التصرف بحسم وبلا تردد ما دام الهدف أمامه واضحاً. قال لى

«هناك أمور تدور ولا نعرفها». وبعد فترة نودى على رفيقين كان اللواء همت قد أمر بعدم تعذيبهما بسبب «اتصالات خاصة». وقام الضابط مرعي بالتحدث معهما وتهديدهما بأشد العذاب إذا ما سئلا عما حدث في المعتقل وسردا ما تم.

أضاف أحمد الرفاعى هذه الاشارات والتنبيهات إلى ما سبقها. وبدأت تتبلور فى ذهنه أفكار معينة، ويقينا أن تصوراتنا السياسية حول التناقض الراهن فى سياسة عبد الناصر وضرورة انتصار أحدهما على الأخرى، قد ساعدته على بلورة رؤية للموقف. فعزم على المغامرة والعمل على أساس اتجاه عبد الناصر المناهض للامبريالية فى مواجهة سياسته الحمقاء ضد الشيوعيين والاتحاد السوفيتى. هنا نادى فؤاد مرسى علينا، وكان يسكن العنبر المجاور. فلقد علموا بما حدث فى الزيارة وأبلغونا استعدادهم القيام بأى عمل نوافق نحن عليه ضد ما يجرى فى المعتقل. فطالبه أحمد الرفاعى - كنت بجواره - بألا يفعلوا شيئاً على الاطلاق. «فنحن مسئولون عن دم شهدى الذى بذل حياته من أجلنا».

ثم جاء المساء فى اليوم التالى ومعه جاءت الاشارة الكبرى التى حسمت الموقف بالنسبة لأحمد الرفاعى كى يصدر توجيهاته بحسم قاطع. فقد جاءتنا الاخبار أن رجال النيابة العامة فى الخارج وأنهم يستدعون الرفاق ليدلوا بشهاداتهم بعد أن فتح التحقيق.. قال أحمد الرفاعى للرفاق : «لانتاقض على الاطلاق مع رجال النيابة. لنستمع إليهم ونسترشد بتوجهاتهم، وإذا حدث أى خلاف فليكن الرأى هو رأيهم». اشتد عجبى. قال لى أحمد : نحن لا نعرف بالضبط ما يجرى فى الخارج. وهم أصبحوا الخيوط الوحيدة التى تصلنا بهذا الخارج. وعلينا أن نحسم أمرنا ونتصور أن ما يجرى فى الخارج يتفق مع رأينا وتوجهاتنا. ولنتحمل المسئولية.

ونفذ الرفاق التوجيهات كما نفذتها كذلك، وكنت أقول كلاما أثناء التحقيق فيعدل رجل النيابة بعض ما أقول. فلا أتدخل وأوافق. وكنت أذكر أسماء. فيعدل رجل النيابة هذا الاسم أو ذاك. فلا أتدخل وأوافق. وفى النهاية طلبت أن أدلى برأيي السياسى وتحدثت طويلا عن الامبريالية ومخططاتها وضرورة التحالف.. الخ. الخ. فيسجل رجل النيابه كلاما من عنده مثل عبد الناصر البطل زعيم الشعب الذى نفتديه من أجل الوطن. فأتركه يسجل ولا أتدخل. هذه هى التوجيهات ولابد أن أنفذ.

(كنا من التعذيب مرهقين مشتتين ولهذا كان رجال النيابة يضبطون أقوالنا ويحققون ما نذكر من أسماء حتى لا يتعارض كلام أى رفيق مع كلام الآخر. وكان ضباط المعتقل قد زعموا أنهم اضطروا إلى مواجهتنا بعد أن تظاهرنا أمام الاوردى ونحن نهتف بسقوط عبد الناصر

ونظامه، بل أن رئيس المعتقل زعم أننا «اعتدينا عليه وأنه مصاب». فكان هذا الكلام الذى رواه رجال النيابة حول «حينا فى عبد الناصر» لدحض مزاعم الضباط).

بعد يومين صدر الأمر بوقف تعذيب الشيوعيين فى مصر وسوريا فأنقذوا من موت بطئ، ثم كان لوقف تعذيب الشيوعيين ورفع الأذى عنهم فى المعتقل تأثيره السياسى بإعادة العلاقات تدريجيا بين النظام الناصرى والاتحاد السوفيتى. والفضل كان لأحمد الرفاعى، ثم أولا وقبل كل شئ لشهدى عطيه الذى فدى بدمه وحياته كل الرفاق.

ذكرت ذلك تفصيلا لسبب هام، وهو أن الرفيق رفعت السعيد نشر كتابا حول مقتل شهدى عطيه الشافعى. وكل ما فعله هو أن أتى بتحقيق رجال النيابة مع رفاقه من الشيوعيين ونشره فى كتاب. فأصبح كل من قرأ ما أصدره رفعت السعيد وما سجل عن رفاقه فى التحقيقات حول حبهم الشديد لجمال عبد الناصر لابد أن ينتهى إلى نتيجة وحيدة وهى أن رفاقه جبناء ضعفاء منهارون مستسلمون. ولم يحاول أن يسأل من حوله من رفاق عما حدث سؤالا واحداً، ثم لم يحاول وهو المؤرخ أن يتبين الدلالات الإنسانية والسياسية نتيجة لما جرى من تحقيق.

وذكرت ذلك أيضًا لأنه بعد سنوات كنا نجلس رفاقا فى إحدى العواصم الاوربية قبل جلسة دار فيها صراع شديد مثلما كان يجرى فى الماضى، وكنت الطرف الوحيد أمامهم فى هذا الصراع، فأمسك صديقى ورفيقى العزيز أديب ديمترى الذى أعتز بصداقته القديمة .. أمسك بكتاب رفعت السعيد متحدثا عن الضعفاء الجبناء المنهارين بشهادة كتاب رفعت، وموجها حديثه نحوى أنا الضعيف الجبان المنهار. وكنت أتمنى أن يسألنى قبل أن يطلق حديثه الزاعق - وأنا رفيقه وصديقه - فلعلى أذكر له ما يفيده ويتعلم منه.

وبعد أيام صدرت أوامر جديدة بنقل مجموعة شهدى (الحزب الشيوعى الموحد) إلى سجن القناطر بعيدا عن أوردى ليمان ابى زعبل وذكرياته. وهناك استقبلنا طبيب السجن، وكان يعرف شهدى أيام سجنه فى ليمان طره بعد أن حكم عليه بالاشغال الشاقة سنوات سبع. قدم الرجل لنا العزاء ثم منح زملاء كل حجرة امتيازات تمنح للمرضى من طعام وشراب و«مراتب» للنوم. وهكذا كان شهدى معنا ليساعدنا حيا وميتًا.

كنا نشعر ونحن فى السجن أننا فعلنا شيئًا نعتز به. ساهمنا فى إنقاذ الشيوعيين وفى إحداث تغيير خلق مناخا لإعادة العلاقات بين ناصر والاتحاد السوفيتى كما كانت قبل يناير ١٩٥٩، وشجعنا ذلك على البحث عن خيارات أخرى لإحداث المزيد من التغيير. قد تنجح محاولاتنا وقد تفشل. ولكنى أقدم فى الصفحات التالية تسجيلاً لهذه المحاولة

ونتيجتها.

الصراع الفكرى :

صدر قرار ببدء الكونفرنس بعد أن وصلنا إلى سجن القناطر، والظن أنه أطول كونفرنس فى تاريخ الشيوعيين، فهو يتم بلا وثائق مكتوبة، ويقتصر على الحوار الشفاهى، وفى حدود فسحة كانت تتم كل يوم لأقل من ساعة. كنا ننتقل ونحن نسير فى «الطابور» للتشاور والحوار. وكان كل المسجونين أعضاء فى الكونفرنس الذى استمر حوالى ثلاثة أشهر، فكلهم كوادر. بعد فترة لتطوير النقاش صدر قرار بالسماح بالنقاش بين الرفاق فى كل زنزانة، وكان عددهم ثلاثة رفاق. وقبل انتهاء الكونفرنس بحوالى عشرة أيام صدر قرار آخر يقضى بأن يتولى بهيج نصار إعداد مشروع الوثيقة الصادرة عن الكونفرنس. ولا أعرف لماذا اختارنى الرفاق لهذه المهمة الصعبة، وقد سبق أن حملت أكثر من طاقتى عندما طلب منى أن أكون مسئولا عن رفاق الحزب الموحد فى معتقل أبى زعبل القديم وفى ظروف أحداث التغيير السياسى والحزب لايزال وقتها وليداً.

بدأت تنفيذ القرار وأخذت أنتقل خلال الفُسحة لألتقى بالرفاق الواحد تلو الآخر حتى أعرف بدقة رأى كل منهم. وأخذت أبلور اتجاهين بين الرفاق. أحدهما يرى أن ما يفعله عبد الناصر من تأميمات هو تحقيق فعلى للاشتراكية بعد أن اقترب أكثر وأكثر نحو الاشتراكية العلمية، وكان عادل حسين هو أشد المتحمسين فى هذا الاتجاه. كان تأييده لعبد الناصر مطلقاً يصل إلى حد الايمان.

ويرى الاتجاه الآخر أن عبد الناصر يتخذ اجراءات تقدمية وليست اشتراكية. أى أنها تفتح الطريق أمام الاشتراكية مستقبلا. وكان عدد من القادة من الاتجاه الاول، ولكن أغلب أعضاء الكونفرنس من الاتجاه الثانى. والمشكلة امامى هى كيفية الوصول إلى اجماع وتوافق فى الرأى وتوحيد للتوجه السياسى، فمن أجل هذا تم اختيارى، وقضية توحيد الرأى والاجماع على توجه عام واحد أمر هام جداً ونحن فى السجن وفى ظروف سياسية بالغة الحرج. وقد أكدت على أمور محددة، منها استبعاد أى تحليل عن طبيعة نظام عبد الناصر فذلك مستحيل لعدم توافر المعلومات اللازمة للوصول إلى رأى علمى واضح، ثم أن أجمع المواقف من كل من الاتجاهين والتى يمكن أن يتفق عليها أطراف الاتجاه الآخر، ثم أن أقصر الوثيقة على مواقف عملية بل وإجرائية تجنبا للتحليلات، واخيراً أن تكون الوثيقة فى شكل قرار قصير.

وعلى هذا الأساس أكد القرار أن أفكار عبد الناصر تتطور وتقترب رويداً رويداً من أفكار الاشتراكية العلمية، وأنه من الممكن مستقبلا ومع تطور أفكاره أن تتم وحدة بين مجموعته الاشتراكية والتنظيم الشيوعي. وبهذه الفقرة كسب الاتجاه الأول خطوات هامة تتفق مع الواقع. فأفكار عبد الناصر تتطور وتتقدم فعلا، واحتمال وحدة مجموعته مستقبلاً مع الشيوعيين أمر لا ترفضه خبرة الاحزاب الشيوعية سواء ما جرى في كوبا أو ما جرى في كثير من دول شرق أوربا، حيث توحدت الأحزاب الشيوعية مع أحزاب الاشتراكية الديمقراطية.

ومن جهة أخرى أكد القرار على الشروط اللازم توافرها حتى يمكن أن يتم التوحيد، مثل: التمثيل الطبقي للعمال وتبنى أفكار الاشتراكية العلمية الحقة وغيرها من الشروط الواردة في الأدب الماركسي. وبهذ الفقرة كسب الاتجاه الثاني خطوات هامة تؤكد ما يتبناه الشيوعيون أسسا وأهدافا.

وكانت هناك مقدمة بسيطة أشارت الى الظروف السائدة. ولم يتجاوز القرار الصفحة الواحدة الا قليلا.

هذا هو قرار «المجموعة الاشتراكية» الذى أثيرت حوله ضجة من رفاق لم يطلعوا عليه. ومن أسف أن نص القرار فُقد ولا توجد منه نسخة واحدة اليوم. غير أن الذى يؤكد فساد هذه الضجة أن جميع المشاركين فى الكونفرنس (وعددهم قرابه ٢٥ عضواً على ما أذكر) قد وافقوا على القرار باستثناء ثلاثة أعضاء، وأن جميع الرفاق فى سجن الواحات قد وافقوا عليه وأن أصحاب القرار لم توجه إليهم أية تهمة، كما كانت العادة في الماضى من الرفاق أعضاء الفصيل الآخر، إنما رفضوا القرار لخلاف أساسى فى فهم سياسة عبد الناصر، وأن أعضاء جدداً قد انضموا إلى الحزب (الموحد سابقًا) بعد اتخاذ القرار، منهم عبد العظيم أنيس ومجموعة كبيرة من الرفاق كانت لا تزال مع الفصيل الآخر يتقدمهم محمود أمين العالم، وأن ما حدث من تأميمات واسعة وشاملة بعد ذلك خاصة بعد انفصال سوريا عن مصر، ثم إصدار الميثاق قد أكد حقيقة تطور وتقدم أفكار عبد الناصر ومجموعته بشأن الاشتراكية.

وبفضل القرار تدعمت وحدة الحزب على الرغم من أنه قدم جديدا حول احتمالات المستقبل السياسى والاقتصادى والاجتماعى لشعب مصر. غير أن هناك جديدا فى القرار كان موضع قبول ودون مناقشة على أهميته، فخلال حديثى مع الرفاق تمهيداً لصياغة القرار تأكدت أن الجميع فى كلا الاتجاهين السابق ذكرهما (أو أغلبيتهما العظمى) يرون أن طريق مصر إلى

الاشتراكية لن يكون مثيلاً لما جرى فى الاتحاد السوفيتى أو فى بلدان شرقى أوربا أو فى الصين. وما يجرى أمام أعينهم فى الواقع شاهد على ذلك. فهناك خصائص لا يمكن إنكارها. ولهذا عندما تمت صياغة القرار لم يتضمن التعبير التقليدى بشأن الالتزام «بالماركسيا اللينينية» إنما نص القرار على الالتزام «بالاشتراكية العلمية» نفيًا ورفضًا للاشتراكيا «الطوباوية» المثالية وهو التعبير الذى شاع عندما شرع ماركس يحدد القوانين العلمية للاستغلال الرأسمالى وبديله أسلوب الانتاج الاشتراكى. ولاشك أن اختيار هذا التعبير (الاشتراكية العلمية) كان كذلك لتيسير الأمور عندما يبدأ النقاش مع المجموعة الاشتراكية، إذ كان عبد الناصر يجنب نفسه «تهمة» الانضواء تحت رايات الماركسية «والعمالة للسوفييت». بسبب تبنى الاتحاد السوفيتى لرؤية معادية للاديان. غير أن الأمر الأساسى الذى جنب النقاش فى الكونفرنس هو رؤية الأعضاء جميعًا أن طريقًا آخر وظروفًا أخرى لم ترد بعد فى خبرات البناء الاشتراكى وطرقه السابقة مطروحة عليهم بالنسبة لمصر. والظن أن هذه هى أول مرة تطرح وثيقة أساسية لحزب فى الأقطار العربية ويستبعد فيها الالتزام بالماركسية اللينينية والاكتفاء بالاشتراكية العلمية. وهو عرف سيجرى عليه ويتبناه الكثير من الأحزاب الشيوعية بعد ذلك (ويلاحظ أن تعبير الاشتراكية العلمية قد ورد فى الميثاق الذى أصدره عبد الناصر. ولا أدرى إن كانت هناك صلة بين الامرين، قصدها عبد الناصر عند صياغة ميثاقه).

كذلك لم يحدث من أى رفيق أثناء النقاش أن طرح مسألة رفض الأديان وفقا لما طرحته فلسفة كارل ماركس. وكان ذلك تأكيداً على ضرورة الالتزام بالظروف الواقعية السائدة فى مصر.

ثم لم يشتمل القرار على الإطلاق على ما عرف بطريق النمو غير الرأسمالى، لأن الحديث تناول مباشرة الشروط اللازم توافرها كى تكون الاشتراكية العلمية مطبقة فى مصر. ولعل ذلك هو ما أوحى للرفاق تبنى فكرة مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية، بعد ذلك وليس الطريق اللارأسمالى.

والواقع أن القرار بالنسبة للقيادة كان يمثل «آلية» جديدة يمكن الاستعانة بها للتعاون مع نظام عبد الناصر وتحديداً مع المجموعة الاشتراكية التى أشار إليها القرار (ذكر القرار تعبير المجموعة الاشتراكية لأن عبد الناصر لم يعلن قيام حزب اشتراكى رغم الإلحاح فى الدعوة إلى الاشتراكية فيما كان يقوله هو وصحبه) وسعت القيادة أن يصل القرار إلى عبد الناصر بكل الطرق أملا فى أن يكون خطوة للتغيير بعيد المدى لو تم تنفيذه.

على أن الخلاف ظل قائما وإن كان مستترا. فأصحاب الاتجاه الأول كانوا يرون أن أفكار عبد الناصر قد توافرت لها شروط عديدة من بين الشروط الواردة فى القرار باعتبارها أسس الوحدة، ولهذا ظلوا على رأيهم بشأن بناء الاشتراكية على يديه، بينما يرى أصحاب الاتجاه التالى أن معظم الشروط لم تتوافر بعد، ومن ثم لابد من مواصلة النضال كحزب مستقل حتى تتوافر. وكانت صياغة القرار تتفق مع رأى أصحاب الاتجاه الثانى.

غير أن هناك واقعا سيحدد مصير الآلية الجديدة والقدرة على تشغيلها .. فلنتصور أن عبد الناصر يتقدم فعلا نحو الاشتراكية العلمية ونحو بناء الاشتراكية وفقاً للمفاهيم التى كانت الاشتراكية تشيد على أسسها فى الاتحاد السوفيتى - بلا ديمقراطية، وبسطوة قائد الحزب الواحد، ثم غياب مشاركة أعضاء هذا الحزب فى اتخاذ القرار... الخ) فهل مجرد إصدار قرار من قبل طرف معين حول الوحدة سيؤدى إلى وحدة الطرف الثانى معه؟ بل إن مجرد مناقشة جمال عبد الناصر مع أصحاب القرار لن يحسمها إصدار القرار مالم تكن علاقات القوى فى الواقع المصرى تسمح بتنفيذه .. وتلك قضية ستنكشف حقيقتها فى المستقبل.

وقد ظل النقاش مستمرا هادئًا بين الرفاق بعد الكونفرنس فى سجن القناطر، ثم بعد أن انتقل كل المسجونين والمعتقلين إلى سجن الواحات.

القرار ، إذن، وفر لأصحابه آلية اتفق الجميع عليها. لكن تشغيلها يتوقف على ما يتم فى الواقع. وتلك هى المسألة التى بذلت محاولات لحلها.

ولا أريد أن أتحدث عن سجن الواحات وما جرى فيه للشيوعيين وبين الشيوعيين. كيف غالى الفريق الآخر فى أفكاره حتى وصل إلى حد تفسير ما فعله نظام عبد الناصر على أنه رأسمالية الدولة الاحتكارية كما هو الحال فى بلدان أوربا وأمريكا الشمالية؟ وماذا جرى للعلاقات بين الأعضاء القدامى لتنظيم طليعة العمال وأعضاء تنظيم الراية؟ والعلاقة المتهتكة بين أعضاء قيادة الفصيل الآخر؟ وكيف تشكل تكتل أو تنظيم «الأفق» بقيادة الرفيق رؤوف نظمى الذى عرف فيما بعد بالدكتور محجوب عمر؟ وكيف تزايد عدد من عرف بالمستقلين من أعضاء الفصيل الآخر، وكيف تغير فكر الفصيل الآخر من رأسمالية الدولة الاحتكارية وصفاً لما يجرى فى مصر إلى بناء الاشتراكية وبحماس فائق بعد الخروج من السجن والافراج عن المعتقلين ثم المسجونين؟ ذلك كله متروك لشهادات الرفاق من الفصيل الآخر، ولكن أريد أن أؤكد حقيقة هامة وهى أن الانفجار والتشتت هذه المرة لم يلحق بالفصيل الذى اعتبر امتداداً لحدتو إنما حدث للفصيل الآخر، ثم أريد أن أشير إلى ما ستبينه الصفحات القادمة من أن

التشتت الذى كان قد جرى مرتين لأعضاء حدتو فى الماضى قد تبعه فى الحالتين عودة إلى التوحد فيما بين الشظايا من جديد. أما التشتت الذى جرى فى الفصيل الآخر داخل سجن الواحات فلم يسفر عن عودة إلى التوحيد أو إلى العمل فى التنظيم الشيوعى مرة أخرى بل أسفر عن نهاية وخاتمة لتنظيم الراية وتنظيم طليعة العمال .. إذ لم يعد أى عضو فى قيادة كل من التنظيمين بعد الخروج من السجن إلى الكفاح فى إطار التنظيم الشيوعى. وليس ذلك لضعف فى إرادة الرفاق. كلا. كلا فلقد صمدوا مثل غيرهم أمام الإرهاب والتعذيب وبشجاعة. إنما هو نتيجة لما يمكن أن تؤدى إليه المغالاة فى الخطأ النظرى من خراب ودمار.. وقد سبق أن أشرنا إلى ما طرأ على تنظيم الراية من تدهور ومرض لم يفق منهما أبدا بسبب الانتقال من فاشية نظام عبد الناصر إلى وطنيته. وذلك ما سيحدث أيضاً لتنظيم طليعة العمال بسبب الانتقال من رأسمالية الدولة الاحتكارية إلى بناء الاشتراكية.

ولنحاول مرة أخرى أن نعود إلى الفصيل الأول الممتد من حدتو وتقاليدها. عدنا جميعاً إلى سجن الواحات وسكنا زنازينه، وكانت حجراته واسعة على خلاف زنازين السجون التقليدية. كانت الظروف مختلفة بعد أن توقف التعذيب. وأخذ الرفاق ينظمون حياتهم من فرقة مسرح إلى إذاعات إعلامية بالصوت لتقديم تحليلات سياسية إلى نشرات وكتب إلى فرق رياضية إلى مزرعه تفئ بالخير على الجميع، إلى حمام للسباحة، ثم أصبح فى المقدور أن يجرى النقاش يسيراً.

ولما كان معظم قيادات هذا الفصيل قد تجمعوا فى سجن الواحات ولما كان النقاش ظل مستمراً بحثًا عن مخرج للمأزق الذى نعيشه .. نضال عبد الناصر يتزايد ضد الامبريالية وأعوانها فى الداخل - نضال سياسى واقتصادى واجتماعى - وتوثيق العلاقات بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى. فى نفس الوقت لازال الشيوعيون يسكنون السجن فى قلب الصحراء. هل يمكن حل هذا التناقض؟ وماذا يمكن أن نفعله؟ هذه أسئلة مفروضة على هذا الفصيل بحكم رؤيته السياسية. هنا قررت القيادة عقد مؤتمر وليس مجرد كونفرنس.

تسربت إلى أذهان الكثير من أعضاء القيادة أن ما بيننا وعبد الناصر ليس أساسا خلافاً حول أفكار اشتراكية. فالرجل لا ينقطع عن التأميم وسيطرة الدولة على كافة المقدرات الاقتصادية حتى أصبح عند الاتحاد السوفيتى وكأنه «العريس» بين زعماء بلدان العالم الثالث. القضية هى «التنظيم». ولما كان من المستحيل التخلى عن تنظيمنا فليس من طريق غير الوحدة مع مجموعة جمال. ولقد سبق أن تبنى التنظيم قرار المجموعة الاشتراكية، وأرسل القرار إليه.

فماذا نفعل؟

وشعر الرفاق أن في قدرتهم أن يفعلوا شيئًا : ألم يتمكنوا من وقف التعذيب الرهيب الذي حل بالشيوعيين في مصر وسوريا وهم قابعون في سجنهم؟ هناك فرص وهناك خيارات.

وانتهى نقاش أعضاء المؤتمر إلى اتخاذ ثلاثة قرارات :

الأول حول المرحلة ويقضي بأن المرحلة الراهنة هي مرحلة انتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. وصدر قرار المرحلة دون تقديم لدراسة حول الوضع الاجتماعي والاقتصادي في مصر، كان وليد تقدير عام، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى أخطاء، فالمرحلة يمكن أن تستمر عشر سنوات أو عشرين سنة ويمكن الا تطول لأكثر من عدة أشهر، وذلك ما يمكن أن تحدده الدراسة العلمية التي لم تكن متوافرة لعدم توافر المعلومات عن واقع مصر خارج السجن ثم لغياب الممارسة المباشرة مع الواقع. وهذا التوسع في التقييم هو ما حاول قرار المجموعة الاشتراكية تجنبه حين اقتصر على تسجيل وتعيين المواقف المحتملة.

القرار الثاني يتصل باللائحة، وكانت بشكل عام عادية الا في نقطة واحدة أثارت الكثير من النقاش وتتصل بما ورد من شروط لعضوية الحزب الشيوعي، وكان ضمن هذه الشروط ضرورة القبول بحماية نظام عبد الناصر والالتزام بها كشرط من شروط عضوية الحزب الشيوعي.. وقد عقد اجتماع موسع لمناقشة هذه النقطة تولى محمد الجندي الدفاع عنها وكانت خطورة هذا الشرط سياسيا هي أنه يعني ضمنا ومستترا أنه توافرت في هذه المجموعة ما يلزم الدفاع عنها كمبدأ شيوعي، فالالتزام في لائحة الحزب الشيوعي في رأيي لا يكون الا بالنسبة لحماية الحزب نفسه وحماية تنفيذ قراراته وفكره الاشتراكي، الأمر الذي يعني مساواة «المجموعة» بما هو شيوعي حزبًا وفكرًا ونشاطًا.

القرار الثالث نص بتضييق القيادة حتى أصبح عددها - في حدود الذاكرة - قد أصبح ستة أعضاء، والحجة كانت واضحة، وهي أن تصبح القيادة قادرة على اتخاذ القرار بسرعة إذا اقتضى الأمر. وهم : شطا - زكي مراد - أحمد الرفاعي - فؤاد حبشي - مبارك عبده فضل- وكمال عبد الحليم (في الخارج). وفي رأيي أن عددا من أعضائها لم يكن سياسيا على مستوى الظرف الدقيق حينئذ.

وبصدور القرارات الثلاثة من المؤتمر مال التوجه السياسي عمليا نحو أحد الاتجاهين في الحزب، وهو الاتجاه الذي يميل نحو الاسراع بالوحدة مع المجموعة الاشتراكية، وكان الظن أنه بفضل هذه القرارات ستكون الوحدة أقرب منالا مع الطرف الآخر، وسيكون الطرف الآخر

أكثر ميلاً إليها.

صحيح أن قرار المجموعة الاشتراكية لم يمسه أحد بسوء وظل الالتزام به كوثيقة أساسية من وثائق الحزب، بل لايزال هو الوثيقة الأساسية... غير أن القرارات الثلاث جاءت لتقدم تفسيراً له يميل عملياً إلى اتجاه معين. ومن هنا تواصلت الأخطاء - في رأيي- دون أساس من دراسة جادة لواقع مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وكان ما حدث قبل الافراج عنا شاهدا على ما أقول. فقد ظهرت كراسة كتبها الرفيق على نجيب تدعو إلى الانضمام الفورى إلى مجموعة عبد الناصر الاشتراكية، فهو يبنى الاشتراكية وعلى الشيوعيين الداعين إلى ذلك هدفا أساسيا لهم أن ينضموا اليه لحماية ما يصنعه لشعب مصر، وكان البعض متحمساً لهذا الموقف مثل ابراهيم عبد الحليم وعادل حسين، بل وكذلك يميل اثنان في القيادة اليه. عُقد على الفور كونفرنس لمناقشة ما ورد في الكراسة وتم ادانة أفكارها ولم يجرؤ احد على الدفاع عنها «علنا» غير صاحبها.

الخطأ فيما حدث؟

لقد خرجنا من السجون والمعتقلات، وقيل إن خروشوف سكرتير عام الحزب الشيوعى ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتى كان يرفض الحضور إلى مصر للاشتراك فى حفل افتتاح السد العالى ما ظل شيوعى فى السجون والمعتقلات. فكان الافراج تأكيداً على الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى.

وبسرعة تم تسكين المثقفين من الشيوعيين فى أعمالهم القديمة أو فى أعمال جديدة، بينما ترك الرفاق العمال بلا عمل لمدة طويلة، ثم تم تقسيم المثقفين إلى مجموعتين: الأولى أرسلت إلى محمد حسنين هيكل لتعمل فى مجلة الطليعة، معظم أعضائها هم قادة تنظيم الراية وتنظيم الطليعة من المثقفين، والمجموعة الثانية وهى من الفصيل الممتد عن حدتو تسلمه فى حدود علمى رفاق لهم قدامى منهم: أحمد حمروش وأحمد فؤاد، وانخرط بعضهم فى التنظيم الداخلى (والسرى) للاتحاد الاشتراكى.

وتم توزيع الاعضاء بين الموحد فى لجان مع أعضاء من التنظيم الداخلى والسرى للاتحاد الاشتراكى بعضها لجان للمناطق والاخرى لجان توعية. وقد أبلغت رسميا عن طريق فؤاد حبشى أنى اصبحت فى لجنة الاعلام مع فلان وفلان وفلان ممن أعرفهم بين الديمقراطيين

والتقدميين فى اجهزة الاعلام (بل ويؤمن بعضهم بالاشتراكية العلمية). ثم قيل إن المشروع ارسل إلى جمال عبد الناصر فأخذه جمال ووضعه «على الرف». ثم تمت اتصالات اخرى سياسية، وسمعنا أن النقاش مع قادة لراية والطليعة قد أثمر ووصلوا إلى النتيجة المرجوة. أعلن هؤلاء القادة حل التنظيم الشيوعى التابع لهم. أدركنا على الفور أن حديث اللجان وتوزيعها للعمل فيها هو كلام فى الهواء. المطلوب منا أن نتخذ بدورنا قراراً.

وجهنا بالموقف عارياً على حقيقته. أصبحت حكاية الوحدة مع «المجموعة لاشتراكية» محض كلام أجوف. تبخرت حكاية الوحدة.. ماذا جرى؟؟

حينما نجحنا فى وقف تعذيب الشيوعيين كانت هذه خطوة حقيقية. ولكنها لم تتم بفضل حسن تصرفنا أثناء التحقيق فحسب (كما تصورنا)، بل لأسباب أخرى هى الأهم والأكثر حسماً. كان وراء هذه الخطوة علاقات قوى فى الواقع الملموس تمثلت فى ضغوط من الاتحاد السوفيتى وقوى الرأى العام الديمقراطى لوقف التعذيب، وفى رغبة عبد الناصر فى تحسين سياسته مع الاتحاد السوفيتى خاصة بعد أن قبل الأخير بناء المرحلة الثانية من السد العالى. هذا الواقع شكل علاقات محددة من القوى - وهى قوى كبرى - كان لها الدور الاعظم فى وقف تعذيب الشيوعيين، وما فعلته قياده الحزب الموحد هى أنها أدركت بشكل أو آخر وبفطنة وذكاء حقيقة هذا الواقع فتصرفت على أساسه بما يسمح لجمال عبد الناصر أن يأمر فوراً بوقف التعذيب وبالتحقيق فى حادث مقتل شهدى عطية الشافعى.

وخلاف ذلك تماما ما حدث عندما حاولت قيادة الموحد (سابقًا) الإقدام على خطوة أخرى ترتيبا على الخطوة السابقة أملا فى الافراج والتعاون بل والوحدة. كان عبد الناصر قد قطع علاقاتنا تماما بالجماهير فى مصر لمدة قاربت سنوات ست، وفى نفس هذه لأعوام قام بإجراءات واسعة لتأميم الشركات ووضع مقدرات الاقتصاد فى يد الدولة المحكمة، وزادت علاقاته مع الاتحاد السوفيتى توثقًا، وأصبح ملوداً بين قادة الاقطار العربية وبلدان العالم الثالث، ونموذجاً يحتذى فى النضال ضد الاستعمار الجديد والامبريالية ومن أجل الاشتراكية، وكاد بالفعل أن يُنفذ كل ما ورد فى برنامج التنظيمات الشيوعية فى مصر... فهل من المعقول أن تأتى بعد ذلك مجموعة من الشيوعيين عددها ٦٠ أو ٧٠ شيوعياً ظلوا فى السجون لسنوات عديدة ثم أفرج عنهم، وليس لهم من سند سوفيتى أو أممى أو عربى بعد أن كسب عبد الناصر كل هذه القوى إلى صفة .. ليقولوا له عليك أن تتوحد معنا فى تنظيم واحد حتى تستقيم لك الامور؟ .. هل هذا معقول؟ لقد نسيت قيادة الحزب (الموحد سابقًا) أنها تقدمت

بمطلبها وليس لها أى سند من علاقات القوى فى الواقع يسمح بتنفيذ مطلبها، وذلك على خلاف ما تم عندما تم وقف تعذيب الشيوعيين. وحتى لو فرضنا أن عبد الناصر قد أصبح يبنى الاشتراكية كما كان البعض يرى - كانوا أقلية- فما الذى كان يدعوه إلى أن يتنازل وهو المارد ليتوحد مع هذه المجموعة الصغيرة ويقيم تنظيما مشتركا.. خاصة أنه أصلا لا يريد أن يقيم أى تنظيم فى مصر يشارك فى اتخاذ القرار .. حتى لو كان تنظيماً لعبد الناصر نفسه.

ليس عليهم الا أن يأتو اليه أفرادا. وهو لن يصفيهم كما فعل بالإخوان المسلمين والأحزاب القديمة، لأنه يريد أن يستعين بهم وفقا لمشيئته. عليهم أن يحلوا تنظيمهم أولا وقبل كل شئ.. وبرضائهم وإرادتهم الحرة حتى يسمح هو لهم افراداً بالتعاون معه .. وقد تعاون مع الكثير منهم بعد ذلك.

عقدنا اجتماعا للكادر وشاركت في هذا الاجتماع. دار الحديث حول مسألة أساسية : هل الشروط فى قرار المجموعة الاشتراكية قد توافرت؟ وهل المناقشات التى كانت قد بدأت لتسكين الرفاق في وحدات مشتركة في مختلف المناطق يتم تنفيذها؟ وبطبيعة الحال لم تكن هناك إجابات شافية. في نفس الوقت كان المشاركون يدركون عجزهم. فاتخذوا قراراً مثيراً للضحك. فحيث أنهم لا يمكن أن يتخذوا قراراً صريحاً بالحل الا إذا تأكدوا أن الشروط الواردة فى قرار «المجموعة الاشتراكية» قد توافرت، والا إذا تبين أن اجراءات التوحيد تنفذ. فقد قرروا أن يتركوا الأمر لكمال عبد الحليم ليتخذ هو القرار نيابة عنهم إذا بان له تحقق ما سبق ذكره. وكان هذا القرار تعبيراً عن العجز واستسلاماً ضمنيًا لما يريده عبد الناصر منهم. كان كمال يدرك الواقع. بعد انتهاء الاجتماع طلب كمال من الرفاق الانتظار، ثم أعلن قراره بتجميد نشاط التنظيم وفي اليوم التالى ذهب كمال عبد الحليم للتوقيع فى كشف زيارات رئاسة الجمهورية ليعلن حل التنظيم (الحزب الموحد سابقاً).

ولم يكن ما فعله كمال الا تعبيراً عما كان عليه الرفاق من شلل تام وعجز عن اتخاذ أى قرار .. فتعبيراً عن استسلام الرفاق .. تم حل الحزب.

بعد قرابة ثلاثة أعوام وبعد أن استعان عبد الناصر بكثير من الرفاق لتولى مسئوليات أساسية وخاصة فى مجال الإعلام والثقافة، وفقاً لمشيئته السياسية وفى حدود ما يقضى هو به، جاء يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وظهر نظام عبد الناصر على حقيقته ضعيفًا مضطربًا، وتكشفت واجبات عديدة ومهام كثيرة كان ينبغى أن تُتخذ. وبان لكثير من الرفاق، بعد أن أغمضوا أعينهم طوال السنوات الثلاث، أن شروطًا جديدة وردت فى قرار المجموعة

الاشتراكية لم تتوافر بعد. وكان الأصدقاء غير الشيوعيين من الديمقراطيين يطلبون منا أن نفكر من جديد وأن نحمل من جديد بعد أن حلت الكارثة.

وبالتدريج جرت اتصالات وطرحت تساؤلات (أيام عبد الناصر)، وكان في خلفية ما دار حقيقة تأكدت عمليا وهي أن كثيراً من الشروط التي حددها قرار المجموعة الاشتراكية تقتضي من أصحاب القرار مواصلة الكفاح لتوفيرها. وأخذ موقف جديد يتبلور تدريجياً لإعادة بناء التنظيم (أيام عبد الناصر). ولازلت أذكر يوماً ونحن في مياه مرسى مطروح ومعي رفعت السعيد حين تفقنا على ضرورة اتخاذ هذه الخطوة، وآخرون فعلوا ذلك.

وتلك قصة ينبغي أن تروى ثم يُروى كل ما حدث حتى هذه اللحظة. غير أني أود أن أشير إلى حقيقة ينبغي تسجيلها للتاريخ. فمعظم أعضاء قيادة حزبي السابق (الحزب الشيوعي الموحد) الذين شاركوا رفاقا آخرين في قيادة حزب ٨ يناير، ومعظم الرفاق المحترفين الذين سعى البعض إلى تدميرهم يومًا في عام ١٩٥٨ قد عادوا لبناء التنظيم الشيوعي من جديد، لكن ما من عضو واحد من الفصيل الآخر ممن كان في اللجنة المركزية لحزب ٨ يناير قد عاد من جديد إلى التنظيم الشيوعي. جميعهم تخلوا عنه. وأملى من أصحاب الشهادات ممن كانوا تحت قيادتهم أن يقدموا تفسيرا لما حدث.

ولم يكن ذلك عن ضعف منهم، ولكن - في رأيي - لسبب سياسي : هو التحول «من رأسمالية الدولة الاحتكارية إلى بناء الاشتراكية» وهو أمر لا يمكن احتماله. وقد تم الاتصال بهم حتى لا يكون ما نفعل بعيداً عنهم. فهم معنا مسئولون عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. وكان أكثرهم شرفا وأمانة الرفيق فؤاد مرسى حين اعتذر مباركًا ما نفعله مؤكداً عزمه على تقديم كل عون في مقدوره لنجاح مهمتنا. وبمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الرفيق زكي مراد ألقى الرفيق فؤاد مرسى كلمة مُجد فيها ما فعله زكي قبل وفاته (أو اغتياله) من بناء للحزب من جديد.

كان الرجل مخلصاً لفكره الشيوعي رغم تجنبه الانخراط في التنظيم. ثم يبقى بعد ذلك أن نطرح الأسئلة القديمة :

- هل الانقسام الحقيقي في الحركة الشيوعية المصرية هو انقسام بين فصيلين أساسيين استمر دائما ولم ينقطع؟ ثم ألم تعد الشظايا التي تناثرت مرتين إلى تنظيمها القديم من جديد؟

- هل حقيقة أن دور الرفاق ممن لهم أصول يهودية كان هو الذي قرر مسيرة الحركة الشيوعية المصرية؟ أم أن نفوذهم الكبير كان من الناحية التاريخية ظاهرة طبيعية استمرت

قرابة سنوات أربع ثم اخذ الرفاق الآخرون من المصريين يتحملون مسئولية العمل طوال ما مضى من أعوام؟

- هل تخلصنا من تصورات مثالية حول الأممية ليستقر مفهوم سليم ويتحدد حول التضامن الاممى؟

ثم أسمح لنفسى أن أطرح سؤلا آخر بسبب ما يردده رفيق سابق فى تنظيم مشمش (م.ش.م) ثم منظمة الراية، وهو الصديق محمد سيد أحمد، من أن الشيوعيين خضعوا لعبد الناصر بعد أن كانوا خاضعين لليهود.. ثم أسأل : من خضع لمن؟ وحتى أكون اكثر تحديداً : من تأثر بمن؟ نعم، لقد تأثرنا بما فعله عبد الناصر باسم الاشتراكية من أعمال مجيدة رغم أخطاء عديدة شابتها، ولكن ألم يتأثر هو أيضًا بما فعله الشيوعيون، وعظيم أعمالهم، فى خضم الحركة الوطنية؟ ومن أين أتى بفكاره عن الاشتراكية وهو المصرى الذى تعامل مع الشيوعيين خلال سنوات عديدة قبل أن يتولى السلطة وبعدها؟ نعم، لقد تأثرنا به وبأعماله، ولكن ألم يتأثر هو الآخر بفكارنا وعظيم أعمالنا؟ ثم ألم نقرر العودة إلى التنظيم رغما عنه بعد أن بان الخطأ؟

فى رأيى أن الاجابة على هذه الأسئلة واضحة ويؤكدها ما جرى من تطورات ليبقى سؤال هام : لماذا لم نتعلم حتى اليوم كيف نعيد النظر فيما لدينا من تصورات سياسية ونظرية على ضوء ما تحرز من نجاحات ونرتكب من أخطاء؟ كانت الأحداث تدفعنا إلى الوحدة ثم الوحدة دون أن تكون لنا وقفة جادة لتبين الخطأ من الصواب.

ولا أقصد بذلك إدانة أحد أو اتهام الطرف الآخر، انما معرفة السبيل لتجاوز الأخطاء التى نقع نحن فيها. وذلك أمر ضرورى خاصة بالنسبة لفصيل حاول أن يكتشف الجديد فى الفكر لمواجهة الواقع المتغير.

وتلك قضية القضايا ونحن فى العام الأول من الالفية الجديدة وقد أصبحنا فى عالم مختلف تمامًا من عالم كنا نعيشه، ولم يعد معنا الاتحاد السوفيتى وبلدان أوربا الاشتراكية. وبانت الحاجة إلى تطوير المفاهيم الاساسية لتجاوز الرأسمالية.

شهادة

جمال البراد

البيانات الشخصية

الاســـــــــــم : جمال مصطفى البراد

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٧/٤/١٥ القاهرة - روض الفرج

المـــؤهــــلات : بكالوريوس هندسة - قسم كهرباء قوى

المـــهـــنـــة : مساعد مهندس بالشركة العامة للأعمال الهندسية وأنا طالب، ثم مهندس بالسد العالى.

فترة السجن والاعتقال : أحد عشر عاماً تقريباً .

بيانات عائلية :

نشأت فى أسرة من أب وأم منفصلين. شارك أبى فى ثورة ١٩١٩ وكان زعيماً لمدرسة التوفيقية الثانوية. ونتيجة اعتدائه على ناظر المدرسة الإنجليزى فى الإضرابات ، فصل من المدارس الحكومية، واضطر أن يستكمل تعليمه الثانوى تحت إلحاح أمى وتشجيعها ثم التحق بكلية لحقوق وأكمل تعليمه الجامعى وعمل محامياً ثم قاضياً ومستشاراً. كانت أمى محجبة تعرف القراءة والكتابة بصعوبة إلا أنها تحت قسوة الحياة وتقصير أبى خرجت إلى العمل من أجل توفير المال اللازم لرعايتنا حيث كنا ستة أخوة فأدارت مصنعاً للطوب الأحمر ورثه والدى عن والده، متحدية فى ذلك أهلها الذين كانوا يعيبون عليها ذلك .

وأحسنت أمى تدبير شئوننا فبمبالغ ضئيلة استطاعت أن تجتاز الطريق لاستكمال التعليم الجامعى لنا جميعاً، وكان نضال أبى الوطنى ونضال أمى الاجتماعى حافزاً كبيراً فى أن أسير فى طريق الصراع الوطنى وأن أحترم المرأة وأومن بضرورة رفع الجور عنها ومساواتها بالرجل. كما كانت قسوة الحياة التى عشتها عاملاً فى تقبلى للأفكار الاشتراكية فيما بعد .

وأذكر لأمى أنها كانت تساندنى عندما أبى والدى أن يصرف علىّ بسبب انغماسى فى العمل السياسى، وأصرت على استكمال تعليمى.

وعندما أصيبت والدتى بالشلل، وكان يعالجها الدكتور منصور فايز وهو طبيب عبد الناصر الخاص ورأى حالتها السيئة استسمح جمال عبد الناصر فى السماح لى بزيارتها. فلما حضرت وجدت المنزل كقلعة حربية محاطة بالجنود من كل جانب ومن فوق سطح المنزل، وكان منظر والدتى من الصعوبة حتى أنى طلبت الإسراع بالعودة إلى المعتقل.

وأذكر لوالدى أنه فى خلال الحرب العالمية الثانية كان يوضح لى خطأ السياسة التى تقوم على "عدو عدوك صديقك "فكان يؤيد الحلفاء. وأذكر له إعجابه بمعركة ستالينجراد ودور الجيش الأحمر. وفيما بعد كان يعترض على ضمانات الديمقراطية فى الاتحاد السوفياتى، ولما أوضحت له أننا نسعى إلى ديمقراطية اجتماعية وأن العمال والفلاحين هم الغالبية فإن ديكتاتوريتهم هى قمة الديمقراطية، أعجب بهذا التفسير.

كان والدى قاضياً بمحكمة إمبابة وحكم لصالح عمال مصنع الشوربجى فكانوا يقدرونه لذلك. وقد توفى أثناء اعتقالى سنة ١٩٦١ وتوفيت والدتى بعد خروجى من المعتقل سنة ١٩٦٥ وكنت وفيا لها فقدمت لها كل ما أستطيع من مساعدة.

اشتركت فى المظاهرات والإضرابات ضد الإنجليز وأعوانهم فى الداخل كما اشتركت فى مظاهرات ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ والتى أطلق فيها الجنود الإنجليز الرصاص على المتظاهرين من ثكناتهم بقصر النيل. ولم أكن فى ذلك الوقت شيوعيا، وإن كنت عضواً فى اللجنة الوطنية بمدرسة رقى المعارف الثانوية.

وفى تلك الفترة قبض على فى المظاهرات وأودعت قسم روض الفرج مع المجرمين العاديين وعانيت من قذارة القسم وأحوال المساجين اللاإنسانية، من أسراب البق والقمل والحشرات وقذارة دورة المياة التى كانت تطفح حاملة البراز إلى حيث نرقد أو ننام. وكم كانت أوضاع المساجين وسلوكياتهم تحز فى نفسى. فالمساجين يسرقون بعضهم ويسرقون المترددين على الحجز، وأحيانا لصالح السجان الذى يشاركهم، ويهربون السجائر والمخدرات وشفرات الحلاقة داخل أجسادهم ليتاجروا فيها وكل هذه كانت ممنوعات.

ويكفى أن تعلم أن السجان هو أول من يخرق النظام، وكان السجن يبيح الضرب والجلد، بل وكان الشذوذ الجنسى يمارس أحياناً فى السجن.

وتتكرر هذه الظاهرة فى جميع الأقسام وإن كان المسجونون السياسيون والشيوعيون

يحظون باحترام وتقدير المساجين السوابق، فالكل معاد للدولة والكل مضطهد.

وفي الماضي كان المسجون المجرم تتم إحالته إلى قاضي التحقيق للفصل فيما إذا كانت التهمة جنحة أم جناية، وبالطبع الجناية أشد ولكنه لا يبالي فالجناية ذات ضمانات أوسع في الدفاع.

والمسجون السياسي يعاني في سبيل التأقلم مع الحياة الجديدة مسلحاً بالعزيمة والإرادة. فعند دخوله الحجز لأول مرة يبدو قلقاً مضطرباً، فيمتنع عن الجلوس على الأرض القذرة بملابسه أو أن ينام مباشرة على الأسفلت ويبذل جهداً للاتصال بأهله لعلهم يمدونه بالمال اللازم لشراء السجاير أو الطعام لأنه غالباً ما يخدعه ادعاء البوليس السياسي بأنه سيعود إلى منزله بعد خمس دقائق. ثم يتجمع حوله المساجين من السوابق للسؤال عن تهمته ويبدون التعاطف معه. ويبدأ الشعور بالإرهاق والتعب ويعجز عن الاستمرار في الوقوف ويسند ظهره على الحائط الذي تسير عليه قوافل الحشرات ويشعر بالحاجة إلى النوم فيخلع حذاءه ويضعه تحت رأسه ويتمدد لينام وأحياناً يشعر بالحاجة إلى دخول دورة المياة ليشرب أو ليتبول.. وهو عموماً يعاني صعوبة شديدة في التأقلم مع هذه الأوضاع.

قضية حريق نادي سعد زغلول:

وهو نادي الحزب السعدي الذي يتزعمه النقراشي باشا وكان يقع بشارع سليمان باشا «حالياً شارع طلعت حرب». قامت حكومة إسماعيل صدقي باشا بغلق الجامعة إثر انتشار لمظاهرات المعادية للحكومة والمعادية للمفاوضات والدفاع المشترك والتي كانت تردد الهتافات بسقوط معاهدة صدقي- بيفن. وتولت وزارة النقراشي باشا الحكم لتحل محل وزارة صدقي، وفي هذه الفترة وأثناء ترددي على جمعية الشبان المسلمين كناد رياضي قام قسم الطلبة بالجمعية بتنظيم مظاهرة خرجت سراً من جمعية الشبان وتجمعت بشارع طلعت حرب وهي تهتف بسقوط النقراشي، وتصدى لها عدد من الشباب السعدي المتجمعين في ناديهم وحضر البوليس وحاصرنا في شارع طلعت حرب وقبض على الشباب السعدي كما قبض على أخي الأصغر وشخص آخر من حزب مصر الفتاة (محمد على شلبي) ثم سلمونا إلى البوليس وادعوا أني ومحمد علي شلبي كانت تفوح من أيدينا رائحة البنزين، وليس لهذا الادعاء ظل من

الحقيقة، وعثروا فى جيبي على قصاصة من جريدة البلاغ بها استقالة والدى من الهيئة السعدية. وظهر فيما بعد أن هناك صلة قرابة تربطني بضابط البوليس الحمزاوى الذى قبض على استغلها والدى فى إثبات خصومة عائلية بيننا بسبب نزاع على وقف، وقضت المحكمة بسجني ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ قضيت منها أربعة أشهر ما بين نقطة كوتسكا وسجن الاستئناف وسجن مصر .

وفى سجن مصرأقمت بدور ٥ وهو دور أرضى، وكان دور ٦ الذى يعلوه مخصصاً لقضية مقتل أمين عثمان باشا الذى اغتيل بواسطة عصابة حسين توفيق وأنور السادات وأحمد وسيم خالد ابن محمد خالد السعدي صاحب جريدة الدستور، واستطعت الاتصال بوسيم خالد من خلال دورة المياة ، وكان شعورى أنهم وطنيون فدائيون فتعاطفت معهم وأبديت استعدادى لمساعدتهم بعد الإفراج عني، ثم انتقلت إلى دور ٢ إثر اعتراضي على ضرب أحد المساجين ضرباً مبرحاً من ضابط فى السجن .

وفى دور ٢ قابلت محمود فهمى السيد وهو المتهم بمحاولة اغتيال الشاهد فى قضية أمين عثمان، ودور ٢ يطل على الجبل المحاذى للسجن ومنه يتحدث المساجين لأهاليهم ومعارفهم، ولاحظت أن محمود فهمى السيد قد تأثر بالمفاهيم الشيوعية ربما نتيجة احتكاكه بالمساجين الشيوعيين الذين قابلهم فى السجن، وكان يقرأ كتب الدكتور راشد البراوى .

وعند الإفراج عنى طلب منى محمود فهمى السيد الاتصال بأسعد السيد أحمد، والأخير كان يمتلك محل بقالة فى بركة الفيل كما كان عضوا بحزب مصر الفتاة لحساب الجهاز السرى للإخوان المسلمين، وداومت على الاتصال بمحمود فهمى السيد من ناحية الجبل واتفقت معه على إمداده بالسلاح للهروب ولم يبد اعتراضاً، فاشتريت قطعة سلاح مسدس بريتا وصنعت حقيبة من الخشب لها سقفان وضعت المسدس فى أحدهما وذهبت إلى السجن. وعن طريق الحاج حمزة المتعهد وضعت الحقيبة على طاولة الطعام الداخلة إلى السجن وانتظرت فى الخارج إلى أن دخلت الحقيبه السجن، وللأسف فقد طلب منى محمود فهمى السيد الإسراع باستعادتها واضطررت للذهاب إلى متعهد الطعام واستلمت الحقيبة من الطاولة دون أن يعلم أحد، وقطعت اتصالي بهذه المجموعة .

وفى هذه الفترة دخلت التأديب (الحبس الانفرادى) وقابلت المحامى مصطفى أغا وكان

يلقى شعراً حماسياً ثورياً، وفى قسم الخليفة قابلت مصطفى ميكل وكان يتحدث عن الاقتصاد.

محاولة خلق جيش وطنى لمحاربة الإنجليز والخونة :

كنت أومن بالكفاح المسلح كحل لقضايانا، ودخلت شعبة الإخوان المسلمين بأبى الفرج لهذا الغرض، وهناك تعرفت على عدد من الإخوان المسلمين منهم الشيخ عبد الفتاح وكان يعمل بعنابر السكك الحديدية بأبى زعبل وتمكنت بمساعدتهم من شراء بعض السلاح والتدريب عليه فى جبل المقطم، إلا أن الإخوان المسلمين شكوا أمرى لأنى كنت أثير النقاش فى المسائل السياسية ولا أبدى نفس الاهتمام فى بالمسائل الدينية، وكذلك لرفضى تقديم السلاح لحرب فلسطين واتهمونى بالشيوعية. ولم أكن فى ذلك الوقت شيوعياً، فقاموا بسرقة السلاح وسوفوا فى الذهاب للتدريب، فذهبت بمفردى دون علمهم فاكتشفت سرقة السلاح نهاجمتهم واتهمتهم بسرقته ووعدونى برده، وأحضروا مسدساً منزوع الإبرة وبالتالى غير صالح للاستخدام وما لبث البوليس أن هاجم منزلى فعثر عليه، وأمام النيابة بررت حيازتى له بهدف المشاركة فى حرب فلسطين وكان ذلك مسموحا به فى ذلك الوقت . فحكم على بغرامة مقدارها ٥ جنيهات، وتعتبر تلك إدانة وليست براءة .

مقابلة النقراشى باشا وسليم زكى باشا فى وزارة الداخلية :

بدأت أوضع تحت رقابة مشددة من البوليس السياسى، وكان يقبض على ويفرج عنى بانتظام يكاد يكون أسبوعياً، كما كنت أهرب من البوليس بالقفز من الشباك بدلاً من الخروج من الباب حيث كنا نسكن بالدور الأرضى.

كنت طالباً بكلية الهندسة جامعة فؤاد الأول، وكنا ندرس بعض علوم إعدادى هندسة فى العباسية مكان جامعة عين شمس حالياً، ما عدا الورشة فكنا ندرسها فى الجيزة. وفى الورشة عادةً ما نرتدى الأفرول. وفى يوم وضعت الأفرول داخل الحقيبة - فصارت منتفخة - على أمل أن أذهب من العباسية إلى الجيزة مباشرةً وذلك ما خدع رجال البوليس السياسى وظنوا أنى أهرب أسلحة فسرعان ما اتصلوا بوزارة الداخلية التى أعدت حملة من الموتوسيكلات

والسيارات وحاصرت ترام ١٥ الذى كنت أركبه، وكنت عادة ما أجلس فى مؤخرة الترام حتى أكتشف كل ما يدور حولى، واختطفونى من داخل الترام ووضعونى فى سيارة فاخرة اتجهت إلى وزارة الداخلية، وهناك قابلت على الدرج اللواء سليم زكى باشا حكمدار بوليس القاهرة الذى أخذ يحذرنى بأنهم على علم بكل ما يحدث فلا فائدة. ثم صعدوا بى إلى الطابق الثانى وأخذوا منى الحقيبة ثم انتظروا بضع دقائق اتصلوا فيها بالنقراشى باشا ليسمح لنا بالدخول، وفى تلك الأثناء قاموا بتفتيشى تفتيشاً دقيقاً، ودخلت عليه فى غرفته فوجدته جالساً على مكتبه ثم أبلغوه بأن ليس فى الحقيبة شئ، وأخذ يناقشنى فى واقعة المسدس ومن أين حصلت على المال اللازم فقلت من مصروفى وأخذ يرد : مش معقول. وكرر الأسئلة عدة مرات وأنا مصر على إجابتى. وأخيراً قال لقد أضعت من وقتى ربع ساعة، وفى العودة وفروا لى سيارةً كما وعدونى من قبل لتوصيلى إلى جامعة القاهرة فى الوقت المناسب .

القبض علىّ فى قضية الجيب للإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨ :

بعد فشل حرب فلسطين حدث أن قام الإخوان المسلمون عن طريق جهازهم السرى للتغطية على هذا الفشل بسلسلة من التفجيرات (شيكوريل- جاتينيو- حارة اليهود- شركة الإعلانات الشرقية ...إلخ) بواسطة سيارات مفخخة لاستعراض القوة وإرهاب الدولة، وفى كل مرة كان البوليس السياسى يقوم بتفتيش منزلى ثم الإفراج عنى.

وبدأت الحكومة تضع عملاءها فى الميادين العامة وتراقب السيارات، وخاصة الجيب حيث كانت شركة المعاملات الإسلامية التابعة للإخوان المسلمين بشارع محمد على تمتلك عدداً منها حصلت عليها من مخلفات الحرب للجيش الإنجليزى.

شك عملاء البوليس فى سيارة بميدان عبده باشا بالعباسية واتجهوا ناحيتها فهرب بعضهم وقبض على البعض الآخر. وعند تفتيش السيارة عثر بها على أسلحة وقنابل وتقرير مقدم من أسعد السيد أحمد صاحب محل البقالة ورد فيه اسمى، فقبض علىّ ووضعت فى سجن الأجانب بميدان السكة الحديد سابقاً رمسيس حالياً. وهو سجن يفضل جميع السجون المصرية الأخرى ومخصص للأجانب وبه مزايا معيشية كثيرة فى الطعام والشراب والمعاملة والإقامة، إلا أنه تحت الإشراف الدائم ليلا ونهارا لرجال البوليس السياسى مباشرة، كما يمكن أن يسحب المتهمون منه فى أى وقت للتحقيق .

مكثت بهذا السجن محبوساً حبساً انفرادياً طيلة وقت إقامتى به، وفى أثناء هذه الفترة قتل النقراشى باشا فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بواسطة عبد المجيد أحمد حسن الطالب بكلية الطب البيطرى، وكان يقيم فى الدور الاول ولكن نظراً للسرية الشديدة التى تحيط بهذا السجن لم أعلم بذلك وإن كنت قد أحسست بكثرة فتح الأبواب وغلقها. وفى تلك الفترة قتل حسن البنا أيضاً.

ولما طالت المدة دون إجراء اى تحقيق معى طلبت من مأمور السجن ورقة وقلماً وكتبت رسالة للنائب العام أقول فيها "أرجو مقابلة النائب العام لأمر هام يتصل بالسجن والتحقيق"، وحاول المأمور أن يستفسر ماذا أقصد بالسجن، فلم أجبه ولكنه اضطر لخطورة القضية أن يلبى رغبتى.

وفى يوم مفاجئ أخذونى إلى النيابة، وبدأ التحقيق معى فأخذت أتكلم عن المعاملة السيئة وهى لم تكن فى الحقيقة كذلك، وفسرت ذلك بأن المطلوب هو الإدلاء باعترافات كاذبة ومفروضة على، ثم طلبت معرفة التهمة الموجهة إلى، ولكن المحقق رفض الإجابة وأمر بإعادتى إلى السجن.

وبعد عدة أيام ونظراً لكثرة المقبوض عليهم لم يتسع سجن الأجانب الصغير لهذا العدد الكبير، فقام رتل من السيارات ليلاً بحمل بعض المسجونين وأنا منهم إلى سجن مصر بالخليفة وأودعونا فى دور ٦ وكانت الغرف مظلمة وليس بها إلا جرادل الماء والبول والبرش والبطانية .

شعرت أنى غريب عن هذه المجموعة التى حضرت معى ولم يسبق أن التقيت بأى منهم، ما عدا أسعد السيد أحمد والشيخ عبدالرحمن الصوالحى وكان يمتلك مطعماً بشارع قدرى بالسيدة زينب، أما أبو النجا الطالب بكلية الهندسة فلم أقابله من قبل، وأما مجموعة الجهاز لسرى للإخوان المسلمين ومن بينها مصطفى مشهور والشيخ فرغلى والمهندس قدرى الحارثى وأحمد عادل وغيرهم فلم يكن لى صلة بهم. ولاحظت أنهم لا يتكلمون، أنادى عليهم فلا يستجيبون، أنظر من نظارة الباب ومن الشراعة لعلى أستطيع أن أتعرف على أحد منهم فلم تمكن. أخيراً جلست على جردل الماء وفى الظلام أخذت أطرق على الحائط المجاور دون جدوى وأمسكت "كوز" مياه الشرب ولامسته الحائط المجاور ومددت فمى داخله وأخذت أنادى على جارى فأحدث صوتى أزيزاً سمع داخل السجن كله وتنبهت إدارة السجن إلى الصوت وفكرت

أنى أستخدم جهازاً لاسلكياً للاتصال بالخارج. وفجأة فتح الباب على ودخل الضابط يحمل كشافاً صوبه ناحيتى وقام بتفتيش الغرفة كما فتشونى تفتيشاً دقيقاً ولم يعثروا على شئ وتناولوا "الكوز" من يدى لاستطلاع الأمر، ثم أغلقوا الباب .

وفيما بعد طلبونى للتحقيق فى النيابة ليسألونى عن بعض المتهمين فأنكرت تماماً معرفتى بأى منهم، كما علمت بأن أبو النجا كان قد رجع من حرب فلسطين ومعه لغم أخفاه فى قفة تحت السرير فى شقته بعزبة النخل .

وحدث فى هذه الأيام أن عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً طلابياً بكلية الطب قصر العينى، وتصدت لهذا المؤتمر قوة بوليسية بقيادة اللواء سليم زكى باشا حكمدار بوليس القاهرة، وألقيَتْ فى هذا المؤتمر قنبلة أصابت اللواء سليم زكى فأردته قتيلاً فهجم البوليس على الطلبة واعتقل عدداً كبيراً منهم بالإضافة إلى عدد من الأساتذة وأصيب البعض إصابات بالغة وتم شحنهم فى سيارات إلى سجن مصر دور ٢ . وكانت حالة الطلبة والأساتذة سيئة للغاية واستطعت الاتصال بهم – حيث كنت مسجوناً بهذا الدور – والرفع من معنوياتهم ومساعدتهم وطمأنتهم على أحوالهم . ولقد مكثوا بضعة أيام ثم أفرج عنهم جميعاً، وبعد عدة أيام قبض على شخص من عائلة الجمل بالشرقية بتهمة البلاغ الكاذب حيث أنه قد أدلى بمعلومات كاذبة عن أشخاص أبرياء من بلدياته طمعاً فى المكافأة التي أعلنتها الحكومة لمن يرشد عن الجاني، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، وبعد رجوعه من المحكمة وارتدائه ملابس السجن ألقى بنفسه من الطابق الرابع وتوفى .

صدور قرار الإفراج عنى من سجن مصر واعتقالى فى نفس الوقت بالهاكستب :

تم تسكينى فى عنبر الإدارة ويتكون من عدة أقسام، وكان هناك قسم خاص بالإخوان المسلمين ويسكن معهم الدكتور إبراهيم الشربينى وأنا، وقسم آخر يسكنه اليهود الصهاينة، وآخر يسكنه الشيوعيون الأجانب، ورابع يسكنه الشيوعيون المصريون والوفديون والكتلة وفى القسم الأخير أحمد طرباى وجلال معوض ومنيب الجعلى وحسن صدقى ولبيب رمزى وبولس حنا لطف الله وعبد الواحد بصيلة وسعد رحمى ومنير الطويل وحليم طوسون وغيرهم، ومن الشيوعيين الأجانب هنرى كورييل وهليل شوارتز وجيد حموى وصادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش وغيرهم. والهاكستب يعتبر محطة للترحيل إلى جبل الطور.

وفى هذا المعتقل رفضت منذ البداية الانصياع لنظام الإخوان المسلمين حيث كنت متطلعاً لإجراء المناقشات الواسعة، ولما يئس الإخوان من خضوعى لنظامهم كانوا يلقون بسريرى فى الطريق خارج العنابر ويصطدمون بى وقد يصل الأمر إلى الضرب، وبلغ بهم السخف أن أقاموا ساتراً من القماش يفصل بينهم وبين باقى المعتقلين، كما استغلت العناصر الاستفزازية والبوليسية هذا الجو فى خلق الاحتكاكات. وواصلت الاتصال والنقاش مع الشيوعيين رغم ذلك.

وكان هناك سؤالان من جانب الشيوعيين يدور حولهما النقاش ولعبا دوراً هاماً فى تغيير أفكارى ومواقفى، وكانت ردود الشيوعيين عليهما كالآتى :-

١- الإرهاب عمل فردى والأعداء طبقة تتوالد باستمرار ويقف العمل الفردى إزاءها عاجزاً عن المواجهة .

٢- كينونة النظام الجديد الذى يحقق العدالة للجميع، وهنا برزت الاشتراكية على السطح.

كنت كلما مر الوقت ازددت اقتناعاً بمنهجهم وأهدافهم إلى اليوم، وفى أحد الأيام اصطدم الإخوان مع الإدارة التى استنجدت طالبة قوة بوليسية إضافية لحفظ النظام .

وحضرت القوة بالعصى الخيزران وبدأت تنهال على الإخوان ضرباً وتكسيراً، ولما انتهت من ضربهم اتجهت نحونا فأخبرناها أننا قسم المرضى حتى لا يضربوننا، ولكن هذه الحيلة لم تفلح فانهالوا علينا ضرباً .

وبعد عدة أيام تم ترحيلنا إلى السويس، ومنها بالبحر عن طريق العبارة عايدة إلى جبل الطور، وكانت هذه العبارة تنقل فى الماضى الماشية وهى غير مؤمنة وأصاب معظمنا دوار البحر.

ومعتقل جبل الطور هو مكان الحجر الصحى للحجاج وكان يسمى الكرنتينا وهو مقسم إلى عدة حذاءات يفصل بينها حواجز من الأسلاك الشائكة .

وأقمت فى حذا رقم ٤ وكانت به غرفة مخصصة للشيوعيين وباقى الغرف مخصصة للإخوان المسلمين، والغرفة التى حللت بها كان يسكنها محمود عبد الخالق وعبد الرحمن عياد والشاعر السودانى شاكر مرسال وغيرهم، وهناك حذا رقم ١ مخصص بالكامل للشيوعيين من كافة التنظيمات وكان به عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر والعيوطى وسمير ملطى ومنير ملطى وكمال شعبان وسيد سليمان رفاعى ومحمود العسكرى وطه سعد عثمان وطه

فوده وعبده ذهب وآخرون، وكان من بين الإخوان عبد العزيز كامل والشيخ عبد المعز عبد الستار ونفيس حمدى المتهم بإلقاء القنابل على أقسام البوليس وبعض أفراد أسرة محمد مالك المتهم فى قضية اغتيال النقراشى.

ثم أضرب الشيوعيون عن الطعام مطالبين بالإفراج عنهم حين جاءت وزارة حسين سرى باشا فى أعقاب وزارة إبراهيم عبد الهادى باشا لتجرى انتخابات جديدة تمهيداً لعودة الوفد إلى الحكم، واشتركت مع الشيوعيين فى هذا الإضراب ورحلت معهم إلى عيون موسى وكان فى المجموعة التى رحلت معها سعد رحمى ومحمد عباس فهمى وجمال شلبى وكمال شعبان وحليم طوسون وآخرون .

الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين والإخوان فى عهد وزارة حسين سرى باشا سنة ١٩٤٩ :

تم الإفراج عنى وعودتى إلى الجامعة وإجراء امتحان خاص لجميع الطلبة المعتقلين، واجتزت الامتحان بتقدير جيد وأعدت اتصالى بعبد المنعم شتلة وكان عضواً قيادياً من مؤسسى «النجم الأحمر» وبدأت أعتبر نفسى شيوعياً، فأمدنى بالمجلة وقرأت بعض الكتب الماركسية. وعلى ضوء المفاهيم العامة للماركسية بدأت أنخرط فى العمل الشيوعى، فكنت أشارك فى المؤتمرات والمظاهرات وحضرت مؤتمراً انتخابياً لمصطفى موسى بباب الشعرية وكان المرشح الوفدى ضد سيد جلال المرشح السعدى، ونجح مصطفى موسى وسقط سيد جلال الذى كان يتمتع بشعبية كبيرة نتيجة لأعماله الخيرية والتصاقه بالفئات الشعبية الفقيرة، إلا أن مصطفى موسى لم يحقق أمل الطليعة الوفدية لمهادنته فؤاد سراج الدين باشا ولمواقفه المتذبذبة . كما كنت أدعو إلى الجبهة الوطنية وتكوين النقابات والاتحادات والكفاح ضد الاعتداء على الحريات (قانون المشبوهين السياسيين، قانون تقييد حرية الصحافة للنائب الوفدى إسطفان باسيلى) وفى هذه الفترة اشتد الصراع بين الطليعة الوفدية بقيادة النائب الوفدى عزيز فهمى والدكتور محمد مندور والأستاذ إبراهيم طلعت وبين جناح فؤاد سراج الدين الذى كان يفسد الوفديين بأمواله، ومما لا شك فيه أن الحركة الديمقراطية قد حققت انتصارات هامة ضد سراج الدين المتعاون مع السراى . كما قمت بتوزيع وبيع عدد كبير من قصيدة عبد الرحمن الشرقاوى (من أب مصرى إلى الرئيس ترومان) . وقمت بتوزيع مجلة

الناس، وكان هذا هو العدد الوحيد الذى وصلنى.

فصلى من تنظيم النجم الأحمر بسبب الدعوة لوحدة الشيوعيين :

قبض على عبد المنعم شتلة وعدلى جرجس وقطع الاتصال بى، وعلمت أن شهدى عطية يؤدى امتحاناً بكلية الآداب قسم الصحافة جامعة القاهرة فذهبت إلى هناك لرؤية ذلك المناضل الذى كنت أسمع عنه وعن إخلاصه وصلابته، وكان محكوماً عليه بسبع سنوات أشغال شاقة بينما كان زملاء له قياديون قد تراجعوا بعد تهديد فؤاد سراج الدين وإغرائه.

كان شهدى يلبس رداء السجن الأزرق وسلاسل الحديد تتدلى من وسطه إلى قدميه، كما كان ضجيج الحديد المزعج يثير النفس ويزيد من مشاعر العطف والحماس (ألغت الثورة بعد مجيئها لبس الحديد) وتمكنت من الاطلاع على التقرير الذى كتبه حول وحدة الشيوعيين وأعجبت به بل وطبعت عدة نسخ منه بالكربون ووزعته على بعض أعضاء تنظيم النجم الأحمر، ولما أفرج عن عدلى جرجس أخذ يحاسبنى ويوجه اللوم لى، ولم أقبل النقد وأصررت على موقفى وتم فصلى، ولم يكن ذلك ليفت فى عضدى أو يؤثر على معنوياتى فكنت واثقاً من مواصلة الكفاح تحت كل الظروف سواء داخل التنظيم أو خارجه .

واشتعلت الحركة الوطنية ضد مفاوضات الوفد مع الإنجليز (مفاوضات صلاح الدين وزير الخارجية) فقامت مظاهرة من الجامعة إلى ميدان قصر النيل يتزعمها عادل نهمي اشتركت فى الإعداد لها. خرج صلاح الدين ليواجه الطلبة من شرفة وزارة الخارجية فقابله الطلبة بالهتاف «خائن خائن يا صلاح». وكان الدفاع المشترك مع تركيا هو محور الرفض للمفاوضات.

وفى هذه الأيام أصدرت جريدة حائط بكلية الهندسة باسم " الوعى" وكانت تعرض أيضا فى كلية العلوم، وكانت تصدر بانتظام مرتين أو ثلاثًا فى الاسبوع، وكان شعارها من أجل التحرر الوطنى والديمقراطية والسلام وحياة أفضل للطلاب، ولقد أثارت الكثير من المناقشات حيث يجتمع الطلبة حولها، وأذكر أنى قابلت فى كلية الهندسة طالبا فرنسياً من اتحاد الطلبة العالمى كان يريد معرفة ما تحويه من موضوعات وسألنى كم عدد التوقيعات التى جمعتموها فى مصر على الدعوة لعقد مؤتمر الدول الخمس الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا، فرنسا، الصين الوطنية، والاتحاد السوفياتى) وكان معروفاً أن العدد يدور حول خمسة عشر

ألف توقيع. فقال لى: لقد جمعنا فى فرنسا خمسة عشر مليون توقيع والأفضل عدم الربط بين الدعوة للسلام وأى أفكار حزبية أخرى، فإذا كان البعض يعادى الاتحاد السوفياتى ويريد أن يسجل ذلك مع توقيعه فلا ترفضوه .

وكتب عبد الرحمن الشرقاوى تعليقاً فى المجلة تحت عنوان «مسلمون وأقباط» بمناسبة حرق كنيسة السويس وذلك بناء على طلبى، وكانت مجلة الوعى تخصص باباً تحت عنوان «من أجل تكوين اتحاد عام للطلبة» كما أعادت نشر مقالات أحمد أبو الفتح المناوئة للثورة رداً على تصريحات صلاح سالم وكنت أقوم بحراسة المجلة من اعتداء الحرس الجامعى والإخوان عليها. وقد استمرت المجلة تصدر لمدة سنة دراسية كاملة.

منشور السلام :

قبض على أثناء توزيعى منشوراً للسلام يدعو لاجتماع الدول الخمس الكبرى، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت تعامل الاتحاد السوفياتى بغطرسة وتهدد بإشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة معتمدة على امتلاكها للأسلحة الذرية وإحاطتها للاتحاد السوفيتى بشبكة من القواعد العسكرية، ومن جهة أخرى فإن الحكومة المصرية كانت ترفض نشاط أنصار السلام ولكنها لا تجد مسوغاً قانونياً لذلك، وتتهم أنصار السلام بالشيوعية حتى تحصر نطاق الدعوة للسلام فى أضيق الحدود وتعزل وترهب كافة المدافعين عن السلام من غير الشيوعيين.

قبض على بواسطة عملاء البوليس فوق كوبرى عباس بالجيزة، وأمام جماهير المارة رفضت الانصياع لطلباتهم والتوجه مباشرة إلى القسم، ووقفت أدافع عن السلام وشرحت أن ليس هناك مبرراً قانونياً لاعتقالى ووزعت المنشور الذى معى على المارة، وأظهر المارة تعاطفاً معى حال دون اعتداء البوليس على. ولما انتهيت من توزيع المنشور سرت معهم إلى قسم الجيزة بشارع البحر الأعظم ولم يفتح البوليس محضراً للتحقيق وأجرى اتصالات بوزارة الداخلية ثم أفرج عنى.

وفى أثناء الحرب الكورية قامت مجلة " الوعى " بالدفاع عن كوريا الشمالية وأبرزت موقف حكومة الوفد فى رفض المشاركة فى الحرب التى أراد الاستعمار أن يحشد لها القوى المختلفة.

وكنا في صدام دائم مع الإخوان المسلمين، وكانت تجري المناقشات بحرية أوسع وعقول الطلبة أكثر تفتحاً، وكنت أقول بصوت عال إن الزمن قد تغير ولم يعد الماضي بقادر على حل مشاكل الحاضر وعلينا أن نفكر من جديد. وفي إحدى المناقشات قام أحد الإخوان بالاعتداء على وسال الدم من وجهي ومزق المجلة، فما كان مني إلا أن مزقت مجلتهم.

وكان من بين الشعارات في هذه المرحلة "الإفراج عن المسجونين السياسيين» إلا أنني لاحظت أن هناك محاولات لتخطي الشيوعيين، فطالبت في لوحة كبيرة بالإفراج عن المسجونين الشيوعيين : أفرجوا عن كريم الحرادلي، أفرجوا عن محمد سيد أحمد.

وعندما اشتد الصراع في داخل الكلية استدعاني عميد الكلية الدكتور الدمرداش وهددني ثم قال "مفيش فايدة فيك".

وفي إحدى المرات بينما كنا نطالب بإلغاء الحرس الجامعي تسلل أحد عملاء البوليس من خارج الكلية إلى الداخل للوشاية ضد الطلبة المتزعمين، فقبضنا عليه واعتدى عليه الطلبة وأصررت أن يعود حافياً.

اللجان الوطنية ولجان السلام

كنا ندعو في الجيزة إلى تكوين لجان وطنية لنحشد فيها المواطنين ولنعبئ القوى ضد الاستعمار والأحلاف والدفاع المشترك، وكانت هذه اللجان تكاد تعتمد على الشيوعيين من كافة التنظيمات وإن كان قد اشترك فيها عدد قليل من الوفديين.

كذلك كنا ندعو لتكوين لجان أنصار السلام للدفاع عن قضايا السلام وضد الحرب إلا أنها قد اختلط فيها الموقف بين السلام والقضايا الوطنية الأخرى وكانت مسرحاً للصراعات السياسية والفكرية مما ساعد على تعزيز الاتهام لها بالشيوعية، كما كانت تضم أغلبية من الشيوعيين وعدداً قليلاً من الطليعة الوفدية.

وكان الوضع في داخل كلية الهندسة والجامعة قلقاً ومضطرباً ولكن الخطأ الذي وقعنا فيه هو إهمالنا المحاضرات والدراسة وتجمعنا في البوفيهات لإجراء المناقشات وأصبحنا كمحترفين سياسيين نريد في كل يوم مظاهرة أو مؤتمراً لم يكن معداً له الإعداد الكافي، وأحياناً تقتصر هذه التحركات على الشيوعيين من التنظيمات المختلفة وضاع الأمان وضاعت السرية.

كنا نحن الشيوعيين أول المبادرين بالدعوة للكفاح المسلح قبل وبعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ إلا أن عجزنا قد ظهر جلياً عندما جاء وقت العمل وأخذ الإخوان زمام المبادرة فأقاموا المعسكرات للتدريب، وأصبحنا معزولين عن الطلبة الذى انصب اهتمامهم على الموقف العملى وحمل السلاح والتدريب والفداء. واستشهد من الاخوان طالبان وازداد السخط على حكومة الوفد لعجزها عن تلبية مطالب الكفاح المسلح واعتداء الإنجليز على البوليس فى الإسماعيلية. وفى يوم ما دعا الإخوان إلى مظاهرة من جامعة القاهرة أعد لها إعداداً كافياً وانضم إليها آخرون من الخارج وهتف الإخوان فى ميدان الأوبرا بسقوط الشيوعية، وكان موقفاً سيئاً للغاية ومحزناً .

حاول بعض الطلبة من أتباع مصر الفتاة "الحزب الاشتراكى" أن يستغلوا الحماس الوطنى الملتهب فى الدعوة للتخريب وشن الحملات على الخمارات والملاهى الليلية بشارع الهرم مما هيأ الأرضية لحريق القاهرة .

وكانت المظاهرات فى ذلك الوقت لا تقتصر على العداء لقوات الاحتلال البريطانى فى القناة بل الهجوم العنيف على السراى لتآمرها مع الاستعمار .

إعلان الأحكام العرفية سنة ١٩٥٢ وفتح معتقل القلعة ثم الهاكستب:

قامت حكومة الوفد إثر حوادث حريق القاهرة بإعلان الأحكام العرفية وتم اعتقال عدد من الشيوعيين والاشتراكيين والوفديين والفدائيين، وكان الهدف من ذلك هو تصفية حركة الفدائيين وضرب القوى المعادية للاستعمار، وتم على إثرها إقالة حكومة الوفد. اعتقلت فى معتقل القلعة مع بعض لصوص الجيش الإنجليزى ممن كانوا يساعدون العمل الفدائى، وبعد بضعة أيام تم ترحيلنا إلى الهاكستب. هناك التقينا مع الأستاذ فتحى رضوان رئيس الحزب الوطنى الجديد والأستاذ إبراهيم شكرى نائب رئيس الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة) والأستاذ يوسف حلمى رئيس أنصار السلام والأستاذ على الزير سكرتير فؤاد سراج الدين وعدد كبير من الشيوعيين من بينهم حلمى ياسين وزكى مراد وحسين الغمرى وأحمد طه. وكانت تدور مناقشات مستمرة ومحاضرات قد ينتهى بعضها بالتصادم. وتعاقب فى هذه الفترة العديد من الوزارات. كما اغتيل الضابط عبد القادر طه أخو أحمد طه الزعيم العمالى، وكنت فى هذا المعتقل عضوا بمنظمة طليعة العمال.

يلاحظ أن هذا المعتقل لم يكن يضم أياً من الإخوان المسلمين الذين تحاشت السراى والإنجليز اعتقالهم أملاً فى كسبهم إلى جانبها فى هذا الصراع وبالفعل لم يقم الإخوان المسلمون بأى دور اعتراضاً على إعلان الأحكام العرفية فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ أو اعتقال الوطنيين أو تصفية الحركة الفدائية.

تحرك الضباط الأحرار:

وفى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ سمعنا من الإذاعة عن طريق راديو بدائى مهرب عن تحرك الجيش فى مواجهة السراى وانتهزنا هذه الفرصة التشديد بالمطالبة بالإفراج عن المعتقلين.

وصرنا فى قلق واضطراب وبلبلة، فالموقف من حركة الجيش كان صعباً ولم نكن على بينة من الأمر، فالانقلابات العسكرية كانقلاب حسنى الزعيم والشيشكلى فى سوريا والانقلابات العسكرية فى أمريكا اللاتينية تبدو كحركات معادية للشعب تريد فرض الدكتاتورية وفشلت فى حل قضايا الشعب.

لكن تنظيم حدتو كان له رأى آخر يعلنه فى الخفاء معتمداً على أن هناك بعض العناصر ممن ينتمون إليه مشاركين فى تنظيم الضباط الأحرار ثم أفرج عن فتحى رضوان بمفرده وسافر بطائرة خاصة لمقابلة جمال عبد الناصر.

كنا معزولين فى المعتقل وإمكانيات الاتصال محدودة للغاية، والشواهد التى أمامنا سلبية وشعارات الثورة لم تكن تكفى للحكم عليها وإنما أعمالها هى المحك لصدقها. وكنا فى هذه الفترة من التاريخ نحذر من خطورة الاستعمار الجديد "الأمريكى" ذى الشعارات المختلفة والأساليب المختلفة عن أساليب الاستعمار الإنجليزى العجوز، فهو يريد أن يرث الإمبراطورية البريطانية والفرنسية ويدبر المؤامرات لتحقيق أهدافه ويحشد فى سبيل ذلك الأعوان.

وتم الإفراج عن أغلبية المعتقلين السياسيين فيماعدا أربعة عشر معتقلاً ذوى أصول أجنبية تم ترحيلهم خارج مصر.

كنت ثورة ١٩٥٢ تتذبذب فى مسارها ولكنها تعلن بصراحة عداءها للشيوعية والشيوعيين وتلجأ إلى أساليب التراضى مع الاستعمار الأمريكى الجديد وتسعى كى تستغل التناقض بين الأمريكان والإنجليز لصالحها، فتعلن من جانب العداء للإنجليز ومن جانب آخر الرضاء عن الأمريكان.

وهى ترهب الطبقة العاملة ومن ورائها الشيوعيين بإعدام خميس والبقرى.

وهى تلغى الأحزاب ما عدا حزب الإخوان المسلمين الذى طالما بشر بهذا الشعار على أنه يتفق مع الإسلام، والإخوان المسلمون يحاولون احتواء الثورة مؤيدين فرض القيود على حرية خصومهم السياسيين.

أخذت الثورة تلعب دوراً فى تفتيت الخصوم فى الداخل واللعب على التناقض فى الخارج وعزل الشعب عن الممارسة السياسية واستخدام الأساليب البيروقراطية فى إدارة شئون الحكم كى تحظى بإعجاب جماهير الشعب السلبية .

الشيوعيين تدفعهم هذه الأحداث إلى إعلان العداء للثورة واتهامها بأبشع الاتهامات: الديكتاتورية العسكرية والفاشية والعمالة للأمريكان .

الشيوعيون يفشلون فى خلق تحالف معاد للثورة يكبح جماحها ويتعرضون للتنكيل والتعذيب والاعتقال والمطاردة .

الشيوعيون يغيرون من موقفهم عند أول بادرة لسياسة إيجابية من قبل الثورة ويطرحون استعدادهم للتعاون .

الثورة تقابلهم بحذر وريبة وتضع فى اعتبارها أنهم خصوم سياسيون واعون يمثلون خطراً عليها ولا يؤمن جانبهم، وعليها أن تعمل دائماً على عزلهم عن الجماهير مع تسخير قدراتهم الكبيرة فى الدعاية والثقافة لخدمتها .

الاتحاد السوفياتى والمعسكر الاشتراكى يلعبان دوراً بارزاً على المستوى العالمى لجذب القوى الثورية وللحد من التصادم بين عناصر قوى الثورة (باندونج صفقة الأسلحة التشيكية).

الثورة تنجح فى تأميم قناة السويس ورد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ بمساعدة الاتحاد السوفياتى.

الثورة تفشل فى أن تستميل قوى الاستعمار الأمريكى لخدمة أغراضها بينما نجحت فى البداية فى اتفاقية الجلاء والسودان.

الاتحاد السوفياتى يغالى فى دور الثورة المصرية ويقدم لها المساعدات بما يرهق كاهله.

الثورة تقوم ببعض الإجراءات الثورية المتطرفة دون الإعداد الكافى لنجاحها وذلك لسحب البساط من تحت أرجل الشيوعيين على النطاق العربى (تأميمات يوليو ١٩٦١، الإصلاح الزراعى، الوحدة المصرية السورية) .

الثورة تفشل فى الوحدة المصرية السورية نتيجة لتآمرها على القوى الشعبية فى كلا البلدين وصراعها مع العراق.

ونتيجة للفساد فى الجيش والبيروقراطية فى الإدارة تفشل الثورة فى حرب ١٩٦٧ فشلاً ذريعاً بل يعتبر ما حدث كارثة وطنية.

الاتحاد السوفياتى والدول الاشتراكية نبشر بمفاهيم جديدة على الماركسية "نظرية طريق النمو غير الرأسمالى" التى اندفع الشيوعيون المصريون ليتلقفوها وليفصلوها على حسب الجلباب المصرى وتتبارى حدتو على أنه من روادها الأوائل "نظرية المجموعة الاشتراكية" وهذا يتناقض مع مفهومها الاستراتيجي بأن الثورة المقبلة هى ثورة وطنية ديمقراطية .

ومن جانب آخر فى المعتقلات والسجون كان للسياسة المتخبطة المرتبطة باليسارية الطفولية نتيجة للعزلة (اتهام الثورة بأنها تمثل مصالح الاحتكار وشبه الاحتكار)، والتى التف حولها كادر ع.ف وهو حزب العمال والفلاحين الذى كان امتداداً لمنظمة طليعة العمال) أثرها فى فقدان الثقة من جهة الكادر الحزبي مما أدى فى النهاية إلى حل الحزب الشيوعي وتصفية كوادره .

وفى النهاية تفشل سياسة الثورة المصرية ويدور الصراع بين مراكز القوى يساراً ويميناً؛ يساراً ليس أهلاً لقيادة اليسار، ويميناً متآمراً بقيادة السادات للارتداد بالثورة إلى الوراء .

ولقد شوهت السياسة البيروقراطية كثيراً من الإجراءات الثورية فى أذهان الشعب، فالمجالس المحلية المنتخبة أصبحت مأوى الانتهازيين والنفعيين والمعادين للديمقراطية. ولم تكن هناك قوى أو تنظيمات شعبية للدفاع عن التأميم والوقوف ضد الاتجاه الجديد للتخصيص وأصبح الشيوعيون من الضعف والانعزال عن الجماهير مما أضعف تأثيرهم الشعبى والسياسى وزاد الطين بلة انهيار الاتحاد السوفياتى كنموذج للاشتراكية، كما ساعد فشل المشروع القومى الناصرى على بروز التيار الإسلامى مما أشاع اليأس والابتعاد عن العقلانية فى المنهج والتفكير.

والملاحظ أن الديمقراطية كانت محور الخلاف طوال فترة حكم الثورة بين كافة التنظيمات الشيوعية والثورة، ما عدا حدتو التى كانت ترى أن المطالبين بالديمقراطية أعداء للثورة تحت شعار "لا حرية لأعداء الحرية" .

معتقل الفنية العسكرية :

على إثر انتخابات اتحاد الطلبة فى كلية الحقوق جامعة القاهرة وسقوط حسن دوح ممثل الإخوان المسلمين ونجاح أحمد الخطيب مرشح الوفديين والشيوعيين حدث تصادم بين الطرفين فحضر أنور السادات إلى الجامعة وأغلقت وفتح معتقل الفنية العسكرية للشيوعيين والوفديين دون الإخوان. وكان فى إمكان الإخوان المسلمين أن ينجحوا فى هذه الانتخابات لو أنهم قبلوا التعاون مع اتحاد الصعايدة إلا أن تعنتهم وحبهم لسيطرة وضيق أفقهم حال دون ذلك.

استطعت فى هذا المعتقل أن أهرب واختفيت. وفتش بيتى مراراً وكان رجال البوليس يرابطون بجوار منزلى بالعمرانية - الجيزة ويراقبونه لساعات طويلة وأشاعوا أني مطلوب القبض على لمشاركتى فى اغتيال طالب بالجامعة .

وفى هذه الأيام توفى الزعيم ستالين فحزنت كثيراً وتجرأت ودخلت السفارة السوفيتية بالزمالك لأدون تعزيتى فى وفاة هذا القائد باعتباره زعيماً عالمياً خدم الإنسانية. ولم يتنبه البوليس إلي وجودى وواصلت الغياب عن المنزل .

وعندما أوشك معتقل الفنية العسكرية على التصفية طلب منى بعض الطلبة من المنيا شراء بعض الكتب الديمقراطية الواردة من بيروت (قدرى قلعجى - حنا مينا) فتوجهت إلى مكتبة الخانكى بشارع عبد العزيز بالقاهرة وطلبت عدداً من هذه الكتب ولم أكن أدرى أن ضابط المباحث العامة (عشوب) موجوداً بداخلها لمصادرة هذه الكتب، وهو رجل ضخم الجثة قوي البنيان سرعان ما تدخل وسألنى عن اسمى ولماذا لا أبيت فى المنزل ؟ وكنت لا أعرفه من قبل وأدركت أنه أحد رجال المباحث العامة، وقلت لا بالعكس أنا أبيت فى منزلى، فقال هل كنت بالأمس بالمنزل فقلت نعم، فنظر إلى وسألنى هل معك شيئاً ؟ فقلت لا فقال أخرج ما فى جيوبك بالحسنى، وبدأ يستعد لاستلام الأوراق التى فى جيبى فأخرجت بعضاً منها على مهل وشغلته ببعض الأوراق ليتصفحها ثم سحبت بسرعة ورقة ووضعتها فى فمى فهجم على ضاغطاً أصابعه بين فكى محاولاً أن ينتزع الورقة إلا أنى ارتميت على الأرض تحت المكاتب وأخذت ألوك الورقة بأسنانى وكان لعابى جافاً فلم يساعدنى على ابتلاعها وتدحرجت على الأرض بين الدواليب وكان جسمه الضخم يحول دون مجاراتي فى الحركة. وأخيراً عندما تمكنت من ابتلاعها خرجت من تحت الدواليب فما كان منه إلا أن صفعنى على وجهى صفعةً شديدة كدت أن أفقد وعيى بسببها، ثم وضعنى فى سيارة فخمة سوداء كانت تنتظره أمام

المكتبة وتوجهنا تواً إلى وزارة الداخلية حيث تركني فى صالة كبيرة أمام غرف ضباط المباحث العامة. ودخل غرفته وأغلق الباب على نفسه فوجدت منضدة فى الصالة خالية فما كان منى إلا أن تمددت فوقها وقلت لنفسى فلتستريح ما أمكن حتى يمكنك أن تواجه الجديد من الإيذاء. وبعد عدة ساعات أطلق سراحى وعدت إلى المنزل.

بعد تصفية معتقل الفنية العسكرية كان التضييق على الحريات شديداً داخل الجامعة، فتوقفت جريدة الوعى عن الصدور فقمت بالكتابة على سبورة المدرجات فى الفترة بين المحاضرات.

وأذكر أننا تجمعنا فى الأزهر من أجل القيام بمظاهرة خاطفة أى تعتمد على الحركة السريعة حتى لا يلحقنا البوليس، وفى هذه المظاهرة وأثناء عدوي فقدت حذائى ورجعت إلى المنزل بالهرم بعد أن استعرت حذاء آخر من أحمد صالح وكان يسكن بالروضة.

معتقلات ١٩٥٤ :

فى فبراير ١٩٥٤ قبض على وأودعت قسم الجيزة مع خطاب تحذير من الأمن العام بتشديد الرقابة على لخطورتى على الأمن العام. أودعت فى الحجز الجديد المكون من ٤ غرف وصالة مشتركة ودورة مياة ولكل غرفة باب وهناك باب من الحديد المفرغ للحجز كله. وكانت ثلاث غرف مخصصة للمساجين العاديين والرابعة للنساء. وإزاء التحذير الخاص بى ضمت الإدارة جميع المساجين فى غرفتين بدلاً من ثلاث وأفرغت لى غرفة خاصة بمفردى كما تركت لى الباب مفتوحا حتى يسهل عليها مراقبتى، وبعد وقت قصير حضر شاب قوى البنيان مفتول العضلات وتوجه مباشرةً إلى دورة المياة وكان بادياً عليه عدم الاتزان من جراء تعاطى المخدرات وهو معروف بأنه فتوة من حارة رابعة بالجيزة ويدعى ابن سكسكا ومكث بدورة المياة بعض الوقت حتى شممت رائحة كريهة لا تطاق تنبعث من الدورة وحاولت أن استكشف الأمر فوجدت هذا الشاب عارياً تماما وقد غطى جسمه ووجهه بالبراز الذى جلبه من المرحاض فدخلت غرفتى ووايت الباب وأخذت أنظر من النظارة لأطمئن مخافة أن يقتحم غرفتى المفتوحة، لكنه توجه مباشرة إلى الباب الحديد المفرغ المواجه لغرفا مأمور القسم وغرف الضباط، ويفصل بين هذه الغرف والحجز ممر بعرض ٤ أمتار ثم أخذ يصيح ويسب المأمور بأقذع الشتائم بينما يمر الأهالي أصحاب الشكاوي والمتعاملون مع القسم فيسمعون هذه

الشتائم وأصبح الموقف محرجاً للإدارة ومهدراً لهيبتها .

أمر المأمور بحشد عدد من الجنود يحمل كل منهم في يديه بطانية واتجهوا إلى باب الحجز وفتحوه وحاولوا أن يحيطوا بالرجل ليكتفوه لكن نظراً لقوته كان ينزع البطاطين من أياديهم ليلوثهم بالبراز مما اضطرهم إلى الانسحاب وإغلاق الباب ثم تابعوا هذه المحاولة بمحاولة أخرى فكلموه بالحسنى وأحضروا له كوباً من الشاى وطلبوا منه أن يغتسل وأخيراً امتثل لأوامرهم ثم نقلوه إلى مكان آخر .

رحلت إلى قسم روض الفرج وكان به عدد من المعتقلين من مختلف الاتجاهات وكان من بينهم الدكتور منير الطويل وكنا بالدور الثانى، وطرأت فى ذهني فكرة الهروب إلا أن الأمور لم تمهلنى فقد رحلت مرة ثانية إلى معتقل القلعة في أثناء هبة مارس سنة ١٩٥٤ وكان يعج بالمعتقلين الوطنيين والشيوعيين والإخوان المسلمين فكان به عدد من الشخصيات المعروفة : عبد الرحمن الخميسى وعمرو محيى الدين والصحفى إسماعيل الحبروك ...... وغيرهم.

ترحيلى إلى سجن بنى سويف والإفراج عن جميع الطلبة ما عداى:

حضر اللواء أحمد فؤاد، مندوباً عن هيئة التحرير إلى معتقل القلعة واجتمع بجميع الطلبة المعتقلين ووعدهم بالإفراج. وفعلاً تم الإفراج عن جميع الطلبة فيما عداى إذ رحلت إلى سجن بني سويف، وصفى معتقل القلعة من جميع المعتقلين ذوى الاتجاهات المختلفة.

فى معتقل سجن بنى سويف كان هناك من زملاء طليعة العمال أحمد سالم، على العدل، عوض الباز، وإبراهيم على الخضرى وغيرهم .. وكان من حدتو إبراهيم عبد الحليم، جمال غالى محمد عباس فهمى، شحاتة عبد الحليم، فؤاد حداد ..... وغيرهم .

وفى سجن بنى سويف كانت المناقشات السياسية تدور، ولم تكن حدتو تعلن فى رأيها عن أى دعم للثورة وكنا فى كل مناسبة نتهمها بالخيانة للشيوعية ونرفض أى دعوة منها للوحدة .

ثم رحلنا جميعاً إلى أوردى ليمان أبى زعبل كما رحل المعتقلون فى سجن أسيوط كذلك، وفى داخل هذا المعتقل قسمت العنابر بمعرفتنا بين طليعة العمال وحدتو والحزب المصرى (الراية)، والمجموعة الأخيرة التى كان يتزعمها سعد زهران وكان متشدداً ومتصلباً ويريد أن يحكم تنظيمه بالإرهاب وتأليه الزعيم خالد واتهام الجميع بالخيانة والانتهازية ولا شيوعية

خارج حزبه (كان تنظيم النواة يقيم مع طليعة العمال فى عنبر واحد).

وانضم إلينا من طليعة العمال ريمون دويك، فؤاد عبد المنعم شحتو، حسن صدقى، عدلى عزيز، السطوحى ..... وغيرهم .

ولعب ريمون دويك دوراً بارزاً فى تعبئة المعتقلين لتأييد الثورة ولأول مرة بعد العداء الطويل مع الدولة فأيدنا مؤتمر باندونج وسياسة الحياد وصفقة الأسلحة .

وفى معتقل أبى زعبل رفضت طليعة العمال مشاركة حدتو فى الدعوة للإضراب عن الطعام وفشل الإضراب وجردنا من المزايا التى كنا نستمتع بها ومنها الكتب والجرائد، وانتهزت الإدارة برئاسة الضابط حسن منير الفرصة لمعاقبة العناصر التى تعتبرها مشاغبة وجرت عمليات جلد لى ولفكرى تادرس ..... وآخرين. وكنت أثناء هذه الواقعة مندوباً للجنة العامة للمعتقلين ثم حدث الإفراج عنا جميعا .

وخرجنا من المعتقل لنعود للالتحاق بالجامعة من جديد ولنؤيد الثورة بقوة لتأميمها قناة السويس ونساند الثورة فى مواقفها الوطنية. وعندما قام العدوان الثلاثى من انجلترا وفرنسا وإسرائيل تطوعت فى كتيبة الجامعة دفاعاً عن الوطن ووزع علينا السلاح وعسكرنا فى مناطق عزبة النخل وحول مطار ألماظة .

وشاركنا فى كتيبة الجامعة زميل من الطلبة الفلسطينين وحدث مرة إذ كنا سويا نمر فى شوارع عزبة النخل مرتدين الزى العسكرى وحاملين السلاح أن شك الأهالى فى أمرنا وظنوا أننا من الأعداء الذين يسقطون بالمظلات كما سبق أن حدث فى بورسعيد وتجمعوا حولنا لمهاجمتنا إلا أننا بادرناهم بالتحية فاطمأنوا وهدأت النفوس.

وأود أن أشير هنا إلى أننا نحن الطلبة لم يكن مصرحاً لنا بدخول الكتب إلى المعتقل وقد يسمح لنا تحت الإلحاح بدخول الامتحانات، ولم نكن مستعدين لذلك فكنا نستغل صفحات كراسة الإجابة ونحولها إلى منشور سياسى معاد للدولة كما كنا طوال رحلتنا من السجن إلى مقر الامتحان نهتف بشعارات معادية للدولة.

وحدة الشوعيين فى ٨ يناير ١٩٥٨

استطاعت حدتو أن تلعب دوراً رئيسيًا فى دفع كافة التنظيمات الشيوعية إلى الوحدة معها، واقتنع الكادر بأهميتها نتيجة لضخامة وخطورة المسؤوليات الملقاة على عاتقه مما أدى

إلى أن تتم بأسلوب عاطفى ومتعجل وضغطت القاعدة على القيادة من أجل الاسراع بها كما حدث فى ح.ف وخلالها تم استبعاد الزملاء من أصل يهودى .

هناك ثلاثة عوامل كان لا بد من توافرها لمواجهة مشكلة الانقسام الأخير وهى : الصراع الفكرى والعمل المشترك وممارسة الديمقراطية الداخلية، وهذه العوامل لم تتوفر نظراً للعجلة التى تمت بها الوحدة، وكان الأمل أن تتم بعد الوحدة إلا أن حدتو بادرت بإشاعة الانقسام وقطعت الطريق على استمرار الوحدة، وكان هناك قصور فى المرضوعات التى بحثت قبل الوحدة ، فثورة ١٩٥٢ كان يجب أن تكون محوراً أساسياً من محاور النقاش قبل الوحدة لا أن يكون الالتقاء حول موقف محدود منها كافياً لإتمام الوحدة، ويمكن القول إن حدتو كانت عاقدة العزم على السيطرة على الحزب الجديد وتقديم هذا الحزب هدية لعبد الناصر، وإما الانقسام لتقديم أنفسهم ويكون الانقسام هنا عربون الولاء لعبد الناصر .

وكان من المفروض أن يقوى الحزب بالوحدة إلا أن ما تم عكس ذلك فصار مهلهلاً وبددت طاقاته فى المناقشات الداخلية والمناورات والابتعاد عن العمل وسط الجماهير وكشفت الأسرار الحزبية وانعدمت السرية، ثم جاءت الصفعة الكبرى فى اعتقالات ١٩٥٩ واختلفت هذه الضربة عن الضربات السابقة التى كانت توجه إلى تنظيمات منفردة ومنقسمة والتى من الممكن أن تؤدى إلى تصفية منظمة ما، أما الآن فهى تؤدى إلى تصفية التنظيمات مجتمعة فى حزبها الجديد.

كنت عضواً بمنطقة الجيزة فى الحزب الجديد وأدنت الانقسام واعترضت على موقف ح.ف والراية سنة ١٩٥٨ وكان نصيبى الفصل الذى استمر طوال فترة اعتقالى إلى أن تم الحل. والآن أشعر شعوراً راسخاً أن الوحدة التى تمت كان لا بد أن تؤدى إلى التصفية وحل الحزب.

وأحب أن اقدم هنا نقداً ذاتياً لأنى كنت من الداعين للإسراع بالوحدة.

الوحدة المصرية السورية :

كان مطلبنا هو أن تتم الوحدة على أساس اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا لكن عبد الناصر كان يصر بتأييد من حزب البعث على الوحدة الشاملة، ولم يمهلنا للتفاهم معه بل

أسرع بالهجوم والادعاء بأننا أعداء للوحدة .

وكانت دعوانا تقوم على أسباب موضوعية : أننا بلدان عشنا لفترة طويلة منفصلين والتطور الاقتصادى فيهما متفاوت فالرأسمالية المصرية أكثر نضجاً ونمواً ويجب الحذر من أن تتهم بالسعى إلى استقلال سوريا أو استعمارها، وهذا ما حدث فعلاً .

وبدأ عبد الكريم قاسم حاكم العراق ومن ورائه الحزب الشيوعى السورى والعراقى يعملون معاً فى مواجهة عبد الناصر ومشروعه الوحدوى، وتأزمت الأوضاع وتدخل الاتحاد السوفياتى مناصراً لعبد الكريم قاسم وازداد الانقسام بين القوى الوطنية واستعرت الحملات الكلامية المتبادلة بأفظع الاتهامات واتسعت الاعتقالات وشاع التعذيب على أوسع نطاق وقتل من قتل وعذب من عذب. وكان من نصيبنا فى مصر معتقل الفيوم وأبو زعبل والوادى الجديد فتبددت الطاقات الوطنية فى مصر وسوريا والعراق كثيراً. ثم فشلت الوحدة المصرية السورية وصار الانفصال وزال حكم عبد الكريم قاسم وفقدنا فى مصر شهداء أعزاء .

وفى وسط جو العزلة والتعذيب عدنا مرة ثانية إلى مسلسل العداء والاتهامات المبالغ فيها بدلاً من سياسة الوحدة والصراع الصحية، كما أظهرت تلك الفترة خطورة العدوان على الحرية والديمقراطية والاعتماد على البيروقراطية.

اعتقالات ١٩٥٩ :

فى أول يناير سنة ١٩٥٩ قامت أجهزة الدولة البوليسية فى عهد عبد الناصر بأكبر حملة اعتقال للشيوعيين واليساريين.

كان قد صدر قرار باعتقالى فى ٢٨ مارس ١٩٥٩ ففى الصباح وأثناء دخولى باب كلية الهندسة جامعة القاهرة كان البوليس يترقبنى وكنت مسرع الخطى فطلب منى رجل البوليس الانتظار وأحاط ذراعه بذراعى محاولاً عرقلتى عن مواصلة السير فنزعت فى التو ذراعى بقوة ودخلت الكلية وخشي رجل البوليس أن أثير الطلبة ضده فى داخل الكلية فتراجع، وبعد أن كنت متجهاً إلى قسم الكهرباء غيرت اتجاهى إلى سور حديقة الحيوان الملاصق للكلية وقفزت من على السور عند حمام السباحة واتجهت مباشرة إلى بوابة شارع مراد، وكان الموظفون قد بدأوا فى الحضور فكان موقفى حرجاً للغاية ويدعو للريبة فى أمرى إلا أنه لم يحدث شئ واستطعت أن أقفز فى أول أتوبيس قادم وتمكنت من الهرب، لكن للأسف لم تطل فترة هروبى

إلا ما يقرب من اسبوع. وقمت فى خلال هذه الفترة القصيرة بالاشتراك مع بعض الزملاء من الطلبة بالكتابة على حوائط شارع الجامعة بالمطالبة بالإفراج عن المعتقلين مثل "أفرجوا عن الدكتور فايق فريد الأستاذ بكلية الهندسة. أفرجوا عن جمال البراد الطالب بكلية الهندسة". وبعد القبض على رحلت إلى معتقل الفيوم وإلى عنبر كان يقيم به عدد من طلبة المعهد الدينى بدمياط وكان به أيضا الشاعر النوبى محمود شندى، وكان طلبة المعهد الدينى بحكم صغر سنهم وقلة خبرتهم ميالين إلى التصادم مع الإدارة وكذلك الإضراب عن الطعام، ولعبت دوراً فى تهدئة مشاعرهم وتجنب الخسائر. وأقمت بهذا المعتقل بضعة أشهر وكانت قوات من الهجانة تقوم بأعمال الحراسة مستخدمة الكرابيج السودانية . وحرمنا من أى وسائل اتصال (خطابات - جرائد - زيارات - كتب) وكانت إدارة المعتقل تطالبنا بإجراءات غريبة كمنع الكلام مع بعضنا البعض وتقوم بالتنصت علينا ومعاقبتنا بسبب ذلك، وكان هذا أمراً مستحيلاً، كما كانت قوات الأمن بمساعدة العناصر المنهارة والضعيفة تقوم بتقديم التقارير لرجال المباحث العامة من أجل اجتذاب بعض المعتقلين بالإغراء والتهديد .

وفى يوم ما حضر مأمور المعتقل واستعرضنا أمام العنبر وأخذ يتفحص وجوهنا وكانت ذقنى طويلة وهى عادة لا تنمو إلا أسفل الفك، وتعرضت بسبب ذلك لعلقة ساخنة بحجة أننى أتشبه بلينين .

وفى يوم مشهود تم حشد بعض المعتقلين وأنا منهم في حوش المعتقل، وحضر إلى باب المعتقل السفاح اللواء إسماعيل همت ومعه عدد كبير من الضباط والعسكر، وكذلك عدد كبير من السيارات وألقوا بنا في داخل هذه السيارات مقيدة أيدينا بالسلاسل الحديدية وضربونا ضرباً مبرحاً، وسار ركب السيارات ليلاً فى شوارع مظلمة وتكاد تكون خالية من المارة وكان المنظر رهيباً ولا نعرف إلى أين نتجه. وفى الصباح الباكر وصلنا إلى أوردى ليمان أبى زعبل الذى سبق أن اعتقلنا فيه سنة ١٩٥٥-١٩٥٦ ولكن الحال لم يكن كالحال السابق بل أنظع وأخطر، والمنطقة التى دخلناها منطقة محظورة تابعة لليمان وكان المنظر وبشاعته يعيد إلى الأذهان ما قرأناه عن معتقلات النازى حيث لا قيمة لحياة الإنسان، إنها التصفية الجسدية بعينها. وطالبونا بخلع ملابسنا كما ولدتنا أمهاتنا والعسكر مدججة بالسلاح يحيطون بنا من كل جانب شاهرين سلاحهم نحونا وجزء آخر يحملون العصى الغليظة "الشوم" وواقفين فى صفين من حولنا وطلبوا منا التوجه إلى العنابر ولا يعرف الواحد منا إلى أى عنبر سيتجه

فيحدث ارتباك ويتم الضرب بالشوم على أي جزء من أجسادنا العارية والعسكر لا يعرفون شيئاً عن قضيتنا سوى أنهم لقنوهم أننا أناس كفرة فكانت قلوبهم قاسية غليظة لا تعرف الرحمة لها سبيلاً، أما الضباط فكانوا أكثر حظاً من المعرفة ولكن حد المعرفة هو أننا أعداء الوحدة المصرية السورية وعملاء السوفييت فضلاً عن أننا لسنا بشراً بل شياطين ومتعلمين تعليماً عالياً يصعب عليهم مجاراته، وفينا عدد كبير من الحاصلين على الدكتوراة ويحظر الاختلاط بنا أو الاستماع إلينا.

هذه الطوابير الطويلة الممتدة من البوابة إلى العنابر يشرف عليها الضباط عبد اللطيف رشدي ويونس مرعي ومرجان ويرأسهم حسن منير والكل تحت قيادة اللواء السفاح إسماعيل همت، وكلهم شخصيات غير سوية معقدة سادية تتباهى بالغلظة والقسوة. وسحبوا ملابسنا التي خلعناها وسلمونا ملابس أخرى هي ملابس السجن المهلهلة والممزقة وتركونا لنمشي بدون أحذية حفاة الأقدام فوق الأرض المرشوقة بالبازلت المجروش المدبب الحاد وكان علينا أن نجرى فوقه لتجنب ضربات الشوم التي إن تلافيت إحداها لا تستطيع أن تفلت من الأخرى والتي من الممكن أن تصيبك في أي جزء حساس من جسمك العاري.

وكان بيننا في هذا الفوج الدكتور لويس عوض والدكتور عبد الرازق حسن والدكتور حسين كمال الدين والدكتور فوزي منصور والدكتور عبد العظيم أنيس والدكتور فؤاد مرسي والدكتور إسماعيل صبري عبدالله والأستاذ محمود أمين العالم والأستاذ ألفريد فرج والفنان حسن فؤاد والكاتب محمد سيد أحمد وأحمد طه والقائد النقابي العمالي محمود العسكري ومحمد علي عامر والدكتور رفعت السعيد والشاعر الفلسطيني معين بسيسو مع مجموعة من شيوعيي غزة .... وآخرين .

وفي هذا المعتقل تم اغتيال عدد من الزملاء نتيجة للتعذيب منهم شهدي عطية الشافعي والدكتور فريد حداد ولويس إسحاق وغيرهم، كما تسبب الإهمال في العلاج وسوء المعاملة في وفاة المهندس رشدي خليل والعامل سيد آمين وعلى الديب وشعبان حافظ .... وآخرين.

وفي صباح كل يوم داخل ليمان أبي زعبل يواجه المعتقلون في داخل العنبر بطابور اللف التفتيش، وهو أن يوجه المعتقل وجهه نحو الحائط ثم يبدأ بالدوران حول نفسه وفي أثناء ذلك يقوم الجلادون بضربه بالشوم ثم يتجمع المعتقلون خارج العنبر ليقوموا بالسير على طريق البازلت وهم في وضع القرفصاء ويصاحب ذلك عمليات ضرب وشتائم وإهانات قاسية .

وأذكر أن الضابط حسن منير قد لاحظنى فى الطابور وكان يعرفنى من قبل سنة ١٩٥٥-١٩٥٦ فأشار على الزبانية بأن يضربونى، وهكذا فى الشتاء البارد تلقيت ضربات مؤلمة على أطراف قدمى الحافية. كما كنا نخرج إلى الجبل لتكسير البازلت وتجميعه، ومن يقصر فى أداء طريحته ينال إيذاء قاسياً عند العودة. وكثيراً ما كانت تصيبنا شظايا البازلت فى عيوننا ثم نعود من الجبل إلى العنبر لنتسلم غذاءنا الذى لا تعرف له طعماً والملوث بالذباب والمضطر لأن تأكله رغم أنفك محافظة منك على حياتك. وأذكر فى هذه الفترة أن قد تمت محاولات بوليسية كثيرة لكسر شموخ الإنسان بأن يعلن عداءه للشيوعية واستنكاره لها. كما أذكر رداً على ذلك فى قول محمود أمين العالم قبل الإفراج (فلننس آلامنا الذاتية فى سبيل مصالح الوطن العليا).

حل الحزب :

فى سنة ١٩٦٤ مع اعتقال معظم كوادر الحزب لسنوات طويلة والانعزال عن الواقع حدث أن نبتت أفكار سياسية مغامرة مثل احتكار وشبه احتكار ورأسمالية الدولة الاحتكارية... هذا فى الداخل، ومن جانب آخر وردت أفكار من الخارج تدعو إلى طريق النمو الغير رأسمالى، طريق بناء الاشتراكية بواسطة البرجوازية. كان من نتيجة ذلك أن شاعت البلبلة والانهيار فى صفوف الأعضاء ومع إصرار الدولة وزيادة ضغطها لحل الحزب وفقد الكادر ثقته فى تحقيق الاشتراكية عن طريق الحزب الشيوعى المصرى أصبح الأمل معقوداً على عبد الناصر والاتحاد الاشتراكى. وتم حل الحزب سلمياً عن طريق قيادته واكتفى آخرون بالانسحاب من الحياة السياسية ولو مؤقتاً وأنا كنت من هؤلاء. واعتقلت بسبب ذلك سنة ١٩٦٦-١٩٦٧ للاشتباه فى موقفى، واتجه نفر قليل ليس لهم الخبرة والقدرة إلى محاولة بناء تنظيمات ترفض الحل وتصر على مواصلة الكفاح لكنها سرعان ما انهارت وتم القضاء عليها من الداخل.

الانقسامية فى الحركة الشيوعية :

إذا لم يعمل الحزب باستمرار على سد الفجوات الفكرية بأسلوب ديمقراطى واتسعت هذه الفجوات فحتماً سيحدث الانقسام، والتاريخ يعلمنا أنه منذ انهيار الاتحاد السوفياتى شاعت البلبلة واتجه الشيوعيون اتجاهات شتى وأصبح من المتعذر الالتئام فانقسمت تقريباً كل

الأحزاب الشيوعية حتى الحزب الشيوعى السوفيتى، وقد يساعد على الانقسام وجود العناصر البرجوازية الصغيرة والمتوسطة القلقة.

والحركة الشيوعية المصرية عانت من الانقسامية بل ومن الغريب أنها كانت تنقسم لتطالب بالوحدة مرة أخرى مثل تنظيم وحدة الشيوعيين.

وأعتقد أنه إذا ما تم الانقسام فلن تجدى محاولات العودة إلى الوحدة التنظيمية بل يتجه الشمار إلى وحدة العمل وقد يكون فيه العلاج إلى الوحدة السياسية والفكرية.

خطر الانقسامية يتبدى بالذات فى مراحل التحول والانعطاف السياسى، والمحافظة على الحزب هى الشرط الأهم للتقدم، وتخريب الحزب هو الهدف الرئيسى لأعداء الطبقيين، والصبر على الصراع من أهم الصفات الثورية التى يجب أن يتحلى بها الكادر وخاصة فى مواجهة قضايا لم تحسم بعد.

موقفى من العمل الجماهيرى والعمل التنظيمى :

كنت أشعر أننا نواجه خطر الانعزال والانكباب على ذاتنا فى المناقشات والصراعات مما يبعث على الشكوك والاتهامات وإضعاف الوحدة والتفكك، كل هذا تحت اسم الصراع الفكرى فاتجهت بكل طاقاتى إلى الاهتمام بالدعاية لأفكارنا وأهدافنا فى وسط الجماهير فكنت أقوم بتوزيع ما يقرب من ٣٠ نسخة من المجلة الحزبية السرية العامة باليد، وانغمست فى ذلك كليةً ولم أكن أهتم بالصراع الداخلى فى الحزب سواء بالاشتراك فى المستويات القيادية أو المؤتمرات والكونفرنسات إلا إذا طلب منى ذلك. فكنت فى النجم الأحمر فى مستوى قاعدى، وكنت فى ع.ف فى مستوى عضو قسم الطلبة، وفى الحزب فى مستوى عضو منطقة.

عندما فقد تنظيم النجم الأحمر جهازه الفنى قمت بمبادرة منى بشراء آلة كاتبة من مكتبة «ستاندرد ستيشنرى» وجمعت ثمنها من العاطفين حولى، وكان فى ذلك مخاطرة، لأن البوليس كان يراقب ويستفسر عن المشترين لهذه الأجهزة وكنت معروفاً للبوليس، وسلمت هذا الجهاز إلى النجم الأحمر دون أن يكون ذلك من مسئولياتى الحزبية.

منذ ارتباطى بالشيوعية لم ينجح البوليس فى القبض على متهماً فى قضية شيوعية ولكنه نجح بدرجة كبيرة فى القبض على معتقلاً طوال جميع فترات الاعتقال ما عدا فترة الفنية العسكرية.

وكنت أعتمد على مبادرتى الذاتية فى خلق مجالات العمل والنشاط ولم أشعر برقابة جادة من التنظيم على نشاطى العملى.

الحركة الشيوعية والعمل الجماهيرى :

اتبعت ع.ف فى بداية نشأتها سياسة الانغلاق تنظيمياً والانفتاح جماهيرياً والتسلل من داخل الوفد لممارسة أنشطتها الجماهيرية، وكانت محل انتقاد شديد بسبب ذلك من التنظيمات الأخرى، ووقفت ضد التعاون مع الاشتراكيين أو الاخوان وكانت تسعى لأن يكون نشاطها الجماهيرى معتمداً على قواعد طبيعية ثابتة من داخل المجال ولم تكن تسعى إلى طبل أجوف فكانت راسخة من حيث الوضع التنظيمى الحزبى كما كانت راسخة من حيث الارتباط بعناصر جماهيرية وخاصة العمال، إلا أنها كانت بطيئة الحركة تهمل الدعاية كالمجلات الحزبية والمنشورات، وكانت منشوراتها فى كثير من الأحيان بلا توقيع كما كانت مطبوعاتها لا تقرأ وأحياناً كثيرة لا تصل الأعضاء، وتعاونت بنجاح كبير مع تنظيم الطليعة الوفدية وكانت لها فيه تأثير يذكر. كان صراعها مع حدتو عنيفاً داخل حركة أنصار السلام، ولقد أكد النشاط الجماهيرى للحركة الشيوعية المصرية أن التعاون مع الوفد كان هو التعاون الوحيد المثمر (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال – اتحادات الطلبة فى الكليات حتى انتخابات كلية الحقوق الشهيرة بعد حركة الضباط سنة ١٩٥٣ والتى نجح فيها المرشح الوفدى أحمد الخطيب منوياً عن الجبهة فى مواجهة حسن نوح مرشح الإخوان المسلمين).

وتتحمل ع.ف مع المصرى الراية فى ٨ يناير ١٩٥٨ مسئولية فشل الوحدة، هذا بالرغم من إصرار حدتو على الانقسام.

وكان لموقفها المتباطئ من إعلان الوحدة مع التنظيمات الأخرى بعد نظر صائب فقد أدت الوحدة إلى التصفية وكان لا بد أن تؤدى إلى ذلك لأن الموقف من الثورة وللآن غير محسوم بل متخبط، مما ساعد فيما بعد على حل الحزب وتصفيته. هذا بينما كانت انتصارات الثورة لها بريق وإبهار فى الاندفاع نحو الوحدة ولكن ذلك لم يكن إلا خداعاً. فقد فشلت الثورة بلا شك وصارت رماداً.

وبشكل عام اشتركت كافة التنظيمات الشيوعية فى دعاية مبالغ فيها عن قوتها ربما لرفع الروح المعنوية بين أعضائها ولتأكيد ذاتيتها. ثانياً أن كافة التنظيمات الشيوعية كان يقتصر

مثلها على السطح دون الوصول إلى عمق الشعب.

أما حدتو فحاولت أن تخلق تنظيمات جماهيرية مثل اتحاد عام العمال من فوق وغير مدعم جماهيرياً، في الوقت الذى حاولت أن يكون مستورداً عالياً ففشلت، وحاولت أن تخلق جمعية لأنصار السلام تحت سيطرتها الحزبية فغلب عليها الطابع الشيوعى ودخلت فى صراعات فى صراعات الحركة الشيوعية وبعدت عن أن تكون حركة جماهيرية. وكان لها نشاط محدود بل ووحيد - بالنسبة إلى الحركة الشيوعية - فى وسط الفلاحين وحاولت التعاون مع الجميع الإخوان والاشتراكيين (مصر الفتاة) والوفديين ولم تنجح إلا فى المحاولة مع الوفد.

أما الحزب المصرى (الراية) فاتجه إلى البرجوازية الصغيرة والطلبة، وكان يكثر من المطبوعات والمنشورات والمجلات وتميز بالحس الأكاديمى المنعزل عن الواقع فأخطأ كثيراً واعتمد على التعامل مع الاشتراكيين وارتكب خطأ كبيراً عندما دعا إلى التنظيمات الجماهيرية السرية (النقابة السرية - أنصار السلام السرية .....) وذلك تمشياً مع تحليله لحركة الضباط بأنها حركة فاشية والذى أدى به إلى طلب التعاون مع الإخوان بل ومع سيد قطب.

هناك فرق كبير بين حزب تتربع على قيادته قوى أو طبقات رجعية كإقطاعيين وبرجوازية كبيرة ويضم فى صفوفه جماهير واسعة من الطبقات الشعبية كحزب الوفد، وبين حزب آخر يتربع على قيادته قوى رجعية ولا يتمتع بتأييد شعبى فالأول يعانى ضغطاً من القوى الشعبية فى الاتجاه الديمقراطى والاجتماعى، والثانى تحظى فيه القوى الرجعية بحرية واسعة فى اتخاذ القرار المعادى للشعب.

والحزب الجماهيرى فى هذه الحالة يجب أن تتبع معه أسلوب الوحدة والصراع بمعنى أنه يجب ألا تؤدى حركة القوى الشعبية الداخلية فى الحزب الجماهيرى إلى التمرد الذى يضيف إلى قوة الأعداء ولكن إلى التمرد الذى يؤدي إلى زيادة القوى الثورية.

قضية المحترفين:

بقدر اتساع جماهيرية الحزب بقدر زيادة عدد المحترفين، فلابد للمحترفين من مجالات عمل طبيعية يعملون من خلالها.

ولا بد للمحترف من صفات شخصية تؤهله للقيام بدوره الهام وذلك بأن يتمتع بالخبرة

الكافية فى التعامل مع المجال المنوط به القيام بدور فيه وأن يكون ذا ثقافة تؤهله لحل مشاكل النشاط الذى يمارسه وأن يتمتع بالقدرة على المبادرة الذاتية وأن يكون مناضلاً صلباً يقبل الانسلاخ من مجتمعه الطبيعى وقادراً على مواجهة ظروف الكفاح وذكياً فى مواجهة ما ينصب له من شراك، والاحتراف ليس هواية وليس ارتزاقاً وزيادة العدد قد تخلق نوعاً من البيروقراطية.

وألاحظ أن أغلب المحترفين الذين عملوا فى الحركة الشيوعية كانوا يقومون بعمل سرى، والاحتراف فى العمل العلنى قد يدعو للشبهة بسبب مصدر الدخل، ومن الأمثلة الناجحة فى الحركة الشيوعية المصرية احتراف أبو سيف يوسف وحلمى ياسين.

شروط العضوية :

لقد كنت ضد التوسع فى عضوية الحزب بتبسيط الشروط اللازمة للعضوية وإذا كان ذلك يصلح فى الدول الأوروبية التى تتمتع الشعوب فيها بضمانات واسعة لحقوق الإنسان، إلا أنه فى الدول النامية وبخاصة فى مصر فنحن أبعد ما نكون عن ذلك، وما لحق الشيوعيون والإخوان من اضطهادات بالغة القسوة فى ظل حكومة وطنية دليل ساطع على ذلك.

ويجب الحذر من أن العضو الضعيف والشريف معاً قد يتحول ويلعب دور عميل البوليس فيخسر نفسه ويخسر من جرائه الحزب كثيراً، بل قد يركز البوليس عليه فى الحصول على أسرار الحزب.

ويجب ألا يدفع الحزب بالعاطفين حوله إلى داخل الحزب بل إلى داخل التنظيمات الجماهيرية المحيطة به من نقابة أو اتحاد أو هيئة أو ناد أو جمعية ذات أهداف مختلفة إلا أنها كلها تصب تحت باب التنظيمات المدنية وهى تعلم الشعب أسلوب العمل الجماعى والنضال، وعن طريق ذلك يستطيع الحزب الحصول على العضوية.

النشاط الطلابى

نجح الطلبة الشيوعيون بالتعاون مع الوفديين فى الحصول على نسبة عالية فى انتخابات اتحادات الطلبة بالجامعة سنة ١٩٤٦ وتزايدت أعداد الطلبة الشيوعيين وتميزوا بالتفوق الدراسى فى هذه الفترة مما جعلهم موضع تقدير الطلبة وثقتهم كما تبوأوا مراكز هامة داخل الحركة الشيوعية.

فالفكر الجديد الوافد لم يكن من المستطاع الاطلاع عليه إلا لذوى الثقافة العالية والمحتكين بالأجانب وكان بعض هؤلاء من ميسورى الحال الذين تنقصهم الصلابة والدافع للكفاح السياسى والطبقى.

وكون الطلبة من حيث وضعهم الاجتماعى لا يتحملون مسئولية اجتماعية يجعلهم على استعداد للمغامرة كالإرهاب أو الانقسام .

والعمل السياسى فى وسط الطلبة صار موسمياً فهو يكاد يتوقف فى فترات الامتحانات أو الإجازات الصيفية كما انتشرت من جانب آخر نظرة يسارية (أن الثورة على الأبواب فأهملوا الدراسة كما لعب الاضطهاد السياسى والاعتقال دوراً كبيراً فى تعثر البعض وأنا منهم وبالفعل قامت ثورة ١٩٥٢ ولكنها لم تكن ثورة العمال والفلاحين).

والسعى لوجود اتحاد عام مهمة أساسية للطلبة ويقابله صعوبة تدخل الدولة وفرض اتحاد عام مشوه تفرض عن طريقه قيوداً على حركة الطلبة وممارساتهم وهذا يتطلب قبوله من حيث الشرعية والعلانية والكفاح من داخله وتعميق جذوره الجماهيرية حتى يصبح ديمقراطياً.

وفى الماضى كان ينقص النشاط الطلابى الخدمات الاجتماعية والرياضية والثقافية فاقتصر على العمل السياسى أو الدعوة لتكوين الاتحاد .. ويعتبر ذلك نقيصة .

سياسة الاتحاد السوفياتى :

أولاً أود أن أحيى مواقف الاتحاد السوفياتى المعادية للإمبريالية والمدافعة عن السلام والمناصرة لحركات التحرر الوطنى .

ثانياً إن الحركة الشيوعية المصرية هى المسئولة عن السياسة المصرية ولا مبرر مطلقاً لتنصل من ذلك وإلقاء العبء على الاتحاد السوفياتى، وإذا كان قد تم نوع من الخضوع الاختيارى فهو ناتج عن الشعور بالدونية فالصين ويوغسلافيا قاومتا التدخل السوفياتى فى شئونهما.

ثالثاً أن سياسة الاتحاد السوفياتى الخاطئة التى فضلت التعاون مع الحكومات وأهملت دور الشعوب شجعت على إهمال هذه الحكومات لدور شعوبها وسلكت مسلكاً بيروقراطياً واندفعت فى المغامرات كحرب ١٩٦٧ كما أرهقت كاهل الاتحاد السوفياتى بتبعة هذه المغامرات .

وأحب أن أوضح مثلاً عاصرته أثناء عملى بالسد العالى، فبعد أن انتهى العمل فى بناء السد أراد المهندسون المصريون الصغار الاستغناء عن الخبراء السوفييت وأبرزوا استعدادهم لتحمل المسئولية، إلا أن المديرين ووكلاء الوزارات رفضوا هذا المطلب وطالبوا بإطالة أمد الخبراء السوفييت لا تعاطفاً معهم ولكن لتحميلهم المسئولية عند الأخطار، فهذا النوع من المديرين لم يكن فى استطاعتهم مجاراة التطور التكنولوجى وتحمل المسئولية وكان أسلوبهم: عندما يحدث تقدم فى العمل ينسبونه لأنفسهم ويحصلون على المكافآت، وعندما تحدث مشاكل يتبرأون منها ويحملون السوفييت المسئولية، وهذه هى البيروقراطية، وكل الحكام فى دول العالم الثالث كانوا مستعدين أن يلعنوا السوفييت دائماً ويتمسكوا بهم دائماً.

وأعتقد أننا لم نكن مؤهلين للحكم على سياسة الاتحاد السوفياتى فى بناء الاشتراكية، ولقد حقق الاتحاد السوفياتى انتصارات باهرة فى عهد ستالين بينما صارت الأمور عكس ذلك فى عهود الحكومات التى أعقبته وتباطأت معدلات النمو الإقتصادى بدرجات كبيرة وتفشت البيروقراطية والفساد. أما موقف التنظيم وموقفى فكان مؤيداً للوضع الرسمى وإن كان لتنظيم ع.ف مواقف تعارضت مع موقف الاتحاد السوفياتى إلا أنها سرعان ما تراجعت. فقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٨ عارضته ع.ف ثم تراجعت. وأثناء الصراع السوفياتى الصينى كان الحزب مناصراً بشدة لسياسة الاتحاد السوفياتى مهاجماً بشدة لصين بينما كان موقفى بالعكس مناصراً للصين ومعارضاً للاتحاد السوفياتى.

موقف التنظيم وموقفى من اليهود والأجانب :

أود أن أقول إنى أعادى العنصرية والصهيونية ولا أعادى اليهود أو السامية، وأن اليهود والأجانب قد لعبوا دوراً هاماً فى نشأة الحركة الشيوعية وبعض اليهود قد تفانوا فى خدمتها وبذلوا جهداً لتكييف أنفسهم من أجل الاستقرار فى النضال فأسلموا وتعلموا العربية، إلا أن وجودهم فى القيادة يسئ إلى الحركة لأنه يتنافى مع مشاعر الشعب المصرى، كما أن الشيوعيين المصريين كانوا قد شبوا عن الطوق وتعلموا الدرس وأصبحوا مؤهلين لهذه القيادة فكان من الواجب أن يتنحوا مختارين عن مسئولياتهم.

ومشاعر الشعب يجب أن توضع فى الحسبان، وكسب ثقته مهمة أساسية للنجاح، والابتعاد عن كل ما يعقد الموقف واجب هام حتى لو كان الشعب واقعاً تحت تأثير رواسب تاريخية نبدونه ليس هنالك أى أمل فى تحقيق أى انتصار.

موقف التنظيم وموقفى من

تصادم السلطة مع الإخوان المسلمين :

أولاً : ساهم الإخوان فى تدعيم موقف السلطة إزاء كل اعتداء على الديمقراطية فكانوا أول من بادر بشعار : لا حزبية بعد اليوم .

ثانياً : فى سنة ١٩٥٤ كانوا ينحون إلى الاستيلاء على السلطة بمفردهم وبواسطة جهازهم السرى الإرهابى تحت قيادة يوسف طلعت، فلم يكن اصطدامهم بالسلطة دفاعًا عن الديمقراطية أو التعاون مع القوى الأخرى بل قطعوا الطريق على تعاون القوى الأخرى أو تضامنها معهم وربما لو كان قد أتيح لهم الوصول إلى السلطة لكان الوضع أسوأ وأمر.

ثالثاً : أن الشيوعيين قد سبقوا الإخوان إلى المعتقلات والسجون ولم يحدث أن دافع الإخوان عنهم بل كانوا دائماً معادين لهم .

لذلك لم يحدث من التنظيم أو منى تعاطف معهم .

ملحوظة

لم أشترك فى أى من تنظيمات الثورة : هيئة التحرير، الاتحاد القومى، الاتحاد الاشتراكى التنظيم الطليعى .

ولم أحصل على عمل نتيجة لتوصية من الدولة ولكن بناء على القرار الخاص بتكليف المهندسين.

شهادة

حمزة البسيوني

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : حمزة محمد البسيونى

محل وتاريخ الميلاد : ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤ ببلدة نوسا الغيط مركز أجا- محافظة الدقهلية

بيانات عائلية :

كان الأغنياء فى قريتنا مالكين وليسوا إقطاعيين. الغنى كان الذى يملك عشرين أو ثلاثين أو خمسين فدانا فى ذلك الوقت. كانت نوسا قرية فيها حركة تجارية نسبياً وحركة زراعية معقولة وبها ملكيات صغيرة وأجراء، لكن ليس فيها الشكل الاقطاعى الذى يمكن أن يقسم البلد -- كانت هناك بعض العائلات ذات الملكية المعقولة لكن لم يكن هناك انفصام بين الناس، ولا يقهر أحد آخر بشكل عام.

ونوسا تعتبر فى هذه المنطقة البلدة الأكثر حيوية. نسبة المتعلمين فيها دائما كبيرة، أكثر من أى بلد آخر. كانت العلاقات موجودة فى شكل لن أقول مقهى، كان يوجد شبه منتدى، يسمونه البوفيه على خط السكة الحديد، على المنصورية. كان يجلس فيه المثقفون والناس ذوو الاهتمامات خاصة.

أيضـاً البلد كان فيها نوع من النشاط الرياضى وناد رياضى كان يضم فريق كرة كان معروفًا جداً فى المنطقة، لدرجة أنها كانت تبارى فرقًا معروفة فى المنصورة. وكان اليوم الرياضى هذا أو يوم لقاء كرة القدم يومًا حافلاً جداً وكل البلد تفك فيه كل تزمتها، ولقاء وانتصارات أو عدم انتصارات. هذا كله كان يجمع البلد كوحدة واحدة. على النطاق القومى كان هذا الفريق يضم د. مصطفى الجبلى الذى أصبح بعد ذلك وزيراً للزراعة، وكان قد حصل على دراسات فى أمريكا وعاد معجبًا جداً بالتجربة الامريكية. وبعد ذلك فى تطوره كأستاذ أراض مرموق انتدبته الأمم المتحدة لبلغاريا فيما أظن، وسافر إليها كخبير، ورأى التجربة التى يمكن أن تطبق فى مصر. فقد كانت أمريكا بلداً واسعة ومساحات شاسعة وتكنولوجيا متقدمة،

مأخوذة عن حوار اجرته أ. انتصار بدر.

أما فى بلغاريا فرأى بلداً ظروفه مثل ظروف مصر.

عاد د. مصطفى الجبلى من بلغاريا اشتراكياً، عن طريق تفاعله مع التجربة، ووجد أن مشاكل مصر يمكن حلها هكذا. وكان يكتب مقالات فى هذا الاتجاه، وربما كان فى المجموعة التقدمية مع د. إسماعيل صبرى عبد الله ومع كل الناس الذين كانوا يفكرون لمصر بأسلوب اشتراكى، وعندما أصبح وزيراً للزراعة قام بعمل أشياء مرموقة، وإن كان التاريخ لم يعطه حقه. أقول هذا بمناسبة أنه كان عضواً فى فريق كرة القدم بنوسا الغيط.

نشأنا نسمع قصص بطولات شعبية، لكن أيضاً بالطريقة الأسطورية. مثلاً شخص فعل شيئاً طيباً فى التاريخ الوطنى - رغم أنه مازال حياً- لكن أصبح أسطورة. مثلا كان عندنا شخص اسمه محمد الشربينى. يقولون عنه أنه عندما جاء الإنجليز للبلد، خرج للكوبرى، وكان يمتطى حصاناً حديدياً!! وكلما ضربوه فوق الحصان ينزل تحت الحصان، يضربونه تحت الحصان يصعد فوق الحصان ..

قصص أصبحت تروى بطريقة ما. لكن هذه هى الأسطورة وليست القصة بالضبط. من أمثال صنع الأسطورة أنه بعد سنين كان لنا زميل اسمه حسن- كان معنا فى المعتقل - كتب عن المعتقل، فكتب عنى كطبيب فى المعتقل، ووصل إلى أن يقول إن شخصاً أصيب بالزائدة، فالدكتور حمزة لم يسعفه الوقت ليرسله لمستشفى، فأجرى العملية بموسى حلاقة. كتب هكذا فى الكتاب، قلت له "يا حسن -الأسطورة تصنع بعد فترة، لكن ونحن أحياء تسمع أساطير؟ فهذه الأسطورة هى جزء من تاريخ الناس الذى يستوعبونه والذى يصورون فيه بطلا كما يريدونه هم ويضيفون إليه.

القرية كانت منخرطة فى السياسة وكانت كلها وفدية. كان هناك طبيب وفدى يرشح نفسه لمجلس النواب- فى ذلك الوقت - لكن نوسا الغيط كانت وفدية بطريقة ثورية، بمعنى رغم أنها بلد كبيرة كانوا يجرون انتخابات خارج القرية، أى تعقد فى المركز وخارج البلد. فالناس تمشى على السكة الحديد لتذهب للانتخابات .. فى أيام صدقى ومحمد محمود والأيام التى شهدت ضغطاً وتزويراً، كانت كل مشكلتهم أن نوسا لا تصل لصندوق الانتخابات. هم يعرفون ماذا سيفعل أهل نوسا، وحدثت معارك وسقط قتلى وجرحى أثناء المعارك الانتخابية.

كل هذا كنا نعيش فيه منذ صغرنا، ونشعر أن البلد فعلاً تتكلم فى السياسة و.... بهذا المفهوم كنت أشعر ببلدى.

عندما ذهبت المنصورة كانت بدأت تحدث مظاهرات المنصورة الثانوية، تخرج أولاً مدرسة الصنايع ثم تخرج المنصورة الثانوية. وكنت أنخرط فى هذا لظاهرات كمواطن عادى لا دور لى سوى اشتراكى فى هذه المظاهرات. وأتذكر مرة حاصرونا فى ملعب بجوار مدرسة الصنايع، وضربت علقة تاريخية بخيزران رفيع من العساكر المصريين الذين يفرقون المظاهرات.

فى المدرسة الثانوية لم أنخرط الانخراط الكافى فى السياسة. أبى كان يملك وابور طحين ولا يملك أرضًا. وابور الطحين كان يدر نقوداً يومًا بيوم. كنا أسرة مستورة وليست لنا علاقات بأرض، كنا أسرة من عشرة، ست بنات وأربعة أولاد. البنات طبعًا تعلمن القراءة، والكتابة وتزوجن أبناء عمومتنا. أما الأولاد فالأخ الأكبر كان موجوداً مع والدى. وأخ حصل على بكالوريوس تجارة وترقى إلى أن أصبح رئيس مجلس إدارة شركة نسيج بالقاهرة، وأيضاً كانت لديه اتجاهات تقدمية فى إدارته. وأخ ثالث اكتفى بشهادة متوسطة وعمل بالاسكندرية. وأنا ذهبت للاسكندرية لأن أختى تزوجت ابن خالى الذى كان يعمل هناك.

وكان مرتب زوج أختى فى هذا الوقت اثنى عشر أو ثلاثة عشر جنيهًا. وعشنا حياة بسيطة جداً فى الاسكندرية وقد عشت معهم حتى تخرجى.

طبعًا فى أثناء هذا كله سوف أحبس عشر سنوات. وكانت أختى وزوجها مسئولين عنى فى هذا الوقت. منذ سجن الحضرة وحتى الواحات. ولم أشعر أبداً فى أى مرحلة برفض الأسرة للنشاط السياسى.

ولعل ما ساعد على استمرارى فى التعليم رغم ظروف أسرتى المادية أن بلدنا عمومًا كان اتجاهها للتعليم قويًا. وكانت القرية تقف وراء الذى يتعلم، والقرية كلها تقرأ أرقام الجلوس وتنتظر من نجح ليصفقوا له فقد كانوا يعيشون فى مجتمع مفتوح على بعضه والناس كلها تحب بعضها وكلهم لهم اتجاهات عامة. ولم أشعر أبداً فى أى مرحلة بأن الأسرة قد تكون عقبة فى طريقى.

سافرت للاسكندرية فى الأربعينيات حوالى سنة ١٩٤٥. وكانت الحرب العالمية فى أواخرها. وكانت الاسكندرية مازالت تشهد بعض الغارات، وجو التهجير، ثم بدأت الحركة الوطنية والمظاهرات وشعارات الجلاء وتطورت بعد ذلك ضد الملكية، وكنت أنا وزميل لى اسمه عبد الغفار - أيضًا من نوسا الغيط- نسير نبحث عن المظاهرات.. ظللت بهذا الشكل.. إلى أن

بدأت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال فى القاهرة وبدأنا نكون لها أشكالا فى الاسكندرية، رغم أننا لم نكن منخرطين فى العمل السياسى أو اليسارى إلا بهذا القدر.

كان أشهر يوم فى هذه الاثناء يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦، الذى أصبح بعد ذلك يوم الطلبة. فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ قامت مظاهرات عارمة فى كل مصر وفى القاهرة فى ميدان الاسماعيلية- ميدان التحرير بعد ذلك - مرت عربات مصفحة انجليزية وقتل عدد كبير من الناس.

قالوا نجعل ٤ مارس للاحتفال بشهداء ٢١ فبراير.. فى هذا الوقت تكونت لجنة كانت تضم الاخوان المسلمين ومصر الفتاة أساسا وتنظيم تابع الحكومة، وقالوا أن ٤ مارس هذا يوم احتفال ولكنه احتفال حداد - أى لا نذهب لعملنا - وليس إضراباً .. ولاتكون هناك أية مظاهر إلا الحداد، ونتجنب الخروج للشارع و...

بالنسبة للاسكندرية فى هذا اليوم أيضاً خرجنا نبحث عن مظاهرات، وكنت أقيم فى الحضرة أنا وعبد الغفار. ومررنا على شركة اسمها (النيل) وبدأنا الهتاف وقت خروج العمال، وبدأنا نزحف تجاه محطة الرمل. فى هذا الوقت، كان حزب مصر الفتاة فى الأسكندرية يرفض قرار اللجنة الوطنية التى شكلت.

وكان أعضاء حزب مصر الفتاة فى الاسكندرية قد ظلوا طوال الليل يتناقشون. وفى الصباح خرجوا بمظاهرة - أى رفضوا قرار القيادة فى القاهرة بمجرد الحداد. كل هؤلاء التقوا فى محطة الرمل، سارت هذه الجحافل فى الشوارع المتفرعة من محطة الرمل.

كان هناك شارع اسمه سعيد - الغرفة التجارية الآن- كان به أحد جنود البحرية يسكن فى عمارة من هذه العمارات، وحدث إطلاق رصاص على المظاهرة. ولا أعتقد أن أحداً حدث له شئ. لكن وقع نوع من الشغب. المظاهرات اتجهت نحو هذه العمارة، وبدأت فى إشعال النار فيها . وأتت المطافى، فأخذ المتظاهرون يقطعون خراطيم المطافى، والمظاهرة كانت معقولة وتحت السيطرة عن طريق مجموعة من الجامعة.

لم تكن هنا قيادة محددة فى الإسكندرية فى هذه المرحلة. كانت هناك بالطبع اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بالقاهرة. وطبعاً سمعنا عنها، رغم أننا لم نكن جزءاً منها لأننا لم نكن يساريين حتى هذا الوقت. لكن كنا متأثرين بها ونستجيب لندا ءاتها، ومن بينها أن هذا اليوم لابد أن يكون يوماً مشهوداً.

المظاهرة سارت عادية، وأخيراً تدخل البوليس و.. عادت لنفس الشارع - الغرفة التجارية

الآن - الذى هو شارع سعيد، عند تمثال سعد زغلول. وكان هناك كشك بريطانى. لأن الانجليز فى هذا الوقت كانوا فى الاسكندرية وغيرها. كانوا موجودين فى كوم الدكة. مررنا على هذا الكشك ولم ننتبه إليه وعندما عدنا بالمظاهرة، اكتشفنا هذا الكشك. لم يكن كبيراً، وكان مكتوباً عليه بالانجليزية بما يعنى أنه مكان لهم.

دخلت المظاهرة على هذا الكشك لتكسره. تخيلت شيئًا واحدًا فى هذا الوقت. كان حلم أى واحد فينا هو مسدس يقتل به الانجليز. قلت ربما أجد فى هذا الكشك مسدساً. فكنت مع أول فرقة مقتحمة لهذا الكشك. كان الكشك عبارة عن غرفة كبيرة وعلى اليمين فتحة لباب وبداخله غرفة أخرى. لم تكن هناك اضاءة، فلم نر شيئًا إلا الاضاءة، القادمة من هذه الغرفة الكبيرة. انا سمعت أصواتًا لا أقول طلقات رصاص.. لأنى متعود على رصاص البوليس طاخ. طيخ .. شديد.. فتصورت أن الذين دخلوا بدأوا يحرقون وأن هناك رصاص يفرقع.. مشاعرى ركزت وركزت أن هناك جنوداً يضربون بمترليوز ويحصرون المتظاهرين ويموت ناس، كان فى هذا الكشك أربعة. طبعًا الناس حوصرت فى هذا المكان. بدأ الناس يُضربون من الشبابيك المواجهة لتمثال سعد زغلول -يضربون بالرشاشات بعد أن طهروا مدخله. بدأ الناس ينتشرون فى كل مكان ولايعرفون ماذا يفعلون؟ ونزل الجيش واحتل مواقع فى المكان ... الجيش المصرى. الناس كانت تجرى فى كل اتجاه. كان هناك أجانب يقطنون فى أماكن مختلفة، أخذوا يطلقون الرصاص فى كل اتجاه .. وكان الافندية وبعدهم أتى عدد كبير من الاطفال كانوا يحضرون كراسى من تريانون ويشعلونها ويلقونها على الكشك - وكان المكان كله عبارة عن دخان. بعد ذلك وجدنا العربات المصفحة المنلقة تماماً تملأ هذا المكان. والناس فى حالة رهيبة. كان هناك فندق فوق تريانون. ورأينا الممثل أنور وجدى يقف فى بلكونته ومذعوراً. والناس يصفقون له..

كان هناك قتلى وعشرات الجرحى. ولم ينحسر الوضع إلا بعد أن قتل اثنان أخذهما الجيش. ورأيت جثة أحدهما.

فى اليوم التالى، ذهبت للمستشفى الأميرى. كانت الجثث زادت، فوضعوها فى غرفة كبيرة وكانت بملابسها - شباب وأطفال فى أعمار مختلفة وأفندية وعمال و.. ما يشبه الجبهة الوطنية هذه مصر، وكل الطبقات تناضل فعلاً، ويمكن معرفة ذلك من الملابس.

عقد مؤتمر فى الكلية بعد ذلك. كنت منخرطًا فى المظاهرات. وكان عميد الكلية د.على مفيد

حسن وكان متخصصا فى الكيمياء، وعالمًا مرموقًا. جاء ليحضر المؤتمر، ثم وقف وتكلم وقال أنا أسف كانت عندى حالة ولادة. كنت مشغولاً لا أعرف أى شئ.

فنادى على، إلى أن وقفت بجواره. وقال لى : واضح أنه لا يعجبك كلامى. قل لهم أنت كيف ستخرج الانجليز؟ أنا خطبت مائة مرة بعد ذلك، ولكنى لم أخطب أبدًا خطبة مثل التى خطبتها فى هذا اليوم. كان محور الخطبة القوة، لا توجد وسيلة لمواجهة الانجليز سوى القوة. حتى القوة غير المنظمة هذه استطاعت أن تنتصر نسبيًا فى هذا المكان واستطاعت أن تجلوهم عن هذا المكان وتقتل اثنين، وهى قوة غير مسلحة. فتخيل إذا سلحنا هذا الشعب. تكلمت فى اتجاه أن القوة والقوة المسلحة هى الوسيلة الوحيدة للتحرر. لا توجد وسيلة أخرى.

الأستاذ الجليل د. محمد طلعت - كان أستاذ الفسيولوجى - صعد وكتب على السبورة برقة (العلم = القوة)، وصفق له الطلبة. فكتبت بالطباشير بجوار كلمة «العلم» (فى بلد مستقل) صفق الطلبة.

انتهى هذا المؤتمر بأن طلب مدير الجامعة مقابلة مندوبين من الكليات. فطبعًا اختارونى رشخصا أخر مندوبين عن كلية الطب.

كانت هذه أول مرة أخطب فى حياتى، ولم أكن زعيمًا أو قائدًا. كنت إنسانًا عاديًا وسط الناس فى أى مكان يذهبون إليه، وكنت وقتها فى سنة أولى كلية طب. ذهبنا كمندوبين وناقشنا وكان لدينا ما نناقشه.

أيضًا من الأيام المشهودة - لا أريد أن أربطها بتواريخ سياسية لأن المناسبة ربما كانت تصريحًا يقال من جهة انجليزية مثلاً، أو مفاوضات متعثرة. كل شئ كنا مترصدين له جدًا حتى نعبر عن شعورنا بكل شئ وكل الناس وراءنا. إلى أن كان يوم خاص جدًا فى جامعة الاسكندرية. كان مبنى مدرسة العباسية فى محرم بك على هضبة عالية.

تجمعنا للقيام بمظاهرات. وحوصرت الجامعة بحيث إن أى طالب يخرج يتم القبض عليه، وفى هذا اليوم جهزنا هتافات و... وأثناء هذا الحصار، أطلق النار من داخل الجامعة على ضابط وقتل. وفى هذا اليوم قضينا ليلنا فى الجامعة، وبدأت المفاوضات حتى نخرج. وخرجنا، فأغلقت الجامعات فى هذا الوقت لأجل غير مسمى. وفى هذا الوقت فصلوا عددًا كبيرًا من الطلبة، وكان أكثر أعداد المفصولين من كلية الحقوق وفصل اثنان من كلية الطب.

مرة كنت أجلس فى مقهى، فقابلت شخصًا متحمسًا مثلى هو د. أحمد لطفى الصاوى،

الذى سينخرط معى فى كل شئ، وتكون شلتى حمزة والصاوى كما كانوا يقولون.

بعد ذلك فتحت الجامعة بالتدريج . أولاً كلية الطب وكلية الآداب . كلية الآداب لم يكن بها طالب مفصول، بينما طلبة كلية الطب أضربوا وقاموا بمظاهرة داخل الكلية.. وفى اليوم التالى أضربت كلية الآداب أيضاً وظل الوضع متوتراً بهذا الشكل. فأعادوا جميع المفصولين للكليات.

بعد ذلك اتصل بى الشيوعيون. كانت هناك جمعية دراسات اشتراكية فى الاسكندرية. بدأنا نرتاد هذه الأماكن. اتصل بى شخص يبدأ يجندنى - كان اسمه سعيد شعراوى- وكان فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى. ونصحنى نصيحة غريبة جداً . قال لى أنت ممتاز.. منذ الآن افعل أى شئ لكن لا تظهر نفسك. طبعاً رفضت هذا رفضاً باتاً. وبدأنا الدراسة والكتيبات. انخرطت فى هذا، وبعد ذلك وجدت نفسى فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

وقد قبلت الارتباط بالحركة الماركسية لأن أى إنسان صادق مع نفسه لابد أن يبحث عن ارتباط ما . طبعاً الوفد فى هذا الوقت كان الحزب الشعبى وكان فيه أفراد متحمسون جداً، لكن كحزب لا تشعر بدوره. مصر الفتاة أيضاً لم تكن تتجاوب فهى ترفع شعارات حماسية جداً ومفرغة. بدأت أسمع قضايا أخرى، القضايا الاجتماعية بجانب القضايا السياسية، قضايا التحرر، قضايا الجوع والقضايا الاقتصادية.

زادت قوة الشيوعيين فى هذه المرحلة بطريقة رهيبة جداً، وكان من الممكن أن يكونوا أكبر من ذلك، لكن الانقسامات أضعفتهم. وهذا يحتاج دراسة لأن كل هذا لم يكن مصادفة.

كان اسمى الحركى فتحى، وهو اسم أحد الزملاء السودانيين وكنت معجباً به. وعبد المنعم الغزالى كان اسمه الحركى حمزة وكان مسئول الشباب.

أخذنا تكليفاً من الحركة الديمقراطية سنة ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ ، بأن نذهب لشركة الغزل الأهلية وكانت أكبر شركة فى هذا الوقت. كانت تضم حوالى عشرين ألف عامل- الآن فى ظل الأوضاع القائمة آخر رقم سمعته أنها تضم سبعة آلاف - وأن نخرج العمال بمظاهرة. طبعاً هذا لو نحلله الآن لم يكن موقفاً صحيحاً . ونحن كمجموعة طلبة فعلاً كنا متحمسين جداً لأى شئ.

تصور مجموعة طلبة تذهب إلى مصنع كبير جداً وقت خروج ودخول الوردية، بدون أى إعداد وبدون أى شئ أبداً. وبدأنا نرمى منشورات ونهتف هتافات، وطبعاً العمال تجاوبوا ، إنما قبض علينا. كنا فى هذا الوقت ثلاثة : سعد غريب طالب فى كلية العلوم ومجدى حبيب طالب

فى كلية الحقوق وأنا. وقبض علينا.. المهم دخلنا فى قضية بتهمة مظاهرات ولأول مرة فى تاريخ حركة الطلبة تصدر أحكام. وانتهت بالحكم على سعد غريب ستة شهور سجن ومجدى وأنا براءة.

فى هذا الوقت، دخلت المستشفى، وأنا فى المستشفى واسمى مقيد فيها، قمنا بمظاهرة مهيبة جداً .. لأنه كان شيئاً مستفزاً أن يحكم على طالب بستة شهور. وقلبنا عربات ترام و.. وأنا فى المستشفى، دخلت فى قضية جديدة أنا وأحمد لطفى الصاوى الذى ذكرته من قبل. اتهمنا القائمقام عمر بك حسن تحديداً. وأنا كنت على رأس المظاهرة. وقانون الاجتماعات والتظاهر ينص على أنه إذا اجتمع أكثر من خمسة وأمروا بالتفرق ولم يتفرقوا ففى ذلك جريمة.

وصلنا للمحكمة. شهد عمر بك حسن هذه الشهادة. خطر على بالى أن أقول للمحامين.. دعوه يتعرف علينا. لأنه بالفعل لم يرنا. كان أحمد لطفى الصاوى بعين واحده، فأخرجه.

سئل : أين حمزة، فأجاب : غير موجود يا فندم .. وكنت فى القفص. كان هناك وكيل نيابة اسمه مصطفى سليم قال : حمزة لم يكن يطلق شاربه، أطلقه فى السجن. قلت له : لا.. طول عمرى أطلق شاربى. قال : هذا هو حمزة البسيونى. رغم هذه الشهادة الوحيدة التى كانت مكسورة حكم علينا بستة شهور مع إيقاف التنفيذ.

فى أثناء نظر القضية الأصلية لسعد غريب - ذهبنا للاستئناف. كان هناك هناك محامٍ اسمه رياض شمس، كان وفدياً ومعروفاً، وقد قدم طعناً غريباً جداً فى الاستئناف. قال : هذه المظاهرة تجمهر وتظاهر وتوزيع منشورات تتهم الحكومة بالخيانة.. فإذا تعددت التهم تكون العقوبة والاتهام على أساس التهمة الأشد. فالتهمة الأشد هى منشورات تتهم الحكومة بالخيانة، وهذه المنشورات من باب النشر. والنشر جريمة تنظرها محكمة الجنايات. ليظل هناك أمان بدلاً من حكم قاض واحد يكون ثلاث قضاة جنايات، فيكون الموضوع أكثر جدية ولا يكونون خاضعين للسلطة. فطلب إلغاء الحكم وتحويل القضية لمحكمة الجنايات، لأنها قضية نشر. كان دفعاً غريباً جداً. المهم- قُبل هذا الدفع وحولنا لمحكمة الجنايات عن القضيتين، قضية العمال وقضية التظاهر.

عندما جاء موعد الحكم فى القضية، حدث فى الاسكندرية إضراب للبوليس - كان البوليس قد أضرب بشكل عام وبشكل خاص فى الاسكندرية سنة ١٩٤٨- وعندما أضرب البوليس

استعانوا بالجيش. فى هذا الوقت كنت فى المستشفى الأميرى معتقلا على ذمة القضية الأخرى، ورأيت الناس قادمين، وكان هناك أستاذ تشيكوسلوفاكي اسمه فيوتر – أستاذ بالكلية – كان يأتى لتشريح الجثث ويحدد وجود الطلقات هنا وهنا. وفى آخر اليوم هذا الأستاذ نفسه أحضرته عربة الاسعاف مقتولاً. فى هذا الوقت ساد الاضطراب فى المدينة وبدأت الناس تهاجم المحلات وتنهب. بدأت الفوضى المطلقة ، فنزل الجيش واعتقل عشرات الناس.

فى الوقت الذى تحولنا لمحكمة الجنايات بدفع المحامى، كانوا قد بدأوا يحاكمون الناس فى مظاهرات البوليس، وكان القفص مملوءا وكان يأتى ضابط يقول نعم هؤلاء كانوا فى المظاهرات. فيكون الحكم عشر سنوات، خمس عشرة سنة، سبع سنوات، ثمانى سنوات، كان عرفًا هكذا ولم تكن محكمة حقيقية. وجدنا أنفسنا الذين قمنا بمظاهرات وقبضوا علينا بالواحد وأمام شركة، ستنظر قضيتنا فى وسط هذه الظروف وسوف يحكمون علينا.

انتهت القضية بالبراءة. لم يثبت شئ. قال المحامى : هل هؤلاء الناس كانوا متجمهرين؟ لا. بدليل كذا. كان تظاهراً؟ لا بدليل كذا. هل كانت منشورات؟ لكن إذا كنتم تريدون أن أثبت لكم أن الحكومة خائنة سوف أثبت لكم.

حكموا ببراءتنا. وفى سنة ١٩٤٨ فتحوا المعتقلات من أجل حرب فلسطين. ودخلنا أول دفعة معتقلات للشيوعيين فى هذا الوقت.

المهم اعتقلنا فى ١٩٤٨. كل ذلك وأنا طالب فى كلية الطب. ظللنا لأواخر سنة ١٩٤٩ اعتقلونا فى معتقل اسمه أبو قير فى معسكرات قديمة. جاءت بعد ذلك حكومة الوفد.

فى هذا الوقت ، بدأ الإخوان يقومون بنشاط. قتل عبد الهادى والنقراشى وقتل حسن البنا. وبدأ الاخوان سنة ١٩٤٨ يدخلون فى مواجهة الحكومة. فاعتقلوهم معنا أيضًا. كان وقتها يوجد جهاز سرى للإخوان، وكان هناك هاربون.

وفي معتقل أبو قير كان معنا أيضًا يهود. وكان منهم بعض الكبار وبعض الشباب. كان للشباب اليهودى تنظيمات النوادى وكان لهم أناشيد الهاجاناه. كان الشعور أنهم نادمون من تنظيمات صهيونية كانت موجودة فى البلد وكانوا فى نواد مفتوحة ولهم نشاطهم. وكان فيهم مجموعة كنا نسميها (البانكيرة) أى لأغنياء منهم. كانوا يخرجون ويعودون عن طريق علاقات بمأمور المعتقل.

بعد ذلك خرجت، ومن الناحية الشخصية بدأنا نمتحن ونحن فى المعتقلات، وأذكر أننى

نجحت لأنى كنت أشعر بمسئولية كبيرة تجاه أسرتى وأنه يجب أن أنتهى من الدراسة.

خرجنا فى أواخر ١٩٤٩، وبدأنا ننخرط فى العمل السرى والعلنى. وبدأت الحركة الوطنية تتبنى هدف الغاء معاهدة ١٩٣٦. بما فى ذلك من انخراط فى الكفاح المسلح والتدريبات العسكرية. وفى الجامعة رتبنا فرقًا ورتبنا تدريبات عسكرية وانخرطنا من خلال الأحياء السكنية ومن خلال الجامعة فى أشكال من الاستعداد للكفاح المسلح .. وفى كلية الطب أقمنا معسكر تدريب وكنا ندخل فى حوارات حول الكفاح المسلح.

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ طبعًا كان حريق القاهرة سببه الاستعداد والوضع فى القناة ٢٥ يناير بالتحديد كان اليوم الذى اصطدمت فيه قوات البوليس فى الاسماعيلية بالجيش الانجليزى.

وطبعًا سيحكم التاريخ على حريق القاهرة، فمن الذى استفاد من حريق القاهرة؟ القوى التى استفادت من حريق القاهرة هى التى كان لها مصلحة فى حرق القاهرة. ربما شاركت فى هذا بعض قوى وطنية مندفعة، إنما هى أساسًا مؤامرة استعمارية لاحباط وإنهاء الكفاح المسلح فى القناة والقبض على كل الناس المنخرطين فى هذا.

فى يوم ٢٦ يناير هذا كانت الاسكندرية صامتة جدًا والناس فى الشوارع مذهولة لا أعرف لماذا والمحلات كانت مغلقة، وكنت أسير أنا ولطفى الصاوى فى شارع سعد زغلول، فتقدم منا أحد رجال المباحث اسمه البشبيشى وأخذنا وقال لاشئ. مجرد تحفظ بسبب الذى يحدث فى البلد. فأخذنا، ونحن فى القسم.. قال حظكم سيئ حكومة الوفد أعلنت الأحكام العرفية. وبعد ذلك بيوم أو اثنين. أقيلت حكومة الوفد. ودخلنا فى معتقلات ١٩٥٢ . كان المعتقل فى النزهة. كنت خرجت فى نوفمبر ١٩٤٩ ثم عدت فى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

أعلنت الأحكام العرفية وبدأوا يقبضون على كل الناس المندرجين فى الكفاح المسلح واليساريين بداية من فتحى رضوان ويوسف حلمى حتى الحركة اليسارية كلها والحركة الشيوعية، وكنا فى معتقل النزهة وقد كان أصلا جراجًا لطائرات المطار البحرى. هذا المعتقل انتهى وضعه بطريقة غريبة. قررنا - وكنا حوالى ثلاثمائة من اليساريين - التمرد وقلنا لعائلاتنا ذلك فى يوم زيارة، فجاءوا خارج المعتقل. والخطة كانت أن نعتقل الحارس الذى على الباب- وكانت الزيارة فى غرفة المأمور- ونخرج وبالفعل أمسكنا بالحارس الذى على الباب وذهبنا لغرفة المأمور. كان هناك ضابط مباحث يحضر الزيارة فى هذا الوقت هو سيد فهمى - الذى أصبح وزيرًا للداخلية فيما بعد وأقيل بعد أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧.

إعتقلنا المأمور وضابط المباحث وبدأنا نجرى اتصالات بالصحف. جاءت قوات وحاصرت المعتقل فأخرجنا كل الأسرة للخارج وهجمنا على الباب بقصد الهروب. طبعًا نحن لم نتخذ قرارًا بالهروب عنوة. نحن نريد إحداث قلق شديد جداً. وطبعًا كانت الظروف تسمح بهذا. الدولة والحكومة مهزوزة جداً. فبدأنا نحاول الخروج ويمنعوننا، وبدأوا يحاصروننا حصارًا كاملا ويعملون نوبتجية ليلية.. وجاء ضباط ليسوا من الاسكندرية لا يعرفون شيئًا. وفى المعتقل أتذكر عبد المنعم ابراهيم لأنه كان عاملاً مثقفًا ولطيفًا كان يقول : لماذا نحن هنا؟ أليس لأننا ندافع عن كذا وكذا والفلاحين. والعساكر الذين فى الخارج هم أبناء الفلاحين والناس الغلابة. إذا حاولنا نخرج هل سيمنعوننا؟ ماذا ننتظر؟

وفى يوم وجدنا الميدان الذى أمام المعتقل مليئًا بكل قوات بوليس الاسكندرية. وقالوا هناك قرار بنقلنا للهايكستب.. طبعًا كان من البلاهة فى هذا الوقت أن نقاوم. حتى الضباط الذين أصبحوا أصدقاءنا دهشوا. قالوا نحن كنا مشفقين عليكم. كنا حتى هذه اللحظة بلا خسائر. القيادة اجتمعت وقالت نقبل قرار النقل. كان لدى فى هذا الوقت، امتحان بكلية الطب بعد أسابيع. كنت أنا والمرحوم زميلى سمير بديع. نقلوهم جميعًا، وتم ترحيلى أنا وسمير لسجن الأجانب لنكون قريبين من الامتحانات.

أثناء الامتحانات، سمعنا الطائرات وقالوا: هناك انقلاب. عدنا مرة أخرى لسجن الأجانب، وبعد يومين أتى لنا زهران رشدى وسمير درويش- حضرا كمعتقلين.

فى ٢٢ يوليو تم الافراج عن جميع المعتقلين، ماعدا أربعة عشر شخصًا وكنت من بينهم ربما لتوضيح أن مبدأ الاعتقال موجود.

أتذكر الآن شيئًا مهمًا. كانت قد بدأت فى الخمسينيات حركة السلام العالمى. وبدأت بما يدعى نداء ستوكهولم. كان النداء يدعو لعدم استخدام القنبلة الذرية. نداء بسيط جداً ومفيد لتجميع ناس، بدأنا نناقش الناس. من يقول لا؟ عندما نقول كلنا لا يكون لها قيمة، عندما ننظم لا هذه تكون لها قيمة أكبر. فحول نداء ستوكهولم خلقت حركة السلام العالمى.

طبعًا حركة السلام المصرية كان سكرتيرها يوسف حلمى المحامى. ونذكر فى هذا الوقت كمال عبد الحليم بكل ماله وما عليه فقد أنشأ حركة السلام وكان وراءها ولم يدخل فيها وأنشأ مجموعات الأدباء والفنانين.

فى هذا الوقت تكونت حركة السلام المصرية. كان سكرتيرها يوسف حلمى المحامى.

وكانت تضم البنداري باشا – محمد كامل البنداري – وحفني محمود باشا وآخرين. البنداري كان سفيراً لمصر في موسكو وعاد، وكان يسمى الباشا الأحمر.

من نداء ستوكهولم، تأسست حركة السلام المصرية وأعلنت اللجنة التحضيرية لحركة السلام المصرية. في هذا الوقت كنت مسئول حركة السلام في الاسكندرية، وانشأنا مكتباً في شارع سعد زغلول وبدأنا المحاضرات والندوات والتحركات والاشتراك في المظاهرات، وكان يحضر ناس كثيرون، وكنا نقوم بأعمال كثيرة.

مثلاً يوم مظاهرة المطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٦، سمحت الدولة بالمظاهرات، لكن لم يسمح لحركة السلام، وكنا جهزنا مجموعة لافتات ضخمة جداً. أولا لافتة رئيسية (الكفاح المسلح هو طريق التحرر والسلام) لأننا بالطبع كنا نريد أن نحارب الانجليز ثم لافتات ولافتات.

في هذه الليلة، تم تفتيش بيوتنا جميعاً. يومها دخلوا بيتنا وصعدت للصندرة حتى رحلوا. كل هذه اللافتات كنا نخفيها في بيت نواب كلية الطب. ففوجئوا بها وهي تنزل في المظاهرة. طبعًا كان جزء المظاهرة الخاص بنا أكثر أجزاء المظاهرة تنظيماً، الناس كلها شدت على أيدينا.

وفي مرة قلنا نحتفل بالعيد. فقلنا نذهب للنزهة بأولادنا وعائلاتنا. طبعاً كنا لا نقوم بحركة سرية. حركتنا معروفة. فذهبنا في أتوبيس واحد. فأخذنا البوليس لقسم على بعد حوالي اثنين كيلو. نحن مشينا والخيول حولنا وكنا نهتف بشعاراتنا ودخلنا بهذا الوضع للقسم، لدرجة أن عم مبروك ذهب إلى النزهة ولم يجدنا، فقيل له أنه تم اقتيادنا للقسم فجاء وزوجته وأولاده وقال لهم: أنا وأولادي وزوجتي في حركة السلام خذونا معهم.

هذه المظاهرة إنتهت طبعًا بتحقيقات نيابة. في هذا الوقت كنا نوعي رجال النيابة. كنا في العشرينيات كلنا أو أقل أو أكثر. وكان يقود الحركة الشيوعية كلها شباب عمرهم أقل من ثلاثين سنة.

إكتشفنا في هذا الوقت أننا مفروض أن نوعي وكيل النيابة. يتهموننا فنقول: أولاً نحن لم نتجمهر أو شئ: نحن كنا في حديقة.. ومن حقنا أن نتواجد فيها. قبضوا علينا، فجئنا معهم. ثم نحن نقول أننا حركة سلام، التي أعلنت لجنتها التحضيرية، التي تضم فلاناً وفلاناً وهذا الكلام نقوله لوكيل النيابة.. ترعية ما الحكاية؟ يوجد بيان رسمي وليس ممنوعاً. وهذه حركة تنادي بالسلام. لا نريد القنبلة الذرية ما الذي اخطأنا فيه؟ أنتم منعتمونا أن نحن نحتفل

بالعيد فى الحديقة. كنا نشعر أنه واجب علينا وجزء من دورنا إن نوعى رجال النيابة. وأفرج عنا جميعاً بدون ضمان.

كنا نقوم بجمع التوقيعات وكانت حملة جمع التوقيعات نفسها هى التى أوجدت حركة السلام. عندما ننظم أنفسنا نكون قوة وأتذكر أنه كان معنا أول فنان سينمائى مصرى - محمد بيومى وقد أنتج عنه فيلم تسجيلى لمحمد القليوبى وقد سجل معى عن هذا الفنان.

تحت راية حركة السلام تمت تحركات كثيرة، وكل هذا كان يصب فى الغاء معاهدة ١٩٣٦. وتثقف كثيرين من خلال حركة السلام. لأننا استغللنا هذه العملية ولنا مكتب ولنا محاضرات وندوات، بينما سرية الحركة الشيوعية كانت تقيدنا.

فى الفترة من اواخر نوفمبر ١٩٤٩ إلى ٢٦ يناير ١٩٥٢ واعتقالنا كانت مسئوليتى الأساسية حركة السلام فى الاسكندرية. وأعتقد أن الحركة لعبت دوراً كبيراً فى انخراط ناس فى تيار اليسار.

فى ١٩٥٢. أفرج عن كل الناس ماعدا أربعة عشر شخصاً. وكنت من بينهم. كان الباقون فى هايكستب. سواء كانوا موجودين أصلا أو انتقلوا هناك. هؤلاء رحلوا لمعتقل الطور.

إنتهيت من امتحانات كلية الطب، ورحلونى فى أوائل حركة الجيش. وفى هذا الوقت بدأت مظاهرات الطلبة. أيضاً من أجل التحرر الوطنى أيام محمد نجيب. الجامعة أضربت وكان يوجد نضال وطنى أيضاً. اعتقلوا طلبة فى معسكر جيش بالقاهرة. فى هذا الوقت رحلت وحدى من الاسكندرية للقاهرة لأكمل الأربعة عشر زميلاً فى معتقل الطور.

ثم تم ترحيلى لمعتقل الطلبة. وكانت هناك مجموعات من الطلبة الذين لم يكونوا معتقلين وكانوا قد انتهوا من الدراسة - أتذكر منهم عادل حسين صديقى العزيز الذى لا أعرف ما الذى حدث له - كان طوال الوقت لديه مسألة بروزه كزعيم. هذه ممكن تكون إيجابية. وأعتقد أنها وراء تغيره رغم احترامى له كمفكر اقتصادى. فى المعتقلات كان يقدم دراسات وطبعاً كتبه معروفه. إنما مسألة الزعامة هذه شعرنا بها جميعاً.

ومعتقل الطلبة الذى رحلت إليه كانوا يعتبرونه لوكاندة محمد نجيب الذى كان يقول فى ذلك الوقت : أبنائى الطلبة ضيوف عندى. وهذه ديماجوجية كانت موجودة حتى وهم يعتقلون الناس. كان الطعام الذى يقدم جيداً وعندما كان يتم الافراج عن دفعة كان يتم النشر عنها وتؤخذ صور للمفرج عنهم. وأنا فى معتقل الطلبة امتحنت باقى الامتحانات وعدت للمعتقل.

ونجحت وحصلت على بكالوريوس طب وجراحة سنة ١٩٥٢.

خرجت في ١٩٥٢ وكانت الأمور بدأت تضيق علينا.. تخرجت طبيباً وتخرج معي أيضاً أحمد لطفي الصاوي، وتم تعييني طبيب امتياز في سوهاج، ولطفي الصاوي تم تعيينه في أبو تيج، سافرنا في قطار واحد أيضاً. وأنا أسأل عن التعيين، تحدثت تليفونياً مع البيت- فقالوا لي : المباحث فتشت، ثم عرفت بعد ذلك أنهم عملوا قضية لمجموعة في ١٩٥٢ وأن هناك اعترافات. وكان السؤال بيني وبين لطفي الصاوي - ماذا نفعل؟ نحن الآن سنكون أطباء. .. ثم عرفنا أننا سنذهب لسوهاج. نذهب أم لا؟ سؤال بالنسبة لي على الأقل - ذهبوا لاعتقالي وفتشوا ولم يجدوا شيئاً كالعادة.

سافرنا فعلاً في ١٩٥٢ وعملت مع مجموعة من الأطباء مازالت لي علاقة بهم حتى الآن. كنا نتثقف ونقرأ.

إنتهيت من الامتياز بعد سنة، وكانت الأحوال في الاسكندرية متوترة جداً، ظللت في سوهاج ستة شهور. ثم تم تعييني في مبرة المنيا لمدة أربعة أيام، ثم اعتقلت. كانت قد بدأت حملة ١٩٥٤ التي ذهبت فيها لمعتقل أبو زعبل. كان معنا مجموعة أدباء منهم يوسف ادريس وابراهيم عبد الحليم وفتحي خليل وزهدي.. مجموعة كلها معروفة.

كنا ندخل معارك داخل السجن كأطباء من أجل الحالة الصحية. وفي يوم من الأيام بدأوا يفرجون عن ناس. نادوا دفعة إفراج .. كان من بينها يوسف إدريس وأنا، وخرجنا مع هذه الدفعة، وهم ذهبوا للمباحث لاجراءات الافراج ونحن ذهبنا لسجن مصر أنا ويوسف إدريس. ودخلنا عنبر من أوله لآخره إخوان ووضعونا في زنزانة واحدة، وهذا ممنوع في لوائح السجون. وتعايشنا مع الإخوان المسلمين. كان أهاليهم يأتون لزيارتهم ويسألونهم عن أحوالهم فيقولون لهم نحن بخير واطمئنوا علينا، كان عندهم عدوى أمراض جرب وسل.. قلت لهم قولوا لأهاليكم : نحن مرضى واذهبوا للحكومة. ووقتها أتت حملة للفحص الطبي ونقلوا كثيرين منهم.

ظللت في سجن مصر، إلى أن طلبوا مرة يوسف ادريس. وكانوا قرروا أن يفرجوا عن مجموعة الأدباء والفنانين ليذهبوا السودان ويتصلوا بالحزب الشيوعي السوداني لإصلاح الأوضاع. وظللت وحدي. كانت الحكومة دخلت في مشكلة السودان وتريد عقد لقاء مع أية قوة سياسية موجودة، فأفرجوا عن مجموعة الادباء ليقابلوا السودانيين ويتناقشوا في الأوضاع.

والذى حدث أنهم لم يذهبوا، لكن أفرج عنهم.

فى هذا الوقت كنا نحكى أنا ويوسف ادريس كل شئ.. وبعد أن أفرج عنه وأنا لازلت موجوداً بالسجن، صدرت له (قصة حب) وكان البطل فيها حمزة، وهى التى تحولت بعد ذلك الفيلم «لا وقت للحب» طبعًا كان شرف كبير أن يجعلنى رمزاً لمرحلة.

خرجنا فى أوائل سنة ١٩٥٦، وانخرطنا فى النضالات اليومية، كنت أصبحت طبيبًا وأعمل بالطب وكانت هناك حركة نقابية للأطباء ونظمنا إضراباً للأطباء لبعض مطالب.

دخلت انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ – كان عمرى فى هذا الوقت ثلاثة وثلاثين عاماً– وكنت مرشحاً فى بلدنا. وكان يوجد حوالى ثمانية مرشحين فى الدقهلية، وكانت الراية الحمراء مرفوعة. وكنا مكتسحين لدرجة لا يتخيلها أحد. أولاً بلدنا تيد فيها – كان أول مرة المرأة تقيد فى جدول الانتخابات– قيد فى بلدنا نوسا الغيط من السيدات أكثر من اللاتى قيدن فى مدينة الاسكندرية كلها .. كان ذلك من أجلى. كنت عندما أخرج من المعتقل يطبلن ويزغردن، بلدنا كما قلت متفتحة. فأصبحت نوسا الغيط قاعدتى التى أتحرك منها فى كل مكان، وكنا نذهب للقرى الأخرى نأخذ معنا مدرسين أو أحداً يعرف أهل البلد. فى منية سمنود بلد رأفت سيف لم نكن نعرف أحداً إلا فراشاً فى مدرسة يعرف مدرساً، فأتى بالمدرس الذى ظل يناقشنا. قال نحن كونا لجنة هنا تحدد من الذى سننتخبه.. قال : كل شخص يأتى لنا يقول نحن سنعمل كذا وكذا ثم لا يفعل شيئًا، الذى سيفعل لنا شيئًا مقدماً هو الذى سننتخبه. كان معنا مدير بنك تجارى وأخو كمال عبد النبى الذى كان سفيراً لمصر فى فرنسا.

ذهبت للمقاهى وأول شئ قلته – أنا لن أفعل لكم شيئًا لأن نائب مجلس الأمة هو نائب عن الشعب وليس عن دائرة، ولن تحل مشاكلكم على حساب أى مكان اخر، نحن دورنا أن ندرس مشاكلنا فعلاً ونقدمها، وما يمكن عمله فعلاً نفعله وما يمكن للدولة أن تفعله– إنما من خلال الأوضاع والخطة العامة– أى كنت أفهمهم ماذا يعنى دورنا فى مجلس الأمة. فوقف رجل وقال والله والله، الذى يقول لن أفعل لكم شيئًا هو الذى سيفعل لنا كل شئ. وأمسك يدى بقوة وقال هذا هو مرشحنا، الذى جاء راكبًا الاوتوبيس، الذى يقول لن أفعل. خرجت من منية سمنود هذه وصوتى مبحبوح لكن معى كل البلد. وهى من أكبر البلاد الموجوده فى الدائرة. ذهبت لمركز أجا لأخطب فى مسجد ولكن البعض احتكوا بى والناس انقسمت قسمين ناس معى وناس ضدى. وجدت الأولاد فى مدارس ثانوى قرروا القيام بمظاهره من أجلى. وطلبونى

وكل الشعارات كانت ضد الاستعمار وأسلوب جديد تماما اتصلوا بى من أجا - المركز الذى به المدارس - وقالوا الطلبة سيخرجون بمظاهرة من أجلك وتعال اليوم. وفى اليوم صدر القرار أن الذين سبق اعتقالهم يرفع اسمهم من الترشيح للانتخابات.

فقامت مظاهرات فى البلد. بعد ذلك رفع اسمى فعلاً فى هذا الوقت كان محمد كامل البندارى باشا مرشحاً فى الاسكندرية وكانت عيادتى فى باكوس - وفيها حديقة- جعلناها مركزاً للانتخابات. وكان أيامها راديو لندن وصوت أفريقيا يقولون عنه الباشا الأحمر كنوع من الابتزاز. وكان فى العيادة يثقف الناس بالاشتراكية وتجربته فى الاتحاد السوفيتى. لأنه كان سفيراً وهو كان أصلا وكيل الديوان الملكى وباشا فذهب بهذا التكوين صادقًا فآمن بالاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى. وعاد داعية للاشتراكية. كان يكتب فى «الملايين» وكانت محاضراته أعظم محاضرات فى الاشتراكية قيلت فى هذه الأيام فى فترة الانتخابات.

وبالنسبة لوضعى التنظيمى. كنت عضو لجنة منطقة الاسكندرية وكنت مسئول حركة السلام فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

الحركة الديمقراطية كان لها خط جماهيرى أساسى متماسك، موجود فى صحفها (الجماهير) و(الملايين) و(الكاتب) التى كنا نوزعها فى كل مكان. وكتيار كان هو الغالب جماهيريا. لدرجة أن الزملاء فى «الراية» عندما بدأوا يظهرون .. الحزب الشيوعى المصرى .. بدأوا يرسلون بطريقتهم المغلقة منشورات للناس الظاهرين فى الحركة السياسية وكان من بينهم بعض أساتذة كلية الطب. وكان أولئك الاساتذة يقولون أكيد المباحث هى التى ترسل ذلك.

طبعا الخط الجماهيرى لحركة الديمقراطية كان خطًا عارمًا بالفعل. وبالنسبة لموضوع الانقسامات والاتفاقات فلم تكن هذه المسألة واضحة فى الاسكندرية، وقد ظللت فى الحركة الديمقراطية حتى تمت الوحدة فى ١٩٥٨.

كنا بشكل عام فى الاسكندرية أعضاء فى الحركة الديمقراطية أساساً. ثانياً : لم ننخرط كأفراد فى أى انقسامات. وقد كانت نضالاتنا وحركتنا كثيرة، حتى أن ذاكرتى لاتتذكر أية تفاصيل للمناورات والانقسامات لقد كنت فى الحركة الديمقراطية وظللت كذلك. حتى الحزب الموحد الذى انضممت له إلى أن اعتقلت فى ١٩٥٩. وأنا استمريت فى الحركة الديمقراطية حتى حل الحزب وذهاب كل واحد إلى حاله، وذلك الحل يسأل بخصوصه المسئولون عنه.

منذ عام ١٩٥٢ كان التاريخ تاريخ نضال وطنى عام تمسكه الثورة بيدها وتقوده هى، وكنا نحن وسط الناس نقوم بعمل ودعاية، كان لنا وجود لكن لا أتذكر أنه كانت هناك معارك أساسية. فى سنة ١٩٥٦ المقاومة أساساً كانت فى القناة. وكنا منخرطين كيسار فى الأشكال التى تؤسسها الدولة من تدريبات عسكرية و.. وانضممت لجنة المقاومة الشعبية. ومعى كارنيه.

وبمناسبة الكارنيهات، فى الأربعينيات ظهر مرض الكوليرا. الحركة الديمقراطية شكلت لجاناً للكوليرا ... هذه اللجان كانت لجان توعية وتنظيم لأخذ المصل ووصلنا لتنظيم الناس فى شكل لجان انضباط وعملنا لهم كارنيهات. وجمعنا أناساً كثيرين. ومرة طلبت - المحافظة أو الجهات البلدية - الكارنيهات ليختموها.. فأخذوا كل الناس وأخافوهم منا رغم أننا جمعنا كثيرين فى حملة الكوليرا. كان هذا جزءاً من كفاح الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

بعد ذلك حدثت مشاكل مع الثورة، وكذلك وقعت مشاكل داخل الحزب حتى اعتقالات أول يناير ١٩٥٩. اعتقلت فى الدفعة الأولى وكانت هناك قضيتان. قضية لمجموعة الحركة الديمقراطية وقضية لمجموعة الذين قالوا نحن الحزب. فى القضية كانت هناك مضبوطات وتحقيقات، وأنا لم أقدم فى قضية، بعد التحقيقات وأرسلنا لمعتقل القلعة، ثم من القلعة للواحات الخارجة، وظل المعتقلون هناك خمس سنوات، وخلقنا حياة هناك. أقمنا مزرعة ممتازة، وملعب سلة وحمام سباحة وبنينا مسرحاً ومدرجات وكنا نمثل أعمالاً لصلاح حافظ والفريد فرج - حلاق بغداد تم تأليفها وتمثيلها مثلاً فى المعتقل -وصلاح حافظ ألف مسرحية. طبعاً كانت حياة عارمة فى قلب المعتقل.

لكن أتذكر شيئين فى المعتقل. فجأة وصل المعتقل من يدعى اسماعيل همت. كان وكيل مصلحة السجون. وكان لديه فرقة اسمها فرقة همت وكان رأيه أن المعتقلين يقيمون تآلفاً مع الناس فى المعتقلات البعيدة. وكان ضد هذا. وجدنا همت وفرقته وصلت المعتقل. لم نتصور أبداً أن فيها خيراً.

بعد ذلك وجدناهم يستدعون ثلاثة أو أربعة فيخرجون ثم نسمع أصوت استغاثة غير آدمية، ناس يكسرون ويموتون وصيحات وصمت رهيب. ما الذى يحدث؟ لا نعرف.

يومها تفلسفت. قلت إما هؤلاء الناس يخرجون فيقتلوهم مثلاً أو سيموتون، إذا لم تمت أكيد سنتذكر هذا اليوم ويمكن نجد أشياء نضحك عليها حدثت. إذا متنا فلا داعى للحزن فى الفترة التى سنكملها هنا. فكره غريبة!!

كانوا يأخذون المعتقلين بين صفين من ناس يمسكون شومًا وعصى، يتهالون عليهم بالضرب، إلى أن يقعوا فى مكان معين، يجردونهم من ملابسهم المدنية كلها ويعطونهم ملابس السجن، بدون أحذية ويقصون شعورهم، وينقلون للعنبر الآخر تحت السياط والشوم أيضاً.

يومها كان هناك ضابط .. وكيل السجن – اسمه عبد العال – شعرنا بالذى يحدث. قلت له: ياعبد العال بك الناس الموجودون هنا مرضى، طبعًا كنّا نقيم علاقات بالضباط ونعالج أهلهم. وكان هناك ضابط زميل اسمه محمود المناستيرلى وابن عمه ابراهيم وكم شخصاً أخذهم عبد العال من يدهم وأنا معهم. مررنا من هذه الحكاية لكن خلعنا ملابسنا.

فى هذا اليوم جبست أكثر من زميل كان فخرى لبيب من بينهم.

انتهى اليوم وظللنا نضحك على ما حدث. وفى اليوم التالى فى الصباح وقفنا طابوراً وعدونا على أساس أنه لأول مره سنخرج خارج الأسوار. وطلب من الضابط عبد العال أن يوقع باستلامنا لكنه رفض أن يوقع وخرجنا خارج السجن لأول مرة فى طابور وحولنا العساكر.

خرجنا خارج السجن بملابس السجن وبدون أحذية. خرجنا للصحراء وقالوا سوف تستصلحون الأرض. بدأنا نجمع الرمال من مكان ونضعها فى مكان آخر. والعساكر يضربون وذلك فى وجود اسماعيل همت الذى وقف على رأس القوة القاتلة لشهدى عطية.

فكرت وماذا بعد؟ أخذت قراراً شخصياً أن أناقش اسماعيل همت وكان شكل النازى. قلت ماذا سيحدث؟ إما يقتلنى أو يحدث أى شئ. قلت له: نحن معتقلون منذ كذا وداخل المعتقل. بالنسبة الخروج والعمل لسنا ضد ذلك. ياريت نستصلح هذا المكان. إنما الذى يحدث هذا ليس استصلاحاً هذه سخرة.. ناس تحمل رمال وتلقيها وتضرب. فرد على وقال لى عندى أوامر ألبسكم ملابس سجن وأشغلكم. وهذه طريقتى فى تنفيذ الأوامر. عندما أدخل بيتنا، أولادى يقفون صفًا بجوار الحائط. هذا أسلوبى وأربى أولادى هكذا.

الناس لم تفهم ما الذى حدث ووجدونى أتكلم مع الرجل. فبدأوا يتكلمون واشتركوا فى الكلام. هو يقول أنتم الشيوعيون لديكم ناس أغنياء. بدأ يتكلم فى السياسة بطريقة عبيطة طبعًا. وبدا بعض الهدوء فى النقاش. الناس يقفون حول اسماعيل همت يتكلمون. فبدأت العساكر تنتظر وتهدأ ومر هذا اليوم بخير.

بعد ذلك خرجنا بعد أن غادرنا، وبدأنا نستصلح ونزرع فعلا ونأكل من زرعنا. كان هذا

يوماً خاصاً جداً.

يوم خاص آخر. كان عندنا مأمور اسمه فريد شنيشن، هذا المأمور كان جسمه ضخماً وكان يحكيّ عن الذى يفعله ويقهقه، ويقول : وضعته على العروسة وكان دمه ينزف وراها.. ثم كان يقوم بحملات كثيرة ويكسر ر..

فى ليلة وجدنا المعتقل يفتح ويستدعونى أنا وصلاح حافظ. كنا أحياناً نعالج الشاويشية ونعالج الضباط. دخلنا فيلا المأمور. كان لديه ولدان ثلاث سنوات وأربع سنوات. كان لديه أقراص درن لونها جميل اسمها (سيتا زيل) الأولاد تناولوها، وكانوا يحتضرون، سهرت أنا وصلاح حافظ وصارعنا موت الاولاد، والمعتقل كله استيقظ. لم يمت الولدان وأنقذا، أعطينا لهما منبهات وغسيل معدة.

فريد شنيشن بعدها تحول إلى إنسان يحكى ويبكى، كل القشرة الفظيعة هذه نزعت وظهر الانسان داخله. مثلا يوم انفصال سوريا، عقدنا مؤتمراً ووجد أننا ناساً وطنيين، فكان يبكى تأثراً بموقفنا وأنهى سنته وصمم أن يعود سنة أخرى ليعطينا شيئًا كإنسان. كان محمود السعدنى يقول لو قابلنى فى الخارج وأنا لا معتقل ولا شئ وهو لامأمور ولاشئ سيضربنى أيضًا.. تحول .. كيف يتحول المرء لإنسان؟ وكانت له علاقة مع الناس فى الخارج. هو مات، وكان على صداقة كبيرة بزملاء.

ايضاً كان زميلنا اسماعيل عبد الحكم مريضاً بالصفراء وهبوط فى الكبد حاد جداً. وهذه الحالات تموت. ما بين الإصابة والغيبوبة فترة قصيرة جداً. غيبوبة كبد. أيضًا صارعنا ضد الموت صراعاً رهيبًا جداً. إلى أن تقرر نقله إلى القاهرة فى طائرة. أخذونى معه فى الطائرة. ووصلنا لمستشفى القصر العينى.

خرجنا من المعتقل سنة ١٩٦٤ وكانت العلاقات المصرية السوفيتية تتحسن. وناس دخلت التنظيم الطليعى ر.. ولم أنضم له. وطبعًا تم حل الحزب وانخرطنا فى أشكال الاتحاد الاشتراكى، ودخلت انتخابات الاتحاد الاشتراكى.

شهادة

شحاتة عبد الحليم

البيانات الشخصية

الاســــــم : شحاتة عبد الحليم

محل وتاريخ الميلاد : محافظة البحيرة مركز كفر الدوار - ٩ مايو سنة ١٩٢٦

المــؤهــلات : الظروف العائلية لم تكن تسمح باستمرار الدراسة.

المــهــنــة : عملت فى بعض الأعمال الحرة وأنا صغير وفى الإجازات المدرسية لأساعد الأسرة، ثم فى إدارة النقل العام محصلاً من سنة ١٩٤٤ حتى سنة ١٩٤٧ حيث فصلت .

فترة السجن والاعتقال : اعتقلت سنة ١٩٤٨ حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠، ثم من منتصف مارس سنة ١٩٥٢ حتى ٣٠ يوليو ١٩٥٢، ثم من ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ حتى ابريل ١٩٥٦، ثم من يناير سنة ١٩٥٩ حتى إبريل سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :(*)

والدى مزارع كان يملك قطعة أرض لما بدها إستأجر غيرها ثم ترك الزراعة وعمل فى هيئة النقل العام محصلاً ثم أحيل على المعاش.

فصلت سنة ١٩٤٧ كما ذكرت بسبب توزيع منشور ضد صدقى لمصادرته مجلة الجماهير.

كيف تعرفت على الفكر الماركسي :

أثناء عملى بالترام كنت أتحدث عن مشاكل العمال، وكنت أميل إلى يسار الوفد ممثلا فى «صوت الأمة» وكتابات مندور وعادل فهمى والطليعة الوفدية وبعض شعارات مصر الفتاة عن الاشتراكية والعدالة رغم أنهم ليسوا كذلك. وكان يركب معنا الترام من سيدى جابر طالب بكلية التجارة اسمه إيهاب الجزيرى لفتُ نظره وكان على علاقة كبيرة بعمال الترام. ناقشنى وجندنى. وقتها كان هناك «إسكرا» والحركة المصرية ثم اتحدنا وكونا «حدتو» الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى. وعندما فتح إيهاب مكتبًا فى المنشيه أخذنى معه وكنا نوزع الجماهير فى باكوس بمنطقة الرمل. وحين صودرت الجماهير وأثناء توزيعى لمنشور ضد صدقى بهذا الخصوص على قهوة السور كان هناك ضابط مباحث أمسك بى وكان معى رزمة

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق

تخلصت منها لكن كان معه نسخة. فى النيابة قلت إن المنشور وزع علىّ وأنا فى القهوة علنا فأفرجت عنى النيابة. إتصلت المباحث بالهيئة وكانت الأولى مهيمنة على الأمور وتم فصلى فعملت فى بعض الحرف إلى أن اعتقلت سنة ١٩٤٨. كانت أغلبية المعتقلين من تنظيم حدتو، حدث إنقسام عبد المعبود الجبيلى «التكتل الثورى» بعد ذلك وكان أغلبهم من المثقفين وأساتذة الجامعة. كان وعينا محدوداً وعلاقاتنا بهم طيبة فكان طبيعيًا أن نكون معهم فأصبحت مع «العمالية الثورية». تحركنا بعد خروجنا من المعتقل على هذا الاساس، ثم بدأ أغلب هؤلاء المثقفين يبحثون عن مصالحهم واستكمال دراساتهم للحصول على الدكتوراه، وقدمت لهم حكومة الوفد تسهيلات واغراءات فى هذا السبيل. سافر عبد المعبود الجبيلى وعبد العظيم أنيس وعبد المنعم خريوش وحسين كمال الدين لانجلترا وفرنسا فضعف التنظيم. عقدنا مؤتمراً موسعًا بالقاهرة حضره عبد المعبود الجبيلى وأحمد الرفاعى وأنا وعدلى جرجس وأحمد خضر وسيد عبد الوهاب ندا وآخرون، وساد الاجتماع جو من السخط وعدم الاستعداد فى الاستمرارية. كان أبرز من حضر الاجتماع عدلى جرجس، وعقب الاجتماع حرص عبد المعبود على أن نسير سويا وأخبرنى أن ظروفه العائلية صعبة وأن الاعتقال أثر على والدته وأنه سيسافر للحصول على الدكتوراه، فأجبته بأن أحداً لا يرغمه على شئ هو غير مستعد له، فقط كان يجب أن يصارح الزملاء بهذا الكلام. سافر وقابلته بعد ذلك وهو وزير الله يرحمه.

ظهرت فكرة «النجم الاحمر» لعدلى جرجس، كنت أنا وعبد المنعم شتله وأحمد خضر وسيد عبد الوهاب ندا نفكر فى نفس الاتجاه، أسسنا «النجم الأحمر» وأصدرنا نشرة داخلية توزع على الزملاء والناس باسم «النجم الأحمر» وبعض النشرات. وبرغم فصلى من هيئة النقل العام، استمرت صلتى بعمال الهيئة دفاعا عن مصالحهم وعملنا لقاءات سياسية فى حدود الممكن ووزعنا منشورات وكتبنا على الجدران، وشاركنا فى المظاهرات وفى اللجان الشعبية لمساندة الأعمال الفدائية فى القناة. وصل عبد المقصود أبو زيد وهو عامل من تنظيم العمال والفلاحين وتعرف بى وكذلك محمد بدر الله يرحمه، وتعاونا فى لجان أنصار السلام. حدث تنسيق بين العمال والفلاحين والنجم الأحمر إلى أن حدث حريق القاهرة فهربت شهراً بعده اعتقلت فى معتقل الزمة. بعد يناير سنة ١٩٥٢ جرت مناقشات بين الزملاء فى حدتو والمعتقلين، كانت مناقشات ناضجة وموضوعية ومنطقية درستها من خلال الوقائع التى عشتها واتفقت معهم على العودة إلى حدتو. رحلنا إلى الهاكستيب وفى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أفرج عن عدد ضخم من الزملاء لم أكن منهم ولا فؤاد منير ولاجمال غالى وبعض الزملاء.

حضرت إلى المعتقل لجنة النظر فى أوضاع المعتقلين من فتحى رضوان وسيزا نبراوى ويوسف حلمى الذى كان مستقلا، وقدمت طلبا. قلت لفتحى رضوان كل زملائى من الإسكندرية خرجوا إلا أنا. قال ما اسمك؟ قلت شحاتة عبد الحليم، أكمل هو: محمد .. وستخرج بعد يوم أو يومين. وخرجت أنا وجمال غالى يومها من الهاكستيب.

كان موقف حدتو من ثورة سنة ١٩٥٢ هو التأييد، وكان أحمد حمروش يلعب دور الاتصال بين الاسكندرية وقيادة الثورة. تعرفنا على عاطف نصار وعبد الحليم الأعصر شقيق زميلنا عبد المحسن الأعصر، وهو إنسان جيد ونظيف وشريف وكان مندوب قيادة الثورة فى الاسكندرية، وكان يتصل بنا وبهم عبد المنعم الغزالى مسئول الاسكندرية فى ذلك الوقت.

كان كثير من الشركات ليس بها نقابات عمالية، اسمها الآن لجان نقابية، مثل سباهى والعربية وكتان الشرق والطويل والحرير الصناعى. وقلنا مادمنا نؤيد الثوره فلتساعدنا فى تحقيق مطالب العمال. شكلنا لجاناً تحضيرية ونقابات بمساعدة كل الزملاء، عملنا زيارات الشركات وقابلنا العمال ومعنا رجال الثورة. عاد العمال المفصولون وكذلك المفصولون من النقل العام وعرض على العودة، لكن الزملاء رفضوا لأظل متفرغًا، كانت حركتنا فى الإسكندرية أكبر من أى محافظة أخرى، كونا لجنة تحضيرية لاتحاد العمال فى الإسكندرية ولجنة فرعية للجنة القاهرة، وكنا على صلة بأحمد طه وبالزملاء فى القاهرة. حاول البوليس السياسى منع عقد اجتماع موسع فى النقابة المهنية للسائقين فاتصلنا بعبد الحليم الأعصر فقال : اعقدوا الاجتماع. وتم الاجتماع تحت حماية قوات الجيش وحضر الاجتماع أحمد طه.

أحداث كفر الدوار:

رغم تأييد كل الناس للجيش كنا كلنا مع مطالب العمال ومشاكلهم. إتجه وفد منا إلى كفر الدوار أنا وعبد المنعم الغزالى وصابر زايد وزملاء لا أذكرهم، نظمنا لقاءات مع مجاميع من العمال فى المساكن العمالية بعد الإضراب، وأثناء المحاكمة عرفنا أن العمال خرجوا لتأييد الثورة والمطالبة بمطالبهم من الشركة فى مسيرة سليمة. عرفنا أن أناساً ليسوا من الشركة وأشخاصاً مأجورين دخلوا المسيرة وأشعلوا الحرائق فى بعض العربات، وعرفنا أن الشركة لها دور فى هذا الموضوع لتضرب العمال بالجيش. اتصلنا بعاطف نصار وعبد الحليم الأعصر وشرحنا لهما الحقيقة فتبنيا موقفنا وحاولا تصحيح الوضع لكن يبدو أنه كان هناك إصرار على عمل شئ، وحدث ما حدث. استنكرنا الوضع وحدتو استنكرت الوضع فى منشور

ضد المحاكمة على أنها ليست عادلة وأيضاً بعد انتهاء المحاكمة وتنفيذ الحكم .

قيل إننى وعبد المنعم الغزالى ركبنا سيارة كانت تطوف بكفر الدوار وتدعو العمال إلى التهدئة وهذا لم يحدث نهائياً. كنا نمر على العمال بأقدامنا لنوضح لهم الحقيقة.

لقد وصلنا إلى كفر الدوار بعد القبض على خميس ولم ندع العمال للهدوء لأن العمال كانوا قد هدأوا بالفعل وفى بيوتهم وأوقف العمل والمصنع مغلق ويشهد بذلك عبد الحليم الأعصر.

ولقد أدانت الحركة الديمقراطية الذى حدث فى كفر الدوار. وأعلنا حقيقة الاحداث بدليل اعتقالنا أنا ومجموعة من الزملاء من الإسكندرية ومن القاهرة فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٢ أى بعد أحداث كفر الدوار وأرسلنا إلى السجن الحربى بعد مكوثنا يومين فى سجن الأجانب بالعطارين وأقمنا بالسجن الحربى حتى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣. لم يكن هناك تعذيب، لكن زنانزين انفرادية ونأكل أكل السجن، ثم رحلنا إلى معتقل الزيتون حيث تجمع كل المعتقلين من جميع المحافظات لمدة ليلة واحدة ثم إلى معتقل الطور. كان المكان أفضل بعض الشئ عن سنة ١٩٤٩، نزلنا فى الدرجة الأولى التى ينزل فيها الحجاج، غرف نظيفه ومطبخ مجهز وكان معنا من الوفد عطية الألفى تاجر الموز المشهور وعباس حليم ،لذلك وضعونا فى هذا المكان. أقمنا حتى أوائل سنة ١٩٥٤ ثم رحلونا على جميع سجون الوجه القبلى: بنى سويف والمنيا وأسيوط وقنا، وإلى بنى سويف ذهبت أنا ولطفى الخولى وعبد المحسن حمودة ومجموعة من الزملاء من الاسكندرية والقاهرة، نظمنا اعتصاماً فى سجن بنى سويف، أجروا تحقيقاً معنا. حضر مدير مصلحة السجون فواجهناه بشدة، وأنا بالذات كنت فى اللجنة العامة للمعتقل، وأجريت معه مناقشة حادة بعدها، كان معنا إبراهيم عبد الحليم. اختاروا مجموعة من البارزين ورحلونا إلى سجن قنا والبعض للمنيا وأسيوط. فى سجن قنا كنا فى زنانزين انفرادية نأكل طعاماً مدنياً بالاتفاق مع المتعهد، وكان جمال عبد الناصر قد أطلق تصريحاً يقول فيه أنه ليس لديه معتقلون سياسيون إنما عملاء لدولة أجنبية. يوسف حلمى بشجاعة أرسل تلغرافاً لجمال عبد الناصر، لا أعرف كيف وصل إليه قال فيه: نحن فعلا عملاء، لكن لمصر وهى بالنسبة لك دولة أجنبية. فرحلوه من الزيتون إلى قنا وحده. وحدثت ضجة كبيرة فى العالم فأعادوه إلى الزيتون مرة أخرى، بعد فترة أعادوا تجميع كل المعتقلين فى أوردى ليمان أبو زعبل، وفى سنة ١٩٥٥ طلب رجال الثورة من يوسف ادريس وابراهيم عبد الحليم وفتحى خليل السفر إلى السودان ليقنعوا السودان بعدم الاستقلال والانفصال عن مصر لكنهم

اشترطوا الإفراج عن جميع المعتقلين. رفضت الحكومة وقالوا لو أفرجنا عن هؤلاء لن نستطيع جمعهم مرة ثانية. أرسل عبد الناصر للسودان زكريا محيى الدين وكان وزيراً للداخلية. اشتد الصراع بين الحكومة وبين بريطانيا وأمريكا حول التسليح وكان يتم التحضير لباندونج. أعلن دستور ١٩٥٦ وانتخب رئيس الجمهورية وخرجنا من المعتقل فى يونيو سنة ١٩٥٦ وحضرنا الاحتفال فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس فى المنشيه

بدأت تغيرات وتحولات، كنا نعمل فى حرية أكثر بين العمال ونصدر منشورات فى اتجاه المصالح العليا للوطن والشعب، اتصلنا بالقوى الديمقراطية وبالنقابيين الذين لعبنا دوراً فى تكوين نقاباتهم. عندما بدأت انتخابات سنة ١٩٥٧ اتصلنا بمجموعة من العناصر المستقلة وبعض الضباط وبعض المعادين للسلطة لينزلوا فى مواجهة العناصر الغير جيدة، رشحنا عبد الحليم الأعصر فى الجمرك وآخر فى كرموز أو راغب أو فى باب شرق وكامل البندارى فى باكوس والرمل وأنا فى المنتزه. وكان لنا برنامج مشترك، تحركنا كثيراً بين الجماهير واستخدمنا عيادة الدكتور حمزه البسيونى مركزاً لنشاطنا. فوجئنا بغلق بعض الدوائر وبالذات الدوائر التى نحن فيها، أغلقوها على ناس معينين، كتبوا تقريرا يقول أن فى الاسكندرية مئات من الشيوعيين، والحقيقة أن العدد لم يكن كذلك إنما النشاط كان واسعاً جداً.

اختلفنا مع الثورة حول الوحدة المصرية السورية، كنا نطالب بوحده ديمقراطية فيدرالية وليست اندماجية، وكانوا يريدون حل الحزب الشيوعى فى سوريا لو تمت الوحدة. نشطنا فى اتجاه الديمقراطية وعملنا اجتماعات ومنشورات كنا نطبعها عند ولد جرئ أتمنى مقابلته الآن. ثم تمت سنة ١٩٥٨ بين التنظيمات الثلاثة وحدة شاملة، الحزب الشيوعى المصرى. ظهرت خلافات بين المصرى والعمال والفلاحين من جانب وحدتو من جانب، وبدأت اتصالات تتم على أساس أن الجانب الأول يجهز للاستيلاء على الحزب وطرد زملاء حدتو، وبدأت حدتو تجمع نفسها. فى الاسكندرية كانت الأغلبية ضد موقف حدتو وأنا منهم، كان زملاء حدتو يخرجون على أساس أن الآخرين يتآمرون عليهم، وكانت الأغلبية تقول بالبقاء وكشفت هذه الاشياء أن حب الوحدة متاصل فى الناس وكنت من هؤلاء وزملاء آخرون.

وفى ليلة رأس سنة ١٩٥٩ اعتقلنا ورحلونا إلى سجن القلعة ثم سجن مصر وكانت القضية الأولى تنظيم شيوعى : ٦٤ زميلاً، أنا وفؤاد مرسى ود.اسماعيل صبرى ونبيل الهلالى والمستكاوى ومحمود العالم وعوض الباز وحلمى يس ويوسف درويش وريمون دويك وآخرون،

حوكمنا فى اسكندرية أمام محكمة عسكرية وصدرت الاحكام وأنا أخذت ٣ سنين.

فى المحاكمة لم أقدم دفاعًا سياسيًا، قدمت دورى فى الحركة النقابية والحركة الجماهيرية والوطنية ضد الاستعمار ومع الحرية. أغلب المحاكمين لم يقدموا دفوعًا سياسية وكانت الادوار مقسمة، كان على اعتراف من شخص كان يعمل معنا وهو مهندس اسمه حسنى ويصا. اعترف على فؤاد مرسى وكثير من الزملاء ثم تراجع بعد ذلك. تم ترحيلنا إلى أوردى ليمان أبو زعبل. كنا أول دفعة دخلت الأوردى. أخذنا علقة قوية على ضوئها تبينا جو الحبسة. تشكلت لجنة عامة للاتصال بالادارة يشترط فيها القوة والصلابة، وكنت أنا وشبل اسماعيل منها، وكان مناضلاً قويا الله يرحمه، انضم فى النهاية بعد خروجنا لحزب الحكومة وأصبح رئيسًا للمجلس الشعبى في بنى سويف ليتمكن من خدمة بلده. هكذا قال لى وقام بأعمال عظيمة فى خدمة بنى سويف.

تعرضت اللجنة العامة لتعذيب أشد وتحملنا مالا يتحمله بشر ومع ذلك كنا نساعد الزملاء مثل لويس عوض فى تكسير الزلط وفى حمل الزملاء المكسورين. أخذنا قرار بالا نهتف بحياة عبد الناصر، الصفوف الأولى تهتف بحياة مصر. استدعانى الضابط عبد اللطيف رشدى كى اكسر الزلط الكبير انتقامًا منى. أذكر أن سعد الساعى وأمين هشام اسماعيل وكل الزملاء الأقوياء كانوا يساعدون الزملاء الضعفاء. وأذكر مواقف قوية وصلبة للمرحوم سعد الساعى ولعريان نصيف. مدير مصلحة السجون شكك فى وطنيتنا وتصدى له سعد الساعى، استمر التعذيب والضرب وتحملنا حتى أن أعدائنا بدأوا يحسبون لنا ألف حساب ويحسدوننا على صلابتنا.

حدث قتل شهدى عطية وحدثت ضجة فى الخارج من أجله وأجلنا، ووجه عبد الناصر فى البرلمان اليونانى واليوغسلافى فأرسل كما علمنا فيها بعد أمراً بإيقاف التعذيب.

عندما عرفنا الحقائق الخاصة بما حدث فى اجتماعات اللجنة المركزية واتفاق المصرى مع العمال والفلاحين ضد حدتو ليتخلصوا من كمال عبد الحليم عن طريق التآمر واعتراف البعض من خلال خلافات الراية مع العمال والفلاحين عدنا إلى الحزب الشيوعى المصرى (حدتو).

صدرت قرارات التأميم وانفصلت سوريا فى سبتمبر سنة ١٩٦١ وتحدث عبد الناصر عن مجموعة اشتراكية تضم كل الاشتراكيين. وبدأت تحليلات وأوضاع جديدة واتصالات تتم بين الداخل والخارج من السياسيين، تقريبًا عن طريق أحمد حمروش وكانت علاقته قوية بعبد

الناصر.

ظهرت في الداخل فكرة المجموعة الاشتراكية، وكانت حدتو أكثر حماسا لها، وهذا يتسق مع تأييدهم للثوره ووجود خالد محيي الدين ويوسف صديق بمجموعة ضباط لعبوا دوراً أساسيًا في نجاح الثورة وفي برنامج الثورة، ولأن حدتو كانت أقرب التنظيمات من المطبخ السياسي للثورة ولا ننسى تصفية الإقطاع والتأميم وضرب المصالح الأجنبية .. كل ذلك أدى إلى لقاء سياسي بين السلطة وحدتو في الأساس.

بدأت تحليلات سياسية داخل المعتقل. أصحاب تحليل الاحتكار، وشبه احتكار السلطة (فوزي منصور وفؤاد مرسي) تراجعوا عنها بعد ذلك وكانت تحليلات حدتو أكثر وضوحًا مستندين لحقائق ووقائع موجودة. جاء خروشوف مصر وقال لا يمكن توجد اشتراكية والشيوعيين معتقلون. كانت المباحث تهاجم الناس الضعفاء، من يكتب استنكاراً تفرج عنه، أما الأقوياء فكانوا يتكلمون معهم باحترام. وفي اسكندرية قلنا لهم أنتم كلاب سلطة، أي سلطة، وفي أيام الملك كنتم كذلك.

أفرج عني في ابريل ١٩٦٤ وعقدنا اجتماعات استمراراً لمناقشات حدثت بالداخل حول المجموعة الاشتراكية وأنه معروض على شيوعيين أن يدخلوا تنظيم الاتحاد الاشتراكى مع مجموعة منتقاة من رجال الثورة، ليس كل الناس بشرط عدم وجود تنظيمات أخرى.

عقد مؤتمر وحضرته، كان في بيت المرحوم يوسف صديق، ودارت المناقشات حول هذا المفهوم، وقد حضر ذلك المؤتمر أكثر من ستين أو سبعين زميلاً.

دارت مناقشات حول أن عبد الناصر يرى ضروره حل جميع التنظيمات والدخول في تنظيم واحد هو قائده وزعيمه.

أخذنا قراراً بأننا لا نحل أنفسنا، التنظيم لا يحل وتكون علاقتنا واتصالاتنا مستمرة، لكن ليس على أساس تنظيم مواز للتنظيم الآخر، وطلب منا أن نفوض شخصًا بأخذ القرار النهائي، ففوض كمال عبد الحليم الذى قال إنه ينهي الوضع المستقل، إذن ستحل نفسك!! لكن ينبغي أن نكون على اتصالات ولو حدث تراجع منهم ممكن نعيد النظر، في هذا الاجتماع وقف اثنان من حدتو ضد هذا القرار، هما المرحوم محمد عباس وطاهر البدرى وأعلنا موقفهما ولكن قالا نحن معكم ونستمر في اتصالاتنا.

عندما عدت إلى الاسكندرية حافظنا على روابطنا، صابر زايد ومحمد يونس وسيد

البسيوني وسعد الساعي وأحمد مصطفى. كنا نعقد لقاءات منظمة حتى نرى ما الذي سيحدث. كنا قيادة اسكندرية لكن لا نكون تنظيماً، فقط نحافظ على العلاقات.

المستويات التنظيمية التي مررت بها داخل التنظيم:

كنت عضواً عادياً ثم عضو لجنة قيادة اسكندرية حتى النهاية. وفي فترة كنت مسئولاً عن الاسكندرية، وعندما تأسس الحزب الشيوعي المتحد كان المرحوم سعد رحمي مسئولاً عن اسكندرية وأقام فيها.

احترفت من ١٩٥٢ حتى دخلت المعتقل سنة ١٩٥٩ وكان في الاسكندرية محترف آخر هو سعد رحمي وبعد خروجي ١٩٦٥ وفر لي عبد الحليم الأعصر مقابلة مع حمدي عاشور وكان رئيس مجلس إدارة هيئة النقل، والذي رفض عملي في الحركة بالهيئة، حصلت مناقشة مع المستشار القانوني للهيئة والمدير العام وانتدبوني من محصل قديم وثبتوني موظفاً في الشئون القانونية..

وأود أن أذكر أنه قبل الاعتقال كانت لي علاقة بعمال النسيج، ولعبت دوراً في تكوين النقابات في الحرير الصناعي، الطويل، الشركة العربية، كتان الشرق، شركة الاسكندرية للنسيج. في الحرير الصناعي كانت علاقتي وثيقة بالعمال عن طريق واحد نشط هو أول رئيس للنقابة.

كانت علاقتي بكل الزملاء من كل التنظيمات طيبة وحتى الآن. من الراية د.حمزة البسيوني وحسن المناويشي ومحسن ناصر، ومن العمال والفلاحين فتح الله محروس وقبله عبد المقصود أبو زيد، لم يكن انتمائي لحدتو يمنع هذه العلاقات الطيبة. الجميع عندي مناضلون شيوعيون، كنت أؤمن بوحدة الشيوعيين على أساس وثائق ومؤتمر برنامج ولائحة ووحدة فكر وسياسة، كانت هذه وجهة نظري .

سبب انقسامية الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥:

السبب مواقف ذاتية أساسا، صراع على القيادة والبقاء بها بصرف النظر عن المبادئ والقيم والأخلاق باستثناء بعض الناس المحترمين.

سبب أزمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥:

نعم. مسألة الأزمة التي انتهت بانهاء وجودنا، أو حتى قبل إنهاء وجودنا، أننا لم نستطع فعلاً أن نتغلغل ونبنى قواعد حقيقية وسط العمال والفلاحين بحيث يكون هناك ضمان لوجود حزب وتيار اشتراكى وفكر اشتراكى فى وسط الطبقة العاملة والجماهير الشعبية، وتأتى هذه المشكلة من الانقسامات الموجود، والاتهامات المتبادلة بالبوليسية أو العمالة، كيف يثق الناس بالشيوعيين وهم مختلفون ولا يثق البعض فى البعض الآخر، بالإضافة إلى الذاتية المتغلغلة فى القيادات ، بالإضافة إلى عدة جهود متضافرة لضرب الحركة الشيوعية المصرية : الاستعمار ومخابراته ومباحث أمن الدولة والسلطة الموجودة وإسرائيل. أنا لا أتهم كل اليهود بأنهم سيئون لكنى لا أرحب أن يكون فى القيادة أجنبى.

وهناك تكرار اعتقال الكوادر والذى لا يعطى فرصة لبناء قواعد، السلطة لم تعطنا الفرصة للتواجد بين الناس، مرض الانقسام موجود حتى الآن والمخابرات الأمريكية وصلت الاتحاد السوفيتى فما بالك بمصر والدول العربية، جميع الدول العربية حالتها سيئة وخاصة مصر فهى مستهدفة من العدو الخارجى نظراً لمكانتها.

وأود أن أشير إلى أنه لم تكن توجد ديمقراطية داخل التنظيمات ولم تكن تعقد مؤتمرات.

وفى الختام أتمنى أن تفيد هذه الشهادات الصريحة فى المساعدة على كتابة تاريخ الشيوعيين وأن نستفيد من تجارب الشعوب الأخرى.. الانقسامات فى إيطاليا وفرنسا وما جرى فى الاتحاد السوفيتى يؤثر فينا.

نحتاج إلى ناس عباقرة ومخلصين سواء كانوا على رأس الناس أم لا، يعملون متجردين. المصريون عانوا من الاضطهاد، من الظروف المعيشية الصعبة، ليت الناس تبحث وثائق وبرامج ولوائح وتقارير لتوضيح هذا الوضع ولكى تستفيد منه الإجيال القادمة.

شهادة

فؤاد مصطفى[١]

البيانات الشخصية

الاســـــــــــم : فؤاد مصطفى ابراهيم حسنين.

محل وتاريخ الميلاد : ٣ نوفمبر ١٩٢٩/ الإسكندرية.

المــــؤهــــلات : بكالوريوس العلوم الزراعية.

المـــهـــنـــة : مهندس زراعى بوزارة الزراعة.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : عشرون عاماً.

فترة السجن والاعتقال : ٣ أيام سنة ١٩٥٠ حركة أنصار السلام (اعتقال)

٢ أيام سنة ١٩٥٤ (اعتقال)

خمس سنوات سنة١٩٥٩ (اعتقال)

١٦ يوماً سنة ١٩٨٨(اعتقال)

التعرف على الفكر الماركسى :

تعرفت على الفكر الماركسى بقراءاتي الفردية لبعض الكتب التى أصدرها عام ١٩٤٩ دكتور راشد البراوى : التفسير الاشتراكى للتاريخ، وبعض كتيبات منظمة حدتو عن طريق عضو سابق قديم هو المرحوم عادل صادق رجب.

المواقف السياسية قبل الانضمام إلى الحركة الشيوعية:

قبل الانضمام إلى التنظيمات كنت متعاطفًا مع الإخوان المسلمون، وكنت أحضر بعض ندواتهم بالإسكندرية فى مقرهم بباكوس.

التنظيمات التى ارتبطت بها :

ارتبطت بالحزب الشيوعى المصرى (الراية) ١٩٥٢ ثم بطليعة العمال عام ١٩٥٦.

الارتباط الأول عن طريق تعرفى على المرحوم محسن الأعسر.

وتم الارتباط الآخر عن طريق الزميل متولى مصطفى السلماوى.

مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة :

الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لم تكن له ارتباطات عمالية ذات شأن ولم يشارك فى أى معارك أو نضالات نقابية، أما تنظيم طليعة العمال فكانت له ارتباطات عمالية وكان يشارك فى بعض المعارك والنضالات النقابية والاقتصادية فقط.

دور التنظيم وسط الفلاحين :

لم ألاحظ أى دور للتنظيمين وسط الفلاحين.

المجلات والنشرات التنظيمية التى كان يصدرها التنظيم، والكتب والدراسات :

كان الحزب الشيوعى المصرى (الراية) يصدر جريدة «الراية» باللغة العربية وجريدة بالفرنسية تسمى «مصر المناضلة». أما الكتب والدراسات التى أصدرها تنظيم الراية فهى :

صراع الطبقات فى مصر - نحو فن وأدب جديدين - ثورتنا المقبلة.

أما دور كلا التنظيمين فى نشر الثقافة الماركسية فقد كان ضعيفاً للغاية ولم تحدث توعية كافية لأعضائهما وكان اهتمامهما ينصب على المعركة الوطنية ضد الاستعمار دون التوعية بالصراع الطبقى.

محاولات التنظيم لدراسة الواقع المصرى :

لم تكن هناك محاولات جادة ماركسية أو طبقية لدراسة الواقع المصرى فكانت كلها كتابات مكتبية صادرة عن مثقفين منعزلين عن حركة الشارع المصرى.

المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها :

بالنسبة لتنظيم الراية كنت فى عام١٩٥٢ عضو لجنة منطقة الإسكندرية، وقد تم تصعيدى دون أن أكون قد مارست أى عمل جماهيرى بين صفوف العمال، وكان الاعتماد على أننى مثقف وقارئ دءوب للماركسية ولم أشعر أننى فعلت شيئاً له قيمة سياسية فى هذا المستوى.

موقف التنظيم من التنظيمات الأخرى :

كانت كافة التنظيمات لاتثق فى التنظيمات الخارجة عنها، وكان موقفى السياسى ملتزماً برأى التنظيم لعدم خبرتى السياسية، ثم بدأ تغيير هذا الموقف وبدأ التنسيق مع كافة التنظيمات لتكوين حزب واحد وكنت ملتزماً أيضاً برأى التنظيم.

الموقف من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ :

كان التنظيم موافقاً على وحدة ٨ يناير وكنت ملتزماً بهذا الموقف. أما موقفى بعد فترة فقد اعتبرت أن هذه الوحدة الشاملة هى مؤامرة مخططة من قبل السلطة الحاكمة حتى يتم وأد كافة التنظيمات كرمة واحدة ودفنها للأبد.

الموقف من سلطة يولية :

كان موقف التنظيمين من سلطة يوليو: أنها مؤامرة أمريكية لإقامة فاشية عسكرية (الراية)، وديكتاتورية عسكرية (طليعة العمال). ثم تغير موقفهما بأنها سلطة وطنية منذ عام ١٩٥٥. أما موقفى وقتها وحتى الآن فلازال أنها دكتاتورية عسكرية أقامتها المخابرات الأمريكية لضرب الحركة السياسية للشارع المصرى. وسأوضح وجهة نظرى تفصيلاً بعد قليل.

الموقف من أحداث كفر الدوار عام ١٩٥٢ :

كان موقف التنظيمين من أحداث كفر الدوار أنها تأكيد لرأيهما السياسى بأنها فاشية أو دكتاتورية عسكرية لسحق الحركة العمالية وحركة الشارع المصرى المتصاعدة. وموقفى هو أنها كانت مذبحة دنشواى الجديدة ودليلاً على أن سلطة يوليو جاءت لضرب الحركة الشعبية والعمالية وقطع الطريق أمام أى نشاط سياسى أو نقابى.

الموقف من ضرب السلطة للاخوان عام ١٩٥٤، ومن مؤتمر باندونج وتأميم قناة السويس :

منذ عام ١٩٥٥ بدأ التنظيمان سياسة المهادنة للسلطة والتأييد الواضح لسياستها بالنسبة لضرب الإخوان، وبالنسبة لمؤتمر باندونج، وبالنسبة لصفقة الأسلحة التشيكية، وبالنسبة لتأميم

قناة السويس والعدوان الثلاثى وبالنسبة للأهداف العسكرية. وكان التأييد للسلطة شديداً وواضحًا أما المعارضة فكانت خافتة وعلى خجل. وذلك يوضح موقفى بأنها بدأت فى طريق لتسليم للسلطة ثم التخلى عن مواقفها المستقلة.

الموقف من قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية :

كان موقف التنظيمين هو تأييد قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية. أما موقفى فكان أن التمصير يتم لتثبيت وتدعيم رأسمالية الدولة البيروقراطية الدكتاتورية وإحكام قبضتها على حركة الشارع المصرى، وهو الأسلوب المتبع فى كافة دول العالم الثالث لقطع الطريق أمام نمو الحركة الشعبية الاشتراكية.

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

عند إتمام الوحدة المصرية السورية كنت عضواً بحزب ٨ يناير وكان رأى التنظيم هو تأييد الوحدة مع المطالبة بإعطاء حريات سياسية حتى تكون الوحدة على أساس ديمقراطى، وكان التنظيم يؤيد وجهة نظر السلطة حول القومية العربية مع بعض الخلافات البسيطة وليست الجوهرية.

الصراعات السياسية والتنظيمية داخل السجون والمعتقلات :

كانت الصراعات السياسية والتنظيمية داخل المعتقلات والسجون صراعات غير مبدئية ولا طبقية تدور بين مثقفين بورجوازيين لا يؤمنون بالماركسية ولكن يؤمنون بالاشتراكية الطوباوية أو بالاشتراكية الديمقراطية (الإصلاحية).

وبناء عليه فليس هناك أى تراث نظرى طبقى ثورى يمكن أن يقدم للأجيال الاشتراكية الوليدة.

وضع المنظمات الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، والانقسامية وحل المنظمات وأزمة الحركة :

لم تكن التنظيمات السابقة فى مجملها سوى فرق نقابية أو وطنية برجوازية، ولهذا أعترض بشدة على عنوان هذه الدراسة فهى ليست دراسة عن الحركة الشيوعية المصرية بل عن الحركة

النقابية والوطنية فقط. وللتدليل على أن كافة التنظيمات السابقة لم تكن ماركسية بل كانت فرقًا ذات خط سياسى انتهازى أتول إنها اندثرت تماما وسلمت قواعدها المخلصة إلى السلطة الدكتاتورية. إن الصفة الأساسية للتنظيم الماركسى هى استمراريته حتى فى ظل الفاشية كما حدث فى ألمانيا وإيطاليا وكثير من الدول الدكتاتورية فى أمريكا اللاتينية التى ظلت أحزابها الشيوعية فى تواصلها واستمراريتها.

كانت تلك التنظيمات تتناول قضية الصراع الطبقى تناولاً برجوازيًا انتهازيًا، ولم تقم بتوعية وتثقيف قواعدها تثقيفًا ثوريًا حيث كانت أغلبية الأعضاء قليلى الاطلاع على النظرية، خاصة جوهرها – الصراع الطبقى – وليست لديهم تجارب فى الميدان السياسى والتنظيمى، وليست لديهم عن الماركسية سوى فكرة غامضة مغلوطة استقوها من الكتابات الانتهازية وأدى ذلك إلى هبوط المستوى النظرى والسياسى والتنظيمى وتسرب العقلية الانتهازية. وتفاقم الحيرة الفكرية والانحرافات السياسية والارتباك فى شئون التنظيم، وكان ذلك واضحًا أثناء الصراع السياسى بمعتقل الواحات الذى اتسم بالاسفاف والتهافت والبعد عن قضايا الصراع الطبقى والشارع المصرى.

كانت قيادات هذه الفرق تضلل قواعدها وتطعنها من الخلف وهى تتفاوض سرًا مع السلطة الحاكمة وتبشرها بأنها فى طريقها إلى حل كافة التنظيمات وأنها ستقف ضد من يحاول إحياء أى تنظيم جديد(راجع وثائق الحل المقدمة كهدية إلى السلطة)، ووقف عضو واحد فقط موقفًا مخلصًا لقضية التنظيم هو الرفيق لربس إسحق، وكانت السلطة تعى أن مجرد وجود عضو قيادى واحد غير موافق على الحل سيكون النواة لإحياء التنظيم، واشترطت السلطة الموافقة على الحل بالإجماع. هنا اتخذ عدد قليل جداً من أفراد القيادة قراراً للتخلص من هذا الرفيق وتم التآمر مع السلطة حيث جرى اغتياله بواسطة أحد القناصة. وفوراً قررت السلطة الإفراج عن كل أفراد القيادة فخرجت وهى مسلحة بفكرها الانتهازى وهو آن لأبطال وحدهم يصنعون التاريخ فلا حاجة لوجود تنظيمات.

وقامت السلطة بتقديم الرشوة لهؤلاء القادة بالمناصب الكبرى : وزراء – أعضاء فى البرلمان – رؤساء مجالس إدارة ... الخ. هذا فى الوقت الذى كانت تحارب القواعد الشريفة فى وظائفها الصغيرة.

إن هؤلاء المثقفين البرجوازيين يتجلببون بثوب الماركسية لاستخدامها فى إخضاع حركة العمال لصالح المجتمع البرجوازى، لذا يجردون تعاليم ماركس ولينين وستالين من جوهرها

الأساسي، وبدلاً من الدعوة إلى النضال الثورى يدعون إلى تأجيل النضال بحجة إيجاد البديل، وسيظلون قرونا يبحثون عن البديل وهم يتجاهلون أن البديل هو النضال الدائم والدءوب. ويستمر هؤلاء القادة فى نقد الماركسية وزعمائها التاريخيين كنوع من الموضة بحجة تجديدها، ولكنهم فى الحقيقة يسعون لمحاربتها وتفريغها من مضمونها.

الموقف من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

كانت ولازالت وجهة نظر الأغلبية العظمى من الزملاء تمثل نهجاً برجوازياً صغيراً يبتعد عن التحليل الطبقى والجدلى ويتهرب من تفسير وتسمية هذا النظام الدكتاتورى الحاكم الذى يقود بإصرار وتصميم وتخطيط الأسلوب الوحشى والدموى فى التعامل مع قضايا الفكر والعمل السياسى، لتصل فى النهاية إلى محاولة إقناع الناس أن هذا النظام وطنى وتقدمى يعمل لصالح الفئات الشعبية. هذا هو مرض الطاعون المزمن الذى أصاب كافة الفرق والجماعات التى تدعى اليسارية، وهو مرض المديح والتأييد لبطل القتل والقهر والتعذيب. وكان فكر التنظيمات المختلفة هو الفكر الذى يصيب أجزاء واسعة من المجتمعات لأنه فكر مثالى ميكانيكى مائع مضلل يحمل صفات التردد والتذبذب والفردية والخوف وضيق الأفق، ولا يستطيع الربط بين الأحداث والظواهر لأنه ضد الجدلية.

لقد قامت حكومة عبد الناصر العسكرية بتصفية القوى الوطنية من كافة الاتجاهات ليكبل الشعب فى السلاسل والحجلات. يالها من خدمة كبيرة يقدمها «الزعيم» للاستعمار الأمريكى والرأسمالية العالمية. وإذا لم يكن هذا الدكتاتور زعيماً وطنياً فماذا كان سيفعل بشعبه أكثر من ذلك ؟!!

إن قضية الحجر على الفكر وتقييد حرية التنظيم والعمل السياسى والنقابى والنشاط الاجتماعى يجب أن أتناولها فى جزئيتين : أولا : الاعتقال، ثانياً : التعذيب.

من المهم أن نبحث هذين الموضوعين كلاً على انفراد، ثم نربط بينهما. إذا سلمنا – كما تدعى تلك التنظيمات – بأن عبد الناصر كان زعيماً وطنياً واشتراكياً فاعتقد – بحسن نية – أن استقلالية وحرية الفكر للأفراد والطبقات والجماعات والأحزاب ستكون عقبة فى طريق «وطنيته وتقدميته الشديدة»، إذا سلمنا بصحة ذلك فعليه أن يلجأ إلى قوانين الطوارئ وإلى تطوير وتقوية أجهزة الأمن والمباحث والمخابرات .. الخ ولينشئ ترسانة القوانين التى تجرم الحريات، وليفتح عشرات المعتقلات وليملأها بكل من له صلة بالتفكير الحر. لنتفق على هذا

ولينته الموضوع بعد أن ضمن أنه صار يحكم بمفرده، وليس فى طريقه أى معارض، وأصبح الجو هادئاً أمام حكومته .. وهذا يكفى .

فلماذا إذن يلجأ - بعد ذلك - إلى هذه الأساليب الوحشية من القتل والتعذيب النازى بهذا الكم والكيف؟ لماذا يلجأ إلى تعذيب مسجونين وأسرى مقيدين بالحجلات تاركين خلفهم شعباً خائفاً يخشى أن يفكر؟

نصل هنا إلى قلب القضية التى توضح الدور الذى لعبته حكومة عبد الناصر وأمثاله من العسكريين الفاشيين فى دول ما يسمى «بالعالم الثالث».

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد هزيمة جزء كبير من الرأسمالية العالمية الممثل فى ألمانيا وإيطاليا واليابان، مع نصر ساحق للنظام الاشتراكى، اجتاحت شعوب العالم حركات التحرر الوطنى والديمقراطى وزداد حماس الشعوب ومساندتها للنظام الاشتراكى العالمى. وأمام هذا التيار الجارف قررت الرأسمالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة وقف أو عرقلة هذا التيار خاصة بعد أن زاد نفوذ الفكر الشيوعى واشتد نضال الطبقة العاملة الذى أخذ يلعب دوراً كبيراً داخل الحركات الوطنية والديمقراطية والشعبية. وإذا كان الشعب المستعمر يمتلك ولو هامشاً ضيقاً من الحركات السياسية والنقابية فإن هذا هذا الهامش يزداد اتساعاً مع استمرار النضال وازدياد نفوذ الطبقة العاملة والشيوعيين.

هنا يجب على الرأسمالية العالمية أن تحرف هذا النضال باستخدام سلاحين : (١) سلاح الشعارات الديماجوجية (٢) سلاح عزل الشعوب عن الانخراط فى العمل السياسى والتنظيمى والنقابى.. الخ.

بدأت المخابرات الأمريكية ومراكز الرأسمالية العالمية فى استخدام وسيلتها داخل جيوش ما يسمى «بالعالم الثالث» حيث أننا نعلم أن جهاز الجيش هو أكثر أجهزة السلطة البرجوازية تخلفاً لأن وظيفته هى القهر والقمع. وبدأت سلسلة الانقلابات العسكرية داخل دول «العالم الثالث» دون استثناء، وساعدت العسكر على استلام السلطة بشكل انقلابى مفاجئ بعيداً تماماً عن أى حركة جماهيرية. ويأتى أصحاب الكابات رافعين الشعارات الديماجوجية لذر الرماد فى العيون : محاربة الاستعمار، القضاء على الاستغلال، القضاء على الفساد، بناء حكم ديمقراطى، الاشتراكية، إذابة الفوارق بين الطبقات .. الخ. وفى نفس لحظة رفع هذه الشعارات يدعون أفراد الشعب إلى الهدوء والسكينة وحل تنظيماتهم أو أحزابهم أو أى تجمع لهم والتزام بيوتهم. وعلى وجه السرعة توجه السلطة العسكرية نيرانها إلى الطبقة العاملة

لإرهابها بشل حركتها، وبالحقد الطبقى تقيم لهم مذبحة دنشواى الجديدة فى كفر الدوار وتشنق خميس والبقرى.

إن استراتيجية الرأسمالية العالمية والبند الأول فى جدول أعمالها الدائم هو عزل الشعوب عن العمل السياسى والجماهيرى والتنظيمى، ولن يستطيع القيام بهذه الوظيفة بسهولة ونجاح سوى حاكم من أبناء البلد.

وللبرهنة على وجهة النظر هذه أقدم بعض الوقائع على سبيل المثال فقط :

(١) قام السفير الأمريكى فى مصر عام ١٩٥٢ وهو «جيفرسون كافرى» بدور رئيسى مع مجلس قيادة الثورة الذى كان يلازمه دائماً وكأنه عضو بهذا المجلس، وكان يحبذ ويؤيد قيادة عبد الناصر لهذا المجلس !!!

(٢) أنشأ عبد الناصر فى أواخر الخمسينيات «مكتب مكافحة الشيوعية فى الشرق الأوسط» التابع مباشرة لرئاسة الجمهورية وأسند رئاسته إلى ضابط المباحث المعروف حسن المصيلحى، وكان هذا المكتب يحوز موافقة وإعجاب المخابرات الأمريكية.

(٣) جاء «روانترى» مندوب الولايات المتحدة فى زيارة خاصة لعبد الناصر فى أواخر عام ١٩٥٨ للتفاهم ولترتيب العمل حول عمليات الاعتقال والتعذيب المطلوبة فى كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق.

(٤) الانزعاج الشديد الذى أصاب الدكتاتور عبد الناصر عندما شعر بوجود حركة شعبية ديمقراطية فى العراق أثناء حكم عبد الكريم قاسم، فقام عبد الناصر بحملة مسعورة رجعية استعمارية وساند بكل قوته عملاء الاستعمار الأمريكى فى بغداد مثل الشواف وعبد السلام عارف، وعندما قام السفاح على صالح السعدى عميل المخابرات الأمريكية فى العراق بنشر المذابح والمشانق فى شوارع بغداد والموصل وكركوك وقتل مئات الشيوعيين والديمقراطيين، كان عبد الناصر هو الحاكم الوحيد فى المنطقة الذى وقف مع السعدى مقدما له كل عون وتأييد رافعاً شعار «اقتلوهم فى الشوارع .. واقتلوهم فى كل مكان». (يمكن الرجوع إلى خطب عبد الناصر فى الصحف المصرية يناير وفبراير ومارس ١٩٥٩).

ويجب أن أوضح ملاحظة هامة وهى أن عبد الناصر كان يدعى أنه يقف مع حركات التحرر الوطنى كما وقف مع الجزائر فإنه يساعد ويساند الجناح اليمينى العسكرى ليتسلم السلطة ويقيم معسكرات الاعتقال للديمقراطيين واليساريين كما هو الحال فى كل من الجزائر والعراق وسوريا واليمن.

(٥) عندما وصلت الحركة الجماهيرية الشعبية فى سوريا إلى درجة عالية لجأ حاكم سوريا اليمينى شكرى القوتلى إلى عبد الناصر مهرولاً طالبًا منه النجدة لضرب الحركة الديمقراطية هناك. فعجل الاثنان بالوحدة المصرية السورية الهزيلة وأوفد عبد الناصر مخابراته ومباحث وجيشه ليوجه ضرباته للشعب السورى، ففتحت أبواب سجن المزة لاستقبال الديمقراطيين واليساريين وهرب الكثير من الأحرار من سوريا، وأغلقت كل دور النشر التقدمية التى لعبت دوراً هاماً فى محاربة الاستعمار والرجعية. وامتدت يد عبد الناصر الملطخة بالدم لتخطف المناضل فرج الله الحلو من لبنان لتعذيبه وقتله وإذابته فى الحامض.

(٦) لم ينس سيادته الجامعات المصرية التى لعبت دوراً وطنيًا ضد الاستعمار والملكية فقام بفصل ٥٤ أستاذاً جامعياً فيما تسمى بمذبحة الجامعات.

(٧) قام عبد الناصر بتصوير فيلم سينمائى لطابور السخرة فى أبو زعبل وذلك لغرضين:

أ - أن يستمتع الدكتاتور بمنظر طابور السخرة الذى يضم شخصيات اجتماعية عديدة إرضاءً لشهوته الدموية.

ب - تقديمه كمستند للأمريكان ليشهدوا بقدرته على قيادة حملات مكافحة الشيوعية فى الشرق الأوسط (أرجو الرجوع إلى كتاب «لعبة الأمم» الذى ألفه أحد رجال المخابرات الأمريكية).

(٨) عندما بدأ الشعب الفلسطينى فى تكوين الكيان الفلسطينى قام عبد الناصر بدوره الرجعى فى خدمة أمريكا واعتقل العديد من أعضائه وأقر الزملاء المعتقلون أنهم تعرضوا لتعذيب عبد الناصر أكثر من تعرضهم لتعذيب حكومة تل أبيب!!!

(٩) استدعى عبد الناصر طبيباً ألمانياً نازيًا اشتهر بتخصصه فى التعذيب بعد هروبه من ألمانيا إلى جنوب أفريقيا فجاء إلى السجن الحربى وشاهده بعض الزملاء.

إن طبقة البرجوازية الصغيرة - أوسع طبقات المجتمع - هى الرصيد الدائم والمنبع المستمر لظهور الفاشية العسكرية والفاشية الدينية، فنجد حزب هتلر يضم أعدادا كبيرة منها، كذلك الفاشية الدينية فى مصر، وهذه الطبقة هى التى شكلت كتل الجماهير «الهتيفة» لسلطة عبد الناصر.

الموقف من القومية العربية:

إن شعار القومية العربية الذى رفعته التنظيمات السابقة لم يكن إلا شعارا برجوازيًا رددته خلف عبد الناصر، وهو ينطوى على مفهوم الضم والقهر والكبت للطبقات الشعبية، والدليل على

شهادة

متولى[1] السلماوى

البيانات الشخصية

الاســــم : متولى مصطفى السلماوى

محل وتاريخ الميلاد : ٢٧ مارس ١٩٢٢ - مركز فوه - كفر الشيخ

المــؤهــلات ليسانس الحقوق، ليسانس فى الفلسفة، ليسانس فى علم الاجتماع، دبلوم الدراسات العليا فى علم الاجتماع، دبلوم دراسات البحر المتوسط، ماجستير فى علم الاجتماع شعبة التنمية، دكتوراه فى علم الاجتماع (شعبة التنمية)

المــهــنــة عملت بالشئون القانونية بوزارة الأوقاف فى دمنهور ثم الإسكندرية ثم عملت بالمحاماة، وحالياً متفرغ للكتابة.

فترة السجن والاعتقال : اعتقال فى المدة من ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ إلى ٢ مايو سنة ١٩٥٦، واعتقال فى المده من ١/١/ ١٩٥٩ إلى آخر أبريل ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

ولدت لأسرة تنتمى إلى كبار ملاك الأرض بفوه بكفر الشيخ، فوالدى من عائلة السلماوى ووالدتى من عائلة رجب، وقد درست المرحلة الابتدائية فى فوه، والمرحلة الثانوية بطنطا ثم انتقلت إلى الإسكندرية للدراسة الجامعية حيث أعيش حتى الآن.

ومنذ صباى الباكر أحببت القراءة، وأغرمت بروايات المنفلوطى، لعل تلك الروايات وما رأيته من عنف وطغيان ملاك الأرض تجاه الفلاحين هو الذى جعلنى أنحاز بمشاعرى ناحية الفلاحين، ثم جاءت قراءاتى لسلامة موسى وخالد محمد خالد لتؤكد انحيازى للفقراء واقترابى من الاشتراكية، وكان لقراءاتى عن الثورة الفرنسية وقراءاتى لأعمال الفيلسوف روسو أثر كبير فى عشقى غير المحدود للحرية، واعتبارها أسمى قيمة فى الحياة، وأذكر أنه كان لمدرس العلوم فى المدرسة الثانوية أثره الهام فى انحيازى لقضية الديمقراطية والحرية.

الارتباط بالحركة الشيوعية المصرية :

فى عام ١٩٥٢ ارتبطت بمنظمة الحزب الشيوعى المصرى «الراية» وفى أثناء إعتقالى الأول فى الفترة من ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ إلى مايو ١٩٥٦، وفى عام ١٩٥٦ تحديداً، ومن خلال مناقشتى لبعض الزملاء فى المعتقل تركت منظمة «الراية» وارتبطت بطليعة العمال، أى أننى

• أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق

خرجت من المعتقل مرتبطاً بمنظمة «طليعة العمال»، والسبب فى ذلك أننى وجدت فى منظمة طليعة العمال ما لم أجده فى منظمة الراية. فمنظمة الراية لم يكن فيها ديمقراطية وأنا بطبيعتى أعشق بل وأعبد قيمة الحرية، وقيمة التواضع، واحترام الناس، والإنصات إليهم والاهتمام بهم، ووجدت كل ذلك فى منظمة طليعة العمال التى كان يسودها التعاون والتواضع والجانب الإنسانى، والترابط الشديد بين الأعضاء، خاصة وأن معظم الأعضاء كانوا ينتمون إلى الطبقة العاملة والفلاحين.

كان نشاطى يتركز فى الجامعة، وفى بداية دراستى الجامعية أصدرت كتيباً صغيراً عن رسالة الجامعة أحدث ضجة كبيرة بين أساتذة كلية الحقوق لأننى طالبت فيه بأن تكون دراسة القانون دراسة علمية بمعنى أن تجيب تلك الدراسة عن السؤال الخاص بمصدر القانون، وأى الطبقات يصدر المشرع القانون لمصلحتها، ولعل صدور ذلك الكتيب كان سبب اعتقالى فى المرة الأولى.

وبالطبع كان المناخ الذى ساد الجامعة منذ يوليه ١٩٥٢ لا يسمح بأعمال جماهيرية، وأذكر أن جمال عبد الناصر زار كلية الحقوق فى زيارته لجامعة الإسكندرية فى الفترة الأولى لسلطة يوليو، ورفعنا نحن الشيوعيين شعارات الديمقراطية وهتفنا من أجل الحرية وضد النقطة الرابعة الأمريكية، واشترك معنا الطلبة الوفديون وطلبة الطليعة الوفدية، ولم يشترك معنا الإخوان المسلمون بل وهاجمونا.

كما ساهمت فى نشاط أنصار السلام بالإسكندرية، وكنت أقوم بتوزيع مجلتهم ونشراتهم على نطاق واسع.

المواقف السياسية قبل الانضمام للحركة الشيوعية :

قبل الثورة كنت أحب الوفد، وكنت ومازلت أحب الزعيم مصطفى النحاس، وأعتبره زعيماً وطنياً وديمقراطياً، وأذكر هنا انتخابات عام ١٩٥٠ التى فاز فيها الوفد باكتساح، وقد أشرت إلى هذه الانتخابات وحبى لمصطفى النحاس فى كتابى «نحو الإنسانية».

الموقف فى أثناء العدوان الثلاثى :

فى عام ١٩٥٦ وعندما وقع العدوان الثلاثى تطوعت فى الحرس الوطنى «كتيبة كلية الحقوق - لواء الجامعة» وقد تطوع كل الشيوعيين الذين كنت أعرفهم بالجامعة، وقد قمنا نحن الشيوعيين بتسجيل أسمائنا وأسماء كل من يرغب من المتطوعين فى الذهاب إلى بورسعيد

الاشتراك فى المعركة هناك، وبالطبع رفض طلبنا، بل وفور وقف إطلاق النار طردنا من المعسكر بطريقة مهينة، وشتمنا وتم الاعتداء على أفراد منا.

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

كنا نطالب بوحدة فيدرالية لا وحدة اندماجية، وحدة تقوم على الديمقراطية.

الموقف من وحدة ٨ يناير :

لقد كنت مؤيداً لهذه الوحدة التى ضمت الثلاث منظمات الكبيرة، ولكن تجربتى فى المعتقل أثبتت أن هذه الوحدة كان ينقصها التفاعل بين أعضاء التنظيمات، وفى المعتقلات كان كل تنظيم محتفظ بأفكاره وأيديولوجيته بعد إتمام الوحدة، وأرى أن السبب فى ذلك أن الحركة الشيوعية كان يسيطر عليها الصفوة التى تجعل الزعماء – وأقلهم فى هذه الصفة منظمة طليعة العمال – يريدون أن يفرضوا زعاماتهم ويتحكموا فى قيادة التنظيمات، فأغلبية القيادات لم يكن لديها الغيرية الكافية.

وأرى أن وحدة أى مجموعات من الناس تختلف فى الأيديولوجية لابد أن تنبع من النشاط العملى بين الجماهير، ووحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ لم يكن هذا العنصر متوفراً لها.

الموقف من قرارات التأميم :

كان رأيى وما يزال أن التأميم بدون ديمقراطية عبارة عن رأسمالية دولة.

الموقف من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية :

أنا لا أفرق بين الأديان المختلفة، وأترك هذا الأمر لتقدير الشخص نفسه، ولكن أنا ضد أن يدخل الدين فى السياسة، ولذلك فأنا ضد الصهيونية، كما أننى ضد الإسلام السياسى، ولكننى لست ضد أى دين سواء كان اليهودية أو غيرها، ولذلك أرى أن أى يهودى ينتظم فى الحركات التقدمية ويحتفظ بيهوديته كدين فقط، أى علاقة بينه وبين ربه ولا يحولها إلى علاقة بالتنظيم الذى هو فيه فهو حر، ووجوده فى المنظمات الشيوعية أو التقدمية لا مشكلة فيه. إننى لا أرى أى مانع فى وجود يهود حتى فى قيادة المنظمات الشيوعية طالما التزموا بالفكر

الاشتراكى شأنهم شأن أصحاب الديانات الأخرى.

الموقف من حل الحزب:

لم يأخذ أحد رأيى فى حل الحزب، وأنا كنت ضد الحل، وبعد الإفراج عنا كنت أنا والزميل فؤاد مصطفى والزميل رمسيس لبيب فى مجموعة حزبية برمل الإسكندرية، ووصلنا نحن الثلاثة من خلال الوثيقة السياسية التى صدرت فى ذلك الوقت، ومن خلال التراخى التنظيمى المتعمد، إلى أن قيادة الحزب فى طريقها إلى حله، واتفقنا نحن الثلاثة على أن نعلن إدانتنا للحل باعتباره خيانة للطبقة العاملة وقضية الاشتراكية. وفى الاجتماع، ما كدنا نعبر عن رأينا حتى أبلغنا الزميل المسئول أن الحزب قد حُل بالفعل.

وأنا أعتقد أن حل الحزب حدث لأن القيادة كانت تسعى إلى المناصب فى جهاز الدولة.

أسباب الانقسامية فى الحركة الشيوعية:

لنرجع إلى تاريخ مصر القديمة حين كان الملك إلهاً ثم ننظر إلى تتابع الحكام عبر الحقب المختلفة نجد أنهم كلهم تقريباً لم يكونوا يحترمون الشعب لأنهم جاءوا ليستغلوه وليقهروه، نتيجة لذلك ترسب فى العقل الجمعى لشعبنا الخوف من السلطة. والخوف من السلطة يفرض على كل من يحوزها يوماً الاحتفاظ بها ليفعل بها ما فعله من سبقوه، هذه الرواسب الثقافية عميقة فى نفوس القادة الذين تولوا قيادة الحركة الشيوعية. ولذلك كانوا يتحكمون فى القاعدة، إن روح حب القيادة كان متأصلاً فيهم، ولذلك غابت الديمقراطية، وغاب التفاعل مع القاعدة والإنصات لرأيها، باختصار كان ما ينقص التنظيمات هو الديموقراطية، وكان كل قائد يريد أن يظل قائداً، الأمر الذى يؤدى إلى الانقسام، انقسام الزعامات والقيادات بمن يلتف حولها إذا هُددت بفقدان القيادة أو الزعامة، وعند كل انقسام كانت تطلق الاتهامات المعروفة.

والمعروف أن الروح الفردية أو روح الصفوة والبعد عن روح الجماعة شئ فى تركيب البرجوازية الصغيرة، وقد كانت معظم قيادات الحركة الشيوعية من تلك الطبقة.

هذا هو السبب الأول للانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية، وثمة سبب آخر هو عدم الفهم العميق للاشتراكية العلمية، فالاشتراكية العلمية جوهرها وأساسها الحرية والديموقراطية، ومع غياب هذا الفهم، ومع سيطرة روح الصفوة على القيادة تغيب

الديموقراطية ويغيب الالتفات إلى رأى القواعد والإنصات إليها والتبادل السريع والمستمر فى الفكر بين القيادة والقواعد.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ :

السبب الرئيسى من وجهه نظرى هو الصفوية أى سيادة وتحكم الصفوة، والتى أدت إلى شيوع الانقسامية، وغياب الفهم الصحيح للاشتراكية العلمية.

ويلاحظ أنه لم تتم محاولة تمصير الماركسية، أقصد تمصير تطبيقها، كما لم يُدرس الواقع المصرى دراسة حقيقية، والواقع المصرى معقد جداً وذلك لظروف تاريخية معينة ومن ثم فالوضع الطبقى فى مصر على جانب رهيب من التعقيد ويحتاج فى الدراسة إلى جهد هائل ولم يبذل حتى عام ١٩٦٥ ذلك الجهد.

كان ينبغى على الثورة البرجوازية الكبرى عام ١٩١٩ أن تنجز المهمتين الأساسيتين، وهما ضرب الإقطاع ضرباً حاسماً وترسيخ الديمقراطية وهو ما لم تنجزه تلك الثورة، ومن ثم وقعت هذه المهمة على النضال الاشتراكى وهى مهمة بالغة الضخامة، وأرى أنه كان ينبغى على الحركة الشيوعية المصرية إشاعة الديمقراطية فى صفوفها وفى تعاملها مع الجماهير بما يساهم فى ترسيخ قيم الديمقراطية فى بلادنا.

شهادة

محمد شريف

البيانات الشخصية

الاســـــم : محمد شريف

محل وتاريخ الميلاد : ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠، من مواليد تنقالة مركز الدر ببلاد النوبة (الغارقة الآن تحت مياه السد العالى)

المؤهــلات : شهادة اتمام الدراسة من مدرسة اسوان الصناعية (قسم برادة)

المهنـــة : أول عمل التحقت به هو عامل فنى مدنى بسلاح الطيران المصرى، وبشركة الخطوط الجوية البريطانية، وبعد ذلك كرسام ميكانيكى فى بعض المصانع.

فترة السجن والاعتقال : حكم على بالسجن من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٤ والمراقبة لمدة خمس سنوات من سنة ١٩٥٤ حتى ١٩٥٨- والاعتقال من سنة ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤

بيانات عائلية :

كانت أسرتى أحد الأفواج المهاجرة إلى اسوان فى تلك الايام، إثر تعلية خزان أسوان سنة ١٩٣٣، وهى المرة الثالثة التى يهاجر فيها النوبيون. أقامت أسرتى فى أسوان، وأتممت دراستى بمدرسة أسوان الصناعية. وأثناء دراستى، سمعت عن حزب «مصر الفتاة» وحضرت اجتماعاً خطب فيه أحمد حسين، وهاجم الاستعمار البريطانى ونادى بوحدة مصر والسودان، وداومت على قراءة مجلة مصر الفتاة، وكنت متعاطفًا مع هذا الحزب، بجانب أن أحد اقربائى - وهو خليل الأسى - كان عضوا بالحزب فرع أسوان. وفى أحد الأيام وبناء على ترجيهات أحمد حسين وتنفيذا لشعاراته، دعانى خليل الأسى أن اشترك مع نفر من الآخرين لكى نقوم بتكسير إحدى حانات الخمور بقذفها بالحجارة، وفعلاً أتممنا هذه المهمة. وفى بداية الاربعينيات حضرت للقاهرة للعمل، وكنت أتردد على النادى النوبى مع بعض الشباب والطلبة ونشارك فى مناقشة بعض مشاكل النوبية. وأسسنا رابطة الطلبة النوبيين فى داخل النادى النوبى والتحق بها فيما بعد محمد خليل قاسم وزكى مراد وغيرهما. وداومت على قراءة مطبوعات مصر الفتاة وخاصة الكتب الشهرية التى كان يصدرها الحزب ويشرف على إصدارها محمد صبيح وفتحى رضوان فى ذلك الوقت، وكان منها كتاب «كفاحى» لهتلر، وكان هناك لأحمد حسين شعار آخر غير تكسير حانات الخمور، وهو شعار «مشروع القرش»

وهى دعوة المصريين للتبرع بقرش، لاقامة مصنع للطرابيش ! المهم فى كل هذا أن أحمد حسين بخطبه ومقالاته وقمصانه الخضراء والتحية النازية مع «مصر فوق الجميع» جعلنى أميل ناحية هتلر وموسولينى، مع أنى لم أكن عضواً فى مصر الفتاة.

لم أستمر كثيراً فى العمل بالطيران المصرى بألماظة، وكانت توجد به بعض طائرات من ذات الجناحين، وأيضاً نفر من الضباط الانجليز، وفوجئنا ذات يوم بنبأ أن عزيز المصرى قد سقطت به الطائرة التى اختطفها مع قائد الطائرة أثناء محاولته الهروب إلى الصحراء الغربية. وكان روميل قائد القوات الألمانية يحرز بعض الانتصارات، وتركت العمل بمطار الماظة وخاصة أن بداية مرتبى عند التعيين كانت ثلاثة جنيهات فى الشهر.

التحقت بشركة الخطوط الجوية البريطانية بمطار هليوبولس بمصر الجديدة والتى أصبحت بعد فترة تحت إشراف سلاح الطيران الحربى البريطانى. وكان أحد جنود السلاح - ويدعى توماس - هو المسئول والمشرف على عملى (إصلاح أجنحة الطائرات المصابة بقذائف). ولأول مرة يشاركنى توماس فى نقاش عن سير الحرب فى الصحراء الغربية وتقدم روميل وانتصاراته هو وهتلر وموسولينى - وأن انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتى يحاربون النازية والفاشية وأن الاتحاد السوفييتى دولة العمال والفلاحين، بالطبع نقاشنا كان بقليل من الانجليزية وكثير من العربية. لكننى فهمت ما يرمى اليه توماس وما يعنيه من كلامه.

وبعد مرور يومين على هذا النقاش، جاء توماس وهو يحمل لفافة من الكتب ، أعطانى جريدة أولا، قرأت عنوانها «الديلى وركر» وكتباً أخرى عن الماركسية والاتحاد السوفيتى. وكلها بالانجليزية بالطبع. استعنت بصديق نوبى يجيد الانجليزية فى فهم محتوى المواضيع التى فى هذه الكتب ومكثنا معاً لفترة غير قصيرة فى هذه المهمة، وبالمناسبة أصبح هذا الصديق ماركسياً ويقيم بالسودان.

وترطدت العلاقة بينى وبين توماس، ولكن لم يستمر فى العمل معى لحين انتهاء الحرب بل بعد عدة شهور تم نقله من المطار. ولكن بعد أن دلنى على الطريق وهو أول من عرفنى وأنطقنى بأسماء، ماركس، إنجلز، لينين، ستالين وغير تفكيرى لمسار جديد.

فى هذه الفترة كان نشاط الاخوان المسلمين بدأ يظهر، وكان حسن البنا يعقد اجتماعاً أسبوعياً فى الحلمية كنت أحضره (هذه الاجتماعات الأسبوعية كانت علنية ويحضرها عامة الناس وفى نهاية الاجتماع يدور نقاش بينه وبين الآخرين ومنهم بعض اليساريين)، مع علمى

بأن الاخوان المسلمين يمثلون الفاشية الدينية.

وكان النحاس يعقد اجتماعات أحيانًا فى بيت الأمة يحضرها بعض الشباب الوفديين، كنت أتردد عليها أيضًا، وكان الجناح اليسارى فى الوفد قد بدأ يظهر والذين كانوا معارضين ورافضين أن يكون فؤاد سراج الدين سكرتيرا للوفد، وفى نفس الوقت كانوا متحالفين مع اليساريين ضد هذه الجماعات الفاشية وأحزاب الأقلية.

بالطبع لم يفوتنى حضور اجتماعات اليساريين وندواتهم ومناقشاتهم فى دار الأبحاث، ومن هناك، ومن لقاءاتى فى النادى النوبى، تعرفت على صالح عرابى، وعبده دهب. أثناء ذلك كنت مازلت أعمل بشركة الخطوط الجوية البريطانية، وبعد فترة تعرفت على هنرى كورييل وتمت عدة اجتماعات قليلة من بعض أعضاء فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) بالطبع كان يحضرها هنرى كورييل الذى فضل أن يكون نشاطى مع عمال شبرا.

ابتدأت مع مجموعة من العمال النقابيين المخلصين، كنت أعتقد أنهم مسلحون بالنظرية والعمل الحزبى أكثر منى، أو كأنهم رشحوا لعضوية الحزب لأنهم عمال فقط، ربما لهم عذرهم أو أن يكون التنظيم فى بداية تكوينه وبالتالى التجنيد بين العمال.

هذا ومن ناحية أخرى كان تنظيم حدتو، تنظيم فئات، أى هناك قسم نوبى يضم النوبيين، وقسم سودانى يضم السودانيين، وقسم عمال شبرا ..الخ. بالطبع مثل هذه الأقسام المختلفة تخلق نوعًا من الطلقية والشللية والعائلية، فكورييل لم يضمنى إلى القسم النوبى - مع أنى نوبى - بل أشركنى مع عمال شبرا، لأنى أنتمى اليهم بجانب أن عملى مرتبط بالعمال، وهذه الفئات يمكن تصلح لتكوين نواة نقابات مختلفة.

وكانت هناك وحدة قد تمت بين حمتو واسكرا ولكنها تمت من فوق - لأننا فى القاعدة لم نناقش شيئا عنه. وبناء عليه حصل نوع من الدمج فى التنظيم دون النظر إلى خطوط سياسية أو تنظيمية أو مستويات الأعضاء أو ..الخ، ربما ناقشت القيادتان هذه المسائل وغيرها بعيداً عن المستويات الدنيا! وعليه حصل نوع من التغيير فى أعضاء المجموعات، إذ وجدت نفسى عضوا فى مجموعة أغلبها من أعضاء اسكرا غير المنضبطين، وفى هذه الفترة قابلت شوارتز لأول مرة، والظاهر أنه كان يراقب سير عمليات الدمج فى المجموعات، لأن حديثه معى لم يخرج عن هذا.

مما سبق نجد أن تنظيم حدتو حتى بعد الوحدة مع اسكرا كان ارتباطه بالطبقة العاملة

والاشتراك في المعارك متواضعاً.

ولا يمكننا القول «الارتباط بالطبقة العاملة» ولكن يمكننا القول. في ذلك الحين كانت تجرى محاولة للتجنيد والاهتمام بالعمال.

كانت «حدتو» قد نظمت حلقة دراسية لمدة ٣ شهور متواصلة لعدد محدود من العمال وذلك لخلق كادر عمالي، وكنت منهم ، وأتذكر من هؤلاء فكرى الخولي من العمال، وعبد المعبود الجبيلي من الاساتذة المدرسين وللأسف، لا تسعفنى الذاكرة لذكر بقية الأسماء، ولاشك أن هذه الدراسة التى تفرغنا لها قد أفادت الجميع.

بجانب أن مكتبة كوربيل بميدان مصطفى كامل لعبت دوراً كبيراً في نشر وعرض مختلف الكتب الماركسية في ذلك الحين، أذكر منها مجموعة العشرة كتب والتى كانت تباع بمبلغ زهيد.

كان عبده دهب يصدر مجلة «أم درمان» وكذلك تنظيم «د ش» مجلة «الفجر الجديد»، وقد كنت أقوم بتوزيع نسخ منهما وأعطيها للزملاء لتوزيعها بالمصانع أيضاً.

أما موقفى من التنظيم «حدتو» رقبيل دخولى السجن، فهو موقف العضو العادى القاعدى، أنفذ توجيهات وقرارات المستوى الأعلى، سواء توزيع منشورات أو الاشتراك في مظاهرات جماهيرية للدفاع عن مصالح الجماهير، وأقوم بتوعية نفسى وزملائى مع الحفاظ على الأمان والسرية .. الخ.

وفى سنة ١٩٤٨ كانت حرب فلسطين ونشطت القوى الرجعية وخاصة جماعة الأخوان المسلمين، وحدثت اعتداءات على بعض المحلات والافراد اليهود وتصاعد الهجوم على اليسار، بجانب أن حكومة صدقى كانت تحاول ابرام معاهدة منذ سنة ١٩٤٦ مع حكومة انجلترا «معاهدة صدقى بيفن» والتى كشفها وأسقطها اليسار بعد ذلك مع جموع الوطنيين.

وألقى القبض علىّ سنة ١٩٤٨، وكنت أسكن فى غرفة بإحدى الأزقة بالوايلى فى ذلك الوقت. وعثر البوليس عندى على كتب ماركسية ومنشورات وآلة كاتبة وجهازى استقبال غير صالحين للاستعمال (قيل إنهما يخصان التنظيم، قيل أيضا إنهما يخصان كوربيل). وكان المشرف على هذه العملية هو«حجازى» أحد كبار ضباط البوليس السياسى فى ذلك الوقت، ورئيس النيابة الذى حقق معى فى القضية شخص يدعى كامل القاويشى والذى وعد أمامى رجال البوليس بأنه سيكون عند حسن ظنهم وأنه سيخرج كل مافى جعبته لاستخراج كل الإدانات، أما القاضى الذى حكم على فيدعى «طنطاوى» وأثبت هو الآخر أنه لا يقل عنهم

شهامة: ويوم الحكم، كان حجازى يجلس على مكتبه، فطلب استدعائى اليه، فذهبت اليه وقال «شد حيلك، سيكون الحكم شديداً عليك».

وطلب من الحرس إدخالى إلى غرفة المحاكمة، وبعد محاكمتى قادونى إلى الخارج مرة أخرى فى انتظار النطق بالحكم. وبعد فترة أدخلت مرة أخرى إلى غرفة المحاكمة، ووجدت أمامى كل من محمد حسن جاد «برق» وزميله بشرى المتهم معه فى القضية يقفن على يمين منضدة طنطاوى وأنا أقف على يسار المنضدة، ووجه القاضى طنطاوى حديثه لبشرى قائلاً: أنت طالب جامعى ولازم تجتهد وتتخرج وتشوف مستقبلك وأنا رأفت بحالك وحديلك حكم ضعيف .. وأخيراً نطق بالحكم: بشرى ٣ سنوات، محمد حسن جاد ٧ سنوات، والتفت إلىّ وحكم بـ٧ سنوات سجن سنة سجن للأجهزة ٥ سنوات مراقبة. ولم تستغرق المحاكمة اكثرمن ١٥ دقيقة، ولم تتم فى قاعة محكمة. وبذلك طبق قانون صدقى - قانون مكافحة الشيوعية - لأول مرة، هذا القانون الذى صدر فى غيبة البرلمان.

ومنذ عام سنة ١٩٤٨ توالت القضايا الشيوعية، وامتلأ السجن على مر الشهور بمختلف التنظيمات والاتجاهات - حدتو - د.ش. - النجم - مشمش .. والخ.. وأصبح الزملاء يناقشون الموقف مع تنظيماتهم وأيضًا الموقف من التنظيمات الأخرى، حتى أصبحت المناقشات شبه علنية ومعروفة مثل: الانتهازية - البوليسية - الخيانة - المقاطعة - خط منحرف يمينى - خط يسارى .. الخ.

وكان بعض الزملاء - وكنت منهم - قد ناقشنا الموقف من تنظيم «حدتو» مثل التقسيم الفئوى والخط السياسى اليمينى والبوليسية المتفشية داخل التنظيم. وعلى إثر هذه المناقشات تركت تنظيم حدتو، وبعد مدة جندت فى تنظيم «د.ش». كنت اسمع عن هذا التنظيم منذ منتصف الاربعينيات على ما أتذكر، فلم يكن اسم المدرك، ومحمود العسكرى غريبًا علىّ، بل كنت أسمع بكفاحهم بين عمال شبرا الخيمة وكنت أقوم بتوزيع «مجلة الفجر الجديد» وأنا فى تنظيم حدتو ولم أجد حرجًا أو حساسية فى ذلك طالما هى مجلة تدافع عن مصالح الطبقة العاملة والشعب. وأيضاً دون التنظيمات الأخرى وهذا ما وجدته داخل السجن فهم يحترمون قواعد التنظيم والسرية فى عملهم بجانب أن عمال هذا التنظيم أغلبهم من المكافحين والذين لعبوا دوراً فى توعية وتنظيم نضالات زملائهم.

المهم قلت فى حديثى سابقًا باننى جندت فى «د.ش» أى مرشح، أى تحت الاختبار ولم

يمنحنى أحد العضوية إلا بعد مدة طويلة.

وفى سنة ١٩٥١ أمر فؤاد سراج الدين - وكان وزيراً للداخلية فى حكومة الوفد- بتوزيع وتشتيت المسجونين من الشيوعيين من سجن مصر على سجون مصر، وبالتالى نُقلت إلى سجن اسيوط ولحق بى فيما بعد محمد خليل قاسم «حدتو» - صديقى منذ أن كنا فى اسوان - وأيضاً طالب سودانى واسمه سيد - على ما أذكر - من تنظيم «مشمش» وسكنا فى زنزانة صغيرة تسع ثلاثتنا، ولكن «سيد» هذا كان مقاطعاً لى ولقاسم طوال فترة إقامته معنا إلى يوم ترحيله للافراج عنه (محكوم عليه بـ٣ سنوات سجن) فلم يحادثنا ولم يشترك فى طعام معنا قط، لأن تنظيم «مشمش» يعتبر كل التنظيمات الأخرى تنظيمات خائنة وبوليسية وبالتالى يجب مقاطعتها.

أفرج أيضاً عن محمد خليل قاسم وتم ترحيله من سجن أسيوط بعد أن أنهى مدة سجنه (٥ سنوات) وبقيت بمفردى لفترة، ولجأت إلى الاضراب عن الطعام لمدة أسبوع لطلب نقلى لسجن مصر، وفى هذه الأثناء سمعت عن ثورة يوليو وكان قد أخبرنى بها أحد الضباط، مضيفاً بأنه سيتم الإفراج عن المسجونين السياسيين. ولكنى لم أقتنع بما قاله الضابط بخصوص الإفراج واستبعدت هذه الفكرة تماما عن ذهنى. لماذا؟

١ - إن الاستعمار الامريكى والذى يحاول أن يحل محل الاستعمار البريطانى خاصة فى الشرق الأوسط كان نشطا فى ذلك الوقت وكان يدبر الانقلابات، كالانقلاب الذى تم ضد حكومة«مصدق» زعيم ايران الوطنى وأطاح به وبحكومته فى مجزرة بشعة.

٢ - بعدها بفترة دبر الاستعمار الامريكى انقلابا فى سوريا وأتى بعميل على ما اتذكر اسمه «الشيشكلى».

وبعد انتهاء اضرابى عن الطعام واستجابة ادارة السجن لنقلى إلى القاهرة بسجن مصر سمعت وأنا، مازلت بسجن اسيوط أن رجال ثورة يوليو أفرجوا عن الاخوان المسلمين وهم رجال الفاشية الدينية، وبرروا عدم الافراج عن الشيوعيون بأنهم ليسوا مسجونين سياسيين، وأفتوا بأن الاخوان هم المسجونون السياسيون لا الشيوعيون. بجانب أنهم أصدروا قرارات بحل جميع الاحزاب السياسية التى كانت موجوده فى مصر وفى المقدمة حزب الوفد.

وتمت اجراءات ترحيلى إلى سجن مصر بعد ذلك. وصلت سجن مصر ووجدت أن أغلب الزملاء ومن كافة التنظيمات لم يسبق لى التعرف عليهم. وكان عبد الناصر قد ألقى القبض

على كثير من أعضاء التنظيمات الشيوعية، وخصة تنظيم «حدتو» الذى أيد الثورة منذ بدايتها ولكن تنظيم «حدتو» كان مكشوفًا لأن الأمان والسرية ليست بالدرجة المطلوبة، فكانوا اكثر عدداً بجانب خطهم السياسى اليمينى والتنظيمى.

هذا وقد أدانت التنظيمات فى السجن هذا الانقلاب الذى دشن حركته بمقتل خميس والبقرى، وهو ما أدانته أغلب التنظيمت اليسارية والحركة العمالية فى مصر والعالم.

خرجت من السجن سنة ١٩٥٤ ومن بداية اليوم لأول من خروجى تم تنفيذ المراقبة المحكوم على بها لمدة خمس سنوات. (والمراقبة تعنى عدم مغادرة مكان الاقامة من غروب الشمس حتى شروقها) بالطبع هذه الفترة كانت بالنسبة لى عدم استقرار تقريبًا. وفى الفترة التحقت بمعرض لبيع الادوات الكهربائية.

وأخيراً عندما أنشئت المؤسسة القومية للنشر والتوزيع سنة ١٩٥٦ وكان يديرها حسين توفيق وريمون دويك ويشرف على مكتبتها صلاح خطاب، تم تعيينى بها كمشرف على قسم التوزيع. وكان العمل بهذه المؤسسة كنوع من التطوع لأنها كانت فى بداية تأسيسها.

ولم تمهلنا الديكتاتورية وجاءت ضربة سنة ١٩٥٨ لليسار كله، واعتقلت سنة ١٩٥٩ إثر الحملات المتتالية التى كان يقوم بها عبد الناصر ضد الشيوعيين، وبالتالى أغلقت المؤسسة.

دور الأجانب واليهود فى الحركة الشيوعية :

لم ألمس عندما كنت فى تنظيم «حدتو» أو فى تنظيم «د ش» أى موقف عدائى ضد اليهود ولم يفاتحنى أى عضو بكلمة فيها مساس بهم. وقد تعرفت على كوريل وصادق سعد وريمون دويك وغيرهم، وقد عمل كوريل على نشر الكتب الماركسية عن طريق مكتبته التى كانت فى ميدان مصطفى كامل فى أوائل الاربعينيات، ولاشك أنه استفاد منها كثير من اليساريين، وأيضًا ريمون دويك كان يشرف على إدارة المؤسسة القومية للنشر مع حسين توفيق التى كانت تقوم بنشر وتوزيع الكتب الواردة من الاتحاد السوفيتى والصين والمانيا الديمقراطية. وهؤلاء لعبوا دوراً هامًا فى نشر الثقافة الماركسية، ولاأنسى يوسف درويش والذى ناصر ودافع عن القضايا العمالية. أما موقفهم داخل تنظيماتهم، فهم أعضاء قياديون.

انقسامية الحركة الشيوعية المصرية وحل التنظيمات :

أما انقسام الحركة الشيوعية المصرية وعدم تواصل حلقاتها، وحل التنظيمات لنفسها فكلها موضوع واحد، لأن هذه التنظيمات أو الحلقات :

١ - لم تكن مرتبطة على نطاق مصر بمشاكل الجماهير وتعبر عن نبضها لتحركها .

٢ - لم تخلق من العمال والفلاحين وهم طليعة الكادحين، الكوادر القيادية المسلحة بالوعى الطبقى ولكى يكون لها دور فى قيادتها.

٣ - أغلب أعضاء هذه التنظيمات يصلحون كعاطفين على اليسار خارج التنظيمات لا داخلها كأعضاء، لأن التجنيد واختيار عضو الحزب يتم على أساس كفاحى ونضالى من مجال العمل وبعد فترة اختبار.

٤ - دخل كثير من المثقفين ساحة التنظيمات اليسارية لكى يدرسوا ويتبنوا الافكار الماركسية العلمية والتى سادت وحطمت كثيراً من الافكار الرجعية التى كانت - ومازالت - سائدة، لا ليشتركوا فى نضالات الطبقة العاملة والفلاحين والكادحين ويتحملوا أعباء هذا الكفاح، بل ليثرثروا ويزيدوا بهذه الافكار ويتبوأوا المراتب القيادية سواء داخل تنظيماتهم، أو داخل جهاز الدولة إن أمكن كأصحاب فكر ورؤى جديدة للعالم، والآن يشككون فى النظرية الاشتراكية وكفاح العمال والكادحين ليخلو العالم للاستعمار الأمريكى الشرس.

الموقف من الاتحاد السوفييتى :

الاتحاد السوفييتى كان قائما كدولة عظمى اشتراكية عندما اعتنقنا الماركسية فى بداية الأربعينيات، وكدولة للعمال والفلاحين وكل الكادحين، ونقيضا للنظام الرأسمالى، والاتحاد السوفييتى قام بمفرده فى عالم رأسمالى غادر ومتربص ببناء الاشتراكية بقيادة لينين ومن بعده ستالين. وقد واجه ستالين كقائد للحزب الشيوعى أصعب المراحل والفترات للحفاظ على الدولة الاشتراكية خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، ورأينا تضحيات الشعب السوفييتى وكيف دمر جحافل النازية حتى هزيمتها فى عقر دارها بقيادة زوكوف.

والاتحاد السوفييتى هو الذى حرر كل أوربا الشرقية، وهو الذى وقف بجانب كل حركات التحرر، لنيل هذه الشعوب حريتها واستقلالها بالوقوف بجانبها ومساعدتها اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً سواء فى قارة آسيا مثل الصين أو دول العالم الثالث مثل مصر وغيرها مثل دول افريقيا. وفى فترة قيادة ستالين للحزب، كان يوجد «الكومنفورم»، وهو الجهاز الذى

كان يضم كافة الأحزاب الشيوعية فى العالم، لمناقشة قضايا الشعوب وما يتعرض له المجتمع العالمى من مشاكل ومحاولة ايجاد الحلول لها. ولكنه كان خطأ كبيراً التنازل عن هذا الجهاز وعدم استمراره وذلك لإرضاء وكسب ثقة بعض زعماء العالم الثالث مثل نهرو وعبد الناصر، فى الوقت الذى لم تتنازل الدول الاستعمارية عن مشاريعها وأحلافها العسكرية وغيرها، بعد الحرب العالمية الثانية وإلى يومنا هذا. وفى ظل الكومنفورم وستالين، ظهر القادة الحقيقيون للأحزاب الاشتراكية، مثل ماوتسى تونج وشو إن لاى فى الصين، بتوريز فى فرنسا وتولياتى فى ايطاليا، وخالد بكداش فى سوريا، وفرج الحلو فى لبنان، وغيرهم ممن قادوا شعوبهم للتحرر وبناء الاشتراكية، وكانت أغلب الشعوب بقيادة أحزابها الاشتراكية تحتفل بثورة أكتوبر وبعيد العمال فى أول مايو وينشدون كل بلغته نشيد الأممية.

ولكن بعد موت ستالين بفترة، ظهر أمثال خروشوف فى قيادة الحزب السوفيتى وابتدأ بشعار عدم عبادة الفرد، ولذا يجب حرق جثمان ستالين لأنه مجرم، وبذر بعض البذور السامة فى الفكر الاشتراكى، مثل أن البرجوازية يمكن أن تبنى الاشتراكية، وبالمناسبة كان تنظيم «حدتو» يتبع وينشر أخبار وتصريحات خروشوف فى سجن الواحات للتدليل على سلامة خطه المنحرف وأن عبد الناصر فى طريقه لبناء الاشتراكية.

بالطبع تصدى الحزب الشيوعى الصينى لأفكار خروشوف، وكشف انحرافه وعارض الهجوم على ستالين. ولاشك أن أفكار خروشوف تركت بلبلة وتحليلات مختلفة داخل الاحزاب الشيوعية مما أدى فى نهاية الأمر إلى ظهور ممثلين جدد مثل جورباتشوف ويلتسن فى قيادة الحزب بالاتحاد السوفييتى. ولم يكن الاستعمار العالمى غافلا عن تحطيم الاتحاد السوفييتى منذ نشأته، وابتدأ جورباتشوف بإبعاد أغلب الحرس القديم من القيادة، ونادى بتجديد الفكر الماركسى - وهو يقصد تخريبه، وانتهى الأمر فى النهاية كما تعلمون جميعاً، بانهيار الاتحاد السوفيتى الذى بناه لينين وستالين.

شهادة

معروف عبد الحميد

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : معروف عبد الحميد ابراهيم

محل وتاريخ الميلاد : ٢٢/٤/ ١٩٢٨ بكفر هلال - مركز بركة السبع - المنوفية

المـــهــنــــة : عامل نسيج يدوى

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢٢ سنة .

فترة السجن والاعتقال : اعتقال فى المدة من ٢٨ مارس ١٩٥٩ إلى ٢/٤/١٩٦٤

بيانات عائلية :

أنا من أسرة متوسطة الحال، وجئت إلى القاهرة سنة ١٩٤١، ومنذ سنة ١٩٤٢ وأنا أعمل بالنسيج، عملت بمصنع محسن كرم للنسيج اليدوى بالظاهر، وفى سنة ١٩٤١ كنت أمشى فى شارع عماد الدين، وكلنا نعلم أن جنود الانجليز كانوا يتواجدون فى معظم شوارع القاهرة فى ذلك الوقت، وضربنى جندى بريطانى بالشلوت فأحسست بالمهانة، فكيف يضربنى أجنبى فى بلدى؟.. وأحسست بالحقد على الاحتلال، وبدأت أبحث عن أى عمل أشترك فيه للتخلص من الإنجليز ولجأت إلى الإخوان المسلمين، وانضممت إلى شعبة برجوان بالشعرانى الجرانى بباب الشعرية، وكان ذلك عن طريق أنور العزب حسين رئيس شعبة العباسية فى ذلك الوقت، ولم أجد عند الإخوان المسلمين ما يشبع رغبتى فى طرد الإنجليز من بلادنا. وفى عام ١٩٤٩ قرأت منشوراً شيوعيًا أعطاه لى الزميل طه محمد مصطفى وشهرته الشيخ طه مصطفى، وترددت على بيت ذلك الزميل، وعنده تقابلت مع الزميل عادل فهمى الذى اهتم بى وبدأ يعطينى جزءاً من وقته ثم ضمنى إلى منظمة «طليعة العمال»، ووجدت فى تنظيم طليعة العمال إجابة عن الأسئلة التى تدور فى ذهنى، وأعجبت بالزميل عادل فهمى لأنه هو الذى أفهمنى كيف يكون العمل السياسى. وبعد ذلك رشحت نفسى فى نقابة عمال النسيج اليدوى، وأصبحت عضواً بمجلس إدارة النقابة، وسعيت مع الزميل السيد محمود الشهير بجزر والزميل طه محمد مصطفى لضم نقابة النسيج اليدوى إلى النسيج الميكانيكى، وإلى النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج وملحقاتها بالقاهرة وضواحيها التى كانت توجد برقم ٢٢ بميدان الظاهر. وفى سنة ١٩٥٦ أصبحت عضواً بمجلس الادارة حتى تم اعتقالى يوم السبت الموافق ٢٨ مارس ١٩٥٩

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق

الموافق ١٩ رمضان، ومكثت فى المعتقل حتى يوم ١٩٦٤/٤/٢ أى خمسة أعوام وخمسة أيام.

وبعد الإفراج عنى، ونتيجة محاربة المباحث العامة لى، ظللت بلا عمل مثل أغلب المفرج عنهم من العمال والموظفين، وكانت تلك أصعب فترة فى حياتى وحياة الزملاء الذين كانوا مشردين فى شوارع القاهرة بدون عمل، وبعد شهور بدأنا فى الالتحاق بأعمال.

العمل السياسى قبل الانضمام للحركة الشيوعية :

كنت كما ذكرت قد انضممت إلى الإخوان المسلمين، ولم أجد عندهم إجابة عن الأسئلة التى كانت فى رأسى، وكنت أقوم بالتحرك فى وسط عمال النسيج بدافع المطالبة بحقوق العمال بالمصانع، كان هذا تحركًا تلقائيًا حتى جندت فى تنظيم طليعة العمال، وهذا التنظيم لم يحدث فيه أى انقسام أبدًا.

ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة :

كان تنظيم طليعة العمال دائم الكفاح من أجل رفع مستوى العمال ماديًا واجتماعيًا، وكان للتنظيم دور وسط عمال منطقة الدراسة وهى منطقة صناعة كنت مرتبطًا بها. وأعرف أن تنظيم طليعة العمال كان له نشاط بشبرا الخيمة والقاهرة وسط العمال.

دور التنظيم فى صفوف الفلاحين :

على ما أعتقد فإن جميع التنظيمات لم تكن بالمستوى المطلوب بالنسبة للعمل بين الفلاحين، وذلك بدون استثناء.

المستوى التنظيمى الذى عملت به :

أنا كنت عضو قسم بالدراسة، وطبعًا دورى ودور الزملاء كان يتحدد طبقًا لظروف المعركة.

وبالمناسبة أذكر أنه كانت توجد مكتبة أسسها التنظيم كان يشرف عليها حسن صدقى، وأنه صدرت عن التنظيم عدة كتب لدراسة الواقع المصرى، كما كان يصدر مجلة الفجر.

دور المحترفين فى التنظيم :

كان يوجد فى التنظيم محترفون مثل الزميل محمود العسكرى وآخرون، وأنا أرى أن وجود المحترفين فى التنظيم شئ ضرورى للعمل الجماهيرى بشرط توفر الكفاءة والخبرة اللازمة.

الموقف من التنظيمات الأخرى :

أنا كنت مع توحد الشيوعيين فى تنظيم واحد، وعندما تمت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ كنت متحمساً لها.

دور اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية :

ما أعلمه أن اليهود بمصر كان لهم دور كبير فى الحركة الشيوعية بمصر، وبالذات من الناحية الثقافية.

موقف التنظيم من النضال ضد الاحتلال الإنجليزى :

كان موقف التنظيم وموقفى هو الوقوف ضد الاحتلال الإنجليزى، والمعروف أن كل التنظيمات كان لها دور فى المعركة عام ١٩٤٦ «اللجنة الوطنية للعمال والطلبة».

الموقف من سلطة يولية ١٩٥٢ :

أعتقد أن رجال سلطة يولية كانوا يمثلون خليطاً من الفكر بدليل أنه بعد الثورة وقع الخلاف بينهم وخرج رشاد مهنا وبعده الاستاذ خالد محيى الدين وتوالت الخلافات وخرج الواحد بعد الآخر ثم خرج الجميع تقريباً بدليل أنه لا يوجد أحد من ضباط الثورة اليوم فى السلطة.

الموقف من أحداث كفر الدوار عام ١٩٥٢ :

كنا ضد إعدام العمال، وأنا أطالب بإعادة المحاكمة لأن أحداث كفر الدوار هى نفسها أحداث شيكاغو.

الموقف من هبة مارس ١٩٥٤ :

كنا نطالب بعودة الجيش إلى ثكناته، وأنا شاركت فى الإضرابات المضادة لمظاهرات الصاوى المؤيدة لعبد الناصر.

الموقف من مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية :

كنا نؤيد موقف عبد الناصر من مؤتمر باندونج وصفقة الاسلحة التشيكية لأن ذلك كان تحولاً فى صالح الوطن.

الموقف من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثى :

كنا نؤيد تأميم القناة تأييداً مطلقًا، وندعو للدفاع عن الوطن ضد العدوان.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ :

اعترضنا على تصرفات الحكومة، خاصة بالنسبة لعدم نزاهة الانتخابات، وكنت مؤيداً لعبد العظيم أنيس فى دائرة الوايلى، وكنت عضو لجنة الدعاية الانتخابية فى عرب المحمدى أنا وسلامة عبد الواحد والدكتور محمد أنيس.

الموقف من الأحلاف العسكرية :

كنا ضد أى حلف مع الغرب مهما كان.

الموقف من قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية :

كان موقفنا تأييد الحكومة لأن ذلك عمل وطنى.

الموقف من وحدة مصر وسوريا :

كنا ضد الوحدة الاندماجية لعدم التكافؤ بين البلدين، وطالبنا بوحدة فيدرالية على أساس ديمقراطى.

الموقف من قرارات التاميم :

كنا نؤيد التاميم لأنه مكسب للشعب على المدى البعيد.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى :

كنا نؤيد مواقف الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية وكل مواقفه الدولية تأييداً تاماً.

الموقف من الصراعات داخل المعتقل :

أنا كان موقفى الحفاظ على التنظيم بكل الطرق.

الموقف من حل التنظيمات :

أنا كنت ضد الحل مهما كانت المبررات لأن أحداً لا يملك ذلك

وأنا كنت بعد الإفراج عنا فى مجموعة حزبية وكان معى منصور زكى ورجائى طنطاوى والزميل محمد بركات، وجاء الزميل حلمى يس وعرض موضوع الحل، ورفضنا جميعاً، أقصد كل أعضاء المجموعة، ولم أحضر بعد ذلك مؤتمراً أو كونفرنس لمناقشة هذا الموضوع.

أسباب الانقسامات فى الحركة الشيوعية :

الانقسام فى الحركة الشيوعية هو سبب تأخر اليسار فى مصر وسيظل كذلك، وأرى أن الانقسام سببه خلافات العناصر القيادية وسعيها للزعامة.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى سنة ١٩٦٥ :

السبب هو الصراع اللامبدئى، وأريد أن أذكر فى هذه المناسبة أن عبد الناصر كان يعرف بما يجرى للشيوعيين فى المعتقلات منذ عام ١٩٥٩، ويؤكد ذلك أنه كان فى الأربعينيات صديقاً لمحسن كرم الذى كنت أعمل فى مصنعه وللزميل على القربى قبل أن يصبح شيوعياً. ولما قبض على الزميل على القربى اتصل محسن كرم بعبد الناصر فطلب عبد الناصر أن يكتب على القربى تعهداً بعدم ممارسة أى نشاط سياسى، ولما رفض على القربى ذلك رحل إلى معتقل الفيوم. وأحب أن أذكر بعض الرفاق الراحلين الذين أدوا أدوارهم، وهم محمد المدرك الذى عملت معه، ومحمود العسكرى ومحمد عبد الغفار ولويس اسحق وشهدى عطيه وفريد حداد وشعبان حافظ.

كما أحب أن أذكر الزملاء الذين استشهدوا فى السجون والمعتقلات مثل على متولى الديب، وسيد أمين، وعبد القادر مفتاح، ولويس إسحق، وشعبان حافظ، وهلال عبد العزيز، وفريد حداد، وشهدى عطية الشافعى، ورشدى خليل، وحسب الله على مرسى. وأرى أخذ شهادات الأستاذ طه سعد، والزملاء سيد عبد الوهاب ندا، ونجاتى عبد المجيد، ومحمد عبد الجواد القطان والزميل أحمد على خضر.

شهادة

نبيل قرنفلي

البيانات الشخصية

الاســـــم : نبيل باسيل فرنظى المعروف بنبيل فرنظى

محل وتاريخ الميلاد : مواليد مصر الجديدة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٨

المــؤهــلات : بكالوريوس هندسة (ميكانيكا)، جامعة القاهرة عام ١٩٥٢، شهادة عليا فى الترجمة (عربى، فرنسى، انجليزى)، جامعة باريس ٨ (ESIT) عام ١٩٨٢.

فترة السجن والاعتقال : اعتقلت سنة ١٩٤٨ حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠، ثم من منتصف مارس سنة ١٩٥٢ حتى ٢٠ يوليو ١٩٥٢، ثم من ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ حتى ابريل ١٩٥٦، ثم من يناير سنة ١٩٥٩ حتى إبريل سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

ولدت من أب مصرى من أصل سورى، هاجرت أسرته من موطنها حمص بسوريا إلى القاهرة وكان عمره ٤ سنوات. وتعلم فى مدرسة تابعة للجالية السورية فى القاهرة ثم درس التجارة لمدة عامين فى الجامعة الامريكية فى بيروت. واحتفظ والدى بلكنة سورية طوال حياته. وكان مصرى الجنسية. أما والدتى فكانت أيضاً سورية ولدت فى بيروت وجاءت أسرتها إلى القاهرة وكان عمرها حينذاك ٢ سنوات. تعلمت فى مدرسة السنية وأرسلت مع عدد من زميلاتها إلى لندن لإكمال دراستها. وعندما عادت إلى القاهرة عملت مدرسة ثم مفتشة فى وزارة المعارف حتى زواجها من أبى إذ تركت العمل وأصبحت ربة أسرة. وظلت والدتى تتحدث طوال حياتها بفخر عن فترة الدراسة وعن عملها كمدرسة ثم كمفتشة فى سن مبكرة فى وزارة المعارف دون أن تشكو إطلاقاً - بوعى أو دون وعى - من مصيرها كامرأة مثلها مثل الغالبية الساحقة من النساء العربيات فى ذلك العصر. ومع ذلك ودون أى شك شجعت والدتى فى مخيلتى منذ سن مبكرة احترامى للمرأة كشريك للرجل فى المجتمع وليس فقط كأم أو كربة أسرة فى إطار المنزل، وأحسست أيضا بالظلم الواقع عليها فى المجتمع عامة وبصفة خاصة فى مجتمعنا المصرى والعربى، وارتبط ذلك فى وجدانى منذ الصغر بالتخلف الحضارى الذى يصيب مجتمعاتنا إلى اليوم. أما والدى فكان يعمل تاجراً فى الاقمشة وكان مثقفاً يقرأ الكتب العربية وجريدتى الأهرام والمقطم يومياً، ولكنى لا أذكر أننى سمعته يتحدث مرة واحدة فى

السياسة أو يبدى رأياً فى القضية الوطنية فيما عدا الحادث التالى. فى الأيام الأولى للعدوان الثلاثى بينما كانت الجيوش الفرنسية والانجليزية تحتل بورسعيد والمعتدين الصهاينة يتقدمون فى سيناء، ويوما واحدا قبل إنذار بولجانين (الإنذار الروسى الشهير) سألنى أبى (وكان يعلم أننى شيوعى) بانفعال شديد - «الروس بتوعك فين؟» وكانت هذه هى المرة الأولى التى أبدى فيها أبى أمامى شعوراً وطنياً.

الطفولة:

بدأت الدراسة فى مدرسة الفرير بمصر الجديدة وانتقلت بعدها إلى مدرسة الفرير بحى الخرنفش لإتمام الدراسة الثانوية. كانت غالبية التلاميذ من الجالية «الشامية» أى من أصل سورى أو لبنانى، أما المصريون من أصل مصرى فكانوا أقلية صغيرة، كما كانت غالبية التلاميذ من المسيحيين وأقلية صغيرة من المسلمين وأقل منهم من اليهود. وكان المدرسون من نفس هذه الأصول بنفس هذه النسب. أوضح كل هذه التفاصيل كى أبين أن التأثير المدرسى الاجتماعى لم يكن مختلفاً عن الجو الاجتماعى لأسرتى وأصدقائها. لم ينم فى وجدانى أى شعور وطنى بالنسبة لبلدى مصر فلم يكن هذا الأمر موضع اهتمامنا أو حديثنا سواء فى المنزل أو فى المدرسة. ولكننى من ناحية أخرى كنت شغوفاً بالقراءة منذ سن مبكرة وغرس ذلك فى مخيلتى حب الديمقراطية والعدل والمساواة. ومنذ سن الثانية عشرة بدأت فى شراء صحيفة يومية اسمها Journal d'Egypte لتابعة اخبار الحرب وكنت بالطبع ميالا لمعسكر الحلفاء، وأذكر أننى كتبت شعرا لتمجيد التحالف الثلاثى (انجلترا وأمريكا والاتحاد السوفيتى) الديمقراطى ضد البلدان الدكتاتورية الفاشية. ولكن مصر، بلدى، لم تكن اطلاقًا فى الصورة!

سن الرشد:

انتهت الحرب فى ١٩٤٥ وبعدها بأشهر قليلة بدأت الدراسة فى كلية الهندسة ولأول مرة فى حياتى اندمجت فعلاً فى قطاع من المجتمع المصرى يتشكل غالبيته من شباب مصرى غالبيتهم منشأهم مصرى من أرض مصر منذ أجيال، وكان ذلك بعد فترة وجيزة بمثابة نور ساطع يلون مجتمع مصر الذى أعيش فى وسطه وعلى أرضه منذ نشأتى بلون جديد لم أعه من قبل، لون الوطن. العدل والمساواة والحرية اصبحت تعنى منذ ذلك الحين أن البلد الذى

أعيش فيه، مصر، من حقه المطلق مثل جميع البلاد أن يكون حراً ومستقلاً لا يخضع لإرادة أحد إلا شعبه. ونهاية الحرب كانت إيذانا باندلاع التحركات الوطنية الجديدة. وأذكر أن أول عمل وطني قمت به مع بعض الزملاء من الجامعة هو المرور على المحال التجارية في حي مصر الجديدة لمطالبتها بإزالة اللافتات المكتوبة في غالبيتها باللغة الفرنسية واستبدالها باللغة العربية! وفي السنة الثانية بعد دخولي الجامعة دعاني أحد الأصدقاء إلى حضور حفل عند أصدقاء له وتحول الحفل بعد سماع عزف موسيقى لمدة قصيرة إلى جلسة نقاش سياسي كان موضوعه : من يريد إشعال الحرب، أهي أمريكا أم الاتحاد السوفيتي؟ وبالطبع اعتماداً على معلوماتي السياسية القليلة المستقاة في غالبيتها من جريدة Journal d'Egypte التي كنت لا أزال أقرأها ومن الأهرام، كان رأيي أن الاتحاد السوفيتي بصفته بلد «جوعان» هو الذي يريد الحرب بينما البلاد الغربية، أمريكا وانجلترا وفرنسا، شبعى بالمستعمرات ولا تحتاج الحرب!! وكان رأى الجميع عكس رأيي ولكنني بالطبع لم أقتنع. هذه كانت المرة الأولى التي أقابل فيها شيوعيين أو أعلم أن في مصر شيوعيين وداخل نفس المجتمع الطلابي الذي أعيش في وسطه. كنت شديد السذاجة! وعلمت فيما بعد أن هذه المجموعة الأولى من الشيوعيين التي حاولت إقناعي كانت تابعة لمنظمة الشرارة. وأثناء الشهور التالية تصادفت بالصدفة مع شيوعيين آخرين في الجامعة حاولا اقناعي ولكن دون جدوى.

وكان رأيي في القوى السياسية الثلاث، الشيوعيين والوفديين والاخوان المسلمين، التي كانت تتصارع في الجامعة، كالآتي : الاخوان المسلمون متعصبون وأنا أكره التعصب وأدعو للعلمانية ومساواة المرأة بالرجل، والوفديون كثيراً ما تتهم قياداتهم بالسرقة واستغلال النفوذ، أما الشيوعيون فهم ليسوا ديمقراطيين وأنا أعشق الديمقراطية. ولكن رغم ذلك ومن خلال المناقشات مع بعض الأصدقاء الشيوعيين اقتربت منهم شيئًا فشيئًا ودون أن أعي ذلك بوضوح، حتى جاء يوم صدمت فيه عندما رأيت مجموعة من الإخوان المسلمين المسلحين بالشوم والجنازير الحديدية عددهم لا يزيد عن بضع عشرات يهاجمون جمعاً مسالما من الطلبة يزيد عددهم عن ألفين يستمعون إلى خطب وطنية يلقيها بعض الشيوعيين أو الوفديين من طلبة الجامعة. وقد هز هذا العدوان غير المسبب عواطفي بعنف، وقلت لصديقي الشيوعي الذي كان في صحبتي - أنا اليوم أصبحت شيوعياً ... ولا زلت!

الخطوات الأولى :

كنت شغوفاً بالقراءة منذ الطفولة كما قلت، وطلبت من صديقي أن يساعدني في الحصول

على كتب ماركسية، فصحبني إلى صديق مشترك اسمه اسماعيل مرزوق (ولنا عودة إليه فيما بعد) استقبلني بترحاب كبير، كان عنده عدد كبير ومتنوع من الكتب الماركسية وسمح لي أن أستعير ماشئت من الكتب. وكان استيعابي للنظرية الماركسية بمثابة النور الساطع الذي لون حياتي بأكملها.

انضممت فورا للتنظيم السياسي الذي كان صديقي ينتمي إليه، وكان اسم هذا التنظيم «العصبة الماركسية». وكانت العصبة تفتخر حينذاك بأنها المنظمة الشيوعية الوحيدة التي ليس بين أعضائها يهود. وخلال شهرين حضرت اجتماعين فقط في العصبة ولم أكلف بأي نشاط ولم يطلب مني أي عمل محدد. وكنت شديد الحماس وعلى استعداد للعمل السياسي بوتيرة أسرع بكثير مما كانت تتطلبه العصبة. وبعد شهرين عندما عرض علي صديق آخر الانضمام إلى منظمة (م.ش.م) قبلت وتركت العصبة وانضممت إلى (م.ش.م) وكانت هذه المنظمة احدى المنظمات التي انشقت من منظمة (ح.د.ت.و) التي انفجرت بعد تشكلها ببضعة شهور. وباختصار شديد ما أذكره عن (م.ش.م) هو أنها كانت تركز جهودها بالكامل في الطبقة العاملة ولا تهتم اهتماما كبيراً بالقضية الوطنية وتعتبر جميع المنظمات الشيوعية الأخرى منظمات بوليسية وتمنع أعضاءها من مجرد التحدث إلى أعضاء هذه المنظمات!

ومع ذلك فإن ذكرياتي عن فترة ارتباطي بمنظمة (م.ش.م) التي لم تزد عن سبعة أو ثمانية أشهر ذكريات طيبة جداً حيث كانت تتمشى مع حماسي الفائق وافتقادي للخبرة والحنكة السياسية بحكم صغر سني نسبياً حينذاك. فهذه الفترة كانت مليئة بالنشاط والاجتماعات الحزبية التي كادت أن تكون يومية، وقابلت لأول مرة في حياتي عمالاً يعملون في مصانع النسيج في شبرا الخيمة وكنت مسئولاً عن مجموعتين من المرشحين العمال.

كما كانت هذه الفترة مليئة بالدراسات والمناقشات النظرية (ولكن ينبغي القول إن الكتب التي كنا نقرؤها ونناقشها كانت من كلاسيكيات الماركسية وليس بينها دراسات عن مصر والأوضاع المحلية). توقفت في هذه الفترة عن الدراسة أو حتى الذهاب أصلا إلى كلية الهندسة. وعندما جاءت العطلة الصيفية كان علي أن أختار بين ترك المنزل ووقف الدراسة والاحتراف السياسي، أو الانصياع لرغبة والدي الذي كان يصر على مصاحبتي لأسرتي في رحلة صيفية إلى لبنان. لم أكن حينذاك مستعدا لهذا التغيير الجذري، وخضعت لإرادة والدي وذهبت مع أسرتي إلى لبنان. وكان هذا من حسن حظي لأنه أثناء وجودي هناك قرأت في صحيفة الأهرام نبأ القبض على عدد كبير من الشيوعيين، ومن بين أسماء المقبوض عليهم

جميع الرفاق الذين كنت أناضل معهم. بالطبع كانت صدمة كبيرة لأننى بعدما عدت إلى القاهرة لم أنجح رغم محاولاتى العديدة فى الاتصال بمنظمة (م.ش.م) وكان هذا أيضًا من حسن حظى لأننى أفلت من مصير غالبية أعضاء المنظمة الذين سجن العديد منهم وحطمتهم فترة السجن بسبب سياسة قيادتهم الانعزالية التى تميزت باليسارية المتطرفة وبالسلطوية المطلقة. عندما تشكلت (م.ش.م) بعد الانشقاق من حدتو كانت أكبر المنظمات عددا وتم القضاء عليها تماما بعد عامين تقريبًا نتيجة الضربات البوليسية وسياساتها اليسارية الجنونية وأيضًا لنشاطها المفرط دون أى تعقل وللفقدان التام للديمقراطية داخلها وسلطوية قيادتها.

طليعة العمال:

عدت للدراسة فى كلية الهندسة، وكان نشاط الشيوعيين قد خف بسبب إعلان الأحكام العرفية مع بداية حرب ١٩٤٨ مع إسرائيل. وبالطبع لمدة أشهر لم أتصل بأى شيوعيين آخرين حيث كنت لا أزال مقتنعًا بأن كل المنظمات الشيوعية الأخرى بوليسية! وعندما زال هذا الوهم بدأت أتسلم وأقرأ مطبوعات المنظمات المختلفة، ولكن الحقيقة التى يجب أن أعترف بها هى أنه لم تكن لى بعد الدراية السياسية الكافية كى أختار بوعى وإدراك سياسى بين التنظيمات المتعددة الموجودة فى الساحة الشيوعية. وفى نهاية المطاف انضممت إلى (طليعة العمال) لثقتى فى رفيقين احترمتهما احترامًا كبيراً لأخلاقياتهما العالية ومواقفهما التى اتسمت بالجدية التامة، وهما الرفيق حسن صدقى وكان من زعماء كلية الهندسة، والدكتور الطبيب فريد حداد الذى كانت عيادته فى شبرا ويدعى طبيب الفقراء وكان شاهدى فى الزواج. واستشهد على بوابة معتقل أبو زعبل المشئوم. اشتركت فى المعركة الانتخابية التى حاز فيها الوفد على الأغلبية، وفى التظاهرة العظمى بعد أن ألغت الحكومة الوفدية معاهدة ١٩٣٦ خضوعا لضغط الجماهير العارم. وعندما صدر قرار التنظيم (وذلك بعد فترة من التردد) بالتدرب على السلاح للاشتراك فى العمل الفدائى فى منطقة القنال، اتصلت فى يناير ١٩٥٢ بصديقى القديم اسماعيل مرزوق، وكنت أعلم أنه على اتصال بضباط من الجيش وبالمجموعات التى بدأت تعمل فى منطقة القناة. وذهبت برفقة الرفيق جمال البراد ورفيق آخر لا أذكر اسمه مع اسماعيل وصديق له للتدرب على إطلاق النار فى صحراء الجيزة وراء الأهرامات. وحدثنا اسماعيل أثناء التدريب عن تنظيم الضباط الأحرار وعن اجتماعات لهؤلاء الضباط تتم فى ضاحية الزيتون ويشترك، هو طالب كلية الحقوق، فى حراستها! لم أعط أهمية كبيرة لهذه الثرثرة ولم آخذها

بمحمل الجدية، وكنت أتعجب أن يتحدث مناضل شيوعي عن مثل هذه الأسرار دون أي داع وخاصة عن مثل هذا العمل السري الخطير داخل الجيش. واشتركت في المظاهرات الكبرى في ٢٦ يناير وشاهدت الحرائق في وسط القاهرة وأعلنت الأحكام العرفية وأقيلت وزارة الوفد وهمدت الحركة الشعبية.

في هذه المناسبة طلب مني التنظيم أن أتوقف عن أي نشاط سياسي علني، وكنت على وشك الانتهاء من الدراسة والحصول على شهادة الهندسة، وفعلا حصلت عليها في يونيو١٩٥٢ أي قبل انقلاب الضباط الأحرار بشهر واحد.

في تلك الفترة كانت هناك منظمات شيوعية متعددة لن أتناول الحديث عنها جميعًا أو المقارنة بينها فيما عدا ثلاث منها هي : حدتو ومنظمة الحزب الشيوعي المصري (الراية) وطليعة العمال، وذلك لأنها كانت المنظمات الكبرى التي توحدت في يناير ١٩٥٨ وحازت على الاعتراف الدولي باسم الحزب الشيوعي المصري. والسبب الثاني هو أن أغلب المنظمات الأخرى نشأت نتيجة انفجار حدتو في ١٩٤٧ وبعد رحلة طالت أو قصرت حسب الظروف، وبعد انفجارات في بعضها أدت إلى منظمات جديدة عادت جميعًا إلى المنظمة الأم حدتو، وشكلت ما سمي بالحزب الشيوعي الموحد. أما حزب الراية فغالبية أعضائه القياديين كانوا أيضاً منشقين من حدتو أصلا مثل سعد زهران بالإضافة إلى فؤاد مرسي واسماعيل صبري عبد الله العائدين بعد الدراسة من فرنسا.

الموقف من الانقلاب العسكري :

كان موقف المنظمات الثلاث شديد الاختلاف إزاء انقلاب الضباط الأحرار. حدتو أيدت الانقلاب تأييداً مطلقًا. فقد كان لها تأثيرها المحسوس داخل مجموعة الضباط الأحرار واستمرت في تأييدهم فترة طويلة، حتى بعد محاكمة وإعدام الشهيدين خميس والبقري وحل جميع الأحزاب القائمة ونشر وتوسيع برنامج النقطة الرابعة الأمريكي (بل إن عناصرها مثل عبد المنعم الغزالي وأحمد طه دارا في شوارع كفر الدوار لدعوة العمال إلى الهدوء والسكينة بمكبرات الصوت). وقد لعبت حدتو دوراً بالغًا في السوء لكي تقبل الجماهير إرهاصات الدكتاتورية الناشئة التي نجح عبد الناصر في فرضها على الشعب المصري طوال عهده. أما حزب الراية فقد عارض الانقلاب معارضة مطلقة منذ اللحظة الأولى دون أن يأخذ في الاعتبار

بعض الجوانب الإيجابية مثل طرد الملك وبدايات الإصلاح الزراعى. ودام هذا الموقف اليسارى المتطرف حتى عام ١٩٥٦ حيث انقلب إلى عكسه تمامًا، أى إلى موقف موغل فى يمينيته كما سنرى فيما بعد. أما طليعة العمال فكان موقفها متعقلاً إذ وضعت شروطها لتأييد النظام الجديد مثل اطلاق الحريات العامة والنقابية.. الخ.

وبعد إعدام خميس والبقرى وقمع عمال كفر الدوار ووضوح الصورة السياسية عامة، مثل اختيار على ماهر شديد الرجعية رئيسًا للوزراء واحتضان السفير الأمريكى للخطوات الأولى للانقلاب، اتخذت طليعة العمال موقفًا واضحًا محدداً هو المعارضة الكاملة ونعتت النظام الجديد بالدكتاتورية العسكرية، وفى قليل من الأحيان على ما أذكر بالفاشية. ودام هذا الموقف حتى يناير ١٩٥٥ ولنا عودة إلى ذلك فيما بعد.

بعد أن طلبت منى المنظمة وقف نشاطى العلنى بعدة سبعة شهور تقريبًا وكنت قد بدأت العمل مهندسًا، اتصل بى الرفيق صادق سعد وأفهمنى أننى سوف أعمل فى جهاز الاتصال وأنه مسئولى الجديد وأننى يجب أن أستمر فى عدم القيام بأى نشاط علنى وأن أمتنع تماما عن الثرثرة وأكون شديد الحذر فى اتصالاتى الحزبية. ودمت على هذا الوضع حتى فبراير أو مارس ١٩٥٧ حيث عقدت طليعة العمال مؤتمرها الثانى ولنا عودة إلى ذلك فيما بعد. وطوال هذه الفترة جاءنى صادق سعد عشرات المرات وأصبحنا على مدى الايام صديقين حميمين وأدين له بجزء هام من تطورى السياسى والفكرى. وبالإضافة إلى ذلك أصبح منزلنا (تزوجت من عايدة عبد النور فى هذه الفترة وهى من أصل فلسطينى ولا زالت تناضل فى مجال القضية الفلسطينية) مقرًا لاجتماعات قيادة طليعة العمال. وكنا شديدى الحذر، يصل صادق قبل الآخرين، وعندما يبدأ الآخرون فى الوصول أدخل فى غرفة وأبقى فيها ويستقبلهم صادق. وأذكر تماما أننى لم أر احدا من القادة الآخرين قبل مؤتمر ١٩٥٧، رغم اجتماعهم عدداً لا يحصى من المرات فى منزلنا. إننى أروى كل هذا لكى أؤكد أن ممارسة الحذر والأمان كانتا ميزتين تتحلى بهما طليعة العمال لحماية الكادر والأعضاء بخلاف المنظمات الأخرى. ولذلك أذكر الأرقام التقريبية التالية : فى فترة ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ دخل السجون والمعتقلات بين ٧٠٪ و٨٠٪ من أعضاء حزب الموحد وبين ٨٠٪ و٩٠٪ من أعضاء حزب الراية و٢٠٪ من أعضاء طليعة العمال. إننى أعلم أن الحذر والاهتمام بالأمان ليسا العاملين الوحيدين لحماية المناضلين بل هناك أيضا وبصفة خاصة السياسة السليمة، فى مقابل السياسة المتطرفة يسارًا التى تزيد من العزلة عن الجماهير والسياسة اليمينية التى لا تفرق جيداً بين الصديق والعدو.

فى هذه الفترة دارت أحداث سياسية عديدة وكانت للمنظمات الثلاث أساليب مختلفة لمواجهة هذه الاحداث. فمثلاً كان هناك فرق جذرى بين مواقف طليعة العمال وحزب الراية فيما يتعلق بسياسة التحالفات مع القوى السياسية الأخرى. كان حزب الراية يدعو إلى تشكيل جبهة شعبية مع الإخوان المسلمين وحزب أحمد حسين المسمى بالاشتراكى ضد الوفد قبل يوليو ١٩٥٢، وضد نظام عبد الناصر ومحمد نجيب بعد ذلك. بينما كانت سياسة طليعة العمال الثابتة هى التحالف مع الطليعة الوفدية والسعى للتحالف مع الجماهير الوفدية العريضة لمحاربة كل القوى الرجعية الأخرى، وبصفة خاصة الإخوان المسلمين الذين كنا نتهمهم بالفاشية، وحزب أحمد حسين الاشتراكى الذى كان من أنصار هتلر وموسولينى عندما كان يسمى حزب مصر الفتاة قبل هذه الفترة بسنوات قليلة. أما سياسة حدتو فكانت تتأرجح بين الموقفين حسب الظروف. وكما ذكرنا ظلت حدتو لمدة أشهر طويلة تؤيد النظام العسكرى ثم غيرت موقفها وظلت على موقفها الجديد حتى نهاية ١٩٥٥ أو بداية ١٩٥٦.

وعارضت المنظمات الثلاث عبد الناصر وأيدت محاولة إعادة الديموقراطية عندما دب الخلاف بين جناح محمد نجيب وجناح عبد الناصر. وعارضت المنظمات الثلاث أيضًا المعاهدة الجديدة مع بريطانيا التى دفعت للحصول على وعد من بريطانيا بالجلاء ثمنا أعلى من معاهدة صدقى - بيفن التى أسقطها الشعب فى عام ١٩٤٦ إذ كانت تربطنا هذه المعاهدة الجديدة بتركيا التى كانت عضوا فى حلف الأطلنطى.

الموقف السياسى الجديد:

بدأ التغير الكبير فى سياسة عبد الناصر فى ديسمبر ١٩٥٤ حيث رفض بتاتا الدخول فى حلف السنتو مع تركيا وعراق نورى السعيد وباكستان، هذا الحلف الذى حاولت أمريكا أن تفرضه على بلادنا. ثم فى يناير أو فبراير ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر أنه سوف يحضر مؤتمر باندونج الذى نظمه نهرو الزعيم الوطنى الهندى وشوان لاى الشيوعى الصينى وسوكارنو الزعيم الاندونيسى للبلد المضيف. وهنا بادرت طليعة العمال بإرسال خطاب مفتوح إلى الرئيس عبد الناصر تؤيد موقفه الوطنى فى رفض الاشتراك فى حلف السنتو كما تؤيد حضوره مؤتمر باندونج. ثم توالت الأحداث وتمت صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا وسحبت أمريكا وبريطانيا عرضهما لتمويل السد العالى. ثم أمم عبد الناصر قناة السويس وبدأ بعد أشهر العدوان الثلاثى. ومنذ بداية ١٩٥٥ بعدما ذهب عبد الناصر إلى باندونج غيرت منظمة طليعة

العمال توصيفها للنظام الناصرى بأنه ديكتاتورية عسكرية واعتبرته نظاما وطنياً وأيدته تأييداً نقدياً ولم تتوقف عن مطالبته باطلاق الحريات الديمقراطية. أما الحزب الموحد وحزب الراية فلم يغيرا موقفهما المعارض ويؤيدا النظام الوطنى إلا فى بداية ١٩٥٦.

مؤتمر طليعة العمال :

بعد فترة تأميم القناة والعدوان الثلاثى - أى فى نهاية ١٩٥٦ - بدأنا الإعداد للمؤتمر بدراسة الوثائق التى أعدتها قيادة التنظيم وبانتخاب المندوبين للمؤتمر وذلك فى جميع الخلايا القاعدية وفى مختلف المستويات التنظيمية الأخرى. وسألنى صادق سعد إذا كنت على استعداد لتولى مسئولية الإعداد المادى والمعيشى للمؤتمر، أى استئجار مكان مأمون فى وسط القاهرة لعقد المؤتمر وتوفير الطعام اللازم لمدة ثلاثة أيام بكميات تكفى لثلاثين شخصاً فطلبت منه مهلة للتفكير فى الأمر، خاصة وأننى كنت أريد مشاورة زوجتى لأننى كنت سوف أحتاج لمساعدتها فى الإعداد. قبلت تحمل المسئولية الجسيمة واستأجرت شقة فى عمارة الإيمريبليا لأنها كانت فى نظرى مأمونة حيث أنها كبيرة جدا والمرور فيها دائم ومتواصل وتسمح بمرور الرفاق الثلاثين المخطط حضورهم دون أن يلتفت إليهم أحد.

وأحضرت المأكولات اللازمة بمعاونة زوجتى وحملناها إلى الشقة المستأجرة على عدة مرات كى لا تلفت الأنظار. ثم اصطحبت صادق سعد (الذى كان قد غير اسمه إلى أحمد صادق سعد بعد إشهار إسلامه لأسباب سياسية كى يقطع أية صلة باليهودية التى كانت موصومة بالصهيونية وبإسرائيل ويمكن أن تستخدمها الدعاية الرجعية والعنصرية) إلى الشقة المستأجرة لكى يراها. وتولت بعد ذلك قيادة طليعة العمال مهمة إحضار الرفاق يوم المؤتمر الأول ولم يخرج أحد من الشقة المستأجرة لمدة الثلاثة أيام الكاملة التى دار فيها المؤتمر غيرى أنا، حيث كنت أذهب يوميا لشراء الصحف والتأكد من عدم وجود تحركات مشبوهة حول عمارة الإيموبيليا تنبئ بأى خطر.

حضر المؤتمر فى واقع الأمر ٣١ شخصاً من بينهم رفيقة واحدة هى ثريا أدهم، وبالإضافة إلى كاتب هذه السطور كان الحاضرون الاخرون هم : أبوسيف يوسف وكان سكرتير المنظمة قبل المؤتمر، وحلمى يس، ويوسف درويش، وحسن صدقى الذى قابلته للمرة الأولى بعد أيام الجامعة وحسين توفيق طلعت، ومحمد بدر وأحمد سالم ومحمد عبد الغفار وفؤاد عبد المنعم وصادق سعد وريمون دويك ونبيل صبحى وعادل الضبع ورشدى خليل وعوض البار ولويس

اسحاق وعبد الباسط خلاف وصفوت يس وعدد من الرفاق الآخرين لا أتذكر أسماءهم.

وعلى ما أتذكر كان عدد العمال في المؤتمر يقرب من ٣٥٪ وفي اللجنة المركزية التي انتخبت في المؤتمر ٤٥٪ وناقشنا وثائق المؤتمر مثل الخط السياسي والخط التنظيمي والعمل الجماهيري وبالطبع قضية الوحدة مع الشيوعيين الآخرين. وبهذا الخصوص أتذكر أنني لم أسمع رأياً واحداً ضد الوحدة ولكن كان هناك خلاف حول التعجيل بعمل الوحدة، وكان يمثل هذا الرأي في طليعة العمال قسم الطلبة المتحمسين في أغلبيتهم للوحدة بأي ثمن بحكم اختلاطهم وتداولهم مع رفاق من منظمات أخرى وكفاحهم الوطني والديمقراطي المشترك واقتناعهم بأن الخلاف بين القيادات المختلفة قائم بسبب التنافس على المراكز القيادية ولأسباب حلقية، ولم يدركوا أن الفروق أعمق بكثير من هذا التصور الساذج كما اتضح بعد الوحدة. وكان يمثل هذا الاتجاه في المؤتمر الرفيق الشهيد رشدي خليل وعادل الضبع ورفيق آخر لا أتذكر اسمه. أما الغالبية سواء في المنظمة أو في المؤتمر وبصفة خاصة الأغلبية الساحقة من العمال الحاضرين في المؤتمر كانت مع الوحدة ولكن بتريث شديد وحذر. وكان هذا رأيي أيضاً. وأثناء المؤتمر طلب مني صادق سعد أن أروي للمؤتمر مقابلتي مع أحد قادة الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت، وكنت قد ذهبت في رحلة خاصة مع عدد من الاصدقاء إلى لبنان وسوريا في اغسطس ١٩٥٦ أي بعد تأميم القناة وكان عبد الناصر في أوج شعبيته، واستقبلنا بصفتنا مصريين كأبطال في المحال التجارية والمطاعم والفنادق التي أقمنا فيها، وفي سوق الحميدية في دمشق مثلاً وذلك مع انتفاء أية صفة رسمية لنا ولمجرد أننا مصريون! عندما قابلت هذا القائد وأعتقد- دون تأكيد- أنه كريم مروة، بعد بضع دقائق من الحديث سألني : هل هناك يهود في منظمتك؟ عندما أجبت بالإيجاب قال فوراً بلهجته اللبنانية : ما ينفعش!! وكانت هذه المرة الأولى التي سمعت فيها قائداً شيوعياً من خارج مصر يبدي مثل هذا الرأي واعتبرته خروجاً على كل المبادئ الأممية التي استوعبتها منذ ارتباطي بالشيوعية. رويت هذه القصة للمؤتمر ولا أتذكر أن أحدا علق أي تعليق.

بعد مناقشة الوثائق المختلفة تم انتخاب اللجنة المركزية وانتخبت القائمة المقدمة من القيادة السابقة بالكامل، ولم يحصل الرفاق الذين تقدموا خارج هذه القائمة على أصوات كثيرة. وأذكر أن الشهيد رشدي خليل كان في القائمة المنتخبة رغم رأيه في عملية الوحدة الذي كان مختلفاً تماماً مع رأي الأغلبية الساحقة.

وأتذكر تماما أنني تأثرت كثيراً بأسلوب الانتخاب فكل مرشح يقدم نفسه ونضاله وينتقد

الأخطاء التي يقع فيها ونواقصه ويعد بمحاولة التخلص منها، ثم يتحدث عنه مسئول سابق ورفيق آخر عمل في الماضي تحت مسئوليته بنفس أسلوب لانتقاد المتعقل وكانت الروح الرفاقية عالية جداً والوحدة الفكرية تكاد تكون كاملة.

حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصرى :

وانتهى المؤتمر وتغير اسم لتنظيم إلى حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصرى الذي عرف باسم (ع.ف) وكانت منظمة (ط.ع) تضم قبل إلغاء الأحكام العرفية وتأميم القناة حوالى ٣٠٠ عضو ومجموعة هائلة من العاطفين والمرشحين منذ سنوات في بعض الأحيان. وانتقد المؤتمر أسلوب منح العضوية وانغلاق التنظيم الذي كان لا يقبل عضوا إلا بعد أن يكون قد اكتسب الصفات الأساسية للشيوعي المناضل المجرب. وتغيرت سياسة التجنيد إلى الانفتاح واعتبر حزب (ع.ف) الجديد أن العضو يكتسب الصفات الأساسية للشيوعي المناضل داخل الحزب لا قبل دخوله! ولذا في نهاية ١٩٥٧ بعد المعركة الانتخابية التي انتخب فيها أول مجلس أمة في الجمهورية المصرية كان عدد أعضاء (ع.ف) قد ارتفع إلى ٢٠٠٠ عضو.

وكانت (ط.ع) في منتصف ١٩٥٦ قد كلفت ريمون دويك مسئولا وحسين طلعت وحسن صدقى لمعاونته في إقامة دار علنية للنشر. وسميت هذه المؤسسة «الدار القومية للنشر والتوزيع» وسجلت نجاحات هائلة في مدة قصيرة بحيث أصبحت من أكبر دور النشر بعد مدة لا تزيد عن سنتين، وصفيت هذه المؤسسة بعد عملية القبض الكبرى في ليلة رأس سنة ١٩٥٩.

وبعد المؤتمر رفع عني إلى حد ما الحظر على ممارسة أي نشاط علني، وكنت قد قابلت بعد سنين طويلة عدداً كبيراً من الشيوعيين وكان ذلك بمثابة هواء نقي جديد أستنشقه بعد فترة طويلة من الحرمان، وأقمت صداقات جديدة مع حلمي يس وحسين طلعت ويوسف درويش وأبو سيف واستأنفت صداقات قديمة مع ريمون دويك وحسن صدقي.

وكلفت بعد المؤتمر بمسئولية الجهاز الفني، وحصلنا في تلك الفترة على جهاز طباعة حديث وجديد، وأصبحت مطبوعاتنا التي كنت على الدوام أشكو من سوء طباعتها تقرأ بسهولة. ولم نشترك في المعركة الانتخابية في ١٩٥٧ لأن رفع الحظر على نشاطي العلني لم يصل إلى هذا الحد! وكانت مفاوضات الوحدة قد بدأت، ورغم ذلك برزت الخلافات بقوة أثناء المعركة الانتخابية خاصة مع الحزب الموحد، وكانت عناصر حدتو قد سيطرت عليه من جديد بعد فترة

من التوازن بينهم وبين العناصر الآتية من المنظمات الصغيرة التي توحدت في الحزب الموحد، وكانت الوحدة في الحزب المتحد على وشك الحدوث بين حزب الراية وحزب الموحد.

وأبرز مثال كان بالنسبة لدائرة الوايلي حيث كنا نؤيد الرفيق عبد العظيم أنيس الذي كان قد وافق على برنامجنا الانتخابي. في هذه الفترة كان تأثيرنا كبيرًا في عدة مناطق في القاهرة وضواحيها وفي عدد من المدن الأخرى. وكان الاتحاد القومي قد رفض جميع المرشحين الذين قدمتهم (ع.ف) من أعضاء الحزب مثل حلمي يس وحسين طلعت وطه سعد عثمان ومن غير الأعضاء مثل سعيد خيال. رغم ذلك أيد برنامجنا الانتخابي عدد من المرشحين إلى جانب عبد العظيم أنيس. أما الحزب الموحد فرفض تأييد عبد العظيم أنيس لأنه لم يكن من توابعه، وأيد عبد العزيز مصطفى بحجة أنه نقابي من عمال الترام وله علاقة هلامية ما بحدتو وكانت المعركة ضارية بين الجانبين، وانحازت الحكومة والمباحث العامة إلى جانب عبد العزيز مصطفى. ورغم ذلك كاد عبد العظيم أن ينجح بفارق كبير في الأصوات لولا عملية تزوير الصناديق الانتخابية التي يتحمل عبد العظيم إلى حد ما مسئولية نجاحها إذ لم يقم بالعمل اللازم لمنع هذا التزوير بالرغم من نصائحنا.

وكانت مفاوضات الوحدة تدور على قدم وساق، وكانت الوحدة قد تمت بين الراية والموحد داخل حزب سمي الحزب المتحد، ولكن لم تتخذ خطوات فعلية في تنفيذ هذه الوحدة عمليا. وفي ديسمبر ١٩٥٧ كان الاتفاق قد تم على أسلوب الوحدة والحماس شديد بين الشيوعيين حيث أنه لأول مرة في تاريخ مصر بعد الحرب العالمية الثانية ينشأ حزب شيوعي يضم الغالبية الساحقة من الشيوعيين المنظمين. ولم يتبق خارج الحزب غير تنظيمين صغيرين هما طليعة الشيوعيين ووحدة الشيوعيين اللذان يضمان معا عشرات قليلة من المناضلين. وتم الاتفاق على أن يقدم كل حزب العدد الاجمالي لأعضائه وتحددت على هذا الأساس تقريبًا النسب في اللجنة المركزية للحزب الواحد. وعلى حد علمي تقدم حزب الراية بشرط لا تنازل عنه، وهو أبعاد كل رفيق «منحدر من أصل يهودي» من القيادة المركزية. وبالطبع كان رد الفعل عنيفًا في صفوف حزب (ع.ف) في أول الأمر، إذ يطلب منا استبعاد يوسف درويش وريمون دويك وصادق سعد وهم مؤسسو هذا التيار ويحوزون على احترام وتقدير جميع الأعضاء لأخلاقياتهم الرفيعة والتضحيات الجسيمة التي قدموها للوطن وللطبقة العاملة. أذكر أنني ذهبت في أواخر شهر ديسمبر إلى شقة ريمون دويك لحضور اجتماع اللجنة المركزية لمناقشة هذا الشرط الذي قدمته الراية. (وكنت قد صعدت إلى ل.م. بعد المؤتمر ولم أنتخب فيه لأن أحدا

لم يعرفني كمناضل قبل المؤتمر فيما عدا صادق سعد). ذهبت إلى هذا الاجتماع وأنا متأكد من موقفي، وهو الرفض بالطبع، ومن موقف جميع الرفاق الذين بالتأكيد سوف يرفضون هذا الشرط مثلي، وتحدث أبو سيف يوسف وقدم القضية كما يلي : الوحدة على وشك الاتمام وكل شئ جاهز للحظة التي تمناها الشيوعيون منذ سنين طويلة. والحركة الأممية تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر ولا يمكن وأد كل هذه الآمال. ويوجد حاليًا في القاهرة مندوب من المكتب السياسي للحزب الشيوعي الإيطالي هو الرفيق «سبانو» ورفيق آخر من المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي جاءا إلى مصر أثناء المراحل النهائية لمناقشات الوحدة لتأكد من نجاحها. وعندما سئل الرفيق سبانو عن رأيه في هذا الشرط لم يعارضه وقال إن هذه مناسبة سيلسية ويعني بذلك أن ظروف الوضع مع اسرائيل وترك اليهود مصر في هذه الظروف (وكانوا قد هاجروا من مصر بأعداد وفيرة في ١٩٥٧) تسمح بوضع مثل هذا الشرط. أما الرفيق العراقي فلم يقبل ابداء رأى ما في مثل هذا الموضوع. لا أنكر ما هي المناقشات التي دارت ولكن أتذكر تماما نتيجة التصويت. وافق الجميع بمن فيهم يوسف درويش وريمون دويك على قبول الشرط فيما عدا صادق سعد الذي امتنع عن التصويت وصفوت يس الذي عارض تمامًا قبول هذا الشرط. أما أنا فلخجلي الشديد حتى اليوم صوت مثل الآخرين خضوعًا للضغط المعنوي وخوفا من مسئولية إفشال الوحدة المرتقبة واحترامًا لحكمة وحنكة قادة (ع.ف). وفي رأيي لم تكن العنصرية هي الدافع الأساسي وراء الشرط الذي وضعته قيادة الراية فإننا نعرف جميعًا أن الأب الروحي للمجموعة القيادية في الراية العائدة بعد دراستها في فرنسا والتي كانت هي الاساس في تشكيل حزب الراية، رفيق من أصل يهودي مصري وعضو في الحزب الشيوعي الفرنسي اسمه «أجيون»، وصديق آخر لهذه المجموعة العائدة من فرنسا هو «مكسيم رودنسون» وهو يهودي الأصل أيضًا ومعاد تماما للصهيونية. ورغم أن هذا الشرط في رأيي لم يوضع في الأساس بدافع العنصرية عند أغلبية هذه القيادة إلا أنها استغلت الفكر العنصري الذي كان متفشيًا إلى حد كبير في صفوف حزب الراية، كما ظهر ذلك بوضوح في معتقل الواحات، بل كان الهدف الحقيقي لوضع هذا الشرط من قبل قيادة الراية هو تقسيم قيادة (ع.ف) داخل الحزب. وقد فشلوا تماما في محاولة تقسيم ع.ف. ونجحوا تمامًا في الهدف الثاني وهو اضعاف الحذر السياسي والحنكة السياسية والترقب ضد الفكر اليميني كما سنرى في تطور الأحداث.

الحزب الشيوعى المصرى (٨ يناير ١٩٥٨) :

وتم اعلان الوحدة فى يناير ١٩٥٨، وتشكلت اللجنة المركزية الجديدة آخذة فى الاعتبار أرقام العضوية التى قدمها كل حزب : ١٧٠٠ بالنسبة للموحد، ٣٠٠ بالنسبة الراية، و ٢٠٠٠ للعمال والفلاحين كما ذكرت أعلاه. لا أتذكر جيداً أرقام ل.م. ولكن صادق سعد أقنعنى، وقبلت ذلك بسهولة، بأن لا أكون فى قائمة ل.م من أصل (ع.ف) وذلك للمحافظة على أمنى على قدر الامكان حيث أن أسماء أعضاء ل.م كانت متداولة بين الجميع، فعينت مسئولاً تنظيميا ثانوى الأهمية وغير معروف فى أحد أقسام القاهرة والذى كان أغلب أعضائه عمالا فى المطابع الأميرية. كما عينت عضوا فى المجموعة التى تحرر وتصدر مجلة الحزب المركزية (كفاح الشعب) وكانت مكونة من ثلاثة رفاق، واحد من حزب الراية سعيد عارف، والثانى من الموحد فتحى خليل، والثالث كاتب هذه السطور وكان مسؤول المجموعة سعد زهران. وهنا أعتقد من المفيد أن أروى حادثاً لا لأهميته فى حد ذاته ولكن لإعطاء مثال لتصرفات أحد قادة حزب الراية التى تتمشى فى رأيى مع عقلية هذه المجموعة وانتفاء الديمقراطية فى تقاليدها. فى إحدى الجلسات قدمت المقال الذى كان قد طلب منى إعداده ولا أتذكر تماما الموضوع ولكنه كان يتناول سياسة الحزب. وبعد قراءة المقال على الجميع بدأ سعد زهران ينتقد أجزاء عديدة من المقال بمفهوم يمينى، وكنت فى كل مرة أثبت له تطابقها مع الوثائق الرسمية الصادرة من قيادة الحزب (التى يعرفها هو بالطبع واشترك فى وضعها فى القيادة). وفى كل موضوع خلافى كان يقف إلى جانبى الرفيقان الآخران بحيث أسقط فى يده تماماً واضطر أن يوافق على صياغة المقال كما هو وبدون أى تغيير. عندما صدر عدد المجلة اكتشفت أن مقالى قد تغير تماما وأصبح يحتوى كل الأفكار اليمينية التى كان سعد يريد إدخلها على المقال. أعددت مذكرة مفصلة موجهة إلى المكتب السياسى، وفى الجلسة التالية قدمتها لسعد زهران وطلبت منه أن يقرأها علينا نحن الثلاثة وأن يسلمها بعد ذلك للمكتب السياسى.

أتذكر أن لون وجهه تغير مع قراءة المذكرة ثم بعد انتهاء الجلسة طلب منى البقاء بعد انصراف الرفيقين الآخرين ورجانى رجاء شديداً ومتكرراً أن أسحب مذكرتى. واعتبرت الدرس كافيا وسحبت الشكوى!.

وفى شهر نوفمبر ١٩٥٨ عينت عضوا فى الهيئة الحزبية المسئولة عن الشؤون البرلمانية وأذكر من القصص الطريفة أننى كنت أعمل مهندسا فى شركة يعمل فيها أيضاً فايق فريد، وكان على ما أتذكر عضو مجلس الأمة الشيوعى الوحيد. وصباح يوم الاجتماع فضلت أدبيا

أن اقبن فايق فريد الذى كنت أعمل بجانبه منذ شهور طويلة أننى أعلم أنه عضو فى الحزب، وأننى أيضاً عضو فى نفس الحزب وسوف أجتمع معه فى نفس الجلسة وصحق اندهاشاً!

وفى نفس الفترة سحبت من مستولية التنظيم فى قسم المطابع الأميرية فى وسط القاهرة وعينت مسئولاً للدعاية فى لجنة قطاع شمال غرب الوجه البحرى والتى كانت تشمل الاسكندرية - كفر الدوار- رشيد على ما أتذكر. ولكنى لم أحضر أى اجتماع للجنة القطاع هذه حيث تمت عملية القبض الكبرى فى ليلة رأس السنة ١٩٥٩، ولأول مرة فى حياتى دخلت المعتقل.

وينبغى القول إنه للمرة الأولى فى تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية كشفت المنظمات الشيوعية أحشاءها بالكامل لضربات الدولة والمباحث العامة، وإن كان هذا عادياً بالنسبة لحدتو - الحزب الموحد، ونعلم جميعاً أن وحدة الموحد تمت فى عام ١٩٥٥ وقيادتها بالكامل فى السجن، ومتكرر أيضاً بالنسبة لحزب الراية الذى كانت كل قيادته فيما عدا فؤاد مرسى مسجونة أو معتقلة فى عام ١٩٥٥، إلا أن الأمر كان يختلف اختلافاً شديداً بالنسبة لحزب (ع.ف) الذى لم يكن معتقلاً من قيادته فى هذه الفترة إلا عدداً قليلاً جداً من المناضلين. وكانت الثرثرة متفشية وأسماء القيادة متداولة بين الجميع. وانتقلت عدوى هذه التصرفات إلى صفوف حزب (ع.ف) ولذا عندما حدثت الضربة أطاحت بالجميع. ولنا عودة إلى هذا الموضوع فيما بعد.

الانقسام :

منذ بداية الوحدة تم عمليا قيام تحالف ضمنى بين (ع.ف) و(الراية) وعناصر الموحد غير التابعة لتيار (حدتو). فالجميع يعرف من التاريخ السابق لحدتو وتصرفات الهيكل الكوربيلى فيها كيف تمكنت المرة تلو المرة من السيطرة على كل تنظيم نشأ عن وحدة دخلت فيها. حدث هذا الأمر حتى فى الوحدة الأولى بين ح.م. واسكرا (وكان عدد أعضاء اسكرا أكبر بكثير من عدد أعضاء ح.م) التى شكلت حدتو، إذ سيطرت مجموعة كوربيل على تنظيم حدتو الجديد بعد فترة قصيرة. وهذه السيطرة، التى تمت بأسلوب تآمرى وتصرفات أقل ما يمكن وصفها به هو افتقادها لأية أخلاقيات، من ضمن الأسباب الرئيسية للانفجارات المتتالية التى انتابت حدتو ونشأ عنها العديد من التنظيمات. حدثت مرة أخرى بعد تشكيل الموحد وانضمام حدتو إليه حيث سيطرت حدتو عليه بعد فترة قصيرة. وفى رأيى أن التحالف الضمنى مع بعض عناصر

الموحد أمر طبيعي حيث كان هناك تشابه في المواقف السياسية.

أما التحالف مع حزب الراية فكان أقل مبدئية. صحيح أنه كانت هناك ضرورة تقليم أظافر حدتو ومنعها من السيطرة على الحزب بأساليبها الملتوية، إلا أنه كان هناك خلاف جذرى بيننا وبين حزب الراية الذى كان بعد توغله فى اليسارية المتشددة حتى بداية ١٩٥٦ قد انقلب وتوغل فى الفكر اليمينى وفى الانحراف القومى بعد ذلك (ولنا عودة إلى هذا الموضوع فيما بعد). وفى رأيى: اتخذ هذا التحالف غير المبدئى لونا تكتليا أعطى لاتهامات منظمة حدتو شيئًا من المصداقية عندما انشقت من الحزب وذلك عندما فقدت بعد مدة قصيرة أى أمل فى السيطرة عليه.

الاعتقال :

دخلت المعتقل إذا فى أول يناير ١٩٥٩ وأقمنا جميعًا فى سجن القلعة لمدة ثلاثة أشهر ثم نقلنا بالقطار مكبلين بالسلاسل الحديدية والكلبشات طوال مدة السفر حتى سجن الواحات. ولم أقدم للمحاكمة لأن الاتهام لم يجد أى دليل على اشتراكى فى الحزب. وبقيت فى سجن الواحات حتى الإفراج عنى. عانيت كبقية المعتقلين المعاملة السيئة والجوع والحفاء والضرب مرتين أو ثلاث. ولكننى أقول دائمًا عندما أسأل أن حسن حظى كان كبيراً لأننى لم أمر بمعتقل الفيوم أو بأوردى أبو زعبل الذى عانى فيه الرفاق التعذيب يوميًا وعوملوا فيه معاملة شبه نازية تفتقد فقط وجود أفران الغاز لكى تكون كاملاً بصفة النازية.

مايمكن قوله عن فترة اعتقالى هو أنها كانت أسوأ فترة قضيتها فى حياتى، لا بسبب فقدان الحرية أو معاناة المعاملة السيئة من قبل السلطة، فهذا متوقع وكان سهل الاحتمال بالنسبة لى خاصة وأننى احتفظت بصحة جيدة طوال اعتقالى، ولم يكن هناك داع للانشغال على زوجتى حيث كانت تعمل فى وظيفة جيدة. السبب هو الصراع الايديولوجى غير المبدئى الذى دار داخل الحزب والذى أبرز كل نقاط الضعف الأخلاقية التى لم أكن أتصورها عند رفاق مناضلين. هذا لا يعنى بالطبع أنه لم تكن هناك صور من البطولة الفردية والجماعية التى كانت تجعلنى أفخر بانتمائى إلى الحزب الشيوعى. ويكفى أن أقول إن الشيوعيين المصريين صمدوا فى أغلبيتهم الساحقة رغم طول مدة الاعتقال والتعذيب والمعاملة السيئة التى تحملوها والمحاولات المستمرة والمتكررة - حتى آخر لحظة - التى قامت بها السلطة الناصرية كى

يتخلى الشيوعيون عن هويتهم الشيوعية. لكن رغم ذلك فإن النواقص التي ظهرت في أخلاقيات بعض الرفاق، والعنصرية التي لم أكن أتصورها عند شيوعيين مناضلين، والأنانية التي برزت مثلاً إزاء الموقف من الحياة العامة، كانت بالنسبة لي جرحاً أليماً.

وهنا أعود للصراع الايديولوجي الذي دار في الحزب بين التيار اليميني الممثل في أعضاء حزب (الراية) السابقين وخاصة قيادتهم من جانب وبقية أعضاء الحزب من جانب آخر، والتي استعملت فيه كل الأسلحة اللامبدئية والخروج على القواعد التنظيمية السليمة.

فعندما جاءنا أول بيان من الخارج يصف النظام الناصري بأنه دولة الاحتكار وشبه الاحتكار وكانت القيادة الشرعية في الخارج ممثلة في أبو سيف يوسف المنتخب أميناً عاماً للحزب قبل الاعتقال ومعه نبيل صبحي ومحمد سالم وإسماعيل المهدي وتسيم يوسف الذين نجحوا في الافلات من الضربة الأولى، تم توصيف السلطة بأنها سلطة رأسمالية الدولة الاحتكارية. وساد هذا الفكر صفوف غالبية الحزب (أي أعضاء ع.ف السابقين وغالبية أعضاء الموحد المتبقين داخل الحزب) والحقيقة والتاريخ يجب أن نتذكر هنا الوقائع التالية : قضاء الدكتاتورية الناصرية على النظام البرلماني في سوريا بعد الوحدة وعمليات القبض الشرسة على المعارضين السوريين وخاصة الشيوعيين (قتل فرج الله الحلو تحت التعذيب واختفاء جثته وقيل إنها أذيبت في الأحماض)، وغزو بنك مصر والبنك الأهلي لسوريا، وموقف النظام الناصري من الثورة العراقية ومساعدة الشواف في محاولة قلب النظام الجديد، والتواطؤ مع السياسة البريطانية إزاء مشكلة الكويت التي لم تكن بريطانيا قد خلقتها بعد كإمارة ودولة مستقلة وكان يطالب بها عراق الثورة. وأخيراً وليس آخراً تصريح عبد الناصر الشهير بأن المعركة مع الاستعمار قد انتهت! كل هذا يفسر إلى حد ما الخطأ اليساري الذي وقع فيه الحزب وغالبية أعضائه في توصيفه للنظام. (ولنا عودة إلى هذا الموضوع عندما أتناول باقتضاب شديد تحليلي للنظام الناصري). ولكن عندما انقلبت السياسة الناصرية تحت ضغط الأزمة العارمة التي نتجت عن التخلي عن السياسة الوطنية السابقة وبوادر الانفصال في سوريا وبدأت سياسة التأميمات والتحول الذي أسمته الناصرية بالتحول الاشتراكي وإصدار القوانين التي لبت بها مطالب كان الشيوعيون أول من طالبوا بها وسجنوا واعتقلوا بسببها، غيرت أغلبية عضوية الحزب موقفها وانتصر معنوياً التيار اليميني داخل الحزب وكذلك فريق المنقسمين خارجه الذي بدأ يجذب من جديد بعض عناصر الموحد المهتزة التي كان قد فقدها منذ الانقسام وراجت نظرية المجموعة الاشتراكية سيئة السمعة.

فى شهر ابريل ١٩٦٢، وكان الحزب لم يغير بعد سياسته، أفرج عنى وخرجت من معتقل الواحات بعد محاولة شكلية من قبل المباحث لحملى على استنكار الشيوعية ورفضتها بالطبع. وكان هذا الإفراج بناء على أمر شخصى من عبد الناصر. روى لى الحادث الزعيم الجزائرى محمد خيضر الذى قتل فى مدريد بعدها بسنتين أو ثلاث. بدأت القصة باننى تعرفت فى سنة ١٩٥٣ على زعيمين (محمد خيضر وآية أحمد) هربا من الجزائر ولجأ إلى القاهرة. وقامت زوجتى بترجمة كتيبات لجبهة التحرير الجزائرية، من اللغة الفرنسية إلى اللغة الانجليزية وترجمت لهما أنا فى عدة مناسبات بعض الرسائل والمطبوعات إلى اللغة العربية وربطتنا علاقات ودية وحميمة مع أسرتيهما. وعندما استقبلوا مع بن بيلا فى القاهرة استقبال الأبطال المنتصرين بعد الإفراج عنهم من السجون الفرنسية طلب بن بيلا من عبد الناصر فى أول فرصة سانحة، الافراج عنى. وأمر فوراً هذا الأخير أمام بن بيلا ومحمد خيضر الذى كان يحضر المقابلة، وزير الداخلية زكريا محيى الدين حينذاك بالهاتف، أن يطلق سراحى فوراً، وهكذا كان! بعد خروجى من المعتقل أحسست على الفور أن العداء للنظام بعد هذا التغيير الكامل لسياسته ينبع من الفئات البرجوازية المتوسطة والكبيرة وأن تأييد الخطوات الجديدة عارم بين الفئات الشعبية، وبعد مرور شهرين تمكنت من إرسال تقرير مكتوب بالخط الصغير على ورق البفرة إلى سجن الواحات أصف فيه الأوضاع الجديدة وأنصح بتغيير سياسة الحزب إزاء النظام.

وعندما أفرج عن جميع الرفاق عام ١٩٦٤ لم أنتظم فى صفوف الحزب من جديد، من ناحية لأنه لم يطلب منى ذلك ومن ناحية أخرى لأن الأوضاع كانت فلامية داخل الحزب. وجاء الحل. وعندما سئلت عن رأيى بخصوص الحل، لم أكن متحمساً له ولكن لخجلى الشديد للمرة الثانية لم أعارضه بل وافقت عليه.

تقييمى الصريح والمخلص للمنظمات الشيوعية الثلاث :

إن هذا التقييم بالطبع تقييم سياسى لا يقصد منه مس أشخاص معينين فى كرامتهم أو نضاليتهم. فاحترامى شديد لرفاقى الشيوعيين الذين صمدوا فى أغلبيتهم الساحقة لكل صنوف الضغط والتعذيب والإغراء أثناء نضالهم كشيوعيين. فهناك أمثلة باهرة للشجاعة رأيتها بعينى رأسى، أو سمعت عنها من قبل رفاق اختلفت معهم سياسيًا تمامًا أو جزئيًا فى جوهر الفكر أو بخصوص أمور ثانوية، كثيراً ما كانوا من منظمات غير (ع.ف) مثل فخرى

لبيب وبطولته أمام اللواء همت عندما هدده نقرى بمحاكمته لأفعاله الإجرامية دون اكتراث بالمد فى الوشاشة المصوبة إليه. أو عندما وقف أمام شنيشن مأمور السجن وهدده علنياً أمامنا وأمام عسكر الحراسة بأننا سنثور لو مس واحداً منا بالضرب مرة أخرى. أو بطولات اسماعيل صبرى عبد الله ومحمود العالم ونبيل صبحى وغيرهم كثيرين فى ظروف الضرب والتعذيب فى أوردى أبو زعبل، وكذلك فوزى حبشى والبكار فى معتقل الفيوم. وكان الشهداء من جميع الصفوف مثل شهدى عطية ولويد حداد ورشدى خليل ومحمد عثمان، كلهم سقطوا تحت ضربات الديكتاتورية العسكرية رغم كونها وطنية.

الهوية المصرية : أول أمر أتناوله هو موضوع خبرته فى حياتى الشخصية وهو الهوية المصرية والارتباط بشعب مصر. وقال مثلا الرفيق يوسف درويش فى شهادته فى كتاب شهادات ورؤى «الجزء الثانى» أنه عند بداية تنظيم المنظمة التى أنشأها عرضوا على رفاق أجانب قدامى لهم تاريخ فى النضال البقاء إذا أرادوا فى هيئة سميت بالمر حتى يتعلموا اللغة العربية ويمكن قبولهم بعد ذلك فى التنظيم. وأعلم أن صادق سعد عندما دخل كلية الهندسة لم يكن يعرف العربية جيداً ولكنه بقدرته الدوبة على العمل الصبور تعلمها جيداً بحيث كان يكتب مقالات فى الفجر الجديد ويؤلف كتبًا مثل «فلسطين فى مخالب الاستعمار» بلغة عربية سليمة تمامًا. وفى هذا الأمر المقارنة بهنرى كورييل ساطعة وهو الذى لم يكتب سطراً واحداً باللغة العربية وكانت تترجم له كتاباته من الفرنسية، ومع ذلك لم ير هو أو اتباعه مانعاً من أن يتزعم ح.م. ثم حدتو بوصفه القائد المفترض لثورة شعب لا يعرف لغته.

الإحساس بنبض المجتمع المصرى : منذ ثورة ١٩١٩ حتى عام ١٩٥٥ وبصفة خاصة عام ١٩٥٦ وتأميم قناة السويس عندما دعم عبد الناصر قيادته الوطنية وأزاح الوفد من هذه المكانة، احتل حزب الوفد مكانة خاصة فى قلب وعواطف الشعب المصرى الوطنية والديمقراطية. ورغم معاهدة ١٩٣٦ سيئة السمعة ورغم دخول عناصر شبه اقطاعية كثيرة فى قيادته وميوعة مواقفه الوطنية وتهادنه فى المدة الأخيرة مع السراى الذى كان يعاديه فى المرحلة الأولى، ظل الوفد يحتل المكانة الأولى عند الشعب وينجح بالأغلبية الساحقة من مقاعد البرلمان فى كل الانتخابات الحرة نسبيًا التى أجريت فى مصر بحيث كان يقال : إذا رشح الوفد حجراً لنجح! لذا كانت طليعة العمال، مع الاحتفاظ بهويتها الطبقية، فى تحالف دائم مع الطليعة الوفدية وهى الجناح اليسارى للوفد وتسعى لجذب الجماهير الشعبية الوفدية

الواسعة وإبعادها بالتدريج عن هيمنة القيادة الوفدية المتهادنة دون اعتبار هذه القيادة العدو السياسى الأول. ومن ناحية أخرى إذا وضعنا جانبًا الأحزاب الأخرى كالسعديين والاحرار الدستوريين والكتلة التى لم يكن لها أية شعبية تذكر لم يبق فى الساحة إلا الاخوان المسلمين وحزب أحمد حسين الاشتراكى (مصر الفتاة ثم الحزب الوطنى الاسلامى).

وقد ارتبط الإخوان المسلمون بالاستعمار وحلفائه - السراى وكبار ملاك الأرض - منذ نشأة حركتهم فى الاسماعيلية حيث كانوا منذ ذلك الوقت يبنون جوامعهم بتبرعات شركة قناة السويس الفرنسية - الانجليزية. وحتى عام ١٩٣٩ كان عدوهم الأساسى هو الوفد، يحاربونه بشعاراتهم ضد النظام البرلمانى والحزبى باسم الأصولية الاسلامية. وكانت حكومات الأقلية تساعدهم وتؤيدهم بشتى الطرق. بعد الحرب لحتل هؤلاء المكانة الأولى فى عداوتهم. بل حدث فى فترة ١٩٥١ تواطؤ بين العناصر الوفدية اليمينية التابعة لسراج الدين وبين الإخوان ضد الطليعة الوفدية والشيوعيين. وبالإضافة إلى عدم وضوح موقفهم إزاء القضية الوطنية والاستعمار البريطانى كانوا بتعصبهم الدينى الموجه ضد الاقباط يرفضون تماما شعار الثورة الوطنية فى ١٩١٩ «الدين لله والوطن للجميع». ومن جانب آخر ازدادت فى هذه الفترة قوة جناحهم المسلح الذى استخدم فى صدامهم مع القوى الديمقراطية فى بورسعيد فى ٦ يوليو ١٩٤٦ البنادق والقنابل! لذا اكتسبت حركة الاخوان المسلمين كل قسمات الأحزاب الفاشية الساعية للسلطة. ويصف جيداً كتاب «الإخوان المسلمون فى الميزان» الذى ألفه عبد الرحمن الناصر وكان على ما أعتقد عضوا فى منظمة الشرارة، كل هذه الأمور.

أما حزب أحمد حسين «مصر الفتاة - الحزب الوطنى الاسلامى - الحزب الاشتراكى» فتوجهاته الفاشية منذ نشأته ومواقفه المتعاطفة مع دول المحور تحت شعار «أعداء اعدائنا هم أصدقاء لنا» معروفة للجميع. وموقف هذا الحزب مثله مثل الاخوان المسلمين هو معاداة الحزبية والنظام البرلمانى، كما أنه مثله مثل الاخوان المسلمين مرة أخرى يعمل على تحويل معاداة الشعب المصرى للصهيونية وتضامنه مع الشعب الفلسطينى العربى الشقيق إلى معاداة عنصرية دينية ضد اليهود! كل هذه القسمات تدمغ حزب أحمد حسين أيضًا بالفاشية.

وكان موقف الفجر الجديد وطليعة العمال واضحًا ومحدداً وثابتًا منذ البداية وهو معاداة كاملة للحزبين والوقوف مع الطليعة الوفدية والوفد عامة ضدهما (رغم تذبذب مواقف الوفد والطليعة الوفدية إزاء حزب أحمد حسين عام ١٩٤٥) أما حدتو فكان موقفها من الإخوان متذبذبًا حسب الظروف. تعاديهم عندما يعتدون على قواها مثل فترة اللجنة الوطنية وتتفق

معهم فى فترات عداء حدتو للوفد حيث لم يكن لحدتو سياسة ثابتة مبدئية إزاء حزبى الوفد والإخوان. أما بالنسبة للحزب الاشتراكى فكانت سياسة حدتو الدائمة هى السعى للتحالف معه. وعلى عكس ذلك وضع حزب الراية منذ نشأته سياسة تحالفات واضحة تماما. فالإخوان وأحمد حسين عضوان فى الجبهة الشعبية التى يدعو حزب الراية لتشكيلها، والوفد هو العدو الذى يجب إضعافه وابعاد الجماهير الشعبية عن نفوذه. وظل حزب الراية على هذا الموقف حتى بعد الانقلاب العسكرى ضد النظام الملكى واستبعاد الوفد عن الحكم نهائياً.

الهوية الطبقية : دعمت المجموعة التى شكلت فيما بعد (ط.ع) وأصدرت مجلة الفجر الجديد مبدأ استقلالية الطبقة العاملة وارتبطت بأبرز ممثلى هذا الاتجاه فى الأوساط العمالية مثل محمود العسكرى ومحمد العسكرى ومحمد يوسف المدرك وطه سعد عثمان. وكانت ترى أن القيادة العمالية يجب أن تنبع طبيعيا من أحشاء الطبقة العاملة. ولذا عندما تشكلت اللجنة العمالية للتحرر الوطنى من ثمانية أعضاء من بينهم الثلاثة المذكورون أعلاه كان الباقون عمالا، ويوسف درويش آحد أعضائها وصدرت (الضمير) لسان حالها. وكان الهدف المرجو هو أن تكون هذه اللجنة هى النواة التى يتشكل منها الحزب الشيوعى. وأتذكر أننى قرأت ليوسف درويش مقالا فى الضمير تحت اسم خيرى محمود ينهيه بما يلى :«إن حركتينا تتقابلان حركة العمال التى لا تثق إلا فى قيادتها الذاتية وحركة الطلبة التى لا تثق فى القيادات القديمة». ولكن هذه المحاولة فشلت لأسباب مختلفة ليس مجال مناقشتها هنا.

ومثل العمال جزءاً هاماً من عضوية طليعة العمال منذ البداية كما مثلوا أيضاً نسبة هامة من قيادة المنظمة حتى اللجنة المركزية والمكتب السياسى. وأذكر دون تأكيد أن محمد بدر وفؤاد عبد المنعم العاملين كانا عضويين من بين ستة أعضاء فى المكتب السياسى لحزب (ع.ق).

وكانت الحركة المصرية أيضا على اتصال بقادة نقابيين منذ وقت مبكر مثل محمد شطا وسيد سليمان الرفاعى، ولعبت دوراً هاماً فى دعم الحركة النقابية المستقلة، وكادت حدتو أن تنجح فى انشاء الاتحاد العام للنقابات لولا إعلان الأحكام العرفية فى يناير ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة. ولكن فى رأيى كانت حدتو تستخدم نفوذها فى الطبقة العاملة كوسيلة وأداة لدعم نفوذها هى كهيئة سياسية لا التأكيد على قيادة الطبقة العاملة فى المجتمع. وأبرز دليل على ذلك هو الخط السياسى لمنظمة حدتو المسمى «خط القوات الوطنية الديمقراطية» الذى يميع قيادة الطبقة العاملة وحزبها فى وسط جبهة هلامية يقودها «وطنيون».

ومن المناسب أن أذكرُ هنا بحادث إرسال محمد يوسف المدرك كمندوب الطبقة العاملة المصرية إلى مؤتمر النقابات العالمى والذى كان قد انتخبه ممثلو ٨٠٠٠٠ عامل تحملوا بقروشهم نفقات سفره والمناورات والأساليب الدنيئة التى استخدمتها الحركة المصرية لإعاقة سفره، وإرسال دافيد ناحوم الموظف فى مصرف على ما أعتقد كمنافس له لمجرد أنه من عناصرها.

أما حزب (الراية) فكانت علاقاته الفعلية بالطبقة العاملة ضعيفة جداً، ورأيى هذا قائم على ما شاهدته فى المعتقل إذ كانت الأغلبية الساحقة من الكوادر الشيوعية معتقلة ولم يكن من بينها إلا عدد قليل جداً من العمال ذوى الارتباط بحزب الراية.

الهوية العربية والقضية الفلسطينية والعدو الصهيونى :

كان موقف (ط.ع) من الصهيونية واضحاً منذ اللحظة الأولى : معاداتها كحركة مستعمرة تستخدمها منذ البداية الحركة الصهيونية لفرض اليهود على أرض فلسطين الذى يقطنها سكانها العرب. وكتب صادق سعد كتابه المشهور «فلسطين فى مخالب الاستعمار» عام ١٩٤٧ وهو على حد علمى أول كتاب ماركسى عربى عن القضية الفلسطينية. وفى هذه المناسبة من الطريف أن أذكر الحادث التالى : بينما كان الصراع الايديولوجى العنيف دائرا فى المعتقل عام ١٩٦٠ ويتهم عدد من أعضاء حزب (الراية) بأسلوب يفتقد المبدئية والأخلاقيات الشيوعية تماماً أحمد صادق سعد بأنه صهيونى لأنه من أصل يهودى، وصل إلى المعتقل فى الساعة الثامنة مساء الشاعر الفلسطينى وزعيم الحزب الشيوعى فى غزة معين بسيسو وعدد من الرفاق الفلسطينيين. وكانت الزنازين مقفلة علينا وقبل أن يدخل فى الزنزانة صاح معين بسيسو بصوت مرتفع : أريد أن أحيى صادق سعد. وعندما عرف فى أى الزنازين كان صادق سعد، قال له وتفصلهما القضبان وبصوت عال : أحييك وأشكرك على كتابك العظيم!

وعندما وافقت الأمم المتحدة فى اكتوبر ١٩٤٧ على تقسيم فلسطين بناء على اقتراح جروميكو المندوب السوفييتى وافقت جميع الأحزاب الشيوعية فى العالم وفى البلاد العربية والمنظمات الشيوعية فى مصر، وإن كان على مضض، على هذا القرار فيما عدا طليعة العمال. وظلت طليعة العمال معترضة حتى شهر ابريل ١٩٤٨. واضطرت ط.ع. إلى تغيير موقفها حيث كان بقاؤها على نفس الموقف فى ظل ظروف ١٩٤٨ يعنى انفصالها عن الحركة الشيوعية العربية والعالمية. وفى تقديرى أن الموقف السوفييتى كان مبنياً على عاملين.

الأول هو أن توازن القوى فى العالم وعلى أرض فلسطين كان لا يسمح بحل أفضل بالنسبة للفلسطينيين. والتقدير السوفيتي سليم من هذه الناحية، ومجرى التاريخ قد أثبت ذلك تماما. أما العامل الثاني فهو التصور السوفيتي الانتهازي بأن وجود حركة ثورية يهودية على أرض فلسطين يمكن في ظروف سيطرة حكومات رجعية وعميلة على الشعوب العربية، أن يدفع بالحركة الثورية ضد الامبريالية فى الشرق الأوسط إلى الأمام: متجاهلين الطبيعة الاستعمارية الملازمة لدولة اسرائيل منذ نشأتها والتى سوف تدفعها بسرعة إلى أحضان الامبريالية.

أما حدتو التى كان يترأسها كورييل حينذاك فقد قبلت هذا القرار فوراً وبلا اعتراض، بل وكأن كورييل كان ينتظر بفراغ الصبر الضوء الأخضر للاندفاع فى هذا الاتجاه، ولم يكن هذا الموقف غريباً على الحركة المصرية إذ أن موقف كورييل من الصهيونية لم يكن كامل الوضوح. فهو لا يعتبر استيطان اليهود فى فلسطين استيطاناً استعمارياً، بل تطالب الحركة المصرية منذ ١٩٤٠ بحق تقرير المصير للمستوطنين اليهود (وهذا الموقف شبيه بتأييد المطالبة بحق تقرير المصير للمستوطنين الفرنسيين فى الجزائر أثناء حرب التحرير الجزائرية. هذا الموقف الذى لم يجرؤ أحد على المطالبة به!!) بينما فى نفس هذه الفترة كانت الحركة الوطنية والشيوعية فى البلاد العربية وفى مصر تطالب بوقف الهجرة المتدفقة على أرض فلسطين. ومن المعروف أيضا معاداة لرابطة مكافحة الصهيونية التى شكلتها الشرارة قبيل الوحدة مع الحركة المصرية. كما كان يعبر عن مخاوفه من أن يتحول الهجوم على الصهيونية إلى معاداة السامية واليهود!! ومن المعروف مثلاً أنه كان ينصح الشباب اليهودى الذى يريد مهاجرة مصر بأن يذهب إلى اسرائيل كي يلعب دوره الثورى هناك، متناسياً أن الدور الأساسى الذى سوف يقوم به هؤلاء القادمون الجدد على أرض ليست أرضهم هو دور المستعمر بغض النظر عن النيات والنوايا. ويمكن القول بأن كورييل إلى جانب افتقاده الهوية المصرية كان يفتقد إلى حد أبعد الهوية العربية - وليس هذا على الاطلاق بسبب كونه يهودى الديانة أصلا، بل بحكم ايديولوجيته التى يمكن أن نستنتجها من تصرفاته، والقائمة على الاعتقاد بانه يمكن أن ينشط الانسان المناضل كشيوعى مكتفياً بالانتماء إلى الهوية الأممية دون أن ينتمى إلى أرض معينة أو إلى شعب محدد. وهنا ينبغى أن يكون واضحاً أننى لا أدعى أن حدتو كان لها نفس سياسة كورييل فى هذا المجال، ومع ذلك فكانت هناك مفارقة ملفتة للنظر. فبينما كانت أصابع كثيرة تشير إلى عدم الوضوح التام لموقف كورييل من الفكر الصهيونى وإلى عدم وضوح عدائه المطلق المبدئى لدولة اسرائيل بصفتها دولة قائمة على الفكر الصهيونى (ولا أتحدث هنا عن

الموقف من عمل عدواني معين أو موقف سياسي معين لاسرائيل كانت تقف ضده قوى عديدة ومن بينها بعض التيارات الصهيونية الديمقراطية فى اسرائيل نفسها)، وكانت حدتو على عكس ذلك تقف مواقف وطنية معادية للصهيونية لا شائبة عليها، استمرت العلاقات مع ذلك أوثق ما تكون بين الحلقة الكوربيلية داخل تنظيم حدتو التى كانت دائمة السيطرة على قيادة حدتو - وبعدها بعد فترة قصيرة على قيادة الوحد - وبين كوربيل ومجموعته فى باريس.

وأخيراً فهذا مرتبط فى رأيى بعدم وضوح الهوية. فعلى العكس من العشرات أو أكثر من المناضلين الشيوعيين الأجانب الذين هاجروا مصر وانضموا كل فى البلد الذى ذهب إليه إلى الحزب الشيوعى فى هذا البلد، لم ينجح كوربيل فى الانضمام سواء إلى الحزب الشيوعى فى ايطاليا التى أقام فيها فترة أو فى فرنسا التى بقى فيها أكثر من عشرين عاماً. إننى أقول لم ينجح وأنا لا أعرف الأسباب ويجوز أنه لم يرد ووضع الشروط لانضمامه والتى دفعت هذه الأحزاب إلى رفض قبوله فيها.

الانحراف اليمينى: ويتمثل هذا الانحراف الذى ساد حدتو أساسا، فى «خط القوات الوطنية الديمقراطية» الذي كان عاملاً من عاملين (الثانى فى رأيى هو أسلوب القيادة) تسببا فى انفجار حدتو فى ١٩٤٧ إذ رفض عدد من المناضلين هذا الخط السياسى اليمينى المفروض عليهم بأسلوب دكتاتورى. واستمرت حدتو على نفس هذا الطريق بابتداع فكرة «المجموعة الاشتراكية» عام ١٩٦١ التى وضعت أساسا نظرياً لفكرة حل الحزب والانضمام إلى الحزب الناصرى.

أما حزب الراية فبعد عدة سنوات من اليسارية المتطرفة انقلب رأسا على عقب وأوغل فى اليمينية حتى فاق فى هذا الطريق حدتو ذاتها. ألم يصف فؤاد مرسى قطاعا من البورجوازية المصرية كان متربعًا على كراسى السلطان أثناء الناصرية بأنه «بورجوازية من نوع جديد تسعى إلى الاشتراكية»!! كما دافع عن النظرية الانتهازية اليمينية النابعة أصلا من الدبلوماسية السوفييتية وهى «الطريق غير الرأسمالى» الذى من المفترض أن البلدان حديثة الاستقلال حاولت اتباعه. وهذا الفكر هو الأساس الثانى لنظرية حل الحزب والانضمام إلى الاتحاد الاشتراكى.

وللأسف الشديد لم يفلت تيار (ع.ف.) من الانجراف فى هذه الموجة اليمينية العارمة ووافقت قيادته على جريمة حل الحزب دون مقاومة تذكر.

الوحدة بين الشيوعيين: هناك عدد كبير من الشيوعيين المصريين ظلوا يعتبرون الوحدة

حلا رئيسيًا للتفتت والضعف وضياع الجهود فى مهاترات لا فائدة منها. وفى رأيى يمكن تقسيم قادة الدعوة إلى الوحدة إلى قسمين شديدى الاختلاف : قسم يدعو إلى الوحدة للسيطرة على الحركة الشيوعية وفرض فكره الانتهازى عليها، وهذا القسم هم قادة حدتو أو بالأحرى ما أسميه أنا بالهيكل الكوربيلى المرتبط بمجموعة باريس. والقسم الآخر يتشكل من أعضاء المنظمات الصغيرة التى شكلت فى البدء الحزب الموحد فى ١٩٥٥ والذين اعتبروا أن التوحيد هو الخطوة الرئيسية الأولى والشرط للنمو والنجاح. وانحاز حزب (الراية) قيادة وقاعدة إلى هذا الرأى بعد اتضاح فشل سياسته بالكامل فى ١٩٥٦ وهو الذى كان شعاره «لاشيوعية خارج الحزب». أما طليعة العمال فلم تكن مبدئيا ضد الوحدة ولم ترفع أبدا شعارا مثل «لا شيوعية خارج طليعة العمال» بل كان عدد هام من اعضائها من أصول تنظيمية أخرى وبعضهم أعضاء فى القيادة مثل حسن صدقى وحسين طلعت وثريا أدهم .. ولكنها كانت تدعو إلى وحدة تدريجية مبنية على نضال مشترك وتنسيق بين القواعد وترفض الوحدة الفوقية بين القيادات. إلا أنها تخلت عن هذا الموقف فى مؤتمرها فى ١٩٥٧ رغم عدم حماس القيادة أو القاعدة وخاصة القطاع العمالى فيها، باستثناء الطلبة.

وفى رأيى الآن أن الوحدة كما تمت كانت وبالا على الحركة الشيوعية بشكل عام، وعلى حزب (ع.ف) بشكل خاص.

ولاشك - فى رأيى -أن ع.ف لو لم تدخل الوحدة وتفتح أحشاءها للضربات البوليسية لتمكنت من الصمود كما صمدت فى فترة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ ولو لم تستبعد من قيادتها ثلاثة من أفضل الرفاق هم يوسف درويش وصادق سعد وريمون دويك ذوى الخبرة الكبيرة والحنكة السياسية لما انجرت بهذه السهولة إلى السياسة اليمينية التى أدت إلى حل الحزب. ولكن لا فائدة من سياسة لو .. لو.. ومن التصور الوهمى للتاريخ على هذا الاساس!

أساليب القيادة والاخلاقيات النضالية : تميزت قيادة طليعة العمال بتمسكها الشديد باخلاقيات نضالية نظيفة تحوز على احترام الرفاق الآخرين والجماهير المحيطة بها. وكان مفهوم سليم للمركزية الديمقراطية يطبق على الدوام وكل شئ مطروح للنقاش دون استثناء، والخضوع التنظيمى للأغلبية وللمستوى الأعلى يطبق بحذافيره. ولم تكن هناك أية عبادة لفرد أو لأفراد. وتبدو هذه الصورة مثالية، ولكن بكل أمانة هذه هى خبرتى داخل (ط.ع) و (ع.ف) وما سمعته من رفاق آخرين كانوا أعضاء فى (ط.ع) لمدة طويلة. لذا لم يحدث أبدا أى انقسام فى (ط.ع) وذلك رغم تغير الأمين العام للتنظيم مرتين وكان فى أول الأمر صادق سعد ثم أحمد

رشدى صالح ثم استقر نهائياً على ابو سيف يوسف حتى وحدة يناير ١٩٥٨.

أما حزب الراية فكان يتميز بعبادة الفرد سواء بالنسبة للقائد لاعلى أمين عام الحزب الرفيق خالد أو بالنسبة لقادة الراية عامة. ومن المضحك المبكى أن خلايا الراية كانت تنهى اجتماعاتها بهتاف «عاش الرفيق خالد ألف عام». وفى رأيى أن تلقين القاعدة مفاهيم من هذا النوع أمر مبك بالنسبة لمناضلين ثوريين.أما المضحك فهو أنه عندما ظهر هذا الشعار كان خالد على رأس تنظيم لا يزيد عدده عن مائتى أو ثلاثمئة عضو ولم يقم بأى عمل بارز يلفت نظر الشعب المصرى أو الطبقة العاملة المصرية بأى شكل من الأشكال. ونقطة أخرى أريد التحدث عنها تتعلق بالموقف النضالى والامتثال للقرارات الحزبية. فكانت قيادة الحزب خارج المعتقل قد كلفت أعضاء اللجنة المركزية والأعضاء ذوى الصفة الجماهيرية بأن يعلنوا انتماءهم للحزب أمام المحكمة. ولم يخضع أعضاء القيادة من الراية لهذا القرار، واعتقادى أنهم بموقفهم هذا كانوا يأملون فى أن تكون أحكام السجن أخف. ولكن هذا لم يحدث إذ حكم مثلاً على فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله بعشر سنوات مثلهما مثل يوسف درويش وحلمى يس الذين دافعا بشجاعة عن عضويتهما فى الحزب. ونقطة أخيرة لابد من ذكرها وهى متعلقة بالحياة العامة داخل المعتقل. فكان التقليد المتبع هو أن كل ما يرسله أهالى المسجونين والمعتقلين يوزع بنسبة مائة فى المائة على جميع المعتقلين خاصة أن غالبية هؤلاء لم يتمكن أهلهم من ارسال أى شئ. ولا يعقل فى نظرى أن يدخن أحد الرفاق سجاير مثلاً أو يأكل حلوى آتية من الخارج ويمتنع رفاق آخرون لأن الأهل لم يرسلوا إليهم شيئاً! إلا أن جزءاً من قيادة الراية رفض هذا التقليد الرفاقى المبدئى بشتى الحجج الواهية ونوقشت نسبة المشاركة واتفق على حل وسط هو ٧٠٪!!

وقبل أن أبدأ تقييمى العام للمنظمات الثلاث أعيد وأكرر احترامى الشديد العام لرفاقى الشيوعيين فى مصر بغض النظر عن أصولهم التاريخية. فقد تحملوا سنوات السجن بشجاعة باسلة ولم يسقط من بينهم فى استنكار الشيوعية أو الخيانة إلا نسبة ضئيلة جداً. ويمكننا أن نقول دون أدنى مبالغة أن الحركة الشيوعية الوسيطة – أى التى ظهرت فى بداية الاربعينات وانتهت بحل الحزبين القائمين تحت الترقب المتعاطف من قبل الاتحاد السوفيتى- دفعت ثمنا باهظًا دفاعًا عن مبادئها إذ أن جميع كوادرها دون استثناء تقريباً دخلوا السجون والمعتقلات فى ظروف أحكام عرفية دائمة لم ترفع عن البلاد إلا لفترات متقطعة لا تزيد فى مجموعها عن عدد من السنوات يقل عن أصابع اليد الواحدة.

المنظمات الثلاث :

أشهر المنظمات إعلامياً هي حدتو، واشتهرت بانقساماتها العديدة طوال تاريخها، وانتهت هي بالانقسام عن الحزب الذي اشتركت في تشكيله عندما اكتشفت أنها لن تتمكن من السيطرة عليه. اتبعت منذ نشأتها وعلى الدوام سياسة يمينية ابتداءً بخط الثورات الوطنية والديمقراطية، ومروراً بتأييدها لحركة الجيش لمدة أشهر طويلة حتى بعد وضوح خطها الدكتاتوري وانتهاء بنظرية المجموعة الاشتراكية. وكان لحدتو نشاط جماهيري واسع خاصة بين الطلبة واتصالات واسعة مع قيدات عمالية عدد منها انتهازي وصولي وعدد آخر يتميز بالنضالية والتفاني. قامت بمبادرات عديدة نذكر منها دورها في لجنة العمال والطلبة، وتربية الكادر الذي أنشأ الحزب الشيوعي السوداني، واشتركها في حركة الضباط الأحرار، ودورها البارز في حركة السلام. أسوأ ما يميز حدتو هو أسلوب القيادة التآمري والعمل على أساس الغاية تبرر الوسيلة. والغاية هي البقاء في مراكز القيادة والوسيلة هي كل الأساليب من كذب واحتيال وسرقة ورشوة بالمال والمناصب والوظائف. وكل الذين اشتركوا في حدتو وانقسموا عليها، وكل الذين تعاملوا ثم اختلفوا معها، يشهدون على هذه التصرفات. وكل هذه الأخلاقيات والتقاليد من تراث كوريل ومجموعته في باريس ومصر. إن الهيكل الكوريلي الذي نشأ مع الحركة المصرية وسيطر على الدوام على حدتو ثم بعد فترة قصيرة على الموحد هو كما وصفه أحد الرفاق الصديق أديب ديمتري «سرطان الحركة الشيوعية المصرية».

أما تنظيم طليعة العمال ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري المشهور باسم ع.ف. فهو أقل المنظمات الثلاث شهرة خاصة في المجال الدولي، وإن كان أكبرها عدداً حسب الأرقام المقدمة في الوحدة. ويرز منذ الإعداد لنشأته السعي الدوب لتمصير الفكر الماركسي والارتباط الوثيق بالطبقة العاملة. وكانت له منذ البداية مبادرات ناجحة، إذ لعب دوراً رئيسياً في إرسال يوسف المدرك مندوبًا إلى مؤتمر النقابات العالمي ممثلاً حقيقياً لعمال مصر، وأصدر مجلة الفجر الجديد أول مجلة سياسية في مصر تتكلم باسم الماركسيين، كما كان وراء إصدار مجلة الضمير أول مجلة عمالية تتحدث باسم التيار الاستقلالي في الحركة النقابية. ولعبت طليعة العمال دوراً رئيسياً في نشأة الطليعة الوفدية. وبرزت من بين المنظمات الشيوعية الأخرى كالمنظمة الوحيدة التي اعترضت على قرار الامم المتحدة لتقسيم فلسطين. وتميزت عن المجموعات التي شكلت الحزب الموحد وعن حزب الراية بموقف متوازن من حركة الجيش مما

سمح لها بالمبادرة السياسية فى أعوام ١٩٥٥ و١٩٥٦ و ١٩٥٧ دون الوقوع بشكل عام فى انحرافات يمينية أو يسارية. لم تحدث فى طليعة العمال أية انقسامات. وتميزت فى تصرفاتها بالحذر الشديد لحماية الكادر والتريث الزائد عن لزومه فى تجنيد الأعضاء الجدد مما أساء إلى المنظمة وعطل وكبح توسعها.

وكان كثير من المطبوعات يقرأ بصعوبة وكثيرا ما يتوقف عن الصدور حسب خبرتى الشخصية. وكانت طليعة العمال فقيرة تفتقد مصادر للتمويل تضمن لها موارد مالية كافية أو ثابتة. وكان من أهم نواقصها فى رأيى عدم الاهتمام الكافى بالنظرية الماركسية الكلاسيكية والاكتفاء بالنظرية الممصرة فى أغلب الأحيان مما يعرقل الحرية الفكرية والمبادرة السياسية للأعضاء. وانتهى حزب (ع.ف) بدخوله الوحدة على عكس المبادئ التى طالما دافع عنها، وانجرف مع بقية الشيوعيين فى الانتهازية اليمينية التى أدت إلى حل الحزب.

الحزب الشيوعى المصرى المشهور بحزب الراية كان أصغر وأضعف الاحزاب الثلاثة عند الوحدة التى انخرط فيها بعد هزيمة سياسية مطلقة اتضحت تماما فى بداية ١٩٥٦ (الفشل الكامل لنظرية فاشية النظام الناصرى ولفكرة الجبهة مع الإخوان المسلمين والقبض على الغالبية الساحقة من كوادره). تشكل من عناصر عادت من فرنسا بعد الدراسة وترأست الحزب الجديد مثل فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله، وعناصر خرجت من حدتو مثل سعد زهران وداود عزيز وعناصر مثل مصطفى طيبة آتية من منظمات أخرى مثل القلعة والعصبة الماركسية، وتميز حزب الراية بعبادة الفرد، الشئ الذى كان منتفيًا فى جميع المنظمات الأخرى فيما عدا ما يتعلق بكورييل الذى كان اتباعه يعتبرونه زعيمهم الروحى GOUROU. كما تميز بانتفاء مزاولة الديمقراطية فى صفوفه. وكانت ارتباطات الراية بالطبقة العاملة ضعيفة جداً ويبرز ذلك بوضوح فى المعتقل إذ كان عدد العمال من الراية قليلاً جداً وبخاصة إذا قورن بعدد العمال من أصل ع.ف. أو حدتو. ومرة أخرى - على عكس المنظمات الأخرى - كانت متفشية فى صفوفه وعند بعض قادته رائحة العنصرية الكريهة ضد اليهود، ومعاداته الجذرية للوفد فى الوقت الذى كان يسعى للتحالف مع الاخوان المسلمين وحزب أحمد حسين الاشتراكى، ونظرية فاشية الحكم الناصرى ثم انقلابه إلى سياسة يمينية فى كيفية تأييد النظام، ونظريته بأن شروط القومية العربية اكتملت ... كل ذلك دلالة على الانتهازية الفكرية المتفشية فى قيادة الراية. وطبعًا لا يمكننا أن ننسى ما قاله الزعيم الايديولوجى الكبير عندما تحدث عن «بورجوازية من نوع جديد تسعى إلى الاشتراكية».

كما لايمكن أن ننسى أيضًا الدور الذى لعبته عناصر من قيادة الراية قبل الخروج من المعتقلات للإعداد لحل الحزب!! ورأيى الصريح بالرغم من تقديرى تماما التضحيات الجسيمة التى تكبدها أعضاء الراية أنه إن لم يوجد هذا التنظيم وأخطاؤه المستمرة والجسيمة لكان ذلك أفضل للحركة الثورية فى مصر.

تقييم النظام الناصرى :

وأخيراً أعود هنا لتقييمى للنظام الناصرى باقتضاب شديد. كانت مصر عام١٩٥٢ حبلى بالثورة، ثورة شعبية ديمقراطية معادية للاستعمار ولأعوانه فى الداخل، السراى وكبار ملاك الأراضى وكبار الرأسماليين الاحتكاريين، ولكن الشعب المصرى كان يفتقد القيادة القادرة على إنجاز هذه المهمة ولذا تمكنت مجموعة من الضباط الوطنيين من اختراق التحصينات الهشة التى كانت تشكلها الدولة وهى على وشك الانهيار، والقيام بانقلاب عسكرى أطاح بالحكم الملكى كخطوة أولى. واحتضنته منذ البداية الإمبريالية الأمريكية. وإذا تتبعنا مسار النظام الناصرى نلاحظ أنه سار على خط أحمر يسعى إلى استقلال مصر السياسى والاقتصادى، ويتميز بعدم الثقة فى الجماهير الشعبية رغم محاولاته الدوبة لنيل تأييدها وثقتها. وبحكم التوازن الداخلى (مصر حبلى بالثورة، والطبقات الحاكمة غير قادرة على الانفراد بالسلطة، والطبقات الشعبية غير مؤهلة أو قادرة على الاستيلاء على السلطة) والتوازنات الدولية (أولاً بين الامبريالية الأمريكية الصاعدة حينذاك والامبرالية البريطانية المحتلة، وثانيًا بين الامبريالية كمعسكر من جانب والاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى من جانب آخر) تمكن النظام الناصرى الدكتاتورى العسكرى حتى النهاية، من تحقيق قدر هام من الحرية والقدرة على التحرك والمناورة فى الداخل وفى الخارج، واتبع سياسة تبدو متناقضة ولكنها تسعى على الدوام رغم الأخطاء، إلى الاستقلال السياسى والاقتصادى للوطن، مصر، والإبقاء فى نفس الوقت على التوازن الطبقى القائم منذ استيلائه على السلطة، وبعد القضاء على أعوان الاستعمار وبقايا الاقطاع. فقد انتقل من التعاون مع الامريكان (انتشار النقطة الرابعة فى كل المجالات، والتعاون الصريح مع وكالة المخابرات المركزية) ثم الاتفاق مع بريطانيا على معاهدة ١٩٥٤ (التى ربطتنا بتركيا وعن طريقها بحلف الاطلنطى) إلى رفض حلف بغداد ثم الذهاب إلى مؤتمر بندونج، ثم جاءت صفقة الأسلحة التشيكية والاعتراف بالصين الشعبية وتأميم قناة السويس رداً على سحب التعهد الامريكى البريطانى بتمويل

السد العالي. وفى أوج الدعاية للقومية العربية وقمة شعبية عبد الناصر بعد انتصار السويس تمت الوحدة مع سوريا بأسوأ الشروط، إذ تحولت سوريا من بلد يتمتع شعبه بقدر ما من الديمقراطية إلى دولة تحكمها دكتاتورية عسكرية لم تتخلص سوريا منها حتى اليوم! وعندما قامت ثورة العراق انحاز عبد الناصر إلى الشواف ضد قاسم والحزب الشيوعى ثم وقف ضد مطالب العراق لضم منطقة الكويت (التى لم تكن دولة مستقلة بعد بل كانت محمية بريطانية) ووقف البطل الوطنى عبد الناصر إلى جانب بريطانيا فى هذه المعركة. ثم أدلى بتصريحة الشهير والخاطئ:«إن المعركة مع الاستعمار قد انتهت». وبعد فترة من الذبذبة فى المجال الدولى وانفصال سوريا عاد النظام الناصرى إلى سياسة التقارب مع الاتحاد السوفيتي.

أما فى الداخل فقد حل الأحزاب وفرض بدلها نظام الحزب الواحد، هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى، وقضى على استقلالية الحركة النقابية العمالية والمهنية، وعلى كل المنظمات الديمقراطية فى المجتمع المدنى مثل منظمات الحركة النسائية والمنظمات الطلابية في الجامعات. وقد سعى النظام الناصرى منذ البداية إلى تدعيم الصناعة واستند حتى عام ١٩٦١ على البورجوازية الاحتكارية والكبيرة والمتوسطة وقمع الحركة العمالية المطلبية خدمة للبورجوازية، وكان النظام علاقات خاصة ببنك مصر الاحتكارى وبشركاته (وهذ الوضع إلى جانب عدم تفهم الطبيعة البونابرتية والاستقلال النسبى للنظام بالنسبة للبورجوازية يفسر خطأ تحليل قيادة الحزب فى ١٩٥٩ عندما وصفته بأنه يمثل الاحتكار وشبه الاحتكار. كما يفسر ضياعها وانجرافها إلى اليمين بعد تأميمات ١٩٦١/١٩٦٢). وجاءت تأميمات ١٩٦١/١٩٦٢ وتخفيض الحد الأعلى للملكية الزراعية وتشكيل الاتحاد الاشتراكى والقوانين الانتخابية الجديدة ونسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين فى مجلس الأمة وبشكل عام كل ما سمى حينذاك بالقوانين الاشتراكية والتى حصل العمال والفلاحين من خلالها على فوائد جمة، نقول جاء كل هذا للخروج من مأزق انفصال سوريا ومحاولة لدفع سياسة التصنيع دفعة قوية إلى الأمام.

إن توصيفى للنظام الناصرى هو أنه نظام بونابرتى وطنى يمثل البورجوازية القومية استند إلى دكتاتوريته العسكرية لفرض إرادته على الجماهير وللفرز بقدر معين من الاستقلال عن البورجوازية القومية التى خدمها فى نهاية المطاف، كما استغل التوازن الطبقى فى الداخل والتوازن الدولى فى الخارج للتحرك بقدر كبير من الحرية أكسبه احترامًا وتأييدًا كبيرين فى داخل مصر وفى المجال العربى وعلى النطاق الدولى.

المنظمات الشيوعية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

رقم المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل	١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	جماعة الخبز والحرية (أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان)	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٢
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى اسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	المجموعة التى اشتهرت باسم الفجر الجديد وطليعة العمال والتى تكونت فى نهاية الثلاثينيات وقد تحولت إلى منظمة (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك).	١٩٤٦
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د. حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦

١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، وبعض أعضاء من الحزب الأول).	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية + اسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدى عطية الشافعى).	١٩٤٧
١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	القاعدة المشتركة	لم تكن تنظيمًا ولكنها شكل لإدارة الحوار الفكرى حول ما أثير من خلافات فى قاعدة حدتو.	١٩٤٨
١٨	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبد الرحمن الناصر).	
١٩	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس وآخرون).	١٩٥٠
٢٠	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنبرى وفاطمة زكى).	١٩٤٨
٢١	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى	١٩٤٩

		الخطيب وسعد رحمي وآخرين).	
٢٢	نحو حزب شيوعي مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (مليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجي أفلاطون، ابراهيم المانسترى).	١٩٤٩
٢٣	المنظمة الشيوعية المصرية (م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى)	١٩٤٩
٢٤	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال وأحمد طه واسماعيل جبر وصلاح سلمى ويحيى المازنى).	١٩٤٩
٢٥	اتحاد النضال الثورى	ابراهيم عرفة	١٩٤٩
٢٦	حدتو الشيوعية	معظم قادة الحركة المصرية، (فؤاد عبد الحليم محمد يوسف الجندي، وآخرون).	١٩٤٩
٢٧	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، اسماعيل صبرى عبد الله مع سعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة) والثلاثة منشقين عن حدتو وانقساماتها.	١٩٤٩
٢٨	اتجاه النضال الثورى	ابراهيم عرفه	١٩٤٩
٢٩	نواة الحزب الشيوعى المصرى	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى	١٩٥٠
٣٠	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب وآخرين وبعض من خرجوا من حدتو).	١٩٥٠
٣١	وحدة الشيوعيين	ابراهيم فتحى وآخرون	١٩٥٠
٣٢	الحركة الديمقراطية للتحرر	انقسام من الحركة الديمقراطية	١٩٥٣

	الوطني (التيار الثوري)	(سيد سليمان رفاعي).	
٣٣	الحزب الشيوعي المصري الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعي + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثوري.	١٩٥٥
٣٤	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزي جرجس)	١٩٥٦
٣٥	حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري	الطليعة الشعبية للتحرر بعد اعلانها كحزب والمعروفة بطليعة العمال	١٩٥٧
٣٦	الحزب الشيوعي المصري المتحد.	الحزب الموحد + الحزب الشيوعي المصري (الراية).	١٩٥٧
٣٧	الحزب الشيوعي المصري (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعي المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين	١٩٥٨
٣٨	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين ثم خرجت منها وحدة الشيوعيين.	١٩٥٨
٣٩	الحزب الشيوعي المصري	حزب العمال والفلاحين، الحزب الشيوعي المصري (الراية) وعناصر من الموحد بعد الحزب الواحد.	١٩٥٨
٤٠	الحزب الشيوعي المصري (حدتو)	اعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني .	١٩٥٨
٤١	نواة الحزب الشيوعي المصري (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة في الواحات، (رمسيس لبيب)	١٩٦٢

٥٠	لجنة التنسيق الثلاثية		
٥١	طليعة الشعب + وحدة الشيوعيين		
١٠٠	اللجنة الوطنية للطليعة والعمال		
١٠١			
١٠٢			
١٠٣	الاتحاد العام للعمال المصريين		
١٠٤	اتحاد الفلاحين		
١٠٥	اللجنة الوطنية لرجال الجيش		
١٠٦	الشبية المصرية للدفاع عن السلام		
١٠٧	لجنة الدفاع من تأميم شركة قناة السويس بباريس		
١٠٨	لجنة الانتخابية العامة		
١٠٩	اللجنة التحضرية للمؤتمر الوطني لعمال النسيج رملحقاته بالقاهرة ووضعه		
١١٠	الاتحاد العام للعمال		
١١١	الجبهة الوطنية الديمقراطية فى مصر		
١١٩	جهة العمال للمقاومة الشعبية ببورسعيد		
١٢٠	لجنة المقاومة الشعبية		
١٢١	الجهة المتحدة للمقاومة الشعبية ببورسعيد		
١٢٢	اللجنة السودانية لمقاومة الاستعمار لجهبة المقاومة لسنتين		
١٢٣	جهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد		
١٢٤	هاتا شاجا..؟		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى

إسماعيل عبد الحكيم

بشير السباعى

خالد حمزة

داود عزيز

رمسيس لبيب

سعد الطويل

سمير أمين

سيد عبد الوهاب ندا

شكرى عازر

طه سعد عثمان

عبد الخالق الشهاوى

فاطمة زكى

فتح الله محروس

فخرى لبيب

فوزى حبشى

مبارك عبده فضل

محمد الجندى

محمد فخرى

محمود أمين العالم

نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان خليل

مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء الخامس

أحمد القصير — إيفون حبشي — سامى عجيب
سعد جويدة — عبد المنعم ناطورة — فتح الله محروس
محمد يونس — محمود العالم — محمود عزمى
منصور زكى — هليل شفارتز

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تقديم

د. عاصم الدسوقى

..وهذه مجموعة أخرى من شهادات ورؤى عناصر الحركة الشيوعية فى مصر التى ارتبطت بالتنظيمات اليسارية فى الأربعينيات ومطلع الخمسينيات وهم دون العشرين أو فوقها بعام أو بعامين. وتكشف شهاداتهم عن صفحات أخرى مجهولة من نضال الشيوعيين تضيف جديداً إلى ما سبق نشره.. فبرغم كثرة الشهادات التى قدمت فى الأجزاء السابقة وتنوعها، ورغم ما نشره آخرون عن تاريخ هذه الفترة، يظل هناك دائما ما يمكن اضافته لاستكمال زوايا الصورة من واقع المواقف الفردية والمصادفات الخاصة التى تصب جميعها فى المجرى العام.

ورغم أن أصحاب هذه المجموعة من الشهادات متنوعون تعليمياً واجتماعياً، إلا أن لغتهم تكاد تكون واحدة مع اختلاف فى التعبير، مما يؤكد قدرة الحركة اليسارية على تثقيف أبنائها وتوحيد أفكارهم العامة تجاه قضايا المجتمع ومشكلات. وفى هذا يتساوى من انضم للحركة الشيوعية من خلال التمرد فكرياً على المثالية السائدة، أو عن طريق قراءة الروايات التى صورت قاع المجتمع، أو بالاحتكاك بالفقراء المعدمين، أو من خلال الشعور بالظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقى، وهذا بصرف النظر عن اختلاف رؤى التقويم النهائية التى توصل إليها كل منهم بعد فترة من إعادة التأمل فيما حدث وفيما كان.

وتؤكد هذه الشهادات شأن سابقاتها صلابة الالتزام التنظيمى لدى الأعضاء لدرجة التضحية بالنفس وتقبل التعذيب ومختلف صنوف الإهانات محافظة على التنظيم وعدم الخروج على تعليماته رغم عدم الاقتناع أحياناً امتثالاً للديموقراطية المركزية، وإن كانت المهارات التنظيمية وأسلوب التأمين والسرية والتخفى والكتمان كما تقول بعض الشهادات أمراً كان يعتمد على الفروق الفردية أكثر من التعليمات التنظيمية.

وتحفل الشهادات بمعلومات نادرة جديرة بالاعتبار.. من ذلك أن محاولة سلطة ثورة يوليو لتصفية الحركة الشيوعية بانضمام عناصرها إلى التنظيم السياسى للثورة (الاتحاد الاشتراكى) كانت سابقة على عام ١٩٦٤ وتعود إلى عام ١٩٥٨ أيام الاتحاد القومى مما يؤكد أنه لا علاقة بين اتجاه الثورة إلى سياسة التأميم والملكية العامة لوسائل الإنتاج والرغبة فى تصفية الحركة الشيوعية، والمسألة لم تكن أكثر من تصفية تنظيم سياسى جماهيرى منافس.

وفى الشهادات معلومات خاصة باستمرار النشاط الشيوعى بعد حل الحزب عام ١٩٦٤ فيما عرف بالتيار الثورى، والقول بأن عناصر من السلطة السياسية أدركت مبكرًا خطورة اتجاه السادات قبل مايو ١٩٧١ «الذى سيقضى على كل شئ وأنه سيأتى بالامريكان»، وكيف أن هذه العناصر كانت ترى الاعتماد على اليسار لإثارة الشارع السياسى ضد السادات.

وتعطينا الشهادات أيضًا صورة واضحة لانتشار النشاط الشيوعى فى بلاد الوجه البحرى والصعيد وليس فقط فى القاهرة والاسكندرية كما هو شائع، وأيضًا فى المدارس الثانوية وليس فقط فى الجامعة، وكيف أن منظمة حدتو كانت تضم طلابا من اليمن يدرسون فى مصر وليس فقط طلاب السودان كما هو شائع فى أدبيات اليسار، وقد برز دورهم فى أول مؤتمر عام للطلاب اليمنيين فى القاهرة عقد عام ١٩٥٦.

وفى الشهادات حديث متصل عن اليهود وعلاقاتهم بالتنظيمات ومدى سلامة هذا الاتجاه أو خطورته، وتقويمه بين فكرة الشيوعية التى تتجاوز العقائد الدينية وبين القومية التى تفجرت بعد تقسيم فلسطين وإنشاء إسرائيل. وهنا تأتى أهمية شهادة هليل شفارتز من حيث دوره فى تأسيس منظمة إسكرا (الشرارة) عام ١٩٤٢ وجهودها فى ترجمة أدبيات الماركسية إلى العربية ونشاطه فى المنظمة حتى تكوين حدتو فى سبتمبر ١٩٤٧.

وتحفل الشهادات ببعض الرؤى اللافتة للنظر .. من ذلك أن التنظيم النقابى قبل الثورة كانت له شخصيته الاعتبارية، حيث أن نقابة المصنع مستقلة، وهو استقلال فقدته بتكوين النقابة العامة بعد ثورة يوليو. وأن أسلوب السلطة السياسية فى التعامل مع النقابات العمالية لم يتغير بعد الثورة عما كان قبلها. ففيما بين تقديم الطلب لوزارة الشئون الاجتماعية قبل

الثورة لتسجيل النقابة وبين إجراءات التسجيل، يتم اعتقال المؤسسين، وبعد الثورة مباشرة أرادت السلطة الجديدة حركة نقابية موالية لها فاشهرت مبدأ تطهير النقابات من الشيوعيين، شأن شعار تطهير الأحزاب السياسية قبل إلغائها في يناير ١٩٥٢، ورغم التقدير الذي يحظى به حزب الوفد من اليسار بوجه عام وخاصة للطليعة الوفدية، إلا أن هناك من رأى «أن الوفد أكبر حزب لتضليل الشعب لأنه كان يعطي مسكنات». ورغم أهمية الاحتراف للتفرغ للعمل الثوري، إلا أن هناك من نقد أسلوب اختيار المحترفين الذي كان يقوم على توفير مصدر مالي للمعيشة لمن فصل من عمله نتيجة نشاطه دون تقدير للكفاءة والقدرة اللازمة.

ورغم نقد أصحاب الشهادات لانقسام الحركة الشيوعية وللحلقية والشللية، بل ونقد وحدة الأحزاب الشيوعية الرئيسية (٨ يناير) لأنها كشفت سرية كافة المنظمات، إلا أنهم يجمعون على الأسف والأسى لقرار الحل في ١٩٦٤.

وبعد .. إن الدعوة ما تزال قائمة لمزيد من الشهادات يقدمها الأحياء من مختلف فصائل الحركة الشيوعية المصرية من أجل تأريخ حقيقي لنضال الشيوعيين المصريين، ولتصويب ما سبق نشره بأقلام الدارسين في ضوء ما لديهم من معلومات. وليس هناك أولى من الشيوعيين أنفسهم ليقوموا بمهمة تسجيل تاريخهم للأجيال القادمة.

شهادة

أحمد القصير

الاســـــــم : أحمد لقصير

تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٣٥/٣/١٥ بقرية الإخيوة، مركز فاقوس، محافظة الشرقية. وتتبع القرية الآن مركز الحسينية بعد تقسيم مركز فاقوس إلي مركزين.

التعــلـيــم : بدأ التعليم بالمنزل عن طريق مدرس خاص يأتى يوميًا من قرية أخرى، واستمر هذا الأمر حتى دخلت المدرسة الابتدائية بمدينة فاقوس. وبعد الحصول على لابتدائية التحقت بالتعليم الثانوي بالقاهرة بمدرسة حلوان الثانوية.

المؤهـلات : دكتوراه فى علم الاجتماع.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : فى ١٩٥١ وكان الانضمام إلى "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" التى اشتهرت باسم "حدتو" الذى يتشكل من الحروف الأولى للاسم الأصلى للمنظمة.

فترة السجن والاعتقال : سأتحدث أولاً عن عدد مرات الاعتقال والفترات التى قضيتها بالسجن، قبل الانتقال للحديث عن دورى بنشاطى ورؤيتى بشأن بعض القضايا المحورية. وقد اعتقلت أربع مرات تزيد فى مجموعها على عشر سنوات.

الاعتقال الأول : من ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ حتى ٢٩ مايو سنة ١٩٥٦.

وكان الحبس الاحتياطى فى سجن مصر فى إطار قضية شيوعية. وبعد إعلان قرار الاتهام فى القضية دون أن يتضمن اسمى، أفرجت عنى النيابة، لكن صدر قرار باعتقالى ولم أخرج. وكان أحمد طه من المتهمين فى تلك القضية، ولكن تم ضمه إلى قضية السجن الحربى مع بقية قيادة حدتو. وكانت المعاملة فى سجن مصر ستيزة، أي حرف ألف(أ). غير أنه سرعان ما تم إلغاء هذا لنظام فى إطار ما سُمى بتطوير السجون. وكنا نحصل فى ظل تلك المعاملة على الغذاء من أحد المتعهدين. كما كنت أقيم مثلاً فى غرفه بها سرير وكرسى ومكتب.

أفرجت النيابة عنى فى ٥ ديسمبر ١٩٥٥، لكن تم نقلى من سجن مصر مباشرة إلى حجز قسم الخليفة حتى يتم إصدار قرار باعتقالى. وبعد صدور ذلك القرار فى ٨ ديسمبر١٩٥٥ تم

أجرى الحوار حنان رمضان ومصطفى مجدى فى ٢ و ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠.

ترحيلي إلى أوردي ليمان أبي زعبل، ومعي الزميل فخري مكاري بعد أن أمضينا أسبوعاً في حجز قسم الخليفة.

وبقيت في معتقل الأوردي حتى الإفراج عني في ٢٩ مايو ١٩٥٦ في إطار عملية تصفية المعتقلات في ذلك الحين. وفي أثناء تلك الفترة واجهنا في معتقل الأوردي بدايات التعذيب الوحشي المنظّم الذي تولاه اللواء همت وكيل مصلحة السجون، وهو نفس الشخص الذي أشرف على تعذيبنا بعد ذلك بسنوات قليلة، أي في بداية الستينات، حيث تم قتل شهدي عطية الشافعي في المعتقل نفسه.

وجاءت بدايات ذلك التعذيب المنظّم في منتصف الخمسينات عندما أضربنا عن الطعام (مجموعة حدتو بمعتقل الأوردي) لتحسين أوضاعنا. وفوجئنا في أحد أيام الإضراب بفتح باب العنبر ودخول السفاح همت مع مجموعة من العساكر بالشوم وانهالوا علينا بالضرب. وأذكر أن ذراع جمال غالي كُسرت في تلك العملية. وبعد أن توقف الضرب أمر همت العساكر بتكسير بعض الأشياء الخاصة بنا. وأذكر على سبيل المثال أن همت طلب من أحد العساكر بأن ينتزع الساعة من يدي وأن يكسرها بالأقدام.

واستكمل همت عملية التعذيب وقام باختيار حوالي خمسة عشر معتقلاً، كنت من بينهم، ثم ذهب بنا إلى الساحة الموجودة أمام باب المعتقل حيث كانت التجهيزات معدة للتعذيب عن طريق الجلد بسوط به عقد ويتم غمسه كل حين في جردل به شاي لكي يكون أكثر إيلاماً. وكان الجلد يتم بعد تعليقنا في "العروسة" الخشبية. وحدثت هذه العملية في وجود طبيب السجن الذي قام بالكشف على بعض المعتقلين بعد الجلد وكنت من بينهم. وكان الجلد يستمر دون توقف وبلا أي حساب إلا بأمر من همت الذي كان ينهر العسكري الجلاد بأن تكون ضربات السوط على ظهورنا أكثر عنفاً. ولذلك فإن معظمنا تعرض لأكثر من عشرين جلدة. وأذكر أن أحمد الرفاعي وإسماعيل المهدوي كانا بين المجموعة التي تعرضت للجلد. وقام همت بعد عملية التعذيب بنقلنا إلى التأديب في مبنى ليمان أبي زعبل الذي يقع على ترعة الإسماعيلية على بعد عدة كيلومترات عن مبنى الأوردي الكائن بالقرب من الجبل، حيث يتم تشغيل المساجين في تكسير الأحجار. غير أن إضرابنا عن الطعام استمر بعد ذلك مدة تزيد على عشرة أيام على

الرغم من وضعنا فى التأديب.

كنت عند اعتقالى طالباً بالسنة الأولى بكلية الحقوق بجامعة عين شمس. وعند الإفراج عنى فى عام ١٩٥٦ وجدت قراراً من مجلس قيادة الثورة بفصلى من الكلية. وساعدنى د. حلمى مراد وكيل كلية الحقوق آنذاك على الالتحاق بكلية الآداب استناداً إلى أن القرار نص على فصلى من كلية الحقوق ولم ينص على فصلى من الجامعة.

الاعتقال الثانى : من ١ يناير ١٩٥٩ حتى ٤ أبريل ١٩٦٤.

حدث هذا الاعتقال ليلة رأس السنة. وكنت فى ذلك الحين طالباً بالسنة الثانية بكلية الآداب. واستمر اعتقالنا فى سجن القلعة عدة شهور. وتم بعد ذلك نقلنا إلى سجن الواحات الخارجة. ولكن لم نستمر هناك طويلاً. فقد أعادونا إلى سجن مصر بالقاهرة فى مجموعة ضمت حوالى خمسة وأربعين (٤٥) زميلاً ضمن القضية التى كان المتهم الأول فيها شهدى عطية. وبعد فترة قصيرة تم نقلنا إلى سجن الأسكندرية، حيث جرت المحاكمة أمام محكمة عسكرية برئاسة الفريق هلال عبد الله هلال. وقد تعرضنا قبل المحاكمة بأيام لعملية تعذيب فى سجن الحضرة بالأسكندرية. وقمنا بإثارة الموضوع أمام المحكمة، لكنها لم تتخذ أى إجراء تجاه مأمور السجن سوى استدعائه إلى جلسة المحكمة والتنبيه عليه بعدم التعرض لنا.

وبعد المحاكمة تم نقلنا فى أحد الأيام - فجراً - إلى أوردى ليمان أبى زعبل، حيث كان فى انتظارنا اللواء همت المتخصص فى تعذيب المعتقلين. واجهنا بمجرد وصولنا إلى الأوردى عملية تعذيب منظمة وقاتلة شملت الضرب بالشوم ووضع رؤوس المعتقلين فى الماء لإفاقتهم ثم معاودة ضربهم. كما شمل التعذيب سحل المعتقلين عرايا فى الساحة الموجودة أمام باب المعتقل. وكان يتم إدخالنا من بوابة المعتقل على هذا النحو، أى سحلاً من أرجلنا، بعد أن وضعوا فوق صدر كل معتقل البرش والبطانية التى يستخدمها فى السجن. وبعد الدخول من البوابة نجد خلفها نقطة تعذيب أخرى يرأسها أحد الضباط (عبد اللطيف رشدى)، وهو الذى أكمل الإجهاز على شهدى عطية.

فقد كانت هناك نقاط مختلفة للتعذيب تبدأ بالجرى وسط صفين من العساكر لمسافة حوالى ٥٠٠ متر، حيث يشارك جميع العساكر فى الصفين فى ضرب المجموعة المكونة من أربعة

معتقلين. وكانت هذه العملية تبدأ بأمر من أحد الضباط لكل أربعة معتقلين بأن يسجدوا بجبهتهم على الأرض ثم يأمرهم بعد ذلك بالجري يحيطهم - على امتداد ٥٠٠ متر - صفان العساكر يتولى كل عسكري منهم ضرب المعتقلين بمجرد أن يمروا من أمامه. وفي الوقت نفسه يتلقى المعتقلون الضرب من ضباط يطاردونهم من الخلف ويقومون بضربهم وهم على ظهر الخيول.

وعلى ذلك النحو يستمر الضرب من الجانبين والمطاردة والضرب من الخلف إلى أن يصل المعتقلون إلى الموقع الرئيسي للتعذيب الذى يجلس فيه همت أمام باب المعتقل ومعه حسن منير مأمور المعتقل. وفى ذلك الموقع يتولى الضابط يونس مرعى ومعه مجموعة من العساكر ضرب المعتقلين وتعذيبهم وفقًا لأساليب تم إعدادها سلفًا. وكان ذلك الموقع هو الذى شهد أبشع عمليات التعذيب، حيث كانوا يقومون بوضع رؤوس المعتقلين فى بركة من الماء بعد أن يفقدوا وعيهم ثم يقومون ثانية بضربهم وسحلهم.

وبعد أن تكررت هذه العملية أمامنا مع أربع مرات، أى مع أربع دفعات من زملائنا، حضر أحد الضباط، وهو مدير للعلاقات العامة بمصلحة السجون، واسمه الثانى "طه"، وقال: "فين الأستاذ شهدى عطية". وأجلس شهدي مع ثلاثة زملاء آخرين، وواصلوا عملية التعذيب بشكل أكثر قسوة. وبدأ ذلك أمام أعيننا بأمر أصدره ضابط اسمه مرجان وهو على ظهر أحد الخيول بأن يسجد شهدى وزملاؤه بجبهتهم على الأرض، وبعد ذلك صدر الأمر بالجرى والمطاردة والضرب. وكانت تلك هي اللحظة الأخيرة التى شاهدت فيها شهدى على قيد الحياة. فقد استشهد في المرحلة قبل الأخيرة من عملية التعذيب، خلف باب المعتقل من الداخل، على يد الضابط عبد اللطيف رشدى، بعد أن كان قد تلقى تعذيبًا مكثفًا أمام باب المعتقل.

وبعد استكمال عملية التعذيب وإدخالنا جميعًا إلى المعتقل سحلاً، ارتمى الجميع فى العنبر دون وعي وفى حالة إعياء شديد. وحضر لنا عسكري ممرض جاف الطباع وفى يده قطعة قطن مغموسة فى النشادر لإفاقتنا عن طريق وضعها قريبًا من الأنف دون أن يحاول الانحناء ودون أن يبدو عليه ما يوحى بأنه ينتمي إلى مهنة إنسانية.

وبعد يومين، حضر شخصان أحدهما مفتش فى وزارة الداخلية والآخر رئيس نيابة

وسألونا إذا كنا قد تعرضنا للضرب. وشاهدا آثار التعذيب على أجسامنا، ووعدا بأنه ستتم محاسبة الذين فعلوا ذلك. وعرفنا منهم، وبالأحرى تأكدنا منهم، من مقتل شهدى عطية. وبمجرد أن غادروا العنبر بكينا شهدى لأول مرة. وترجع تلك التطورات المفاجئة إلى أن خبر مقتل شهدى انتشر فى خارج البلاد، بينما كان عبد الناصر فى زيارة إلى يوغوسلافيا، ومن هنا أصدر أمراً بالتحقيق.

وأذكر أن همت استثنى ثلاثة معتقلين من التعذيب، لأن لهم أقارب من الضباط يعرفهم شخصياً. وهؤلاء الثلاثة هم : صنع الله ابراهيم، وابراهيم المناسترلى، وعبد الحميد السحرتى، وأمرهم همت بالجلوس بجوار باب المعتقل ليشاهدوا أخطر نقطة للتعذيب والتى كان يشرف عليها شخصياً. وحاولت إدارة السجن، بعد ذلك التطور المفاجئ والأمر بالتحقيق، أن تساوم هؤلاء الزملاء، بل وهددتهم لكى يشهدوا فى التحقيق وفقًا لما تريده الإدارة، لكنهم رفضوا المساومة والتهديد. ولا أتذكر ما إذا كانت هذه المحاولة جرت مع الثلاثة أم مع البعض منهم فقط، لكننى متأكد أنها جرت مع ابراهيم المناسترلى.

وفى أثناء تحقيق النيابة حضر اللواء محمود صاحب وكيل مصلحة السجون، وهو شخصية إنسانية، وأخبرنا بأسماء الضباط الذين قاموا بالتعذيب حتى لا نخطئ عندما نذكر أسماءهم فى التحقيق. وقد كنا نعرف البعض منهم مثل الضابط يونس مرعى وحسن منير مأمور الأوردى، بينما لا نعرف البعض الآخر مثل الضابط مرجان الذى كان يمتطى أحد الخيول. وكان هذا الضابط هو أول الذين بدأوا فى ضرب المعتقلين بعد النزول من السيارات التى نقلتنا من الأسكندرية. وكان إبراهيم عبد الحليم هو أول من تعرض للضرب على رأسه لأنه احتج على سوء المعاملة وعلى الإرهاب الذى استقبلونا به. وكان اللواء محمود صاحب هو الذى أخبرنا أيضاً (مجموعة من الزملاء أتيحت لنا فرصة التحدث معه) بأن الشخص الذى كان يتولى التعذيب فى آخر نقاط التعذيب والتى تقع أمام باب العنبر مباشرة هو الصول مطاوع.

وقد ادعت إدارة المعتقل أننا أحدثنا شغباً عند وصولنا للمعتقل، وأننا هتفنا هتافات عدائية. وقد زعمت ذلك لتبرر موقفها واعتدائها علينا. كما أذكر أننى طلبت فى تحقيق النيابة حمايتنا

من هذه الإدارة، خاصة بعد اتهامنا لها بقتل شهدى عطية وتعذيبنا بشكل بشع هدد بموت معتقلين آخرين. لكن لم يتم نقل هذه الإدارة وإنما تم نقلنا (زملاء شهدى) إلى سجن القناطر الخيرية. وبقينا هناك إلى حين صدور أحكام المحكمة العسكرية ضدنا وإبلاغنا به داخل السجن دون انتقال إلى المحكمة. وتم بعد ذلك ترحيلنا إلى سجن الواحات الخارجة. وهناك أمضيت مدة العقوبة وهي خمس سنوات انتهت في ٣٠ ديسمبر ١٩٦٣، ولكن لم يفرج عني بعد قضاء تلك المدة بالكاس، بل استمر اعتقالي في المعتقل نفسه. وكان التغيير الوحيد هو ارتداء بذلة سجن بيضاء بدلاً من الزرقاء. وفي ٤ أبريل ١٩٦٤ تم الإفراج عنى قبل أيام من زيارة الرئيس السوفيتي خروشوف إلى مصر.

الاعتقال الثالث : من ٢٦ مارس ١٩٦٩ حتى ٧ أبريل ١٩٧١.

كنت قد تخرجت عام ١٩٦٧ من قسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس، وأنهيت أيضاً المرحلة التمهيدية للماجستير. وكان هذا الاعتقال الجديد ضمن الحملة ضد التيار الثوري. وبدأت تلك الحملة في ١٩٦٦ باعتقال كمال عبد الحليم كمتهم فى قضية، ولم يفرج عنه إلا فى نهاية ١٩٦٧، أي بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بعدة شهور. ثم جاء اعتقال العدد الكبير من التيار الثوري فى فبراير سنة ١٩٦٩. وشمل ذلك الاعتقال أكثر من ٢٧ زميلاً. وجاءت هذه الحملة ضد التيار الثورى بعد عدة تهديدات متكررة من الجهات الحكومية حذرت فيها بعض الأشخاص. وقد شملت تلك التهديدات كمال عبد الحليم ومحمد عباس فهمى، كما شملتنى أيضاً.

وأذكر أن التحذير الذى وُجه إلى كمال عبد الحليم بأنه يجب أن يستلم الوظيفة التى عينته فيها الحكومة كمحام وأن يكف عن حياة المحترفين. أما التحذير الذى تلقاه محمد عباس فهمي فهو أن عليه أن يتوقف عن ترديد الكلام الذى يقوله ضد الحكومة فى المقاهى. وفيما يتعلق بالتحذير الذى تلقيته شخصياً فهو ضرورة أن أتوقف عن الذهاب إلى منطقة حلوان.

وكان طاهر البدرى، ومحمد عباس فهمى، وعبداروس القصير بين مجموعة التيار الثورى التى اعتقلت فى فبراير ١٩٦٩، أما اعتقالى فقد جاء بعد ذلك بشهر أى فى ٢٦ مارس ١٩٦٩. وتم سجنى بمعتقل القلعة. يجرى التحقيق معى هناك بواسطة ضابط المباحث منير محيسن.

وبعد ذلك نقلت إلى سجن مزرعة طرة ضمن مجموعة التيار الثورى. وتقابلنا هناك مع شيوعيين آخرين منهم محمد عبد الرسول وسعد هجرس وصلاح عيسى. وكان يوجد فى المعتقل نفسه بعض الإخوان المسلمين ومن بينهم شكرى مصطفى الذى شكل بعد الإفراج عنه تنظيماً إسلامياً أكثر تطرفاً. وإلى جانب ذلك كان فى المعتقل أيضاً بعض اليهود المصريين الذين تم اعتقالهم بعد حرب يونيو ١٩٦٧.

وقد توسط كل من عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى وكذلك سكرتير الحزب الشيوعى العراقى عند الرئيس جمال عبد الناصر من أجل الإفراج عنا، ولكن عبد الناصر رفض بحجة أننا أصحاب ميول صينية.

بعد فترة من وجودنا بسجن مزرعة طره تم تقسيم المعتقلين الشيوعيين إلى مجموعات. وتشكلت كل مجموعة من ثلاثة أو أربعة أشخاص. يجرى نقل كل مجموعة إلى أحد السجون. وكان نصيبي سجن المنيا مع شقيقى عيداروس القصير، وطاهر البدرى، ومحمد عبد الرسول عفيفى (وحدة الشيوعيين). وبعد فترة تم نقل طاهر البدرى من سجن المنيا إلى سجن آخر. وأذكر أن مدير سجن مزرعة طره (وكان يعرفنى من معتقلات سابقة) قد نصحنى عند نقلنا من هناك إلى سجن المنيا بالحذر، وعدم الوقوع فى أى استفزاز قد نتعرض له خلال عملية الترحيل تفادياً لأية مشاكل محتملة.

وحاولت المباحث العامة فى تلك الفترة إدخالي في قضية تتشكل أساساً من عدد من طلبة الجامعة ومعهم الفنان مجرس. وكان هؤلاء قد تم القبض عليهم وحبسهم فى معتقل القلعة. وكانت التهمة الموجهة لى هى أننى دعوت لبعض منهم إلى الانضمام إلى التيار الثورى. وتم ترحيلي من سجن المنيا إلى معتقل القلعة بالقاهرة حيث قامت النيابة بالتحقيق معى، لكنها حفظت التحقيق. كما حققت النيابة أيضاً مع محمد عباس فهمى. وبعد حفظ التحقيق تم إعادتى إلى سجن المنيا وإعادة محمد عباس فهمى إلى سجن أسيوط.

وتم بعد ذلك نقل مجموعتنا من سجن المنيا إلى سجن طنطا بعد أن أضربنا عن الطعام؛ حيث كنا طوال الفترة بسجن المنيا فى حبس انفرادى بمبنى التأديب المنعزل عن بقية السجن. ولكن ظل الحبس الإنفرادى مستمراً فى سجن طنطا أيضاً.

وأفرج عنا فى ٧ أبريل سنة ١٩٧١ فى الأيام السابقة مباشرة على حسم الصراع بين أنور السادات من جانب ومجموعة على صبرى وشعراوى جمعة ومحمد فوزى وزملائهم من جانب آخر. ومن المثير للانتباه أنه تم إبلاغنا قبل الإفراج عنا بثلاثة أشهر أنه سيفرج عنا فى ٧ أبريل سنة ١٩٧١، وكان ذلك التاريخ هو الموعد المخصص لنظر التظلم من قرار الاعتقال أمام المحكمة والذى يتم بشكل دوري كل ٦ شهور. وأذكر أن تلك الرسالة وصلتنا عن طريق يوسف صديق. وتم الإفراج عنا فعلاً فى ذلك التاريخ عن طريق قاضى المعارضات الذى كان ينظر فى أمر استمرار الاعتقال أو الإفراج كل ستة أشهر.

ولكن الإفراج تأخر يوماً نظراً لأنه قد فاتهم أن ينقلوا شقيقى عيداروس معنا من سجن طنطا لحضور جلسة المعارضة فى ٧ أبريل ١٩٧١. ولهذا حجزونا لمدة يوم بسجن القلعة حتى تم إحضاره من سجن طنطا وعرضه على المحكمة. وعند الخروج استقبلنا جميعاً (دفعة واحدة) حسن طلعت داوود مدير المباحث العامة المعروف باسم حسن طلعت. وأخبرنا أن البلد فى خطر. لأن السادات سيقضى على كل شئ وأنه سيأتى بالأمريكان. كما أبلغنا أن الوزير شعراوي جمعة يريد مقابلتنا، لكنه مشغول فى هذه اللحظة وهو على استعداد للمقابلة فى أى وقت. لكننا تجاهلنا هذا الأمر.

وطالب حسن طلعت أن نتعاون معهم لإنقاذ مصر من توجهات السادات وأفعاله التى ستقضى على مكاسب الشعب، وأخذ بعد ذلك يهاجم السادات بعنف.

وكان ردنا أن أساليبهم فى الحكم ومن بينها سياسة الاعتقال وكبت الحريات هى التى أدت إلى هذه النتيجة. ووجهنا إليه القول بأنه ليس من المعقول أن تحبسونا أكثر من عامين ثم تقولون إنكم أخطأتم فى حقنا وتطلبون أن نتعاون معكم. كما أوضحنا له بأن هذا الأمر لا يمكن التفكير فيه إلا بعد أن نخرج من المعتقل ونعيش حياتنا الطبيعية. وانتهت المقابلة بإبلاغنا بأنه فى انتظار ما سوف نقرره، كما أبلغنا بأنه سيتم إعادة المفصولين منا إلى وظائفهم. فعند صدور قرارات الاعتقال صاحبتها قرارات بفصل البعض منا من أعمالهم. وقد تم تنفيذ ذلك الوعد بعد ذلك بأسابيع قليلة، ومن المفارقات أن القرار الجمهورى الذى قضى بإعادة شقيقى عيداروس إلى وظيفته صدر فى نفس يوم صدور قرار السادات بإعفاء على صبرى من منصبه.

الاعتقال الرابع :من يوم ٤ يناير ١٩٧٥ حتى يوم ١٥ أبريل ١٩٧٥ .

تم القبض عليّ هذه المرة ضمن قضية الحزب الشيوعي المصري دون أن تكون لي صلة به. وكانت تلك القضية تضم زكي مراد ومحمود توفيق وآخرين من بينهم بعض الشباب الجدد، وكان الحبس في ليمان أبي زعبل. وأذكر أن عملية القبض عليّ تمت في ثاني يوم قيام إضرابات ومظاهرات عمالية واسعة النطاق في حلوان، ولم تكن لي صلة بهذه الإضرابات والمظاهرات. وتم الإفراج عنا تباعًا بعد شهور قليلة بما في ذلك الذين اتهموا في القضية، ولم يكن اسمي من بينهم.

•• العوامل التي أدت إلى توجهي نحو اليسار وإلى النضج الفكري :

أسهمتْ عدة عوامل في توجهي السياسي نحو اليسار الشيوعي وإلى اكتساب معرفة جديدة. ويمكن سرد تلك العوامل على النحو التالي:

أولاً: قراءة الكتابات السياسية وبعض الأعمال الأدبية المصرية أساسًا. وكان ذلك في بداية خمسينيات القرن العشرين. فالكتابات الصحفية التقدمية والأعمال الأدبية لها تأثيرات إيجابية مهمة على الوعي السياسي والاجتماعي. وكانت فترة حكومة الوفد من النوافذ التي أتاحت لبعض تلك الأعمال أن تظهر وتزدهر مثلما يحدث دومًا في ظل أي مناخ ديمقراطي. والجميع يذكر، على سبيل المثال، الدور الذي لعبته قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي "من أب مصري إلى الرئيس ترومان".

وكانت الدعوة إلى ثقافة جديدة التي رفعها الكتاب والمثقفون التقدميون والشيوعيون عامة، علاوة على إبداعاتهم من المكونات الأساسية للثقافة المصرية المعاصرة. وهي ثقافة تقدمية الطابع. ولا تزال تأثيراتها مستمرة في الثقافة المصرية ولازلت أتذكر الدور الثقافي والفكري المهم لمجموعة حسن فؤاد وصلاح حافظ وفؤاد حداد وآخرين. فقد كان لكتابات جماعتي «الغد والكاتب» علاوة على ما تنشره صحيفة المصري الوفدية تأثيرات فكرية مهمة في هذا الصدد.

ثانيـًا : كان انتقالي إلى القاهرة في عمر مبكر من العوامل التي ساعدت على توجهي

نحو اليسار وتحصيل معارف فكرية جديدة. فقد وفر هذا الانتقال فرصة أكبر للاطلاع والاحتكاك والمعرفة. وكانت شقيقتي الكبرى تعيش في القاهرة آنذاك. ولكن انتقالي للدراسة في القاهرة في عام ١٩٤٨ لم يكن مرتبطاً بذلك. بل يعود إلى سبب آخر.

فقد كان من المعتاد أن ينتقل أبناء الأسرة إلى القاهرة بعد حصولهم على الابتدائية. وكان ذلك ينطبق على البنات والأولاد. بل كان أول من انطبق عليه ذلك بنت خالي/ عمي حيث حصلت على الثانوية بالقاهرة ثم تخرجت من الطب ثم حصلت على الدكتوراه. غير أن التعليم في الأسرة كان محدوداً جداً. وعلى سبيل المثال انحصر التعليم في الأجيال السابقة في والد الأم (تعليم أزهري)، والخال (تعليم متوسط)، واثنين من أولاد عم والدي علاوة على شقيقي الأكبر. غير أن والدي كان الأكثر حرصاً في الأسرة على تعليم أولاده حيث تعلم أربعة أولاد من بين ستة صبيان وبنت من بين ثلاث بنات.

ثالثًا : يعود العامل الثالث إلى وجود قوات الاحتلال البريطانية في منطقة القنال والتل الكبير. وكنت أشعر بوطأة ذلك عندما كنت أسافر من فاقوس إلى القاهرة أو العكس. فقد كنت أشاهد الجنود الإنجليز في نقاط تفتيش على طريق المعاهدة المحاذي لترعة الإسماعيلية بالقرب من منطقة التل الكبير التي لا تبعد كثيرا عن مدينة فاقوس.

رابعًا : يتمثل العامل الرابع في وجود حزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس في الحكم في بداية خمسينات القرن العشرين والمناخ الديمقراطي الذي شهدته تلك الفترة. فقد تصاعدت المشاعر الوطنية، وتم نشر كتابات تقدمية. كما انتشرت الدعوة إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ مع الإنجليز. وتم إلغاء المعاهدة بالفعل، وبدأ الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية في منطقة القناة، ولم يتوقف هذا المد إلا بحريق القاهرة في أعقاب مظاهرات قوات البوليس احتجاجًا على هجوم القوات البريطانية على محافظة الإسماعيلية التي دافع عنها ببسالة عدد قليل من جنود البوليس المصري. ولازلت أذكر التأثيرات والمشاعر التي انتابتني عندما نزلت من حلوان إلى القاهرة لمشاهدة المظاهرة الوطنية الضخمة التي كان على رأسها الزعيم الوطني مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر في ذلك الحين.

خامسًا : تعتبر الحرب الكورية الأمريكية من العوامل التي أيقظت الوعي بالنسبة لي. فقد

أشاعت مقاومة الكوريين روح الأمل فى القدرة على التصدى للاحتلال البريطانى فى مصر. وفى تلك الفترة فكرت جدياً مع زميلى إبراهيم العشماوى فى السفر إلى كوريا ومشاركة الشيوعيين الكوريين فى الحرب ضد الأمريكان. وأخذنا نبحث عن وسيلة لتحقيق ذلك. وشعرنا أن هناك فرصة لأن نجد من يساعدنا عندما قرأنا فى الصحف أن الشاعر محمد الجواهري يزور مصر بدعوة من طه حسين. وكنا نحفظ شعره وننشر بعض الأبيات الثورية عن الشعب والجياع فى مجلة الحائط بالمدرسة. وتصورنا أنه يمكن أن يساعدنا فى السفر لمساعدة الشيوعيين فى كوريا. وحاولنا مقابلته. ونزلنا من حلوان إلى القاهرة من أجل هذا الغرض. وكانت مصادفة أننا وجدناه يسير فى منطقة باب اللوق ومعه أحد المرافقين المصريين. وتحدثنا معه بإعجاب وتقدير. وقام بتشجيعنا. وذكرنا له أننا نعرف أولاده (فرات وفلاح). لكننا لم نستطع الحديث معه عن السفر إلى كوريا حيث تبددت الفكرة بمجرد تشجيعه لنا وقوله بأن أمثالنا هم أمل مصر والعرب. ورغم أن حرب فلسطين كانت سابقة على الحرب الكورية الأمريكية، إلا أنها لم تحدث نفس التأثير فى نفوسنا حيث كنت أصغر فى العمر وقت اندلاعها.

•• الانضمام إلى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو):

كنا فى تلك الفترة نبحث عن الشيوعيين المصريين. وازداد اهتمامنا بهذا الأمر. وحاولنا تأسيس لجنة للسلام بالمدرسة. كما عملنا فى تلك الفترة أيضاً على الاتصال بحزب مصر الفتاة وذهبنا لمقابلة أحمد حسين رئيس الحزب، ولكنه أرسل شخصاً آخر لا يزيد عمره كثيراً على أعمارنا. واتضح أنه أخوه عادل حسين الذى أصبح زميلاً لنا فيما بعد، لكنه تحول إلى التيار الإسلامى بعد خروجه عام ١٩٦٤ من المعتقل. لكن لم يعجبنا كلامه .. وقررنا أن ننشط بأنفسنا وبدأنا بمجلة حائط بالمدرسة.

وفجأة اتصل بنا أحد الشيوعيين من طلاب المدرسة نفسها. وهو سودانى واسمه يوسف عبد المجيد وكان عضوا بحدتو. وقد أصبح فيما بعد من قادة الحزب الشيوعى السودانى، لكنه قاد انقساماً عن الحزب.

ومن الواضح أنهم كانوا يراقبون تحركاتنا، وانتظروا فترة ليتأكدوا ويطمئنوا فيما يتعلق

بتوجهاتنا. واجتمع هذا الشخص وابراهيم العشماوي وطالب آخر يمنى الجنسية اسمه طاهر رجب، وقال لنا إننا الآن أعضاء في حدتو. وطلب أن يختار كل شخص منا اسمًا حركيًا. واتضح لنا فيما بعد أن المدرسة كان يوجد بها بعض الطلاب السودانيين الآخرين المنضمين أيضًا إلى حدتو.

•• دور حدتو في تكوين كوادر شيوعية عربية :

لعبت حدتو دورًا مهمًا في تكوين الكوادر العربية سواء السودانية او اليمنية. وقد يكون هذا الدور معروفا ومسجلا فيما يتعلق بالسودانيين، لكنه يحتاج إلى توضيح بالنسبة للطلاب اليمنيين. فقد انضم عدد منهم إلى حدتو. كما برز دورهم الوطني من خلال نشاطهم السياسي في إطار المؤتمر العام لطلاب اليمنيين بالقاهرة الذي تأسس في عام ١٩٥٦ والذي شكل لجنة تنفيذية دائمة لمتابعة قراراته. وشاركوا بفاعلية أيضًا في النشاط الطلابي النقابي من خلال رابطة الطلاب اليمنيين. وقد تبلور الوعي السياسي لهؤلاء من خلال النشاط السياسي والنقابي في آن واحد. وكان هذا النشاط يجمع أبناء الجنوب والشمال، أي جميع أبناء اليمن الطبيعي. كما شكل في مجمله أحد الروافد الرئيسية للحركة الوطنية في اليمن شمالاً وجنوباً. وقد عبر ذلك عن تصور جديد في الحركة الوطنية اليمنية ودخولها منعطفًا جديداً بفكر جديد وتوجهات جديدة.

وقد رفعت تلك الحركة الطلابية، وعلى رأسها الطلاب الشيوعيين، شعار "من أجل يمن ديمقراطي موحد". وكان للمؤسسين لتلك الحركة فيما بعد دورا رئيسيا في تشكيل ثقافة اليمن الحديث. كما شارك أعضاء تلك المجموعة في أهم معارك اليمن السياسية وصاغوا أهداف تلك المعارك. ويشمل ذلك الدفاع عن النظام الجمهوري بعد ثورة ١٩٦٢، والمساهمة في تحقيق الوحدة اليمنية وصياغة دستورها. ومن الأمثلة البارزة لتلك الأدوار مساهمة أبناء تلك الحركة التي تكونت في مصر بدور رئيسي في مقاومة الحصار الذي فرضه على صنعاء في نهاية عام ١٩٦٧ (بعد انسحاب القوات المصرية من اليمن) المرتزقة الأوروبيون وبقايا أنصار الإمامة بدعم من السعودية. وضمت المجموعة خالد فضل منصور الذي أصبح وزيراً للعدل بجمهورية

اليمن الديمقراطية سابقًا الذى يرأس الآن حزب التجمع الوحدوى اليمنى وهو من زملائى فى حدتو بمدرسة حلوان، والراحل عمر الجاوى الشخصية السياسية المرموقة والأمين العام السابق لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنين، وهو أحد أبطال الدفاع عن النظام الجمهورى فى وجه حصار صنعاء. كما لعب دوراً بارزً فى الوحدة ليمنية وفى صياغة دستورها، وأبو بكر السقاف المفكر البارز وأستاذ الفلسفة بجامعة صنعاء، وزميلى فى حدتو فى حلوان الشاعر الراحل ابراهيم صادق رائد الشعر الحديث فى اليمن، وأيضًا زميلنا بحدتو بحلوان الشاعرعبده عثمان الذى أصبح وزيراً بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ باليمن الشمالى، وعمر اسكندر السقاف الذى كان أول رئيس لرابطة الطلاب اليمنيين بالقاهرة. ولا تقتصر تلك المجموعة على الأسماء التى ذكرتها الآن. وتشكل الوعى السياسى لهؤلاء ونضجت خبرتهم النضالية والمعرفية فى حدتو، وفى المؤتمر العام الدائم للطلاب اليمنيين بمصر ١٩٥٦ ولجنته التنفيذية الدائمة. كما أن نشاطهم النقابي من خلال رابطة الطلبة اليمنيين بالقاهرة قد أسهم هو الآخر فى زيادة وعيهم.

وأذكر أن نشاط هذه الرابطة شاركت فيه شخصيات أخرى إلى جانب الذين أشرت إليهم من قبل مثل فيصل عبد اللطيف الشعبى الذى أصبح فيما بعد من قادة الجبهة القومية فى عدن ووزيراً للاقتصاد فى أول وزارة باليمن الجنوبى بعد الاستقلال، والشاعر محمد أنعم وزير التربية والتعليم الأسبق فى ليمن الشمالى سابقًا.

•• النشاط الشيوعى فى حلوان وقيام ثورة يوليو ١٩٥٢:

شاركنا كشيوعيين فى كافة أشكال النشاط بالمدرسة. وشمل ذلك الصحافة المدرسية وفريق التمثيل. كما شاركنا فى النشاط الرياضى. وكنت وزميلى خالد فضل ضمن فريق الهوكى بالمدرسة. وعلاوة على ذلك كنا نشارك بفاعلية فى المناسبات لسيسية والدينية مثل مولد النبى حيث كانت لممثلنا كلمة دائمة فى تلك المناسبات. ولم يقتصر نشاطنا على المدرسة، بل امتد إلى المدينة. وكنا على علاقة بشخصيات عمالية ومهنية، يدخلنا فى حوارات مع شخصيات مختلفة. وكان من بين تلك الشخصيات أحمد صادق عزام المحامى أحد أقطاب الحزب الوطنى القديم.

وقد كرس نفسه للدفاع مجاناً عن قضايا عمل حلوان. كما كان بينها سيد قطب الذى أصبح بعد ذلك من المفكرين الإسلاميين الأصوليين.

وأدى نشاطنا فى المدرسة ووجودنا فى المدينة إلى فصلى مع ابراهيم العشماوى من المدرسة. ولكننا عدنا نتيجة وساطة وضغط من خارج المدرسة ومن الطلاب. غير أن الناظر حذرنى ومعى إبراهيم العشماوى وخالد فضل منصور (يمنى) بأنه لن يسمح بنجاحنا أو انتقالنا من السنة الثالثة إذا بقينا فى المدرسة. وقام بتنفيذ تهديده حيث رسبنا بالفعل آخر العام.

كما فوجئت أثناء الإجازة الصيفية (فى عام ١٩٥١) بخطاب من ناظر المدرسة يصل إلى عنوان الأسرة بمدينة فاقوس جاء فيه أنه "تقرر فصلى من المدرسة لاتجاهاتى اليسارية". وحاولت أسرتى إدخالى مدرسة أخرى بالقاهرة مثل مدرسة التوفيقية أو مدرسة السعيدية، لكنها لم تنجح. ويعود ذلك إلى أن نظار تلك المدارس كانوا يرفضون قبولي عندما يعلمون بأنني قادم من مدرسة حلوان الثانوية. وكنت مُصراً على العودة إلى مدرسة حلوان. فأخذت أوراقي من خالى، الذى كان يتوسط لى لدى نظار المدارس الوفديين، وذهبت إلى حلوان وأعادت إدارة المدرسة تسجيلي ومعى زميلى إبراهيم العشماوى بعد عدة ضغوط.

ومن جانب آخر استفزتنا عملية الرسوب عمداً فى السنة الثالثة، وقررنا نحن الثلاثة الذين واجهنا هذا الاضطهاد تعويض السنة التى خسرناها عن طريق المذاكرة والتقدم لامتحان شهادة الثقافة منزلى مع الاستمرار فى الدراسة فى السنة الثالثة بالمدرسة. وبدأت مع زملائى إبراهيم العشماوى والزميل اليمنى خالد فضل منصور فى تنفيذ تلك الخطة بالفعل. وبدأنا الاستعداد لامتحان شهادة "الثقافة" من الخارج، أى منزلى. وكانت هذه الشهادة تسبق شهادة التوجيهية العامة فيما بعد. وقام بعض المدرسين بالمدرسة بمساعدتنا فى مذاكرة بعض المواد. وقدمنا الاستمارات الخاصة بامتحان شهادة "الثقافة". وأدينا الامتحان فى لجنة مدرسة السعيدية بالقاهرة. ونجحنا نحن الثلاثة: خالد فضل منصور، وابراهيم العشماوى وأحمد القصير. وذهبنا باستمارات النجاح إلى ناظر المدرسة بحلوان وطلبنا تسجيلنا بالسنة الخامسة أى التوجيهية "الثانوية". ووافق الناظر على طلبنا ورحب بتسجيلنا وربما شعر أنه

أخطأ عندما قرر عدم نجاحنا وجعلنا نعيد السنة الثالثة. ولذلك قام بتشجيعنا، بل وزارنا ذات مرة فى أحد المقاهى التى اعتدنا أن نجلس فيها ونصحنا بأن نترك أمور السياسة إلى ما بعد التخرج قائلا إننا من التلاميذ المجتهدين وينتظرنا مستقبل باهر.

وكان من المعتاد أن نجلس يوميًا تقريبًا فى اثنين من المقاهى. الأول شعبى ويقع فى الشارع الرئيسى بمدينة حلوان (وهو شارع منصور) بالقرب من محطة المترو وكنا نلتقى فى هذا المقهى واسمه "قهوة رضوان" مع الطلبة والعمال. كما كنا نقرأ هناك الصحف اليومية التى يوفرها المقهى. أما المقهى الثانى فيحمل اسم "ليوانيدا"، ويقع فى طرف إحدى الحدائق العامة أمام محطة المترو. وكنا نتقابل هناك مع بعض الطلبة أيضًا وبعض الشخصيات كان من بينها بعض المحامين. وبدأت عملية جلوسنا مع المحامين بعد أن تعرفنا على واحد منهم أثناء حجزنا بقسم بوليس حلوان لمدة ليلة واحدة هى ليلة أول مايو، لأن البوليس كان يخاف من أن نقوم بعمل سياسى بهذه المناسبة. وقد تقابلنا مع هذا المحامى فى الحجز داخل قسم البوليس حيث تم حجزه فى نفس الليلة ولنفس السبب. وعندما اعتقلت فيما بعد كنت أرسل إليه خطابات سياسية من داخل السجن أشرح فيها أوضاعنا، وكان يقرأ هذه الخطابات لمعارفه فى المترو. وقد عرفنى المثقف المعروف إبراهيم منصور عن طريق قراءته لأحد تلك الرسائل قبل أن نتقابل شخصيا. وكان من الركاب الدائمين لمترو حلوان. كما كنا نقابل فى المقهى نفسه بعض الأشخاص المنتمين إلى الحزب الوطنى القديم وإلى حزب مصر الفتاة. وكان سيد قطب، الذى أصبح فيما بعد من المفكرين الإسلاميين الأصوليين، يتردد دائمًا على هذا المقهى. وكنا نجلس معه فى كثير من الأحيان. وكانت المسافة بين مقهى "رضوان" ومقهى "ليوانيدا" لا تزيد على مائتى متر.

•• ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعض المشكلات السياسية والنظرية:

عند قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ كنا فى الإجازة الصيفية بقرية الجمالية بمحافظة الشرقية. ولم يكن هناك اتصال مع التنظيم، لكننا رحبنا بالثورة وأيدناها. وعند العودة للدراسة بالقاهرة نشطنا فى مدرسة حلوان الثانوية فى هذا الاتجاه وهو الموقف الرسمى للتنظيم "حدتو". وبعد

إعدام خميس والبقرى بعد إضراب عمال كفر الدوار، والهجوم الذى شنته التنظيمات الشيوعية الأخرى على حدتو، بدأ نقاش داخلى حول مدى صحة الموقف من ثورة يوليو. وازدادت حدة الصراع بالإعلان عن تقرير بالمدات سكرتير الحزب الشيوعى البريطانى الذى كان ينتقد موقف حدتو المؤيد للثورة.

وجرت مناقشة هذا التقرير فى مختلف مستويات التنظيم. وبعد فترة تغير موقف "حدتو". ولا أتذكر الآن طبيعة ذلك التغيير، لكننى أتذكر تأثيره العملى. فقد طلب التنظيم مثلاً أن أنسحب من الحرس الوطنى حيث كنت أتدرب على حمل السلاح. كما أذكر أننا لم نتأثر فى حلوان بانقسام "بدر".

وبشكل عام كان نشاطنا يتسم بطابع جماهيرى وفق أهداف عامة، ولم نكن على وعى بمسألة البرنامج والإستراتيجية التى يتم التساؤل دائمًا بشأنهما. وعلى أى حال فإن الوعى النظرى اتسم بالضعف عند الجميع. ومن الخطأ القول بأن هذا التنظيم تميز بالعمل الجماهيرى وأن التنظيم الآخر تميز بالتعمق فى الجانب النظرى، فإن الواقع يقول إن الجانب النظرى لم يتعمق فيه أحد.

ولا شك فى أن العمل السياسى - الجماهيرى يستلزم وجود خلفية نظرية. وهذا المزج بين الجانبين لم يكن موجوداً. وفى ذلك الحين لم أكن على وعى بهذا الموضوع بمثل الوضوح الحالى. وعلى اى حال فإن القيادات كانت فى أعمار صغيرة نسبيًا. وكنا فى القاعدة من الشباب المتحمسين. وقد عملت القيادة على توسيع النشاط الجماهيرى والسياسى العام على نحو مقبول، لكن لم يكن لديها القدرة على تحقيق الربط بين العملى والنظرى.

كما أن ظروف القهر من جانب السلطة، لم تتح الفرصة لأحد بأن يلتقط أنفاسه. وكانت هناك فرصة أمام "حدتو" فى مجال الأعمال النظرية، حيث أن التأصيل النظري ينهض بالطبع على الارتباط بالواقع وليس كما كان يفعل البعض باللجوء إلى جملة أو عبارة فى أحد الكتب الماركسية للتدليل على صحة وجهة نظره فى فهم الواقع المصرى. فهذه طريقة خاطئة ولا تفيد فى أى شئ. فالمشكلة تكمن فى كيفية صياغة نظرية خاصة بالواقع والقضايا التى نواجهها. وهذه هى الإشكالية الحقيقية وجوهر القضية. ولكن قيادة حدتو لم تستفد من الفرصة المواتية

التى وفرها ارتباطها بالواقع بدرجة ما. لقد كان الناس يقومون بمهام كبيرة دون خبرة كافية، كما كانت الملاحقة البوليسية مستمرة، وليس لدى الكوادر فرصة للتنفس. وفضلاً عن ذلك فإن عمر التجربة لم يكن طويلاً، وهذه هى الظروف الموضوعية التى يجب النظر إليها. ولذلك فإن الأمر لم يكن مرتبطاً برغبة قيادة حدتو أو عدم رغبتها فى الاهتمام بالوعى النظرى.

•• زملاء الدراسة والسياسة بمدرسة حلوان الثانوية:

كان ابراهيم العشماوى زميلاً لى فى عملية البحث عن الشيوعيين، واشتركنا سرياً فى كافة الحلقات الخاصة بتبني التوجه السياسي والفكرى الجديد. وأود أن أذكر بعض الأشياء عن هذا الزميل العزيز الذى توفي في مايو ١٩٧١، ففى فترة الصراع حول الموقف من ثورة يوليو ١٩٥٢ انفصل ابراهيم العشماوى عن "حدتو". وارتبط فترة قصيرة بتنظيم الراية، غير أن صداقتنا استمرت سواء خلال فترة الجامعة أو ما بعد تخرجه من كلية الحقوق جامعة القاهرة وتعيينه فى النيابة. وقد شارك في تحقيق قضايا مهمة من بينها قضية سيد قطب. وكان بين مضبوطات تلك القضية قوائم بأسماء الشيوعيين واشتملت على اسمي. وقد أخبرني بهذه الواقعة أيضاً وكيل نيابة آخر شارك فى تحقيق القضية نفسها، وهو من الوزراء الحاليين. غير أنه تم فيما بعد استبعاد ابراهيم العشماوى، ووكيل النيابة الآخر من النيابة ضمن ما سمي بمذبحة القضاء.

ويجب أن أشير إلى أن مجموعة الدراسة والسياسة بحلوان ضمت أيضاً شقيقى عيداروس القصير. وقد أسهم بنشاط بارز سواء فى حلوان أو فى تأسيس النشاط الحزبى الجديد بمحافظة الشرقية أو فى نشاط وقيادة التيار الثورى بعد عام ١٩٦٤. وكان من بين مجموعة المدرسة أيضاً الفنان كمال بكير صاحب الموسيقي التصويرية لعدد من المسرحيات الشهيرة في الستينات على الرغم من أنه عمل طوال حياته محامياً بالإدارة القانونية بوزارة الصناعة. كما يجب أن أذكر أن قائمة الزملاء بمدرسة حلوان ضمت أيضاً مصطفى عبد العزيز الذى كان يعرف بيننا باسم مصطفى النحاس لوجود قرابة وبعض الشبه مع الزعيم مصطفى النحاس. وكان مصطفى عبد العزيز عضواً فى تنظيم الراية، وعمل بعد ذلك بالنيابة الإدارية. وتوفى منذ ثلاث سنوات. كما كان معنا بالمدرسة فرات وفلاح ابنا الشاعر العراقى محمد مهدى الجواهرى وهما من الشيوعيين العراقيين. وكان بالمدرسة أيضاً بعض الطلاب الذين

ينتمون إلى الإخوان المسلمين وإلى حزب مصر الفتاة. وظل ممثل هذا الحزب على علاقة صداقة وتعاون معنا فى المرحلة الثانوية والجامعية وفيما بعد التخرج، وهو من المقيمين الدائمين بحلوان. ولم تنقطع الصلة به وزملائه فى حلوان إلا بعد اعتقالى فى مارس ١٩٦٩. كما وجد بالمدرسة بعض المتحمسين بشكل شخصى لثورة يوليو مثل الصحفى فهمى هويدى صاحب التوجهات الإسلامية الآن. وكانت تلك الحماسة ترجع بشكل أساسى إلى أن شقيقه أمين هويدى من رجالها البارزين.

•• الانتقال إلى الجامعة:

حصلت على الثانوية العامة فى ١٩٥٢ والتحقت بكلية الحقوق جامعة عين شمس. وكان محمود العطار هو المسؤول الحزبى بالكلية. وكان نشاطى محدوداً نظراً إلى أن الفترة التى قضيتها فى الجامعة قبل اعتقالى كانت أقل من ثلاثة أشهر. وفى تلك الفترة قمت بتوزيع منشورات بالكلية علاوة على بعض الاتصالات. وفي ذلك الحين كان الزميل محمد خليل قاسم الذى قام فيما بعد بتأليف رواية "الشمندورة" عن النوبة هارباً من البوليس، وأقام معى فى مسكنى فى حي الظاهر. وجاء رفعت السعيد، دون أن أعرفه ودون علمى، إلى الشقة لمقابلة محمد خليل قاسم. ولم أكن بالمنزل وقت حضوره. وكان البوليس يتعقبه ولذلك تمكن من رصد المنزل.

وتم القبض علىّ مصادفة حينما ذهبت المباحث العامة لمداهمة المنزل فوجدوا محمد خليل قاسم. ونصبوا كميناً داخل الشقة وعلى السلم انتظاراً لوصولى دون أن يعرفوا شخصيتى. وعندما عدت للمنزل ليلاً وقعت فى أيدي الكمين على السلم فى اللحظة التى وضعت فيها المفتاح فى باب الشقة ووجدت فى داخل الشقة مصطفى عاشوب رجل المباحث المشهور. وسألني عن اسمي. وتم القبض علينا ضمن قضية شيوعية حسبما ذكرت فى بداية هذا الحوار عن عدد مرات الاعتقال وفتراتها. وكانت الفترة السابقة على اعتقالى هى التى تركز فيها نشاطي الحزبي بين طلبة الجامعة. فقد اتجه نشاطى الحزبى بعد الخروج من المعتقل إلى خارج الجامعة وبمنطقة حلوان فى المحل الأول، والتى تمتد بين مصر القديمة وحلوان. وكان المستوى التنظيمى الذى وصلت إليه فيما بعد هو عضوية منطقة القاهرة.

استمر حبسى فى ذلك الحين بسجن مصر من ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ حتى ٥ ديسمبر ١٩٥٥

حيث صدر قرار من النيابة بالإفراج عني، ولكن لم أخرج، فقد تم نقلي من سجن مصر مباشرة إلى حجز قسم الخليفة بالقاهرة انتظاراً لصدور الأمر باعتقالي، وبعد صدور هذا القرار في ٨ ديسمبر ١٩٥٥ تم ترحيلي إلى أوردي ليمان أبي زعبل، وبقيت هناك إلى أن تم الإفراج عني في ٢٩ مايو ١٩٥٦.

وأذكر أننا واجهنا في ذلك المعتقل أولى عمليات التعذيب المنظمة على أيدي اللواء همت الذي ارتكب في السنوات اللاحقة جرائم تعذيب أدت إلى قتل عدد من زملائنا في مقدمتهم شهدي عطية في بداية ستينات القرن العشرين.

•• العودة للعمل الحزبي في حلوان بعد الخروج من المعتقل في ١٩٥٦:

ارتبط عملي الحزبي بعد الخروج من المعتقل بحلوان حيث كنت مسؤولاً عن نشاط التنظيم هناك، وكانت إقامتي بالقاهرة، لكنني انتقلت للإقامة بحلوان في فترة العدوان الثلاثي في منزل الزميل ابراهيم المناسترلي الذي كان يقيم بالقاهرة في ذلك الحين، وبعد احتلال بورسعيد كنت ضمن المجموعة الحزبية التي ذهبت إلى قرية طويحر بمركز أبو حماد بمحافظة الشرقية؛ حيث أقيم معسكر للتدريب، وكان ضمن المعسكر ثلاث سيدات أذكر منهن الصحفية أميمة أبو النصر ونانا سالم، وبعد فترة من التدريب ذهبت مجموعة منا إلى بورسعيد ولم أكن بينها. غير أنني حصلت أثناك على ترخيص بحمل السلاح من لطفي واكد وآمال المرصفي وكانا في قيادة المنطقة العسكرية بالزقازيق، وذهبت بعد ذلك إلى ناحية الإخيوة الصالحية ومعي كمية من الذخيرة وقمت بتدريب الأهالي على استخدام السلاح وشكلنا لجاناً للمقاومة. كما قمت بعملية تجنيد للحزب في قرى المنطقة، وكنت خلال تلك الفترة على اتصال بالنقطة العسكرية بالمطرية بمحافظة الدقهلية للسؤال عن أخبار الزملاء الذين دخلوا بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة ومن بينهم أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة، وبعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد عدت للقاهرة.

وأذكر أنني التقيت بعد رجوعي إلى القاهرة بصحفي بولندي سألني عن دور الشيوعيين (الحزب الموحد) في بورسعيد فقمت بترتيب لقاء له مع أحمد الرفاعي الذي حدثه تفصيلياً عن

هذا الدور. وينبغى التنويه بأن دور الشيوعيين فى بورسعيد يحتاج إلى تسجيل تفصيلى. وتحتاج هذه العملية أيضاً إلى تسجيل آراء زملائنا من أبناء بورسعيد الذين لعبوا أدواراً مهمة فى المقاومة ومن بينهم إبراهيم فاجوج الذى كان يعمل بالجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء بالقاهرة قبل أن يتقاعد.

•• الانتخابات النيابية فى ١٩٥٧ والجبهة الوطنية فى حلوان:

استمر نشطى الحزبى فى حلوان وبمناسبة الانتخابات البرلمانية تشكلت فى حلوان جبهة لخوض الانتخابات واختيار مرشح باسمها. وكنت أمثل الشيوعيين فى تلك الجبهة بينما كان يمثل حزب الوفد أبو بكر حمدى سيف النصر. وهو شخصية مكافحة وقبض عليه لفترة بتهمة أنه ممثل الوفد فى جبهة أقمتها مع حدتو.. كما أنه ابن أحد وزراء الحربية فى وزارة وفدية سابقة. كما ضمت الجبهة الحزب الوطني ويمثله أحمد صادق عزام المحامى وهو شخصية وطنية سخرت وقتها وأموالها للدفاع عن العمال فى حلوان، وكان يحظى بشعبية طاغية فى أوساط العمال وبين الأهالى أيضاً. وضمت الجبهة أيضاً شخصيات أخرى من بينها ممثل حزب مصر الفتاة، والرئيس السابق لنقابة شركة أسمنت حلوان، وممثل نقابة حرير حلوان.

وكانت الاجتماعات مفتوحة ويمكن أن يحضرها كل من يرغب فى ذلك. وكان منزل أبو بكر حمدى سيف النصر هو المقر الدائم لاجتماعات الجبهة اليومية فى المساء. وبدأنا فى البحث عن المرشح المناسب، وانحصرت الأسماء فى ثلاثة أشخاص: أبو بكر حمدى سيف النصر، وأحمد صادق عزام، والرئيس السابق لنقابة شركة أسمنت حلوان وهو من الشخصيات النقابية البارزة التى تتمتع بالتقدير بين أهالى المدينة والعمال. واتخذنا قراراً بضرورة حضور الأشخاص الثلاثة فى الاجتماع قبل اتخاذ أى قرار. ولم تكن الشخصية النقابية موجودة فى ذلك اليوم. وكلفت بتبليغها لحضور الاجتماع فى اليوم التالى. وجرت فى اليوم التالى مناقشة بحضور الجميع. وأعلن أبو بكر سيف النصر أنه يرى أن المصلحة تقتضى عدم ترشيحه لأن الاعتراضات عليه من الحكومة ستكون شديدة، كما أعلنت الشخصية النقابية أنها على الاستعداد للترشيح فى حالة تعذر ترشيح أحمد صادق عزام. وقررنا اختيار أحمد صادق عزام للترشيح، وبدأنا فى الإعلان عن ذلك. وتم الإعلان عن ذلك الترشيح فى سرادق خاص وفى حضور عمالي وجماهيري كاسح. وكان من بين ردود الأفعال تجاه هذا التأييد الشعبي

الكاسح انسحاب أحمد فهيم وزير العمل ورئيس اتحاد عمال مصر من الترشيح فى حلوان وانتقاله إلى الترشيح في مدينة السويس. لكن الحكومة قطعت علينا الطريق بسرعة واعترضت على ترشيح أحمد صادق عزام. كما علمنا أنها سوف تعترض على الشخصيات الأخرى. ولذلك قررنا تأييد حفنى الأسمر رئيس نقابة شركة حرير حلوان الذى ترشح بعد الاعتراض على مرشحينا. وقد نجح فى تلك الانتخابات، وهو من أبناء قرية الشعراء بدمياط.

•• الانتقال مؤقتاً إلى دمياط فى فترة الانتخابات:

بعد الاعتراض على ترشيح أحمد صادق عزام فى حلوان، قرر الحزب أن أذهب إلى دمياط للإشراف على المعركة الانتخابية وتنظيم الدعاية للزميل سعد أبو رمضان مرشح الحزب هناك. وهذا الزميل هو الابن الأكبر لأحد كبار المشتغلين بصيد وتجارة الأسماك فى دمياط، وكانت له علاقات قوية بأبناء عزبة البرج التى يعمل معظم سكانها بصيد الأسماك. وتقع هذه القرية عند التقاء النيل بالبحر المتوسط. وكان سعد من الشخصيات البارزة فى مدينة دمياط وله علاقات قوية مع كافة الشخصيات والمثقفين والعائلات. وبعد وصولى إلى دميط وضعنا خطة للعملية الانتخابية بما فى ذلك الدعاية والاتصالات وتشكيل اللجان الخاصة بكل ناحية. فقد كانت الدائرة تشمل نواحى عديدة تضم مناطق تبدأ من قرية الشعراء على طريق المنصورة حتى مدينة دمياط علاوة على قرى الشطوط مثل غيط النصارى والخياطة وصولاً إلى عزبة البرج على البحر الأبيض المتوسط.

وتحول أحد المقاهى فى سوق الحسبة بوسط مدينة دمياط، الذى يلتقى به معظم الشخصيات العامة من أهل المدينة، إلى ما يشبه المقر العام لنا. وعشت هناك باسمى الأول فقط، أى أحمد. وكان من المعروف أننى أمثل الشيوعيين دون الإعلان عن ذلك صراحة. وقد تركتنا الحكومة فترة طويلة نسبياً دون اعتراض. وعندما بدأنا فى ترسيخ وجودنا أخذوا يشعرون أن سعد أبو رمضان يحظى بحضور ونفوذ جماهيرى. وفى النهاية صدر قرار بالاعتراض على ترشيحه.

وتوضح تلك التجربة أن العمل الجماهيري مسألة جوهرية فى تطور وعى الكوادر الحزبية وانطلاقها. ويلاحظ أن جميع أعضاء الحزب فى دمياط بمختلف شرائحهم الاجتماعية، من

عمال إلى مثقفين، قد شهدوا طفرة كبيرة فى الخبرة والوعي نتيجة مشاركتهم النشطة فى تلك المعركة الجماهيرية التى لم تستمر طويلاً.

•• تأسيس نشاط جديد لحدتو فى مركزى فاقوس والحسينية بمحافظة الشرقية :

بدأت مع شقيقى عيداروس القصير فى تأسيس هذا النشاط الشيوعى الجديد خلال الإجازات الصيفية؛ حيث كانت دراستنا بالقاهرة فى المرحلة الثانوية. وكنا نسافر أحياناً خلال الدراسة لمتابعة هذا النشاط فى ناحيتى فاقوس والحسينية. وقد غطى هذا النشاط عددا من القرى بالإضافة إلى مدينتى فاقوس والحسينية. وتتمثل تلك القرى فى قرية الجمالية، وقرية سماكين الغرب، وقرية الإخيوة بمركز الحسينية. كما شمل نشاطنا الجديد بهذا المركز عدداً من العزب التى تقيم فيها أعداد كبيرة من العمال الزراعيين. وغطى نشاطنا بمدينة فاقوس المرأة حيث تشكلت مجموعة من الفتيات الحزبيات.

ويلاحظ أن هذا النشاط بمحافظة الشرقية غير معروف، ولم يتم توثيقه، ولا تجرى الإشارة إليه فى كتابات الشيوعيين المصريين. وتشير الأدبيات المختلفة عادة إلى نشاط "حدتو" فى محافظة الدقهلية وريفها فقط دون إشارة إلى ريف محافظة الشرقية الذى ظهر به نشاط حزبى للشيوعيين باسم تنظيم حدتو أيضاً. وقبل الحديث عن نوع ذلك النشاط الذى أسسناه فى تلك النواحى، أود أن أشير إلى أن حملة الاعتقالات فى الفترة ١٩٥٩- ١٩٦٤ شملت ٨ من زملائنا من مدينتى فاقوس والحسينية ومن بعض قرى مركز الحسينية.

وقد اعتقل من الفلاحين الزملاء محمد سالم الحين وهو من قرية الجمالية ولطفى السيد القصير من قرية الإخيوة. كما اعتقل من قرية الإخيوة أيضاً زميل آخر هو السيد عرابى. ومن مدينة الحسينية تم اعتقال عبد السلام رزق وهو محام وعضو الآن فى حزب التجمع، ومحمد عبد السلام وهو محام أيضاً، ومحمد أبوسوشة وهو موظف فى بنك التسليف. وفى مدينة فاقوس اعتقل فتحى السجان (مدرس) وشاكر يعقوب (صاحب أملاك). وأذكر أنه بعد توسع النشاط الذى أسسناه قرر التنظيم ضمه إلى منطقة بحرى وعين الشيخ عراقى مسئولاً عنه.

•• نوعية النشاط الحزبى الجديد بالشرقية :

غطى النشاط الحزبى عدة مجالات من بينها مشاكل المزارعين والعمال الزراعيين. كما شمل تأسيس فصول لمحو الأمية بالإضافة إلى التوعية السياسية من خلال الخطابة فى المساجد خاصة من خلال خطبة الجمعة. وكان شقيقى عيداروس الذى لعب دوراً رئيسياً فى النشاط الحزبى بالمنطقة يخطب عادة فى صلاة الجمعة فى أحد المساجد التى يتجمع فيها أبناء عدة قرى صغيرة. كما شمل النشاط محاولة إيجاد تنظيم للعمال الزراعيين فى المنطقة. وعلاوة على ذلك شمل النشاط محاربة استغلال المشايخ والعمد وأقاربهم للأهالى.

وأتذكر أيضًا أن البعض أراد محاربة نشاطنا بقرية الإخيوة، وهى أكبر قرى مركز الحسينية، وزعموا أنه لا يجوز للناس أن تمحو أميتها عن طريق الشيوعيين. ودار جدال فى القرية حول هذا الأمر. وفى النهاية نصحت شخصية بارزة بالقرية الأهالى بأن يستمروا فى الالتحاق بفصول محو الأمية لأن محو الأمية مسألة هامة، كما أعلن لهم أن كل من يسهم فى ذلك لابد أن يلقى الشكر. وقد أقمنا فصول محو الأمية فى منزل تم تخصيصه لذلك يمتلكه زميلنا السيد عرابى. وكان لنشاطنا الحزبى تأثيراته الإيجابية على بعض المسئولين المحليين فاتخذوا قرارات وإجراءات فى صالح المزارعين على الرغم من أن القانون كان لا يتيح لهم ذلك. ففى عام ١٩٦٤ قام عمدة قرية الجمالية بالتعاون مع سكرتير الجمعية الزراعية وهو شقيقى الأكبر، بتسجيل جميع الحيازات الزراعية بالقرية باسم المنتفعين بدلاً من الملاك.

وأثار هذا الأمر ملاك الأراضى فى النواحى المجاورة من جانب والسلطات الحكومية على أعلى المستويات من جانب آخر. ولم تقم السلطات الحكومية بإلغاء الإجراءات التى اتخذها العمدة وسكرتير الجمعية الزراعية. غير أنها قررت أن تعاقبهما، فاتخذت قيادة الاتحاد الاشتراكى بالقاهرة قراراً بإسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكى عن سامى عبد الغنى (عمدة الجمالية) وعن محمد القصير (سكرتير الجمعية الزراعية بقرية الجمالية). ومن ثم لم يعد لهما الحق فى تولى أى مناصب. وبهذا تم إبعادهما عن العمودية وعن أمانة الجمعية الزراعية، لأن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت شرطًا لتولى أى منصب. وبعد فترة وجيزة من الوقت صدر قانون يقضى بأن تكون الحيازة للمنتفع فى كافة البلاد. أى تم تعميم الوضع الذى تم بسببه فصل العمدة وسكرتير الجمعية الزراعية، ولكن دون أن يتم إلغاء قرار إسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكى عنهما.

كان العمدة شخصية عالية الثقافة، وهو محام ومن مواليد القاهرة. لكنه ترك وظيفته في القاهرة وانتقل للإقامة الدائمة في عزبته حيث يمتلك ٨٠ فدانا، وبدأ يشرف على زراعتها بمحاصيل غير تقليدية. وتسمى هذه العزبة الثمانين وتتبع قرية الجمالية وهي بجوار عزبة الأربعين حيث تقيم أسرتي والتي تتكون من عدد صغير من المنازل. وكان العمدة صديقًا لوالدي وشقيقي الأكبر منذ فترة سابقة على توليه منصب العمودية. وعندما كبرت في السن بدأت أجلس معه حيث كان يستقبل أصدقاءه كل ليلة في منزله. وعن طريقه تعرفت على يوسف حلمي الشخصية السياسية المشهورة. فقد كان العمدة متزوجًا من ابنة شقيقة يوسف حلمي، وكان متأثراً بدور يوسف حلمي في إحياء تراث سيد درويش عن طريق الجمعية التي أسسها لهذا الغرض. ويعتبر يوسف حلمي أحد المراجع الرئيسية في ذلك التراث. وقد تأثر العمدة بذلك، ولهذا كان يغني في جلساته وسهراته أغاني سيد درويش. وكنا نشاركه الغناء. كما كان يردد الأغاني معه بعض الفلاحين الذين يعملون في أرضه ويسهرون معه ليلاً. وبهذا كان العمدة ينشر مناخاً ثقافياً خاصاً تقدمي الطابع.

•• نشاطي في مجال الجامعة :

ذكرت في جلسة الحوار السابقة أن تجربتي في النشاط الحزبي بالجمعة كانت محدودة نظراً لقصر الفترة بين التحاقي بالجمعة في أكتوبر ١٩٥٣ واعتقالي في شهر ديسمبر من العام نفسه. ولكن هناك ما يقال عن الفترة التي أعقبت الإفراج عني في ١٩٥٦، وبعد الإفراج كان عملي الحزبي مرتبطاً بحلوان وليس بالجامعة والعمل الطلابي. ومع ذلك كانت لي صلة سياسية مستمرة بالجامعة خاصة كلية الآداب جامعة عين شمس. فقد التحقت بعد الإفراج عني في النصف الثاني من الخمسينيات بقسم الاجتماع بتلك الكلية. وكان ذلك لأنني وجدت قراراً من مجلس قيادة الثورة بفصلي من كلية الحقوق. ونصحني الدكتور محمد حلمي مراد وكيل كلية الحقوق حين ذاك بعدم الاعتراض على الفصل من الحقوق والاستفادة من أن القرار اقتصر على الفصل من كلية ولم ينص على الفصل من الجامعة. وأرسلني بخطاب شخصي إلى د. مهدي علام عميد كلية جامعة شمس الذي وافق على تسجيلي منتسباً بالكلية، وقد تحولت إلى منتظم فيما بعد لكي أشترك في فريق الهوكي بالكلية. ومن المصادفات أن هذا الفريق جمعني بزميل شيوعي هو فؤاد المالوي الذي أصبح فيما بعد أستاذاً للتاريخ بجامعة

الأزهر مثلما كان فريق الهوكى بمدرسة حلوان الثانوية يجمعنى بزميل شيوعى أيضاً هو خالد فصل منصور.

ومنذ التحاقى بكلية الآداب أسهمت بدور فى المجال العلمى والفكرى ساعد على اعتبار مبادئ المادية التاريخية قواعد أساسية لمنهج علم الاجتماع. كما أسهم هذا الدور فى بروز ما يسمى مدرسة عين شمس فى مجال علم الاجتماع. وقد تضافرت عدة عوامل على تحقيق ذلك أذكر منها ما يلى:

أولا: التعاون بين الطلاب الشيوعيين بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية رغم اختلاف انتمائهم الحزبى. وكان بالقسم مجموعة متميزة من الطلاب اليساريين منهم فاروق عبد القادر وقدرى حفنى وفرج أحمد فرج ولطفى فطيم. وقد حصلوا جميعًا على الدكتوراه فى علم النفس ما عدا فاروق عبد القادر، وذلك لأن المباحث العامة اعترضت على تعيينه معيداً بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، وبالتالى تم حرمانه من السفر فى البعثة الدراسية التى حصل عليها الشخص الذى يليه فى الترتيب.

ثانيـا: وجود شخصية علمية مهمة بالقسم وتتمثل فى الدكتور مصطفى زيوار أستاذ علم النفس المشهور. وكان د. زيوار يتبنى هؤلاء الطلاب جميعاً ويشجعهم على التفوق. وقد أثر ذلك فى كل من الطلاب والأساتذة بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية الذى تحول فيما بعد إلى قسمي علم الاجتماع وعلم النفس. وأسهمت القيمة العلمية المتميزة التى يجسدها الدكتور مصطفى زيوار فى وجود مناخ يدعو إلى الانفتاح الفكرى وإلى الإبداع.

ثالثـا: من العوامل ذات الأهمية أيضاً المناخ العلمى والفكرى الذى توفر بالقسم نتيجة وجود أساتذة متميزين علمياً وفكرياً لهم صلة أيضاً بالدكتور زيوار. وأعنى بهؤلاء الدكتور مصطفى صفوان أستاذ التحليل النفسى فى باريس حالياً، وعبد السلام القفاش الذى ذهب إلى إنجلترا فى نهاية الخمسينيات لإعداد الدكتوراه لكنه بقى هناك وعمل بهيئة الإذاعة البريطانية، والدكتور أحمد فائق أستاذ علم النفس الذى فصل من الجامعة بعد حرب ١٩٦٧ لأنه أسس تنظيمًا سريًا باسم "جبهة تحرير مصر". وقد هاجر إلى كندا بعد اعتقاله وفصله من الجامعة. وكان الدكتور أحمد فائق يقوم بدور متميز فى القسم يتسم بالهدوء والحسم فى آن واحد. وكان يعمل على حماية الطلاب الشيوعيين فى القسم من الاضطهاد الذى يمارسه ضدهم بعض أساتذة القسم التقليديين. وكان هو الذى عرفنى على بعض المعيدين المتميزين

فى شعبة علم الاجتماع، وكانت لهذه الصلة تأثيرات ساعدت على أن يتخلص البعض منهم من توجهات المدرسة الوظيفية فى علم الاجتماع وتبني مفاهيم جديدة انعكست بشكل واضح فى التدريس وفى بعض الدراسات أيضاً.

كما كان د.أحمد فائق وراء المساندة العلمية والفكرية التى تلقيتها من د. مصطفى زيوار على الرغم من أننى لم أكن على معرفة شخصية به. فقد قرأ الدكتور زيوار- بواسطة د. أحمد فائق - بحثًا أعددته عن الأسس المنهجية فى علم الاجتماع المعاصر أوضحت فيه عجز المدارس التقليدية خاصة الوظيفية، كما أشار البحث إلى أهمية مبادئ المادية التاريخية المنهجية لعلم الاجتماع. وتحمس الدكتور زيوار لنشر هذا البحث، وأرسلنى إلى الدكتور فؤاد زكريا لهذا الغرض. وعلى الرغم من أن البحث لم ينشر، فإنه كان الأساس الذى تطورت منه فيما بعد رسالة الماجستير التى أعددتها حول الموضوع نفسه والتى صدرت فى كتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان "منهجية علم الاجتماع بين الوظيفية والماركسية والبنيوية".

رابعًا : من بين العوامل التى ساعدت على خلق المناخ الفكرى الجديد بقسم علم الاجتماع، وعلى إتاحة الفرصة للمساهمة فى ترسيخ المفاهيم والتوجهات الجديدة فى علم الاجتماع، الأسلوب الليبرالى الذى اتبعه معنا الدكتور السيد بدوى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الإسكندرية (توجد قرابة بينه وبين د. فؤاد زكريا). فقد كان يحضر لتدريسنا مادة النظريات الاجتماعية بالدراسات العليا. ووجد أننى أناقشه بوجهات نظر مختلفة، وأتاح لى فرصا كبيرة لعرض الأفكار التى عبرت عنها. واستمرت هذه الفرصة عدة أسابيع، وشمل ما قدمته نقداً لما يتم تداوله وتدريسه بالجامعات المصرية وتفسيراً لأسباب قصور الدراسات التى يقدمها المتخصصون فى علم الاجتماع. وجذبت التجربة التى أتاحها الدكتور السيد بدوى بعض أساتذة قسم علم الاجتماع بكلية آداب جامعة عين شمس فاقترحوا تعميمها. وكان الدكتور غسان بدر هو أول من قدم هذه الفكرة، ومن ثم نشأت فكرة السمنار الأسبوعي بالقسم، وتم تنفيذ الفكرة بالفعل. وقد أسهم هذا السمنار فى تطوير الدراسات بالقسم، واكتسب شهرة علمية، كما يعود إليه الفضل، بدرجة ما، فى نشأة ما يُسَمَّى بمدرسة عين شمس فى علم الاجتماع وإن كان المستوى العلمي لهذه المدرسة تعرض للتدني فى السنوات الأخيرة نظراً لضعف الأجيال الجديدة.

خامسًا : ساعد على رسوخ التوجهات الجديدة بقسم علم الاجتماع بعين شمس ترحيب الدكتور حسن الساعاتي، الذى كان عميداً لكلية الآداب ورئيساً لقسم علم الاجتماع، بحضور أساتذة زائرين متميزين فكرياً وعلمياً لتدريس طلاب الدراسات العليا. وقدم بعض هؤلاء الأساتذة سلسلة محاضرات كان يحضرها جميع أعضاء هيئة التدريس إلى جانب طلاب الدراسات العليا بشعبتي عم الاجتماع وعلم النفس. وكان الدكتور حسن الساعاتي يرحب بهؤلاء الأساتذة على الرغم من اختلاف منطلقاتهم الفكرية عن مواقفه. وكان من أبرز هؤلاء الأساتذة جاك بيرك المستشرق الفرنسي الشهير، وأنور عبد الملك المفكر المصري البارز. وقد ألقى علينا جاك بيرك محاضرات استمرت أكثر من شهرين. وكان يحضرها طلاب الدراسات العليا فى علم الاجتماع وعلم النفس. أما محاضرات أنور عبد الملك فقد استمرت عدة أسابيع، وكان يحضرها طلاب الدراسات العليا فى علم لاجتماع وجميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم.

وقد استفدت شخصياً من الليبرالية التى كانت يتحلى بها الدكتور حسن الساعاتى تجاه بعض الذين يختلفون معه فكرياً. فهو الذى وافق على إعطائى فرصة لإعداد رسالة ماجستير في موضوع نظرى لا يتم عادة تسجيل رسائل علمية حوله وهو الأسس المنهجية فى علم الاجتماع المعاصر. وقد انتقدت فى هذه الرسالة التوجهات الفكرية السائدة في علم الاجتماع بالجامعات المصرية خاصة ما يتعلق بالمدرسة الوظيفية الأمريكية، كما انتقدت المنهج الوصفى الذى تقوم عليه كافة الأعمال الرئيسية للدكتور لساعاتى نفسه. وأوضحت، علاوة على ذلك، أن علم الاجتماع يحتاج من الناحية المنهجية للمفاهيم الرئيسية للمادية التاريخية. كما تناولت أوجه الاتفاق والاختلاف بين المدارس الاجتماعية الرئيسية فى مجال دراسة البنية الاجتماعية. ويجب أن أذكر أيضاً أن قسم علم الاجتماع قام بتسجيلى لدرجة الماجستير أثناء وجودي داخل المعتقل بسجن المنيا سنة ١٩٧٠. فقد أرسلت طلباً للتسجيل بطريقة سرية غير رسمية. وأرفقت مع الطلب رسالة شخصية إلى أحد الأساتذة بالقسم ليس له أى انتماء سياسى وهو د.غسان بدر. وطلبت منه فى الرسالة أن يعرض طلبي على مجلس القسم.

وقد عرض طلبى بالفعل وتم تسجيلى للماجستير خاصة أننى كنت قد أنهيت دراسة المرحلة التمهيدية للماجستير قبل اعتقالى. لقد ساعدت مختلف العوامل التى ذكرتها آنفًا على وجود مناخ علمى أدى إلى تثبيت مفاهيم جديدة بقسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس. وهو ما أفضى إلى تراجع المدارس التقليدية نسبياً خاصة المدرسة الوظيفية الأمريكية. ومن ثم ظهر ما يُسمى بمدرسة عين شمس، وإن كانت الأعمال والدراسات التى تم إنجازها لا تتناسب

مع الشهرة التى نالتها تلك المدرسة. كما أن الجيل الحالى من أبناء تلك المدرسة يتسم بالضعف العلمى الواضح. كما يبدو سلوك البعض منهم وكأنه لا يعرف شيئًا عن الأخلاق الباسعية والتقاليد العلمية.

•• حول حصيلة الصراع الفكرى داخل الحزب فى المعتقل :

عاش الشيوعيون ظروفًا صعبة وقاتلة بدنيًا ونفسيًا داخل المعتقل فكانوا يواجهون التعذيب من جانب حكومة توصف بأنها وطنية يقودها جمال عبد الناصر الذى اتخذ خطوات التأميم داخليًا وسياسة خارجية تتسم بالمواجهة مع القوى الاستعمارية. لكن هذه الحكومة تقوم فى الوقت نفسه بقتل الشيوعيين فى المعتقل. وفى ظل هذا المناخ المعقد كان يدور النقاش والصراع بين الآراء والأفكار المختلفة لقيادة الحزب وكوادره. وفى بداية طرح الأفكار حول تقييم عبد الناصر وقيادته فى أعقاب تأميم بنك مصر فقدنا مفكرًا وقائدًا بارزًا هو شهدى عطية الذى تم قتله فى عملية تعذيب بشعة فى أوردى ليمان أبى زعبل.

وبمجرد أن التقطنا أنفاسنا بدأ الحوار لتحديد طبيعة السلطة وهو حوار بدأ فى أوائل الستينيات من القرن العشرين واستمر حتى خروجنا من المعتقل فى الشهور الأولى من عام ١٩٦٤. وكانت حصيلته سلسلة من القرارات والتقارير والإجراءات. وسوف أشير إلى أكثرها أهمية.

ويجب قبل الحديث عن القرارات والتقارير السياسية أن أشير إلى أننى كنت داخل المعتقل مسؤولاً عن حفظ وثائق الحزب وقراراته وتقاريره، لكن تلك الوثائق لم تشمل المراسلات. وأقول ذلك بهدف المساعدة فى البحث عن الوثائق المفقودة. فقد كان فؤاد حبشى هو المسؤول عن المراسلات بما فى ذلك إرسال نسخ من الوثائق إلى خارج المعتقل ليتم حفظها. وأذكر أننى سلمته نسخًا من كافة الوثائق مكتوبة على ورق البافره (الذى يستخدم فى لف السجائر) من أجل إرسالها إلى خارج المعتقل.

•• قرار المجموعة الاشتراكية :

صدر هذا القرار عن مؤتمر انعقد فى سجن القناطر وضم جميع الزملاء. فقد تم نقلنا من أوردى ليمان أبى زعبل بعد أن طلبنا من النيابة التى حققت فى مقتل شهدى عطية حمايتنا من

انتقام الضباط الذين قاموا بتعذيبنا وقتلوا زميلنا. ودار فى سجن القناطر نقاش فى ظروف صعبة استمر عدة شهور. وأعقب ذلك صدور قرار "المجموعة الاشتراكية" الذى يرى وجود مجموعة اشتراكية بزعامة جمال عبد الناصر فى قمة السلطة فى مصر.

وتعود بدايات النقاش فعلاً إلى ما قبل استشهاد شهدى عطية. وجاء قرار المجموعة الاشتراكية ليمثل عملية توفيق أو توليفة بين اتجاهين مختلفين. وكان يمثل الاتجاه الأول بعض أعضاء القيادة وعدد قليل من الكوادر. وكانوا فى مجموعهم يمثلون أقلية ويعتبرون أن جمال عبد الناصر يبنى الاشتراكية بالفعل. ومن أبرز المدافعين عن هذا الرأى إبراهيم عبد الحليم وعادل حسين. وينتمى الأول إلى القيادة والثاني إلى الصف الثانى من الكوادر.

أما الرأى الثانى فكان يمثل الأغلبية فى القيادة وبين الكوادر. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن إجراءات عبد الناصر والتأميمات لا تبنى الاشتراكية وإنما هى إجراءات تقدمية تسهل الطريق إلى الاشتراكية. وقد عبر شهدي قبل استشهاده، أثناء مرافعته أمام المحكمة العسكرية بالأسكندرية، عن هذا التوجه. كما عبر عنه أيضًا خلال المناقشات الشخصية معه. وبعد المؤتمر صدر قرار المجموعة الاشتراكية ليشكل رأيًا توفيقيًا أو توليفة بين الرأيين السابقين. وكان بهيج نصار هو الذى قام بصياغته.

•• تقرير الحزب عن الميثاق يحدد الاختلافات الفكرية مع عبد الناصر :

عقد الحزب مؤتمراً بسجن الواحات حول الميثاق الذى أصدره عبد الناصر بعد انفصال سوريا عن مصر. وبعد مناقشة الميثاق وتحليل الأفكار الواردة فيه، أصدر هذا المؤتمر تقريراً باسم تقرير الميثاق. وقام صلاح حافظ بصياغة ذلك التقرير فى ضوء حصيلة الأفكار التى طرحت. وجاءت الصياغة شديدة التحديد والدقة وبأسلوب متميز.

وتعرض التقرير تفصيلاً لمفاهيم الميثاق، وناقش مدى اختلاف واتفاق تلك المفاهيم مع فكر الحزب والشيوعيين. ومن بين النقاط التى أكد التقرير عليها الاختلاف بين الشيوعيين وعبد الناصر حول مفهوم الطبقة والطبقات الاجتماعية. وتتمثل أهمية ذلك التقرير فى أنه تناول القضايا التى تجاهلها وابتعد عنها قرار "المجموعة الاشتراكية". فقد عبر تقرير الميثاق

بوضوح عن أشكال التمايز والاختلاف الفكرى بيننا وبين عبد الناصر. ولذلك يعتبر من أهم الوثائق الحزبية لأنه اتسم بتأصيل سياسى ونظرى وفكرى لا يوجد فى أى وثيقة حزبية أخرى. كما أن صياغته جاءت فى مستوى رفيع نادر فى بلاغته.

وقد جرت كتابة عدة نسخ من هذا التقرير على ورق البافره، وأرسلت إلى خارج المعتقل عن طريق فؤاد حبشى الذى كان مسؤولاً عن المراسلات مع خارج المعتقل. وقد سلمته شخصياً تلك النسخ. وكان الغرض من ذلك أن يصل التقرير إلى المسؤولين وإلى جمال عبد الناصر وأن يتم حفظه من الضياع

•• مؤتمر الحزب وبعض القضايا الحاسمة:

تم بعد ذلك إعداد سلسلة من التقارير انعقد بعدها المؤتمر العام للحزب فى عام ١٩٦٣، وترتب على المؤتمر قضايا مهمة تتعلق بالتقارير الصادرة عنه وانتخاب قيادة مصغرة. وتتمثل تلك التقارير فى:

•• ١- التقرير السياسى التاريخى:

وهو مطول وجرى إعداده على امتداد فترة طويلة نسبيا وبمشاركة جميع الزملاء. وكان محمد شطا هو المحرر الرئيسى لذلك التقرير الذى يمثل محاولة لتسجيل تاريخ الحركة الشيوعية. وقد أرسلنا منه بعض النسخ (على ورق البافره) إلى خارج المعتقل. وكان معي نسخة منه لكن المباحث العامة استولت عليها عند اعتقالى فى عام ١٩٧٥.

•• ٢- تقرير "نحو هيكل تنظيمى واحد":

يُعبّر هذا التقرير حسبما يشير العنوان إلى أمنيات خاصة بالسعى إلى شكل تنظيمى يضم جميع الاشتراكيين بما فى ذلك التنظيم الطليعى لعبد الناصر. وأعتقد أن قراءة هذا التقرير الآن سوف تلقى الضوء على التطورات اللاحقة أو تفسر على الأقل بعض تلك التطورات.

•• مخاطر قرار مؤتمر الحزب بتقليص عدد أعضاء اللجنة المركزية:

فى الأيام الأخيرة لمؤتمر الحزب المشار إليه آنفًا ظهر اتجاه عبّرت عنه القيادة يدعو إلى ضرورة تقليص عدد أعضاء القيادة لكي تتشكل من عدد محدود يبلغ ستة أشخاص فقط. وقد

قاومنا هذا التوجه لفترة لأن حصر مصير الحزب فى يد عدد محدود يمثل مخاطرة كبيرة. ولكن حدثت علينا ضغوط مستمرة من أجل إقرار هذا التوجه الجديد. وكان بين تلك الضغوط الوعد بأن تقليل عدد أعضاء القيادة، أى اللجنة المركزية، سيؤدى إلى استبعاد الذين ينادون بحل الحزب. وهى وعود لا معنى لها لأن الاتجاه العام فى المؤتمر كان ضد انتخاب أى شخص يدعو صراحة أو ضمناً إلى حل الحزب. وقد مارس تلك الضغوط أحمد الرفاعى وزكى مراد. وبعد أن خضعنا لتلك الضغوط والوعود التى لا معنى لها تم انتخاب قيادة من ستة أعضاء فقط منهم خمسة فى داخل المعتقل وواحد فى الخارج. ولم تضم اللجنة المركزية الجديدة أى شخص له رأى معلن حول حل الحزب. بل تم بالفعل استبعاد كل من له رأى يطالب أو يدعو إلى حل الحزب. ولكن هذا لا ينفى أن بعض الذين تم انتخابهم قد تكون له نية غير معلنة فى هذا الشأن أو يعتزم دخول التنظيم الطليعي بعد الخروج من المعتقل.

•• مؤتمر مصغر يدين حل الحزب قبل الخروج من المعتقل بأشهر معدودة:

قبل الإفراج عنا بفترة قصيرة ردد بعض الزملاء بسجن الواحات أفكاراً حول حل الحزب. وكانوا من الكوادر الأساسية وليس القيادة. وانعقد مؤتمر مصغر لمناقشة هذا الأمر حضره الذين كانوا يقولون بحل الحزب. وقد حضرته مثلما حضرت الاجتماعات الموسعة والمؤتمرات السابقة. وقرر هذا المؤتمر المصغر إدانة أى دعوة لحل الحزب. كما شارك أعضاء اللجنة المركزية الذين حضروا المؤتمر فى هذه الإدانة بشكل واضح.

•• فترة ما بعد الخروج من المعتقل عام ١٩٦٤ :

خرجنا من المعتقل فى أبريل سنة ١٩٦٤، بعد أكثر من خمس سنوات من المعاناة والمقاومة والصمود فى مواجهة عمليات تعذيب منظمة هدفها تحطيمنا بدنياً ومعنوياً. ولم يكن هدف التعذيب الحصول على اعترافات أو معلومات لاستخدامها فى إدانة الشيوعيين فى المحاكمات. فلم تكن الأجهزة الأمنية تهتم بذلك، لأن المحاكم العسكرية تصدر الأحكام بالإدانة دون الحاجة إلى أى دليل. ومثال ذلك ما فعلته المحكمة التى ترأسها الفريق هلال عبد الله هلال فى قضية

شهدى عطية التى كنت متهماً فيها.

لكن حالة التماسك تغيرت بعد الإفراج. فقد اختلف الوضع وانهار التماسك الذى كان داخل المعتقل. ويرجع السبب الرئيسى لهذه الحالة إلى دخول عدد من الزملاء، خاصة القياديين منهم، التنظيم لطليعى لعبد الناصر. فقد شكّل هذا الأمر انقساماً خطيراً غير معلن. وعبّر هذا الانقسام من جانب اخر عن مشكلة لا تقبل الحل، وأصبح زملاء الأمس فى مفترق طرق. البعض منهم ملتزم بالحزب والعمل الحزبى، بينما أصبح البعض الآخر تحت قيادة جديدة هى قيادة عبد الناصر. وهى قيادة لا تقبل بوجود أى تنظيم مستقل.

وسوف أعود الحديث عن التأثيرات الضارة والدمرة لذلك الوضع، بعد الحديث عن قرار إسقاط العضوية الذى اشتُهر بأنه قرار حل الحزب (حدتو). وقد سبق اتخاذ ذلك القرار من جانب الحزب الشيوعى المصرى "حدتو" عدة اجتماعات ومؤتمرات لمواجهة الأزمة، ولكن تلك المؤتمرات لم تصل إلى نتيجة. وقد حاول بعض أعضاء القيادة منع انتخاب بعض الذين يقفون ضد حل الحزب ضمن المندوبين الذين حضروا أحد المؤتمرات التى ناقشت المشكلة. ومثال ذلك قيام مبارك عبده فضل بإعادة إجراء انتخاب المندوبين، وإعلان بطلان نتيجة الانتخابات التى كانت قد أجريت بالفعل وأسفرت عن انتخاب أغلبية ضد حل الحزب.

•• قرار إسقاط العضوية :

فى ظل مناخ الانقسام والبلبلة السياسية والفكرية، اجتمعت مجموعة من كوادر الحزب فى ١٤ مارس ١٩٦٥ فى مؤتمر للنظر فى الوضع الراهن والمستقبلى. وكانت هذه المجموعة هى الكتلة الرئيسية المتبقية من الحزب الشيوعي "حدتو" التى تمارس النشاط الحزبى بعد الإفراج عن المعتقلين. ووصل الأمر ببعض الزملاء إلى اعتبار أن الحزب الشيوعى قد انتهى ولا توجد أى حاجة إلى عقد أى اجتماعات. وقد واجهتُ هذه الحقيقة حيث كنتُ مسؤولاً عن الدعوة للمؤتمر، وعن تبليغ الزملاء فى مختلف المحافظات. وناقش المؤتمر تقريراً مؤداه أن دور الشيوعيين فى مصر لا يزال ضرورياً ولن ينتهى، وأن الحزب الشيوعى لا يحل نفسه.

وقد أضيفت للتقرير عبارة تقدمت بها شخصياً تقول إننا ندين كل الدعوات إلى حل الحزب الشيوعي ومن بينها الدعوة التى عبّر عنها أحمد حمروش فى مجلة روزاليوسف. وأقر الجميع

اقتراحي هذا وتمت إضافته إلى التقرير الصادر عن المؤتمر. وكان كمال عبد الحليم هو الذى أعد التقرير. ولم ينص ذلك التقرير على حل الحزب بل نص على إسقاط العضوية عن الزملاء، كما كلف المؤتمر كمال عبد الحليم بإعداد تقرير اخر عن المرحلة المقبلة. وقد نص التقرير على أن أعضاء حدتو يشكلون تيارًا ثوريًا فى مصر. وبعد إقرار التقرير المقدم إلى المؤتمر، واتخاذ القرارات المشار إليها، أعلن كمال عبد الحليم من جانبه إنهاء الشكل المستقل.

•• التيار الثورى :

بعد انتهاء جلسة ذلك المؤتمر الذى أسقط العضوية، عقد أربعة أشخاص من الذين حضروه ووقّعوا على بيانه اجتماعًا فى اليوم نفسه لتأسيس « لتيار الثورى» تأكيداً للفكرة الواردة فى البيان الصادر عن المؤتمر المشار إليه. وجرى الاجتماع فى كافيتريا الشاى الهندى بشارع طلعت حرب. ولم يتم الإعلان عن تأسيس حزب جديد. لكن النشاط الذى بدأ كان شديد التنظيم سواء بالنسبة للتدرج التنظيمى الهرمى أو فى توزيع المسؤوليات فى مختلف المحافظات لإعادة النشاط الحزبى. وحاولت عملية إعادة النشاط ضم الزملاء القدامى من جانب، وتجنيد زملاء جدد من جانب آخر. كما شملت هذه العملية مناطق عديدة أذكر من بينها القاهرة والأسكندرية وبورسعيد والدقهلية ودمياط والشرقية وأسوان. والزملاء الأربعة المشار إليهم هم : كمال عبد الحليم، وطاهر البدرى، ومحمد عباس فهمى، وأحمد القصير. وبعد فترة وجيزة اتسعت الدائرة القيادية للتيار الثوري على نحو ملحوظ. وهو ما عكسته الاعتقالات التى تعرضت لها هذه المجموعة بين عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧١، ثم عقب انتفاضة ١٨ و١٩ يناير سنة ١٩٧٧، ومن أبرز أدوار هذه المجموعة تأكيدها على أهمية وجود التنظيمات السياسية المستقلة عن الحكومة، علاوة على أهمية دور الشيوعيين والتنظيم الشيوعى فى الحياة السياسية بمصر. فقد تم التشديد على أن دور الشيوعيين فى مصر لا يمكن أن ينتهى أو يتوقف تحت أى مبرر.

•• تجارب فى العمل السياسى والجماهيرى :

كما انعكس نشاط هذه المجموعة فى بعض الأعمال الجماهيرية التى شكّلت تجارب سياسية مهمة من بينها تجربة انتخابات الاتحاد الاشتراكى فى عابدين بالقاهرة والتعاون مع

التنظيم الطليعي بالقاهرة في تلك الانتخابات. وهي تجربة تكشف عن الكثير من الممارسات غير الديمقراطية للتنظيم الطليعي الذي كان يمثله عبد المجيد فريد شخصيا في تلك التجربة. وكنت مسؤولاً عن التنسيق معهم بشأن تلك الانتخابات. ويحتاج هذا الأمر إلى حديث خاص وتفصيلي، لكن يمكنني أن أشير إلى أن تلك التجربة أوضحت أيضًا أن الأهمية السياسية لأعضاء التنظيم لا ترتبط بالمستوى التنظيمي للعضو بل بمدى اقترابه أو ابتعاده عن مراكز السلطة. كما أود أن أضيف إلى ما سبق أن المناقشات التي دارت بيننا وبينهم أثناء اللقاءات التي تمت في النادي السياسي الخاص بهم في القاهرة قد تم تسجيلها ووصلت المباحث العامة. ومثال ذلك المناقشات التي دارت في إحدى جلسات النادي السياسي حول الميثاق. وقد اعتبر أعضاء التنظيم الطليعي أن الميثاق عبارة عن دليل نظري. غير أن عيداروس القصير زميلنا في التيار الثوري اعترض على ذلك قائلاً بأن الميثاق لا يمثل دليلاً نظريًا بل هو محاولة لتفسير إجراءات وسياسات تمت في الواقع العملي.

وقد شملت الأعمال الجماهيرية التي قام بها التيار الثوري أيضًا التجربة الخاصة بنجاح أحد الأشخاص لعضوية مجلس الشعب في إحدى دوائر القاهرة. فقد تم التفكير في إمكانية نجاح مرشح لنا في انتخابات مجلس الشعب. وتم النجاح في تنفيذ الفكرة. وقمنا بمناقشة عدة اختيارات ثم استقر الأمر في النهاية على اختيار قباري إسماعيل للترشيح في دائرة قصر النيل. وكان الرسام زهدي هو أول من اقترح اسم قباري بوصفه أفضل الذين يمكن ترشيحهم. وأسفرت التجربة عن نجاحه في الانتخابات وحصوله على عضوية مجلس الشعب عن دائرة قصر النيل.

•• تأثيرات دخول بعض الزملاء التنظيم الطليعي :

كانت هناك قناة اتصال غير معلنة تأتي لنا عن طريقها توجهات الحكومة أو تحذيرات التنظيم الطليعي. وكان لذلك الأمر تأثيرات ضارة عديدة من بينها إيجاد فرقة بين زملاء الأمس. وظهر ذلك في حالتين: الأولى عند تأسيس «مكتب يوليو للترجمة»، الذي تغير اسمه فيما بعد إلى دار "الثقافة الجديدة" بناء على اقتراح من جانبي. فعندما أردنا أن نؤسس دارًا للنشر جاء تحذير من الحكومة يقول بأنها لا تريد أن يؤسس الذين خرجوا من المعتقلات دورًا للنشر. لكن محمد يوسف الجندي تحمس لتجاهل هذا التحذير على أساس أن ما نقوم

بتأسيسه ليس داراً للنشر وإنما مكتباً للترجمة. وقد أخذ محمد الجندى باقتراح لكمال القلش بتسمية المكتب "مكتب يوليو للترجمة". وضمت المجموعة التى أسسته : محمد الجندي وعبدالحميد السحرتي وأحمد القصير وفؤاد عبد الحليم وآخرين. وبدأ العمل وأصدرنا بعض الكتب. وشاركتُ فى ترجمة بعضها ومراجعة لبعض الآخر، كما كتبت مقدمة بعض الكتب المترجمة.

وفوجئت بعد فترة من العمل بمحمد الجندى يطلب التحدث معى فى جلسة على انفراد، حضرها عبد الحميد السحرتي. وطلبا مني أن أترك المكتب لأن استمرارى سيؤدى إلى إغلاقه. وبالسؤال عن السبب أخبرانى بأن بعض المسئولين يقولون إن أحمد القصير هو "المسؤول الحزبى فى المكتب". ولهذا فمن الأفضل أن تتركه. لكنهما لم يفصحا عن هوية المسؤولين الذين قدموا هذا التحذير. واتهمتهما بالخضوع للمباحث العامة، وتركت العمل بالمكتب.

وقمتُ على الفور بالتعاون مع زملاء بالتيار الثورى بتأسيس دار "الثقافة الجديدة" للنشر، واتخذنا مقراً مؤقتًا لها بميدان طلعت حرب. وسرعان ما اتضح لى بأن التنظيم الطليعي هو الذي قدم التحذير وليس المباحث العامة. وعلمت ذلك من زكى مراد عندما ناقشته فى الموضوع، وتساءلت كيف يمكن أن يخضع محمد الجندى لضغوط المباحث العامة فأجابنى بأن الذى طلب استبعادي من مكتب يوليو هو التنظيم الطليعي وليس المباحث العامة. وكان عبد الحميد السحرتى فى ذلك الحين قد دخل التنظيم الطليعى ويستلم نشراته. لكننى لم أعرف وضع محمد الجندى فى هذا الشأن.

وبعد فترة طلب مني محمد الجندى العودة للعمل فى مكتب يوليو. فقدمت له شرطين. ويتمثل الأول فى تحديد خطة للنشر تبدأ بإعادة نشر ديوان "أحرار وراء القضبان" للشاعر فؤاد حداد. ويتمثل الثانى فى أن يتم تغيير الاسم إلى دار "الثقافة الجديدة" بدلاً من مكتب يوليو. ولم يكن القصد هو التخلص من اسم يوليو، وإنما كان هدفى الاحتفاظ باسم دار "الثقافة الجديدة" التى قمت بتأسيسها. ووافق محمد الجندى على اقتراحاتى. وتم تغيير الاسم فعلاً، واختفى اسم «مكتب يوليو»، وظهر بدلاً من ذلك اسم دار "الثقافة الجديدة" الذى لا يزال موجوداً حتى الآن. غير أنه لم تتح لى فرصة المشاركة فى تنفيذ برنامج النشر الذى اتفقنا عليه؛ حيث تم اعتقالى.

ومن الأمثلة الأخرى التي توضح أن دخول بعض الزملاء التنظيم الطليعي أسهم في تعميق الانقسام في صفوف الشيوعيين ما حدث عند اعتقال كمال عبد الحليم في عام ١٩٦٦، فقد تعرض بعد ذلك الاعتقال إلى حملة هجوم من جانب بعض الزملاء. وتناقشت في هذا الأمر مع زكي مراد الذي كان على علاقة وثيقة بالزملاء الذين يهاجمون كمال عبد الحليم، وطلبت أن يكف زملاء الأمس عن ذلك الهجوم، وأن يطالبوا بالإفراج عنه بدلاً من الهجوم عليه. فأخبرني بأن هؤلاء الزملاء لهم العذر «لأنكم تؤسسون مع كمال عبد الحليم تنظيماً شيوعياً وهذه مسألة خطيرة في مثل هذا الوقت».

شهادة

إيفون حبشي[1]

الاســـــــــــــم : إيفون حبشى رزق الله

تاريخ وموطن الميلاد : ١٠/٤/ ١٩٣٥ - ولدت فى شبرباص ثم بحكم وظيفة أبى انتقلنا إلى قطور وكان عمرى أربع سنوات. ثم انتقلنا إلى طنطا فى عام ١٩٤٧.

المــــؤهـــــلات : خريجة معهد معلمات خاص - تربية فنية

المهن التى عملت بها : عملت مدرسة تربية فنية - وفصلت من الوظيفة عام ١٩٥٩ ثم أعادونى بعد خروجى من السجن - وواصلت العمل فى الوظيفة ولكن فى الإدارة، ومنعت من التدريس، ولم يسمح لى بالنزول فى المدارس إلا عندما أصبحت موجهة تربية فنية وكان هذا بعد كفاح ونقاش طويل.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : رشحت عام ١٩٥٦ و لم انضم رسمياً إلا عام ١٩٥٧ حتى تم التحقق منى، لأنهم كانوا قلقين لأن لى أخ ضابط شرطة، وبالصدفة كان عريان نصيف صديقنا وجارنا، وعندما علم عريان بترشيحى فى التنظيم، قال لهم إنه لا يوجد خوف منه فهو رجل طيب جداً، فقبلونى.

فترة السجن والاعتقال : الحبسة الأولى من ٢٧ مارس ١٩٥٩- ٢٣ يوليو ١٩٦٠.

والثانية من أبريل ١٩٦١ تقريباً، وسجنت ١٢ شهراً(قضية تحت التحقيق).

أما الثالثة والأخيرة فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٢/ مدة سبعين يوماً.

النشأة ومدى تأثيرها فى تكوينى :

كان أبى صراف أموال مقررة، وهذه الوظيفة كان يقوم بها مسيحى، فكانت من ضمن مسئولية صراف الضرائب العقارية على الأراضى الزراعية وتطهير البرك، وتوريد الفلاحين للقيمة التى يحددها الصراف من الزرعة إلى الشونة، وكانت الكراسة التى يكتب فيها طولها متر ونصف وفيها بيانات كثيرة جداً.

وبحكم هذه الوظيفة انتقلنا إلى قرية قطور محافظة الغربية (وهى مركز الآن) وكان عمرى فى هذا الوقت أربع سنوات، وتكونت فى هذه القرية، وأدخلنا أبى مدارس الأمريكان أنا وأخى الكبير، وكنا نسكن فى منزل نظيف بناه الإنجليز بالخشب مُكون من دورين، وكل دور مُكون خمس غرف. استأجره أبى بخمسين قرشاً فقط، وكانت حالتنا ميسورة بحكم وظيفة أبى حيث

خمس غرف. استأجره أبى بخمسين قرشاً فقط. وكانت حالتنا ميسورة بحكم وظيفة أبى، حيث كانت تقدم له دائمًا هدايا. وعندما كنت أشعر بأن هناك تميزاً فى أوضاعنا كنت ألعب مع الأطفال فى الشارع، وهناك بعض الصور التى ثبتت فى ذهنى وجعلتنى أبداً فى التساؤلات. فمثلاً عندما كنت أسرق بعض القراقيش التى كانت والدتى تخبزها لنا دائماً، وأعطيها للولد الذى كنت ألعب معه وأنا صغيرة وكان اسمه "محمود". واكتشفت أمى ذلك ذات مرة، وشخطت فيّ، إلا أن أبى قال لها أن محمود هذا حالته متعبة جداً لدرجة أنه يقلب جلبابه لأن أهله لا يملكون حق الصابونة لكى يغسلها. وثبت فى ذهنى هذا الكلام، وفى اليوم التالى سرقت صابونة وأعطيتها له محاولة منى أن أحل المشكلة.

كما شاهدت ولفت نظرى من خلال وقفتى فى الشباك مدى ما تعانيه الفلاحة المصرية، فهى تقوم بجهد شاق جداً، حيث تقوم منذ الصباح الباكر بحلابة البهائم وتنقية الأرز وتقليم الجميز، وتأتى تشحت من أمى شرابات أبى القديمة لكى تحمى أيديها من القشف وخلافه. وفى آخر اليوم تأتى راكبة الحمار وعليه حمل البرسيم وتسحب البهائم وراءها.

وأتذكر أنى كنت أدرس فى المرحلة الابتدائية درسًا يتحدث عن الفلاحة المصرية، وأعجبت بجملة تقول: "إن الفلاحة تحب العمل وتكره الكسل". لذا كنت أقف فى الشباك دائمًا لكى أراها وأكرر عليها هذه الجملة.

وكانت حالة الفلاح بشكل عام مهينة جداً، وكان يمشى حافى القدمين. أما الإقطاعيون الذين يملكون العزب فكانوا يأتون إلى أبى بالعربات الفخمة لكى يدفعوا الضريبة. وذات مرة جاء واحد من أصحاب العزب للتفاوض مع أبى، لكى يطلب منه أن يعفيه من دفع جزء من المال ووعده بأنه سيوزعه على الغلابة. لكن أبى رفض، فخطفوا أخى الصغير، وعندما حلت المشكلة انتقلنا من البلد عام ١٩٤٧.

كل هذه المشاهد أثرت فيّ وجعلتنى أسأل والدى: لماذا هذه التفرقة، ولماذا حالة محمود هكذا وحالتنا ميسورة، ولماذا هناك بشر يركبون هذه العربات، وناس تمشى حافية؟! فأجاب: ربنا عايز كده، فقلت له: وهل ربنا ظالم، لا يمكن أن يكون غير عادل. وبدأت أذهب إلى الكنيسة بعد هذه الحادثة، فالكنيسة تقول اعطفوا على الفقراء.. إلخ. ودخلت مدارس الأحد، وأخذت معى دفتراً لكى أجمع (فلوس) من أجل الفقراء، وبهمة ونشاط بدأت أورد ما أجمعه للكنيسة، واعتقدت أيضاً أن هذا سيحل المشكلة.

ولكنى اكتشفت أن المشكلة لم تحل، وبدأت الأسئلة تتزايد فى ذهنى خاصة عندما انتقلنا

إلى طنطا في عام ١٩٤٩، كنت في الابتدائية، وأثناء زياراتي لزميلاتي اكتشفت أنهم أغنياء أكثر منا ويملكون بيوتٌ جميلة وفيها نجف .. إلخ. فعدت وسألت أبي لماذا لا يوجد لدينا نجف، ولماذا أنت لست الملك؟.

فقال لي أبي : أنت لو استمريتي في طرح هذه الأسئلة، سيقولون عليك شيوعية، وسوف تحبسي. وخزنت الكلمة في رأسي وخفت أن أسأله عن معناها.

وعندما انتقلت إلى أولى ثانوي، سألت مدرسة المواد الاجتماعية : ماذا تعني شيوعية، فارتبكت المدرسة وخافت وتركتني مما أثار فضولي أكثر.

كنت أحب التطريز وشغلت شنطة وحزام عام ١٩٥٤، وبالصدفة ذهبت لكي أجلدهم في أحد المحلات فوجدت المحل مغلقاً، وعندما سألت عن سبب غلقه، قالوا لي إن صاحبه شيوعي ومحبوس، وهذا جعلني أراقب هذا المحل حتى خرج صاحبه من السجن عام ١٩٥٥، وذهبت إليه وأنا خالية الذهن تماماً، وقلت له مباشرة : ما هي الشيوعية، فلم يرد عليّ وافتكرني من المباحث. وكان هذا الشخص هو "جابر عوارة".

ثم عُينت مدرسة تربية فنية ابتدائي في الدلجمون (تبعد عن طنطا بـ ١٥كم) بعد تخرجي من المعهد الفني عام ١٩٥٦ مباشرة.

عندما جاءت انتخابات ١٩٥٧ والاستفتاء عليها، كنت أريد أن أحصل على إجازة وبما أنني كنت "معينة جديد" فكان هذا ممنوعاً، وأثناء ذلك زارنا ابن عمتي من كفر الشيخ - وكان شخصاً مثقفاً جداً ويكره الشيوعية. وقال لي إنه يمكن أن يحل مشكلة الإجازة لو ذهبت معه إلى دكتور الصحة بكفر الشيخ فهو يعرفه وسوف يعطيني شهادة مرضية، وبالصدفة عندما ذهبت إلى كفر الشيخ قابلت صديقه "توفيق خليل" أثناء زيارته له وكان شيوعياً. وفتح حواراً معي وبدأنا نتناقش، ووجدني جاهزة تماماً، وسألني عن موعد رجوعي إلى طنطا، واتفقنا أن نسافر معاً وسلمني إلى مجموعة طنطا.

وبدأت أطرح كل الأسئلة التي كانت تدور في ذهني، وكنت سعيدة جداً لأنني وصلت إلى ما كنت أبحث عنه منذ أكثر من سبع سنوات.

وأعطوني أولاً كتاب "مائة سؤال وجواب" وتوالت القراءات ثم وضعوني في خلية صغيرة، وقابلت عريان نصيف مرة في خلية، وكان هو والمرحوم محمد مراد مسئولي التنظيمي. ثم قابلت جابر عوارة مرة أخرى أثناء حضوري مؤتمراً في المحلة الكبرى.

وكانت الخلية عبارة عن أربعة أفراد. وفي البداية بدأوا يعرفوننا على الماركسية، وبعد قراءة "مائة سؤال" أخذت كتاب "رأس المال" ولم أفهم منه شيئًا، وكنت محرجة أن أقول ذلك، وحاولت أن أقرأه مرة أخرى ولكن لم أفهمه فتركته، ثم قرأت المادية الجدلية، وناقشتها معهم، وبعض الكتب الأخرى والنشرات ك (الانتصار) والمنشورات.

هكذا وجدت نفسي في تنظيم اسمه الحزب الشيوعي المصري (التكتل)، ولم أكن أعرف أن اسمنا التكتل إلا عندما اعتقلت عام ١٩٥٩، وأن هناك تنظيماً آخر اسمه (حدتو) ولم أفهم أكثر من ذلك. وكنت أسمع هجوماً شديداً على المنظمات الأخرى مثل م. ش. م والراية وعمال وفلاحين، ولكن لم أكن أتكلم خوفاً من حدوث أي حساسية طالما لا أعرف الخلفيات.

وبدأتُ – كما ذكرت – حياتي العملية، وحاولت أن أوظف الفن في خدمة الغلابة، وبدأت أعلمهم صناعات يدوية كعمل قطائر، شغل مناديل بقويه، وعمل مقاطف (بعد أن ذهبت إلى صانع مقاطف وتعلمت منه)، وقفص للفراخ، وبدأنا نبيع كل هذا في المدرسة والقرية، وكنت أخيط ملابس وأبيعها وأرسل معظم حصيلتها للتنظيم. كما بدأت أعلمهم كيف نعمل مجلة حائط كنشاط ثقافي في المدرسة، وعملت فصلاً لمحو الأمية، ولكن الرجال رفضوا تماماً. كل ذلك وأنا غير مدركة خطورة هذا الظهور، فالتنظيم لم يفهمني ما كان يجب أن أعمله، وكيف أتصرف حتى لا يكشف أمري للمباحث. فأنا كنت كالقطار أعمل ما أراه مناسباً، وكان التنظيم يعرف عني هذا.

وأتذكر في هذه الفترة أيضاً أني بدأت ألف على المقاهي لجمع توقيعات لمناصرة جميلة أبو حريد، واكتب على الحوائط، كل ذلك بانطلاقة غير مسئولة.

وعندما كانت تحدث مؤتمرات في طنطا كانوا يقدمونني لكي أتكلم، وفي البداية كان الكلام غير معقول، ثم أصبح بالخبرة معقولاً. وأصبح لي علاقات بمعظم الناس الفقراء من حولنا (السكري – صاحب عصير القصب..)

وحضرت مؤتمراً كبيراً عام ١٩٥٨ للشعوب الأسيوية الأفريقية، حضره مشاركون من كل أنحاء العالم عقد في جامعة القاهرة، وكان معي م. سعد بطرس الطويل.

•• مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة والفلاحين :

هذه القضية كانت بالنسبة لي مأساة، فعندما كنت أدرس في القرية حاولت جاهدة وبشكل عشوائي أن أجذب الناس لهذه الأفكار بطريقة غير مباشرة.

أما على مستوى التنظيم فالارتباط كان ضعيفًا جداً، وكان اهتمامهم يتركز أكثر حول صراع الأيديولوجي والتحليل الخارجي لبلاد الأجنبية. وفي كل اجتماع كنت أطالب بضرورة الارتباط والعمل وسط الجماهير، حتى ولو بطريقة غير مباشرة، فالناس لا تعرفنا، ونحن لا نهتم إلا بالكلام والكتابة والنشرات، والشعب المصرى لا يحب أن يقرأ. والكلام الكبير غير مفهوم وسط شعب نسيجه دينى - كما كنت أقول لعريان نصيف - سوف يؤدى هذا إلى توليد كوارث من الجماعات الإسلامية، فنحن لم ندخل وسط الكنيسة أو الجامع، كل ما قمنا به هو تجنيد عدد قليل جداً من الناس للتنظيم. ولم نستخدم آلية معينة بحيث يعرف العامل والفلاح أن هؤلاء الناس يعملون لمصلحته. وبالتالى حدثت فجوة شديدة جداً رغم التضحيات الضخمة التى قدمها الحزب الشيوعى المصرى على مختلف اتجاهاته. وهذا ما يحزننى فالحصيلة طبعاً ليست صفراً ولكن قليلة.

كما لا أتذكر أنى قرأت أى محاولات لدراسة الواقع المصرى، ففكرة الاقتراب من الحارة المصرية والشارع المصرى كانت معدومة.

•• تجربة السجن / والإضراب :

تم القبض عليّ وأخذونى إلى القسم فى طنطا، وكنت أنا السيدة الوحيدة التى وضعوا فى أيديها الحديد، ولم أكن أعرف القوانين لكي اعترض، وشحنونى إلى مصر مع الرجال المقبوض عليهم من منطقة الغربية فى عربية السجن.

ولم يكن أهلى بالطبع يعلمون عنى أى شئ، ففوجئوا بالقبض عليّ، وعن طريق أخى جاء أبى لزيارتى عند المأمور وكانت الزيارة ممنوعة، لذا مررت فقط من أمامه.

وأتذكر أنهم عاقبوا أخى بنقله من الإسكندرية إلى مركز أبو ضشت، وحضر المعارك التى كانت تدور بين الهوارة والفلاحين كعقاب له، كما حاولوا الضغط عليه وتهديده إذ لم يساعدهم فى القبض على الهاربين من يناير ١٩٥٩، واستدعوا والدي وبهدلوه، كما فعلوا مع والد عريان.

وكان رئيس المباحث اسمه "أنور منصور" حاول أن يقص شعرى فشوهه، وأحضروا كرباج

وبدأوا يلوحون به .. كتهديد. واتهموني بأنني كنت أساعد الزملاء الهاربين من قبضة يناير.

(بالطبع كان لدى دور في مساعدتهم، حيث كنت أتخفى وأقابل بعض الزملاء وأتذكر بعض الحيل التي قمت بها عندما كنت أشعر بأني مراقبة، فمثلاً عندما نظرت من البلكونة ذات مرة ووجدتهم، طلبت من أختي وكانت تشبهني، إلا أنها سمراء، أن تلبس البالطو الخاص بي وتنزل قبلي وانتظرت حتى وجدتهم يمشون وراءها ثم نزلت وأديت المهمة المطلوبة مني).

وعندما أصبت بالحمة المالطية، انتقلت إلى مستشفى إمبابة ومكثت فيها ستة شهور. وأثناء وجودي في المستشفى كان يأتي أبي لزيارتي ويرسل لي فلوس. وكانت تزورني أيضاً أم سعاد بطرس وتحضر لي طعام، وعندما تحدد موعد خروجي أحضرت لي كتبًا ومنشورات وفلوسًا، واستطعت أن أخبئها بذكاء، حيث طلبت من رجل البوفيه صندوق كرتون وطلبت منه الصور المرسوم عليها شريب الشاي، ولصقت المنشورات تحتها. لأنهم كانوا متشددين جداً، ويفتشون حتى ثنية الفستان. وكنا أحياناً نضع لهم «فلوس» فيها لنصرف نظرهم.

ثم انتقلت إلى السجن نصف ساعة، وقالوا لي إفراج، وذهبت إلى المباحث ووصلوني إلى البيت في طنطا. وكان هذا في ٢٤ يوليو ١٩٦٠، خرجت أنا ومحسنة وبنت كانت اسمها زينب كان عمرها ١٧ سنة.

وعندما خرجت من السجن قرأت إعلان عن وظيفة مصممة ملابس لشركة نسيج القاهرة للمنسوجات الحرارية، وقدمت فيها ونجحت، وانتقلت إلى القاهرة وعشت في شبرا مع قريبة والدي.

وكنت بالطبع على اتصال بالزملاء داخل سجن أبو زعبل، وكانوا يرسلون لي تقارير على ورق السجاير أو أي ورق - كلما أمكن ذلك - مع عسكري، وقمت بتجميع كل هذه الأوراق في ظرف وأرسلته مع بقال بجوارنا-بدون أن يعلم ما بداخله - عندما عرفت أنه يسافر إلى لبنان لشراء الجبنة - إلى جريدة لأنوار بلبنان، كما قال لي عبد النعم شتلة، وكانت تصلني الجريدة بعد نشر هذه الأوراق فيها، ثم أرسلها لهم في السجن مع العسكري الذي يحضر لي تقارير أخرى. ومن هذه الأوراق ما ذكر أثناء القبض عليّ أنا ومحمد عثمان. وقد لفت نشر هذا الخبر في الجريدة نظرهم إليّ، وتم القبض عليّ بعدها من عند أقاربي.

وبالرغم من أن الغرفة التي كنت أعيش فيها كانت ملغمة بالمنشورات، إلا أنني كنت أؤمنها بشكل جيد، فمثلاً ورق البفرة كنت أضعه تحت لوح الخشب الذي يربط فيه حبال الغسيل.

ودبسه بدبابيس، وبالتالى لم يستطيعوا أن يمكسوا أى أوراق معى.

وبالمناسبة لم يقم التنظيم بأى تدريب لنا على عملية التأمين هذه، أو ما الذى نقوله عندما يتم القبض علينا. فقد كان كل فرد يتصرف بذكائه هو، لدرجة أن الناس عندما كان يتم القبض عليهم ويقول البوليس لهم إننا وجدنا معكم ستة منشورات يقولون لهم: لا ستة عشر منشوراً. ويهمنى أن أذكر مره أخرى أننى لم أكن مصقولة، فالمسألة كنت أعملها بعواطف شديدة، وكما يطلب منى.

وتم القبض علي المرة الثانية تقريباً فى أبريل ١٩٦١، وسجنت ١٢ شهراً(قضية تحت التحقيق). وبالتأكيد لم يعد أبى يزورنى أو يرسل لى فلوساً، لأنى كررت الغلطة من وجهة نظره.

وأثناء هذه الحبسة قمنا **بالإضراب.**

وأنا دخلت أسبوع واحد فقط فى تجربة الإضراب لأنى كنت تحت التحقيق، وجميع النساء تحملتها بكل قوة، وجاء هذا الإضراب نتيجة سماعنا فى الراديو عن الحديث الذى قام به كارانجيا الهندى مع عبد الناصر، وعندما سأله عن وجود معتقلين فى مصر، أجابه عبد الناصر بالنفى، فانفجرنا وذهب بعضنا إلى المأمور (حسن الكردى) وكان إنساناً معنا وحاول أن يهدأنا، ولكن نحن تمادينا ودخلنا حجرة الصهارة فحشرنا أنفسنا جميعاً فيها، وأتذكر «أسماء حليم» كانت حاملاً وطلبت منها أن تقف ورائى لحمايتها، وجاء عباس قطب بعد أن استدعاه حسن الكردى- وكان رجلاً فظيعاً- بفرقة عسكرية، وحاول إرهابنا بتصويب السلاح علينا، إلا أننا ضحكنا، فاستفزمنا وأمر بنزول مسجونات الحشيش والسوابق لضربنا، وبالفعل سحلونا فى الحوش. وأنا أول من جررت فشعرت أن أيدى حديد تمسكنى كان يوماً فظيعاً، وعندما عدنا إلى الزنزانة بدأنا نغنى معاً:

«علشان بنحب الشعب بيبنونا المعتقلات

من الطور للهايكستب للقناطر والواحات

علشان بحبك يا بلادى بروحى وبدمى بفادى

نروح سجون كله يهون

فى سبيل الشعب نكافح

مهما نلاقى من الصعوبات

علشان بنحب الشعب بيبوا لنا المعقلات»

ثم أحضروا لنا سجانة اسمها أم عفيفي كانت بشعة، فألفنا لها أغنية (يا أم عفيفي بالي .. يا وش البوم بالي.. كان قدمك شوم بالي .. امتى تفرقينا يالي..)

كما أحضروا لنا مأموراً آخر اسمه عبد القادر، وكان يقوم بتفتيش المكان كل نصف ساعة تقريباً، فكنا نبذل مجهوداً كبيراً في البحث عن حيل لتخبئة الممنوعات، فمثلاً كانت معنا «ليلى شعيب» بنت هادئة مثل الملاك وعظيمة جداً وكانت مريضة، فاتفقنا أن تنام على السرير ونضع تحتها كل الممنوعات، وعندما يأتون للتفتيش نحملها بالملاءة ونترك لهم السرير لكي يفتشوه. أتذكر مرة وضعتها في الشراب ولبسته، وطبعاً كانت بعض هذه الحيل تكتشف ويأخذوا منا كل الممنوعات.

ولابد من الإشارة إلى أنه كانت هناك بعض المواقف الإنسانية من بعض الضباط تجاهنا، فمثلا أثناء التحقيق معنا في النيابة ونحن في العودة أنا وثريا شاكر، طلبنا من الضابط أن نشترى بعض الأشياء من الشارع ووافق، وبعض الزميلات أيضاً أثناء التحقيق معها طلبت أن تزور أهلها فوافق.

وأثناء حجزى في قسم الظاهر، كنت أعامل معاملة خاصة، عندما عرفوا أن أخي «ضابط» وكانوا يحضروا لي الجرائد، وقال لي المأمور إننا كلنا معك، ولكن إذا طُلب منك أن تكتبي ورقة بأنك لن تعملي في السياسة اكتبيها من أجل أهلك .. إلخ. واستمروا في إرسالي كل يوم إلى المباحث لمدة عشرة أيام، ولكن لم يطلبوا مني شيئاً، حتى أفرجوا عني وأعطاني الضابط (البيهي) بعض النقود الفضة لكي أسافر بها إلى طنطا، إلا أنني رفضت أن آخذها ورميتها، وأعتقد أن هذا العمل من الأسباب التي جعلتهم ينتقموا مني بعد ذلك.

أما المرة الثالثة والأخيرة فكانت في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٢، وقد حاولوا أن يقبضوا عليّ متلبسة بأي أوراق أو منشورات، فقد اتصل بي شخص وقال لي إنه من طرف عبد المنعم شتلة، وأنه يرسل لي بعض الأشياء، ويريد نقوداً. وأنا كنت في هذا الوقت في الشركة. فاستشعرت أنه مباحث، ولكن كون الزملاء يريدون نقود جعلتني أتحرك، وقابلته أمام أمريكين سليمان باشا، وأعطاني ورقاً، وأثناء مروري من أمام الحديقة، شعرت بشئ غير طبيعي، فرميت الورق فوراً، وتم القبض عليّ في الشارع، وكانت هذه القضية مع سبعة

أفراد منهم عبد المحسن شاشة وحسن بيومي .. إلخ، وكان مقبوضاً على أم نسيم وأم العطار في غرفة مجاورة لي، وتعرفت عليهما من خلال كلامهما.

وكانت حبسة انتقامية استمرت ٧٠ يوماً، ووضعوني في عنبر الحشاشين عنبر كبير جداً ومملوء بالحشرات، ورفضوا أن يعطوني أي وسيلة لتنظيف المكان. وخرجت أثناء زيارة خروتشوف لمصر.

•• قضية الثورة الاشتراكية :

أثيرت هذه القضية في مناقشتنا، وكان من رأينا أنها ستتم على مرحلتين، المرحلة الاشتراكية ثم الانتقال بزيادة الإنتاج والوفرة إلى المرحلة الشيوعية. وناقشنا كيف ستكون مشاكل الفن والأدب في المرحلة الشيوعية عندما نصل إليها. فقيل إنه لا يوجد شئ يخلو من المشاكل، ولم تكن هناك إجابة محددة، وقيل إن هذه المرحلة أيضاً لن تخلو من العثرات والتناقضات، ويمكن أن يتشكل فن وأدب جديدان طبقاً للمرحلة.

•• دور المحترفين في التنظيم :

تقييمي لدور المحترفين أنهم أُناس تعذبوا كثيراً وتشردوا وعملوا أقصى ما يمكن عمله. وهذا لا يُقاس بالأخطاء البسيطة التي كانت نتيجة للسرية، وتحملوا الجزء الأكبر من الدفاع السياسي والسجن والتشريد والضرب. فالمحترفون هم الجيل الذي يشد والقوة التي تدفع، ولا أحد ينكر ذلك، التنظيم كان يوفر لهم معيشة إلي حد كبير.

•• الموقف من وحدة ٨ يناير والانقسامات التي أعقبتها :

كنت سعيدة جداً عند إعلان الوحدة، وكنت أتصور أنها ستساعد في تقوية جبهتنا.

وقبل الوحدة بدأ كل فريق يشرح لي رأيه في الوحدة باستفاضة، وكان على أن أختار، فقابلت كلا الطرفين (عريان نصيف، عبد المنعم شتلة). وكإنسانة ليست لديها تجارب، ومحصورة في طنطا فقط، وما زلت حديثة وغير مصقولة، وضعوني في التكتل ولم أعرف،

واكتشفت بعد ذلك أنهم أثناء التجهيز للوحدة، كان التنظيم الشاطر هو الذى يقدم أسماء أكثر لكى يأخذ نسبة كراسى أكبر. وهذا ما أدى إلى فشلها سريعاً. وبنفس طريقة التلاعب التى تمت بها الوحدة حدث الانقسام، وقام كل فرد بالاستيلاء على ما وجده تحت يده سواء مال أو الأجهزة الفنية (لقد سمعت أن فؤاد حبشى سرق الجهاز الفنى لأنه هو الذى كانت لديه المطبعة).

•• الموقف من قضية اليهود والأجانب :

كانت هناك مناقشات وصراعات فهناك شق يقول إن اليهود يجب أن ينتهوا من الحزب، وشق يقول إن الدعوة أممية وليست عنصرية، وأننا يجب أن نقبل أى أحد موجود طالما يوافق على اللائحة والبرنامج ومخلص .. إلخ. وإلا ماهو الفرق بيننا وبين الآخرين بالنسبة لليهود أو الأفغان.

بالنسبة لى كان معنا بعض اليهود داخل المعتقل فى عام ١٩٥٩، ولم أقاطع داخل المعتقل غير مارسيل ميرو الجاسوسة الإسرائيلية، وميرى بابا دبلو لأنها كانت صديقة حميمة جداً لها. وهى لم تكمل مدة السجن لأنهم بدلوها بخمسين ضابطًا. وذهبت لإسرائيل وأخذت منصب، وأنا شخصياً كنت ضد اليهود.

وبالرغم من رحيل اليهود عن مصر كانت توجد مجموعة فرنسا، وكان يتم الاتصال بهم عن طريق سعد كامل.

•• الموقف من القضية الفلسطينية :

بالنسبة للقضية الفلسطينية، لم تكن هناك مناقشة للقضية داخل اجتماعاتنا، ولكن المسائل كانت مكتوبة فى المنشورات.

وبالنسبة لقرار التقسيم عام ١٩٤٧ أعرف أن (حدتو) قد وافقت عليه وقبل عنهم : إنهم خونة.

أما عن رأيى الشخصى كنت أوافق على قرار التقسيم فى وقتها على أساس أن الغلبة ستكون للفلسطنيين. بالرغم من أنى كنت صغيرة. إلا أننى كنت أتابع.

•• الموقف من النضال المسلح ١٩٥١ :

كنت مازلت في المدرسة بطنطا، وقمنا بمظاهرة في طابور المدرسة، وصعدت إلى الناظرة وقلت لها إننا لسنا أقل من الرجال، ولابد أن نفعل شيئاً. فأخذتني إلى المكتب، وحاولت أن تقنعني بأنني عندما أكون ربة منزل وأربي أولادي بشكل جيد فإن هذا يعتبر عملاً وطنياً.

•• حركة أنصار السلام :

كنت أتصور أنها بعيدة عن الشيوعيين، وأنها مجرد عمل جيد يقوم به مجموعة عادية ليست ذات اتجاه، وسط الغبار الموجود في الدنيا، ولكن عرفت بعد ذلك أنها مرتبطة بالتقدميين.

•• الموقف من سلطة يوليو :

بالطبع عندما سمعت خبر إعلان الثورة عام ١٩٥٢، كان هذا مفرحاً جداً بالنسبة لي، وكذلك عندما ألغوا الباشوية. إلا أنني كنت أراهم مجموعة برجوازية صغيرة، وعلى الرغم مما قامت به من أعمال قيمة كتأميم القناة، وتمصير الشركات، وقوانين الإصلاح الزراعي. كنت سعيدة جداً بتحقيقها، وكنت أتصور أن الشعب المصري سيهبُّ في يوم ما بحاجته، إلا أنها ضربت الشيوعيين ولم تصل إلى شئ؛ وهذا ليس بمستغرب لأن نسيجهم كما قلت نسيج برجوازي، وليست لديهم آلية أو ثقافة أو مقدرة على العطاء أكثر من ذلك.

وقد قامت ببعض الأعمال الشنيعة مثل أحداث كفر الدوار (إعدام خميس والبقري) وكلنا كنا ضد هذه الأحداث. ولا أنكر أنه كان داخل مجلس الثورة مجموعة ضد هذه الأعمال كيوسف صديق وخالد محيي الدين وعبد الناصر.

وعبد الناصر لم يكن أبداً خائناً أو عميلا حتى وإن أثبت التاريخ أنه كان على علاقة بالمخابرات الأمريكية سواء قبل الثورة أو بعدها، وقد قام بشراء صفقة الأسلحة التشيكية كنوع من التصرف الذكي.

•• الموقف من ضرب الإخوان المسلمين :

هذا السؤال يذكرني بموقف حدث لي أثناء دراستي في الثانوية تقريباً عام ١٩٥١-١٩٥٢، حيث دعتني زميلتي سعاد رمضان (وكانت أخت سعيد رمضان أحد قادة الاخوان) إلى اجتماع لحزبهم، وكان المكان فوق سينما مصر، فذهبت معها وجلست معنا السيدة وفاء زوجة سعيد رمضان وهي ابنة حسن الهضيبي، وبدأت توعظني وتريني بعض الصور لأناس أسلموا، ثم بدأ الواعظ يلقي خطبته وفي نهايتها طلب منا أنه لا يجب التعامل إلا مع المسلمين، فمثلاً إذا أحد مرض فعليه أن يذهب إلى طبيب مسلم .. وهكذا.

ومن يومها عرفت اتجاه هؤلاء الناس ومن هم الإخوان المسلمين، لذا كنت أوافق عبد الناصر على ضربهم.

•• العدوان الثلاثي :

عندما انتهى العدوان الثلاثي وانتصرنا، قيل إننا انتصرنا بقدرة ربنا وقوتنا، وأنكروا تماماً عملية الإنذار لروسي، وقد حاولت أن أشرح للناس، إلا أنني اكتشفت بالخبرة والتجربة أن كلمة الحكومة قوية جداً حتى لو كذب.

وأتذكر أن أخي عندما كان مسئولاً عن معسكر في طنطا، أعطى مفتاح المعسكر لعريان نصيف وطلب منه أن يقوم بعمل التدريبات التي يريدها وعريان يتذكر هذا

•• الوحدة مع سوريا :

كنت ضد هذه الوحدة، لأن سوريا كان لديها حزب شيوعي قوي، والحياة الاقتصادية إلى حد ما أفضل من مصر، كما أن العادات والتقاليد والآلية وتاريخهم بشكل عام مختلف عن تاريخنا، لذا كنت أتوقع أنها لن تستمر، وقلت ذلك لبعض الأصدقاء من حولي، ولكن لم يصدقوني، لأن الدعاية كانت رهيبة والأغاني مستمرة طوال الوقت ..

•• علاقتنا بالاتحاد السوفيتي :

لم يكن في استطاعة أحد الاقتراب من أي نص من النصوص، وأتذكر في مناقشة داخل السجن ذات مرة، أنني شتمت لينين باعتبار أن كلامه ليس بقرآن أو انجيل، وتمت مقاطعتي

من كل المنبر. وكنت ضد أن يساعدنا الاتحاد السوفيتي، لأن نبض الشارع المصرى كان يكرهه، وقد ساعدت الصحف على هذا، ومنها جريدة الأخبار التى لعبت دوراً مهماً فى الهجوم عليه من خلال مقالات حسنين هيكل فى عز مساعدته لمصر، ولم يدرس الاتحاد السوفيتى هذا بعمق لكى يوظفه أو يساوم عليه أو يضع شروطاً. ولكن كان يعطى فقط. أما الحزب الشيوعى المصرى فكان سعيداً جداً بهذه العلاقة ولم يدرسها أيضاً بعمق، فهو كان تجربة رائدة لنا. بل كان هناك من يرى أن ما يقوله الاتحاد السوفيتى هو قاعدة مسلمة، حتى ما يقوله سكرتير الحزب الشيوعى الإيطالى فهو قاعدة مُسلم بها أيضاً.

•• حل التنظيمات لنفسها :

رأيى الشخصى فى الحل أن الزملاء تعبت جداً داخل السجون والمعتقلات، فقد كان هناك تحطيم لشخصياتهم ببطء، وساعد على هذا إقامتهم مدداً طويلة فى ظل ظروف صعبة بشدة، بالإضافة إلى الصراعات الطاحنة فيما بينهم - كما سمعت من معظمهم - ودرجة وصولها إلى العداء الشخصى، وبالتالى لم يكن فى استطاعة هذه التنظيمات الاستمرار بهذا الشكل. ولذا بدأت المشاورات بين الرفاق الذين كانوا خارج السجن كـ (أحمد الرفاعى) وبعض القادة بالداخل.

ولكن هذا لا يبرر حزنى الشديد على الحل، خاصة أنهم لم يأخذوا رأينا. بل أخذوا رأى الكبار فقط، وعملوا اجتماعاً، ومضوا على قرار الحل، وقد حاول زوجى أن يتنصل، وقبل أنه هرب من الاجتماع ولكنه مضى فى النهاية.

•• أسباب الطابع الانقسامى :

الزعمة، والصراع على الكرسى، وليس حباً فى الشعب المصرى، ولم يتغير هذا حتى الآن. مما أدى إلى الإحباط من فعل أى شئ وتفريغ البشر من مضمونها.

ولكن هذا ليس معناه الندم، فلست نادمة نهائياً، بل لو عاد الزمان بى سوف أكرر التجربة.

وفى النهاية أريد أن أؤكد على أن هناك العديد من الضحايا لهذا التاريخ مثل : فريد حداد، ومحمد عثمان الذى مات فى مباحث طنط، وغيرهم الكثير .. عفواً لا أتذكرهم جميعهم.

كما يوجد رفاق عديدون رحلوا قبل أن يتم التوثيق لتاريخهم مثل فؤاد حبشي، أم عريان نصيف (كانت عضوة فى الحزب، ووقفت ضد المباحث بشكل خطير)، أم محمد عثمان، أم نسيم، وأم العطار، وأتذكر إنجي أفلاطون تلك الشخصية التي استطاعت برغم تربيتها الأرستقراطية أن تعيش معنا دون أن تشعرنا بأي فرق، وتقبلت رداءة المعيشة داخل السجن بكل قوة وصلابة، وأثناء حبستي تحت التحقيق كان مسموحاً لي بالزيارة والطعام، واستغل أهل إنجي ذلك وكانوا يرسلون إليها الطعام باسمي، وقد كان مأمور السجن يعلم بكل هذا ويسكت (حسن الكردي) وهذا الشخص يجب أن يؤرخ له لأنه وقف معنا فى الإضراب كما ذكرت.

وهناك من الزميلات اللاتي لا يزلن أحياء، ويمكن الحصول على شهادتهن مثل : إيزيس زوجة عريان نصيف، ووريحية الساعي، وزوجة فؤاد حداد، وإجلال السحيمي، وزينب وسيدة، وعايدة بدر.

ملحوظة : لم أعط شهادتي من قبل إلا للدكتور. فخرى لبيب أثناء دراسته عن الفترة ما بين ١٩٥٨- ١٩٦٥.

شهادة

سامي عجيب

الاســــــــــــم : سامى عجيب ميخائيل
تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٢٩/١٢/١١ مركز ابو تيج محافظه أسيوط
المـــؤهـــلات : بكالوريوس علوم - جامعة القاهرة - دور نوفمبر ١٩٦٤
المـــهـــنـــة : مدرس علوم، وعضو فنى لمدة ٩ شهور

ثم بعد ذلك بالشركة العامة للتجارة والكيماويات (قطاع عام - تجارة خارجية) حتى خروجى للمعاش فى ديسمبر ١٩٨٩ .

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢١ عاماً
فترة السجن والاعتقال :

عتقال حوالى ٤٥ يومًا فى اعقاب حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢م.
- هروب لعدة شهور خلال فترة اعتقالات الثانوية العسكرية ١٩٥٣
- اعتقال وسجن حوالى خمس سنوات من شهر سبتمبر ١٩٥٩ حتى شهر مايو ١٩٦٤ .

بيانـات شخـصـيـة : أنا من أسرة متوسطة الحال. والدى لم يكن موظفًا ورث عن والده بعض الأرض المحدودة، باعها واشترى سيارة بعد سيارة لاستخدامها فى النقل بين بلدتنا أبو تيج والقرى المجاورة. ثم بعد ذلك كان مالكًا لمقهى بشارع المحطة ثم أخيراً وكيلاً لشركة مصر للتأمين بأبو تيج.

كان والدى يكسب كثيراً ويصرف كل ما يكسبه ويعيش معيشه أثرياء البلدة.

وكان لوالدى ميزات طيبة كثيرة - تأثرت بها تمامًا. كانت له علاقات اجتماعية واسعة، وكان شخصية محبوبة شجاعة وقوية ومهابة، وكان شديداً فى تربيتى رغم أننى ابنه الوحيد مع شقيقة، وعلمنى أن أكون صادقًا - إذ أنه رغم شدته كان لا يعاقبنى طالما كنت صادقًا مهما كان الخطأ الذى وقعت فيه.

توفى وهو فى الخمسين بحمى التيفود، نتيجة تخلف العلاج فى بلادنا. وقد أثر ذلك فىّ كثيراً

•• التعرف على الفكر الماركسى :

كانت بدايه التعرف على الفكر الماركسى من بعض الأصدقاء الطلبة الذين سبقونى فى الدراسة وذلك عند عودتهم من القاهرة فى الإجازة الصيفية، حيث كانوا يتكلمون عن الافكار اليسارية فى الجامعة، وعن المنظمات الشيوعية، لكنهم لم يكونوا على علم كافٍ بهذه المبادئ؛ لانهم لم يكونوا أعضاء فى أى منظمة، إلى أن دخلت الجامعة فى العام الدراسى ١٩٤٨ - ١٩٤٩، حيث توقفت الدراسة عدة مرات بعد اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى، ثم مقتل الشيخ حسن البنا، وكان قبلها تم اعتقال العديد من الشيوعيين، ثم بعد ذلك الإخوان المسلمين.

فى نهاية عام ١٩٥٠، طلب منى أحد الزملاء من بلدياتى وكان عضواً بمنظمة النجم الاحمر، وهو الزميل معين مينا (المحامى حاليًا) إستضافة أحد الزملاء الهاربين فى مسكنى وكان هذا الزميل هو المرحوم عدلى جرجس.

ومنذ لحظة وصوله بسكنى، بدأت أناقشه فى كل المسائل السياسية الجارية، ورأى منظمة النجم الأحمر فيها، كما تعرض بالهجوم على حدتو، وأذكر أنه لم يتعرض فى هذا التوقيت لمنظمة د.ش، واعتبرها أقرب المنظمات للنجم الأحمر.

وكانت النتيجة إقناعى بما أمكن عرضه من الفكر الماركسى، كما اقتنع أيضًا زميل آخر كان يسكن معى فى الشقة نفسها هو الزميل فكرى تادرس، وتم انضمامنا معًا لمنظمة النجم الأحمر - وكنا معا بكلية العلوم. كما تعرفنا فى التوقيت نفسه، بالزميل جمال البراد الذى كان ابضاً عضواً بمنظمة النجم الأحمر.

•• ما قبل الانضمام للحركة الشيوعية :

عاصرت أحداث الحرب العالمية الثانية ١٩٢٩ - ١٩٤٥، وكنت أتابع أحداثها يوميًا من الجرائد، وكذلك الاستماع إلى محطة برلين ومذيعها الشهير «يونس بحرى»، وكذلك محطة لندن، ولفترة زمنية كنت معجبًا بقوة وتنظيم الجيش الألمانى الذى استولى على العديد من الدول الأوروبية فى أسابيع معدودة، لكن بعد ذلك تم انحيازى لجانب الحلفاء بعد التعرف على

بعض تصرفات الجيش الألمانى الوحشية فى البلدان التى يحتلها.

كما عاصرت مدى تأثر بلادنا بهذه الحرب، خصوصاً عندما كانت الأسكندرية والقاهرة تُضربان بالقنابل الألمانية كل يوم ، بعد وصول جيوشهم لمنطقة العلمين. وكنت أذهب لمحطة القطار صباحاً، وأرى معاناة ومآسى المهجرين من الأسكندرية والقاهرة الذين تحملهم القطارات يومياً للاقامة عند الأقرب أو فى أى مأوى بعيداً عن قنابل الألمان.

وفى هذه المرحلة من عمرى (مرحلة الابتدائية وبداية لمرحلة الثانوية) استفزتنى كثيراً أعمال القتل لأتفه الأسباب، وعادة الثأر فى الأرياف المحيطة. كما أثارنى جداً مدى سطوة وجبروت كبار ملاك الأرض والعمد والمشايخ فى هذه الأرياف، الذين كانوا يستولون على أراضى ومنازل الفقراء وصغار الملاك بالقوة وبدون مقابل أو بثمن بخس.

ولا أنسى فى الصيف عندما يأتى فيضان النيل، ويكون موسم جنى القطن، وتأتى عربات النقل لتحمل الناس من الشارع بالقوة لجنى القطن لكبار الملاك وأصحاب النفوذ بالسخرة، أما زراعات صغار الملاك فكانت تتعرض فى أحيان كثيرة للغرق.

وكان مركز أبو تيج وكذلك مركز صدفا المجاور يقعان تحت نفوذ حزب الأحرار الدستوريين، لأن محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين من بلدة ساحل سليم والتى يفصلها عن بلدتى (أبوتيج) نهر النيل.

وفى انتخابات عام ١٩٥٠ فاز مرشحو حزب الوفد فى دوائر أبو تيج وصدفا والغنايم، وسقط مرشحو حزب الأحرار الدستوريين التقليديين فى هذه الدوائر وكان ذلك بداية تعاطفى مع حزب الوفد.

وفى العام نفسه، وكنت طالباً بالسنة الثانية بكلية العلوم، انضممت إلى مجموعة حزب الوفد بالكلية، وشاركت فى كل اجتماعاتها حتى انضمامى لمنظمة النجم الأحمر فى نهاية هذا العام.

•• المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها :

بقيت فى منظمة النجم الأحمر لمدة عامين تقريباً - لكن رغم عضويتى لم أكن عضواً

بمجموعة، بل كانت الاتصالات فردية، الأمر الذى جعلنى أشعر بعدم وجود تنظيم حقيقى. وفى هذه الفترة كان الزميل جمال البراد قد اختلف مع النجم الأحمر بسبب توزيعه بيان كان الزميل الشهيد شهدى عطية أرسله من السجن، وترك منظمة النجم الأحمر وانضم لمنظمة طليعة العمال.

بعدها دعانى الزميل جمال البراد وأقنعنى بالانضمام لمنظمة طليعة العمال، وفعلاً تم ترشيحى للعضوية لمدة عام تقريبًا بعدها أصبحت عضواً بالمنظمة، وكان معى فى المجموعة زميل آخر من كلية العلوم أيضًا وزميل آخر لم يستمر طويلاً هو يعقوب الشارونى، وكان المسئول الزميل جمال البراد.

وكانت هذه الفترة ابتداءً من نهاية عام ١٩٥٠ بداية النشاط الحقيقى. فكنت مع الزميل جمال البراد نقوم بتوزيع المنشورات ليلاً بالجيزة وامبابة، بالإضافة إلى عمل جرائد الحائط بكلية الهندسة والعلوم وتوزيع المنشورات أيضًا داخل الجامعة، وحضور كل الندوات فى نقابة الصحفيين وغيرها، وكذلك فى رابطة الطلبة الأردنيين التى كانت تعج بالطلبة اليساريين. وفى حملة اعتقالات الثانوية العسكرية عام ١٩٥٣، هاجم البوليس منزلى عدة مرات، ولكننى كنت قد هربت، ولم يتم اعتقالى فى هذه الحملة.

وأذكر أننى فى هذه الفترة تمكنت من دخول الكلية من السور الجانبى عن طريق مصلحة البساتين الملاصقة للجامعة، وجمعت تبرعات من طلبة الكلية، وقمت بعمل منشور طبعته بمطبعة صديقة بالجيزة، وتم توزيع هذا المنشور فى كليات الهندسة والعلوم والآداب والحقوق بجامعة القاهرة وكلية الهندسة والحقوق بجامعة عين شمس (كان التوزيع غالبًا يتم بقذف المنشورات من الشبابيك العليا بالكليات والهروب بعد ذلك).

بعد ذلك تم تصعيدى لقسم الطلبة وكان المسئول هو الشهيد رشدى خليل -الذى تعلمت منه الكثير - ولكن بعد حوالى ٦ شهور صدر قرار بحل قسم الطلبة، على أساس أن هناك مظاهر للشللية بين أفراده.

ثم تم تكليف الزميل المرحوم عادل فهمى بإعادة تشكيل مكتب جديد للقسم، وكنت عضواً فيه وبعد ذلك تم انتخابى مسئولاً لقسم الطلبة وعضواً بمنطقة القاهرة التى كان مسئولها الزميل صفوت ياسين.

ولابد أن أذكر أنه عند دخولى كلية العلوم ١٩٤٩ (وكانت معروفة بالكلية الحمراء)، لم ألاحظ وجود نشاط ملموس للشيوعية ولا للإخوان، لكنى علمت بعد ذلك بأن هذا الوضع نتيجة لحملات الاعتقال والسجن للشيوعيين ثم بعد ذلك للإخوان، وكذلك استبعاد المعيدين بالكلية، ومنهم الزملاء الشيوعيين عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر وفاطمة زكى.

وفى انتخابات الاتحاد كان أحد الطلبة وهو المرحوم المأمون أبو شوشه وكان يتميز بنشاطه الأدبى - وليس له أى نشاط سيسى - يأتى يوم الانتخابات ويلقى خطبة أدبية يحصل بعدها على أصوات الطلبة.

ولكن بعد إطلاق سراح الإخوان، بدأ نفوذهم يقوى فى الجامعة، ومن ثم بدأوا يسيطرون على العديد من كليات الجامعة. قمنا بعمل جبهة بكلية لعلوم من الشيوعيين والاشتراكيين والمستقلين فى مواجهة المسلمين، ورشحنا الأخ عادل حسين (أمين عام حزب العمل حالياً) ولكن للأسف لم ينجح لقوة النفوذ الإخوانى بالكلية فى ذلك الوقت.

وفى الفترة من أوائل عام ١٩٥٤، واجهنا أحداث مارس، وإضراب عمال النقل (تحت قياده الصاوى/ وشريكه - للأسف لم أعد اتذكر اسم هذا الشريك) واشتركنا وقدنا مظاهرات الجامعة الداعية إلى عودة الجيش للثكنات، وعمل انتخابات ديمقراطية.

وفى هذه الفترة صدر قرار باعتقالى، فتركت مكان إقامتى، لكننى وبعض الزملاء كنا ندخل الجامعة من أسوار مصلحة البساتين لقيادة المظاهرات والخروج من الجامعة بالطريقة نفسها.

كما أننا - بعد ذلك - عارضنا اتفاقية الجلاء التى وقعها الرئيس عبد الناصر لوجود بند يعطى للقوات الإنجليزية الحق فى العوده فى حالة تعرض لمنطقة للخطر. كما عارضنا فى هذه الفترة اتفاقية النقطة ارابعة.

وبعد لتحول السياسى بعد مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥، وصفقة الأسلحة التشكيلية وبدايه سياسة احياد، وتعديل سياسة المنظمة إلى تأييد هذه المواقف، قام قسم الطلبة بعمل مظاهرة مهمة فى قاعة جامعة القاهرة عند قيام فرقة الرقص الشعبى الروسى بزياره مصر وعمل حفلة مسائية بقاعة الجامعة - هتفنا بحياة الصداقة السوفيتية المصرية، وقد ردد الشعارات أغلبية

الحضور. وكانت واجبات ومواقف قسم الطلبة تتمثل فى الآتى :

- وضع خط المنظمة السياسى فى التنفيذ عن طريق الخطب والمظاهرات بالجامعة ومجلات الحائط وفى الندوات المختلفة.

- الدفاع عن حق الطلبة فى الاشتغال بالسياسة داخل الجامعة والمدارس الثانوية والعمل على تكوين اتحاد عام للطلبة المصريين.

- إلغاء الحرس الجامعى لأنه يتجسس على الطلبة متعونًا مع المباحث العامة.

- إلغاء نظام الترمات والاستمرار بنظام الدراسة على أساس العام الكامل حتى يتمكن الطلبة من المشاركة السيسية فى أحداث بلدهم، بالإضافة إلى متابعة الأنشطة الرياضية والثقافية والفنية.

- تخفيض أسعار الكتب الجامعية وأسعار الإقامة بالمدن الجامعية وزيادة عددها.

كما كان قسم الطلبة يساعد المنظمة باشتراكات الطلبة وتبرعاتهم، وفى الحملات الماليه بعمل الرحلات النيلية وغيرها التى تقدم بعض العون لمالية المنظمة.

لقد كان للمنظمة وجود قيادى قوى ومؤثر داخل كليات الهندسة والحقوق والآداب والطب والعلوم بجامعة القاهرة، وكذلك كليات الهندسة والحقوق والتجارة بجامعة عين شمس.

وخلال الفترة من عام ١٩٥١ حتى نهاية عام ١٩٥٥- كنت دائما أقضى جزءًا من الإجازة الصيفية، وإجازة نصف السنة، فى بلدتى أبو تيج، واستخدمت المقهى الذى ورثته عن والدى مكانًا لنشاطى ومقابلاتى.

وكانت بداية النشاط بجمع توقيعات نداء السلام، ومحاولات لتكوين لجنة سلام بالبلدة. ونتيجة لهذا تم القبض عليّ فجر ٢٧ يناير ١٩٥٢ فى عقب حريق القاهرة (رغم وجودى أثناء هذه الأحداث بأبوتيج)، كما تم أيضًا القبض على بعض الذين بدأوا الارتباط بى، منهم الأستاذ بشرى بستان المحامي والسيد/ أحمد الملط من الأعيان، ورمزى زكى رئيس حسابات بنك التسليف الزراعى وطلعت أنيس الطالب بالثانوى.

وبعد يوم واحد تم الإفراج عنهم، ولم يفرج عنى وعن طلعت أنيس وبعض الأشقياء

والخطرين على الأمن الذين أعجبهم فكرنا اليسارى. وبعد الإفراج عنا، بعد حوالى ٤٥ يوماً، كانوا يأتون لزيارتى فى المقهى مبدين استعدادهم لعمل أى شئ أطلبه.

بعد ذلك بدأت التزاور مع زملاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بساحل سليم، أذكر من بينهم الزملاء خليل، وعبد الرحمن، وأحمد السعيد، وأبو ضيف عبد الجليل- وبدأنا التنسيق لعمل لجان سلام بأبوتيج وساحل سليم (علاقة تغلب عليها علاقات الجوار والبلديات الصعيدية أكثر من القرب السياسى).

وفى عام ١٩٥٧ حين بدأنا التحضير للانتخابات النيابية سافرت لأبوتيج فى محاولة لترشيح أحد المتعاطفين معى وهو الزميل حسين جاءالله والذى كان شخصية عامة ومن أبطال رفع الأثقال وابن عصبية كبيرة هى رابطة الأشراف- وفعلاً سافرنا سوياً للقاهرة، حيث قابلنا زميلنا يوسف درويش الذى كان مشرفاً على العمل الجماهيرى الخاص بالانتخابات

لكن تقدم للانتخابات الأستاذ عبد الخالق عمرو، وهو من كبار رابطة الأشراف أيضاً، وبالتالى لم يتقدم الزميل حسين جادالله للترشيح، خاصة أن الاستاذ عبد الخالق عمرو وافق على أن يشمل برنامجه الانتخابى جزءاً من برنامجنا فى الانتخابات التى اشترك فيها بفعالية كبيرة، الزميل المرحوم أنور ابراهيم والزميل وليم زكى مع بقية الزملاء بالمنطقة.

وفي عام ١٩٥٦ تم تصعيدى وأصبحت مسئولاً لمنطقة القاهرة وأصبح مسئولى هو الزميل المرحوم أحمد صادق سعد.

وكانت المنطقة تضم قسم الطلبة وقسم الأحياء وقسم عمال يضم زملاء نقابة نسيج الظاهر ونقابة البوتاجار ونقابة الأحذية وغيرها.

وبعد تأميم القناة والعدوان الثلاثى وقيام اللجان الشعبية فى أكثر من مكان، كان أهمها منطقة روض الفرج، اشترك العديد من الزملاء فى التدريب على حمل السلاح، وفى النشاط السياسى والتثقيفى فى لجان المقاومة الشعبية، والذى ترتب عليه زيادة طلبات الترشيح لعضوية المنظمة، الأمر الذى ترتب عليه مضاعفة أعضاء المنظمة بالقاهرة.

وفى عام ١٩٥٧ تم تقسيم منطقة القاهرة إلى ثلاثة أجزاء- جزء تحت مسئوليتى، وآخر تحت مسئولية الزميل المرحوم حسن صدقى وجزء ثالث تحت مسئولية الزميلة المرحومة عنايات أدهم وجميعنا تحت مسئولية الزميل يوسف درويش.

ولا يفوتني في هذا الصدد، أنه منذ النصف الثاني لعام ١٩٥٤ وحتى منتصف عام ١٩٥٦، كان تنظيم طليعة العمال هو التنظيم الوحيد الذي له نشاط في القاهرة، إذ أن بقية المنظمات كانت قد توقفت إلى حد كبير لوجود كوادرها في السجن والمعتقل. وكان ذلك نتيجة حرص منظمة طليعة العمال على التدقيق في إعطاء العضوية لأي عنصر قادم، بالإضافة إلى سرية عدد من كوادره.

وفي أوائل عام ١٩٥٧، تم عمل كونفرانس بالمنطقة حضره مندوبون من الأقسام وتم انتخابي ومعي الزميل المرحوم حسن صدقي والزميلة المرحومة عنايات أدهم لحضور المؤتمر.

وفي ابريل عام ١٩٥٧ تم انعقاد المؤتمر، والذي أذكره بأنه كان هناك اتفاق سياسي لدى الجميع ، فيما عدا ما يتعلق بالوحدة للمنظمات الشيوعية حيث كان يوجد أكثر من اتجاه.

وانتهى المؤتمر بانتخاب اللجنة المركزية لحزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري بناء على ترشيح قيادة المنظمة - لعدد ١٥ عضواً، كنت واحداً منهم.

(للأسف سقط من ذاكرة زميلنا نبيل صبحي- محرر الباب السادس من كتاب وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصري» للزميل أبو سيف يوسف - أسماء الزميل المرحوم السيد فتحي سالم والزميل سامي عجيب كأعضاء في اللجنة المركزية لحزب العمال والفلاحين لشيوعي المصري).

•• نشأة المنظمة والانقسامات التي حدثت بها :

- حقيقة لم أعرف كثيراً عن نشأة طليعة العمال، لكنني عرفت أنه منذ تكوينها لم يخرج منها أي انقسام.

•• مدى ارتباط منظمة طليعة العمال بالطبقة العاملة :

عرفت وتأكدت أن التنظيم له ارتباطات حقيقية بالطبقة العاملة في شبرا الخيمة وحلوان بمصانع النسيج، وبنقابة عمال نسيج الطاهر، ونقابة البوتاجاز، ونقابة الأحذية. وكانت هناك أعمال نضالية في شكل إضرابات عن العمل من أجل تحسين أحوال العمال والدفاع عن

مصالحهم فى مواجهة أصحاب العمل.

ومن القادة المعروفين الزميل محمود العسكرى ويوسف المدرك وطه سعد عثمان وعبد الجواد القطان وياسين مصطفى ومصطفى حسنين وغيرهم (ذكرت فقط بعض الأسماء لكن بالتأكيد هناك أسماء أخرى كثيرة).

•• دور المنظمة بين الفلاحين :

– بالنسبة لدور المنظمة وسط الفلاحين، فلم أعلم عنه شيئاً إلا فى منتصف عام ١٩٥٧ حيث علمت بوجود بعض العلاقات فى محافظة المنيا.

•• المجلات الجماهيرية والتنظيمية التى كان يصدرها التنظيم :

– المجلة الخارجية التى كان التنظيم يصدرها هى مجلة المقاومة الشعبية وكانت غير منتظمة الصدور، هذا بالإضافة إلى مجلة داخلية أقل انتظاماً.

•• دور التنظيم فى تثقيف أعضائه :

– كان التنظيم يدعونا لقراءة الكتب الماركسية مثل الأسس اللينينية، البيان الشيوعى، ما العمل، والمادية الجدلية وغيرها، وكذلك كتيبات الرفيق ماوتسى تونج وليو تشاوتشى – بالإضافة إلى كتب الرافعى والجبرتى.

وقد قرأت شخصياً هذه الكتب لكننى للأسف لم أواصل الاهتمام بالقراءة لأنى غرقت تماماً فى العمل التنظيمى.

•• المقومات والخطوط التنظيمية التى أصدرها التنظيم والموقف من قضية الثورة :

وأذكر أننى قرأت ما سُمى بالاستراتيجية والبرنامج السياسى واللائحة التنظيمية. وكنا نرى أننا فى مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ثم الثورة الاشتراكية.

•• الموقف من المحترفين :

- بخصوص المحترفين في التنظيم : إنني أرى أن الثوري المحترف ضرورة حتى يتمكن التنظيم من القيام بدوره المطلوب - فجميع أعضاء التنظيم رغم تفاوت إمكانيات العطاء لكل منهم، لكن لا يمكن إتمام الواجبات بدون توافر الثوري المتفرغ تمامًا لعمل التنظيم. ولكن لاحظت في بعض المنظمات أن الثوري المحترف هو بعض من فقد عمله نتيجة نشاطه السياسي أو غير ذلك - دون اعتبار لإمكانياته الثقافية والتنظيمية والفنية التي تجعله قادراً على العطاء لكل ما يحتاجه التنظيم بالقدر المناسب.

- **الموقف من التنظيمات الأخرى :** رغم أني في الأغلب كنت متشككًا من التنظيمات الأخرى، وحذر تجاهها بشكل عام - لكنني كنت أتعاون وأحترم بعض كوادرها الذين التقيت بهم خلال نشاطي السياسي.

ففي كلية العلوم تعاونت مع الزميل المرحوم نصر حمود، وصبحي يَسّى وهما من النواة، والزميل سمير كامل وهو من حدتو، وفكري تادرس وكان في النجم الأحمر.

وفي بلدتي أبو تيج تعاونت مع زملاء حدتو بساحل سليم.

•• الموقف من اليهود والأجانب في الحركة الشيوعية :

الشيوعية لا تفرق بين المواطنين سواء أكانوا يهوداً أم من أي ديانة أو عقيدة أخرى.

ومن الطبيعي أن الحزب الشيوعي المصري يجمع بين صفوفه المتدينين وغير المتدينين

ولما كانت كل المنظمات الشيوعية في مصر سرية ثم كان حزب ٨ يناير حزبًا سريًا، لم تكن هناك مشكلة لوجود يهود بداخله سواء في القاعدة أو في القيادة.

ولكن نتيجة الحروب العدوانية لإسرائيل واحتلالها الأرض الفلسطينية وبعض الاراضي العربية، بالاضافة إلى أعمال المنظمات الصهيونية الإرهابية الوحشية قبل وبعد قيام دولة إسرائيل، ونتيجة لوجود تيارات رجعية في العالم العربي اختلط الامر على المواطن العادي - بين العداء للصهيونية وهي القوة الرجعية المرتبطة بالامبريالية وبين اليهودية كديانة. وبالتالي

للاسف - غالبية البسطاء من الناس أصبحت - خطأ - تعادى كل ما هو يهودى.

ومرحليًا - رغى حالة امكانية وجود حزب شيوعى علنى شرعى (وهذا بعيد الاحتمال حاليًا)- فالافضل أن لا يكون في القيادة يهود - لحين تصحيح المفاهيم لدى غالبية الشعب.

أما الموقف بالنسبة للأجانب - فنكتفى بأن يكونوا أعضاء فى القاعدة فقط.

ولابد ان أذكر بأنى عاصرت وتعاملت عن قرب - تنظيميًا وشخصيًا - مع زملاء من أصل يهودى وهم الزميل المرحوم أحمد صادق سعد والزميل يوسف درويش والزميل المرحوم ريمون دويك؛ وأشهد بإخلاصهم الشديد لقضايا الشعب المصرى ولقضية الشيوعية، وثقافتهم الرفيعة ونضالهم وتضحياتهم الضخمة.

•• الموقف من وحده ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها :

بعد تردد وتشكيك طويلين بالمنظمات الأخرى - كنت أحد الموافقين على وحدة ٨ يناير بالطريقة التى تمت بها .

ولكن بعد ذلك، خصوصًا فى عامى ١٩٦٤، و ١٩٦٥، اكتشفت أن ما تم كان خطأً كبيراً، وأنه كان من أهم الأسباب التى أوصلتنا لقرار حل الحزب.

لقد كانت وحده فوقية سهلت الانقسام الحدتوى، كما أنه بالطريقة التى تمت بها كشفت كل كوادر المنظمات جميعًا (السرى والعلنى) منها. وأصبحت كل إمكانيات وقوات وكوادر الحزب ومستوياتهم معروفة تمامًا للمباحث العامة، بل أصبحت كل أسرار الحزب فى الشارع وعلى المقاهى.

لقد كان الواجب- فى حينه - أن تتم الوحدة على مرحلتين :

المرحلة الأولى : بتكوين لجنة عليا للوحدة من مندوبى المنظمات التى ترغب فى الوحدة هدفها الوصول لفكر سياسى يتقارب شيئًا فشيئًا فى المسائل الأساسية، ودخول القواعد فى معارك نضالية مشتركة بدعوة من اللجنة العليا للوحدة.

وهذه المرحلة لابد أن تحتاج لوقت ليس قصيراً حتى يتم تقارب القواعد مع بعضها، وتكوين

الثقة اللازمة بين هذه القواعد من خلال المعارك النضالية اليومية .. إلى أن يتم الانصهار الكامل داخل هذه القواعد.

المرحلة الثانية : الدمج الفعلى لقيادات والقواعد، وتكوين قيادة واحدة لحزب لقيادة قواعد تم تطهيرها تمامًا من التشكيك فى بعضها البعض، ولرفاق تعاونوا يوميًا فى المعارك التكتيكية، وأسعدتهم النتائج والمكاسب ليومية التى أحرزوها نتيجة توحدهم.

وبهذه الطريقة يكون من الصعب لخروج بانقسام على الحزب، ولو حدث سوف يكون انقساماً هزيلاً لا مستقبل له.

وفى الوقت نفسه نكون قد حافظنا على سرية بعض كوادرنا - لمواجهة مالابد أن يحدث من حملات بوليسية لضرب الحزب.

لقد كنتُ ضد الانقسام الحدتوى الذى حدث ، كما أنى كنت ضد أى عمل تكتلى أو انقسامى من أى مجموعة كانت - كانت هذه معتقداتى الراسخة والتى دعمتها تربيتى داخل طليعة العمال.

لقد كنت دومًا أعارض ما لا أومن به، واتفق مع ما أراه سليمًا فى كل المسائل السياسية والتنظيمية، لكنى كنت دومًا ملتزمًا برأى قيادة المنظمة أمام المستويات الدنيا. وفى داخل حزب ٨ يناير ، وكنت عضواً فى لجنة الدعاية المكونة منى ومن الزميل عادل سيف النصر والزميل الشهيد شهدى عطية، تحت مسئولية الزميل سعد زهران، كنت أحيانًا اتفق فى الرأى فى بعض المسائل مع الزميل الشهيد شهدى عطية، وأختلف مع الزميل سعد زهران والزميل عادل سيف النصر - مما كان - للأسف - محل شكوى من البعض.

•• مسيرتى فى حزب ٨ يناير :

كأحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، حضرت الاجتماع الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى - حزب ٨ يناير - والذى كان اجتماعًا تعارفيًا وديًا .

وبعد تصعيد للجنة المركزية أصبحت عضواً باللجنة المركزية الاحتياطية وعضواً بلجنة الدعاية (السابق ذكرها).

وتم تكليفي بمسئولية الجهاز الفني أيضاً، واستلمت جهاز طباعة للبروفة عبرة عن قاعدة حديدية يتحرك عليها يدوياً سلندر. وفي فترة وجيزة، وبالاستعانة بأحد العاطفين، تم شراء كمية مناسبة جديدة من حروف الطباعة، وتجديد السلندر، وطبعنا كمية حوالي ٢٠٠٠ نسخة من مجلة الحرب في ثلاثة أيام بمجموعة الجهاز الفني المكونة من الزميل صابر البياع وكانت له خبرة سابقة في تجميع حروف الطباعة والزميل كمال فراج.

وفي مناسبة ذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى تمكنا من طباعة المجلة وعلى صدرها صورة الرفيق لينين - لقد حققنا في فترة وجيزة طفرة كبيرة في الطبعة الحزبية، ومن أجل الأمان نقلنا الطبعة في آخر عام ١٩٥٨ إلى شقة أخرى، خوفاً أن يكون قد تم ملاحظة دخول وخروج كميات من الورق، بالإضافة إلى الصوت الذي كان يحدث أثناء الطباعة.

وفي أول يناير ١٩٥٩ صباحاً علمت بحملة الاعتقالات، وعلى الفور تركت المنزل ولم أعد له ثانية، وكان عليّ أن أمتحن مادة تخلف خلال شهر يناير للحصول على البكالوريوس، ولكني لم أحضر الامتحان ولم أمتحن مادة التخلف إلا في نوفمبر ١٩٦٤ بعد الإفراج عنا في مايو ١٩٦٤.

لقد قضيت بكلية العلوم ١٥ عاماً كان منهم حوالي سبع سنوات سجن واعتقال وهروب - بالإضافة إلى عدم الاهتمام بالدراسة.

وهنا لابد أن أوضح أنه كان هناك اتجاه يساري، خصوصاً في منظمة النجم الأحمر يقول «إننا نحتاج إلى مناضلين، وليس لدرجات البكالوريوس والدكتوراه».

وكان هذا خطأً كبيراً أدى إلى أن العديد من الطلبة الشيوعيين أهملوا دراساتهم وفشلوا في كلياتهم - الأمر الذي أعطى بعض الناس إنطباعاً بأن الشيوعيين هم الطلبة الفاشلون، فضلاً عن المشاكل الكبيرة التي واجهتهم مع أسرهم نتيجة تخلفهم في كلياتهم.

وكان الواجب أن يكون الطالب الشيوعي هو الطالب الاجتماعي والمتميز في كليته، وأن

نشاطه السياسي لا يجب أن يعطله عن تحصيل دراسته.

وخلال شهر يناير ١٩٥٩ تمكنت من الاتصال بالزميل أبو سيف يوسف سكرتير الحزب الذى اعاد تشكيل اللجنة المركزية من زملاء اللجنة المركزية الأساسيين الذين لم يتم اعتقالهم، وإضافة البعض من أعضاء اللجنة المركزية الاحتياطية وكنت واحداً منهم. وتم تكليفى بالمسئولية المالية، بالإضافة إلى العمل الفنى، وبعد حملة اعتقالات مارس ١٩٥٩ وفقدان مطبعة الحزب الرئيسية، كان لا يزال هناك جهاز فنى آخر طرف الزميل المرحوم صابر زايد، عبارة عن آلة كاتبة وجهاز رونيو، تم الاتصال به وأشرفتُ عليه في مجمرعة مع (شخص آخر)، والذى كان يتولى استلام المطبوعات من الزميل صابر زايد للتوزيع الداخلى.

وكنتُ فى هذه الفترة بحكم مسئوليتى المالية على علاقة بأغلبية كوادر الحزب الهاربين بالقاهرة والأسكندرية.

وفى اواخر سبتمبر ١٩٥٩ ذهبتُ للأسكندرية لمقابلة الزملاء الهاربين هناك، ثم قابلت الزميل أبو سيف يوسف، وبقيت فى مسكنه حتى الصباح ثم عدت مساءً إلى القاهرة.

وفى صباح اليوم التالى كان موعدى مع الزميل سليمان سيداروس بمقهى بشبرا لدراسة إمكانية معاونته فى تنفيذ مطبعة بروفه جديدة - بصفته صاحباً لورشة خراطة، وبعد مقابلتنا بنصف ساعة تقريباً هاجمتنا المباحث العامة من كل جانب حاملين مسدساتهم وتم القبض علينا.

وعلى الفور - كالمعتاد - أشرت للزميل سليمان سيداروس بأننا لا نعرف بعض، ولم نكن جالسين مع بعض. وهو ما تم فعلاً أمام النيابة وبالتالى لم يدخل الزميل سليمان سيداروس فى أى قضية.

•• التعذيب بالمباحث العامة ومواجهة النيابة :

بعد القبض علينا أخذونى فى عربة بمفردى للمباحث العامة، حيث سألونى عن سكنى، فذكرتُ لهم سكنى الاصلى بالعجوزة، وأخذونى بصحبة أربعة من رجال المباحث وعربة أخرى

خلفنا لتفتيش منزلي، لكنهم بدلاً من أن يذهبوا لعجوزة وجدتهم يذهبون لسكني بالظاهر حيث كنت أختبئ، ثم حضر العقيد حسن طلعت مفتش مباحث القاهرة للاشتراك شخصياً في التفتيش، ثم رجعنا للمباحث العامة.

وفي بداية الإظلام بالمساء أخذوني مرة أخرى في عربة بصحبة رجال المباحث وبعد السير في عدة شوارع حتى وصلنا شارع العباسية ربطوا عيني بالإضافة إلى أني كنت مقيداً ثم دفعوني لدواسة العربة ثم قاموا بالسير بعض الوقت، ثم وقفت العربة وحركوني من دواسة العربة وأنا مازلت مقيداً ومربوط العينين – رجل من كل جانب – لأسير معهم كما يأمرون إلى أن أدخلوني في مكان لم تصلني فيه أي أصوات من الخارج، ثم فكوا قيدي من الأمام، وقيدوني من الخلف وربطوني في حلقة بالحائط، وإنهالوا عليّ ضرباً وركلاً في كل جسمي وأنا لازلتُ مربوط العينين، وبعد فترة من الضرب والعبث في أماكن حساسه : كان سؤالهم فين الرفيق عباس- أبو سيف يوسف - يا عمار؟؟

ولما كنت أعرف مكان الزميل أبو سيف يوسف وغيره، قررت أن يكون ردي المتكرر كلمة واحدة هي : ماعرفش.

ثم كانوا يصرخون : موش عاوز تقول يا عمار

وكان ردي أنا موش عمار، ومعرفش فين أبو سيف يوسف.

هذا بالإضافة إلى صراخهم إنك سوف تدفن هنا زي ما عملنا مع غيرك.

بعد ذلك رفعوا الرباط من على عيني، وأتوا بكشاف كهربي حراري سلطوه على وجهي وتركوني.

وكانوا يعودون بعد ذلك ليكرروا الضرب والتهديد المختلف.

وبقيت هكذا طوال الليل، رافضين إعطائي كوب مياه، ومع بداية الصباح بدأت أشعر بالتعب والإرهاق الشديد، وخارت قوى، ولم أعد قادراً على الوقوف، وكدت أقع وتتكسر يداي، فصرخت بأعلى صوتي. ويبدو أن الحارس الواقف خارج هذه الغرفة لمراقبتي أخبرهم بالموقف ففتحوا باب هذه الغرفة وفكوني من الحلقة بالحائط وقيدوني من الأمام وتركوني ملقياً

على الارض، ولم يسمحوا لى بالذهاب لدورة المياه وتركونى أتبول على نفسى.

وتكرر التعذيب نفسه فى اليوم التالى، وكان ردى المتكرر معرفش وأنا موش عمار، ثم تركونى.

وفى الصباح سمحوا لى بالذهاب لدورة المياه، وكانت ملاصقة لغرفة التعذيب، وكان أول شئ فعلته هو أن ملأت الكوز الوسخ المملوء صدأ بالمياه وشربت.

وبعد أن رجعت مع الحارس من دورة المياه «سألنى بتعاطف : موش عاوز أى خدمة» فطلبت منه ورقة وقلماً وكتبت خطاباً لأسرتى أخبرهم بأنى مقبوض عليَّ (حيث كنت أخشى أن يكون مصيرى مصير المرحوم الشهيد محمد عثمان الذى قُتل فى التعذيب، وأنكروا أنهم قبضوا عليه أو يعرفون عنه شيئاً فى هذا التوقيت).

وفعلاً هذا الحارس سلَّم الخطاب لأسرتى، وأتى لى بالرد. وقامت المباحث بتصوير الخطاب والرد، وشجعنى هذا الحارس على كتابة رسائل أخرى حيث كانوا يتوقعون أى خطأ من جانبى يقيدهم. وعندما قابلنى العقيد حسن طلعت قبل تقديمى للنيابة قال لى «إنت جاى تستغفلنا فى المباحث العامة يا ابن ....» ورمى صور الخطابات فى وجهى.

وفى نهاية اليوم الثالث قدمونى للنيابة بعد أن جعلونى أغسل وجهى، ووضعونى فى أحد المكاتب للتهوية بدلاً من المقبرة التى كنت فيها، وأحضروا لى رغيف عيش به قطع من اللحم.

حضرت النيابة لاستجوابى فى (مبنى المباحث العامة) وبدأوا بالسؤال التقليدى عن اسمى وعنوانى. فرفضت الإجابة إلا بعد تسجيل التعذيب الذى تعرضت له وبأنى مقبوض عليَّ منذ ٣ أيام ولا أعرف أين كنت.

وفعلاً سجلت النيابة مختصراً لكلامى.

وكانت إجاباتى أمام النيابة هى إنكار كل شئ استمراراً لموقفى مع رجال المباحث العامة فى غرفة التعذيب.

بعد ذلك تم نقلى لسجن القلعة حيث مكثت حوالى عشرة أيام - انفرادياً - ثم بعد ذلك فى معتقل الحزب بالفيوم - حوالى شهر فى عنبر به حوالى ٢٠ فرداً، وكان ذلك بمثابة إفراج

بالمقارنة بما عانيته بغرفة تعذيب المباحث العامة.

بعد ذلك نقلونا لمعسكر التعذيب بأوردى ليمان أبو زعبل، حيث الاستقبال بالضرب المبرح بالشوم ونحن عراة تماماً، بعد ذلك التعذيب المخطط اليومى فى الصباح فى الطابور المسمى بطابور الرياضة وهو طابور العذاب إلى ما يُسمّى بالتفتيش وهو عملية ضرب أخرى، ثم الطلوع للجبل حفاة لحمل مقاطف التراب جرياً لنقلها إلى نهاية حافة الجبل، ثم إعادتها إلى مكانها فى اليوم التالى. ثم نقلونا لعملية تكسير حجر البازلت، ومعاقبة من يدعون أنهم لم ينفذوا المقطوعية. وكان الأكل هو اليمك الأبيض أو الأخضر المغطى بالرمل والغير معروف مكوناته، والحمام الأسبوعى الساخن والبارد معاً، والضرب ونحن عراة. أما الرعاية الصحية فلم يكن يوجد حتى قرص اسبرين.

واستشهد زميلنا رشدى خليل الذى إرتفعت حرارته، وانحنى ظهره، ونقلوه فى عربية نقل، والذى رفض المستشفى قبوله لأنه كان قد فارق الحياة.

ثم استشهد الزملاء فريد حداد وشهدى عطية وهما على باب الأوردى نتيجة عنف الضرب بالشوم.

لقد كان التعذيب فى أوردى أبو زعبل عنيفًا وقاتلاً لم يقابل الشيوعيون المصريون مثله من قبل، مقارنة بسجن الأجانب ثم سجن مصر.

وبعد توالى الاستشهاد، وانتشار أخبار هذا المعسكر سئ السمعة محلياً وعالميًا توقفت أعمال التعذيب وبدأ الترحيل للواحات للمعتقلين ولسجن القناطر بالنسبة لمن لهم قضايا.

ولا أنسى - فبعد استشهاد الزملاء، حضر اللواء ممت، وأعلن وقف أعمال التعذيب، وقال «إنى أشهد أمام الله أنكم كنتم رجالاً فى مواجهة هذه المحنة».

ثم نقلونى فى أواخر عام ١٩٦٠ لسجن القناطر تمهيداً لتقديمى للمحاكمة. وكان مسئول لجنة منطقة القناطر الزميل محمود العطار ومعه الزميل جمال الشرقاوى وآخرين، وبصفتنا مركزيين، أصبحت أنا مسئولاً للجنة منطقة القناطر ومعى الزميل المرحوم السيد فتحى سالم والزميل نسيم يوسف والزميل أحد الجبالى والزميل سعد بطرس، وفى مرحلة أخرى كان معنا الزميل شوقى مجاهد.

وكانت مهمتنا كلجنة منطقة القناطر تتمثل فى الآتى:

أ- التحضير لكل قضية يتم تحديدها بدراسة الوضع القانونى لكل زميل، وكذلك المستوى الحزبى والجماهيرى، وبناء على ذلك يتم تكليفنا للزملاء بكيفية مواجهة المحاكمة.

فبالنسبة للمركزيين كان موقفنا عمومًا هو الدفاع عن عضوية الحزب وكذا بعض الجماهيريين، طبقًا لأوضاعهم القانونية.

وكان تكليفنا العام عدم السماح للمحامين الموكلين أو المقيمين بالتهجم على الشيوعية والشيوعيين أو على السياسة العامة لحزبنا.

كذلك كنا نساعد ونرفع من معنويات بعض الزملاء صغار السن وحديثى العضوية لتصحيح بعض أوضاعهم أمام المحكمة.

عمومًا نجحنا فى أن تتم كل القضايا بشكل سليم ومشرف.

وبالنسبة لقضيتى التى كنت المتهم الثانى فيها، والتى تشمل ١١ زميلاً، والتى كانت من أقوى القضايا فى هذه الفترة، حيث كنا فى ذهابنا وعودتنا من المحكمة نهتف بسقوط الأحكام العرفية، ومن أجل إطلاق الحريات والإفراج عن المعتقلين.

وكنا فى قاعة جلسة المحاكمة التى كانت برئاسة المستشار العدوى، نقاطع النيابة أو أيًا من المحامين لأى تصرف أو كلام لا نقبله.

ولما شعر رئيس الجلسة بقوتنا، طلب منا عدم الكلام، وبأنه سوف يعطينا الفرصة فى آخر الجلسة.

وكان علىّ أنا والزميل جمال الشرقاوى مهمة الدفاع عن عضوية الحزب. إلا أن رئيس الجلسة حاول إنهاءها دون أن يعطينا الكلمة كما وعد - فصرخنا فى وجهه بأننا نتشرف بعضويتنا للحزب الشيوعى المصرى، وكنا قد أعددنا دفاعات سياسية مكتوبة - خشية منعنا من الكلام- رميناها فى وجه رئيس المحكمة وطلبنا تسجيلها فى مضبطة الجلسة.

وعلى أثر ذلك تم احتكاك بيننا وبين الحرس بالضرب واللكم المتبادل، إلى أن حضرت قوة كبيرة سيطرت على الموقف ونقلتنا لسجن القناطر.

ب – رفع معنويات زملاء الحزب والتمسك بوحدته :

كانت قوات الحزب فى القناطر تتشكل من زملاء من أصول مختلفة، وكان علينا التعامل مع الجميع بهدوء وصبر كبيرين فى مواجهة الخروج على النظام أحياناً وأحياناً أخرى عدم الالتزام بالتكليفات.

وقد نجحنا فى المحافظة على وحدة الحزب داخل منطقة سجن القناطر، فلم يخرج أحد من الحزب لينضم إلى المنقسمين أو قيام أى تكتل داخل المنطقة، بل انضم إلينا أحد زملاء المنقسمين وهو الزميل حمدى مرسى، كما انضم لحزبنا الزميل المرحوم الدكتور غالى شكرى بعد وصوله سجن القناطر.

ومن أهم المعارك التى خضناها فى مواجهة إدارة السجن والمباحث العامة: معركة الإضراب عن الطعام الذى استمر ٢٢ يوماً، وكان إضراباً منظماً تنظيماً دقيقاً، تم على ثلاث دفعات، مع نجاحنا فى الاتصال بخارج السجن للدعاية له بين أسر المسجونين والرأى العام. وقد شارك فى الإضراب غالبية زملاء الحزب من كل الأصول، ولم نترك إلا عدداً قليلاً من الزملاء خارج الإضراب لعمل الاتصالات اللازمة للدعاية للإضراب.

وكنت مع زملاء آخرين فى أول دفعة دخلت الإضراب، كما كنت المتحدث باسم المضربين فى ظل قيادة جماعية من الزملاء سعد بطرس ومحمود العطار وجمال الشرقاوى، والمشاورة مع كل المضربين أحياناً.

ونجح الإضراب بدون أية خسائر رغم طول مده الإضراب، وحقق الآتى :

– الحق فى الزيارة السلك الأسبوعية بالإضافة للزيارة الخاصة الشهرية بتصريح من النيابة.

– دخول الصحف والكتب.

– فتح أبواب الزنازين طوال اليوم

– الحصول على احتياجاتنا المتاحة بالكانتين.

ومن المهم أن نذكر أن مجموعة المنقسمين بسجن القناطر تحت قيادة المرحوم فاروق ثابت رفضت المشاركة فى الإضراب.

وبعد إعلان الأحكام في قضيتي، واعتمادها من الحاكم العسكري، بالحكم عليّ بسبع سنوات، تم ترحيلي مع آخرين لسجن الواحات وكان ذلك في نهاية عام ١٩٦٢.

وظللت في سجن الواحات حتى أبريل ١٩٦٤، إلى أن حدثت مشادة مفتعلة مع إدارة السجن، أطلق على أثرها الحرس النار علينا، وأدت إلى استشهاد الزميل لويس اسحق.

بعدها تم ترحيلنا إلى سجن أسيوط، ثم إلى سجن مصر، ثم إلى سجن بنها، ثم سجن مصر، ثم قسم بوليس شبرا حتى تم الإفراج عني من هناك في ١٤ مايو ١٩٦٤.

•• موقف التنظيم من القضية الفلسطينية :

بخصوص القضية الفلسطينية، فإني لم أعاصر فترة ٤٦، ٤٧، ٤٨، وما عرفته بعد ذلك أن كل التنظيمات عارضت قرار التقسيم، أما في فترة الخمسينيات فكان موقف التنظيم هو تحرير الأرض الفلسطينية وقيام دولة فلسطين وعودة اللاجئين وتعويضهم، وظل هذا الموقف ثابتًا حتى حل حزب ٨ يناير .

•• موقف التنظيم من النضال المسلح في القناة عام ١٩٥١ :

– لم أشترك في النضال المسلح في القناة عام ١٩٥١، وأعتقد أن ذلك كان موقف كل التنظيمات.

•• الموقف من حركة السلام :

– وبالنسبة لحركة السلام، فقد شاركت مشاركة كبيرة في جمع التوقيعات على نداء استكهلم في الجامعة وفي بلدتي أبو تيج. وكنت على وشك تكوين لجنة سلام بأبي تيج، لكن بسبب القبض عليّ مع بعض المتعاونين عقب حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، لم يتم استكمال تكوين لجنة السلام.

•• الموقف من تنظيمات ثورة يوليو :

كان موقف تنظيم طليعة العمال هو عدم الاشتراك فى هيئة التحرير والاتحاد القومى. ولكن بعد الإفراج عنى حاولت دخول الاتحاد الاشتراكى، لأنى رشحت نفسى لعضوية لجنة الاتحاد الاشتراكى فى الشركة التى أعمل بها (الشركة العامة للتجارة والكيماويات) ولكنى لم أحصل على العضوية، وبالتالى انسحبت من الترشيح.

•• الموقف من قوانين الإصلاح الزراعى :

- لقد وافقنا على قوانين الإصلاح الزراعى باعتبارها خطوة فى تفتيت الملكيات الكبيرة وتقليم أظافر كبار ملاك الأرض.

•• الموقف من أحداث كفر الدوار عام ١٩٥٢ :

- تم بقوة معارضة إعدام خميس والبقرى، وكان إعدامهم نقطة تحول فى سياسة طليعة العمال تجاه حركة الجيش، واعتبارهم مجموعة عسكرية دكتاتورية معادية للطبقة العاملة والشعب.

•• الموقف من هبة مارس ١٩٥٤ :

- وفى هبة مارس ١٩٥٤ شاركت شخصيًا فى الجامعة فى التحضير وقيادة بعض المظاهرات التى تمت فى هذا الوقت، وكانت النداءات بعوده الجيش الثكنات وإلغاء الأحكام العرفية وإعادة الحريات وحق تكوين الأحزاب.

•• الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين :

- وبالنسبة للإخوان المسلمين، فإن الثورة فى بدايتها أفرجت عنهم بما فى ذلك المحكوم عليهم، مُعتبره قضاياهم قضايا سياسية، ولم تفرج عن المحكوم عليهم من الشيوعيين مُعتبره قضاياهم قضايا جنائية !!

وفى بداية الثورة تحالف الإخوان مع الثورة محاولين احتوائها، ولعدم نجاحهم فى تحقيق هدفهم، بدأت معارضتهم لها ثم محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر فى المنشية بالأسكندرية، وعلى أثرها تمت حملة كبيره لاعتقالهم ومحاكمتهم.

•• الموقف من مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية :

- وبالنسبة للموقف من باندونج وصفقة الأسلحة لتشيكية ثم سياسة الحياد، فإن منظمة طليعة العمال كانت أول منظمة تؤيد هذه المواقف.

•• الموقف من تأميم قناة السويس :

- بالطبع أيدنا تأميم قناة السويس، ووقفنا ضد العدوان الثلاثى، واشترك عدد كبير فى التدريب على السلاح فى المقاومة الشعبية، وكذلك بدور كبير فى المؤتمرات الشعبية فى أحياء القاهرة. ولكن لم يكن لنا اشتراك داخل بورسعيد

•• الموقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ :

- فى انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ رشحت المنظمة عدداً من الزملاء الجماهيرين فى بعض الدوائر، وتمت دعاية مكثفة لهم، لكن تم استبعادهم جميعًا ما عدا الزميل عبد العظيم أنيس الذى وقفت المنظمة بجانبه فى مواجهة عبد العزيز مصطفى الذى كانت تؤيده منظمة حدتو. كما قمنا بالدعاية لبرنامجنا خلال المعركة الانتخابية، ومعاونة بعض المرشحين الذين اتفقوا معنا جزئيا أو كليًا مثل دائرة جزيره بدران ومرشحها دكتور فائق فريد، ودائره مسرة ومرشحها أحمد شفيق أبو عوف، ودائرة مصر الجديدة ومرشحها أحمد شهيب، ودائره الجيزة ومرشحها أبو الفضل الجيزاوى ودائرة أبو تيج ومرشحها عبد الخالق عمرو.. وغيرها.

•• الموقف من الأحلاف العسكرية :

- بالطبع عارضت المنظمة بقوة مشروعات الأحلاف العسكرية (ايزنهاور - الهلال الخصيب- حلف الشرق الأوسط) ولنقطة الرابعة.

•• الموقف من تمصير الشركات والبنوك الأجنبية :

– لقد وافقنا على تمصير الشركات والبنوك الأجنبية وكذلك على قرارات التأميم. وفى عام ١٩٥٩ أوضحنا أن ما تم هو نوع من رأسمالية الدولة الاحتكارية.

•• الموقف من وحدة مصر وسوريا :

– لقد أيدنا وحدة مصر وسوريا، لكن طالبنا بأن تكون وحدة ديمقراطية مع مراعاة الظروف الموضوعية والتاريخية لكل بلد. كما عارضنا إنزال القوات الإمبريالية فى الأردن ولبنان. لكننا أيدنا ثورة العراق.

•• الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى :

– كان موقف التنظيم دائمًا متوافقًا مع سياسة الاتحاد السوفيتي الدولية، وعلاقاته بحركات التحرر فى أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

•• أحداث المجر :

وبالنسبة لأحداث المجر كان موقف التنظيم متوافقًا أيضًا مع الاتحاد السوفيتى فى مواجهة أحداث المجر على أساس أنها كانت ثورة مضادة.

•• التعايش السلمى :

– وبالنسبة لسياسة التعايش السلمى، فكنا مع سياسة الاتحاد السوفيتى أيضًا لتجنيب البشرية حربًا ذرية هيدروجنية مدمرة للعالم كله.

•• الاتحاد السوفيتى والبورجوازيات الوطنية :

– أما موقف الاتحاد السوفيتى من البرجوازيات الوطنية فى العالم الثالث، فإن مساندته لها فى مواجهة الاستعمار – كان ولا شك موقفًا سليمًا – لكن كان الخطأ فى تصوره – بشكل عام – بأنها على استعداد لمشاركة أيضًا فى الثورة الاشتراكية.

•• الموقف من التكتلات :

- منذ انضمامي لطليعة العمال في نهاية عام ١٩٥٢، ثم التحول لحزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري ثم الوحدة في حزب ٨ يناير وحتى حل الحزب لم أشارك في أي تكتل، بل كنت معاديًا بكل قوة لكل تكتل وأي خروج على وحدة الحزب.

•• الموقف من حل حزب ٨ يناير :

كانت البداية - حين وضحت لي أفكار المنقسمين في سجن القناطر في عام ١٩٦١ - بإعلانهم بوضوح بأنه في السلطة مجموعة اشتراكية يجب الاتحاد معها وعدم معارضتها.

وعندما انتقلت إلى سجن الواحات في نهاية عام ١٩٦٢، وكان لدى الزملاء أجهزة راديو كانوا يتابعون بها بعض المحطات العالمية مثل موسكو وبراغ، التي غذّت بدورها اتجاهات المنقسمين والقليل من زملاء الحزب عن ما كان يُسمَّى «بالنمو غير الرأسمالي للدول المستقلة حديثًا» والإشادة المبالغ فيها في أحيان كثيرة لقادة هذه الدول.

ومنا بدأ المنقسمون يطرحون علنًا فكرة حل الحزب ودخول الاتحاد الاشتراكي تحت قيادة عبد الناصر الذي يبني الاشتراكية.

ولابد أن أنكر أن قيادة الحزب في هذا التوقيت في سجن الواحات، بأنها كانت تُعارض وتهاجم هذه الأفكار وأيضًا فكرة حل الحزب.

وبعد فترة من الإفراج عنا في مايو ١٩٦٤ بدأت أيضًا تظهر فكرة حل الحزب، ثم كان قرار حل الحزب في عام ١٩٦٥.

إنني لم أكن مقتنعًا بحل الحزب على أساس سياسي، ولكني كنت من الموافقين على حل الحزب، لأنه في هذا التوقيت لم يعد هناك فعلاً حزب، بل أفرادًا تتنازعهم أفكار متعارضة، وكل كوادر الحزب أصبحت معروفة تمامًا للمباحث العامة وأجهزة الأمن، ولا يوجد شئ سرى على الإطلاق.

ولا يجرؤ أحد - مدرك لحقيقة الوضع والظروف مهما كانت رغبته وإيمانه بضرورة وجود

الحزب وعدم حله - لا يجرؤ على تحمل مسئولية القيادة فى هذه الفترة وفى ظل هذه الأوضاع، لأنه لن يتمكن من تحقيق شئ سوى الزج بكل الشرفاء المعارضين لحل الحزب فى السجون دون تحقيق أي شئ طيب لصالح الشعب المصرى ولقضية الشيوعية.

وقد ذهبت إلى منطقة المنيا مكلفاً من قيادة الحزب لإبلاغهم بقرار الحل، ولم أجد معارضة من أحد.

كما أنى شاركت فى أحد اجتماعات منطقة القاهرة، حيث تولى الزميل إسماعيل صبرى عبد الله مسئولية الإبلاغ والدفاع عن قرار الحل، ولا أذكر الحاضرين، ولكنى أذكر أن الزميل المرحوم رجائى طنطاوى عارض بقوة حل الحزب.

•• أسباب أزمة الحركة الشيوعية قبل عام ١٩٦٥ والطابع الانقسامى للحركة الشيوعية :

أولاً : الطابع السرى للحركة الشيوعية -الذى منذ البداية - بعد التخلص من حزب عام ١٩٢٣، لقد حرم القانون وجود حزب شيوعى علنى تحت أسباب تم تقنينها.

ونتيجة للسرية ، وصعوبة عقد كونفرانسات ومؤتمرات لإمكانية تغيير سياسة المنظمة وقيادتها، برزت للبعض بأن الحل هو الانقسام.

ثانيًا : كانت القيادات الأولى لكل التنظيمات - تقريبًا - من الأجانب واليهود - رغم أن غالبيتهم كانوا شرفاء ومخلصين، وقدموا تضحيات كبيرة فى النضال من أجل الشيوعية - إلا أنه كان من السهل التشكيك فيهم والخروج بانقسامات.

ثالثًا : عدم الارتباط بقاعدة عمالية كبيرة، وعدم النجاح فى وجود قاعدة فلاحية وبالتالى عدم جماهيرية هذه المنظمات مما سهل انقسامها.

رابعًا : كانت غالبية هذه القيدات من المثقفين التى تجيد التنظير لأتفه الأسباب، بالإضافة إلى نعراتهم الفردية الشديدة.

خامسًا : الملاحقة المستمرة لكوادر هذه التنظيمات من الأمن، وبالتالى عدم التواصل بين

الجماهير والعزلة فى السجون والمعتقلات، مما أدى إلى وجهات نظر سياسية بعيدة عن الواقع، عمقت الخلافات فى الرأى - وساعدت على تحقيق الانقسام.

سادسًا : إن مصر هى قلب وقيادة البلاد العربية، بالإضافة إلى تأثيرها على البلاد الاسلامية، فضلاً عن البلاد الأفريقية والأسيوية ودول أمريكا اللاتينية.. وليس أدل على ذلك ما تم من تأثير واضح لثورة يوليو فى نشاط القوى الوطنية فى هذه البلدان، وبالتالى كان من الطبيعى أن تتحالف قوى الإمبريالية مع قوى الرجعية الداخلية فكريًا ودعائيًا وامنيًا لعدم قيام حزب شيوعى قوى فى مصر.

سابعًا : ولأهمية بلادنا مصر، فإن تحقيق الاشتراكية فيها يتطلب كفاحًا طويلاً ممتداً تحت قيادة حزب شيوعى قوى، قادر على الوجود والاستمرار فى كل ظروف المد والجزر. وبالتالى كان من الضرورى والمهم جداً ضرورة بناء تنظيم سرى كامل بجانب التنظيم الجماهيرى .. وطبعًا تحت قيادة وحدة. وعدم خلط الزملاء السريين بالزملاء العلنيين.

لقد تصور البعض أن الاشتراكية أصبحت قريبة المنال، وتحرك السرى والجماهيرى متظاهرين بقوة أكثر من حقيقتهم، وكانت النتيجة لحزب ٨ يناير هى كشف كل كوادره حيث تم القبض على أغلبيتهم فى حملتين فقط.

ثامنًا : لقد أهدرت الانقسامات الجهد الكبير فى المجادلات والاتهامات الحقيقية وغير الحقيقية على حساب الاهتمام بدراسة الواقع المصرى والوصول للنظرية المصرية لتحقيق الاشتراكية.

تاسعًا : وظروف السرية المتواصلة وعدم وجود حزب شيوعى واحد، كانت العلاقات بالأحزاب الشيوعية الأخرى تكاد تكون منعدمة، خصوصاً الحزب الشيوعى السوفيتى، وبالتالى لم تكن على علم بما يجرى داخل هذه الأحزاب من وجهات نظر فيما يتعلق بالسياسات الخارجية والمحلية. وكانت نظرتنا داخل الحزب تصل لدرجة تأليه القيادة السوفيتية التى كانت صورتها لدى غالبية الشيوعيين المصريين قيادة معصومة من الخطأ.

لقد كنا فى بعض الأحيان نصل إلى رؤية سياسية سليمة لبعض القضايا، ولكن يتم عدم الاعتداد بها تحت دعوى من بعض القادة فى الحزب بأن القيادة السوفيتية رؤيتها أوسع

وخبرتها أكبر.

كذلك كان الموقف بصورة أقل بالنسبة لآراء بعض الأحزاب الشيوعية، مثل الحزب الإنجليزى والفرنسى والإيطالى والسورى والعراقى - لأمر الذى كان يعطى الانقساميين مادة لتغطية عملهم الانقسامى.

فمثلاً فى قضية الوحدة، فلا يختلف أى شيوعى فى مصر أو فى العالم كله على أهمية وضرورة وجود حزب شيوعى واحد فى مصر. لكن كيف يتم ذلك ....؟ هذه فقط قضية الشيوعيين المصريين، لأنه مع احترامنا لخبرات الأحزاب الشيوعيه العالمية، فإنها لا تعرف كل الظروف والتفاصيل العديدة للوضع فى مصر. وكانت نتيجة وحدة ٨ يناير بالطريقة التى تمت بها - حدث انقسام بعد ٦ شهور فقط من إتمامها. كما كانت من أهم الأسباب لحل الحزب.

•• أكاذيب وافتراءات صابر زايد التى نشرها الدكتور رفعت السعيد:

اتصل بى الزميل نسيم يوسف حيث أفادنى بقراءته لأقوال خطيرة فى حقى على لسان صابر زايد منشورة فى كتاب «تاريخ الحركة الشيوعية المصرية» للدكتور رفعت السعيد. وبالاطلاع على المجلد الخامس من هذا الكتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» بالصفحة رقم ٤٩٣ ما يُسمَّى بشهادة صابر زايد - محضر نقاش ٥ يوليو ١٩٨٣، النصوص التالية:

«وعلى أى حال أنا كنت معزول تماماً عن الجميع ولم أكن أقابل إلا مسئول الاتصال وهو شخص من المجموعه الأخرى هو سامى عجيب»

«وبعد فترة قبض على مسئول الاتصال بى سامى عجيب، وأعتقد أنه عترف على مكانى فى التحقيق».

«والحقيقة أن أوراق التحقيق فى هذه القضية تتضمن أنه اعترف على مكان الجهاز الفنى وعلىَّ»

وحقيقة الأمر أن كل هذه النصوص أكاذيب وافتراءات شديدة القذارة والانحطاط لخدمة

أهداف خلقية للإساءة لفصيل «العمال والفلاحين» بصفة سامى عجيب، أحد كوادره الأساسية.

مما دعانى للكتابة للدكتور رفعت السعيد فى ١٨/١٠/١٩٩٧ بما نصه الآتى :

«قرأت أخيراً كتابكم - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الخامس «هكذا تكلم الشيوعيون» حيث جاء بالصفحة رقم ٤٩٣ ما يُسمّى بشهادة صابر زايد محضر نقاش ٥ يوليو ١٩٨٣. ولما كان ما جاء بهذه الشهادة غير صحيح بالمرة ولا يمت للحقيقة بصلة، فإن ذلك يعتبر قذفاً وتشهيراً بحقى.

لهذا فإنى أطلب منكم ضرورة وسرعة تكذيب وتصحيح هذا الوضع فوراً، وذلك عن طريق النشر العلنى وذلك خلال شهر من تاريخه مع رجاء إخطارى بذلك.

وحرصاً منى - ولعدم فتح معركة معكم فى هذا الشأن إدخاراً للوقت والجهد لخدمة القضايا الوطنية الملحة - فضلت أن تكون رسالتى هذه عن طريق البريد. والسلام عليكم.

سامى عجيب

ثم وصلنى بعد ذلك رد مطول من الدكتور رفعت السعيد مؤرخ ١٩٩٧/١١/١٨ متضمناً ما يلى :

- بأنه لا يتدخل فى الشهادة التى تُقدم له وينشرها كما هى لأنها تعبير عن رؤية أصحابها، وبأنه لم يعرف وسيلة للاتصال بى ليعرف رأيى لينشره مع رأى المرحوم صابر زايد.

- كما يذكر الدكتور رفعت السعيد أن الأستاذ مصطفى طيبه اتهم الدكتور جمال غرسه بالبوليسية، وأنه نشر فى الوقت نفسه التصويب الذى وصله من الدكتور جمال غرسه.

- وأنهى الدكتور رفعت السعيد رسالته طالباً منى أن أوافيه بردى على أقوال صابر زايد لنشرها حين تصدر الطبعة الثانية من كتابه........

وقصة هذا الموضوع تبدأ بعد حملات القبض فى يناير ومارس ١٩٥٩ وفقدان المطبعة الرئيسية، وكان لايزال طرف صابر زايد آلة كاتبة وجهاز رونيو، وبصفتى المسئول المالى للحزب والمشرف على العمل الفنى فى هذا التوقيت (أى بعد يناير ١٩٥٩)، وفى نهاية يوليو

١٩٥٩، تمكنت من الاتصال بصابر زايد (وشخص آخر)، إذ أن صابر زايد كان يقوم بالطباعة ويسلم المطبوعات إلى (الشخص الآخر) الذى بدوره يسلمها لزميل آخر لتوزيعها داخل الحزب، وأصبحت المسئول السياسى عن هذه المجموعة المكونة من صابر زايد، و(الشخص الآخر) وكلاهما حدتوى الأصل.

وهذا يعنى بوضوح أن صابر زايد كان على صله ايضاً بـ(الشخص الآخر)، وليس كما يدعى كذبًا - بأنه لا يقابل أحد سوى سامى عجيب.

ثم تم القبض على صابر زايد وعلىّ ولم يقبض علىٰ (الشخص الآخر)، وبالتحرى مع بعض الزملاء عن (الشخص الآخر) أفادوا بأن هذا الشخص مريب جداً.

كما أنه بعد القبض علىَّ حددت بأنى أقيم مع عائلتى بسكنى بالعجوزة، إلا أننى وجدت رجال المباحث يقودون السيارة إلى المكان الذى كنت أختبئ فيه بالظاهر، مما يؤكد أنى كنت مراقبًا، كما أصبح من المؤكد أن المراقبة وصلتنى ووصلت صابر زايد عن طريق (الشخص الآخر) الذى لم يقبض عليه.

وبعد انتهاء التحقيقات تم ترحيلنا إلى سجن القلعة ثم معتقل الفيوم ثم أوردى ليمان أبو زعبل، وهناك قابل صابر زايد العديد من قادة الانقسام وبعض زملاء حزبنا - إذ كان لايزال عضوًا بالحزب (لكنه انضم إلى المنقسمين فور وصوله سجن القناطر).

وفجأة سرت إشاعة ضخمة داخل الأوردى بأن سامى عجيب اعترف على صابر زايد ومكانه،. وتلقف البعض الخبر مشجعين صابر زايد في ذلك فى حملة مسعورة ضدى وهى بالدرجة الأولى ضد رفاق «العمال والفلاحين» الذين كانوا قد تصدوا فى المحاكم بالأسكندرية بوعى وبسالة دفاعًا عن سياسة الحزب ومفاخرين بشرف عضويتهم للحزب الشيوعى المصرى.

ثم قامت اللجنة المركزية بالأوردى بالتحقيق فى الموضوع وانتهت بأن الأمر كله فقط نتيجة مراقبة المباحث العامة.

ثم تم تقديمنا للمحاكمة فيما سُمى «بقضية يونيو - سبتمبر ١٩٥٩» من الآتى أسماءهم بالترتيب :

١ - صابر زايد أحمد اسماعيل ٢ - سامى عجيب ميخائيل

٣ - إكرام محارب غبريال ٤ - محمد مهران السيد

٥ - مصطفى عبد العزيز أحمد ٦ - نبيه زكى قلدس

٧ - وديع أمين حنا ٨ - حسن السيد حامد أبو الألطاف بدوى

٩ - محمد صبرى عبد العال ١٠ - جمال الدين الشرقاوى

١١ - إدوار ميلاد مصر.

وكانت تجميعة غريبة لزملاء بعضهم لا يعرف الآخر، ولم تكن لبعضهم أى صلة تنظيمية بالآخر، وبالنسبة لى كانت صلتى التنظيمية الوحيدة هى بصابر زايد فقط.

وفى المحاكمة - فإن كل قرارات الاتهام ومرافعة النيابة وشهادة ضباط المباحث العامة لم تُشر من بعيد أو قريب بشأن ما ادعاه - كذبًا - صابر زايد بأن أوراق التحقيق فى القضية تتضمن اعترافى على مكان الجهاز الفنى وطيه.

وعلى ذلك اعتبرت الموضوع أصبح واضحًا ومنتهيًا تمامًا.

إلى أن قام الدكتور رفعت السعيد بنشر هذه الأكاذيب فى كتابه «تاريخ الحركة الشيوعية المصرية» الأمر الذى وجدت فيه من الضرورى أن أحصل بأى شكل على ملف هذه القضية - وطوال سنتين لم أنجح فى ذلك.

وأخيراً فى النصف الثانى من شهر سبتمبر ٢٠٠٠، صدر الجزء السابع من كتاب «محاكمة الشيوعيين المصريين» «قضايا الحزب الشيوعى المصرى من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٢ للأستاذ عادل أمين المحامى متضمنة كامل قضيتنا (قضية يونيو - سبتمبر ١٩٥٩) شاملة كل التحريات والضبط والتفتيش والمطبوعات واستجواب كل زملاء هذه القضية، وليس بها ما ادعاه - كذبًا وجرمًا - صابر زايد.

وأقول للأخ الدكتور رفعت السعيد - ألم يكن واجبك الأول وقد تصديت لكتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية تحري مجرد الدقة العادية فيما تنشر، باطلاعك على أوراق القضية لتتأكد من صحة ما يقول صابر زايد قبل النشر - خصوصًا إذا كان الأمر توجيه الاتهام - بالانهيار والخيانة - لأحد كوادر الحزب القياديين.

وهكذا كانت الانتسابية والحلقية تهدر كل ما هو طيب ومشرف فى تاريخ حزبنا، فبدلاً من الإشادة بالقوة والصلابة فى مواجهة التعذيب الوحشى، لزميل كان على اتصال بأغلبية كوادر الحزب الهاربة وعلى رأسهم سكرتير الحزب ولم تنجح المباحث العامة فى الحصول على أى معلومة منه.

وبدلاً من الإشاده ... كان الاتهام بالانهيار والخيانة.

•• الزملاء الشهداء الذين عرفتهم :

– الزميل الشهيد المهندس رشدى خليل : عندما تم تصعيدى لعضوية قسم الطلبة كان الزميل الشهيد هو مسئول القسم، كان مثالاً للنشاط والصدق والإخلاص – من عائلة قدمت الكثير للكفاح الوطنى الاشتراكى.

كان له أخ طيار استشهد فى حرب فلسطين – والأخ الآخر هو الدكتور فتحى خليل وهو مناضل شيوعى أيضًا قضى عدداً من السنوات فى السجن.

وله أختان كانتا أيضاً مناضلين شيوعيتين أما السيدة الفاضلة والدتهم فكان بيتها مفتوحاً لكل المناضلين الوطنيين والاشتراكيين.

آخر مرة رأيته فيها فى الأوردى وكان فى عنبر ٣ وأنا فى عنبر ٢ وكنا عائدين من الجبل – رأيته يسير حانى الظهر شاكيًا من آلام ضخمة فى ظهره.

بعد ذلك ارتفعت درجة حرارته، وعلمت بعد ذلك بأن إدارة الأوردى نقلته فى عربه نقل ورمته على سلالم المستشفى بعد رفض المستشفى استقباله لأنه كان قد فارق الحياة.

– الزميل الشهيد لويس اسحق : كان زميلاً بسيطًا واضحاً خجولاً صريحاً، قابلته أول مرة فى «مؤتمر العمال والفلاحين» وبعد ذلك كأعضاء فى اللجنة المركزية «للعمال والفلاحين». كان هادئ الطباع يفكر كثيراً قبل أن يتحدث المختصر المفيد. وفى أثناء المعركة المفتعلة بيننا وبين حرس السجن أطلقوا النار علينا وأصيب الرفيق لويس ونقلناه إلى داخل العنبر، ورفضنا فى البداية تسليمه لإدارة السجن لنقله للمستشفى، لكن بعد تأكدنا بأن حالته متأخره ولا يوجد أى

نوع من العلاج فى هذا السجن، وافقنا على نقله للمستشفى وبعدها بيوم واحد علمنا بوفاته، ولا ندرى بالضبط ما حدث هناك.

- **الشهداء** : الدكتور وديع فريد حداد، وشهدى عطية الشافعى.

للأسف كانت علاقتى بهما سريعة لا تعطينى الحق فى التحدث عن هذين المناضلين الكبيرين، غير ما سمعته عنهم من إخلاص شديد ونضالية عالية وتضحيات ضخمة على طريق الشيوعية.

ولهذا يجب توثيق دور هؤلاء الشهداء، وكذلك بعض الرفاق الذين فارقوا الحياة مثل الزملاء، عبد المنعم شتله، لسيد فتحى سالم، عدلى جرجس، سعد رحمى، محمد بدر، فؤاد عبد المنعم، عوض الباز، محمود العسكرى (الحقيقة لا يمكنى حصر كل هؤلاء المناضلين الذين أدوا أدواراً مهمة، وتضحيات كبيرة فى سبيل قضية الشيوعية، بعضهم فارق الحياة خارج مصر مثل ريمون دويك، وأحمد صادق سعد).

شهادة

سعد جويدة

الاســــــم : سعد محمد جويدة

المــهــنــة : عامل

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية :

المــؤهــلات : حصلت على الشهادة الابتدائية القديمة.

ثقفت نفسي بقراءات كثيرة في كل الموضوعات (أدبية وغير أدبية).

أبى عربى من قبيلة السناجرة أولاد علي بالصحراء الغربية، وأمي مصرية. كان أبى يعمل فى شبابه فى الحرس الخاص لبرنس عمر طوسون، ثم عمل بنّاء منازل. كان يحصل على يومية قدرها جنيهاً كاملاً، عندما كان الجنيه الورق أحسن من الجنيه الذهب. أيام كنا نذهب إلى البقال ونقول: بتلاتة مليم سكر، واتنين مليم شاى، ونأخذ حتى حلاوة فوق البيعة.

كان أبى مرتاح الحال، وكنا نسكن فى باب سدره فى شقة من حجرتين وصالة. أبى وأمى وثلاثة أشقاء صبيان كنت أكبرهم. وكان لى ثلاثة أخوات كن متزوجات أيضاً.

كانت أمى مريضة نفسياً بسبب أزمة عائلية. ولذا لم أعرف حنان الأم مثل كل الناس لأنها كانت لا تعى شيئاً. دخلت أمى مستشفى الأمراض العصبية بالقاهرة، وكان على أبى رعايتنا ورعاية أمنا. كان عمرى خمس سنوات. أدخلونا الملاجىء، وكان الدخول بالواسطة حيث إن أبى وأمى كانا موجودين. أدخلتنا خالتى بواسطة أقاربها الأغنياء. دخلت أنا الملجأ العباسى التابع للجمعية الخيرية بالشاطبى. ودخل أخى أحمد ملجأ البلدية بكوم الشقافة ودخل عمر ملجأ فى محرم بك.

دخلت الملجأ فى سن الخامسة وبقيت به حتى سن الخامسة عشرة. كنت أشقى تلاميذ الملجأ الذين يبلغون ٣٠٠ تلميذاً، فعيننى ناظر المدرسة باشويش ومعى شاويش وأنباشى بروجى. فحكمت المدرسة حكماً عسكرياً. كان عليّ إيقاظ التلاميذ فى السادسة صباحاً يفطرون ثم فصول التعليم ثم الغذاء ثم الورش.

كان الملجأ لا يطعمنا مجاناً. كانت هناك ورشة السجاد، بها أفخر أنواع السجاد، وورشة لخياطة الملابس وورشة الفرش. وكان كل ذلك يباع بأغلى الأسعار. وكانت هنالك فرقة موسيقية

تؤجر فى أفراح الأغنياء وجنازاتهم. وكنت أنا عضواً فيها على آلة الباص التى كنت أجيد العزف عليها، وأفرح يوم أن يكون هنالك فرح أو جنازة للأغنياء. إذ كانوا يوزعون علينا النقود والهدايا. وكنا نخرج كل سنة فى طابور عرض فى شوارع الأسكندرية، ووراءنا تلاميذ جميع مدارس الأسكندرية. وكان منظرنا يفرح الناس، لأننا كنا صغار السن ونجيد العزف مثل فرق البوليس والجيش.

الخلاصة أننى تربيت فى الملجأ فى يسر وراحة فى الوقت الذى كان فيه حال الناس من طبقتى، فى الثلاثينيات من القرن العشرين، حالاً سيئاً. الأزمة الاقتصادية كانت تطحن الناس، الذين يعانون المشقة والعذاب فى سبيل لقمة العيش. كنت أنا فى مثل هذه الظروف آكل كل يوم لحماً وأرز وسمك وخضار مطبوخ. آكل ثلاث وجبات جيدة.

مات أبى. وجاء أولاد عمى العرب وأخرجونى من الملجأ على غير رغبتى وأنا فى الخامسة عشر من عمرى، واستقر بى الأمر عند أختى وكانت متزوجة من ابن عمتها الذى كان يعمل سائقاً عند أحد الباشاوات. فأخذنى وأدخلنى سبورتنج كلوب كى أقوم بجمع كور التنس. كنت أكره هذا العمل وأحتقر نفسى، لأن عملى هو جمع كرر اللاعبين الأجانب الإنجليز والمصريين. وكان الملجأ سيعيننى ضابط ألعاب حين أبلغ ستة عشر عاماً.

كان أجرى، فى النادى، جنيهاً شهرياً، وكنت أكسب كل يوم ٢ جنيه من الإنجليز الذين كنت أكرههم، وكانت أختى تأخذ منى كل ما أكسبه. ظللت فى هذا العمل مدة سنة، ذهبت للعمل فى مصنع سباهى بسبعة قروش فى اليوم والعمل من السابعة صباحاً إلى السابعة مساء. كان الشباب العاطل يقف بالمئات أمام باب المصنع، والأيدى العاملة رخيصة للغاية. كرهت نفسى أكثر إذ بعد كسبى ٢ جنيه فى اليوم فى الهواء الطلق والخضرة والزرع أصبحت أعمل ١٢ ساعة بسبعة قروش. بعد ستة شهور مرت كالجحيم. كرهت أختى التى أخرجتنى من الملجأ وذهبت عند أختى الثانية، وكان زوجها تاجر فحومات، مستور الحال، فأخذنى إلى ورشة خراطة لأتعلم، كنت أود أن أكون أحسن مستوى من عامل الغزل المطحون. تعلمت البرادة خلال ثلاثة شهور، وذهبت للعمل فى الجيش الإنجليزى فى الدخيلة فى الصحراء. عُينت براد سلاح طفشجى بخمسين قرشاً فى اليوم.

لم أكن في تلك الايام أعرف شيئاً عن السياسة، لكنني كنت أكره الإنجليز لأنهم يحتلون أرضي. عملت عند الإنجليز أثناء الحرب العالمية الثانية، وكنت في حدود ١٨ عاماً، كنت أميل للألمان، وأنا لا أعرف شيئاً عن الفاشية والديكتاتورية إلى أن انتهت الحرب وأصبحت مرة ثانية في الشارع بلا عمل.

عملت في ورشة ترام الأسكندرية بـ ٤٠ قرشاً في اليوم مدة سنتين. ثم عملت بشركة الغزل الأهلية بكرموز كعامل صيانة. وكنت حينذاك في العشرين من عمري.

كنت أقرأ كثيراً، لا أترك مجلة أو كتاب أو قصة إلا وقرأتها. عرفت في تلك الأيام طه حسين ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد الرحمن الرافعي.

كنت أميل لحزب الوفد لأنني كنت أكره بطبعي الأحزاب الطبقية المتواطئة مع الإنجليز. وكنت أرى في الوفد حزب الطبقات الشعبية، وكنت أحب النحاس باشا وأؤيده في كل صراعاته مع الملك. كنت أكره كل من يؤيد حزب السعديين أو الأحرار الدستوريين لأنهم عملاء الإنجليز. ولم أكن حينذاك أعرف شيئاً عن الماركسية، لم أكن مُنظَّماً عام ١٩٤٦، كنت من المتعاطفين مع حزب الوفد. وقد اشتركت في ثورة ٤٦ أيام إضراب البوليس. وقد عمل عمال شركة الغزل الأهلية إضراباً عن العمل للمطالبة بثماني ساعات عمل بدلاً من ١٢ ساعة عمل. كنت وسط الجماهير الثائرة وقد أطلق عليَّ الرصاص من قوات الجيش.

•• كيف تعرفت على الفكر الماركسي :

عندما كنت أعمل في شركة الغزل الأهلية، لم أكن راضياً عن حالتي الاجتماعية. كنت ثائراً في داخلي ثورة كبيرة.

يوم أن دخلت المصنع وجدت على ماكينة النسيج منشوراً. فظللت أبحث بكل قوة عن من فعل ذلك، حتى وفقت وعرفت أحد الزملاء لا أذكر اسمه، فأخذني إلى منزل به سيدة تعمل خياطة. وكانت من أشد الناس ثورية وفهماً وثقافة. وأنا لا أذكر اسمها الآن، لكنني سمعت أنها كانت تعمل بشركة الغزل الأهلية، ثم تزوجت أحد الرفاق وكان اسمه على ما أتذكر عبد

المنعم ابراهيم وكان ثوريًا مثلها. وكان هذا الزميل يعطيني الكثير من الكتب الماركسية مما زاد وعيي الطبقي. وظللت أجتمع بهذا الرفيق إلى أن جاء زملاء آخرون. وقد قرأت في تلك الأيام المادية الجدلية لستالين والبيان الشيوعي لكارل ماركس وفردريك إنجلز.

كان التنظيم الذي ارتبطت به هو الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني. والتي كانت تُسمّى اختصاراً "حدتو". وكانت حدتو حركة ماركسية تعتمد على حركة الفلاحين أكثر مما تعتمد على الحركة العمالية.

•• المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م) :

كنت يومًا جالسًا على مقهى، فجاءني أحد الزملاء الذين كنت أعرفهم في حدتو، وقال لي نحن تنظيم جديد نعتمد على الحركة العمالية لأنها أكبر تنظيمًا من الفلاحين وأشد ثورية. ولما كنت عاملاً فإنني سرعان ما انضممت إلى المنظمة الشيوعية المصرية "م.ش.م" لأنها أكثر ثورية وأكثر يسارية. كانت هذه المنظمة انقساماً على حدتو. كنت في حدتو عضواً صغيراً غير مسئول لا أعرف شيئًا عن المؤتمرات أو المستويات التي هي أعلى من مستواي. غير أنني أسجل هنا أن "م.ش.م." كانت أكثر نشاطًا وتحركًا في أوساط الطبقة العاملة. وقد ارتفع مستواي من لجنة مصنع إلى لجنة مدينة بسبب كثرة القبض على عناصر "م.ش.م." كان التنظيم في حاجة ماسة لي وكان نشاطي النضالي أكثر من نشاطي في حدتو.

التقيت عناصر كثيرة مثقفة كان أحدهم اسمه الحركي جبراني، وقد أعطاني هذا الزميل من الكتب والعلم الكثير. وأخذني إلى القاهرة وسلمني لزميلة مصرية سلمتني في ذات اليوم إلى ثلاثة عمال، نمت معهم. وكانت الزميلة قد طلبت مني أن أذهب في العاشرة من صباح اليوم الثاني إلى ميدان وصفته لي وأمسك جريدة في يدي اليسرى وأضع منديلاً في جيب الجاكيت، ليجيء لي زميل ليسألني عن الساعة فأقول الحادية عشرة. وجاءني بالفعل الزميل ومعه عربة، وكان اسمه المستكاوي أخذني إلى مستشفى القصر العيني وسلمني إلى أحد الأطباء الذي ترك لي الحجرة وأتى لي بالطعام. وفي الصباح أخذوني إلى طبيب الأمراض العصبية حيث بقيت ١٥ يوماً بالمستشفى ولما عرف الطبيب أنني من الأسكندرية قال لي يمكن

معالجتى هناك. فجاءنى المستكاوى وأخذنى إلى المحطة وسافرت إلى الأسكندرية.

كنت قد مرضت باسل. عدوى من أخى فطردتنى شركة الغزل الأهلية فكانت النقابة تعطينى معونة قدرها ٢ جنيه شهريًا، فأعطانى تنظيم م.ش.م أربعة جنيهات، فأصبح دخلى ستة جنيهات، كنت أسكن منها فى مسكن مكون من حجرتين بستين قرشاً.

فى أوائل ١٩٤٩ أعطانى التنظيم مكتبة ضخمة من الكتب العربية والأجنبية كى احتفظ بها عندى، كانت الحالة السياسية شديدة التوتر، بعد مقتل محمود فهمى النقراشى من الإخوان المسلمين، وكان إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء يحاصر الأحياء حياً حياً بحثًا عن الإخوان المسلمين، ولا مانع طبعاً من القبض على العناصر الماركسية فهى عنده وعند الطبقة أخطر وأشد نضالاً من الإخوان. كنت أسكن فى بولكلى وكانت المكتبة عندى، أعطتها لى مسئولة التنظيم وكانت فتاة أجنبية لا أتذكر الآن اسمها الحقيقى أو الحركى. فلما طلبتها منى، كنت قد تصرفت تصرفًا خاطئاً للغاية، إذ أخذت المكتبة ووضعتها عند أحد الزملاء فى محرم بك، بدون إذن تنظيمى من المسئولة، فقالت لى لابد من إحضارها من عند هذا الشخص لأنه مشبوه. فطلبتها من الزميل المشبوه فقال لى إنها فى بيت أخته، فلما ذهبنا إلى البيت لم تكن المكتبة هنالك، وأتى بها من منزل آخر. فشككت فيه أكثر. وكانت الكتب موضوعة فى صناديق أحذية. فركبت الترام من محطة مصر والكتب موضوعة على أرض الترام فى آخر العربة الأولى. فلما ركبت ركب معى فقلت له اركب ترام آخر، فأصر على الركوب معى لأنه سوف ينزل فى المنشية. لكننى أنزلته على قمة شارع فؤاد.

كان الترام يسير على قضيب واحد والترام الآخر ينتظر مروره. كنت أقف بجوار الكتب وتحت إبطى كيس به أوراق هامة للتنظيم، عندما صعد عسكرى بوليس أنيق وله شارب وأخذ من تحت إبطى الأوراق وسد علىّ الطريق. فابتسمت له، فاطمئن وترك لى باب الترام، وكان الترام يسير ببطء شديد، فقفزت منه فى سرعة عند قمة شارع السلطان حسين؟ وأخذت. كنت ألبس بلوفر بنى وبنطلون رمادى. غيرت وأنا أجرى شكلى بأن قلعت البلوفر. وظللت أجرى حتى وصلت جامع إبراهيم فى محطة الرمل. فأخذت تاكسى إلى سبورتنج حيث كانت الزميلة تنتظرنى فى مقهى، لكننى نزلت فى زقاق قبله ثم ذهبت إلى الزميلة وأخبرتها بما جرى،

كنت فى ذلك الوقت مريضاً بالسل كما سبق وقلت، فأعطتنى الزميلة عشرة جنيهات وقالت لى أعط الدكتور خمسة جنيهات، وأدخل المستشفى للعلاج واختفي مدة شهر على الأقل.

فى يوم من الأيام سألتنى الزميلة الأجنبية إن كنت أعرف كتابة منشور سياسى للعمال. فقلت لها : نعم. كتبت المنشور ووافقت هى عليه وقالت لى أطبع منه نسخًا كثيرة، وأعطتنى عشرة جنيهات فاشتريت رزمة ورق أبيض وكربون وعلبه بالوظة وجاءنى يومها زميل يدعى كريم زكى الخرادلى. كان عندى مرآة داخل برواز أخذتها وعملت منها مطبعة بالقطعة. عملت حاجزاً من الورق للمرآة، أحضرت البالوظة بعد تسخينها ثم وضعت الكربون عليها. وأخذت أطبع حتى طبعت الرزمة كلها. وأعطيت المنشورات إلى كريم زكى الخرادلى.

•• القبض عليَّ :

كانت الزميلة قد حذرتنى من النزول من المنزل مدة شهر، لكننى بعد أن طبعت المنشورات ذهبت إلى المستشفى، لأننى كنت آخذ حقنة كل أسبوع اسمها إبرة استرداح، وهى تؤخذ فى الصدر بواسطة الطبيب. كان فى المستشفى زميل مريض بالسل وكان مطلوباً منى أن أعطيه نسخة من المنشور. فى اليوم التالى ذهبت إلى القهوة. كان لدى فى شقتى مجموعة كبيرة من الكتب للمرة الثانية وعلبة البالوظة. بعد ربع ساعة حضر زميل من أيام الدراسة وكان يعمل معى بشركة الغزل الأهلية فطلبت له فنجاناً من الشاى. غير أنه قبل أن يشربه فوجئنا بأربعة ضباط طوال وضخام هم ممدوح سالم، والسيد فهمى، وسمير درويش وسعد لعل يخطفوننى أنا وصديقى من على المقهى إلى سيارتهم التى كانت تقف على بعد مائة متر، إلى قصر البوليس السياسى بالمحافظة القديمة. كان الذى أرشد عنى هو ذلك الزميل الذى أعطيته المنشور فى المستشفى. كان هو الوحيد الذى يعرف مكان أختى فى كوم الشقافة وكنت قد أريته فى منزل أخى الذى يوجد بجوار منزل أختى وقت أن كان هارباً من البوليس، ويعرف مكان القهوة التى أجلس عليها فى باب سدره . كان قد باع نفسه للبوليس. ولم يكن أحد غيره يعرف كل هذه الأماكن.

فى المحافظة فتشونى، وجدوا معى نوتة كنت أدون بها بعض الذكريات، وعرفوا من أسلوبى أننى ماركسى.

أردت أن أخرج هذا الصديق من القضية، لأنه لا ذنب له ولا يعرف شيئاً عن نشاطي السياسي. سألني سمير درويش عن علاقة هذا الشاب ولماذا يجلس معه على المقهى فقلت إنه مجرد صديق. سألني أين أسكن فقلت له إنني أسكن في بولكلي عند أختي. فقالوا ساكن في الرمل وتجلس على مقهى في باب سدره، فقلت من باب السخرية "علشان هنا فيه بنات حلوين" فكان نصيبي الضرب بالشلاليت والصفع من ممدوح سالم. غير أن سمير درويش قال: سيبوه : دا مريض بالسل. ثم سألني بعد أن اطلع على ورقة في الدرج عن أختي فذهلت أنهم يعرفون كل شيء، وأخذت أبحث في ذاكرتي عمن يعرف من الزملاء منزل أختي. وكان هو ذلك الزميل المريض بالسل، هو الذي يعرف هذا المكان.

أخذوني إلى منزل صديقي المقبوض عليه معي، ولم أكن أعرفه ثم طلعوا وظللت أنا بالعربة. ثم توجهوا إلى بيت أختي في كوم الشقافة وتركوني بالعربة ثم عادوا بعد ربع ساعة ومعهم أحد أقرباء زوج أختي، وكان يعرف سكني الذي به المطبعة والكتب وابنة أختي التي كانت تنظف المكان في ذلك اليوم. أخذوني إلى مسكني بعد استخراج أمر تفتيش، وعندما وصلت وجدت الباب مغلقاً ففرحت جداً، لأن المكان قد أصبح نظيفاً. قالوا افتح الباب فرفضت. فضرب سعد عقل الباب بحذائه فانفتح ووجدت الحجرتين نظيفتين والسرير مفروش ولا توجد كتب أو ورق أو بالوظة والمرآة معلقة على الحائط. فأخذوا يسبون أهلي. وأخذ المخبرون يمزقون المراتب والمخدات، وفجأة أمسك سعد عقل المرآة التي على الحائط ففرحوا جداً وقال لهم: خلاص هيا بنا.

تحملت مسئولية القضية كاملة. ودخلت سجن الحضرة الرهيب. لم أكن قد دخلت قسم بوليس قبل ذلك . وضعت في السجن في عنبر ١٠ الذي كان مملوءاً بالإخوان المسلمين وحدتو وم. ش. م. كانت م. ش. م. تسكن في غرف مستقلة، وكانوا أقل كثيراً من حدتو. كلما سألت عن ذلك قيل لي إن حدتو خونة وبوليس فلم أقتنع، كنت في طابور الشمس أترك م. ش. م وأذهب إلى حدتو، وكان فيها كمال عبد الحليم وجان لبيرفيتش، الذي كان أخوه في م. ش. م ولا يكلمه أبداً. وكان ذلك أول صدام لي مع م. ش. م لم أقتنع أن كمال عبد الحليم مسجون خمس سنوات وبوليس وخائن.

•• تجربتي في السجن :

دخلت السجن وأنا مريض بالسل. كنت أعالج من قبل في المستشفى الأميري. كان هنالك عداء شديد من م. ش. م لحدتو، ولم أكن مقتنعاً بذلك. طلبت من قيادي م. ش. م داخل السجن كريم الخرادلي، كما بدا لي، مساعدتي للخروج من السجن كي أعالج في المستشفى. كانوا يضربون عن الطعام كثيراً لمطالب مثل إنارة الزنازين بلمبات كهربائية، وأن تحسن الإدارة من أكل السجن. لكن رد التنظيم كان أنني ممكن أن أموت شهيد الحركة الماركسية. لن نساعدك في موضوع شخصي. كان هذا ردهم. وكنت كلما نزلت إلى طبيب السجن يصرف لي مزيج صدري ويقول لي : "نظر"، ولما فاض بي الكيل ووجدتني أموت في الزنزانة فعلاً فوق أرضيتها الأسفلتية والبورش والبطانية الواحدة، وأكل العدس والفول بسوسه الضخم في حجم الصرصار، وأن التنظيم لا يريد مساعدتي بالتحدث إلى الإدارة أو طبيب السجن، قررت أن أستقيل من م. ش. م وكنت قد نقلت من عنبر ٦ بعيداً عن الشيوعيين، وأرسلت لهم الاستقالة مع سجين عادي. وكان نصها كالتالي :

"حضرات أعضاء م. ش. م بعد تفكير طويل عريض وتمحيص ووعي وإدراك وطول أناة وروية، قررت أن استقيل من م. ش. م لأنني كما تعلمون مريض، وهذا المرض يجعلني ضعيف الإرادة، فما بالكم وأنتم تريدون عناصر من صلب وفولاذ، وأنا قلبي من صفيح. فإن أحياني الله فلعله تكون عندي صلابة المكافحين أمثالكم. وحضرة المحترم الكريم كريم يقول وصراخ عال، إنه ليس مهماً أن أتعالج وأنا أقول لحضرة المحترم الكريم كريم: إن الماركسية إنسانية وليست حيوانية لكنني سأظل ما حييت أؤمن بمبادىء م. ش. م.

لكنني عدت إلى عنبر ١٠ مع م. ش. م فقالوا عيب تستقيل وأعطوني ورقة وقلم وقالوا لي انقد ذاتك. كنت أعيش في زنزانة انفرادية لمرضي، فلما جلست ساعة القيلولة أنقد ذاتي، فوجدت أنني قد تصرفت تصرفات فردية كثيرة، وعصيت الأوامر، وكنت أسير في طابور الشمس مع حدتو وليس مع م. ش. م، لكنني وجدت أيضاً أن حركة م. ش. م. قد تصرفت معي تصرفات خاطئة كثيرة، بأن رفضت التعاون معي في الصراع ضد إدارة السجن والطبيب.

فوجئت أثناء كتابتى النقد الذاتى بدخول شاويش العنبر. لم أحس به وأخذ الورقة والقلم. وتلك كانت ممنوعات. ثم أخذتنى إدارة السجن إلى عنبر التأديب وأعوذ بالله من عنبر التأديب كان عبارة عن حجرة ضيقة، عالية جداً، بلا شبابيك. فى أول يوم فى زنزانة التأديب فقدت الوعى وتورم جسدى. فأخذت أدق على باب الزنزانة إلى أن جاءنى الشاويش. فقلت له بلغ الإدارة أن لدى أقوالاً أريد أن أقولها، وسرعان ما أخذونى إلى حجرة مساعد المأمور. ففتح محضر تحقيق فقلت له لدى، أولاً أقوال أود الإدلاء بها. فقال : قل. قلت: إننى أتهم إدارة السجن بالتآمر على قتلى داخل التأديب لأننى مريض بالسل وليس مكانى السجن أو التأديب. فى صباح اليوم التالى جاءنى مساعد المأمور ومعه طبيب السجن، وكان رجلاً لا ينتمى إلى الإنسانية فى شىء. كان وحشاً، فلما رآنى قال: مالك؟ قلت : عيان. قال لى: طلع لسانك. أنت بتستعبط قلت : أنا عيان بالسل ويلزمنى عمل أشعة صدرية، وعمل تحليل بصاق. قال لى: أنا الدكتور. ثم أخذ الورق من المأمور ووقع عليه بأنه مسئول عنى. ثم أخذونى ثانية للتأديب. أى أن الإدارة لم تعد مسئولة والمسئول هو الطبيب، وكان اسمه صالح شكرى، يعمل عند الملك فى جبال الأوردى التى كانت مكان المحمورة الآن. وكان الملك يهدم هذه الجبال بالمساجين. وكان هذا الطبيب يضع شاطىء المسجونين المرضى فى مكان اسمه الحمامات وقد كُبلوا بجنازير الحديد، والحمام مملوء بالمياه، فيمكث فيه المسجون مدة يومين ثم يصاب بالتهاب رئوى حاد. وكنت أرى هؤلاء المساجين فى عنبر ستة. وجدت أن هذا الطبيب يريد قتلى من التأديب. فقلت للشاويش عندى أقوال أود أن أقولها. وعندما ذهبت إلى نائب المأمور طلبت ورقة وقلماً لتسجيل أقوالى. كتبت:

"حضرات أصحاب العزة والسعادة هناك مسجون يقتل مهما كان أصله عاليا أو واطياً. فلابد أن تفعلوا شيئاً. لقد تآمر الدكتور صالح شكرى مع إدارة السجن على قتلى فى التأديب. إن مكانى ليس التأديب أو السجن، ولكن المستشفى. لقد اخترع الدكتور صالح شكرى من وسائل القتل والإبادة بالجملة ما يفوق أفران النازى وبنادق الفاشست. لقد تجرد من جميع صفات الإنسانية وأصبح كالوحش، أظافره فى أجساد ضحاياه».

ثم طلبت خروجى من التأديب وعلاجى بالمستشفى. هذا الكلام فردى وذاتى، ولكن ماذا يفعل مريض بالسل تخلى عنه التنظيم؟

طلبت النيابة التحقيق فى الورقة التى ضبطت معى فى السجن. أى أنهم عملوا لى قضية ثانية. ذهبت إلى وكيل النيابة وكان معى ضابط حارس يقف ورائى وأنا جالس على كرسى. سألنى وكيل النيابة عن الورقة، ماذا كنت أكتب فيها ولمن كنت أكتبه؟ فلما بدأت الكلام، قال لى: انتظر، ثم بدأ يملى الكاتب. فقلت لوكيل النيابة : بلاش تزوير. فبهت وفوجئ وقال الضابط لى: كيف تقول لوكيل النيابة بلاش تزوير، فقلت لوكيل النيابة : لو سمحت اخرج هذا الضابط بره فقال له : لو سمحت أخرج ثم قال لى: كيف تقول لى بلاش تزوير. قلت، أريد تسجيل كل كلمة أقولها وبنفس اللهجة، وأنت تقول للكاتب كلامى. بعد ذلك بعدة أيام جاءنى فى السجن وقال لى : يا سعد انت مريض بالسل فعلاً، وقد أرسلنا أوراقك إلى مدير مستشفى الصدر بكوم الشقافة غير أنه رفض علاج المساجين لما سيسببه ذلك من متاعب له .. قال لى ذلك، لكنه أرسل أوراقى إلى وزير الصحة، فوافق الوزير على علاجى بكوم الشقافة رغم أنف المدير.

وحتى الآن لا أعرف لماذا ساعدنى وكيل النيابة كل هذه المساعدة رغم أنى أسأت إليه وقلت له بلاش تزوير.

بعد ستة شهور من وجودى بمستشفى الصدر، طلبت للمحاكمة. كنت فى غرفة المداولة أنا والحارس. ووكيل النيابة وثلاثة مستشارين والمحامى الذى انتدبته المحكمة. لم يكن لى محام، ولم يطلب التنظيم محام للدفاع عنى. بدأ المحامى بقوله: هذا الإنسان البائس الفقير. فرفعت يدى أطلب إعفاءه وأن أدافع أنا عن نفسى. قلت:

"هذه المحاكمة محاكمة باطلة. فأنتم تحاكموننى على أساس قانون صدقى باشا عام ٣٦، وهذا القانون باطل أيضاً. لأن صدقى باشا قد دعا البرلمان على وجه الاستعجال للموافقة على هذا القانون، ولم يكن هناك وجه للاستعجال فوافق عليه مجلس النواب ولم يوافق عليه مجلس الشيوخ. ثم أن دستور سنة ١٩٢٣ يقول فى المادة ١٢ منه بأن حرية الاعتقاد مطلقة. والمادة ١٤ تقول إن لكل إنسان الحق فى الإعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو التصوير. هكذا إذن تكون هذه المحاكمة محاكمة باطلة: قالوا : هل هناك شئ آخر لديك. قلت: كلا. قالوا: الحكم بعد المداولة. وبعد المداولة قال القاضى: حكمت المحكمة على سعد محمد جويدة بالسجن ثلاث سنوات والمراقبة ثلاث سنوات و ٢٠٠ جنيه غرامة مع استعمال الرأفة.

أخذنى البوليس من المستشفى إلى السجن. كنت قد أمضيت سنتين تحت التحقيق، وقضيت فى السجن سنة تحت إشراف الدكتور صالح شكرى، لكننى كنت أعيش عيشة أفضل من عيشتى فى الخارج. كان الأكل بيض ولبن وحلاوة طحينية هذا فى الصباح. أما الغداء فكان ربع أقة كبده وفروانة عدس ممتاز. وفى المساء فروانة خضار اللحم مع الفاكهة. كل ذلك كان يصرف لى يوميًا تحت إشراف الدكتور صالح شكرى الذى لم يكن يتكرم علىَّ فى الماضى بغير مزيج صدرى.

•• الوضع بعد الإفراج :

خرجت من السجن فى أوائل ١٩٥٢ لم يكن لى اتصالات بالحركة الشيوعية المصرية ولا بتنظيم م.ش.م. كان على أن أبحث عن قوت يومى، ولم يكن لى اهتمامات ولا لدى وقت لمعرفة ما يجرى على الساحة عن الحركة الشيوعية.

•• مواقف المحترفين :

دور المحترفين مهم جداً لأى تنظيم ثورى، فبدون المحترف الثورى لن يقوم نشاط لتنظيم وأنا أكن لهم احتراماً كبيراً.

•• اليهود :

موقفى من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية موقف إنسانى لا تصلب ولا تعصب. الصهيونية حركة عنصرية.

•• الفلسطينيون :

كنت متعاطفاً مع الفلسطينيين، أريد قيام دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها اليهود والفلسطينيون فى مساواة تامة وليس إقامة دولة عنصرية صهيونية.

•• مصطفى خميس والبقرى :

كنت أثناء أحداث كفر الدوار بالسجن، أمضى ثلاثة شهور الغرامة التى كان قدرها ٢٠٠ جنيهاً، ورأيت مصطفى خميس والبقرى وهما يعدمان، وهذا عمل جائر ظالم بكل معنى، وموقف خاطىء جداً من ثورة يوليو إذا كانت ثورة؟! كنت أراهم مكبلين بالحديد، مع العلم أن ابن حافظ عفيفى كان يتجول بالروب دى شمبر فى طرقات السجن ثم خرج بعد فترة قصيرة.

•• الإخوان المسلمون :

منذ قبل دخولى الحركة الماركسية كان موقفى منهم موقفاً عدائياً، لأنهم يلعبون بالدين وهم عندى أخطر من الحكم العسكرى وقانون الطوارىء، إنهم يريدون إقامة الدولة الفاشية الدينية، التى لو قامت، لا قدر الله، لن تبقى ولن تذر.

•• الإنتخابات

موقفى من الانتخابات منذ قامت ثورة يوليو هو عدم التأييد، لأنها جميعها انتخابات مزورة تحت سلطة الحكم العسكرى الفاشستى.

شهادة

عبد المنعم ناطورة

الاســـــــــــم : عبد المنعم على نطورة

تاريخ ومحل الميلاد : عام ١٩١٥ سرسنا بمركز الشهداء / المنوفية.

المـهـــنـــة : الاشتغال بأعمال كثيرة، مساعد لعمال البناء، وعامل بمحل فاكهة، وعامل بمطعم ثم عامل بشركة الغزل الأهلية بالإسكندرية ثم عامل بشركات غزل ونسيج أخرى.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية :

فترة السجن والاعتقال : من ١٩٥٤/١٠/١٧ لأقل من عامين، ومن ١٩٥٩/١/١ لمدة تزيد على خمس سنوات.

ولدت بقرية سرسنا بمركز الشهداء / المنوفية، وكان والدى من التجار الصغار، يقوم بالتجارة فى الحبوب والأقطان وغيرها، كان يكسب رزقه يوماً بيوم، ولذلك كان يعيش أياماً فى بحبوحة وأياماً فى عسر، وكان رجلاً خيراً، تزوج والدتى ومعها أولاد من زوج سابق وقام بتربيتهم، وكان لى خال اسمه سيد أحمد سعد استشهد فى حادثة دنشواى، ودنشواى تبعد عن قريتنا بحوالى ثلاثة كيلو مترات، وقد توفيت والدتى وأنا فى نحو العاشرة من عمرى، وترتب على وفاتها أن خرجت من كُتَّاب القرية، الذى تعلمت فيه القراءة والكتابة وذلك حتى أقوم بخدمة والدى.

ونتيجة قسوة أخى الأكبر غير الشقيق، والذى كان قد رباه والدى هو وإخوته، اضطررت إلى ترك بيت والدى بالفرار إلى الإسكندرية مشياً على قدمى وأنا فى نحو الرابعة عشرة. وفى الإسكندرية قمت، بمساعدة أولاد بلدنا، بالعمل فى أعمال كثيرة، فاشتغلت عاملاً فى محل لبيع الفاكهة ثم عاملاً فى مطعم ثم عملت بشركة الغزل الأهلية، بقسم الغزل الذى كان يعمل به الأولاد الصغار. انضممت وأنا فى السابعة عشرة إلى اتحاد العمال الذى أسسه النبيل عباس حليم والذى كان شعاره مبهراً جداً لأمثالى «الفرد للجماعة والجماعة للفرد». وفى عام

(أعد الشهادة أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق، من شرائط التسجيل الصوتية التى تركها عبد المنعم نطوره لأولاده والمحفوظة بمركز البحوث العربية

١٩٣٦ كان مصنع المحله الكبرى فى حاجة إلى عمال بأجر أكبر من الأجر الذى كنت أتقاضاه؛ فالتحقت أنا وعدد من العمال بشركه الغزل الأهلية. ثم استغنى مصنع المحلة عن عدد من العمال وأنا منهم فعدت إلى الإسكندرية، وعملت فى محل حلوانى ثم فى مطعم (مسمط). وفى ذلك الوقت كنت أحب الوفد، ومن وجهه نظرى أن حزب الوفد كان أكبر حزب وجد لتضليل الشعب، وذلك لأنه عندما كان العمال يهبون ليثوروا، كانوا يأتون بالوفد ليعطى للناس مسكنات، أشياء تافهة جداً ليهبطوا ثورة الناس، وكان هذا أخطر شئ عمله الوفد.

وبعد العمل فى المسمط، فى نحو عام ١٩٤٠، عملت بمصنع كفر الدوار. وفى ذلك الوقت حاول بعض العمال إنشاء نقابة، وبالفعل اتخذوا مقراً وعلقوا لافتة، وبدأوا يحضّرون لجمعية عمومية، لكن المباحث والبوليس هجموا على المقر وأخذوا بعض العمال وسجنوهم. وبذلت محاولة أخرى، وحاول المصنع أن يعمل نقابة بعناصر من المهندسين والموظفين والإداريين وأصبح هناك منافسة بين الشركة من جانب والعمال من جانب آخر، ونجحت الشركة، وفى ذلك الوقت قطع إصبعى الخنصر وأنا أفتح الماكينة وأشغلها، وضقت بالوجود فى كفر الدوار - فى عام ١٩٤٦ - كنا نحن العمال كالمساجين، وطلبت من طبيب الشركة تشريكى، وتم هذا بالفعل وعدت إلى الأسكندرية، ولم أستطع الحصول على عمل وكنت أجهز بعض الأكل وأقف لبيعه أمام مكابس القطن، ثم التحقت بالعمل فى مصنع نسيج صغير فى محطة السوق بالرمل «مصنع جوده»، ثم عملت فى مصنع كبير بالعرايد اسمه الشركة المتحدة للغزل والنسيج وقد كان مديره صاحب مصنع جودة.

وعندما كنت بمصنع جوده حدث إضراب فى شركة سباهى للغزل والنسيج، وأطلق البوليس النار على العمال ومات عامل غرقًا فى ترعة المحمودية. وفى يوم كنت جالساً فى مقهى الوفد باكوس، وجاء أفندى وسألنى عما إذا كنت أعمل فى سباهى فأخبرته أننى أعمل فى مصنع آخر، وسألته عن سبب سؤاله فقال إنه يريد أى شخص من سباهى ليخبره بمعلومات عن الإضراب لنشرها، وقال ذلك الأفندى إنه محامى، وكنت أعرف عاملاً فى سباهى هو على العدل فأحضرته له، وظلا يتناقشان وأنا أسمع ووجدت أن أسلوب ذلك الشخص أسلوب تقدمى، وقبل ذلك كان بعض الأشخاص قد أعطونى منشورات ومجلات شيوعية وعرفت أسلوب الشيوعيين، واستنتجت أن ذلك الشخص الذى يقول إنه محامى شيوعى. وبعد انصراف على

العدل أخذنا نتناقش وقلت له إن إسلوبه أسلوب الشيوعيين، فضحك وسألني عن حكرتي عن الشيوعيين، فقلت له ياريت حد يوصلني لهؤلاء الناس لأنني أعرف أن الشيوعية تعمل لمصلحة العمال، فقال لي إنه يمكنه أن يوصلني بهم، أنا اسمي سيف، وسألني عن اسمي فأخبرته فطلب مني أن أقف في يوم محدد أمام محطة ترام باكوس، وأكون مشعلاً سيجارة، وسيأتي شخص يقول لي (ولع لي) فأشعل له سيجارته فيقول لي (سيف بيسلم عليك) وذلك هو الشخص الذي سيعمل معك ويريك كيف تعمل، وحدث هذا بالفعل، وجاء ذلك الشخص وعملنا عدة اجتماعات، وطلب مني تجنيد زملاء وإنشاء خلية وفعلاً جندت ثلاثة وعملنا خلية في المصنع، وكان ذلك الشخص يجتمع بنا، وبعد ذلك بسنوات، وعندما سجنت عام ١٩٥٤، التقيت في المعتقل بالزميل الذي كان يتسمَّى باسم «سيف» وكان هو الزميل أنور عبد الملك.

ظللنا حوالي شهرين نلتقي بذلك الشخص المسئول الذي أوصلني به سيف، ورأيته يوم طلب منا أن نرمي منشوراً في المصنع، وواضح أن المنظمة التي ارتبطنا بها كانت منشقة عن «م.ش.م»، وواضح أن سيف كان مرتبطاً بصوت المعارضة.

عندما طلب منا أن نرمي المنشورات في المصنع، قلت له نحن أصحاب عيال ولنا بيوت وإيه الضمان لو ألقينا المنشور وسجنا، فقال إن الشيوعية ما هي إلا تضحية وليس فيها مقابل، لا توجد ضمانات، نحن نعيش على الاشتراكات التي يتم جمعها، وقال العمال أعضاء الخلية: نحن لا نستطيع أن نضحي هذه التضحية، ولا داعي لأن يأتي لنا ذلك الرجل مرة أخرى، واختفى الرجل ولم أره مرة أخرى.

وانتهت فترة العمل بمصنع جوده، وارتبطت بالعمل بالشركة المتحدة بالغزل والنسيج، وبدأت أنا أبحث عن الارتباط بالشيوعيين.

وحدثت ثورة الجيش وأيدها الشعب لأنه كان يريد التغيير بأي شكل، وقد لعبت الثورة على كل الاتجاهات الموجودة، تقول للإخوان هذه ثورتكم وتقول الشيوعيين هذه ثورتكم، إلى أن أيدها الجميع، وعندما استقر رجال الثورة وثبتوا أقدامهم بدأوا يضربون في اليمين واليسار، وأمسكوا البلد بقبضة من حديد وأعلنوا الأحكام العرفية، وعندما بدأ العمال يثورون نتيجة موضوع كفر الدوار، وشنق خميس والبقري ليرهبوا العمال، وبعد قتل خميس والبقري بدأ

رجال الثورة يسترضون العمال، وسمحوا بإنشاء نقابات في المصنع على أساس أن المصنع الذي ليس له نقابة ينشئ نقابة، وطبعًا كانوا يستهدفون من وجود النقابات المصنعة أن يكون أعضاء مجالس إدارات النقابات تحت أيديهم يأتمرون بأمرهم. أيامها كنت في مصنع الطويل واشتركت مع العمال في تكوين النقابات، تجنبنا في أول الأمر عمال النسيج لأن المشاكل كانت تأتي من جانبهم، قلنا نُكَوِّن النقابة من عمال الغزل فقط، وجاء شخص وناقشني في ضرورة أن تشمل النقابة عمال الغزل وعمال النسيج وكان هذا الشخص هو سعيد عبد الصمد، وكان يتحدث بلغة ليست غريبة علي، واتضح أنه كان عاملاً في شبرا الخيمة وعضواً في منظمة طليعة العمال، وعقدت الجمعية العمومية، وانتخب مجلس إدارة النقابة واستحسنت أن أزكي ذلك القادم من شبرا الخيمة ليكون رئيسًا للنقابة، وبالفعل تم انتخابه رئيساً وكنت أنا وكيلاً أول، وبدأت أناقش رئيس النقابة في انضمامي لطليعة العمال، قلت له أريد أن أكون معكم، أريد أن أكون شيوعياً، وطلب إمهاله بعض الوقت، وفي ذلك الوقت كانت طليعة العمال تتشدد في العضوية فمثلاً كان المرشح يظل مرشحًا سنة حتى يصل إلى العضوية، وبعد شهر أو أكثر قال لي سعيد عبد الصمد إنني أصبحت مرشحاً في طليعة العمال، وبدأنا في العمل معًا، كانت مطبوعات طليعة العمال تأتي وكنت أنا المكلف بتوزيعها، عملت مخبأ في النقابة عن طريق الساعي وكان ولداً جيداً، وكنا نوزع المنشورات على العمال أنا وزميل كان في طليعة العمال قبلي هو فتح الله محروس، كنا مغرقين المنطقة بالمنشورات، كل أسبوع ننزل منشور كفَّرْنا المباحث العامة وأعددنا في النقابة غرفة للمحاضرات، كنت أجمع فيها العمال والشباب الصغير وكنت أناقشهم في الأفكار الموجودة في المنشورات والمطبوعات، وأصبحت عضواً في المنظمة، وكنت آخذ منها محاضرات ونقرأها على العمال، كنت أعمل على تنوير العمال وتوسيع مداركهم، واستمر هذا إلى الدورة الثانية في النقابة، وفي انتخابات هذه الدورة ركَّزت المباحث العامة والشركة ضدي أنا ورئيس النقابة زميلي عضو منظمة طليعة العمال، ركَّزوا في دعايتهم ضدنا على أساس أننا شيوعيون وأعداء الدين، وتوقعنا أن نخسر ولكن العكس اكتسحنا الانتخابات، أخذنا ٩٠ ٪ من الأصوات. وفي تلك الفترة كانت أحداث مارس ١٩٥٤ كان محمد نجيب يرفع شعار الديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته وعودة الأحزاب، وأيد الشعب هذا الاتجاه. واستعان الاتجاه المعادي لمحمد نجيب بالصاوي .. محمد الصاوي رئيس

نقابه عمال النقل فى القاهرة والذى اتفقوا معه على أن يحصل على مبلغ معين ويقوم هو وعمال نقابته بالإضراب تأييداً لهم، وكانت المباحث وأصحاب الشركات يريدون من العمال تأييد محمد الصاوى وعاودوا الإضراب - وكان عندنا فى المصنع اعتصام وإضراب عن الطعام فى دار النقابة، من أجل مطالب رفضت الشركة الاستجابه لها، وعندما حدث موقف الصاوى والاتجاه إلى الإضراب، كان قد مر على إضراب عمال مصنعنا عن الطعام خمسة أيام، وقررنا فض الإضراب والاعتصام قبل أن تتحقق مطالبنا حتى لا يعتبر موقفنا مسانداً للصاوى وقد أغلقت استجابة لموقف الصاوى وفى أغلب مصانع القطر إلا منطقة رمل الإسكندرية، فقد ظلت المصانع تعمل إلى أن رفعت الحكومة الكهرباء.

وشاركنا بعد ذلك فى تأسيس اتحاد عمال النسيج بالقاهرة، تجمعنا فى القاهرة من كل أنحاء القطر، ورغم تدخل الشرطة، وعن طريق تغيير مكان اجتماع الجمعية العمومية، نجحنا فى تكوين الاتحاد، وأذكر من الزملاء الذين كانوا نشيطين فى ذلك وجاءوا إلينا بالإسكندرية، اثنين من طليعة العمال، محمد عبد الجواد القطان وابراهيم مرسى، كان الطابع الغالب فى ذلك الوقت هو عمل منظمة طليعة العمال، كان عمل طليعة العمال الجماهيرى والسياسى يسير فى ذلك الوقت بطرق جيدة .

وفى ١٩٥٤/١٠/١٧ تم اعتقالى، وأريد أن أذكر بالنسبة لفترة الاعتقال أنه قد حبسنا أنا وثلاثة من زملائى ثمانية عشر يوماً فى عنابر الإخوان بالسجن الحربى، كنا لا نستطيع أن نقول لهم إننا شيوعيون وإلا قتلونا، كنا نقول لهم إننا عمال نقابيون، وقد كانت تلك الفترة من أقسى فترات الاعتقال، لقد عذب الإخوان تعذيباً بشعاً، وكانت المواقف الضعيفة والمنهارة كثيرة جداً.

كانوا يوقفونا ست أو سبع ساعات وهم يذيعون أغنية أم كلثوم التى غنتها بعد حادث المنشية، وعلى رأس كل طابور أحد قادة الإخوان المسلمين يعمل مايسترو للأغنية «يا جمال يا مثال الوطنية أجمل أعيادنا المصرية بنجاتك يوم المنشية». وكما ذكرت من قبل أنه فى أثناء الاعتقال التقيت بسيف الذى كان سبب تعرفى على الشيوعية وكان هو الزميل أنور عبد الملك. وأفرج عنا بعد أقل من عامين، ولم أجد بعد الإفراج عملاً فى أى مصنع لأننى أصبحت فى

القائمة السوداء.. وعن طريق الزميل يوسف درويش عملت عند المهندس لبيب رمزى، عملت بالمنيا فى بلد اسمها الخيارى، كانت البلد شديدة الفقر والذين يعملون فيها من أهلها كانوا لا يغسلون وجوههم وكانوا مصابين بالرمد والتقيحات والدمامل، واقترحت على المهندس لبيب رمزى أن نحضر بعض الأدوية والإسعافات الأولية كالمراهم والميكروكروم وبعض المسكنات وقطرة للرمد، ووافق وأحضر الأشياء التى طلبتها، وقمنا بعمل طيب بين أهل البلد سواء مع العمال الذين يعملون معنا أو غيرهم، وكنت أرفض بشدة محاولات مكافأتى بإهدائى أشياء كالبيض وغيره، ولا أنسى أبداً طيبة الناس الذين تعاملت معهم فى ذلك البلد وبعد ذلك انتقلنا إلى العمل فى كفر الزيات. كان معى فى العمل فى كفر الزيات أعضاء من طليعة العمال تم توصيلى بهم، وكنا أنا واثنان من الإخوان نمثل لجنة منطقة. كنت أنا وفكرى رفاعى وسيد سابق، وكان هناك خلية فى طنطا، وخلية فى الدقهلية فى أخطاب وخلية فى البحيرة وخلية فى المنوفية، وكان لنا خلية فى بلد اسمها كمشيش، وكنت أسافر أنا إلى هذه الخلايا. وذات يوم جاءنى مخبر من مركز كفر الزيات باستدعائى للمباحث العامة وهناك قابلنى الضابط أحمد عبد الله - وله معى حكاية سأحكيها بعد ذلك - ودار بينى وبينه حوار حار. وبعد ذلك شددت الرقابة على نشاطنا.

وحدث بينى وبين المهندس لبيب رمزى سوء تفاهم جعلنى أترك العمل، وطلب منى التنظيم أن أظل فى المنطقة لأن المنطقة لا تستطيع أن تستغنى عنى، قالوا سنجعلك محترفًا ثوريًا، سنعطيك ثلاثة جنيهات، قلت لهم وماذا ستفعل الجنيهات الثلاثة، كنت متسولاً ثوريًا ولست محترفًا ثوريًا لأنه حتى الجنيهات الثلاثة لم أكن أحصل عليها. فمثلاً فى يوم كان علىّ أن أسافر إلى المنوفية وكان معى أربعون قرشًا، وكان علىّ إما أن أسافر أو أشترى لزوجتى وأولادى طعامًا، لم يكن عندهم لقمة عيش. واخترت طبعًا أن أسافر تحقيقًا لمصلحة التنظيم، تركت أولادى الجوعى، طلبت منهم أن يتصرفوا وسافرت، كان المفروض أننى سأجمع اشتراكات ولم أجمع شيئًا ورجعت إلى أولادى بعد أن أنفقت الأربعين قرشًا. وفى ليلة أول يناير ١٩٥٩ قبض علىّ فى الثانية صباحًا، فتشوا الشقة، ولم يجدوا شيئًا، تحت السلم كان يوجد منشورات ومطبوعات لا حصر لها، وأخذونى إلى مباحث طنطا، وهناك صفعنى الضابط أحمد عبد الله - الذى ذكرته من قبل - على وجهى، وكانت هذه إشارة لرجال المباحث الذين

انهالوا عليْ بدبشك البندقية على رأسي وأعطوني علقة، ولهذا الضابط حكاية أخرى،

كان عندنا خبر قبل القبض علينا بأنه ستحدث حملة اعتقالات، وكانت توجد تعليمات بأن من يستطيع الهرب فليهرب، ولكن الذين لم يكن عندهم إمكانات الهروب أو الذين استهتروا بالكلام عن الحملة لم يهربوا وتم القبض عليهم.

عند الإفراج عنا عام ١٩٦٤ رحلوني إلى طنطا، إلى قسم الشرطة، كانت الساعة حوالى الواحدة بعد الظهر، وفى نحو الرابعة جاء الضابط أحمد عبد الله، سلم عليّ وقال: انتم ناس جيدين ونحن آسفين للأشياء التى حدثت لكم. وظل يحدثنى بغرفته إلى أن عرف أن أهلى لا يعرفون أننى خرجت إفراج، وطلب منى أن انتظر فى الخارج، وفى خارج الغرفة وجدت الصول الذى كان يراقبنى فى كفر الزيات يحضر إقراراً ويطلب منى التوقيع عليه، وطبعاً هذا الإقرار قدم لى عند الإفراج فى الحبسة الأولى وذلك فى الإسكندرية، ورفضته برغم تهديدهم لى بالاعتقال مرة أخرى، قرأت الإقرار، والصول يقول لى: وَقّع حتى تخرج لأولادك، قلت له: لن أوقعه. ودخل الضابط أحمد عبد الله وسألنى عن سبب رفض التوقيع، فقلت له: كيف أوقع على إقرارا كهذا وعبد الناصر قال إن كل مواطن يعمل بالسياسة ويقوم بدوره، كيف تحرمنى من حقى كمواطن إذا كان رئيسك يقول ذلك، قال لى: هل تعرف محمد عثمان؟.. قلت له: محمد عثمان إنت قتلته بيدك هذه، وسيأتى اليوم الذى نحاسبك فيه على قتله، ولا تعتقد إننا ننسى هذه الأشياء. قال لى: وحياتك وحياة أبوك سوف أقتلك مثله الآن، ولم يكمل الكلام حتى أمسكني المخبرون من قفاي، وأمسك ثلاثة أو أربعة بالشوم وأرادوا إدخالى غرفة مظلمة فصرخت: إلحقونى .. أنا شيوعى إفراج سيقتلوني، وعلى هذه الصرخة نظر الضابط من الشباك، وكان قد تجمع عدد من الناس تحت الشباك، فخشي الضابط أن يضار وأمر المخبرين بتركى، وطلب منى مهدداً أن أترك طنطا فوراً وإلا أمسكت تحري ولقيت مصير محمد عثمان.

شهادة

فتح الله محروس

الاســــــــــــم : فتح الله محروس

تاريخ وموطن الميلاد : ٧ أكتوبر ١٩٦٣ قرية الحضرات مركز ومحافظة قنا.

المــؤهــــلات : لم أتعلم ولم أدخل المدارس مثل كل أبناء الفقراء الذين لم يمكنهم الفقر من التعليم، كنا نعمل جميعاً منذ الصغر لنكفى احتياجاتنا، تعلمت القراءة والكتابة من خلال السياسة وفى السجن.

المهـــــنــة : عملت وعمرى تسع سنوات مع عمال البناء فى معسكرات الإنجليز مع والدى، ثم عملت «حداد مسلح» فى بعض المصانع التى كان يتم إنشاؤها ومنها مصنع سباهى، ثم عملت فى مصنع نسيج حتى سنة ١٩٧٢، وفى الفترات التى كنت أفصل فيها من العمل كنت أعمل فى أعمال أعمالاً متنوعة، عملت فى الشحن والتفريغ فى ميناء الإسكندرية، وفى رصف الطرق، وفى الحفر لمواسير المياه فى الشوارع، وعملت شيالاً فى الميناء، وبائع معمولة، وبائع خضار وفاكهة، وعملت فترة– منذ وقت قريب– فى اليونسيف وذلك بعد المعاش، وأعمل الآن ملاحظ مبانى بسبب ضآلة المعاش.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : حوالى ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً، كان ذلك عام ١٩٥٠، وحصلت على العضوية عام ١٩٥٢ بقرار استثنائى من اللجنة المركزية لطليعة العمال، وذلك لأسباب خاصة بسلوكى – كما أبلغنى وقتها الزميل حلمى يس، إذ أن اللائحة الداخلية كانت تشترط للعضوية سن الثامنة عشر.

فترة السجن والاعتقال : قبل عام ١٩٦٥، قُبض عليّ فى شهر يوليو ١٩٥٤ وقدمت لمحكمة عسكرية وصدر الحكم بحبسى مدة سنة بعد أن أمضيت أكثر من سنة فى السجن.

أنا من أسرة عمالية– كان والدى من أبناء الصعيد، ورحل هو وأبوه وحده إلى الإسكندرية وعملوا مع عمال السلطة فى الحرب العالمية الأولى، وكعادة أبناء الريف والصعايدة كانت كل الأسرة، والأب والأم والأعمام والعمات يعيشون فى بيت واحد، توفى أبى سنة ١٩٥٢، وكان سنى ست عشرة سنة، وكنت أكبر أخوتى، لذلك توليت أنا رعاية أسرتى وأخوتى حتى الآن،

* أجرى الحوار أ. محمود مدحت.

وكان هذا أحد أسباب عدم زواجي.

كان أبي يعمل في معسكرات الإنجليز بأبي قير، وعملت وأنا صغير معه في المعسكر، وعندما غادر الإنجليز الإسكندرية لم يذهب معهم أبي إلى منطقة القناة واشتغل عاملاً في شركة السيوف- سباهي- ثم عمل في البلد كعامل نظافة ثم ترقى إلى ملاحظة نظافة. وعندما توفي وسنه خمس وأربعون سنة، لم يكن له معاش كانت مكافأة نهاية خدمته، التى حصلنا عليها بعد عناء، اثنى عشر جنيهاً. وفي سن صغيرة عملت في أحد معسكرات الإنجليز في منطقة جناكليس. كانت العربات تخرج لإحضار أشياء، وذات يوم سمعت أن عربات المعسكر ممنوعة من الخروج، فسألت عن السبب فقيل لي: إن السبب هو وجود مظاهرات في الإسكندرية من أجل الجلاء، وسألت عما يعنيه الجلاء، فقيل إنه يعني رحيل الإنجليز، وقيل لي: إن هناك طلبة يموتون بالرصاص ويكتبون بالدم على الجدران كلمة الجلاء، فطلبت من سائق اسمه صالح أن يعلمني كيف تكتب كلمة الجلاء فعلمني كتابتها، وأحضرت جردل بوية وفرشة، ورحت ألف في المعسكر وأكتب كلمة الجلاء.. الجلاء، وأمسك بي البوليس الحربي واحتجزوني وضربوني حتى أعترف على من حرضني على الكتابة، وبعد أن ضربوني تركوني لأجل خاطر أبي الذي كان رئيساً للعمال بالمعسكر، وكان هذا أول اهتمام لي بالسياسة، بالغريزة وليس بالوعي.

بعد ذلك، ولفترة قصيرة، إنضممت إلى شعبة الإخوان المسلمين بالرمل سنه ١٩٤٨، وذلك قبل أن تحدث الأزمة بين الإخوان والنقراشي، وكان سبب إنضمامي الرغبة في تعلم القراءة والكتابة، لأن الإخوان كانوا قد أسسوا فصولاً لمحو الأمية. وفي تلك الفصول تعلمت الحروف الأبجدية، وبعد ذلك تعرفت بعمال معي في العمل كانوا مرتبطين بالحزب الاشتراكي الذي كان يرأسه أحمد حسين، وتعاملت معهم فترة حتى تعرفت بالشيوعيين.

•• التعرف على الفكر الماركسي :

أول مرة سمعت عن الفكر الماركسي كان عن طريق الزميل محمود دربالة، وأعتقد أنه كان وقتها في تنظيم «النواة»، كان يعمل نساجاً في شركة الطويل وهي أول مصنع نسيج أعمل به سنة ١٩٤٨، وقد تعرفت إلى هذا الزميل في أثناء محاولة تأسيس نقابة مصنعية للشركة، وفي

ظروف إضراب قمنا به. كان الزميل محمود دربالة والعمال الكبار في السن يسعون لتأسيس نقابة، وكان تأسيس نقابة أمر في غاية الصعوبة. كان النظام في ذلك الوقت هو نظام التسجيل، فالنقابة تعقد جمعيتها العمومية وترسل أوراقها لوزارة الشئون الاجتماعية على ألا تقوم النقابة بنشاطها إلا بعد الحصول على رقم لتسجيل الأمر الذى يمكن أن يكون بعد سنة أو سنتين، وفي فترة انتظار رقم التسجيل تبذل محاولات للتخلص من أعضاء النقابة وبذلك لا يتم تأسيسها. كانت النقابة تحت التأسيس، وقام عمال الشركة العربية التى كانت فى مواجهة مصنع الطويل بإضراب للمطالبة بتطبيق الأمر العسكرى رقم ٩٩ سنة ١٩٥٠ الخاص بعلاوة غلاء المعيشة، وطلبت نقابتنا أن نقوم بإضراب وإيقاف الماكينات مدة نصف ساعة تضامنا على زملائنا عمال الشركة العربية، وبمجرد إيقاف الماكينات حضر صاحب العمل والمدير والمسئولون وأمروا رؤساء العمل بإدارة الماكينات، وقام الرؤساء بذلك، وعندما جاءوا إلى الماكينة التى أعمل عليها وأوقف رئيس الوردية الماكينة قمت بدفعه- كنت صغيراً وكان جسمى نحيلاً وكنت أغير البكرات بالصعود فوق صندوق أو فوق الكمر- وأدرت الماكينة فصفق العمال وأوقفوا الماكينات، أى أننى كنت السبب فى إنجاح الإضراب، ولذلك عقد اجتماع بمقر النقابة وتم الاحتفاء بى باعتبارى أصغر العمال والذى تسبب فى نجاح الإضراب.

فى هذه الظروف تعرفت على الزميل محمود دربالة الذى بدأت أسمع منه كلاماً غريباً عن حقوق العمال. وقد كان إحساسى وأنا صغير بالظلم عاليًا جداً بحكم الفقر والجوع والوضع العائلى.. لقد استهوانى الكلام ضد الملك والملكة والإنجليز وأسرة محمد على وإمكان تضامن العمال واتحادهم وإقامة نظام أفضل من النظام القائم.

بعد الإضراب الذى قمنا به قبض على الزميل دربالة وزملائه فى النقابة، وخاضوا إضراباً عن الطعام فى السجن، وقمنا نحن العمال بإضراب خمسة عشر يوماً من أجل الإفراج عنهم، لكن الإضراب فشل ولم يفرج عن الزملاء، كما فشلت محاولة تأسيس النقابة، وتم فصل عدد من الزملاء منهم محمود دربالة.

بعدها التقيت الزميل عبد الرحيم يحيى وكان يعمل إلى جانبى وأخذ يحدثنى بكلام مشابه لكلام محمود دربالة، ثم عرفنى بالزميل عبد المقصود أبو زيد أحد القيادات العمالية فى شبرا الخيمة، وأحد قيادات منظمة طليعة العمال، فأصبحنا أصدقاء، وكنا نجلس جلسات منظمة

نتناقش فى السياسة وفى أحوال الحركة العمالية والنقابية، وبالتدريج فهمت أن هناك تنظيماً شيوعياً إسمه طليعة العمال، وطرحت علينا فكرة الانضمام. عبد الرحيم كان منظماً وكذلك زميل ثالث إسمه عثمان محمد إبراهيم الشهير باسم شتا، وتم ترشحى لعضوية منظمة العمال، وذهب عبد المقصود أبو زيد إلى مكان آخر، وانضم إلينا الزميل سعيد عبد الصمد الذى كان مسئولنا، والذى أصبح رئيس نقابة مصنع الطويل عندما أسسنا النقابة عام ١٩٥٣، كنا أيامها نقرأ نشرة إسمها الديمقراطية الشعبية، وكنا نعقد اجتماعات سياسية ومناقشات، وقد تطور تنظيم طليعة العمال فى الإسكندرية وفى منطقة الرمل على وجه التحديد، وفى الحضره حيث مصنع ستيا الذى كان يعمل الزميل محمد بدر الذى كان رئيساً لنقابة المصنع وأحد قيادات التنظيم، وأسسنا فرعاً فى مصنع الطويل، وهو شكل تنظيمى وسط بين الخلية والقسم، وكان أغلب أعضاء مجلس إدارة نقابة الطويل من طليعة العمال وكان رئيسها الزميل عبد المنعم ناطورة من طليعة العمال.

كنا نناضل فى وسط الحركة العمالية، وأساساً من أجل تأسيس النقابات وتحسين ظروف العمل.

•• المجلات والدراسات التى أصدرها التنظيم :

كان التنظيم يصدر نشرة "الديمقراطية الشعبية". وكانت هناك دراسات عن العائلة المالكة وأسرة محمد على والاستعمار، وكنا نصدر فى الإسكندرية نشرة محلية إسمها «صوت العمال» أو صوت العامل كنا نطبعها على البالوظة وكانت سرية، وكان يوجد دراسة عن البطالة وعن الصين الشعبية وثورة ماوتسى تونج، ودراسات عن النقابات والأجور، كما كانت هناك دراسات نظرية لم نقرأها بسبب استغراقنا فى المسائل العمالية والنقابية، وكنا نقرأ روايات مكسيم جوركى.. وأذكر أنه بالنسبة لقضية الثورة الاشتراكية كان الموقف متفقاً مع الخط الصينى أى الثورة الديمقراطية الشعبية، أى أن الثورة الاشتراكية على مرحلتين.

•• المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها:

بدأت عضواً فى خلية ثم عضواً فى لجنة القسم ثم أصبحت عضواً فى المنطقة، وكنت مسئول قسم الرمل حتى تمت وحدة ١٩٨٥، وكنت عضواً فى منطقة الوحدة.

•• الموقف من التنظيمات الأخرى وقضية تكوين الحزب الواحد :

لم أكن أعرف في البداية غير طليعة العمال، وبعد ذلك أنشأنا ما يُسمى باللجان الوطنية وذلك في سنه ١٩٥١ بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، وكنا نعقد اجتماعاً واسعاً في حديقة الحيوان في الزهرة، وفي هذه الاجتماعات تعرفت إلى عدد من الشيوعيين من التنظيمات الأخرى. وعرفت أن هناك تنظيمات أخرى : تنظيم إسمه النجم الأحمر وتنظيم حدتو وتنظيم الحزب الشيوعي المصري وغيرهم.

وبالنسبة لطليعة العمال لم يوجد ما يُسمى بالوحدة، كنا نرى أن تنظيمنا هو القطب الثوري الذي عليه أن يجذب كل العناصر الثورية لتنضم إليه ويكون هو الحزب، وما عداه ليسوا شيوعيين، وهذا كان موقفاً نسبياً جداً، وبعد ذلك فهمت أنه موقف حلقي وعصبوي.

وبعد أن دخلت السجن سنه ١٩٥٤، تعرفت على مجموعة تنظيمات كان أعضاؤها مسجونين معي، كان الزميل شعبان حافظ والزميل لويس بقطر والزميل الشرقاوي والزميل بدر رضوان وأخوه سيد، وفايق بشاي من النواة، وكان الزميل عادل كامل والزميل العطار وسعيد ربعه من "نحو حزب شيوعي مصري". وكان يوجد معنا بسجن الحضرة زميل من المنظمة الشيوعية المصرية. وعرفت كذلك أنه يوجد فرع للحزب الشيوعي اليوناني بالإسكندرية كان قد قبض منه على الزميل ستيرل باندليانتسوس. وبدأت المعارك في السجن حول أي التنظيمات أفضل، الصراع المعتاد، وأذكر أن عبد الستار الطويلة رسم خريطة مثل خرائط الرسوم البيانية تبين الانقسامات وانقسامات الانقسامات التي حدثت في حدتو، وقد وصل عددها إلى خمسة وثلاثين تنظيماً، ولم أعرف مدى دقة هذا الكلام وقتها وإن كان الزملاء قد قالوا إنه صحيح. وحضر الزميل إبراهيم عبد الحليم إلى الحضرة، وجلس معنا وناقشنا في موضوع الوحدة، وقيل وقتها أن الرفيق يونس "هنري كورييل" حضر مؤتمراً لأحد الأحزاب الشيوعية في الكومنولث، وكلف من قبل المؤتمر بالسعي مع الزملاء الشيوعيين لتكوين حزب واحد، وطبعاً الكلام عن الوحدة أعجبني، فالناس كلهم طيبون وممتازون. وكنا ندخل معارك سوياً ضد الإدارة ونضرب ونعذب معًا، لكنني كنت صغيراً، حوالي ست عشرة أو سبع عشرة سنة وكنت مقموعاً وأخشى أن أقول كلاماً ضد فكر التنظيم.

وقد عقد مؤتمراً لطليعة العمال سنه ١٩٥٧، وسُمي التنظيم بحزب العمال والفلاحين،

ونوقشت فكرة الوحدة فى ذلك الوقت، كان التنظيم قد تغير وبدأ يتكلم عن الوحدة، ولأول مرة، فى المؤتمر أو بعده، أسمع بإلغاء فكرة أننا القطب الثورى الوحيد.

•• الموقف من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨:

أنا طبعاً كنت من البداية مع الوحدة، وعندما تمت الوحدة شاركت فيها. وحسب ما أذكر أن طليعة العمال أو حزب العمال والفلاحين كان يرى ضرورة وجود مقومات للوحدة، تكتيك واستراتيجية ولائحة ثم يدور الصراع حولها وينتهى هذا بالمؤتمر، للأسف- الذى سمعته بعد ذلك أن الأحزاب الشقيقة والصديقة قالت إن هذا كله يمكن أن يتم فى سياق العمل بعد الوحدة، وكان هذا بداية تفتت الوحدة أيضاً.

كانت هناك معركة بين التنظيمات، لأنه تم الاتفاق على أن يكون هناك تمثيل نسبى فى المركز على حسب عدد أعضاء كل تنظيم، وقد أدى هذا إلى مبالغة كل تنظيم فى عدد عضويته، وقيل وقتها أن حدتو غضبت لأنها اكتشفت أن (الراية) و (طليعة العمال) عقدا تحالفًا فأصبح لهما نصيب كبير فى التمثيل المركزى، وكانت حدتو تقول إن التنظيمين الآخرين قاما بالتزوير وأتيا بعضوية ليست حقيقية .. إلى آخره. وقد كانت هذه بداية الأزمة التى دمرت الوحدة بعد ذلك، إنها قامت على أسس غير سليمة، وأذكر بعد الوحدة بأيام حدث انشقاق كمال عبدالحليم الشهير، وقد أبلغنا من المنطقة (منطقة الحزب الواحد) أن كمال عبد الحليم وآخرين من حدتو استولوا على مطبعة الحزب المركزى وأصدروا بيانات باسم الحزب الشيوعى المصرى ضد الآخرين، واتهموا الآخرين بأنهم ضد الوحدة الوطنية والنظام الوطنى، وإنه حدثت معارك فى مؤتمرات فى الجيزة وشبرا الخيمة ووجهت اتهامات متبادلة، وقد صدر قرار بفصل كمال عبد الحليم والآخرين بلغنا به فى المنطقة، وكانت لجنة المنطقة تضم حمزة البسيونى وشحاته عبد الحليم وفاروق بلبول وعم زكى وعبد الرحمن عبد الوهاب وأنا، وقد أيدت اللجنة الفصل ماعدا حمزة البسيونى وشحاتة عبد الحليم- على ما أذكر- فقد عارضا الفصل ولكن أدانا الموقف.

•• الموقف من الأجانب واليهود:

أنا لم أكن أعرف أن هذا يهودى والآخر مسلم، وأذكر أن أحد المسئولين عنى فى فترة من الفترات كان خواجة، وعرفت بعد ذلك إنه الزميل ريمون دويك، كنت أعرف أنه خواجة مثل

الخواجة سوتيرى الذى رأيته فى اسجن، وكان مصرياً ومناضلاً وحيداً، مسألة يهودى ومسلم ومسيحى لم تكن فى ذهنى، ولم يكن يوجد أى كلام حول هذا الموضوع، وأعتقد أن اليهود كان لهم دور فى التنظيم.

•• الموقف من الأحزاب السياسية قبل عام ١٩٥٢:

كان موقف التنظيم ارسمى مع حزب الوفد، وقد لعب دوراً أساسياً فى بلورة الطليعة الوفدية داخل ذلك الحزب.

•• الموقف من ثورة يوليو ١٩٥٢:

عندما حدث انقلاب يوليو ١٩٥٢، أصدرت طليعة العمل منشوراً، ووصلت إلينا نسخة منه، فقمنا بنسخه على الإستنسل، وأذكر مضمون هذا البيان، كان يقول إننا نرحب بقيام حركة الجيش المباركه، ونرحب بطرد الملك، وإقامه نظام جمهورى، لكنا نخشى أن يتحول هذا الانقلاب العسكرى إلى ديكتاتورية عسكرية تسلب الحريات الديمقراطية وتقمع الشعب.

•

•• الموقف من أحداث كفر الدوار سنة ١٩٥٢:

إعدام خميس والبقرى سبب لنا حالة استنفار شديدة جداً، ليس للشيوعيين فقط، ولكن لكل العمال -لم تحدث حالة فزع، وأذكر أنه بعد الإعدام بدأ تكثيف الاستغلال الرأسمالى والقمع داخل المصانع. كان يوجد حول كل مصنع من مصانع الرمل، وخاصة مصانع الغزل والنسيج، قوات من الجيش، وزاد توقيع الجزاءات والضرب والإهانة، وبدأنا نقاوم، اتفقنا فى مصانع الشركة العربية وشركة الطويل وفى المتحدة على عدم إدخال أحد من المسئولين أو رؤساء العمل، وأن من يدخل إلى العنابر نقوم بتخييشه أى إلباسه جوال خيش وضربه، وقد استمر هذا خمسة عشر يوماً لم نكن نسمح فيها بدخول أحد إلى العنابر إلا لكاتب المرور ليسجل اليوميات.

فى تلك الأثناء كان حكم البلد فى يد السلطة العسكرية، كانت قيادة المنطقة الشمالية العسكرية تمثل السلطة الجديدة فى الإسكندرية. وأرسلت المنطقة الشمالية إلى أعضاء مجالس

إدارة النقابات الثلاث للاجتماع بهم فى معسكر مصطفى كامل، ثم طالبنا التجمع فى قسم شرطة المنتزه، وهناك تم اعتقالهم بمعرفة البوليس الحربى وتم وضعهم بالسجن الحربى فى مصطفى كامل مدة أسبوع. وفى خلال الأسبوع اجتمعت اللجان المصنعية بالمصانع الثلاثة وكنت عضواً فيها، وهددنا بخوض إضراب إذا لم يفرج عن زملائنا خلال ثلاثة أيام، وبالفعل أفرج عن الزملاء بعد ثلاثة أيام ولكن بعد أن شتموهم وضربوهم وقصوا شعرهم.

وبعد إعدام خميس والبقرى، وفى عام ١٩٥٣ تم تأسيس الاتحاد المهنى لعمال الغزل والنسيج، وقد لعب العمل الشيوعيون الدور الاساسى فى هذا. كانت قضية خميس والبقرى ملفقة وكان المقصود بها إرهاب لحركة العمالية، ورغم هذا لم تتوقف النضالات العمالية.

وبالمناسبة لم يعدم اثنان فقط هما خميس والبقرى١٣١. لقد أعد الزميل الفاضل أستاذنا طه سعد عثمان كتاباً عن خميس والبقرى، جاء فيه أن سكتب صحة كفر الدوار وجد فى فترة إضراب كفر الدوار عدداً من الميتين القتلى فى البر القبلى لترعة المحمودية لم يعرف سبب وفاتهم، وطبعاً سبب الوفاة معروف، فعندما حدث الإضراب حوصر المصنع، وأتت الدبابات من البر القبلى، وبدأت تضرب الناس بالرصاص فمات عدد كبير.

•• الموقف من اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤:

تمت اتفاقية الجلاء وأنا فى السجن، وقد كتبنا تحليلاً محترماً جداً استنكرنا فيه كامل الاتفاقية ووقعنا عليه وسلمناه لإدارة السجن لتوصيله إلى رئيس الجمهورية أو الحكومة، وقلنا فى هذا التحليل- حسبما أتذكر - أن الاتفاقية أدخلت مصر فى حلف (البحر الأبيض المتوسط الذى كانت مصر تقاومه، وإنها حولت مصر إلى قاعدة لأنها تجعل جميع المطارات والموانى تحت أمر القوات المسلحة البريطانية فى حالة حدوث اعتداء على مصر أو تركيا أو إحدى البلاد العربية، فضلاً عن الاحتفاظ بخمسة آلاف خبير ليست لمصر سلطة عليهم....!

•• الموقف من حركة أنصار السلام:

كنا نشارك فى حركة أنصار السلام بفعالية إلى أن انتهت، وكانت لجنة "أنصار السلام"

فى الإسكندرية، تضم المرحوم مصطفى مشعل والزميل فؤاد مصطفى والزميل متولى لسلماوى وآخرين.

•• الموقف من هبة مارس ١٩٥٤:

أيام هبة مارس ضد استمرار الجيش فى السلطة، ومع عودة الجيش لثكنات، وشاركنا بفاعلية فى المظاهرات. وأذكر أن نقابة الطويل، ونقابة ستيا وكانت تضم أناسًا من طليعة العمال وكان لهم تأثير فى النقابات الأخرى - قامنا بعقد مؤتمر لنقابات الاسكندرية ضم أكثر من ثلاثين نقابة وكان ذلك فى نقابة مصنع الطويل، وأصدرنا بيانًا نشر فى جريدة المصرى، طالبنا فيه بعودة الجيش إلى تكناته وعودة الحياة المدنية والإفراج عن المعتقلين السياسيين وعودة الدستور والأحزاب وغير ذلك من المطالب الديمقراطية.

وفى أثناء أزمة مارس كنا نخوض إضراباً عن الطعام فى مقر نقابة الطويل، كان إضراباً يقوم به قسم الشلل بالمصنع بقيادة الزميل المرحوم محمود عطية المعروف بمحمود الساعاتى، وذلك من أجل مطالب معينة، وجاء إلينا الليثى عبد الناصر وكان عضوا بارزاً فى هيئة التحرير، وعرض فى مقابل تنفيذ مطالب العمال تحويل الإضراب من إضراب مطلبى إلى إضراب تأييد للثورة، فرفضنا ذلك وأنهينا الإضراب عن الطعام.

وكنا حريصين على تشغيل الماكينات برغم أوامر الشركة بإيقافها حتى لا يقال إن المصنع توقف تأييداً للثورة، فقامت الشركة بقطع الكهرباء، وطردنا بالقوة، فتظاهرنا فى الشارع من أجل الديمقراطية. كان الحرس الوطنى وعناصر من الجيش يرتدون ملابس ويهتفون تحيا الثورة.

•• الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤:

كان تحليلنا أن الإخوان قوة فاشية دينية، وأن النظام استعان بهم لضربنا فى البداية ثم قام بضربهم، وأن ضربهم جزء من التصفية لكل القوى السياسية، وقد كنا ضد محاكمة الإخوان محاكمة عسكرية، كما كنا ضد أن نحاكم محاكمة عسكرية.

•• الموقف من تأميم القناة عام ١٩٥٦:

لقد أيدنا تأميم القناة والكفاح المسلح، لقد قمنا نحن الشيوعيين في النقابات العمالية بتشكيل مدرسة لتعليم السيدات والبنات التمريض، وقمنا بتكوين لجان وطنية في الأحياء للمقاومة الشعبية، وأنشأنا معسكرًا لتدريب العمال على حمل السلاح بالتعاون مع قيادة المنطقة الشمالية العسكرية، وكان يأتى جنود وضباط لتدريبنا، وكان الشيوعيون يلعبون دوراً رئيسياً فى ذلك.

•• الموقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧:

فى سنة ١٩٥٧ رشح فى قسم الرمل عدد من الشيوعيين منهم إبراهيم النماس رئيس نقابة عمال النقل وكان من حدتو والزميل سعيد الخيال الذى كان قاضياً واستقال ليرشح نفسه فى المنتزه، ولكن السلطة رفضت ترشيح كل من رشحوا أنفسهم بقسم الرمل وأبقت على مرشح لا يعرفه أحد ولم يعلق لافتة واحدة وفاز بالتزكية إسمه النمر شنودة. وأيدنا السفير الاشتراكى محمد كامل البندارى الذى كان يسمى بالباشا الأحمر والذى كان مقره الانتخابى عيادة الزميل الدكتور حمزة البسيونى، وكنا نقوم بمظاهرة يومية تأييداً له تضم عدة آلاف، وكنا نعقد ندوة يومية بالمقر، ووصل الأمر إلى أن نساء حى زعربانة الشعبى بالضهرية كن يخرجن ويهتفن للبندارى، كان الشيوعيون من كل التنظيمات يؤيدون البندارى، ولكنه كان من الذين شطبت أسماؤهم.

•• الموقف من تمصير الشركات والبنوك الأجنبية:

كنا نؤيد التمصير، وكنا نطالب بالتأميم ومصادرة البنوك والشركات الأجنبية باعتبار أن هذا جزء من تحرير الاقتصاد المصرى. وحسبما أذكر، كنا ضد صرف تعويضات فى مقابل التأميم والتمصير.

•• الموقف من وحدة مصر وسوريا:

كنا نؤيد الوحدة، وأذكر أن التنظيم أصدر بيانات بتأييدها بشرط ألا تتحول سوريا مثل مصر إلى النظام الديكتاتورى، أى بشرط عدم الاعتداء على الحريات الديمقراطية الموجودة.

كانت هناك نظرة تقدمية لحركة القومية العربية باعتبارها حركة مناهضة للاستعمار، ومحققة للتضامن العربي. كما كنا نؤيد حكومة النابلسي في الأردن، وطرد الجنرال جلوب، وكنا ضد إنزال القوات الأمريكية في لبنان.

•• الموقف من سياسات الاتحاد السوفييتي:

كان التنظيم مؤيداً للاتحاد السوفييتي مثل كل التنظيمات الشيوعية، كنا ننشد أناشيد لستالين ولينين. كان ربنا الأعلى هو القيادات السوفيتية والحزب الشيوعي السوفيتي.

وأريد أن أقول إنني لم أدخل السجن عندما قبض على الزملاء في المدة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، لأنه كان قد تم تجنيدي في الجيش قبل الاعتقالات بسنة، وقد اضطهدت في الجيش وتمت مراقبتي لدرجة أنني كنت أتمنى أن أسجن. وعندما كنت أخرج في إجازة كانت تتم متابعتي .. كنت قد عرفت أن جزءاً من اللجنة المركزية كان هارباً في الإسكندرية، لكن لم أكن أعرف مكان أحد، وبعد أن خرجت من الجيش جمعت الزملاء الذين لم يقبض عليهم وشكلت منهم شكلاً تنظيمياً، وبدأنا نلف على أسر المسجونين ونقوم برعايتها وجمع أموال لها. كانت تأتي رسائل من الواحات عن طريق عساكر كانوا في حرس السجون كانت تأيدنا. رسائل على ورق بفره كنا نطبعها على البالوظة ونوزعها كمنشورات، وكانت تطالب بالإفراج عن المسجونين والمعتقلين.

وبعد أن خرجت من الجيش في أول ديسمبر ١٩٦١ اشتغلت في مصنع نسيج، كانت توجد حلقة من الزملاء الشيوعيين الذين لم يعتقلوا، وكنا نقود نضالات اقتصادية وعمالية في عدد من مصانع النسيج منها شركة سباهي والشركة الشرقية للكتان والقطن وشركة الإسكندرية للغزل التي عملت بها. كنت أعقد مؤتمراً أسبوعياً تطور بعد ذلك وأصبح حركة عمال الغزل والنسيج. كان بمقر المؤتمر ثمانمائة عامل من ألف عامل بالمصنع، كنا نطرح فيه ما يُسمى بالإصلاح الإداري بالمعنى الشعبي لمقاومة التخريب الذي يحدث والفوضى في الإنتاج، وعدم توافر قطع الغيار. وكنا نطالب بمعرفة تسعيرة إنتاجنا، ونتيجة لذلك تم نقلي لفرع الشركة في الخرنفش وهو مخزن مهجور وذلك بقرار من الاتحاد الاشتراكي.

كانت إدارة الشركة تفتعل حرائق. الحرائق التي غناها الشيخ إمام بعد ذلك بعشرين سنة.

كانت الشركة تقوم بذلك لتدارى ضعف الإنتاج، وأول من انتبه إلى ذلك كان عمال شركة الإسكندرية للغزل والنسيج. حرائق صغيرة ليس فيها خسائر نتيجة تفاعل القطن مع المكن مع الزيت وتأتى المطافى وكأنه يوجد حريق فى المصنع كله، كان على رأس الشركة المهندس عيسى شاهين أمين مساعد الاتحاد الاشتراكى والذى أصبح بعد ذلك وزيراً للصناعة. وكنا نقاوم افتعال تلك الحرائق. وبعد نقلى إلى فرع الخرنفش وصلنى استدعاء غريب للعودة إلى الجيش، واشتركت فى حرب اليمن. وفى أثناء وجودى باليمن صدر قرار بفصلى من الشركة، وبعد عودتى من اليمن بذلت مساعى ورفعت دعوى لإعادتى، لكن الدعوى رفضت.

•• الموقف من حل الحزب:

عندما خرج الزملاء من السجن تم الاتصال بهم، ووصلتنا ورقة تقول إنه أصبح موجوداً الآن نظام اشتراكى، ولا يوجد مبرر لوجودنا، ومطروح مناقشة الحل أو عدم الحل.

نحن كنا مجموعة صغيرة الذين لم يعتقلوا، حلقة صغيرة من العمال، ناقشنا الورقة فى اجتماعاتنا، ولا أدعى أننى وقتها قد حسمت الموقف.. لم أكن أعرف أن الموجود هو اشتراكية أم لا، وهل انتفت فعلاً مبررات وجود الحزب. كنت وقتها أعمل فى مصنع وكنت أرى القهر الذى يقع على العمال، وأشكالاً من التأديب اللائحى لم تكن موجودة قبل ذلك، وأرى أشكالاً من التخريب والسلب والنهب فى القطاع العام لم تكن موجودة فى القطاع الخاص، فى الوقت الذى كنت أجد فيه كلاماً جيداً فى الخطب والإعلام الحكومى. بعض الزملاء رأوا أنه من الناحية الموضوعية لا يوجد حزب، لكننى قلت إننى غير موافق على الحل. وكنت حزيناً بسبب حل الحزب.

•• أسباب الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية حتى ١٩٦٥:

أرى بحكم خبرتى الآن أن الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية المصرية يرجع إلى أن السمة الأساسية للحركة الشيوعية المصرية أو القيادات الشيوعية المصرية هى سيطرة البرجوازية الصغيرة والوسطى عليها، والطبيعة الطبقية للبرجوازية الصغيرة تتصف بالفردية والأنانية والزعامية. ولذلك فالروح الديمقراطية لم توجد فى الحركة الشيوعية، ولذلك كانت

تسود الفردية والاستبدادية ومن هنا تأتى الانقسامات، والمنقسم يخرج بالجرثومة نفسها، وبالتالى يحدث داخله هو أيضا انقسام، وهكذا ....

هذه جريمة في حق الشعب المصرى وفى حق الطبقة العاملة المصرية، ارتكبها وممثول عنها قيادات المنظمات الشيوعية المصرية. وهذه الجريمة سبب أساسى من أسباب تخلف الشعب المصرى والوضع الذى نعيش فيه الآن.

وهناك سبب آخر : إن بلداً تنعدم فيه الديمقراطية، وشعباً لم يرب تربية ديمقراطية، بل تربى فى أنظمة استبدادية، استبداد فى الأسرة واستبداد فى العمل واستبداد فى الشارع، لابد أن هذا كان من الأسباب التى أدت إلى جعل التيارات الشيوعية غير ديمقراطية

وأرى الآن أن النموذج السوفيتى للتنظيم نموذج خاطئ، كنا نحن ننقله بحذافيره، المركزية الديموقراطية كلام روسى وهى نظام غير ديموقراطى. وقد كان هذا النظام من بين أسباب انهيار الاتحاد السوفييتى. كان النظام استبدادياً فى داخل الحزب وبالتالى فى داخل الدولة الاشتراكية.

•• الزملاء الذين أقترح أخذ شهادتهم :

يوجد فى الإسكندرية زملاء رحلوا عنا ولم تؤخذ شهاداتهم ولم توثق أدوارهم مثل : الزميل محمود عطية الشهير بمحمود الساعاتى، والزميل عبد المنعم ناطور الذى كان وكيل نقابة عمال الطوبل، والزميل يوسف الدسوقى عامل النسيج بسباهى، والزميل محمد الفيومى وقد كان من عمال شبرا الخيمة، وعمل معنا، والزميل الشيخ مرسى عبد الجواد، والزميل الذى علمنى والحقنى بطليعة العمال : عبد الرحيم محمد يونس، ومن غير زملاء طليعة العمال الزميل صابر زايد الذى طلبت منه أن يكتب شهادته؛ ولكن قدرته على الكتابة كانت محدودة. ومن الزملاء الأحياء الزميل محمد زيان أحد عمال شركة الطوبل للنسيج، والزميل إبراهيم سلام، والزميل الشيخ إبراهيم الكفيف- وقد توفى- والزملاء شحاتة عبد الحليم ومحمد عبد الحليم وفؤاد مصطفى والزميل عطية سالم، والزميل منصور أنيس، والزملاء جابر المعايرجى وأحمد مصطفى ومحمد يونس وحمزة البسيونى ومتولى السلماوى، والزميل عثمان محمد إبراهيم الشهير بشنا.

شهادة

محمد يونس

الأســــــــم : محمد يونس

تاريخ وموطن الميلاد: في ١٩٢٥/٤/٢١ حي الورديان بالأسكندرية

المهـــــنـــة : عملت صبيًا في ورشة منشار أخشاب وأنا صغير، ثم اشتغلت عاملاً للنسيج بمصنع بلوفارا بمحرم بك، وفصلت بسبب قيامنا بالاحتفال بعيد لعمال العالى - عيد أول مايو، وعملت بمصانع أخرى بالأسكندرية، والقاهرة مدة شهور بين فترات سجنى، وعملت كمحترف ثورى فترة بين فترات السجن والاعتقال.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢١ عامًا، حيث أننى إرتبطت بالحركة الشيوعية عام ١٩٤٦

فترة السجن والاعتقال : قبض علىّ سنة ١٩٤٩، وصدر الحكم علىّ بالسجن خمس سنوات، وأفرج عنى عام ١٩٥٢ ثم قبض علىّ فى أغسطس ١٩٥٣ وحكم علىّ بخمس سنوات أخرى، وأفرج عنى فى أغسطس ١٩٥٨ ثم تم اعتقالى فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٩، وأفرج عنى بعد أكثر من خمس سنوات فى عام ١٩٦٤ عندما أفرج عن كل الشيوعيين.

ولدت لأسرة فقيرة جدًا، كان والدى عاملاً بشركة الكهرباء بالأسكندرية، ونظراً لظروف الأسرة لم أكمل تعليمى، وعملت وأنا صبى صغير بورشة منشار أخشاب بحى الورديان الذى كنا نسكن فيه بعد ذلك عملت فى عام ١٩٤٦ بمصنع بلوفارا للنسيج بحى محرم بك وكان مملوكًا لإيطاليين. كانت الأجور ضئيلة جداً، كان أجرى فى اليوم قرشان، كنت أقبض فى الأسبوع ١٢ قرشًا، وكان يوجد بالمصنع عمال شيوعيون، لم أكن بالطبع أعرف ميولهم السياسية في البداية، وعملنا على تكوين نقابة في المصنع وتم ذلك بالفعل، وفي عام ١٩٤٧ احتفل عمال المصنع بعيد أول مايو، عيد العمال العالمى، ولعل مصنعنا كان أول من يقيم احتفالاً بذلك العيد فى مصر كلها، ونتيجه ذلك فصلت من العمل فى ذلك العام (١٩٤٧)، وعملت فى مصانع أخرى فى القبارى كنت أفصل من كل منها بعد شهور بسبب نشاطى العمالى؛ خاصة أننى في عام ١٩٤٦ كنت رئيسًا لنقابة عمال الغزل والنسيج فى الأسكندرية،

أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب - عضو لجنة التوثيق.

وفي مارس ١٩٤٩ قبض علىَّ وقدمت للمحاكمة وصدر الحكم علىَّ بالسجن خمس سنوات وغرامة ٢٠٠ جنيه ومراقبة خمس سنوات، وأفرج عني عام ١٩٥٣ ، وعملت بالغرامة «مصاريف» في أحد أقسام البوليس، ثم كسرت المراقبة وهربت إلى القاهرة، وهناك احترفت العمل الثوري مدة ستة شهور ثم قبض علىَّ في أغسطس سنة ١٩٥٣ وحكم علىَّ بخمس سنوات أخرى، وغرامة ومراقبة لمدة خمس سنوات وأفرج عني في أغسطس ١٩٥٨ وكسرت المراقبة وعملت محترفًا ثوريًا، وعندما بدأت الاعتقالات في أول يناير ١٩٥٩ كنت هاربًا ولم يكن مسكني معروفًا، ولم يقبض علىَّ إلا في ١٢ يناير سنة ١٩٥٩ .

•• التعرف على الفكر الماركسي والتنظيم الذي ارتبطت به :

كما قلت كنت رئيسًا لنقابة عمال الغزل والنسيج بالأسكندرية عام ١٩٤٦، وكان يوجد زملاء من العمال شيوعيين، كانوا يحدثونني عن الاشتراكية، وعن طريقهم ارتبطت عام ١٩٤٦ بالحركة المصرية للتحرر الوطني، وكانت في ذلك الوقت في طريقها للوحدة مع منظمة (إيسكرا) وتكوين منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني. ومنذ ارتبطت بالحركة الديمقراطية لم أتركها حتى تم الحل عام ١٩٦٥. وقبل الارتباط بالحركة المصرية لم أرتبط بأي حزب سياسي، كان كل عملي مركزًا وسط العمال وفي النضالات العمالية والنقابية. وعندما وقعت الانقسامات كنت في السجن ولم أرتبط أبدًا بأي انقسام أو أي تنظيم خارج عن الحركة الديمقراطية. كان اعتقادي ولا يزال حتى الآن أن الانقسام أيًا كان شكله معادٍ للعمل وللفكر الماركسي وهو محاولة بوليسية لتفتيت الحركة الماركسية الموحدة.

•• مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة :

كان للحركة الديمقراطية ارتباط كبير وواسع بالطبقة العاملة. وقد كان النشاط العمالي بالأسكندرية حتى تم اعتقالي سنة ١٩٤٩، هو نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وحدها.

●● دور التنظيم وسط الفلاحين :

كان للحركة الديمقراطية نشاط فلاحى فى محافظات وجه بحرى وبعض الأماكن فى وجه قبلى، وكانت الحركة تصدر مجلة خاصة بالفلاحين. ومن الزملاء الذين كانوا مسئولين عن هذا العمل الزميل فؤاد حبشى والزميل فؤاد عبد الحليم والزميل شريف حتاته.

●● المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها :

قبل اعتقالى سنة ١٩٤٩، كنت عضو لجنة منطقة الاسكندرية، وعندما تمت الوحدة التى كوّنت الحزب الشيوعى المصرى الموحد سنة ١٩٥٥ أصبحت عضواً فى اللجنة المركزية فى الحزب الموحد. وبالمناسبة أذكر أننى اشتركت فى مدرسة كادر فى بدايات انضمامى للحركة الشيوعية، وأذكر أن الدكتور عبد العظيم أنيس وكان وقتها بكلية علوم بالاسكندرية ألقى محاضرات فى مدرسة كادر، وقد أفادتنى هذه المحاضرات كثيراً.

●● الموقف من التنظيمات الأخرى ومن وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ :

أنا كنت كما قلت ضد الانقسام، وكنت أرحب بأية وحدة تضم الشيوعيين، وقد أيدت كل أشكال الوحدة التى عملتها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى. وأذكر فى فترة السجن الأولى أن زملاء منظمة م. ش. م كانوا يتهموننا كلنا بالبوليسية ويقاطعوننا مقاطعة كاملة، كان موقفاً طفولياً.

وعندما حدث الانقسام عام ١٩٥٨، كنت مع زملاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، لقد كنت دائماً وحتى آخر يوم مؤمناً بالحركة الديمقراطية. وكما سبق أن قلت إن رأيى كان دائماً أنه توجد عناصر غير مخلصة تلعب دوراً فى تفتيت الحركة، دوراً تخريبياً، وقد كانت موجودة فى كل تنظيمات الحركة بلا استثناء، من أسهل التنظير للانقسام. والحقيقة أن الأفكار لم تكن متباعدة، لم تكن توجد خلافات كبيرة، ومن المؤكد أن المباحث والسلطة كانت تلعب دورها فى الانقسامات التى تمت، فى تحقيق الوحدة ثم فى تحقيق الانقسام.

•• الموقف من أحداث عام ١٩٤٦ :

عندما وقعت أحداث ١٩٤٦، كنت قد ارتبطت بالحركة المصرية للتحرير الوطني، ولعبت دوراً في تحريك العمال ضد الاستعمار في تلك الأحداث. لم أكن عضواً في لجنة الطلبة والعمال بالأسكندرية. وكان دوري وسط العمال. كانت الحركة العمالية نشيطة جداً، وكانت القضية الأساسية في ذلك الوقت هي القضية الوطنية ولذلك كان النضال الأساسي ضد الاستعمار. وكنا نربط المعركة ضد الاستعمار بالمعركة ضد الاستغلال والرأسمالية والنضال من أجل الاشتراكية. في ذلك الوقت كانت أعداد كبيرة من العمال ترتبط بالعمل السياسي، وقد كونا في ذلك الوقت خلايا كثيرة في المواقع العمالية.

•• الموقف من القضية الفلسطينية :

في عام ١٩٤٨ كان يوجد حركة عمالية معادية للصهيونية، وكانت توجد تحركات عمالية تنادي بتحرير فلسطين، وكان الاتجاه العام ضد قرار التقسيم. وقد أدركت فيما بعد أن قرار التقسيم قرار عملي وإن كان مرفوضاً من الحكام العرب. وعندما قبلت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني قرار التقسيم كان قبولها على أساس أن هذا هو الحل للقضية، وأنه يمكن أن تنشأ دولتان وبعد وجود نوع من التفاهم تصبحان دولة واحدة.

•• الموقف من ثورة يوليو ١٩٥٢ :

عند قيام الثوره كنت في سجن الأسكندرية تمهيداً للإفراج عني، كنت أعامل كمسجون عادي. وكان فتحي رضوان عمل مشروعاً لمعاملة المسجونين السياسيين معاملة حرف أ وحرف ب، ومن يعاملون هكذا يكون لكل منهم سرير وأكل خاص، ورفضت السلطة معاملة الشيوعيين على هذا الأساس وذلك بقولها إن الشيوعية جريمة اجتماعية وليست جريمة سياسية.

وبعد قيام الثورة مباشرة كان رأينا داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطن أن ثورة يوليو انقلاب عسكري، وكنا نحن ضد الانقلابات العسكرية على أساس أننا ندعو إلى ثورة الشعوب.

وبعد شهور تغير الموقف، وأيدنا الثوره نتيجة مواقفها، واستمر التأييد، وكنت أعرف أن فى قيادة الثورة ضباطاً مرتبطين بالحركة الديمقراطية لتحرر الوطنى.

•• الموقف من حل الحزب :

فى أول الستينيات كان يوجد أكبر عدد من اليساريين فى الواحات، وكانت تدور مناقشات بين حدتو والحزب الشيوعى المصرى الذى يضم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) والحزب الشيوعى للعمال والفلاحين، ووصلت حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) إلى وجود مجموعة اشتراكية فى السلطة، وكان الآخرين يقولون إن السلطة تمثل الاحتكار، كان من المفهوم أن نفكر فى الحل، ولكن كيف فكر الآخرون فى الحل، وهم يقولون بتمثيل السلطة للاحتكار. كان يوجد اتصالات بين زملاء قياديين والسلطة، وكان كمال عبد الحليم الذى يثق فيه زملاء حدتو بالخارج، وكان على اتصال بالسلطة، وبعد الإفراج عنا عقد كونفرنسين فى بيت يوسف صديق بالقاهرة لمناقشة موضوع الحل، الكونفرنس الأول لم نصل فيه إلى قرار، فعقد الآخر لاستكمال المناقشة، وكان كمال عبد الحليم يقول إنه سيضمنا تنظيم واحد مع السلطة، وإذا لم يتم هذا سنعيد تكوين الحزب، وكنت الوحيد الذى رفض الحل على أساس أنه لابد من وجود التنظيم الواحد أولاً ثم نحل الحزب، القرار صدر على أساس الإجماع، وهذا غير صحيح، كنت معارضاً لحل الحزب.

شهادة

محمود العالم

الأســـــــم : محمود أمين العالم

تاريخ وموطن الميلاد : ١٨ فبراير ١٩٢٢ بحى الدرب الأحمر بالقاهرة.

المؤهـــلات حصلت على ليسانس الآداب والماجستير، ولم أحصل على الدكتوراه بسبب فصلى من الجامعة.

فترة السجن والاعتقال : خمس سنوات وعدة أشهر اعتباراً من سنة ١٩٥٩، وستة شهور أخرى بعد ذلك فى قضية ما يُسمّى بمراكز القوى فى عهد السادات.

المهن التى عملت بها : عملت «مخزنجى» فى مدرسة الأورمان وأنا طالب فى الجامعة، وموظفاً إدارياً بكلية الآداب ثم مدرساً مساعداً فى كلية الآداب بقسم الفلسفة ثم فُصلت فعملت مدرساً خصوصياً للغات اللاتينية والفرنسية والإنجليزية ثم صحفياً فى روزاليوسف، وبدأت أكتب فى النقد الأدبى. وخلال عملى فى روزاليوسف، اتصل بى أنور السادات وقال لى إنهم يريدون إصدار مجلة جديدة عربية ترتفع فوق مستوى كل المجلات العربية، وكان هو رئيس مؤسسة دار التحرير آنذاك، وطلب مشاركة أحمد حمروش أيضاً، وأصدرنا عددين تجريبيين من مجلة اسمها «الفجر» ثم ثبت أن المسألة كانت وسيلة لإبعادى عن روزاليوسف، ولم تصدر المجلة، كان ذلك عام ١٩٥٦، وأصدرت أنا وأحمد حمروش مجلة اسمها «المعركة» من دار التحرير أيضاً وفى الساعة الثالثة صباحاً، وكان العدد الأول على وشك الصدور، منع زكريا محيى الدين وزير الداخلية آنذاك صدوره.

وقد عملت بعد ذلك مديراً تحرير لمجلة «الرسالة الجديدة» التى كانت تصدر عن دار التحرير وكان يرأسها يوسف السباعى، حتى بدأت حملة الاعتقالات عام ١٩٥٩، بعد فترة السجن تم اختيارى عضواً فى طليعة الاشتراكيين ثم أصبحت بعد ذلك عضواً فى أمانتها المركزية، وكنت قد عُينت مسئولاً أدبياً بمجلة المصور، ورئيساً لتحرير مجلة الهلال لفترة، ثم توليت رئاسة هيئة الكتاب ثم تفرغت لرئاسة مؤسسة الكاتب العربى، ثم توليت مسئولية مؤسسة المسرح، ثم

أجرى الحوار أ. نجاتى عبد المجيد قبل رحيله، أ. رمسيس لبيب عضوا لجنة التوثيق.

طلب منى عبد الناصر فى أثناء مقابلة طويلة أن أتولى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم، وكان محمد حسنين هيكل يتولي آنذاك رئاسة الأهرام وأخبار اليوم. وفى أثناء وجودى فى أخبار اليوم تمت انتخابات لعضوية الاتحاد الاشتراكى واللجنة المركزية، وفزت فى هذه الانتخابات عن حى بولاق حيث تقع مؤسسة أخبار اليوم ثم استبعدت عن رئاسة أخبار اليوم، وبقيت أعمل عضواً فى قيادة أمانه الطليعة الاشتراكية. ثم استدعيت مره أخرى لرئاسة مجلس إدارة مؤسسة المسرح، وظللت مسئولاً عنها حتى توفى عبد الناصر وتولى السادات الحكم، وحدث اشتباك بينى وبينه بسبب اختلافى معه فى اجتماع اللجنة المركزية حول مدّ فترة وقف إطلاق النار، وكنت ضد هذا الوقف فاعتقلت مرة أخرى مع ما سموا بمراكز القوى، وقدمت للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ثم سحب اتهامى فى آخر لحظة، وذلك لأننى بدلاً من الدفاع عن نفسى اتهمت السادات فى التحقيق معى لأننى كنت على علم تام بالمراسلات التى تمت فى تلك الفترة بينه وبين إسرائيل، وكنت فى ذلك الوقت مسئولاً عن مؤسسة المسرح، وجاء بعد الافراج عنى من يحقق معى ويقول إننى تغيبت عن عملى مشيراً إلى الفترة التى كنت معتقلاً فيها؟! وتأسيساً على ذلك صدر قرار يوسف السباعى وزير الثقافة آنذاك والسادات بإحالتى إلى المعاش.

وفى ذلك الوقت جاءتنى دعوة من جامعة سان أنطونى كوليج بأوكسفورد لأذهب هناك وألقى بعض المحاضرات، ومنعت من السفر لمدة سنة ثم سافرت وعينت هناك كأستاذ زائر وذلك لمدة عام ونصف. ثم ذهبت إلى فرنسا وعُينت فى جامعة باريس (بارى٨) - اسمها الآن فان سان - أستاذاً مساعداً للحضارة، وبقيت هناك حوالى عشر سنوات أدرس تاريخ الفكر العربى الإسلامى كله والفكر المعاصر والنقد الأدبى بشكل عام.

وكان لى نشاط ذو طابع سياسى، إلى جانب عملى العلمى. فقد كنا نصدر أنا وصديقى الرفيق ميشيل كامل مجلة اسمها «اليسار العربى» تنطلق من رؤية عربية ديمقراطية ذات توجه تقدمى. كما شكلنا مع اللواء الشاذلى جبهة المصريين فى الخارج، عندما أقدم السادات على الصلح مع إسرائيل. ونتيجة لذلك تعرضت لمضايقات فى فرنسا عامة وفى الجامعة بوجه خاص وتوقف تجديد تعيينى. وفى ذلك الوقت كان ميتران يجهز نفسه لرئاسة الجمهورية، فأصدر كتاباً اسمه «هنا والآن» يهاجم فاليرى جيسكار ديستان، وجاء بالكتاب فقرة كبيرة عنى يقول

فيها «من مظاهر العمل السيئ أنهم يمنعون التجديد لفلان الفلانى المثقف المصرى» وهكذا عدت إلى الجامعة مرة أخرى، واستمررت فى العمل إلى أن مات السادات فوجدت أن وجودى فى فرنسا لا مبرر له فاستقلت من الجامعة، وعدت إلى مصر بالرغم من أنه كانت قد تمت محاكمتى فى مصر أنا وميشيل كامل مع آخرين غيابيًا وفقًا لقانون العيب الذى كان السادات قد أصدره، وصدر الحكم بحرماننا من الحقوق السياسية والمدنية ومصادرة أملاكنا! «التى لم تكن موجودة فعلاً»، عدت إلى مصر ووصلت إلى بيتى بلا مشاكل، وفى اليوم التالى ذهبت إلى النيابة، وأبلغت هناك بأنه وفقًا للحكم الصادر ضدى ليس لى من الناحية المدنية حق مباشرة أية أعمال رسمية أو وظائف، أما من الناحية القضائية فإننى معرض للقبض علىّ وإحالتى إلى المحاكمة فى أى وقت. وقد استمر هذا الحكم قائمًا حتى ألغى أخيراً منذ ثلاث أو أربع سنوات وقد دعيت للعمل فى المصور، كما تقدم لويس عوض باقتراح بأن أعمل بالأهرام فاعتذرت، لأننى كنت عائداً إلى مصر لأكرس جهودى للعمل الثقافى والثورى. كنت ومازلت أعتقد أن بلدنا ينقصها الفكر العقلانى النظرى. ففكرنا جميعًا تسوده الهشاشة النظرية، والاتجاه الغالب هو الأقرب للرؤية التجزيئية، ولذلك فكرت فى إصدار مجلة «قضايا فكرية» من أجل خدمة قضية الفكر والعقل والديمقراطية والإبداع، وهى التى تفرغت لها كعمل صحفى، وهو آخر عمل صحفى أقوم به فى حياتى، ويغلب عليه الطابع الفكرى والفلسفى، هذا طبعًا إلى جانب كتاباتى الأخرى.

نشأت فى جو دينى، كان أبى شيخاً، وكنا نسكن فى الدرب الأحمر بجوار الأزهر، وقد كان أخى الكبير شوقى طالبًا فى الأزهر وفصل وهو فى الصف الثالث الابتدائى لأنه أصدر كتاباً اسمه «الأزهر فوق المشرحة» ينتقد فيه إسلوب التعليم والدراسة بالأزهر، وخرج إلى الحياة كباحث فى اللغة العربية، وظل يتطور إلى أن أصبح عضواً فى مجمع اللغة العربية، ومن العلماء الكبار فى اللغة، وقد كانت لديه مكتبة عظيمة كانت ذات نفع كبير لى.

وكان لى أخ آخر ضرير، وكان فى الأزهر أيضاً، وقد وصل إلى العالمية فى أصول الدين، وقد كان ذا أثر كبير فى حياتى منذ أن كان عمرى سبع سنوات، كان يكتب بطريقة برايل، وكنت أنا الذى أقرأ له. قرأت له كل كتب التراث العربى دون أن أفهم شيئًا منها فى البداية، قرأت له أدبيات اللغة والنحو والفقة وأصول الدين والفلسفة، وظللت أقرأ له وهو يكتب بطريقة

برايل ليدرس، وكان ذكيًا جداً، وعندما ذهبت إلى فرنسا وحين كنت أبدأ أدْرُس الفلسفة العربية الاسلامية وأصول الدين كانت فى داخلى أشيا، كثيره نتيجة قراءاتى وأنا صغير لأخى أحمد.

كان ذلك الجو العائلى الدينى يضغط علىَّ وكذلك الحى الدينى الذى كنت أعيش فيه، وكان ذلك مفجراً التمرد فىَّ، ولذلك بدأت مبكراً أتمرد أولاً عن طريق التصوف فقد وقع فى يدى مصادفة كتاب عن الحلاج، وكان هذا شيئًا عظيما بالنسبة لى، فالحلاج مؤمن جداً ولكنه لا يؤمن بقوة مفارقة، كان يرى أن الله فينا، وكان يقول : ..«أنا الله» وكان الحلاج يدافع عن حقوق الناس ومصالحهم، كان صوفيًا غريبًا، كان متزوجًا ولديه أولاد، كان مجدداً فى الدين بالتمرد على طقوسه الشكلية، وكان رائعًا فى محاكمته، ووصل الأمر بتعلقى بالحلاج فى ذلك الوقت إلى أن كتبت شعراً أقلد فيه شعر الحلاج، وما أجمل شعره الذى لا يزال حيا فى وجدانى!! مثل «إقتلونى ياثقاتى إن فى قتلى حياتى». «أنا من أهوى ومن أهوى أنا».. إلخ .. هذا فضلاً عن الرؤية الكونية الإنسانية الشاملة.

وبعد تجربة الحلاج الصوفية، تعرفت على فلسفة نيتشه المثالية، ووجدت لقاء روحيًا عميقًا بين الحلاج الذى يقول بالإنسان الكامل وفلسفة نيتشه الذى يقول بالانسان الأعلى .. ولا توجد قوى مفارقة تفرض على الإنسانية مشيئتها. وهكذ بدأ فكرى يتجه أتجاهاً مثالياً، وفى الوقت نفسه، إنسانيًا .. والغريب أنه كان هناك بعد ثالث، فبينما كنت فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة النحاسين فُصلت من المدرسة لعدم قدرتنا على سداد المصروفات، وكان الملك فؤاد مريضاً وشفى فقرر منح مجانية للمتفوقين، فعدت إلى المدرسة، وحصلت على جائزة عن موضوع لا أذكره الآن، وكانت الجائزة عبارة عن كتابين، الأول «رحلة أحمد حسنين باشا فى الصحراء الغربية» وجذبنى هذا الكتاب لفكرة البحث والمغامرة، والثانى «آفاق العلم الحديث» ليعقوب صروف رئيس تحرير المقتطف، آنذاك، وهو كتاب علمى، وكان سنى وقتها سبع أو ثمانى سنوات، ومع ذلك ظل هذا الكتاب يؤثر فى تفكيرى، استمر يوجهنى بشكل غريب إلى جانب تأثير الحلاج ونيتشه، وكان أخى شوقى يعشق مصطفى كامل ويحدثنى دائمًا عنه وعن شخصيته ونضاله الوطنى، ولذلك كنت وطنيًا متحمسًا ومثاليًا ومهتمًا بالعلم فى الوقت نفسه، واكتشفت بعد ذلك أن العلم يمكن رؤيته بشكل موضوعى مادى وبشكل مثالى إنسانى فى

الوقت نفسه، ولهذا عندما حصلت على الشهادة الثانوية والتحقت بالجامعة اخترت قسم الفلسفة بكلية الآداب، وكان ذلك بتأثير نيتشه أكثر من الحلاج، ولكن استمر اهتمامي بالجانب العلمي كذلك، وطبعًا بعد تأثري ب نيتشه جاء تأثري ببرجسون فهيجل، ثم المدرسة المثالية كلها، ولهذا عندما فكرت في التقدم نيل رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير بعد حصولي على درجة الليسانس؛ اخترت موضوعًا عن نظرية «المصادفة» في الفيزياء الحديثة؛ لأثبت أن العلم ليس موضوعياً، وأن مصدر العلم هو الإنسان نفسه.

وهكذا تبنّيتُ نظرية المصادفة في الفيزياء لأدحض الأساس الموضوعي للعلم، وواصلت الدراسة والبحث حتى التقيت بكتاب لفلاديمير إليتش لينين هو «المادية والنقد التجريبي».. قرأت هذا الكتاب فتغيرت رؤيتي للواقع والعلم، وكنت على وشك تقديم رسالتي، بعد شهرين أو ثلاثة، وكان الدكتور يوسف مراد أستاذي العظيم مشرفًا على الرسالة، وهو من الناس الذين أثروا فيَّ تأثيراً كبيراً جداً، والمهم أنني بدأت أفكر في موضوع رسالتي بشكل جديد، آمنت بالعلم، وبدلاً من تسمية الرسالة «نظرية المصادفة في الفيزياء الحديثة» أصبحت «نظرية المصادفة الموضوعية» ،لأنني اكتشفت أن المصادفة واقعة موضوعية تحكمها الضرورة، ولكنها ضرورة معقدة، وهكذا اقتنعت بالعلم وبالتالي بالماركسية. وبالطبع لم أستطع أن أذكر «الماركسية» في الرسالة، أو حتى كلمة «الجدلية» كنت استخدم بدلاً منهما تعبير «التكملة»، ولعل هذا حقق خللاً في فكر الرسالة، لكنني قدمتها وحصلت على امتياز بمرتبة الشرف، وحصلت على جائزة الشيخ علي عبد الرزق في الفلسفة، وعينت مدرسًا مساعداً للمنطق ومناهج العلوم..

وعندما اقتنعت بالماركسية كنت على معرفة بالحركة الشيوعية المصرية، كنت أعرف كمال عبد الحليم، ولكني كنت أتحرك في الإطار الوطني الديمقراطي، حتى أنني وأنا موظف في الكلية – قبل تعييني مدرساً بها – جوزيت بلفت النظر لأنني تركت العمل وكنت أشارك – كان ذلك في أعوام ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ – في المظاهرات. وقتها كنت أختلف مع الحركة الماركسية نتيجة لبعض ظواهر السلوك، فضلاً عن استمرار بقايا فكري المثالي السابق. لقد سمعت آنذاك من يقول إن طريق التجنيد للحركة الشيوعية هو أن "نجذب بالجنس ونربط بالنظرية"، فكنت أرفض ذلك الكلام، وأذكر أنه في ذلك الوقت كان لويس عوض يهاجم منهج المادية الجدلية والتاريخية.

وكان عبد الرحمن بدوى يعقلن الوجودية وكنت أعجب بهما واختلف معهما فى الوقت نفسه، وأبحث عن وضوح نظرى. ومن لطريف أننى وصديقى عباس أحمد قرأنا كتاب «الزمان الوجودى» لعبد الرحمن بدوى فى ليلة واحدة وانتهينا إلى أن عبد الرحمن بدوى قد خان الوجودية بكتابه هذا، إذ وضعها داخل مقولات حولتها إلى شئ عقلى، فذهبنا إلى بيته لمحاكمته باسم الوجودية التى خانها، فقد كنا نعتبر أنفسنا أقرب إلى الوجودية الحيّة منه آنذاك!

وبالطبع قادنى كتاب لينين بعد ذلك إلى كتاب إنجلز « جدل الطبيعة» وأيامها كنت صديقاً لعبد الخالق محجوب وسيلة من السودانيين الشيوعيين فى القاهرة وكمال عبد الحليم، وكنت أتحرك معهم فى القضايا الوطنية مع اختلافى معهم فلسفياً، كما شاركت فى أحداث ١٩٤٦ كلها من الزاوية الوطنية الديمقراطية كما سبق أن ذكرت.

الخلاصة أننى من خلال بحثى العلمى تحولْت من المثالية إلى المادية الجدلية، وانتهيت من كتابة رسالتى على أساس منهجى مختلف، وانضممت إلى لحركة الشيوعية.. وكانت الحركة متعددة التنظيمات، ويسيطر على بعضها قيادة غير مصرية، ولهذا كن يشغلنى أمر توحيدها وتمصيرها، ووجدت التنظيم الذى كان هذان الأمران واضحين فى خطه وهو تنظيم «نواة الحزب الشيوعى» وقابلنى طاهر عبد الحكيم بفوزى جرجس. ثم التقيت بعد فوزى بعدد من المثقفين من خارج النواة، وقد سعدت جداً بشهدى عطية، والتقيت بأنور عبد الملك وهو الذى عرّفنى بشهدى، وكان شهدى يمثل حدتو من الخارج إذ كان عدد كبير من قيادات حدتو فى داخل السجن فى ذلك الوقت، كنت ألتقى مع رشدى صالح ونتناقش، ومع سلامة موسى الذى كان صديقاً عزيزاً، كما كنت ألتقى ببعض القيادات السودانية والعربية عامة فى دائرة الطلبة. كان همنا الأكبر فى النواة أن نقف موقفاً صحيحاً من الأحداث، بشكل علمى، وأن نحقق هذا التوحيد والتمصير وحينما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ اختلفنا معها تماماً من حيث المبدأ، رأينا أن هناك احتمالاً أن تكون مرتبطة بالأمريكان لإزاحة الإنجليز ليحلوا مكانهم، لكن رأينا أنه لا ينبغى أن نقف منها موقف العداء، بشكل مباشر، وأنه ينبغى أن نؤيد الإجراءات التى نرى أنها مفيدة أو وطنية. أذكر أنه كانت هناك حكة شديدة فى موقفنا آنذاك، ولكن سرعان ما انفجر الموقف، خاصة عندما ودع السفير الأمريكى مع محمد نجيب الملك فاروق بشاطئ الإسكندرية.

شعرنا أن هناك محاولة لاستبدال شئ: احتلال باحتلال أو نفوذ بنفوذ ثم كانت اتفاقية الجلاء التى كانت تحقق جلاء القوات الإنجليزية بالفعل المتمركزة فى القنال، إلا أنه جاء فى اتفاقيتها نص يقضى بأنه لو حدث تهديد من الاتحاد السوفيتى على تركيا يكون من حق القوات البريطانية أن تعود إلى مواقعها فى قناة السويس. وعند عقد ذلك الاتفاق تم التقاء بين ممثلين من التنظيمات المختلفة، بل أذكر لقاءً من جانب حدتو بالإخوان المسلمين، (أحمد الرفاعى وسيد قطب مثلاً) ضد هذه الاتفاقية وبالتالى ضد حركة الجيش كما كنا نسميها آنذاك. كان الموقف منها حاداً فعلاً، وخاصة العداء للاتفاقية التى كنا نعتبرها تسليماً لمصر لقوى أخرى ودعوة لاحتلال آخر، وهكذا، وبدأ نشاطنا لتجميع القوى الأخرى، منظمة الراية كانت لا تزال بعيدة، ولكن كان موقفها حاسماً ضد حركة الجيش. فى تلك الفترة كنت ألتقى بزملاء من التنظيمات الشيوعية كلها، لم يكن لى تراث عدائى مع أحد. حدتو كانت تكره شهدى عطية كراهية التحريم، فوزى جرجس كان على خلافات شديدة مع حدتو، كنت أقابل زملاء من كل التنظيمات، محمود المنسترلى وابراهيم المنسترلى وعدلى جرجس العامل الصلب الذى كان من الشخصيات النادرة الصلبة والمتفتحة آنذاك. كان البعض متفتحاً جداً والبعض منغلقاً جداً، وكان هناك آخرون متعالون، لكن لم يكن لى شخصياً مشاكل مع أحد. وكان السودانيون فى الحركة أصدقاء لى، ولذلك كنت أتحرك داخل الحركة الشيوعية حركة حرة لا تثقلها أفكار مسبقة أو عداوات شخصية. وكانت توجد بالفعل رغبة لعمل شئ مشترك.

وقد أتاحت هذه الظروف، فضلاً عن وجود أغلب القيادات والرؤوس الكبيرة داخل السجن وخاصة رؤوس حدتو، تحقيق الوحدة وتكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد عام ١٩٥٥ بين حدتو والمنظمات الأخرى الصغيرة، وظلت منظمة الراية ومنظمة طليعة العمال خارج الوحدة.

وفى وحدة الموحد كان يوجد قرار مهم، كنا أنا شخصياً وشهدى وعدد آخر من الزملاء حريصين على تحقيقه، وهو ألا يكون كوريل عضواً فى قيادة الحزب وذلك دون رفض لليهود أو اتخاذ موقف منهم.

وأعتقد أننى فى ذلك الوقت كنت بعيداً عن التفاصيل الصغيرة، كنت أرى أن اشتراط وجود مؤتمر أو كونفرنس قبل الوحدة كلام مثالى بعض الشئ، كانت قد تحققت رؤية شاملة بين من

حققوا وحدة الموحد، وقد تم عقد كونفرنس بعد عمل الوحدة وانتخبنا لجنة مركزية، واتخذنا القرار الخاص بكوريل وبغيره من قرارات تتعلق بتوجه استراتيجي جديد يتبنى مفهوم «التأييد النقدي» لنظام يوليو بدلاً من مفهوم «الإسقاط» الذي كان سائداً.

وفي تقديري أن الوحدة التي تمت بين بعض المنظمات وكوّنت الموحد لم تكن مجرد وحدة بين عدد من التنظيمات أو دعوة للمزيد من الوحدة بقدر ما كانت استقطاباً للعمل بين قوى اليسار التي تنشط وتعمل بالفعل الحزب الشيوعي المصري (الراية) كان أعضاؤه استعلائيين نظرياً بعض الشيء، والزملاء في د-ش. كان عملهم يغلب عليه الطابع النقابي، لتنظيمات التي حققت الوحدة كانت هي التنظيمات المكافحة النشطة سياسياً فعلاً، ونتيجة الوحدة وجد نوع من التجمع السياسي الفعال النشط، وفي ذلك الوقت كان الموقف لا يزال معادياً لثورة يوليو واتهام قياداتها بالعمالة للأمريكان، ولكن هذا الموقف كان قد بدأ يهتز ويتفكك على الأقل في رؤيته الجامدة.

وكان لابد أن يعقد مؤتمر لمناقشة هذه القضية، وعقد المؤتمر، كان به ممثلون من اللجنة المركزية الجديدة وممثلون من خارجها أيضاً، وكان هناك اتجاه لتغيير موقفنا من الديكتاتورية العسكرية، وخاصة بعد تفجر التناقضات بينها وبين أمريكا وإسرائيل وبداية الاتجاه إلى التحالف مع القوى الوطنية الديمقراطية في بلدان العالم الثالث (باندونج) ومع القوى الاشتراكية كذلك. قال البعض نؤيدها لنسقطها، وقال البعض نتحالف معها لنغير الجانب العسكري فيها، وقال آخرون نؤيدها في أشياء ولا نؤيدها في أشياء، ولكن أذكر أن مجمل التقرير الذي قُدم للمناقشة كان يقول بأن هناك توجهاً وطنياً وسياسياً واقتصادياً ولذلك علينا أن نساندها، وكانت الصيغة التي اتفقنا عليها هي المساندة النقدية، وأذكر أننا أعددنا وثيقة بهذا المعنى، ولكن للأسف أحد الزملاء الذي وصلته الوثيقة ليقرأها قبل إرسالها إلى المطبعة أضاف في السطر الأخير «هذا هو الطريق لإسقاط الديكتاتورية العسكرية» وقد كان حسن المصيلحي رجل المباحث العامة آنذاك يستند إلى هذه الجملة في كل المحاكمات التي تمت بعد ذلك ليثبت أننا نؤيد الحكومة لإسقاطها.

وجاء تأميم قناة السويس، وقمنا بتأييد التأميم ودعمه فكرياً وجماهيرياً، ولإحساسنا بأن

هناك معركة قادمة، نتيجة لذلك أخذنا نتحرك حركة واسعة، وفى هذا الإطار كانت مشاركتى فى مؤتمر فى بلودان بسوريا لإنشاء أول اتحاد عام الكتاب العرب، وهناك تعرفت على عدد كبير من المفكرين العرب التقدميين المشاركين فى المؤتمر الذى كانت الأحزاب الشيوعية العربية، وخاصة الحزب اللبنانى والحزب السورى والعراقى، تشارك فيه. وشاركنا معًا فى إصدار بيان يفضح احتمالات العدوان الإمبريالى الصهيونى، ويحشد القوى الثقافية العربية فى مواجهته. وعندما وقع العدوان الثلاثى كان هناك حشد كامل لقواتنا وإمكانياتنا والمنظمات الجماهيرية التى كنا مرتبطين بها من أجل المعركة خاصة. وقد تمكن بعض الرفاق من دخول بورسعيد مثل أحمد رفاعى وعبد المنعم شتلة وحسن فؤاد - وقام بعض الفنانين الكبار بأدوار كبيرة فى هذه المرحلة. كنا - شهدى عطية وأنا ورفاق آخرون - نجتمع يوميًا على مقهى بالقرب من المحكمة المختلطة، وعلى مقهى الحرية فيما أذكر، لكى نقوم بدورنا فى الاتصال بين الجهات المختلفة المشتركة فى المعركة، كان هناك زملاء عديدون من الحزب الموحد وغير الموحد فى خط المواجهة مثل إبراهيم فتحى وغيره من الأدباء والكتاب والفنانين والمثقفين عامة، وأذكر أن محسن لطفى السيد كان حلقة الوصل بيننا وبين النظام، وكنا نحصل عن طريق الملحق العسكرى السوفييتى داخل بورسعيد على صور للأسطول وتحركاته نقوم بإرسالها إلى عبد الناصر، لقد بدأ فى ذلك الوقت تكون الجبهة الوطنية، لقد شارك الجميع فى المعركة : العمال، والطلبة وحتى المومسات داخل بورسعيد، ولأول مرة فى حياتنا السياسية كنا نوزع منشورات باسم الحزب الشيوعى الموحد علنًا فى الشوارع، وقد نجح زملاؤنا داخل بورسعيد فى تشكيل جبهة وإصدار جريدة باسم «الانتصار» التى أصبحت بعد ذلك اسم جريدة الحزب فى مرحلته الجديدة، وتنشيط وقيادة حركة المقاومة ضد الاحتلال.

ثم توقفت المعركة، وبدأت قيادة الثورة تنفض يدها من التعاون مع الحركة الشيوعية والقوى الجماهيرية عامة، ولكن لآخر لحظة كان لنا وجودنا فى بورسعيد، وقد اتصلت بنا الحكومة عن طريق عبد اللطيف البغدادى لجمع السلاح من داخل بورسعيد، وذهب أحمد الرفاعى وعبد المنعم شتلة والمخابرات المصرية التى دخلت بورسعيد عن طريق زملائنا لجمع السلاح من أهالى بورسعيد ومن البمبوطية بوجه خاص.

كانت مرحلة رائعة جدًا فى علاقتنا بالمجتمع وعلاقتنا بالثورة، ولكن سرعان ما بدأت الثورة

تغير من سياستها معنا كما ذكرت.

فى ذلك الوقت كانت هناك كذلك حركة نسائية كبيرة مشاركة فى حركة المقاومة والتعبئة الجماهيرية. وهنا أذكر إنجى أفلاطون عضو الحزب الشيوعى المصرى (الراية) آنذاك فى مجال النشاط النسائى والفنى والجماهيرى عامة. ولعل هذه المرحلة هى التى أتاحت اللقاء مع الحزب الشيوعى (الراية). بدأنا نلتقى التقاء تنسيقياً رسمياً مع فؤاد مرسى وسعد زهران واسماعيل صبرى عبدالله وإنجى أفلاطون، وقام تنسيق وحوار بين الحزبين الموحد والمصرى «الراية»، وقد أدى هذا إلى أن يتكون بعد ذلك الحزب الشيوعى المصرى المتحد من الموحد والحزب الشيوعى المصرى (الراية) خاصة، وكانت الراية قد انتقلت كذلك من موقف إتهام ثورة يوليو بالخيانة الكاملة إلى موقف جديد قريب من موقفنا.

لقد صدرت بيانات وتمت اجتماعات مشتركة، وبدأ الموقف من الحكومة يتخذ اتجاهين: الموحد أقرب إلى مواصلة التأييد، والحزب الشيوعى المصرى الذى أصبح فى داخل المتحد كان إلى حد ما فى إطار التأييد لكن مع تحفظ أكثر.

ثم بدأت محاولة الاتصال بطليعة العمال، وكانت هناك صعوبات كثيرة، لكن القاعدة بالذات، قاعدة طليعة العمال كانت متحمسة وحريصة على إتمام الوحدة. كانت توجد مشاكل وتحفظ على بعض الأسماء مثل كمال عبد الحليم. طبعًا هنرى كورييل لم تكن هناك مشاكل بخصوصه، لأننا كنا قد إستبعدناه فى وحدة الموحد ليس باعتباره يهودياً ولكن باعتباره أجنبيًا. وبدأ الاتفاق والحوار من أجل الحزب الواحد، وتمت الوحدة من خلال اتفاقات علوية وأحيانًا من خلال ضغط داخلى وقاعدى من القواعد وبالذات قواعد طليعة العمال واللقاءات فى المعارك، وتكون الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير). وتمت الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ وأصدر الحزب بيانًا باسم المكتب السياسى بتوقيع فريد (محمود أمين العالم) وسيد «عبد العظيم أنيس» يؤيد فيه الوحدة تأييداً كاملاً، ولكن ينتقد الأسلوب الذى تمت به، ويقول إنه إسلوب فوقى لن يساعد على تنمية الوحدة، وخاصة أن هذا الإسلوب - وهذه هى الكلمة المهمة التى قيلت - لم يراع الخصائص الذاتية الخاصة للشعب السورى، أى أننا كنا فى البيان أقرب إلى الوحدة الفيدرالية أو الكونفيدرالية. وقلنا فى النهاية إننا مع ذلك نؤيد الوحدة،

ونسعى لتحسين شروطها بعد أن تكونت، ومن هذا الاختلاف حول مفهوم الوحدة نشأ اختلاف أكبر مع بداية ثورة العراق والتناقضات بين مصر وسوريا، وكان هناك خلافات بين القوى الوطنية والديمقراطية، وفي ذلك الوقت كنت أعمل في مجلة روزاليوسف بعد فصلي من الجامعة.

ولابد أن أذكر أنه في تلك المرحلة كانت هناك تحولات في القضايا الثقافية، فمع وجود التحرك الوطني والديمقراطي والتقدمي، ووجود اليسار في الساحة كنا موجودين ونشطين أيديولوجيًا وثقافيًا، كنا منغمسين في معركة مع الثقافة القديمة (الكلاسيكية)، وأذكر هنا المعركة التي نشبت بيننا أنا وعبد العظيم أنيس مع طه حسين على صفحات الجمهورية حول الأدب، فقد كتب يقول إن الأدب ألفاظ ومعانٍ وقمنا بالرد قائلين إن الأدب صياغة ومضمون، والصياغة ليست في الشكل والوعاء الخارجي، ولكنها تتمثل في البنية الداخلية الجدلية، في جدل العلاقات داخل العمل الفني، والمضمون ليس هو الموضوع لأنه يمكن أن يكون هناك موضوع واحد ولكن يأخذ مضامين مختلفة، ورد علينا طه حسين بأن ما نقوله يوناني لا يُقرأ، وكان طه حسين دمثًا معنا يجادلنا بأبوة، وذلك بخلاف العقاد الذي كان يقول «أنا لا أناقشهما ولكن أضبطهما، إنهما شيوعيان»، وكنا نرد عليه ردًا عنيفًا على خلاف حوارنا مع طه حسين، وهكذا برز اليسار ثقافيًا مع بروزه تنظيميًا، وفي تلك المرحلة كانت توجد تحالفات قلقة مع عبد الناصر مع اختلافات هنا وهناك.

ورغم أنه كان يوجد خلاف بيننا بخصوص الوحده المصرية السورية، إلا أنها لم تُحدث شرخًا، الذي أحدث الشرخ بداية الكلام عن لوحدة مع العراق، يبدو أن الحزب الشيوعي العراقي كان قويًا ويكاد يكون على رأس حركة التغيير التي كانت متوقعة، وكان على علاقة أكبر بالاتحاد السوفييتي من عبد الناصر، ويبدو أن الاتحاد السوفييتي بدأ يشعر بأنه سيحدث صدام بين العراق ومصر حول قيادة المنطقة خاصة، وأيا كان الدور الإيجابي الكبير الذي يقوم عبد الناصر به في مواجهة الاستعمار فقد كان في نظر الاتحاد السوفييتي مجرد وطني ديمقراطي تقدمي. على حين كان الشيوعيون على رأس الحركة العراقية التي توشك أن تستولي على السلطة. وبدأ الصدام بين القيادة المصرية والعراقية حول الوحدة، على نفس أسس الخلاف الذي حدث في الوحدة المصرية السورية والذي كان جوهره عدم مراعاة

الخصوصية وفرض الوصاية من أعلى. كنت فى ذلك الوقت أعمل فى روزاليوسف، وكنت بالطبع أحيى الثورة العراقية، وأحيى اتجاه الوحدة، وأكتب مؤيداً ما تتبناه القيادة العراقية في إطار الوحدة؛ أي كنت ضد الوحدة الاندماجية، وكنت أُعَبِّر عن هذا فيما أكتب. ولكن القيادة المصرية كانت مُصرة على ألا يفلت منها زمام القيادة ويبدو أنه كان هناك تربص بين البعثيين السوريين وعبد الناصر، فكان يقال على لسان هؤلاء البعثيين، أو هكذا كانت تتصور القيادة المصرية، أن البعثيين يرون أن فى مصر قائداً بلا حزب أما فى سوريا فهناك حزب بلا قائد وليكن البعث هو الحزب وليكن عبد الناصر هو القائد. ولكن يبدو أن عبد الناصر ركب الموجة وقبل التحدى وبدلاً من أن يستخدموه لسياستهم استخدمهم هو لسياسته وسيطرته. وكان العراقيون يخشون هذا المصير، وكانوا يخشون التحول إلى مجرد إقليم شرقى، بعد أن أصبحت سوريا مجرد إقليم شمالى ومصر مجرد إقليم جنوبى، وقد انعكس الصدام بين عبد الناصر والعراقيين داخل الحزب الشيوعى المصرى.

فى ذلك الوقت جاء أحد قيادات الحزب الشيوعى العراقى، والتقى بعض قيادات اللجنة المركزية. وبعد ثلاثة أو أربعة شهور من الوحدة حدث انقسام، وتم بشكل لم تكن السياسة واضحة فيه، لقد اتخذ شكلاً تنظيمياً، اتخذت أغلبية اللجنة المركزية قراراً بإلغاء الاحتراف، وكان أغلب قيادات حدتو من المحترفين. وأدى الخلاف إلى فصل أربعة عناصر قيادية تاريخية من حدتو بالذات على رأسهم كمال عبد الحليم وشطا وأحمد رفاعى فيما أظن وآخرين. وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا إلى خروج أغلب أعضاء حدتو مع قيادته المفصولة، فأغلبية قيادة تنظيمين آخرين.

كنت مع بعض أعضاء من الوحد عامة، وبعض أفراد من حدتو، متمسكين بالمحافظة على الوحدة، وقررنا أن نظل داخل الحزب ولا نخرج مع الخارجين، وأن نحل المشاكل من الداخل، لكن قيادة حدتو وأعضاءها خرجوا وأسسوا الحزب الشيوعى المصرى «حدتو». وكان الباقون فى الحزب يسمونهم بالانقسام، وكانوا يسمون الحزب الشيوعى بالتكتل.

وأذكر أنه قبل فصل زملاء حدتو الأربعة، زارنى فى بيتى أمين عام الحزب الشيوعى العراقى وهو عادل سلام (الاسم الحركى)، وكان فى طريقه إلى الاتحاد السوفييتى، وتحدثنا

فى أمر العراق وعبد الناصر، كان الرجل ذا رؤية شاملة، وكنا متفقين فى أشياء كثيرة ثم تقابلت مع فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الأردنى، وكان يناقشنى فى الجانب الشديد السلبية فى نظام عبد الناصر، وقلت له إنه توجد فعلاً جوانب سلبية، ولكننى لا أستطيع أن أعادى الوحدة المصرية السورية وأن أقول إنها وحدة رجعية، كنا مختلفين فى هذا رغم المودة الشديدة بيننا. وقابلت كذلك زعيماً ثالثاً من قيادة الحزب الشيوعى العراقى قبل قيام الثورة العراقية، وأبلغنا أن شيئاً سوف يحدث فى العراق بقيادة الحزب الشيوعى العراقى، وأن العالم العربى سينقسم إلى نظامين وقيادتين، نظام وقيادة ثورية فى العراق ونظام وقيادة رجعية هى قيادة عبد الناصر. لم تكن ثورة عبد الكريم قاسم قد قامت بعد فى العراق، وقال لنا إننا يجب أن نعد أنفسنا وحزبنا لذلك، وكنت ضد هذا الكلام بشكل كامل، وأذكر أننى أدركت بعد ذلك أنه كان وراء ذلك الرأى إيحاء بل كلام شبه صريح حول ضرورة استبعاد العناصر الموالية لنظام عبد الناصر من الحركة الشيوعية المصرية، وأن هذا هو ما يفسر فصل الرفاق الأربعة من قيادات حدتو.

وفى داخل الحزب المتبقى من الحزب الشيوعى بعد خروج أعضاء حدتو، وبعد حدوث الانقسام، حدث انقسام فى الشارع السياسى اليسارى، أذكر أنه أقيم سرادق لمواجهة عبد الناصر وهو قادم من موسكو وكان التوجه الأساسى فى السرادق التركيز فى الهتافات على قضية الديمقراطية «كمطلب عاجل مباشر» على حين كان التوجه لدى مجموعة حدتو التركيز على القضية الوطنية والاستعمار، والمؤسف أن يحتدم هذا الخلاف بين الجانبين فى الوقت التى كانت الدولة الناصرية تستعد لإجراء تأميمات كبيرة وتغييرات تتوافق مع هذه التأميمات. وقد بدأت هذه الإجراءات بالفعل بتأميم أبو رجيله (أوتوبيسات) وفرغلى باشا (شركة أقطان) وتغيرات فى مؤسسة القضاء.

وقد كنت آنذاك عضواً فى السكرتارية المركزية التى كانت مكوّنة من أبو سيف يوسف وفؤاد مرسى ومنى، ولكنهما كانا يجتمعان بدونى، وكذلك الأمر فى المكتب السياسى أيضاً، كانت تتم اجتماعات دون حضور المخالفين بقايا الحزب الموحد وحدتو، وأذكر أن عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى التقى بى فى هذه الأيام، وكان على معرفة بما دار ويدور فى الحزب، وكان يلح علىّ للخروج من الحزب وإصدار بيان عن تصرفاته أوجهه إلى

كل الاحزاب الشيوعية العربية، باعتبار أن الخلاف قد أصبح سياسياً ولم يعد تنظيمياً فقط، وكنت أرفض وأقول له إننى لست متعوداً على الخروج على التنظيم وسأواصل النضال من الداخل.

فى تلك الفترة، فى أواخر نوفمبر أو منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨، اتصل بى يوسف إدريس وقال لى إن أنور السادات يريد مقابلتى، فذهبت معه إلى بيت أنور السادات فى الهرم، وأيامها عرفت أن يوسف إدريس مرتبط به. وكنت أعرف أنور السادات منذ عام ١٩٥٦ منذ انتقالى من روزاليوسف إلى مؤسسة التحرير. وفى بداية اللقاء قال لى السادات: «إسمعوا .. كان هناك ناس ضدنا وهم الإخوان المسلمين وقضينا عليهم، وأنتم الآن تقفون ضدنا سيكون لكم نفس المصير». ورفضت التهديد، وقلت له إن الإخوان المسلمين جذورهم غير عميقة اجتماعياً، أما نحن فلنا جذورنا الشعبية من عمال وفلاحين وتاريخ طويل وعميق فى الحركة الوطنية لن تستطيعوا القضاء عليه، وإذا كنت ستبدأ الحديث بهذا الشكل فلا ضرورة للاستمرار، قال: آسف نحن نريدكم أن تنضموا للاتحاد القومى، قلت له: مستعدين أن ندخل معكم فى الاتحاد القومى، ولكن ندخل كتنظيم لا كأفراد وبهذا نكون جبهة مشتركة متحالفة على أحداث وطنية واجتماعية محددة. قال: لو دخلتم كتنظيم، عبود باشا سيدخل كذلك وهذا لا يصلح»، قلت له: عبود باشا لا يمثل قوة وطنية ديمقراطية، قال نحن قوى وطنية ديمقراطية؟! قلت له: أنتم قوة ديمقراطية وطنية ضد الاستعمار ولهذا ممكن أن نتحالف معاً، ونحن جميعاً نحتاج للتعاون معاً فى الظروف الراهنة، واستمر الحوار بيننا. وحاول أن يقنعنى بفكرة حل الحزب والاندماج كأفراد فى الاتحاد القومى، فقلت له: لا سبيل إلى حل التنظيم، لكن نستطيع أن نتعاون مع بعضنا تعاوناً كاملاً على أسس وطنية ديمقراطية داخل جبهة موحدة أو من الخارج. قال لى: دعك من كل هذا. نحن نريدك أنت شخصياً أن تكون معنا. قلت له: عيب أن تقول لى هذا، لقد جئت هنا لأمثل المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى، وأقول باسم المكتب السياسى: نحن مستعدون للتعاون معاً، وأرجو أن تبلغ تحياتنا لعبد الناصر لمواقفه الوطنية المعادية للاستعمار، ولكن هناك بيننا رؤى قد تختلف ويمكن بالعمل والتعاون المشترك حل المشاكل والخلافات، وهكذا انتهى اللقاء، وكان مهذباً، وظل يبحث لى عن السائق ليوصلنى إلى منزلى، ولكنه وجده نائماً، فقال لى ضاحكاً:

– أنت بروليتارى، عد على قدميك.

ولم يكن الترام قد بدأ يعمل فالنهار لم يبزغ بعد. فمشيت إلى ميدان الجيزة، ولحقنى هناك أول ترام ركبته إلى بيتى. وبعد أسبوع تقريباً بدأت بعض الاعتقالات، فاتصلت فوراً بيوسف إدريس وقلت له : أبلغ أنور، هذا ليس كلام رجال، فذهب يوسف إدريس وعاد لى وقال إن أنور يبلغك بأنه لا صلة له بما حدث.

وفى اليوم التالى لمقابلتى أنور السادات، كان هناك اجتماع للمكتب السياسى للحزب، وحكيت كل ما دار بينى وبينه، وقلت لهم رأيى، فقالوا لى إن موقفى كان جيداً، ولكنى وجدت ردود فعل غريبة حول هذه المقابلة، قال أحدهم إن هذا يدل على ضعف الحكومة، وإن الحكومة حريصة على أن نكون معها، وإذا كانوا يطلبوننا الآن للمناقشة، فغداً سوف يطلبون أحدنا ليكون وزيراً، وكنت مندهشاً من هذا التفكير. وقال رفيق من مجموعة الراية إن التناقض الرئيسى كان بين عبد الناصر والاستعمار، وكان التناقض الثانوى بينه وبين الجماهير، والآن أصبح التناقض الرئيسى بينه وبين العمال والتناقض الثانوى بينه وبين الاستعمار، وكنت ضد هذا التحليل الذى عَمَّق الخلاف بينهم وبينى.

وبعد أيام خطب جمال عبد الناصر فى ٢٣ ديسمبر فى بورسعيد، ثم بدأت حملة الاعتقالات في ليلة رأس السنة، وتم القبض علىّ فى تلك الليلة مع عدد كبير من المجموعتين.

كنت ضمن أول فوج يدخل سجن القلعة، فالواحات، ثم نعود من الواحات إلى سجن قراميدان، وإلى الاسكندرية لنحاكم أمام محكمة عسكرية هناك. وكان موقفنا فى المحكمة واضحاً، وقسمنا أنفسنا، من سيعترف بعضوية الحزب ومن لا يعترف، فؤاد مرسى كان موقفه رائعاً وقدم دفاعاً عميقاً وجميلاً معترفاً بأنه الرفيق خالد. وأنا لم أعترف بعضوية الحزب وإنما ركّزت دفاعى على الجانب السياسى إلى جانب دحض حجج التحقيقات وأدلتها، وكدت أوقف المحامى الخاص بى، والذى راح يحاول أن يثبت تبرئتى بالقول بأن كتاباتى وطنية وقومية ولهذا فلست شيوعياً. وتكلم العديد من الرفاق، واعترف بعضهم بعضويتهم لحزب، وكانت خلاصة الأقوال عامة هى أننا نحترم نظام عبد الناصر، ونعتبر أنه نظام وطنى، ولكننا ننتقد افتقاد النظام للديمقراطية. ونختلف فى الأسلوب العلوى لتحقيق الوحدة مع سوريا. وانتهت

الحاكمة، وعدنا إلى القاهرة سعداء، سعادة لا حد لها لأننا نجحنا فى التعبير عن وجهة نظرنا بوضوح وشجاعة خلال الكلمات المختلفة والمتنوعة للرفاق جميعاً، وكانت عودتنا إلى سجن قراميدان الذى انتقلنا منه بعد ذلك إلى ليمان أوردى أبو زعبل الذى استُقْبلنا فيه استقبالاً غير إنساني، من ضرب وإهانة وحلق شعرنا وإلباسنا بالقوة ملابس السجناء، ثم توزعنا على أربعة أقسام فى العنابر، وكنت في عنبر واحد (١) الذى يضم قيادة الحزب الشيوعى، واستطعنا أن نحصل على جهاز استقبال بفضل السجناء العاديين الذين اتصلنا بهم فى جبل أبو زعبل، حيث أخذنا نعمل فيه لتكسير حجارة البازلت، وكنا نسمع الأخبار من هذا الجهاز ونحن تحت البطاطين، وعرفنا منها بأمر التأميمات فى أوائل ١٩٦١ كما سمعنا خالد بكداش وهو يقول إن هذه التأميمات لتكوين رأسمالية الدولة الاحتكارية. وقد تبنَّى الزملاء هذا المفهوم، واعتبروا الميثاق الأساس النظرى لذلك. على أنى وجدت فى الميثاق مشروعاً أكبر من مشروع الحزب نفسه، ورفضت مفهوم احتكارية الدولة الرأسمالية. وجاءنا من الخارج آراء إسماعيل المهدوى وأبوسيف يوسف وكان رأيهما هو أن هذه الاجراءات تعبر عن رأسمالية الدولة الاحتكارية، وأن هذا هو هو الرأى الرسمى للحزب. هكذا تعمق الاختلاف بينى وبينهم. وأتذكر أننى عندما سمعت بالتأميمات، شعرت أننى لن أستطيع أن أستمر عضواً مع هؤلاء الزملاء، قررت ذلك بينى وبين نفسى دون أن أقول لهم إننى مختلف معهم إلى حد القطيعة. طبعاً خضنا معاً معارك فكرية عديدة، كنا مختلفين فكرياً فى كثير من المواقف والتفسيرات السياسية والنظرية، وأذكر إننى خرجت للحرس من الضباط وقلت لهم إننى أريد إرسال رسالة إلى قيادة الثورة. وكتبت بالفعل رسالة قلت فيها إن ما حدث من تأميمات يعتبر شيئاً عظيماً، ولكن يحتاج لشكل آخر من التنظيم غير تنظيم الاتحاد القومي لكى يحميها ويحسن تطبيقها، وأننى لا أكتب هذا من أجل الإفراج لكن هذه الإجراءات التى تمت تحتاج لحماية من تنظيم مختلف عن التنظيم القائم. وبعد قليل جاءتنى مجموعة من الضباط وقالوا لى : لو كتبت إقراراً بأننى لن أعمل بالسياسة سأخرج، ورفضت.

وبدأ الاختلاف فى السجن بين الراية، ود. ش (طليعة العمال)، والراية كانت أقرب إلى مفهوم البرجوازية الوطنية بالنسبة لتقييمها السلطة، وكان رأيى أن ما تم خطوة متقدمة جداً ولهذا لابد من التحالف مع السلطة ودعمها. ومن خلال العمل الشاق فى الجبل البازلتى

والتعذيب المباشر، وخاصة فى الاستقبال، سقط بعض الشهداء، كان من بينهم فريد حداد وشهدى عطية الشافعي. ونتيجة للضجة العالمية التى أثيرت حول التعذيب والشهداء، تم نقلنا إلى الواحات. وعندما وصلت الواحات أعلنت انفصالى عن هذه المجموعة وانضمامى إلى الزملاء الآخرين.

وفى الواحات كان الانقسام واضحاً وحاداً بين المجموعتين: أعلنت موقفى مؤكداً أن ثورة يوليو حركة وطنية ديمقراطية رغم طابعها العسكرى وأساليبها الفوقية غير الديمقراطية. ولابد أن نتعاون معها. وقرأنا الميثاق بشكل أكثر دقة وعمقاً فى الواحات، وتابعنا المعركة بين مصر والعراق ، كما تابعنا التطورات السياسية من خلال الوسائل الإعلامية البسيطة التى استطعنا أن نحصل عليها سراً. وقد كان نشاطنا كبيراً فى الواحات: عرضنا مسرحيات لنعمان عاشور وألفريد فرج وصلاح حافظ، وبنينا مسجداً وزرعنا ما يقرب من أربعة وثلاثين فداناً . وكانت هناك أنشطة وحوارات فلسفية وفكرية وسياسية، وأذكر أنه فى الجانب الذى انضممت إليه ناقشنا طبيعة ثورة يوليو ١٩٥٢ والميثاق، وفى الجانب الآخر كانوا متشددين جداً حتى الراية. وأتذكر أن أن بعضهم كانوا يقولون إن إجراءات التأميم معادية للشيوعية لأنها تمس الطبقة الوسطى التى هى جزء من الجبهة التى يسعى الشيوعيين لإقامتها، إذن فهى ضد الطبقة العاملة وضد الشيوعية. ولما كان الشيوعيون ضد الأمريكان فالسلطة حليفة للأمريكان !

وأذكر أن مجموعتنا عقدت جلسات عديدة لمناقشة موضوع الوحدة التى تمت فى كوبا بين مجموعة كاسترو الوطنية والشيوعيين، كما أخذنا نناقش بعض التجارب التوحيدية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حول التوحيد بين الشيوعيين والوطنيين والديمقراطيين الاشتراكيين لتشكيل حزب ديمقراطى موحد وليس حزباً شيوعياً خاصة فى البلاد النامية. كنا نناقش هذه التجارب ونحن نتأمل وندرس طريقة التحالف الواجب مع نظام عبد الناصر فى ضوء الأفكار الواردة فى الميثاق عن التأسيمات. ووصلنا خبر تكوين التنظيم الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى الذى تأسس بدلاً من الاتحاد القومى، فأرسلت رسالة إلى أنور السادات باعتبار ما كان بيننا من علاقات قديمة، وقلت فيها ما معناه أن الوضع الجديد يحتاج إلى تراص وتحالف كل القوى التقدمية والاشتراكية. ونظمنا فى الواحات أكثر من كونفرنس لمناقشة الخلافات التى نشبت بيننا. تساءلنا هل نسعى للتوحد مع عبد الناصر بشكل اندماجى؟ وهل

تتمسك بالماركسية اللينينية والصراع الطبقي وقيادة الطبقة العاملة والتحالف الدولي كشرط للتحالف والالتقاء العضوي أم بالقضية الوطنية والديمقراطية بشكل عام؟ ... وقد أعد بهيج نصار التقرير المشهور الذي يقول بوجود مجموعة اشتراكية غير علنية في السلطة، وكان الطرف الآخر - وأعني الراية وطليعة العمال - ضد هذا تماماً .. ثم تم الإفراج عنا جميعاً.

كانت توجد مراسلات عن طريق زكي مراد مع الخارج، ودعوة للدخول في التنظيم الطليعي، وكانت تأتي ردود من قبل السلطة. على أن آخر شئ وصلنا إليه في الكونفرنسات هو الاتفاق على عدة مبادئ للتحالف أو الاندماج مع التنظيم الطليعي، لا مع الاتحاد الاشتراكي، هذه المبادئ هي: الطبقة العاملة والصراع الطبقي والديمقراطية الشعبية والوحدة العربية وسعاداة الاستعمار والتحالف مع الاتحاد السوفييتي والقوى الاشتراكية. كان يبدو أن هذه المبادئ مشتركة بيننا وبين ما جاء في الميثاق على الأقل، وأن تواجدنا داخل السلطة بشكل أو آخر سوف يعجل بالتغيير تحقيقاً لهذه المبادئ، وهكذا تم الإفراج عن الشيوعيين، وكان ثمة توقع بأن لقاء سوف يتم بيننا وبين ممثلي السلطة لتنفيذ هذا التحالف العملي التنظيمي، وعلى أساس أن الدولة ستوجد لنا أماكن عمل مشترك في تنظيم الطليعة، وأننا سنلتقي معها من خلال مندوبيها. وأنا لم أتتبع هذا الأمر تتبعاً مباشراً إلى أن عرفت أن مندوبي النظام كانا أحمد حمروش وأحمد فؤاد. ولم أحضر المؤتمر الذي ناقش موضوع الحل، وانتهى إلى حل الحزب على أن يبقى في يد كمال عبد الحليم قرار عودته في حالة الفشل، أما المجموعة الأخرى فقد تم الإفراج عنها وقامت بحل تنظيمها كذلك.

في اليوم التالي لخروجي اتصل بي صديق كان يعمل آنذاك في مكتب سامي شرف ليأخذني للقائه. وفي هذا اللقاء سألني عن رأيي في الانضمام إلى التنظيم الطليعي فقلت له إنه لا مانع لديَّ، وانضممت إلى لجنة للتنظيم الطليعي التي كان مسئولها سامي شرف ومن أعضائها حسن فؤاد وطلعت المرصفي وحسام عيسى، وبعد فترة أصدر جمال عبد الناصر قراراً بضمي إلى السكرتارية العامة للتنظيم الطليعي.

وكان التنظيم الطليعي عندما انضممت إليه تنظيماً فنوياً، ينقسم إلى تنظيم للعمال، وتنظيم الفلاحين، وتنظيم للمثقفين، وآخر للصحفيين .. إلخ. فاقترحت أن يكون تنظيماً

جغرافياً، وبدأت إعادة التنظيم على هذا الأساس، وخصصوا لى مكتباً فى مبنى مجلس قيادة الثورة، واقترحت إصدار نشرة ثقافية، وبدأنا نصدرها، وأصبحت مسئولاً عن الثقافة فى تنظيم الطليعة وعن المجلة.

وتوليت مسئوليات أخرى مختلفة، كما ذكرت فى صدر الشهادة إلى أن جاءت هزيمة ١٩٦٧. قبل الهزيمة بيومين أو ثلاثة أيام اتصل بى مكتب عبد الناصر وطلب منى السفر إلى فرنسا لأنه من المتوقع أن يتم العدوان الإسرائيلى بعد يومين، فأكون هناك واتصل بالصحفيين والمثقفين، وأن أحمد بهاء الدين ولطفى الخولى سيأتيان من الجزائر، وسنقوم معا بعمل مشترك باسم مصر فى باريس. ثم كان ما كان من هزيمة، وعدت إلى القاهرة، وكنت مسئولاً آنذاك عن هيئة الكتاب، فطلب ثروت عكاشه وزير الثقافة أن أتولى مسئولية مؤسسة المسرح، فانتقلت إلى مؤسسة المسرح وفى أحد الأيام اتصل بى سامى شرف وقال لى إن عبد الناصر يريدنى، والتقيت عبد الناصر فى بيته، وقد كان كريماً فى المقابلة. لكن كان حزيناً، كانت مقابلة شبه مسارية، كان ثلاثة أرباع الحديث عن أزمته مع المشير ومع الجيش. حكى لى عن تفاصيل كثيرة، وقال لى إنه كان أحياناً ينام والمسدس تحت الوسادة لأن الجيش لم يكن معه بالمرة، وأنه كان يشعر بأنه يوجد تباعد بينه وبين المشير، وأنه كان دائماً حريصاً على أن يذهب للمشير ليتغدى عنده يوم الجمعة من كل أسبوع لإزالة هذا التباعد، ولكن كان من الصعب تغيير الأمور. حدثنى عبد الناصر عن العمل الاقتصادى فى ضوء الهزيمة، قال إنه أمام خطتين، هل نواصل خطة التنمية التى نسير فيها أم نهدأ تماماً خاصة وأن أخطر قوة تواجه النظام اليوم هى البرجوازية، قال إن على صبرى يرى أن نواصل طريق التنمية وزكريا يقول لا، نهدئ اللعبة، مع هذه الفئات البورجوازية، وعبّرت عن وجهة نظرى بضرورة تقوية القوى الشعبية التى تساند الثورة لا أن نقوى خصومها وخصوم الثورة. وانتهى الحوار بأن طلب عبد الناصر منى أن أتولى مسئولية أخبار اليوم، وقال لى ضاحكاً : أرجو ألا تجعلها برافدا. وبدأت عملى الشاق فى أخبار اليوم. ولكن العمل بأخبار اليوم ومشكلاته يطول ولا مجال له فى هذه الشهادة.

وبالنسبة لحل الحزب فقد قلت فى مقدمة كتاب «الوعى والوعى الزائف» إن الخطأ الكبير الذى ارتكبناه هو أننا قمنا بحل الحزب. لقد تصورنا فى ذلك الوقت أن الحزب الديمقراطى قد

يكون مرحلة لدعم وتنمية العمل الثورى، وهذا التصور لم يكن خاطئًا فى ذاته، أما الخطأ فهو أننا تصورنا أنه بوجودنا داخل الدولة سنحمى الثورة ممن يحيطون بعبد الناصر من عناصر سيئة ومتخلفة وأننا سنعجل بتحقيق الإجراءات الثورية المطلوبة، مع أنه لو كنا استمررنا فى القاعدة مع الجماهير مختلفين مع عبد الناصر كنا قد حمينا ثورة عبد الناصر، وعجلنا بتحقيق الإجراءات المطلوبة.

وبالنسبة لأسباب انقسام الحركة الشيوعية، أعتقد أن الحركة بدأت موحدة، فى العشرينات الحزب الاشتراكى ثم الحزب الشيوعى المصرى الأول، وهذا لم يكن انقسامًا على الحزب الاشتراكى ولكن كان الخروج منه تأكيد لموقف أيديولوجى كان شرطًا للانضمام للأممية، ولقد بدأت الحركة فى العشرينات موحدة ولها زخمها وفاعليتها لأنها بدأت مؤسسة على عاملين مهمين: كان هناك وعى فكرى نظرى نستطيع أن نتبينه فى البرنامج، كان برنامج الحزب الشيوعى فى غاية النضج، فى قضية الفلاحين، فى قضية العمال والمطالب الاجتماعية والقضايا الوطنية، كان هناك وعى ناضج، وكان هناك عدد من المثقفين المتميزين من طوائف مختلفة، مثقفين معممين ومثقفين بالطربوش أى كان يجد المثقف المصرى بمختلف تياراته الذى يتميز بنضج عقلانى علمى، والشئ الثانى أن الحركة الشيوعية نشأت فى منطقة عمالية وفى الأسكندرية بالذات وارتبطت فعلاً بالعمال وبحركة العمال. كانت محصورة فى مكان معين وفى ظرف مبكر وناضج فى مصر. وفى رأيى أن الحركة فى بدايتها تلك تعتبر ثمرة من ثمرات ثورة ١٩١٩، النضج السياسى لثورة ١٩١٩ والحيوية المجتمعية التى فجرتها ثورة ١٩١٩، وأنا من أنصار القول إن ثورة ١٩١٩ فشلت سياسيًا ولكنها نجحت فكريًا وثقافيًا لأن عقبها قامت حركات وأنشطة عديدة منها الحزب الاشتراكى الذى أصبح الحزب الشيوعى، فضلاً عن الإبداعات الثقافية والأدبية المختلفة. وقد بدأ الحزب الشيوعى موحداً ثم لم يلبث أن انقسم أو خرج منه بعض العناصر البارزة. وفى رأيى أن الذى أحدث الانقسام، أقصد الخروج من الحزب الاشتراكى رؤية جامدة سادت آنذاك رأت الأخذ بتسمية معينة أو الخضوع لرأى معين مفروض من الحزب الشيوعى السوفيتى، أى تغيير اسم الحزب من الحزب الاشتراكى إلى الحزب الشيوعى، ثم فرض إجراءات أخرى عليه، ولا أعرف هل كان ممكنًا تجنب ذلك الرأى أم لا؟.. ولكن يبدو أنه كان هناك شئ يعمى على عدم نضوج ذلك العمل أو استمراره بشكل

صحى، والحزب الشيوعى الأول عندما حُرم وجوده وقُبض على قيادته فى ١٩٢٤، استمر حتى الثلاثينيات، وخرج عن تركزه فى الاسكندرية إلى مناطق أخرى فى بعض الأقاليم الفلاحية، أى أنه كان مؤهلاً للاستمرار ومؤهلاً للمزيد من الارتباط بقاعدة جماهيرية من العمال والفلاحين والمثقفين، ولمزيد من الوعى النظرى. لأن الواقع كان يتطور. ومرة أخرى أؤكد أن ذلك الحزب كان نابعًا من ثورة ١٩١٩، وامتداداً لها فالبرنامج الخاص كان برنامجًا وطنيًا، واجتماعيًا خاصًا بمصالح العمال والفلاحين ومصالح الجماهير ويكفى أن نذكر ما نص فيه على المطالبة بتأميم قناة السويس إلى غير ذلك.

بعد ذلك اختلف الواقع العالمى والواقع المحلى. وكان مطلوبًا المزيد من الوعى النظرى. فى الأربعينيات بدأ التشكيل أو التشكيلات الجديدة المتعددة للتنظيمات الشيوعية فى إطار واقع عالمى جديد وواقع محلى شديد التعقيد. كانت هناك الكتب الخضراء وكان هناك بعض الترجمات، لكن من كان يمتلك الوعى النظرى؟.. المثقفون وبعضهم خواجات ؟ وكان ما يترجم أو يعلم مجرد كتيبات سوفيتية. ومع احترامنا للتجربة السوفيتية بكل ما فيها، فإن كتبها كانت شبه ملونة بتجربتها الخاصة، بل يمكن القول إنه حتى الآن لم يترجم النص الماركسى بشموله. راشد البراوى قدم ترجمة لكتاب رأس المال، لكن النظرية الماركسية بكل تفريعاتها السياسية والمعرفية والمنهجية وآفاقها وخلافاتها ومشاكلها وصراعاتها لم تنقل بشكل واضح. وأتذكر هنا شيئًا مضحكًا: ففى أحد الاجتماعات الحزبية القديمة الخاصة بالتثقيف حضر أحد الرفاق الخواجات، وكان هناك اقتراح بترجمة شاملة للماركسية، فقال ولماذا تترجمون الكتب الماركسية؟ يكفى أن تُعلّموا الطبقة العاملة الانجليزية! لقد كانت القيادة مجموعة من المثقفين الكبار الذى يعرفون اللغات الأجنبية، ولكن أغلبهم أجانب، وكانوا هم الذين يعرفون النظرية وهم الذين يصدرون القرارات والتوجيهات.

المشكلة أن الماركسية لم تصبح غذاءً ثقافيًا وفكريًا أو للنشاط السياسى للمجتمع بشكل عام. لقد تُرجم ماركس فى إنجلترا وفرنسا، ودخلت الماركسية فى النظام التعليمى وفى الثقافة العامة. نحن للأسف لم نفعل ذلك، وظللنا نحن كمثقفين نعرف اللغات الأجنبية نحتكرها إلى حد بعيد، وما ترجم كان ملخصات ذات طابع سوفييتى أو سوفييتية. كان لابد أن يترجم الشئ البكر: أقصد النظرية ويقوم المثقفون الثوريون بتمثلها وبربطها وتغذيتها بخبرتنا، بروح لغتنا.

لقد كان الحوار الثقافي قاصراً على القيادة تقريباً، الأمر الذي كان يُفضي إلى الخلافات بين المثقفين، وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه الخلافات على الواقع.

هذا هو العيب الأول أو المشكلة الأولى : الماركسية لم تترجم ولم تصبح جزءاً من ثقافتنا ولم تتمصر بخلاف الصين مثلاً حيث أصبحت الماركسية جزءاً من تراثها كالكونفوشيوسية. وأذكر هنا شيئاً مضحكاً آخر؛ في الأربعينيات كنا مجموعة من المثقفين نتحدث عن تاريخ مصر ونحلل بعض فتراته، وكان هناك حديث دائر عن الصراع بين عدلي وسعد، وقال لي شخص إنه لابد أن نتناول الأمر وفقاً للنظرية الجدلية فسألته: كيف؟! قال، نعتبر فلان الموضوع وفلان نقيض الموضوع، وما حدث هو مركب الموضوع! أمر مضحك فالجدل لا يمكن أن يفهم بهذا المنهج الميكانيكي، ولا يمكن تحويل الجدل إلى علاقة ميكانيكية لظاهرة جزئية آنية!.

والمشكلة الثانية : أن العلاقة مع الواقع لم تكن عميقة الجذور. طبعاً كانت هناك علاقات أسميها رحلات وزيارات للفلاحين، بعضها كان عميقاً وترك آثاراً جيدة، ولكن لم تكن العلاقة مع الواقع المجتمعي العام عميقة الجذور، ومتصلة. لقد كانت العلاقات قاصرة على المدينة الكبيرة وهي القاهرة والأسكندرية، كنا نرسل أناساً إلى الفلاحين ولا يستمر العمل إلا بشكل سطحي وموسمي، لم يكن يوجد زرع أو تلقيح للواقع أو تغييره بحيث يتفاعل مع الفكر الجديد ويتم تنمية الفكر الجديد حسب الاحتياجات والمشاكل والخبرات المحلية.

كان يغلب على علاقتنا مع الواقع رؤية البورجوازية الصغيرة، لأن أغلب القيادات في ذلك الوقت كانت أرستقراطية أجنبية أو محلية وبعضها بورجوازية كبيرة أو بورجوازية صغيرة، وكانت فكرة الثورة والتغيير الثوري مرتبطة بتغيير القيم بشكل مجرد علوي لا يُراعى أحياناً قضية القيم في ارتباطها بالمجتمع. لقد سمعت من يقول : «إجذب بالجنس واربط بالنظرية»، صحيح أن مثل هذا الاتجاه وجد في بعض المنظمات الصغيرة، وهذا أشبه بإنزال قيم مختلفة بالبراشوت على المجتمع، وهو لا شك يصدر عن عقلية أناس بعيدين عن المجتمع، وهو تعبير عن علاقة سطحية بالواقع، علاقة من الخارج يغلب عليها الطابع الأرستقراطي أو الغربي، وكل ذلك لم يساعد على توطين وتبيئة النظرية وإعطاء النضال طابعاً وطنياً حقيقياً نابعاً فكراً وعملاً

من شروطه الموضوعية الخاصة.

كانت هناك شعارات تُعبّر عما ينقصنا مثل «شعار التعميل» أى الاتجاه للعمال، شعار التفليح أى الاتجاه للفلاحين، شعار التمصير للنظرية، ولكن إلى أى حد كان يتم ذلك؟ ورغم كل هذا كان هناك طبعًا اهتمام بالقضية الوطنية، لكنه كان مركزًا فى المدينة، فى المدن الكبيرة. وكان هناك استقطاب للمثقفين أكثر من الطبقات الشعبية، وكان هناك اختلاط بعمال وفلاحين، لكن لم يكن ذلك فى المواقع الأساسية، ويمكن القول إن الدور الدعائى والتثقيفى كان له تأثير أكثر من الدور المجتمعى العملى النضالى. فى الأربعينيات صدر عدد مهم من الكتب والمجلات، الغد والملايين والجماهير، وعملت مراكز دراسات مختلفة، وكان كله نشاطًا ثقافيًا فى الأغلب.

يقال إن وجود الأجانب سبب الإنقسام فى الحركة الشيوعية، قد يكون هذا عاملاً من العوامل، ولكن يلاحظ أنه يوجد أيضًا عامل ذاتى، داخل الحركة كانت هناك عناصر جيدة جدًا، لكن هل كان هناك شئ آخر يحاول أن يلعب لعبة التفرقة أو يضعف الفكر الماركسى والعمل المؤسس عليه فى ارتباط مع الواقع؟

الحقيقة أننى أرى أنه لم يكن هناك انقسام فى الحركة ورغم أنه كان يوجد تعددية انقسامية، لكن كان هناك اتجاهان غالبان رغم هذه التعددية، اتجاه يغلب عليه الطابع النظرى واتجاه يغلب عليه الاتجاه التجريبى العملى البحت، هذه هى القضية. رغم تعدد المنظمات الصغيرة، النجم الأحمر والنواة وغيرها، كنت أشعر فى هؤلاء بوجود رؤية نظرية، وكنت أشعر أن آخرين يتجهون مباشرة إلى الجانب العملى واليومى وكانت لهم رؤية أقرب إلى التنظير. ولكن، ولو فتشنا فى هذا الجانب النظرى الذى كان يغلب على البعض، كنا نجد أنه أقرب أحيانًا إلى الجمود الذى يصل إلى قمته فى م. ش. م والجانب الآخر العملى الذى كان يصل إلى قمته فى الحركة الديموقراطية، أو يغلب عليه الجانب النقابى فى «طليعة العمال». والقول بأن غياب المركزية الديمقراطية فى المنظمات كان سببًا فى الانقسامية يغفل حقيقة أن وجود الديموقراطية فى الأحزاب الشيوعية السرية عملية صعبة، وخصوصة فى إطار أحزاب ليست جماهيرية، وليس لها مشروع اقتصادى اجتماعى ثقافى شامل واضح ومحدد ومترجم إلى خطط عمل ونضال ومراحل تنفيذية محددة. كانت الرؤية الجزئية والعمل الهامشى أو المتقطع

أو الموسمى أو النخبوى وراء غياب المركزية الديموقراطية، بل وراء عدم التراكم فى النضال السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى.. ولاشك أن التخلف الاجتماعى عامة كالتخلف الثقافى كان ينعكس على مستوى الفاعلية الفكرية النظرية والعملية والتنظيمية للحركة الشيوعية، وإن كنا لانستطيع أن نُلغى أثر العوامل الخارجية من بطش سلطوى محلى وخارجى مادى ومعنوى فى إضعاف الفاعلية النضالية. لا سبيل إلى التفسير بعامل واحد فهناك عوامل عديدة متداخله ومتفاعلة.

والحقيقة أنه لم تكن الثقافة الماركسية هى الغائبة وغير الموجودة فقط، ولكن الثقافة المجتمعية أصلاً لم تكن موجودة، فهناك تخلف نظرى وتخلف فى الوضع الديموقراطى، ولابد أن ينعكس هذا على التجربة السياسية فضلاً عن سيادة الفكر الدينى السلفى فما زالت قوى كثيرة لديها المفاهيم السلفية الأصولية الموجودة والمؤثرة باستمرار، حتى فى الاتجاه الوطنى والاتجاه الماركسى توجد هذه السلفية أحياناً. إن ضعف المنظمات الشيوعية جزء من الضعف الثقافى العام فى المجتمع، والضعف ناشئ عن تسلط عقلية مثقفى البرجوازية الصغيرة سواء كانت أجنبية أم غير أجنبية.

وفضلاً عن التخلف النظرى والتخلف المجتمعى، فثمة أمر أقرب إلى الجانب الفكرى، حتى الآن نجد أن الهوية المصرية لم تستقر. قلنا إن مصر للمصريين ثم دخلنا فى القضية الإسلامية ثم القضية القومية، وهناك صراع بين هذه المفاهيم الثلاثة للهوية حتى الآن، ولابد أن ينعكس هذا على العمل الشيوعى. كان البعض يرفع الشعار الطبقى البحت، والبعض يرفع الشعار الوطنى والقومى، والبعض يرفع الشعار المصرى، مثلاً عندما كنت فى «النواة» كنتُ أشعر أن فكرة المصرية والتاريخ الفرعونى كانت قوية، وحتى الآن يحتدم الخلاف حول حقيقة الهوية. والآن تثار قضية أخرى، هل أنت مع الغرب أم مع الشرق أم مع العولمة الرأسمالية؟.. إن الواقع ملتبس ويحتاج لرؤية موحدة دون أن تكون منغلقة.

وأخيراً أريد أن أقول إن البلبلة التى تحيط بموضوع هويتنا لابد أن تنعكس على خلافاتنا وعلى أيديولوجيتنا وسياستنا، ولابد أن تحدث بلبلة فى كثير من الأمور، وحل هذه الإشكالية هو دور الحزب الشيوعى والمثقف العضوى. على أن قضية الهوية لن تحل بالانعكاف على

الذات وحدها وإنما بالرؤية الشاملة إلى عصرها الراهن وتحديد العلاقة الفاعلة المنتجة معه من زاوية المصلحة الذاتية أساساً دون عزلة من ناحية أو ذوبان من ناحية أخرى.

وثمة خطورة تتمثل في أننا نفسر الأمر بظاهرة واحدة، ولا نضع الظواهر الأخرى على أرضيتها التاريخية الواسعة متعددة الجوانب (الخارجية والقديمة والحديثة). وعلينا أن نعرف كل هذه التفاعلات، وما العامل الحاسم، وما الثانوى، وما العامل الذى يكون فى حركة أكثر تحديداً، وهنا يأتى دور الإرادة، وكيف يمكن أن تسير الإرادة هذه الموضوعية المليئة بالإمكانيات.

وفى إيجاز لكل ذلك أرى أن أزمة الحركة الشيوعية المصرية هى أيضًا أزمة الحركة المجتمعية وأزمة الثقافة العامة والخاصة، على أن تجاوز هذه الأزمة لا يتحقق بمجرد تأملها وإدراك أسبابها وعواملها إدراكًا نظريًا، معرفيًا فحسب، وإنما لابد من اختبار هذا كله خلال الممارسة العملية مع الجماهير، من خلال قضاياها ومشاكلها الموضوعية الحية، ومحاولة كشف البدائل الصحيحة والنضال الفكرى والعمل من أجل تحقيقها؛ أى الخروج من الأحكام والتقييمات والتفسيرات المجردة إلى إرادة الفعل الجماعى التغييرى. إن المعرفة الحقيقية تنبع من الممارسة، ومن الممارسة تصحح المعرفة وتنمو وتتعمق، وترتفع بها الممارسة إلى مستوى أرقى من الفاعلية والمعرفة أيضًا. بهذا يتحقق التراكم المعرفى والنضالى الذى يصنع بحق التاريخ المتجدد للشعوب.

إن أخطر ما تعرضت وتتعرض له الحركة الشيوعية المصرية هو الفكر المعزول عن الواقع العملى الموضوعى أو الفعل العملى المعزول عن الفكر النظرى الموضوعى المتحرك.

شهادة

محمود عزمي[1]

الاســــــم : محمود عبد المنعم عزمي

تاريخ وموطن الميلاد : ١٢ نوفمبر ١٩٣٣، القاهرة

المؤهــــلات : ليسانس الحقوق عم ١٩٥٤

المهـــنـــة : محامي بشركة مصر للبترول

– رئيس تحرير مجلة الفكر الاستراتيجى العربى

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢١ عاماً – أكتوبر ١٩٥٤

فترة السجن والاعتقال :

– من ١٩٥٩/١/١ وحتى ١٩٦٤/٤/٧

– من ١٩٦٦/١٠/١٠ وحتى ١٩٦٦/١٢/١٩

بيانات شخصية : الحياة والبيئة الأسرية التى نشأت فيها كانت مؤثرة على توجهاتي الفكرية والسيسية منذ مرحلة الصبا ومقتبل الشباب وذلك فى اتجاهين :

الأول منها : أن جدى لوالدي «محمود عزمى» كان وزيراً للحربية فى الفترة من ١٩٢٤/٢٢ وكانت مكتبته تحتوي على العديد من الكتب العسكرية والاستراتيجية، وكان هذا عاملاً مؤثراً إلى حد ما فى توجهى لمحاولة الانخراط فى الكفاح المسلح ضد الإنجليز إبان نهوض الحركة الوطنية المصرية في الأربعينيات وبداية الخمسينيات، هذا العامل نفسه كان دافعاً أيضاً إلى حد ما للانخراط في صفوف المقاومة الشعبية إبان حرب السويس عام ١٩٥٦، انضمامى إلى معسكر قرب فايد تحت إشراف كمال رفعت، وطلبة، نهائى كلية الشرطة. ولأنني كنت قد قرأت فى مكتبة «الجد» خاصة في فترة الجمعيات السرية (فى نهايات الأربعينيات) فقد كان لدى فكرة لا بأس بها عن الأسلحة، وحرب العصابات، ولذلك سرعان ما اكتشفت عدم جدية ما يجرى إلى درجة اعتقادى بأن انخراط اليساريين وقبول سلطة يوليو بانخراطهم فى معسكرات المقاومة... ما هو إلا طريقة من طرق الكشف عن المناوئين أو المختلفين السياسيين مع سلطة يوليو، وفعلاً فإن شهادة «المصيلحى» أثناء محاكمتنا فى ١٩٥٩ تدل على ذلك دلالة صريحة.

أما الثاني منها: من حيث البيئة الأسرية وتأثيرها ، فكان عمل والدي كنائب عام في الفترة من نهايات الأربعينيات وحتى ١٩٥١، وهو ما أتاح له وللأسرة- وأنا واحد منها - التعرف إلى أبعاد الفساد السائد في تلك الفترة؛ وخاصة الفساد «الملكي» وذلك حين التحقيق في قضية الأسلحة الفاسدة.

فقد توصل والدي من خلال التحقيقات أن الملك شخصيًا متورط في هذه القضية من خلال عمولات كان يحصل عليها من هذه الصفقات (وكانت الحكومة القائمة أثناء ذلك هي حكومة الوفد الأخيرة قبل يوليو). لقد عمقت أحداث هذه الفترة خاصة فيما يتعلق بموقف والدي، وكنت وقتها قد دخلت الجامعة (١٩٥٠) ولي نشاط سياسي يتعلق بالكفاح المسلح ضد الإنجليز، وأتاحت علاقتي بوالدي أن أقدم له أحد زعماء طلاب الجامعة آنذاك، وهو من الإخوان المسلمين ، ورغم أن والدي تناول في الحديث معه تفاصيل التورط الشخصي للملك في هذه القضية، إلا أن جماعته لم يكن لها أي رد فعل تجاه هذه القضية. ومن ناحية أخرى فقد كان مسلك قيادات الوفد آنذاك- عاملاً مؤثراً جداً بالنسبة لي، فقد كلم والدي النحاس وعبد الفتاح الطويل وزير العدل آنذاك موضحًا لهما أن الدستور يمنعه حتى من تقديم متهمين معترفين على الملك، فضلاً عن تقديم الملك نفسه إلى المحاكمة، وأن عليه (النحاس) أن يحاكمه أمام البرلمان، وكان رد النحاس باشا، أنه وسراج الدين لا يريدان مشاكل مع الملك، وأضاف لابد أن تحفظ التحقيق.

وكان هذا ضد رغبة عبد الفتاح الطويل وطه حسين، وظل الضغط على والدي عدة شهور، مما دفع طه حسين لأن يستضيف والدي في استراحة الآثار في سقارة، وظل بها شهرين طالبًا الاستقالة ورافضًا للحفظ حتى فعلت الضغوط فعلها ووقع قرار الحفظ.

هذه الأحداث وغيرها والتي حدثت في بيئتي الأسرية لعبت الدور الأوفى في توجهاتي الثقافية والفكرية والسياسية والتي ستحسمها في اتجاه محدد بعد قليل.

تعرفت على الفكر الماركسي خلال نهايات الفترة الممتدة من بواكير الشباب (١٢ . ١٢ عامًا) وحتى بداية الخمسينيات أو ما يقرب من منتصفها ، حيث اشتركت كطالب وطني في

مظاهرات الأربعينيات ثم حاولت الانخراط فى الكفاح المسلح فى أوائل الخمسينيات إلى أن رأيت أو تعرفت على بعض الشيوعيين، وكان ما ينفرنى منهم موقفهم من القضية الفلسطينية، حيث كانوا يؤيدون قرار التقسيم ويرون أن هناك حق فى وجود دولة إسرائيل، وأن موقف الملك والحكومة المصرية هو الرغبة في صرف النظر لدى الحركة الوطنية عن الكفاح ضد الإنجليز.

بعد ١٩٥٢ كانت الجمعية التى أنتمى إليها قد تفتتت لعدم وضوح الرؤية الفكرية والنظرية (سيأتى الحديث عنها فيما بعد). بدأت أفكر وأقرأ وأدرس إلى أن وصلت إلى أن الحركة الشيوعية كفكرة مهمة فى السبيل بغض النظر عما أراه من انحراف فى قضية فلسطين. ومن خلال ما لمسته، فقد فشل الوفد، وضعف، وما كان يُسمى الحزب الاشتراكى، كان فاشياً. والحقيقة أن الذي قربنى إلى الحركة الشيوعية هى رواية مكسيم جوركى (الأم) وهى الرواية التى حسمت الموضوع عندى.

وفعلاً انضممت للحركة الشيوعية فى أكتوبر ١٩٥٤ بعد تخرجي من الجامعة مباشرة. ولم يكن انضمامي للحركة الشيوعية المصرية منبت الصلة بالأحداث التي جرت لى منذ الصغر؛ فمنذ عام ١٩٤٦، وحين كنت طالبًا فى مدرسة الإبراهيمية الثانوية، بدأت فى الاشتراك فى المظاهرات الطلابية. وكان يزاملنى فى مقعد الدراسة نفسه «عادل حسين»، وكنا مازلنا نرتدى البنطلونات القصيرة، وكان فى المدرسة نفسها أيضًا «إلهام سيف النصر» وكان يسبقنا بعام دراسى واحد؛ حيث كان في الصف الثالث. وكنا نهتف بشعار «تسقط انجلترا» الذى كان غاية فى الجرأة آنذاك. واشتركت أيضًا فى مظاهرة ٢١ فبراير ١٩٤٦ ثم فى مظاهرة ٤ مارس (حداداً على شهداء ١٩٤٦). وقد بدأت بذرة العمل التنظيمى (العمل المنظم) لدينا منذ ذلك الوقت؛ فكنا نقسم أنفسنا مجموعات من التلاميذ للتحضير لإضراب ٤ مارس، وكانت مناقشاتنا مع الناس قد رسخت فى نفوسنا (أنه لاشئ مستحيل) رغم أنهم كانوا يُحبطوننا باعتبارنا (شوية عيال) لكن كلامهم عن النضال الوطنى فى المراحل السابقة عمق فى نفوسنا إمكانية تحرير البلاد. وعموماً استمرت المظاهرات عامى ١٩٤٦، ١٩٤٧ إلى أن خرج الإنجليز من القاهرة والأسكندرية فى ٣١ مارس ١٩٤٧م.

فى هذه الفترة بدأت أنا وزملائى التفكير فى تشكيل جمعيات سرية مسلحة للرد على الإنجليز، وأنه لابد من نوع من حرب العصابات أو المقاومة السرية. وهى فكرة كانت سائدة عند كثير من الشباب. وهذه الفكرة (جمعية سرية للقيام بحرب عصابات) كانت قد استغرقت تفكيرى وجهودى الأساسية من عام ١٩٤٦ وحتى ١٩٥١.

قمت بتشكيل جمعية سرية، اتبعت فيها نظام الخلايا، كل خليه لا تزيد على ثلاثة. وكنت اجتمع بكل مجموعة على حدة، وكانت لا توجد لجنة مركزية، وكان يسيطر على ذهنى فكرة الخطر البوليسى، (وكنا كلنا فى سنوات تتراوح بين ١٣، ١٥ عاماً). طبعًا إمكاناتنا المادية ضعيفة جداً (الاشتراك من المصروف الشخصى) فكانت العادة أن يدفع ما بين عشرة قروش وعشرين قرشًا فى الشهر، ورغم ذلك اشترينا مسدسين (أحدهما كان غير صالح) بستة جنيهات، وكان ذلك فى عام ١٩٤٧، وبدأنا نفكر فى القنابل المولوتوف، لكن نظراً لقلة الإمكانات وعدم جدية الأولاد لم نقم بعملية فعلية.

وبرغم أن الجمعيات كانت تفشل فى الاستمرار، إلا أننا استمرينا، ومع كل تشكيل جديد كانت أفكارنا تصبح أكثر تقدمًا، لكن ضعفت الفكرة بعد خروج الإنجليز من القاهرة والأسكندرية عام ١٩٤٨، وتوقف النشاط لفترة لكون ذهابنا إلى معسكرات القنال فوق طاقتنا. فى الوقت نفسه ظهرت مشكلة فلسطين. وفكرنا فى التطوع. إلا أن صغر سننا كان عائقًا. من ناحية أخرى، لم تكن نشعر بجدية أي من الأحزاب الموجودة، فضلاً عن أنه لم يكن أى منا منخرطًا فى أي من هذه الأحزاب. شاركنا بالكلام فى اجتماعات الأحزاب. وذهبنا إلى جمعية الشبان المسلمين، كذلك للأخوان المسلمين فلا كان هناك كفاح ضد الإنجليز أو ضد الملك.

بعد أن الغي الوفد (النحاس) معاهدة ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر ١٩٥١م، كان معى مجموعة جديدة أكثر نضجاً، وكان أحدهم على علاقة شخصية بجناح حافظ رمضان، رغم أنه لم يكن ينتمى للحزب الوطنى. وذهبنا إلى مقر الحزب الوطنى وتعرفنا بعدد من شباب الحزب الوطنى وكان منهم د. يحيى الجمل، والمرحوم أحمد مجاهد (أكثر هؤلاء الشباب جدية). وبدأنا (أنا وأحمد مجاهد) فى العمل، وتبرع لنا حافظ رمضان بمائة جنيه وجمعنا عشرين جنيهاً من

أنفسنا (أو ثلاثين جنيهاً). وبدأنا من جديد لتحقيق فكرة الكفاح المسلح، وذهبت لصديق لى من وكالة البلح، وعرفنا على تجار سلاح واشترينا أربعة مدافع من طراز ستن، ثم اتخذنا قراراً بإقامه معسكر للتدريب وعلقنا لافتات روزعنا منشورات وشعارات عن « كتائب التحرير الوطني». وجاء إلينا حوالى ثلاثمئة شخص فى مقر الحزب الوطنى كمتطوعين وطبعاً كنا نشك أن فيهم الكثير تابعين للمباحث أو للمخابرات الإنجليزية.

اشترينا خيام من وكالة البلح وذهبنا فى الترام إلى أول طريق مصر أسكندرية الصحراوى. وكانت الناس فى الترام تؤيدنا وتصفق لنا، حتى الجندى التابع للشرطة الموجود على طريق الفيوم، طالبنا بتعهد شكلى بأنكم ليس معكم أسلحة، واستمرينا ثلاثة أيام نتدرب على إطلاق النار. وعندما بدأنا في الإعداد للذهاب للقناة (ذهب ثلاثة أو أربعة لم يفعلوا شيئاً) بدأت العوائق تظهر من الناحية المالية والتنظيمية.

بعد حريق القاهرة لم يعتقل منا أحد، وكنا قد اشتركنا فى مظاهرات يوم ٢٦ يناير، وبدأت الحرائق حوالى الساعة الثانية أو الثانية والنصف، والمظاهرات لا علاقة لها بحريق القاهرة، وكان رجال البوليس السياسى يجمعون بعض جامعى أعقاب السجائر، ورأيناهم أثناء عودتنا إلى منازلنا يرشون مواد ويشعلون فيها النيران.

بعد الأحكام العرفية أصبحنا في حيرة من أمرنا، ذلك أنه لم تكن هناك أيديولوجية تجمعنا، ولم نكن نثق فى أى من الأشكال الحزبية القائمة.

فى الجامعة كنت أشارك فى كل المظاهرات. وبعد ٢٣ يوليو، واتخاذهم مجموعة من الإجراءات، بدأ موقفى يتبلور منهم خاصة من قضية الأسلحة الفاسدة وبقاء الحاشية الفاسدة. كان أول تنظيم شيوعى انضممت إليه هو نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم) الثانية وليست الأولى - نحشم الجديدة. وكان الشخص الأساس فيها والذى كنت أعرفه بعد ذلك هو (جمال البخارى) وكان يعمل محامياً وأسسنا سوياً مكتباً للمحاماه للدفاع فى قضايا العمال (مجاناً) وكان المكتب فى العتبة. انضم إلينا فى المكتب محمود سامى عطا الله وفؤاد نداء وقد أغلق المكتب بعد ذلك لضعف موارده المالية، والذى كان يقتصر على خمسة جنيهات تدفعها لنا

نقابة عمال الترام كاشتراك شهرى.

لم ألتفت إلى وضعي الشخصي، فقد كان لدى «حلم الثورة القريبة» والتى ستحدث فى حياتنا، وظللت فى نحشم ستة شهور، وكنا تنظيما صغيراً يصدر منشورات ونشرات ثم دخلنا بعد ذلك فى وحدة «الحزب الموحد» فى مايو ١٩٥٥، وشعرت بالارتياح، لأنه كان هناك نشاط أكبر، وقابلت فى هذه الفترة «شهدى عطية» وكان شخصاً محترماً وهو الوحيد فى هذه الفترة الذى يملك رؤية نظرية متكاملة، وتصرفاته محترمة ويوثق به.

كان الحزب الموحد يصدر مطبوعات متعددة بها شبه دراسات.

بعد يونيو ١٩٥٦، والإفراج عن المعتقلين، بدأت الكارثة حيث تولت قيادات حدتو قيادة الموحد، وبدأ أسلوب العمل يتغير، صار هناك كلام مثير عن جماهيرية الحزب، دون أدنى اهتمام بموضوع النظرية.

بعد تأميم القناة، تأييد حدتو لسلطة يوليو وصل إلى درجة خرافية لدرجة أنك لا تشعر أنك فى حركة شيوعية، وإنما أنت جزء من حركة وطنية، وأن مسألة تولي الشيوعيين السلطة اختفت، وبدء الحديث عن برجوازية وطنية، وقيادة وطنية. وقتها وجدت معارضة داخل معتقل أبو زعبل، ثم تحولت بعد ذلك لانقسام بقيادة فوزى جرجس، رسمي هذا الانقسام بـ «طليعة الشعب الديمقراطية»، وظلت المعارضة قائمة إلى أن صدر قرار رسمي من الموحد الذى تقوده حدتو بفصل عشرة زملاء لاتهام بالتكتل. فى الحقيقة كنا نطالب «كطليعة» بعقد مؤتمر وصراع إيديولوجى (وكان هذا شعارنا الأساسى)... مؤتمر يحسم الصراع وتجرى على أساسه انتخابات تفرز القيادات، ويجرى وضع برنامج ورؤية استراتيجية وتكتيك. وكان هذا ما ترفضه قيادات حدتو المتنفذة فى الموحد، أولئك الذين إتهموا المختلفين بأنهم مثقفين يتميزون بالثرثرة، ويتركون النضال الجماهيرى، ويتكلمون فى قضايا نظرية تضيع الوقت فى ذلك الوقت. وبعد قرارات قيادة حدتو للموحد، أسسنا (طليعة الشعب الديمقراطية) ، وبدأنا نعمل ثم أصدرنا مطبوعات بعد ستة أشهر.

كانت القيمة الأساسية فى ذهني، و اكتشفت بعد ذلك أنها كانت فى ذهن فوزى، وهى ألا

نتعجل فى إصدار مطبوعات (جريدة ومنشورات باسم التنظيم) حتى لا نتعجل ضربة بوليسية من ناحية، وحتى نستطيع أن نقيم التنظيم على قدمين راسختين من ناحية أخرى، بحيث يكون لنا قدرة على إيجاد محترفين.

لم تكن لدينا أموال، وبحكم وضعى المالى كابن لنائب عام سابق ولأم تمتلك أراض زراعية، وأقيم فى الزمالك، وأحصل على مصروف كبير (٤ جنيهات) إئتمنونى على المسئولية المالية. كانت حصيلة الاشتراكات لا تزيد أبداً على ثلاثين جنيهاً، بل وصلت فى أحيان إلى عشرين جنيهاً.. كنا نريد تغيير مجتمع ونؤسس تنظيماً .. فى الوقت الذى حالت إمكاناتنا المادية دون احتراف إلا زميل واحد هو المرحوم نجاتي عبد المجيد. ورغم ذلك استمرينا فى التنظيم وفى سنوات ١٩٥٧، ١٩٥٨ (مارس، أبريل) تمت وحدة بين تنظيمنا وبين تنظيم وحدة الشيوعيين (و. ش) ثم اكتشفنا في خلال شهر واحد من الوحدة أن هذا التنظيم شبه وهمى فهم حوالى عشره أو اثنى عشر شخصاً، فى حين كنا نحن (الطليعة) - وقد كنت المسئول التنظيمى الحقيقى لمنطقة القاهرة - كان لدينا في القاهرة والأسكندرية حوالى ١٢٠ عضواً ومرشحاً للعضوية، ولم يكن هناك أحد في مناطق أخرى، كان الزملاء فى (و. ش) يقولون بأن لديهم ستين هنا وثمانين هناك ولم يقدموا لنا شيئاً. فاخذنا قراراً من خلف القيادة (أنا ونجاتى) بطردهم، إلا أن أعضاء اللجنة المركزية احتجوا على ذلك، إلا أننا أصررنا عى ذلك وغيرنا لاسم إلى (الطليعة الشيوعية) وغيرنا أسماءنا الحركية. إلا أننا اكتشفنا أثناء محاكمتنا فى عام ١٩٦٠ بأن أسماءنا الحركية خلال فترة الوحدة والمعلومات المباحثية كانت ضمن تقارير المباحث مما يعنى أن هناك ثرثرة لا مسئولة كانت سائدة في فترة الوحدة من قبل هؤلاء الزملاء.

في هذا الوقت كنا نتبنى تحليلاً سياسيًا قدمه «فوزى جرجس» يصف التمثيل الطبقى لحركة يوليو بأنها للبورجوازية الصناعية الكبيرة، وقد أصدر كتابان عام ١٩٥٨ (دراسات فى تاريخ مصر السياسى) بعد أن أصدر شهدى عطية كتاب "تاريخ الحركة الوطنية". وقد كان هذا التحليل نتاج لدراسة الواقع فى مصر ونتاج للصراع الفكرى والأيديولوجى حول من تمثل حركة يوليو طبقيًا، فى الوقت الذى كانت حدتو تقول فيه بورجوازية وطنية (متوسطة وصغيرة)

بعد أن تمت الوحدة مع (د. ش) كان هناك تياران - من وجهه نظرى) الأول يتعجل الشكل التنظيمي والحجم التنظيمي وذلك للحصول على أربعة كراسي في اللجنة المركزية في حال قيام وحدة مع الحزب الشيوعي المصرى أو غيره، وكان موضوع الكراسي يتعب الناس جداً، وفوزى وأنا ونجاتي كنا ضد هذا التيار. كانت هناك فكرة لكن لم نقلها بصراحة خوفاً من اتهامنا بالتخاذل وترك النضال، كانت هذه الفكرة تقول بالبداية من الصفر. وكانت هذه الفكرة نتيجة لتحليل طويل كتبته أنا في تاريخ الحركة الشيوعية من وجهة نظر تنظيمنا (الطليعة) (وللأسف حرق ضمن ما حرقته أسرتي عند اعتقالى).

كان فحوى التحليل ينظر إلى أن الأشكال التنظيمية التقليدية والانقسامات ثم الهجمات البوليسية والقضايا تُضيع تضحيات الناس، وأن علينا أن نبدأ من جديد من الصفر. وقد سخر من هذا التحليل جماعة حدتو، كما أننا لم نستطع اتخاذ قرار بشأن هذا التحليل، لأن التيار الآخر رفض هذا التحليل واتهمونا بأننا نريد إفساد كل شئ، بل وتريدين التوقف عن النضال الشيوعى.

والحقيقة لم تكن هناك نية لاعتزال النشاط، وإنما كانت الفكرة هى شعورنا بأن هناك شيئاً خطأ يحدث، وأن هناك مكابرة على طرح الشعارات التى ليست لديك قدرة تنظيمية حقيقية على تحقيقها أو تنفيذها، ومن ثم فالأفضل البدء بعملية تنزير.

كانت فكرتي تقتضى تجميد الشكل العلنى للتنظيم - أى لا نصدر مطبوعات تحمل اسم الطليعة الشيوعية - إلى أن نفهم ماذا نريد بالضبط. وقد بدأت هذه الفكرة قبل الاعتقال، ولكن ناقشتها أنا وفوزى جرجس فقط وبشكل محدود جداً، فقد كانت الظروف والأجواء السياسية في مصر وقتذاك تنبىء بالاعتقال، لكننا كنا عاجزين عن الحركة بسبب المشكلة المالية، كما لم تكن هناك أماكن لدى متعاطفين لديهم القدرة على إبعادنا عن القبضة البوليسية. فى ذلك الوقت كل ما فعلته أننى ذهبت إلى منازل الزملاء، واستطعت جمع كل المطبوعات والتى كانت توجد فى أماكن غير مُؤمنة جيداً (تحت السرير مثلاً) وجمعتها فى مخبأ لم يصل إليه البوليس، لكن عائلتى تولت حرقه بعد ذلك. ورغم ذلك فقد احتفظ ماجد

بمحاضر الجلسات التي كانت مكتوبة بخط يدى وخط يده، وحكمت علينا المحكمة العسكرية في عام ١٩٦٠ بعشر سنوات لماجد وتسعة لمحمود عزمي وثمانية لنجاتي عبد المجيد.

في النصف الثاني من الخمسينيات ثارت مسألة الاتحاد السوفيتي، واتهمتنا حركة يوليو بأننا عملاء للسوفييت، غير أن زملائنا اتهمونا بأننا ضد الاتحاد السوفيتي وذلك لموقفنا من الموقف الذي اتخذه خروشوف من ستالين في المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ والذى كان أحد أسباب انقسام الموحد. لكن في القضية، رئيس المحكمة العسكرية رفض الأخذ بكلام لصيلحي أو غيره بأننا نتلقى أموال من الاتحاد السوفيتي، وتساءل عن وجودها.

وحقيقة الأمر أننا لم تكن لنا أي صلات بالاتحاد السوفييتي أو غيره في أي وقت من الأوقات. وفيما يتعلق بفكرة «البدء من الصفر» فقد استمرت مناقشتها في المعتقل، إلا أنها توقفت خلال السنتين الأخيرتين وإن استمرت بعد ذلك. فعندما اعتقلت مرة أخرى في أكتوبر ١٩٦٦ أنا وفوزى جرجس وعلي الشوباشي وابراهيم فتحي، كان الاعتقال مستنداً إلى خطة الصفر هذه معتبرين أننا قد توقفنا ظاهريًا، وسألوني عن د. إبراهيم سعد الدين و إسماعيل عبد الحكم (اعتقلا في الفترة نفسها ولمدة قصيرة) وهل هؤلاء هم واسطتكم للعمل داخل الاتحاد الاشتراكي، ومنظمة الشباب، والتنظيم الطليعي، لكن عرفت بعد ذلك أن الأمر كله يتعلق باتهامات داخل أجنحة السلطة نفسها (عبد الناصر/عبد الحكيم) لدرجة وصلت إلى اتهام جمال عبد الناصر بأنه شيوعي أو يتخذ إجراءات شيوعية.

وعلى أية حال فإن هناك قضية مهمة عندما تحاول الإجابة عن أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥، ومن وجهة نظري أنه يرجع إلى انتفاء الديمقراطية الداخلية للتنظيم الشيوعي في مصر (أى تنظيم شيوعي مصرى)، فلم يحدث أبدأ أي نقاش حقيقي حول ما كُنا نسميه المقومات السياسية، والتحليل، و كذلك اختيار القيادات. لقد كان الخط السياسي يُفرض دون أن يؤخذ رأى الناس فيه، رغم أن الحركة كان من المفروض أن تكون قمة الديمقراطية، وكان هناك قمع معنوى للآراء المضادة أى المخالفة لرأى القيادة.

كما أن الحركة لم تمتلك خطأ سياسياً واضحاً بمكوناته الكاملة (ويسرى هذا على كافة

التنظيمات المشكلة للحركة). لقد كانت هناك منظمات أسست على مجرد بيان. كذلك لم يحدث أن ظهر تحليل متفق عليه بين الجميع خاصة في الموقف من المجتمع والسلطة القائمة آنذاك، ولذلك أرى أنه لم تكن هناك جدية على المستوى السياسي، وإن كانت هناك تضحيات ونضال جاد من قبل الشيوعيين المصريين. وفي رأيي أيضًا أن الانقسامات بشكل أساسي جاءت من الرغبة في الحصول على كراس في اللجنة المركزية، كما أن هناك عقلية ونمطاً فكرياً محدداً أثر بشدة في حدوث الانقسامات؛ حيث لعبت فكرة توصيف حركة يوليو طبقيًا، دوراً جوهرياً في الانقسام، ودوراً أساسيًا في انحراف هائل، وصل إلى حد وصف النظام الحاكم بأنه يتشكل من مجموعات منها مجموعة اشتراكية؛ وهي الفكرة التي أدت إلى حل التنظيمات الشيوعية في عام ١٩٦٥. وفي رأيي أيضًا أن سيطرة اليهود، في بداية تشكيل المنظمات الشيوعية في الأربعينيات، لعبت دورها في ظاهرة الانقسامية، وإن لم تكن السبب الوحيد.

شهادة

منصور زكي

مقدمة للشهادة :

كنت حريصاً، بمرافقة الزميلين أحمد على خضر وأحمد سالم سالم، على زيارة رفاقنا الشيوعيين؛ خاصة المرضى منهم، وكنت قد بدأت فى تسجيل حوارات مع بعض الزملاء حول سيرهم الذاتية وحياتهم الكفاحية، والتقينا - فى منزل المرحوم عدلى جرجس بالمطرية - مع الزميل منصور زكى.

ولما حاولت إجراء حوار مع عدلى جرجس عن سيرته الذاتية ومشواره مع الحركة الشيوعية الذى كنتُ قد رافقته فى بعضه دون أن يضمنا تنظيم واحد، وجدت أنه ليست لديه القدرة على الحوار بسبب مرضه، وعندئذ عرض عليّ الرفيق منصور زكى أن يقوم هو بالحديث عن السيرة الذاتية لعدلى جرجس ومشوار كفاحه من واقع معايشته له، وجاءت سطور هذه الصفحات شهادة تخص سيرته النضالية، وسيرة عدلى جرجس الذى كان من أقرب الزملاء إليه.

أ. طه سعد عثمان

* * *

الاســـــــــم : منصور زكى

ارتبطت بالحركة الاشتراكية والنشاط الشيوعى قبل عام ١٩٤٦، وكنت عضواً فى منظمة (اسكرا)، التى اتحدت مع (الحركة المصرية) فى عام ١٩٤٧، وتكونت نتيجة لهذه الوحدة (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى)، ورغم أن حملة اعتقالات ١٥ مايو ١٩٤٨، قد شملت عدداً كبيراً من الكوادر الشيوعية، من عمال وطلبة وموظفين وغيرهم، إلا أننى هربت من الاعتقال. وبذلك فإننى لم أتعرف عملياً بالزميل عدلى جرجس، إلا من خلال العمل الجماهيرى أثناء حكم وزارة الوفد فى ١٩٥٠/ ١٩٥٢. فى هذه الفترة كانت قد حدثت انقسامات وخروج على تنظيم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى). ومن هذه الانقسامات كانت العمالية الثورية وطليعة الشيوعيين المصريين (وهى غير طليعة العمال) والنجم الأحمر، والنواة، ووحدة الشيوعيين، ونحو منظمة شيوعية مصرية، وغيرها من المنظمات الصغيرة. وهنا لابد أن أوضح أننا لسنا بصدد الحديث عن تلك المنظمات، ولا المنظمة الأم - الحركة الديمقراطية للتحرر

الوطنى - فذلك له مجال آخر. لكننا نتحدث هنا عن عدلى جرجس موسى، من خلال معايشتى له.

فى ديسمبر ١٩٥٢ عندما دخلت سجن مصر، فى قضية تنظيم طليعة الشيوعيين المصريين دخل معى، فى الفترة نفسها، عدلى جرجس، فى قضية تنظيم النجم الأحمر. وكان، فى داخل السجن فى هذه الفترة، مسجونون شيوعيون فى قضايا أخرى، لتنظيمات أخرى، ودخلنا فى تلك الفترة إضرابًا عن الطعام من أجل الحصول على معاملة حرف أ، التى كانت تتميز بكثير من المزايات عن حرف ب، من حيث الأكل والنوم وغيره. ونظام حرف أ كانت الدولة قد وضعته لتحسين معاملة المثقفين السياسيين فى داخل السجون عن معاملة المسجونين العاديين. وازدادت معرفتى بعدلى جرجس أكثر من خلال هذه المعركة التى انتهت بحصول المعتقلين الشيوعيين على معاملة حرف أ.

كانت فى السجن لجنة للحياة العامة تقوم على تنظيم حياتهم فى السجن. وكان المفروض أنها لجنة منتخبة، وإن كانت فى حقيقتها معينة من ممثلين للتنظيمات. وبعد فترة قصيرة انتخب أو عُين عدلى جرجس فى لجنة الاتصال بالإدارة مع يوسف درويش المحامى.

كان الشيوعيون يقومون بحملة المطالبة بتحسين حال المسجونين السياسيين، وكانوا يعترضون على الممارسات غير الإنسانية مع المسجونين العاديين، وتعرضهم من جانب حرس السجن للضرب والإهانات والتعذيب. كان الشيوعيون يسكنون فى دور ٦ عنبر ب، بينما كانت بقية الأدوار لمسجونين عاديين عدا دور ٥. ولهذا قررت الإدارة نقل الشيوعيين إلى دور الملاحظة فى عنبر ج بسجن مصر. ونتيجة للصدامات مع إدارة السجن تم أيضاً نقل عدد من الشيوعيين إلى زنازين التأديب، ثم رُحلوا إلى سجن طنطا. وكنت أنا وعدلى جرجس منهم. أما عن السبب المباشر الذى أدى إلى اتخاذ مصلحة السجون لهذا الإجراء، فهو أننا كنا قد كتبنا عريضة احتجاج وقع عليها جميع الشيوعيين، ضد اتخاذ الدولة إجراء تحويل القضايا الشيوعية إلى محكمة عسكرية عليا برئاسة اللواء النجوى، وإصدار هذه المحكمة أحكاماً قاسية فى بعض القضايا الخاصة بالحزب الشيوعى المصرى وصلت إلى الحكم بالأشغال الشاقة لمدد من ثمانية إلى عشر سنوات. وترتب على صدور هذه الأحكام نقل المحكوم عليهم،

من زملائنا الشيوعيين، إلى ليمانات طره وأبو زعبل. وطبق عليهم نظام الأشغال الشاقة من لبس الحديد في الرجلين، والخروج لتكسير الأحجار في الجبل. وقد اعتبرت الحكومة هذه العريضة تحدياً لسلطاتها، وأرسلت لجنة تحقيق مع إدارة السجن في كيفية خروج هذه العريضة من السجن، حيث كنا قد أرسلناها إلى عدة جهات منها : وزارة الحربية التي كانت تتبعها مصلحة السجون وقتئذ، ومسئولين آخرين في الدولة، وإلى دور الصحف. وأمام لجنة التحقيق هذه تحمل مندوبو المسجونين الشيوعيين المسئولية الكاملة عن إرسال العريضة، فتقرر تشتيتنا، وخاصة من ظنت الدولة أنهم قيادات. وفي الحقيقة فإن عدلي جرجس، كان له دور بارز في لجنة الاتصال بالإدارة، ثم بعد ذلك في لجنة الحياة العامة، سواء في سجن مصر أو بعد انتقالنا إلى سجن طنطا.

في سجن طنطا زاد التقارب بيني وبين عدلي جرجس نتيجة للتقارب في الفكر السياسي أولاً بين بعض التنظيمات الشيوعية الصغيرة، ونتيجة أيضاً لتقارب المواقف النضالية بيننا. وفي نهاية ١٩٥٤ تقريبا، رحلت أنا إلى ليمان طره ونقل عدلي جرجس ومن معه إلى سجن القناطر الخيرية.

وفي ديسمبر ١٩٥٧ خرجت من سجن الواحات الخارجة، حيث كان يوجد به بصفة رئيسية أعضاء من تنظيمين هما الحزب الشيوعي المصري (الراية) والحزب الشيوعي الموحد، الذي كان قد تكون من اتحاد عدد من التنظيمات الصغيرة مع حدتو ومن تلك التنظيمات الصغيرة طليعة الشيوعيين المصريين والنجم الأحمر وحدتو التيار الثوري وجزء من النواة وغيرها. وكان في الواحات أيضاً عدد قليل من طليعة العمال، أذكر منهم لمعي يوسف وعبد التواب عثمان وعبد الحفيظ بيومي، الذي رفض الانضمام مع حدتو حيث كان في النجم الأحمر، وانضم إلى طليعة العمال. وقد وصلنا، ونحن في الواحات، خبر الوحدة بين الحزب الشيوعي المصري (الراية) والحزب الموحد وتكوين الحزب المتحد، ولكن بمسئولية مزدوجة بمعنى أن يكون في كل مستوى ممثل لكل من التنظيمين، وبهذه الصوره لم تكن وحدة فعلية وإنما كانت هيئات مشتركة.

بعد خروجي من السجن في عام ١٩٥٧، كان عدلي جرجس مسئولاً تنظيمياً في المتحد

وكان يعمل مديراً لدار الديمقراطية الجديدة للطباعة والنشر، ورغم ذلك، فإنه عند تكوين وحدة ٨ يناير ١٩٥٨، والتي جرت بين ثلاث تنظيمات هي: الراية، وحدتو، وع.ف، بما يقطع بأنه لم يعترف بوحدة المتحد، وأنها كانت صورية. كان عدلي جرجس، رغم دخوله الحزب الموحد، محتفظاً دائماً برأية المستقل في السياسة وفي التنظيم وفي أسلوب العمل الجماهيري، مما جعله لا يذوب في وحدة الموحد. ولهذا أيضاً، فإنه عند تكوين وحدة ٨ يناير ١٩٥٨، لم يقدم عدلي جرجس كعضو قيادي للجنة المركزية للحزب الجديد، ولا لأي مسئولية أساسية، في أي مستوى قيادي آخر، كلجنة منطقة أو لجنة قسم في القاهرة، لأن الحزب المصري (الراية) لم يكن يرشحه، لأنه لم يكن عضواً فيه. وكذلك ع.ف. أما الموحد الذي هو في جوهره تيار حدتو الأساسي، فإنه لم يقدم عدلي جرجس كقيادي لعدم إمكانية استيعابه كقيادي، أو خضوعه الكامل لقيادات حدتو التقليدية. كان وضعه في المتحد، كمسئول تنظيمي من قبل، وكذلك إسناد إدارة دار الديمقراطية الجديدة إليه، قد تم بهدف اتمام السيطرة على التنظيمات الصغيرة، التي كان يعتبر عدلي جرجس ممثلها، مع ضمان أن صوت عدلي مهما علا، فسوف يكون في الأقلية التي عليها أن تخضع في النهاية لرأى الاغلبية وتلتزم بتنفيذه.

بعد اتمام وحدة ٨ يناير عام ١٩٥٨، وجدت أنني وعدلي جرجس بعيدين عن جميع المسئوليات الرئيسية، بل وألغي احترافنا، مما جعلنا في موقف سيئ جداً من ناحية المعيشة. ورغم هذا كنا حريصين في مقابلاتنا الكثيرة، ورغم هروبنا من مراقبة البوليس المحكوم بها علينا، كنا ملتزمين تماماً بقواعد التنظيم، ولا نثرثر أو نتناقش في أخبار التنظيم الداخلية. ومن الغريب أنني وعدلي مع إلحاحنا على تحديد مجال عملنا التنظيمي، فقد ألحقنا بالمسئول التنظيمي للحزب الجديد، وكانت المقابلات تتم بينه وبين كل منا على حده، إلى أن خرج كمال عبد الحليم وقام باتصالات واسعة من أجل تجميع الموحد من جديد بما كان يضمه من أعضاء حدتو وأعضاء التنظيمات الصغيرة الأخرى. وقد تم الاتصال بي وبعدلي لهذا الغرض. وقد تناقشنا نحن الاثنين أولاً في الوضع، وفي الموقف الصحيح. واتفقنا على أن الحزب وقد وجد كثمره لكفاح وتضحيات غالية من عديد من الشيوعيين المصريين، فإنه يجب أن يبقى، ومادام هذا الحزب يتعرض الآن لخطر رئيسي، وهو العودة إلى فتره الانقسامات السابقة، فإن ذلك يجب أن يقاوم. ورفضنا كل العروض التي قدمت لنا رغم حالتنا المعيشية السيئة ووضعنا

التنظيمى الشاذ، بل كنا حريصين على إفشال كل محاولات قيادات الانقسام لضم أعضاء جدد إليهم من داخل الحزب. وأذكر أننا كنا نستأذن مكتب التنظيم فى الحزب الجديد، لحضور اجتماعات أو مقابلات قادة الانقسام، من أجل توضيح خطورة الانقسام على الحزب مهما كانت هناك من أخطاء من جانب قيادات التيارين الآخرين - الراية ،ع. ف- وبذلك تحدد موقفنا نهائيًا فى صف الحزب وضد الانقسام.

فى هذه الفترة كان يوجد مكتب قيادى حزب ٨ يناير مكون من ثلاثة هم : أبو سيف يوسف ممثل ع. ف، وفؤاد مرسى ممثل الراية، وكمال عبد الحليم ممثل الموحد. وكان هذا يعنى أن المتحد لا وجود له، بل يوجد بدلاً منه التنظيمان السابقان عليه. وبعد المقابلات الأولى، وإعلان تكوين حزب ٨ يناير ١٩٥٨، بدأت عملية اندماج الأعضاء من تحت ابتداءً من المناطق، ثم الأقسام، ثم الخلايا. ورغم أن عدلى كان مسئول تنظيمى المتحد، فإنه لم يوضع فى التشكيل الجديد فى أى مسئولية، وكذلك كان وضعى. وبقينا معلقان باتصال فردى مع المسئول التنظيمى للحزب الجديد. وقد زادت مقابلاتى لعدلى، والتى كانت غالبيتها تتم عند المسئول التنظيمى أو فى أماكن أخرى، خاصة وأن وضعنا بالنسبة للموقف من مجموعة كمال عبد الحليم كان متشابهًا. وبقينا نحن الاثنين بلا احتراف رغم أننا كنا محترفين قبل ٨ يناير ١٩٥٨، وعرفنا بموضوع المشاجرات التى كانت تحدث بين أعضاء وممثلى التنظيمات المختلفة فى الاجتماعات. وبدأت الخلافات تأخذ شكل العنف خاصة فى منطقة القاهرة، ومنطقة الجيزة، خاصة بين أعضاء السكرتاريات المكونة من واحد كممثل لكل من التيارات الثلاثة، وبدأ الحديث شبه العلنى على أن الراية وع. ف قد اتفقوا على أن يطردوا أعضاء لموحد من الحزب، وأطلقت مجموعة كمال عبد الحليم عليهم اسم (التكتل) بينما أطلق الباقون على مجموعة كمال عبد الحليم اسم (الانقسام). وللحقيقة والتاريخ، ورغم أننى وعدلى حاولنا وقف عملية شطر الحزب، الا أن قيادات الراية وع.ف كانوا يأخذون إجراءات لتصعيد الموقف، كوقف بعض أعضاء ل.م أو المكتب السياسى. وبعد أن تم الانقسام فعلاً بقيت أنا وعدلى فى الحزب الجديد رغم أننا أصلاً كنا مرتبطين بالموحد قبل ٨ يناير ١٩٥٨.

أُلحقت أنا بعد ذلك تنظيميًا بقسم جنوب القاهرة، وأُلحق عدلى جرجس بمنطقة المنصورة، فسافر إليها، وبدأ عمله وكان ذلك حوالى سبتمبر ١٩٥٨. وبدأت معاملتنا كمحترفين، مما

ساعد على استقرارنا.

كلفت من الحزب بالاتصال بعدلى لعمل تنظيمى. وقد تعاونت معه فعلاً فى عمل جهاز فنى لمنطقة، حيث أوصلنى بعبد الله الزغبى الذى كان يتولى نقل وتركيب أجزاء الجهاز. وظللنا نعمل بكل إخلاص فى داخل الحزب، متحاشين أى خرق لقواعد التنظيم، أو محاولة عمل اتصالات جانبية، رغم مقابلاتنا العديدة حتى كانت حملة يناير ١٩٥٩.

فى أول يناير ١٩٥٩ قبض على الأغلبية العظمى من أعضاء اللجنة المركزية لحزب ٨ يناير ١٩٥٨، وكذلك الأغلبية العظمى من قيادات الانقسام. ورغم أنه كانت هناك بوادر بأن عبد الناصر سيقوم بحملة ضد الشيوعيين، ولكن التوجيه الذى أرسل من القيادة إلى الكوادر، كان مائعً، وهو يقضى بأن من يستطيع الهرب فليهرب إذا كانت لديه إمكانياته الخاصة لذلك. ولهذا، ورغم عدم تحديد الترجيه، فقد هربت أنا وعدلى جرجس، إلى أن قبض عليَّ فى يونيه ١٩٥٩، وقبض على عدلى جرجس بعدي بقليل. ورغم اتساع حملة ٢٨ مارس ١٩٥٩، والتى جمعت الأغلبية العظمى من الكوادر الشيوعية، ورغم ظروف اختفائنا الصعبة، فإننا كنا نتفاعل رغم أننا كنا هاربين من حكم مراقبة البوليس. ورغم كل هذه الظروف فقد بدأنا فى استكمال جهاز فنى للحزب كنا قد بدأنا العمل فيه قبل حملة يناير ١٩٥٩ .

بعد القبض علي رُحِّلْتُ إلى سجن القلعة، ونُقلت بعدها إلى معتقل العزب بالفيوم. وكان عدلى جرجس ضمن اللجنة التى كانت تمثل المعتقلين أمام إدارة المعتقل. وقد تحمَّل فى سبيل ذلك الكثير من التعذيب الإضافي، من الحبس فى زنزانه التأديب، والضرب بالكرابيج السودانى، خاصة عند احتجاج المعتقلين على سوء التغذية أو سوء المعاملة. ولكنه ظل يقوم بتمثيل المعتقلين أمام الإدارة، خاصة بعد نقل فوزى حبشى العضو الثانى فى اللجنة إلى الواحات الخارجة بعد أن تعرض للضرب بالكرابيج السودانى حتى تورم جسمه كله. ورغم رفض الضابط قائد الترحيلة استلامه فى البداية، إلا أنه بعد أمر مباشر من الداخلية، نُقل وهو عارٍ تماماً من الملابس وملفوف بالقطن حوله جسمه كله. ولم يضعف عدلى جرجس أو يتخلى عن مهمة تمثيل المعتقلين رغم ما رآه من تعذيب فوزى حبشى حتى قارب على الموت.

نقلت الإدارة بعد ذلك بعض المعتقلين إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة، ونقلت

بعضهم إلى وادى ليمان أبى زعبل، وكنت أنا وعدلى جرجس مع هؤلاء، وبعد حفلة الاستقبال والتعذيب الأولى، الذى ليس هنا مكان تناوله، دخلت أنا وعدلى جرجس عنبر ٣ وقد تحملنا مع من كانوا فى الأوردى تعذيباً ليس هنا مكان ذكره أيضاً. كان قد سبقنا إلى معتقل الأوردى المحبوسون على ذمة القضية الكبيرة - قضية الحزب - بعد محاكمتهم فى الإسكندرية ورغم أن مرحلة التعذيب فى الأوردى لم يكن فيها حياة عامة، ولا مندوب للادارة، إلا أن عدلى تحمل تعذيباً مضاعفاً كنت أنا شاهد عيان عليه، وذلك بسبب أن عدلى عندما كان مندوباً للمعتقلين لدى الإدارة فى سجن مصر كان دائم الاحتكاك مع الضباط، وخاصة الصغار منهم، الذين كانوا يتولون النوبتجية فى عملية تسليم الأكل والملابس والزيارات للمسجونين والمعتقلين. وقد كان عدد من هؤلاء الضباط موجوداً فى أوردى ليمان إبى زعبل ومنهم يونس مرعى وحسن منير وعبد اللطيف رشدى، وقد شعرت أن يونس مرعى بالذات يريد أن ينتقم من عدلى، ويريد إذلاله بمضاعفة الضرب والتعذيب عليه، ولكن عدلى كان يقابل ذلك كله بصبر. وتحمل وبضحكته المعهودة، وابتسامته التى كانت تضايق يونس مرعى وبقيه الضباط كثيراً. وبصرف النظر عن عملية حفل الاستقبال فى الأوردى، والتعذيب اليومى ابتداءً من اللف للتفتيش، وطابور الزحف الذى كانوا يسمونه طابور الرياضة، ثم العمل فى الجبل، وتكسير البازلت، والجرى المستمر، وشيل التراب والأحجار، وخلافه، فقد كان لعدلى جرجس دور كبير فى تشجيع بقية الزملاء فى العنبر، وتقوية روحهم المعنوية، كما كان له دور أيضاً مع زملاء العنابر الأخرى، وكان له دور فى تربية الزملاء ثقافياً وطبقياً. وأستطيع أن أذكر ما قام به عدلى فى تلك الفترة وفى عنبر ٣ بالذات فى الآتى :

بعد أن استقر الوضع فى الأوردى، ووصلت كل الدفع الكبيرة العدد الواردة من معتقل العزب أو غيره، تشكلت لجنة قيادية فى عنبر ٣ الذى كنت فيه أنا وعدلى من ثلاثة يمثل كل منهم اتجاهاً أو تياراً من التيارات الثلاثة فى داخل الحزب، وكان المسئول السياسى للعنبر عدلى جرجس ممثلاً للموحد، ومعه رشدى خليل من ع. ف، وثروت إلياس من الراية. وأعدت خطة لتقوية الزملاء، ومساعدتهم على الصمود، وذلك بعمل محاضرات بعد غلق أبواب العنبر، ومن مجموعات صغيرة متقاربة الأماكن، وفعلاً أوجدت هذه الخطة نتائج طيبة؛ خصة وأنه كان بالعنبر بعض المنقسمين، وعدد من الذين لم يرتبطوا من قبل بالحركة الشيوعية أو ارتبطوا

وكانوا بعيدين وقتئذ عن التنظيمات.

وقد حدث نقاش فى العنبر كان لعدلى فيه دور كبير حول عدة محاولات للمقاومة، بدأت باقتراح مواجهة الإدارة بالإعلان عن رفض التعذيب، وأعدت قائمة على أن يبدأ واحد بالكلام، فإذا ما أخذته الإدارة وعذبته يتقدم غيره وهكذا ولكن هذه الخطة رفضت من اللجنة المركزية لحزب، والتى كانت فى عنبر ١ . ومع هذا فقد كانت الروح المعنوية العالية لعدلى رغم التعذيب المضاعف عليه ذات أثر كبير فى مساعدة الزملاء على الصمود. وعرضت اقتراحات أخرى مثل رفض الهتاف أو الإضراب عن الطعام أو غيرها ولكنها جميعها رفضت ولم ينفذ منها شئ.

فى يوم مجئ قضية المنقسمين إلى الأوردي ووفاة المرحوم شهدى عطية، أخذت اللجنة القيادية فى العنبر برئاسة عدلى جرجس قراراً بالمقاومة السلبية؛ بمعنى عدم الامتثال للأوامر خاصة بالف للتفتيش وتسليم المقطوعيات فى الجبل والجرى، وقد نفذت جميع العنابر هذه الخطة، إلى أن أدركت الإدارة أن الأوردى كمعسكر تعذيب قد فقد مبررات وجوده؛ خاصة بعد أن صدرت الأوامر بمنع الضرب، ووقف التعذيب، وعندئذ بدأت عملية الترحيل إلى سجن الواحات الخارجة، وقد رُحلت أغلبية المعتقلين فى دفعتين، كان عدلى جرجس مسئول الدفعة الأولى، وكنت أنا مسئول الثانية. عند وصولنا إلى سجن الواحات الخارجة، كان موجود هناك عدد من أعضاء الحزب، وكان مسئولهم فخرى لبيب، وكانت هناك أيضاً مجموعة من المنقسمين وبعض المعتقلين، وتجمعنا ثانية أنا وعدلى فى عنبر ٢ بسجن المحاريق، وكان أول عمل واجهناه هو تشكيل لجنة قيادية، وقدم اقتراحاً بأن تكون اللجنة منتخبة وترشح لها عدلى جرجس وأنا ونبيل زكى وآخرين ، وأذكر أن عدد أعضاء المجنة كانوا سبعة منهم عدلى جرجس وثروت إلياس وقد حصل كل منهما على ٦٩ صوتاً وأنا ورؤوف نظمى ومحسن الأعسر وطاهر عبد الحكيم، كل واحد أخذ ٦٥ صوتاً. وهذا ما أنا متأكد منه، وبهذه المناسبة أذكر أنه ثبت أن عملية الديمقراطية والانتخابات فى ظل الحلقية فى داخل الحزب تصبح صورية وليست لها أى فعلية، لأن التشكيل النهائى للجنة كان من عدلى جرجس وأنا وطاهر عبد الحكيم من الموحد، ونبيل زكى من ع. ف، ورؤوف نظمى وثروت إلياس ومحسن الأعسر من الراية. ومع هذا فقد تشكلت سكرتارية للجنة من ثلاثة هم ثروت إلياس مسئول سياسى، ونبيل زكى مسئول تنظيم وطاهر عبد الحكيم مسئول دعاية. وبهذا ، والحقيقة والتاريخ، ورغم أننا كنا من حيث الشكل فى

حزب واحد، إلا أن الحلقية كانت تحكم كل التشكيلات الحزبية رغم أنها فى الظاهر بالانتخاب والديمقراطية. وكان ذلك يتم بمعرفة وتأييد جميع ممثلى التيارات فى داخل الحزب الواحد، حزب ٨ يناير١٩٥٨ .

أذكر أنه فى هذه الفترة حدثت مشادة بين شكرى عازر وعدلى جرجس، تفوه خلالها عدلى بشتائم قبيحة موجهة إلى شكرى، وشاع الخبر فى المعتقل وغذاء شكرى. فطلبت أنا اجتماعاً للجنة القيادية، وفى الاجتماع طلبت توجيه لوم شديد إلى عدلى جرجس بصرف النظر عن التفاصيل، لأنه ما كان يصح أن يتفوه بشتائم قبيحة موجهة إلى زميل. وفى الاجتماع أعلن عدلى أنه أخطأ بصرف النظر عن موقف شكرى عازر، وأنه يقبل اللوم الشديد الذى اقترحه منصور زكى، لكن اللجنة قررت توجيه لفت نظر إلى عدلى، نظراً لاعترافه بخطئه وموقفه المبدئى، وأشادت بموقف منصور الذى رغم صداقته الشديدة لعدلى جرجس، فإنه وقف من خطئه الموقف الصحيح.

نظراً لزيادة النشاط الثقافى بين المعتقلين والندوات والمحاضرات وقراءة الأخبار ومجلات الهواء، وتنفيذاً لتعليمات من الداخلية، قررت الإدارة إعادة تسكين المعتقلين على العنابر والغرف، وترتب على ذلك أن غالبية اللجنة القيادية قد نقلت إلى عنبر ١، وقد رفض أعضاء اللجنة القيادية لعنبر ٢ والمنقولين إلى عنبر ١ الخضوع للقيادة الموجودة فيه، وفعلاً تم انقسام وتَشَكّل ما سُمي (الأفق) وأخذ شكل الاجتماعات المستقلة.

ومن مفهوم عدلى جرجس، للعمل السياسى داخل السجون والمعتقلات، لا يقف الاهتمام فقط عند حد المناقشات والمحاضرات، ولكن، وفى الأساس، العمل على مساعدة الزملاء على الصمود والمحافظة على صحتهم. وفى هذا الصدد، أذكر أن المعونة الأمريكية التى كانت ترد ألبان منها إلى السجن وكانت تُلقى فى الزبالة، استطاع عدلى بمجهوده الشخصى، فى الأساس، أن يحول هذا اللبن ويصنعه جبناً كان يكفى المعتقل كله.

عندما فتح باب العمل فى مزرعة الواحات الخارجة للشيوعيين من مسجونين ومعتقلين، كان عدلى من أوائل المساهمين فى العمل فى المزرعة. وهو الذى أشرف على إعداد (الترنشات) التى كانت تمد المزرعة بالسباخ، فى الوقت نفسه الذى كانت تحمى فيه المعتقلين والمسجونين

من شيوعيين وإخوان مسلمين ومسجونين عاديين، من أضرار طفح مياه المجارى.

وبالنسبة للنشاط الثقافى، فقد اهتم عدلى جرجس بتقديم مقالات وأبحاث فى مجلات الهواء، التى كانت تقال فى العنابر شاملة دراسات وإحصاءات عن الطبقة العاملة المصرية وكفاحاتها، ودرجة الاستغلال الواقع عليها. وكان يرى فى هذا ضرورة، وعدم الاكتفاء بالمحاضرات النظرية الأيديولوجية البحتة. بعد وصول اللجنة المركزية للحزب، من أوردى ليمان أبى زعبل، لم يحدث ما كان ينتظره غالبية الزملاء من أن تقوم اللجنة المركزية بحل جميع المشاكل والتئام وحدة الحزب بطريقة مبدئية وصلبة، بل ظهر بوضوح أن تيارى الراية وع. ف، قد اشتركا فى تآمر لطرد أعضاء الموحد. وقد قال مسئول التنظيم العام صراحة فى المؤتمر الإقليمى لأعضاء الحزب فى الواحات، أن ذلك قد حدث فعلاً. وقد أدى الجو الذى شاع وقتئذ إلى خروج عدد غير قليل من أعضاء الموحد سابقاً، والموجودين فى الحزب، وانضمامهم إلى المنقسمين، أو تركهم لكل الارتباطات التنظيمية. ورغم أن عدلى جرجس من الموحد، إلا أنه رغم كل الاتصالات التى أجراها من زملاء وقادة من المنقسمين، ظل مرتبطاً بالحزب، ومدافعاً عنه من منطلق أنه من داخل الحزب تداوى جميع الأخطاء، وأن هذا هو الحزب الذى من أول واجباته كشيوعى أن يحافظ عليه. وظل هذا رأيه رغم كل ما كان يتحمله من اضطهادات بسبب الحلقية حتى خرجنا من معتقل الواحات فى ١٩٦٤ .

فى أواخر أيام الواحات كان هناك إحساس عام، من منطلق فهم سياسى، بأن هناك اتصالات بين مسئولين فى الحزب، ورجال عبد الناصر، من أجل حل الحزب، خاصة وأن المنقسمين كانوا يعلنون صراحة، عن وجود مجموعة اشتراكية بقيادة عبد الناصر فى السلطة، وأنه يجب العمل معها، ولا داعى للتنظيم المستقل للطبقة العاملة من الحزب الشيوعى. ورغم هذا الإحساس لدى أغلبية كادر الحزب، إلا أن ذلك لم يكن قد اتضح وتأيد بوقائع عملية . أما بعد الخروج، وتصفية المعتقلات، وصدور العفو الصحى عن المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية؛ فقد بدا واضحاً، بتأييد من وقائع عديدة، حيث اتضحت الصورة، بأن هناك تفكيراً جدياً فى القيادة لحل الحزب، بدعوى أن الشيوعيين الذين هم خارج الحزب لا يريدون الارتباط باسم الحزب الشيوعى. وفى الوقت نفسه كانت الأغلبية العظمى من الزملاء، وخاصة العمال، يجرون خلف لقمة العيش التى شغلت كل جهدهم ووقتهم، خاصة بعد أن اخذت اللجنة المركزية قرارها

بتصفية الاحتراف وتسريح المحترفين. وقد وجد عدلى فرصة لحل مشكلة معيشته عندما عرض عليه عمه أن يتولى مصنع البلاط الذى يملكه فى أول شارع السبتية بالقاهرة. وفى الحقيقة فإن عدلى قدّم لى، ولكثيرين من الزملاء الذين كانوا فى مثل حالتى، مساعدات مالية فى حدود طاقته، وعرف عنه هذا، فذهب إليه مسئول تنظيمى الحزب بدعوى الزيارة، ولكنه أثناء الحديث طلب منه ألا يعطى أحداً نقوداً أو مساعدات، وإذا كان لديه فائض من أية إمكانية فليقدمها للحزب والحزب يتصرف فيها، ولكن عدلى رفض على اعتبار أن موقفه من الزملاء الذين يقدم إليهم مساعدات موقف فردى وإنسانى، مع زملاء ارتبط بهم كفاحيًا لفترة ليست قصيرة، وفى حدود إمكاناته المحدودة التى لا يمكن أن تكفى لتمويل الحزب.

وأمام فكرة حل الحزب واتساعها، والحديث عنها تلميحاً ثم تصريحاً، التقى بعض الزملاء ومنهم عدلى جرجس ليتشاوروا، وبعد تحليل الموقف سياسيًا، ودراسة الوضع التنظيمى فى ضوء ما هو متاح من معلومات، قرر عدلى وزملاؤه أن يكونوا مستعدين لمواجهة قرار حل الحزب بعد إعلانه، وأن يعلنوا وقتئذ الاستمرار لحزب ٨ يناير. ولعله بسبب موقف عدلى المبدئى، ومعارضته لفكرة حل الحزب، وإعلانه ذلك، بل ومناقشة من كان يقابله من الزملاء فى خطورتها، فإنه لم يدع إلى المؤتمر الذى تقرر فيه حل الحل، بل أكثر من ذلك، فإنه من وقت خروجه من المعتقل لم ينظم فى أى مستوى حزبى ولم يتصل به أحد من الحزب بخصوص وضعه التنظيمى.

وعندما صدر قرار حل الحزب فعلاً، أعلنت هذه المجموعة، ومنها عدلى جرجس، الاستمرار لحزب ٨ يناير ١٩٥٨ . ورغم أن المصنع الذى كان يديره عدلى ويتعيش منه قد صُفى وأفلس بسبب المشاكل مع الضرائب، ورغم أن عدلى قد تعرض لحالات مرضية سببها الأساسى مالقيه فى السجون والمعتقلات، ورغم أن السنوات الثلاث من عمره، حتى توفي فى ٢ يناير ١٩٩٠، قد قضاها فى المرض وملازمًا الفراش، إلا أنه ظل رافعًا راية الماركسية، وكان يُبدى لزواره من الزملاء أسفه الشديد وحزنه لأنه عاجز عن ممارسة العمل السياسى فى الشارع المصرى من أجل تحقيق الهدف الذى وهب له حياته وهو تحقيق الاشتراكية فى مصر وإلغاء استغلال الإنسان للإنسان.

شهادة

هليل شفارتز

ولادة الحركة الشيوعية المصرية

لقد كان الحركة الشيوعية المصرية طابع شديد الخصوصية. إذ ميزها عن بقية الحركات الشيوعية عدد من القسمات المتفردة. وهي قد ظهرت كما لو كانت شيئاً ينشأ من فراغ، وأنا هنا أتحدث عن الحركة التي ظهرت خلال الحرب العالمية الثانية دون أن يكون لها أي ارتباط بالحزب الشيوعي الذي ظهر أوائل العشرينيات، ثم اختفى دون أن يترك أي أثر. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، لم يكن بمصر لا حركة شيوعية، بل ولا حتى مصري واحد يعتبر نفسه شيوعياً، ولم يكن هناك سوى بعض الأفراد المنعزلين، المنتمين إلى الجاليات الأجنبية المقيمة بمصر، من الذين بدأوا يتطلعون إلى المثل الأعلى الشيوعي. وكانوا، بصفة عامة، شباباً صغار السن، ليس لهم أي ارتباط بالشعب المصري، ممن اهتموا بالسياسة من متابعة الأحداث الدولية من خلال الصحف الأجنبية. وكان أغلبهم يهوداً ذوي ثقافة فرنسية، تأثر تطورهم الثقافي بالصراع ضد الفاشية فى أوروبا واندلاع الحرب العالمية الثانية.

ومن ناحيتى، فمع اعتباري شيوعياً، لم أكن أتصور أن أقوم بأى كفاح فى مصر. وقد حاولت، إبان حرب الأهلية الاسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩)، أن أنضم إلى الفرقة الدولية، ولكن ذلك لم يتحقق لأسباب خارجة عن إرادتي. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، وجدت نفسى مضطراً للبقاء فى مصر، وكان كل اهتمامى منصباً على الحصول على المعارف النظرية التى كانت تنقصنى لكى أستطيع أن أقوم، فى وقت لاحق، بنضال سياسى فعال. ولكن كيف السبيل للحصول على هذه المعارف؟ إذ لا يوجد مدرسون للماركسية، ولا مراجع لها، ولكننى، مع ذلك، عثرت بطريق المصادفة على نسخة مستعملة من "البيان الشيوعى" لكارل ماركس، ولكتيب "ماذا يجب أن نفعل" للينين، مخبأتين خلف عدد من الكتب العادية فى إحدى مكتبات القاهرة. ولكم أن تتصوروا مدى فرحتي بهذه المفاجأة! وكان الكتابان باللغة الفرنسية، حيث لم يكونا قد ظهرا بالعربية فى ذلك الوقت.

وفى تلك الفترة علمت، عن طريق صديقة لشقيقتى، أنى لم أكن الشيوعى الوحيد بمصر،

* ترجمها عن الفرنسية م. سعد الطويل- عضو لجنة التوثيق

فقد أبلغتني بوجود شخص يدعى هنري كورييل، كانت تعتقد أنه ممثل الكومنترن بمصر. وغني عن البيان أن الكومنترن لم يكن له ممثل بمصر في ذلك الوقت، ولا أصبح له ممثل فيها بعد ذلك، فقد تطورت الحركة الشيوعية في مصر طوال فترة الحرب، دون أن يكون لها أي ارتباط بالخارج، وهذه كانت إحدى القسمات المميزة لهذه الحركة. وقد تقابلت مع هنري كورييل الذي اقترح عليّ الانضمام مع بعض الأصدقاء إلى حلقة للدراسات الماركسية، وقد قبلت اقتراحه بحماس، وأخذنا نجتمع بانتظام في منزل واحد منا.

وقد أفادتني هذه الاجتماعات من ناحية التكوين الثقافي، ولكنها لم تشبع جوعي لأنها لم تعد بأي توجه نحو العمل النضالي، ولأنها كانت تجري في وسط برجوازي كان قد بدأ يثقل علي، على الرغم من أني أنتمي أصلاً لهذا الوسط نفسه. وأذكر هنا واقعة حدثت في أحد الاجتماعات، حيث انشغلت شابة من المشاركات بتقليم أظافرها وطلائها، فلما لفت نظرها إلى أن الوقت ليس مناسباً لهذا النوع من النشاط ونحن نتناقش في مصير الإنسانية، أجابت بعبارة اشتهرت في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، قائلة: "الشيوعية لا تعني التخلي عن الرفاهية".

وباختصار، انفصلتُ عن هذه المجموعة بعد مرور بعض الوقت، وتابعت النضال ضمن حلقة ثقافية ناطقة بالفرنسية تسمى "الاتحاد الديمقراطي" أخذت تجتذب عدداً متزايداً من الأجانب التقدميين. وكان الاتحاد الديمقراطي يعمل كحلقة علنية، وينظم محاضرات ومناظرات، وله مكتبة. واعتماداً على هذا النشاط، بدأت في تكوين عدد من العاطفين على الشيوعية، ثم تنظيمهم. ولم أكن على علم بنشاط هنري كورييل، ولكنه لم يكن متوقفًا عن النشاط، وعندما كوّنت عام ١٩٤٢، مع بعض الرفاق، أول منظمة شيوعية، أسميناها إسكرا "الشرارة"، كان هو قد أسس، في نفس الوقت نفسه تقريباً، منظمة اسمها "الحركة المصرية للتحرير الوطني".

وهكذا تكوّنت منظمتان شيوعيتان في الوقت نفسه تقريباً، وقد علمت فيما بعد، أنه كانت هناك منظمتان أخريان، هما: "تحرير الشعب" التي أسسها يهودي آخر هو مارسيل إسرائيل، و"جماعة الدراسات" التي أسسها سويسري يتحدث الفرنسية هو بول جاكو ديكومب. ولن أتحدث كثيراً عن هاتين المنظمتين نظراً لأنهما لم تلعبا إلا دوراً ثانوياً في ظهور الحركة الشيوعية المصرية، وإن كانت الثانية منهما قد حققت اتصالاً مبكراً بالعمال المصريين، وبعدها

عبت دور غير قليل في الحركة النقابية عن طريق اتصالاتها العمالية إلى جانب مجلة "الفجر الجديد" التي أصدرتها.

وحدث أول اتصال للشرارة بالطبقة العاملة عام ١٩٤٢، حيث أتاح لي عملي بإحدى شركات الأدوية (شركة دلمار) الاتصال بعامل طباعة اسمه زكي أبو الخير كان سكرتيراً عاماً لنقابة عمال المطابع، وكان يصدر مجلة باللغة العربية اسمها "اليراع" كان يمولها حزب الوفد (حزب البرجوازية الوطنية). وقد تصادقنا، ونجحت في اكتسابه لصف قضية الشيوعية، ولكن أدى ضعف معرفتي باللغة العربية، إلى عجزي عن القيام بإعطائه التكوين النظري المنشود، خاصة أنه لم تكن توجد مراجع ماركسية باللغة العربية تصلح لاستخدامها لهذا الغرض. وقد كان يعرض على المقالات التي يحررها لنشرها في مجلته فأعطيه النصائح بشأنها، ولكن العلاقة توقفت عند هذا الحد. وهنا وصلت إلى اقتناع بأننا إذا كنا نريد تكوين حزب شيوعي في مصر فإنه لا مندوحة عن تجنيد مثقفين مصريين قادرين على ترجمة المراجع الماركسية من الفرنسية أو الإنجليزية ليتثقفوا هم أولاً، ثم لتستخدم في تثقيف الكوادر العمالية بعد ذلك.

ولحسن الحظ، كانت المراجع الماركسية قد توفرت، وذلك بفضل الاتصالات الكثيرة التي حققناها مع العناصر الشيوعية ضمن قوات الاحتلال البريطاني، وبقي علينا أن نجد المثقفين المصريين. وبدأت الاتصالات بين "الشرارة" وبين المثقفين المصريين أواخر عام ١٩٤٢، فقد بدأ التجنيد يتوسع في الجامعة سواء بين الطلاب أم المدرسين، وكانت الحلقة الرئيسية في التجنيد تتم عن طريق "دار الأبحاث العلمية"، وهي حلقة دراسات قانونية كانت بمثابة الاستداد للاتحاد الديمقراطي في الأوساط المصرية.

وهكذا جرى تمصير "الشرارة" بسرعة، وفي الوقت نفسه بدأت الاتصالات بالطبقة العاملة عن طريق "الجامعة الشعبية"، حيث كان المثقفون الشيوعيون يتصلون بالطبقات الشعبية بنجاح كبير.

وفى الوقت نفسه، حققت منظمة هنري كورييل، والتي لم يكن لنا بها أي اتصال، تقدماً مماثلاً. وبدأت الاتصالات بين المنظمتين على أرض الواقع، في الجامعة أو في النقابات، وابتداءً من عام ١٩٤٥، حدثت بعض أشكال النضال المشترك بين منظمة هنرى كورييل و"الشرارة" التي كانت قد انضمت إليها منظمة "تحرير الشعب" الصغيرة بقيادة مارسيل

إسرائيل. وبدأت في الظهور مشكلة توحيد الحركة الشيوعية المصرية، ولكن كانت هناك بعض العقبات في طريق الوحدة بين "الحركة المصرية" و "الشرارة". ولم تكن المشكلة نابعة من المنافسات الشخصية كما تردد أحياناً على لسان البعض، ولكن الأمر كان يتعلق بمشاكل تنظيمية وخلافات سياسية حقيقية.

فعلى مستوى التنظيم، كانت "الشرارة" عبارة عن هيكل مقسم إلى قطاعات محددة كالطلبة والمثقفين والعمال واليونانيين والأرمن واليهود المتحدثين بالفرنسية .. إلخ. وكان كل قطاع يضم خلايا منفصلة، وكانت قواعد الأمان مطبقة بكل دقة، فلم يكن أعضاء أي خلية يعرفون غير الأعضاء في خليتهم. وكانت كل خلية تنتخب مسئولاً، وكان هؤلاء المسئولون، بدورهم، ينتخبون لجان الفروع والأقسام، وترأس الجميع اللجنة المركزية التي ينتخبها ممثلو لجان الأقسام.

أما في "الحركة المصرية"، فقد كانت القواعد التنظيمية أكثر مرونة بكثير، وقواعد الأمان أقل تشدداً، أما الانتخابات الداخلية فلم يكن لها وجود. فلما بدأت المفاوضات الأولى بشأن الوحدة، تمسك كل طرف بموقعه.

كذلك كانت الاختلافات بشأن الخط الواجب إتباعه واسعة جداً. فبالنسبة "للشرارة" لم يكن ممكناً تجنيد أياً كان، بل كان لا بد أولاً، من تكوين كادر شيوعي - أثناء النضال بكل تأكيد ولكن عن طريق معرفة نظرية متعمقة. وقبل اكتساب عضوية المنظمة، كان من الواجب متابعة برنامج دراسي عن الماركسية، ولتحقيق هذا الهدف، حصلنا من الحزب الشيوعي اللبناني على محاضرات باللغة الفرنسية، وضعها شيوعي فرنسي هو ماكسيم رودنسون، وترجمناها إلى العربية. كذلك كان من شروطنا لقبول الكادر، الإخلاص التام للقضية قلباً وقالباً، فأعضاء "الشرارة" لم يكونوا يدفعون اشتراكات، وإنما كانوا يعطون كل ما يملكون لصندوق المنظمة. أما بالنسبة "للحركة المصرية"، فقد كان تكوين الكادر يكتفي بالنضال العملي، وكانوا يعتبرون ما تقوم به "الشرارة" مبالغة في اتجاهات المثقفين.

ولم تلبث محادثات الوحدة أن اكتسبت زخماً جديداً مع بدء حركات الإضراب في صناعة النسيج، ومع التطور السريع للحركة الوطنية التي كان للشيوعيين أن يلعبوا فيها دوراً أساسياً. فقد انتهت الحرب العالمية الثانية التي دفعت التغيرات الاجتماعية في مصر بقوة،

وفقدت القوات البريطانية أي مبرر لوجودها بالبلاد. وفي أكتوبر ١٩٤٥ أصدرت "الشرارة"، عن طريق "دار الأبحاث العلمية"، بياناً تحت عنوان "أهدافنا الوطنية"، عرض لأول مرة، برنامجاً من وضع الشيوعيين، يغطي كل أهداف الحركة الوطنية. وكان هذا الكتيب يقدم ويحلل كل الأهداف الوطنية، بما في ذلك جلاء القوات الأجنبية، ووحدة مصر والسودان، والنضال ضد الإمبريالية، والإصلاحات الاجتماعية، وتوزيع الأرض على الفلاحين، والمساواة بين الجنسين، واحترام الحريات الديمقراطية.

وبنهاية عام ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦، تضاعفت سرعة الأحداث، فكان هناك أولاً، الإضراب الكبير لعمال شبرا الخيمة، وبعدها، في ٩ فبراير، كانت مظاهرة طلبة القاهرة، حيث فتح المسئولون كوبري عباس أثناء مرور الطلبة، فسقط البعض منهم في النهر وغرقوا. وفي ١٩ فبراير تكونت "اللجنة الوطنية للطلبة والعمال" التي كان للشيوعيين فيها دور أساسي. وفي ٢١ فبراير ١٩٤٦ احتفل "بيوم الجلاء" يوماً للإضراب العام، وقامت مظاهرة هائلة حدث خلالها صدام بين المتظاهرين والقوات البريطانية وسقط عدد من الضحايا. وشعر الإنجليز بعدها بأن الوضع لم يعد محتملاً، وأعلن رئيس الوزراء "أتلي" بعدها ببضعة أيام جلاء القوات البريطانية عن الدلتا، والانسحاب إلى منطقة قناة السويس.

واستمر النضال ما بين صعود وهبوط، وفي أبريل ١٩٤٧ صدر العدد الأول من مجلة "الجماهير" التي أصدرتها "الشرارة"، ولم تلبث أن حققت نجاحاً كبيراً سواء في صفوف المثقفين أو العمال، وقام المثقفون، في بعض الأماكن بقراءتها في جلسات عامة لمن لا يجيدون القراءة.

وظل الفلاحون بعيدين عن هذه الأحداث المثيرة، وإن كانوا قد تأثروا بها إلى حد ما، إذ يجب ألا ننسى أن البروليتاريا المصرية كانت حديثة النشأة، والكثير من أفرادها جاءوا من الريف حديثاً، وما زالت لهم ارتباطات كبيرة به.

وازدادت الأوضاع إثارة، تحت تأثير المنظمات الشيوعية، ولكن حتى الآن لم يتكون الحزب الشيوعي الذي سيأخذ الأمور بين يديه، وهكذا أصبحت الوحدة بين "الشرارة" و "الحركة المصرية" موضوعاً لا يحتمل التأخير. واتفق، بناءً عليه، على ترك نقاط الاختلاف جانباً بشكل مؤقت، وإتمام الوحدة فوراً تمهيداً لتأسيس الحزب الحقيقي. وتمت الوحدة، على أساس

المساواة بين المنظمتين، وهكذا تكوّنت، في سبتمبر ١٩٤٧ "حدتو" (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني)، التي كانت تضم وقتها، جميع الشيوعيين المصريين تقريباً.

وهنا أتوقف عن السرد، وأترك لغيري إكمال القصة.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

رقم المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ - ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضاً بالفجر الجديد عام ١٩٤٥ (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكرى، رشدى صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون)، ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال في بداية الخمسينيات ثم حزب العمل والفلاحين الشيوعى المصرى عام ١٩٥٧ .	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د.حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦
١١	لعصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرين.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية - إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تمامًا كالعمالية الثورية، والتكتل الثورى.	مايو ١٩٤٨
١٨	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكى وآخرون).	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٩
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى، ميشيل كامل، فاطمه زكى وآخرون)	١٩٤٩
٢١	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى وآخرون).	١٩٤٩
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشى وآخرون).	١٩٤٩
٢٣	جبهه التحرير التقدمي (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمى، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٩

٢٤	اتجاه النضال الثورى	إبراهيم عرفة وآخرون.	١٩٤٩
٢٥	نواة الحزب الشيوعى المصرى	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى وبقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشوباشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعى، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٢
٣١	الحزب الشيوعى المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٥
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعى المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧

٣٤	الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت لحزب الشيوعى المصرى.	١٩٥٨
٣٥	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التى خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات، (رمسيس لبيب).	١٩٦٢

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكيم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان خليل

فائمة مطبوعات مركز البحوث العربية

١- فؤاد مرسي، مصير القطاع العام في مصر ١٩٨٧
٢- لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية في مصر ١٩٨٨
٣- رشدي سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل ، ١٩٨٨
٤- عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨
٥- وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨
٦- أبوسيف يوسف وآخرون ، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية ، ١٩٨٩.
٧- ابراهيم برعي ، دليل قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي ١٩٥٣/١٩٨٩
٨- ابراهيم العيسوى، المسار الاقتصادي في مصر وسياسات الاصلاح ، ١٩٩٠
٩- ابراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠
١٠- أحمد عبد الله (المحرر) ، الانتخابات البرلمانية فى مصر- نشر مشترك مع دار سينا ، ١٩٩٠
١١- حيدر ابراهيم ، أزمة الاسلام السياسي، الجبهة الاسلامية القومية فى السودان ، ١٩٩٠
١٢- محمد عبيد غباش ، من لايعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ، ١٩٩١
١٣- الفت الروبي ، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١
١٤- محمد على دوس ، حياة موارة في العمل السياسى العربى الافريقى ، ١٩٩١
١٥- أحمد نبيل الهلالى وآخرون ، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.
١٦- أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشي (مع دار عيبال بدمشق) ، ١٩٩٢
١٧- سمير أمين، من نقد الدولة السوفيتية إلى ادولة الوطنية ، ١٩٩٢
١٨- المسألة الفلاحية والزراعية في مصر :أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢
١٩- جويل بنين، زكارى لوكمان ، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد ١٩٩٢
٢٠- إشكاليات التكوين الاجتماعي والفكريات الشعبية في مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان ، ١٩٩٢
٢١- أحمد يوسف أحمد : منطق العمل الوطنى- حركة التحرر الوطنى الفلسطينية فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان ، ١٩٩٢.
٢٢- ليلى عبد الوهاب ، سوسيولوجية لجريمة عند المرأة ، ١٩٩٢.

٢٣- أحمد محمد البدوى ، لين الأبنوس يازول ١٩٩٢.
٢٤- مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية ، المرأة وتعليم الكبار ، ١٩٩٢.
٢٥- ادريس سعيد ، عظام من خزف ١٩٩٣.
٢٦- دارام جاى(تحرير) ، صندوق النقد الدولي وبلدان الجنوب ترجمة /مبارك عثمان ، نشر مع اتحاد المحامين العرب ١٩٩٣.
٢٧- مايكل دراكوه (تحرير) ، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف ، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا،١٩٩٤
٢٨- عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول ، ١٩٩٤.
٢٩- نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية في مصر نشر مع دار الأمين ، ١٩٩٤.
٣٠- أمال سعد زغلول دور الحركة الشعبية فى حرب السويس ، ١٩٩٤.
٣١- لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التصبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.
٣٢- على عبد القادر ، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان ، ١٩٩٤
٣٣- حلمى شعراوى وعيسى شيفجى ، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤
٣٤- لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق) ، حول الفن ، ١٩٩٤
٣٥- جودة عبد الخالق (تحرير) ، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية في مصر والوطن العربي : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسي، ١٩٩٤
٣٦- عبد الغفار شكر (تحرير) ،التحالفات السياسية فى مصر، ١٩٩٤
٣٧- صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.
٣٨- عبد الغفار أحمد ،السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥
٣٩- بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية في أفريقيا والوطن العربي ، مع اتحاد المحامين العرب، ترجمة حلمى شعراوى وآخرون ، ١٩٩٥
٤٠- سمير أمين (تحرير)، الدولة والمجتمع: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٦.
٤١- سمير أمين (تحرير) ،المجتمع والدولة :حالة لبنان ، مشترك مع مدبولى ،١٩٩٦
٤٢- مصطفى كامل السيد(تحرير) ، حقيقة التعددية السياسية فى مصر ، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.
٤٣- سيد البحراوى (تحرير) ، لطيفة الزيات : الأدب والوطن . نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.
٤٤- عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى ، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية ، ١٩٩٦.
٤٥- جويل بنين ، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثاني ، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.
٤٦- عبد الغفار شكر (تحرير) ، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧ .

٤٧- سمير أمين (تحرير)، الدولة والمجتمع :حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٨- سمير أمين (تحرير)، الدولة والمجتمع : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٩- كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٠- عبد الغفار شكر (تحرير) ،اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨ .نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨ .

٥١- عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية . نشر مشترك مع دار المحروسة ، ١٩٩٨ .

٥٢ - محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣- عبد الغفار احمد (تحرير) : ادارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤ - لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥ لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفي مجدى، ١٩٩٩

٥٦ - أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٧ - محمود عودة، (إشراف) الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩

٥٨ - محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.

٥٩- عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن لعربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.

٦٠- عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦١- عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل-١٩٩٩.

٦٢- أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٦٣- فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.

٦٤- حلمى شعراوى، افريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.

٦٥-حلمى شعراوى، ثقافة التحرر الوطنى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.

كراسات المركز

٦٦- احمد هنى، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر ، ١٩٨٨

٦٧- عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨

٦٨- أشرف حسين ، بيليوجرافيا الطبقة العاملة ، ١٩٨٨

٦٩- العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩

٧٠- مصطفى نور الدين عصية، المجتمعات التابعةومشكلات التنمية لمستقلة، ١٩٨٩

٧١- موشي ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسي ، البريسترويكا فى عيون الآخرين ، ١٩٩٠

٧٢- نادر فرجانى ، الأزمة العربية الكبرى

٧٣- محمد أبو مندور وآخرين، ازمة المياه في لوطن العربي، ٢٠٠٠

٧٤- إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، ٢٠٠٠

٧٥- عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، ٢٠٠٠

٧٦- حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، ٢٠٠٠.

* **أفريقية عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، مجلد١ (اكتوبر ١٩٩٩)، مجلد٢(مارس ٢٠٠٠)** نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين.

كراسات كوديسريا

١- أوكوادبا نولى ، الصراع العرقى فى أفريقيا ،١٩٩١ .

٢- ايبو هو تشغول ، الجيش والعسكرية فى أفريقيا ، ١٩٩١ .

٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات ، ١٩٩١.

٤- جيمى اديسينا، الحركات العماليه وضع السياسة في أفريقيا ، ١٩٩٢

٥- أديسولات سالو ، تغير البيئة العالمية، جدول أعمال بحث لافريقيا ، ١٩٩٣ .

٦- م. مامداني آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية في أفريقيا .

٧- ثانديكا مكانداويرى ، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا .

٨- مومار ديوب ، ممارديوف ، تداول السطة السايسية وآلياتها فى افريقيا

٩- ارشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة في أفريقيا ، ١٩٩٣

١٠- سليمان بشير ديانى،المسألة الثقافية فى أفريقيا

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها

١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩

١٣- أمية ماما ، دراسات عن المرأة ودراسات لنساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٤- تادى أكين أنيا، العولة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا،١٩٩٩.

١٥- مامادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.

١٦- حكيم بن حموده، نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.

١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشيلى ميمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا .

٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا : دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة في أفريقيا
٦- دعم حيوية الجامعة الافريقية في التسعينيات ومابعدها.
٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.
٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا
٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية
١٠- اعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.
١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا
١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا
٢- دراسة حالة فى أوغندا
٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة؟
٤- المبادىء الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية
٥- دراسة حالة فى جامبيا
٦- دراسة حالة فى أثيوبيا

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال في خدمة التنمية بالمشاركة
٢- المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية.
٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات
٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدني في منع وإدارة وحل الصراعات في افريقيا

النشرات

١- نشرة البحوث العربية
من العدد التجريبي يناير ١٩٩٠ إلى العدد الحادى عشر ١٩٩٨
٢- نشرة المجلس الافريقي لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا)من العدد الأول ابريل ١٩٩١ إلى العدد السابع والثلاثين ،اكتوبر ١٩٩٩
٣- نشرة العلوم السياسية الافريقية
من العدد الأول إلى العدد الثاني والثلاثون، ابريل ٢٠٠٠
٤- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار
العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثاني يونيو ١٩٩٧

تحت الطبع

* سمير أمين (إشراف) : سلسلة المجتمع والدولة في الوطن العربي: حالة السودان، بلدان الخليج.
* عبد الغفار شكر (تحرير) : ندوة التعاونيات .
* التعليم العالي والتنمية
* المجتمع المدني في مواجهة سياسات الإفقار.
* المرأة في القطاع غير الرسمي.
* مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربي.
* عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيوني والمواجهة العربية.

تنــويـه

■ نأسف لحدوث خطأ فى شهادة الأستاذ نبيل قرنفلى فى الجزء الرابع ، حيث نُقلت خطأ فى مقدمة شهادته فترات الاعتقال من شهادة أخرى . بينما ذكر الأستاذ نبيل فترات اعتقاله فى صلب شهادته .

مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والافريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء السادس

إسماعيل عبد الحكم | سمير أمين | على نجيب
بدر رضوان | عبد الله حسن | مكرم الله مرقص
روحية الساعى | عدلى عزيز | يوسف أحمد ماضى

تقديم
د. عاصم الدسوقى

تقديم

د. عاصم الدسوقى

ما يزال نهر الشهادات يفيض بذكريات الشيوعيين المصريين تسجل قطراته سطورا مضيئة فى صفحات نضال الحركة الشيوعية المصرية سعياً لتحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية والمساواة فى الحقوق والواجبات.

وهذا لجزء يضم تسعة شهادات من مختلف فصائل الحركة تضيف الكثير والكثير من المعلومات والأفكار المجهولة عن نضال الشيوعيين ضد أنواع الظلم الاجتماعى وأشكال القهر السياسى، وعن مراجهة تلال عالية من التقاليد الطبقية التى نحض على التعايش مع الواقع والرضا بالمقسوم ولا توافق على أن تعمل المرأة بالعمل السياسى، وتكشف عن أصالة معدن المصريين عند الشدائد والانتصار للحق فى الوقت المناسب وفى هذا يتساوى الجميع: أهل المدن وأهل الريف، المتعلم منهم وغير المتعلم. ومن ذلك مثلا كيف أن أمهات المعتقلين تعلمن النضال وابتكرن وسائل لحماية أبنائهن وأزواجهن، بل ومساعدتهم فى الاختفاء عن أعين البوليس والقيام بدور وسيط بين المعتقلين وبين زملائهم خارج المعتقل. ومن ذلك أيضا أن السجانين، وهم من العساكر البسطاء كانوا يقفون مواقف شجاعة لصالح المعتقلين رغم التعليمات، بل أن بعضهم تعلم شيئا مما كانوا يسمعونه من حوارات.

ولا شك فى أن المعلومات المتفرقة التى تذخر بها هذه الشهادات وما سبقها وما سوف يأتى بعدها تمثل أحد المصادر الأساسية يستخدمها الباحثون عند دراسة تاريخ الحركة الشيوعية كما تستخدم لإعادة تركيب صورة المجتمع المصرى وعلاقاته..

ومن هذه المعلومات نعرف الكثير عن الظروف التى كانت وراء الانضمام للشيوعية والارتباط بإحدى فصائلها أو تجمعاتها مما يؤكد أنه لا رابطة شرطية بين الانتماء للشيوعية والوضع الاجتماعى.. فهناك من تخلى طواعية عن ميزات تضمنها له طبقته الاجتماعية وتمسك بالنضال ضد مصالح طبقته من أجل أن ينعم الجميع برفاهة العيش. وحتى عندما

تعمدت السلطات الإضرار بمصالح أفراد أسرة المعتقل والتضييق عليهم فى فرص العمل والحياة حتى يترك الأمر ويتراجع عنه لم يفعل. وهناك من عرض عليه السفر للخارج للحصول على الدكتوراه بشرط الابتعاد عن الشيوعية فأبى ولم يخضع ليس هذا فقط، بل أن الذين حرموا من مواصلة التعليم فى مراحله المختلفة بسبب الاعتقال أصروا على مواصلته بعد الخروج ليس بغرض الحصول على وظائف معينة إذ كان بعضهم تجاوز الأربعين، وإنما تأكيداً لذاتهم وتحديا للسلطات التى حرمتهم من حق التعلم.

وهذه الشهادات تحمل فى طياتها مرارة من ضعف البعض أمام بطش السلطات، ومرارة من الخصومة بين الرفاق بسبب اختلاف المواقف حتى داخل المعتقلات مما كان يؤدى آليا إلى الانقسامية واعتزاز كل تنظيم بمبادئه والاعتقاد بأنه وحده يمثل الشيوعية الصادقة ومن ثم مزيد من الحلقية والشللية واجتهاد البعض فى تفسير أسبابها.

كما تحمل بعض الشهادات نقدا ذاتيا لتصفية التنظيم الشيوعى الذى بدأت مراحله فى معتقل الواحات - آخر المعتقلات - ومحاولة إقناع الجميع بحل الحزب والانخراط فى صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى (التنظيم السياسى للدولة) وكيف نجحت السلطة الحاكمة فى ذلك. ويجزم يوسف ماضى فى شهادته أن لويس أسحق الذى كان يعترض علنا فى المعتقل على حل الحزب دفع حياته ثمنا لموقفه إذ قتل برصاص الحراس. على أن تصفية الحزب كان إجراء غير متوقع لدى البعض وصدمة شديدة دفعتهم إلى تحليل الموقف فى شهاداتهم والبحث عن الأسباب هنا وهناك من باب الاجتهاد.

وبعض الشهادات شملت تحليلات ومراجعات للحركة الشيوعية العالمية مما يخرج عن نطاق الحدود المرسومة لتوثيق الحركة إلى حد ما مثل الحديث عن مأزق الفكر العربى المعاصر فيما يتعلق بالنهضة والحداثة، والحديث عن الستالينية ودور ستالين فى بناء الدولة الاشتراكية وانهيار الاتحاد السوفييتى فى مطلع التسعينيات من القرن العشرين الذى يرجعه التحليل إلى قيام خروشوف بفتح الباب لنقد ستالين وقرار المؤتمر العشرين للحزب فى ١٩٥٦ بعدم حتمية قيادة حزب الطبقة العاملة لتحقيق الاشتراكية وإمكانية تحقيقها بقيادة أحزاب بورجوازية.. ولكن لا بأس من إثبات هذه الرؤى ولو من باب الاجتهاد والتأملات.

وشأن كل الشهادات السابقة فإن شهادات هذا الجزء تحفل بمختلف الآراء حول تقويم يوليه ١٩٥٢ والموقف من جمال عبدالناصر بين وصفه بالدكتاتورية العسكرية أو الفاشية، وكذا حول الموقف من التأميم الذى يحقق نظام رأسمالية الدولة (احتكار) ولا يحقق اشتراكية لصالح الطبقة العاملة والاعتراض على مقولة خروشوف بأن عبدالناصر يبنى الاشتراكية فى مصر.

ومن الطبيعى أن يهتم أصحاب الشهادات بالحديث عن تجربة المعتقل المريرة والمعاملة غير الآدمية وعدم التفرقة بين المعتقلين السياسيين وبين المجرمين والقتلة وتجار المخدرات. وهنا تبدو حكمة على نجيب فى شهادته بقوله «ليس مهما الحديث عن التعذيب والتحمل وكأن قدرة الشيوعيين تتلخص فقط فى التحمل، وإنما ينبغى التأكيد دوما على أن كفاح الشيوعيين يتلخص فى قدرتهم على تغيير أفكار الناس»، وهذا ما حققه الرفاق حقيقة.

وأخيرا.. فإن الدعوة ما تزال قائمة من لجنة التوثيق لتلقى المزيد من شهادات أولئك الذين ورد ذكرهم فى شهادات هذا الجزء والأجزاء الأخرى وما يزالون على قيد الحياة حتى لا يضيع نضالهم دون تسجيل للتاريخ وللأجيال القادمة.

شهادة

إسماعيل عبد الحكم

الاســـــــــــم : إسماعيل عبد الحكم

بيانات عائلية :

ولدت فى حى الحلمية وهو بالنسبة لى حبى الأول، فانا احب كل طوبة فيه، واعنى طبعا حلمية الأربعينيات، فقد كانت فترة الأربعينيات في البيوت المصرية كلها فترة زخم وطنى قوي، فكنا دائما نرى مظاهرات تهتف بسقوط الإنجليز، ونرى المعسكرات التي كان يقيمها الإنجليز في الخرابات وسط المساكن والأحياء (جاردن سيتى. قصر العينى). وشاهدت زوج خالتي وهو استاذ جامعى يضرب ابنه بالقلم بعنف شديد جدا لانه قبل ان ياخذ شيكولاتة من احد عساكر الإنجليز امام منزلهم.

ولا انسي هذه الحكاية أبدا، فكنت مستغربا كيف يمكن لهذا الأب ان يضرب ابنه بهذا العنف بالرغم من انه لم يكن له اهتمامات سياسية.

وبالنسبة لأسرتي كنا من ابناء الطبقة المتوسطة (فابى كان مديرا عاما)، وكنا نسكن في منزل كبير بالحلمية به حديقة بها اشجار فواكه وتكعيبة عنب، إلا ان معظم اصدقائي كانوا من طبقات اقل مني، ولكن كنت اشعر بانهم اقوى واكثر تماسكا منى، وكان والدى يعترض على هذه الصحبة واحيانا كنت أُضرب، ولكن كنت اقابلهم دائما بدون علمهم. واقف معهم على الناصية ونلعب معا، وكانت هناك تقاليد للوقوف على الناصية فممنوع ان نعاكس بنت من داخل الحلمية.

وكان ابى شديد التدين مع افق واسع، كان يجب ان ننزل نصلى الفجر جميعا كل الأبناء في المسجد المقابل للمنزل، وعندما نعود إلى المنزل نذاكر حتى ياتى موعد المدرسة، وهو يجلس امامنا يقرا في المصحف. ويراقب استذكارنا وكان محبا جدا للقراءة وتعلم الفرنسية فى كبره، اما اخي الكبير فقد كان طالبا في الجامعة، قسم الفلسفة (لم يكن مشتركا في اى تنظيم)، ووعينا نحن على المناقشات الحرة التي كانت تدور بينه وبين ابي او بينه وبين اصدقائه في الفلسفة مثل محمود العالم، ومصطفي بهيج، واديب ديمترى (كان اكبر منهم بسنة)، وكان ابي مدركا اثناء حواره مع اخي ان الفكرة الملحدة لا تستطيع ان تهزمه نتيجة شدة إيمانه، وانه يستطيع ان يناقش بدون اللجوء إلى النقل. وبالطبع لم نكن كاطفال نفهم تفاصيل كثيرة مما كان يقال ، ولكن ندرك ان هناك نقاشا وان هناك إيمانا، وإلحادا، فلم تكن كلمات مثل الماركسية

* أجرت الحوار حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

والشيوعية غريبة بالنسبة لنا في هذه الفترة، وكان بجوار هذه المصطلحات كلمات اخرى مثل الاستعمار، الإنجليز، الكفاح المسلح، والقتال ضد المستعمر.

واتذكر ان عمرى كان وقتها ست سنوات تقريبا، وكانت الحرب العالمية الثانية مستمرة، وكان لدينا راديو ماركة فيليبس في المنزل، فكنا دائما نجتمع ويضبط ابى الراديو على إذاعة لندن- او برلين لسماع اخبار المحور بانتظام، وكنا نسمع عن انتصارات الاتحاد السوفيتى، وكيف ان الناس في الاتحاد السوفيتى نتيجة الشيوعية يتمسكون ببيوتهم ويدافعون عنها، ونسمعها في الراديو كانت تقال من قبيل الدعاية لمقاومة الألمان، في الدعاية الرسمية. ثم تبدا المناقشات حول ما يتم في البلد مثلاً أن الأزهر قام بمظاهرة .. فقد كان الحى من حولنا فيه كم كبيرا من مشايخ وقيادات الأزهر، كالشيخ مامون الشناوى، والشيخ دراز في الحلمية، واحمد حسن الباقورى .. وبالمناسبة لم تكن ظاهرة التحجب قد ظهرت كانت النساء تلبسن اليشمك، نوع من الأرستقراطية، ليس كحجاب. حتى نساء المشايخ كن يلبسن احدث الموضات من ملابس وزينة، وكان هناك ما يطلق عليه المقابلة بين النساء، كن يتقابلن يوم الثلاثاء عند إحداهن ويتبارين في تقديم الضيافة (من حلويات وخلافه).

وكصغار كنا نذهب مع امهاتنا، ونراهن يتحدثن في القضية الوطنية ايضا. مثلاً عما تقوم به جمعية اليد السوداء من قتل الإنجليز، ومقاومة الإنجليز، والقول باننا يجب ان نستقبل الألمان لأنهم ارحم من الإنجليز المستعمرين.

وهناك واقعتان شهيرتان عاصرتهما في هذا الوقت وسمعتهما من اخى وابي، من خلال الحوار والمجادلة التي كانت تدور وسط العائلة في تمام الساعة الثانية والنصف اثناء تناول الغذاء، وكان موعدا مقدسا لجميع الأسرة.

الواقعة الأولى ، عندما حاولت عربة جيش إنجليزى ان تخطف فتاة من على محطة اتوبيس الجامعة بميدان الجيزة، فتصدى لهم طلبة الجامعة الموجودون فى المحطة ضربهم الإنجليز واطلقوا الرصاص عليهم واستشهد طالب منهم، وادى ذلك إلى مظاهرة كبيرة جدا في اليوم التالى في الجامعة لتحية الشهيد وتشييع جنازته. وادركت إلى اى مدى كانت ضراوة الاستعمار الإنجليزى.

وفي اليوم التالى من هذه المظاهرة فوجئنا بزوار الفجر ضابط بوليس ومعه اثنان من

المخبرين - وسأل على أخي طلعت وقال إنه مطلوب القبض عليه بتهمة اشتراكه في المظاهرات. وكان الضابط متفهما الوضع جدا ورفض ان يقبض عليه او ان يفتش المنزل، على ان يذهب هو بنفسه في الصباح إلى النيابة، وطلب منا ان نحاول تسوية الموقف مع المخبر الذي ابلغ عنه واعطانا كل التفاصيل. وعن طريق اخو هذا المخبر - كان وطنيا ويسكن معنا في الحلمية - تم الضغط على المخبر وغير اقواله في المواجهة وحلت المشكلة. واتذكر ان جميع العائلة قد اجتمعت. وكنا نحن الصغار مستفيدين من هذه اللمة لأنهم كانوا يعطونا نقودا، ونلعب مع أولاد العائلة - وبالمناسبة هؤلاء الأطفال جميعهم كان لهم دور في الحركة الوطنية بجميع تياراتها.

الواقعة الثانية هي واقعة كوبري عباس، وفي هذا اليوم دخل ابي البيت منزعجا وسمعناه يقول ان إسماعيل صدقي فتح الكوبري على طلبة الجامعة، وسأل عن اخي لأنه تأخر، كلنا انتظرنا طلعت حتى حضر في المساء ثم بدا يحكى لنا عن التفاصيل، وكيف نزل الطلبة في المياه، وكيف بدات الناس تشد بعضها. وأعتقد ان هذه الواقعة لم تصور بشكل جيد في السينما، أو تحكى في الكتب كدراما.

وهذه الواقعة من الوقائع التى أثرت في، وأدركت ان في استطاعة الجماهير أن تقوم بأعمال فدائية، وانه يمكن أن يكون لهم دور كبير.

ثم راينا رحيل الإنجليز من المعسكرات التى كانت في وسط المنازل، وبدات تتركز في منطقة القنال.

بالنسبة لي دخلت مدرسة أولية وكانت في مبنى مملوكى قديم، وكان الشيخ زكريا. وهو شيخ معمم - هو الذى له اليد العليا في كل شئ رغم وجود ناظر، ولا يستخدم إلا المسطرة الحديد ولكنه كان شخصا محبوبا جدا وله تلاميذ كثيرون وتربي علي يديه معظم ابناء الحلمية، ثم انتقلت إلى مدرسة ابتدائية وهى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في شارع الخليج المصري وكان حسن البنا يدرس لنا الدين في السنة الأولي والثانية، وكنت مبهورا به كمدرس، ولم يحضر لنا كثيرا فبعد نصف العام ترك المدرسة وقيل إنه استقال.

كان بداخل الحلمية في هذا الوقت المركز العام للإخوان المسلمين، (وكان خالى يسكن امام هذا المقر)، كما كان يوجد حزب مصر الفتاة - احمد حسين، وكانت لجنة الوفد في الخليفة بجوار الحلمية.

واتاح لى هذا ان ارى الأخوان وهم يفرشون الحصر في الشارع أمام المقهي ويصلون ويسمعون خطابا من حسن البنا يوم الثلاثاء، وبالرغم من اننى كنت اذهب لسماع خطاب الإخوان، حيث كانوا يضعون الميكرفون في بلكونة خالى. إلا انني لم اكن مبهورا بهم. بل كنت أحب الكشافة الجوالة الخاصة بهم فقط، لأنني لم أكن اشعر في كلامهم بحماس ضد الإنجليز والسرايا. بل كان معظم الكلام في الدين. أما أحمد حسين فكان يخطب يوم الخميس، وكنت اشعر بابتهاج وتاجج وانا أسمعه، فحديثه كان شيقا، وكلامه كله حماس، وكنت اجدهم يلبسون القمصان الخضراء، والجميع يهتفون ضد الإنجليز في الفترة من (١٩٤٤-١٩٤٨).

واتذكر، ونحن طلبة في الثالثة الابتدائية عام ١٩٤٧، انني شاهدت من خلال النظر من نافذة الفصل في المدرسة، حيث كانت تطل على شارع الخليج، خروج مدرسة الخديوية بمظاهرة تابعة للإخوان (فقد كان للإخوان وقتها نفوذ في المدارس الثانوية)، وكان الهتاف فيها، الله اكبر ولله الحمد، وقلبوا الترام وحرقوه، ولا اتذكر أسباب هذه المظاهرة جيدا هل هى بسبب البغاء او من اجل قضايا الإخوان، لأننا كنا نقترب من عام ١٩٤٨ والإخوان ضربوا في١٩٤٨ .

وهتفنا ضد الإنجليز باعتبار ان اى عمل من هذا النوع هو عمل لمواجهة الإنجليز وليس عملاً تخريبيا، وخرجنا نضرب طوب في البوليس الذى كان يحاصر مدرسة الخديوية وضربوها بالقنابل المسيلة للدموع، وكان ينصحوننا في حالة الضرب بهذه القنابل ان تبلل منديلنا بالماء ونضعه على انفنا حتى لا ندوخ، وخرجنا وحاولنا فك الحصار عن المدرسة الثانوية. ومنذ هذه الفترة بدا يكون هناك نوع من الاتصال غير التنظيمي . بل الروحى اكثر، مع هذه المدرسة، فكنا نمر عليها ونحن في طريقنا إلي مدرستنا لمعرفة اى اخبار عما سيفعلوه (من إضراب، او مظاهرة)، وكان الناظر قوى جدا وكان أحيانا ينهر الأولاد، وأحيانا اخرى يسكت. وعندما تقوم المدرسة بعمل مظاهرة نقوم نحن ايضا بتقليدهم، ونقف على الناصية ونهتف نفس الهتافات يفن-يفن، يسقط يفن. (واتذكر هنا شئيا فكاهيا وهو انه كان نادرا ما يتم إضراب في اليوم الذي يوزع علينا فيه دجاج كغذاء في المدرسة باعتبار ان الدجاج كان اغلى بكثير من اللحمة، وكان الجزارون لا يعملون في هذا الزمن يوم الاثنين، لذا كانت المدارس تقدم دجاجا فى هذا اليوم).

وبالمناسبة كانت ظروف الحياة الاقتصادية صعبة، فبالرغم من أن أبي كان مديرا عاما إلا أنه كان يذهب إلى البنك هو وصديقه لكى يضمن كل منهما الآخر لعمل سلفة من أجل تعليمنا (فقد كنا أربعة أولاد وبنت ولم تكمل تعليمها الجامعي واكتفي بالشهادة الفرنسية المتوسطة) والذى وقف ضد استكمال تعليمها هو أخى الكبير الذى كان في الجامعة وخالى الذى كان تعليمه فرنسيا. أما أبى فقد كان مع أن تستكمل تعليمها وأعطاها كافة الضمانات، بالرغم من أن وقتها كان لابد لكى تخرج عند جدتى من خروج اثنين (مثلاً أنا وأخى الصغير) حرس معها.

المهم انتقلت إلى مدرسة "على مبارك الثانوية بالحلمية" التي كانت قد بدأت في إنشاء فصول ثانوى فيها عام١٩٤٨.

وكانت المدارس الثانوية قليلة ومعروفة كلها، ففي الحلمية يوجد ثلاث مدارس، مدرسة الخديوية، وهذه كانت من أهم المدارس الثانوية والملوءة بالحركة الوطنية، ومدرسة الحلمية الجديدة، أما عن المدارس الثانوية في القاهرة كلها فهى مدرسة الخديوى إسماعيل، والمعهد العلمى وهو مدرسة أهلية في السيدة زينب، ومدرسة فاروق الأول وفؤاد الأول في العباسية، ومدرسة التوفيقية في شبرا كذلك مدرسه الإيمان القبطية.

وكانت كل هذه المدارس تقوم بمظاهرات مستمرة ضد الإنجليز كما ذكرت فعندما يحدث إضراب في إحداهم مثلاً فى العباسية في مدرسة فاروق الأول تنضم لمدرسة فؤاد الأول، وخليل أغا كانت مازال يبنى فيها مدارس ثانوى، ثم يلتقون بمدرسة التوفيقية بشبرا، وكل ذلك يتجمع ويذهب للجامعة، وكان أقرب مكان للجامعة هو حي الحلمية، لأن الترام وقتها كان يمشي في شارع محمد على وشارع خليل. ومن ثم كان هذا الحى شعلة نشاط للحركة الوطنية، ولم يكن البوليس يستطيع أن يضرهم داخل الحلمية، فلم يكن يجرؤ مخبر أن يراقب أحدا داخل الحلمية. وكانت الطلبة هي القيادة الحقيقية للحركة الوطنية.

وكنت تجد داخل هذه المدارس كل التيارات، ففي مدرستى على سبيل المثال، تجد في كل فصل الوفديين بحكم انتماءات الآباء، وبعض السعديين، والأخوان المسلمين وهؤلاء كانوا متقوقعين داخل مصلية المدرسة، وكان نفوذهم ضعيفا جدا في مدرستنا، وكل ما نشاهده أنهم يدخلون المصلية في الفسحة، ويعملون مجلة حائط بجوار المصلية، فلم

يكن لهم دور ابدًا في هده الفترة في المظاهرات ضد الإنجليز، لأنهم لم يكن فيهم قيادات لامعة. وكان الوفديون هم البارزون في قيادة قصة العداء للإنجليز، وبعض المستقلين الوطنيين الذين لا تعرف لهم اتجاها سوى العداء للإنجليز فقط.

وقد لعب الأستاذ ميخائيل رومان، مدرس الطبيعة بمدرستي والكاتب المسرحي المعروف بعد ذلك، دورًا كبيرًا في تكويني، فقد كان إنسانًا غريبًا، وكان يقال إنه من عائلة غنية في الصعيد. وبالرغم من انه كان غير منسق في ملبسه، إلا انه كان مبهرًا فى كلامه، فكنت اشعر من خلال المناقشات معه انه يقول لنا كلامًا مختلفًا تمامًا عن باقى الأساتذة الوطنيين. ومنهم الأستاذ عبد الشافي غنيم. وكان يشن هجومًا شديدًا علي فؤاد سراج الدين، وفي هذا الوقت كانت اخبار اليوم بدات تصدر، كان أبي يشتريها هى والأهرام وهذه الجريدة كانت ضد سراج الدين والوفد. وكنا جميعًا في هذا الوقت نتحدث عن الإنجليز، والأمريكان، والصين، تلك البلد التى تتحرك تحت قيادة شيوعية.

ومن الأفكار الغريبة التي كان يقولها لنا ميخائيل رومان، مثلاً بالنسبة لمقاطعة البضائع الإنجليزية التى كان يدعو لها أحمد حسين في هذه الفترة، كان يقول لنا ان كل ذلك يتم لحساب الإنجليز، وان فكرة المقاطعة تحرف الحركة الوطنية عن ان تقود كفاحًا مسلحًا حقيقيًا في مواجهة الإنجليز. وقد صعقت عندما سمعت هذا الكلام، واخذت هذا الكلام وعرضته على ابى واخى في الجلسة الأسرية التى تحدث دائما أثناء الغذاء.

وكان اخى يوافق هذا الرأى، ويؤكد ان الذى يقول بمقاطعة البضائع الأجنبية يخدم فؤاد سراج الدين والإقطاع لأن كل ذلك يحرف القوى الوطنية عن ان تمشى في المسار الحقيقى للكفاح المسلح ضد الإنجليز.

وبدات تتوطد العلاقة مع أستاذنا واصبح بيننا حوار غير الحوار العام داخل الفصل، لكنه كان حوارًا سياسيًا عامًا ليس له اى طابع تنظيمى.

وبالنسبة لقضية فلسطين فى هذا التوقيت فقد كانت مثارة في الجرائد. ولم يكن يوجد احد ليس متعاطفًا مع القضية الفلسطينية، فكل الناس تريد أن تحارب، ولديها تاكيد بأن الجيش المصرى سيذهب ويحارب وينتصر وشاهدت الأخوان المسلمين يتدربون في ميدان مصطفي فاضل بجوار المقر الرئيسى لهم، وفي حوش مدرسة الخديوية الذى يطل علي مقرهم. وكان يقال إنهم يتدربون استعدادًا للسفر متطوعين إلى فلسطين، ثم سمعت ان الملك قرر ان يرسل الجيش المصرى إلى فلسطين وقام بعض

الأقارب الذين لهم علاقة بالجيش ببذل وساطات حتى لا يذهبوا للحرب، لأن النتائج غير مأمونة الجانب حسبما كان يقال أيامها.

وكان يتم استعراضات للجيش سواء الذاهبة أو القادمة من فلسطين، وقصر عابدين كان بجوار الحلمية والقلعة، وأتذكر أنني رأيت الضبع الأسود، قائد القوات المصرية في فلسطين وهو متجها إلى قصر عابدين، وشاهدت الاستعراض وهو مكلل بأكاليل الورود، والناس تهتف لفلسطين. ورغم ذلك لم تكن هى القضية الأساسية. ولم تكن بسخونة الكفاح ضد الإنجليز (كان هذا إحساسى، وإحساس من حولى).

وفى انتخابات عام ١٩٥٠، نزل فيها الوفد والأخوان بثقلهم، ستة وعشرون شخصا وهم أعضاء مكتب الإرشاد للأخوان المسلمين بالكامل، وكان تمركزهم الرئيسى في الأحياء المتوسطة (المنيل، العباسية) وليست الفقيرة. وجميعهم فشلوا، رغم أن الشيخ أحمد حسن الباقورى كان مرشحا في الانتخابات في منطقة الحلمية والدرب الأحمر، وكان يقف وراءه تكتل رهيب من مشايخ الأزهر. كما كان فتحي الرملي يرشح نفسه كشيوعي فى هذه الانتخابات في المنيرة. وفشل أيضا.

وبالنسبة للنضال المسلح

فى هذا الوقت بدأ الأخوان في عمل معسكرات، وبدأت الدولة تعمل معسكرات وكان ملعب مدرسة الخديوية من الأماكن التي يتم فيها التدريب، وبدأنا نحن مجموعة الشباب الموجودة فى الحى نتمرن على بنادق وهمية مع تدريبات الحكومة من شدة رغبتنا، وكان الأخوان لايريدون إلا أعضاء الأخوان فقط، وبدأت تظهر فضائحهم فى الجرائد في علاقتهم بالسرايا، وأثناء بدايات الكفاح المسلح، والتدريب على السلاح للذهاب إلى القتال من كل الأحزاب (من الوفديين، والشيوعيين، كما كان يحشد أحمد حسين الناس لعمل كتيبة وهو يلبس زى المقاتل الأخضر للذهاب للقتال، والأخوان كما قلت وإن كانت طريقتهم بطيئة جدا تكاد تكون غير معلنة).

حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥١

وقد عاصرت حريق القاهرة منذ بداية حدوثه حتى انتهائه، فقد كنا نعلم بأن مجموعة الحزب الاشتراكى سوف يقومون بإضرابات وكان ذلك طبقا للتكليفات لنا في اليوم السابق، وقبل يوم الحريق كان هناك حصار من الجيش الإنجليزى على مدينة

الإسماعيلية. وكانت حكومة الوفد موجودة، (وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وسكرتير الحزب).

وخرجنا في يوم الحريق بمظاهرات من مدارس الحلمية الثانوية، وقابلنا المدارس الأخرى في السيدة، وقيل إن بلوكات النظام سيقومون بمظاهرة قادمين من القنال على أساس أن سراج الدين كان يسلحهم بالعصيان، وهم قادمون لكى يطالبوا بالسلاح لكى يحاربوا الإنجليز. فتقابلت كل هذه المظاهرات في ميدان الأوبرا وكان يقود مظاهرة بلوكات النظام ضابط منهم لا أتذكر اسمه الآن، وفي كازينو الأوبرا عندما رأينا ضابطا يجلس مع سيدة وأمامهم زجاجة بيرة، صعد أحد المتظاهرين وكسر الزجاج، وبدأ الضرب في الكازينو.

وفجأة رأينا حالة من حالات الجنون، بدأت الناس تكسر في محلات اليهود (شكوريل - صيدناوى - شملا .. إلخ). ودخلنا شارع قصر النيل، ولم يكن هناك في البداية، أى نوع من أنواع السرقة، مجرد عملية تخريب وتكسير، وفتح خزن البنك وحرق الفلوس، ولم نجد أى مقاومة من البوليس، اختفي، وقبل المغرب بقليل بدأ ما يطلق عليه السرقة بعد أن كانت مظاهرة من الطلاب وبلوكات النظام تحولت إلى أناس من أحياء شعبية من الغوغاء، ومن يكسر محل حلال عليه، وفى المغرب نزل الجيش بالأسلحة ليضرب الناس، ولكن لم يكن فيه بوليس، مجرد جيش يضرب نار في الهواء بهدف إبعاد الناس فقط، وكانت مشاعر الناس وقتها أنها تعمل عملا معاديا للأجانب معاديا لليهود والاستعمار، نوع من الثأر لما حدث في بلوكات النظام في الإسماعيلية.

فلم يكن في هذا الوقت حرق محل يهودى مستهجنا وطنيا، ثم بدأ الجيش بعنف في طرد الناس من وسط البلد، كان هذا هو يوم ٢٦ يناير، وطبعا تم إعلان الأحكام العرفية. واستقالت وزارة الوفد، وتولى نجيب الهلالى الوزارة، وبدأت حركة اعتقالات ضخمة وانتشر الأمن في الشوارع وقد سمعنا هذا من خلال الراديو بالليل أثناء التجول في الشوارع.

وفي هذه الفتره كانت هناك إضرابات لمطالب العديد من الفئات، فالبوليس كان يقوم بإضراب، وكان له مطالب واستولوا على حديقة الأزبكية، وعسكروا فيها كنوع من التمرد، ونزل الجيش، وحاصروهم بالدبابات والمشاة.

كما كان هناك إضراب الممرضين والممرضات بالقصر العينى، فى هذه الفترة

واعتصموا داخل القصر العيني، وعندما حاول البوليس أن يقتحمه بداوا يعملون تحصينات من الداخل، ويضربون البوليس، والبوليس يضربهم، حتى نجح البوليس اخيرا فى اقتحام القصر العينى وضرب كل المرضى واساتذة الجامعة وقد رايت ذلك بنفسي من على السور وساعدنى في ذلك قرب مسكن خالتى من القصر العينى.

اما الإضراب الشهير والذي قتل فيه سليم زكى، فقد قامت به كلية الطب والصيدلة وكان مروعا، حيث قاموا بكهربة سور كلية الصيدلة، حتى يكون حماية لهم عندما يقتحم البوليس الكلية. ولاسيما أن الاقتحام يتم بعربات مصفحة، ومدرعة فيتم بسهولة كهربتها. وقبل المغرب وقف سليم زكى بالعربة المصفحة ومعه قوات من الخيالة استعدادا للاقتحام، وخطة الاقتحام ان يتم قطع الكهرباء عن المنطقة كلها ثم يتم الاقتحام وبالفعل قطعت الكهرباء، وبدا في الاقتحام، وفجاة شاهدت قنبلة تضرب من فوق عليه، وبدا الضرب من فوق سطح الكلية علي العربة المصفحة التي كان يقف في برجها سليم زكي وبدا الضرب من فوق ومن اسفل، وانا جريت إلى سطح بيت خالتي، وشاهدت مناظر جنونية والخيول تدوس على البشر، ثم بداوا في جمع هؤلاء الناس المهروسين في عربات البوليس. وهذه من المناظر القاسية التى رايتها وانا صغير.

وكان عادل فهمى من أشهر زعماء الجامعة في هذا الوقت كان فى كلية الحقوق. وكانت له نغمة خاصة في الهتافات، وبالرغم من اننا كنا مازلنا طلبة في الثانوى إلا اننا كنا نعتبر مقرنا الرسمى هو الجامعة. فجاء وطلب منا الاشتراك في المظاهرة تاييدا للمتظاهرين، وخرجت المظاهرة من الجامعة ودخلت في فم الخليج على الجزارين، وطبعا حاول البوليس أن يضربنا، واتذكر من هتافات عادل "ليه تضربنا يا سراج الدين." وعندما تمر المظاهرة بين الناس يحاول ان ينسج شعارا لهم؛ لكى يجعل جميع الناس تؤيده. ويومها اندس مخبران وسط المتظاهرين، الأول اكتشف وتم ضربه بشدة وجاءت عربية الإسعاف واخذته، وهم أخذوا مسدسه وناولوه للمتظاهرين داخل كلية الصيدلة. (واتذكر نفس هذه الحكاية حيث حدثت بعد ذلك في عام ١٩٥٢ وسط كلية الهندسة في إحدى المظاهرات عندما وجد كارينه لمخبر معه ونصبوا له مشنقة على الشجرة وسط الكلية، على اساس ان يُعدم شنقا بناء على قرار الجماهير).

بدايات التعرف على الفكر الماركسى

بدات تظهر مجموعة آل الشرقاوية داخل المدرسة، وكانوا يعيشون معنا في الحلمية.

ورايناهم يذكرون في المظاهرات العامة شعارات مثل السلام، الخبز والحرية ....إلخ. ولكني لم اكن ارى لديهم نوعا من الفروسية، بمعنى انهم لا يستطيعون ان يسيطروا على الناس، ولا ان يقولوا كلاما مقنعا، وفي نفس الوقت يتناقشون مع الأخوان ويدخلون معهم في استفزازت .. وخلافه.

وبالرغم من ذلك كنا نناصر بعضنا بعضا إذا حدثت اى مشكلة لأحد فينا بصرف النظر عن ان هذا يعمل بالسياسة ام لا، باعتبارنا من منطقة واحدة، فإذا دخلوا في مشاجرة مع الأخوان، فقد كنت اتشاجر وادافع عن نفسي والاخرين. واتذكر انني كنت اكسر زجاج مجلة الحائط الخاصة بالأخوان عندما كانوا يعلقونها واقطعها لهم، وفي نفس الوقت أدخل أصلي معهم فرضا بفرض، فقد كنت اتعامل مع المصلية على انها ليست ملكا لهم فقط بل هى ملك للجميع.

وعندما تولى الوفد السلطة اتسع نطاق الحركة الوطنية في عدائها في مواجهة الإنجليز. واول مظاهرة ذهبت إلى بيت النحاس يوم ظهور نتيجة الانتخابات من مدرستنا، وكنت احضر جميع المظاهرات بالرغم من اننى لم اكن احب الوفد. واستمرت المظاهرات للوفد اكثر من عشرة ايام. وبدانا نسمع عن الطليعة الوفدية

ثم بدانا نسمع في هذا الوقت في مظاهرات الجامعة بعض الهتافات مثل "اعترفوا بالصين الشعبية" ، "نريد السلام ولا نريد الحرب"، و"الخبز والحرية" وهذه الشعارات كانت تدهشني واتساءل لماذا نعترف بالصين الشعبية هذا المكان البعيد جدا، ومن يكتب هذه الشعارات، فذكر هذه الشعارات يحتاج إلى ثقافة وعلم بما يحدث في هذا البلد. كل هذه الأسئلة كنت اطرحها في المنزل واكمل الصورة مع أستاذي ميخائيل رومان الذي كان يتكلم عن الخبز للفقراء، ومع استاذ آخر. ولكن كل هذا كنت اتصوره على انه مجرد شعارات، وليس مضامين اجتماعية. فلم نكن نعرف ان هناك حزبا وراء ذلك.. فكل هذه الأشياء مجهولة بالنسبة لنا، ولا نعلم عنها شيئا.

وظهرت جرائد أخرى مع الأخبار(التى كانت اكثر رواجا فى هذا الوقت) والأهرام: مثل المصرى، والاشتراكية، والجماهير، وجريدة ابو الخير نجيب، والملايين، وكان اخى يشتريها، ووجدناها ايضا مع استاذنا، واشتركت انا واخى الصغير واشتريناها.

وبدات تحدث مظاهرات ضد قانون قدمه استفان باسيلى للحد من حرية الصحافة، وكان هناك كم هائل من الإضرابات.

كما ذكرت كان أقرب الأحزاب لى هو الحزب الاشتراكى-مصر الفتاة . لذا انضممت

له فى أوائل الخمسينيات واتذكر، من كثرة ترددنا علي الحزب واشتراكنا في النشاطات الجماهيرية وعمل المظاهرات في المدرسة بناء علي تعليمات الحزب، ان قام عادل حسين، وهو أخو أحمد حسين، وكان خطيبا مفوها وعمل لنا محاضرة عظيمة (مدرسة كادر)، فحديثه . فى هذه الفترة . يجعلك متوهجا من الداخل، وكانوا يطلبون منا القيام ببعض الأعمال. كعمل مظاهرة داخل المدرسة، وكنا نفعل ذلك، ولكن لم نكن نعرف ماهى الاشتراكية. وأول مرة شعرنا اننا بداخل التنظيم، عندما جاء عادل حسين، واخطرنا بان هناك إضرابا لعمال الكوكا كولا في حزب العمال، (وكان قائد حزب العمال النبيل عباس حليم، وكان يمشى بكلب ضخم معه، فكانت الناس تخاف ان تتهجم عليه). وطلب منا عادل أن نؤيد هذا الإضراب، وفعلاً ذهبنا ورفعنا عادل وهو يخطب ويهتف وكان سعيدا بنا وطلب منا أن نحضر في اليوم التالى لكى يشرح لنا ماهى الاشتراكية، وسمعنا منه درسا مكثفا عن الاشتراكية والفرق بينها وبين الشيوعية، وكان يشرح لنا مميزات الاشتراكية ويقول إنها افضل من الشيوعية.

وكان هذا أول درس وآخر درس، اما العمل اليومى للناس فكان غالبا جدا، واعتبرنا انفسنا اننا داخل الحزب الاشتراكى، كنا نشترك في إضراباتهم ومظاهراتهم التى نتكلف بالاشتراك فيها (مثل تصريحات بيفن - مقاطعة الكوك كولا)

وذات مرة، تقريبا اوائل عام ١٩٥٠، قمنا بمظاهرة كبيرة، وقلبنا سور سطح المدرسة على بلوكات النظام الذين كانوا اسفل السور بالشارع، وارسلوا ضابط المباحث إلى المدرسة وقبض على مجموعة من الطلبة وانا منهم بهدف التهويش، وذهبنا إلى قسم الخليفة، وكان ضابط المباحث الموجود في القسم يعرف والدي، وعندما سمع ابى ما حدث اتصل به وتم الإفراج عنى يومها، وكانت مندبة فى المنزل؛ فقد كان والدى يوافق على أن افكر ويكون لى راي ولكن لا يوافق على دخولى اي تنظيم، فغير مسموح لى بان انشغل عن دروسى، وبالتالى كنت لا اذكر انني اشترك فى مظاهرات المدارس.

وبدأت كلمة الاشتراكية يصبح لها صدى، وفي نفس الوقت بجوارها الشيوعية، وقد اثار طرح الفرق بينهما العديد من الأسئلة فى ذهننا.

فإذا كان الفكر العالمى يقول إن الاشتراكية مرحلة وان المرحلة التالية هي الشيوعية وبالتالى فهى الأفضل، إذن من اين نأتى بها.

وهذا هو الحوار الذى دار بيننا انا والأصدقاء. وبالمناسبة كنا نضحى جدا ونحن في هذا السن، فنشترى جريدة الاشتراكية من مصروفنا، وعندما كانت تصادر، كنا نشترى العدد بـ(٥ قروش) كل واحد فينا يدفع قرش صاغ، مبلغ كبير، ولكن كنا سعداء بهذا و«الاشتراكية» كان اكثر تقدما من "الشعب".

ومن خلال علاقتي العميقة انا واخى الصغير بميخائيل برومان، بدأنا نسأله ماهو الفرق بين الشيوعية والاشتراكية، ثم ننقل ما يقوله لنا للأصدقاء. وبدأنا نسأل كيف نصل للشيوعية، فذهبنا إلى لجنة السلام في شارع عبد العزيز، نسمع خطبا فقط، وكان فيها نوع من الهرجلة، وكان فيها بعض السيدات، ولم نشعر بانهم منضبطين، ولم نكن نسمع ما يقوله المتحدث من شدة الصخب، والناس متحررة، وهذا عكس ما كنا نراه عند أحمد حسين او حتى مكرم عبيد فالناس منتظمة، ومستمعة تماما، ومتفاعلة مع ما يقوله، فالخطيب هو المسيطر، وممنوع اى هتافات في غير محلها.

ولم نقتنع بهم كشيوعيين سوى بعض ساعات عندما كنا نرى المنجل والمطرقة (الشعار العالمى، المنجل لحصد القمح رمز الفلاح، والمطرقة رمز العامل).

وحتى مجموعة الطلبة الشيوعيين (مجموعة الشرقاويين) الذين كانوا معنا في المدرسة، لم نكن مقتنعين بهم، وعندما أفسر عدم اقتناعى بهم الآن، اقول إننا كنا نريد أن نتعامل مع اناس اقوى منا، ونحن كنا نحميهم من الأخوان، فاعتقد ان هذا كان المبرر. وبالإضافة إلى منشوراتهم التي كانت توزع في المدرسة والتي لم نجد فيها كلمة الشيوعية واضحة، ولا يوجد فيها منجل او مطرقة، وكان يتم التوقيع عليها باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)، وكانت طباعتها رديئة.

وبعد ان بدأت صورة أحمد حسين تهتز ويقال عنه إنه سافر امريكا وأخذنقودا منهم. وذكرت جرائد الشيوعيين انه استفاد من حملة الكوكا كولا والبيبسى وأخذ نقودا من ورائها.

الحزب الشيوعي المصرى

ظللنا نبحث بجدية عن الشيوعية، حتى جاء احد اصدقائنا من الشلة وقال لنا إن هناك احد الأشخاص رآه اكثر من مرة في الحزب الاشتراكى، يعتقد انه شيوعى، لأنه قابله في الشارع، وسلم عليه ومشي معه وقال له ان احمد حسين ليس زعيما جيدا،

والحل هو الشيوعية. طلب منه أن تظل العلاقة بينهما فقط، إلا انه قال لنا، وقررنا ان نكلمه لكى يحضر ويجلس معنا، وكانت الجلسة عندى في المنزل.

وفي هذه الجلسة عرف لنا الشيوعية، وذكر ان الانتهازية التى تدعى الشيوعية، لأنها لا تفهمها بشكل جيد، أخطر من الإمبريالية على الشيوعية، وكان هذا الكلام فيه قدر من المعقولية والتنظيم، والقى علينا بقنبلة في نهاية الجلسة، وهي انه سوف يحضر لنا مجلة شيوعية في الجلسة القادمة وكنا سعداء جدا بذلك.

ثم أحضر لنا هذا الشخص ما وعدنا به. مجلة مطبوع عليها المنجل والمطرقة اسمها الحزب الشيوعى المصرى. فلا تتخيلوا مدى سعادتنا لحصولنا علي ما نريده بالضبط وهو لم يكن يريد ان يجندنا كمجموعة، بل يريد كل واحد على حدة للأمان، ونحن أولاد حتة واحدة، ورجالة مع بعض ولا نعرف التنظيم واحتياطاته.

وبدا يفهمنا ذلك، وبدات انا واحد اصدقائى نتحمس جدا للانضمام للتنظيم واندفعنا نحو هذا الشخص. اما أصدقائي الآخرون فاخذوا المسالة بتحفظ اكثر.

وجلس معنا حوالى ثلاث جلسات، ثم قال لنا، إننا أصبحنا مرشحين وكان هذا في أوائل عام١٩٥١، وسوف تكون هناك اجتماعات دورية، ثم اختار لنا الأسماء الحركية، واكد علينا ان هذه هى الأسماء التى نعرف بعض بها، ولو قابلنا بعض في اى مكان بدون ان نكون محددين موعدا للمقابلة، لا نسلم على بعض، وكاننا لا نعرف بعضنا البعض نهائيا، وقال إننا نستعد للثورة، وانها على وشك ان تتم.

وبعد ذلك، بدانا لانصدق احمد حسين، عندما فهمنا ان هناك مراحل انضج، ونؤمن بمدى أهمية الطبقة العاملة والفلاحين.

واتى لنا بتقرير "نحو ثورة مقبلة" للرفيق خالد (فؤاد مرسى- سكرتير عام الحزب)، وطلب منا أن نذاكره جيدا ونؤمنه بعد ان دربنا على كيفية تامينه في المنزل، حتي لا تمسك معنا اية أوراق لو تم القبض علينا، واكد علينا ان المسالة ليست هزلا، ولابد من الاهتمام بكل ما يقوله، وبدا كل فرد يصنع مخبا في منزله، وتتعلم الا نتكلم او نثرثر باى كلام عند الحلاق لأنهم معروفون للبوليس، فهناك قسم من المباحث خاص بالشيوعية، وبدات دروس في الأمان على مستوى راقٍ جدا، وشديد الاحترام ولابد ان نراعى ونلاحظ هل نحن مراقبون أم لا؟ وبدات تتم مقابلات تنظيمية بيننا نحن الثلاثة، ناخذ موعدا عند الأتوبيس ونصل قبل الموعد بخمس دقائق لنتاكد من ان المكان خال

من المخبرين على المحطة، وبالرغم من اننا نعرف بيوت بعضنا البعض، إلا اننا كنا ناخذ مواعيد فى اماكن مختلفة مثل القهوة، ونكتب محضر الاجتماع ونبيضه بخط غير خطنا، حتى لو ضبطت هذه الورقة عند احدنا لا تثبت علينا، وكنا ناخذ مواعيد احتياطية، بمعنى لو حدث ولم يات احد الاجتماع، لا نذهب لمنازل بعضنا البعض، بل ننتظر الموعد الاحتياطى، او الموعد الشهرى. وهكذا اعتبرنا انفسنا دخلنا سلوكا آخر تماما.

وكنا نمارس هذه الطقوس عن ظهر قلب، وجلسنا ثلاثة شهور في حالة تربية ثقافية وتنظيمية، للتدريب حول كيفية توزيع المنشورات أو الكتابة على الحوائط (كنا نمضى هذا الوقت بالحزب الشيوعى المصرى)، وما هى المواد التى تستخدم في ذلك (حصا جوز المستخدم في الموبيليا- ثم تطورت بعد ان اضفنا لها مادة للتثبيت (الغراء)، وكانت اهم ميزة لنا، اننا غير مكشوفين للبوليس وفي نفس الوقت معروفين في حينا، فبدانا نوزع الراية ومنشورات اخرى فى صناديق البوستة، واستلمنا اول كمية، وكان فى الماضى كل منزل به صندوق البوستة، فكنا ندعى اننا نذهب للمذاكرة عن احد الأصدقاء ثم نبدأ في التوزيع، واحدنا يضع المنشور في الصندوق والآخر يراقب الطريق. ثم بدانا نضعها تحت أعقاب الأبواب، ثم في أماكن التجمع العمالى حيث كان هناك جراج لمقار بجوار الخليفة، فكنا نرميها من على السور لأن النقل وقتها كله كان قطاعا خاصا مملوكا للافراد مثل (درويش ، ابو رجيلة)، وورش الميكانيكا التى كانت منتشرة في معروف، فقد كنا نحاول ان نبحث عن البشر الذين كُتبت لهم هذه المنشورات، فطبقًا للأدبيات الأساس هو الطبقة العاملة وهو الحيف الرئيسى. وإن كنا نعرف من الأدبيات ايضا ان هذه الطبقة ليست الطبقة العاملة بل حرفيين ولكن الحرفيين هم جزء من ثورتنا المقبلة.

وبدانا ننظر لكل من حولنا بنظرة اخرى، فنسال مثلاً هل هؤلاء يمكن ان يكونوا معنا ام لا؛ من منهم يمكن ترشيحه للحزب (فكرة التجنيد)؟. وبدانا نوزع منشورات لأصحابنا على اساس أننا وجدناها في صندوق البوسطة لدينا، دون ان نعلن عن وجودنا في الحزب.

وهكذا اصبحت عضوا قاعديا فى خلية الحلمية، فالأساس كان الحى وليست المدرسة.

ثم اتى لنا بتقرير أخر اسمه "في التنظيم" للرفيق عاصم (إسماعيل صبرى عبد الله- المسئول التنظيمى للحزب).(فالسكرتارية المركزية كانت مكونة من خالد وعاصم وسعد زهران مسئول الدعاية).

وفيه يتحدث عن ما هو التنظيم، شروطه . السرية . حديدية التنظيم، وماذا يحكم التنظيم هل الديمقراطية المركزية؟ وهل هى ديمقراطية في الأساس ام مركزية؟وكيفية اتخاذ القرارات، ومناقشة الأفكار الانتهازية، وكان التقرير يعتبر دراسة نظرية من أمتن ما يمكن، ولهذا كانت معظم كوادر الرية على مستوى نظرى عال جدا إذا قورنوا بأى تنظيم آخر، وكنا نكاد نكون حافظين لكل التقارير، وكانوا يهتمون جدا في الاجتماعات بالتثقيف، فإذا سال عضو سؤالاً ولم يعرفه مسئوله، يحضر له الإجابة في الاجتماع التالى.

هكذا كان هناك نظام من بداية الترشيح ويوجد لائحة واستراتيجية. وكان يُعرض على المرشح اللائحة ويقراها ويتم ترشيحه بعد الموافقة عليها، ويظل ثلاثة اشهر طبقا للائحة (ولكن عمليا لم تكن تتم بهذه الدقة هذه لأن الأحداث كانت ساخنة جدا) ثم يمنح العضوية، وكان يتم احتفال تنظيمى للعضو الجديد فهذه مناسبة لابد من الاحتفال بها. وكان الاحتفال نوعا من التعهد للاستمرار فى النضال والكفاح، وكانت الناس مخلصة جدا فيما تقوله، ويتم التدريب على السرية والأمان من خلال امثلة، مثلا أن الرفيق فلان حدث منه كذا وهذا خطأ ونقد نفسه عليه، كذلك ممارسة النقد والنقد الذاتى وفي رايى أن هذه من الأشياء المهمة في التربية منذ الصغر لأنها تولد فيه النقاء ونوعا من الجراة مع نفسه اولاً، حيث يستطيع ان يتطهر وينقد نفسه ويواجه الآخرين باخطائه ويقيم نفسه .ومن أهم دوريات الحزب الشيوعى المصرى الشيوعى المصرى الشهير بالراية)

راية الشعب، وهي جريدة الحزب الجماهيرية وكانت تطبع طباعة ممتازة بمطبعة حروف، وكان يوضع شعار المنجل والمطرقة مع اسم الجريدة وهي مبوبة تبويا جيدا، وتحتوي علي تحليل سياسى عام وخاص باهم الأحداث السياسية والاقتصادية والكفاحية سواء العالمية أو المحلية مع الكثير من الأخبار النضالية في العالم وفي مصر.

الحقيقة، وهي نشرة خاصة بالكادر الحزبي والأعضاء الحزبيين، وتناقش المشاكل

الحزبية والتنظيمية، وتقوم بالرد علي الأفكار الخاطئة سواء في داخل الحزب او خارجه طبقا لما كان يقال، الأفكار الانتهازية سواء كانت يمينة او يسارية وإبراز الخطأ في ذلك والهدف الرئيسي هو تربية الكادر، وتثقيفه ثقافة ماركسية لينينية سليمة.

Egypt Compatant، مجلة للأجانب في مصر بالفرنسية ولم ار منها غير عدد واحد وكانت غير منتظمة الصدور.

الثقافة الوطنية، وهي مجلة للثقافة العامة، وتتناول موضوعات ثقافية لكل المثقفين بشكل عام وليس بها شرط أن يكونوا أعضاء في الحزب، وفيها نشر صلاح عبدالصبور قصيدته الشهيرة هل «عاد ذو الوجه الكئيب، ذو الأنف المقوس، ذو الندوب»، ولم يكن عضوا في الحزب، وكان الهدف منها هو محاولة تجميع المثقفين من خلال إتاحة فرصة النشر حول المشاكل الثقافية.

ولم يكن للحزب الشيوعي المصري اي جرائد علنية، ولا يؤمن بمسالة العلنية في البداية بل يؤمن بالسرية المطلقة حيث إنها مفروضة عليه.

ومن اهم وسائل التثقيف التي تميز بها الحزب الشيوعي الكتيبات او الكتب الصغيرة او ما يمكن أن يسمي بالتقارير السياسية والتي تناقش موضوعات أساسية، او مشاكل نظرية ومن أهم هذه التقارير «ثورتنا المقبلة» للرفيق خالد وهي دراسة في حوالي ٣٢ صفحة فيها يناقش حقيقة الثورة المقبلة وقوى هذه الثورة واعدائها ومع من نتحالف ومن نحيد، ومن نعادي، و«صراع الطبقات في مصر» وكانت أول دراسة جادة وشاملة واثارت الكثير من المناقشات واكتسبت احترام الجميع، وكانت هذه الدراسات تتميز بالتوثيق الجيد إبراز المراجع الهامة.

ومن أهم التقارير «في التنظيم» وفيه يناقش الرفيق عاصم اسس التنظيم وكل الأسس التي يرتكز عليها الحزب والمبادىء التنظيمية التي تحكم العمل بالحزب وحقوق الأعضاء: وكذلك المستويات المختلفة وعلاقاتها ببعضها ومسئوليتها.

لائحة الحزب، وكانت مطبوعة طباعة جيدة، وكان كل مرشح يقراها حزبي يقرءها ويناقش كل التفاصيل فيها ويسال عما فهمه منها حتي يتم التاكد من انه قد درسها جيدا حتي يمكن ان ينال شرف العضوية.

وبالمناسبة انا كنت شديد التدين في هذه الفترة: واصلى الفروض في أوقاتها، وهذه من الأشياء التى يحترم فيها هذا التنظيم جدا. فاثناء الاجتماعات (بعد ان سلمنا

لمسئول آخر وزاد عدد الأعضاء اثنين) عندما كان يحين أذان الصلاة كنت استأذن من المسئول وانزل لأصلي في الجامع، ثم نكمل الاجتماع، ولم يكن يعترض على هذا لا المسئول ولا احد من اعضاء الخلية. وكنت احترم عقلى تماما. فالذى لا يدخل فيه ولا اقتنع به لا امارسه.

كانت الخلية تجتمع كل أسبوع، تناقش جدول أعمال مكون من، المسائل التنظيمية، وتحليل سياسى لأهم الأحداث التى تمت بين الاجتماعين، وكان دائما يأتى من القيادة المركزية. ثم التكليفات وكان لابد من وجود مسئول في الخلية عن الاتصال، له مواصفات خاصة، فلابد ان يكون اكثرنا امانا واكثرنا حركة غير جماهيرية، واكثر معرفة بالتنظيم وأسلوب الأمان، واقل ثرثرة، على أساس انه يحمل مطبوعات، وبالتالى هو اكثر عرضة للخطر، ومسئول عن كتابة محاضر الاجتماعات، فهو الذى يحتفظ بأرشيف الخلية. سواء من كتابة التقارير في الداخل او التقارير التى تأتى من اعلى او عمليات التثقيف. وكانت معظمها كتب بيروتية او كتب غير متداولة فى السوق، بالإضافة إلى شراء كتب من كشك إسماعيل الذي كان امام كازينو الأوبرا (وقد اصدر الحزب امرا لكل مسئولى الاتصال بعدم الاقتراب من هذا الكشك لأنه كشف للبوليس بدا يتعاون معهم). وكنا ننصح بقراءة الادب، خاصة الأدب الروسي، مكسيم غوركى، وكل ترجمات سامى الدروبى، وكتاب في التنظيم لستالين وكانت هناك كتب عن الإلحاد مثل " ارنى الله". كما كنا داخل الخلية نناقش الأفكار الانتهازية، مثلاً لماذا تبعد الأحزاب الأخرى عن اسم الحزب الشيوعى. وهكذا من خلال التقارير العليا بدانا نعرف ان هناك تنظيمات اخرى، وانها انتهازية. فلم نكن نعرف في هذا الوقت أن هناك تنظيمات اخرى سوى حدتو عن طريق آل الشرقاوية في المدرسة.

كما كانت تناقش فكرة الأممية في ادبيات الحزب الشيوعى المصرى، وفكرة الدولية الثانية وكيف انها خانت الطبقة العاملة في هذا الوقت، وبالتالى كان لزاما على الشيوعية الدولية ان تؤسس الأممية الجديدة التى استبعدت منها الاشتراكية الديمقراطية.

وكان فهمنا لحدوث ثورة في مصر انها ستتم من خلال قتال، وأن الثورة ستقوم على مرحلتين ، المرحلة الديمقراطية ثم المرحلة الاشتراكية، وأن فكرة المرحلة الواحدة فكرة انتهازية وخاطئة، لأنها تصفي الثورة وتسلمها للأعداء لأنها ليست نابعة من مفهوم لينيني ستاليني منضبوط طبقاً للاقوال التى كانت تقال في هذه الفترة.

وفي هذه المرحلة كانت الصين قد تحررت، وكان يعتبر هذا شكلاً إيجابيا جدا للأفكار الشيوعية والاشتراكية، لأنها بلد، كان الأفيون هو الذى يحكمها ثم أصبحت القيادة فيها للحزب الشيوعى، وصور الرفيق ماوتس تونج كانت شيئا مبهرا جدا، وكان هذا يظهر حتى في الصحافة العادية. والكلمات المأثورة لنابليون " الصين نائمة ويا ويل العالم إذا استيقظت".

وبالتالى بدأنا نتطلع لثورتنا، وأنه يجب الالتصاق جيدا بالعمال والفلاحين لكى نستطيع تحقيق ثورة حقيقية، وأن هذه الثورة لن تتم إلا بحمل السلاح (وهذا كان في الأدبيات فقط، ولم يكن موجودا في التطبيق العملى) بل كان مجرد تحريض على المظاهرات سواء كان في الجامعة أو الأماكن العمالية. ومن الأشياء التى كانت تقال لنا في الاجتماعات والبيانات أن الحزب الشيوعى المصرى له جذور في الريف، وأن هناك كوادر فلاحية كثيرة خاصة في ملوى، حيث بها كم كبير من أعضاء الحزب الشيوعى المصرى.

وأنا شخصيا تأثرت بكل ما علمه لى الحزب، حيث شعرت بأنه يعاد تربيتى مرة أخرى، من خلال التأكيد على أهمية النضال والكفاح والارتباط بالطبقة العاملة والفلاحين. كل ذلك جعلنى أفكر في الذهاب إلى بلدنا، بالرغم من أن تجربة أهلى مع البلد كانت سيئة، حيث أصيب أخى الكبير بالتيفود فى أول زيارة له للبلد. ولكن أتيح لى فرصة الذهاب إلى الريف. قرية موشا (بلد سيد قطب الذي تعرفت عليه في الحزب الاشتراكي قبل أن يدخل مع الأخوان وهو متخرج في دار العلوم، فقد كان يكتب في المجلة الاشتراكية، وكان أحمد حسين يسمح له في بعض الأحيان أن يخطب، وكان اتجاهه في هذا الوقت أميل للنقد الأدبي منه إلى أى نوع من التفكير الديني) لزيارة عمى بعد رجوعه من الحج وكان هذا عام ١٩٥١. ومن الأشياء التى بهرتنى في الريف، أننى وجدت شيخ البلد عضوا في الحزب الاشتراكى، وأثناء زيارتنا للعمدة وقف شيخ البلد وألقى قصيدة لأحمد شوقى (الاشتراكيون أنت إمامهم) وفي فترة وجودى فى القرية تقربت منه جدا، ووجدته شخصا محبوبا جدا لدى الناس، ووجدت أيضا أخوانا مسلمين في القرية وكان هذا واضحا من خلال شكل العداء للأقباط الموجودين في القرية، كما لم أنس منظر الفلاحين الغلابة وهم ينزلون من على الركايب (الحمير) عندما يرون الناس الأكابر (ومنهم عمى)، وهذا أشعرنى بمدى القهر الموجود في الريف، وكيف أن من يمتلك بعض الأفدنة عليه أن يستخدم كما هائلاً من البشر، وبدون اعتبار

لأي نوع من الآدمية.

وهكذا أكدت لي رحلتي إلى القرية كل الكلام الذى كان يقال على أغنياء الريف، والفقراء المعدمين وعمال الزراعة... من خلال التقرير التحليلى للطبقات في مصر الذى قرأته، مما أدى إلى زيادة اقتناعى بكل ما يقال لنا.

وطوال هذه الفترة لم أحتك بالأطراف الأخرى المشتركة في تنظيمات أخرى، وكان التركيز على الحى والمدرسة .

وفكرة التمصير داخل الحزب كانت فكرة أساسية، لم يكن في تنظيمنا أجانب، وكان يقول أن قيادة اليهود خطأ، وأننا لسنا ضد اليهودية، وإنما اليهودى إذا كان مخلصا فيجب أن يكون في القاعدة نظرًا لحساسية هذا ولاسيما بعد القضية الفلسطينية. ولم أر أجانب إلا بعد الوحدة، ومنهم ميرى بابادوبليو، وفي الحقيقة كانت جيدة، فنتيجة قراءة الأدب الروسى الجاف عن النضال وغيره، كانت المرأة صلبة.

بالنسبة لرؤية التنظيم للطبقة العاملة، كانت ترى أنها هى الأساس كما ذكرت، والمفروض أن تقود، ولكن ليس بمفهوم العامل، وإنما هناك كثير من المثقفين يمكن أن يتركوا فكريا أصولهم الطبقية ينحازوا للطبقة العاملة المصرية، وهؤلاء يقال عنهم أنهم قيادات عمالية لأنهم أعضاء في الحزب الشيوعى، وهؤلاء هم الطليعة للطبقة العاملة المصرية.

وكان هذا يتضح جيدًا في الأدبيات، أما أنا فلم أكن أحتك بالعمال في هذه الفترة. (بعد ذلك رأيت قيادات عمالية، وكنا نعمل معا عملاً جماهيريا. بعد أن اكتشفت للبوليس، وتم القبض على فى ١٩٥٤).

ومن أوائل المعارك التى شاهدتها داخل التنظيم «الرد على عامر» الذى قام بكتابته فؤاد مرسى (عامر هو عبد الرحمن شا كر . عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى) وكان من الناس الجماهيريين، وقال وجهة نظره عن حريق القاهرة وهي مختلفة عن وجهة نظر الحزب وقتها، فالحزب كان يرى أن هذه غوغائية وأن السرايا هى التى دبرت هذه المؤامرة بهدف أن تضرب الحركة الجماهيرية التى بدأت تنتعش. وكتب فؤاد مرسى هذه الرؤية لكى يحذر من هذا التفكير: وهذا الرأى مكتوب بشكل أوضح في كتاب عبد الخالق الشهاوى «الحلم والسجن والحصار».

أما عبد الرحمن شاكر فكان رأيه أنه كان يجب على الحزب في هذا الوقت أن يستغل فرصة التحرك الجماهيرى الواسع ويستفيد منها في حركة جماهيرية واسعة.

فرد فؤاد مرسى قائلاً هذا الكلام ليس صحيحا، لأن هذه مؤامرة الهدف منها ضرب الجماهير، ولم تكن حركة الجماهير هذه حركة جماهيرية منظمة، لكنها كانت منظمة لتخريب الحركة الجماهيرية الحقيقية التى يجب ان تكون بقيادة حزبنا.

والرد على عامر كان من التقارير المهمة، وصنع نوعا من الحيوية داخل التنظيم ففيه رؤية نظرية رائعة، وليس مجرد الرد، ولكن التعريف بالانتهازية اليمينية، وما فعلته بالحزب البلشفى، راى لينين وستالين في هذا الموقف. وكان الفرد منا ياخذ هذه الآراء قضايا مسلم بها، فالذى يقال من اللجنة المركزية او السكرتارية المركزية او الأدبيات التى توزع كلام لا يقبل النقاش.

اما بالنسبة لوجود ديمقراطية فى الحزب، فالحقيقة اننا كناشبابا صغارا، كل ما يهمنا هو الشيوعية، ووجدناها فى هذا المكان، ووجدناها متاصلة، فعندما نعمل مقارنة بين التقرير السياسى لفؤاد مرسى مع اى منشور سياسى آخر نجد فرق السماء من الأرض، لذا عندما نقرا كلاما بهذا المستوى، ونحن مازلنا شبابا صغارا، كان يبهرنا، ولم نشعر بتمرد إلا بعد سنة ١٩٥٦. ولكن في النهاية كانت هناك حرية التعبير لدرجة اننى كما ذكرت كنت اترك الاجتماع واذهب للصلاة في الجامع ولا احد يناقشنى في ذلك، واتصور انه لو ناقشنى احد في ذلك، لكنت بالتاكيد تركت التنظيم، فقد كنت ايامها اربط بين هذا الفكر والإيمان، فلا يمكن أن يكون هؤلاء الناس هدفهم خدمة الناس ويكونوا ضد الدين، وبالتالي ما يقال عن العداء للدين او الموقف من الدين غير صحيح، ومطروح من الناس المعادين لهذه الأفكار التقدمية، والحقيقة أن كل جيلي في هذه الفترة كان ليبراليا، فنحن مثلاً اولاد حى واحد، عندما يتم ضرب الأخوان المسلمين بالرغم من اننا ضدهم، لكننا كنا نحميهم لأنهم مطاردين من الدولة. وهذا فهم ليبرالى للامور.

فكان من حقنا ان نخاطب اللجنة المركزية كعضو قاعدى، ومن حقنا أن نخاطب السكرتارية المركزية، ونرسل تقريرا، ويرسلون لنا ردا، ولكن عندما يكون عملاً تخريبيا مثل الذى قام به عامر في ذلك الوقت، فإنه يجب أن يعرى، ويجب أن يتم توحيد الكوادر حول وجهة نظر الحزب، وتم فصل هذا الرفيق. فالحزب الشيوعى المصرى كان يمثل الانضباط على طريقة م.ش.م ولكنه كان اكثر وعيا، فعبد الرحمن شاكر بعد أن حدث كل هذا الهجوم عليه لم يسمح لنفسه ان يناقش احدا في هذا التقرير، بمعنى ان الحزب قال هذا، والأمر انتهى.

حجم الحزب، كان لدينا تصور ان حجم التنظيم مهول وأننا على وشك تولى السلطة، من خلال ما كنا نقراه في منشورات ومجلات الحزب، وكنا نشعر بذلك، فأنا اتذكر ذات مرة انه كان لدى موعد تنظيمى لكى أحضر بعض المنشورات ليتم توزيعها، وبعد شرح كيف أصل وما الذي سأقوله، قابلت على القهوة شخصا سمينا كان يشرب الشيشة، وشكله فلاح تماما، ولكنه يلبس بدلة، وأعطانى انطباعا بمدى قوة الحزب، وأن هناك فلاحين مشتركين فى الحزب ولكنهم متنكرين، والمضحك أننى اكتشفت بعد ذلك ان الذى قابلته هو الدكتور "رواش"، وكان وقتها طالبا فى كلية الطب.

اما الخلية فكانت لا تزيد باى حال من الأحوال عن خمسة افراد للأمان، وكانت الوجوه في جهاز الاتصال دائما وجوها جديدة، ليست هى الوجوه التى نراها في المظاهرات، وإنما وجوه مامنة.

وكنا نعتقد ان الجهد الذى وراء هذا الكم من المطبوعات والنشرات والكتب النظرية جهدا كبيرا، ولم يكن هذا إحساسى فقط، وإنما كان إحساس المباحث، وقد قرات في القضايا، ان حسن المصيلحى فى شهادته في المحكمة. قال إننا كنا نعتقد ان هذا التنظيم تنظيما ضخما، وأن به فلاحين كثيرين فى اماكن مختلفة. فقد كان له صدى كبير.

وبدانا في هذه الفترة ننشط ونجند، فكونا اكثر من خلية، خليتين في الحلمية، خليتين فى السيدة، خلية في فم الخليج وخلية في المدرسة، وكان من الطبيعي ان نترقى فكل واحد منا اصبح مسئول عن خليتين، ويحركهم، للكتابة على الحوائط، وتوزيع منشورات، والمشاركة في المظاهرات .. إلخ.

وبدات تنتهى تقريبا الدراسة عام١٩٥٢، واثناء ذلك سمعنا بيانا يقول باستيلاء الجيش على السلطة فاخذنا بعضنا جريا إلى اقرب مكان وهو قصر عابدين ولم نجد فيه شيئا، فالجيش لم يستول على شئ، والناس تقف في الميدان فرحة، حتى جاء يوم ٢٦ وجدنا الجيش يلتف حول قصر عابدين إلا أن المعركة كانت أساسا في الإسكندرية.

في أواخر هذا الأسبوع جمعنا اتصال ، قيل لنا إن هذا انقلابا أمريكيا فاشيا لأنه معاد للديمقراطية ثم صدر تقرير فؤاد مرسي، وجوهر التقرير يقول ، إن الاستعمار الأمريكي جرى فى الفترة الأخيرة، لأنه لا يستطيع ان يحكم بالطريقة التقليدية، وان

الجماهير تكشف الأساليب القديمة للسلطة سواء الإقطاع الراسمالي او التحالف مع الاستعمار، وخوفا من ان تقفز الجماهير على السلطة بقيادة الأحزاب الشيوعية، ولم يكن في يد امريكا إلا ان تقوم بانقلابات عسكرية تغير السلطة، وباساليب فاشية في مواجهة الجماهير.

وفى هذا الوقت صدر قرار بالإفراج عن كل المعتقلين السياسيين ماعدا الشيوعيين، وهذا كان يركز عليه جدا، ورأيى الخاص جدا ان هذا الكلام كان صحيحا نظريا وقتها لأن ستالين فى المؤتمر ١٩ قال ان البرجوازية القت بعلم الثورة في الوحل، وكان لزاما على الطبقة العاملة ان تقوم بالثورة وبالتالى البرجوازية فقدت ثوريتها والثورية أصبحت للطبقة العاملة من خلال أحزاب شيوعية، وبالتالى لا يوجد اساس نظرى عند احد يعرف هذه النظرية بشكل جيد من هؤلاء يمكن ان يقول انه من الممكن لبرجوازية ان تكون وطنية بعد ما قاله ستالين. فإذا قال إن هذه وطنية فإن هذا معناه انه مخالف لكلام ستالين ومؤتمر ١٩، وبالتالى ليس لديه أساس نظرى يستند إليه، ولكن فى هذه الأيام كان يحدث انقلاب عسكرى كل فترة في أمريكا اللاتينية وفي معظم الولايات، فقد كان الشكل الانقلابى هو الشكل السائد.

إذن فلماذا هذا الانقلاب ليس فاشيا او متحالفا مع الاستعمار بدليل انه ما زال محتفظا بالشيوعيين داخل المعتقلات، وبعد ذلك العداء المستمر للديمقراطية والأحزاب حتى التقليدية منها وهذه الحكاية لم تظهر على السطح لأننا كنا لا نهتم بالمناقشات مع الانتهازية باعتبارنا لسنا مكشوفين. وباعتبارنا فى اماكن ليست فيها تنظيمات انتهازية.

وهكذا صدرت تعليمات مشددة بان الفاشية سوف تبطش بالشيوعيين، وبالتالي يجب المزيد من الأمان والمزيد من حديدية التنظيم. ومع بداية العام الدراسى، كنا في التوجيهية، وكانت كل الأحزاب مضروبة الوفد والسعديين باستثناء الأخوان، بداوا ينشطون جدا، وشعاراتهم واضحة القرآن أساس الحكم، والجبهة الوطنية، حيث كان الشعار في هذه الفترة عمل جبهة وطنية لمواجهة الفاشية بين كل القوى الوطنية المستعدة لمحاربتها وشعارها الدستور أساس الحكم، والجبهة تتسع لكل القوى الوطنية، ولكل من يريد أن يقف في مواجهة الفاشية، بما ان الفاشية سوف تقهر الناس والمجتمع، وفعلاً الكثير من الناس يتشككون في الثورة، وبدات الجامعة تعمل، وكان بعض زملائنا الذين يسبقوننا دخلوا الجامعة ـ جامعة فؤاد(القاهرة الآن)، او جامعة إبراهيم

(عين شمس) ولم تكن في العباسية وقتذاك. بل كانت في اماكن مختلفة، مثل كلية التجارة التي كانت في مبنى معهد التعاون وبناء على وجود هؤلاء الزملاء، أصبح مقرنا الرسمي في الجامعة كما ذكرت، وفى احتفال الشهداء الذى كان يتم في شهر نوفمبر قررنا عمل مظاهرة، وبالطبع كان يتم عمل ترميم وتنظيف قاعة الاحتفالات بالجامعة ودهانها، وكانت توجد سقالات في القاعة، وعندما دخل رجال الثورة، هجم طلبة الجامعة عليهم، ولكن جزءًا كان يريد الترحاب بهم، جزءًا يريد ان يناقشهم ويقول لهم يجب الإفراج عن الطلبة المعتقلين...، المهم دخلوا، ووضع جمال عبد الناصر الورود على النصب التذكارى الذى كان ما زال داخل الجامعة . خرج بعد هذه السنة إلى الميدان. واصبحت القاعة فريقين، فريق على السقالات، دورين من الجماهير العادية يقول الدستور أساس الحكم، وفريق آخر أسفل من الأخوان يقول القرآن أساس الحكم، وقد كان الأخوان المسلمين يحشدون ليس فقط من طلبة الجامعة ولكن ايضًا من خارج الجامعة، والاثنان يريدان ان يرى مجلس الثورة قوتهما، فكانت القوتان في قمة استعراضهما، والجبهة الوطنية التي تكونت في هذا الوقت ايضًا استعرضت اقصى ما عندها. وفي البداية بدا ان الأخوان مسيطرين بالكامل ثم بدات ما يطلق عليها الجبهة الوطنية، كان وقتها عبد المنعم الغزالى، ومصطفى الحسينى، وحامد الأزهرى(وفد)، والخطيب (وفد)، وبدات تحدث ردود على الأخوان. وتوقفت الخطب التى بدات على المنصة، ووصل الصراع إلى درجة ان الأخوان عندما وجدوا الموقف متجمدًا شدوا السقالات من أسفل، وسقط معظم الناس، وكانت هذه اول مواجهة جماهيرية على أرض الجامعة داخل القاعة، فقد كان الأخوان يريدون ان يظهروا للثورة مدى سيطرتهم، وفشل المؤتمر وتحولت المسالة من دخولهم ككتلة واحدة إلى انهم تفرقوا، وجزء منهم تم حمله على الأكتاف، ونحن لم نكن نعرف ان مجلس الثورة سوف يحضر بالكامل بزيهم الرسمي، وبالتالي لم نرتب استقبالاً حقيقيا، كنا نعتقد انه مجرد الاحتفال التقليدي للجامعة، ولذا حدث تذبذب في كل الأحزاب الأخرى الوفديين والسعديين، ولكن من الواضح ان الأخوان كانوا يعرفون، وقابلوهم بشعاراتهم، وكان الشعار الرئيسى الله اكبر ولله الحمد والشعار العملي القرآن دستور أما الشعار الرئيسي لنا الدستور أساس الحكم، الذي كان من المفترض انه المادة السادسة من اهداف ثورة يوليو، وتوج كل هذا برمي منشور من الراية في القاعة، فقد كنا نريد ان نؤكد على انه انقلاب فاشي،

ومطلوب تكتيل كل الناس في مواجهته، وان المحك الرئيسي هو الديمقراطية. وكان له رد فعل كبير على الناس، وكان تكليفي فقط هو إحضار المنشور إلى الجامعة، وفي هذه الفترة كان يتم التشديد على عدم الاشتراك في المظاهرات، وان أجلس في البوفيه اثناءها حتى لا أعرف، ولكن كنت لا اطيق. (واتذكر مرة كنت البس بلوفر كانريه، فجاء مسئول من التنظيم كان فى كلية الهندسة، وقال لى ما الذي تلبسه، فقلت بلوفر أختي عملته لي، فقال يا رفيق لا يجب أن تلبس هذه الألوان الزاهية خاصة في المظاهرات، لأنها تخطف العين، وبالتالى اي مخبر او ضابط مباحث ينظر من اعلى يمكن ان يعرفك، هكذا كانت درجة الأمان، ورغم انزعاجى فى البداية من هذا التوجيه، إلا انني ادركت ان القصد حسن).

وعندما حدث هذا انتهى المؤتمر وبدا يخرج رجال الثورة من جانب القاعة، وكان موقفهم موقف المتفرج، المشدوه، ونتيجة لهذا المؤتمر تم إغلاق الجامعة، وفى هذه الفترة كانت تغلق الجامعة بانتظام، طبعا كان هذا يصعب مسالة دخولنا للجامعة ولكن كانت لنا سكة معروفة كما ذكرت، وهى الدخول من حديقة الحيوانات، ثم النط من على السور ودخول كلية الهندسة، أو من الخلف من عند كلية التجارة. وكنا نشعر أن البوليس موجود طوال الوقت في الشوارع، وبدا "المصرى" يصادر، وكل فترة تظهر قضية من قضايا الشيوعية، وهكذا كان الصراع موجود من ١٩٥٢ إلى١٩٥٤ على اشده، وبشكل عنيف حتى مارس ١٩٥٤، واصبح التنظيم يكبر، تملأ الدنيا منشورات، بيانات ومجلة الراية، نوزعها في المترو، أو نربطها فى بالونة حتى لا يقبض على احد وهو يقوم بتوزيع المنشورات، كنا نتفنن كثيرا، وننزل في الشوارع نشطب على شعارات الجيش بالبوية، حيث كانوا يملأون الشوارع بشعاراتهم (نحن نحمى الدستور)، وكانت هناك ردود من الجيش في مواجهة الكلام التي تقوله الأحزاب الأخرى، سواء كانوا وفديين أو شيوعيين أو أخوان، او الحزب الاشتراكي إذ كان قد بدا يضعف، وبدخل أحمد حسين السجن، وفي هذه الفترة ايضا فكرنا أن نقوم بهتاف بسقوط الفاشية والعسكرية على ميكروفون ساعة الجامعة التي كانت متصلة بالإذاعة مباشرة، إلا انهم قد اوقفوها. كل هذا كان يشعرنا باننا في تنظيم قوي، وله كيان متاصل مثل اى حزب نقرا عنه في الجرائد.

قوانين الإصلاح الزراعى

كان رد فعل التنظيم على قوانين الإصلاح انها محاولة ليست لتصفية الإقطاع وإنما

لتقليم أظافرهم.

بالنسبة لخميس والبقرى (وخميس كان عضوا في الراية)، كنا ندين بشدة ما حدث، وكانت تنزل منشورات . عاشت ذكرى خميس والبقرى.

وتنظيمنا استمرت فترة حسنى حسين مسئولنا، لأنه كان عضو منطقة ، ثم تم القبض عليه ١٩٥٤، وفقدنا الاتصال ولكن تم استعادته بسرعة، وبدأت الضربات للشيوعيين بقوة، وحدثت ضربة للحزب الشيوعي في هذه الفترة وهى مطبعة الراية، فقد كانوا يستأجرون شقة دكانا بأسفل، وكان يتم الاتصال بين الشقة وأسفل من خلال المطبخ.

وبدأ يحدث انشقاق بين الأخوان والثورة، وازدادت الخلافات، ولا سيما بعد تأسيس هيئة التحرير وتولي الضباط مهمة تأسيسها، وقد ادرك الأخوان ان الثورة بدأت تعتمد علي نفسها وتربي كوادر فيها وتشتري الأنصار من القيادات النقابية.

وبداية الصدام كان في يوم ٢١ يناير ١٩٥٤ تقريبا كان هناك احتفال في الجامعة على مستوى العالم هناك صراع بين مصدق في إيران لتأميم البترول مع الشاه، ودعا الأخوان نواب صفوى رجل الدين الإيراني المعروف في ذلك الوقت، وخطب في مؤتمر الجامعة خطبة عصماء، وكانت قد بدأت في هذا الوقت ما يطلق عليه هيئة التحرير

فوجئنا بدخول عربة بميكروفونات إلى الجامعة بقيادة كمال يعقوب، وبدأت تشوش على نواب صفوى، وتقول شعارات الجيش / هيئة / هيئة . هيئة التحرير. والحق يقال في نفس الوقت كان رجال الجهاز السرى للاخوان المسلمين يضربون كل من على العربية وقلبوها وولعوا فيها في لمح البصر، وقد تمت هذه العملية بشكل شديد التنظيم، وبقدر عال من التدريب، وكانت هذه من أهم المعارك التى تمت بين الأخوان والسلطة. والإنذار من قبل الأخوان للثورة والذي بنى عليه في نفس الليلة اتخاذ اول موقف ضد الأخوان. ولكن بدأت بمجرد اعتقالات لبعض الأفراد من الاخوان، وفى المساء طلب منا ان نذهب إلى الأخوان فى المركز العام، وحضر نواب صفوي، وشعرنا بوجود ربكة شديدة فيما بينهم. وفي اليوم التالي تم غلق المركز العام، ولكن لم يستمر الموقف، وتشكلت الحكومة واتوا بالباقورى، ويبدو أن عبد الناصر وقتها قرر تصفية الأخوان ولكن ما زال الوقت المناسب لم يأت بعد، وبدأ الأخوان المسلمين وكوادرهم، ونحن دهشنا لماذا يكلفونا بالحضور مع الأخوان، كان في ذلك الوقت (والعهدة في ذلك على رؤوف

نظمي، كانت له أسماء حركية كثيرة لأنه كان محترفًا ويتحرك كثيرًا جدًا ، منها محجوب وهمام)، ولكن سوف أقول ما رأيته، كان هناك اتصالات بين الحزب الشيوعي ممثلاً فى محجوب، والأخوان ممثلاً فى سيد قطب- وهذا ما ذكره في شهادته التي عملتها معه، أن هناك شخصًا مشتركًا قابله وقابل سيد قطب، وتفسيره لهذا الاتصال بأن أي أحد يريد أن يقف ضد الفاشية أهلاً به، وبدأ الأخوان في الجامعة ينقلبون على الثورة، وبدأ يحدث تنسيق بيننا حتى في المؤتمرات والمنشورات، وهذا ما يطلق عليه الوحدة والصراع، فإذا شعر الأخوان أننا قلة يأكلوننا ويأخذون منشوراتنا، كانت قاعة الاحتفالات بالجامعة تعقد بها كافة المؤتمرات اليومية في هذه الفترة وكان أسلوب إلقائنا للمنشورات، حتى لا يظهر من الذى يرمى المنشورات، نأتي من أعلى ونرمى أول رمية ثم نقول ارمى أسفل، فكل الناس ترمى حتى تغرق القاعة كلها بالمنشورات، كل هذا كان يتم بالتعاون بيننا، وبمعرفة أبو شلوح أحد قادة الأخوان فى هذا الوقت، من كلية الحقوق، وكنا نشعر أننا لا نتعاون مع بعض من قلبنا، كل فرد يتعاون مع الآخر والخنجر معه، وهناك بيان أو اثنان صدروا مشتركين. حتى جاءت أحداث مارس. وفي الفترة من آخر يناير حتى مارس كانت كل المؤتمرات تتم بتنسيق بين الأخوان والشيوعيين، وبدأت أحداث مارس من ٢٨ فبراير، الشارع كله كان مملوءًا بشعارات باسم الحزب الشيوعي المصري، تطالب بالدستور وعودة الجيش إلى ثكناته، وبالديمقراطية، وسقوط الفاشية والشعارات التقليدية الخبز والحرية، والثورة أيضًا كانت تلصق شعاراتها على الحوائط، فكنا نقوم في الليل نرمى على هذه الشعارات حبرًا أسود لكي نلطخها، وأتذكر أننا نزلنا مرة خصوصًا لتلطيخ صورة جمال عبد الناصر التي كانت توضع في شارع رمسيس عند غمرة. وكان كل يومين تقريبًا نصدر منشورًا نغرق به القاهرة، وكل أسبوع أو عشرة أيام نصدر مجلة الراية. وكل هذا غذي الاتجاه ضد الثورة، وبالذات فى أجواء الجامعة، وفي أجواء الشوارع العادية، فكانت كل الناس مسيسة، والإنجليز ما زالوا لم يخرجوا، وبالعكس هناك اتجاه للتفاوض، وكان هذا الاتجاه بالنسبة لرجل الشارع خطير جدًا، لأن طول عمر الناس في مصر ضد المفاوضات، فكيف يقابل رجال الثورة الإنجليز ويتم التفاوض، كل هذا ساعد على تعبئة الناس ضد رجال الثورة، وبدأت الوقائع بما نطلق عليه مجلس الدولة، خرجت الجامعة في اتجاه المجلس، فالسنهورى (كان له أصول سعدية) قال بيانًا حول الديمقراطية، وأى

كلام حول الديمقراطية كان يحمل حساسية با لنسبة للناس ورجال الثورة وفي نفس الوقت كانت جريدة المصري، وروزاليوسف قد بدات تاخذ خط عودة الجيش لثكناته، وتحقيق الديمقراطية، والعودة لدستور ٢٣، وكتابات احمد ابو الفتح، وكل هذا عبا الشارع المصري، وخرجنا من الجامعة لمجلس الدولة، وحدث تعدي على السنهوري، ورفع قميص مملوء بالدم، والهتافات بالشهداء، كما لجات الثورة إلى....... وقد رايت مجدى حسنين قرب جاردن سيتي وهو يجمع الشيالين من محطة مصر، وكان يمسك مديرية التحرير، وكان ما زال ضابطًا، جميعهم يشتمون في الطلبة والمثقفين، وكان الشيالون لهم لبس مخصوص، وكل شيال له رقم على ذراعه، بمعنى انه يمكن تمييزهم بسهولة، وفي اليوم الثانى بدأ إضراب عمال النقل العام.

ونسيت ان اذكر انه كان هناك تكتل مهم جدا داخل الجامعة، وهو "اتحاد الصعيد"، وهو يعتمد اساسا على عصبية الصعيد، وكل صعايدة الجامعة داخله، وليس له انتماء حزبي إلى احد، وكانت كل القوى تحاول ان تحتويه، ولكن لم تسيطر عليه اى قوى، لانه كان معتمدا على عصبية الصعيد، ومن الممكن ان يكون بداخله أفراد منتمون لأحزاب، ولكن لا أحد يستطيع أن يشده. وقد حاولت الثورة ايضا أن تشده، وكان له دور كبير فى انتخابات اتحاد الجامعة التى كانت من اهم الانتخابات التي تتم في مصر في ذلك الوقت بعد انتخابات مجلس الشعب، وخاصة انتخابات كلية الحقوق، لأنها كانت المركز الرئيسي للحركة السياسية المصرية باعتبار انهم وزراء المستقبل، ففيها كل الاتجاهات، واتذكر الصراع الذى تم بين الخطيب (الوفد)، وحسن دوح (اخوان)، وكان هناك اثنان اعضاء مجلس نواب فى هذا الوقت حافظ شيحا (كلية الحقوق)، ومصطفى موسى (كلية الهندسة) والاثنان وفديان، وهما كانا أعضاء برلمان الوفد سنه ١٩٥٠ قبل ١٩٥٢، وكان المانشيت الرئيسى لجرائد فوز الخطيب بانتخابات كلية الحقوق، والاتحادات وقتها كانت اهم تنظيم داخل الجامعة، وكانت كلية العلوم يسيطر عليها الشيوعيين بشكل عام، وفي كلية الآداب كانت لطيفة الزيات ممثلة للشيوعيين، والوفد مسيطر على الحقوق، وهذه كانت الكليات الرئيسية داخل الجامعة، بالإضافة إلى كلية التجارة، والهندسة بالخارج.

كنا نحن في الصباح نقوم بالمظاهرات وفي المساء نمر على كل الجرائد ونقول نحن..طلبة جامعة فؤاد نحتج على كذا وكذا، وهذه كانت فرصة بالنسبة لنا نجرى فيها

حوارا مع الصحفيين والمهتمين، كما كنا نذهب إلى ما يطلق عليه مقر الأحزاب، العمال / النبيل عباس حليم، وأيضا أعيننا على الطبقة العاملة لأنها سيكون لها دور معنا. ثم نتفق معا على ما سنقوم بعمله في اليوم التالى، وكان هناك احتمال ان تغلق الجامعة، لأن العام الدراسي كان قد بدأ، وكانت تغلق بمنتهى البساطة. يكتب بيان من إدارة الجامعة يذكر فيه أنه تم تأجيل الدراسة اسبوعا مثلاً وينشر في الجرائد. ولكن كان هناك تنبيه انه حتى لو صدر مثل هذا القرار، أن نتوجه للجامعة كأنه يوم دراسي عادى جداً، لكى نحرك الجامعة، وكان عدد طلبة الجامعة كبيرا جداً، وهناك حماس عام، فالجامعة حتى ١٩٥٤ كانت تحكمها التنظيمات السياسية، الشيوعيين والوفد أوما يطلق عليه الجبهة الوطنية وهي احزاب ما قبل ١٩٥٢ مع الشيوعيون والليبراليين والأخوان، وبعد ضرب قيادة الأخوان، تجمع باقى الأخوان، وكانوا في الجامعة يجلسون على الحشيش في انتظار التعليمات، وعندما يقال الله اكبر ولله الحمد، يتجمع الكل، ويرفعون المصاحف إلى أعلى بطريقة عسكرية. وفي هذا اليوم قرر عمال النقل العام بقيادة الصاوى احمد الصاوى ان يعلنوا الإضراب، ويتوقف النقل العام تأييدا لجمال عبدالناصر فى مواجهة محمد نجيب، وقوفا فى مواجهة التيار الديمقراطى، والحقيقة ان كل الناس كانت متحمسة جداً. تحركت مظاهرة كبيرة جداً آلاف إلى مجلس قيادة الثورة، وكان مجلس قيادة الثورة في هذا الوقت بجوار كوبرى قصر النيل. عند كازينو قصر النيل، وخرجت الجامعة كلها وكانت لا تقل عن ١٠ آلاف طالب، وكان من الزعامات الموجودة وقتها عادل فهمى -الذى كان من أفضل الناس التى تقول شعارات مباشرة ومؤثرة. واتجهنا حتى وصلنا إلى كوبرى الجلاء، ثم وجدنا، فى البداية مجموعة ضباط من الشرطة، وأتذكر ان قائد هذه المجموعة كان على درجة إنسانية عالية جداً، قال لنا ارجوكم ارجعوا، انا اخوتى معكم. انتم لا تعرفون ماذا سيحدث، طبعا الناس ابعدته، وبدات تواصل مسيرتها، ولكن فوجئنا بعربات البوليس الحربى تحاول ان تجرى وسط الناس، إلا أن العدد كان كبيرا جداً لدرجة أن الناس رفعت عربتين ورمتهما من كوبرى قصر النيل وحدثت مجزرة، وفى الحقيقة لم يحدث ضرب نار إلا فى النهاية. ولم يصل احد إلى مجلس الثورة، وبدات تتجمع الناس فى ميدان التحرير استكمالاً للمظاهرة، في نفس الوقت كانت جميع الشوارع مليئة بالمظاهرات من مختلف الاتجاهات، بقايا طلبة الجامعة يهتفون ضد الثورة، والضباط الذين بدأوا يجمعون أناسا (مثل نقابة

الجالسون على المقاهى وبالمناسبة كان يقال هذا فى الراديو. أشياء خرافية كانت تحدث)، واستمرت القاهرة طوال ثلاثة ايام فيما يطلق عليه الكر والفر، وكانت البلد مليئة بالمنشورات من (الشيوعيين والأخوان . مما يسمى بالجبهة الوطنية ولجان الوفد) وبدأ يتم عمل كريدون حول الجامعة، ليس على باب الجامعة وإنما على آخر شارع الجامعة، كنا ندخل حديقة الحيوان ثم نقفز من على السور لكى ندخل الجامعة، الأشخاص المعروفون الزعماء أو المطلوب القبض عليهم.

ثم بدات تحدث المناورات السياسية المعروفة، عودة نجيب ام عودة مجلس الثورة ورجوع الجيش للثكنات. ولكن الجامعة اغلقت تماما في هذه الفترة وتم السيطرة عليها، حتى آخر مارس، بدات الأمور تهدا قبل إن نجيب عاد، ولكن بداوا يشددون في الدخول للجامعة وعملوا نظام الكارنيهات للطلبة، بدات تحدث ضربات موجعة للتنظيمات الشيوعية، وبالتالي حدث في هذا الوقت فقدان اتصال بين الأعضاء، ولكن لأن داخل كل التنظيمات الشيوعية معروف نظام الميعاد / والميعاد الاحتياطي / الميعاد الدوري الذى يحاول تربيط الناس رغم عدم معرفة اماكنهم، لذا استطعنا معرفة تجميع بعضنا البعض فيط اواخر ايام الجامعة. لكن كان عدد كبير مما نعرفهم تم القبض عليهم، في هذا الوقت كانت مجموعتى لبست معروفة، لأننا لم نكن نشترك في العمل الجماهيري إلا قليلاً طبقًا لتعليمات الحزب، ولكن نتحرك في العمل السري جيدًا (توزيع المنشورات . الكتابة على الحوائط . تجنيد الناس . التثقيف الحزبي والتثقيف العام) حتي جاء الاحتفال بـ ٢٣ يوليو، تم اجتماع في لجنة القسم والمنطقة وتقرر عمل برنامج للاحتفال بثورة ٢٣ يوليو بطريقتنا الخاصة. الاحتفال كان سيتم في ميدان عابدين، باعتباره هو الميدان الرئيسي للبلد في هذا الوقت، ميدان الثورة،فهم كانوا في قصر عابدين وفي نفس الوقت هيئة التحرير في مبني المحافظة بجوارهم. وقيل إن عبد الناصر سيخطب ويقول قرارات مهمة في المساء، و اتفق بيننا ان نبدا احتفالنا عصرًا، بأن يتم عمل مجموعات مكونة من ثلاثة افراد، كل مجموعة ترمي منشورات في حي من الأحياء بحيث تتم تغطية القاهرة بأكملها بمنشورات الراية وكانت كما ضخما كان مشتركا في هذه المسألة حوالي ٣٢ شخصا، من شبرا، وباب الخلق، والعتبة، والحسين، والسيدة وكل المناطق الحيوية، ثم يتجمع كل هؤلاء وندخل صوان الاحتفال، ومعنا كم من المنشورات و توزع داخل الصوان. ولكن من الواضح الجلى انه كان بيننا

واحد متعاون مع المباحث. الخطة بشكل عام كانت معروفة لدى المباحث العامة، وكنت المسئول الرئيسي لهذه العملية، فانا الذي أعرف المخبا واسلم لرئيس كل مجموعة، فاول دور تم بنجاح، ولكن في الدور الثاني لاحظت ان هناك نوعا من المراقبة اللصيقة، فعندما ركبت الأتوبيس لأنزل في باب الخلق، كنت انزل قبل المحطة بالطبع، لاحظت انه يوجد في الميدان ناس ليست مريحة، وزادت الشكوك عندما سلمت هذا الشخص البوليس المشكوك فيه كمبته، وكان يقف بجواره بعض الأفراد، وعندما تحركت لأسلم الأشخاص الآخرين كميتهم في نفس المنطقة تحركوا ورائي وكان معي اخي الأصغر(محمود) فقلت له إننا مراقبون وكان هذا الكلام امام دار الكتب فدخلنا في الشارع وكان خاليا، فبسرعة اخرجت المنشورات ورميتها في صندوق الزبالة، وفجأة تمت إحاطتنا باناس من اول الشارع وآخره وظهرت عربنان ملاكي، وتم زجنا في إحداهما، وأدركت ان معي في جيبي خريطة بهذا العمل كله(مكتوبة على ورق بفرة)، ولكن كنا نكتب بطريقة مختلفة بحيث إذا تم مضاهاة الخط، لا ننكشف، المهم وصلنا إلى المباحث العامة، وعندما جاءوا لتفتيشي، تعصبت عليهم وحاولت أخلع الجاكت الذى كنت البسه، واثناء ذلك أخرجت ورقتى البفرة وبلعتها، وكانت معى بعض الأوراق الأخرى ليست لها اهمية كبيرة رميتها من الشباك. وطلبت ان اشرب ماء، واصبحت جاهزا لأي أسئلة، واتضح لي أن أمر الاعتقال الصادر كان بالأسماء الحركية، لم يستطيعوا ان يقبضوا على من المراقبات، ولم يكن أحد يهتم ان يحمل بطاقات شخصية، لكن عرفوا في النهاية الأسماء الحقيقية من كارنيه مدرسة اخي، فذهبوا لتفتيش المنزل ولم يجدوا شيئا. واكتشفت ان المسئول عن القبض علينا هو البكباشى حسن المصيلحي المسئول عن مكافحة الشيوعية في مصر. وكان يقال لنا فى التنظيم انه عند القبض على احد منا عليه ان ينفي علاقته بالتنظيم او الشيوعية، وإذا ادى إلى الموقف إلى ان تقول أن الشيوعيين مجانين يمكن ان تقول. ولكن المكشوف للمباحث يكون له توجيهات اخرى تعطى له، وجلس حسن المصيلحى طوال الليل معى، وقال لى الكلمات المعتادة لماذا تقوم بذلك، انت أهلك ناس طيبون، وكان رايه في بشكل عام حتى آخر لحظة انني دخلت الشيوعية من الزاوية الإنسانية، واعطانى البوم كبير للقيادات اليهودية في الحركة الشيوعية، وبدأ يشوه في الرجال والنساء اليهود. إلا انه تم الإفراج عني في اليوم الثاني وعن اخي وثلاثة افراد آخرين منهم اول فرد تم تجنيدنا معا، ويبدو ان ذلك تم لسببين،

ضغوط عائلية، وسبب آخر اعتقد أن حسن المصيلحي قال اتركه واراقبه.

بعد ذلك بدأنا نعاود الاتصالات، وتم تحقيق تنظيمي حول ملابسات ما حدث، وقيل إنهم اكتشفوا وجود بوليس بيننا، وتم اتخاذ إجراء رد فعل تجاهه، واصبحنا تحت مسئولية رءوف نظمي- كان قبله وجوه كثيرة منهم حسني حسين، سافر إلي المانيا. وكان نظمى محترفا إننى وهاربا، وقيل لى وقتها إننى يمكنني الاحتراف طالما انكشفت للبوليس، وبدأ يتم نوع من التثقيف الاحترافي لى ولصديق الطفولة، من هو المحترف وما هو دوره، فكان يقال لنا تعريف لينين "أنهم القلة من رفاقنا الذين يجعلون من خط الحزب خطا لحياتهم اليومية" وكنت سعيدا جدا بانني ساحترف واتقمص شخصية جديدة وفي رأيى أن العمل الثوري رومانتيك، فانت تتخيل دورك، وهذا هو المشكل دائما لكل الثوريين، فعندما يتعارض الرومانتيك الذي بداخله مع الواقع المؤلم، إما يتكسر الفرد من الداخل وإما يتحول إلى شخص انتهازي يستفيد من الأوضاع الموجودة، حيث يحدث للإنسان خلخلة، وتتكسر الصورة الرومانتيكية التى تخيلها، لكن في تقديري أن معظم جيلي كان يضحى بشدة، واتذكر آخر مرة قابلت فيها رءوف نظمي قبل القبض عليه في اواخر عام ١٩٥٤، الححت عليه أن نتقابل في كازينو الجزيرة، شعرت بسعادة كبيرة لموافقته على مقابلتي على انفراد، وقلنا كلاما ثوريا كبيرا وفي نفس الوقت قلنا كلاما رومانتكيا جدا، وكان وقتها فيضان النيل في عنفوانه في الصيف، وجلسنا نفسر أغنية ام كلثوم عن النيل بطريقة ثورية طبعا، كل هذا كان يصنع بداخلى أشياء كثيرة واستعدادا كاملا للتضحية دون اهتزاز شعرة، لذا، قررت أن اترك الجامعة واتفرغ للعمل السياسي، وبدات افرغ من دماغى فكرة الأسرة والعيشة البورجوازية التى يعيشونها، وامهد لأكون خارج الأسرة على المستوى النفسي، فيجب ان اعيش على الكفاف، فكيف اكل ثلاث وجبات، والعديد من الناس لا تأكل إلا وجبة واحدة .. إلخ.

وبدات على مراقبة مستمرة إلا انهم لم يستطيعوا مراقبتى داخل الحلمية، لأن الحلمية حي الناس تعرف فيه بعضها جيدا، بالإضافة إلى أننا محبوبين في الحي سواء على مستوى السياسة او العائلة، واتذكر انه كان يوجد مخبر حاول أن يجلس بجوار المزين، أو المكوجي، على اساس أننى عندما أخرج يبدأ يمشي ورائي، ولكنهما رفضا أن يجلس بجوارهما، فيبدأ ينتظرنى على محطة الأتوبيس خارج الحلمية، وبالطبع كنت أعرف مخارج كثيرة للحلمية تسمح بالهروب منها عندما يكون لدى موعد، اما فى

العادى اخرج واتركه يمشى ورائي، واعمل كل شئ بشكل طبيعي، واصبح هذا روتين. ولم يسعفنى الوقت لأحترف ففي ديسمبر ١٩٥٤، عندما جاء موعدى مع رءوف نظمى ثم الموعد الاحتياطي ولم يأت، عرفت انه تم القبض عليه من احد الأصدقاء عندما قال لى إنه قابل الدكتور في باب الخلق بركب لوري البوليس؛ رأسه محلوق تماما، ويهتف عاش الحزب الشيوعي المصري، بعد ذلك استمرينا أسبوع نذهب إلى باب الخلق لعلنا نراه، وفعلاً شاهدناه مرة وتاكدنا انه تم القبض عليه، بدانا نبحث عن اتصالات؛ لكن كل الناس مقبوض عليهم،ولا يوجد خيط واحد، ففكرنا ان نتصرف بمفردنا، ولكن عملنا اشياء ضعيفة. ثم حدث ما يمكن ان نطلق عليه إحباط لفقد الاتصال، قلّ الحماس، لذا بدات ارجع للجامعة، واحاول ان اكون طالبا منتظما فيها لكي اكون نموذجا جيدا امام الطلبة، وفي هذا الوقت سيطر على الجامعة تماما، وفصل ٥٤ استاذا جامعيا، ومنع تماما الكلام في السياسة، يملأ المخبرون الجامعة خاصة في البوفيه، وكثر حرس الجامعة واصبح له دور بعد ان كانت مهمته حراسة المباني، لكن كان ما زال يسمح للطلبة المعتقلين ان يحضروا الامتحانات، وحاولنا أن نعمل اتصالات معهم، ولكن كان جزء كبير مما نعرفهم محترفين، وبالتالي لم يعودوا مكترثين بالتعليم، وكان هذا جانبا سلبيا جدا في هذا الوقت، فكان يقال لا داعي للتعليم، إلا بعد قيام الثورة. واتذكر في وقت الامتحانات،كان ياتي عمرو محيي الدين اخو خالد في كلية الحقوق ليحضر الامتحان في عربة بوكس بمفرده، واتذكر لقطة إنسانية حاول الشاويش أن يبعد يده التي مع عمرو في الكلبشات، لكي يقف مع زميلته في هذا الوقت التي أصبحت زوجته الآن، وكان هناك تعاطف شديد جدا مع هؤلاء المعتقلين من الأساتذة والطلبة، وكلنا نلف حولهم بحذر، واتفقنا في آخر يوم ان نعمل مظاهرة، وكان شعارنا وقتها "عاش كفاح الطلبة المعتقلين"، وكنت انا ومصطفي الحسينى؛ وعبد المنعم الغزالى، وسعد الدين فؤاد. وترتب على ذلك توقف نزول المعتقلين للامتحانات فى الجامعة.

وهكذا أدى قطع الاتصال إلى إنهاء فكرة الاحتراف، وبدانا نعمل ثلاث مجموعات، لمحاولة المحافظة على الذات وعلى التنظيم كما تعلمنا في انتظار أن يحدث اتصال مرة أخرى، لذا كانت هناك مواعيد منتظمة، نجتمع ونعمل تحليلاً ذاتيا للوضع الموجود،

ونناقش تكليفات، ولكن لم يكن لدينا خبرة في عمل منشورات إلا« رينتج Writing»، ولم يتم هذا إلا مرتين، مرة منهما عندما تمت المعاهدة، واستمر هذا حتى ١٩٥٥، عندما بدأت صفقة الأسلحة التشيكية، والذهاب لمؤتمر باندونج، وبداية الكلام عن المعسكر الاشتراكى والعداء للاستعمار وحلف بغداد فى بداياته، وفي هذا الوقت كنا مازلنا ثابتين على خطنا بأن ما هو موجود نظام فاشى، ومعاد للديمقراطية. وإن كانت الناس بدأت تتراجع، ولكن لم يحدث نقد للفكرة الأولى، ورأيي أن الأدبيات الماركسية فى هذا الوقت لم تكن تسعف أحد، فالذى يقدر أن يقول أنه يوجد ثورة قام بها ضباط بدون اتفاق مع الأمريكان، ليس صحيحا، لأن المؤتمر التاسع عشر قال إن البورجوازية ألقت بعلم الثورة في الوحل، وكان لزاما على الطبقة العاملة أن تقود ثورتها، بحيث تكون قيادة بروليتاريا صرف وليس لها علاقة بالبورجوازية، أما فكرة الكلام عن البورجوازية الوطنية فهذا كلام بدأ يقوله ماو بعد ذلك، وقيل في المؤتمر العشرين عام ١٩٥٧-١٩٥٨، وبالتالى لم يكن يوجد في النظرية الماركسية وقتها ما يسمح بأن نضع تحليلاً يقول هذا، وحتى التحليل الذي قيل بأنها ثورة وطنية مبني على أنهم معارف، فخالد محيى الدين، ويوسف صديق تبعنا.

وانتهى العام الدراسى، وكنا طلبة متفوقين ولكن فى نفس الوقت محبطين، لإحساسنا بأننا ليس لنا دور، وفى هذا الوقت تمت اتفاقية جلاء قوات الإنجليز، وبدأ يخرج بعض المعتقلين، ووجدنا كل الناس الخارجة من المعتقل تقول أن السلطة الموجودة سلطة وطنية، ودارت مناقشات حادة باعتبارنا حاملين أفكارا صحيحة من وجهة نظرنا، إنما كان دائما يطرح تساؤل كيف تفسر صفقة الأسلحة، ومؤتمر باندونج، وأن القوات البريطانية سترحل...... كل ذلك لم يكن لدينا عليه إجابات حقيقية، أو مقنعة، وجاءنا من الداخل أن هناك تفكير لأن يحدث تغيير نتيجة قوة الجماهير، وأن السلطة بدأت تغير بعض مفاهيمها. ومن وجهة نظري أننا كنا في عرض أن نعود للتنظيم مرة أخرى بصرف النظر عما يقول، فقضية الخلاف السياسي لم تكن بالنسبة لنا القضية رقم واحد، وإنما القضية الأساسية بالنسبة لنا هى أن نعاود نضالنا مرة أخرى في ظل التنظيم. ولم يكن بالنسبة لنا، من قبيل الأمانة، هل السلطة سلطة فاشية، أوديكتاتورية عسكرية أم وطنية، وإنما كل همنا أن تنقل السلطة إلى البروليتاريا وأن تدير السلطة بطريقة مختلفة. وبالفعل بدأت تحدث اتصالات في أوائل ١٩٥٦، وبدأنا نجتمع ونناقش

المشاكل التى كنا نعانيها ونحن فاقدو الاتصال، وما عانوه فى المعتقلات القناطر، وأبو زعبل، ونحلل ما يجرى فى السياسة هل هو تغيير صحيح أم لا؟ هل يجب ان يتم نقد للفكرة السابقة أم لا ؟ وما هو الأساس الجديد من النظرية الماركسية الذى يرتكز عليه التفسير الجديد؟ كذلك ما هو الأساس القديم الذي نهدم عليه الفكرة القديمة . إلخ. ورابى أن هذه المناقشات لم تنضج كما يجب، ولم تكن جيدة، لأن القضايا الوطنية بدأت تعود مرة أخرى إلى الشارع، وبدأنا ندخل على العدوان الثلاثى، واصبح هناك دور لليسار بشكل عام فى الشارع وتمت وحدة بين كافة التنظيمات الشيوعية الموجودة في الموحد، وبدأنا نشعر بهذه الحكاية فى الجامعة، فبعد أن كان هناك ناس في تنظيمات مختلفة اصبح الأن تجمعها وحدة للعمل، وبدأ العمل اليومي يدخل على كل الناس، وأصبح أمام الناس تجربة الموحد موجودة وموحدة لجزء مهم من الناس لأن الذى كان على الساحة تقريبا حدتو، ونحشم، والموحد، والراية، ودش كانت لا تذكر إلا حاجات تاريخية نراها فقط في الجامعة. فيكاد يكون عادل فهمي كزعيم وهو طالب بكلية الحقوق، وفي كلية الآداب . قسم فلسفة كان نبيل زكي، وأمير اسكندر وكانت ليلي الشال وليلي شعيب بكلية التجارة ومجدي نصيف بكلية العلوم. ولا اعتقد أن احد باى أصول تاريخية كان ضد فكرة الوحدة بالذات في هذه المرحلة، وبالذات اكثر في أماكن الأعمال الجماهيرية، لأن الواقع الفعلي اننا كنا نعمل معا، ومتقاربين جدا ، سواء الطلبة او الطالبات. فلم يكن هناك اى حساسية بيننا (مثلاً على من يهتف، ومن يرفع من ......) واعتقد أن محاولة التشكيك في الآخر، وإبراز السلبيات اكثر من الإيجابيات من الذين يقومون بالأعمال السرية. ومن خلال هذه الروح حاولنا أن نعيد مرة أخرى النشاط داخل الجامعة، وبدأنا سلسلة من النشاط ايضا في الأحياء.

وفى هذا الوقت حدث العدوان الثلاثى، والذهاب إلى طوبجى، ومحاولة التدريب على السلاح، ومن قبيل الموضوعية كان ناس الموحد هم اول من اسرعوا إلى القتال، والانضمام إلى المقاومة الشعبية من خلال المجاميع التى كانت تعملها الحكومة عن طريق المخابرات، وطلبة كلية الشرطة. وكان دور الراية بعد ذلك نتيجة لأن التنظيم كان لم يتم تجميعه بعد، لكن فى هذا الوقت بدأ يحدث تجميع لكل قوى اليسار؛ وتم إلغاء الحوائل التنظيمية، وبدأت الناس تقرأ مجلات بعض بدون عدوانية، وهذا مختلف عما قبل فعندما كنا نقرأ مجلة كنا نقرأها بعين النقد، وبروح عدوانية. كما بدأ يظهر بعض

الأساتذة داخل الجامعة مثل د. محمد أنيس، ساعدوا على تحمية المناقشات التي زادت مع انتشار نشاط البعثيين، والقوميين العرب في الجامعة. ووصلت المسألة للقمة عندما جاءت حكومة النابلسي في الأردن، وقررنا في الجامعة أن نعمل تأييد لحكومة النابلسي، وكان هذا تقريبا في أوائل ١٩٥٧، وكان هذا أول مؤتمر يحدث في الجامعة بعد١٩٥٤، فكانت صدمة للأمن وقرر أن يضرب الجامعة مرة أخرى ضربة موجعة، فقد كان المؤتمر منظما جدا، خطب فيه فؤاد التهامي، وزينات الصباغ، ونوري عبد الرازق، والخطيب، وانتهى المؤتمر في الساعة الواحدة، وفي الساعة الثالثة بدأ مجلس التأديب، ومجالس التأديب كلها اعتمدت على تقارير الأمن، فلم يكن للجامعة دخل، وجميعهم تم فصلهم (كانوا حوالي عشرة أو اثنا عشر طالبا)، وأنا شخصيا لم يتم القبض على لأن رجل الأمن كان يكتب في تقريره اسم آخر (عبد الحليم بكر). ثم بدأنا نناضل مرة ثانية لعودة المفصولين من جانب، والجانب الآخر القضية الوطنية بدأت تعلو والعداء للإنجليز وفي نفس الوقت الصراع مع البعثيين داخل الجامعة. والذين كانوا طلبة في هذا الوقت أصبحوا فلاسفة في بلادهم ومنهم أكرم حوراني الذي كان من قيادات البعث الذكية جدا والجماهيرية، الذي يستطيع أن يكسبك على المستوى الشخصي، وكنا نتناقش في أغلب الأحيان في أفكار توباوية، مثل ما هي الرسالة الخالدة، ولكنها كانت أفكارا تتمشى مع المرحلة في رومانتيكيتها.

وفي انتخابات اتحادات الطلاب لغير المصريين كل هؤلاء يتكتلون في انتخابات الطلبة الأردنيين أو الفلسطينين، ودور الأخوان كان منتهيا تماما فلم نكن نراهم إلا قليلا في اتحاد الطلبة الفلسطينين، مثل مجموعة أبو جهاد. أما باقي القوى فتتحرك مع بعضها البعض، فالحوائل العروبية لم تعد موجودة بل أصبحت اتجاهات فكرية بشكل عام، وأذكر في هذا الوقت واقعة مهمة جدا حدثت أثناء نضالنا من أجل المفصولين، فقيادات التنظيمات أعطت تعليمات بعدم الاصطدام مع الحكومة، ونحن نرى أن الحل أن نعمل مظاهرات وشغب في الجامعة، فكنا نجمع وفودا لمقابلة المسؤولين لشرح قضية طلبة الجامعة المفصولين، فنما إلى علمنا أن السيد ميشيل عفلق حضر إلى القاهرة، وهو في هذا الوقت فيلسوف حزب البعث، فجمعنا وفدا من حوالي أربعين أو خمسين طالبا وطالبة من جامعة القاهرة وقررنا الذهاب له توريطا للبعثيين، وكان يسكن شقة من شقق الحكومة في عمارة وهبة، ودخلنا وانتظرنا مدة حتى قابلنا، وعندما دخل ظل

يحملق إلى السقف، ونحن بدأنا في شرح الموضوع وأهمية التضامن مع الطلبة ووحدة القوى الوطنية والنضال العربي.إلى آخر هذا الكلام الذى يقال فى هذه المناسبات، وتكلم طالبان وطالبتان، وطلبوا منه أن يتضامن معنا فى هذا الموقف، وظل صامتًا ثم قال لنا فجاة سوف أنظر في الموقف، وتركنا وخرج. وأصبحنا فى حالة من الهياج، وكنا نتصوره باعتباره فيلسوفا كبيرا ومسئولا عن القومية العربية كما كنا نقرا انه سوف يعلن رايه ويتضامن معنا. بعد ذلك ذللنا البعثيين بهذا الموقف.

انتخابات ١٩٥٧

الانتخابات حدثت فى ظل المتحد أو بداية الموحدومع المتحد، وكانت التعليمات بالنسبة للحلمية تأييد التعليمات الخجلة (التى تقال على خجل)، تأييد ودعم أعضاء الاتحاد الاشتراكى، ولكن أصررنا الا نؤيد الرجل المرشح من الاتحاد الاشتراكى لأنه ليس من ابناء الحي وغير مرتبط بهم، واصررنا ان نؤيد دكتور كان مرشحا نفسه من ابناء الحى، وكل الناس تحبه، ومتبنى شعاراتنا. وقابلنا احد من اللجنة المركزية وحاول أن يهددنا بعواقب الخروج عن خط الحزب ولكننا اكدنا له انه لا يمكن أن نخسر الناس بتأييدنا لرجل كل الناس ليست معه، ورفضناه. وبعد الانتخابات، نزلت لجان التحقيق لتحقق معنا، ولم ينقذنا من هذه اللجان إلا الوحدة.

اما باقى الأحياء فكانت هناك معارك رهيبة، معركة فايق فريد فى جزيرة بدران، وكانوا ينتدبوننا لنعمل فيها، كما كنا نذهب اكثر إلى عبد العظيم انيس فى العباسية وكان مرشحا امامه عبد العزيز مصطفى، وعبد العظيم انيس كان مكتسحا، ولكن كالعادة زورت الانتخابات، وبشكل عام كانت معركة انتخابية سياسية على مستوى راق جدا من النضوج سواء فى العباسية اوجزيرة بدران.

وفى الحقيقة ان انتخابات ١٩٥٧ اظهرت مدى نفوذ الشيوعيين فى الشارع المصرى وتأثيرهم، فقد كانوا قوة منظمة، ومستعدة للعمل الجماهيرى، اما الأخوان فقد كانوا مضروبين فى هذا الوقت.

وبالنسبة لكل القرارات التى قامت بها الثورة من (تمصير وتأميم.. إلخ) كان لها أثر سياسى فى جعل السلطة الموجودة فى مصر سلطة وطنية، والناس استقرت على هذا، ولم تعد هناك قضايا يتم مناقشتها لأن هناك احداث يومية عالية وارتفعت العروبة، فالقضايا الوطنية لم تكن قضايا خلافية.

فالسلطة سلطة وطنية تناضل ضد الاستعمار، وعلينا ان نناضل معها. ولكن هذا لا ينفى وجود مشاكل كانت تقوم بها السلطة مثل القبض على المتظاهرين وكانت تفسر فى البداية بأن الأجزاء المتخلفة من السلطة الوطنية تحاول النيل من الحركة الوطنية العامة. وقد حاول الشيوعيون ان يحرصوا بسرعة على توحيدهم، لذلك كانت خطواتهم سريعة وفيها تنازلات عديدة نتيجة لضغوط الشديدة من الكوادرفي اتجاه الوحدة، وكان هذا هدف رئيسي لكل الناس.

بالنسبة للوحدة

كنا نسمع كلاما حولها من بعضنا، ونراه فى البيانات، حيث بدات تنزل بيانات باسم الموحد، وفي النشرة الداخلية كان يكتب فيها اجتمعت لجنة الوحدة وناقشت كذا وكذا، ولم يعد هناك سرية بيننا والناس اصبحت سعيدة مع بعض، ولكن فى منتصف عام ١٩٥٧ ابدات مناقشات جادة جدا حول مسالة اليهود، باعتبارها احد العقبات للوحدة، خاصة بالنسبة لـ د.ش، والحقيقة ان كوريل لم يكن يعنى لنطلبة فى الجامعة حتى في حدتو كثيرا، باستثناء الزعماء الكبار، فما يعنيهم فى هذه المرحلة هو التضامن مع بعض وان يصبحوا فى تنظيم واحد، لأنهم ادركوا أن وجودهم مع بعض يقويهم ويدعمهم، وبالطبع انتقل ما يوجد فى الجامعة للأحياء والمصانع، والحقيقة لم يكن لدينا علاقات في المصانع تنظيميا، ولكن عندما كنا نقابل بعض الرفاق من المصانع كانوا يحكون لنا كيف أن هذه المسالة تقويهم وتدعمهم. وفعلاً كانت المناقشات جادة جدا ولم يكن يهمنا قضية وجود اربعة من اليهود داخل التنظيم، لكن عندما قيل أنهم سوف يسلمون، كانت مساله مثيرة للسخرية من وجهة نظري ونظر الآخرين، فما الفرق بين أن يسلموا أو لا، ولماذا يكون مسلما وليس مسيحيا وقيل في وقتها من خلال المناقشات ان الحزب الشيوعى المصرى كان مصرا على الا يدخلوا هؤلاء التنظيم، و إذا كان اليهود مخلصين وحريصين على الطبقة العاملة، وشرفاء، لماذا لا يتركون التنظيم يعطون فرصة للوحدة. ثم حدثت تسوية عندما اسلم بعضهم على أن تتم الوحدة ولكن لا يدخلون اللجنة المركزية، وإنما يكونون فى لجان المناطق، وللأسف لم يكن هذا صحيحا.

فالقضية الأساسية هي ان تكون مخلصا للقضية. وبالنسبة لي لم اكن متخيلاً ان اليهود لهم هذا النفوذ، وإنما كنت ارى انه ليس شرطا ان اكون عضوا فى اللجنة المركزية، فمن الممكن ان اخدم التنظيم وانا خارجه. فطالما ان اساس الفكرة هى

التضحية، والنضال سواء كنت فى اللجنة المركزية او في القاع، وكنت ارى مشاكل داخلية في الحزب الشيوعى لمصرى من هذا النوع، فهناك اناس تم تنزيلهم من اللجنة المركزية إلى اعضاء قاعديين، وحضروا معنا ولم نشعر بأن هناك مشكلة، وعلى سبيل المثال عندما اتهم رءوف نظمي بالبوليسية وكان في السجن تم فصله من التنظيم ومع ذلك اصر على أن يتخذ موقف تنظيمه بالرغم من ان الآخرين عرضوا عليه العضوية في مركز قيادي. وقال سوف اظل مع التنظيم حتى يقتنع بالعكس، وبالفعل تم سحب ما قيل عنه لكن بدون نقد ذاتى، و علام بنبت فكرة الاتهام.

بالعودة إلى الوحدة، قيل لنا إن السيد عادل سلام (الاسم الحركى لطارق عزيز وعرفت هذه المعلومة من نبيل زكى) جاء من الحزب الشيوعي العراقي للوساطة بين المتحدو.ف وكانت بالفعل وسيلة ضغط شديدة. وعندما اتفق في وحدة المتحد على تجميد مجموعة روما، لم يكن لـ ع.ف مبرر كبير أن يتمسكوا باليهود. وبدات الضغوط على ع.ف تعطى ثمرتها وتوجت بالوحدة وأعلن الحزب الشيوعي المصرى(٨ يناير). تم تنزيل القادة إلى مناطق واقسام. وبالمناسبة لم يتم التعرف على شخصية الرفيق خالد إلا بعد الوحدة، فقد كان لغزا يسمع عنه ولا يعرف.

وقد كان معظم الأحزاب الشيوعية العربية قوية جدا فى ذلك الوقت (العراقى، والسودانى، والسورى، واللبنانى، والأردنى) وكان الإشكال فى الحزب الشيوعى المصرى انه منقسم إلى تنظيمات صغيرة ومختلفة ومضروبة بانتظام، ولم يكن مسنودا على عزوة قبلية، فبكداش كان يستند على الأكراد وبالتالى يمكن أن يهرب، ويصدر مطبوعاته، ويستمر، اما مصر فلم يكن لديها هذا، وقد راينا حتى فى الجماعات الإسلامية عندما هربوا فى الجبل أصبحوا مطاريد فقط، لم يكن لهم حماية جماهيرية نتيجة الأوضاع القبلية الموجودة. لأن طبيعة الأوضاع القبلية فى مصر مختلفة كثيرا عن الأوضاع القبلية فى البلاد العربية، ففى الحزب الشيوعى السودانى سكرتير الحزب ظل هاربا وما زال حتى الآن، وبحكم الأشياء القبلية جزيرة آبا لا يمكن لأحد ان يخترقها إلا بحكم قبلى.

وفى هذا الوقت قيل لنا إننا سنجتمع بزملاء عديدين للتعارف على بعض وفوجئنا بأنه لم يحضر إلا سبعة او ثمانية افراد، وبعد ذلك اكتشفنا انه كان يوجد خرائط وهمية لأعداد حتى يصبح لها تمثيل فى اللجنة المركزية، وفي نفس الوقت مستويات

القسم والمنطقة حديثة جدا على العمل التنظيمي ومستواهم النظرى هابط جدا، ليست لديهم خبرات كفاحية، وعرفنا بعد ذلك انهم كانوا يجندون الناس بناء على استبيان كانت تعمله نوفوستى عبارة عن (١٠٠ سؤال وجواب عن الاشتراكية)، والذى كان يعرف سؤالين أو ثلاثة من هذه الأسئلة لا مانع من ان يدخل الحزب ويحضر اجتماع أو اثنين ويتوقف بعد ذلك لأنه اخذ على غرة، لا يفهم انه عضو في تنظيم سرى. لم يكن في ذهننا ان هناك لعبة كراسي من اعلى. فنحن في الراية لم يكن واردا ان تتم اتصالات جانبية بيننا، وكنا منضبطين جدا، ولم يكن احد يجرئ احدا على أن يعمل معك اتصالا جانبيا، وإذا حاول أحد ذلك، نجدنا تربينا على أن هذا لا يصح.

المهم الناس تعايشت مع بعضها البعض سواء الموحد والمتحد، وانت ناس قليلة جدا من ع.ف في الأحياء، وفي الجامعة كانوا معروفين لنا وعددهم ثابت إنما كانت الناس سعيدة جدا لأنهم أصبحوا قوة.

الوحدة كانت ٨ يناير، والوحدة المصرية السورية كانت في ٢٢فبراير تقريبا، والحزب اعلن وجهة نظره في وحدة مصر وسوريا وقال إنها وحدة يجب أن تكون ديمقراطية. وبدات المظاهرات في وسط البلد من الحزب الشيوعي بعلن وجهة نظره فى الوحدة ثم انتقلت فى الأحياء(شبرا، وعابدين..)، وكانت قيادة الحزب تغزى هذا الاتجاه باعتباره احد اشكال فرض علانية الحزب.

واستمرت حوالى عشرة ايام، فى الأيام الأولى كانت المباحث تحاصر المظاهرات وتتركها ثم بدات تدخل المظاهرات وتحاول القبض على المتظاهرين ولكن فى البداية كان يتم الإفراج عنهم في نفس اليوم، وبعد ذلك كانوا يستمرون فى الحبس يومين وكانت المعاملة رقيقة نتيجة الظرف السياسى.

تم القبض على مرتين فى المظاهرات، فى المرة الأولى كنت عند مكتب نبيل الهلالى، وعندما جريت قالوا امسك حرامى فوقفت وقلت انا شيوعى ومشترك فى المظاهرة، وذهبت للمباحث، وتم الإفراج عنى فى نفس اليوم بعد مقابلة حسن مصيلحى، وكان معى ثلاثة زملاء تقريبا. وفى المرة الثانية أفرجوا عنا فى صباح اليوم التالى.

فجأة بعد اربعة أشهر من الوحدة، صدر بيان من اللجنة المركزية يقول ان هناك تكتل يتم، وان هذا التكتل امتداد ليونس، وانه يوجد خلاف سياسى، وبدا يتم الاستيلاء على المطبعة الخاصة بالحزب، وبدات الاجتماعات تفشل، والحق يقال كان كل الناس في القاعدة والأقسام بكافة اتجاهاتها تدين فكرة أى خروج على التنظيم. فزملاء كثيرون

من حدتو كانوا يقفون بعنف في هذه المسألة لأنهم شعروا ان الوحدة كانت مفيدة لكل الناس ومفيدة للقضية، إنما الذي شعرت به انه بدات الاتصالات الجانبية على اساس حلقي في هذا الوقت بشكل رهيب وبدات كل الناس بكافة انجاهاتها تعمل اتصالاتها الجانبية وكأنه لا يوجد وحدة. ولكن في نفس الوقت كانت الناس حريصة ان تتناقش مع بعض، كل واحد يتكلم من منطقه ووجهة نظره وبدون محاولة الخروج على النظام، اما الزعماء من اعلى فكانوا يتقاتلون على الكراسى. واؤكد انه برغم حرص الناس العادية على الوحدة إلا انها لم تتم على أساس سياسى، بل تمت من أعلى باتفاقات انتهازية لم يكن يعرفها القاعديون، ولم يكترثوا بها، لذا ظهر الشرخ من أعلى واستمر فترة حتى نزل للقاعدة، فناس كثيرون من كل الانجاهات أصروا على ان تظل مع بعضها تتصارع وتتناقش، ولم تترك التنظيم.

واؤكد مرة أخرى على انه لم يكن ملحوظا نهائيا اى فروق وسط العمل الجماهيرى، فى الجامعة والأحياء.

وفي يوليو من نفس العام ١٩٥٨ كانت ثورة العراق قد قامت وبدات مظاهرات الشيوعيين تخرج مؤيدة لها، ايضا بشكلها العلنى فى الشوارع، وفى بداية الصيف ايضا بدأ الاتحاد الاشتراكي يعلن عن القيام بسلسلة من المؤتمرات السياسية، وكان الهدف من وجهة نظرى أن عبد الناصر شعر بان هناك قوي أخرى موجودة في الشارع (الشيوعيين)، لذا يجب أن يكون التنظيم السياسى للحكومة محاولا ان يسيطر على الشارع. وبدات سلسلة المؤتمرات فى أوائل سبتمبر فى الوايلى والأزبكية، عابدين .. وانزلوا جدولا بمواعيدها، حيث كانوا يحضرون زعماءهم يخطبون داخل صوان كبير(عبد القادر حاتم، والسادات)، يشرحون فيه الموقف السياسى. وكانت هناك مجموعة منا تتحرك في هذه المؤتمرات، فعندما يخطبون بعض الوقت، تبدأ هتافاتنا كلها عن الموقف من الديمقراطية، وثورة العراق، مطالبة الاعتراف بالحزب الشيوعى، كل الشعارات السياسية التى تبين ان هناك حزبا آخر، أما هم فاستقبلوا هذه الهتافات بذهول فى البداية ومحاولة الإسكات، ولكن كانت هناك حركة جماهيرية واضحة وواسعة، وكنا ننهى كل مؤتمر بإفشال كامل للمنصة، بالطبع كانت تتم بعدها محاولات للقبض على الناس من قبل المباحث، وفي هذه الفترة كان الصراع واضحا جدا بين الاتحاد الاشتراكى والشيوعيين، وبدات القيادة الحزبية تدرك اهمية ما يتم، فالقيادة الحزبية لم تكن قيادة شوارع، بل العمل الجماهيرى النظرى، وكانت قمة المؤتمرات

مؤتمر عابدين، لدرجة ان عبد القادر حاتم لم يستطع ان يخطب بالرغم من انه كان وسط حيه، ونائبه، ووزير الإعلام، وكان الأمن يعمل كل احتياطاته، ولم يستطع أحد ان يسيطر على المؤتمر إلا هتافات متخلمة من الشيوعيين، ولا توجد فرصة للمنصة ان تتكلم، ووصلت لدرجة اننا استدرجنا الناس خارج الصوان، والمؤتمر كان فى منطقة شعبية مليئة بالناس، وعلى ضوء هذا المؤتمر قررت الحكومة بعدها قطع مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى فى كل الأنحاء. وقابل انور السادات محمود العالم في مساء نفس اليوم بالهرم، واعطاه إنذارا. ووصلت نذالة السادات انه رفض توصيله: وقال له باعتبارك رجل بروليتاريا، امشي من الهرم إلى منزلك. وتبع ذلك اعتقال أول دفعة فى ٢٢سبتمبر ١٩٥٨، وهم غنيم مصطفى غنيم (عامل عنابر)، فتحى رفاعى (عامل نسيج)، سمير كامل (كان ما زال فى الجامعة، و بالمناسبة توفى فى باريس يوم ٥ يونيو١٩٦٧)، إبراهيم حسن (ابن خالتي. تلميذ فى الإبراهيمية)، إسماعيل عبد الحكم (تخرج فى الجامعة)، شفيق.. (صاحب مخبز بالظاهر)، وكانت اعمارنا تتراوح من ١٦ إلى ٢٦ سنة، اخذونا إلى المباحث، وتم تحقيق سياسى معنا، مثل ماهى وجهة نظرك فى الاتحاد الاشتراكى، وكانت التعليمات ان نقول انه حزب الحكومة البورجوازية وانه يجب الاعتراف بالحزب الشيوعى، وما رايك فى ثورة العراق، والوحدة المصرية السوريةوكل الأحداث السياسية، ثم حولونا كل اثنين إلى قسم و نقلونا بعدها إلى معتقل العزب بقنا، عبارة عن معسكر فى صحراء قنا وبعيد عن المدينة بعدة كيلومترات وليس اي وسائل مواصلات معروفة، حتى ولا الدواب، وهو كان أغرب معتقل يمكن تخيله، وكانت تجربة السجن فيه تجربة حية جدا ، فقد كان يجمع عتاة مجرمى الثار (بين الهوارة والأشراف) وعتاة مجرمي القتل(فكان معنا ولد عمره ١٩ سنة وقتل ١٣ شخصا، وبالمناسبة بالرغم من ذلك كان نموذج الصعيدي الخجول جدا لدرجة انه عندما يتكلم مع احد لا يرفع عينه) النشل والنصب والدعارة، كانت تركيبة عجيبة، وفجأة نجدنا وسطهم، وكان المعتقل عبارة عن اربعة عنابر محاطة باسلاك شائكة، و المكان من اردأ اماكن الدنيا التي يمكن ان يعيش فيها إنسان، فلم يكن فيه دورة مياه، بل مجرد حفر فى الخلاء، وكانت وسيلة إشعال النار هى العيش، نحضر عشرين رغيفا ونضعهم فى الشمس لمدة ساعة فيصبحون حطبا، ثم نولع فيه.

اما قائد المعتقل صدقى بيه-من الإسكندرية، وكان يقسم العنابر بكيات. كل بكية

فيها جاسوس، يقدم له تقريرًا تفصليا بما يجرى داخلها، وكان يقوم بحفلة استقبال لأي أحد جديد يدخل المعتقل، يقوم فيها بتمزيق ملابسه وضربه بالكرباج وحلق شعره ودهن وجهه بالميكروكروم إلى ان يقول انا امرأة، ثم ياتى ناس من الداخل بالطار والرق ويزفوه حتى يدخل. ولكن عندما دخلنا على الضابط أصيب بحيرة، ماذا يعمل معنا، فلم يكن لديه خبرة التعامل مع السياسيين، ونحن منذ دخلنا نحتج على الوضع، فقرر ان يوزعنا على العنابر، ولكننا رفضنا ودخلنا الستة فى عنبر مع آخرين، ثم بدأنا نحتج على ضرب الناس، واعتقد اننا قمنا بدور جنونى بينهم، لدرجة أنهم قاموا بالإضراب معنا عن الطعام وقد ظللنا اكثر من ثلاثة اشهر فى المعتقل ولم تحاول القيادة الحزبية عمل أي إتصال بنا من جانبها.

وأثناء الإعداد للإضراب، حاولنا إرسال بعض الرسائل بالخارج، ولكن لم نجد اية استجابة من احد، وعرفنا بعد ذلك ان الصراع قد اشتد مع الحزب، وطبعا كان ممنوعا عنا الجرائد، والراديو.. وكل وسائل الاتصال، وكان يتم الاتصال بشكل او بآخر من خلال العسكر، فارسلنا تقريرا عن التحضير للإضراب لأحد الرفاق فى القاهرة لعمل دعاية له عن طريق عسكرى وضعه فى صندوق البريد، فضبط الجواب فى القاهرة، وفيه خطة الإضراب وموعده، وحضر رجال من المباحث بالقاهرة، وشتموا مباحث قنا، واتفق على عزلنا فى غرفة (كنا نسميها زنزانة الإمام احمد) مساحتها حوالى ٣×٤ متر، غير قابل التعامل إلا مع نصفها فقط، وكنا ننام خلف خلاف .. وتم اعتقال الرفيق الذى ارسلنا له الخطاب (سعيد عارف)، وقمنا بالإضراب لمدة ٢٤ ساعة احتجاجا على ضرب سعيد عند دخوله المعتقل، وتم عزلنا. وكسرنا بعد فترة هذا النظام وبدات علاقات طريفة مع العساكر والضابط واصبح لطيفا معنا لدرجة انه فى كل ليلة لأم كلثوم يحضر الراديو قريبا منا لنسمعها.

وكانت كثرة العساكر حولنا تعطينا إمكانية افضل للاتصال بالخارج، واتذكر عسكريا منهم كانت له علاقة غريبة معنا حيث كان يغنى مواويل وكان يرد عليه بالموال المعلم غنيم، وهذا العسكرى كان مستعدا ان يعمل لنا اى شئ فى الدنيا، ويوميا يحضر لنا الجرائد بسعرها. ولكن فى الحقيقة انا لم ارسل اى خطابات لأهلى وأنا داخل المعتقل ولم اتسلم منهم ايضا اى خطابات. فقط هم يعرفون مكانى ولكن ممنوع الزيارة.

استمرينا على هذا الوضع حتى سمعنا انه تمت ضربة كبيرة فى ١٩٥٩/١/١، وان

هناك معتقلين كثيرين فى القلعة، ومنهم اعداد كبيرة من اعضاء اللجنة المركزية. ثم تبع ذلك ضربة أخرى فى ٢٣ مارس ١٩٥٩، وحضر لنا شابان من الإسكندرية، هما حلمى عبدالحميد، والمليجى، ولم تكن لديهم معلومات.

ونظرًا لتحسن العلاقة مع الإدارة حضر لنا ضابط وقال لنا استعدوا سوف ترحلون الأسبوع القادم ولكن لم يذكر لنا المكان.

وبعد أن كنا أكثر استقرارًا فى المكان من ناحية الأكل والشرب، وأصبح مسموحًا لنا باستخدام الكانتين ومعنا ملابسنا. تم ترحيلنا ليلاً فى القطار لبلد بجوارنا تسمى المواصلة حتى نأخذ قطارًا آخر للسفر إلى الواحات، وأثناء انتظار القطار جاء كل زملائنا، وتم إلحاقنا نحن التسعة بحجلة من الحجلات (وهى معروفة من الرومان- عبارة عن كل اثنين فى كلبش واحد ويضعونا فى جنزير حديد طويل) وقطار الواحات أشبه بقطار اللعبة للأطفال، فقد كان بعد ساعات يقف حتى يشيلون الرمل من على القضبان لكى يمشى ولا توجد فيه ماء أو دورة مياه، ووصلنا فى الغروب سجن المحاريق بالواحات، هو ليس سجنًا تقليديًا، وكان يعتبر أكثر من منفى، فمكانه بعيد جدًا والوسيلة الوحيدة للانتقال إليه هو القطار ولا يأتى إلا مرتين فى الأسبوع. كان به عنبر للأخوان، وفيه بعض المجرمين العاديين لمرافق السجن، وخيام لعساكر الدرجة الثانية وأربعة ضباط ومأمور.

وكان عددنا فى هذا الوقت حوالى ٥٠٠ فرد فلم تكن باقى القضايا قد وصلت، وقسمنا على حوالى عشرين زنزانة فى عنبر كامل، بالإضافة إلى غرفتين أو ثلاثة للشيوعيين الذين لديهم أحكام فى عنبر آخر، وكان مسموحًا لنا بالتعامل مع الكانتين، فقد كان هناك رواج اقتصادى، وأكل شبه آدمى، أكل السجن علبة حلاوة أو كل خمسة يأخذون علبة سلامون صغيرة، وكنا نخرج مرة فى الصباح للذهاب لدورة المياه، ومرة فى المساء، وهناك ربع ساعة طابور شمس، ثم بدأنا ننشط الحياة داخل المعتقل، وتشكلت لجنة لتنظيم الحياة الجماعية، من أكل وشرب وسجائر، وتثقيف، خاصة وأن الناس دخلت السجن بمشاكلها التنظيمية.

وكانت الناس دائمًا فى اجتماعات حزبية وعامة، وبدأ النشاط الثقافى وكان يتم فى المساء، فالبعض يقول خبراته النضالية، والثقافية، وكان يتم شئ ظريف جدًا وهو أن الناس تقول لبعضها البعض الأشياء التى قرأتها، فصبحى القبلى الشارونى مثلاً كان

نجيب محفوظ متنقل، يحفظ كل أعمال نجيب محفوظ، فيتنقل فى الغرف، يقول الثلاثية، الكرنك ..إلخ. ثم تدور حول كل الأعمال مناقشات، وتتواصل نظريا، ويتم استشارة بعض المتخصصين فى شئون الأدب.

والحقيقة كان المسجونون لديهم مكتبة سرية محترمة، وبدأوا يهربون بعض كتبها، وبعض الأوراق إلى المعتقلين، وبدأت وكالة "واس" (وكالة أنباء داخل السجن ويقوم بها عبد الستار الطويلة، وكانت تعتمد على ما يجيئ إليها من أخبار خلال الزيارات أو عمل حوارات مع العساكر إلخ) بحثا عن أى نوع من الأخبار لتقولها للناس، واستمر هذا الكم الهائل من النشاط حتى بدأ ما يطلق عليه ترحيل القضية، فهم لم يبقوا طويلاً وطلعت قضية الحزب التى كان فيها فؤاد مرسى، وحلمى ياسين، ثم قضية و.ش، ط.ش، ثم قضية حدتو، وهؤلاء انتقلوا إلى الإسكندرية، وقد كان معتقل الفيوم فتح فى مارس ١٩٥٩ لذا انتقل إليه البعض، وفى نوفمبر جاء همت وتمت عملية التعذيب الرهيبة التى حدثت فى الواحات.

قلت فى البداية إن المعتقلين كانوا يلبسون ملابسهم، وكان هناك قدر من الحرية، فجاة وجدنا شيخا ضريرا كان يقال إنه كبير وعاظ مصلحة السجون اسمه الشيخ صاوى أرسله همت قبل حضوره بأسبوع، وكانت له مهمة رئيسية هى شحن عساكر الدرجة الثانية والسجانة وغيرهم، وتحريضهم على الشيوعيين الكفرة. وقد قام بواجبه على أكمل وجه، ثم فجأة سمعنا .. أن الباشا "همت" جاء وذهب إلى الاستراحة، ومعه فرقته وهى فرقة ذات زى خاص محترم وعساكر طويلة وعريضة.

المهم فى الصباح جاء الأمر بتجميعنا فى الخارج وأن يأخذ كل واحد "بقجته" الخاصة به، وبدأت عملية إعداد طوابير، وفجأة وجدنا كل العساكر .. كل واحد فيهم يحمل شومة ضخمة كفيلة بالقتل حتى بدون أن يهوى بها وكانت هذه الرؤية الأولى.

بعد ذلك تم تفريغ العنبر بالكامل ثم تم حشرنا فى عنبر آخر، بدأوا فى النداء علينا مجموعات كل مجموعة مكونة من ستة أشخاص، وكل مجموعة تتحرك وسط طابور من العساكر كلهم يحملون سعف النخيل ثم يليهم عساكر من فرقة همت بالشوم يقومون بالضرب، والآخرين يمنعوننا من الفرار من الضرب، حتى تصل المجموعة إلى خارج سور السجن، وهناك يجلس الباشا "همت" فى زيه الرسمى، ويقوم بالنداء على كل واحد باسمه ويتم حلاقه شعره ثم يتجرد من ملابسه نهائيا ويصبح كما ولدته أمه. وإذا

اعترض اخذ يؤخذ على العروسة ويضرب، كان عم زكى وهو ضرير، وكان يأخذ مسئوليته عبد الخالق الشهاوى وانا كانت مسئوليتى سعد التائه، ورأيت فخرى لبيب على العروسة، رجعنا كلنا عرايا فى نفس الطابورالى العنبر، طبعا كنا نرى بعضنا فنضحك على المنظر. ضحك ماساوى وبدأت حياة مضنية من حيث الملابس والطعام، فالملابس ممزقة والطعام قليل جدا (رغيف واحد).

وفى صباح اليوم التالى خرج كل الناس فى حوالى الساعة ٧ صباحا، وفى درجة حرارة تصل فى الواحات إلى حوالى ٤٥ درجه فاكثر، ولأول مرة الناس تمشى حافية، وامر همت بأن تخرج للعمل وطلب من عبد العال سلومة ضابط السجون وصاحب الخبرة الطويلة فى التفاصيل مع الشيوعيين أن يوقع على امر كشف بأسمائنا لإخراجنا للعمل خارج السجن، ولكن عبد العال سلومة رفض خوفا من المسئولية، وبدات المفاوضات واصر على موقفه ولكن فى النهاية أجبر على التوقيع على الكشف وامرنا بالخروج، وهنا ادركنا اننا سنضرب فى الخارج. وحين بدأنا فى الخروج وجدنا مدافع رشاشة منصوبة على مناطق عالية، ومن وجهه نظرى كلنا كنا على استعداد للموت، وقضية الموت بالنسبة لنا لم تكن تعنى شيئا، بحكم السن وبحكم الاستعداد للتضحية والاستعداد للفهم الكلاسيكى الرومانتيكى الذى يقول بأن من يموت مناضلا سيخرج مئات المناضلين، وفعلا خرجنا للعمل وهم من خلفنا يضربوننا، وكانت الرمال مليئة بالشوك، كل انواع الحشرات الصحراوية بالإضافة إلى الطوريشة . نوع من الثعابين، وكان لدغته بموت أكيد، وبصعوبة شديدة شربونا الماء، واقام همت معنا ثلاثة ايام ثم غادر بعدها المنطقة، واستمر هذا النظام الذى وضعه، وكان من أكثر الزملاء الذين عانوا من تعذيبه هو محمود المانسترلى، فقد كان المانسترلى ضابطا فى الحربية، وكان رئيس همت، لذا اهتم بتعذيبه وإهانته حتى أصابه بكسر فى الذراع وكذلك فخرى لبيب. وهذا ما فعله فى باقى السجون.

وكان العمل فى الواحات بأجر رمزى ثم بدأوا يؤجروننا بعد ذلك لهيئة تعمير الصحارى وكانت تدفع للفرد قرش صاغ. وكان يتم تفتيش بانتظام. ونحصل على ثلث سيجارة تهرب من المساجين العاديين، ونأكل وجبة واحدة.

وكان هناك صراع سياسى داخل المعتقل، فقد كان هناك اتجاه داخل الحزب لعب على هذا التعذيب الذى يجرى، لتغيير الاتجاهات السياسية، فقد كان هناك تساؤل كيف

يكون عبد الناصر وطنيا، وفى نفس الوقت يضرب الشيوعيين، بمعنى أن التحليل السياسى كان يبدأ من الضرب أو عدم الضرب. لكن من قبيل الأمانة كانت الناس تساعد بعضها البعض، بشكل إنسانى وراق جدا. وحاولوا أن يقسمونا جزءا يعمل وجزءا لا يعمل، بهدف تفكيك فكرة العملة..

فكان هذا شكل من أشكال مقاومة الناس لعملية الشغل فى الجبل، كانت الناس فى المساء تحاول أن تعمل نوعا من أنواع الترفيه فى بعض الأحيان، والأعمال الثقافية فى أحيان أخرى. الاجتماعات الحزبية، وقد جاء فى نفس الوقت فى هذه الفترة ما يطلق عليه خط الحزب الجديد. وبدأت تتم مناقشات طويلة حول، هل السلطة الموجودة سلطة وطنية أم غير وطنية؟، هل السلطة الموجودة هى سلطة الاحتكار وشبه الاحتكار أم سلطة وطنية؟، أى النقاش حول الطبيعة الطبقية للحكومة أو السلطة الناصرية، وظهر اتجاهان واضحان، اتجاه يقول أن السلطة هى سلطة البرجوازية الوطنية المصرية، وطالما أنها سلطة برجوازية فهى معادية للديمقراطية، وبالتالى فهى قابضة على العناصر التى تشكل الجناح اليسارى الديمقراطى أى الشيوعيين، أما الاتجاه الثانى فكان يقول إنها سلطة الاحتكار وشبه الاحتكار، وهى سلطة ليست وطنية ولكن لا نرفع شعار إسقاطها. هكذا كان جوهر الصراع الدائر بين هذين الاتجاهين، وكانت توجد فى نفس الوقت مجموعة ضيقة جدا تقول بأن السلطة سلطة وطنية، ولاسيما بعد الضرب والتعذيب، وفى الجهة الأخرى كانت هناك سخرية من هذا الاتجاه، والاتجاه إلى القول بالبرجوازية الوطنية جوهره "الراية"، وجزء من بقايا الموحد، لكن بقايا الموحد كانوا يقفون سياسيا مع الراية، لكن تنظيميا كانوا ضدها، واتجاه الاحتكار وشبه الاحتكار جوهره "حزب العمال والفلاحين"

ثم بدأ الإفراج عند المسجونين، بمعنى أن المسجون يخرج، ثم يرسلونه إلى القاهرة يرجعونه كمعتقل، وبدأت الحكاية بعد ذلك تختصر، فلا داعى لأن ينقلوه إلى القاهرة بل ينقلوه من عنبر المساجين إلى عنبر المعتقلين.

وبدء ترحيل المعتقلين من «أبو زعبل»، ووضعوهم فى عنبر المساجين، وأصبح هناك عنبرين لشيوعيين، أما العنبر الثالث ففيه بقايا الأخوان والشيوعيين المرحلين من «أبو زعبل» كانوا عديدين، ويرفعون شعار الديمقراطية والانتخاب.

والصراع الداخلى، داخل أى حزب هو انعكاس للصراع الطبقى الموجود فى المجتمع

ومن ثم فحدوث هذا الصراع مسأله طبيعية، وايضا حسمه مشكل لأنه لا توجد قيادة تتنازل برغبتها، فالناس الذين جاءوا من «ابو زعبل» مقررين انهم يجب ان يعملوا انتخاب، بكل اتجاهاتهم، وعندما جاءوا بدأت الحلقيات تشتغل، ولكن كان قرار الانتخابات انتهى، وجاءت الانتخابات باتجاه عام فى المنطقة، اى يحكم هذا العنبر، اغلبية ليست مع القيادة، ولا مع الرفيق المركزى الذى يوجد فى المعتقل طبعا، إنما مع اللجنة المركزية، وبالتالى كنا نسميها (كيرالا) على اسم المقاطعة الهندية التى كان يحكمها الحزب الشيوعى الهندى، محررة من سلطة حزب المؤتمر.

ويحضرنى فى عام ١٩٦١ قبل الإجراءات الاقتصادية تقريبا ما قام به عبد الناصر ونحن داخل المعتقل فى الواحات، فقد كان حريصا من وجهة نظرى على ان يتابعنا ونحن داخل المعتقلات، لمعرفة كيف نفكر فهو يعرف قدرات هؤلاء الناس جيدا، وهو رجل مثقف وذكى ويحب ان يعرف كل شئ، وحسب ما سمعت بعد ذلك عندما قابل إسماعيل صبرى وفؤاد مرسى بعد الحل، قال لهما يبقى ان ارى ابوسيف يوسف.

المهم الناس فى الواحات كما ذكرت، كان الصراع مشتدا جدا بينهم، ولكن كانوا في حالة نشطة، وبدأ ما يطلق عليه المناقشات العامة وطرح وجهات النظر، وعقد ندوات، ومجلات صراع، وناس تكتب وجهات نظرها حول الطبيعة الطبقية للدولة، وما هى رؤيتها لمستقبل مصر، ويتم النقاش حولها، وتم كونفرس تنظيمى بالانتخاب لمناقشة العديد من المشاكل التنظيمية، حتى حدثت حادثة عندما كان احمد فرج ينقل مجلة الصراع(*) من حجرة لحجرة فامسك به الباشاويش متي وكانت مكتوبة على ورق بفرة وسلمها للمامور، وبالطبع انقلبت الدنيا، وذهب للتاديب، وحضرت المباحث وحرثت العنبر بالكامل، لأنها تعلم ان الناس تعمل مخابئ في الأرض، كانت الناس متوقعة احتمالات ما سيحدث، فقامت بعمل مخابئ في الحوائط والأسقف، لذا لم يجد الأمن شئ.

واتذكر ايضا في يوم من الأيام بعد التمام، قالوا تمام بصوت عال جدا واحسن. وهذا معناه ان المامور سيدخل، ودخل المامور كل الغرف ثم دخل غرفتنا، وكان عندنا فى هذا الوقت مخبا في الزنزانة يقوم بعملية ترجمة مختارات لينين وماركس، وكانت قدرة

(*) كان الحزب قد فتح الصراع الأيديولوجي حول خط الحزب الجديد والذي كان يقول إن السلطة هى سلطة الاختيار وشبه الاحتكار.

على الشلقانى على الترجمة جنونية، فهو يترجم فوريا من النص، وكان يوجد جزء من هذه المختارات في مخبأ تحت جردل البول، (نحن كنا نعمل المخبأ ثم نحضر الصلصال -كان متوفرا فى الواحات. ونخلطه برمل خفيف ونقفل البلاطة فتظهر على أنها طبيعية)، ولكن طبعا بمجرد رش مياه عليها تظهر، فعندما دخل قال ارفع جردل البول، وارمى مية على الأرض، فانا حاولت ابعد وارش المياه على الحبطة. وستر ربنا انه تركنا وخرج، وجلسنا بعدها ونحن خائفون ان يعود مرة أخرى للتاكد من معلومته، واتفقنا بعد مناقشة على ان نحرق الموجود، ولكن انا رفضت وقلت لو اتمسك سوف أتحمل مسئوليته، المهم استقرينا بعد أخذ التصويتات على ان ننتظر حتى الصباح، ولوحدث شئ اتحمل المسئولية، وفي الصباح استطعنا نقلها إلى مخبأ آخر.

واستمر هذا الوضع حتي بدات سلسلة الأخبار تتوالى من وكالة انباء "واس" بخبر تاميم الشركة البلجيكية، وتاميم بنك مصر، وشركة مصر الجديدة والبنك البلجيكي، وكان هذا قبل الإضراب الذى قمنا به في يوليو ١٩٦١.

هذه من الأحداث القاسية جدا.. فالمعيشة فى «ابوزعبل» كانت شديدة القسوة... وكانت السلطة قوية جدا، أما في الواحات فقد كنا بعيدين عن السلطة والاتصالات لم تكن جيدة. فحتى الضباط كانوا منفيين معنا بغض النظر عن أنهم مباحث، وقد حدثت طبعا مجموعة من الوقائع الطريفة، منها ان ابنى "شينيشن" مامور السجن في هذه الفترة وبالمناسبة أحدهما أصبح مدير أمن المنيا، كانا ولدين، واخذا حبوب الضغط الخاصة بوالدتهما، وفجأة حضر لنا المامور في الليل، وطلب د. حمزه البسيونى، و د. صلاح حافظ لكي ينقذا الأولاد، وتم إنقاذهم، وكان ممتنا لهما.. وكانت هذه الحاجات التي عملت تحويلة كبيرة في سلوكه تجاهنا، ونقل بعد منها، ثم جاء بعد منها بسنتين، بعد الاضراب، وكانت المسائل اتسعت كثيرا، وسمحت بزيارة. هكذا حضر الناس من «ابو زعبل» وكانوا مصرين على الديمقراطية داخل الحزب ومصرة على الا تضرب مرة اخرى.

وكانت من اروع الأشياء التي تمت داخل المعتقل مسالة الإضراب، وتم التحضير لها بشكل اكثر من جيد.

ففي هذه الفترة قيل إن هناك ضابطا جديدا، حضر من سجن طره، بعد ان غضبوا عليه فارسلوه الواحات تكديرا.. هذا الضابط كان "فتحى قتة" الذراع الأيمن لـ "حسن

المصيلحى" في الحقيقة هو أتى للتدريب، ورؤية الناس على الواقع، كان بيشتغل سياسة، فكان يمر على السجن بالليل ليسمع الناس من الشبابيك، وكان حريصا على فكفكة السجن، فلم يكن حريصا على الانضباط، والضبط والربط، وبجانب عمله السابق، كان يتحسس مسألة الإضراب التى كانت نبرتها عالية، ولذلك تم عملية تمويه في موضوع الإضراب، فقد حددنا أكثر من موعدا للإضراب، (وطبعا الإضراب كان له طقوس قبل أن نبدأ، حيث يتم كشف طبى على جميع الزملاء، ويتحدد من سيشترك في الدفعة الأولى ثم الدفعة الثانية .. وكان شعار الإضراب هو "الإضراب حتى الإفراج أو الموت")، لدرجة أنهم قالوا إنه لن يتم، ونزل الضباط إجازات بما فيهم فتحي قتة، ولم يكن هناك إلا ضابط واحد، وكان أظرفهم. ثم فجأة تم الإضراب طبعا بالنسبة لهم أم نحن فقد اخترنا الوقت المناسب، ووفرنا له اتصالات جيدة بالخارج.. بمعنى أنه عندما دخلت أول دفعة الإضراب، وهى شخصيات عامة وشخصيات حزبية، منهم د. فايق فريد، ود. فوزي منصور، ود. رءوف نظمى، أعتقد كانوا ستة أفراد، أذاعت لندن، ومونت كارلو الخبر فى نفس اليوم، وطبعا موسكو، وغيرها، وكانت هذه ضربة فى الصميم، وتم عزل المضربين في العنبر الثانى، كان يتم الاتصال بين العنبرين من خلال النوبيين، طبقا لتعليمات الرفاق الواقفين أسفل، فهم يتحدثون بلغتهم التي لا يعرفها أحد من الضباط أو العساكر او حتى المعتقلين، وبالفعل الإضراب عمل ربكة جنونية، وبعدها بثلاثة أيام دخلت دفعة مكونة من ١٢٠ معتقلا، واستدعوا الضباط بأقصى سرعة.. والحقيقة كانت الناس فى الإضراب روحها المعنوية في السماء، ونفضت عنهم كل الآلام التى كانوا يعانون منها، فقد كانوا يشعرون أنهم يقاتلون فى آخر معاركها، كان هناك نوع من الصدق، والحنان على بعضهم البعض. ثم دخلت الدفعة الثالثة بعد ثلاثة أيام أخرى وكانوا حوالي أربعين، وطبعا الناس المرضى لم يدخلوا. وبالتأكيد هذا الإضراب هز الدولة تماما. واستمر حوالي ثمانية عشر يوما. وأرسلت الرياسة برجل للمفاوضات وقد تحول هذا الشخص بعد ذلك لشخص متعاطف تماما مع الشيوعيين، وبدأت المساومات، والضغوط، والأخذ والعطا، وكانت هناك لجنة مسئولة عن الإضراب بقيادة فخري لبيب، بدأت الناس تنتقل من شدة التعب إلى المستشفى ومنهم على الشيخ، ورءوف نظمى وثروت إلياس ورؤوف نظمي وعبدالله كامل وآخرون، فلو أن الإضراب قد تأخر بعض الساعات، لكانت هناك ضحايا كثيرة، ومع ذلك كان الكل متمسكا لآخر لحظة،

ولم نكن نعرف ان الدولة تريد ان تفك هذا الإضراب قبل يوم واحد وعشرين لأنها كانت ستتخذ قراراتها الاقتصادية في هذا اليوم، بالفعل تم فك الإضراب قبل منها بساعات، ومن الامتيازات التي حصلنا عليها من هذا الإضراب، ان تحول المعتقل كله بعد ذلك بالتدريج إلى نوع من الإدارة الذاتية، بدات الناس تعمل مسرحا، وتوفر اوراق واقلام، وبدات حياة ثقافية كاملة، وفتح باب الزنزانات حتى المساء، ثم جاء حسن المصيلحى وقابل اناسا كثيرين من المعتقلين، وحصل ان الناس شنمته، وتم ترحيل ١٤٤ شخصا من الواحات إلى معتقل العزب بالفيوم، وكنت انا منهم، نبيل زكى، وامير إسكندر، وامين ابو السعود، والفريد فرج .. وآخرين وكان ذلك في نوفمبر ١٩٦١ .

ورحلة الفيوم رحلة جديدة من نوعها، لأنهم كانوا عملوا الطريق البرى، وبالتالى قلل الاعتماد على السكة الحديد المتخلفة جدا، فجاءت عربيات السجون لترحيلنا فى المساء، وطبعا كنا قد مكثنا في الواحات أكثر من ثلاث سنين وفي جو صحراوى جدا، ولم يكن فيه رطوبة، وبالتالى كان الجو مختلفا تماما عندما دخلنا على أسيوط والزراعة، ومعتقل الفيوم كان معسكرا قديما للجيش الإنجليزى يتكون من ثمانية جالونات (عنابر) أربعة في صف وأربعة في الصف المقابل، محاطين بالأسلاك الشائكة، فيه دورة مياه واحدة، كان معتقلاً خاصا بكبار تجار المخدرات، ثم نقلوا فيه الشيوعيين فى مارس ١٩٥٩، وكانت كارثة على العساكر والشاويشية، فبعد ان كانوا يتعاملون مع تجار المخدرات وهناك سخاء شديد جدا، ويضربون تعظيم سلام لهم، لناس فقراء، ومطلوب منهم أن يضربوهم. ثم بدات قيادة المعتقل في تنفيذ خطة بأن يرسلوا اناسا من معتقل الفيوم إلى معتقل القلعة لياخذون فيها محاضرات وتثقيف لكي يتولوا كتابة الاستنكارات للشيوعيين، .. بمعنى انهم بداوا سياسة جنى التعذيب، وكانت هذه أخطر نوع من السياسة، لأن المعتقل اوالمسجون وهو تحت تاثير الضرب والتعذيب تكون لديه شحنة داخلية مقاومة، وتساعده وتصلب طوله وتمسكه، اما ما يمكن ان نطلق عليه الاسترخاء فيكون في احلام، وأمنيات وردية، والمنطقان مختلفان، لذلك بداوا بعد الإضراب في سياسة الاستنكار وسياسة اصطياد الذين يمكن قطفهم في هذا الوقت، وفي تقديرى ان السياسة التي كانت مرسومة في الفيوم، لو طبقت بحذافيرها لاستنكر الجميع، ففي المعتقل سمحوا لنا بلبس هدومنا الملكى، ولبس جزم في ارجلنا، وكان هذا عامل إغراء كبير جدا، وأصبح مسموحا باستلام طرود من مصر، وبالتالى كانت الحياة

اكثر رفاهية، واكثر سهولة.

وعندما انتقلنا من الواحات كان معنا كتب على ورق بفرة، واوراق اخرى، وكنا مستعدين لمعيشة نضالية كما كنا في الواحات من الناحية التنظيمية، وكانت تنزل معنا قيادة من الرفيق المركزى في الواحات، ولكن عندما وصلنا أصبحنا إزاء خطة ليست سهلة، وكان هذا واضحا من البداية، فقد كنا نسمع ما يتم تدبيره لنا من الإدارة، من خلال تليفوناتهم عندما كان يتم حجز البعض منا في حجرة التأديب، لأنها كانت بجانب الإدارة، فقررنا أن نعمل انتخابات، بحيث ينتخب كل عنبر قيادة له، وقيادة العنبر تختار مسئولا، وتتشكل لجنة قيادية للمعتقل بغض النظر عن أى تنظيم ينتمى إليه. وبالفعل نجحنا في عمل انتخابات، وهذه كانت تعتبر مكسبا غير عادى بموافقة الجميع وكافة الاتجاهات. (فقد كنا نتعامل على اننا كلنا في تنظيم واحد (٨ يناير)، ولكنها وحدة شكلية، فبجانبها هناك ما يطلق عليه بلغة التنظيم اتصالات جانبية من فوق لتحت بين كل الناس وبعضها، وتقول كل شئ يحدث في الاجتماعات، وتنسق مع بعضها البعض فى كل موضوع في الجانب التنظيمي، ولكن تتسع وتضيق في الجانب السياسي). والحق يقال أن كل الناس أدركت المسئولية التي تقع عليها. وأنه يجب إفشال هذا المخطط، ولكن للأسف لم يتركوا لنا فرصة لعمل ذلك كما كنا نتصور، فقد كانت الخطة بالضبط، أن العنبر فيه حوالى ٣٠ أو ٣٥ فردا، كل فرد له نمرته واعطوا كل فرد برشا وثلاث بطاطين، وغير مسموح لأحد أن يتكلم عن الآخر، بمعنى أن الذي له مشكلة يذهب يتكلم بنفسه مع الإدارة، بدون مندوبى إدارة، وغير مسموح بوجود حياة عامة، أو أن تأكل الناس مع بعضها البعض، أو تتسامر مع بعضها، يمرون علينا في الليل للتأكد من ذلك، بحيث يشعر كل فرد في النهاية انه لا يوجد وراءه تنظيم. وإذا قال لهم احد انا مندوب العنبر، يقولون له لا يوجد هذا النظام لدينا، هكذا كما يقال اخذونا فى حارة مظلمة.

استمرينا في شد وجذب مع الإدارة، وقد وصلت الأمور أننا شدينا مع ضابط وقرر جمع العساكر واصبحوا في وضع استعداد لضربنا، والمهم قررنا ان ناخذ موقفا وهو أن نمتنع عن استلام الوجبة، كنوع من تصعيد الموقف وتجميع الناس حول أهمية أن نناضل ضد هذه السياسة، وكل هذه الأساليب استطاعت أن تعمل ما يمكن ان نطلق عليه، تكتيل للمعتقل، والنضال ضد خطة التصفية التي تحددها المباحث، وبالتالى كان يعتبر

هذا نصرًا هامًا للمعتقلين. وباعتبارهم كانوا يعرفون كل شئ نعمله، فقد كان معروفًا لهم من هم القادة داخل المعتقل، فجمعونا نحن الستة القادة، وعزلونا في عنبر لوحدنا في الناحية الأخرى حتى يصعب الاتصال مع بقيه العنابر، منهم أنا، ونبيل زكى، وامير إسكندر.. ومعين مينا وامين ابو السعود وتوفيق فانوس.

وكانت معلوماتهم صحيحة، هم اخطاوا فقط في واحد او اثنين، ولكن الباقى كله كان قيادة للمعتقل. ثم ادخلونا التاديب فترة، ثم ارجعونا وحدثت قصص كثيرة، كان ملخصها أنه كان يتم محاولة الدخول في معارك صغيرة تجعل الناس في حالة صراع دائم. وبدأنا نعمل خطة ثانية، وهى ان يبقى أحد منا فى التاديب بشكل منتظم لكى نستطيع ان نعرف ما تدبره الإدارة لنا. وبالمناسبة كان يوجد في هذا المعتقل ضابط نشا معنا في الحلمية، المهم كان هو المامور وكان ينظر لى برثاء شديد، من نوع انه لا يستطيع ان يفعل اى شئ، وهذه حقيقة.

استمر هذا الحال فترة، وكان هناك صول يساعدنا في توصيل المهربات للخارج، ومن الواضح الجلى أن هناك أحدا بلغ عنه، فضبطوه وفتشوه وحاكموه محاكمة عسكرية: وفى هذا الوقت بدأ صدرى يتعب جدًا فالفيوم منخفضة عن سطح البحر والرطوبة فيها عالية جدًا في الشتاء، واصبت بأزمات السعال، لدرجة انني نزفت دما. فطلبت من اهلى ان يرسلوا شكاوى.

ثم فوجئت بحضور دكتور للكشف علينا وقال إننى يجب ان اذهب إلى مستشفي في القاهرة، وفي نفس الوقت كان ايضا الفريد فرج عنده حساسية شديدة، ونقل معي إلى المستشفى، وكانت هذه أول مرة طوال الحبسة(حوالي ثلاث سنوات ونصف) نخرج خارج سور السجن، ونرى بشرًا يلبسون غير لبس السجن، والأغرب اننا اكتشفنا ان الستات والبنات يلبسن مايكروجيب في هذا الوقت، والحق يقال اننا وجدنا الناس في المستشفي في قمة التادب والتهذب معنا وقال لي الطبيب انه يمكن ان يكتب لي تقريرا بأن احوالي الصحية تعبانة، وانا قلت له إننى اريد أن أعرف فقط حقيقة مرضي، فقال لى إنها مجرد حساسية عندما تاخذ هذه الأدوية سوف تتحسن، وبعد الكشف رجعونا إلى المعتقل، وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى راينا فيها الشارع.

ثم بدأ يحدث ما يمكن ان نطلق عليه التربيح وهو أفضل من القول بالانهيارات، فقد

كان قاسيا جدا أن ينهار الفرد في وسط المجموعة التى كانت معه، فكان لابد ان يقطع علاقاته اولا معهم، حتى لا يكن هناك اى اتصال، فتبدا من خناقات، تقوم على اشياء هينة جدا، مثل الخناق على رغيف عيش، او انه لا يستطيع ان ينام بجوارهم بحيث في النهاية يقول انتم ولاد كلب وسافصل عن الحياة العامة: وبالرغم من انه عندما كنا نرى احد الزملاء يسرح هكذا نرسل له احد المنظمين للتخفيف عنه حتى لا يقع، لكن كانت الأغلبية المختارة منتقاة بشكل جيد، مسكنين كويس، بمعنى أن معظم المنهارين، وأنصاف المنهارين متوزعين على العنابر، وشبه المتماسكين أيضا يتم توزيعهم على كل العنابر، فالخطة الموضوعة خطة واعية جدا، ومدركة تماما، ومن المؤكد انها كانت مبنية على معلومات ومتابعة دقيقة.

واتذكر من الزملاء الذين كانوا معنا في الفيوم، قدري حفنى، ونبيل زكى، وامير إسكندر، وامين ابو السعود، وتوفيق فانوس، والفريد فرج (الذي كان له دور كبير في النشاط الثقافى، فى حكاية روايات شكسبير كل ليلة، وعمل دراسة نقدية عليها، وقد هربنا له اوراقا وقلما وكتب مسرحية "حلاق بغداد" في هذه الفترة): وحلمى عبد الحميد(عامل نسيج) من إسكندرية، ومحمود معروفة...

واستمر الحال حتى حضر حسن المصيلحى ومعه فتحى قتة ومعه كل فرقة المباحث، وبدأوا ينادون بعض الأسماء، وعندما عرفنا بوصولهم بدات سلسلة ضخمة من الهتافات "عاش الحزب الشيوعى، تسقط سياسة الاستنكار ..إلخ، وبعد ان كان مخططا لمقابلة مجموعة من الناس عندما وجد الهتاف قابل واحدا او اثنين فقط، وفي الحقيقة كان هذا الاستقبال من أروع ما حدث في المعتقل، لأن حسن المصيلحى قابل الناس في الواحات من قبل وانا منهم، وكانت الناس تخرج، وتاخذ موقفا امامه، واحيانا تقول له يا سفاح يا مجرم يا قاتل .. إلخ، وتعود إلى الزنزانات، اما في الفيوم فالوضع اختلف، هتافات جريئة وشجاعة، ولم يكن من المنتظر ما حدث.

ثم فوجئت بأن أربعة من العساكر فتحوا علينا الباب، واخذوني لمقابلة حسن المصيلحي، واحاطوني بالبنادق كانى ذاهب للإعدام، حتي وصلت الإدارة.. وامامه كنت لا اريد أن أعطيه فرصة للنقاش، وكنت أريد إفشال سياسته، فهلت بكلام حنجورى كبيرة باسفاح، يا قاتل، يدك ملوثة بالدماء، واننا لن نستنكر، وعاش الحزب الشيوعى. إلخ. خاصة انه كان وصلنا خبر حديث جدا، وهو استشهاد على فى شبرا الخيمة بعد

خروجه إفراج صحي.

فتركوني وخرجوا، ثم جرني العساكر بالبنادق حتى العنبر، واثناء الطريق اطلقت هتافات والناس ترد على، وفي مساء هذه الليلة، جاءت العربة لترحيلى انا وبعض الزملاء إلى الواحات، وعندما رجعنا للواحات وجدنا الصورة هناك اختلفت بشكل كبير، فرجعت اللجنة المركزية، اصبح كل الشيوعيين في الواحات، كان بتبقى ابوسيف ومجموعته كانوا منتظرين المحاكمة سيحضرون، والسجن كان اكثر راحة، وبدات الناس تعمل حمام السباحة، وبدا التخطيط للمسرح، كما بدات المحاضرات العامة، فؤاد مرسى يلقي سلسلة محاضرات عن الاقتصاد المصرى، وإسماعيل صبرى يقول محاضرات عن كتاب "راس المال"، وبدات جامعة شعبان خليفة لتعليم اللغات، وتعليم الرياضة البحتة وتعليم الترجمة، وبدات كل مجلات الحائط تشتغل، كانت سلسلة من الأنشطة والتثقيف غير العادية، وفي نفس الوقت بدا نشاط المزرعة، وبدا مع كل هذا بعلو كم الصراع، اعلنت "الأفق"، وكان لى وضع له العجب فانا متمرد على القيادة، ولكن لم اتمرد على التنظيم، ولم أعلن انضمامي للافق، وفي نفس الوقت معي بقية الناس ولا نعتبر خارجين على التنظيم، لكن معروف انا مع مين، وبدات تحقيقات معى: قلت انا تحت امر اللجنة المركزية ولست خارجا عن التنظيم، فكان صعبا ان يتخذ قرار بفصلى وتنزيلى إلى مرشح. صعب التحقيق معي فليست على اى شبهة.

وفي الحقيقة احضرت معي ملابس كثيرة من معتقل الفيوم، على اساس، ان هذه الحبسة ستمتد، ولم يكن يراودني حلم الخروج، فقد كان رايى ان الحكومة تصفية على سجن الناس، وان هناك تجارب حدثت من قبل مثل هذه في امريكا اللاتينية وفي اليونان، وبالتالي بدات امارس العمل في المزرعة بانتظام والعب رياضة، وفي نفس الوقت احضر جميع المجلات(كانت صوتية بالطبع)، فمثلاً كان شعار "الأفق" "صاح ملاح من أعلى السارية، ارض في الأفق..." ثم يصفر إبراهيم عامر صفارة شهيرة، كانها موسيقى تصويرية للمجلة. واحضر لأى واحد يقول اى محاضرة، فلم يكن لدى اية حساسية في هذا الموضوع، لأنني كنت امشي على مبدا، هو ان اسمع الكلام بودنى واحكم عليه بنفسي، ولا اعتمد على ما ينقل إلى، لأنني اكتشفت ان الناس تنقل عن بعض اشياء ليست صحيحة، وفى اتجاهات معينة. وفي الحقيقة كانت هذه من أخصب الفترات على طول الحبسة.

وأثناء حضوري إحدى محاضرات فؤاد مرسى، شعرت بأنني أريد أن أنام بشكل كبير، لدرجة أنني لم أستطع أن أكمل المحاضرة، فدخلت الغرفة ونمت. بالرغم من أنني استيقظت بعد فترة ووجدت حسن المناويشي يغنى فى الغرفة، إلا أننى لم أستطع مقاومة النوم، وفي الفجر حاولت أن أصلب طولى واقف ولكن وقعت على جردل البول وكان بجواري رءوف نظمى، ثم فتحت عيني فوجدت كم من الدكاترة، شكرى عازر، وحمزة البسيونى، وشريف حتاتة، وثروت إلياس، كل دكاترة المعتقل تقريبا، وأخذونى لمستشفى السجن وهي إحدى الزنزانات ولكن فيها ثلاثة أو أربعة سراير، أنامونى على السرير، وتصوروا بعد أكثر من ٥٤ شهراً نوما على البورش، ثم فجأة أنام على سرير فهذه كانت قمة الرفاهية، وبعدها لم أدرى بشئ، ولا أدر كم من الوقت استمريت في هذه الغرفة، فتحت عيني بعد ذلك فوجدت حولي إسماعيل صبرى وسعد زهران، وفخرى لبيب وحلمى ياسين وكل الرفاق فى اللجنة المركزية، وقال لي إسماعيل صبرى بأننى سوف أذهب إلى القصر العينى وسأطلع إفراج، فأنا ضحكت. وكانت قواى خائرة، وأتكلم بصعوبة شديدة، ولكن كنت أعاند، وقلت له أنت تسخر، ثم وجدت شريف حتاتة يؤكلنى مربى بالمعقة، أمام سيد عبد الله الذي يمسك الحياة العامة، ولم يكن معترضا، ثم فجأة رجعت هذه المربى، فانزعجت من ذلك فكيف تدخل جوفي هذه المربى ثم تطرد مرة أخرى، فأنا لم أكن أعرف نهائيا ماذا حدث لي، فقد كنت متخيلاً أنني نمت بضع ساعات فقط، ثم أتذكر بعد ذلك وهم يحملونى على السرير يمشون بي في الطرقة، وكل الرفاق يقفون على الصفين، ويقولون أناشيد، وأتذكر ممن كانوا ورائى محمد حمام ومختار جمعة، ثم دخل السرير على الإدارة.. فوجئت بوالدي والدتي وأخي، تساءلت، فقالوا لا يوجد شئ، فنحن أتينا لزيارتك، أنا ما زلت أتذكرهذه الأشياء بشكل متقطع، ثم جاءت عربة السجن وأخذونا وكان معنا حمزة البسيونى وذهبنا للمطار، ركبت الطيارة. وكانت هذه أول مرة أركب طيارة في حياتى بعد أن فرشوا لى في أرض الطيارة وركب معي والدى ووالدتى فقط، ووصلنا المطار، وقابلنا أحداً من المباحث في المطار، ثم ذهبنا بعد ذلك إلى القصر العينى، وفي المساء سمعت ضجيجا، كانوا يأخذون حمزه البسيونى ليرجعوه إلى الواحات.

وانا لا اعرف اى تفاصيل عما حدث من الأحداث(*)، او كم هي المدة التي نمتها، وظللت هكذا لا اعرف حتى افرج عن الناس بعدها بسنة. وكان وزنى وصل ٤٥ كيلو على جثة صفراء تماما، غير قادر على المشي حتى للذهاب إلى التواليت، وكان احد اقاربنا أستاذا بكلية لطب.. فاحضر العديد من الأطباء، وقالوا لي انه سيتم الإفراج عني، وقعدت في القصر العينى ثلاثة ايام، حتى مضى ورق الإفراج زكريا محيى الدين، و كان في الإسكندرية، فبعثوا له المذكرة، وجاءت الموافقه بالتليفون، واهلي كانوا متاكدين انني ساموت: فانا كنت مريض بالالتهاب الكبدى الوبائى نتيجة الأكل في المعتقل، ولكن حسب ما سمعت من أهلي بعد ذلك ان د. محمد. اعطاهم املاً في شفائي. ثم سمعت جرس تليفون النوبتجية في الخارج، يرن رنة غير عادية: وفجاة دخل الضابط واقترب منى، وسلم على بحرارة وقال لى مبروك على الإفراج، وكان معي باستمرار والدي ووالدتى، وقال انتم احرار، هل اتعالج في القصر العينى ام اتعالج فى المنزل، وبالتاكيد اخترت المنزل. وفعلاً بدأ هذا الطبيب في علاجي، بالرغم من انه لم يكن هناك علاج لهذا المرض في هذا الوقت، واستمريت في السرير لمدة ثلاثة شهور بالكامل، وثلاثة اشهر اخرى اتحرك داخل المنزل... بدأت أتحرك، وخرجت بداية ١٩٦٣ وكان عمري في هذا الوقت تقريبا خمسة وعشرين سنة.

وبعد رحلة مرضي، كنت اتقابل في هذه الفترة مع زميلي نبيل حلمي. (في إنجلترا الآن، وكان يعمل في الـB.B.C)، كان قد خرج من السجن عام١٩٦٣، ورجع للجامعة، فكنت اقابله على البوفيه في الجامعة، ونقول لبعضنا، «يلا بنا نقعد على البورش»، فقد كان كل حلمنا. وكل كلامنا، وكل ذكرياتنا داخل المعتقل، بمعنى انني خارج السجن فقط هيكل خارجى، إنما كل وجدانى وكل تفكيرى داخل السجن.

واثناء هذه الفترة اتى لي احد الأعضاء ليناقشني في فكرة ان عبد الناصر سيعمل تنظيما وان هذا التنظيم يضم فيه طليعة الناس او التقدميين الاشتراكيين.

والذي عرض على الدخول في هذا التنظيم كنت احبه جدا، واحترمه ككاتب، وهوايضا كان يعتبرنى مثل ابنه، وبالتالى عندما طرح علي هذه الحكاية كان منصورا ان المسالة محسومة، وانه سياخذنني معه، وحاول إقناعي بان الاتحاد الاشتراكى هذا تنظيم سنناضل فيه ايضا، ولكن قلت له انا شايف ان هذا سابق لأوانه، وتحججت بانني صحيا مازلت لم أشف تماما.

(*) كل ما اتذكره اني سقطت من طولي، ولم اكن متماسكا، وكان بجواري د. رؤوف نظمى يقوم فقط بقلب جفن عيني وفي الصباح بعد فتح الزنازين فوجئت بجميع الأطباء الموجودين في المعتقل يحضرون إلي وامروا بنقلي إلى ما يطلق عليه المستشفي ولم ادر باى شيء بعد ذلك قيل انى اصبت بغيبوبة التهاب كبدى وبائى استمرت اكثر من ثمانية ايام، وكل ما عرفته بعد ذلك لم اشاهده ولكنى حكى إلى.

فما زلت غير متوائم مع الحياة في الخارج، فكل احلامي بالداخل كما قلت، فلم استطع ان اشعر باني شفيت تماما إلا بعد خروج الناس من المعتقل عام١٩٦٤.

حل الحزب :

كان الناس وهم داخل المعتقلات فاقدين للثقة فيما يطلق عليه التنظيم، ولكن هناك ثقة شخصية في بعضهم كاشخاص، اما التنظيم كهيكل فلا، لأن الناس كانت مقطعة بعض لدرجة انها فاقدة الثقة تماما، ورغم ذلك كانت فكرة الحل كفكرة مرفوضة نهائيا من الزاوية التنظيمية..والنظرية، فليس من حق اعضاء الحزب او ممن ضد الحزب ان يحلوا تنظيم للطبقة.

وبدأنا نسمع أن هناك اتصالات بالحكومة.. ومفاوضات تدور بين الحزب والحكومة، وفكرة الحل اصلاً فكرة بدا طرحها داخل المعتقل، وطرحت من قبل المنقسمين أو حدتو، وكان متبنيها في هذا الوقت عادل حسين، فهو اول من طرح فكرة المجموعة الاشتراكية في حدود سماعي، وحتى هذه الفكرة لم تكن تجد صدى داخل حدتو في البداية، وكانت طبعا مفاجاة في المعتقل، وهذه كانت بالونة اختبار، حتى بدات تتاصل داخل الحزب، والحق يقال لم يكن يوجد اى احد من الحزب بشقيه إذا شئنا الدقة العلمية، تدور هذه الفكرة في ذهنه، فقد كانت مستبعدة بالكامل، ومستهجنة جدا، وصعب طرحها على الآخر، ولكن من الواضح الجلي انه كان يوجد اتصالات تدور بين السجن في الداخل والوسطاء في الخارج، وكانت تاخذ اشكال سياسية، واشكال قرابة، او اشكال سياسية مدعية القرابة، وعلى فكرة كانت كل مجموعة تعمل اتصالاتها بشكل معزول عن الآخر.

وفي هذا الوقت قيل إن عبد الناصر كان مستعدا للتحالف مع الشيوعيين العرب بشكل عام في مواجهة. لولا موقف خالد بكداش من قضية الوحدة، وإعلانه ان الاستعمار المصري وهذا عمل حرجا شديد للشيوعيين المصريين.

وبعد الخروج من المعتقلات، بدات الناس كلها تتقابل وتجلس مع بعضها تتناقش، ولكن عدد قليل جدا الذي يمكن ان تتكلم معه عن اخبار التنظيم، وهل سيصدر بيانات قريبا، وماذا سيفعل؟.

وكان رقم واحد عند الناس هو البحث عن عمل-أكل العيش، وانشغلوا في مسألة التوظيف، وشعروا بأن الدنيا حدث فيها تغير كامل سواء في المجتمع أو نظرة الناس، وعبد الناصر يبلع الدنيا ولا مجال لأي كلام سوى أن الناس التي تعرفك تاريخيا هي التي تقف بجوارك، ولكن الجانب الأكثر فيها جانب شخصي احتراما للتضحيات.

وبدأ الكلام حول الطريق اللارأسمالي؛ ولم يكن أحد مدركا أن هذا تمهيدا لشئ إنما وجهة نظر، واجتهاد، ووقتها كان الطريق اللارأسمالي لا يُرفض أو يناقش. أما الحل فلا. بدليل أنه عندما انعقد كونفرس قبل الحل لاتخاذ القرار، كانت الناس التي حضرت مختارة، ولم أُدع وقرأت البيان في الجرائد مثل أي مواطن عادي، ولم أسمعه فى الكواليس، لأن معظم الذين حضروا الكونفرس لم يقولوا لأحد من أجل الأمان، وعندما عادوا لم يكن يستطيعون أيضا أن يقولون لأحد حتى لا يحسب عليهم، بما فيهم أعضاء اللجنة المركزية، وسمعت من أحد الأصدقاء الحاضرين أن معظم الذين حضروا لم يكونوا موافقين.

الطابع الانقسامى للحركة

رأيى أن الطابع الانقسامى للحركة كان نتيجة نشأتها على يد الأجانب، وبالتالى ليست مبرأة من التدخلات الأجنبية، والاستعمار الإنجليزي بالذات كان يعتمد على أن يمتص الحاجات، ومصر دائما مغرية لتدخل الغير، فهي ليست صغيرة، وتجربة حزب ٢٤ كانت خطيرة، ففي فترة قليلة أمكن السيطرة على تحريك قوى كثيرة عملنا لو كانت استمرت لكانت الدنيا تغيرت، ولدى سؤال دائما أسأله لنفسى ولم أجد له إجابة هو لماذا كان السوفيت بعيدين عنها هل كانوا يؤكلونها لليهود؟؟

فكما نعرف البداية كلها أجنبية، وبالتالي كانوا أساتذة للمجموعة المصرية التي اشتركت معهم، ومن وجهة نظري من قبيل الأمانة، عندما وجد مصريون يفكرون بشكل مستقل، لم يكن لهم علاقة بالأجانب. وتقييما للأمور، وإحقاقا للحق، يمكن أن تكون بداية مجموعة الفجر الجديد مختلفة، وإن كانت وسطهم يهود، ولم يكن هناك أي نوع من العمل الوطني بالرغم من أنهم كانوا داخل الطليعة الوفدية، ولم يكن يوجد أى نوع من الخلق النظري الماركسي، الخلق التحليلي للواقع المصري الجرئ المعتمد على نظرية جديدة للعالم التي عملته الراية. كلها أشياء في احتضان أجنبي، وما يقوله الأجنبي؛ التنظيرات الأجنبية، خلافات شخصية بينهم، يمكن أن تكون آمالهم حسنة، ونواياهم عظيمة ويريدون أن يعملوا أشياء كويسة، ولكن يدخلون يتبخرون.

انا لا ابرئ هذه الأشياء ولا افترض فيها حسن النية، كنت في البداية اندهش كيف لشخص ان يحبس في قضية ليس مقتنعا بها، ولكن اكتشفت ان بعضهم كان محبوسا لحساب البوليس، والأمن، لذا رايي ان النشاة الأجنبية هى السبب، فلو ان الوقت كان فيه متسعا، كان ممكن للناس المعادية او التي لا توافق على وجود اليهود ان تعمل شيئا، وليس الراية فقط، كان يمكن ان توجد وحدة بينهم.

وبالنسبة لي الوحيد في اليهود الذي احترمته جدا هو ريمون دويك والمحامى شحاتة هارون، فهو رجل لم يسلم وظل يهوديا كما هو، فالحقيقة لم يعجبني الذين اسلموا.

ازمة الحركة الشيوعية

عدم الارتباط الجيد او العضوي بالجماهير، حيث ظلت الحركة الشيوعية حركة وسط مجموعة المثقفين في الأساس ولم تنتقل بعد للارتباط بالحركة العمالية المفروض ان ترتبط بها ناهيك عن انها لم تقترب من الفلاحين السواد الأعظم من مصر . واعتقد هذا نتيجة الضربات الملاحقة للامن. إنما هذا لا ينفي ان الحركة الشيوعية المصرية هي التى بشرت بالاشتراكية والعدل الاجتماعي وبالمساواة وكل المكاسب التي يحصل عليها الشعب المصري منذ ٢٣ يوليو حتى الآن. وحتى الآن بعد الخصخصة... لم تستطع السلطة ان تتخلص من هذا.

وبالنسبة للشهداء

انا متاكد انه لا يوجد حصر كامل بهم، لعدة اسباب منها ان البعض يسقط منه الأسماء، والبعض الآخر يتعمدون إسقاط الأسماء. واناس يعتبرون البعض شهداء، وآخرين يعتبرونهم ليسوا شهداء، وانا شخصيا عندما كتب طاهر عبد الحكيم كتاب "الأقدام العارية"، انا احتججت لدار النشر بالرغم من انه لم يتجاهلني بل كتب فصلا عني، إلا انه لم يكن معتبرا شهدي عطية الشافعي شهيدا!.

شهادة

بدر محمد رضوان

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : بدر محمد رضوان

محل وتاريخ الميلاد : ١٩/٧/سنه ١٩٣٢ بندر اسيوط

المــؤهــلات : ليسانس الحقوق عام ١٩٧٢.

المــهــنــة : والعمل بشركة كهرباء الإسكندرية ثم العمل بحى شرق الإسكندرية ثم حى المنتزة، ومنذ إحالتى إلى المعاش عام ١٩٩٢ أقوم بمباشرة الأمال القانونية.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : عشرون عاماً أننى إرتبطت بالحركة الشيوعية فى اليوم التالى لإعدام خميس والبقرى عام ١٩٥٢.

فترة السجن والاعتقال : الحبس فى المدة من ١١/٢ سنه ١٩٥٥ إلى ٢١/١١ سنة ١٩٥٦ تنفيذ لحكم صدر بالحبس سنة ونصف وغرامة خمسين جنيها. وإعتقال من المدة من ١/١ سنه ١٩٥٩ إلى إبريل سنه ١٩٦٤، وإعتقال فى المدة من ٢١/٤ سنه ١٩٦٧ إلى ١٩/١١ سنه ١٩٦٧ بالسجن الحربى عن طريق المخابرات.

بيانات عائلية :

كان الوضع الطبقى الذى نشأت فيه ومهنة والدى هما اللذان حددا توجهى السياسى. كان والدى يعمل كواء وكان محله بشارع الخزان سابقا والجمهورية حاليا بأسيوط، وكان بالشارع مساكن كبار عائلات واثرياء اسيوط، وكان جزء لا بأس به من تلك العائلات يتعامل مع ابى، الأمر الذى اتاح لى دخول قصور وفيلات الأثرياء فى صحبة صبية المحل عند إرسال الملابس بعد كيها مما أتاح لى فرصة الإطلال على حياة أخرى غير الحياة التى تعيشها اسرتى وجيراننا الفقراء فى منطقة من افقر مناطق اسيوط، وكانت تسمى فى ذلك الحين جنينة ويصا، وهى جزء من حى كوم عباس التحتانى حيث كانت حالة أسرتى الفقيره أملاً لا ينال بالنسبة لكثير من جيراننا الفقراء الذين كانوا لا ياكلون اللحم إلا فى الأعياد بل ونادرا ما كانوا لايستطيعون ذلك. لقد

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضوا لجنة التوثيق.

كانت حياة الكدح التى يعيشها والدى لإعالة أسرة مكونة من ثمانية افراد، وإحساسى باحوال من حولى من ابناء الحاره، ورؤيتى لمظاهر الثراء، كل ذلك حفر فى وجدانى إحساسا عميقا بالظلم، خاصة واننى كنت ارى والدى يشقى ويتعب من صباح اليوم إلى مسائة مقابل اجر ضئيل بالرغم من ان والدى كان يتميز باسعار اعلى من غيره نظراً لإتقانه مهنته.

وبحكم موقع محل والدى فى ذلك الشارع كانت بعض الأسر تكلفه بشراء الجرائد والمجلات خاصة وقد كان بالشارع بعض الشخصيات السياسية كاعضاء بمجلس النواب او مجلس الشيوخ، وكان والدى مهتما بالسياسية ولذلك كان يطلب منى منذ تعلمت القراءة فى مراحل الروضة ان اقرا له الجرائد وهو يقوم بالعمل، وكنت خلال القراءة اساله عما لا افهم او يغمض على وكان يجيبنى حسب ما لديه من معلومات وقد كانت معلوماته كثيرة بالنسبة لشخص فى ظروفه وذلك لأن عددا من أصدقائه منهم من كان يعمل سائقا لدى عضو بمجلس الشيوخ ومنهم المدرس ومنهم مدير حسابات مجلس المديرية ومنهم وكلاء محامين كانوا يلتفون أمام محله بالتتابع يوميا فى شبه ندوة غير مرتبة او محدة ويتناقشون مع والدى فى أمور الحرب العالمية الثانية التى كانت مشتعلة فى ذلك الوقت، وكان يوجد اتجاهان داخل اولئك الأصدقاء، اتجاه يؤيد الألمان باعتبارهم محررين للشعوب المستعمرة، وكان هذا الاتجاه يرى ان الألمان يخوضون الحرب من اجل تحرير تلك الشعوب نكاية فى إنجلترا، وكان ابى على راس هذا الاتجاه، وقد كانت لديه مشاعر وطنية فياضة وإيمان بسعد زغلول وعرابى ومصطفى كامل، وكان الاتجاه الآخر يناصر الإنجليز على اساس ان الألمان يسعون إلى إخضاع الشعوب ولا يسعون إلى تحريرها.

وفى هذا المناخ بدا إهتمامى بالسياسية حيث كنت أستمع لكل الآراء، وبعد ان ينفض السامر اقوم بسؤال والدى ما يعن لى من اسئلة وعما يغمض على، واستمر الحال هكذا إلى ان بدات تظهر فى الأفق اخبار انتصار الجيش الأحمر وتقهقر الألمان امام الروس، كنت اقرا ان روسيا شيوعية، وسالت والدى فى ذلك الوقت ما هى الشيوعية؟ فأجابنى بأن الفقراء فى روسيا قاموا بذبح الأغنياء واقتسموا الثروات بالتساوى فيما بينهم واصبحت الحكومة من الفقراء، ولقيت هذه الإجابة برغم عدم دقتها وبرغم رفضى

لفكرة الذبح هوى شديداً فى نفسى، وتفجر لدى حب لا أستطيع تقديره لتلك الشيوعية لأنها حققت العدل بين الناس، والعدل الذى أراه ذبيحاً فيما حولى من ظروف، وأحسست فى ذلك الوقت، وكنت فى نحو الثانية عشرة أن فى الشيوعية خلاص شعبى.

وفى مايو ١٩٤٤ وضعت الحرب العالمية أوزارها، وانتهت بهزيمة ألمانيا وبزوغ نجم الاتحاد السوفييتى والرفيق ستالين الذى كان يمثل الأمل القادم من الشرق لفقراء أسيوط، وكثيراً ماكنت تسمع صيحة رجل من الرجال العاديين عندما يرى واقع الظلم أو واقع الثراء الفاحش "بكره ييجى أبوشنب وكل شىء يبقى تمام "أو" فينك يا أبو شنب، تعال خلصنا، وكان أبوشنب هذا هو الرفيق ستالين الذى ملك حبه فؤادى منذ ذلك التاريخ البعيد حتى اليوم، برغم كل ما أثير حوله من قذف وسب على نطاق الحركة الشيوعية المصرية، ولدى القدرة لمناقشة هذا الموضوع والدفاع عن شرف وثورية ستالين العظيم برغم كل شىء.

لقد بدأ هذا الوعى يدفعنى للانخراط فى الحركة الوطنية فى عامى ١٩٤٥، ١٩٤٦، وبدأت أشارك فى المظاهرات فى مدرستى بشكل فعال وأشارك فى تنظيمها، ولأننى لم أكن أعرف طريقاً إلى الشيوعيين فى أسيوط فقد كنت وفديا بالسليقة إلى أن بدأت تظهر فى الخمسينيات جرائد الملايين والكاتب ومصر الفتاة وغيرها والتى كنت أقرأها وأقتنيها وأنشر مبادئها عل جدران الفصول بالمدرسة، وفى تلك المرحلة التقيت بعناصر من حزب مصر الفتاة الذى أصبح الحزب الاشتراكى فاشتركت فى لجنة القسم الخاصة بالحزب بمدينة أسيوط، ولكن سرعان ما تركت الحزب الاشتراكى لاكتشافى عدم مصداقية شعاراته وكان ذلك عام ١٩٥١.

وفى عام ١٩٥٢ حصلت على شهادة التوجيهية، وسافرت إلى الإسكندرية عند أخى الأكبر سيد الذى كان يعمل كواء بالإسكندرية، وكان سيد ومن حوله بعض أصدقائه عاطفين على منظمة "نواة الحزب الشيوعى المصرى" التى أدرك أحد أعضائها العاملين والذى كان مسئولا عن مجموعة العاطفين أننى أصلح لأن أكون عضواً فى المنظمة، وكان ذلك العضو هو محمود درباله عامل النسيج فى مدينة طنطا، وكان هاربا من حكم قضائى فى قضية شيوعية وتقوم المنظمة بحمايته وإعاشته فى الإسكندرية بمساعدة مجموعة العاطفين التى فيها أخى السيد، لقد عرف محمود درباله طبيعة شخصيتى

وادرك صلاحيتى للعمل التنظيمى من خلال قراءته للخطابات التى كنت ارسلها لأخى وأعبر فيها عن مشاعرى الوطنية ومشاعرى تجاه شعبى وما أطمح إلى تحقيقه فى المستقبل لفقراء هذا الشعب، وما كدت أصل إلى الإسكندرية يوم ١٦ يونيه ١٩٥٢ بعد فراغى من الامتحان إلا وكان الزميل محمد درباله فى انتظارى، وفى صحبتى منذ مساء ذلك اليوم، ولم افارق محمود درباله إلا عندما قبض عليه فى قضية اخرى، ولقد كان له الفضل فى تنقية الوعى الذى كان موجوداً عندى، وفى الكشف لى عن افكار النظرية الماركسية والفرق بينها وبين أفكار اشتراكية الدولية الثانية الخاصة بحزب أحمد حسين، وكان يقوم بكل ذلك فى بطء وتروى حتى لا اكتشف انه عضو منظم، واستمر هذا حتى صدر الحكم على مصطفى خميس والبقرى بالإعدام ففجر هذا الحكم مكنونات نفسى، وولد فى داخلى رغبة عارمة فى الانتقام الطبقى لهذين المناضلين الذين لم اكن اعرف عنهما إلا انهما عاملان. يومها تمنيت بصوت عال ان اكون عضوا عاملا فى التنظيم الثورى الذى يكافح ضد الحركة القائمة، ووقتها اخبرنى محمود درباله ان هذا التنظيم موجود وينتظرنى منذ ان كنت فى اسيوط ليستفيد من طاقتى الثورية وصدقى فى حب الفقراء، وعلى الفور انضممت إلى نواة الحزب الشيوعى المصرى وتم تسليمى لمسئول قام بتثقيفى وهو زميل مهندس يدعى ميشيل، وقد كان هذا الرفيق واسع المعرفة، وطريقته سلسه فى توصيلها، وانتظمت فى مقابلات معه مرتين او ثلاث فى الأسبوع، كان يشرح لى النظرية عن طريق محاضرات بسيطة ونحن سائرن على الكورنيش، فى البداية شرح لى المادية التاريخية ثم المادية الجدلية ثم شرح لى الاقتصاد السياسى، كل ذلك فى عملية ربط وثيقة بين التاريخ والجدل والاقتصاد، وكنت اناقش معه ما يصعب على فهمى من معلومات، وبعد ثلاثة اشهر تقريباً ابلغنى باننى أصبحت جاهزاً بالحد الأدنى من المعرفة بالماركسية واننى سانال العضويه بشرط الا افصح عن افكارى الجديدة لأى شخص، وانه لابد ان احتفظ بالسرية الكاملة لأن التنظيم قرر ان اعمل بالجهاز الفنى، وقد كلفنى ذلك الزميل بتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة فالتحقت بمدرسة للآلة الكاتبة بالإسكندرية ثم خصص لى سكن إستأجرته بمعرفتى وبمواصفات معينة، واحضرت لى آلة كاتبه لأقوم بكتابة مطبوعات المنظمة حيث كان قد تقرر نقل الجهاز الفنى للمنظمة من القاهرة إلى الإسكندرية لدواعى الأمان، كما أسند إلى تدبير أماكن السكن للزملاء الهاربين إلى مدينة الإسكندرية.

كان هذا الإطار الذى وضعت فيه ضيقا بالنسبة لطبيعة شخصيتى التى تميل إلى الأعمال الجماهيرية منذ أن شاركت فى مظاهرات أسيوط، وكنت أميل إلى العمل العلنى، ولكن صدرت لى التوجيهات الحازمة بأن أحافظ على الأمن وبعد الدور الذى قام به معى الزميل ميشيل أصبح مسئولى الرفيق شعبان حافظ الذى كان مسئول الأجهزة الفنية فى التنظيم، وقد علمنى كثيرا جدا، كنت ألتقى به بشكل يكاد أن يكون يوميا.

وتعلمت منه فكريا وتنظيميا وإنسانيا- لقد كان لذلك الرفيق دور كبير بالنسبة لى المطبوعات التى كان يصدرها التنظيم ، ومن خلال عملى فى طباعة مطبوعات التنظيم أعرف أن تنظيم نواة الحزب الشيوعى المصرى كان له لائحة داخلية وبرنامج واستراتيجية.

وكان التنظيم يصدر مجلة "النصر" وهى المجلة الجماهيرية التى توزع على الأعضاء وغير الأعضاء، وكان له نشره داخلية هى "إلى الإمام" وكانت مخصصة للصراع الفكرى داخل التنظيم وعلى نطاق المنظمات الشيوعية فى مصر، وقد تم طبع كتاب حول الديكتاتوريه العسكرية وكان ذلك على الآلة الكاتبة وبعنوان "لجان المقاومة".

موقف نواة الحزب الشيوعى المصرى من المنظمات الأخرى

كانت "إلى الأمام" تناقش باستمرار مواقف المنظمات الشيوعية الأخرى الموجودة بمصر، وتناقش أطروحاتها الفكرية والسياسية، وكانت تعارض مفهوم منظمة الحزب الشيوعى المصرى "الراية" الذى يقول بأن الحكومة القائمة - حكومة حركة يوليو- فاشية، وقد قامت "إلى الأمام" بعملية عرض تاريخى للفاشية سواء فى ألمانيا أو إيطاليا والظروف الإقتصادى التى أدت إلى قيامها كممثل للاحتكارات الأشد ضراوة فى مجال الاقتصادة الألمانى والإيطالى، وكانت "إلى الأمام" تفعل ذلك من منطلق الحرص على التحديد الدقيق للعدو الطبقى حيث كانت "إلى الأمام" ترفع على صفحتها الأولى "إنه لكى لا يخطىء المرء فى سياستة يجب أن يضع نصب عينيه صراعه الطبقى وهى إحدى مقولات ستالين العظيم التى كانت ميزانا لكل تحليلات النواة الفكرية، والتى غرست فى أيديولوجيات أعضائها، وكان هناك تقارب سياسى فى الموقف من الحكومة

العسكرية بين النواة ومنظمة النجم الأحمر، ومنظمة نحو حزب شيوعى مصرى حتى إنه تم عمل لجنة تنسيق بين المنظمات الثلاث فى العمل الكفاحى اليومى سواء كان سياسيا أو ثقافيا، أما عن منظمة طليعة العمال فكانت التوجيهات تصدر لأعضاء النواة، بالعمل المشترك مع اعضاء منظمة طليعة العمال وذلك فى العمل النقابى، وبالنسبة للحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى "حدتو" فقد كانت الهدف الأول للحرب الفكرية، التى تشنها النواة، باعتبار تلك المنظمة وأقصد "حدتو" حليفة للنظام الحاكم العسكرى، ومنبراً إنتهازيًا منحرفًا داخل الحركة الشيوعية.

موقف نواة الحزب الشيوعى المصرى من حركة الجيش عام ١٩٥٢

لم تهاجم النواة حركة الجيش عندما قامت، ولكنها وضعت برنامجا طالبت الحركة بتنفيذه، ولم يكن به كلمة هجوم واحدة، وكان البرنامج يتمثل فى طلب إطلاق الحريات الديموقراطية بما فيها حرية تكوين الأحزاب وحرية الصحافة والاجتماع والتظاهر، وإصدار قانون للإصلاح الزراعى وتوزيع الأرض على الفلاحين دون مقابل طبقًا لمبدا الأرض لمن يفلحها وإجراء انتخابات لاختيار جمعية تأسيسية لوضع دستور ديموقراطى يطرح للاستفتاء الشعبى مادة مادة، والإفراج عن جميع المسجونين السياسيين بمن فيهم الشيوعيين وإغلاق المعتقلات وحرية تكون النقابات واستقلاليتها.

وعندما قامت حركة الجيش بإعدام خميس والبقرى صدر اول بيان يهاجم حكومة الضباط ويتهمها بالعمالة لكبار الراسماليين والاستعمار، وبدا التكتيك السياسى للمنظمة يتغير طبقا لهذا الوضع معبرا أن حكومة الجيش ديكتاتورية عسكرية قامت فى احضان الاستعمار لقمع حركة الشعب، وطالبت المنظمة الجماهير بمقاومة هذه الحكومة وإسقاطها، وإقامة حكومة وطنية ديموقراطية (حكومة جبهة) هذا على المدى القصير، وعلى المدى البعيد كانت المنظمة ترى ان قيام حكومة وطنية، وتمتع الجماهير بالحريات كاملة سيساعد الطبقة العاملة على قيادة بقية الطبقات المتمثلة فى الفلاحين والبرجوازية الصغيرة من طلبة وموظفين وذلك للمضى إلى تحقيق الاشتراكية، اى ان المنظمة كانت ترى أن الهدف الإستراتيجى هو الثورة الاشتراكية، ثورة واحدة لاثورتين.

الموقف من أزمة مارس ١٩٥٤

فى ٥ مارس ١٩٥٤ فاجأنا مجلس قيادة الثورة ببيان عودة الجيش لثكناته وإطلاق الحريات الديموقراطية وإصدار دستور، وغير ذلك من قرارات، الأمر الذى فجر الحركة الشعبية الديموقراطية فى الجامعات والمصانع، وبدأت الجماهير سواء فى مؤتمرات الجامعات او مؤتمرات العمال وفى التجمعات الأخرى بالالتفاف حول شعارات ٥ مارس الديموقراطية، واستمر ذلك اكثر من عشرة أيام والجماهير فى أوج حماسها لتلك القرارات، وفى نهاية هذه الفترة ظهرت مقولة خبيثة تسربت إلى المؤتمرات والمناقشات الدائرة، فى وسائل النقل بين الناس العاديين أو فى المقاهى، وفحوى هذه المقولة الخبيثة أنه من الخطر رجوع الجيش إلى ثكناته فى ذلك الوقت والإنجليز فى القنال، وأنه لابد وأن يبقى الجيش فى الحكم حتى يطرد الإنجليز، وراحت هذه المقولة تنمو شيئا فشيئا إلى أن رفعتها مظاهرات عمال النقل وبعض مظاهرات عمال النسيج الصغار وذلك فى مظاهرات ٢٥ مارس وفى الإضراب الشهير الذى قاده النقابيون الصغيرة أمثال انور سلامه فى مجال النسيج والصاوى وشركاؤه فى مجال النقل، وبذلك تحولت المقولة إلى شعار للتنفيذ قام بتنفيذه جمال عبد الناصر بعد أن التف حول محمد نجيب وحدد إقامته، وقيد حركة خالد محى الدين وسلاح الفرسان كما هو معروف إلى أن قام بإبعاده إلى سويسرا.

وكان موقف منظمة "نواة الحزب الشيوعى المصرى" فى خلال معركة مارس هو تكليف أعضائها فى كل مجال بالتوجه إلى الجماهير بشعارات ٥ مارس والديموقراطية، والتأكيد عليها والمطالبة بانتخابات الجمعية التأسيسة والدستور الذى يستفتى عليه الشعب مادة مادة، ومقاومة شعار بقاء الجيش فى الحكم حتى يكمل طرد الإنجليز وذلك بالقول بأن الجيش كان موجودا بالسلطة منذ ١٩٥٢ فلماذا لم يقم بطرد الإنجليز؟

الموقف من تأميم القناة والعدوان الثلاثى:

عندما انعقد مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ كنت فى سجن الحدراء بالإسكندرية، وبعد أن تناقشنا أنا وزملائى قمنا بإرسال برقيات إلى جمال عبدالناصر نؤيد فيها بيان المؤتمر، وحدث نفس الشىء عندما عقدت صفقه الأسلحة التشيكية، وبعد ذلك وقع الحدث الأعظم وهو تأميم قناة السويس فقمنا بتأييد قرار التأميم، وحين وقع العدوان الثلاثى، وكنا بالسجن أنا وعدد من الزملاء كان لنا موقف مشرف إذ ارسلنا برقية لعبد

الناصر نطلب فيها السماح لنا بالتطوع فى المقاومة ونتعهد فيها بتسليم أنفسنا إلى سلطات السجن بعد النصر إذا ما فاتنا شرف الاستشهاد، وهذا مسجل فى محضر جلسة القضية التى كنت متهما فيها انا واخى السيد، وكذلك فى قضية الزميل محمد احمد عويضة إذ نظرت القضيتان فى جلسة واحدة.

وحدة النواة مع منظمات أخرى

فى عام ١٩٥٥ تمت الوحدة بين منظمة النواة والحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى، والنجم الأحمر، ونحو حزب شيوعى مصرى، وعمالية ثورية، وطليعة الشيوعيين، وكانت هناك مفاوضات جارية بشأن الوحدة منذ بداية العام، ودخلت انا السجن لأول مرة فى فبراير سنه ١٩٥٥، ولم اكن قريبا مما حدث إلا انه تسربت لنا اخبار ونحن فى سجن الإسكندرية بأن الوحدة قد تمت واعلن قيام الحزب الشيوعى الموحد من تلك المنظمات، وصدر لنا تكليف نحن مجموعة الإسكندرية الموجودة بالسجن بالانخراط فى تنظيم واحد، وكنا عددا من أعضاء النواة وعددا من أعضاء الحركة الديموقراطية، جاءتنا هذه التكليفات عن طريق الرفيق لويس بقطر الذى جاء إلى السجن فى ترحيلة من سجن مصر إلى محكمة الإسكندرية فى قضية النواة التى قبض عليه فيها عام ١٩٥٤، واصدر لى الرفيق لويس تكليفا شخصيا بان اكون مسئولاً عن التشكيل الموجود بسجن الإسكندرية، وظللنا بالسجن لا نعرف اى اخبار عما تم بشأن هذه الوحدة أو عن المواقف السياسية الجديدة بالنسبة للحكومة إلى ان عقد مؤتمر باندونج واتخذنا بشكل ذاتى الموقف الذى أشرت إليه.

وبعد الإفراج عنى فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ التقيت بزملائى فى الخارج، وعرفت تفاصيل ما تم بالنسبة للوحدة وما قام به أعضاء اللجنة المركزية الذين كانوا موجودين بالخارج وعلى رأسهم محمود أمين العالم وبهيج نصار من المسارعة بالوحدة بعيدا عن الأسس التى كان تنظيم النواة يحددها للوحدة، وقتها كان موقف التنظيم فى ذلك المجال محكوما بشعار الرفيق لينين "لكى نتحد ومن اجل ان نتحد يجب ان تكون هناك حدود فاصلة" كان هذا الشعار هو المرشد والموجه لحركة التنظيم فيما يتصل بعلاقته بالتنظيمات الأخرى.

لقد تمت الوحدة وقسم آخر من اللجنة المركزية فى معتقل ابو زعبل وعلى راسه فوزى جرجس قلب تنظيم النواة الناجح وعقلها المفكر، وقد فرضت على هذا القسم توجيهات أعضاء اللجنة المركزية الموجودين خارج السجن بالتوحد مع باقى التنظيمات وذلك طبقاً للعرف الثورى بأن قيادة الخارج لاقيادة السجن هى التى تطاع وعلمت بعد ذلك بما حدث فى معتقل ابو زعبل من صراعات فكرية بين تيار فوزى جرجس وتيار الحركة الديموقراطية فى داخل الحزب الموحد، وانتهى الأمر إلى وجود تكتل تنظيمى كان فيما بعد الإفراج وفى بداية عام ١٩٥٧ أساس قيام منظمة طليعة الشعب الديموقراطية كامتداد للفكر الثورى الذى حملة منظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى.

وبقيت أنا فى الحزب الشيوعى المصرى الموحد، وفى أحد الاجتماعات سألنى المسئول السيد حسن عبده عما تم بالنسبة لشخص كنت افكر فى اقتراح ترشيحه واقوم بمناقشته فقلت إننى افضل التروى بالنسبة له حتى أثق تماما فسئلت عما إذا كنت اشك فى أنه يمكن ان يكون عنصرا بوليسيا فقلت وما المانع فى ان يكون كذلك، على ان استمر معه ولا يدخل الحزب حتى يكون موثوقا فيه فقال الزميل المسئول إنه يمكن لهذ الشخص ان يدخل الحزب حتى ولو كان عنصرا بوليسيا لأننا فى جبهة مع الحكومة، وصعقت لهذا القول، واثير الموضوع مع الزميل ميشيل الذى علمنى الماركسية وادين له بالكثير، واذهلنى ان يؤيد الزميل ميشيل قول المسئول فأعلنت استقالتى من الحزب. وفى عام ١٩٥٨ انضممت إلى منظمة "طليعة الشعب الديموقراطية التى اعتبرها امتدادا ثوريا لمنظمة "نواة الحزب الشيوعى المصرى".

وفى عام ١٩٥٨ دخلت منظمة طليعة الشعب الديموقراطية فى وحدة مع منظمة "وحدة الشيوعين" وتكونت منظمة "الطليعة الشيوعية" وإن كانت منظمة وحدة الشيوعين لم تدخل الوحدة فعليا. وفى ١/١/سنه ١٩٥٩ تم اعتقالى فى عملية الاعتقالات الأولى.

موقف طليعة الشعب الديموقراطية من سياسات الاتحاد السوفيتى

كان التنظيم يؤيد سياسات الاتحاد السوفيتى، وبعد صدور قرارات المؤتمر العشرين التى كانت تتضمن إدانة للستالينية ايدها التنظيم على مضض، ولكن بعد إصدار الصين لكتيب "مزيد من خبرة ديكتاتورية البروليتاريا" والذى كان ينظر إلى مواقف ستالين

نظرة موضوعية ايد التنظيم وجهة النظر الصينية.

مصير منظمة الطليعة الشيوعية

فى الواحات وفى يناير ١٩٥٩ بدات تثار من جانب الزملاء محمود المنسترلى وحسنى تمام وعادل كامل أقوال حول تسلط شخصية فوزى جرجس على التنظيم وتشبثه بآرائه فيما يتصل بالوحدة مع حزب ٨ يناير وقد كان محمود المنسترلى وحسنى تمام يجريان مناقشات مع مسئولين فى ذلك الحزب ثم طرحت فى الاجتماعات فكرة الوحدة مع حزب ٨ يناير بدعوى إنه أجرى تعديلات فى تحليله للطبيعة الطبقية للحكومة العسكرية، فتم التخلى عن فكرة منظمة الراية الخاصة بالفاشية وكذلك فكرة الحليف الصديق الذى كانت تحمله بقايا الحركة الديموقراطية داخل الحزب وتم اعتناق فكرة أن حكومة عبدالناصر تمثل الشواشى العليا من البراجوازية الكبيرة وبذلك اقترب مفهوم الحزب من مفهوم الطليعة الشيوعية التى تذهب إلى ان سلطة عبدالناصر تمثل البراجوازية الكبيرة، واشتد الخلاف بين فوزى جرجس ومن معة مثل نجاتى عبد المجيد ومحمود عزمى وبين ثلاثى حسنى تمام ومحمود المانسترلى وعادل كامل الذين كان قلبهم مع حزب ٨ يناير، وتفاقمت الخلافات وطفى على سطحها موضوع حمدى حمدان الذى كان عضوا باللجنة، المركزية سابقا واثيرت حوله شكوك الريبة والضعف، واتهم فوزى جرجس من الثلاثى المذكور بالدفاع عند حمدى حمدان وقد انتهت الشكوك باتهام حمدى حمدان بالبوليسية دون دليل واقصى، وابعد من التنظيم وافرج عنه نظرا لقرابته لكمال رفعت أو لبوليسيته والله أعلم".

واستطاع ذلك الثلاثى أن يكسب إلى جانبه الرفيق شعبان حافظ الذى كان مناضلاً مخلصا للثورة والشيوعية ولكنه كان عاطفيا، كما انضم إلى ذلك الثلاثى الزميل عادل حسونة، واعلنت هذه المجموعة انها الطليعة الشيوعية وأن فوزى جرجس ومن معه. -وكنت أحد أعضاء مجموعة فوزى جرجس . لا يمثلون الطليعة اعتقد ان سبب اتجاه وموقف مجموعة محمود المانسترلى وحسنى تمام يرجع إلى الإحساس بالدونية، بضآلة التنظيم الصغير فى مواجهة تنظيم كبير به حشد من المثقفين والشك فى ان نكون نحن على صواب والتنظيم الكبير على خطأ، وللتاريخ وللحقيقة قد غاب عنا فوزى جرجس فاتنى اشهد ان فوزى جرجس كان الكادر الشيوعى الوحيد فى الحركة الشوعية من

قمتها إلى قاعدتها، وقد كانت أفكاره فى مجموعها صحيحة، وكانت تحليلاته صادقة ومخلصة، وقد أثبتت التطورات بعد ذلك صدق تحليلات فوزى جرجس وصدق آرائه الشخصية التى كان يخشى الإعلان عنها فى بعض الأحيان، وقد كان يسرلى بأفكاره حيث كنت قريباً منه ويجاور فراشه فراشي وأتكلم معه كثيرًا، وأناقشه كثيرًا خاصة فى الأفكار التى يهاجم بسببها سواء داخل التنظيم أو خارجه.

وتم الإفراج عنا، وكان الوضع التنظيمى بالنسبة لكل التنظيمات آخذًا فى التميع إلى أن حل حزب ٨ يناير نفسه ثم تلاه حزب الحركة الديموقراطية الذى فوض كمال عبد الحليم فى أخذ قرار الحل إذا شاء فقام بإعلان الحل، وتبعثرت بقايا الطليعة الشيوعية الملتفة حول فوزى جرجس كأحد توابع الزلزال العظيم الذى أنهى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية هذه النهاية الدرامية.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

إن فشل الحركة الشيوعية المصرية فى تحقيق هدفها وهو تكوين حزب شيوعى مصرى واحد مرتبط بالجماهير وقادر على إنجاز المهام الثورية الملقاة على عاتقه خاصة وأن مصر كانت حبلى بالثورة الحمراء فى الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين يرجع فى تقديرى إلى سبب أساسى وهو نشأة الحركة الشيوعية منذ بدايتها منقسمة، وهذا أمر يحيطه الغموض لأن الذين قاموا بإنشاء المنظمات الشيوعية الثلاث التى انبثقت منها بعد ذلك الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى وطليعة العمال كانوا من الأجانب ومن اليهود فلماذا لم يتفقوا وهم قريبون من بعضهم ثقافة وهوية وجنسية على إنشاء منظمة واحدة على أن يكون الصراع الفكرى سبيل توحد أفكارهم فى داخل المنظمة الواحدة خاصة وأن تراث الحركة الشيوعية عالميًا يشير إلى هذا الطريق؟

وبالنسبة لفشل التنظيمات التى انشقت على الحركة الديموقراطية مثل العصبة الماركسية ومجموعة "الراية" وغيرهما فى شق الطريق الصحيح للحركة الشيوعية المصرية وتكوين الحزب الشيوعى المصرى الحقيقى والثورى هو أن أبطال تلك الانشقاقات كانوا يعبرون عن أفكار ذاتية ترجع إلى معايير ذاتية أيضًا دون أن يصاحب

ذلك عمل نشط للارتباط بالجماهير، وقد يكون ذلك بسبب عجز مادى أو انهم عندما كانوا فى داخل الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى كانوا بعيدين عن التنظيمات والتجمعات العمالية، ومن ثم تحولت تلك المنظمات المنشقة إلى منابر للمقولات النظرية اكثر منها منابر لقيادة الحركة الواقعية للجماهير ولذلك ظلت منعزلة عن الجماهير.

واعتقد أن العامل الأساسى الذى أدى إلى الحل هو أننا ظللنا فى المعتقلات سنوات طويلة منعزلين عن حياة شعبنا بلا أمل فى الخروج منهكين بسبب الاعتقال والتعذيب وسوء المعاملة، ولذلك عندما بدأت سلطة عبدالناصر فى التفاوض مع بعض القيادات للخروج ودخول التنظيم الطليعى مع تمسك الشيوعيين بأفكارهم باستثناء موقفهم من الدين شكل هذا أملاً وطريقا للعمل دون التخلى عن الفكر الخاص.

شهادة

روحية الساعي

البيانات الشخصية

الاسم : روحية عبد اللطيف الساعى

السن ومحل الميلاد : ٧٠ سنة - المنصورة - قرية بطرة - مركز طلخا.

المؤهلات : تركت المدرسة وأنا فى الصف السادس الابتدائى، ولم أكمل تعليمى

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٦ سنة.

بيانات عائلية :

أنا أخت سعد الساعى أحد أعضاء الحركة الشيوعية، وزوجة المغفور له : إبراهيم عبد الجابر، وهو أيضاً من أعضاء الحركة الشيوعية.

بدايات القراءة :

كنت أحب القراءة كثيراً، وكانت أسرتى تأتى بمجلة الرسالة لأقرأها داخل الحجرة حيث كنا نسكن فى حجرة فوق السطوح، وذات مرة دخل على أخى محمد ووجدنى أقرأ كتاب الرباط المقدس، فأخذه منى وحرقه ومنعنى من قراءته وقال لى : إنه لا يصح أن أقرأ مثل هذه الأشياء، ومنذ ذلك الوقت صممت أن أقرأ كل شئ دون علمهم فكنت آخذ كتب سعد، والنشرات، وأقرأها وهم غير موجودين.

ومشيت طريقاً طويلاً فى القراءة وحدى، حتى أننى كنت أنتهى من قراءة الكتاب فى يومين.

كيفية الانضمام للحركة الشيوعية :

ولدت فى المنصورة، وعشت بها ١٢ عاماً، ثم ذهبت إلى الإسكندرية مع إخوتى سعد، ومحمد، حيث كانا يدرسان بالجامعة. سعد فى كلية الآداب، ومحمد فى كلية العلوم. وظللت بالإسكندرية خمس سنوات، فى ذلك الوقت لم تكن البنات تأخذ حقها فى التعليم، فلم أكمل تعليمى مثل أخوتى، لكنى كنت أقرأ كثيراً، خاصة مجلة الرسالة، فقد كنا عائلة تحب القراءة.

وكان أبى معلماً، يأتى إليه التلاميذ ليتلقون الدرس، فأجلس معهم وأتعلم.

كنت منذ البداية متمردة، غير مقتنعة بأفكار أن البنت مكسورة الجناح ولابد أن تنتظر

---

* أجرت الحوار حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

بالبيت حتى يأتى إليها ابن الحلال ليتزوجها.

كرهت هذه الأفكار لدرجة أننى كنت أضرب وأسب كل من يقول لى «إنت بنت» خاصة وأننى نشأت بنتًا وحيدة مدللة. فقد كان أبى يدللنى كثيراً وعندما كنت أغضب ممن يقول لى : «يابت»، كان أبى يهدئ من نفسى ويقول لى : «اللى يقولك يابت، ماترديش عليه، إنت ستهم. ده أنت لوكنت أخدت فرصتك كنت بقيت أحسن منهم».

كانت أمى ترفض تعليمى، حتى لا أخرج من البيت كثيراً، لدرجة أنهم كانوا يخبوننى فى الإسكندرية، ولا أنزل من البيت حتى لا يرانى أحد، لذلك كنت أقرأ وأكتب من نفسى.

لم يكن لأخى وزوجى تأثير على تكوين شخصيتى بقدر ما كان لأبى، فقد علمنى أبى كيف أكون شجاعة لا أخاف، وكيف أحافظ على كرامتى، وأتحمل المسئولية فكان يحملنى مصروف البيت منذ الصغر، فكنت أنا المتحملة مصروف البيت فى الإسكندرية وأنا طفلة.

بدايات الانضمام للحركة الشيوعية :

فى عام ١٩٤٦ لاحظت أن سعد أخى يأتى إليه أناس كثيرون، وكنت أتعجب كثيراً وأسأله : لماذا يأتى كل هذا العدد؟ وماذا تفعلون فى تلك الساعات الطويلة التى تجلسونها معاً؟

وهنا بدأت أعرف أن أخى قد دخل الحركة الشيوعية، وبدأت أتعرف على زملائه وأجلس معهم، وكان سعد يسمح بهذا ولكن فى حدود.

كان من بين هؤلاء الزملاء، عثمان طلبة- طالبًا فى كلية الطب - وهو الذى اهتم بى، وأعطانى كتبًا لقراءتها لأتثقف؟ وهو الذى أدخلنى الحركة الشيوعية بالرغم من عدم موافقه سعد، وكذلك بقية العائلة؟ ولكنى دخلت دون علمهم، فقد كنت شخصية جريئة.

بدأت أقرأ بعض الكتب حيث كانت لها أكبر الأثر على تكوينى الفكرى، فقد قرأت قصة «الأم»، وأعجبت بها كثيراً، وزودت حماسى، فبدأت أحضر الاجتماعات وقد أعطانى عثمان طلبة كتاب "البيان"، وكان يدرس لى بحماس شديد، وكنت أثق فيه جداً.

أسباب الانضمام للحركة الشيوعية :

أحببت الشيوعيين، واقتنعت بأفكارهم، ولو كانوا طلبوا منى إلقاء نفسى فى البحر لما ترددت لحظة.

كانت أفكارهم تناسبنى، وتناسب فكرى، وكنت أرى فيها عدالة اجتماعية، وإتاحة فرص للناس، وهذا ما كنت أريده. فقد كرهت «مجتمع الظلم والعذاب والكذب» الذى كنت أعيش فيه.

وأردت الهروب منه، فلما وجدت الشيوعيين ارتميت فى أحضانهم بصورة لا يتصورها أحد، وعندما كان عثمان يطلب منى أى شئ أنفذه وأنا مغمضة العينين.

وبدأت أحضر الاجتماعات غير مهتمة بكونى عضوة أو غير عضوة، فقد كنت أنفذ ما يقولونه دون مناقشة.

نشاطى فى الحركة الشيوعية :

تم اعتقال أخى وزملائه فى معتقل النزهة عام ١٩٥٨م، فبدأت أجمع الناس والأهالى، وشعرت بأننى لابد أن أقوم بدور.

فى أيام احتلال الإدارة - إدارة السجن - ذهبت لزيارتهم، فوجه إلى أحد العساكر بندقية، ووضعها صوب صدرى، وقتها كان هناك شخص اسمه فؤاد منير عندما رأى هذا الموقف جذبنى من يدى وأدخلنى إليهم، ثم جلس وسمع مطالبهم واستجاب لهم، فلم تكن هناك الخبرة الأمريكية بالتعذيب أو الاعتقالات.

وكنا منطلقين أيام احتلال إدارة السجن، فعندما يطلبون منىَّ أن أذهب لوزير الداخلية أجمع الناس وأذهب دون مشكلة، فقد أحدثنا هزة فى الإسكندرية أيام الاعتقالات.

أما عن الدور الذى قمت به : فقد كنت ضمن جماعة تقوم بخدمة البيئة بعمل فصول لمحو الأمية، وتعليم الخياطة، وقمنا بعمل مشروع «اتحاد الأمهات» وقد أعلن عنه فى الجرائد الرسمية، وكان هذا عام ١٩٥٤م.

كانوا يطلبون منى أن أقابل الناس وأجتمع معهم، وأقدم تقارير بالعمل الذى قمنا به، والفائدة التى قدمناها للناس، وعندما يتم عمل مؤتمرات كنت أذهب لحضورها، وآخذ معى بعض الزميلات من قسم النساء، وكانت معنا أجنبيات لكنى لا أتذكر أسماءهن وكنت أقوم بعمل صف ثان، لا أظهر بنفسى، وكنت أقدم التقارير للصف الأول، ليقدموها بأنفسهم، أما أنا فأتكلم كلمة عادية باللهجة العامية.

وعندما تم اعتقال أخى وزملائه أكثر من مرة عام ١٩٥٤، وقتها كلفونى بعمل مظاهرة وأن أمسك لافتة مرسوم بها يدان مكبلتان بالحديد، والحديد مدلدل منهما وأن أقف بها أمام جمال عبد الناصر، ولم تكن المظاهرات وقتها بالشكل الموجود حاليًا، فقد كان زعماء المظاهرة يجلسون على كراسى ويتجمع الناس حولهم.

فقمنا بعمل المظاهرة أنا وزميلاتى، وفى هذا اليوم ضربونا رجال السلطة كثيراً لأننا كنا

ثم عرضونى على زميلتى الأجنبية فأنكرت أنها تعرفنى، وهنا تم الإفراج عنى، وتم القبض علىّ صباحاً، وتم الإفراج عنى فى نفس اليوم الساعة الثانية بعد منتصف الليل، بشرط ألا أغادر الإسكندرية.

تم الإفراج عني عندما أنكرت زميلتي الأجنبية أنها تعرفني، وأدلت بأوصاف أخرى لليلى التى تعرفها وكانت تقابلها، وذلك رغم أننى صرخت فى وجهها عندما رأيتها وقلت لها «كده يا أولاد الكلب تعترفوا كلكم»

فى ذلك الوقت أرسل إلي فؤاد منير قائلاً «إنت فاكرة نفسك مين إنت ماتساويش حاجة» فقلت له «اتنيل، جاتك نيلة، اللى عملك لجنة مركزية حمار" وتركته وذهبت.

وهذا قبل أن يعترف فؤاد منير؟ أما عن سبب رفضى الزواج منه فلأنه كان طبيباً وغنياً، وكنت فقيرة، ولم يكن هو الشخص الذى أفكر فيه، فلم يعجبنى، وكان مغروراً وتخيل أنه لو تقدم لخطبتى سأجرى عليه، ولكنى رفضت حتى أذله. أما عبدالجابر، فكان صعيدى وبه مميزات كثيرة.

وقتها كان أخى محمد خارج حجرة التحقيق، كاد يجن من القلق، فدخل لوكيل النيابة وسأله ماذا فعلت أختى كى يتم القبض عليها فأجابه «أختك حزب سرى"، وسخر منه قائلاً: "ألا تدرى ماذا تفعل أختك"؟

فعندما خرجت من النيابة عنفنى أخى كثيراً، ووقتها كنت منهارة من اعترافات الزملاء وخاصة: اعتراف عثمان طلبة.

وعندما سألت عثمان طلبة، كيف تعترف يا عثمان؟ قال إن فؤاد منير «ابن الكلب» اعترف علينا جميعاً وكانوا يأتون بالزملاء ويحذبونهم أمامه؟ ويقول لهم: اعترفوا كما اعترفت أنا ولذلك لم يأخذ فؤاد منير حكم، وخرج دون أى ضمان.

الاجتماعات:

كانت اجتماعاتنا كثيرة، وأعداد الأفراد فيها كثيرة، فقد كنا نحدث ضجيجاً فى الإسكندرية، ولكن كان من بيننا سيدات غير مخلصات: أى من المباحث حتى أننا وجدنا أن أسماءنا الحركية أصبحت تردد فى الشارع، وفى أحد الاجتماعات سألتنى سيدة: «إنت اسمك ليلى؟» فقلت لها لا، ولا أعرف شيئاً عن هذا الاسم، فقالت لى «أنا متأكدة». فقلت لها: تأكدى جيداً من معلوماتك. فأنا اسمى روحية.

عندما عدت إلى المنصورة جاءنى زميل اسمه صابر زايد – من الإسكندرية– وقال لى «لابد وأن تتركى البيت حالاً حيث يوجد حملة للقبض عليك» ولم أكن أعرف وقتها إلى أين أذهب، فأخذنى إبراهيم إلى القاهرة لأقيم مع أخته، وحتى لا يعترض أحد تزعم أنك ذهبت إلى مصر لتتزوجى، ووقتها اعترضت أمى بشدة لأنها لم تكن راضية عن زواجى من إبراهيم، وكان إبراهيم يعمل محامياً.

وبذلت مجهوداً كبيراً كى أقنع والدى ووالدتى، حتى أن والدتى أصرت أن أنزل دون أن أبدل ملابسى ولا حتى أمشط شعر رأسى وظلت تصرخ أثناء نزولى (يابنتى ياللى ماعنديش غيرها) ثم أتيت إلى مصر، ووصلت إلى شارع الدُّرى عند ابن عمة إبراهيم، وقد اندهش ابن عمة إبراهيم وأخذ يسأله : (هى دى روحية، هى دى مراتك، وقعتك سودا) حيث كان شعرى غير ممشط، وملابسى غير مرتبة، فكيف آتى بهذا الشكل لأتزوج؟

وفى ذلك الوقت لم تكن هناك شقة للزواج، وقد أصر أبى على عمل «عفش» لى فأحضره بعد زواجنا بحوالى خمسة عشر يوماً.

وقد أخذت معى إلى مصر حقيبة مليئة بكتب الشيوعية، وهنا سألتنى زوجة عبد المنعم غ غلاب أخو عبد الغفار : أين ملابسك ؟ فقلت لها إننى لم أحضر سوى تلك الحقيبة – حقيبة الكتب – وقد استغرب الجميع من أحوالى وأنا عروسة لها هذا الشكل غير المرتب ولم تحضر معها سوى حقيبة كتب وكان كل من يسأل عن العروسة؟ أقول لهم : ها أنا ذا وتلك ميأتى.

ووقتها لم أكن أريد سوى أن يخرجنى أحد مما أنا فيه، وقلت لزوجة عبد المنعم غلاب «إننى متعبة جداً وأريد أن أنام» وقد كانت لطيفة معى فى حين كانت أمى فى شدة القسوة على وكانت دائمًا تقول لى : «وقعتك سودا، جبتلنا العريس ده منين» رغم أننى تزوجت بالطريقة الريفية القديمة، حيث رآنى فى اجتماع فتقدم لأخى محمد ووافق عليه محمد بسرعة رغم أن محمد كان يرفض دخولى فى هذا الطريق، ثم انتقلت إلى السكن الجديد بالعجوزة، ولم يقم معى إبراهيم، بل يأتى خفية لأنه كان هارباً.

كنا نعمل جادين فى الإسكندرية، وكنت أعرفهم فرداً فرداً، ولم يكن يهمنى ماهى مكانتى بينهم، فكنت أعتبرهم أنبياء، لو رآنى أحدهم عارية لا ينظر إلى، ولكن عندما تمت هذه الاعترافات، مررت بأزمة نفسية بعد الاعترافات والاعتقالات، وبعد تلك الاعتقالات قلت لهم جميعًا إننى لا يمكن أن أتزوج من أى شخص منهم، أنا أحبكم لأنكم مضحين وملتزمين، وتحققون لى صورة المجتمع الذى أريده، كل هذا كان عام ١٩٥٤.

تم القبض على محمود توفيق، وصلاح حافظ، وآخر من المنصورة، وإبراهيم زوجي تم القبض على الأربعة في مصر، ولم أكن أخاف من القبض على إبراهيم، رغم أنه كثيراً ما كان يحذرني ويقول لي «لو اتمسكت هاخذ عشر سنين» ولم أكن أبالي رغم أننا لا نملك ما يعيننا على العيش.

كنت أعرف محمود توفيق وصلاح عن قرب، حيث كانا يأتيان إلى البيت كثيراً، تم القبض عليهم وكنا في بيتنا الجديد، ولم يمر علينا سوى أيام قليلة.

وعندما جاء وكيل النيابة للقبض عليهم وجد بالبيت صوراً لنا في مظاهرات، وخطابات وأشياء أخرى فأخذوا كل شئ، وقبضوا على بائع اللبن، وبائع الخبز، ومجموعة من الناس في الشارع، ولم أكن أعرف أى شئ في القاهرة، لذلك لم يكن لدى أى رد فعل سريع أما في الإسكندرية، فقد كانت تملأني طاقة وحيوية ومعرفة بالأشياء تجعلني أفعل ما أشاء وبالنسبة لي، لم يتم القبض عليّ أبداً، بل كانوا يأخذونني يوماً واحداً ويخرجونني في نفس اليوم، ولم يقبض عليّ حتى في عام ١٩٥٩.

وبعد القبض على إبراهيم والثلاثة الآخرين، طلب إبراهيم من عبد المنعم غلاب ألا يتركني في الشقة وحدي وعندما عدت إلى الشقة في نفس يوم القبض عليهم وجدت كل شئ في الشقة، قد أخذ وأصبحت خالية من كل شئ.

ذهبوا إلى أخي محمد وسألوه عن مكان زوجي فقال إنه لا يعرف شيئاً عنه، فأخذوه وقد تم القبض على سعد، حاولوا أن يأخذوني رهينة حتى يظهر إبراهيم ويتم القبض عليه فصرخ محمد في وجههم كيف تأخذونها وهي في هذه الحالة (حيث كنت حامل في الشهور الأخيرة).

وعندما رجعت إلى مصر وذهبت إلى الشقة وجدت أصحاب البيت قد أخذوا الشقة ومابها وأجروها لشخص آخر وكان ذلك أيام إعدام الإخوان؛ حيث كان يطلب من الساكن أن يقدم بطاقته الشخصية، فلما طلب صاحب البيت البطاقة الشخصية، لم أعطها له ولهذا أخذ العفش، وقام بتأجير الشقة لساكن آخر، وعندما سألت عن الأشياء التي كانت في الدواليب، قال صاحب البيت إنه ترك الدواليب عند البواب لأنه فشل في فتحها، وقد كان فيها كل شئ.

ثم نقلت العفش، وكان المطلوب وقتها أن أبلغ القسم بما حدث، لكني في ذلك الوقت.. لم تكن لدى كل الخبرة الكافية.

وقتها سألت على كمال وطلبت من زوجة صلاح حافظ (هدى زكي) أن تدلني على مكانه. فجاء كمال، وطلب مني العفش، لأن هناك شخص يريد أن يتزوج عليه، فصرخت في وجهه.

كيف تدوسون على عواطفنا بهذا الشكل؟!ولم أعط له العفش أبداً، وقالت له زوجته هدى إننى أقول عليه إنه بوليس.

عُدت إلى الإسكندرية، وكان أخى محمد قد خرج من السجن وعدنا إلي شقتنا فى الإسكندرية، بعد أن قضى فى السجن تسعة أشهر.

لم أكن أستطيع الوصول إلى إبراهيم، ألطاف زوجة الخميسى وفتحية العسال، دلونى على مكانه، فذهبت إليه وسألته : ماذا أفعل؟ فقال لي : لا تفعلى شيئاً، فلم يكن الشيوعيون يتفقون مع زوجاتهم على خطة بعدية، فتركوهم حائرين، وهذا ما كان يضايقنى حيث أرى أنه من المفروض أن يتفق الشخص مع زوجته على ما تفعله حين القبض عليه حتى لا تحتار.

وقد عزمت على انتظار زوجى عشر سنوات (حيث حكم عليه بعشر سنوات) وهذا رغم لوم كل الناس لى على ذلك وعلى رأسهم والدى والدتى، وحتى أقارب إبراهيم فقد كان له عم يعمل وزيراً، وأخبرنى بأنه سيأتى لى بعريس، فصرخت فى وجهه ورفضت ذلك بشدة .

حضرت المحاكمة بعد ولادتى (ولم تستغرق المحاكمة خمس دقائق وصدر الحكم بحبسه عشر سنوات وتم ترحيله إلى الواحات وقد كانت أول دفعة تذهب إلى سجن الواحات وكانت تهمته أنه محترف سياسة.

الولادة : ولحظات الألم

لم تكن بينى وبين إبراهيم قرارات مدروسة، فقد أمرنى إبراهيم أن اتم ولادتى فى بيت أهله بينما حذرنى الطبيب من عدم الولادة فى مستشفى، فذهبت إلى الصعيد عند أهل إبراهيم حيث رفض خال إبراهيم ان اذهب مع ابى حينما جاء ياخذنى لألد عند امى وقال هذه زوجة ابننا ولن نتركها تلد بعيداً عنا.

كنت انفذ اوامر إبراهيم دون مناقشة سواء كنت مقتنعة بها او غير مقتنعة فذهبت إلى الصعيد، ووضعت ابنتى فى البيت - بيت اهل إبراهيم - علي يد الداية، رغم تحذير الطبيب لى من الولادة فى المنزل، لأن تقاليد الصعيد تمنع الولادة على يد الطبيب ولقد تعبت كثيراً فى الولادة حيث كان لدى ورم ليفى.

وضعت طفلة جميلة، ولكن بعد أيام من الولادة صحوت من نومى فلم اجدها بجانبى، ولما سالتهم، أين ابنتى؟ أجابوا «ماتت -غارت فى ستين داهية، فهم لا يحبون البنات.

بعد سماعى هذا الخبر انهرت وظللت فى غيبوبة لمدة ستة اشهر، وعندما عرضونى

على الطبيب قال لى ، ألم احذرك من الولادة فى المنزل.

لم يكن مهمنا بالنسبة لى تلك السنوات العشر التى يقضيها إبراهيم فى السجن، ولا سرقة ملابسى وعفشى، بقدر ما همنى موت تلك الطفلة الجميلة التى هى جزء منى ومن كيانى فقد رايتها وهى تصرخ، وقد احضروا سيدة تدوس على راسها حتى تسكت فقد اتعبنى عذابها.

عندما عدت من الصعيد وجدت إبراهيم بحاكم، ثم أخذوه منى إلى سجن الواحات، وكانت تلك هى الدفعة الأولى التى ذهبت إلى سجن الواحات.

وجدت نفسى وحيدة، الكل بعيد عنى، وسالت عن كمال عبد الحليم ولم أجده، فلم يكن إبراهيم مهتما بالناس.

ولهذا ذهبت إلى الإسكندرية واقمت مع اخى محمد، وكنت أسافر إلى الواحات لأزور إبراهيم.

موقف الحزب من زوجات الشيوعيين

لم يكن الحزب يهتم بزوجات الشيوعيين أثناء قضاء الأزواج فترات السجن، فقد ظللت طوال العشر سنوات لم يطرق بابى أحد من أفراد الحزب ليسألنى هل أحتاج شيئا أم لا، ولم أمد يدى لأى شخص أبدا.

وهذا رغم أننى كنت مسئولة عن عمل العائلات فى الحزب وكنت أذهب للعمل سيرا على الأقدام. من تريد أن تذهب للطبيب أذهب معها، ومن تريد مالاً أعطها ما استطيع؛ وادعم هذا بالتشجيع على المستوى النفسى، واجمع التبرعات العينية والنقدية، وقد كان لى زميلة تمتلك مصنعا للملابس فكانت تعطينى اربعين غيارا للتبرع بها، ولم تكن عملية التبرعات أوعمل العائلات عملية منظمة، كنت أقوم بهذا العمل وأقدم التقارير للمسئول.

وأثناء قضاء إبراهيم لفترة السجن ووجدت فؤاد منير يزورنى ويعترف أنه أخطأ قديما، فأوقفت هذا النقاش.

هرب كمال عبد الحليم عند فؤاد منير، وقد اعترضت على هذا وأنكرته بشدة ولم أكن أدرى بهذا الموقف من البداية وإنما علمته عندما سمعت كمال عبد الحليم يدافع عن فؤاد منير، وقد طلب فؤاد منير أن أذهب إليه حيث كان يدفع ثلاثة جنيهات لزوجة

احد الشيوعيين، وكان يتعبنى كثيرا حتى يدفعهم.

ثم جاءنى تكليف من الواحات بان اذهب إلى فؤاد منير رغم اننى كنت ارفض هذا بشدة وعندما سمعت هذا قلت «يا أولاد الكلب ، كيف اذهب إليه» ولكن كان هذا تكليف ولابد ان اقوم به، فبدات اذهب إليه، وكان يتلذذ بذهابى إليه وذات يوم منعنى التمرجى من الدخول فصرخت فى وجهه، قائلة «يلعن ابوك لأبو فؤاد منير بتاعك.. إدعى كده» ودخلت لفؤاد منير وقلت له «انا مش جاية أشحت منك إنت بعتّ للواحات وقلت إنك هاتدفع فلوس»

فنظر إلى فؤاد منير وقال ، ستظلين طويلة اللسان إلى متى؟ فاخذت منه فلوس التبرعات وخرجت بسرعة.

وكان فؤاد منير يعد بان يتبرع بالنقود ولا يفى بوعده احيانا، وذهبت إلى زوجى إبراهيم فى السجن وطلبت منه الا يطلبون منى الذهاب إلى فؤاد منير مرة أخرى، لأنه «يتلذذ» بوجودى معه وانتظارى له حتى يعطينى التبرعات، قلت لإبراهيم، لن اذهب إلى فؤاد منير مرة أخرى حتى لو كن هذا تكليفا؟ وافعلوا ما تريدون.

اما عنى انا فلم امد يدى إلى احد، ورضيت بان اعيش طوال هذه السنين بلا اى معونة خارجية.

كان الناس فى الإسكندرية اكثر من اهلى ولكنهم كانوا يعتقدون أن هناك نقودا تاتى إلىّ من روسيا.

اما عن السبب الذى جعلنى لا امد يدى للحزب ابدا فهو اننى سمعت ذات يوم احد اعضاء الحزب وكان اسمه عبد المنعم إبراهيم، وزوجته اسمها عواطف، سمعته يقول فى اجتماع إن الحزب ليس جمعية خيرية، تاتى إليه اى زوجة من زوجات الشيوعيين لتاخذ نقودا، ومنذ سماعى لهذه الكلمة وانا آخذة على نفسى عهدا بالا امد يدى لأحد ابدا وظلت هذه الكلمة فى ذهنى طوال الوقت.

كنت اجمع ما اقدر عليه من التبرعات من اناس عاديين ليسوا فى تنظيمات

لم استطع انا وسعد ان ندفع إيجار الشقة، فخيرنى محمد إما أن اذهب إلى المنصورة او اسكن فى شقة فوق شقته حجرتين وصالة، ولم اكن اريد ان اذهب إلى المنصورة، فذهبت انا وسعد إلى تلك الشقة، ولم يكن معى اية نقود فلم اكن اعمل، وكلما عملت فى مكان يتم فصلى فى اليوم التالى واسمع نفس الجملة «جاءتنا اوامر من

جهات عليا بفصلك.

تعلمت الآلة الكاتبة واردت ان اقوم باعمال السكرتارية، ولكن لم يقبلنى اى مكان، فكنت آكل واشرب فى بيت محمد.

وكانت كل التليفونات فى البيت تاتى لى شخصيا، ويظل البيت دائما مزدحما بضيوفى سيدات ورجال؟ وكل من يريد نقودا من عائلات افراد الحزب ياتى إلى ولم يكونوا يصدقون اننى لا املك نقودا حتى إن بعض السيدات كانت تاتى وتقف تحت المنزل وتقول بصوت عال «يابنت الكلب ياروحية عايزين فلوس».

كنت أعانى كثيرا من قلة النقود والمال، حتى إننى ذات يوم بعت شبكتى لاذهب إلى الواحات لزيارة إبراهيم، وكانت تاتى معى ام زهدى الرسام، فقد كانت سيدة نشيطة، تاتى معى هذا المشوار الصعب - مشوار الواحات - وكنا ناخذ تصريح الزيارة من نيابة امن الدولة، وناخذ معنا كل ما يطلبونه اثناء الزيارة حتى إننى ذات مرة اخذت معى مرتبة للنوم، وكانت هناك طرق معينة ناخذ بها الورق إليهم، وكان فؤاد حبشى مازال على قيد الحياة، فكنت اذهب إليه وآخذ منه ما يريد أن يرسله إليهم فى السجن واوصله لهم، وكانت زيارتى للسجن لطيفة.

وكان الناس يظلون حولى حينما أشعر بالتعب من عدم زيارة إبراهيم بسبب قلة المال، فكانت صديقتى تعطينى مالاً اذهب به، وكانت نقابة المحامين تصرف لى ثلاثة جنيهات شهريا، كنت أدفعها فى الجمعية.

القبض على سعد الساعي واعتقاله

تم القبض على اخى سعد عام ١٩٥٩، وكان سعد اخى رياضيا، فضرب فيهم جميعا، فضربوه وقبضوا على محمد معه.

وتمت محاكمة سعد، وكنت أذهب إليهما فى المحكمة، ووقتها طلبوا من سعد دفاعا سياسيا، وهذا معناه أنه سيحكم عليه بعشر سنوات.

ولم اكن أعلم تهمة سعد، هل هو مسئول تنظيم أو غير هذا فم تكن تهمنى هذه المسالة.

حكم على سعد بسبع سنوات، ولكنه قضى ثمانية عشر عاما فى السجن وكانوا يضربونه بشده، وعندما ذهبت إلى زيارته وجدت كل جزء فى جسده ينزف دما وقال لى

سعد، أترين ياروحية ما يفعلونه بنا هنا؟

فذهبت إلى المامور وصرخت فى وجهه «يا ولاد الكلب» فضربونى بشدة حتى تعرضت للإغماء، وقد كان هذا فى العاشرة صباحا، وافقت فى الرابعة عصرا، وضربوا سعد أيضا فى نفس اليوم، ولن انسى هذا اليوم ابدا حتى اننى احلم به فى كل يوم، وأحاول الهروب من النوم حتى لا أرى فى منامى منظر سعد فى هذا اليوم.

الخروج من سجن المعتقل إلي سجن الحياة

خرج سعد عام ١٩٦٤م، وخرج إبراهيم فى نفس العام. سافرت مع إبراهيم إلى الصعيد فور خروجه من السجن، وهناك قالت امه، إما انا أو روحية فى هذا البيت، واختار إبراهيم إلى أين يذهب بى، فأخذنى إلى الإسكندرية، فرفض محمد وقال لإبراهيم، كيف تكون انت زوجها ونحن الذين نحميها وانت داخل السجن وخارجه أيضا؟

ووقتها راجت إشاعة تزعمها فؤاد منير اننى ساطلق من إبراهيم، فاتصلت بإبراهيم وطلبت منه أن يأتى فورا ليأخذنى، انا أرفض الطلاق، إن اردت ان تطلقنى انت فلتفعل، أما انا فلا أريد الطلاق.

فأخذنى إبراهيم من الإسكندرية إلى أخيه فى مصر، ولم يكن إبراهيم قد استلم عملاً بعد، حتى اوجد له عمه فرصة عمل فى الأهرام.

كنا في هذا الوقت فى حاجة شديدة إلى نقود لنؤجر شقة نسكن بها، ولكن لم يمد إلينا احد يد العون بالرغم من اننى لم اتأخر عن خدمة اى فرد، وكنت اعتقد انهم سيقدرون خدمتى لهم، خاصة عند خروج إبراهيم لكننى وجدتهم يقولون إن إبراهيم لم يرغمه أحد، وانت ظللت هكذا برضاك. وجئت إلى البلد فوجدت موقف الناس مختلفا، وذهبت إلي أحد الأصدقاء، وليس هناك داعيا لذكر اسمه، فقال لى إن كل مايستطيع أن يفعله من اجلنا هو أن يعطينا حجرة فى شقته، ورفض ان يقابلنا. ثم جاء شخص تربى معنا منذ الصغر من البلد؟ وسألنى ماذا تريدين ياروحية، فقلت له نريد نقودا ندفعها مقدم شقة، فأعطانى نقودا لأعمل جمعية واقبض المقدم، فدفعت مقدم الشقة من الجمعية.

الحزب الطليعى

حدثتنى إبراهيم عن الحزب الطليعى أثناء زياراتى لهم فى الواحات، وفى أحد الزيارات ذهب معى سعد زهران، ومنذ ركوبنا القطار وهو يستفزنى بكلام كثير كالسخرية منى او من سعد او من إبراهيم، ويقول اناس منقسمون فقلت له «لا اريد أن اسمع هذا الكلام، فنحن فى رحلة، أقول لك إنك لا تستطيع كرجل ان تحمينى؟ انا استطيع حماية نفسى، ولكن امام المجتمع انت تحمينى» فوافقنى.

ذهبنا إلى الواحات، وكان الضباط يناقشوننا أثناء الزيارات، وكانت معنا زميلة اسمها عايدة، خطيبة وليام (الرسام)، فأخذ سعد عايدة وذهب بها فى حجرة أخرى، وصحوت من النوم فوجدت المامور والضابط يقفون امامى، وعندما اعترضت وصحت فى وجه سعد زهران اله اقل لك الا تدخل على احد أثناء نومى، حيث كانوا يتركونا نبيت فى استراحات. كان هذا فى المرات الأولى حيث كنا ناخذ قطار أطفيح، ونظل هناك اسبوعا، اما فى المرات الأخيرة فكنا ناخذ سيارة نذهب بها وننتظر السيارة لنعود بها إلى أسيوط فى نفس اليوم، وكان هذا يكلفنا الكثير وكان هذا موقف لن انساه لسعد زهران، ويومها قال لى ، إذا كان هذا لا يعجبك فاتركينا وارحلى.

كنت اقول لسعد «افترض انهم منقسمون، فما دخلى انا»

زرت الواحات مرتان مع الأستاذ فوزى حبشى حيث خرج من السجن قبلهم، وكان فوزى يدعي انه اخى، حتى قال له الضابط «اسمك فوزى حبشى وقبطى واسمها روحية الساعى ومسلمة، فكيف تكونان اخوين، وكانوا يتركونا نبيت فى غرفة واحدة، ويصنتون على الأبواب، ولكن فوزى حبشى كان إنسانا لأقصى درجة بعكس سعد زهران فقد كان لسعد زهران مواقف لن انساها.

كانوا يناقشوننا أثناء الزيارات فى اننى ساخسر إن ذهبت معهم، فهم منقسمون وطلبوا منى ان انضم لأحد الانقسمات، فقد كان هناك تكتل داخل التنظيم ولكنى رفضت، وقلت إنه لا دخل لى بهذه الانقسامات، فأنا اعرف ناسى، وعندما حدث الانقسام قدمت للحزب وثيقة باننى لا أوافق على هذا الانقسام وقسم النساء.

عدت من زيارة سعد زهران وانا منهارة ، فقد احسست بعد هذه الزيارة بأن الحزب سيحل، وأن هناك مساومات تحدث من وراء ظهورنا.

وكانت هذه المناقشات تتم امام عينى حيث كان سعد وإبراهيم في مكان واحد، فقد ضاعت كل هذه التضحيات وكل ما عملناه هدرا!.

ناقشني أحدهم، وعندما أحسست بانحدار حال الحزب قلت له ، إذا كان هذا هو ثمن كل التضحيات فلا أريد شيئًا منك، ولا أريدهم أن يخرجوا من السجن، ولن أدخل الحزب مرة أخرى، فلن يسمح لكم عبد الناصر أن تفعلوا شيئًا تحت لوائه، أما الذين يقولون إنهم يقابلوكه ويقابلوه فأنا لا أصدقهم ولا أصدق هذا الكلام، فقال لي طوال عمرك كنت يسارية والآن أصبحت يسارية بقدر زائد، فقلت له. أنتم الذين أضعتم كل تضحياتنا، وأنتم الذين أغلقتم بيوتنا عشرات السنين والآن تقولون انقساما، لا أريد هذا الثمن.

فقال لي إنه قد وقع على الاختيار أنا وزميلة أخرى ، وكان هذا عام ١٩٦٢ ، وكان سعد وإبراهيم والزملاء لم يخرجوا من السجن بعد.

وعندما خرج إبراهيم، وانحدر حال الحزب، فقلت له لا تدخل البيت أنت لست زوجي وأنا لا أعرفك طالما انحدر حال الحزب بهذ الشكل.

ولم يحضر كل الأشخاص حل الحزب؛ وكنت وقتها في أسيوط، ولا أتذكر هل جاء سعد أم لا، وقد جاء شحاتة عبد الحليم وزملاء الإسكندرية وقد قال لي شحاتة عبد الحليم من لا يعجبه حل الحزب سنسقيه إياه بالملعقة.

وقد جاءني مرة وقلت له ، ماذا تريد مني، لن أعمل بالسياسة مرة أخرى وسأمسح بلاط بيتي.

عندما خرج إبراهيم من السجن وذهبنا إلى أسيوط رأينا أيام عصيبة، ولم يكن إبراهيم يريد أن نستأجر شقة، حيث كان ينوي الاستمرار في السياسة ويحترفها فأقول له ، وما الفائدة إذن بعد أن حل الحزب؛ فكنا دائمي الشجار بسبب هذ الموضوع.

في ذلك الوقت كان كل من محمود أمين العالم وأنيس منصور، وإسماعيل صبري قد انضموا إلى الحزب الطليعي، لكنهم كانوا كالتماثيل الشمع لم يقوموا بأي إنجاز، وكنت أقول لهم ، رغم أنني لم أصل إلى درجة وعيكم لكنني، بعيدة النظر عنكم، فمنذ الصغر، وأنا أناقش، ولي رأي شخصي فقد كشفهم الحزب الطليعي أمام بعض، وبدأت الناس تسب بعضها، فهناك من وجد عملاً، وهناك من لم يجد ولديه زوجة وأطفال، فقد مرت أيام عصيبة حيث أرادوا أن يطلقوا زوجات من أزواجهم في الواحات، وقد قمت وقتها بدور كبير، وكان هذا عام ١٩٦٣ ، فقد كان هناك من يتصل بالزوجات ويقول لهم، إن المسجونين لن يخرجوا من السجن فاطلبوا الطلاق، وكان من ضمنهم درية الأهواني

زوجة احمد الرفاعى كانت تقول لى : المباحث قالت لى «ما تكلميش روحية، وقالتلى حايموتوا المسجونين» فكنت أقول لها «لا تصدقى هذا الكلام، وعندما أرادت صفية طلبة الطلاق من سعد حاولت منع إتمام الطلاق.

بعد وحدة ١٩٥٨ بداوا يأخذون منى الناس ويعدونهم، وكنت فى الإسكندرية أثناء وجود سعد رحمى، وبدات تنتشر تشنيعات على عجيبة أثناء الاجتماعات مثل «روحية الساعى بوليس وزوجها ضابط بوليس وقد أخذ عشر سنوات لأنه بوليس» وهذا أثناء الوحدة، وبدات أسماؤنا الحركية تنتشر ونعرف، وكانت اجتماعاتنا تناقش فى جلسات.

وهذا رغم اننى لم اجتمع من قبل مع اناس مختلفين او مشتبه فيهم، فقد ابعدونى واخذوا منى الناس، وقد دخلوا ليس على أساس التوحد، وإنما للتفريق، فقد كانت أعدادنا كبيرة حوالى ٣٠ أو ٤٠ شخصا فى الاجتماع الواحد وكان هناك مسئول يأتى إلينا، ولم تكن هناك سوى مجموعة واحدة فى الإسكندرية، ثم اخذوا منى المجموعات وأتوا لهم بسيدات أخريات لكنهم اعترضوا وقالوا إنهم مستريحون مع روحية الساعى، فقد كنت مسئولة لفترة عن اجتماع أساسى.

وعندما جاء شحاته ليقول إن الحزب سيحل، اعترضت بشدة وقلت : لماذا يحل الحزب؟ فلم يحدث هذا من قبل. فرد شحاته وقال لا لقد حدث فى المانيا؟ فقلت له نحن فى مصر ولا شان لنا بالمانيا.

عندما كنا نريد عمل توقعيات للإفراج عن المسجونين والمعتقلين، كنا نجد كل الناس توقع، حتى إن بائع السمك كان يرفض ان يبيع السمك حينما يعلم انه سيذهب لمن يحاكمون المعتقلين؟ فقد كانت الناس متعاطفة معنا جدا.

وكان سعد رحمى يقول إن الناس تتعاطف معنا لأننا حريم ونحتاج الحماية فكنت انهره بشدة واقول له : انت كزعيم لابد ان تنزل لمستوى هؤلاء الناس وترفعهم، لا ان تقول هؤلاء حثالة.

فاقول له : هؤلاء الحثالة يساهمون وانتم الزعماء لا تساهمون، اليس هؤلاء هم البروليتاريا الذين تدافعون عنهم؟

فلم يكن يحمينا عند عمل مؤتمر او عمل مظاهرة إلا هؤلاء الناس.

انتخابات ١٩٥٧

كانت امينة شكر مرشحة لنفسها عن الإسكندرية، ووقفنا معها فى الانتخابات وقمنا بدور كبير، وقمت معها انا شخصيا بدور كبير فى الانتخابات، لكنها حينما علمت حقيقة شخصيتى ونشاطى وعلمت من هو زوجى اتصلت بى وشتمتنى. فقد كانت امينة شكر شخصية عادية لا تفهم شيئا.

ولم يكن احد من افراد الحزب مرشحا نفسه، وإن كان هناك بعض الناس المتعاطفين معنا مثل عبده سلام، رغم ان هناك اناس لهم شعبية كبيرة ولم يرشحوا انفسهم مثل حمزة البسبوفى وفؤاد منير.

اختلف الحزب مع عبد الناصر فاراد افراده تكوين حزب جديد، فاعترضت وقلت لهم اتركوا الفرص لأفراد جديدة، فالسياسة ليست ميراث، فلم تعودوا الآن نافعين مثل الماضى، ومن سيخلق منكم بيتا سأقطع له يده وعندما قال لى احدهم إن هذا الكلام لا يصح ؛ قلت له، لا بل يصح، فلم يمد أحدكم يده لى، قال اوجدنا لك فرصة عمل فى دار الثقافة. وقد رايت متاعب كثيرة فى هذا العمل حيث كانت المعاملة هناك سيئة، وكان المسئول فى هذا الوقت هو حليم طوسون، وكان اجرى عشرة جنيهات فقط، واعتبرت من هناك أولادى وعملت هناك عامين، وعندما رآنى فاروق ثابت رحمه الله انزعج وقال لحليم طوسون : الم تجد إلا روحية الساعى، إنها كثيرة الأسئلة والنقاش فقلت له : انا لست فى بيتك انا هنا فى دارنا، وانا لا اريد منكم شيئا بل جئت هنا لأعمل بمجهودى.

موقف الحزب من سياسة عبد الناصر

كانت تتم بيننا مناقشات كثيرة حول حكم عبد الناصر، وسياسته فى التمصير وقد ايدنا الثورة بشدة، وكنا سعداء بها جدا، ومازلت اقول إن عبد الناصر له مواقف جيدة بقدر ما كان له ايضا مواقف سيئة فهو السبب فى تعليم الفقراء، والإصلاح الزراعى، وبناء السد العالى والوقوف ضد الاستعمار.

كنا ايام الحرب لا ننام ليلاً او نهاراً، وكونا فريقا مدربا، وكان لنا عام ١٩٥٦ دور كبير، وقد كونا لجان توعية للناس، ولجانا طبية تنزل فى غمار الحرب.

لم يسافر منا أحد، إنما كانت كل الفكرة : تدريب لجان او فرق وقد كان معى فى

هذه المجموعة ، حميدة راقم، وهى سيدة مجتمع ومعروفة فى الإسكندرية وكثير من السيدات الأخريات.

الموقف من أحداث كفر الدوار

كنت ضد هذه الأحداث، وضد المحاكمة السريعة، وكنت دائما أنقد تحليلهم، وبعيدة النظر عنهم وكثيرة النقاش عندما اذهب إلى الواحات فعندما ذهبت مرة إلى الواحات وجدتهم قد جهزوا خيما ليتقابل فيها الأزواج، فقلت لهم : ما هذه الخيم، انعيش فى مجتمع متخلف؟

وقد سمحت السلطات بإقامة هذه الخيم للمسجونين الذين عليهم احكاما كبيرة وقد فعلوا هذا مع الإخوان ولم يعترضوا، بينما رفضت انا وكثير من السيدات إقامة هذه الخيم ، فالتى تنتظر زوجها عشر سنوات لا يوجد فى ذهنها هذا الموضوع، والمفيد ان توجدوا لهم فرص عمل أو مصدر دخل يعينهم على الحياة. وقد اخبرهم إبراهيم انى سأعترض، وقد رفضت ذلك لأننا نعيش فى مجتمع وغير منعزلين، إلى جانب ان هذه الممارسات يجب ان يصحبها قدر من السرية والخصوصية.

الموقف من ضرب جمال عبد الناصر للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

هم يستحقون ما يسرى عليهم، لكننى كنت ارفض هذه البشاعة معهم، وقد كان منهم احد أقاربنا واسمه : محمد حامد أبو النصر، وقد كان يأتى ليسلم علينا وكنت اراهم عام ١٩٥٤ أشبه بالكلاب الذين يجدون قطعة لحم، فلا أنسى منظرهم، وهم يضربون سعد ومحمد بشدة، وقد أعطى عبد الناصر فرصة لأعداء الثورة ان يضربوا فى الناس، فضربوا فيهم بفظاعة.

وقد حدثت معركة بين سعد وبين بعض الإخوان فقد تبادلوا الضرب وقال الإخوان شتائم من اقذر الشتائم.

والإخوان يستحقون ما يسرى عليهم، فالمبادئ لا تباع بالمال، كيف يأخذون مالا كى يقتلون البشر؟

فهم لا يعتبروا وطنيين، ونحن نرى الآن ما يحدث من الجماعات الإسلامية.

الوحدة بين مصر وسوريا

كنت أؤيد هذه الوحدة، ولكن ليست بالصورة التى حدثت بها، وكانت تتم فى الاجتماعات مناقشات كثيرة حول الوحدة بين مصر وسوريا.

وعندما تم الانفصال عشنا اوضاعا صعبة، وكان هناك اوضاعا خاطئة نقلناها إلى سوريا حيث نعلم انهم سيرفضون تلك الأوضاع، فقد سمعنا عن اشياء فظيعة تتم، كان ياتون بالزوجات يعتدون عليهم أمام ازواجهم فى سوريا يوم الانفصال، وذلك لأننا قمنا بهذا فى سوريا. فأنا ضد أن يعتدى على السيدات فى اى مكان، فقد كان السوريون ياخذون المصريات ويعتدون عليهم أمام أزواجهم، وقد فشلت الوحدة على يد عبد الحكيم عامر الذى امسكناه مقاليد الأمور وتم على يده الانفصال وعلي يد المجموعة التى ذهبت معه.

الموقف من الاتحاد السوفيتي

ذهبت إلى الاتحاد السوفيتى (روسيا) اثناء مرض سعد اخى فى الثمانينات. ذهبت وانا فى ذهنى الانفصال والمناقشات، وما يقوم به الزملاء، بداخلى كمية مشاكل تضايقنى، لكن وجدت عكس ما قرات عن الاتحاد السوفيتى فقد وجدت هناك تجار عملات ، وتسلط لينين، وكثيرا من الأوضاع الخاطئة وكنت اناقش إبراهيم واقول له ،ليس هذا هو الاتحاد السوفيتى الذى قرات عنه، إن هذا الاتحاد سينهار.

اعطتنى السياسة قوة وشجاعة تفوق ما كان لدى منهما، فلم اكن اهتم كثيرا بمظهرى بقدر ما كنت اهتم بفكرى، لكن عندما ذهبت إلى الاتحاد السوفيتى وجدت فوارق طبقية هائلة.

وقد كان هناك تجار عملة من الأطفال حيث كانوا يبيعون المئة دولار باربع مئة روبل، وقد مكثنا هناك ثلاثة ايام لا نمتلك مليما واحدا لأننا اردنا ان ناخذ الطريق الرسمى.

شخصيات كان لها دور ولم يتم توثيق تاريخها

هناك شخصيات لم يتم توثيقها تاريخيا فى العمل السياسى كزوجة فؤاد حداد، وكان اسمها زكية، لم يكن لديها فكرة عن السياسة لكنها تحملت بشجاعة، فقد تركها زوجها ولديها طفلان، وهناك ايضا ام محمد عباس وإن كان قد ذكر اسمها، وهناك ام العطار

وسهير يوسف، زوجة محمود توفيق وقد كان لها دور مشرف تعرفه الناس، وهناك أيضا أم شحاته.

وكذلك أم محمد يونس، وكانت سيدة شجاعة جدا، أذكر لها موقفا كانت تريد أن تذهب للطبيب ولم تكن لدى نقود، وكان حمزة له عيادة طبية يحضر فيها طبيب مشهور، فذهبت إليه وطلبت منه أن يأتى للكشف عليها وأيضا على زوجة شحاته، فوافق مباشرة، ولم يكن الطبيب له أى علاقة بالسياسة، وكان حمزة معتقلا فى تلك الأوقات، فسألنى الطبيب، من أنت ومن أين تكونين؟ فقلت له : لن أقول لك من أنا، ولو رفضت سأحترمك، قال لي : سأذهب معك إليهما؟ فطلبت منه أن نركب أوتوبيس لأنى لا أمتلك أجرة التاكسى فذهب معى وكشف عليهما وأعطاهما الدواء، وكان بيت شحاته فى فيكتوريا، وبيت محمد يونس فى ورديان فى آخر الإسكندرية، فأخذوه المباحث لمجرد أنه أتى معى، وهناك قابل إبراهيم وعلم أنى زوجته حيث كانت بينهما معرفة قديمة وكان طبيبا شجاعا جدا.

وكان معهم طبيب اسمه لطفى الصاوى لكنه كان ماديا لا يأتى للكشف إلا إذا أخذ ثمن الكشف متحججا أنه لابد أن يذهب لزوجته بنقود.

لم يكن إبراهيم قد عرفنى ماذا أفعل حين يقبض علىّ، وكنت أعترض على هذا وأقول للأعضاء .. إن هذا لا يصح، فلو قبض على عضوة جديدة لن تستطيع التصرف، وكان يقبض على لمدة أيام، فلم يقبض على فى عام ١٩٥٩ حين قبضوا على ثريا أدهم وثريا إبراهيم، فأنا أعرف الكبار فى السن وأعرف زوجة فوزى حبشى (ثريا شاكر) وعندما أراها أعاتبها قائلة : «كدة يا ثريا الناس ماعادتش بتعرف بعضها» فهى سيدة ظريفة وزوجها رجل محترم، ولنا ذكريات سويا وصور التقطناها معا. وثريا إبراهيم أيضا صديقتى.

كان كل من يرانى يقول لى : أنت خسارة فى هذا العمل فأنهره بشدة. وكذلك كان يقول لى أهالي المعتقلين. وكنت لا أهتم بالتزين أبدا حتى الساعة لم أكن أرتديها، فكان كل ما فى ذهنى هو النضال، وكنت طوال النهار أدور فى الشارع على أهالى المعتقلين. وكان محمد أخى يعترض على هذا بشدة ويهددنى دائما أن يرحلنى إلى المنصورة حتى أنه فى أحد الأيام أغلق على باب البيت بالمفتاح فقفزت من الشباك وذهبت إلى سجن الأجانب لأشتم الضابط والعساكر فامسكونى واخذونى إلى قسم محرم بك وجاء محمد أخى ليستلمنى، وكنت فى ذلك اليوم أرتدى ملاءة وقد نفعتنى هذه الملاءة حيث كنت

احمل منشورات، ولم يفتشونى،

فلم تكن هناك الخبرة الموجودة الآن، وكنا جيدى التصرف.

كان لدينا الإدانة والانفصال عن الوحدة، ولو كانوا وجدوها لأخذونا كلنا. وقد امسكوا بورقة بها عنوان سعد فاخذوه وحكموا عليه بسبع سنوات ولم يأخذوا أى زميلة من الإسكندرية، فقد كانت الحملة مكثفة فى القاهرة.

وقد طلقت فوزية من زوجها لأن زوجها كان متزوجا من اخت ثريا ادهم (حنان ادهم) وقد حاولت أن اجعلها تنتظره لكننى لم استطع. ولكنها تندم الآن كثيرا على تلك الفعلة، فقد تأثرت بضغط البوليس عليها، فكنت آخذ له الأشياء واقول له إنها من زوجته فوزية، فقد كان سعد رحمى له مواقف نبيلة. وقد كان لديها وظيفة وعمل ورغم ذلك تقول لى إننى مختلفة عنها. وقد حذرتها منذ البداية من الزواج من سعد رحمى لأنه محترف، والمحترفون يأخذون عشر سنوات فى السجن.

رايى فى المحترفين

إنهم مساكين (غلابة) وليس لديهم اية نقود، ولم ير سعد الساعى يوما حلوا فى حياته، فحينما قبضوا على سعد لم يكن قد ذاق طعاما منذ ثلاثة ايام.

وكان لى اخ أصغر منى تخرج فى كلية الآداب فظل سبع سنوات دون عمل حيث تقف له مباحث المنصورة فقط لأنه اخونا، وكذلك تعب محمد فى عمله، وقد كانا يطلبان منا ان نترك السياسة.

وقد صبر اخى محمد على كثيرا، فقد كان هناك أناس كثيرون يأتون إلى البيت من اجلى مثل محمود العالم، وعبدالله الزغبى، ولكنه لم يكن يعترض لا هو ولا زوجته، وزوجته اخت فوزى حمزة.

أقتنع دائما بأن السيدة فى هذا المجتمع اقوى بكثير من الرجل، فهى تتحمل مسئولية كبيرة، فقد تحملت مسئولية البيت، وتحملت مسئولية سجن زوجى فقد ساعدته على تحمل أيام السجن، وقد كان السجن بشعا حيث السلك الشائك والثعابين الموجودة فى الرمال، وفى يوم دخلنا دورة المياه أنا وسهير ورأينا الثعبان ملتف حول الماسورة فصرخت سهير، فقلت لها: لا تصرخى وتشجعى وادخلى لن يحدث شيئا. وكان أولادنا صغارا؛ فقد كان مع سهير ولد وبنت صغيران. فتعذبنا كثيرا وكان موقف الناس مختلفا عن هذه الأيام.

شهادة

سمير أمين

مقدمة :

تتعرض الكتابة عن الماضى للعديد من الصعوبات الحقيقية التى لابد من ذكرها منذ البداية.

ولا يمثل النقص فى المعلومات فى حد ذاته الصعوبة الأساسية، طالما ان هناك وثائق مكتوبة يمكن الرجوع إليها، وإن كانت العملية غير ميسرة بالنسبة إلى انشطة اتسمت بطابع السرية. بيد ان الوثائق لا تتكلم بنفسها، بل تحتاج دائما إلى قراءة تضعها فى إطار الظروف التى أحاطت بتحريرها، ومن هنا الخطر الحقيقى وهو إسقاط مفاهيم واحكام الحاضر على ماض سادت فيه مفاهيم واحكام أخرى. فالأهم - قبل إصدار احكام من نوع "هل كان هذا التحليل صحيحا أو هذا الموقف سليما أم خاطئا؟- إنما هو كشف الظروف المحيطة وتوضيح انعكاسها فى التحاليل والطروحات الخاصة بالواقع المعنى. وسوف احاول بقدر إمكانياتى فى هذه المذكرات - ان أطبق هذا المنهج.

ثم اود ايضا ان اضيف هنا فكرا آخر الا وهو ان التاريخ - المعاصر على الأقل - يتكون من مراحل متتالية تختلف من حيث الكيف، فهناك مراحل تتسم بتوازنات اجتماعية وسياسية محلية ودولية مثبتة نسبيا بحيث إن ما يمكن ان يحدث لا يتجاوز حدود التغيير الكمى الهامشى دون أن تنقلب الأوضاع نتيجة له، ففى مثل هذه المراحل تبدو ايضا الأشكال التنظيمية للحركات الاجتماعية والسياسية وكذلك اشكال العمل والصراع مثبتة نسبيا على أساس التجربة التى أثبتت فعالينها وبالتالى مصداقيتها ومشروعيتها فى الظروف السائدة. من هنا تكسب هذه المعاملات طابعا شبه مطلق كانها معاملات صالحة "للأبد" اى بصفة مستقلة عن الإطار التاريخى الخاص بها. من هنا إذن ميل إلى الدغمائية الحاكم فى مثل هذه المراحل.

على ان التغيرات الكمية تتراكم حتى تحدث تغيرا كيفيا، بمعنى انقلاب فى التوازنات السائدة التى حكمت مرحلة بلغت حدودها التاريخية فانهت ظروفها. وفى معظم الأحيان تنفجر هذه "الثورات" دون إعلان سابق بحيث إن اطراف العمل السياسى والاجتماعى لم يكونوا قد تنبأوا بحدوثها ولم يحضروا انفسهم لها، فالتحاليلات السابقة

تفقد صلاحيتها، إذ إن الواقع الجديد يتطلب تحليلاً جديداً هو الآخر. وكذلك فإن أشكال العمل والتنظيم تحتاج إلى مراجعة جوهرية. وبما ان اكتشاف الأنماط الجديدة المطلوبة لا يتم فى لحظة فإن هذه المراحل تتسم بطابع فوضوى واضح. علما أيضا بأن اختراع الأنماط الجديدة المطلوبة يفترض التخلى عن "الدغمائيات" الحاكمة تخليا أى يفترض مزيداً من الحرية فى الفكر والطرح، يفترض الإبداع. هنا تبدو الديمقراطية فى النقاش وقبول التعددية فى الطرح امراً ضروريا، شرطًا لا مفر منه.

أعتقد أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى الثمانينات من القرن السابق كانت مرحلة من النوع الأول كما أعتقد ان العالم قد دخل فى مرحلة من النوع الثانى خلال العقدين الأخيرين للقرن.

يقع تاريخ الحركة الشيوعية المعنية فى إطار المرحلة السابقة اى فى ظروف لم تعد تحكم العالم المعاصر. وبالتالى فإن الأحكام التى أصدرها الأفراد والمنظمات المنتمية للماضى المدروس خضعت لمنطق نظريات ومفاهيم أصبحت الآن موضع تساؤل.

فلنا اليوم الحق فى إعادة قراءتها على ضوء الظروف الجديدة، بل اعتقد ان هناك ميزة فى ذلك ينبغى توظيفها من اجل مزيد من فهم هذا الفصل المجيد من تاريخنا والاستفادة من دروسه استفادة كاملة.

كما أن تعدد المنظمات الشيوعية المصرية- على خلاف ما كان الأمر عليه فى معظم الحالات الأخرى - يمثل عقبة إضافية خاصة لابد اليوم من تجاوزها، الأمر الذى يتطلب بدوره التخلى عن الآفاق المحدودة الخاصة بكل من هذه المنظمات كما يتطلب ان نتفادى أسلوب الجدال الحار الذى ساد خلال مرحلة التاريخ المعنى. وكذلك لابد من ذكر ذلك الانقسام الرئيسى الذى حكم تاريخ الشيوعية على صعيد عالمى انطلاقا من أواخر الخمسينيات، واقصد بالطبع التضاد بين وجهة النظر السوفيتية من جانب وما تقدمت به اطروحات الماوية الصينية. فلا يصح على الإطلاق ان نتجاهل هذا الأمر، وخاصة بعد أن أدت تجارب "الاشتراكية القائمة بالفعل "السوفيتية" والصينية إلى ما ادت إليه.

معنى الشيوعية

اعتقد انه من المفيد - بل ربما من الضرورى - بيان فهمى لمعنى الشيوعية بالنسبة لى، قبل الدخول فى صميم الموضوع الا وهو ذكرياتى عن الشيوعية المصرية ومساهماتى فى حركتها، ذلك لأن ثمة معان متباينة لماهية الشيوعية بصفتها هدف النضال السياسى والاجتماعى.

لئن اتفق الشيوعيون بشكل عام على مبدا تحرير الإنسان - افرادا وجماعات - من جميع أنواع الاستغلال والاضطهاد التى عانى منها المجتمع عبر التاريخ، ولا يزال. إنما قد يختلفون فى فهم ماهية الشيوعية طبقا للمضمون المحدد الذى يضيفونه على ظواهر الاستغلال والاضطهاد المعنية بالنسبة إليهم وبالتالى وسائل، بل ومغزى، التحرير. كما انهم قد يختلفون فى تحليلهم للآليات التى تربط مختلف أوجه هذه الظواهر بعضها ببعض، وبالتالى ايضا فى الاستراتيجيات المطلوبة من أجل التقدم نحو الهدف، ذلك لأن الشيوعية ليست مدرسة فكرية تكتفى "بفهم العالم"، ولا هى طائفة تدعو إلى الانعزال عنه والتقوقع على النفس.

فهى حركة سياسية تتجسم فى حياة منظمات واحزاب تسعى إلى "تغيير العالم".

وهذه المنظمات والأحزاب لها تاريخ، نشات فى مجتمع معين وفى لحظة معينة، انطلقت من فئات معينة داخل المجتمع المعنى، داخل مجتمع يتصدى لتحديات عينية ملموسة تختلف بحسب اختلاف الظروف الموضوعية الخاصة بهذا المجتمع، ولا ينطبق هذا الحكم على الأحزاب الشيوعية بصفتها منظمات اجتماعية لها رؤية يشارك فيها اعضاؤها بشكل عام. بل ينطبق ايضا على الأفراد - فردا فردا - الذين ينتمون إلى هذه المنظمات. فلكل فرد تاريخه الخاص يتلون عليه فهمه للشيوعية.

إذن فسوف أطرح انا هنا رايا هو رايى الخاص، ولو انه ليس رايا "شاذا" لا يشاركه احد أو يكاد. وهو راى مثقف مصرى تم تكوينه فى ظروف سبق أن وصفتها فى كتابى المعنون بـ "سيرة ذاتية فكرية". فاعلم تماما واعترف أن هذه الظروف قد لعبت دورها فى فهمى للشيوعية.

انطلق هنا من مفهوم للحداثة طرحته فى مكان آخر لأن الحداثة هى التى وضعت

المسرح الذى تعمل المجتمعات المعاصرة فى إطاره، فالحداثة نشأت بإعلان أن الإنسان - فرديا وجماعيا - هو المسئول عن حاضره ومستقبله، فهو فاعل وصانع تاريخه، ومعنى ذلك أن الحداثة هى دعوة للتحرر من جميع أنواع الاستلاب الذى يجعله مفعولاً به وليس فاعلاً.

وهناك استلاب آخر، عندما تنسب مسيرة التاريخ إلى قوى فاعلة خارجة عن البشر والمجتمع، سواء أكانت قوى فوق الطبيعة أم "قوانين السوق" على سبيل المثال، أى قوى تفرض نفسها على المجتمع فرضا بصفتها قوانين طبيعية تعمل دون تدخل من البشر. هناك إذن أشكال متباينة من الاستلاب ذات الجذور المختلفة - فهناك استلاب ذو طابع اقتصادى يتجلى فى الدعوة إلى الخضوع لقوانين السوق على سبيل المثال. وهناك استلاب ذو طابع ثقافى كما هو الأمر عليه فى بعض التفسيرات الدينية.

على أن الحداثة هى عملية متواصلة لم تصل بعد إلى نهايتها، ولن تصل إليها، فهى عملية دائمة غير مكتملة. والتحرر الذى تدعو إليه هو التحرر من جميع أنواع الاستلاب التى تعمل فى الحاضر أو التى قد تظهر فى المستقبل.

فالتحرر إذن ليس وضعا يمكن التوصل إليه بل عملية مستمرة متواصلة.

يبدو واضحا أن هذا الفهم للشيوعية يتجاوز فهما آخر دارجا فيجعل الشيوعية من جانب والعدالة الاجتماعية من الجانب الآخر مترادفين - علما بأن أقصى ما يمكن أن تتصوره العدالة الاجتماعية إنما هو مجموعة من المبادئ مثل "المساواة فى الفرص"، من خلال تعميم ومجانية التعليم مثلا، وضمان العمل والخدمات الاجتماعية للجميع .. إلخ.

وقد يصل مفهوم العدالة الاجتماعية فى شكله الأكثر جذرية إلى ضرورة إلغاء الملكية الفردية والوراثة بصفتهما المصدرين الأساسيين فى إعادة إنتاج عدم التكافؤ فى توزيع الفرص على الجميع.

فالتحرر الذى أدعو إليه هنا يقتضى بدوره المساواة الحقيقية بين الجميع فى المشاركة فى صنع القرار على جميع مستويات الحياة الاجتماعية، وذلك على جميع الأصعدة من المحلى إلى العالمى. فالمشاركة هنا ترادف ممارسة الديمقراطية بمعناها الكامل وليس تلك الديمقراطية المقصورة عليمجال معين من الحياة الاجتماعية مثل

إدارة نظام الحكم من خلال التعددية السياسية والعمل بمبدأ انتخاب الحكام .. إلخ، او الديمقراطية السياسية زائد العدالة الاجتماعية فى توزيع الدخل .. إلخ. فالديمقراطية بمعناها الكامل هى ناتج الحداثة التى أعلنت أن الإنسان هو صانع تاريخه. فهى تطوير للحداثة التى لم تصل بعد إلى نهاية مطافها بل خطت فقط خطواتها الأولى فى ظل مفهومها البورجوازى.

لن أخوض هنا فى هذا الموضوع الفلسفى، بل سوف اكتفى بالقول بان هذا الهدف - اى الشيوعية بهذا المعنى - يبدو لى المحرك الوحيد الجدير بالعمل السياسى والاجتماعى من أجل تحقيقه - ولو فى الأجل الطويل وإن كان الأفق بعيدا - فالتنازل عن هذا الهدف او تجاهله وتناسيه لابد ان يؤدى بدوره إلي قبول مبدأ عدم المساواة بين الأفراد والشعوب، واعتباره "أمرا طبيعيا " للأبد. وهذا هو بالتحديد ما أرفضه، وما اعتقد أن ماركس قد رفضه - فى قراءتى له على الأقل، وطالما ان الممارسات السياسية لا تتطلع إلى هذه الآفاق فمن المستحيل أن تتحرر من التقاليد الانتهازية فى السلوك وبالتالى ان تنتج ردود فعل من طرف ضحايا النظام، بعضها ردود فعل إيجابية تتجلى فى التمرد الثورى - وبعضها ردود فعل سلبية تتجسم فى الانزلاق فى طرق جانبية والانغلاق فى مازق الأحلام الماضوية (مثل الدعوة إلى العودة إلى "الأصول"، او التعبيرات الشوفينية ... إلخ).

سؤال : فى رايك ما مفهوم الشيوعية الذى كان سائدا فى مصر وما هى الاختلافات - إن وجدت - بينه وبين ما سبق أن طرحته.

الإجابة

سؤال هام فى محله.

اولاً اود ان اقول إننى لا اعتبر نفسى الوحيد - او يكاد - الذى يضفى للشيوعية المعنى الموصوف اعلاه.

بيد اننى اعتقد ان الشيوعية المصرية بشكل عام لم تتجاوز حدود مفاهيم العدالة الاجتماعية. وهناك أسباب عديدة لهذا النقص - فى رايى - ربما أهمها هو تغليب البعد الوطنى على البعد التطبيقى فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية - الأمر الذي أنتج بدوره مفارقة غريبة. فالحركة الشيوعية المصرية عبأت فى صفوفها عناصر من

الفئات الوسطى والعليا أكثر من أنها نجحت فى تعبئة العمال وفقراء الفلاحين. علما بأن المثقف يميل بطبيعة الحال إلى الاهتمام بالأبعاد الحضارية والفلسفية للمشروع الشيوعى.

وبالرغم من ذلك فإن القليل من كوادر الحركة قد اهتموا بالقدر المنتظر منهم بهذه الأبعاد التى تدعو إلى تجاوز الأهداف المباشرة للعمل السياسى.

ليس معنى ما سبق أن قلته بصدد العدالة الاجتماعية أن البرنامج الذى تطرحه منظمة شيوعية ما لابد أن يكون برنامجا يدعو إلى مجرد التحرير بالمعنى المقصود والموصوف أعلاه - حتى يتجاهل العدالة الاجتماعية، كلا. فالعدالة - أو مزيد منها - هى طلب حقيقى، بل ضرورى للتعبئة وبالتالى للفعالية فى النضال من أجل التحرير. فليس نقدى هنا "نقدا" لمختلف البرامج التى طرحتها المنظمات الشيوعية المصرية عبر تاريخها، ما أقصده هو أن الشيوعيين المصريين بشكل عام - ومنهم القيادات - لم يتجاوزوا حدود الفهم الجذرى للعدالة الاجتماعية.

ثانيا، إن هذا النقص - وأعلق أهمية كبرى عليه - قد ساعد على التئام الحركة الشيوعية المصرية بالمشروع الناصرى الوطنى، على الأقل انطلاقا من عام ١٩٥٦- ولم يكن الرفاق مهيئين لإدراك حدود هذا المشروع الوطنى غير الاشتراكى فى صميم مضمونه - يضاف إلى ذلك أن الخطاب السوفيتى الذى أضفى صفة الاشتراكية للمشروع الوطنى على أساس أنه قد فتح "طريقا غير رأسمالى" قد لعب دوره أيضا فى تكريس هذا النقص وبالتالى الاكتفاء بالترادف بين مفهومى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية.

ثالثا، ليس معنى ما سبق أن قلته عن مفهوم الشيوعية أن حق التصور فى صنع المستقبل طبقا للمبادئ العامة التى تضمنها هذا المفهوم يجب أن يكون "احتكارا" لفئة عقائدية معينة، تمنع على غيرها حق الاشتراك فى الإبداع من أجل تحقيق التحرير المطلوب. فالأنهار التى تصب فى نهاية المطاف فى المشروع ذاته يمكن أن تنبع من أقاليم فكرية متباينة. منها بالقطع التيار الماركسى الذى تبلور انطلاقا من تجاوز حدود فلسفة التنوير البورجوازى (وأنا أنتمي إلى هذا التيار) ومنها أيضا تيارات أخرى انطلقت من رفع بعض القيم الأخلاقية - الدينية المصدر فى كثير من الأحيان - حتى رفضت

المفاهيم والممارسات التى ترافق سيادة السلوك الطقوسى الشكلى التقليدى السلفى فاحلت محلها مفاهيم ثورية للعقيدة.

هذا هو بالتحديد ما يحدث حاليا فى إطار ما يسمى بلاهوت التحرير المسيحى فى امريكا اللاتينية والذى لم يحدث - للأسف - فى العالم الإسلامى حيث تغلبت إلى الآن المفاهيم الرجعية والانتهازية السياسية التى ترافقها.

أدعو هنا إلى التمييز القاطع بين ما أسميه "الخصوصيات الموروثة" من جانب وتنوع طرق الإبداع فى صنع المستقبل من الجانب الآخر، فالأولى - اى الخصوصيات الموروثة - هى ماهى، اى امر واقع، ولا غير، وبالتالى لا يمكن تجاهلها - شئنا ام ابينا، ولكن صنع المستقبل لا يمكن ان يقوم على أساس الحنين للماضى والتمسك به، فيقتضى اكثر من ذلك، اقصد الابداع - إبداع الجديد، الأمر الذى ينتج بدوره تباينات جديدة ناتجة عن تعدد منابع الإلهام - واعتبر ان هذا النوع من التنوع في تصور مقتضيات صنع المستقبل (لا العودة إلى الماضى) يمثل ثروة فى حد ذاته.

لم تكن الأحزاب الشيوعية التى تكونت في إطار إيديولوجيا الأممية الثالثة - انطلاقا من الثورة الروسية - مهيئة لإدراك معنى ما سبق ان قلته عن ضرورة رفض مبدأ الاحتكار العقائدى.

فقد انتج هذا النقص عجز الأحزاب المعنية فى مجال الممارسة الديمقراطية. لقد استطاعت هذه الأحزاب فى بعض الظروف ان تمارس شيئا من السلوك الديمقراطى، سواء كان ذلك فى علاقاتها الداخلية بين الكوادر والقواعد ام فى علاقاتها الخارجية مع الحلفاء السياسيين. ولكن لم تتجاوز - فى افضل الظروف - تلك الحدود البرجماتية. إذ لم تتنازل لحظة عن مبدأ الاحتكار العقائدى. فالمطلوب إذن هو ممارسة ديمقراطية رفيعة على مستوى اعلى وبشكل اعمق.

رابعا ، وبالنزول إلى مستوى اسفل من التحليل نتصدى إلى مجموعة اخرى من الاختلافات فى الراى داخل الحركة الشيوعية. اقصد تلك الاختلافات التى تبدو بالضرورة فى مجال رسم الخطوط الاستراتيجية والتكتيكية السياسية. وهى اختلافات لا مفر منها، شأن الأحزاب الشيوعية فى هذا المضمار هو شأن جميع الحركات السياسية. على أن الفهم العقائدى السائد فى الشيوعية المصرية لم يتح مساحة لقبول

التنوع فى هذه المجالات. فالاختلاف فى الرأى كان ينسب دائما إلى "انحراف يمينى أو يسارى". وفى ظل تعدد المنظمات الشيوعية المصرية وزعم كل منها أنها تمثل "الحزب الحقيقى" القائم على أساس العقيدة "الصحيحة"، أصبحت هذه الممارسات مصدر اتهامات متبادلة، الأمر الذى حال دون العمل طبقا لمبادئ الديمقراطية المطلوبة فى تبادل الرأى.

كيف أصبحت شيوعيا

اعتقد أن طموحاتى الاشتراكية ظهرت عندى مبكرا، وقد لعبت التربية التى استفدت منها فى كل من العائلة والمدرسة دورا أساسيا فى ظهور هذه الميول ثم تبلورها فى قناعة شيوعية.

١ . ولدت فى عائلة تنتمى إلى الفئات الوسطى، من أب مصرى طبيب وأم فرنسية طبيبة هى الأخرى.

وفى أغلبية العائلات الميسورة التى أعرفها كانت ظواهر الفقر المنتشرة فى الطبقات الشعبية تعتبر شيئا يكاد يكون "طبيعيا" وبالتالى مقبولاً. لم يكن هذا الرأى هو السائد فى عائلتنا، بل على العكس من ذلك كان الأب والأم والأجداد يرفضون تماما الوضع الاجتماعى القائم. ولى ذكريات دقيقة عن أقوالهم المتكررة بهذا المعنى. فكان أفراد العائلة يقولون لنا - الأطفال - إن ظواهر الفقر ليست إلا أدلة على أن المجتمع قائم على مبادئ خاطئة فلابد من العمل من أجل تغيير هذا الوضع.

أستطيع أن استنتج من هذه الظروف أن السبب الأول الذى دفعنى فى اتجاه الفكر الشيوعى هو رفض الأوضاع الاجتماعية السائدة فى مصر.

علما بأن الوعى بالأبعاد الأخرى "للمشكلة المصرية" - أقصد الوعى الوطنى وإدراك مقتضيات النضال ضد الاستعمار - قد تبلور فى مرحلة تالية من خلال التعلم فى المدرسة.

واعتقد أن عددا كبيرا من الزملاء الشيوعيين الذين تعرفت بهم فيما بعد قد خطوا سبيلا معاكسا، فانطلقوا من وعى وطنى ثم أدركوا الأبعاد الاجتماعية والطبقية للدعوة الشيوعية.

٢ - تمت تعليمى الابتدائى والثانوى فى مدرسة الليسيه الفرنسية ببورسعيد.

يعلم الجميع ان الشباب المصرى- وخاصة الطلبة - قد اتخذوا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مواقف وطنية واشتراكية جريئة فقاموا فى طليعة النضال من اجل التحرير الوطنى والاشتراكية. هؤلاء هم "فرسان الأمل" الذين كونوا عام ١٩٤٦ لجنة الطلبة والعمال المجيدة والمشهورة فى تاريخنا، وبالرغم من ان عمرى لم يزد عندئذ عن ١٥ عام فقد كنت على علم بهذه المبادرات. فكنت قد بدأت مبكرا فى قراءة الماركسية، فكنت اذهب إلى القاهرة واشترى من مكتبة كورييل القائمة فى ميدان مصطفى كامل ما استطيع ان احصل عليه من كتب ماركس وإنجلز ولينين وستالين. وكنت أعلن نفسى "شيوعيا".

لم يكن هذا الموقف شاذا، إذ كانت مدارس الليسيه بؤر تسييس تقدمى فى مصر. واتذكر تماما ان المصريين من طلبة الثانوى فى ليسيه بورسعيد كانوا ينقسمون إلى ثلاث فئات. وكنا ننظر إلى الأقلية (ربما ٢٠٪ لا اكثر) "غير المسيسين" علي انهم متخلفون ذهنيا حتى كان احتقارنا لهم شاملا. اما الأغلبية فانقسمت بدورها إلى فئتين - ربما بالتساوى أو يكاد -، هؤلاء الذين يعلنون انفسهم "شيوعيين" (وكنت انا منهم) وهؤلاء الذين يعلنون انتماءهم إلى الفكر الوطنى لمصر الفتاة وللحزب الوطنى.

وكانت تجليات العداوة بين الفئتين سافرة. فكنا نشتم بعض يوميا وكانت الخناقات تصل إلى الضرب فى ظروف عديدة.

هنا لابد ان اذكر ان التعليم الذى تلقاه فى مدرسة الليسيه كان افضل ما يمكن ان يكون علميا وسياسيا، فالكلام الذى نسمعه الآن عن "الغزو الثقافى" و"ثقافة الاستعمار" لا يمت بحقيقة الأمر بصلة. اذكر ان التركيز فى تعليم التاريخ كان يقع على فلسفة التنوير والثورات البورجوازية خاصة الفرنسية، كما ان التعليق على الحركة العمالية والاشتراكية، بل والثورة الروسية، لم يكن سلبيا على الإطلاق، بل إلى حد كبير إيجابيا. علما ايضا بان البرنامج شمل تاريخ مصر وركز على تجليات المجد فيه من عصور الفراعنة إلى محمد على مرورا بالعصور الإسلامية المتتالية. كانت معرفتنا عن تاريخ مصر لا تقل عن معرفة طلبة المدارس الحكومية، علما بان فهمنا له كان اكثر تقدمية.

انسب هذا التفوق فى تعليم مدارس الليسيه إلى أسباب عديدة منها بالطبع ارتباطه

بالمناهج المستعملة فى التعليم الفرنسى بشكل عام، أضيف إلى ذلك واقع المنافسة بين فرنسا وبريطانيا، تلك المنافسة التى تجلت فى أن الفرنسيين فى مصر - كانوا يشجعون حركة التحرر الوطنى. فاتذكر أن العديد من الأساتذة كانوا يكررون لنا: مجتمع مثل المجتمع المصرى لا يستحق أن يكون خاضعا لسلطة كولونيالية أجنبية.هذا ولاشك أن الأوضاع فى المدارس الإنجليزية قد اختلفت تماما. وقد اقتنعت بذلك خاصة بعد قراءتى لمذكرات إدوارد سعيد وذكرياته الشنيعة عن مدرسة فكتوريا كولج وتعليمها الرجعى على طول الخط وروح الاستعمار السائدة فيها.

على أن تعليم اللغة العربية كان يمثل نقطة ضعف بالتأكيد فى تعليم مدارس الليسيه. بيد أن هذا الضعف لم يرجع إلى خطة مرسومة من قبل إدارة الليسيه، فوزارة التعليم المصرية هى التى كانت تختار مدرس اللغة العربية. ولم نكن نحن الطلبة مهيئين أن نقبل أسلوب التعليم "الأزهرى" بعد أن كنا قد تذوقنا بالأسلوب الحر المستخدم فى تعليم المواد الأخرى، حتى أصبح فصل اللغة العربية يُعتبر فصل تعذيب بالنسبة إلينا.

سنوات التكوين الأولى

سافرت إلى باريس عام ١٩٤٧ (وكان عمرى حينئذ ١٦ عاما) بعد أن حصلت على شهادة البكالوريا.

كانت الخطة أن أدخل فى سلك دراسة الرياضيات والفيزياء، نظرا لأننى كنت قد حصلت على أعلى النتائج فى هذه المواد فى مصر ثم فى باريس.

وكنت حقيقة مولعا بالعلوم المجردة، ولكن فى الوقت نفسه كنت قد قررت أن أعطى الأولوية الأولى فى حياتى (أو مشروع حياتى) إلى النشاط السياسى . وعلى هذا الأساس، وبعد تفكير صعب، غيرت فجاة الخطة وانتقلت إلى دراسة الحقوق (ثم الاقتصاد) والعلوم السياسية.

التحقت فورا بالحزب الشيوعى الفرنسى وانضممت إليه، فاصبح هذا الحزب مدرستى الأولى فى التكوين السياسى، مدرسة لا أزال أعتبرها ممتازة بالرغم من كل عيوب وحدود شيوعية الأممية الثالثة، وكنا، نحن الطلبة، فرنسيين وأجانب معا فى نفس الخلايا فى تلك الأيام.

كما كنا نناضل ايضا فى الاتحاد العام لطلبة فرنسا التقدمية نسبيا فى أعقاب الحرب. فكنا نشارك فى النقاشات التى أدارتها مجلات سياسية وثقافية شيوعية هامة وذات نفوذ فعلى فى المجتمع حيث إن نسبة مرتفعة من كبار المثقفين الفرنسيين والعلماء وأساتذة الجامعة كانوا أعضاء فى الحزب الشيوعى أو قريبين منه، واتذكر اننا - نحن الشباب إلى جانب عمال عاديين - كنا نقابل هذه الشخصيات الكبرى فى اجتماعات نقاش حول مواضيع مختلفة تكاد تغطى كل ما يمكن تصوره فى جميع المجالات من السياسية إلى الأدبية والفنية والعلمية والتاريخية والثقافية والأيديولوجية. ولابد أن اذكر هنا بهذا الصدد ان الجو السائد عندئذ قد اتسم بالفعل بقدر عال من البساطة والصراحة والاحترام المتبادل، بين "كبار العلماء والمفكرين" وبين أفراد الشباب والشعب.

هذا وقد كنت أخصص معظم وقتى للنشاط فى منظمات طلبة العالم الثالث من العرب والأفارقة والآسيويين. ولهذا الغرض كنا (أقصد مجموعة صغيرة من الشيوعيين وانا منهم) قد أسسنا منظمة نضالية اسميناها "الطلبة ضد الاستعمار" وكنا نصدر جريدة (كل شهرين او ثلاثة) بنفس العنوان. كنا حريصين على ان يشمل هذا التجمع طلائع شيوعية ووطنية جذرية، تعمل ايضا فى إطار المنظمات العامة التى جمعت الطلبة بحسب جنسيتهم؛ ومن بين هذه المنظمات الأكثر نشاطا فى الكفاح ضد الاستعمار والكولونيالية اذكر منظمة الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا (المغرب والجزائر وتونس) ومنظمة الفيتناميين ومنظمة طلبة افريقيا. وقد اصبحت هذه المنظمات ميادين صراعات عنيفة بين القيادات التقدمية والقيادات التابعة للأحزاب التى كانت تقود المعركة مثل حزب الدستور (البورقيبى) فى تونس وحزب الاستقلال (الملكى) فى المغرب وحزب الحركة الوطنية الجزائرية (الذى خرجت منه فيما بعد اقلية قامت بتكوين حزب جبهة التحرير فإعلان حرب التحرير) والتجمع الديمقراطى الأفريقى.

كنت أسكن فى "فندق طلبة" استولينا عليه واصبحنا نديره بانفسنا إدارة مستقلة. وصار هذا المكان - ٢٢ شارع سانت سلبيس - المركز الرئيسى للنشاط اليسارى فى منظمات الطلبة. وظلت الأمور على هذا الوضع لمدة ست سنوات قبل ان تستطيع الإدارة ممارسة حقوقها فطردنا من الفندق!

كنا نتابع اهم الحوادث والتطورات وبصفة خاصة النضال من اجل التحرير الوطنى.

اذكر هنا على سبيل المثال بالنسبة إلى الوطن العربى والشرق الأوسط حرب فلسطين وما تلاها من تطورات، والانقلاب ضد مصدق فى ايران عام ٥٣، وإلغاء معاهدة ٣٦ عام ٥١، ثم حريق القاهرة، فالانقلاب فى يوليو ٥٢ وما تلاه حتى تاميم قناة السويس وحرب ٥٦، وكذلك الانقلابات فى سوريا وصعود حزب البعث وانتفاضة الدار البيضاء عام ٥٢ وإبعاد السلطان بن يوسف وعودة بورقيبة عام ٥٥ فاستقلال المغرب وتونس عام ٥٥ وطبعا التطورات المتعلقة بحرب الجزائر انطلاقا من عام ٥٤. كما كنا نتابع ما يحدث فى الأقاليم الأخرى للعالم الثالث وخاصة حرب فيتنام. وحروب جنوب شرق آسيا وانتفاضة مدغشقر عام ٤٧ ثم قضية نوابها المتهمين "بالإرهاب"، وظواهر النضال المدنى والعسكرى فى جنوب افريقيا وكينيا وساحل العاج والكاميرون وغيرها من البلاد الأفريقية.

كنا نتابع ايضا اهم التطورات التى حدثت على صعيد عالمى ومنها مراحل الحرب الباردة وتكوين الحلف الأطلسى ومشروعات الهيمنة الأمريكية السياسية والعسكرية (مشروعات حلف بغداد وسنتو .. إلخ). فكان انعقاد مؤتمر باندونج عام ٥٥ يمثل لنا نقله تاريخية نحو إنجاز مشروع التحرر الوطنى على صعيد القارتين الآسيوية والأفريقية.

كما أننا بصفتنا شيوعيين كنا نهتم بصفة خاصة بما يحدث داخل "المعسكر الاشتراكى" ولاسيما النزاع السوفيتى اليوغسلافى فى عام ٤٨ والمؤتمر العشرين للحزب السوفيتى وانتفاضة المجر عام ٥٦ وتبلور ظواهر النزاع السوفيتى الصينى انطلاقا من عام ٥٧.

لم نكن نكتفى "بالتعليق" حول هذه الأحداث فى صحفنا الطلابية ومنشورات عديدة، كنا نحدد مواقفنا المبدئية والاستراتيجية ثم على اساسها نعبئ "جماهيرنا" ونقيم مظاهرات ونحاور مختلف زعماء الحركة من الثوريين و"المعتدلين" ، من اليساريين والمحافظين.

لابد ان اقول هنا اننا تمتعنا بقدر عال من الحرية فى رسم استراتيجياتنا وتحديد مواقفنا من الحوادث ومن القيادات الوطنية وجماهيرها، على أننا كنا ايضا نعتبر انفسنا أعضاء فى الحزب الشيوعى - الفرنسى - وبالتالى خاضعين لمبادئ النظام

السائد عندئذ فى أحزاب الأممية الثالثة.

من هنا حدثت بعض الاحتكاكات بل الخلافات فى بعض الظروف بيننا وبين القيادات الحزبية الطلابية الفرنسية- فاتهمنا فى بعض الحالات بانحراف "وطنى" (بمعنى مخالف للأممية) فى تعاملنا مع التيارات الوطنية غير التقدمية.

واتذكر ان الخلاف قد بلغ درجة من الخطورة حتى أصبح رفع القضية أمام مستوى أعلى من المستوية القيادية أمرا لا مفر منه. فالرفيق توريز - السكرتير العام للحزب- قد دعانا لاجتماع وسمع مذكرة "الاتهام" بهدوء، ثم تعليقاتنا عليها، وحكم توريز فى صالحنا، أعتقد ان هذا الرجل السياسى الكبير - مهما كانت حدوده فى الجو السائد عندئذ - كان رجلا طويل النظر. ثم الاحظ أن عددا من هؤلاء الذين اتهمونا تركوا الحزب فيما بعد وأصبحوا رجعيين تماما!! هذا شئ رايته يتكرر خلال حياتى، أن أكثر الناس المطيعين لما يبدو لهم "راى القيادة" فى لحظة ما ليسوا هم عادة الأكثر تمسكا بالمبادئ والقناعة الشيوعية.

عندما سافرت من مصر عام ٤٧ كنت أعتبر نفسى "شيوعيا" بالرغم من اننى لم أكن على اتصال باية منظمة، وفى باريس تعرفت ببعض الزملاء المصريين، معظمهم يهود طردوا من مصر فى أعقاب حرب فلسطين او هجروها فاستوطنوا فرنسا أو إيطاليا بصفة لاجئين سياسيين، وبعضهم طلبة مصريون اكبر منى سنا فكان لهم تجربة سابقة فى المنظمات المصرية- مثل فؤاد مرسى وإسماعيل صبرى عبد الله ومصطفى صفوان وعبد المعبود الجبيلى، وبعضهم كوادر حزبية فى مامورية فى الخارج، وكانوا ينتمون إلى حدتو أو ما تفرع منها من منظمات عديدة.

كان انطباعى ان هؤلاء من زملاء حدتو يعيشون فى حلم الاستمرار فى قيادة الكفاح فى مصر وهم فى الخارج. وبمرور الزمن اصبحوا منعزلين اكثر فاكثر عن واقع تطور الأمور فى المجتمع المصرى دون ان يدركوا ذلك او يقبلونه، فخاضوافى نزاعات داخلية اصطناعية إلى حد كبير حتى أثرت فيها العوامل الفردية بقدر متزايد، فلم ينجحوا فى جذب اهتمامى بالخلافات التى ملأت كتاباتهم فى منشورات عديدة.

لذلك تقربت فورا من هؤلاء الذين كنت أحس بأنهم يشاركون تحفظاتى بالنسبة للحركة الشيوعية المصرية بشكل عام- ومنهم بالدرجة الأولى إسماعيل صبرى عبد الله

الذى لعب دورا فى مبادرة جديدة تبلورت فى تكوين نواة لما أصبح الحزب الشيوعى المصرى (راية الشعب) من جانب وتاسيس مجلة "الشرق الأوسط" من الجانب الآخر (عام ١٩٥٠)، اصبحت المجلة مركز التقاء مثقفين شيوعيين عرب وإيرانيين واتراك يركزون على تحاليل جديدة سواء كان بالنسبة للسياسة الدولية فى المنطقة ام بالنسبة لمواقف مختلف تيارات المعارضة الوطنية للاستعمار. كان الزميل مكسيم رودنسون يعمل مديرا للمجلة والزميل ريمون اغيون يساعدها ليس ماليا فقط بل فكريا ايضا. اعتقد ان المجلة كانت بالفعل تقدم افكارا سبقت أوانها، على سبيل المثال، لقد لفت إسماعيل عبد الله النظر إلي بوادر مبكرة لما تبلور فيما بعد فى ظاهرة "الحياد الإيجابى" او "عدم الانحياز"، وهو المبدأ الذى قام على أساسه تجمع دول باندونج انطلاقا من عام ٥٥. بيد ان "تأييد" هذا الاتجاه فى ساحة السياسة الدولية عام ١٩٥٠ كان يعتبر مخالفا للخط العام الذى لم يتحرر بعد من نظرية جدانوف التى سوف يكون لنا عودة إليها فيما يلى.

اود ايضا ان اشير هنا إلى نشاط مجموعة "الطلبة ضد الاستعمار" التى كنت انتمي إليها فى صفوف السوريين والعراقيين.

فكان الحزبان الشيوعيان السورى والعراقى اكثر نشاطا من اى حزب شيوعى عربى آخر. فكنا نصطف معهما فى نضالهما العنيف فى تلك الأيام ضد ايديولوجيا ونفوذ البعث الصاعد.

لن اعود هنا إلى ما سبق ان كتبته بشئ من التفصيل فى "السيرة الذاتية الفكرية" وموقفى الشخصى من الرؤى التى سادت فى تلك الأيام.

فسوف أكتفى بتلخيصها من خلال تعليق بسيط. فكان للنضال من اجل الشيوعية ثلاثة ابعاد رئيسية ، الصراع الطبقى الأصلي الذى يتعارض من خلاله المستغلون والمستغلون، والصراع بين الاستعمار المهيمن والشعوب المضطهدة، والصراع بين دول المراكز الراسمالية الرئيسية ودول الكتلة الاشتراكية، وبالرغم من صحة الافتراض العام القائل بان هذه الصراعات الثلاثة من شانها ان تنتقى فى مواجهة العدو المشترك، إلا ان منطق الاستقلال الذاتى الذى يحكم كل صراع على حد ذاته لابد ان يؤدى إلى تناقضات حقيقية فى مجالات العمل بين القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة التى

حركت الصراعات المعنية. فالخيار الاستراتيجى يقتضى - لكى يكون فعالاً - ترتيب الأولويات بين الأهداف الخاصة بكل صراع.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية فرضت القيادة السوفيتية مفهوما للصراع من أجل الاشتراكية يضفى الأولوية الأولى لدفاع الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية فى المجال الدولى، بصفتها القوة الرئيسية المناضلة من أجل الاشتراكية. فذهب جدانوف عام ١٩٤٨ ينطق بهذا المعنى بشكل واضح تماما فى مناسبة بالغة الأهمية الا وهى تاسيس الكومنفورم. فقال إن العالم قد انقسم إلى كتلتين، إحداهما - اشتراكية تضم الدول الاشتراكية والأحزاب الشيوعية بهذا الترتيب ى بمعنى آخر اعتبرت القوى الأخرى، ولاسيما الأحزاب الشيوعية، على أنها ذيل للدولة السوفيتية) والأخرى هى كتلة راسمالية تقودها الولايات المتحدة وحلفاؤها أوروبيا وعالميا (فلم يشر جدانوف إلى حركات التحرر الوطنى التى لم تقم أحزاب شيوعية بقيادتها). وكان التفسير السائد لهذه الأقوال أن الصراعات الطبقية والنضال من أجل التحرر الوطنى تمثل قوى تقدمية بقدر ما تتفق مع مقتضيات الدفاع عن الدول الاشتراكية التى تمثل بدورها النوة الصلبة الوحيدة للقوى التقدمية عالميا.

من هنا كثرة الاحتكاكات بين القيادة السوفيتية ومن كان يتبعها دون تردد وتحفظ من جانب وبين القوى التى دخلت إما فى صراعات طبقية حادة هنا أو هناك أو فى نضال من أجل التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا.

وكنا نحن جميعا نتصدى لهذا التناقض بشكل أو بآخر بدرجة من الوعى أو دون وعى بما يمثله. ولست متكبرا فى قولى إننا اخذنا حريتنا إلى حد كبير فى تحديد استراتيجيتنا فى تكوين الجبهة التى كنا نسعى إليها ضد الاستعمار، بيد اننا كنا دائما نسعى إلى تبرير المواقف التى اتخذناها من خلال "قراءة" نص من النصوص "المقدسة" سواء كان نصا "كلاسيكيا" (ماركس او لينين أو ستالين) أم نصا سوفيتيا صدر فى البرافدا او في وسيلة من وسائل الإعلام السوفيتى، وادرك اليوم أن معظم هذه النصوص الأخيرة قد اتسمت بدرجة من المرونة - بل الإبهام - بحيث إنها فعلت فعلها الوظيفى المطلوب اى إخفاء التناقض وعدم نقاشه علنا.

سوف اعود فيما بعد إلى هذه الإشكالية المحورية فى تقدير التحدى الذى واجهته

الحركة الشيوعية المصرية.

ملاحظة اخيرة - تحدثت هنا عن سنوات التكوين الأولى، ذلك لأننى من هؤلاء الذين يعتبرون أن التكوين لابد أن يستمر طوال الحياة، وقد حاولت فى السيرة الذاتية الفكرية أن ارسم الخطوط العامة لتطورى فى السنوات التى تلت فى مصر وفى الخارج.

الشيوعية المصرية وتحدى الحداثة

١ - لايزال ينقصنا تاريخ للحركة الشيوعية المصرية يتجاوز مجرد عرض للحوادث والمواقف وما كتب بمناسبتها لتبريرها- فنحن في حاجة إلى إعادة فتح باب النقاش فيما هى التحديات التى واجهت المجتمع المصرى خلال تاريخه المعاصر وفيما هى الأدوات الفكرية التى وظفتها الحركة الشيوعية لفهمها وتحديد خطوط استراتيجيتها - ولنا اليوم ذلك البعد التاريخى الذى يتيح - بل يفرض العودة فى هذا الموضوع والاستفادة من معرفة النتائج التى اثبتتها المراحل اللاحقة التى تلت الحوادث المعنية.

أقول ذلك وليس فى ذهنى نقد "سلبى" لهذا التاريخ. كلا فبيان حدود ونواقص الرؤى التى تصورت الحركة الشيوعية تحديد استراتيجياتها من خلالها لا يعنى اغتياب هذه الحركة التى كتبت امجد صفحات تاريخنا المعاصر.

بمعنى ان الشيوعيين قد وقفوا بالفعل فى طليعة الأمة، فاثبتوا شجاعة وحساسية لماهية قضايا الطبقات الشعبية قليلة المثل - بل اقول اكثر من ذلك - اقول إن رؤى الحركة الشيوعية - بالرغم من نواقصها التى قد تظهر اليوم واضحة - قد تجاوزت بمسافات نظرات جميع التيارات الوطنية والإسلامية.

وسوف أحاول فى الصفحات التالية ان الفت النظر إلى ما يبدو لى اليوم المصدر الرئيسى لهذه النواقص، آملا من وراء ذلك المساهمة فى فتح باب النقاش دون اعتبار الطرح المعروض طرحا "نهائيا" وكاملا بالمرة.

اعتقد أن الحركة الشيوعية المصرية قد تصدت بمركب من الظواهر الرئيسية هى بدورها ناتج توسع الراسمالية العالمية توسعا غير متكافئ، شانها فى ذلك شان جميع الحركات والأحزاب الشيوعية والتقدمية والوطنية عربيا وعالميا، ولن اعود هنا إلي عرض ما قد يكون معروفا لدى العديد من القراء حول النظريات التى قدمتها بهذا

الصدد. علما بأن الاستقطاب على الصعيد العالمى المحايث لهذا التوسع الراسمالى القائم بالفعل قد انتج نتائج متكاملة "هى"، اولاً فى المراكز ميل قوى يدفع الحركة العمالية والاجتماعية التقدمية نحو ممارسات إصلاحية تدريجية، وثانيا فى الأطراف ميل لا يقل قوة يدفع التيارات التقدمية نحو تغليب بعد التحرر الوطنى على الأبعاد الأخرى للقضايا الاجتماعية.

أقول ذلك ولا أعتبر ان هذين الاتجاهين قد مثلا "انحرافين" عما كان "يجب ان يكون". بل انطلق من الاعتراف بأن هاتين الإستراتيجيتين قد انتجتا بالفعل نتائج عظيمة غيرت وجه المجتمعات المعنية عالميا، وذلك بشكل إيجابى وعميق - حتى اصبح من العبث فكرة "إلغاء" هذا التاريخ كما تتصوره بشئ من السذاجة التيارات الماضوية التى تحتل الساحة حاليا

هذا وتظل آليات الاستقطاب تفعل فعلها المتحكم فى المرحلة الراهنة. وما يترتب على ذلك إنما هو ان تراكم كوكب التناقضات الصاعدة فى بعض مناطق الأطراف من شأنها ان تنتج هنا وهناك "ظروفا ثورية". هذه هى نواة نظرية "الحلقات الضعيفة" التى طرحها لينين بالنسبة لوضع روسيا فى ايامه والتى لا تزال صحيحة من حيث المبدأ فى رايى. اقول إذن إننا سوف نشهد فى المستقبل تبلور "حلقات ضعيفة" اخرى ربما هى البرازيل او الهند او إيران او جنوب افريقيا او غيرها من مناطق الأطراف.

فالحركة الشيوعية - إذا استطاعت فى مثل هذه الظروف ان تثور وتتغلب على اعدائها - هى بالضرورة ناتج مركب ميول يجمع بين المطالب الوطنية (التحرر ثم السعى "للحاق") وبين المطالب الاجتماعية الخاصة بكل الطبقات ضحايا التوسع الراسمالى. وقد يكون البعد الاجتماعى اكثر بيانا فى الثورات ذات الطابع الجذرى (الثورات باسم الاشتراكية).

بينما يحتل البعد الوطنى الساحة فى حركات التحرر فى آسيا وإفريقيا. على ان الجميع ينصدون للتناقض عينه الذى يؤدى فى نهاية المطاف إلى إضفاء الأولوية الفعلية (مهما كان الخطاب الذى يرافق القرار) لمقتضيات إنماء قوى الإنتاج من اجل "اللحاق"، ولو فى إطار يتمتع باقصى درجة ممكنة من الاستقلال إزاء ضغوط النظام العالمى، وذلك على حساب مقتضيات "بناء الاشتراكية" (أى إلغاء الطبقات) - حتى تحدد

معادلة التركيب بين هاتين المجموعتين من الأهداف الطابع الحقيقى للمشروع المجتمعى عند لحظة معينة من تطوره وبالتالى تحدد نقاط قوة وضعف المشروع ذاته وحدوده التاريخية. تنتمى الناصرية لهذه المجموعة من التجارب التاريخية، وهى مرت بمراحل متتالية سوف أعود إليها فيما بعد.

ولذلك، فإن الحركة الشيوعية، إذا لم تحتل مكانة الصدارة فى "قيادة الثورة"، تتصدى لمجموعة من الأسئلة لا مفر منها، هل يجب أن تساند التحول، بدون تحفظ أو بتحفظات؟ هل يجب أن يقوم النضال من أجل تجذير الحركة من داخل أو من خارج النظام؟ وكيف؟ بل وإن المنظمة الشيوعية التى قادت الثورة هى نفسها معرضة لخيارات ذات الطابع نفسه والتى تنعكس فى اختلاف الرؤى داخل الحزب، بشكل أو بآخر.

ليس فى ذهني هنا أن أقوم "بإدانة" خيارات الشيوعيين هنا وهناك، فى مصر، فى الوطن العربى، فى الاتحاد السوفيتى، فى الصين . إلخ. بل أود فقط أن أساهم فى محاولة فهم الأسباب الموضوعية وانعكاساتها فى النظريات الموظفة التى دفعت الحركة فى اتجاه أو آخر. فالشيوعية المصرية تدخل فى هذا الإطار العام. وسوف ألخص فهمها للتحدى من خلال انحيازها السوفيتى وانخراطها فى حركة "النهضة" التى سعت إلى تجذيرها.

٢ - ليس خيار الانحياز السوفيتى من باب الصدفة أو ناتج أسباب شاذة يصعب فهمها، كلا، فالاستعمار اعتبر الاتحاد السوفيتى، مهما كان طابع نظامه الحقيقى، يمثل العدو الرئيسى له، فالسوفيت قد اختاروا منذ باكر (أقصد مؤتمر باكو عام ١٩٢٠) مساندة حركات التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا على أساس أن المنطقة المعنية - أى القارتين - تمثل الحلقات الضعيفة المحتملة - ثم انطلاقا من عام ١٩٥٥ (مؤتمر باندونج) قرروا مساندة مطالب "عدم الانحياز" للدول المستقلة فى القارتين.

وبناء على ذلك لقد وقف الاتحاد السوفيتى إلى جانب الشعوب العربية عامة والشعب المصرى خاصة فى المراحل الأكثر دراماتيكية من التاريخ المعاصر. ولذلك أصبح نفوذ السوفيت وشعبيتهم واسع الانتشار فخرج عن دوائر الشيوعيين ليشمل جميع التيارات الوطنية المخلصة.

ولكن ما ترتب على ذلك إنما هو أن الشيوعيين المصريين تفادوا التساؤل حول ماهو المجتمع السوفيتي حقيقة حتى أصبحوا عاجزين عن إدراك أسباب انهياره اللاحق الذي بدا لهم حادثا مفاجئا غير متوقع بالمرة.

وينعكس هذا النقص ليس فقط في الكتابات الشيوعية القديمة بل أيضا في الذكريات الحديثة. فهذه الكتابات في غالبيتها تظل خالية من أية إشارة إلى ما كان المجتمع السوفيتي وقضاياه.

هناك ما هو أسوأ وأخطر وهو تجاهل المناقشات التي تمت بهذا الصدد داخل الحركة الشيوعية العالمية وبالأخص عندما انفجر النزاع السوفيتي - الصيني

فالمواقف التي اتخذتها الشيوعية الماوية مجهولة تماما والإشارات النادرة إليها لا تعدو كونها تكرارا لكتابات البروباجندا السوفيتية على سبيل المثال لم أجد إشارة تذكر "للخطاب في ٢٥ نقطة" الذي أرسله الحزب الصيني للسوفيتي عام ١٩٦٣ والذي تم نقاشه عالميا وكذلك لم أجد إشارة واحدة للتمييز الذي طرحته الماوية بين "المستويات الثلاث" أي مستوى مطالب "الدول" (أي الطبقات الحاكمة) ألا وهي السعي إلى الاستقلال من الضغوط الاستعمارية، ومستوى الأمم التي تسعى إلى التحرر الوطني ومستوى مطالب الشعوب (بمعنى كتل الطبقات الشعبية) من أجل الثورة الاجتماعية كما لم أجد إشارة إلى أطروحة ما وحول البورجوازية التي "لا تنشأ من خارج الحزب بل من داخله، من خلال احتكار الحزب للسلطة الأمر الذي يغذي في قياداته طموحات بورجوازية"

أذكر هنا بالمناسبة تلك المقالة التي نشرت في مجلة الطليعة والتي اكتفت في نقاش الرؤى التي قدمتها أنا بنقل ما كتبه في مجلة سوفيتية أولج بوجومولوف المشهور، والذي أدان "الانحراف البورجوازي الصغير" لسمير أمين! وقد شاءت الظروف أن أقابل أولج بوجومولوف - الذي كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب ومسئولا عن العلوم الاجتماعية في الأكاديمية - بعد شهر فقط بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. وسمعته يعلن "أنه معاد للشيوعية.." فضحكت وعلقت علي هذا التصريح على النحو التالي: "غريب .. إنت كنت في مركز قيادي في حزب اسمه "الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي" وذلك منذ شهر فقط .. فيبدو أن تحولك إلى موقف معاد للشيوعية هو

تحول حديث .. كلا .. أنا أقرأك منذ ٢٠ عاما، وكنت دائما أراك معاديا للشيوعية".

٢ - لن نتقدم في تقويم إنجازات النظم المصرية المتتالية في تاريخنا المعاصر وكذلك في تقويم العقبات التي وقفت في سبيل الحركة الشيوعية دون العودة إلى مرحلة النهضة التي تمثل نقطة الانطلاق في حركة تحديث المجتمعات الشرقية الاسلامية العربية.

تقوم الحداثة على مبدأ جوهري الا وهو ان الإنسان - أفرادا وجماعات - هو المسئول عن صنع تاريخه، وان هذا الحق - بل الواجب - يفترض حق الإبداع بمعنى حق التخلي عن التقاليد والسلفية. فقد أنتج إعلان هذا المبدأ قطيعة في التاريخ حيث إن جميع المجتمعات السابقة عليه - بما فيها المجتمع الأوروبي المسيحي الإقطاعي نفسه قد قامت على مبدأ احترام التقليد- وقد أطلق الأوربيون على المرحلة في تاريخهم التي شهدت تبلور المبدأ الجديد اسما معروفا هو "النهضة" علما بان المصطلح اللاتيني يحمل معنى "إعادة الولادة" - بيد ان "النهضة" لم تكن إعادة ولادة حيث إن مبدا الحداثة لم يكن له مثيل سابق بل كانت ولادة - ولادة جديد فالأوروبيون - من وراء اختيارهم لهذه التسمية - قد صنعوا بالمناسبة خرافة إيديولوجية الا وهي ان العصور القديمة الإغريقية والرومانية قد عرفت مبدأ الحداثة ثم إن هذا المبدا قد اهمل فاختفى في ظل الحكم المسيحي الظلامي. بيد ان هذا التصور لما كانت العصور القديمة لا تمت لحقيقة الأمور بصلة. حتى أصبحت الخرافة الإيديولوجية المذكورة مصدرا رئيسيا لما اسميته "التمركز الأوروبي"، اي تصور تسلسل خاص لتاريخ "الغرب"، مخالف تماما لتسلسل المجتمعات الأخرى. فيربط العصور القديمة المعنية بالحداثة والمعاصرة. كأن الأوروبيين قد اكتشفوا عند اسلافهم - قدماء الإغريق والرومان - مبدأ الحداثة.

فكان إذن هذا الاكتشاف بمثابة "إعادة ولادة"، وليس له طابع الإبداع الجديد، وفي واقع الأمر كان هذا الإبداع ناتج ديناميكية داخلية بمعنى تبلور حل جديد للتناقضات الخاصة بالمجتمع الأوربي في تلك المرحلة الحاسمة من التاريخ. حل جديد تجسم في إبداع الراسمالية.

اما الظاهرة التي اطلق عليها اسم النهضة في الشرق الإسلامي العربي فهي ظاهرة

مختلفة تماما من حيث جوهر طابعها، فلم تكن تلك النهضة ناتج حركية داخلية للمجتمع المعنى، بل رد فعل على صدمة قادمة من الخارج. فالحداثة قد أضفت على أوروبا قدرة توسعية وفعالية لا مثيل لها عالميا وتاريخيا، الأمر الذى أثر فى المجتمعات الشرقية تأثيرا عميقا وملتبسا، تأثيرا يجمع بين الجذب والإعجاب وبين الرفض والكراهية معا.

فلم يدرك العرب حقيقة ما حدث فى أوروبا فى لحظة إبداع الحداثة- فأخذوا بالخرافة الأيديولوجية على وجهها - وعلى هذا الأساس لقد تصور العرب انهم ايضا إذا "رجعوا" إلى حضارة أسلافهم فسوف يحدثون "نهضة" على مثال النهضة الاوروبية.

إن النهضة العربية لم تنتج إذن تلك القطيعة التى هى شرط تبلور الحداثة. بدليل على سبيل المثال - عجز النهضة العربية فى مجال إشكالية العلمانية واستحالة فهمها مغزي هذا المبدأ بصفته شرطا ضروريا لتبلور مفهوم جديد للسياسة المستقلة عن الدين يتيح الإبداع الحر، وهو بدوره شرط الديمقراطية بالمعنى الحديث. فاكتفت النهضة فى هذا المجال باقتراح إعادة قراءة للدين بعد تطهيره من الانحرافات الظلامية التى تراكمت عبر التاريخ. وإلى يومنا هذا ليست المجتمعات العربية مهيئة لتدرك ان العلمانية ليست "خصوصية غربية" بل شرط الحداثة ينطبق على الجميع.

وبالتالى لم تدرك النهضة معنى الديمقراطية الحديثة بصفتها حق الإبداع الحر

فليس من الصدفة أن النهضة لم تخرج عن إطار منطق السلطة الاستبدادية التقليدية فدعا النهضويون إلى "المستبد العادل" واعتبروه مرادفا "للمستبد المنور". واعتقد ان هناك فرقا بين المصطلحين، وهو فرق دال فى حد ذاته.

هكذا لم يتجاوز فهم الحداثة عند النهضويين ظاهرها فقط الا وهو التقدم الفنى.

أعلم تماما ان هذا التلخيص المطروح هنا للنهضة هو تبسيط يتجاهل الخلافات فى داخل معسكر النهضة ووجود طلائع تقربت من تجاوز الحدود المذكورة. ومن بين هؤلاء، قاسم أمين الذى دعا لتحرير المرأة والكواكبى الذي ادرك المغزى الجذرى لمطلب الديمقراطية وعلى عبد الرازق الذى انحاز لصف العلمانية. على أن اطروحات هؤلاء المفكرين الذين وقفوا فى طليعة الحركة لم تحسم حسما قاطعا فى تطور الحركة. فكان رد فعل المجتمع العربى الإسلامى لتحدي الطليعة ردا سلبيا.

واليوم، العودة إلى مدح الماضي وتكريس "الأصالة" و"التراث" - وهى ظواهر تحتل المسرح الأيديولوجى الراهن - إنما هى دليل قاطع على أن النهضة لم تحقق اكتشافا صحيحا لماهية الحداثة بل هى حركة أجهضت فى إنجاز هذا الهدف.

اقول إذن إن المجتمعات العربية لم تدخل بعد فى عصر الحداثة بالرغم من انها تتصدى كل يوم للتحديات التى تحملها تلك الحداثة التى تتجلى فى الصدمات العنيفة التى يقوم الاستعمار بها.

اقول إن هذا هو السبب الذى يقف إلى الآن عقبة حاسمة فى سبيل إدراك مغزى ومعنى الديمقراطية. وفى هذه الظروف فإن نظام حكم يبدو قادرا على مواجهة ضربات الاستعمار من جانب والذى يحقق شيئا من العدالة الاجتماعية من الجانب الاخر هو نظام حكم يتمتع بشعبية مضمونة.

اقول إن الحركة الشيوعية نفسها - بصفتها جزءا لا يتجزأ عن المجتمع المحيط بها - لم تفهم هى الأخرى الديمقراطية فهما حقيقيا وكاملا. فالحركة الشيوعية ظلت تجمع بين الأهداف والمطالب الوطنية من جهة وبين المطالبة بالعدالة الاجتماعية من جهة أخرى دون ان تتجاوز هذه الحدود كما سبق أن ذكرته فى هذه الذكريات.

ثورة يوليو والناصرية

١ - لا يقل تقويم الناصرية صعوبة عما هو الأمر عليه بالنسبة إلى جميع التجارب الوطنية الجذرية والاشتراكية التى انتشرت فى أعقاب الثورة الروسية ثم الحرب العالمية الثانية.

وأرفض بالمناسبة هذين الحكمين البسيطين اللذين يقولان إن التجربة كانت بكليتها إما ايجابية او سلبية. كما أرفض الاكتفاء بسرد جوانبها الإيجابية والسلبية. على سبيل المثال وبالنسبة للناصرية سرد إنجازاتها ومواقفها الصارمة أمام الاستعمار انطلاقا من عام ١٩٥٦، وفى المجال السياسى إلغاء النظام الملكى وفي المجال الاجتماعى الإصلاح الزراعى والتاميم والتخطيط.. تواجهها النواقص المعروفة في المجال الديمقرطى وحل الأحزاب وكراهيتها "للشيوعية"، بل ومواقفها فى المجالات الثقافية التى تخلفت فى بعض الحالات عن مواقف النهضة وإنجازات الليبرالية البورجوازية.

فما يتطلب تفسيرا إنما هو بالتحديد التركيب الذى جمع بين هذه الجوانب. وهو تركيب تجد أشكالا متباينة منه في مختلف تجارب التحرر والتقدم للنصف الثانى من القرن السابق. ثم أقول إن إلقاء تسميات سريعة على هذه التجارب، سواء كان ذلك من اجل تبرير حكم إيجابى بجملته - مثل ان الناصرية فتحت "طريقا لا راسمالى" (أى تعريفها بالنفى) - أم كان ذلك من اجل إدانتها بشكل عام - مثل ان الناصرية هى تجل لحكم رأسمالية دولة هى بدورها حزام نقل توسع الراسمالية على صعيد عالمى واو من خلال ممارسات تمتعت بقدر من الاستقلالية الذاتية - إنما هو عملية محدودة الفعالية فى فهم الآليات التى انتجت النموذج . واقول اليوم إن هذا النوع من الهروب من الصعوبة هو نفسه ناتج تجاهل ضرورة العودة إلى تقويم النهضة العربية الإسلامية وهي تمثل بدورها مصدر اهم الحركات السياسية المعاصرة في المنطقة من الناصريه والبعثية ثم الانحياز نحو الإسلام السياسى

٢ - سبق اننى قلت فى هذه الذكريات انتمائى للحزب الشيوعى المصرى (راية) منذ عام ١٩٥٠. وكنت اقوم ببعض المأموريات وانا طالب فى باريس فى تلك الأيام

فمرة أرسل إلى الرفيق فؤاد مرسي مجموعة من الوثائق لحزب الراية ولحدتو تغطى مرحلة ما قبل تاميم قناة السويس (اى الأعوام من ٥٢ إلى ٥٥) وطلب منى ترجمة وثائق الراية وتسليمها للحزبين الفرنسى والإيطالى وكتابة تقرير تلخص فيه مواقف الراية وتقارنها بمواقف حدتو

وقد قمت بهذا العمل وكتبت تقريرا شديد الدفاع عن مواقفنا وشديد النقد بالنسبة إلى حدتو، وهذه الوثيقة التى اعتمدها فؤاد موجودة. فسلمت نسخة منها للجنة التوثيق التى تقوم بتسجيل هذه الذكريات.

كنت أنا - ورفاق الراية بشكل عام - نعتبر ان انقلاب يوليو لم يكن ناتج صدفة. فقد خلق إلغاء معاهدة ١٩٣٦ جوا مناسبا للدخول فى مرحلة حرب عصابات فى منطقة القناة وهى بدورها فرصة لتجذير النضال ضد الاستعمار. فجاء الانقلاب ليقطع الطريق أمام مثل هذا التجذير، ولا يفترض هذا الحكم أن الاستعمار هو المحرك الذى اختفى وراء مبادرة الضباط الأحرار الذين قاموا بالانقلاب. كلا، لأن قائد الضباط - جمال عبد الناصر - قد اثبت انه لم يكن يوما من الأيام عدا وطنى شجاع ومخلص

تمام الإخلاص. بيد أن هذا الحكم لا ينطبق على العديد من أعضاء قيادة الحركة.

فالاستعمار - ولاسيما الأمريكي - قد اعتبر أن المبادرة عمل مفيد، وقد اعترف الطرف الأمريكي بذلك أكثر من مرة، وأقنع زميله البريطاني باتخاذ موقف محايد على الأقل.

على هذا الأساس لقد أدانت منظمة الراية الانقلاب إدانة شاملة. وما كنت أراه أنا يحدث في بورسعيد، حيث كنت أقضي إجازتي الصيفية خلال هذه الفترة، قد أقنعني بصحة حكم الراية.

فكنت أتردد على النادي الوفدي الذي ظل مفتوحا لبضعة أشهر بعد انقلاب يوليو. فكان هو المكان الوحيد حيث استمر فيه نوع من النقاش السياسي الحر.

فالشباب الوطنيون يجتمعون هناك ليسمعوا تعاليق "رجال السياسة" من مختلف الأنواع وخاصة قيادات وفدية بالطبع ولكن أيضا البعض المنتمين إلى حزب أحمد حسين وبعض القيادات النقابية العمالية المتأثرين بالشيوعية. وكان أغلبية رجال السياسة يستخدمون الأسلوب المصري المعروف أي إعلان تأييدهم للشعارات الرسمية (بحيث إن الأذن السامعة تسجل هذه المواقف "السليمة" ثم إبداء تحفظات تلغي تماما ما سبق من قولهم.

على سبيل المثال أن "الثورة المباركة" (وهي كانت التسمية الرسمية في تلك اللحظة) سوف تخلصنا من الاحتلال البريطاني، ثم يضاف "لعله لا يتم ذلك من خلال معاهدة جديدة تدخل أمريكا طرفا فيها"! وأعتقد أن معاهدة ١٩٥٤ قد ربطت بالفعل ولو بشكل غير مباشر سياسة مصر بالاتجاه الأمريكي وميله لتغطية الكوكب من خلال سلسلة من الأحلاف العسكرية بحيث إن التحليل الذي طرحته الراية في المنشور المعنون بـ "الجلاء المزيف" والذي صدر بهذه المناسبة لم يكن دون أساس، فإذا كانت الظروف التي ترتبت على حرب ١٩٥٦ قد أتاحت إلغاء هذه المعاهدة، فإن مثل هذا التطور لم يكن متوقعا أصلا.

وكذلك كنت أسمع فيما يخص مستقبل السودان أحاديث تقول "لاشك أن الثورة المباركة سوف تنجز جلاء البريطانيين من السودان". لعله لا يتم ذلك من خلال تسليم السلطة لعملائهم المهديين". وهذا هو ما حدث بالتحديد على أن الاستقلال قد أعطى

للشعب السودانى قدرة تعبيرية متجددة ففتح باب التطورات اللاحقة الإيجابية والسلبية. وكان أغلبية رجال السياسة ذوو الأصوات العالية وجماهيرهم لم يخرجوا بعد عن إطار الشوفينية المصرية فيرددون شعار "وحدة مصر والسودان". فكان الشيوعيون ينفردون فى الدعوة إلى "نضال مشترك لشعبين شقيقين ضد عدو واحد".

اتفق أغلبية "رجال السياسة" المذكورين علي ضرورة عودة الضباط إلى ثكناتهم، ومباشرة انتخابات حرة. وكان بعض ممثلى النقابات يضيفون "بما فيه فتح باب الانتخابات إلى أحزاب جديدة" (وكان المقصود المفهوم حزب شيوعى) أما ممثلو أحمد حسين وفتحى رضوان والإخوان المسلمين فكانوا يرفضون تماما فكرة الانتخابات ويلجأون لتبرير هذا الموقف إلى الخطاب الديماغوجى المعروف حول "فساد الأحزاب" إلخ..، متفقين فى ذلك مع الضباط الأحرار.

وخلال هذه الفترة كانت المناقشات بينى وبين والدى كثيفة. كان والدى وفديا يعلق أهمية كبرى علي ممارسة الديمقراطية السياسية ومبادئ العلمانية كما أنه كان يعتبران النظام الملكى قد فات عصره منذ خيانة الخديو توفيق - ولذلك أعجبته شجاعة الضباط الذين خلصونا من هذا النظام الفاسد فى خدمة الإنجليز ومن الإقطاع فكان يرى الملكية الزراعية الشاسعة سببا رئيسيا فى فقر الشعب المصرى.

ولكن تحفظاته إزاء الضباط تصاعدت عندما تأكد من أنهم لن يسعوا إلى إعادة الديمقراطية. وقال لى أكثر من مرة - وهو يعلم انتمائى للشيوعية ويقدر هذا الموقف بالرغم من خوفه الشديد على - إن النظام لن يفتح بابا صحيحا للتقدم الاجتماعى طالما اعتمد فكريا على "الكلام الفارغ والمتخلف بطوع أحمد حسين والإخوان" وكان يذكرنى بهذه المناسبة أنه وجد نفسه "منحازا للإنجليز" لأول مرة فى حياته (وآخر مرة!) أثناء الحرب العالمية الثانية لكراهيته للفاشية، وأن أغلبية الضباط والوطنيين لم يدركوا للأسف أن موقفهم مع الملك ضد الإنجليز فى تلك اللحظة لامبرر وطنى سليم له، ولكن والدى علق آمالاً جديدة على جمال عبد الناصر شخصيا بعد تأميم قناة السويس وخاصة عندما تخلص من أغلبية القيادات التى كان والدي يعتبرها "متخلفة وفاسدة" أخلاقيا وذهنيا وثقافيا وبالتالى سياسيا مثل الشافعى والبغدادى وعامر.

فعندما تم تأسيس "لجنة التحرير" فى بورسعيد لتحل محل الأحزاب لم ينضم إليها

عدا شخصيات كنا نعرفهم فردا فردا على أنهم فاسدون ووصوليون دون أى سابق وطنى، بالإضافة إلى قيادات محلية تابعة لحزب أحمد حسين وقيادات إخوانية لم تقل انتهازية عن المجموعة الأولى.

٢ - ماحدث فى مصر انطلاقا من إلغاء النظام الملكى عام ١٩٥٢ قد ادى بالفعل ولو تدريجيا إلى تغيير اجتماعى ذى بعد ثورى، انطلاقا من عام ١٩٥٧. فما تبلور تدريجيا بعد حرب السويس إنما هو بالفعل مشروع مجتمعى "وطنى شعبوى" - علما بأن مدة حياة هذا المشروع لم تزد عن عشر سنوات من عام ٥٧ إلى هزيمة عام ٦٧.

فقد ظل النظام فى فترته الأولى من عام ٥٢ إلى عام ٥٧ محبوسا فى الأفق الضيق لرؤي الضباط الأحرار. فهؤلاء فى اغلبيتهم من اصول بورجوازية صغيرة ريفية (متوسطى الملاك) وهى طبقة اتسمت فى ظروف مصر بجمعها بين الميول الوطنية وبين نظرات فى اقصى الرجعية فى مجالات السياسة والأيديولوجيا.

وقد انعكس تغليب الرؤى الرجعية فى كراهية النظام للشيوعية والحكم على مصطفى خميس والبقرى بالإعدام (أول عمل للنظام الجديد) كما تجلت فى نظرة المتعالى إزاء الجماهير الشعبية، وعلى هذا الأساس رفض الديمقراطية رفضا، ثم جاءت حوادث عام ١٩٥٤ الملتبسة التباسا لتكرس عندنا (اقصد أعضاء الراية) تحفظاتنا إزاء النظام.

فلم يكن الضباط الأحرار مهيئين ثقافيا وإيديولوجيا وسياسيا ليفهموا معنى "الراسمالية" وآلياتها الأمر الذى انعكس فى سذاجة موقفهم حتى عام ١٩٥٧ إزاء رأس المال - الوطنى والأجنبى - وآمالهم فى انه سوف يشارك فى إنماء البلاد.

كما ان شخصية اغلبية القيادات فى تلك المرحلة الأولى - اقصد انور السادات وعبد اللطيف بغدادى وحسين الشافعى وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وزكريا محيى الدين - أثبتت فورا حدودها الضيقة. وكنا نعلم ان يوسف صديق وخالد محيى الدين لم يمثلا عدا تيارا هامشيا فى التنظيم. وأن ناصر نفسه يتحمل مسئولية إبعادهم. فالضباط - من انفسهم كانوا عاجزين عن أن يحققوا شيئا قابلاً للدوام، حتى كان سقوطهم - فدخول مصر فى سلسلة انقلابات متتالية على نمط بلاد أخرى للعالم الثالث تتجلى فى تغيير القيادات دون إنجاز تقدم يذكر - من المحتمل.

يجد ذكاء جمال عبد الناصر السياسي مكانه هنا بالتحديد. فجمال الغى حكم الضباط الأحرار ليحل محله حكم المؤسسة العسكرية فى جملتها.

وقد تجلى هذا الخيار فى "عسكرة "النظام. علما بان العسكرة ضمنت من جانب الاستقرار السياسى (لكنها من الجانب الآخر انتجت اسوا النتائج الا وهى انسحاب تسييس الشعب المصرى على حسب قول الزميل محمد سيد احمد بان "عبد الناصر قام بتاميم السياسة". وقد اثبت التاريخ ان هذا الخيار يقف فى مقدمة اسباب الكارثة اللاحقة - علما بأن جمال عبد الناصر لم يتراجع عن هذا الخيار خلال المرحلة التى حملت آمالاً حقيقية فى احتمال تجذير النظام بين عام ٥٧ وعام ٦٧. لذلك اقول إن مفاهيم النظام لم تتح الخروج من إطار مفهوم السلطة الاستبدادية التى أطلق عليها اسم نظام المماليك، والتى سوف يكون لنا عودة فى نقاشها فيما بعد.

من هنا يمكننا ان نفهم مواقف المنظمة التى انتميت انا إليها - راية - وتحفظاتها إزاء مبادرات النظام - معاهدة ٥٤ ("الجلاء المزيف")- بل والإصلاح الزراعى نفسه. فقد كرس هذا الإصلاح موقف متوسطى الملاك الريفيين دون أن يحل مشاكل الأغلبية المكونة من فقراء الفلاحين المعدومين.

ومن هنا كنا نقول فى منظمة الراية إن الهدف الرئيسى من هذا الإصلاح إنما هو تكريس السلطة لا اكثر. ثم فيما بعد وصفنا النظام الزراعى الجديد بطابع "إقطاعية دولة"، قاصدين من وراء هذه التسمية أن الهدف الأساسى هو تحويل الفائض المنتج فى القطاع الريفى لصالح تمويل التنمية الحضرية، اى تنمية قطاعات طفيلية مرتبطة باستهلاك الدولة ومن يدور حولها اكثر من انها تنمية صناعية فعالة.

اعتقد أن هذه الأحكام لم تكن خاطئة بالأساس. وإن كانت فى بعض الحالات متطرفة فى التعبير، ينقصها الاعتراف بدرجات التلوين التى لابد من إضافتها لكى تكون الصورة صحيحة.

على اننى ارى اليوم أن مواقف الراية اخطأت فى نقطة هامة. فقد بذل الحزب مجهودا عظيما ليقيم " جبهة ديمقراطية" وسعى من اجل ذلك إلى التقرب من الأخوان ومن الحزب الوطنى (بالرغم من أن هاتين المنظمتين تجاهلتا تماما مفهوم الديمقراطية)، على اساس انه لا يصح تجاهل "الجماهير" التى تجرها هذه المنظمات.

لقد فشلت هذه المحاولات، بالطبع. علما بان منظمة شيوعية اخرى - هى حزب العمال والفلاحين - قد توجهت فى اتجاه مختلف فاعطت الأولوية للحوار مع الوفديين وخاصة الشباب الوفدى الأكثر تقدما من قيادات الحزب المشيخة. أعتقد أن هذا الخيار يثبت حساسية أكبر إزاء مقتضيات المسيرة الطويلة المطلوبة نحو الديمقراطية والعلمانية وتكملة ما كان الوفد قد مهد الطريق إليه خلال الفترة من عام ٢٢ إلى عام ٥٢. وسوف اعود لموقف منظمة حدتو التى كانت تبذل مجهودا رئيسيا من أجل إقناع النظام بضرورة قبول مساندتها له.

على أن النظام لم يميز كثيرا بين مختلف المنظمات الشيوعية فتعامل معها جميعا بأسلوب القمع الوحشى الذى لم يكن له سابق قبل عام ٥٢.

٤ - لقد تبلور المشروع المجتمعى الناصرى الوطنى الشعبوى خلال الفترة من عام ٥٧ إلى عام ٦٧.

يمثل مؤتمر باندونج (عام ٥٥) القطيعة الصحيحة فى تاريخ مصر المعاصرة. فجمال عبد الناصر انحاز هناك لمشروع "عدم الانحياز" الذى تقدمت به الدول الأسيوية الكبري - الصين، الهند، إندونيسيا - الأمر الذي أدى به إلى الدخول فى نزاع حاد مع الاستعمار خاصة بعد أن أفشلت الولايات المتحدة المفاوضات بين مصر والبنك الدولى حول تمويل مشروع السد العالى.

فادى النزاع إلى قرار تاميم قناة السويس فى يوليو ٥٦ ثم حرب السويس فى اكتوبر.

كنت اقضى إجازة صيف ٥٦ فى بورسعيد فحضرت عمليات التاميم من قريب وخاصة أننا كنا على علم بالكثير من آليات إدارة القناة. وكانت الخطة أن اقدم أطروحة الدكتوراه فى أواخر العام نفسه، ولكنى انشغلت تماما خلال هذه الفترة بالعمل السياسى للدفاع عن موقف مصر، الأمر الذي اخر مناقشة الأطروحة إلى منتصف العام التالى.

يعلم الجميع أن عام ٥٧ قد أصبح عام التحول العظيم فى تاريخنا المعاصر انطلاقا من قرار وضع الحراسة على الأموال البريطانية والفرنسية والبلجيكية التى كانت لا تزال مسيطرة على اهم قطاعات الاقتصاد المعاصر فى مصر.

فكان الخيار المطروح على قيادة النظام هو الخيار بين "التمصير" - ومعناه تسليم

الأموال تحت الحراسة للراسمالية المصرية الكبرى (مجموعة بنك مصر خاصة) بشكل او باخر وبين التاميم لصالح بناء قطاع عام يقوم بدور محورى وقيادى فى التنمية، انحاز جمال عبد الناصر لهذا لخيار الأخير.

ظلت الأسئلة الصعبة حول نوعية إدارة القطاع العام قائمة.

طلب من الرفيق إسماعيل صبرى عبد الله- الذى كان قد حكم عليه بالسجن عام ٥٤ فخرج عام ٥٦ - أن يقدم مشروعا بهذا الصدد.

أعتقد ان إسماعيل قد قدم بالفعل أفضل حل ، الا وهو تاسيس نوع من "الهولندنج" العام (أصبح المؤسسة الاقتصادية) ليتحمل مسئولية تعيين ممثلى الدولة فى مجالس إدارة شركات القطاع العام الجديد ومتابعة اعمالها، هكذا تفادى المشروع أخطر المخاطر ، الا وهو توزيع إدارة الشركات على "عملاء" النظام - ولاسيما من الضباط - بشكل فوضوى وان تتخلى الدولة عن متابعة ممارساتهم.

لقد اختار جمال عبد الناصر ضابطا ليراس المؤسسة - حسن إبراهيم - لم يكن له - لحسن الحظ - طموحات كبيرة تتجاوز الافتخار بالوظيفة. فترك هو أمور الإدارة الفعلية لمدير عام - المهندس صدقى سليمان - اثبت هنا - ثم فيما بعد فى توليه مسئولية هيئة السد العالى - قدرات تكنوقراطية صحيحة فى تناول مسئولية إدارية شاقة ولو ان ثقافته الاقتصادية والسياسية لم تتح له أن يتجاوز حدود رؤى المشروع الوطنى الشعبوى.

احتل إسماعيل أعلى مركز ممكن لشخصية شيوعية الا وهو مركز المدير فى المؤسسة. واثبت فى هذا المركز قدرة صحيحة على التاثير فى صالح افضل الحلول الممكنة في ظروف مصر عندئذ وذلك من خلال قدرته على إقناع المسئولين فى إدارة الشركات.

رجعت إلى مصر فى صيف ٥٧ بعد ما حصلت على الدكتورا فى الاقتصاد والتحقت بالمؤسسة الاقتصادية فى يناير ٥٨ بعد مقابلة "انترفيو" قام بها صدقى سليمان رتبها إسماعيل . وقد تعلمت كثيرا فى وظيفتى التى اتاحت لى أن ارى من قريب حقيقة أوضاع الاقتصاد المصرى وممارسات إدارة الدولة والطبقة الجديدة التى اخذت فى التكوين فى إطار هيمنتها على القطاع العام، كما اننى رايت من قريب كيف استمرت

علاقات إنتاج رأسمالية الطابع تعيد إنتاج علاقات اجتماعية لا تختلف كثيرا عما هي عليه في الرأسمالية الكلاسيكية وكيف تم تحييد حقوق العمال من خلال ممارسات جمعت بين إفساد القيادات وتهبيط عزم الآخرين.

على أن شهر العسل بين النظام والشيوعيين لم يدم طويلاً، خاصة بعد أن تحققت الوحدة المصرية السورية في الإطار المعروف الذي أدى إلى إلغاء كل ما كان يتبقى من ظواهر الديمقراطية في الإقليم الشمالي (سوريا سابقا)، الأمر الذي دفع لشيوعيين إلى إبداء "تحفظات" إزاء هذا الشكل من الوحدة.

ولم يكن النظام مهيئاً لأن يقبل أي نوع من النقد، فحدثت حملة القبض في أول يناير ٥٩ التي شملت إسماعيل إلى جنب الوف الرفاق من جميع المنظمات. أصبحنا إذن في المؤسسة "دون مدير" خلال عام ٥٩.

واصلت عملي ولو دون قناعة قوية في مستقبل مثل هذا النظام. وصارت انتقاداتي أعمق. وقد نشرت هذه الرؤية النقدية للناصرية في كتاب تم نشره في الخارج عام ٦٣ بعنوان "مصر الناصرية" وباسمي الحزبي المستعار (حسن رياض). اعتقد ان التاريخ قد اثبت صحة الخطوط العامة للتحليل المطروح في هذا الكتاب، إذ كان استنتاجي الرئيسي هو أن النظام محكوم بالتطور نحو اليمين في نهاية المطاف، على أن الظروف السائدة في المرحلة التي صدر الكتاب خلالها (أي المرحلة التي تمتد من عام ٦١ إلى هزيمة ٦٧) لم تعتمد هذه "النظرة المتشائمة"، إذ كانت المرحلة هي مرحلة "تجذير" النظام، ظاهريا على الأقل. بيد ان ما حدث فيما بعد (أي "الانفتاح") يكاد يكون صورة مطابقة لما وصفته على انه يمثل المستقبل الأكثر احتمالاً.

لقد أصبح فوزي منصور المسئول في التنظيم الذي كنت أنتمي إليه.

فصارت علاقاتنا وثيقة بل أخوية وعميقة. خاصة وأننا كنا نشارك تماما في صرامة حكمنا على كل من النظام الناصري والنظام السوفيتي نفسه.

فكنا من القلائل الذين أخذوا نقد ماو جديا. وفي خلال نفس العام قابلت الرفيقة إنجي افلاطون التي اختفت في حي شبرا الشعبي فأصبحنا أصدقاء مخلصين حتى دامت هذه الصداقة إلى وفاة الرسامة.

وقد تم القبض على فوزي في نوفمبر ٥٩ وقررت السفر قبل أن يتم القبض علي،

وذلك بموافقة مسئولى التنظيم. لم أكن مستعدا أن أصبح "لاجئا سياسيا" فى أوروبا، فكانت تجربتى السابقة بأوساط اللاجئين قد أقنعتنى بأن هؤلاء يعيشون فى جو مصطنع، الأمر الذى يترتب عليه نتائج لابد أن تكون سلبية - فقررت أن أبحث عن مكان ووظيفة تناسب إرادتى فى الاستمرار فى خدمة قضايا شعوب العالم الثالث.

ومن هنا فتحت صفحة جديدة فى حياتى ليس هنا مكان ذكر حصيلتها التى تحدثت عنها فى السيرة الذاتية الفكرية.

٥ - لقد أدى انهيار مشروع الوحدة المصرية السورية إلى مرحلة تجذير الناصرية حتى أصبحت تلك المرحلة من عام ٦١ إلى عام ٦٧ تمثل "العصر الذهبى" الذى ترجع إليه ذكريات الحنين إلى عصر الناصرية.

فقد تمت فى خلال هذه المرحلة الموجة الثانية من الإصلاح الزراعى ومن قوانين التأميم تلاها اعتماد "ميثاق وطنى" له طابع تقدمى فى ظاهره، فيحدد حقوقاً ووظائف للفئات الاجتماعية المختلفة فى إدارة الدولة والمجتمع ويعتمد على مبدأ الانتخاب فى إطار حكم الحزب الواحد.

حتى اتخذ الشيوعيون (الذين ظلوا معتقلين) مواقف تساند هذه "الخطوات الإيجابية" التى اعتمدتها من جانب آخر نظرية "الطريق غير الراسمالى" التى انتجها الفكر السوفيتى فى تلك اللحظة. وعام ٦٤ تم الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين بناء على طلب خروتشوف على مايدو، وبمناسبة زيارته لمصر وحضوره حفل افتتاح السد العالى. ونعلم الآن أن الطرفين - المصرى والسوفيتى - قد اتفقا على الشرط المختفى وراء هذا الإفراج، الا وهو حل المنظمات الشيوعية، كى ينضم الشيوعيون فى "الاتحاد الاشتراكى" الجديد.

على أن الحزب الاشتراكى الجديد الذى تم تأسيسه بقرار من أعلى لن يصبح يوما ما مؤسسة ذات حياة حقيقية، بل ظل على نمط أسلافه، مؤسسة فارغة وفاشلة. واعتقد أن ناصر نفسه لم يكن مهيئا لأن يقبل حزبا حقيقيا يمثل مركز قوة مستقلة نسبيا.

بيد أن التجذير قد شجع جمال عبد الناصر حتى تخلص من العديد من القيادات الرجعية الموروثة من أيام الضباط الأحرار، ولكنه لم يبعدهم جميعا، فظلت قيادة القوات

المسلحة مؤتمنة لعبد الحكيم عامر - شخصية دون المتوسط على أقل التقدير - ورفع أنور السادات إلى وظيفة نائب رئيس الجمهورية - وظلت العلاقات بين ناصر وخالد محيى الدين محدودة.

وبالرغم من كل ذلك انتجت المرحلة ظروفا ملائمة لتكوين طليعة قيادية، وطنية مستحدثة أصبحت فيما بعد ما أطلق عليه اسم "اليسار الناصرى"، ومنهم شعراوى جمعة وعلى صبرى ومراد غالب ومحمد فائق وغيرهم، وهم جميعا من الشخصيات الوطنية التقدمية المخلصة تمام الإخلاص، اثبتوا تمسكهم بالمبادئ بشجاعة متواصلة عبر العقود، على ان الشيوعيين استبعدوا من الوظائف القيادية فطلب منهم مساندة النظام مساندة غير مشروطة، واعلى المناصب التى استطاعوا ان يحتلوها فى الصحافة قد ظلت تحت رقابة حسنين هيكل.

ليس فى ذهنى رغبة فى "إدانة" كل ما انجزه النظام خلال هذه الفترة. كلا ، إلا ان العوامل السلبية التى اتسمت الناصرية بها قد ظلت قائمة.

حتى بلغت الإنجازات الاقتصادية حدودها التاريخية بعد سنوات قليلة فقط.

وانطلاقا من عام ٦٥ توغل الاقتصاد المصرى فى اختلالات خطيرة بينة تجلت فى نمو منفوخ لقطاع ثالث غير منتج وضغوط تضخمية صاعدة.

وما صاحب هذا التطور السلبى هو ان المؤسسة العسكرية نفسها توغلت فى غابة إدارة امتيازاتها الاقتصادية والاجتماعية - كما ان الحزب (الاتحاد الاشتراكى) قد ظل دون وجود حقيقى ، مؤسسة مكونة من وصوليين دون ادنى قناعة صحيحة.

وقد ظلت الناصرية فى المجال الإيديولوجى والثقافى اسيرة المشروع الوطنى الشعبوى، تتجلى حدوده فى طابع السلطة التى "تعمل" لصالح الشعب ولكن تعادى تماما اى تعبير مستقل ينطق هذا الشعب به، وظل الفكر السائد أسير السلفية التقليدية فيما يخص رؤيته للعالم والمجتمع، فكر عاجز عن أن يتجاوز حدود السلفية، فالناصرية- منذ النشأة - لم تكتف فقط بإيقاف حركة الدمقرطة والعلمنة التى مهد الوفد الطريق إليها خلال المرحلة التى امتدت من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٥٢، بل قلب اتجاه التطور - ثم وبالرغم من إنجازات التجذير بعد عام ١٩٦١ فى مجالات أخرى، إلا ان الناصرية لم تقم بمراجعة موقفها المبدئى فى هذا المجال الذى أعتبره انا اساسيا لتحديث حقيقى

فى المجتمع، وبالتالى ظلت الاتجاهات الرجعية نحو العودة للاستبدادية السلفية التقليدية هى الحاكمة فى المجتمع المصرى الناصرى ثم فى مرحلة ما بعد الناصرية - وسوف اضرب هنا مثلين لم يجذبا اهتمام اليسار المصرى بالدرجة المطلوبة فى رأيى.

يخص المثل الأول دور الأزهر ومكانه فى المجتمع.

كان الفكر الأزهرى السلفى فى مصر فى تطور نحو الاختفاء منذ تأسيس الجامعات الأهلية الحديثة. فكان من الممكن ترك الأمور على هذا الوضع. إلا أن جمال عبد الناصر قد اعتمد فكرة أخرى هى "تحديث الأزهر".

اعتقد أن الفكرة التى الهمت هذا القرار هى رغبة النظام فى توظيف الدين لصالحه. وبهذه المناسبة يتذكر الجميع ذلك الخطاب الذى زعم أن الإسلام "له طابع اشتراكى. على أن ما حدث فيما بعد قد أثبت أن مثل هذا النوع من الانتهازية الإيديولوجية لا طائل من تحته إذ إن مضمون الخطاب يمكن أن يعكس تماما، الأمر الذى حدث بالفعل - أقول إذن أنا إن الموقف التقدمى السليم كان قد اقتضى ممارسة مختلفة تماما من حيث المبدأ: أى فتح مساحة لحرية الرأى خارج وداخل المجال الدينى - علما بأن مثل هذا الخيار كان من شأنه أن يشجع حوارات وتطورات داخل المجال الدينى نفسه وتعدد التفسيرات الخاصة به ثم إطلاق الحرية للتيارات التقدمية والرجعية الناتجة حتى تتصدى بحرية فى ميدانها، أقول إذن إن خيار الناصرية هو المسئول فى نهاية المطاف عما نشاهده الآن الا وهو عودة الفكر السلفى الأكثر تخلفا ليحتل المسرح.

ويخص المثال الثانى إصلاح المحاكم - أقصد "توحيد" هذا النظام ونقل الوظائف التى كانت المحاكم الشرعية تقوم بها سابقا (أى القضاء فى أمور الأحوال الشخصية طبقا للشريعة) للمحاكم الوطنية. فالتوحيد هذا قد أدى إلى اندماج عالمين اثنين كانا يختلفان تماما فى منطق ممارساتهما : عالم القضاء المدنى (العلمانى) وعالم القضاء الشرعى.

فادخل توحيد المحاكم بذور العودة لتغييب الفكر السلفى فى المؤسسة القضائية بجملتها وفتح الباب للطلب بتنفيذ الشريعة في جميع مجالات القانون. هنا أيضا أتصور أن الخيار التقدمى كان قد اقتضى ممارسة مختلفة تماما الا وهى قبول ازدواجية

القانون لمرحلة انتقالية ولوطالت، حتى تنضج الممارسات الاجتماعية فتتيح تعديل قوانين الأحوال الشخصية فى الاتجاه المطلوب.

خلاصة القول إن خيارات الناصرية فى هذه المجالات لم تكرس الفصل بين الدولة والدين، بل على العكس من ذلك اعتمدت اندماجهما. هذا هو الطابع الإيديولوجى الرجعى للمشروع الوطنى الشعبوى المعنى.

بيد أن النتائج التى ترتبها بالضرورة هذه الخيارات لم تظهر بوضوح فى ايام حكم ناصر الذى استطاع أن يضع حدا لها. ولكن الدودة كانت تاكل الفاكهة من داخها، فلم يجد انور السادات أدنى عقبة فى توظيف الفكر السلفى من أجل تبرير انحيازه للاستسلام أمام الراسمالية العالمية.

فوجد هو مؤسسات دولة هامة (ومنها التعليم والقضاء) مهيئة لكى تستسلم لتغليب التيار الإسلامى السياسى السلفى.

اكتفى بذلك إذ إننى قد سبق ان عبرت عن رايى فيما يخص الخطاب الذى يضفى مشروعية للسلفية باسم "الخصوصية" الثقافية.

كان المطلوب بهذه الشئون طرح مشروع مجتمعى يختلف بالفعل عن المشروع الوطنى الشعبوى، وأن يقوم الشيوعيون بهذا الدور، حيث إن الماركسية ورثت من فلسفة التنوير مفاهيم الحداثة والديموقراطية والعلمانية، بل يفترض أنها قد طورتها. على أن الشيوعية المصرية لم تعلق اهمية على هذه المفاهيم. وقد لعب النموذج السوفيتى الذى تبلور فى ظروف أدت إلى إنكار الديمقراطية إنكارا، دوره في تشجيع استمرار هذا النقص فى الشيوعية المصرية (وغيرها).

أستنتج من هذا التحليل للتجربة الناصرية أنها فى واقع الأمر لم تتجاوز لحظة حدود مفاهيم الوطنية بل فى بعض جوانبها أشكالا متخلفة ثقافيا لهذه المفاهيم. فالشعبوية من جانب ودور الدولة المركزى ("الدولنة") من الجانب الآخر يمثلان جوهر نواقص المشروع الناصرى المذكور. علما أيضا بأن الجو السائد عالميا انطلاقا من مؤتمر باندونج وتغليب أهداف التحرر الوطنى على الأبعاد الأخرى للنضال من اجل التقدم الاجتماعى والثقافى وكذلك أطروحات السوفيتية (الطريق غير الراسمالى .. إلخ) ونواقصها (فى المجال الديمقراطى خاصة) قد لعبت دورها فى وضع حد لاحتمال قيام

الشيوعية المصرية بدورها التاريخى الطليعى.

اثبت التاريخ اللاحق صحة استنتاجى المبكر عن حدود الناصرية. لقد فتحت هذه النواقص الباب للانفتاح الساداتى. كما ان تجمد السوفيتية فى ظل حكم برجنيف قد هيا الظروف الملائمة لانتصار يلتسين. فلا أرى أن ما حدث فى كل من مصر والاتحاد السوفيتى السابق له طابع "ثورة مضادة"، بل أقول إن الانفتاح فى حالة مصر وانهيار الاشتراكية القائمة بالفعل فى حالة الاتحاد السوفيتى لهما طابع تعجيل حركة كان مكتوبا فى داخل منطق تطور النظامين المعنيين.

ولا اكثر من ذلك. فليس معنى ذلك ان مثل هذه الردة قد مثلت الاحتمال الممكن الوحيد، فكان هناك ايضا احتمال تطوير النظامين نحو اليسار ولو بالتدريج. إلا ان ذلك كان يفترض بدوره درجة من الوعى بمغزى التحدى لدى الطليعة - هذا هو بالتحديد ماكان ناقصا

أعتقد أننا اليوم فى حاجة إلى إعادة قراءة المواقف التى اتخذتها المنظمات الشيوعية المصرية على ضوء ما سبق قوله. وفى هذا الإطار اعتقد ان مواقف مساندة الناصرية باسم تغليب البعد الوطنى على غيره من ابعاد الإشكالية قد اثبتت عبثها إذ إنها لم تستطع ان تحول دون فشل النظام فى هذا المجال الوطنى بالتحديد.

وقد اعتمد هذا الموقف على فهم سطحى لنظرية تقول إن الطريق إلى الاشتراكية فى المجتمعات المتخلفة يمر من خلال مرحلة وطنية ديمقراطية ولم تؤخذ فى الاعتبار كتابات لينين ثم ماو بهذا الصدد وهي كتابات ركزت على الشروط التى لابد من جمعها لكى تصبح المرحلة الوطنية المعنية مرحلة نحو الاشتراكية الا وهي ان تقوم "البروليتاريا" من خلال تحالفة مع الطبقات الشعبية المستغلة (بفتح الغين) من فقراء الفلاحين بالأخص بالدور القيادى فى الثورة الموجهة ضد الإمبريالية وحلفائها من الكومبرادور وكبار الملاك. فإذا كانت طبقات أخرى هى التى تقوم بهذا الدور القيادى - سواء كانت بورجوازية وطنية او طبقات ريفية من الفئات الوسطى او فئات وسطى حضرية او اى تركيب يجمعهم - فلن يخرج من هذا النضال سوى تكريس الوهم بان بناء مجتمع رأسمالى متقدم (على نمط ما حققته البورجوازيات فى البلاد التى أصبحت مراكز المنظومة العالمية) قد ظل ممكنا فى عصر العولمة الإمبريالية.

اعتقد ان تاريخ العقود التى تلت الحرب العالمية الثانية قد اثبتت صحة هذه النظرية ولو ان العقود التالية قد اوضحت ايضا حدودها ونواقصها، فالنماذج للثورة الاشتراكية على مراحل هى بالأساس نماذج الصين (ومن هنا مركزية كتاب "الديمقراطية الجديدة" لماو) وفيتنام وكوبا بينما المشروعات الوطنية الشعبوية منذ اسلافها الباكرة (ثورة اتاتورك، ثورة المكسيك فى عقد العشرينيات، ثورة الكيومن تانج فى الصين) إلى اشكالها المتجددة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية البيرونية فى الأرجنتين، الناصرية، البعثية، الثورة الجزائرية .. إلخ) قد اثبتت انها لم تتحرر من اوهام التنمية الراسمالية فبلغت حدودها بعد زمن قصير وإنجازات محدودة ثم انهارت فورا دون فتح باب التقدم نحو تجذيرها.

بيد أن العقود الأخيرة قد اثبتت ايضا أن "قيادة البروليتاريا" كما كان يقال بالنسبة إلى نموذج الثورات التى تمت فعلا بقيادة حزب شيوعى لم تمثل بدورها شرطا كافيا من اجل "ضمان" تطور لاحق نحو الاشتراكية. فلا يصح اليوم ان نتجاهل التطورات فى اتجاه العودة إلى الراسمالية التى نراها فاعلة فى الساحة فى الصين وفيتنام. فإذا كان من الممكن انتساب هذه التطورات جزئيا على الأقل لتطور ضغوط العولمة الراسمالية نفسها ،فلا ريب ايضا انها ناتج تصاعد تناقضات داخلية لم يُحسب لها حساب بالدرجة المطلوبة فى رؤى ماركسية لينين وماو. على أن نقاش هذه المشاكل الخاصة بنظرية الانتقال من الراسمالية العالمية إلى الاشتراكية العالمية يخرج من إطار هذه الذكريات. ولكن - ومهما كانت اطروحاتنا اليوم بهذا الصدد - فلن يلغى ذلك سذاجة (وبالتالى خطأ) نظرية "المرحلة الوطنية البورجوازية" التى سادت فى الحركة الشيوعية المصرية.

ليس معنى ذلك أن الحركات الوطنية الشعبوية المعنية لم تحقق شيئا كان جوانبها السلبية قد تجاوزت جوانبها الإيجابية لدرجة انها لم تستحق المساندة. كلا. فاطروحة الماوية دعت إلى مساندة ميول الطبقات الحاكمة المعنية (الدول) إلى تحقيق اكبر قدر ممكن من الاستقلال فى المجال الدولى، دون ربط هذه المساندة باوهام احتمال تطور اشتراكى فى هذا الإطار إذ إن "الشعوب" تميل إلى "الثورة" (وهى مطلب غير استقلال الدولة، مطلب قائم بذاته).

كلن هناك إذن رؤيتان للتحدي، اولاهما تميز بين مساندة القوى الوطنية المعادية للاستعمار (بما فيها نظم الحكم) وبين مقتضيات تطور الوعى بالحداثة والصراع الطبقى والثانية تدمج البعدين دمجا بحيث يتغلب البعد الوطنى على البعد الطبقى فى واقع الأمر.

انحازت الشيوعية المصرية للمنهج الثانى، وخاصة بعد عام ١٩٥٦، واعتمدت فى ذلك على نظرية"الطريق غير الراسمالى"، فالقيادة السوفيتية لم تقبل التمييز المذكور فارادت ان تعتبر كل قوة تختار موسكو ان تساندها (وقد يكون هذا الخيار سليما فى حد ذاته) على انها "قوة اشتراكية" احتمالاً على الأقل (وهذا غير صحيح بالمرة). اعتقد ان مثل هذا المنهج لم يعبر إلا عن توظيف خطاب ماركسى الشكل لصالح اهداف الدبلوماسية السوفيتية، لاغير.

وبناء علي ما سبق قوله سوف اقترح عودة للنظر في ظروف نشاة الشيوعية المصرية، او بالأخص إعادة ولادتها خلال الحرب العالمية الثانية.

لقد قيل بهذا الشان إن توجه العديد من اعضاء الجالية اليهودية المصرية نحو الشيوعية (ومن ثمة دورهم فى إعادة ولادة الشيوعية المصرية) إنما يجب ان ينسب إلى خوفهم من ايديولوجيا النازية العنصرية المتطرفة والمعادية للسامية الصاعدة والتى تجلى خطرها الحقيقى فى احتمال غزو مصر.

فسعى عدد من ممثلى هذه الأوساط إلى تشجيع تيار وطنى مصرى تقدمى معاد للفاشية، خاصة وان التيار الوطنى الغالب فى تلك الأيام قد انحاز لصالح معسكر برلين، كراهية للاحتلال البريطانى.

لعل هذا التفسير يحمل شيئا من الحقيقة بالنسبة إلى اعضاء الجالية اليهودية المذكورة. ولكنه لا يجيب على اهم التساؤلات وهى تخص اولاً اسباب انتشار الدعوة الشيوعية فى اوساط مصرية وثانيا اسباب تغليب نظرية "المرحلة الوطنية الديمقراطية" المزعومة فى الحركة الشيوعية المصرية المعنية.

اعتقد ان مسئولية كوريل شخصيا فيما يخص الخيار الأخير المذكور هى رئيسية. ولا اود ان اخفى على القارئ تقديرى السلبى لهذه الشخصية.

اولاً لأسباب تتعلق بتكوينه النفسى وهو تركيب فردانى وانانى بل ربما تغلب عنده

الغرور والرغبة فى أن يكون "الوحيد" فى الحزب "القادر" على "فهم الأوضاع"، الوحيد فى مسئولية القيادة. فلم يقبل منافسة شخصيات متساوية معه فى قدرتهم التحليلية. ولذلك لم يشجع على الإطلاق التثقيف الحقيقى فى صفوف أعضاء تنظيمه، ويجد هذا النقص فى التثقيف انعكاساته فى صفوف الشيوعية المصرية بشكل عام وبالرغم من وجود استثناءات فردية. ولا اود ان أضرب هنا أمثلة تجليات لهذا النقص وذكر أسماء.

ثم إن الخيار الأنانى الفردانى المذكور يشجع من تلقاء نفسه ميل اتخاذ مواقف انتهازية تجلت فى التبعية نحو مواقف موسكو او ما قد تصورته القيادة المحلية على انها رغبات موسكو، الأمر الذى دفع بدوره فى اتجاه تغليب البعد الوطنى وتجاهل الأبعاد الأخرى الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية.

لقد تجمعت هذه الخيارات لتنتج الحركة الشيوعية بالشكل الذى رأيناه يتغلب فى تاريخ مصر المعاصرة. وقد جذبت هذه الخيارات أفواجا من الوف الشباب الوطنيين الشجعان. وهذا نجاح فى حد ذاته ليس فى ذهنى على الإطلاق أن اسئ فى تقديره. كما ان هذا الموقف الغالب الذى نستطيع ان نعتبره نوعا من احتقار الفكر وإحلال محله العمل قد اصبح سمة من سمات الشيوعية المصرية. او بتعبير ادق لقد انحصر الفكر على التحليل السياسى البحت، اقصد قراءة المواقف السياسية التى تتخذها مختلف القوى العاملة فى الساحة دون تعليق اهتمام بنقد أصول الثقافة والممارسات الاجتماعية. من هنا خجل الحركة الشيوعية المصرية فى مجال الفكر الدينى والثقافة المجتمعية.

لن اخوض فى تفاصيل نقد الحركة الشيوعية المصرية من الزوايا المذكورة هنا. سوف اكتفى بالقول إن الحكم العام المطروح هنا لا ينفى درجات من التلوين التى ينبغى اعتبارها، لعل منظمة حدتو وما تفرع منها من منظمات عديدة قد عانت من هذه السمات اكثر من غيرها، ولو بسبب دور كوريبل فى تاسيسها وإضفاءها بما اصبح "تقاليدها" فى الفكر والعمل، حتى أصبح انحياز حدتو فى خط مساندة ثورة يوليو انحيازا متطرفا وباكرا، وهذا على خلاف موقف منظمة الراية التى اتخذت فى تلك المرحلة موقفا عكسيا، ولعل "احتقار" الفكر والتثقيف الصحيح كان اقل بروزا فى بعض المنظمات الأخرى ومنها حزب العمال والفلاحين.

على ان المواقف الموضوعية تقاربت بالفعل انطلاقا من عام ١٩٥٧ فانحاز الجميع لخط مساندة المشروع الوطنى الشعبوى وللنظرية السوفيتية القائلة "بالطريق غير الراسمالى". الأمر الذى لعب دوره فى وحدة الحركة اللاحقة ثم اختفاء المنظمات فيما بعد. وسوف يكون لى عودة فى هذه المواضيع.

بحيث إن الحكم "العام" المطروح هنا لا يبدو لى خيانة بالنسبة إلى حقيقة التاريخ فى خطه الرئيسى. أقول إذن إن الحركة الشيوعية المصرية اتسمت بتغليبها البعد الوطنى على الأبعاد الأخرى للتحدى وأنها عانت نواقص واضحة فى مجال النقد الفكرى والثقافى.

لم يكن هذا النقص الأخير "مكتوبا"، تفرضه ظروف موضوعية فرضا. كلا فالمجتمع المصرى تصدى لتحدى الحداثة منذ باكر (أيام محمد على)، قبل العديد من المجتمعات الأخرى الآسيوية والأفريقية. ثم اثبت قدرة باكرة على أن تتبلور فى طياته انتلجنسيا بالمعنى الصحيح، تسعى إلى أن تعى حقيقة الأمور وعمق مصادرها. ولكن - للاسف - الحركة الشيوعية المصرية لم تحول هذه الإنجازات إلى رصيد حتى تنطلق منه وتقوم بتطويره.

هذا هو معنى ومضمون الحكم العام الذى أطرحه هنا الا وهو أن الحركة الشيوعية المصرية ظلت محبوسة فى تغليب البعد الوطنى ونظرة للاشتراكية لا تتجاوز كثيرا حدود إنجاز "عدالة اجتماعية" حتى أدى انهيار المشروع الوطنى الشعبوى وانهيار النموذج السوفيتى إلى انهيار الشيوعية المصرية المصاحبة لهما.

٦ - تزامن عصر الناصرية الذهبى مع ازدهار العروبة، الأمر الذى ينعكس من خلاله نفوذ بل كريسما شخصية جمال عبد الناصر. علما بأن حزب البعث قد قام بدوره ايضا فى هذا الازدهار حتى يجب اعتبار الناصرية والبعثية على أنهما تمثلان توامان فى جوهر الفكر ولو نشأت كل منهما فى ظروف خاصة بها ومختلفة إلى حد كبير. وسوف يكون لى عودة فى نقاش حدود هذ الفكر العروبى المزدوج وبالتالى إدراك أسباب فشل مشروعات الوحدة المتتالية.

كان الاستعمار على وعى تماما بأن القوات المسلحة مثلت كعب أخيل فى النظام الناصرى. فقامت الولايات المتحدة وحليفها إسرائيل بتدبير الحرب منذ عام ١٩٦٥. ثم

جاءت هزيمة ٦٧ التى لا تقل كارثة عن هزيمة ٤٨ ، وذلك بالرغم من تسلح جيوش مصر وسوريا بأحدث الأسلحة السوفيتية ومن عشر سنوات من التدريب والتعبئة المتواصلة. حتى لم يكن فى مستطاع النظام أن يفسر الهزيمة بأن أسلحته كانت فاسدة كما كان الأمر عليه فى حرب ٤٨.

وإذا كانت الشعوب العربية بل وقياداتها واغلبية الشيوعيين على ما يبدو لم يتوقعوا مثل هذه الهزيمة، إلا اننى استطيع ان اقول - دون اى تكبر منى-إننى كنت قد توقعتها منذ اول لحظة - انفجار المعركة اتذكر ان العديد من الرفاق الذين قابلتهم عندئذ قد اعتبروا قلقى بل حصرى وخوفى على انها "ظواهر تشاؤم لا محل لها".

فكنت دائما قد احتقرت تماما "المشير" عامر، تلك الشخصية التى كان تظهر على وجهه وكلامه وممارساته سمات الغرور والجبن وعدم الكفاءة.

ثم كان لعبد الناصر بعد الهزيمة الخيار بين بديلين ، التجذير أو الردة. على أن التجذير فى هذه الظروف كان يقتضى خطوة واسعة فى اتجاه الديمقراطية والتخلى عن الفكر المعادى مبدئيًا للشيوعية، فآثر جمال عبد الناصر التراجع وتعويضه بمزيد من الالتجاء إلى الأبعاد السلفية فى إيديولوجيا النظام، وذلك بالرغم من انتفاضة الشباب والطلبة عام ٦٨. هكذا فتح ناصر نفسه باب التطور نحو الانفتاح.

ثم بعد وفاة ناصر اختارت المؤسسة العسكرية الحاكمة الوحيدة فى آخر المطاف السادات رئيسا، مؤكدة من خلال ذلك انحيازها لرؤى السادات الرجعية المطلقة المعروفة. فأثبت السادات مهارة تكتيكية اكيدة . ففى مرحلة أولى من حكمة تخلص من اليسار الناصرى - البديل الوطنى الصحيح الوحيد - دون ان يتنازل عن خطة "عبور القناة"، علما بأنه قد أعلن فورا بعد نصف النجاح فى إنجازات حرب ٧٣ أنها "الحرب الأخيرة ضد إسرائيل". ثم رفع القناع فالغى الاتفاقية المصرية السوفيتية وقلب اتجاه السياسة المصرية لينخرط فى سياسة واشنطن فزار القدس فى الظروف المعروفة عام ٧٧ وفتح الباب تماما لغزو الراسمالية الكومبرادورية الجديدة وشجع عودة الإسلام السياسى السلفى للسيطرة على المجال الإيديولوجى والثقافى.

كانت صفحة الناصرية قد طويت نهائيا.

قضية فلسطين

١ - كان عمرى عند نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما دخلت قضية فلسطين فى مرحلة حاسمة فى منظور إلغاء الانتداب البريطانى وبالتالي احتمال استيلاء الصهيونية على الأرض كليا أو جزئيا، لا يزيد عن ١٤ عام. وبالرغم من اننى كنت اعتبر نفسى "شيوعيا" إلا اننى لم انتم إلى اية منظمة سياسية تتيح لى حق التحدث بصفة الشاهد. ثم عام ١٩٤٧، اى قبل ان تتعجل التطورات التى ادت إلى حرب ٤٨ سافرت إلى فرنسا للدخول فى الجامعة. وبالرغم من اننى انضممت فورا للحزب الشيوعى الفرنسى إلا ان قضية فلسطين لم تمثل هناك - بطبيعة الحال - المسألة الرئيسية فى النقاش والعمل.

بيد اننى اتذكر تماما ما كان رايى الخاص وكذلك الجو السائد فى الحزب الشيوعى فيما يخص هذه القضية.

استطيع ان اقول إننى كنت معاديا للصهيونية تماما - مبدئيا، وبالتالى معاديا لإقامة اية "دولة لإسرائيل" ولو على جزء من ارض فلسطين. ولحسن الحظ لدى ما يدل على ذلك بشكل قاطع. فكنت فى باريس عام ١٩٤٨، صديقا لطالب من اصل تشيكي يهودى هرب من الحكم النازى خلال الحرب.

ووقع هذا الشاب اليتيم فى ايدى شبكة صهيونية كانت تجتهد من اجل تعبئة المهاجرين. فبذلت انا اقصي المجهود لإقناعه بعدم الهجرة وخيار الجنسية الفرنسية المعروضة له، دون جدوى. وقد اصبح هذا الشخص - واسمه صول فردلندر - من كبار ابواق الصهيونية فى اسرائيل ثم جاء فى ذكرياته المنشورة حديثا ذكر لصداقتنا ولمحاولتى بإقناعه الفاشلة، وعن موقفى المعادى اصلا للمشروع الصهيونى.

كما تذكر تماما ان راينا فى الصهيونية كان بكل بساطة انها إيديولوجية عنصرية رجعية. وكنا نستند فى هذا الراى علي قراءتنا للنقد الشديد الذى وجهه البولشفيك ايام لينين (اى قبل ستالين) فى حركة "البوند" فى روسيا، علما بان هذا الراى لم يكن رايا فرديا خاصا لى او شاذا بل كان هو الراى الذى يشاركه جميع الشيوعيين بما فيه المثقفون الشيوعيون من اصول يهودية.

اضيف إلى ذلك ان الشيوعيين قد ادركوا تماما اهمية العلاقة العضوية التى ربطت

المشروع الصهيونى واستمرار تحكم الاستعمار فى شئون الشرق الأوسط. واذكر هنا ما كتبه بهذا الشان مكسيم رودنسون عن الطابع "الكولونيالى" لمشروع دولة اسرائيل. وهى كتابات أعيد نشرها بعد مرور نصف القرن ولا تزال تحسب من افضل ما كتب فى الموضوع، علما أيضا بان رودنسون كان له نفوذ حقيقى فى صفوف الحزب الشيوعى فى هذا المجال.

فلم يقبل الشيوعيون مرة تلك الخلطة بين معاداة الصهيونية، ومعاداة "السامية" التى يعيش عليها الإعلام الإسرائيلى، فالشيوعيون وقفوا بوضوح ضد العنصرية مبدئيا فضد الصهيونية بصفتها عنصرية دون ان يقعوا فى فخ عنصرية اخرى هى معاداة السامية التى أدت إلى جرائم النازية المعروفة.

اقول إذن إن الكلام الذى نسمعه ايوم يتردد كثيرا بان الشيوعيين - بصفتهم "غربيين" - لم يختلفوا كثيرا عن الآخرين فى انحيازهم والصداقة لمشروع إسرائيل، إنما هو كلام ليس له علاقة بحقيقة التاريخ.

٢ - اما بالنسبة إلى الجو السائد فى تلك الأيام فى المجتمع المصرى بصفة عامة وفى صفوف الشيوعيين المصريين بصفة خاصة فقد سبق أن ذكرت اننى لست في موقع يتيح لى حق الشهادة المباشرة.

على أن الرجوع إلى الوثائق المكتوبة وإلى ذكريات الرفاق الذين شاهدوا حوادث هذا الفصل من التاريخ قد يلقى بعض الضوء على ما حدث بالفعل.

وقد اقنعنى هذا التمرين بان الكلام الدارج اليوم والذى يفترض إدراكا باكرا بمغزى المشروع الصهيونى وعلاقاته بالإمبريالية لدى الشعوب العربية هو فى واقع الأمر نوع من إسقاط الحاضر على الماضى.

فالمصطلح "العروبة" على سبيل المثال لم تدخل فى قاموس المصطلحات المستخدمة فى الخطاب السياسى المصرى قبل عصر الناصرية وبعد عام ١٩٥٦ فقط.

فكان الشعار الذى اتذكر عمومية ترويجه فى ايام شبابى هو " مصر للمصريين" ولاغير.

والوثائق تثبت أن المثقفين المصريين والعرب من مختلف الانتماءات لم يدركوا العلاقة العضوية التى ربطت منذ الأصل المشروع الصهيونى ومصالح الهيمنة الاستعمارية على

المنطقة، بل وانا لست مقتنعا بانهم يدركون هذه العلاقة حتى يومنا هذا، وقد أثبتت كتابات فيصل دراج أن نظرات ورؤي المثقفين والمفكرين الفلسطينين أنفسهم ظلت تتسم بدرجة من السذاجة ادت بهم إلى الفصل بين "العدو" الصهيونى (اليهودى) و"الحليف" المحتمل البريطانى ثم الأمريكى؛ ويبدو ان الرئيس السادات لم يتجاوز هذه الحدود فى إدراكه إذ انه وجه سياسة مصر فى اتجاه واشنطن "لأن الأوراق فى أيديها".

حقيقة الأمر إذن هى أن التيار الشيوعى هو التيار الفكرى الوحيد الذى ادرك مغزى العلاقة العضوية المذكورة. فالخطاب الدارج حاليا الذي يزعم ان "العروبة" و"الاسلام" كانا دائما يمثلان القوة الرئيسية فى مواجهة الاستعمار بينما "الشيوعية بصفتها "فكر مستورد" إلى جانب الفكر البورجوازى المستورد هو الآخر لم تقف عقبه فى سبيل ما اصبح فيما بعد يسمى "بالغزو الثقافى" إنما هو حطاب قائم على قلب وقائع التاريخ راسا على عقب.

فعند العودة إلى وثائق الماضى لا نجد ما يثبت واقع حدوث باكر بوعى عما هو المشروع الاسرائيلى فى حقيقة امره. لا عند طلائع الحركة البورجوازية ولا فى اوساط المعارضة لها باسم الحنين الماضوى "العروبى" أو "الإسلامى"

هذا وسيقول البعض أن اليوم هناك تيارات سياسية عروبية وإسلامية تعارض الاستعمار والصهونية معا. ظاهريا هذا صحيح على أن المفاهيم التى تلجأ إليها اطروحات هذه التيارات هى مفاهيم لا اساس علمى لها. فهى تيارات فكرية ظلت عاجزة عن إدراك مغزى تحدى الحداثة كما راينا فيما سبق، فهى تيارات ترفض الحداثة رفضا، وبالتالى هى عاجزة عن ان تفهم هذه العلاقة العضوية التى تربط بين المشروع الاسرائيلى ومقتضيات التوسع الراسمالى بشكل عام.

لذلك اعتقد ان "النقد الذاتى" الذى قام به حديثا عدد من الزملاء الشيوعيين لا محل له على الإطلاق، فهو ناتج تاثير الجو السائد وإعادة كتابة التاريخ لا اساس لها، بل واستسلام لهذا الفكر الساذج القائل بان كل ماهو "مستورد" يرسى فى نهاية المطاف إلى فكر موحد يضم معا الليبرالية البورجوازية والماركسية ليجعل منها شيئا واحدا فى خدمة الاستعمار والصهيونية.

ربما اختلفت الظروف بالنسبة للراى العام فى سوريا "الكبرى" (المنطقة التى شملت

انطلاقا من بعد الحرب العالمية الأولى سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين). فقد تم هناك بالفعل تقسيم اصطناعى لمنطقة عربية عاشت موحدة فى ظل الدولة العثمانية (على خلاف وضع مصر التى نالت استقلالها الفعلى منذ عهد محمد على)، فادركت باكرا خطر إعلان بلفور ومشروع الاستيطان الصهيونى. ليس إذن من باب الصدفة ان شعار الوحدة العربية قد ظهر فى هذه المنطقة قبل ان ينتشر علي صعيد الوطن العربي بأجمعه، وليس ايضا من باب الصدفة أن هذه الشعارات قد تبلورت اولاً فى إطار تيارات يسارية (أعلنت نفسها اشتراكية) ثم اندمجت فيما بعد فى تكوين حزب البعث.

٣ - يبقى أن نتساءل إذن عن الظروف التى احاطت بقرار التقسيم عام ٤٧ واسباب موافقة الاتحاد السوفيتى عليه.

ثمة عقبات تجعل الإجابة على هذا السؤل فى غاية الصعوبة وخاصة طالما ان جميع الوثائق السوفيتية التى قد تلقى ضوءا على الموضوع غير متوفرة. ففى معظم الأحيان يُعوض النقص فى المعلومات بانواع من المخيلات ضعيفة الأساس، كان السوفيت تصوروا ان سكان إسرائيل "الأوربيين الأصول" سيدخلون فكرا حديثا بل اشتراكيا فى منطقة يسود فيها الفكر السلفى الرجعى المجمد. هذا القول - الشائع فى ايامنا - ساذج ومتناقض تماما بما سبق قوله حول موقف البلشفيك إزاء الصهيونية.

بيد أن اعتبار مبادئ الماركسية عامة وفهمها البلشيفى خاصة لا يكفى لتفسير جميع المواقف التى اتخذها الاتحاد السوفيتى هنا وهناك فى المجال الدولى. كلا. ففى كثير من الحالات اتخذت السلطة السوفيتية مواقف لا يمكن تفسيرها إلا من خلال الالتجاء إلى مبدأ آخر الا وهو تغليب مصالح الدولة السوفيتية على اى اعتبار آخر، وهناك امثلة عديدة لمثل هذا الخيار، منها على سبيل المثال نظرية"الطريق غير الراسمالى" التى تناولنا مناقشتها فيما سبق.

ثم يجب أن لا ننسى أن السوفيت قد اتخذوا موقفا مبدئيا خلال المرحلة التى سبقت قرار انسحاب بريطانيا الا وهو إقامة دولة فلسطينية موحدة تضم جميع السكان الموجودين على ارضها فى لحظة حصولها على الاستقلال، علما بان المستوطنات اليهودية فى تلك الأيام لم تملك عدا ٥٪ من ارض فلسطين وان عدد سكانها ظل محدودا.

ولكن الطرفين الصهيوني والعربي قد رفضا التعايش في ظل دولة واحدة الأمر الذي شجع الانزلاق نحو فكرة التقسيم. صحيح ان مشروع التقسيم قد اعطى لدولة اسرائيل اراضى تتيح لها التوسع خارج مستوطناتها ومدينة تل ابيب التي كادت ان تكون في تلك الأيام المدينة اليهودية الوحيدة. بيد أن امتناع الطرف العربي عن التاثير في المفاوضات حول تفاصيل التقسيم قد ساعد الطرف الصهيوني في تغليب مطالبه.

ولعله كان من المفيد أن نتذكر هنا أن الفاعلية في العمل السياسي تفترض الانطلاق من تقويم سليم لموازين القوى العاملة في الساحة ثم يتم على اساسه رسم استراتيجيات وتكتيك من شأنها أن تساعد على تغيير تلك الموازين. هذا هو ما فعله الفيتناميون عندما قبلوا التقسيم عام ١٩٥٤ ثم استغلوا الظروف المترتبة عليه حتى غيروا موازين القوى في الجنوب لصالحهم.

وهذا هو بالتحديد مالم تفكر فيه عام ١٩٤٨ الاطراف العربية التي اكتفت بالتمسك بالمبدأ أن فلسطين عربية فلا مكان فيها لإقامة ايه "دولة" ذات طابع اخر بيد أن صحة المبدأ في حد ذاته. والتمسك الصحيح والسليم بذكره لا يلغي واقع موازين القوى. فالسؤال المطلوب الإجابة عليه هنا هو الآتي : هل كان للعرب بديل أفضل من مشروع التقسيم عام ١٩٤٧ لقد اثبت التاريخ اللاحق أن رفضه في غياب قدرة على فرض حل افضل أي إقامة دولة فلسطينية على كل ارض الانتداب كان لابد ان يؤدي وادى بالفعل - إلى إعادة تقسيم في صالح الاستيطان الصهيوني ثم بعد نصف قرن إلى "الاعتراف" بالواقع الجديد!

أعلم تماما أن مدافعي "الرفض" يزعمون ان موافقة العرب على مشروع التقسيم ما كان من شأنه ان يغير شيئا، إذ كانت الصهيونية مهيئة لفتح اراض خارج حدود خريطة التقسيم. هذا صحيح ولكن موقف العرب قد ساعد على إنجاز خطة الصهيونيين، بينما إذا كان العرب قد "قبلوا" التقسيم - ولو بتحفظات - لكان قيام الصهاينة "بفتح" اراض خارج خريطة التقسيم قد بدا بوضوح على انه عملية توسعية سافرة. بينما رفض التقسيم قد ساعد الصهاينة على إخفاء مشروعهم وإعطاء طابع" دفاعي" لما كانت عمليات حربية توسعية.

ملاحظة اخيرة : عندما نتحدث عن الطرف العربي نقصد نظم الحكم. فالأحزاب

الشيوعية (السرية) مثلت فى تلك الأيام القوى السياسية المنظمة الوحيدة المستقلة عن النظم بينما جميع الأحزاب الأخرى الوطنية والإسلامية (الإخوان) لم تجرؤ على ان تتحرك خارج إطار قرارات الحكومات، هذا وقد عملت هذه الأطراف العربية بحيث تتفادى المواجهة المباشرة بين شعب فلسطين والصهاينة، فالنظم قامت بتشجيع "الهجرة" على أساس ان الجيوش العربية هى المسئولة عن تنظيم "العودة" القريبة!

هذه هى أسباب الكارثة، فليست هى بالأساس "قبول قرار التقسيم".

الوحدة المصرية السورية والعروبة

لقد حدث مع إشكالية العروبة ما حدث بصدد قضية فلسطين ، سيادة الخرافات فيما يخص المصادر ونشأة الفكرة والحركة وتطورها ومواقف مختلف القوى السياسية منها، فاليوم يسود القول بأن الطلائع "المستغربة" ويجمع تحت هذا العنوان الليبراليين البورجوازيين والشيوعيين تجاهلت العروبة ووحدة الوطن واهمية إنجازها إلخ بينما "الشعوب" من تلقاء نفسها، بل والتيارات السلفية الإسلامية، اضفت اهمية رئيسية لهذه المطالب.

هذا غير صحيح: بل سوف أوضح هنا ان "القوميين" من مختلف المدارس - بما فيهم الناصريون - لم يقدموا لقضية الوحدة خدمة فعالة للأسف- بسبب خطأ رؤيتهم الجوهرية للمشكلة - وان اطروحات الشيوعيين فى هذا المجال كانت اقرب إلى أن تكون قادرة على تحقيق بعض النتائج المطلوبة، فى فرضية أن العمل قد تم على حسب المنهج الذى قدمته هذه الأطروحات.

انا أعتبر العروبة واقعا حقيقيا وظاهرة إيجابية - فالعولمة الراسمالية القائمة بالفعل هى مصدر تحطيم الحياة المادية والثقافية للعديد من الشعوب ومن هنا أهمية المقاومة فى جميع المجالات ومنها الثقافى، ومن هذه الزاوية لاشك فى رايى - ان وحدة اللغة السائدة فى العالم العربى تمثل رصيدا مشتركا إيجابيا يمكن توظيفه من اجل تحقيق قدرة اكثر فعالية فى مواجهة التحدى وذلك من خلال بناء مؤسسات فوق القطرية صحيحة تفتح الطريق لاحتمال إنجاز الوحدة العربية.

اقول ذلك لأن البعد القطرى له ايضا وجود حقيقى إلى جانب البعد القومى.

فالقصة القائلة بأن الاستعمار الأجنبى هو المسئول عن "تقسيم" الوطن العربى تقسيما "اصطناعيا" هى فى واقع الأمر أطروحة ضعيفة لا يعتمدها التاريخ الحقيقى، لعل تقسيم سوريا الكبرى التاريخية إلى دول سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن يمكن أن ينسب إلى اتفاقيات سيكس - بيكو المعروفة، وكذلك لعل فصل بلاد العراق عن سوريا التى عاشت فى إطار موحد ولكن تحت حكم تركى يمكن أن ينسب أيضا إلى الاستعمار، على أن التاريخ اللاحق الناتج من تفكيك الدولة العثمانية قد خلق تبلور مصالح ووعى قطرى حقيقية. ثم إلى جانب هذه الأمثلة نجد أيضا أقطارا عربية لها شخصيتها الذاتية منذ زمن طويل يسبق الغزو الاستعمارى المعاصر، ومنها مصر واليمن والمغرب وأن مصادر هذه الشخصيات الذاتية تخوض فى ماض بعيد سابق على التعريب والإسلام فى بعض الحالات. فعلينا أن نعى أن "الوطن العربى" هو مفهوم وطن يقتضى بناؤه احترام هرم المستويات التى يقوم على أساسها، من القطرى إلى القومى. فالوحدة العربية هى مشروع مستقبلى محتمل لا وراثة من الماضى. هذا مالم تفهمه التيارات العروبية السائدة.

وقد تكونت حركات التحرر الوطنى ثم نمت فى إطار الأقطار المرسومة فى داخل حدودها السياسية - سواء كانت هذه الحدود "مصطنعة" أم ذات أصول تاريخية - حتى انطبعت هذه الحركات بطابع القضايا الخاصة بالإقليم المعنى ولاسيما أن التكوينات الاجتماعية تباينت تباينا ملحوظا من قطر إلى آخر. وعندما تولت هذه الحركات زمام الحكم طورت - فى أفضل الفرضيات - مشروعات تنمية وطنية قطرية متمركزة على الذات فى هذا الإطار، ولم يكن من الممكن أن يكون الأمر مختلفا.

فكان المطلوب أن يأتى البعد القومى ليساند الاستراتيجيات القطرية السليمة ويضفى عليها قدرة إضافية من خلال تطوير استراتيجيات تكميلية. هذا لم يحدث. "فالقوميون" تجاهلوا بشكل عام الإشكالية بل أنكروا وجودها باسم "وحدة العروبة"، أى من خلال خطاب مجرد لا يمت للواقع بصلة. والحكام لم يكونوا مهيئين لفهم مغزى التحدى لحقيقى بسبب غياب فهمهم لما هى حقيقة آليات الرأسمالية. لذلك اعتمدوا على تكنوقراط قصيرى النظر لم يتصوروا عدا مشروعات "أسواق مشتركة"، وهى بالتحديد المعادلة ذات الطابع الرأسمالى التى لا تمثل أسلوب العمل المطلوب.

ولم تكن الرؤى القومية أفضل فيما يتعلق بالجانب السياسى للإشكالية. حيث إن الشعبوية التى قامت على أساسها لم تتحرر أبدا من تقاليد الدولة الاستبدادية. ذلك إلى جانب عجز مفكرى البعث عن أن يخرجوا من إطار سذاجة تصورهم للقضية وتمثيلها بالتجارب التاريخية لألمانيا وإيطاليا، متجاهلين اختلاف الظروف التاريخية اختلافا شاملا.

هذا وقد تبلور فى لحظة ما من التاريخ المعاصر تيار آخر سعى إلى تجاوز الشعبوية الوحدوية من يسارها، أقصد هنا" حركة القوميين" (وأرجو إذن أن لا يخلط القارئ بين القوميين بهذا التعريف الضيق وبين الاتجاه القومى بالمعنى الواسع) التى كونها تجمع من الشباب الثورى جمعوا بين الماركسية الماوية والجيفارية فأسسوا الأحزاب الفلسطينية الجذرية (الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية) كما أنهم قاموا بدور قيادى فى ثورة اليمن الجنوبى. وهى لحظة أقصى التقدم فى تاريخ العرب المعاصر لعل رواية صنع الله إبراهيم - وردة - تقدم لنا تحليلاً صحيحا عما كان من مجد هذه اللحظة من تاريخنا أفضل من الكتابات السياسية للحركة نفسها حيث إن هذه الكتابات ظلت تتحدث بلغة إيديولوجية تحكمها مفاهيم "الخط السليم" و"الانحرافات" إلخ فأوضحت هذه الرواية كيف أن أعمق وأقوى الميول للتحرر الجماعى والفردى - ولا سيما بالنسبة إلى النساء - وقد قولبت الحركة، ولو أن أسلوب "الكلاشينكوف" الذى حل محل خمول الجماهير الشعبية التى ناضلت الحركة باسمها كان لابد أن ينطفئ كما انطفأت الجيفارية فى أمريكا اللاتينية.

طويت صفحة العروبة الشعبوية التى نادت بها النظم الأتوقراطية.

وأعتقد أن منظر "المؤتمرات" السنوية لما يتبقى من الحركة يقدم دليلاً على ذلك. فالمؤتمرات المعنية لا تجمع سوى نفس الشخصيات التى أصبح عمرهم يزيد عن السبعين، الذكور - لا امرأة واحدة بينهم - والمستمرين فى الحوار مع أصحاب السلطة حيث إنهم لم يتصوروا يوما ما أن يجادلوا غير الحكام، من أجل "إقناعهم" بصحة أطروحاتهم التى لا تتجاوز الحنين للماضى.

طويت هذه الصفحة حتى صار العالم العربى مجردا من أى مشروع خاص به، يكون هو المصدر فى رسمه، وذلك سواء كان فى إطار قطرى أم قومى.

حتى اصبح الخارج هو الذى يرسم "الخطط" للعالم العربى - مشروعات الشرق اوسطية الأمريكية والحوار المتوسطى الأوروبى. فيطلب من الدول العربية "التكيف" لها.

ليس معنى ذلك ان العالم العربى لم يعد فى حاجة إلى بديل مركب على جميع المستويات من المحلى إلى القطرى والقومى وفى جميع ابعاده الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية والثقافية. كما أنه لا يعنى أن الإحساس بهذه الحاجة قد اختفي من الوعى العام. فتعدد ظواهر مساندة الانتفاضة الفلسطينية يقوم دليلا على ان الأمر ليس على هذا الوجه. بيد أن ظواهر التضامن المعنية لا تكفي لتحل محل رؤية صحيحة وفعالة لمكان ودور العرب فى العالم المعاصر.

وفى هذا الإطار اقول إن الوحدة احتمال ومشروع مستقبلى بمعنى انه ينظر إلى التحديات الصاعدة في المستقبل فيتصور مقتضيات استراتيجيات قادرة على مواجهتها، وليس هو مشروع "إنعاش" ماضٍ خرافى إلي حد كبير.

اقول هنا إن الحركة الشيوعية المصرية، بالرغم من كل نواقصها فقد أدركت ذلك اكثر من اى تيار فكري آخر بما فيه التيارات القومية الناصرية والبعثية.

لعل الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الأولى قد وجهت كل اهتمامها - او يكاد - علي مصر فلم نطور "نظرة عربية شاملة" للأمور والتحديات.

بيد أن جميع التيارات السياسية العاملة فى الساحة المصرية فى تلك المرحلة شاركت الشيوعية فى هذا المنهج. فلا أتذكر وجود شعار وطنى غير "مصر للمصريين".

سبق اننى ذكرت بمناسبة قضية "وحدة وادى النيل" التى اهتمت القوى السياسية المصرية بها أكثر من اهتمامها بوحدة عربية اوسع أن الحركة الشيوعية قد اتخذت فيها موقفا سليما يتلخص فى شعار "وحدة نضال شعبين شقيقين". علي خلاف جميع الأحزاب الأخرى التي عبرت عن روح شوفينية، معتبرة "السودان" امتدادا لمصر ونافية خصوصياته، واعتقد ان موقف الشيوعيين المصريين هو السليم، فالوحدة المحتملة المستقبلية لن تُحقق دون اعتراف بالخصوصيات القطرية.

وهذا المبدا السليم هو المبدا الذى وقفت على أساسه الحركة الشيوعية المصرية فى تقديرها للوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨. فرحب الشيوعيون المصريون بفكرة

الوحدة بحماس. بحيث إن اتهامهم بأنهم "قاوموا" الوحدة هو فى واقع الأمر كذب بحت. علي ان الشيوعيين ابدوا تحفظات على أسلوب تنفيذ فكرة الوحدة. وقد اثبت التاريخ انهم كانوا علي حق في هذا الحكم. بل أعتقد أن تحفظاتهم لم تكن علي القدر من الصراحة المطلوبة، وذلك بسبب قصور نقدهم للناصرية بشكل عام. فاعتقد أن إعطاء مسئولية "إدارة" سوريا للمشير عامر واختيار جناح من حزب البعث كحليف محلي "وحيد"، وستبعاد جميع القوى السياسية الوطنية السورية الأخرى بل مقاومتها بعنف هي مجموعة قرارات خاطئة والتى لابد ان تُنسب مسئوليتها لجمال عبد الناصر، لا غيره، كان كل ذلك لابد ان يؤدى إلى فشل المشروع. علما بان هذا الفشل قد خلق عقبة كبرى لأى مشروع وحدوى مستقبلى.

ثم بعد ذلك باشهر، عندما انفجرت ثورة يوليو ٥٨ فى العراق التي فتحت باب احتمال توسيع الوحدة، استمر النظام المصري يتجاهل عبث منهج نفى الخصوصيات الذي تمسك هو به- وبالرغم من كل ما يمكن أن يؤخذ من نواقص وعيوب منهج قيادة الثورة العراقية فى تلك المرحلة (اقصد مرحلة عبد الكريم قاسم)- وهذا موضوع اخر ليس هنا المكان لتناوله- إلا أن أسلوب نظام الجمهورية العربية المتحدة لم يكن افضل. لذلك أعتقد ان موقف الشيوعية المصرية التى انحازت- ولو بدرجات- لصالح النظام العراقي لم تكن خطأ أساسيا علي الإطلاق. الخطأ الأساسي هو ذلك الخطأ الذي ارتكبه جمال عبد الناصر عندما ساعد عبد السلام عارف علي تحقيق الانقلاب الذي قام هو به. فالتاريخ اثبت ان هذا الانقلاب لم يقو اتجاهات وحدوية في العراق، بل انتج عقبات إضافية لها وشجع عودة حكم قوى رجعية ثم تسلسل حزين من الانقلابات "البعثية" التي ادت إلى ما ادت إليه.

كان تضامن مصر مع ثورة اليمن الشمالى عام ١٩٦٥ بل وتقديم مصر مساعدة عسكرية للجمهورية الجديدة مبدا سليما في حد ذاته، في رايي، وهو راى شاركه الشيوعيون المصريون بصفة عامة، إن لم يكن راى "الحركة" الشيوعية التى تم حلها فى تلك اللحظة من التاريخ. على ان مرة اخرى إعطاء مسئولية قيادة العمليات للمشير عامر كان الوسيلة لتحقيق فشل مضمون.

ثم عندما انفجرت ثورة جنوب اليمن عام ١٩٦٨ - وهى تمثل لحظة اقصي ما توصل

إليه تاريخ حركات التحرر العربية، وذلك بالرغم من كل عيوبها- لم يقف النظام المصرى إلى جانبها ، بل بذل ما كل استطاع من مجهود ضدها!

خلاصة قولى فى إشكالية العروبة والوحدة العربية هو أن إدانة الشيوعيين المصريين بالمواقف التى اتخذوها فى هذه المجالات لا تعتمد على اى اساس صحيح. بل على العكس من ذلك لقد اثبت التاريخ أن مواقف الشيوعية المصرية كانت افضل بمراحل من مواقف اى تيار وحدوى آخر. وان المبادئ التى دافع الشيوعيون عنها من شانها- فى فرضية العمل طبقا لها- ان تتيح تحقيق إنجازات حقيقية لم تكن ممارسات "القومية" و "العروبة" قادرة على تحقيقها.

تعدد المنظمات الشيوعية المصرية؛ الوحدة؛ الحل

١-كنا جميعا- وأنا منهم- نؤمن بصحة الرؤية اللينينية التى تبنتها الأممية الثالثة الا وهى أن انفراد الحزب الشيوعي الواحد دون منافس له يستحق ان يزعم أنه هو الآخر حزب شيوعي إنما هو الاستنتاج الطبيعي والمنطقي من النظرية التى تقول أن هناك خطأ صحيحا واحدا فقط. وبالتالي فإن تعدد الأحزاب لا معنى له.

والبعض منا- وأنا منهم- كان ايضا على علم بان هذه الرؤية لم تكن رؤية ماركس في تناوله مشكلة تعدد منظمات الطبقة العاملة. بيد أننا كنا قد اقتنعنا برؤية لينين أن تعدد المنظمات في أيام ماركس لم يكن إلا انعكاسا لتخلف الوعي في الطبقة العاملة في تلك المرحلة المبكرة وأن التقدم قد ادى بطبيعة الحال إلى وحدة الفكر والعمل وبالتالي وحدة التنظيم.

على أن هذه النظرية التي شاركنا جميعا في تبنيها قد ادى إلى اسلوب رفض الآخر ونقده- حيث إنه خاطئ بالضرورة!- بل اتهامه بشكل صريح او ضمنى بأنه "عميل" للعدو فى بعض الأحيان. الأمر الذى شجع ايضا تكبير العوامل الشخصية في النزاعات بين مختلف المنظمات. أضيف إلى ذلك اننا جميعا ايضا كنا نشارك فى منهج دغماتيكى سائد في الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية؛ اقصد منهج قائم على اعتبار أن هناك "نصوصا" مقدسة او تكاد هي المصادر في طرح المبادئ التي يضمن "تطبيقها" اكتشاف الخط الصحيح. ثم كنا جميعا مقتنعين بأن القيادة السوفيتية- على الأقل إلى أن انفجر

النزاع بينها وبين القيادة الصينية- تمتلك مفاتيح الحق. لذلك كنا جميعا ندين انحراف- بل خيانة تيتو عام ١٩٤٨.

وقد فرضت هذه القناعات اسلوب تبرير المواقف التى كنا نتخذها من خلال اعتمادها على نصوص- "الكلاسيك" والسوفيت. الأمر الذى لا يساعد على تشخيص مدى ومغزى الاختلافات. وإلى اليوم يظل هذا التشخيص عملية غير بسيطة لهذا السبب بالتحديد. فالوثائق لا تلقى الضوء المطلوب على مصادر وحقيقة هذه الاختلافات وهى تختفي وراء سيل من النصوص التي لا تمت للمشكلة بصلة في بعض الأحيان او على الأقل تتعلق بها بشكل واضح.

ثم، لقد سمعت اكثر من مرة تفسيرا آخر لتعدد المنظمات المصرية يلجا إلى دور المخابرات البريطانية. ويلاحظ بالفعل ان في العديد من البلاد التي دارت في فلك سيادة الاستعمار البريطاني- مصر والعراق والهند والملايو- نشاهد ظواهر قد تبدو متماثلة، أقصد تعمق النزاعات الداخلية التي تؤدى إلى تفكيك وتقسيم المنظمة الواحدة. هذا بينما نشاهد في مستعمرات فرنسا (سوريا وفيتنام.. إلخ) غياب مثل هذه الظواهر. بيد انني لا أميل إلى "التفسير البوليسي" للتاريخ فاعتقد ان الوحدة او التفكيك ناتجة عن ظروف داخلية بالحركة المحلية وان هذه الظروف قد تقف هنا عقبة في سبيل مناورات العدو (المخابرات المعنية) إلى ان تتاح هناك فرصة ملائمة لها. وفى هذا الإطار الأخير لعل الفرق بين "الثقافة"البريطانية و"الثقافة" الفرنسية قد لعب دوره، بشكل غير مباشر وغالبا دون وعى أعتمد هنا على ذلك الفرق الذي سبق انني لاحظته بين تعليم مدارس الليسيه- التقدمي- والمدارس البريطانية- الرجعي على طول الخط، وتركيز الأول على فلسفة ديكارت وهيجل في مقابل تجاهلها في الثاني وتركيزه على البرجماتيكية دون مبدا اخر. اضيف إلى ذلك ان المنظمات الشيوعية في المستعمرات الفرنسية كانت تلجا إلى الحزب الفرنسي- "الأخ الكبير"- المحترم في الأممية الثالثة، وهو وضع لم يكن له مثيل بالنسبة إلى الحزب البريطاني قليل الشان.

على كل حال أنسب اختلاف الراي في الحركة الشيوعية المصرية إلى مصدر موضوعي ذي أهمية بالغة الا وهو قضية التناقض بين البعد الوطني والأبعاد الاجتماعية والفكرية في داخل الحركة نفسها. بحيث إن البعض من بين الشيوعيين قد

مالوا إلى تغليب البعد الأول بشكل واضح يكاد يكون مطلقا في بعض الحالات بينما البعض الآخر أبدوا تحفظات إزاء هذا الخط.

أعتقد أيضا ان هذا الاختلاف تواجد في جميع المنظمات الشيوعية ولو أن حدتو قد مثلت في رايي نوعا متطرفا للأسلوب الأول المذكور هنا بينما حزب الراية وحزب العمال والفلاحين اختلفا من هذه الزاوية عن حدتو حتى عام ١٩٥٦، ثم التفت هذه المنظمات الثلاث الرئيسية في خط مساندة الناصرية. كنت انا شخصيا اميل إلى الأسلوب الثاني، ولذلك فقد دافعت بحماس عن موقف الراية من عام ٥٢ إلى عام ٥٦ ثم اقتنعت "بصحة" الانقلاب في موقف الراية انطلاقا من تاميم القناة. على انني رجعت في هذا التقدير انطلاقا من حملة يناير ٥٩ وتقربي من نقد ماو للخط السوفيتي ونظرية "الطريق غير الراسمالي".

٢- تحققت وحدة التنظيم بالتحديد خلال تلك اللحظة- اي بين عام ٥٨ وعام ٦١ - ولم يكن ذلك مجرد صدفة.

انا شخصيا رحبت بالوحدة التي تحققت عام ٥٨ وذلك لسبب بسيط وواضح الا وهو انني قد شاركت في تلك اللحظة فى الرؤية العامة السائدة في الحركة الشيوعية المصرية بضرورة الانخراط في إطار المشروع الوطني الشعبوى الذي كان عبد الناصر يقوده، وقبولي في تلك اللحظة نظرية الطريق غير الراسمالي وبالتالي آمالي (التي اتضح انها وهمية) فى احتمال تجذير المشروع وتطويره نحو الاشتراكية. علي انني قمت بمراجعة هذا الموقف انطلاقا من عام ٥٩.

هذا واستطيع أن اقول أيضا إنني احتفظت بشيء من الحذر إزاء الوحدة. واعتقد أن هذا النوع من الموقف قد ساد في صفوف الشيوعية المصرية بشكل عام بسبب صرامة النزاعات السابقة وانطباعها بطابع شخصى ملحوظ. اضيف انني كنت لا ازال اعطي ثقتي الخاصة لرفاق الراية وقيادتها وما سبق ان قلته بصدد شخصية كوريل قد شجع عندي هذا الحذر. ولكن لا يعنى ذلك على الإطلاق عدم تقديري لجميع الرفاق من مختلف المنظمات. وقد تقوى هذا التقدير بمرور الأعوام. فأنا مرتاح تماما من هذه الزاوية. قلت واكرر ان الشيوعيين المصريين من جميع المنظمات أثبتوا انهم مثلوا طليعة الشعب المصري وضربوا المثل بالشجاعة الإنسانية. وذلك بالرغم من كل نواقص الحركة

بشكل عام، اقصد علي الأخص نقاط الضعف فى التكوين الثقافى.

عندما حدث انفجار عام ٦١ كنت مقيما فى الخارج- فى باماكو. وكنت من هناك احاول ان اتابع ما يحدث فى الحركة الشيوعية المصرية من جانب كما كنت اتابع تطور النزاع السوفيتى الصينى من الجانب الآخر. وبما اننى كنت أعلق على هذا الصراع اهمية رئيسية فانحاز لصالح نقد الماوية الموجهة للسوفيت فكنت بالتالى أعتبر ان الشيوعية المصرية بشكل عام خاطئة فى خياراتها. وذلك دون ان يكون هناك فى هذا الحكم أدنى درجة من الاحتقار لهذه الحركة. كلا .

٣ - لم يفاجئنى كثيرا قرار الحل عام ١٩٦٥.

فكنا نسمع - فى الخارج - شخصيات سوفيتية على علم "باسرار" الكريملين يقولون ويرددون إن النضال من اجل الاشتراكية فى مصر (وفى بعض بلدان العالم الثالث الأخرى) يقتضى "توحيد" القوى التقدمية حول النظم الحاكمة "الوطنية". واتذكر تماما حديث دار بينى وبين سفير سوفيتى كان يعرف مصر معرفة جيدة فيقول إن "المستقبل هو فى الحزب الاشتراكى الناصرى" الجديد. وقد قلت له : لا مستقبل لهذا الحزب لأن النظام (المؤسسة العسكرية خاصة) لا يريد ان يعطيه وجودا ، فلن يتيح للشيوعيين فرصة العمل فيه، وجمال عبد الناصر لن يقبل الاعتماد عليه بل سيستمر يعتمد على المؤسسة العسكرية بصفتها المصدر الوحيد لشرعية النظام . هذا الحديث يرجع على ما اذكر إلى عام ١٩٦٣، اى قبل قرار الحل.

٤ - والآن لى وجهة نظر فى مشكلة اشكال التنظيم المطلوبة مختلفة تماما عما كان هو عليه رايى فى مرحلة الراية والحركة الشيوعية المصرية ثم فى مرحلة تبنى اطروحات الماوية. ودون ان اخوض هنا فى هذه المواضيع التى قد تخرج عن ذكرياتى والتى تناولت مناقشتها فى اماكن اخرى سوف الخص هذا الراى فى النقاط التالية.

أولاً : هناك علاقة وثيقة بين نظريات التنظيم المطلوب من اجل دفع النضال إلى الأمام وبين التصورات الخاصة "بالانتقال" و"بناء الاشتراكية" .

فنظرية الحزب "الواحد" والخط الصحيح "الواحد" - التى طورتها اللينينية ثم قامت الماوية بمراجعها وتكملتها جزئيا فقط (إذ ان الماوية تنتمى هى الأخرى إلى تراث الأممية الثالثة) - ترافق بالضرورة تصور بناء "سريع" للمجتمع الاشتراكى فى بلدان

تحررت من الاندماج في أعولمة الرأسمالية الإمبريالية.

فإذا أخذنا بتصور مختلف تماما عما هو الأمر عليه في نظرية الانتقال من الرأسمالية العالمية إلى الاشتراكية العالمية هي الأخرى ونظرنا إليه على أنه مرحلة تاريخية طويلة تتسم بعمل تناقض داخلي بين قوى تفعل في إطار إعادة تكوين العلاقات الاجتماعية الرأسمالية من جانب وبين قوى تخضع لمنطق آخر مستقل عن مقتضيات التراكم الرأسمالي من الجانب الآخر وإذا اعتبرنا أن هذا التناقض يعمل في كل مجتمعات العالم الحديث بمافيها تلك المجتمعات التي أنجزت تقدما ملحوظًا وخطت خطوات نحو" الاشتراكية"، فإن أشكال التنظيم لا يمكنها أن تتلخص في "حزب واحد".

ثانيًا: لن يحقق النضال من أجل التقدم نحو الشيوعية إنجازات ملحوظة دون ممارسة ديموقراطية في المنظمات الشعبية المعنية. فهو الشرط الذي لا مفر منه لكي تلعب هذه المنظمات دورها في تعميق الديمقراطية على صعيد المجتمع بكليته- فالمقصود هو دمقرطة متواصلة لا نهاية لها وليس الاكتفاء بأشكال الديموقراطية المعروفة الأكثر تقدما في لحظتنا.

بحيث إن عملية الدمقرطة المتواصلة تضفي أبعادا جديدة اجتماعية وفي إدارة الاقتصاد على الأبعاد السياسية والفكرية التي أنتجتها الحداثة حتى الآن.

أعود هنا إلى ما انطلقت منه أي مفهوم الحداثة، فنحن في حاجة إلى تطوير الحداثة، وبما أن الديمقراطية هي ناتج الحداثة فما نحن في حاجة إليه إنما هو تطوير وتعميق الديمقراطية.

ثالثا: تفترض عملية الدمقرطة المتواصلة تعدد الفكر والحركات والمنظمات. ولا يصح على الإطلاق أن يحتكر تيار فكري أو منظمة (أو حزب) حق الإبداع.

بل يفترض أن صنع المستقبل حق الجميع وبالتالي أن الإبداع سوف ينهل من مصادر ومنابع فكرية عديدة، منها على سبيل المثال الماركسية أو الفكر الديني غير السلفي على نمط لا هوت التحرير المسيحي وغيرها.

فالاحتكار يقتل المشروع التحرري. وينطبق هذا الحكم ليس فقط على الماركسية بل بالأولى على الأيديولوجيات الأخرى التي طرحت كبدائل لها مثل القومية والإسلام السياسي. كما ينطبق بالطبع على أصولية الفكر الليبرالي السائد حاليًا. علما بأن

"الخصوصية" التى توظف من اجل تبرير الخيارات القومية او الدينية السلفية المذكورة تقف عقبة فى سبيل تقدم الدمقرطة المطلوبة إذ إن هذه الخصوصيات هى "تراثية" الطابع، موروثة من الماضى بينما نحن فى حاجة إلى تنوع من نوع آخر، تنوع فى الابداع الموجه نحو خلق المستقبل والتحرر من قيود الماضى.

قطعا لم تكن المنظمات الشيوعية المصرية والأخرى نماذج فى ممارسة الديمقراطية. ولو ان جميع الأحزاب الأخرى من الليبرالية البورجوازية إلى القومية والدينية لم تقل فى نواقصها عن الشيوعية من هذه الزاوية.

على أن الشراكة فى العيب لا يقوم تعذيرا بالنسبة للأحزاب الطلائعية - الماركسية والأخرى - التى تود أن تسعى إلى دفع الدمقرطة إلى الأمام.

بيد ان السرية التى فرضتها على الحركة الشيوعية النظم الاستبدادية التى حكمت مصر المعاصرة قد لعبت دورا أساسيا فى إلغاء اى احتمال للممارسة الديمقراطية داخل الحركة. فالسرية تعنى استحالة تطوير النقاش الذى يتطلب العلنية - كما أن السرية تضفى اولوية لمقتضيات الأمن على حساب المطالب الأخرى.

الدولة الاستبدادية المصرية

١ - لقد اوضحت فى هذه الذكريات أن الشيوعية المصرية لم ينقصها الوعى الوطنى. كلا. بل اثبتت الحركة الشيوعية المصرية انها قامت فى طليعة الحركة الوطنية وانها طورت فى هذا المجال مفاهيم وتحاليل صحيحة وفعالة فاقت بمسافات مفاهيم وممارسات جميع القوى الوطنية الأخرى.

بل ربما لم يكن النقص الأساسى للحركة الشيوعية فى مجال العمل الاجتماعى بين العمال (النقابات) والفلاحين - وذلك بالرغم من ان هذا العمل قد ظل محدودا لأسباب مختلفة بعضها يرجع إلى تغليب البعد الوطنى على الأبعاد الأخرى للقضية كما سبق ان ذكرته، على ان النقص فى هذا المجال يرجع ايضا إلى الوعى الاجتماعى المتخلف للطبقات الشعبية نفسها وهى جزء لا يتجزأ من مجتمع يعانى فى كليته من انه لم يدخل بعد فى عصر الحداثة.

يضاف إلى ذلك الممارسات الاضطهادية للدولة وعنف وسائل القمع التى اتسمت بها

الدولة الوطنية الشعبوية. فمصر المعاصرة عاشت ولا تزال فى ظل قوانين الحكم العرفى، بسبب (أو بحجة) حالة "الحرب" مع إسرائيل ثم بعد ذلك بسبب (أو بحجة) العمليات الإرهابية التي تقوم بها بعض المنظمات الإسلامية.

أقول إذن إن النقص الأساسى فى الحركة الشيوعية المصرية وقع فى مجال الفكر والنضال الفكرى. وأقصد هنا بالتحديد أن الشيوعية المصرية لم تدرك تماما معنى تلك الجملة التى طرحتها والتى تقول إن "المجتمع المصرى لم يدخل بعد فى عصر الحداثة". وبالتالى كان هناك حاجة إلى إضفاء أهمية رئيسية للنضال من أجل التقدم الفكرى - الثقافى.

٢ - كون المجتمع المصرى - والمجتمعات العربية بشكل عام- لم يدخل عصر الحداثة قد انعكس فى الطابع الاستبدادى لجميع أشكال الدولة المتتالية الحاكمة خلال التاريخ المعاصر.

فالناصرية فى مصر والبعثية فى سوريا والعراق والبديل المطروح باسم الإسلام السياسى لا تمثل إلا أشكالاً من الدولة الاستبدادية التقليدية التى تحكم المنطقة منذ قرون إن لم يكن منذ الأزل. وقد اقترحت إعطاء اسما خاصا على هذا النموذج من الدولة الا وهو "دولة المماليك"، بالإشارة إلى العصر الذى شاهد استكمال سمات هذا النمط.

يقوم النظام المملوكى على شراكة ثلاث فئات من الرجال فى ممارسة الحكم. أقول رجال إذ إن النساء بطبيعة الحال مستبعدات تماما عن هذه المسئوليات. فهناك رجال الحرب ورجال الدين ورجال التجارة، يندمجون فى كتلة حاكمة واحد.

تعتمد مشروعية حكم رجال الحرب على مفهوم للإسلام يكرس التمييز بين دار السلام ودار الحرب، كأن "الجهاد" عملية مستمرة وأن المجتمع الإسلامى فى حالة "حرب" متواصلة مع باقية العالم. علما بأن هذا التركز قد اكتسب تلك الأهمية الحاسمة فى رسم وظائف الدولة خلال الحروب الصليبية حتى أصبح صلاح الدين الأيوبى مؤسسا لهذا النمط من السلطة. كما أن مفهوم الدين الذى لجأت إليه هذه الدولة هو مفهوم "سنى" تقليدى قائم على إلغاء الاجتهاد وتكريس البعد الطقوسى الشكلى للممارسات الدينية بحيث إن "الإسلام" قد أصبح إعلانا للانتماء إلى "أمة" (أى

بمعنى آخر إلى جماعة) اكثر من انه عقيدة دينية فردية قوية. وليس من الصدفة ايضا ان الفاتح التركى للاناضول، ثم الدولة العثمانية التى ضمت جميع الأراضى العربية عدا المغرب الأقصى - قد كرس هذا المفهوم المزدوج للدولة العسكرية الطابع اصلا (التى اطلقت على نفسها اسم "حكم الغازى" - اى حكم هؤلاء الذين غزوا الدولة البيزنطية) ولتوظيف الإسلام من أجل إخضاع الشعوب المعنية العربية وغيرها لحكم السلطان - الخليفة العثمانى.

كما ان هذا النوع من السلطة لا يتيح مجال لإنماء انشطة اقتصادية مستقلة عن السلطة. فالمنطقة العربية الإسلامية استفادت من موقعها الجغرافى الفريد الذى اضفى لها احتكارا فى ربط آسيا واوروبا وافريقيا حتى ترتب عليه ازدهار تجارى اصبح ركنا من اركان تقدمها الحضارى. بيد أن الطبقة التى مارست هذه التجارة لم تحقق لنفسها استقلالا ذاتيا فى مواجهة السلطة العسكرية الحاكمة، على نمط ما حدث فيما بعد فى أوروبا من خلال تكوين مدن حرة.

ولن اخوض هنا فى هذه الإشكالية التى تناولت مناقشتها فى كتابات أخرى حول "النمط الخراجى" وتمييزه عن النمط الإقطاعى الغربى.

اكتفى بالإشارة إلي أن النمط الخراجى القائم على اندماج ثلاثى يضم رجال الحرب والدين والتجارة قد اتخذ فى منطقتنا ومنذ القرن الثالث عشر ميلادى شكلا خاصا ومتجمدا ("نظام المماليك") فصار المسئول عن استمرار الاستبداد السياسى والفكرى والركود الاقتصادى. حتى أصبح عقبة مانعة حالت دون إنجاز النقلة إلى عصر الحداثة الراسمالية.

ولاتزال هذه السمة الرئيسية للتكوين الاجتماعية العربى الإسلامى تحكم الحاضر فى بعديه الفكرى (تجمد الفكر الدينى وتوظيفه فى تكريس نظام الحكم الاستبدادى) والاقتصادى (تبعية الأنشطة الاقتصادية للسلطة السياسية). فلا يوجد حتى الآن "قطاع خاص" بالمعنى الصحيح للكلمة، عدا ذلك القطاع الأجنبى الناتج عن الغزو الاستعمارى والذى يتمثل اليوم فى انشطة الشركات المتعدية الجنسية - أما "القطاع الخاص" الوطنى فلا يزال ركيكا معرضا "لأهواء" الحكام.

ومن المعروف أن اقصر طريق لتكوين "ثروة" فى عهد الانفتاح السائد إنما هو العمل

فى ظل حماية رجال الدولة (وفى كثير من الأحيان بالمشاركة مع رأس المال الأجنبى) بدلاً من أن يكون ناتج مبادرة إنتاجية مستقلة عن السلطة. وقد أطلق البعض على هذا الشكل من القطاع "الخاص" اسما دالاً الا وهو "القطاع الفردانى"، للإشارة إلى هذا النمط من الأنشطة التى يقوم بها "أفراد" يعتمدون على علاقاتهم الوثيقة بالحكام من اجل ممارسة اعمالهم. وهناك امثله لا تعد من هذا الشكل من الراسمالية الخاضعة لمنطق نظام المماليك. على سبيل المثال تلك المؤسسة التى تستولى على احتكار فى المناقصة فى قطاع هام من الاقتصاد ثم تعيد توزيع الأعمال على منشآت صغيرة ومتوسطة تعمل من الباطن، علما بأن المؤسسة المحتكرة هى التى تحقق معظم الأرباح.

لن أقول أن الناصرية (وكذلك البعثية) فى عصرها الذهبى لم تحاول أن تخرج من حظيرة نظام المماليك. كلا. حاولت الحركة الوطنية الشعبوية أن تتجاوز بالفعل هذه الحدود وأن تقيم قطعا عاما صحيحا، كما أنها أضفت بعدا اجتماعيا لمشروعها، على أن النظام لم يتحرر من مبادئ منطق سلطة المماليك حيث إن المؤسسة العسكرية احتفظت باحتكار المشروعية وظلت صاحبة القرار النهائى. كما أن النظام ظل "يوظف" الدين فى إطاره التقليدى دون أن يتجاوز فى هذا المجال ما ورثه مما أسميته "إجهاض النهضة". وبالتالى كانت العودة إلى نظام المماليك أمرا طبيعيا تلا سقوط المشروع الوطنى الشعبوى.

هل يمثل المشروع الذى يطرح نفسه بديلا للأمر الواقع - أقصد مشروع الإسلام السياسى - بديلا حقيقيا؟ كلا. فهذا المشروع يظل محكوما هو الآخر بمبادئ نظام المماليك. علما بأنه يسعى إلى أن يحل رجال الدين محل رجال الحرب فى مرتبة الأولوية فى القيادة العامة لنفس الثالوث الحاكم ولا غير.

شهادة

عبد الله حسن

البيانات الشخصية

الاسـم : عبد الله حسن البصيلى.

تاريخ ومحل الميلاد : ١٩٢٥/١٢/١٧ - المطرية - القاهرة.

المهنة : نساج ميكانيكى ، آخر عمل: مراقب عام أقسام النسيج بالشركة العربية للنسيج الحديث.

بيانات عائلية :

الوالد من أصول صعيدية، مهنته نجار باب وشباك وكان وفديا متعصباً، والوالدة ربة بيت لا تقرأ ولا تكتب، وتحملت مسئولية تربيتنا بعد مرض والدى الذى استمر ١٧ سنة.

كان ميلادى بعزبة فلبيك بالمطرية وكانت محاطة بمعسكرات الجيش الإنجليزى من حلمية الزيتون إلى السويس وكان لهم محطة سكة حديد بالحلمية لنقل معداتهم العسكرية. وكان عدد من أهالى المطرية والمناطق المجاورة يعملون بمعسكر الحلمية كما كان الكنستابلات الطليان راكبو الموتسكلات ، رأيتهم وهم يرفعون الحمل من على الحمار يضعونه فوق أكتاف الفلاح كى يعلموا الفلاح الرأفة بالحمار وكثيراً ما كان هذا الفعل يعجب الناس، ينبهرون برحمة الإنجليز والطليان.

بعد عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ قاموا بإنشاء شارع المعاهدة المار من أمام منزلنا وكانوا يستأجرون الفلاح وحماره بمبلغ خمسة عشرين قرشا وكثير من الفلاحين استأجروا أولاد المدارس مقابل ٢٠ مليما كى يتمكنوا من تشغيل أكبر عدد من الحمير لزوم الطريق الذى أصبح شارع المعاهدة الذى يربط بين القاهرة وخط القنال وكانوا يسوقون الفلاحين بالكرابيج كى يسرعوا فى حمولة الحمير، رأيتهم وهم يخطفون البنات بالقوة وأجبروا عدداً كبير من عمالهم المصريين على العمل قوادين لجلب المنحرفات إلى المدافن وغير المنحرفات أو فتح بيوت للدعارة، وأثناء الحرب العالمية الثانية جلبوا أعدادا كبيرة من الأفارقة والهنود وهونج كونج وغيرها من البلاد المستعمرة وأطلقوا أيديهم للعربدة وهم سكارى ومعهم ضباط إنجليز وأستراليون، وزاد الطين بلة بقدوم الأمريكان وما فعلوه بالمصريين باعتبار المصرى ملونًا لا يجوز له التواجد بجوار معسكراتهم، فمن يجدوه بطريقهم يدهسوه بعرباتهم الكبيرة أو يطلقوا

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. سيد ندا وأ. تجانى عبد المجيد قبل رحيله . أعضاء لجنة التوثيق

عليه النار فيردوه قتيلاً، كما رأيت الإنجليز وهم يخطفون الطرابيش من على رؤوس المارة ويلعبون بها الكرة.

وأفعالهم هذه جعلت شباب المطرية والزيتون يتحولون إلى عصابات لسرقة كامب الإنجليز وقتل أكبر عدد منهم وكانت محطة سكة حديد شحن البضائع والمعدات الإنجليزية مسرحًا للمعارك بين الشباب والجنود السكارى وكذلك قهاوى الزيتون لأنها كانت محاطة بعدد من الخمارات التى يرتادها الإنجليز والجنسيات الأخرى، كما كانوا يعترضون عربات الإنجليز المحملة بالتموين أو البطاطين أو الأسلحة الخفيفة مثل البندقية والترابيوز كما كانوا يستدرجون الإنجليز الى أماكن خالية بحجة وجود بنات وبمجرد وصولهم ينقضون عليهم ويقتلونهم ويستولون على أسلحتهم.

ولما كنت أحكى لوالدى هذه المواضيع كان يفرح جداً ويقول لى: «بكرة المسكوف يخلصون منهم» ولما سألته عن المكسوف قال: «الجيش الأحمر بتاع روسيا» وكان كلما يجلس مع أصدقائه، يبشرهم بقدوم المسكوف. رغم أنه كان متصوفا متدينا جداً متعصبا للوفد.

بدأت العمل بالمصانع وأنا فى سن عشر سنوات بعد مرض والدى مرضا مستعصيًا أقعده عن العمل وبعنا كل شئ وتولت أمى المسئولية واشتغلت بتجارة الصابون التى كانت رائجة فى ذاك الوقت، ولما التحقت بمصنع يوسف آخوان لتعلم مهنة لف البكر حاولت أمى إقناعى بترك المصنع والعودة للمدرسة فرفضت وأصررت على العمل بالمصنع رغم أن أجرى كان ١٥ مليما فى الأسبوع وبعد ذلك تدرجت فى العمل بمصنع سلوم الذى كان مديره العام الزميل المرحوم محمد على عامر الزهار ثم انتقلت إلى مصنع ج ـ دينا ـ وكان أصحابه من إيطاليا.

وأثناء الحرب العالمية الثانية التى بدأت سنة ١٩٣٩ وضع المصنع تحت الحراسة وقبض على أصحابه وقام الإنجليز بأخذ جزء كبير من أرض المصنع أسموها الأرنس لتصليح المركبات العائدة من المعارك الحربية وبها عطب . وكان الإنجليز كثيرى الشغب معنا، وحدثت معارك كبيرة بيننا وأصيب فيها بعض العمال وأذكر منهم على السعدونى، ومحمد سليمان الكلباتى.

ملحوظة: هذا المصنع هو مصنع جورج أسود حاليًا، وأثناء عملى بمصنع سلوم تشاجر معى أحد العمال وتم فصلى من المصنع.

فاتنى أن أذكر ما حدث لى بمصنع ج دينا من رئيس قسم البكر وكانوا ينادونه بالريس ياسين وكان يقود العمال بالكرباج ويرهبهم بشنبته ، ومع صغر سنى لم أقبل هذا الوضع وتشاجرت معه وطلبت نقلى إلى قسم الدأنتلة وتعلمتها بسرعة وكنت أعمل على بنك كما كانوا يسمونه لإدارة عدد ١٢ ماكينة وبعدها انتقلت إلى مصنع شوشة بقسم لعمل شريط الجربنديه للجيش الإنجليزى. وبعد انتهاء الطلبية طردونا بدون مكافأة ولا إنذار حيث كان القانون يعطيهم الحق فى توفير نسبة ١٠ عشرة بالمائة من العمال كل ستة أشهر من كل عام، ونفصلنا بحجة انتهاء الطلبية. وذلك كان فى عام ١٩٤١ وأشار على ابن عمى أن أعمل بالجيش الإنجليزى فرفضت لأنى كنت أكره حتى اسمهم وكان لى صديق يعمل ميكانيكى سيارات أشار على أن ألتحق بإحدى الورش لأتدرب على مهنة إصلاح السيارات وبعدها أتقدم للعمل بشركة طيران البرتش إيرويز أو شركة مصر للطيران وقد اقتنعت بالفكرة وعرضت الأمر على والدى فرحب بالفكرة أيضًا، وكان له صديق صاحب ورشة كبيرة بالزيتون اسمه الأسطى أحمد صابر وكلمه عنى فرحب الرجل اشتغلت عنده فترة أخذت فيها قسطًا سطحيًا من تعلم المهنة.

وفى أحد الأيام فوجئت بضابط استرالى قوى البنيان يضرب فى الناس وهو سكران وكلما تجرى الناس أمامه يزداد هياجًا رما إن وصل عند الورشة حتى وجدتنى أهوى على رأسه بالكرسى وكانت رأسه صلعاء وهو خالع البيريه، وما إن ضربته بالكرسى إلا ونزلت الدماء منه بغزارة وقد أغمى عليه وسقط فى الأرض. فإذا بصاحب الورشة ينهار تماما ويقول خربت بيتى ويلطم خديه ولما رآه أصحاب المحلات المجاوره رآه علي هذا الحال أخذونى عندهم وأخفونى خشية أن يتصرف معى صاحب الورشة تصرفًا جبانًا وأبعدونى عن المكان وتركت العمل بالورشة لهذا السبب.

نسيت أذكر أن رجلا إنجليزيا اسمه باظ برتبه كونستبل يسكن فى حارة متفرعة من شارع المطرية وقريبا من نقطة بوليس المطرية وسميت باسمه ومازال اسمها حارة باظ، هذا الرجل كان حين يدخل الحارة يسكت جميع من فيها وتسكن الحركة ولا يدخلها بياع متجول وكان يهاجم أى بيت تحدث فيه حركة وكان أمام سكنه سواق ملاكى اسمه موسى وكان الرجل دائما تحت تهديد هذا الإنجليزى وذات مرة كانت زوجة عم موسى تعجن العجين فى الصباح الباكر وإذا بالإنجليزى يدخل عليهم البيت ويضرب الحريم ويسكب العجين فى الأرض ويدوسه

بقدمه وكان هذا الفعل الإجرامى حافزاً للناس لتدبير خطه لضرب هذا المفترى فاجتمع أهل الحارة واتجهوا نحو بعض الكبار من البلد وشكوا لهم ما حدث ويحدث من هذا الرجل البغيض وطلبوا منهم استخدام نفوذهم وعلاقاتهم بالإنجليز على أن يقفوا مع عم موسى بعد تنفيذ الخطة.

وتم الاتفاق على أن تقوم زوجة عم موسى بالعجين وعمل ضوضاء أكثر من اللازم وحدث هذا ووقع الإنجليزى فى الفخ وأثناء هجومه على البيت قاموا عليه بالشباشب والخيزران وأعطوه علقة ساخنة، واتصل بنقطة بوليس المطرية وكان الجميع جاهزا لمساعدة الرجل وحضر إنجليزى ورأى العجين المسكوب على الأرض واعتذر لأهل البلد عن هذه الفعلة الشنيعة، أما باظ فقد حرم أن يحتك بأحد بالمرة.

وكنا ونحن أطفال نخرج من المدرسة فى مظاهرة.. ونهتف ياعزيز يا عزيز كبة بأحد الانجليز وكنا نهتف ضد صدقى ونقول «يا صدقى يابرز الناس مين قالك تكيد الناس ياصدقى يا بوز الناس من قالك تعادى النحاس ياصدقى يا وش النملة مين قالك تعمل دى العملة، وكان أهلنا يشجعونا على ذلك. وبعد الإنتهاء من رصف شارع المعاهدة خرجنا من المدرسة لتحية الملك فاروق وهو ذاهب إلى أنشاص مخترقاً شارع المعاهدة، ووقفنا على جانبى الطريق نقول يامليكنا إمشى بشويش إحنا جعانين مش لاقين عيش-يامليكنا يا محبوب مفيش خبز ولا حبوب ، وبالمناسبة كانت الناس تذهب إلى معسكر الهجانة لتأخذ بعر الجمال أى براز الجمال يدقوه ويأخذون منه الشعير والقمح يغسلوه ويطحنوه على الرحاية ويعملون قرصاً ياكلونها بسبب عدم وجود المخبز لأن الإنجليز كانو يستولون على جميع المحاصيل ولم يتركوا الشعب سوى الذرة العويجة وبعض الذرة الشامية.

ولما بدأت أزمة الخبز تنفرج كان مقرراً لكل أسرة عشرة أرغفة بخمسين مليما، ولما اشتد الزحام على الأفران ارتفع سعر الرغيف إلى ستة مليمات، ولكثرة اشتراكى بالإضرابات والمظاهرات امتنع أصحاب المصانع عن تشغيلى بمصانعهم وكان لى صديق يعمل بالجيش الإنجليزى مع عمه بالإسماعيلية أخذنى معه فى منطقة فلتر المحسمة اسمها وكنت أعتقد أن كل الجنود إنجليز وهنود وإذا بى أجد جندياً قادماً نحونا فقلت لصديقى آهو واحد ابن كلب جاى نحونا وإذا به يقول لا يا أخى أنا مسلم فسطينى فأحرجت إحراجاً شديد وأعتذرنا له فوضع يده على كتفى وقال لا يا أخى أنت معذور وإحنا مرغمين على الخدمة معهم لأنهم

حاكميتا لا عليك ياسيدى، لذلك قررت ترك العمل وعدت إلى القاهرة دون أن أحصل على أجرى وكنت أمضيت حوالى شهرين فى العمل.

وبعد عودتى اشتغلت بمصنع إدوار طويل وكان أصحابه يهود وهم أليبروليون وإدوار طويل ومدير اسمه جورج وكذلك مشمش رئيس قسم الأسطك وذلك كان فى عام ٤٢ وقمت بتشكيل لجنة من كل المصانع المجاورة لضرب وتأديب أى رئيس يحاول اضطهاد العمال وكان الدافع لهذا التفكير أن أغلب المصانع كانت تستعين بفتوات المنطقة ويتم تعيينهم لإرهاب العمال، فمثلاً كان مصنع سلوم فيه واحد اسمه حجاج يحمل الكرباج وكانت العمال تحمل له ألف حساب وكان معه خواجة أرملى اسمه أرتين كان يحمل بندقية وأحيانا طبنجة ذات الماسورة الطويلة، ومصنع جورج أسود كان فيه واحد اسمه على الأسود وشقيقه مهدى، ومصنع أنطون شوشة كان به واحد اسمه محمد جودة يحمل كرباجًا سودانيًا ومعه عدد من أقاربه وهذا الرجل مثل الوحش، مصانع الشيخ بمنطقة كان يحرسها مجموعة من العرب وأى عامل يطالب بحقه يستدعيهم صاحب العمل لتأنيبه ومنهم واحد اسمه سليم ضرب أحد العمال بعصى غليظة على ساقيه فتسبب فى حدوث كسور بالعظم.

المهم أن هذه المجموعه فرضت وجودها وبعد ذلك تطورت إلى عمل صناديق أسميناها صناديق الإضراب وتم عمل إضراب بمنصع شوشة تزعمه زميل اسمه شحات رزق الله وعبده شحاتة وذلك فى سنة ٤٢ ، وقام شكرى شوشة وأخوه رزق بإطلاق الرصاص على العمال وأصيب حوالى ٢٥ عاملاً قبض عليهم وعلى عدد آخر وتم ضربهم بالقسم وانتهى الموضوع دون أى إجراء فاتجه العمال للقضاء وكان أثناء إطلاق النار على العمال أحد أولاد خيرى بك أباظة يسير فى الشارع وأصيب برش فى ساقه وثار خيرى بك لإصابة ابنه ووعد العمال بتوليه القضية وفى النهاية تم الصلح بينه وبين شكرى شوشة وذهب دم العمال هدراً وتوعد شكرى شوشة شحات وعبده شحاتة بإطلاق الرصاص عليهم إذا وجد أيا منهم عند المصنع.

وفى عام ٤٢ تقدمت بطلب لشركة ابرتش إيرويز للطيران وطلب آخر لشركة مصر للطيران وذلك بعد أن قام المصنع بتوفير عدد من العمال وأنا منهم حيث كان القانون يسمح لرب العمل بتوفير نسبة ١٠٪ من عماله كل ستة أشهر، وأثناء عمل الامتحان بشركة البرتش إيرويز تقدم منى أحد الرؤساء وقال تعرف تروح كوبري القبة، قلت: أعرف قالى تروح هناك ووصف لى شارع ناسى اسمه وقال فيه هناك بيت نمرة خمسة تسأل على المهندس طه وتعطيه

مبلغ خمسة جنيهات ليوافق على تعيينك فقلت له إنى لا أملك هذا المبلغ الآن ولك على بعد ما أتعين يأخذ إن شاء الله أول قبض كله فقال يبقى إنت مش عايز تتعين وتم تأشيره على الورق غير صالح للعمل.

وبعد ذلك جاءني خطاب من شركة بمصر بالتوجه لمقر الشركة بمطار ألماظة لعمل الكشف الطبى وكان الدكتور اسمه حمدى سيف النصر ونجحت فى الكشف الطبى وسلمونى لأحد الرؤساء لعمل الامتحان العملي ولحسن الحظ وجدت المشرف على الامتحان صديق لى وعندما رآنى أخذنى بالحضن: إنت هاتعمل استحان براد، نادى على رئيس القسم حليم يوسف وبرأسه عبد العزيز عبد الجليل شقيق صديقى إسماعيل عبد الجليل وتم عمل الامتحان بمعرفتهم وتحت التوجيه وكان كبير المهندسين اسمه عوض الجندى، وكبير المهندسين الجويين المهندس سليم لوقا وكان رجل عظيماً، ومدير الشركة كان اسمه هتجر إنجليزى.

وقد حاولت تجميع بعض الناس حول النشاط الرياضي وكان أبرز أعضاء التجمع البطل كمال محجوب حامل أثقال وحائز على بطولة العالم فى وزنه وبطل المصارعة حمادة العباسى بطل القليوبية فى وزنه والبطل الملاكم عبد العال محمد على حائز علي بطولة سلاح الطيران وبطولة مصر فى الملاكمة وكنت ألعب ملاكما هاوياً فى هذا التاريخ، وأيضاً كانت تضم الملاكمة الهاوى عبد السلام.. وحمودة - إبراهيم وسيد ضاحى وعبد ربه يعقوب لاعب الكرة وعدد كبير من بعض العاملين بالشركة. ولما قويت الرابطة وبدأت تتسع وقاربت على الانتشار انتصر الباش مهندس عوض الجندى وبدأ فى تدبير مؤامرة لفصلنا جميعًا وأقسم أنه لن يترك أى رياضي يعمل بالشركة واتفق مع مساعد مهندس اسمه أحمد ونس على التشاجر معى وحدث وضربته داخل المطار وجاء واحد اسمه رجب وأخذنى إلى خارج المطار وقال إن عوض أفندى يرتب لفصلك.

ولما فشل فى تنفيذ مؤامرته . اتفق مع واحد مساعد مهندس معه بطولة مصر فى الملاكمة وكان اسمه صبحي حتاتة قامت معركة بيني وبينه اشترك فيها المرحوم عبد العال محمد على وانتهت المعركة برقف جميع الرياضيين أعضاء التجمع ولم يخطر شئون العمال بالوقوف واعتبرنا متغيبين عن العمل أكثر من أسبوع. وكنا نجهل القانون فى هذا الوقت الذى كان ينص على فصل العامل إذا تغيب عن العمل لمدة أسبوع بدون إنذار ولا مكافأة ونجح فى فصلنا جميعاً.

وبعد فصلي من شركة مصر توجهت إلى مصنع إدوار طويل ولم أجد عملاً، والتحقت بمصنع الصلصة بقسم التجارة وكنت أقوم بترميم لصناديق الخشبية وتصليحها لتعبئة الإنتاج وهذا المصنع اشتراه سلوم وأصبح اسمه مصانع سلوم وأصبح اسمه بعد التأميم مصنع تريكونة والذى تم هدمه الآن وإقامة عمارات سكنية على أرضه وبعد تركى مصنع الصلصة اشتغلت بمصنع سرفيان بقسم التدوير ، وكذلك مصنع كوميان ثم مصنع ألكان أوزمان ولكني لم استمر في العمل به لأنه كان فيه شخص يفرض إتاوة على كل من يعمل فى هذا المصنع وكذلك مصنع سفريان الأول اسمه محمد دريهم والثانى اسمه أحمد الصعيدى ورفضت دفع إتاوة وبدأ النزاع بيننا وفى النهاية فصلت من المصنع.

وبعد ذلك اشتغلت بمصنع جاك نصير بشارع الأجديلي بـالشرابية بقسم التدويرات حيث كان المصنع به مكن راشيل وكذلك مكن تريكو يدوى وحدثت مشاكل بسبب الأجور وتوجهت إلى مكتب عمل شبرا وقام معى مفتش مكتب العمل ووعدنى بأنه سوف يجبر صاحب العمل عن تنفيذ طلباتنا حتى لو أدى الأمر إلى ضربه وأجرت له تاكسيا ونزل من التاكسى ودخل المصنع بمفرده لأننا كنا متوقفين عن العمل فى انتظار ما سوف يحققه المفتش من حصولنا على حقوقنا، وبعد انتظار طويل خرج إلينا ليقول: أنا حاولت معه ولم أصل إلى حل ورفض جميع المطالب وتركنا أمام باب المصنع وذهب.

ملحوظة : هذا المفتش حضر بمصنع شركة الصناعات الحديثة (القرنفلى سابقًا) والشركة العربيه للنسيج الحديث لاحقاء وقد وجدته رقى إلى وكيل وزارة وجاء ليحاضرنا بالثقافة العمالية عن التنظيم النقابى فى مقر الاتحاد الاشتراكى والجماعة القيادية الذى كان موجوداً بالمصنع حاولت، أن أذكره بمشكلة مصنع جاك نصير فتظاهر بعدم معرفته بهذا المصنع، مع العلم أني شاهدت بعينى يوم إضراب عمال مصنع لوقا أن دخل مدير مكتب عمل شبرا المصنع وأثناء وجوده بالمصنع حدث أن فتحت شنطة سيارته وامتلأت بالقماش وكنت جالسا على قهوه بجوار المصنع ورأيت بعينى هذه الواقعة.

قام أصحاب مصنع إدوار طويل ببناء مصنع بشارع فيكتور ليفى بالزيتون فتوجهت إلي المصنع وتمكنت من العمل بالمصنع لمدة سنة وتم توفير عدد من العمال وكنت ضمن الذين تم الاستغناء عنهم، وفى سنة ٤٦ عدت للعمل بالمصنع مرة أخرى وقمت بإحياء صندوق الإضراب واخترنا المرحوم نصر عواد أمينا للصندوق وكان يضم كل من عبد الله حسن رئيسا ونصر

عواد أمينا للصندوق وعبد الرحمن هجرس وأحمد طويلة ومحمد عبد الخالق أعضاء وكنت متحفظاً من ناحية المرحوم محمد عامر حيث كان يعمل مفتش عام مصانع سلوم ماتكه فضلاً عن الدعاية المعادية من ناحية عبد العزيز الصباغ واتهامه له بالتجسس على العمال لصالح أصحاب المصنع ونظراً لأن عامر كان صارما فى إدارته لعمل فقد وجدت هذه الدعاية من يصدقها وكنت أنا منهم، رغم أنى اشتركت معه فى كل المظاهرات التى كان يقوم بها الوفديون ضد هذا الاستعمار لأنه كان رئيس لجنة شباب الوفد بالمطرية ولأنى كنت وفدياً بالتبعية لوالدي الذي كان وفديا متعصبا وكل أقاربى كانوا وفديين حتى الموجودين منهم بالوجه القبلي.

واشتركت معه فى مظاهرات الطلبة والعمال التي كانت فى عام ٤٦ والتي حاصرتنا فيها القوات البريطانية وأطلقوا علينا الرصاص والقنابل المسيلة الدموع وحاصروا ميدان الإسماعيلية «التحرير» بالعربات المسلحة. وكانت هذه المظاهرة بداية اللقاء وبعدها قام الزميل نصر عواد بلقاء لنا في بيته ودار بيننا حوار وكنت صريحاً معه عما سمعته عنه فقال الأيام بيننا وستثبت عملنا وبعدها دخلنا ودعانى إلى زيارته فى بيته فكان يسكن فى بيت ريفى به حوش واسع ووجدت عدداً من العمال ومعهم محاضر يحدثهم عن الطبقة العاملة والفلاحين وما يلاقونه من تعسف أصحاب والأرض وأصحاب المصانع فأعجبت به جداً.

وفي الجلسة الثانية كانت محاضرته عن تصور المجتمع وعرفت أن اسمه أنور فتح الله وأنه تروتسكى المذهب ورجعت بذاكرتي إلى ما كنت أسمعه من والدى عن المسكوف والجيش الأحمر وزاد شوقى للاستماع، ولكنى بعد ذلك وجدت أن توجه عامر قد تغير ودخلنا فى دور تكوين النقابة وكنا فى أواخر سنة ٤٧ ونجحنا فى تكوين النقابة برئاسة المرحوم محمد عامر وعضوية نصر عواد وعباس عبد العزيز وعبد الرحمن هجرس وكمال إبراهيم وعبد المنعم عيسوى، وباقى الأسماء لا أذكرها الأن، وقبل أن نقوم بتكوين هذه النقابة بحثنا عن النقابة التى كانت موجودة بشبرا وعلمنا من بعض الزملاء الذين يعرفهم عامر بأن النقابة السابقة استولى عليها بعض الأخوان المسلمين ووضعوها فى مكان فى بهتيم وحاولنا الوصول إلى مكانها ولم نفلح لدرجة أننا تقابلنا مع عناصر فى بيت فضيلة الشيخ طه البهنسى ولما لم نفلح فكرنا فى تكوين نقابة عامة تحت اسم نقابة النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها سجلناها بوزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم ٦٧ د وكان مقرها بدار النقابات بقنطرة الدكة وكان سكرتير الدار اسمه السكرى، وكان اشتراك العضوية خمسة قروش فى الشهر.

وبدأ نشاط النقابة بالاتصال بالعمال أمام أبواب المصنع وعقد الاجتماعات في المزارع والحقول والبيوت حتى أطلق بعض العمال اسم بيت الأمة على بيتنا من كثرة اللقاءات التي تتم فيه لأنه كان به حوش كبير يتسع لأكثر من ٢٠٠ فرد وكان عامر هو الحاضر الوحيد وهو أول من حدثنا عن أول مايو وأول من جمعنا للاحتفال به سنوياً حتى أن البوليس السياسي بدأ يحاربنا ويقبض علينا ويودعنا بالأقسام قبل أول مايو مما جعلنا نترك منازلنا قبل أول مايو بأسبوع ونحتفل به سرا بعيداً عن نظر البوليس. ولما يأس البوليس منا وضع علينا رقابة بوليسية تراقبنا منذ خروجنا من البيت في أي وقت حتى نعود أما عامر فوضعوا له عدداً من المخبرين يسيرون كظله ولما اكتشف أمرهم اتفق مع أحد أقاربه أن يأتي له بحمار يركبه بالخلف خلاف وعندما يسأله أحد من الناس يقول لهم أنا أراقب الحرس الخاص كي لا يهمل في عمله، وكان يرأس مخبري القلم السياسي إبراهيم الطوخي ومحمد نصر ومعهم الشناوي وعبد العزيز ومجموعه ثانية لا أذكرها الآن.

بدأ نشاط النقابة بعمل اعتصامات بمصانع سلرم التي كان محمد عامر مديرها ونجح في إقناع أصحاب المصنع بالموافقة على مطالب العمال وهي عبارة عن تنفيذ الأمر العسكري رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ وعلاج العمال على نفقة المصنع وزيادة الأجور وأحقية العمال في الإجازات السنوية والموسمية مثل رأس السنة الهجرية والميلادية والمولد النبوي الشريف والجلاء وكانت هذه المطالب هي الغالبة بالنسبة لجميع العمال فضلاً عن مطالب عمال النسيج التي تزيد على هذه المطالب بالنسبة لعمال الإنتاج مثل عطلات التقسيط والتصليح وعطلات الكهرباء وعطلات الغزل وكثير من المطالب الاقتصادية.

وكذلك اعتصام عمال مصنع نعمان أنطاكي بعزبة النخل وكذلك مصنع الفيوم للغزل الذي قام برئيس الخفر وكان اسمه قاسم قام بترتيب مؤامرة لضربنا داخل المصنع حتى الموت وإلقائنا في المصارف ولما علم العمال بتدبير المؤامرة أرسلوا لنا مرسالا، من العمال يحذر من الذهاب للمصنع ولحق بنا ونحن نستعد لركوب سيارات الشركة من تحت الكوبري وكان محمد عامر مصراً على الذهاب إلى الشركة لولا أن العمال أصروا على عدم ركوبنا حفاظا على حياتنا، أما مصنع أنطاكي فقد رفض صاحبه مديده بالسلام على محمد عامر رغم وجود مدير مكتب العمل الأستاذ عبد الحميد سليمان رحمه الله، وإذا بالزميل عامر ينهر صاحب المصنع ويقول له أنا لا يشرفني أن أضع يدي في يدك لأنها ملوثة بدماء العمال فعلق مدير مكتب العمل ليه كدا يا أستاذ عامر فرد عليه عامر وقال «لو نظرت لمبنى المصنع لوجدته مبنى

بدم وأنهم وضعوا دم العمال بوجدة لحام للطوب بدلا من المونة.

وتأزم الموقف وارتفعت هتافات العمال بحياة النقابة ورئيسها محمد عامر ورضخ صاحب المصنع لمطالب العمال وانتهت معركة الاعتصام بتحقيق مطالب العمال وانتشرت صناديق الإضراب ولما اشتدت محاربة البوليس السياسي بوليس قسم الزيتون أسميناها صناديق الادخار، وزاد ترابط العمال والتفافهم حول النقابة وشدد البوليس من ضرباته الموجهة لنا وتم اعتقال محمد عامر سنة ١٩٤٨ وعليه عقدت اجتماعاً مع العمال وحضره عدد كبير من العمال في بيتي واتفقنا على عمل صندوق خاص لمساعدة أولاد عامر حتى يتم الإفراج عنه وقررنا أن يكون الاشتراك ٢٥ خمسة وعشرين قرش صاغ كل قبض على أن يتم شراء كل ما يلزم البيت أسبوعيا من أرز وسكر وصابون ولحم ومبلغ للصرف منه وعلم البوليس بذلك وبدأ يهدد العمال ويحرض أصحاب المصانع والرؤساء ضد العمال المشتركين في الصندوق إلا أننا استمرينا في جمع الاشتراك من أكبر عدد ممكن من العمال، ولما وجدنا الحصار قد اشتد علينا وعلى العمال اجتمعنا وقررنا البحث عن وسيلة للإفراج عن محمد عامر. فقال الزميل نصر عواد أنه يعرف شيخ الطريقة الأحمدية وكان صديقًا شخصيًا لرئيس الوزراء النقراشي باشا وعليه توجهنا إلى الشيخ أحمد شمس الدين واتفق معنا على دفع ثمن مأدبة العشاء التى سيتم عملها لرئيس الوزراء وإذا فشل في مسعاه يرد المبلغ لنا وكان المبلغ المتفق عليه هو ٢٥٠ جنيهاً ولما فشل رد لنا المبلغ بالكامل وقال إن رئيس الوزراء قال له إن هذه سياسة عليا ولا يمكن أن يورط نفسه في مثل هذه الأمور.

وبعد ذلك استمرينا في جمع الاشتراكات وفوجئت برئيس قسم التدوير يشتبك بأحد العمال وهو محمد عبد الخالق فتوجهت إليه لفض المشاجرة وكنا بوردية مسائية فوجدته يترك محمد ويشتبك معي فاستجبت لاستفزازه وضربته علقة ساخنة وفي الصباح قبل انصرافنا من العمل حضر صاحب المصنع ومعه رئيس مباحث القسم وكان اسمه حنفي عبد الرحمن وقبض علي ومعي محمد عبد الخالق، عبد الكريم الهجرسي وأدركت أنها مؤامرة علينا بسبب صندوق الإعانات وظل التحقيق معي لمدة ثلاثة أيام وفي آخر يوم قال «أنا ها اكتبلك حرف ش في المحضر وأعتقلك وأوديك عند محمد بك عامر قلت له ياريت على الأقل أطمئن عليه لأني لم أره منذ أخذتموه فاستدعى جاويشا اسمه عوض وقال ياعوض اعمل محضر لعبد الله وهاتهولي هنا» ففتح المحضر واتهمني بضرب شحاته أفندى رئيس قسم التدوير وأني مشاغب وعلى

اتصال بالشيوعيين وعلي رأسهم محمد بك عامر المعتقل بسبب نشاطه الشيوعي وأنني مكون صندوق لمساعدة محمد عامر ومعي عدد من عمال المصنع وهم نصر عواد وجلد ومحمد عبد الخالق وعبد الكريم وأحمد طويلة وكلهم من العناصر المشاغبة وفي النهاية رفضت التوقيع على المحضر وكان هذا الضابط قوى وكان يضرب من يقع تحت يده لذلك اتفقت مع ابن عمتي وهو عالم أزهر رحمة الله عليه أن يحضر القسم وإذا شعر بأن الضابط اعتدى علي بالضرب يقوم بإبلاغ النيابة فورا لأنني لن أسمح له بضربي و سافقأ عينيه وحاول الشيخ أن يثنيني عما عزمت عليه ولم يفلح ولكن علمت بعد ذلك بأنه يستعمل الضرب مع اللصوص والسوابق.

فاتني أن أذكر أن النقابة وهي في قنطرة الدكة قامت بدعوة الجمعية العمومية لانتخاب مجلس جديد وحصلت على تكريم من أحمد نجيب مرتضى رئيس مكتب شئون العمال بالمحافظة وأثناء انعقاد الجمعية حضر أحد رجال القلم السياسي وكان محمد عامر يعرفه ويعرف والده وبيتهم كان في شارع الترعة فأخذ عامر ودار حديث بينهم وانفعل عامر عليه وقال له: مش عيب عليك تبقى ابن فلان باشا وتقبل أن تكون كلب من كلاب القلم السياسي فغضب وانصرف وفوجئنا بمأمور القسم فكان ضخم الجثة ومعه قوة في عربة بوكس وأمر بفض الجمعية وإلغاء انعقادها فحاولنا التفاهم معه ولكنه رفض فتقدم محمد عامر نحوه ليطلعه على التصريح فرفض وكاد يمزقه ولم يمكنه عامر من خطف التصريح وحدثت مشادة كادت أن تنتهي بالتشابك بالأيدي لولا تدخل بعض العمال وانتهى اليوم بدون أن نتمكن من إجراء الانتخابات وقمنا بعمل تلغرافات احتجاجًا علي تصرف المأمور وعليه قرر المجلس نقل النقابة من دار النقابات إلى مكان آخر وبالفعل انتقلت إلى العباسية خلف مستشفى الدمرداش. وبعد القبض علي عامر واعتقاله هرب عباس عبد العزيز وكان أمينا لصندوق النقابة فقرر المجلس تسليم الصندوق إلى الزميل نصر عواد وأثناء التسليم والتسلم حضر كمال إبراهيم وما إن رأي عباس حتى عاد مسرعا وبعدها دخل رجلان يرتديان ملابس العمال وسألوا عن عباس فقلنا إنه غير موجود يلزم أي خدمة فرد أحدهم وقال للآخر: لا تضيع وقت قم معنا يا عباس حضرة الضابط عاوزك وأخذه وغادر النقابة. فأرسلت خطابا للزميل عامر أبلغه بما حدث من كمال فرد على الخطاب عن طريق أم صلاح زوجته يقول فيه إن أغلب الزملاء الذين تم اعتقالهم كان بواسطة كمال وحذر زوجته منه.

بعد خروج عامر من المعتقل نقلنا النقابة إلى النعام في فيلا كبيرة وبدأ عامر في تجنيدي

يقال أنت مرشح لعضوية الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وقابلني بالمرحوم بدر (سيد رفاعي) في بيت أبو محمد عامر وبعدها انتظمت فى خلية مع الزملاء عيد سيد أحمد وجمعة حسن جمعة وكمال خليل وإبراهيم حسن وسيد.. لا أذكر بقية اسمه بعد فصلي من مصنع دوار طويل سنه ٤٨ اشتغلت بمصنع إسكندر على نولين كريب ولعدم وجود كريب الراجل فقد أغلق الرجل المصنع وبعد محاولات انتقلت بمنصنع أنطون شوشة بالزيتون، دخلت مصنع شوشة فوجدت إدارة المصنع وعلى رأسها وهبة أفندى يضرب العمال بالشلوط والقفا وجدت شكرى شوشة يدخل القسم ويفصل العمال بالعشرات وتونى ابن أخيه رزق يمسك العامل من رقبته ويقذفه من آخر القسم ويظل العامل يجرى مندفعًا حتى يخرج من باب القسم ولارحمة لأى فرد حتى لو كان تعدى الستين سنة، وذلك خلاف حرمان العامل من جميع حقوقه.

وفى خلال ثلاثه أشهر من تعيينى بالمصنع كنت مشكلا لجانا فى كل قسم من أقسام المصنع وهى عبارة عن اختيار عامل ينوب عن كل صف ثم مندوب من كل قسم يعمل اجتماعات مستمرة وبعد ذلك تقدمنا بالطلبات وهى عبارة عن غلاء المعيشة الصادر بالأمر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ عطلات والتصليح والكهربة والإجازات السنوية والموسمية والعلاج الطبى وتحسين أجور العمال شهرية وموسمية وعدة طلبات أخرى نسيتها الذاكرة. وهذه المطالب تقدمنا بها إلى مكتب عمل القاهرة وعرضت على السيد/ خليل حسن خليل مفتش أول مكتب العمل ولم يتخذ فيها قراراً واتجهت فى يوم خميس أسأل عن مصير الشكوى وما إن دخلت مكتب السيد وخليل حتى ثار وطردنى من مكتبه وقال امشى من وإلا جبت لك العسكرى يطردك برة، فقلت له إن شاء الله سوف أجعلك تشتغل يوم راحتك وعدت إلى المصنع وعملت اجتماعًا مع اللجان فى بيت ابن خالتى وكان موظفا بالسكة الحديد وأثناء الاجتماع أبدى المندوبون مخوفهم من عامل اسمه أحمد الصعيدى لأنه يتصدى لأى إضراب ويفشله فأخذت على عاتقى ضم الصعيدى وبعد الاجتماع تقابلت معه فى نفس المكان وأجريت معه حواراً وأقنعته بالوقوف مع زملائه لأننا سوف نعتصم بالمصنع غدا الجمعة ووافق وتعاهدنا على الوقوف معا صفًا واحدا فى مواجهة صاحب العمل، ومن حسن الحظ أن أحمد الصعيدى كان متزوجًا بنت البواب فراح له وقال له الصبح تربط عينيك بشاش أسود وتعمل إن عينيك مريضة وتستلم السراكى من العمال من سكات ملكش صالح ما تسألش أحد عن ورديته وقد كان وتم الاعتصام وكنت مربط مع مندوبين المصانع بالمنطقة وقام العمال بإرسال المواد

الغذائية للمضربين وحضـر الأستاذ خليل وحضر مأمور القسم ورئيس المباحث والنيابة ودارت المناقشة على النحو التالى :

صاحب العمل غير موافق على مطالب العمال. ورد المأمور على بأن قال لى «أنا لو عندى خدام كسرطبق بأمشيه . قلت له شغل الخادم أن يأكل ويشرب ويلبس ولكنه لا ينتج، قال بلاش الخادم مراتى لو اختلفنا بطلقها . قلت برده التشبيه خطأ لأن مراتك يوم ما تميزها تدفع لها المهر الكبير وتيجى بمفردها تلبسـها أفخر الملابس وتؤكها أفخر المأكولات والفسح والحفلات وسنة والتانية تولد ولد واتنين تبقى مسؤل عن كل ما يلزمـهم ويوم ما تطلقها زى ما بتقول بتاخذ نفقة متعة وإعاشة ونفقة لها وللأولاد لكن العامل يوم ما يفصل يفقد كل شئ حتى أجره ثم إن العامل ينتج وصاحب العمل يثرى من عائد الإنتاج ويحرم العامل من كل حقوقه وأبسطها الرعاية الصحية، فنظر إلى وقال إنت التفاهم معاك ما بينفعش، واستمر الإضراب من يوم أول مايو حتى ٥ مايو سنة ١٩٥٠ وتم الاتفاق مع وكيل النيابة ومدير مكتب العمل إبراهيم الغطريفى على عرض المطالب على لجنة التوفيق وتحرير محضر جنحة عسكرية لعدم تنفيذ الأمر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ الخاص بغلاء المعيشة مع العلم بأن الحد الأدنى للأجور فى ذلك الوقت كان ١٢,٥ قرش بما فيه غلاء المعيشة لمن بلغ سنه ١٨ سنة فتقل عن الحد الأدنى نصف قرش عن كل سنه تقل عن ١٨ سنة وبعد عرض المطالب على لجنة التوفيق تقرر عرضها على لجنة التحكيم واستمر نظر القضية أمام لجنة التحكيم وفى الجلسة التى سبقت حريق القاهرة.

وأثناء انعقاد الجلسة وجدت إبراهيم الطوخى ومحمد الشنشاوى مخبرى القلم السياسى وجدتهم موجودين بالقاعة فطلبت من رئيس لجنة التحكيم وهو برتبة مستشار وقلت له من مراقب نحن أم أنتم فقال لماذا هذا السؤال؟ فأشرت له وقلت له هذان الرجلان من القلم السياسى. فخبط على المنضدة بالقلم وأشار لهما بالخروج من القاعة وطردهما من الجلسة، فذهبا إلى المصنع وتقابلا مع العمال وقالا لهم إن المحكمة كادت أن تحكم لهم لولا أن عبد الله حسن لم يتنبه عن العمال واعترض على وجودنا بالقاعة مما أثار القاضى وأجل الجلسة.

ولما علمت بما حصل منهما وأن بعض العمال صدقوا ما قيل لهم فسارعت بعقد اجتماع بدار النقابة بالدفاع وشرحت لهم ما حدث بالتفصيل فاقتنعوا وقبل الجلسة بثلاثة أيام علمت بأن مباحث الزيتون أخذت عاملا اسمه كمال طويلة فتوجهت إلى القسم لمعرفة سبب القبض

عليه ووجدت عدداً من عمال المصنع موجود أمام القسم وكنت وقتها راكبًا دراجة وأثناء وجودى مع العمال تحت رئيس مباحث الزيتون حنفى عبد الرحمن وهو يطلب من أحد المخبرين القبض على وعمل محضر إدارى بحجزى وكان يوم خميس فوضعت بالحجز الخميس والجمعة والسبت حتى جاء حنفى عبد الرحمن حوالى الساعة السابعة مساء وطلب المحجوزين إدارى وتحرى ولما جاء دورى فى الدخول إلى مكتبه طلب منى المخبر الواقف على الباب أن أخلع حذائى فرفضت وعلا صوتى وإذا بالضابط يقول للمخبر فيه إيه يا حسن فقال له دا عبد الله حسن يا بيه فقال له سيبه يدخلى فدخلت وإذا به يقول لى فيه إيه يا سى عبد الله فقلت له له يعنى مش عارف فيه إيه مش إنت اللى أمرت عبد الرحمن المخبر بالقبض على وأمرت الصول أحمد دسوقى بعمل محضر إدارى وتم حجزى بالقسم وأنت تعلم أن القانون يعطينى حصانة نقابية وأنك بفعلك هذا خالفت القانون فاعتذر وأنكر أنه أمر بذلك يوم السبت وكانت الساعة الثامنة مساء.

وحضرت الجلسة صباح يوم الأحد بدار القضاء العالى، وعقدت الجلسة ونادى الحاجب عبد الله حسن البصيلى فقلت حاضر يا فندم. وإذا بشكرى شوشة صاحب المصنع ينظر إلى ويقول لمدير المصنع هوأده عبد اله يا وهبه، قال له أيوة يابيه وما أن نودى على اسمه حتى رفع يديه وقال يابيه أنا مستعد للصلح دول شياطين وعفاريت واتضح أن القبض على كان بتدبير ولعبة المقصود منها عدم حضورى الجلسة. فطلبت الكلمة من رئيس المحكمة وقلت له أنا أطلب من هيئة المحكمة الموقرة حمايتى من ألفاظ صاحب المصنع فوجه له القاضى كلمة لشكرى بعدم تجاوزه فى الكلام. فعاد وطلب من القاضى تأجيل الجلسه للصلح. فسألنى القاضى إذا كنت موافقا على الصلح فقلت لا مانع إذا قبل شكرى بك تنفيذ مطالب العمال وتم تأجيل الجلسة وانصرف الجميع وعدت إلى النقابة.

وكنا استأجرنا فيلا بشارع الترعة بالزيتون وفى اليوم التالى حضر رئيس القلم المخصوص فى سيارة سوداء فارهة وطلبنى فخرجت له وسلم على وسألنى عن محمد عامر فقلت له غير موجود فأعطانى كارت وقال لما يحضر محمد عامر قل له إنى جئت وتعالوا مع بعض لأنى عاوز أتفاهم معاكم. ولما حضر عامر أعطيته الكارت فحرقه وقال لن نذهب إلى أحد. وفهمت من الكارت أن صاحبه هو محمد حلمى رئيس القلم المخصوص، وبعدها جاءنى إبراهيم الطوخى من القلم السياسى وسألنى إنتم لبه ماتروحوش للباشا ، فقلت له إحنا مش

رايحين لأحد. بس داغلط عليكم وعليك إنت بالذات. فقلت ، ليكن ما يكون وبعدها بحوالى ثلاثة أيام فوجئت بمحاصرة المصنع بقوات هائلة من رجال البوليس ومعهم عدد كبير من الضباط العظام ومعهم مأمور القسم حسن خالد ورئيس الباحث حنفى عبد الرحمن ونائب المأمور حسين عبد الجواد ومنعوني من دخول المصنع وأحد الضباط لفت نظرى إلى كشف معلق على الباب فوجدت عدد ٩ عمال تقرر فصلهم وهم ١- عبد الله حسن -٢- محمد عبد الرحمن -٣- محمد شعيب - ٤- عبد المحسن راشد -٥- سعد القلعاوى -٦- صبحى أسعد - ٧- مراد شاكر -٨- أحمد الصعيدى -٩- منصور الجندى والكل انصرف ماعداى إذ احتاطنى عدد من الضباط ووضعونى فى سيارة مغلقة ولحق بى البطل المرحوم عامر وأمسك بالسيارة يحاول الركوب معى فمنعوه وكاد أن يشتبك معهم، وتحركت لسيارة إلى قسم بوليس الزيتون ووجدت رئيس القلم المخصوص والقلم السياسى وعدد من اللواءات وبدأت المساومة ودار لحوار على النحو التالى مع رئيس القلم المخصوص، قال لى: صاحب المصنع فصلك ومستعد لفتح الخزنة بدون تحديد رقم وتأخذ أنت مايكفيك وتتنازل عن القضية فرفضت قال بلاش دى مو بيعرض عليك محل ماتى فاتورة يملأه لك من جميع الأصناف دون أن يأخذ أى شئ كمقابل ، فقلت له أولا بالنسبة للعرض الأول فأنا مش للبيع وبالنسبة للعرض الثانى مرفوض ولن أخون زملائى بمال الدنيا كله ونحن فنا لحوار وإذا بالرفيق محمد عامر يهجم على المكتب كالأسد الجسور ولم يفلح الحرس من منعه من الدخول وقال ياعبد اله إذا قبلت أى عرض منهم سأجعل العمال ينصبون لك مشنقة على باب المصنع فقال له رئيس القلم المخصوص إنت بتحرضه يا محمد بك فقال نعم أنا أحرضه ومسئول مسئولية كاملة عن كل ما قلته فقال لى إنى رئيس القلم ياعبد الله يعنى دى مش أحسن من حاجة تانية، فقلت له الثانية أحسن وبعد ذلك توجهت إلى النقابة فوجدت مندوبى الصفوف مجتمعين وقرروا عمل اعتصام وبالفعل تم عمل اعتصام لمدة عشرة أيام احتجاجا على فصلنا.

ومن جانب النقابة عملت شكوى لإدارة النقابات حيث إن المفصولين منهم عدد خمسة من أعضاء مجلس إدارة النقابة وصرح لنا الأستاذ إبراهيم الغطريفى بأن فصلنا سوف يكون سببا لإضافة مادة لقانون النقابات تمنع فصل النقابى أثناء عرض النزاع على الجهات المسؤلة وكذلك عدم فصل العضو النقابى إلا بعد التحقيق معه بحضور مراقبين من نقابة أخرى يحضرون التحقيق ومن جانبنا عملنا شكوى لإدارة الصلح والتوفيق واستمر البحث فيها حتى جاء حريق القاهرة وتم اعتقالى مع محمد عامر وعباس عبد العزيز وآخرين- يوم حريق

القاهرة كنت مكلفًا من المرحوم إبراهيم عبد الحليم بتوصيل جريدة الملايين إلى المنصورة وأثناء وجودى بالمنصورة صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ لاحظت أن دور السينما تستخدم سيارات عليها أفيشات تدعو الناس لدخول السينما مجانا لمشاهدة ثلاثة أفلام ولاحظت كثرة السيارات المحملة بالدعاية بصورة لافتة للنظر ولكني لم أفطن لشئ غير عادي. وبعد احتسائى فنجانا من القهوة مع الزميل الذى كان لقائى به فى مستودع أخشاب استأذنت بالانصراف وتوجهت إلي مرقف السيارات ولم أجد غير سيارة متوجهة إلي الزقازيق ومنها إلى القاهرة فكان الوقت قرب من العصر. فركبتها و أثناء توقفها بموقف الزقازيق وجدت أناس نجرى خلف اثنين زملاء وتقول حرامى وتخيلت أن الزملاء هما الزميل ضياء بدر الصحفي وزميل يشبهنى تماما كان اسمه طه أحمد وإذا بالضابط والمخبرين يصعدون إلى السيارة ومد الضابط يده وأمسك بى على أنى أحد الذين يطاردونهم وسألنى : أنت كنت تجرى أمامى فقلت أنا راكب من المنصورة وشهد الكمسارى والركاب بذلك فسألنى إن كنت أحمل تحقيق شخصية فأبرزت له كارنيه النقابة فتركونى وغادروا السيارة. وانطلقت بنا السيارة وما إن وصلت شبرا حتى توقف السائق عن السير وطلب منا مغادرة السيارة وكانت الساعة حوالي السادسة مساء وعلمنا منه أن القاهرة تحترق وأدركت أبعاد المؤامرة ومشيت إلى أن وصلت إلى ميدان باب الحديد - رمسيس حاليًا - ورأيت الخراب والحرائق مشتعلة فى البيوت والمخازن ودور اللهو مشيت حتى وصلت عند المحكمة المختلطة واختنقت من شدة الدخان المتصاعد من الحرائق فنزلت إلى دورة المياة الموجودة تحت الأرض بجوار المحكمة حتى أفقت من حالة الاختناق وإذا تدخل أحد وقال حرام يجذبونه ويقذفون به فى النار وعساكر البوليس لاتحرك ساكنا ووجدت الشوارع عبارة عن بحيرة من الخمور السائلة، وكانت الساعة حوالى السابعة مساء وإذا بالجيش ينزل ويطلق الرصاص فى الهواء وقلت فى نفسى إذا أصبت أو أزهقت روحى سيشنعون بالشيوعيين ويلصقوا بنا التهمة واستمريت فى السير آخذ بعض السواتر حتى وصلت باب اللوق لعمل التمام حيث كان الزميل إبراهيم سينتظرنى للاطمئنان. لكننى وجدت باب الجريدة مغلقًا ولم أعثر على أى زميل وعدت سيرا على الأقدام حتى وصلت البيت حوالى الساعة الثانية صباحا وأثناء عودتى وجدت أعداداً كبيرة من الناس بمنطقة المطرية فرحين مهللين ويكبرون باسم الله فتوقفت معهم لشرح أبعاد المؤامرة ولكن أغلبهم لم يقتنع.

وأثناء ترتيبى لشنطة ملابسي دق الباب ودخل عدد من البوليس على رأسهم أحمد نجيب

مرتضى وقاموا بتفتيش الحجرة وأخذ مطبوعات مجلس السلام العالمى وبعض الملصقات التى لم يتم الانتهاء من لصقها، وتم حجزى بقسم المطرية ثم تجمعنا بقسم الزيتون قبل ترحيلنا إلى معتقل روض الفرج وكنا عدداً كبير أذكر منهم الآتى: ـ ١ـ محمد على عامر ـ٢ـ عبد الله حسن ـ٣ـ جودة سعيد الديب ـ٤ ـ محمد محمود ـ٥ ـ سعيد القلعاوى وكان أصغرنا سنا ـ٦ ـ جنيد ـ٧ ـ صبحى محمد على ـ ٨ ـ محمد يوسف المدرك وعدد كبير من الزملاء، وبعد ذلك نقلونا إلى معتقل الماظة الذى مكثنا فيه ثلاثة أيام بدون أى طعام وبعدها نقلونا إلى معتقل الهايكستب وكان يضم عدد كبير من الزملاء أذكر منهم محمد على عامر، مبارك عبده فضل، تركى مراد، أحمد طه، عبد المنعم الغزالى، فؤاد حداد، جمال غالى سعد عبد اللطيف، حسن عبد الرحمن، فؤاد حبشى، يوسف مصطفى، صبحى محمد علي، أنور برلس، صلاح دسوقى، عباس عبد العزيز، إبراهيم سلامة، سلام إبراهيم، حسين الغمرى، أحمد شرف الدين نور سليمان، سعيد القلعاوى، محمد محمود، أحمد الوزان من منظمة جاتى، محمد سيد أحمد وعدد من محسن فتحى رضوان من الحزب الوطنى القديم، عباس قاسم وعلى الزبير والشربينى من الوفد، الحاج محمد الفندور وعبد الخالق التكية، عباس الأسوانى وعدد آخر من حزب مصر الفتاة، المهندس محب. الباشا من زعماء فدائى القناة تحولوا إلى العمل الفدائى من رؤيتهم مقتل أم صابر على يد ضابط إنجليزى حسنى العرابى، محمد معوض الفيومى.

لما تجمعنا مع بعض قررنا الاضراب عن الطعام لإجبار الحكومة على صرف كفاله نقدية للمعتقلين وكونا لجنة للإشراف على عملية الإضراب بقيادة المرحوم الشيخ أحمد شرف الدين وتمسكنا بالاستمرار فى الاضراب حينما استجابت الحكومة لمطلبنا بعد مضى عشرة أيام من الإضراب ولكن المهندس محب عبد العاطى والباشا رفضوا إنهاء الإضراب ونقلوا إلى مستشفى القصر العينى وهم مصرون على الاستمرار فى الإضراب حتى يتم الإفراج عنهم ولا أعلم مصيرهم حتى الآن، وأحب أن أذكر أن الباشا كان مرصوداً له صرف مبلغ ٥٠٠ جنيه لمن يرشد عن مكانه أو يقبض عليه حيا أو ميتا ونشر ذلك بمجلة الاثنين وصور نشرت له بمجلة الاثنين وبعض الجرائد ولم يتمكنوا من القبض عليه إلا عن طريق ابن شقيقته وكان يعمل مخبراً بقسم الزيتون وذلك حسب قوله لى إنه طلب منه أن يصنفه عنده ليبعده عن عيون البوليس وعن عيون الإنجليز فقبل الرجل بحكم اطمئنانه لابن شقيقته وما إن توجه معه إلى القاهرة حتى استضافه وبات عنده فى أمان .

وفي اليوم الثاني خرج به وجلس على مقهى أمام قسم الزيتون، واستأذنه لشراء سجاير وإذا بالمخبرين يطبقون عايه من بابي المقهى الاثنين ويقبضون عليه أما المهندس محب فكان من الذين يتعاونون مع الجيش الإنجليزي باعتباره من مقاولي المعمار وذلك رغم قرار مقاطعة الجيش الإنجليزي إلا أنه تحول إلى العمل الفدائي هو وعماله بعد أن رأى مقتل الشهيدة أم صابر برصاص الضابط الإنجليزي وذلك حسب روايته لي وأذكر بعض المقاطعات بين المعتقلين ومنها مثلا رفاق تنظيم شمس الذي كان يبني مقاطعته لجميع التنظيمات الشيوعية واتهامهم بالتجسس والخيانة - وكذلك عناصر حزب مصر الفتاة كان يبني مقاطعته للشيوعين على جبناء وسحرة. أما الزملاء أبناء حدتو فقد كانوا دائماً يقومون بعمل مناظرات يتحدث فيها الزملاء أحمد طه، ومبارك عبده فضل وزكي مراد ومحمد عامر لدرجة أنه بعد أحد المناظرات جاء عبد الخالق التكية وعباس الأسواني وسألوا محمد عامر عن مؤهلاته فرد عليهم قائلا أنا أحمل شهادة ميلاد وأهم منها شهادة جامعة الأهوال وكلية الشدائد فقال عباس الأسواني والله لو أنا رئيس حكومة يا محمد ما أفرجت عنك من السجن أبداً. ويوم اغتيال الشهيد عبد القادر طه وقف شقيقه أحمد طه ضباط القلم الشامخ يرثي أخاه وكذلك يوم وفاة والدي فاستمديت الصبر والقوة من موقف أحمد الشجاع.

وفي يوم من أيام رمضان جاء ضابط خسيس من ضباط القلم السياسي وأمر ضابط المعتقل بالقبض على الأهالي الذين تجمعوا حول الأسلاك الشائكة فقام الضابط بتنفيذ الأمر وكان اسمه إبراهيم العنتري وعلى أثر ذلك بدأنا نهتف وخرج الضابط وتركوا المعتقل وأمر العساكر بمحاصرة المعتقل وصدرت تعليمات لي من لجنة الإغاثة بالوقوف أمام باب المعتقل ومنع أي عسكري من الدخول لحين يفرغ على الزير من الاتصال بجميع المسئولين وأثناء ذلك هاجمني عسكري بالسمكي وكان بجواري عباس قاسم والحاج محمد المندور أحد زعماء مصر الفتاة.

وإذا بالأستاذ عباس يخطف البندقية من العسكري ووجهها نحو العسكري ولكن العسكري أسرع بالجري وإذا بالضابط عبد السلام. يجري نحونا ويطلب من عباس عدم إطلاق الرصاص حفاظا على أرواح الجميع وطلب الدخول معنا في نقاش وبالفعل سمحنا له بالدخول وقام المرحوم زكي مراد بإدارة الحوار الذي اشتد فيه الرفاق المرحومان مبارك عبده فضل وعبد المنعم الغزالي، وأعجب الضابط بآراء الزملاء وقرر أن يتقدم باستقالته من البوليس وفتح

مكتب محاماة ووعد بأنه سوف يقوم بالدفاع عن أى شيوعى بدون مقابل وبعد ذلك حاول أن يمنع الضابط الفيتورى بدخول مكتبه ولكنه رفض وكانت هذه الواقعة فى شهر رمضان فقمنا بتقديم الإفطار للجنود وهذه كانت لفتة طيبة منا جعلتهم يتعاملون معنا بعد ذلك كأخوة لا كمعتقلين، وبعد ذلك حضر حكمدار القاهرة ومعه قوة كبيرة من الضباط ورجال الأمن ودخل عندي فى الحجرة التى أنام فيها وموجود بها المواد التموينية فقمت وأغلقت الباب بالترباس، قال لى بتعمل إيه يا ابنى قلت له «باقفل الباب علشان أعرف إنت مين» وفى هذه الأثناء تجمع الضباط حول الباب بقصد كسره ولكنه طلب منهم عدم استخدام القوة ودار حوار مع اللجنة انتهى بأن الزميل زكي مراد طلب مني فتح الباب ولما خرج سألهم عن سبب هذه الزوبعة ولما وقف على مافعله الضابط أمر بتوصيل الأهالى إلى منازلهم بسيارات الحكومة ولكنا طلبنا منه توصيلهم إلى أقرب مكان للمواصلات وقد نفذ طلبنا وقام بتوصيلهم إلى مصر الجديدة وأمر بنقل الضابط وأوقف بضابط آخر اسمه فتحى رزق من ضابط مباحث قسم المطريةوفور استلامه إدارة المعتقل قام بالتفتيش واصطدمنا به وقام المرحوم فؤاد حبشي بالتشاجر معه وقال له أنت جاسوس فاستعان الضابط بي ومحمد عامر وقال أنتم تشهدون بأني جاسوس أنتم أولاد بلدى وتعرفون عنى الكثير وانتهى الإشكال بأنه لم يأخذ أى ورقة من التى كانت فى حوزتنا وقامت ثورة يوليو ودارت مناقشات حادة بين جميع الزملاء سواء من حدتو أو غير حدتو.

ولما كنا نعلم بقرب عمل شئ من خلال القوات المسلحة حيث أبلغنا من الزملاء من خارج المعتقل بنية الضباط الأحرار بعمل اغتيالات ردا على ما قام به الملك باغتيال الشهيد عبد القادر طه وتمت مناقشة الموضوع وانتهى الرأى إلى عدم اللجوء للأغتيات ويفضل تغيير النظام إذاوجدت إمكانية التغيير وجاء الرد بأن الظروف مهيئة لعمل انقلاب فوافقنا، لذا عندما حدث الانقلاب وبعض المنظمات وعلي رأسها اتهمت الضباط بالفاشية كان رأينا أن الانقلاب ذو حدين فإذا حكمنا عليه بالفاشية ينحول فعلا إلى الفاشية ويكون سلاحًا نظيراً عند كل الوطنيين وإذا حاولنا أن يتحول إلى الديمقراطية يصبح الانقلاب فى صالح الشعب وعلينا أن نشمل تأيدنا بإرسال الديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته وإجراء انتخابات عامة لتشكيل حكومة وفدية.

وبعد خروجنا من المعتقل وبدء نشاطنا من جديد اجتمعت لجنة المنطقة وكان حاضرا معنا

الزميل المناضل المرحوم مبارك عبده فضل وكان الاجتماع على مقهى بالدراسة وتناقشنا حول الانقلاب والشعارات المرفوعة من الضباط عن العدالة والاشتراكية وأبديت رأيي في أننا لابد أن نستمر في النضال وعدم الاتكال على الضباط لأنهم لن يقوموا بدلا منا بتحقيق الاشتراكية وأن الركون إليهم فيه خطورة وقد أيدني في رأيي الزميل الراحل مبارك عبده فضل ونحن في هذا الاجتماع إذا بزميل يقول إن المكان انضرب ولابد من تغيير المكان فقمنا دون تحديد موعد للاجتماع القادم وبعدها فقدت الاتصال ولم أتقابل بعدها إلا بالزميل محمد علي عامر الذي كان على اتصال دائم بي حتى اشتد عليه المرض وقد ناقشني في موضوع حل الحزب وكان رأيي مؤيدا له في عدم حل الحزب وقلت: «الحزب يبقى ومن فقد طاقة النضال فليستقيل ويترك الباب مفتوحا أمام غيره من المناضلين» وكان يواصل معي بإحضار مجلة الشروق وكان دائم الاتصال بي.

شهادة

عدلي عزيز عياد

البيانات الشخصية

الاســــــــم : عدلى عزيز عياد الصيرفى

تــاريخ المــيــلاد : ثلاثة وعشرون من سبتمبر عام ١٩٢٨م

المــــؤهــــلات : (١) دبلوم معهد المعلمين الخاص «الابتدائى» أدبى تخصص لغة إنجليزية ١٩٦٨

(٢) ليسانس آداب قسم فلسفة سنة ١٩٨٠

فترة السجن والاعتقال : (١) خمسة اشهر فى قسم بندر المنيا - عقب إعلان الأحكام العرفية يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢. وأديت امتحانى بكلية التجارة إبراهيم باشا بسجن الأجانب بالقاهرة وعدت بعد الامتحان إلى قسم بندر المنيا.

(٢) ثلاث سنوات من عام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦ بسجن أسيوط ثم سجن المنيا حيث اديت امتحان الدبلوم لمعهد المعلمين الخاص وكانت النتيجة رسوبى لعدم أدائى امتحان التربية العملى. ثم أوردى ليمان أبو زعبل

(٣) خمس سنوات من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٤. فى قسم الموسكى ١٧ يوما، ثم فى معتقل القلعة ثم معتقل الفيوم واخيرا فى معتقل سجن المحاريق بالواحات الخارجة.

بيانات عائلية :

سيرة ذاتية وكفاح شعب كان يتميز بالسماحة والطيبة

تمتاز مدينة المنيا التى نشأت بها بأن شعبها لا يحس بالغربة اى غريب وغير متعصب دينيا لا يفرق بين مسيحى ومسلم وهذا لأن اغلبية شعب المنيا كان يدينون ومتحمس لمبادئ الوفد باستثناء اقلية صغيرة كانت تنتمى لجماعة الأخوان المسلمين. ولم يكن للحزب الاشتراكى، وأحمد حسين والسعدى وجود يذكر .

فى أواخر عام ١٩٤٩ توثقت أواصر صداقة قوية بينى وبين احد أقربائى ويدعى لويس اسحق وكان يقيم بمدينة منفلوط مع والده وامراة ابيه حيث إن والدته توفت وهى

فى سن صغيرة وعندما توفى والده نزح إلى المنيا بصحبة اخوته البنات «اليس إسحق» «ولورنس إسحق» ولأنه كان العائل الوحيد لهذه الأسره فقد ترك دراسته بعد الثقافة والتحق بعمل محصل فى بلدية المنيا. وكان لويس يحدثنى دائما عن حلم يود تحقيقه وهى المساواة العامة بين البشر لا يوجد غنى أو فقير، وعن مجتمع لا يوجد فيه عاطل اى باختصار يوتوبيا. كان اشتراكيا بالفطرة وكانت اشتراكية طوباوية اى خيالية لا تستند إلى اسس علمية حتى انه عندما سمع عن وجود حزب اشتراكى أسرع لطلب الانضمام إليه والكفاح فى صفوفه برسالة الأستاذ «زهير صبرى» رئيس الحزب الاشتراكى الملكى ولكنه لم تبلور اى رد على طلبه. وانضم لويس إلى حزب الوفد حيث إن مبادئ الوفد كانت أقرب إلى نفسه عن بقية الأحزاب وأصبح سكرتير لجنة الشبان الوفديين. فى هذا الوقت تعرف علي شخص يدعى يوسف عبد الملك قلينى شاب يملك خمسين فدانا مثقف شديد الذكاء حتى انه كان الأول على مدرسة المنيا الثانوية فى التوجيهية والثالث على القطر. وكون لويس مع يوسف ومعهم شخص ثالث يدعى ديمترى جرجس اول حلقة ثقافية درسوا فيها كتاب رأس المال ترجمة راشد البراوى والمادية الديالكتيكية.

واثناء هذه الفترة ظهرت مجلة الفجر الجديد التى كان براس تحريرها الأستاذ «احمد رشدى صالح» واعجب لويس بهذه المجلة واخذ يوزعها على أصدقائه ومعارفه وكانت هي الأداة التى أوصلته إلى تنظيم «طليعة الشعب للتحرر الوطنى» (طشتو). وعندما بدأ لويس فى الانغماس فى العمل الحزبى السرى انسحب يوسف عبد الملك وبقى لويس وديمترى وكنت انا دائما احضر المناقشات التى كانت تدور بينهم بحكم صداقتى للويس.. وعندما قبض علي لويس وديمترى وكانت معهم مجموعة كتب ماركسية حدث اول اتصال بينى وبين التنظيم عن طريق عائلة ديمترى وكلفت بالسفر للقاهرة ومقابلة السيد «سيد البكار» وكان يشغل سكرتير احد الوزراء. لأقدم له شكوى أن لويس وديمترى قد قبض عليهما لنشاطهما فى الوفد، وفعلا دون سعيد البكار اسمهما لعمل اللازم. وخرج لويس وديمترى من السجن بدون محاكمة.

وقد انسحب ديمترى جرجس بعد ذلك من التنظيم. وبدأ لويس فى تجنيدى عندما اخذ يحدثنى عن التفاوت الطبقى الكبير بين باشوات يملكون آلاف الأفدنة وفلاحون فقراء لا يملكون إلا قوت يومهم وكانت هذه الملاحظات لم تجد عندى الفهم والوعى

الكامل. ثم أصبحت عضوا فى التنظيم بعد فترة اختبار طويلة نسبيا ، وبدأت أعمل داخل حزب الوفد حسب قرار الزميل لويس، حيث إننى كنت عضوا فيه.

نشاطى السياسى داخل حزب الوفد

سيطر التنظيم الماركسى «طشتو» على قيادة لجنة الطلبة الوفدية وكان نشاطنا

(١) عمل محاضرات والتركيز على الديمقراطية والبعد الاجتماعى

(٢) عمل ندوات كان يشترك فيها أناس من خارج تنظيم الطلبة.

(٣) عمل مسرحيات وحفلات سمر تهاجم فيها أحزب الأقلية وأحزاب السراى المعركة ضد الإخوان المسلمين فى مدرسة المنيا الثانوية.

انفصل شاب كان يدعى السيد سعيد محمود كمال عن تنظيم الأخوان المسلمين وأخذ يهاجمهم بشده فاضحا أعمالهم القذرة. ثم انضم إلى صفوف الطلبة الوفديين وهناك أصبح رئيسا للجنة الطلبة وكان شخصا قياديا مجمعا، لكن الأخوان لم ينسوا هذا العمل وأخذوا يتربصون له إلى أن وجوده يخرج وحيدا من المدرسة حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وانقضوا عليه وأشبعوه ضربا ثم استل أحد الأشخاص قبضة حديدية ضربه بها فى وجهه فخرّ مغشيا عليه على الأرض والدماء تنزف منه بغزارة. ومر بعض الأشخاص ووجدوه ملقى على الأرض فاستدعوا الإسعاف التى حملته إلى المستشفى وجاءنى الخبر فى المساء عن ضرب السيد سعيد فأسرعت رجمعت الطلبة الوفديين وزعماء المدرسة وكانوا أيضا وفديين واتفقنا على الثأر لسيد وأن المعركة معهم ستبدأ الساعة العاشرة عقب نهاية الحصة الثالثة وفعلا مع نهاية الحصة الثالثة بدأ ضرب الأخوان وكان أول من تلقى اللكمة الأولى هو زعيمهم أحمد أبو شناف وكان من الأعراب ثم بدأت طلبة المدرسة جميعا فى ضرب الأخوان وكان عددهم حوالى ٢٥ طالبا وكانت المعركة تحت قيادة احمد أبو طاقية الذى كان حارس مرمى مدرسة المنيا الثانوية والنادى الرياضى معا. أسكتت هذه المعركة صوتهم لمدة ثلاث سنوات حتى تركنا المدرسة.

الفصل من حزب الوفد

كانت قيادة لجنة الوفد بالمنيا لإنسان ثائر شديد التعصب للوفد ومبادئه، وكان

يدعى «الخطيب ناجى» كان يخطب فى المظاهرات التى كانت تنادى بسقوط عبد الهادى كلب الوادى، فكان يقف خطيبًا ويقول «لا تقولوا عبد الهادى كلب الوادى»، فالكلب فيه صفات من النبل لا توجد فى أمثال عبد الهادى، بل قولوا يسقط عبد الهادى حمار الوادى، لا والله، بل خنزير الوادى» وفى احد الأيام لمح شخصنا يدخل مقر الوفد حاملا جريدة آخر ساعة فاستشاط غضبًا وقال «من الذى اتى بصحف الدعارة فى بيت الطهارة» وعندما تسلم فؤاد سراج الدين سكرتارية حزب الوفد بدلاً من مكرم عبيد تخلصوا من الخطيب ناجى بتعيينه قاضيًا شرعيًا وتولى قيادة حزب الوفد فى المنيا محامى رجعى من انصار فؤاد سراج الدين ويملك حوالى ٤٠ فدانًا، وحدث أن تقدم احد النواب بمشروع قانون فى مجلس النواب «التشبيه السياسى» مما يُخَوِّل للحكومة القبض على اى شخص بمجرد الاشتباه فى اى نشاط وسرعان ما اجتمعت المنطقة واخذت قرارًا بطبع منشور يعارض هذا المشروع ويوزع على أهالى مدينة المنيا. وكتب لويس إسحق المنشور وطبعنا منه حوالى ٥٠٠٠ خمسة آلاف نسخة وزعت على شعب مدينة المنيا وقوبل هذا المنشور بالاستحسان وبترحاب شديد خاص بين مثقفى البلد من محامين واطباء وموظفون حتى أن بعضهم كان يشاركنا فى توزيع المنشور وفى منحنا تبرعات نقدية فاقت ما قد صرف على طبع المنشور. وعندما علمت قيادة الوفد اجتمعت برئاسة الأستاذ «راتب حمزة» وقررت محاكمة لجنة الطلبة. ودافعت عن موقفنا وذكرت أن عمر وزارة الوفد قصير وستاتى بعدها احزاب الأقلية وستتخذ من هذا القانون وسيلة للتنكيل بنا ونكون بذلك قد قدمنا لهم المبرر والوسيلة لتنفيذ اغراضهم الرجعية، وقوبل هذا الدفاع بالاستحسان من اغلب الحاضرين إلا ان رئيس اللجنة اصر على فصلنا بحجة أننا أعطينا أعداء الوفد فرصة لمهاجمتنا. وعندما علم السيد الأستاذ يوسف «بك» الشريعى، وكان احد اقطاب حزب الوفد وكان شبه إقطاعى يملك حوالى ٥٠٠ فدان، دعانا إلى منزله فى سمالوط ومعنا قياده لجنة الوفد والقى كلمة موجزه هاجم فيها قرار السيد «راتب حمزة» بفصلنا وهو بهذا العمل قد خرج على مبادئ الوفد الا وهى حرية الراى والديمقراطية ولهذا يجب إلغاء هذا القرار فورًا وفعلاً الغي قرار الفصل وعدنا مرة اخرى، وفى المرة الثانية تقدم احد النواب الوفديين بمشروع قانون فى البرلمان يهدف إلى تقييد «حرية الصحافة وقانون العيب فى الذات الملكية» وعدنا الكرة مرة اخرى وطبعنا منشورًا يعارض هذا المشروع وقوبل بنفس

الحماس والاستحسان كما قوبل المنشور السابق. وفصلنا للمرة الثانية ولكن فصلنا لم يدم فترة طويلة بسبب زيارة السيد فؤاد باشا سراج الدين إلى مدينة المنيا. والغى قرار الفصل وابلغونا بأن نكون فى المحطة الساعة الثانية ظهراً لوصول السكرتير العام. وذهبنا إلى المحطة لاستقبال الزائر بعد اخذ قرار بعدم الهتاف لهذا الزائر ويكون الهتاف فقط للنحاس زعيم الوفد. وعندما أطل الباشا من نافذة القطار بوجهه المكتنز الأحمر وسيجارته الفاخرة الهافانا. كانت الهتافات كالآتى «لا زعيم إلا النحاس - عاش النحاس زعيم الأمة - عاشت مبادئ الفرق الخالدة وكانت هذه الهتافات تتجاوب مع كل الحاضرين ولما لم يجدوا احداً يهتف لفؤاد باشا هتف له مجموعة الضباط الذين كانوا حاضرين ولم يتجاوب معهم جمهور الحاضرين حتى انه غضب وقفل باب النافذة وانصرفنا بعد ان امر رئيس المباحث بأن تؤخذ اسماء هؤلاء الذين كانوا يهتفون.

النشاط فى جمعية الشبان المسيحية

انضممت انا والسيد سعيد إلى جمعية الشبان المسيحية وبدأنا ننشط فى عمل محاضرات ونقيم الندوات ولم نلبث إلا ان انتخب السيد سعيد رئيس قسم الطلبة وانا سكرتير القسم. وكانت جمعية الشبان المسيحية تنظم كل عام ندوة عامة فى القاهرة «المركز الرئيسى» تحت عنوان «المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تواجه الشباب» واختير ثلاثة لتمثيل جمعية الشبان بالمنيا فى القاهرة وهم عدلى عزيز، ومفيد خير، وفوزى ذكى وكلنا كنا اعضاء فى التنظيم الشيوعي السرى. وكان يحاضرنا فى هذه الندوة بعض الأساتذة اذكر منهم الدكتور الأستاذ سلامة موسى.

مظاهرات الطلبة فى مدينة المنيا

كانت مدرسة المنيا الثانوية هى الشرارة التى تنطلق منها مظاهرات الطلبة فى كل مدارس المدينة وفى مظاهرة خرجت من المنيا الثانوية كانت تهتف «بسقوط الاستعمار» «مصر والسودان لنا ولندن إن امكناه «عاش النحاس». وكانت هذه المظاهرة بقيادة الوفد وعندما وصلنا إلى آخر الشارع فوجئنا بعربتين نزل منها عساكر بوليس ومعهم عصا غليظة وطويلة وشرعوا فى ضربنا فتراجع بعض الطلبة ورجع إلى المدرسة ومن شدة حنقهم كسروا ادوات المعمل وكادوا يفتكون بناظر المدرسة لولا ان اقفل الباب على نفسه

بالمفتاح واستدعى البوليس بالتليفون لإنقاذه. والبعض الآخر هرب من شوارع جانبيه وهكذا فشلت هذه المظاهرة وكان نتيجتها ان اقفلت المدرسة لمدة اسبوع وفصلنا من المدرسة ولم يسمح لنا بالحضور إلا ومعنا اولياء امورنا حيث اخذوا عليهم تعهدا بعدم السماح للأولاد بالإخلال بالأمن. وقد استفدنا من المظاهرة الأولى وقررنا عقد اجتماع مع كل قيادات المدارس الأخرى واتفقنا على قيام مظاهرة يشترك فيها كل مدارس المدينة. وفعلا تمت هذه المظاهرة من كل مدارس المدينة (١) المنيا الثانوية (٢) مدرسة الزراعة (٣) مدرسة الأقباط الثانوية (٤) مدرسة التجارة الثانوية، وفعلاً نجحت هذه المظاهرة ولم يستطع البوليس ان يفعل شيئا لأننا قد وصلنا إلى قلب المدينة «شارع الحسينى» وكان جمهور الناس على الجانبين يصفقون لنا ويحيوننا وكنا اول مظاهرة فى الصعيد تهتف بسقوط الملك. وكانت الهتافات كالآتى «يسقط الفتى الطائش»، «يسقط عفيفى وحافظ عفيفى»، «إلى أنقره يابن المرة»، «يسقط الاستعمار الإنجليزى الأمريكى» - وكانت هذه المظاهرة بقيادة رفاق طليعة الشعب «طش» عدا مدرسة الزراعة التى كان يقودها الإخوان المسلمون وقد انسحبوا من المظاهرة عندما هتفنا بسقوط الملك.

لجنة أنصار السلام

كلفت من الرفيق لويس بتكوين لجنة لأنصار السلام. وفعلا قمت أنا والسيد سعيد بتكوين لجنة انصار السلام من بعض الوفديين وأناس عديدين ليس لهم ميول سياسية وكانت هذه اللجنة التى كانت تجتمع كل مرة فى منزل أحد اعضاء اللجنة، تحت قيادة السيد سعيد محمود كمال رئيسا وعدلى عزيز سكرتير وقد نجحت هذه اللجنة فى جمع حوالى خمسة آلاف توقيع (٥٠٠٠) على نداء ستكهولم للسلام لتدمير الأسلحة الذرية. وكانت توزع مجلة أنصار السلام التى كان يراس تحريرها «يوسف حلمى» وقد قبض على أعضاء هذه اللجنة جميعا على أنها لجنة شيوعية وعرضنا على وكيل النيابة الذى لم يجد اى دليل لإدانتنا فقد أمر بالإفراج عنا بعد دفع كفالة قدرها ٢ جنية لكل فرد .. وقد أذاعت محطة إذاعة موسكو الناطقة بالعربية نبأ القبض على لجنة انصار السلام بالمنيا وكان من بين المقبوض عليهم طفل صغير يدعى عادل عزيز.

إخماد فتنة طائفية

فى احد الأيام سرت إشاعة فى المدينة بأن فتاة من أسرة فقيرة قد زارها السيد المسيح وأجرى لها عملية نزع المصران الأعور. وانقسمت المدينة ما بين مؤيد «مسيحيون» ومعارض ومستنكر «مسلمون» واصبح منزل الفتاة مزارا ليتلقوا البركة. وهنا أسرعت أنا والرفيق لويس وأحضرنا طبيبين أحداهما مسيحى والآخر مسلم للكشف على هذه الفتاة وبعد الكشف أصدر الطبيبان بيانا بأن المصران الأعور موجود فى مكانه وهكذا وئدت هذه الفتنة قبل أن تشتعل.

الاعتقال الأول

كنت فى هذا الوقت فى الصف الأول من كلية التجارة جامعة إبراهيم باشا التى كانت تقع فى شارع القصر العينى مكانها الآن «المعهد التعاونى»، فى ذلك اليوم كنت مشتركا فى المظاهرة الكبرى التى كانت تحاصر مجلس النواب وهى تهتف بالغاء معاهدة الذل والهوان وتوزع السلاح على الشعب لطرد الاستعمار والاحتلال لبدء المقاومة المسلحة. وخرج أحد الوزراء وأبلغنا أن الوزارة قبلت إلغاء المعاهدة. وأثناء هذا التجمع الهائل فوجئنا حوالى الساعة الثانية ظهرا بأخبار تفيد أن القاهرة تحترق وأن جمهور من الغوغاء أخذ يهاجم المحلات وينهبها وأن وزارة الوفد قررت فرض الأحكام العرفية. وانفضت المظاهرة وسافرت إلى بلدتى ولكن قبل أن أصل إلى المنيا نزلت فى بنى مزار لمقابلة الرفيق لويس وإخباره بما حدث وفى الساعة الخامسة صباحا قبض على أنا ولويس ورحلنا إلى قسم المنيا. وكان هناك فؤاد غطاس.

ووجدنا فى قسم بندر المنيا بعض الزملاء والمناضلين منهم أنور إبراهيم ووالده الأستاذ ممدوح عبد الرحمن المدرس بمدرسة المنيا الثانوية ومن الوفديين محمود محمد محفوظ ومحمود عبد الباقى ومن الرفاق الشيوعيين محمد اسماعيل وجمال اسماعيل وبعض العاديين الذين لم يكن لهم ميول سياسية مثل سعد وكان اعتقالنا بغرفة سجن النساء فى القسم. وقد لعب هذا المعتقل دورا هاما فى حياتى بعد أن كنت أعتقد نظريا فى المبادئ الماركسية خرجت وأنا مؤمن تماما بهذه المبادئ لما رأيته فى هذا القسم طيلة الخمسة شهور التى مكثت بها، دخل علينا أحد الأشخاص المتهمين وطلب زجاجة كنا نضع فيها الكحول لعمل شاى فى سبرتاية، وأعطيناه إياها وخرج وبعد برهة قليلة سمعنا صوت يشبه صوت انفجار قنبلة فهرعنا للخارج لنرى ماذا حدث وهنا رأيت

منظرًا لم يفارق ذهني إنسان ملقى على الأرض ورأسه مفتوحة والدم ينزل بغزارة من رأسه واقتربت عليه وقلت له لماذا فعلت هذا بنفسك فأجاب بأن هناك ستة أولاد وأمهم لا يجدوا ما يسد رمقهم بسبب فصلي من شركة أندرسون وكنا نقوم في القسم بتوعية العساكر ونشرح لهم أهدافنا السياسية وهي رفع الظلم عن الفقراء والقضاء على الإقطاع ورأسه الملك، وكنا نقابل بتعاطف كبير منهم حتى أن أحدهم قال ، ما فائدة الكفاح في هذه المدينة؟ ،يجب أن تنزلوا إلى الريف.

نجحنا في تنظيم أعضاء للعساكر عقب إهانة أحد الصولات وكان يدعى محمد لأحد العساكر وسبه سبًا شنيعًا وقد اعتصموا جميعًا في الحجز بناء على توجيهاتنا وفعلا نجح هذا الاعتصام وحضر الصول نفسه واعتذر للعسكري. ونتيجة لنجاح هذا الاعتصام قويت الروابط الوثيقة بهم حتى أن كثيرين منه عرضوا علينا أداء خدمات لنا بلا مقابل وكان الرفيق لويس إسحق يقود العمل الحزبي مع الزملاء في الخارج من الذين لم يقبض عليهم.

(٢) كانت معاملتنا الإنسانية للخارجين على القانون الذى كان يسمح لهم بالعمل صباحًا إلا أنهم في تمام الساعة الخامسة يجب أن يكونوا بالقسم ويناموا فيه. أنهم نظموا فيما بينهم مظاهرة بعد أن شربوا خمرة في حانة وخرجوا يهتفون ضد حكومة العهد الحاضر ويحثون الناس على زيارة الفدائيين في الفيوم. ثم هجموا على محل شمس الصباح وكسروا جميع نوافذه الزجاجية وقد خرجت قوة من ٢٠٠ عسكري من القسم مزودة بالعصى والشوم انهالوا عليهم ضربا بقسوة ووحشية حتى أن معظمهم أتى على محفات لأنه لا يستطيع أن يمشي ولما سئلوا لماذا فعلتم هذا أجاب أحدهم أن هذا أقل ما يجب أن نفعله من أجلكم، وأثناء فترة اعتقالي ببندر المنيا استدعيت للسفر إلى القاهرة لأداء امتحان آخر العام بكلية التجارة ومكثت في سجن الأجانب حيث كان المكان نظيفًا والمعاملة جيدة والغذاء معد بعناية وكنا ننام على سراير.

الاعتقال الثاني من سنة ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦

بعد خروجي من المعتقل سنة ١٩٥٢ قررت أن أترك كلية التجارة والتحقت بمعهد المعلمين الخاص بأسيوط حيث قضيت السنة الأولى به وفي هذا المعهد نشطت فيه وناضلت نضالا ديمقراطيًا واجتماعيا وعملت مناظرات في المعهد ومهاجما الديكتاتورية

وذلك فى الصحيفة التى كنت اتشرف برئاسة تحريرها. وكنت أسكن مع أحد اقاربى يدعى جودت إبراهيم وصديق له يسمى منير ثابت وهما أعضاء فى منظمة الحزب الشيوعى المصرى وكان كل نشاطهم الحزبى ينحصر فى إلقاء مجلات الراية والحقيقة كمنشورات حول المعهد وفى المتنزهات. اما العمل الديمقراطى فلم يكونوا يشتركون فيه لأنه يكشفهم ونجحت فى الصف الأول وانتقلت إلى المنيا لأدرس الصف الثانى «الدبلوم» فى نفس المعهد وبعد حوالى شهر من بدء الدراسة وانا اثناء ذهابى إلى المعهد فوجئت بأحد المخبرين يمسك يدى ويقول لى تعالى إلى القسم لمقابلة الضابط لأنه يريد ان يتحدث إليك ولما سألته بأن اذهب إلى البيت لإحضار ملابسى ونعود قال لا داعى لهذا لأنك سوف لا تمكث اكثر من خمس دقائق وذهبت إلى القسم وانا فى جيبى حوالى ٢٠ قرشاً ومكثت هناك مقبوض على حتى المساء ثم سافرت إلى القاهرة حيث اودعت قسم الموسكى حيث عرضت على وكيل النيابة للتحقيق معى وكان هذا فى مبنى المباحث العامة وقد سألنى إن كنت أعرف شخصا يدعى منير ثابت واجبته بالإيجاب وقلت له إننى كنت ساكن معه فى أسيوط فى شقة واحدة ولكننى تركت أسيوط بعد الامتحان مباشرة وذهبت إلى المنيا وهناك انقطعت أخباره عنى وقد أمر بالإفراج عنى. ولكن كان هناك قرار الاعتقال جاهزا. فكنت فى قسم الموسكى سبعة عشر يوما. قضيت الثلاثة أيام الأولى مهملاً لا اجد ما يؤكل ولولا مساعدة محام كان معتقلاً معى وكان يشاطرنى الأكل الذى كانوا يحضرونه له. ولأنه تعامل مع الشيوعيين فى السجون واحبهم لحسن معاملتهم فكان يرد الجميل لى. وقررت ان اضرب عن الطعام وهنا استدعانى مأمور القسم فى المساء ولما شرحت له حالى وقلت له انا لا أملك نقود وأهلى لا يعرفون عنى شيئا لأنهم خطفونى من الشارع. ولما علم أنى طالب فى معهد المعلمين تغيرت لهجته وأبدى استياء شديدا لما حصل لى وأمر بإحضار طعام خاص «جبنة من جيبه لى من المطعم المجاور للقسم ثم أمر بإعطائى عدد ٢ بطانية. وأعطيته عنوان والدى وفعلا فى اليوم التالى وصل والدى واعطانى ملابسى. ثم رحلت إلى معتقل القلعة وهناك استقبلنى الضابط فوزى دكى الذى كان فى يوم ما زميلى واعطانى علبه سجاير كاملة كانت معه. ثم رحلت إلى سجن أسيوط حيث سكنت فى زنزانة بها عبد الستار الطويلة وموريس يوسف الفنان الرسام. وكان إبراهيم بكر هو الوحيد الذى اعتقل معى من المنيا.

ثم رحلت إلى سجن المنيا حيث اديت امتحان آخر السنة فى المعهد ولكننى رسبت بسبب عدم إتمام الامتحان والسماح لى بأداء التربية العملية ثم رحلنا إلى اوردى ليمان ابو زعبل حيث ضربنا ونزعوا ملابسنا واعطونا ملابس السجن وكان المعتقل ينقسم إلى (٣) ثلاثة عنابر عنبر (١) كان يسكنه أعضاء تنظيم الحركة الديمقراطية مع من يتعاطفون معهم. اما عنبر (٢) فكان يسكنه اعضاء تنظيم «الحزب الشيوعى المصرى» اما عنبر (٣) فكان يسكنه اعضاء تنظيم طليعة العمال مع من كانوا يتعاطفون معهم من اعضاء نواة الحزب والنجم الأحمر» وكان هذا العنبر يضم اكبر عدد من العمال المنظمين وقليل من المثقفين، وفى هذا المعتقل وقع حادث طريف كان هناك اديب شعبى يدعى عبد الرحمن الخميس فى بداية وصوله للمعتقل سكن فى عنبر (١) مع اعضاء الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ثم بعد فترة انتقل إلى عنبر (٢) حيث يوجد اعضاء تنظيم «الحزب الشيوعى المصرى» بقيادة الرفيق سعد زهران وخرجت مجلتهم تمدح الأديب عبد الرحمن الخميس وتصفه بانه مكسيم جوركى الشرق ومكث حوالى شهر ثم حمل بطاطينه وبرشه وسكن فى عنبر ٣ حيث يوجد أعضاء تنظيم «د.ش» الديموقراطيين الشعبيين وفى الحال خرجت صحيفة «منظمة الحزب الشيوعى المصرى» بمانشيت «الخميس يخون قضية الشعب المصرى». وحيث إنى كنت انام جواره فاخذت احدثه حتى أعرف لماذا ترك عنبر ٢ فقص على القصة التالية. جاءت زيارة للرفيق سعد زهران من والدته فلما خرج عاد من الزيارة وهو يبكى فلما سألوه ماذا حدث اجاب «إن ام المصريين التى هى امه تركوها تحت حرارة الشمس مدة ساعتين» وضرب كفا بكف حيث صور امه مثل صفية سعد زغلول ثم استطرد ماذا فعلت والدة سعد حتى تستحق هذا اللقب، ثم التفت إلىّ وقال إنهم وحوش إنهم يريدون أن يربوا للطبيعة الخبرة أظافر» ثم أفرج عنا فى عام ١٩٥٦. ورحلت إلى مدينة المنيا وكانت حالتى النفسية والمزاجية فى أحسن حال بسبب أن مسئول التنظيم لم يقبض عليه وكذا معظم الرفاق فلم يعتقل من مدينه المنيا سواى والزميل إبراهيم بكر فقط ولما تقابلت مع الزميل لويس فوجئت بل وصدمت بعد أن علمت أن التنظيم الذى كان مزدهرا يوجد به أربعه مجموعات غير تلك التى توجد فى مراكز مديرية المنيا قد انكمش إلى الحد الذى لم يبق فيه غير لويس إسحق - نبيل عزيز - أنور إبراهيم - نجيب حنا - وطلبت فى اجتماع المنطقة دراسة هذه الظاهرة غير الطيبة وبعد دراسة استمرت اكثر من

اجتماعين قررت المنظمة دعوة الرفيق لويس إلى الاعتراف وخاصة بعد أن علمنا أنه تقرر نقله إلى الواحات الخارجة. وحيث إنه كان يتقاضى ١٢ جنيه من الحكومة قررنا أن ندفع له هذا المبلغ من اشتراكاتنا وتبرعات الآخرين، وطلب الرفيق لويس مهلة لعرض الموضوع على رفاق المنظمة القاهرة ولم أكد أعلم حينئذ أن الرفيق لويس عضو اللجنة المركزية للتنظيم. ولكن المده التى طالت الرفيق لويس طه لنا أكثر من أربعة شهور وهنا داخلنى إحساس بأنه ربما يكون قد فرض عليه هذا الأمر وهو غير مستعد له نضاليا وأحسست أن هذا ممكن أن يدمر الرفيق. وبعد أن طالت المده توجهت إلى منزل لويس أنا وأخى وكانت حوالى الساعة الثامنة مساء وقلت ماذا تم فى الأمر؟ فقال لم يبت فى الأمر بعد. وعندئذ اندفعت قائلاً بأنى أسحب هذا الاقتراح وهنا احمر وجه الرفيق لويس وقال هل ناقشت هذا الموضوع مع احد فقلت انا ناقشته مع اخى نبيل فأوقف المناقشة وانهي الكلام وانتهت الزيارة وبعد يومين بعد أن سافر لويس إلى القاهرة رجع ومعه قرار فصلى وكان سبب فصلى هو سعيي إلى عمل تكتل بين من ومن، فإن المنظمة كانت مكونه من لويس و٣ أقارب والأخير غير قريب وهو نجيب وسبب لى هذا الفصل صدمة كبيرة لى لأنه جاء فى أحرج وقت فى حياتى حيث إن المنزل رفض أن يستمر فى الصرف على تعليمى وكذا فصلى من المعهد بسبب الغياب بدون عذر وكان المفروض أن يتفهم مصاعبى ولكنه رمانى إلى عرض الطريق وكان فصلى فى أصعب ظروف حياتى. ولكنى لم أيأس وسافرت إلى القاهرة. وهناك تطوع الأستاذ معين مينا المحامى الذى كان يعمل في مكتب الأستاذ يوسف درويش. ورفع قضية مستعجلة فى مجلس الدولة لإلغاء قرار الفصل وحيث إن قرار المباحث العامة كان يقول أن تحيط بالشخص المذكور شكوك فى انضمامه إلى أحد المنظمات الشيوعية لكن قرار المستشار هو السماح لى بالالتحاق بالمعهد لأنه لا يحق فصل طالب وحرمانه من التعليم بسبب شكوك. والتحقت بالمعهد وكانت آخر سنة لهذا المعهد لأنه أغلق أبوابه بعد ذلك ونجحت فى الدبلوم بتقدير جيد جداً فى مادة التخصص لغة إنجليزية ورشحت للعمل فى منطقة الدقهلية وحيث إن درجاتى كانت ممتازه فقد رشحنى الموجه للعمل بمدرسة أجا الاعدادية على أن ينقلنى العام القادم إلى المنصورة. ولم أستلم العمل لأن قرار المباحث العامة اعترض على تعيينى مدرساً. وسافرت إلى بنى سويف حيث التحقت بالعمل فى مدرسة شبل الخاصة وكان معى أنور إبراهيم . فى هذا الوقت كان هناك اتجاه قوى في

وحدة كل التنظيمات الشيوعية وكان كل تنظيم يحاول أن يزيد من أعضائه وأعتقد أن هذا السبب فى أن الرفيق لويس عرض علىّ أن أنضم إلى التنظيم الذى كان يطلق عليه طليعة العمال وقبلت الانضمام إلى التنظيم وفى ذهنى إعادة موضوع فصلى مرة أخرى لرد اعتبارى ولكن الظروف كانت تتسارع بسرعة شديدة.

الاعتقال الثالث وحل الحزب الشيوعى المصرى «حزب ٨ يناير»

بعد ضربة أول يناير وإلقاء القبض على قيادة الحزب لاحظت أنى تحت مراقبة دقيقة من قبل مباحث بنى سويف فقررت أنا وزميلى فى السكن وكان يدعى محمد على فهمى فخرى الذى كان عضوا فى منظمة النواة. أن نهرب إلى القاهرة ولأنى كنت بعيدا عن التنظيم فترة من الوقت فلم أكد أعرف أحدا فى القاهرة ولكن فخرى ذكر لى أنه يعرف شخصا أمينا يدعى صابر يسكن فى الهرم فمكثنا عند السيد صابر لمدة أسبوع وفى ليلة فى عام ١٩٥٩ قبض على من فى المنزل وكان معنا صابر. ثم رحلنا إلى قسم الجيزه حيث حجزنا هناك. قبل الترحيل إلى سجن القلعة. ولكن صابر لم يكن فى مستوى الشبهات حيث إنه خرج فى نفس اللحظة التى حجزنا فيها ثم من معتقل الفيوم إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة حيث ضربنا وعذبنا ونزعوا ملابسنا المدنية وأعطونا ملابس السجون ثم مشينا حفاة على الشوك وتحتنا العقارب والدفانات «أم أربعة وأربعين» تحت قيادة اللواء همت. وبدلاً من شيل الرمل من مكان إلى مكان اقترح الرفاق المسئولون من السجين أن يعملوا مزرعة وفعلا حفرنا قناة بين العين ومكان المزرعة ثم تولى الرفاق زراعتها بأنواع كثيرة من الخضروات مثل البامية والقثة والجرجير وزرعنا أشجار ليمون وبرتقال ثم أفرج عنا يوم ٤/ ٤/ ١٩٦٤ وكان آخر من ودعنى هو لويس إسحق الذى قال لى بالحرف الواحد حيث إننا كنا مختلفين سياسيا حول الطبيعة الطبقية لحكم عبد الناصر بينما لويس كان يقول إن عبد الناصر يمثل الاحتكار وشبه الاحتكار، أما أنا فقد تخليت عن هذا الفكر وبدأت أعتقد أن عبد الناصر يمثل البورجوازية الوطنية. «إن الاختلاف فى الرأى لا يمثل مشكلة فأنت تقول حتى مجموعة اشتراكية وأنا أقول غير ذلك هذا جائز، ولكن لابد أن يكون هذا الاختلاف داخل الحزب» وهنا نظرت إلى لويس بدهشة وقلت لو أنك بعد هذه السنين والمعارك جئت لتحدثنى عن أهمية وجود الحزب فقال إذن اتفقنا وودعنى، وبعد رحيلى

بنصف ساعة ونحن على مشارف الواحات كان الرفيق لويس يتلقى الرصاصة القاتلة التى أودت بحياته فى الحال فى سجن المحاريق. وكان يوم استشهاده عبد الناصر يوقع امر الإفراج عن المسجونين السياسيين «الشيوعيين».

نشاطى الصحفى

(١) أثناء دراستى فى مدرسة المنيا الثانوية قمت بعمل مجلات حائط كانت تتغير كل اسبوعين كنا نضع بها اشعار المذاكرة والكفاح ضد الاستعمار ثم اشرفت على إصدار جريدة كانت تسمى الشعلة وكان الغلاف مرسوم عليه شخص يحمل شعلة لينير الظلام حوله. وكان يشرف على هذه المجلة مدرس تقدمى يدعى فتحى الشبيطى مدرس فلسفة وكان احيانا يزورنا فى مقر الوفد.

هذا علاوة على النشرات والبيانات التى كنا نصدرها ونحن فى حزب الوفد.

(٢) وعند انتقالى إلى معهد المعلمين الخاص بأسيوط فى الصف الأول بعد أن تركت كلية التجارة «إبراهيم باشا» أشرفت على إصدار مجلة يكون هدفها محاربة النظام الديكتاتورى الحاكم. كان يساعدنى فيها رفيق من منظمة الحركة الديمقراطية. أما رفاق منظمة الحزب الشيوعى المصرى فقد رفضوا مشاركتنا فى إصدار المجلة بحجة عدم الكشف عن هويتهم. وسميا المجلة «الهواية». وقوبلت بالاستحسان من الطلبة والمدرسين على السواء عدا مدرس اللغة العربية الذى هاجمها فى خطبة الصباح على أنها «ليست الهداية بل الشيطان». وقد طلبت المباحث العامة من مدير المعهد إغلاق هذه المجلة ولكن مدير المعهد وكان يسمى السيد أحمد مصطفى رفض طلب المباحث لأن هذا المعهد منبر ديمقراطى ولا يجوز الحجر على آراء طلبتى وظلت هذه الجريدة تصدر حتى نهاية العام الدراسى وكان يمولها تبرعات الطلبة واساتذة المعهد. وفى معهد المعلمين بالزيتون كتبت مقالة فى مجلة المعلمين أهاجم فيها الدروس الخصوصية مما أثار علىَّ حنق بعض المدرسين والطلبة.

نشاطى الحزبى

كنت أقوم بتوزيع مجلة التنظيم «كفاح الشعب والمقاومة الشعبية» على الزملاء وعندما كانت نشرات التنظيم السرية تتأخر كنا أنا والرفيق لويس واحد الزملاء نصدر نشرة

مجلة ونطبعها على رونيو بدائى وكنا نقوم أنا والرفيق لويس بلصق منشورات المنظمة على جدران المصالح الحكومية وأعمده النور. هذا علاوة على اشتراكى وقيادة المظاهرات الطلابية. ورفع شعارات التنظيم فى هذه المظاهرات.

نشاطى الرياضى

فى آخر العام الدراسى فى المنيا الثانوية كنت المسئول عن فريق تنس الطاولة الذى كنت اقوده. وكان هناك نظام دورى بين المحافظات وقد انتصرنا على محافظات الصعيد ثم على محافظة بنى سويف ثم الجيزة ولكن هزمنا فى محافظة القاهرة وكنا الثانى وقد حصلت على كثير من الميداليات. وعند التحاقى بكلية التجارة «إبراهيم باشا» التحقت بفريق تنس الطاولة بالكلية وكان مسئول الرياضة وكان قد ابدى إعجابه بى رشحنى لألعب مع الفريق المصرى فى دورة البحر الأبيض المتوسط فى اليونان - وكان تخلفى بسبب اعتقالى فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢.

خاتمة وتكملة واجبة

إن هذا العمل المجيد الذى كنا نقوم به سواء فى المنيا أو القاهرة لم يكن من صنع فرد مهما كانت قدراته ومهاراته ولكن كان من صنع كتيبة مناضلة مؤمنة بالفكر الاشتراكى العلمى ومستعده للتضحية بكل نفيس وغالٍ سواء فى مجال العمل الوطنى فى الاشتراك وتنظيم المظاهرات الطلابية والشعبية التى كانت تنادى بطرد الاحتلال الإنجليزى وضد الاستعمار الأمريكى أو فى المجال الاجتماعى ونطالب بتاميم الشركات الكبيرة وخاصة «قناة السويس» والكومبرادور وكانت تقوم بتوزيع منشورات المنظمة ومطبوعاتها السرية. وجمع التبرعات التى تخدم تحركنا الجماهيرى وكانت هذه الأعمال الجليلة تتم تحت قياده المناضل الشهيد لويس إسحق الذى كان يعرف بالاسم الحركى «سعد» وفيما يلى أسماء الرفاق من تنظيم طليعة العمال.

١) أنور إبراهيم ٢) نبيل عزيز ٣) عدلى عزيز
٤) السيد سعيد محمود كمال ٤) جمال محمد اسماعيل
٦) محمد إسماعيل الشهير «بابو شنب» ٧) ريمون الضعيف واخوه الصغير
٨) إبراهيم بكر الطوخى ٩) تيسير محمد الفكهانى

١٠) نجيب حنا «كونتر» ١١) مفيد خير فرج

١٢) فوزى خليل. «وانسحب من التنظيم بعد دخوله كلية البوليس»

١٣) نبيل دانيا ١٤) على «الكوافير»

١٥) الدكتور يوسف ابو عوف ومن الشبيبة الصغار ١) محمد حسين كان يوزع النشرات ويلقى خطب الصباح فى المدرسة الابتدائية مهاجما الاستعمار والخونه. ٢) عادل عزيز

اما المناضلون الذين شاركوا رفاق التنظيم فى نضالهم سواء فى حزب الوفد او فى انصار السلام فهم ،

١) محمود محمد محفوظ ٢) محمود عبد الباقى خليفة

٣) انور الإسكندرانى ٤) يوسف عبد الملك قيننى

٥) سميرة بسطة ٦) سمير عزيز

٧) وليم رياض ٨) وجيه ظريف

٩) صبحى كامل ١٠) احمد ابو طاقية

١١) سعد الشيمى ١٢) الأستاذ رفيق عبده المحامى

١٣) صفوت عبد النعيم ١٤) رجائى عبد الملك

ومن الشخصيات القيادية فى حزب الوفد اذكر النائب الأستاذ يوسف بك الشريعى الذى طالب بإلغاء فصلنا من حزب الوفد، وعضو الهيئة الوفدية العليا الشيخ ابو شريف «ترزى عربى».

شهادة

علي نجيب

البيانات الشخصية

الاســـــم : على نجيب.

محل وتاريخ الميلاد : عام ١٩٢٨ - الإسكندرية.

المهـنــة : تخرجت من معهد الكيمياء الصناعية الذى تحول إلى قسم الكيمياء بكلية الهندسة عام ١٩٥٠، ثم تم تعييني معيداً بكلية الهندسة، وعام ١٩٥٤ تم فصلى، ودخلت المعتقل عام ١٩٥٥ وخرجت ١٩٥٦، ثم عملت بشركة تصدير اقطان لمدة ثلاثة شهور، إلا أننى استفدت منها كثيراً، وانتقلت للقاهرة وعملت فى شركة مصر للتجارة الخارجية رئيس قسم الكيمياء حتى يناير ١٩٥٩، عندما بدأت الاعتقالات هربت حوالى ٦ شهور ثم تم القبض على.

بيانات عائلية :

نشأت فى بيت مستقر جداً، وكانت العلاقة بين ابى وامى حميمة فيها سلام لم اسمع ابداً شجارا فى البيت، منذ صغرى كان عندنا مكتبة من اول دائرة المعارف البريطانية حتى كتب الرافعى، وأنا كنت فى القراءة فى مرحلة الثانوية ربما قبل ذلك. بحيث إننى عندما التحقت بالصف الرابع وكانوا يدرسون لنا تاريخ مصر - كتاب محمد رفعت - على ما اظن كنت قد قرأت رف كتب الرافعى وفى هذا الوقت الإحساس بالقضية الوطنية فى مصر يحتدم اكثر واكثر، مع أننى فى وقت الحرب لم اكن مع النازى، وقت الحرب كانت عواطفى مع الحلفاء وليس مع الألمان وهناك شئ فى النازية كنت اشعر به رغم اننى كنت لازلت صغيراً اتميز بالحدة فى الفكر والشوفينية التى كانت فى ألمانيا تخيف الناس او تخيفنى ولا أستطيع ان اقول إنى وقتها كنت احلله بهذه الطريقة، إنما رغم إن الإنجليز كانوا فى مصر إلا انى كنت اريد أن يكسب الحلفاء ولم تكن عواطفى ابداً مع المظاهرات التى قامت مثلاً سنة ١٩٤٢ إلى الأمام يا روميل.

كانت المناقشات السياسية داخل البيت قليلة جداً إنما القراءة كانت كثيرة، وفى هذا الوقت فى أعقاب الحرب مباشرة بدأ الفكر اليسارى يتضح فى مصر ويكون له جمهور ويكون له تيار فكرى يؤثر على الطلبة والذين فى عمرنا إنما انا وقتها كنت ملتحقا حديثاً بالجامعة وقررت بينى وبين نفسى انت لازلت مراهقاً فلا التزم بشئ.

---

* أجرت الحوار معه حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

تخرجت سنة ١٩٥٠ في اوج احتدام الحركة الوطنية قبل ثورة يوليو وعندما عينت معيداً، قمت بعمل شيئين قررت ان اتصل بالشيوعيين وكنت اعرف حمزة البسيوني لا اعرف في اي تنظيم هو، إنما كان يضع في عروة الجاكت حمامة سلام فقلت له يا حمزة اريد ان آتي معكم، هذا الاختيار كان لابد منه لو لديك حس وطني عالي وقررت ان شعارات الفقر والجهل والمرض تعبر عن صراع طبقي حقيقي في مصر، القضية الوطنية مربوطة بالتحول الاجتماعي من وقتها رغم انني لم اكن مدركاً لم اكن قد قمت بعمل هذا التحليل الذي كتبته في كتاب (راي في الثورة الوطنية) إنما كان لابد أن اذهب معهم ورغم انه لا يوجد في حياتي الخاصة او العائلية اي شئ يدعوني لا للتمرد ولا للسخط ولا لهذا الكلام إنما لو انني لم اشارك في الحركة الشيوعية لما كان ممكناً ان اكون في سلام مع نفسي.

وقتها كنت معيداً وكان لدي معمل وحدي في كلية العلوم، معمل صغير ثلاثة امتار في ثلاثة متر ووقتها كان هناك الكفاح المسلح وبدأت في هذا المعمل أصب (تي - إن تي) في قنابل يدوية كانت تصنع في ورش كلية الهندسة، كانت لدينا مشكلة البادئ لأن البادئ الذي كان موجوداً في السوق مفجر ونحن كنا نريد بادئا مشعلاً، قبل ان نكمل عملنا حدث حريق القاهرة، وبجانب عملي في تحضير هذه الأشياء لمعاونة الفدائيين وكانت هناك اجتماعات ومناقشات وكلام من هذا النوع.

في ١٩٥١ قبض علي ثلاثة ايام، بعد ذلك ظللت اتصل بالتنظيم حتى اعتقلت سنة ١٩٥٤ إنما قبل الاعتقال كنت على اتصال برميل، واعترف ومعروفة حكايته لا شأن لنا به - لماذا لم يعترف علي؟ لا اعرف إنما الذي حدث أنني وجدت الاتصالات انقطعت فوجدت نفسي وحدي ظللت ابحث حتى وجدت خلية ترزية قلت لهم يا زملاء، نحن منطقة الإسكندرية، اتذكر منهم، محمد الليثي يرحمه الله، دخل السجن بعد ذلك فقلت لهم نحن منطقة الإسكندرية بدأنا نسترجع كل الخيوط الممكنة اتصلنا ببعض افراد كانوا في قسم الجمرك وكانوا في الحضرة واتصلنا بناس في محرم بك ووصل الأمر أن تمكنا من إصدار مطبوعات واصدرنا في الإسكندرية جريدة باسم (الجبهة)، عندما دخلت «ابو زعبل» وجدت نسخة منها وصلت هناك، وفي هذه الفترة كانت غريبة لأنك وحدك وحتى تجمع الناس مرة اخرى وقتها بعد ان بدأنا ناخذ شكلاً بدأ يأتينا اتصال من القاهرة فكان يأتي لي صلاح حافظ وعبد الجابر خلاف، وظل الوضع هكذا إلى ان تمت اعتقالات ١٩٥٤ ففصلت من الجامعة قبلها، قبل الاعتقال بستة شهور كان لي

نشــاط ولم اتوقف. فـقـبض على سنة ١٩٥٤ وظللت سنة فى «ابو زعـبل»، وطبعـا كلنا ضربنا فى السجن إنما انا شخـصيـا لا اشعـر انى خرجت من السـجن بمرارة هذه التجربة، ذلك امتحان الإنسان يجب ان يغبط نفسه انه لم يفشل فى الامتحان، كان إمتحانا سخيفا، كان صعبا، كان مؤلما لا نستطيع ان نظل نتكم عن ان كفاح الشيوعيين هو قدرتهم على تحمل العذاب فى السجن، الشيوعيون قدرتهم على تغيير افكار الناس: على ان يروا ما الجانب الإيجابى فى الحياة ليقودوه.

السجن شئ مؤلم إنما ليس الإنجاز انك دخلت السجن الإنجاز انك تمكنت من تغيير افكار الناس ودفعت المجتمع للأمام وزودت الإدراك بالقضية الوطنية بالمصالح الطبقية بالعلم والتنوير، وان السياسة فى فترة ما بعد الحرب. كانت اكبر قوة شكلت الراى العام وشكلت التوجه الوطنى للشيوعيين هذا هو الإنجاز وليس تحمل السجن هذا شئ لزوم الشئ كما يقولون.

عندما دخلت المعتقل كانت هناك تنظيمات اخرى، إنما هناك شئ اساسى جعلنى غير مستريح للتيارات الأخرى وكنت وقتها فى «ابو زعبل» وكان هناك عنبر الراية وتشعر كما لو كان لديهم شكل من اشكال لا داعى لأن نقول عبادة الفرد، تعظيم الفرد، الهتاف لزعيم التنظيم ورئيس التنظيم الذى هو شئ لا معنى له بجانب الجانب الفكرى، انا تعلمت كيمياء اى تعلمت علوما طبيعية والعلم ليس فيه مقدسات، العلم تقدمه يتم من خلال النقد والشك وتغيير ما تم إثباته، نحن كان عندنا محيط العلم صغيرا، وحوله محيط الجهل، وكلما اتسع العلم كلما ادركنا أن جهلنا يزيد وبالتالى ميزة الماركسية أنها تستخدم المنهج العلمى فى تحليل المجتمع وبالتالى يجب ان تخضع لما له العلمية ويجب أن تخضع للتغيير، لا توجد مسلمات ثابتة، لا توجد مسلمات مقدسة.

أجد اناسا تناقش بحدة شديدة وتدافع عن مفاهيم لا تقبل المناقشة، انزعج، عقلى لا يقبل ان هناك مفاهيم فى امور الدنيا لها قدسية ايا كان من الذى قالها. ماركس قال شيئا جيدا كان يراه وقت أن كان حيا، الدنيا تغيرت ليس، هذا فقط، بل لو كان عاش وقت اكثر لكانت نظريته قد اتسعت، كان يمكن ان يغير بعض المفاهيم إنما الميزة الأساسية فى الماركسية ليست فيما تقوله إنما كيف تقوله؟ كيف تفكر فيه؟ كيف تحلله؟ عندما اجد ان هناك اناسا مع التسليم تماما بإخلاصهم وحماسهم يفكرون هذا النوع من التفكير انزعج، اتذكر فى البداية كنت قد رايت بعض الكراسات الخضراء وعندما قراتها قلت هذه الضباء التفكير العلمى خصوصا اننى قبل دخولى التنظيم قرات

التاريخ بكمية ليست بسيطة، قرات تاريخ مصر قراءة تامة قرات الرافعى واشياء اخرى وعندما دخلت الجامعة، رغم دخولى الكيمياء الصناعية إنما كنت اقرا فى الاقتصاد، زملائى عندما دخلوا كلية التجارة كنت اذاكر الاقتصاد الخاص بهم، وبالتالى كان من وقتها التفكير الاقتصادى موجوداً وبالتالى لم يكن هناك احتياج لنوع التثقيف الذى تقدمه حدتو للزملاء الجدد.

لم اشارك فى حركة فدائية وكان دورى فى بولاق هو تحريك الخلايا التى كانت معى بجانب الدور التثقيفى والنظرى فى المكتب الاقتصادى، ولا ادعى انه كان لدى عمل متميز فى التنظيم وقتها.

فى سنة ١٩٥٤ عندما رحلت لـ «ابو زعبل» الزيارة الوحيدة التى حضر لى ابى فيها طوال فترة السجن، جاءنى وعرض على الآتى، انا جئت الآن ويمكن ان اخرجك فوراً من السجن، تخرج معى بشرط ان تسافر إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه، هو كان على علاقة طيبة جداً بالقيسونى، كان وقتها القيسونى وزيراً للمالية كان وابى وقتها وكيل الوزارة لشئون القطن.

لو كنت قبلت كنت ساستفيد، سوف أخرج من السجن واحصل على الدكتوراه وتوضع د. قبل اسمى تعبر عن مزايا، لكن لو فعلت ذلك كنت كانى اخون نفسى ولا يمكن بهذا النوع من التنازلات فرغم الإغراء الجيد وشكله المحترم جداً إلا أن المرء سيفقد سلاماً مع نفسه، قلت له الذى يريد ان يخرجنى لا يقول لى اين اذهب واوقفت المناقشة.

لا يمكن للمرء ان يفعل شيئاً يفقد به ليس احترام الناس، إنما احترامه لنفسه والذى اطلق عليه أن يكون المرء فى سلام مع نفسه.

فى ١٩٥٩ كانت القضايا الفكرية قد تبلورت، كانت الحركة الديمقراطية تؤيد عبد الناصر وكان وقتها قد ظهرت افكار المجموعة الاشتراكية وطريقة التطور اللاراسمالى وكنت أرفض هذا النوع من التفكير، مجموعة اشتراكية لماذا؟ والتطور اللاراسمالى ماذا يعنى؟ وكانت لى وجهة نظر وتبلورت تماما فى ١٩٥٩، ١٩٦٠ ، ١٩٦١، هى أنه توجد علاقة جدلية بين تحقيق أهداف التحرر الوطنى وحتمية إحداث تحولات اجتماعية، كان الطريق الذى تسير فيه ثورة يوليو انها من اجل تحقيق اهداف التحرر الوطنى كان يجب بالضرورة أن تحدث تحولات اجتماعية، إن الذى يحدث . الذى تسمونه مجموعة اشتراكية وكلام من هذا النوع . هو تصفية الأجنحة الأكثر تخلفا داخل الثورة، مع كل نقلة اجتماعية جديدة كان لابد من تصفية هذه الأجنحة وبالتالى الكلام عن ان هناك

مجموعة اشتراكية متبلورة وأن هذا يحدث تغييرا، رايى ان هذا نوع من التفكير الميكانيكى، ما دام حدث كذا إذن هناك مجموعة اشتراكية، لا ليست هناك مجموعة اشتراكية هناك مجموعة وطنية تتفاعل مع الأحداث لتحقق الأهداف الوطنية، يجب بالضرورة ان يحدثوا تحولات اجتماعية والغريب ان هذا النوع من التفكير له أصول فى فكر حدتو، فى فكر خط القوات الوطنية الديمقراطية، ان نحاول أن نوجد تفسيرات ميكانيكية للذى يحدث، فهذا منهج غير علمى وبالتالى كنت ارفض هذا وكنت اقول إن هذه التفاعلات من شانها بالضرورة أن تحدث تغييرا فى التنظيم لأن التنظيم الشيوعى المستقل، وهذا حقيقة فى الثورة: استولت على الأهداف التى كنت تكافح من اجلها، وبالتالى تنظيمك يفقد مبررات وجوده، وكان وقتها رغم الإحساس ان التنظيم فى ازمة، رغم الإحساس ان الزملاء الذين خرجوا قبلى من السجن كانوا يخرجون وينضمون للتنظيم الطليعى الذى انشاه عبد الناصر إلا انى عندما طرحت وجهة النظر هذه التى ذكرتها بعد ذلك فى كتاب (راى فى الثورة الوطنية) ووجهت بهجوم شديد جداً لدرجة انه عقد مؤتمر داخل السجن بعنوان (حزبنا ضرورة تاريخية)، ونصحت من بعض الزملاء بالا اتكلم فى المؤتمر لأنه، «ممكن ان يتخذ قرار بطردك من التنظيم على اساس انك تخليت عن الكفاح» وهذا الكلام الثورى وظللت فى هذا المؤتمر اتفرج ورايى ان هذا الموقف من اكثر المواقف التى اخرت الشيوعيين، لعبة القيادة والقاعدة او الضباط والعسكر هذه لعبة عبد الناصر ولم يكن ليقبل ان القيادات التنظيمية الشيوعية تتعامل معه على اساس ان وراءها حشد تقدمه وتتفاوض معه باسمه ولذلك هم وضعوا انفسهم فى وضع أن التعامل معهم سيتم بتصفيتهم كأفراد ثم اختيار الأفراد المناسبة. هذا الوضع كان من الممكن ان يكون افضل جداً لو قيل منذ البداية اننا نريد ان ناتى عندك وبصرف النظر عن الشكل القيادى والتنظيمى إنما نحن مقتنعون انك تسير فى الطريق الذى نريد أن نسير فيه، ونريد أن نسير معك فى هذا الوضع، يكون هناك مراعاة اكثر للثقة وايضا العناصر المناوئة للفكر اليسارى، حتى عند عبد الناصر، كانت تحجم وفرصتها على المناورة تقل، ولا يكون أن الشيوعيين يؤخذوا واحداً واحداً فى جناح ضيق من التنظيم الطليعى ولا يكون لهم اى قدرة على ان يؤثروا كافراد او كاعضاء فى حركة التنظيم الطليعى "رايى ان هذا سلوك قصير النظر".

الشيوعيون لم يكونوا مدركين ان التناقض على السلطة وبالتالى هو فى السلطة واكثر إدراكاً من الشيوعيين الذى اعتقد انه كان يقول عليهم رومانسيين او خياليين،

ذلك كان يضع الشيوعيين وعبد الناصر فى تناقض لا مبرر له والشيوعيون دفعوا ثمن هذا، لأنه بدلاً من ان يأخذوا موقفاً واضحاً قيادة وقاعدة دخلوا أفراداً والطرف الآخر تخير الأفراد ووضع كل واحد فى المكان الذى يستحقه، أما الناس الذين لهم نشاط جماهيرى فهؤلاء آخر ناس استفاد بهم التنظيم الطليعى وبالتالى هذه خسارة على الشيوعيين وعلى الحركة الوطنية بدون داع. لن نتكلم عن العوامل الذاتية التى كانت وراء هذا كانه فى كل مكان هناك ذاتية وحتى قضية السلطة فيها الذاتية إنما هذا الذى حدث.

وقتها تعرضت لشئ مؤلم فبدلا ان يتناقش الفكر بدأ الهجوم بشكل شخصى، وقيلت لى كلمة جرحتنى جداً، خلع الضرس بدون الم اى لو تريد ان تتخلى عن الكفاح افعل ذلك بدون ضجة ولهذا السبب تعمدت ان اظل فى التنظيم حتى الاجتماع الذى تم فى بيت يوسف صديق وتم حل التنظيم، والذى قال لى هذه الكلمة لم يحضر الاجتماع، لأنه كان فى التنظيم الطليعى.

فكرة قدسية الحزب تتحول إلى فكر عقائدى وإلى حد كبير يمنع القدرة على التصرف العقلانى، والحزب السوفيتى قام بثورة وحقق نتائج الثورة واصبح فى السلطة وقضية تقديس الحزب فى الاتحاد السوفيتى مربوطة بالسلطة انت هنا لم تستول على السلطة وتتحدد حركتك وقدرتك على الكفاح الوطنى والاجتماعى الملازم له بظروفك. ان ترفض ان تدخل فى تنظيم عبد الناصر لأن حزبك مقدس او كما قيل فى هذا المؤتمر انه ضرورة تاريخية فى الوقت الذى تسمح لأعضائك ان ينضموا للتنظيم الطليعى، هذا خلل، خلل فكرى ويحمل قدراً كبيراً من الديماجوجية.

التنظيم تم حله لأن هذا كان التعامل الإيجابى مع الواقع، التنظيم قيمته مثل اى تنظيم فى الأهداف التى يحققها. التنظيم ليس له قدسية فى ذاته، القدسية فى الأهداف، الأهداف الوطنية، الأهداف الاجتماعية فى العلاقة الجدلية ما بين التحرر الوطنى والتحول الاجتماعى وليس فى شكل التنظيم لو أن المعركة الوطنية وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية تتحقق بواسطة عبد الناصر، إذن انت عندما تبقى على التنظيم المستقل تخلق تناقضاً، ليس فقط لا داعى له إنما ينتهى بهزيمتك وبآثار سلبية على الطرف الآخر ايضاً، فانت تضر باهدافك هنا الموضوع ليس ان تكون مكافحاً لو كان التنظيم موجوداً، ولا تكون مكافحا لو كان غير موجود، هذا تفكير ذاتى جداً وليس به رصد للواقع الاجتماعى الذى تعيش فيه، ولدينا تجربة غريبة جداً فى "كوبا فيدل

كاسترو" قال إنه هو الحزب الشيوعى، وقال البعض القيادات الكبيرة التى ابدت امتعاضها سافروا، أرسلهم لموسكو. الموضوع ليس سرقة الحزب الشيوعى، فهو يقول الأهداف التى تقولون عليها تتحقق بقيادتى كواقع لأنه فى السلطة. ليس ضرورة ان عبد الناصر كان يقول انا الحزب الشيوعى إنما هو يحقق الأهداف التى نريدها، هذه القضية تحمل عند كثير من الشيوعيين قدراً كبيراً من المؤثرات العاطفية إنما الدنيا هكذا والقدرة على مواجهة الذات بامانة علمية مهمة جداً فى هذه المواقف.

حركة الثورة كلها وليس موضوع الدستور والأوراق كانت تؤدى إلى تحقيق اهداف التنظيم الشيوعى واى تنظيم لم يكن يقول أحقق الشيوعية. الحركة الشيوعية اساساً تحاول باقصى درجة تحقيق الأهداف الوطنية بما يلزم ذلك من إحداث تحولات اجتماعية، ولا نقول إننا اقمنا مجتمعاً اشتراكياً، وبالطبع ولا مجتمع شيوعى لأنه لم يتحقق، وا لمجتمع الاشتراكى فى اى بلد ياخذ طابعه الخاص. لا يوجد نمط عالمى للتحولات كيف تكون؟ إنما أساساً مع من انت؟ لو انت مع الشعب العامل، لو انت ضد الاستعمار الأجنبى، لو انت تقبل التحولات الاجتماعية التى تغلب مصالح الكادحين انت تحقق أهداف الحزب الشيوعى. الموضوع ليس الشكل؟ ليس الإعلان؟ ومع ذلك استخدام عبدالناصر الشعارات الاشتراكية إنما هذه ليست القضية، ليست قضية نوع الدستور أو نوع الشعارات؟ إنما ماذا كان فى الواقع؟ وتفهم هذا ترى ما الذى تم بعد عبد الناصر، لابد ان نعرف ما الخلل داخل سلطة عبد الناصر، التى بدات تتضح وتناقش بصراحة هذه الأيام والتى تبلورت فى هزيمة ١٩٦٧، هذه قضايا اوسع بكثير من مناقشتنا، هذه وجهة نظرى فى موضوع حل التنظيم.

على مدار تاريخ الحركة تم عديد من الانقسامات، رايى ان هناك نوعين من الأسباب نوع من الأسباب الذاتية وهذا لا تستطيع منعه فى اى مكان إنما الأسباب الحقيقية عدم تبلور الوعى وان الفكر اليسارى فى مصر إلى حد كبير اخذ شكلاً دوجماطيقيا وبالتالى تظهر تيارات مثل (م . ش . م) مثلاً يقولون لا شيوعيون إلا العمال، وتظهر افكار المثقفين شديدة التنوع ومحكمة الاختلاف حول قضية ثانوية تتحول لانقسام. ثم قضية أساسية ان التنظيمات السرية عموماً معرضة للانقسام لأن إمكانية تبادل الراى بحرية داخلها قليل جداً، كل مقابلاتك سرية، خلايا لا تعرف بعضها البعض وبالتالى لو ان خط القيادة ليس على هوى، أو ليس مقبولاً من بعض العناصر، فلا تجد هذه العناصر لاتجد اى فرصة حقيقية للتفاعل مع القيادات، وشكل التنظيم السرى يجعل إمكانية

هذا التفاعل قليلة جداً ولذلك نجد ان التنظيمات السرية التى تاخذ دوراً حقيقياً يكون الجانب الأيديولوجي فيها قليل، مثل التنظيمات الإرهابية المتسترة بستار الإسلام لا يوجد أبداً نقاش فكرى، لا يوجد فكر اساساً، وتحديد العدو بواسطة القيادة وحشد انفعال شديد جداً لا يسمح بالتفكير إنما ليس هذا نمط التنظيم الشيوعى، وبالتالى التنظيم الشيوعى دائماً لديه مشكلة ما بين السرية من ناحية. والقدرة على الصراع الفكرى من ناحية اخرى لأن هذا لا يحل بشكل سلس، تحدث انقسامات ومع ذلك لو ان هناك مد ثورى فإن الانقسامات تقل لأن الهدف يكون اكثر تبلوراً والأمل فى تحقيقه يزيد وبالتالى الناس تتعامل مع بعضها بشكل اسهل وبذاتية اقل.

فكرة او مفهوم جماهيرية العمل الشيوعى تبدو غرابتها فى تنظيم سري، كيف تنظيم سرى وجماهيرى في نفس الوقت، العلاقة بينهما ليست علاقة سببية مباشرة او ميكانيكية لو ان الجماهير لديها مشاكل وتجد انك تعبر عنها بشكل إيجابى وتعطيها فرصة للحركة تتحرك ويكون لك نفوذ جماهيرى فعال، الذى نراه فى فترة ٤٦، ١٩. ١٩٥٢ لا تقاس بعدد الأفراد المنضمين للتنظيم الشيوعى رغم انهم بالطبع فى هذه الفترة زادوا، إنما اساساً بالذى كانوا يقولونه، كالناس كانت يتحركون به لأنهم كانوا يقولون الكلام الذى يعبر عن احاسيس الناس وعن مصالحها وتوجد فرصة عند الجماهير فى أن تتحرك.

العمل الجماهيرى قياس حساس جداً وصعب جداً لأن الشعب المصرى يتحمل وصبور على السلوك إنما عندما يتحرك تكون حركته عنيفة جداً وهذا يظهر فى فترات ما بعد الحرب، بعض الشباب اسسوا دار الأبحاث ويقولون بعض الكلام، ثم تنشأ اللجنة الوطنية للطلبة ثم تصبح الطلبة والعمال والشعب كله يفاجا بانها اصبحت قيادة، هل هؤلاء استطاعوا فى هذه الفترة إقامة تنظيمات جماهيرية؟ كانت التنظيمات الجماهيرية تخلق من خلال الحركة ولا تقاس بالعضوية، الذى يشترك فى مظاهرة لا يقوم بعمل اشتراك عضوية مظاهرة، وبالتالى هل الفكر الشيوعى كانت له جماهيرية؟ كانت له جماهيرية عالية جداً، اى حركة جماهيرية، كان الكلام الذى يقوله الشيوعيين وينم عن تحركاتهم هو المسيطر على الموقف إذن هم الجماهيريون بالرغم من ان عددهم قليل إنما تقاس القدرة الجماهيرية بمدى استجابة الجماهيريون وقت الحركة.

يقال الآن أن كلمة الشيوعية أصبح صعبا ان تقال للناس، ومع ذلك انا رايى ان الفكر اليسارى لديه فرصة ممتازة، دعنا من كلمة الشيوعية لأن الكلمة تاثيرها اهتز اهتزازاً

شديداً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، إنما لا زال الفكر اليسارى هو المعبر عن مصالح الناس فى مصر فى حالتنا هذه، يحدث تآكل فى قدرتها الإنتاجية، تحدث زيادة مهولة فى البطالة، تحدث مشكلة إسكان يزيد، النفوذ الأجنبى. تنهب البلد، فى هذا الوقت يكون الفكر اليسارى هو المعبر عن الناس، رأيى أن فترة السادات، ثم انهيار الاتحاد السوفيتى سببت جدنا، سببت تراجعا فى الفكر اليسارى وليس تراجعا فى المشاكل التى من شأنها أن تؤدى لنشاط الفكر اليسارى، أنا شخصياً متفائل، ولا أخاف من حكاية أن كلمة الشيوعية، لا تقال الآن لا داعى أن تقول كلمة الشيوعية نحن نريد أن نحل مشكلة الإسكان والبطالة وانخفاض مستوى الأجور وتآكل القدرة الإنتاجية فى الاقتصاد المصرى وبالتالى يجب أن نتوقع أن اليسار يطرح أفكارا جديدة. قدرته على التعبير قليلة لا مانع، إنما المجتمع ليس شيئاً إستاتيكيا، المجتمع كيان ديناميكى وبالتالى بالضرورة سيجد تعبيراً عنه، اليسار ستكون لديه فرصة. ما الأشكال التى سيأخذها؟ هذا موضوع يقرر فى مجال آخر، ما نوع الأشكال التى يمكن أن يأخذها اليسار؟ ما نوع التنظيم الذى يمكن أن يأخذه اليسار؟ ما نوع التعبير الذى يمكن أن يعبر به؟

المشاكل موجودة والفكر اليسارى لابد أن يطرح الحلول لا أحد آخر سيطرح الحلول سوى اليسار.

أولاً: الموقف من القضية الفلسطينية

الشيوعيون لهم وجهة نظر فى القضية الفلسطينية فكان رأيهم قبول تقسيم فلسطين ليس بناء على قرار الاتحاد السوفيتى إنما بناء على قرار الواقع، أنا شخصيا سنة ١٩٤٨ لم أكن فى أى تنظيم إنما عندما نفكر الآن هل الشيوعيون عندما قالوا نقبل قرار الأمم المتحدة ١٩٤٨ ونقبل هذه الحدود، كان قرارهم أكثر إيجابية من رفضه؟ نعم أنت الآن لا تدافع عن حدود ١٩٤٨ أنت لا تستطيع الوصول لحدود ١٩٦٧، والسياسة هى فن الممكن لو أنك تدخل معركة خاسرة لا تدخلها، فالموضوع ليس موضوع إثبات الشجاعة، الذى كان ممكناً سنة ١٩٤٨ أن تقبل هذه الحدود، والذى عطل ١٩٤٨ الرجعية العربية المتواطئة مع الاستعمار، الرجعية العربية التى جعلت الملك عبد الله يأخذ الضفة الغربية وجيشه بقيادة الإنجليز يعرى الجناح الأيمن للجيش المصرى الذى يجعل العراقيين الذين كانوا يحاربون يقولون (ماكو أوامر) والذى يجعل الجيش المصرى يدخل بدون تسليح والذى يجعلهم يقبلون الهزيمة التى استغلتها إسرائيل، مجموعة أخطاء، لا يمكن أن تكون

قد تمت اعتباطاً، قبول اليسار تقسيم ١٩٤٨ تفكير عاقل وبراجماتى، ماذا كان سيحدث لو تم قبول قرار ١٩٤٨؟ تنشأ دولة فى فلسطين وليس أن تأخذ الأردن الضفة الغربية، وتأخذ مصر قطاع غزة لا، كانت ستكون هناك دولة، حتى لو كانت دولة ضعيفة جداً، تقول لى هل ستهاجم إسرائيل هذه الدولة؟ هذه قضية أخرى لأن الحق واضح وأكبر دليل على ذلك أنه عندما أراد السادات إبرام صلح مع إسرائيل، من قاد الحملة ضده؟ اليمين العربى لابد أن نفكر والناس تهاجم السادات، أنا لا أهاجم السادات على صلح إسرائيل أنا رأيى أن هذا عملاً إيجابياً، الهجوم على السادات أحدث فى المجتمع المصرى تحولات اجتماعية تأثيراتها مدمرة بداية من سياسة الانفتاح وتربية طبقة رأسمالية غير منتجة وطفيلية بداية من تسليم الاقتصاد المصرى إلى المؤسسات الأجنبية. هذه هى المشكلة وليس الصلح عندما تحدث تراجعات اجتماعية، بالضرورة تضعف الإرادة الوطنية كان من الممكن إبرام صلح لو أن عبد الناصر عاش بعد ١٩٧٣ كان يمكن أن يعقد صلحاً بالطبع كان من الممكن أن تتغير نتيجة الحرب أيضاً ولا تحدث الثغرة حكاية أخرى، لا نستطيع أن نقول لو، لو، لو إنما المشكلة الحقيقية فى مصر، ليس الصلح مع إسرائيل، المشكلة الحقيقة فى مصر. العوامل السلبية الموجودة فى المجتمع المصرى، التحولات السلبية التى تضعف قدرته الاقتصادية وإرادته الوطنية فى نفس الوقت وفى مصر، إذا كان اليمين أو الرجعية أو المصالح الاستغلالية فى الداخل بالضرورة متواطئة مع المصالح الأجنبية، القضية ليست قضية اتهامات بالخيانة. لا.. دعنا من الكلام الانفعالى إنما المشكلة فى خلق مصالح تخدم الأجنبى وإضعاف الإرادة الوطنية تضعف.

كان الموقف من قضية فلسطين أننا ضد إسرائيل، أننا مدركون أن إسرائيل وكيل أمريكا فى المنطقة وسلاحها فى ضرب الحركة الوطنية العربية وأساساً المصرية وإثارة مواقف حول الشيوعيين وأنهم قبلوا التقسيم أو لم يقبلوا، لم تكن هذه هى القضية المطروحة أو التى كان يناقشها الشيوعيون أساساً، نحن كنا نؤيد حركة القومية العربية ولو أننا اعترضنا على شكل الوحدة مع سوريا، وكان كلامنا صائباً، وجزء من ضرب الشيوعيين سنة ١٩٥٩ هو اعتراضها على شكل الوحدة، شكل الوحدة تم بطريقة شديدة السذاجة والذاتية كان ممكن جداً أن نتكلم عن وحدة فيدرالية وليس كونفدرالية، أن تظل مصر، تظل سوريا ويتم الاتحاد مثلما يحدث الآن خطوة خطوة فى المجتمع الأوربى إنما فرضنا شكلاً من الهيمنة وأيضاً أرسلنا أكثر الناس تنفيراً، الذى كان يقود سوريا

ضباط عبد الحكيم عامر ولذلك الانقلاب ته من مكتبه، هذا النوع من شكل الوحدة الذى يبين كما لو كانت مصر ضمت سوريا بالضرورة كان لابد يأتى بنتائج سلبية، لأن سوريا تختلف عن مصر، العوامل المؤثرة على ا لمجتمع السورى مختلفة عن مصر وحتى الذى تم فى ١٩٦١ فى مصر لم يكن بالضرورة يتم بنفس الشكل فى سوريا إنما انت استعديت قوى كبيرة جداً فى سوريا وارسلت عناصر منفرة، ثم ا لمجتمع السورى لابد من النظر له بطريقة اخرى، مصر قبيلة واحدة وبالتالى الذى فى السلطة، الذى يجلس على كرسى الفرعون فرعون. لأن مصر قبيلة واحدة، سوريا ليست قبيلة واحدة، كان يوجد فى مصر سلطان مملوكى واحد ، فى سوريا كان كذا سلطان، مصر دائماً موحدة إنما لا تستطيع ان تاخذ نفس التقييه فى سوريا، ولأن مصر موحدة فالسلطة فيها شديدة التركيز والاستقرار. سوريا ليست كذلك، لا تستطيع فرض شكل الهيمنة المركزية على سوريا، انضمامها للجمهورية العربية المتحدة كان به قدر كبير جداً من العواطف ودراسة ضعيفة جداً للواقع وبالتالى نتائجه سلبية. الشيوعيون قالوا شكل هذه الوحدة ليس طيباً وهذا كان من اسباب ضربهم سنة ١٩٥٩، لم تكن هناك منشورات ضد الوحدة او انا لم اسمع ان هناك منشور ضد الوحدة إنما كان هناك موقف ناقد، وهذ الموقف نوقش مع قيادة حدتو.

راى التنظيم فى الأحداث التى جرت فى البلاد العربية فى الأردن والعراق؟ بالطبع كان يؤيد ثورة العراق. إن الذى لعب لعبة القوميين والشيوعيين هذه خيبة ولا يوجد تحديد موقف مع قاسم ضد الشواف والشكل الدرامى الذى تم فى العراق، انا اعتقد ان الشيوعيين فى مصر لم يكونوا متابعين له ابداً ولا متحيزين بوضوح لطرف ضد طرف لأن نوع الحركة الثورية فى بلد يتحدد بمزاج البلد، مصر لا تقبل العنف وانقلاب السلطة فيها، يتم بطريقة فيها هذا القدر من العنف والشعب المصرى لم يقبل العنف يعنى هل من الممكن تصور ان الملك فاروق كان يسحل؟ هل الشعب المصرى كان يقبل هذا؟ مع انه خرج فى مظاهرات ضد الملك فاروق وداس على صورته وشتم شتائم إنما هل كان يقبل ان يسحل؟

كان الشيوعيون فى مصر يتصدون لمشاكل مصر، موقف الشيوعيين يمكن فهمه على انهم موقف اكثر العناصر وطنية. عبد الناصر دخل فى معركة مع خروشوف، الشيوعيون الذين يؤيدون عبد الناصر موقفهم لم يتغير مع انه يدخل معركة يقبض عليهم فيها ويهاجم خروشوف، ووصل الأمر إلى المهاترة المتبادلة ومع ذلك كان الشيوعيون يؤيدون عبد الناصر هذه قضية ليس لها هذا الوزن كله. الشيوعيون فى

مـصر كانوا دائما يمثلون مستوى عاليا جداً من الفكر المستقل، حكاية الأممية لم تكن ساخنة تماما عند الشيوعيين المصريين، الشيوعيون المصريون هم التيار الوطنى الذين يأخذوا موقفاً يساريا من قضايا المجتمع. هناك تأثيرات كثيرة على مستوى العالم لكن لا أعتقد انني كنت مهتما تماماً برصد علاقة الشيوعيين وموقفهم من كل القضايا الفرعية المتعلقة بالدول العربية، الشيوعيون لهم موقف من المؤثرات الاستعمارية، لهم موقف من الأوضاع الداخلية، لهم موقف من حركة ثورة يوليو، المؤثرات الفرعية أو التابعة، وبالتالى لا تأخذ هذا الاهتمام ولذلك أقول لك أنا شخصياً لم أشعر فى أزمة العراق انني مع عبد الكريم قاسم ضد الشواف، إنما كان إحساس بكم المصائب التى تلقى علينا، إن الشيوعيين فى العراق استخدمهم عبد الكريم قاسم وضربهم بعد ذلك، هذه قضية خاصة بينهم إنما بالنسبة لنا، إن الشواف وعبد الكريم قاسم يضربون بعضهم البعض، مصائب تأتى لنا كمؤثرات خارجية مؤثرة على الأوضاع فى مصر.

شهادة

مكرم الله مرقص

البيانات الشخصية

الاســــــــم : مكرم الله مرقص يعقوب سلامة

تاريخ ومحل الميلاد :١٢ فبراير ١٩٢٤ بقرية بنى صامت مركز بنى مزار بمحافظة المنيا

المــؤهــلات : ليسانس الحقوق عام ١٩٦٨.

المــهــنــة : عملت بإدارة الأرشيف بالقوات المسلحة فى الأربعينيات، وفصلت من عملى بعد اعتقالى عام ١٩٥٩، وبعد الإفراج عنى وفى ١٩٦٨ رفعت دعوى لإلغاء قرار الفصل، وكسبتها، وعدت إلى عملى السابق، واستقلت فيه بعد شهر لأن ظروف ذلك العمل لم تعد تلائمنى، وعينت فى عملية تشغيل المعتقين والمسجونين الشيوعيين. وكنت من أواخر من تم تعيينهم بإحدى شركات القطاع العام، وبعد إحالتى إلى المعاش عملت بالمحاماة وتخصصت فى قضايا تعويض المعتقلين والمسجونين واسرهم.

فترة السجن والاعتقال : اعتقال فى المدة من ٢٨ مارس ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

توفى والدى وأنا لا اتجاوز الثانية عشرة، وعملت مع ابن عمي فى زراعة الأرض إذ كان والدى قد ترك قيراطين، والتحقت بالمدرسة الابتدائية ببنى مزار ثم حصلت من بنى مزار على الشهادة التوجيهية، وجئت إلى القاهرة والتحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٤٥ كما التحقت بالعمل بأرشيف القوات المسلحة، وقد فصلت من الجامعة بسبب قيامى بالعمل فى اثناء الدراسة، وكان ذلك سبب تاخرى فى التخرج.

وفى عام ١٩٤٥ كانت الجامعة تموج بكل التيارات السياسية وفى مقدمتها الوفد، وفى ذلك العام التقيت بزميلى محمد عوض الله الذي كان قد كون خلية ماركسية، ودعانى للانضمام إلى تلك الخلية فانضممت إليها، وقد سميت هذه الخلية او المجموعة «مسعض» اى «المنظمة الثورية للعمال والفلاحين» وكانت تضم عددا من الطلبة والأطباء والفنانين منهم الفنان عبد الوهاب الجريتلى الذى كان إنسانا وفنانا ممتازا ومات فى ظروف غامضة فى مستهل الستينيات عندما ذهب إلى أسوان ليسجل بالرسم معجزة

السد العالى ونقل معبد رمسيس.

وكان منهم فى ذلك الوقت الزميل إسماعيل المهداوى، لم يكن لنا علاقة باى تنظيم شيوعى آخر، وكنا نقرا الكتب التى تصدرها حدتو، ونعقد اجتماعا ونتناقش، ونصدر منشورات مطبوعة على الرونيو والآلة الكاتبة ونقوم بتوزيعها ولصقها على الجدران، لم يكن لنا بالطبع خط سياسى أو برنامج محدد، وكانت مواقف الأعضاء تكاد تقوم على الاجتهاد الشخصى، ولم تزد المجموعة في اى وقت عن عشرة افراد، وفى عام ١٩٥٥ التقيت بالزميل حمدى عبد الجواد، وتناقشنا فى عملية توحيد الحركة الشيوعية، وكان رايى انه ينبغى تصفية الخلافات الفكرية قبل اى وحدة، واختلفنا ولم نصل إلى موقف واحد، وفى عام ١٩٥٦ ومع انغماسى فى العمل فى لجان المقاومة الشعبية انقطعت علاقتى بالمجموعة التى لم تكن تقوم بعمل حقيقى أو بنشاط ملموس، ودار نقاش بينى وبين عناصر من منظمة طليعة العمال فى ذلك الوقت، ولم اقتنع بموقفهم ولم تكن تلك العناصر التى التقيت بها على مستوى فكرى جيد.

وفى ذلك الوقت كان يدور نقاش بينى وبين فرنسيس لبيب عضو منظمة الحزب الشيوعى المصرى «الراية» كنت اختلف مع تقييم ذلك التنظيم لسلطة عبد الناصر بأنها فاشية، كنت منذ قرات مقالاً لأبى سيف يوسف فى الملايين عام ١٩٤٩ يفرق فيه بين الفاشية والديكتاتورية العسكرية، وكنت مقتنعا بما جاء فى المقال، وارى أن نظام عبد الناصر ديكتاتورية، عسكرية لا فاشية، ورغم اختلافى مع فكر منظمة الحزب الشيوعى المصرى انضممت إليها، وكان ذلك فيما اذكر قبل وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ التى ضمت المنظمات الثلاث الكبيرة، وذلك مع احتفاظى بوجهة نظرى التى تذهب إلى ان نظام عبد الناصر شكل من الديكتاتورية العسكرية، وان حركة يوليو ١٩٥٢ انقلاب عسكرى امريكى كما ساوضح فيما بعد.

الموقف من أحداث عام ١٩٤٦ :

كنت مشاركًا فى أحداث ومظاهرات جامعة القاهرة عام ١٩٤٦ وفى اليوم الذى مزقت فيه صورة الملك فاروق كنت أحد الخطباء فى الجامعة، كنت أشارك فى الأحداث بشكل فردى وبدافع فكرى اليسارى.

الموقف من حركة يوليو ١٩٥٢

كان رأيى أن انقلاب يوليو ١٩٥٢ انقلاب عسكرى على نمط الانقلابات العسكرية التى يصنعها الاستعمار الجديد وهو الاستعمار الأمريكى مثل انقلاب أديب الشيشكلى وغيره، وعلى أن أذكر أن أحد الأصدقاء وهو شقيق الشهيد نبيل حمودة الذى استشهد فى العدوان الثلاثى فى بورسعيد كان له أثر هام فى توعيتى بطبيعة الاستعمار الجديد وأساليبه، وطوال فترة حكم عبد الناصر كنت أرى أن نظامه ديكتاتورية عسكرية.

الموقف من مؤتمر باندونج

عندما سافر عبد الناصر إلى باندونج كان معى فى العمل شخص يدعى محمد عثمان، وكان معاديا للشيوعية ويعرف ميولى السياسية، وجاء إلى هذا الشخص وقال «هاهو عبد الناصر قد سافر إلى باندونج وقابل شوان لاى» فقلت له إن هذا غير كاف فقال غاضبا «ماذا تريدون أكثر من ذلك؟ فقلت له «نريد تأميم قناة السويس» فثار وقال «أنتم هتودونا فى داهيه» وعندما أمم عبد الناصر قناة السويس جاء هذا الشخص وعانقنى وهو يقول «إنت نبى؟!» وتغير موقفه منى.

الموقف من تأميم قناة السويس

عندما تم تأميم القناة فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ توقعت حدوث عدوان على مصر لأنه من غير المعقول أن تقبل الدول الاستعمارية بهذا التأميم، وفى يوم ٢٧ يوليه كنت جالسا على مقهى أمام كنيسة سانت تريز بشبرا، وأخذت أناقش الجالسين حولى فى ضرورة الإستعداد لصد العدوان المرتقب، وكان ذلك بصوت عال، وكان بالمقهى عمال من شبرا الخيمة، واقترحت تكوين لجان المقاومة الشعبية، وإذا بصوت يرتفع ويقول «لا .. لنكون لجانا وطنية» وكان صاحب الصوت فتحى رفاعى الذى لم أكن أعرفه فى ذلك الوقت - وأذكر هذا للأمانة بصرف النظر عن موقفه بعد الإفراج عنا - ودارت مناقشة انتهت بتأييد أغلبية الموجودين لوجهة نظرى بتكوين لجنة المقاومة الشعبية، وانتخبت رئيسا لها، وأعتقد أنه على نمط هذه اللجنة تكونت لجان المقاومة في أنحاء القطر.

وفى أثناء العدوان نشطت لجنة المقاومة الشعبية، وانخرطت فى الحرس الوطنى، وتدربت على إطلاق النار.

الموقف من قرارات التاميم

كنت ارى ان قرارات التاميم تحقق نظام راسمالية الدولة، كنت أؤيد وجهة النظر التي قال بها الدكتور لويس عوض والتى تذهب إلى ان تلك القرارات يمكن ان يستفيد بها اى احد، اى انها لا تحقق الاشتراكية لصالح الطبقة العاملة.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفييتى

كنا نؤيد سياسات الاتحاد السوفييتى تأييدًا كاملاً، ولكن عندما قال خروشوف إن عبدالناصر يبنى الاشتراكية رفضت انا هذا الكلام.

الموقف من حل الحزب

طبعا انا كنت ضد الحل، فكيف يتم حل الحزب الذى يعد كل شئ بالنسبة لنا، ولكن لم ياخذ احد رايى، وبعد الإفراج عنا لم يتصل بى احد لتنظيمى، وفوجئت يومًا بالزميل نور غنيم يلتقى بى ويقول لى «لقد حل الحزب فما رأيك» فتساءلت، إذا كان الحزب قد حل فباى صفة يسالنى عن رايى، وهاج الزميل نور لما ينطوى عليه كلامى من معنى، ولا شك ان تساؤلى عبر عن فداحة الموقف الذى اصبحنا فيه بعد الحل. لقد سبب حل الحزب حزنا شديدًا بالنسبة لى.

ولابد ان اذكر هنا انه بعد الإفراج عنا تركنا انا وكثير من الزملاء بلا عمل وبلا مورد نعيش منه ولولا والد زوجتى العامل بالسكة الحديد الذى أعال أولادى فى اثناء فترة الاعتقال وأعالنا جميعًا بعد الإفراج عنى لكان لنا مصير آخر، كان يوجد زميلان هما عبد السلام صقر وعبد الستار محمد كانا يسكنان مع أسرتيهما فى حجرة واحدة، وكان لديهما جلباب واحد يتبادلان ارتدائه عند الخروج. وهذا يبين السوء البالغ لأحوالنا بعد الإفراج عنا.

سبب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

ارى ان انتهاء الحركة الشيوعية بحل التنظيمات ونهايتها عام ١٩٦٤ يرجع إلى ان قيادات هذه الحركة كانت من العناصر البرجوازية والبرجوازية الصغيرة.

وفى هذه المناسبة اود ان اقول إن اغتيال الزميل الشهيد لويس إسحق فى الأيام

الأخيرة لوجودنا فى الواحات بإطلاق الرصاص عليه كان متعمداً، كان لويس إسحق رجلاً بحق، وكانت اللجنة المركزية موافقة على الحل باستثناء لويس الذى كان المسئول التنظيمى الذى يستطيع أن يعيد بناء الحزب إذا تقرر حله، ولذلك تم إغتياله بتعليمات من عبد الناصر للتخلص منه، وإزاحة العقبة امام الحل، وقد أقر ابو سيف يوسف فى شهادته فى قضية التعويض التى رفعتها لأسرة لويس إسحق بأن قتل لويس كان متعمداً.

وفى النهاية أود أن أوصى الأجيال الجديدة بضرورة الرفض التام للنظام الديكتاتورى بجميع أشكاله وألوانه حتى لو تسمى بديكتاتورية الطبقة العاملة. لأن الديكتاتورية تقتل المواهب البشرية وتعوق الإنطلاق نحو التقدم.

شهادة

يوسف أحمد ماضي

البيانات الشخصية

الاســــــــــــم : يوسف أحمد ماضى

محل وتاريخ الميلاد : الإسكندرية ١٠/١٠/١٩٣٦

المــؤهــلات : حفظ القرآن فى كتاب الحى

المــهــنــة : عامل بشركة الغزل الأهلية بكرموز

بيانات عائلية :

من اسرة بسيطة عمالية فجدي لوالدي كان عاملاً بورشة ترام الإسكندرية وقد الحق والدى معه وهو صبى فى الخامسة عشرة من عمره حيث تعلم مهنة البرادة واتقنها، وحتى لا يذهب للجهادية تقدم للتطوع ببوليس ميناء الإسكندرية بمهنته واجتاز امتحان القبول وعين فنى صيانة المنشآت البحرية برتبة شرطى، التحقت منذ طفولتى بكتاب فى نفس الحارة التى بها منزلنا ثم بمدرسة لتحفيظ القرآن تسمى الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ونشر العلوم الإسلامية، وكانت بمنطقة غيط العنب، حيث حفظت القرآن وجودته وكان سنى احد عشر عاماً ونصف. وكان لى قريب لوالدتى يعمل ناظرا بالمعهد الدينى بالورديان فطلب ان اكمل دراستى بالمعهد، ولأن ذلك يتطلب ان البس العمامة والجبة رفضت، وطلبت ان اعمل واتعلم مهنة.

بداية العمل:

التحقت بورشة سباكة المعادن وكنت سعيداً جداً بذلك ولكن لم يمر شهر واحد حتى فصلت لصغر سنى فقد كان الحد الأدنى يجب الا يقل عن خمسة عشر عاماً حسب القانون فى هذه الفترة. وتنقلت من ورشة لأخرى حتى بلغت الثالثة عشر، فى هذه الفترة كانت شركة الغزل الأهلية بكرموز تعتبر من اكبر الشركات بالإسكندرية. وسعيد الحظ من يلتحق بها، وسعى والدى لإلحاقى بها عن طريق الوساطة، وكانت العقبة هى ان اقدم شيئا يثبت ان عمرى خمسة عشر عاما وتغلب والدى على ذلك بالتسنين عن طريق حكيم باشا البوليس بعد ان قدم رشوة للممرض قدرها عشرة قروش.

التحقت بالشركة فى بداية ١٩٣٩ وعملت بوردية الليل من السابعة مساء إلى السابعة صباحاً واستمر ذلك ثلاث سنوات.

وكانت بداية الحرب العالمية الثانية، واشعلت نيران المعارك والحرب معارك الإضرابات لتحسين ظروف العمل. وكان لشدة الغارات الجوية وهجرة عدد كبير من العمال وانقطاعهم عن العمل والإضرابات المستمرة اثر كبير فى انخفاض الإنتاج الذى كان يخصص اغلبه لسد احتياجات القوات البريطانية، ودفع ذلك الحكومة إلى فرض حصار من قوات الجيش المحصنة بالأسلحة والدبابات إلى جانب قوات بلوك الخفر لمنع الإضرابات وتم القبض على عدد كبير من العمال وكانت جميع زنازين الحجز بالأقسام وبلوك الخفر تغص بهم. وقد شاركت فى جميع الإضرابات بحماس. فكنت اشعر بشئ من الفخر والبطولة عندما اقوم بفصل التيار عن الآلات لنبدأ الإضراب وتغمرنى السعادة وانا اشارك فى الهتاف بمطالبنا بإلغاء العمل اثنتى عشرة ساعة بالعمل سبع ساعات والعمل ثلاث ورادى وصرف غلاء معيشة ورفع الحد الأدنى للأجور. وعندما اشتدت الغارات على المدينة طالبنا بإلغاء العمل ليلا حتى انتهاء الحرب.

وفى احد هذه الإضرابات فى أوائل عام ١٩٤١ حيث كانت الإسكندرية مدينة مهجورة تركها أهلها وهاجروا من كثرة الغارات وشدتها وكنت اعمل بوردية الليل بشكل دائم ولم نغادر المصنع فى الصباح وعندما حضرت وردية الصباح انضمت إلينا وخرجنا فى مظاهرة من مبنى المصنع بكرموز متجهين إلى مبنى مصنع محرم بك. كان عددنا حوالى ثلاثمائة وكنا نهتف طوال الطريق مرددين مطالبنا، وعندما وصلنا إلى مبنى مصنع محرم بك ولطول المسافة أخذ عددنا يتناقص وأصبح حوالى خمسين فرداً، وعند وصولنا فتح لنا الحراس ورجال الجيش الابواب وتركونا ندخل ومررنا على جميع الأقسام، واوقفنا العمل بها ودخلنا قسم النسيج وهو مكون من ثلاثة طوابق واوقفنا العمل فى الطابق الأول والثانى وصعدنا إلى الطابق الثالث وهو الأخير فى المبنى فوجدنا باب العنبر مغلقاً من الداخل ولم نستطع الدخول وكانت نهاية السلم ولم يكن امامنا سوى الهبوط والتراجع إلى الطابق الثانى وفجاة هجم علينا جنود بلوك الخفر بالعصى من السلم فاسرعنا بالصعود مرة اخرى إلى الطابق الثالث محاولين فتح باب

العنبر بالقوة وفجأة فتح الباب وخرج علينا الجنود من داخل العنبر بالعصى، واغلق الباب مرة أخرى وحوصرنا جميعا على درجات السلم تنهال علينا العصى من أعلى السلم وأسفله حتى تكدسنا بعضنا فوق بعض على بسطة سلم واحدة كانتا شكائر اسمنت وكان عددنا قد وصل إلى خمسة وثلاثين فردا، وتم شحننا داخل سيارة إلى قسم كرموز وادخلونا حجرة الحجز وكان بها عشرة افرادجميعهم من العمال المضربين، ووصل عددنا داخل هذه الحجرة الصغيرة إلى خمسة واربعين فردا كانت هذه أول مرة يقبض علىّ وادخل فيها القسم. وكان كل ما يشغلنى هو كيف اتمكن من الهرب وأول ما خطر لى هو تغيير اسمى حتى لا يستدل على بعد أن أهرب، وعندما حضر ضابط القسم ليدون أسماءنا أخبرته أن اسمى محمد على خضر. قضيت بالحجز ثلاثة أيام كنا نعيش فى حجرة الحجز كفرد واحد. وكان بعض العمال الأكثر خبرة ينظمون توزيع الطعام الذى تحضره بعض أسر المحجوزين على الجميع دون أى تفرقة، كانت الحراسة على الحجرة تتغير مع كل وردية يسلم الشرطى المكلف بالحراسة كشف به أسماؤنا لمن يستلم مكانه ويقوم الأخير بالنداء بأسمائنا دون فتح باب الحجرة وكان بعض العمال يجيب على كل نداء سواء كان اسمه أو لم يكن كنوع من التهريج.

فى مساء اليوم التالى حضرت النيابة للتحقيق واخرجونا فردا فردا للتحقيق وكنت أصغر الموجودين سنًا.

وسئلت عن اسمى وتاريخ ميلادى.

فذكرت أن اسمى محمد على خضر من مواليد ١٩٢٦/١٠/١٠، أى أقل من خمسة عشر عامًا وتقرر أن أعامل معاملة الأحداث، ورغم أن أغلب المحجوزين كان يعرف اسمى الحقيقى لم يذكر أى فرد منهم ذلك.

كان والدى خلال هذه الأيام دائم البحث عنى فى جميع الأقسام والمستشفيات وحضر إلى قسم كرموز عدة مرات للسؤال واطلع على كشف أسماء المحجوزين وفى اليوم الثالث طلب من الحارس إلقاء نظرة على المحتجزين ربما يجد من يعلم شيئًا عنى وعندما فتح باب الحجرة سأل إن كان أحد يعرف شيئًا عن يوسف، وبدون أن أشعر أجبته بأنى موجود، وتركنى وذهب، واحضر معه ضابط صديق له قابل مأمور القسم

الذى أمر بإطلاق سراحى، وتصادف حدوث ذلك فى نفس الوقت الذى يتم فيه تغيير الحراسة، وكنت اقف فى صاله القسم مع والدى والضابط والمامور واراد الحارس ان يستلم بالشكل الرسمى نظرا لوجود المامور، وفتح باب حجرة الحجز وطلب من كل فرد الخروج والوقوف فى صالة القسم عندما يسمع اسمه وخرج جميع الموجودين داخل الحجرة ولم يخرج محمد على خضر لأنى كنت اقف فى الصالة وطلب الضابط من المامور أن يسمح لنا بالانصراف وانصرفنا دون ان يتنبه احد بأن يوسف هو محمد على خضر ولزم جميع من كانوا بالحجز الصمت ونفوا معرفتهم بشىء، وهكذا هربت بأمر المامور، ولم يعثروا على محمد على خضر رغم حضور رجال المباحث اكثر من مرة إلى الشركة للبحث وسؤال العمال وخاصة من كانوا موجودين معى بالحجز ولم يخبرهم احد رغم أنهم يعرفونى تمام المعرفة.

كانت هذه التجربة بداية الطريق لتدعيم علاقتى بعدد من القيادات العمالية ممن تعرفت عليهم أثناء الحجز، واشركونى معهم فى بعض اجتماعاتهم التى كانت تعقد لتنظيم عمليات الإضراب لتحقيق مطالبنا الاقتصادية، ولم يكن يظهر لهم اى ارتباط بالتنظيمات السياسية. ومن الأمور التى كانت تناقش بشكل دائم فى كل اجتماع الموقف من الأخوان المسلمين لمواقفهم العدائية ومحاولة تخريب الإضرابات واتهامهم بالشيوعية لكل من يدعو إليها، وكان اتهامهم لكل من يؤيد الإضرابات بانه شيوعى هو ما جعلنى احترم الشيوعيين واتطلع لكى اكون واحدا منهم، وكانت اخبار المعارك الحربية عن انتصار قوات المحور فى جميع الجبهات وتقدمها حتى أصبحت القوات الألمانية على مشارف الإسكندرية بعد احتلالها للعلمين وتراجع هذه القوات بعد الهزيمة التى منيت بها بعد غزوها للاتحاد السوفييتى وكان هذا الانتصار من العوامل التى جعلتنى أزداد حبا، وإعجابا بالشيوعية والشيوعيين متمنيا الانضمام إليهم، ولم اكن اعرف شيئا عن الماركسية أو عن التنظيمات التى تعتنقها.

فى هذه الفترة اسست الشركة ناديا رياضيا واشتركت فى فريق المصارعة الرومانية، وكان المدرب هو إبراهيم عرابى وتفوقت فى المصارعة فى وزن الذبابة فقد كان وزنى لا يتعدى تسعة واربعين كيلو، وشاركت فى بطولة الإسكندرية وحصلت على المركز الثانى.

وحدث أن نظم اتحاد المصارعة مباريات بصالة ملعب البلدية وتقرر مشاركتي بها وتم نشر إعلان دعائي يضم صور البطل العالمي إبراهيم مصطفى ومدربنا إبراهيم عرابي وصور لعدد من أبطال المصارعة وكانت صورتي ضمن هذه الصور، وتم لصق الإعلان على حوائط وابوب المصنع مما جعلني معروفا لعدد كبير من العمال وسهل ارتباطي بعدد كبير منهم.

بداية ارتباطي بالتنظيمات الشيوعية كانت في احد الإضرابات وكنا معتصمين داخل المصنع وانفرد بي احد الزملاء وسألني إن كنت أرغب في الانضمام لمجموعة تعمل لتنظيم العمال وتوعيتهم فرحبت بذلك، وكانت البداية، حضرت عدة اجتماعات مع بعض الزملاء وحضر احد الزملاء، واستمرت الاجتماعات لأكثر من شهرين لم تناقش خلالها سوى المشاكل اليومية داخل الشركة، وفي احد الاجتماعات اخبرنا بأنه تمت وحدة بين منظمة اسكرا ح. م وتشكل تنظيم باسم الحركة الديمقراطية (حدتو) ولم اكن اعلم من قبل إلى أي تنظيم ينتمي، وعلى ما اذكر تم توزيع منشور او اثنين (حدتو) بعد ذلك التقيت عن طريق احد الزملاء بزميل من التكتل الثوري هو الزميل انور عبدالملك وكنت اعرفه باسم سيف وهاجم تنظيم حدتو لأنه يتبنى خط القوات الديمقراطية، وشرح خطورة هذا الخط، ولأول مرة بدأت اشعر بانتمائي إلى الفكر الماركسي بعد شرح الزميل وبعد ان قرأت خط التكتل الثوري الذي طلب مني الزميل سيف قراءته لمناقشته، واستمرت علاقتي بالتكتل لفترة، وقويت علاقتي بالزميل سيف، وكان لقاؤنا يتم على انفراد، بعد ذلك اتصل بي زميل آخر وافهمني خطورة التكتل وطلب مني الانضمام لصوت المعارضة الداخلية. وشرح لي خطورة خط القوات الديمقراطية وان التكتل الثوري يطبق نفس الخط، وطلب ان ارتب لقاء بينه والزميل سيف بحضوري وتم اللقاء وبعد مناقشة مستفيضة اعترف الزميل سيف بأن التكتل خطأ تنظيمي وان خط التكتل هو ايضا خط قوات ديمقراطية. وأبدى استعداده لحل التكتل والمشاركة في قيادة صوت المعارضة فرفض الزميل طلبه واشترط عليه الدخول كأعضاء عاديين، وانتهى اللقاء بوعد من الزميل سيف بدراسة الأمر، وكان الزميل الذي اجرى المناقشة هو الزميل توفيق حداد، وكنت اعرفه باسم جبران، كان هذا اللقاء نقطة

تحول كبيرة بالنسبة لى فبعد اعتراف الزميل سيف بخطأ كل ما كان يدافع عنه فى جلسة واحدة اقتنعت تماما بموقف صوت المعارضة من الجانب السياسى والتنظيمى. بعد ذلك تعددت لقاءاتى بالزميل جبران وشرح لى أسباب الخلافات داخل حدتو وتكوين القاعدة المشتركة لعمل مؤتمر تاسيسى.

خلال هذه الفترة وعن طريق الجلسات المستمرة مع الزميل توفيق حداد بشكل خاص إلى جانب عدد من الزملاء وبفضل الدراسات المكثفة لأسس الماركسية اللينينية شعرت بانى ولدت من جديد وخرجت من الظلام إلى النور، وكان لقرارات المؤتمر التى اعلنت عن مولد تنظيم يحمل اسم المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م) وتوقيع جميع المطبوعات والمنشورات والملصقات باسم المنظمة الكامل جعلنى اشعر بالفخر لانتمائى إلى تنظيم يعلن فى مطبوعاته عن وجود الشيوعيين المصريين.

واستمديت منه القوة والنشاط فقمت بتجنيد العديد من العمال، وشكلت منهم خمس خلايا كل خلية مكونة من ثلاثة أفراد واوصلت عددا منهم لزملاء مسئولين فى التنظيم وكان من بينهم زميلات مصريات وأجنبيات قاموا بتربية وتوعية العديد من العمال، وكانوا محل تقدير واحترام من الجميع رغم الصعوبات التى واجهتهم.

كنا نقوم بدراسة كافة المشاكل التى تواجه العمال ومطالبهم ونرفعها إلى التنظيم وطالبنا التنظيم بكتابة مانواجهه من مشاكل للقضاء عليها فى شكل منشور تتم صياغته بمعرفتنا وأسلوبنا وان عليهم مراجعته لتصحيح الأخطاء إن وجدت وطبعه لتوزيعه، وكان لذلك اثر كبير فى صفوف العمال فقد وجدوا عند قراءتهم للمنشور أنه يعبر عن كل ما يرونه بأعينهم وما يعتمل فى نفوسهم وبالأسلوب الذى يرتاحون إليه، وقمنا بتنظيم نشاطنا بشكل سرى فى مختلف المجالات، ففى الدعاية الانتخابية لمجلس إدارة النقابة كان لنا تاثير كبير فى إنجاح اعضاء معروفين بميولهم اليسارية امثال عبدالمنعم إبراهيم ومحمد صادق، وفى المشاكل الاقتصادية والإدارية داخل الشركة كانت المنشورات التى كنا نقوم بصياغتها ويجدها العمال بين أيديهم ترد على تساؤلاتهم فى مختلف المشاكل، وفى الجانب السياسى كان التنظيم يركز حملته فى الهجوم على الأحكام العرفية فلم يكن يمر اسبوع دون توزيع منشور، ذلك إلى جانب الملصقات التى كنا نقوم بلصقها على صناديق الغزل والحوائط وداخل دورات المياه، وكان ذلك يتم بخطة مدروسة بدقة

لضمان الأمان وحتى لايقبض على اى زميل وهو يقوم بعملية التوزيع او اللصق، فكنت استلم المنشورات فى المساء واسهر على تجهيزها للتوزيع فى الصباح فاقوم بطى كل منشور إلى اربع وتقسيمها بعدد الأفراد الذين سيشاركون فى التوزيع وغالبا ما كانت والدتى تقوم بهذه العملية وتطلب منى النوم لأنى ساستيقظ مبكرا واخرج فى وقت مبكر قبل مواعيد العمل والتقى باثنين من الزملاء حسب مواعيد محددة ليأخذ كل منهم الكمية المحددة لتسليمها لعدد آخر من الزملاء بحيث يشترك جميع الزملاء فى التوزيع، وكان على الجميع ان يكونوا موجودين داخل العنابر قبل باقى العمال ومع كل زميل خمسة منشورات فقط مطوية بحيث لا تلفت الأنظار وهى فى أيديهم ويبدا التوزيع فى الوقت المحدد والأماكن المحددة على ان ينتهى التوزيع قبل مرور خمس دقائق من الوقت المحدد وعدم الاحتفاظ باى نسخة من المنشور.

وإلى جانب المنشورات كانت الملصقات التى تحمل بعض الجمل والرسوم التى تهاجم الأحكام العرفية. اذكر على سبيل المثال رسم ليدين مكبلتين بالأغلال وتحته جملة الأحكام العرفية سجون ومعتقلات، الأحكام العرفية قيود على الحريات، الأحكام العرفية لخدمة اصحاب الشركات، الأحكام العرفية تفرض لحل النقابات، وكانت جميع المنشورات والملصقات توقع باسم المنظمة الشيوعية المصرية. وكان لهذه الحملة ردود فعل مختلفة فغالبية من يقع فى أيديهم المنشور كانوا يطلعون عليه غيرهم، وكان البعض من المعادين وكان أغلبهم من الإخوان الذين كانوا يثورون ويسبون الشيوعيين ويفقدون صوابهم عندما يشاهدون أسم المنظمة الشيوعية المصرية على المنشورات والملصقات.

ورغم توزيع الملصقات والمنشورات على فترات متقاربة. وردود الفعل بين الإخوان وإدارة الشركة، والرقابة الشديدة من رجال البوليس السياسى والجهود المكثفة لمعرفة من يقوم بها لم يتمكن البوليس وعملاؤه من كشف اى فرد منا.

وشعر الزملاء من حدتو بالقلق، وجاء الزميل الذى كان جندنى وكان مسئولا عنى فى حدتو، وطلب وقف المنشورات والملصقات، واعتبر ذلك استفزازا للعمال وهدد بالتبليغ عنى وطبعا لم نستجب للتهديد.

بعد فترة شعرت برقابة شديدة على جميع تحركاتى داخل الشركة وخارجها وتأكد لى أن الزميل الذى هددنى نفذ تهديده، واستمرت حملتنا ضد الأحكام العرفية ولم

تتوقف المنشورات والملصقات واصبحت اتوقع القبض على فى اية لحظة.

وطلب منى التنظيم الانقطاع عن العمل، وعدم الإقامة فى منزلى والإقامة فى مكان لايعرفه احد حتى افراد اسرتى فاخبرت والدتى وطلبت منها عدم الانشغال وانى ساطمئنهم من وقت لآخر. قضيت فترة اتنقل من مكان لآخر وارسل البوليس السياسى من يستفسر من اسرتى عن سبب انقطاعى عن العمل على انهم زملائى فى الشركة. واخبرتهم والدتى عدم معرفتها، وطلبت منهم إخبارها إذا علموا شيئا عنى، واستمر هذا الوضع حوالى اسبوعين. كنت دائم التنقل من مكان لآخر، كنت اقضى الليل على الكراسى بمحطة السكة الحديد، واذهب إلى المساجد فى الفجر حتى اتمكن من غسل وجهى، وكنت دائم الاتصال بزملائى من العمال، كان والدى دائم البحث عنى والتقى باحد الزملاء الذى اراد ان يطمئنه واخبره بالموعد الذى سنلتقى فيه. وحضر والدى وطلب ان اذهب إلى المنزل لرؤية والدتى وتغيير ملابسى وفى المنزل اقنعتنى والدتى بالإقامة بمنزل خالتى الذى لايعرفه احد. وافقت ومر اسبوع وشعرت بانى مراقب وان مكانى كشف فتركته، وطلب التنظيم ان اقيم مع احد الزملاء من العمال والذى يسكن بمفرده، وكان مصابا بالدرن، وامضيت عنده ليلة واحدة وغادرته وعاودت التنقل مرة اخرى، وكانت فترة مرهقة جداً، وكان التنظيم قد طلب منى البحث عن شقه مفروشة ولم أطمئن لعدم ارتياحى لمن سيجاورنى السكن او صاحب الشقة الذى يؤجرها.

وكان اتصالى بالزملاء فى الشركة منتظما ولم تتوقف حملة المنشورات والملصقات، ورغم ذلك كنت اشعر بانى قد فقدت شيئا مهما جدا فى حياتى لعدم وجودى داخل الشركة وبين العمال والمشاركة الفعلية واليومية لحل مشاكلهم، وكان إحساسى بأنى قد انتزعت من الأرض التى نموت بها، وكالسمكة التى اخرجت من الماء، وحرمت من حرية الحركة بوضعها داخل إناء حرمها من ان تحيا حياتها الطبيعية.

لم يستمر هذا الوضع لأكثر من شهرين، وتم القبض على، وكنت على موعد مع زميلين من الشركة لمناقشة قرارات المؤتمر، كان موعدنا العاشره صباحا بميدان سانت كاترين قريبا من محلات هانو. التقينا ولم نسر سوى خطوات وشعرت بيد تجذبنى من ياقة القميص من الخلف وخطوت خطوتين دون أن التفت للخلف واشتد الجذب، ووجدت الزميل الذى على يسارى مقبوضا عليه بينما الذى على يمينى يفر هاربا،

وتأكدت فوراً أنه يعمل لحساب البوليس.

كانت القوة التى قبضت علينا مكونة من الصاغ ممدوح سالم واثنين من المخبرين وكان أول ما فكرت فيه هو الهرب والتخلص من قرارت المؤتمر الموجودة فى جيبى. وبسرعة أخرجت قرارات المؤتمر وقذفت بها بقوة حتى وصلت إلى محلات داود عدس، وانفكت يد المخبر عن ياقة القميص وأسرع لإحضار اللفافة التى قذفتها فحاولت الجرى فى الاتجاه المعاكس ولكن يدممدوح سالم كانت أسرع وامسك بى وأخذ يكيل لى الركلات واللكمات والسباب وأنا أقاومه، وتجمع عدد كبير من المارة للاستفسار ومشاهدة ما يحدث، ووضعنا داخل السيارة ووصلنا مبنى المحافظة (مديرية الأمن حاليا) حيث يوجد مكتب البوليس السياسى وبمجرد وصولنا لم أر زميلى، وتم عزلنا عن بعض وتم تفتيش ملابسى فوراً وكنت احتفظ بورقة صغيرة مدون بها أسماء حركية لسبعة من الزملاء والمواعيد المحددة للقائهم وقطعة صغيرة من قلم رصاص داخل الجيب الصغير للبنطلون.

وبدأت الاستجوابات. لماذا قذفت بالمطبوعات؟ وهل كان يوجد أحد لأخذها ومن أصحاب الأسماء السبعة؟ وما هى المواعيد والأماكن المحددة للقائهم؟ ولم تخرج الإجابة عن لم يكن معى مطبوعات ولا ورقة وقلم ولا أعرف الكتابة. كان سمير درويش هو من يوجه الأسئلة وممدوح سالم يبتسم إبتسامة عريضة من إجاباتى ويقول : «إحنا هنخليك تفتكر كل شىء وحنعلمك القراءة والكتابة حالاً».

وأثناء ذلك دخل شخص وانحنى على ممدوح سالم وهمس إليه ببعض الكلمات، ونظر ممدوح سالم إلى وهو يقول : "انت مصارع إحنا هندربك تدريب عمرك ماشفته" ونظرت إلى الشخص الذى حدثه فوجدته أحد المصارعين ويدعى محمد البربرى، وكان عضواً فى النادى وكان يصادقنى ويتقرب منى وكثيراً ما تدربنا معاً.

احتجزونى بطرقة دورة المياه الخاصة بهم ولها باب مغلق بمفتاح لايفتح إلا بمعرفتهم، وتركونى واقفاً، ولم تكن الساعة قدجاوزت الثانية عشرة وعلى فترات متقاربة أسمع المفتاح ويفتح الباب ويدخل أحد رجالهم ويوجه لى بعض اللكمات والصفعات على الوجه وفى البطن لتحطيم أعصابى، وبعد أن يتبول أويقضى حاجته يكرر نفس الاعتداء إلى جانب السباب بأقذر الألفاظ والتهديد ببشاعة التعذيب الذى

سوف القاه إذا لم انفذ كل ما يطلب منى واعترف بكل شىء، واستمر ذلك حتى الثانية بعد الظهر وبعد انصراف جميع الموظفين فى الطابق الموجود به مكتبهم اقتادوفى حيث يجلس سمير درويش وممدوح ساله، وكان هو الذى يقوم بالأسئلة والتهديدات واخبرنى ان زميلى الذى قبض عليه معى اعترف لهم بكل شىء. وبعد ان كرر اسئلته وتهديداته ولم يصل إلى شىء امر رجاله بنزع حذائى وتعليقى من اقدامى بالفلقة وامرهم بالاستمرار فى الضرب حتى اقرر الاعتراف، بعد ذلك امر بنقلى إلى حجرة مجاورة وطلب ان يسمع صوتى وانا اطلب الاعتراف ولا ادرى الوقت الذى استمر فيه الضرب حتى وجدته يامرهم بالتوقف، وفك اقدامى وإجبارى على الجرى فى الصالة وهى متسعة بطول المبنى، وطلبنى مرة اخرى وكرر طلبه بالاعتراف وانذرنى بأن التعذيب الذى لقيته مجرد شىء بسيط لما سيحدث بعد ذلك واننى لن اكون اقوى من محمد مالك الذى أجبروه على الاعتراف بكل شىء وهو يفصل منى عشرة (وكان قد تم القبض على محمد مالك الذى كان متهما باغتيال النقراشى قبل القبض على بأسبوع وبمعرفة ممدوح سالم) ولم اجب عليه فامر بتكرار التعذيب وعلقت بالفلقة مرة اخرى واستمر التعذيب لفترة اطول وطلب إحضارى بعد إجبارى على الجرى مرة اخرى. وكنت طوال هذه الفترة التى استمرت لأكثر من ساعتين افكر فى كيفية الهرب من هذا الجحيم وكانت حجرة مكتبهم بها نافذه تطل على حوش المبنى الخلفى وهو واسع يتم تجديد رخص السيارات داخله وله باب يؤدى إلى شارع ابى الدرداء وكنت اعرف المنطقة المحيطة معرفة جيدة وقررت بانى إذا تمكنت من الوصول لهذا الباب وخرجت منه لن يتمكن احد من اللحاق بى وهيات نفسى لذلك وعندما اقتادونى بعد الجرى للمرة الثالثة إلى المكتب لإعادة استجوابى وبمجرد ان رفع المخبران أيديهم عنى وقبل أن ينطق ممدوح بكلمة واحدة كنت قد انطلقت كالسهم قافزا من نافذة المكتب ولم أسمع سوى كلمة (يا ولد) التى نطق بها ممدوح سالم بعد ان قفزت وكانت قفزتى كما يقفز السباحون للغوص وبمجرد ان قفزت فوجئت بأن تحت راسى ساترا من الطوب الذى كان يبنى أمام الأبواب للوقاية من الشظايا أثناء الحرب العالمية الثانية. ولم يكن ذلك فى الحسبان وبحركة لاشعورية قمت بعمل دورة فى الهواء لتفادى الاصطدام به وفى الدوره الثانية كنت على ارض الحوش وبحرص المصارع على الا تلمس اكتافه الأرض

انهيت القفزة بكوبرى فلم تلامس أكتافى وظهرى الأرض وخففت الدورة الثانية من شدة الصدمة، أصبت بكسر بالفك الذى انطبق على الأسنان بشدة وادى لتكسير أجزاء من جميع الضروس وبعض الأسنان وجرح أسفل الذقن مازال أثره باقيا إلى جانب كسر بالحوض والذراع الأيسر واشتباه ارتجاج بالمخ ولم تتأثر الراس بالصدمة أو العمود الفقرى ولم افقد الوعى لأن ذقنى تحمل شدة الصدمة وفقدت القدرة على المشى أو الحركة نتيجة لإصابة الحوض، وكنت أعى لكل ما يحدث حولى من حوار اتذكر منه بعض الجمل مثل (ما متش اطلب الإسعاف أحضر حذاءه وضعه فى قدميه) كنت أسمع ذلك وانا مغلق العينين حتى وصل رجال الإسعاف وحملونى على النقالة، بعد ذلك لم اشعر بشىء من شدة الألم والتعذيب الذى تعرضت له طوال اليوم، استيقظت فى صباح اليوم التالى، وتم نقلى لعمل اشعه واظهرت وجود كسر بالحوض وتم عمل شورت من الجبس ولم يتم اى علاج لكسر الفك والذراع.

حضر وكيل النيابة العسكرية وكان يدعى مصطفى سيم لأخذ اقوالى، وتعمدت إظهار عدم استطاعتى الأجابة وقرر الطبيب أن حالتى لاتسمح. وحضر فى اليوم التالى وبدا اسئلته وكانت تنصب فقط حول الحادث. وكان السؤال الأول لماذا قفزت من النافذة؟

لم اقفز من النافذة لقد تم تعذيبى من الحادية عشر صباحا حتى الرابعة مساء حتى فقدت وعى من شدة التعذيب ولم أشعر إلا وانا بالمستشفى لقد اعتقدوا أنى توفيت من شدة التعذيب فالقوا بى من النافذة مدعين انى قفزت منها.

وكان السؤال الثانى اين هى آثار التعذيب؟

فاشرت إلى اقدامى المتورمة والإصابات الموجودة فى جميع أجزاء جسمى فكان رده لا يوجد اى آثار لتعذيب؛ ورفض تسجيل إجاباتى وانهى المحضر وطلب منى التوقيع فرفضت.

تحدد استمرار الجبس لمدة ثلاثة أشهر، وخلال وجودى بالمستشفى لم اكن أستطيع فتح فمى لتناول اى طعام فكانت والدتى تحضر يوميا ومعها زجاجات من عصير القصب والبرتقال وتجلس بجوارى لمساعدتى على الشراب، واخبرتنى أن ممدوح سالم حضر إلى المنزل وفتش الشقة بعد القبض على مباشرة وانها قامت بالتخلص من

المطبوعات بعد ان اغلقت عليه باب الحجرة هو ومن معه وفصلت التيار الكهربائى من الخارج مما جعلهم يتخبطون فى الظلام وتقع يد ممدوح سالم داخل صينيه بها سمك كانت تعده للطهو فثار وطلب ان يغسل يديه وخرج من التفتيش صفر اليدين، يداه ملوثتان برائحة السمك.

وقد حدث فى الأسبوع الأول من وجودى بالمستشفى ان حضر عدد من طلبة الطب فى المستشفى لدراسة حالات بعض المرضى فى العنبر، واتوا إلى سريرى واقترب احدهم وهمس فى اذنى ان اذكر فى التحقيق انهم هم الذين القوا بى من النافذة فاخبرته ان ذلك هو الذى حدث بالفعل، وكان لهذه الهمسة تاثير كبير فى رفع معنوياتى، وشعرت بسعادة بالغه لشعورى بأن التنظيم يقف إلى جانبى ويتابع ما يحدث لى.

بعد مرور أسبوعين بالمستشفى فوجئت بالحوار التالى أمام سريرى بين احد رجال البوليس السياسى ورجل يرتدى زى رجال الإسعاف. رجل البوليس يطلب منه إحضار النقالة لنقلى إلى السجن ورجل الإسعاف يرفض قائلا ان عمله هو إسعاف المرضى والمصابين ونقلهم إلى المستشفيات وليس نقلهم إلى السجن، ويرفض طلبه، ويتركه وينصرف كان الوقت حوالى العاشرة صباحا وحضرت والدتى وعندما أخبرتها انصرفت واحضرت ملابس وطعام حتى لا البس ملابس السجن والبسننى قفطان من التيل الأبيض كانت أعدته لذلك. وفى حوالى الثانية حضر اثنان من جنود بلوك الخفر ومعهم نقالة وضعونى فوقها وتذهب الممرضة وتحضر الطبيب ويطلب منها الكارتة التى يدون بها تطور حالة المريض وتعلق بالسرير وتبحث الممرضه ولم تجدها وتخبر الطبيب باختفائها فيعترض على نقلى وخروجى وله يعره احد اى اهتمام وامر رجل البوليس السياسى الجنود بنقلى وحملونى إلى سيارة نقل تاتى بالطعام للجنود المكلفين بالحراسة داخل المستشفى ووضعونى بالنقالة على ارضية صندوق السيارة وانطلقت إلى سجن الحضرة، وما ان وضع الجنود النقالة امام بوابة السجن حتى وجدت والدتى ترتمى على وتحتضننى، وتخبرنى بانها قدمت طلبا لألبس وآكل ملكى، وانها ستحضر يوميا لإحضار الطعام، وفتحت بوابة السجن لأدخله محمولا على نقالة ووضعت منفردا بداخل زنزانه بعد فترة حضر طبيب السجن وعندما اخبرته بانى لا استطيع فتح فمى لتناول الطعام.

قرر صرف لبن ومرتبة من القش، واعتقدت ان الأمور تسير بشكل طيب، وتبخر هذا الإحساس قبل مرور اربع وعشرين ساعة. فقد احضروا المرتبة فى الحال مع جردل للماء وآخر للبول ومعهم رغيف من الخبز لأن صرف اللبن يبدأ من اليوم التالى واغلقت الزنزانة وتمر الليلة الأولى بدون طعام اوماء لأن جردل الماء وضع بعيداً عن متناول يدى، ولا استطيع الوصول إليه وفى صباح اليوم التالى اتونى بقراونة بها لبن واخرى بها ارز باللبن، وطلبت نقل جردل الماء وجردل البول قريبا من متناول يدى، وتناولت بعض الماء، وحاولت تناول بعض الأرز فلم أستطع، تناولت قروانة اللبن وشربتها عن آخرها. وبعد بضع ساعات شعرت بمغص وآلام شديدة بالمعدة واصبت بحالة شديدة من الإسهال، وجذبت جردل البول، وحاولت وضع جسمى، فوقه فلم استطع لأنه مرتفع والجبس الملتف حول وسطى يعوقنى عن الانحناء او الارتفاع بمستوى الجردل، وكان يوجد معى منديل اخرجته بسرعة ووضعته تحت جسمى وبعد جهد تمكنت من رفع جسمى. قليلا بالتحميل على ذراعى واقدامى، وتخلصت من جزء من الفضلات التى كانت تتصارع داخل معدتى، وجذبت المنديل بحرص ووضعته فى جردل البول، وكانت قطيعة بينى وبين الطعام بشكل عام، حتى الماء كنت اتناوله بحرص شديد حتى لا يسبب لى مشاكل مع جردل البول، ورغم الحرص الشديد فإن الأمر لم يسلم، فكنت عندما اضطر إلى ذلك أجذب الجردل قريبا منى واثنى اقدامى وادفع بالجردل تحتهما ثم ارفع جسمى من الخلف محملا على كيعانى حتى استقر فوق الجردل وكان جسمى يظل مفروداً ولا استطيع ثنى وسطى لأعلى، وعند ماحضر الطبيب طلبت نقلى إلى مستشفى السجن او تغيير جردل البول بوعاء مما يستخدمه المرضى ملازمى الفراش بالمستشفى فوعدنى عدة مرات ولم ينفذ، ويمر اسبوع لم اتناول خلاله سوى قليل من الماء، وكان كل صباح عند فتح باب الزنزانة يحضر احد المساجين لتنظيفها وتغيير جردل الماء والبول وكان المساجين يتسابقون للقيام بذلك للحصول على كمية اللبن الموجودة فقد كان يصرف لى لتران من اللبن يوميا، خلال هذا الأسبوع انتشرت الحشرات من المرتبة المحشوة بالقش وزحفت لتسكن داخل الجبس الذى كان يبدأ من الوسط فوق الحوض وينتهى فوق الركبتين ومبطنا بطبقة من القطن تفصل بين الجلد والجبس الذى يرتفع قليلا فوق المعدة مما سهل التسرب إلى داخله لجميع انواع الحشرات من بق وبراغيث وقمل

والإقامة بين القطن لتنهش فى جسدى وتمتص دمى، وحرمتنى من النوم لشدة الألم فكنت اتمنى ان تغمض عيناى ولو لفترة قصيرة حتى لا اشعر بهذه الآلام وهذا الجحيم الذى كنت اعيشه، لقد انسانى هذا العذاب جميع مشاكلى الأخرى، وطغى على مشكلتى مع الطعام وجردل البول، وأصبحت معركتى الوحيدة تنصب فى القضاء على هذه الحشرات، فكنت ابدأ إغلاق باب الزنزانة فى جذب القطن من داخل الجبس لتخرج قطع القطن يغلب عليها اللون الأسود من كثرة الحشرات الساكنة بها واضعها فوق الجزء المغطى للمعدة من الجبس، واضغط على الحشرات باظافر اليدين محاولا القضاء عليها فانتصر على جزء ويتسرب الجزء الآخر داخل الجبس مرة اخرى، وواصلت هذه المعركة كلما واتتنى الفرصة، واستمريت فى دفع أصابعى حتى تصل إلى الأجزاء الضيقة والملتصقة بالجسم حتى اتمكن من الحصول على اى قطعة من القطن حتى تقيحت جميع اظافرى وتحول لون الجبس الأبيض إلى الأحمر من كثرة دماء الحشرات التى قتلتها فوقه، وفشلت جميع المحاولات التى بذلتها للقضاء على غزو الحشرات وازدادت المعاناة، وضعفت المقاومة بعد أن تورمت أصابعى فقررت التخلص من الجبس وليكن ما يكون.

وكان الجزء الخلفى من الجبس فوق المقعدة على شكل حزام يتصل بالجزء المغطى للبطن لضمان ثبات الشورت وعدم تحركه من مكانه وكان يوجد كوب من الصاج لشرب المياه وله يد. فاستخدمت اليد فى نشر الحزام وكنت أقوم بذلك ليلاً حتى تمكنت من كسر الحزام ودفعت بالجبس إلى خارج جسدى وكانه شورت عادي. وكانت سعادتى لاتوصف لنجاحى فى الخروج من الجبس وشعرت انى قد اطلق سراحى واستطيع تناول الطعام والتعامل مع جردل البول ومقاومة الحشرات والاستمتاع بالنوم الذى حرمت منه، تم ذلك بعد مرور عشرة ايام تقريبا ومرت بى كسنوات، وكنت البس الجبس فى الصباح قبل فتح السجن واخرج منه فى المساء بعد تمام السجن، واخذت اتدرب على المشى ليلاً داخل الزنزانة بامل التمكن من الهرب عند الخروج إلى المستشفى لنزع الجبس، وجاء الموعد ونقلت من الزنزانة إلى سيارة الإسعاف لنقلى للمستشفى، وعندما وضعت النقالة داخل السيارة وجدت والدتى بداخلها، ورافقتنى حتى المستشفى، وفى الطريق اخبرتها بانى كسرت الجبس واستطيع المشى وطلبت منها محاولة إقناع الطبيب بتاخير نزع

الجبس إلى صباح اليوم التالى حتى أتمكن من الهرب، وجاء الطبيب وطلب من الحرس المرافق الأوراق المدون بهـا تاريخ نزع الجـبس، واتضح أن إدارة السـجن أهملت ولم ترسلها، فطلب إحضارها والعودة فى اليوم التالى، وحاولت والدتى إقناعه بأن ابقى فى المستشفى لليوم التالى فرفض لأن ذلك ليس من سلطاته. وخرجت فى اليوم التالى وتم نزع الجبس، ولم يستغرق وجودى بالمستشفى اكثر من نصف ساعة وفشلت فكرة الهرب.

كانت المعاملة فى السجن فى غاية السوء فقد كان يطبق علينا الحبس الانفرادى، وتترك الزنزانة التى على اليمين خالية وكذلك التى على اليسار والتى فوقنا بالدور العلوى حتى يصبح كل فرد منا معزولا بشكل كامل عن الجميع، ونخرج للطابور فى الصباح فردا فردا بحراسة سجان خاص ولفترة قصيرة جدا وممنوع علينا الحديث مع السجان او اى شخص آخر ،وتتم معاقبة كل من يحاول الحديث معنا من المساجين أو السجانين، وكنا نعامل معاملة المحكوم عليهم بالإعدام.

ولم تتغير هذه المعاملة إلا بعد أن ازداد عددنا مما اضطر إدارة السجن إلى شغل الزنازين الخالية والسماح بالخروج للطابور ودورات المياه لأكثر من فرد فى وقت واحد. وكان للشكاوى المتكررة منا ومن الأهالى فى الخارج وبعد أن نظمنا إضرابا عن الطعام اثر كبير فى تحقيق بعض المكاسب فتم إلغاء الحبس الانفرادى وفتح الأبواب لفترات اطول، وتوزيع الطعام الملكى على الجميع، وتنظيم عملية التسكين بحيث يقيم أعضاء كل تنظيم بزنازين مستقلة، وتمكنا من عمل علاقات طيبة مع بعض المساجين وخاصة ممن كان يقبض عليهم فى الإضرابات التى كانت منتشرة فى هذه الفترة وتم تجنيد عدد منهم. ورفضنا تطبيق لائحة السجون الطبقية التى تفرق بيننا فى المعاملة بحيث يعامل المثقفون بحرف (أ) فتصرف لهم أسرة وغذاء أفضل ويعامل العمال بحرف (ب) فينامون على البرش ويصرف لهم غذاء السجن العادى مع أنهم يحاكمون فى قضية واحدة. وطالبنا بتحسين المعاملة للجميع، ونظمنا زيارات للزملاء الذين تقيم اسرهم خارج الإسكندرية ولايحضر لزيارتهم احد. فكانت والدتى تقوم بعمل زيارات لهم وتحضر طعاما باسمائهم وبكميات كبيرة حتى يتوفر لأكبر عدد. ونظمنا عملية الاتصال بالتنظيم فى الخارج وتولت والدتى مسئولية الاتصال التنظيمى فكانت جميع اتصالاتنا بالتنظيم تتم عن طريقها، وكانت تستخدم أساليب متعددة لمدنا برسائل التنظيم وتوصيل رسائلنا

إليه، ونظمنا ترديد نشيد التنظيم الذى ألفه الزميل محمود المستكاوى بحيث نبدأ فى ترديده يوميا فور سماع الجرس الأول لفتح السجن كل صباح فى جميع الزنازين فى وقت واحد وبأعلى صوت. فكان صوتنا يدوى فى جميع أنحاء السجن والمنطقة المحيطة به وأصبح المساجين يرددون لحن النشيد، وحاولت الإدارة منعنا من إلقائه بالتهديد، ولم نتراجع، وأذكر بعض أبيات من النشيد الذى كان يلهب حماس الجميع وتبدأ بكلمات :

رغم الإرهاب والكبت الزايد	رغم الخيانة والتخريب
والحكم العرفى وظلمه السايد	رغم المحاكم والتعذيب
م ش م قامت تنادى	هيا نحطم الاستغلال
فيا جياع ضموا الايادى	هيا لنهدم رأس المال
ف شبرا الخيمة وف المحلة	ف إسكندرية ف خط النار
ثقف كتيبة الطبقة العاملة	عشان تقود جيش الثوار

وحاول الزملاء من حدتو إقناعنا بالعدول واعتبار موقفنا يستفز الإدارة، وقدم الإخوان المسلمون شكاوى لإدارة السجن ولم نتراجع كما جاء فى نهاية النشيد.

لافيه تراجع ولا مذلة	ولا تهاون بل إصرار
تنظيم حديدى يقود الثورة	ويفنى حتما رأس المال

المقاطعة : كان قرار مقاطعة جميع التنظيمات نابع من أن هذه التنظيمات تسيطر عليها قيادات خائنة تعمل لتخريب مسيرة الطبقة العاملة لبناء حزبها الطبقى عن طريق الانقسامات والانحرافات السياسية وتبنيها لخط القوات الديمقراطية، وأن ما تقوم به لا يقل خطورة عما تقوم به أجهزة الدولة، ويجب أن نكشفهم لقواعدهم بمناقشة جميع الأعضاء غير القادرين وضم من يقتنع بخطنا وموقفنا إلى صفوفنا، وقد نجحنا فى ذلك، فبعد مناقشات مع عدد من زملاء حدتو اقتنع الزميل سيد عطية وانضم إلينا . وأذكر كذلك الشقيقين كليمان وجاك ليبوفيتش كانا عضوين بحدتو وكان كليمان الشقيق الأكبر فى مركز قيادى وجاك هو الأصغر واقتنع وانضم إلينا ونفذنا قرار المقاطعة فقاطع جاك أخاه وكانت أسرته تحضر لزيارتهم معا فطلب أن تكون زياراته منفصلة عن أخيه وأن يكون له طعامه مستقلاً عن أخيه.

وإلى جانب مقاطعة كافة التنظيمات، كان قرار مقاطعة جميع إجراءات التحقيق

والمحاكمة التى تتم فى ظل الأحكام العرفية وبمعرفة النيابة العسكرية والمحكمة العسكرية التى تتم فى ظل الأحكام العرفية، والمطالبة بإلغائها وتحويلنا إلى النيابة والمحكمة المدنية.

وكان قد سبق لتحقيق معى أمام النيابة العسكرية قبل قرار المقاطعة، وتم استكتابى حول قطعة صغيرة من الورق يدون بها بعض الأسماء الحركية ونفيت صلتى بها، وجاء تقرير خبير الخطوط ليؤكد أنى تعمدت تغيير خطى، وطلبتنى النيابة لأعادة استكتابى فرفضت وطالبت بتسجيل مقاطعتى لكافة الأجراءات التى تتم بمعرفة النيابة العسكرية وفى ظل الاحكام العرفية، وتحويلى للمحاكمة امام المحاكم المدنية، وقد استفز ذلك الموقف وكيل النيابة (وكان يدعى مصطفى سليم وقد اصبح بعد ذلك فى عهد الثورة محافظا لإحدى محافظات الوجه القبلى) واقسم بشرف امه ان يحاكمنى امام المحكمة العسكرية.. وقد بر بقسمه.

وتحددت جلسة المحاكمة، وكان الوفد قد تولى الحكم ومن المتوقع الغاء الأحكام العرفية ووعقدنا أجتماعا وناقشنا الموقف من المحاكمة ووتقرر ان أطلب من المحامى وكان موكلا ان يطلب التاجيل بهدف تاخير نظر القضية حتى تلغى الأحكام العرفية وفى حالة رفض طلبه لايتقدم للدفاع، ويترك الأمر لى. وفى نفس الوقت اعددنا الكلمة التى سوف القيها لمهاجمة الأحكام العرفية والمحكمة العسكرية.

وجاء يوم المحكمة كنت المتهم الأول والمتهم الثانى كان زميلاً من الغزل الأهلية، وقد اعترف فى التحقيق بأنى جندته ومسئوله فى التنظيم، واعترف بكل ما عنده وفى السجن نقد موقفه، واعترف بخطئه وابدى استعداده لتنفيذ كل ما يطلب منه أمام المحكمة، كانت الجلسة سرية، لم يحضرها سوى المحامين والشهود وهم رجال البوليس السياسى البكباشى سمير درويش والصاغ ممدوح سالم.

وبمجرد دخولنا قاعة المحكمة تعرفت على المحامى وطلبت منه ان يطلب التاجيل فقط ودخلت هيئة المحكمة وعلى راسها الفريق حسين طنطاوى وكان هو المكلف بنظر جميع القضايا الشيوعية سواء كانت فى القاهرة أو الإسكندرية واعلن بدء المحكمة فقام المحامى واعلن انه موكل عنى وطلب التاجيل للاطلاع.

وكان رد رئيس المحكمة "تطلع على إيه يا أستاذ القضية مفيهاش حاجة تطلع عليها،

واحد مسكوه ماشى فى الشارع ومش معترف بأى حاجة ومش محتاجة تاجيل" ونادى باسمى وبمجرد وقوفى وبصوت قوى ألقيت الكلمة التى كنت قد حفظتها عن ظهر قلب للهجوم على الأحكام العرفية والمحكمة العسكرية قائلا ، إن الأحكام العرفية تظلم فاشى هتلرى وضع للإرهاب ففى هذا النظام الجائر تتكاتف هيئات البوليس السياسى والنيابة العسكرية والمحكمة العسكرية للقضاء على المتهمين الشيوعيين، ويقوم البوليس السياسى بالقبض عليهم وتعذيبهم فقد قاموا بتعذيبى ومحاولة قتلى بإلقائى من نافذة المحافظة، ثم تلفق النيابة العسكرية التهم ضدهم، ثم يقدمون إلى هذه المحكمة الفاشية الإرهابية لتوزع عليهم سنوات طوال من السجن والأشغال أو لتحكم عليهم بالإعدام كما حكمت على زميلنا الشهيد صلاح بشرى. إن هذه الهيئات جميعها تعمل فى ظل هذا النظام الجائر ولذلك فقد قاطعتها، واعلن مقاطعتى لها اليوم، واطلب محاكمتى أمام محكمة مدنية، وفى أثناء إلقائى هذه الكلمة التى فوجىء بها الجميع وعندما وصلت إلى الجملة التى اتهم فيها المحكمة بقتل صلاح بشرى، خرج حسين طنطاوى عن وقار، واخذ يسبنى باقذر الألفاظ مثل اخرس يا كلب يا ابن.. والفاظ بذيئة اخرى ويسرع ممدوح سالم مندفعا نحوى موجها لى السباب واللكمات ويضع يده فوق فمى لمنعى من مواصلة الكلام وبمجرد ان رفعها اكملت كلمتى.

بعد ذلك وقف المحامى للدفاع فاعترضته صائحا، إننى أستنكر هذا الدفاع وارفضه إنه حلقة من المسرحية التى تمثل فى ظل الاحكام العرفية وامام هذه المحكمة الفاشية الإرهابية وعندما نودى على المتهم الثانى أعلن انه متضامن معى فى موقفى ورفعت الجلسة وعقدت بعد فترة للنطق بالحكم، وبمجرد النطق بالحكم كان صوتنا يدوى بالقاعة ،

"عاش كفاح الطبقة العاملة، تحيا المنظمة الشيوعية المصرية" وكانت محاكمتى هى أول محاكمة يطبق فيها قرار المقاطعة بالإسكندرية واعتقد انها كانت آخر قضية شيوعية تنظرها المحكمة العسكرية برئاسة الفريق حسين طنطاوى وفى ظل حكومة الوفد فعلى ما أذكر تم إلغاء الأحكام العرفية بعد ذلك بفترة وكان الحكم هو ثلاث سنوات لى وسنتان لزميلى وغرامة خمسون جنيها لكل منا.

وكما ذكرت خضنا العديد من الإضرابات وكان أكثر هذه الإضرابات إثارة هو

الإضراب الذى بدأناه فى يناير ١٩٥١ وكان حزب الوفد قد تولى الحكم، وكان مطلبنا الوحيد لإنهاء الإضراب هو الإفراج الفورى، وكنا قد بدأنا الإضراب عندما ألقى القبض على الزميل سعد الطويل وأحضروه إلى السجن وهو مضرب عن الطعام، وعزلته إدارة السجن بعنبر آخر بعيدا عنا وتكتمت أخباره حتى لا نشاركه الإضراب، وعلمنا فى اليوم التالى لوصوله، وتمكنا من الاتصال به، وأخبرنا بأنه اتخذ قرارا بالقيام بإضراب فى جميع السجون الموجود بها زملاء من التنظيم فى وقت واحد. وكان يعلم بموعد بدء الإضراب قبل القبض عليه، وتصادف إلقاء القبض عليه فى نفس اليوم المحدد لبدء الإضراب فنفذ القرار قبل وصوله إلى السجن، وكان لهذا الالتزام بتنفيذ قرارات التنظيم تقدير وإعجاب من جميع الزملاء، ولم نكن نعلم بالقرار بسبب انقطاع الاتصال بنا ونفذنا الإضراب فورا، وكان الزميل سعد ومن معه من الزملاء قد سبقونا بيومين وقد حدد التنظيم موعد بدء الإضراب ولم يعلن عن موعد إنهائه حتى لا يتسرب للمسئولين وكانت المدة المحددة خمسة عشر يوما كما علمنا فيما بعد ولانقطاع الاتصال استمر إضرابنا ستة وعشرون يوما والزميل سعد ومن معه من الزملاء ثمانية وعشرون يوما، وتوالت زيارات النيابه لأقناعنا بالعدول عن مطلب الأفراج واستبداله باى مطالب اخرى يمكن تنفيذها، ورفضنا وكانت الجرائد اليومية توالى نشر أخبار الإضراب يوميا، ونشر أسماء المضربين وحالتهم الصحية وخاصة بعد انتهاء الإضراب فى السجون الأخرى بعد مرور خمسة عشر يوما، وحضر وكيل النيابه ومعه الجرائد التى نشرت خبر انتهاء الاضراب فى السجون الأخرى فابدينا عدم ثقتنا بما تنشره الجرائد، وكان الأهالى يتجمعون يوميا امام مقر النيابة التى كانت تصرح لهم بزيارتنا لاقناعنا بإنهاء الإضراب، وتعددت زيارات والدتى التى كانت فى شدة القلق لإنقطاع الاتصال بها رغم التزامها بالحضور المستمر فى الأماكن والمواعيد المحددة فقد كانت هى الوحيدة المسئولة عن الاتصال بيننا وبين التنظيم.

وقد بعثت النيابة برقيات إلى جميع اسر المضربين وطلبت منهم الحضور بمقر النيابة فى الثامنة وطلبت منهم إقناعنا بإنهاء الإضراب لأن حالتنا الصحية ساءت جدا ووصلت لمرحلة خطيرة، وطلبت من كل أسرة اخذ بعض العصائر والضغط علينا بكل الوسائل لتناولها.

وتصادف فى نفس اليوم ان حضر احد الزملاء واعتقد انه كان محاميا ومعه طلب لزيارة الزميل سعد، وابلغه بقرار إنهاء الإضراب، وانهى الزميل سعد الزيارة وابلغنا بالقرار، وقررنا تقديم بعض المطالب لتحسين اوضاعنا لننهى بها الإضراب واعتقد ان الزميل سعد هو الذى ابلغ وكيل النيابة بإنهاء الإضراب وفى نفس الوقت حضر والدى ووالدتى ومعهم عصير قصب حضرت بعض الأسر وكان من بينها اسرة زميلة اجنبية وكانت مضربة عن الطعام قبل وصولها إلى السجن مثل الزميل سعد، وكانت هى الزميلة الوحيدة فى السجن، حضر والدها واحضر معه الأستاذ المحامى زهير جرانة، وحاول إقناعها وهو يبكى بإنهاء الإضراب ويحذرها بانها مصابة بمرض صدرى خطير قد يقضى عليها، ورغم الدموع المنهمرة على وجه والدها والمحاولات المستميتة من الاستاذ زهير جرانة أصرت على الرفض.

شاهدت ذلك وانا أجلس مع والدى ووالدتى بمكتب المامور، وكانوا يجلسون بجوارنا فى نفس الحجرة وموجود معنا وكيل النيابة الذى حاول إقناعها بان جميع زملائها قد انهوا الإضراب، واصرت على الرفض، وطلب وكيل النيابة منى تناول بعض السوائل امامه لإثبات ذلك بالمحضر وحتى ترانى وتقتنع بصدق ما يقول، ولم تغير من موقفها لعدم معرفتها بقرار إنهاء الإضراب، فوجهت إليها الحديث قائلا لقد تقرر إنهاء الإضراب، ولم أستطع مواصلة الحديث بعد أن وجهت لى نظرة إستنكار واحتقار لاعتقادها بأنى مدسوس من الإدارة لاستدراجها لإنهاء الاضراب، فلزمت الصمت وطلبت من وكيل النيابة ان يطلب الزميل سعد لأنه الوحيد الذى تثق به. وفعلا لم تنه إضرابها إلا بعد مقابلة الزميل سعد، واذكر هذه الواقعة لأثبات ان الزميلات مصريات وأجنبيات قد قدموا من التضحيات مالا يقل باى شكل عما قدمه الزملاء من الرجال وقد يتفوقون عليهم فى بعض الحالات، ويؤكد ذلك ما حدث فى نفس الإضراب.

فقد تاثر أحد الزملاء المخلصين والذى اكن له كل حب وتقدير عندما زارته والدته عدة مرات لأقناعه بالعدول عن الإضراب، وكانت تحضر من القاهرة ولم تثمر محاولاتها وعندما زارته بعد مرور عشرين يوما من الإضراب وكانت سيدة كبيرة فى السن، وكانت صحتها قد ساءت وبكت وتوسلت إليه ان ينهى إضرابه فلم يتحمل توسلاتها ودموعها ولخوفه الشديد على حياتها انهى إضرابه امامها، وخرج من الزيارة

حزينا ودموعه تسبق خطواته، ولم يستطع العودة إلى صفوفنا وترك زنزانته وتوجه للاقامة مع زملاء حدثو لشعوره بان مكانه اصبح خارج صفوفنا، هذا هو موقف زميل مكافح تغلبت عليه العوامل العاطفية والإنسانية وضعف.

وهذا هو موقف الزميله الأجنبية التى تعانى من مرض صدرى خطير وقاومت ولم تضعف والتى لم انشرف بمعرفتها فى يوم من الأيام وعلى ما أذكر -وقد اكون مخطئا ان اسمها ميمى سلفيرا.

ويبقى ان اذكر أن والدى لم يفارقه ما شاهده من موقف الزميلة ورفضها لتوسلات والدها رغم دموعه، وقارن بين موقفها وموقفى عندما انهيت الإضراب بمجرد لقائى به وبوالدتى فى الزيارة وبدون اى توسلات، وقد ذكرنى بذلك فى اول لقاء بعد الإفراج عنى، قائلا لقد كانت البنت ارجل منك واصرت على موقفها وتراجعت انت عن الإضراب بمجرد حضورنا.

إننى أذكر هذه الواقعة لأبراز ولو جزء بسيط من المواقف البطولية والمشرفة التى قدمتها المراة المصرية والأجنبية على حد سواء وما تحملته من صعاب، وما قدمته من تضحيات فى سبيل المبادىء التى تؤمن بها. لأضعها أمام أعين من يحاول عدم إعطائها ما تستحقه من تقدير واحترام.

وفى أواخر عام ١٩٥١ اشتدت المقاومة الشعبية لقوات الاحتلال البريطانى فى مدن القناة، وخاض رجال الشرطة معركة غير متكافئة مع قوات الاحتلال التى أستخدمت اسلحتها الحديثة ضد رجال الشرطة العزل الا من بعض البنادق المتخلفه التى لا تصلح حتى لصيد الطيور فى حين وقفت حكومة الوفد موقفا متخاذلاً فلم تحرك جنديا واحدا من قوات الجيش للوقوف إلى جانب رجال البوليس الذين صمدوا وقاوموا بشجاعة وسقط الكثير منهم شهداء فى المعركة، وكتبنا من داخل السجن احتجاجا نطالب فيه بمشاركة قوات الجيش ووقوفها لمساندة رجال البوليس، وبعثنا به للمسئولين عن طريق إدارة السجن.

الإفراج ، أفرج عنى فى أواخر ديسمبر ١٩٥١ وكانت مفاجاة لى عندما طلبنى ضابط العنبر واخبرنى بصدور قرار بالإفراج عنى بثلاثة ارباع المدة والاستعداد فورا لذلك. حيث أن الحرس المكلف باستلامى قد حضر، وفى خلال نصف ساعة كنت خارج

السجن بحراسة مشددة مكونه من صاغ واثنين من الجنود متجهين إلى مديرية الأمن حيث يوجد مكتب البوليس السياسى، واستفسرت من الصاغ الذى أخبرنى انه مكلف باستلامى للإفراج عنى وانه ليس من البوليس السياسى وأنه مدرب الموسيقى ببولك الخفر واستعانوا به نظرا لحالة الطوارئ وعدم وجود ضابط، وأبديت عدم ارتياحى لتسليمى للبوليس السياسى فاخبرنى انه لن يتركنى إلا فى القسم التابع له سكنى واننى مسئول منه، وكانت طريقة الإفراج المفاجيء تشغل تفكيرى طوال الطريق فلم يسبق ان افرج عن احد من الشيوعيين بثلاثة أرباع المدة، ولايتم ذلك إلا فى المناسبات حيث يتم الإفراج عن عدد كبير من المسجونين، ولا توجد اى مناسبات، ولا يوجد اى فرد آخر مفرج عنه غيرى، ولم يخرجنى من هذه التساؤلات سوى وصولنا إلى مكتب البوليس السياسى وكانت الساعة قد جاوزت الثانية ظهرا، ووجدت سمير درويش وممدوح سالم فى الانتظار وبمجرد دخولى المكتب تم الحوار الآتى مع ممدوح سالم.

إنت باه اللى بتنط من الشبابيك. وكان ردى، بيقولوا، كده. وكرر ردى وهو يهز رأسه، بيقولوا كده، وواصل حديثه قائلا، مولانا الملك أمر بالإفراج عنك بمناسبة عيد ميلاد الملكة ناريمان إياك باه، تقدر. وكان ردى إحنا بنقدر كل حاجة، وهنا تدخل الصاغ الذى حضر معى وطلب إن ينهى مهمته حتى يذهب لعمله فسمح له سمير درويش باخذى والانصراف، وأوصلنى الصاغ إلى قسم كرموز، وطلب من الضابط الموجود إرسال من يخبر أسرتى وتسهيل إجرءات الأفراج.

رفضت سداد الغرامة المحكوم بها وهى خمسون جنيها لقرار مقاطعة المحاكمة وكل ما يترتب عليها، وعملت مصاريف بالقسم من صباح اليوم التالى للإفراج من السابعة حتى الثانية ظهرا والخضوع للمراقبة من غروب الشمس حتى الصباح ورغم هذه القيود شعرت بحرية الحركة التى حرمت منها طوال فترة السجن فانطلقت بحماس أعيد اتصالاتى مع زملائى من العمال فى الغزل الأهلية فكنت انظم معهم اجتماعات بعد انصرافى من القسم، واستفيد من الوقت حتى غروب الشمس موعد المراقبة، وفى المساء انظم الاجتماعات، بالمنزل وتمكنت فى فترة قصيرة من اعادة العلاقات مع

العديد من الزملاء وتجنيد بعض الزملاء الجدد ممن لهم نشاط بارز فى نقابة الغزل الأهلية، وكان نشاطى فى هذه الفترة يختلف تماما عنه قبل فترة السجن فقد عرف الجميع انى شيوعى، فكنت فى جميع مناقشاتى ادعو للشيوعية وأدافع عنها، ففى القسم كان الجنود والموظفون والضباط يعلمون أنى شيوعى وكان بعضهم يطرح الأسئلة حبا فى الاستطلاع والمعرفة والبعض يناقش من وجهة نظر معادية. وابدى الجميع تعجبهم لإصرارى فى الاقتناع والدفاع عن الشيوعية رغم دخولى السجن والعمل مصاريف بالقسم والمراقبة المفروضة على، وكان العديد من أفراد الأسرة والجيران يحضرون لمناقشتى واخذ رأيى فى الأحداث السياسية التى تمر بها البلاد فى هذه الفترة، وكانت جميع تحركاتى ونشاطى تتم بشكل فردى فلم يكن قد تم اتصالى بالتنظيم، بعد فترة وصلتنى رسالة من التنظيم تطلب منى الهروب من المصاريف والمراقبة والسفر للقاهرة فى اقرب وقت، وقمت بالتمهيد لذلك بالترابيط بين الزملاء قبل السفر، وقبل الوقت الذى حددته للسفر بثلاثة أيام حضر ضابط من القسم ليلاً وطلب منى النزول إليه وكان ذلك امرا عاديا بخصوص المراقبة، وعندما نزلت طلب منى الذهاب معه إلى القسم حيث وجدت فى انتظارى أحد ضباط البوليس السياسى الذى اخذنى إلى مديرية الأمن وتم اعتقالى مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢ يوم حريق القاهرة.

بعد ذلك رحلت إلى معتقل النزهة البحرى، كان المعتقل يضم حوالى ثلاثمائة زميل من العديد من التنظيمات، وكنت الوحيد من م ش م ويجب ان التزم بتنفيذ قرار المقاطعة وعدم التعامل باى شكل من الأشكال مع الجميع، وفى نفس الوقت مقاطعة كافة الإجراءات التى تنفذها السلطة وإدارة المعتقل معتمدة على الاحكام العرفية، وعندما حاول بعض الزملاء التعامل معى ومحادثتى اخبرتهم برأيى ورأى م ش م فى تنظيماتهم، وانها تقوم بعمل تخريبى يضر بمصالح الطبقة العاملة ويخدم البوليس ومقاطعتى لهم جميعا لعدم انتمائهم إلى التنظيم الذى أنتمى إليه. وفى اليوم التالى طلبت مقابلة الضابط المسئول فى المعتقل وطلبت ورقة وقلم وسجلت احتجاجى على اعتقالى ومقاطعتى لكافة الإجراءات التى تستمد شرعيتها من وجود الأحكام العرفية، وطالبت بالإفراج.

كانت الحياة فى المعتقل افضل من الحياة داخل السجن فالنوم على أسرة بفرش نظيف، والطعام جيد، والزيارات افضل إلا ان ما عانيته من متاعب رغم قصر فترة الاعتقال يفوق كل ما عانيت طوال فترة السجن فقد واجهت حملة منظمه من الاستفزاز من اغلب الزملاء لإجبارى على التعامل معهم والتخلى عن موقفى، وكان لذلك تاثير سيء على اعصابى عانيت منه طوال فترة الاعتقال، وكانت القراءة هى الشيء الوحيد الذى أستعين به لتخفيف وطأة هذه المواقف على اعصابى فكانت والدتى تحضر معها فى كل زيارة شنطة من القماش مليئة بمجموعة كبيرة من الكتب والمجلات والروايات وتستبدلها بأخرى فى الزيارة التالية، وكتبت العديدمن الشكاوى اطالب بالغاء الأحكام العرفية والأفراج عن جميع المعتقلين، واكرر ذلك كلما جدت احداث مثل تغير الوزارات الذى كان يتم على فترات متقاربة جداً لعدم الاستقرار. وقد حدثت بعض المواقف الطريفة، اذكر منها، كان يوجد شخص معروف بعلاقته بالبوليس وكان معزولا ومقاطعا من الجميع وعندما وجدنى اقاطع الجميع حاول التحدث معى والتقرب منى فطردته فكان هو الوحيد المقاطع من الجميع وانا الوحيد المقاطع للجميع وكان الشاويش المكلف بحراسة العنبر يقيم بجوار منزلنا واسرته على صلة بوالدتى وراى والدتى، تحضر لزيارتى وعرف صلتها بى. وعندما لاحظ عدم تعاملى مع الزملاء اعتقد ان موقفى لايختلف عن موقف الشخص الاخر وانى ايضا مقاطع لعلاقتى بالبوليس، واخبر اسرته، واسرته اخبرت والدتى فحضرت لزيارتى وكان أول مانطقت به ما هى علاقتك بالبوليس؟ تعجبت لسؤالها فاخبرتنى بما حدث وعن السبب فى مقاطعة الجميع لى فشرحت لها الموقف.

وموقف آخر عندما ارسل البوليس السياسى مصوراً لالتقاط صور للمعتقلين، وسارع العديد لحلاقة ذقونهم وتغيير ملابسهم استعداداً لذلك، وتم اخذ صور للجميع ولم اتحرك من مكانى: وحضر المصور ليصورنى فرفضت وحاول البعض إقناعى وطبعا لم يجدوا اى اجابة، بعد ذلك حضر شاويش وسأل عن سبب رفضى فاوضحت له رفضى لأى إجرءات تتم فى ظل الأحكام العرفية فخرج وعاد ليخبرنى أن ضابط العنبر يطلبنى فتوجهت إلى مكتب الضابط وعندما خرجت من باب العنبر فوجئت بمن ينادى يازميل

يوسف والتقت خلفى بحركة لاشعورية وكان المصور يقف مستعدا والتقط الصورة المطلوبة، وتعالت ضحكات الجميع ابتهاجا بنجاح تدبيرهم وطبعا لم اذهب إلى مكتب الضابط. وكان الزميل حمدى مرسى هو الذى ردد اسمى، واطلق سراحى قبل مرور ستة اشهر ضمن الدفعة الثالثة من المفرج عنهم. ولم يمر اسبوع من خروجى حتى وقعت احداث ٢٣ يوليو١٩٥٢.

اعدت اتصالى بعدد من زملائى العمال بالغزل الأهلية وتمكنت بعد فترة من العمل بشركة كوتاريللى موزعا لمنتجاتها، وقد استفدت كثيرا من ذلك لتمكنى من الحركة السريعة على الدراجة والوجود فى اى وقت ومكان لعدم الالتزام بمواعيد عمل تقيد حركتى، فكنت اذهب لفرع الشركة يوميا فى الثامنة صباحا واغادره بعد ساعة محملا بمنتجات الشركة، وأعود فى الخامسة مساء، وقد أتاح لى ذلك الالتقاء بالزملاء وفى المواعيد التى تناسب ظروف عملهم وإخفاء المطبوعات مع منتجات الشركه، بعد فترة قطع الاتصال بالتنظيم، وانعكس ذلك بلقائى مع العمال فكان لقائى بهم يتم بشكل فردى فى إطار الصداقة العادية وبعدد محدود منهم، ولم يكن له اى شكل تنظيمى استمر ذلك فترة طويلة، بعد ذلك اتصل بى الزميل سعد الطويل واخبرنى أن التنظيم تفكك وان أعضاءه انضموا إلى تنظيم الراية، ولم اكن اثق فى اى تنظيم آخر، وبالمناقشة اقنعنى بانه يجب علينا الارتباط بتنظيم لمواصله الكفاح وانضمامنا لتنظيم الراية الهدف منه المساهمة فى الإسراع بتحقيق الوحدة لتكوين الحزب، وتمت الوحدة وأعلن تأسيس الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير ١٩٥٨.

وللأسف لم تتم الوحدة على أسس مبدئية وشابها العديد من السلبيات والأخطاء الخطيرة التى عجلت بنهاية الحزب وقضت عليه.

وكنت احد ضحايا هذه الأخطاء التى ارتكبت فى تحقيق الوحدة فقد دفع كل تنظيم بعناصر ليس لها علاقه بالماركسية ليثبت ان لديه من الأعضاء ما يفوق غيره بهدف الحصول على اكبر نسبة من المراكز القيادية والسيطرة على قيادة الحزب، وكان العديد من هذه العناصر قد دفع بهم البوليس ويعملون لحسابه، فقد قبض على فى كمين اعده احد هذه العناصر، فرغم حرصى الشديد خاصة بعد اعتقالات يناير ١٩٥٩ وكنت لا

التقى بأكثر من واحد وفى الطريق والجلوس فى أماكن مكشوفة على الكورنيش، وعدم حمل أى مطبوعات أو تدوين أى آراء أو ملاحظات، والاكتفاء بالمناقشات الشفوية وعندما توجد مطبوعات أضعها فى صندوق الدراجة ويتم توزيعها على الزملاء فى الطريق وانطلق فور تسليمها دون توقف ولا أشارك أو أقوم بأى عمل قبل التخلص تماما من جميع المطبوعات، وكنت على موعد مع أحد الأشخاص لتسليمه بعض المطبوعات التقيت به بشارع كرموز وهو قريب من منزلى وسلمته مجموعة من المطبوعات التى كانت معى فطلب الاستفسار عن بعض الأمور، وتوقفت للإجابة عليه وركبت الدراجة، ولم أسر لأكثر من ثلاثة أمتار حتى شعرت أن العجلة الخلفية خالية من الهواء توقفت لأراها، وفورا شعرت بيد تجذبنى، والتفت لأجد مخبرا من المباحث العامه يدعى عبدالجواد ونظرت لأجد الشخص الذى سلمته المطبوعات يقف مكانه وبجانبه صبى صغير ينظران ليشاهدا ما يتم وتأكدت فى الحال أنه مدبر الكمين وأن الصبى الموجود معه هو الذى أفرغ الهواء من العجلة أثناء توقفى للحديث معه، وأثناء اقتيادى إلى قسم كرموز حاولت التخلص من ورقه صغيرة دونت بها بعض المعلومات عن مشاكل العمال، أخرجتها من جيبى وكورتها بين أصابعى وأسقطها فى الطريق ولم يشعر المخبر بذلك، وعندما وصلنا إلى القسم استولوا على الدراجة التى يوجد بصندوقها باقى المطبوعات إلى جانب منتجات الشركة واحتجزت بمكتب ضابط المباحث بعد أن اتصل المخبر عبدالجواد برؤسائه وأخبرهم بالقبض على، ووجدت ضابط المباحث يعرض على الورقة التى تخلصت منها وأخبرنى أن صبيا صغيرا أحضرها له بعد أن ألقيتها فى الطريق، وسألنى بعد أن قرأها إن كنت أعمل صحفيا ثم مزقها وتخلص منها. وكانت أحداث القضية الأولى لها تأثير كبير على تصرفات المباحث العامة فلم يمر أكثر من نصف ساعة حتى حضر سيد فهمى وسعد عقل، وأخذونى فى سيارتهم وأجلسونى بينهم أحدهم على يمينى والآخر على يسارى حتى لا أحاول الهرب وتحدث سعد عقل قائلا إحنا قلنا إنك عقلت بعد أن تزوجت وعملت فرح كويس، ومنتظم فى عملك، ولم أعقب على كلامه، وكانت هذه هى الجملة الوحيدة التى وجهت لى، وتأكدت أن مراقبتهم لى لم تتوقف وكنت قد تزوجت آخر أكتوبر ١٩٥٨ وقبض على ٤ مارس ١٩٥٩

ولم يكن مر خمسة أشهر على الزواج، لم يتم استجوابى من المباحث، واتجهوا بى إلى نقطة شريف ووضعت فى حجرة بمفردى وعرضت على النيابة صباح اليوم، وحولت إلى السجن فى نفس اليوم بعد التحقيق معى واعترافى بالمطبوعات التى كانت بصندوق الدراجة وبعضويتى فى الحزب، ولم يقبض على أى زميل ممن كنت ألتقى بهم.

التقيت بالسجن بالزملاء محمد عويضة وكمال عبدالعاطى وإبراهيم سلام ومصطفى شعراوى، وكنا معزولين تماما ولا يوجد أى اتصال تنظيمى بنا كما كانت إدارة السجن تطبق علينا الحبس الانفرادى، وطالبنا بإلغائه، ورفض مطلبنا واقترح محمد عويضة أن نضرب عن الطعام، وبدأنا إضرابا استمر عشرة أيام، وكان مأمور السجن معاديا أذكر أن اسمه الحلوانى، طلبت مقابلته وأبلغته بإضرابنا حتى يتم إلغاء الحبس الانفرادى، وفى المناقشة أكد لى أن لديهم الصلاحيات التى تعطيهم حرية التعامل معنا وقتلنا والتخلص منا إذا لزم الأمر ولن يسألوا عن ذلك ولن يعرف أحد طريقنا ولازم تعرفوا أن الظروف تغيرت وواصلنا الإضراب، وفى اليوم الثامن طلبتنى النيابه لاستكمال التحقيق فأبلغت وكيل النيابة بمطلبنا وإضرابنا عن الطعام فكان رده أن إدارة السجن لم تخطرنا بشىء، وطلب إنهاء الإضراب على أن يبحث الأمر فيما بعد مع إدارة السجن، ورفضت إنهاء الإضراب ومرت عدة أيام، ولم ينفذ المأمور ماوعد وطلبت مقابلة نائبه، وفى اليوم العاشر طلبنى نائب المأمور وأبلغنى أن المأمور يطلب انهاء الاضراب وسوف ينفذ مطالبكم، بعد ذلك عرضت الأمر على الزملاء، ووافقنا وأنهينا الاضراب منه أن المأمور مصر على الرفض وانه كان يتحايل لتنهوا إضرابكم لأنه أخطأ بعدم إبلاغه النيابة بعد مرور ثلاثة أيام من الإضراب وعندما استفسرت النيابة بعد أن أخبرتها بالاضراب اضطر لذلك حتى لاتقع عليه المسئولية، انتظرنا حوالى الإسبوعين وبدأنا إضرابا آخر لم نشرك فيه مصطفى شعراوى لظروف وفاة والده، وقد علمنا بذلك من الزيارة، ورأينا عدم إبلاغه أو إشراكه مراعاة لمشاعره وحالته النفسية.

واستمر إضرابنا سبعة عشر يوماً، وفى مقابلة مع نائب المأمور علمت منه أن المأمور يرفض أى مناقشة خاصة بالإضراب وأنه أخطر النيابة فى الموعد القانونى وأخلى مسئوليته، وكان نائب المأمور يبدى استياءه وعدم موافقته على تصرف المأمور ورغم

مرور سبعة عشر يوما على الإضراب لم تحرك النيابة ساكنا واتخذت موقفا سلبيا من الشكاوى التى قدمت من أسرنا.

بعد عدة أيام من الإضراب خرج إبراهيم سلام، وبعد مرور عشرة أيام أمر المأمور بنقلنا إلى الزنازين المخصصة للمحكوم عليهم بالإعدام، وتشديد الحراسه علينا حتى لايتسرب إلينا أى طعام، وبعد يومين من نقلنا أبلغنا كمال عبدالعاطى أنه لايستطيع مواصلة الإضراب وكانت إحدى عينيه مريضه ولا يرى بها وشعر بزغللة فى عينه السليمة وأصبح لا يرى بوضوح ووافقنا على خروجه، واستمريت أنا ومحمد عويضة، وفى اليوم السابع عشر للإضراب جاءت أسرة مصطفى شعراوى لزيارته، وبعد انتهاء الزيارة طلب مقابلتى وأخبرنى أن والدته أخبرته بأن هناك تعليمات من الحزب بإنهاء الإضراب، بعد المقابلة طلبت من الضابط لقاء محمد عويضه لمناقشته وذهبت إليه وقد صدمت عندما رأيته يبدو كهيكل عظمى ووجهه أصفر وشكله يوحى بأنه سيفارق الحياة، لم أناقشه وأبلغت الضبط فورا بالموافقة على إنهاء الإضراب.

أعتقد أن الاضراب فى تلك الظروف التى كنا نمر بها كان خطأ من أساسه فقد كانت الحملة الشرسه ضدنا مشتعلة والاتهام بالعمالة للاتحاد السوفيتى وصل إلى ذروته فى جميع أجهزة الإعلام، والمسئولين وعلى رأسهم جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر، وتنشر الجرائد اليوميه على صفحاتها الأولى بالبنط العريض والحبر الأحمر اتهاماتهم لنا بالخيانة والعمالة مستخدمين أقذر الألفاظ والأساليب وتركيز الهجوم على الاتحاد السوفيتى فى نفس الوقت الذى كان يقدم فيه كافة المساعدات لبناء السد العالى وتصنيع البلاد.

ورغم مرور سبعة عشر يوما على الإضراب لم تتحرك النيابة لبحث الأمر، وكانت أسرنا من وسط عمالى شعبى لا تملك من الخبرة والاتصالات ما يفرض على المسئولين التحرك والاهتمام، فرغم الشكاوى المتعددة والحضور المستمر بمبنى النيابه لم تثمر جهودهم.. كما أننا لم نقم بدراسة سليمة قبل البدء بالأضراب لظروف كل فرد منا لحالته الصحية ومدى تحمله، ولم ندرس الفترة التى يجب تحديدها لأنهاء الإضراب، كما أن عددنا البسيط الذى لم يتخط أربعة أفراد كان له بعض التأثير، ولم تتغير المعامله بعد إنهاء الإضراب سوى فتح الابواب علينا لفترة أطول، وكان مصرح لنا

باستلام الطعام من اسرنا اثناء الزيارة التى كانت تتم أسبوعيا فنظمنا ان تتم الزيارة لكل منا فى يوم مختلف بحيث نحصل على الطعام خمسة أيام فى الأسبوع، وكانت ظروف اسر بعض الزملاء لاتسمح بذلك فتكفلت والدتى بإحضاره على ان يقدم بمعرفة الأسرة التى تقوم بالزيارة وبكمية كبيرة حتى يمكن توفيره للجميع، وكانت تحضر يوميا ومعها بعض الطعام لتضيفه إلى طعام الأسرة التى تقوم بالزيارة وتعرفت على اسر جميع الزملاء، أستمر هذا الوضع لفترة حتى حضر الزملاء فى قضية الحزب الكبرى وكان عددهم اربعة ستين ولايمكن تسكينهم انفرادى لتفادى ازمة السكن واجبر ذلك المامور على إلغاء الحبس الانفرادى بالنسبة لنا. وحدث فى إحدى الزيارات أن اخبرتنى والدتى بوجود رسالة وضعتها فى الطعام، لتسليمها للزميل فؤاد مرسى، دهشت ولم اسالها، وتحفظت على الطعام، وعزلت الجزء الذى به الرسالة على انه يخص الزميل فؤاد مرسى، وتكررت الرسائل عدة مرات، وفى إحدى المرات طلب منها توصيل رسالة عاجلة وكانت زيارتى تمت فى اليوم السابق. فسلمت الطعام الموجود به الرسالة لأسرة الزميل الذى سيزار فى نفس اليوم، واعتقد ان اسرة الزميل رات ان كمية الطعام اكثر من اللازم فاحتفظت بجزء منه وتصادف وجود الرسالة فى هذا الجزء وعلم به بعض الأسر فالتقوا بوالدتى ولاموها على هذا التصرف واخبرتنى بما حدث.

انتهت محاكمة القضية الكبرى ورحل الزملاء، وتمت محاكمة محمدعويضة، ورحل أيضا، وتم ترحيل باقى الزملاء إلى الواحات وبقيت بمفردى انتظر المحاكمة، بعدفترة احضر احد الأشخاص ووضع بالزنزانة بجوارى وعلمت انه شيوعى من ليبيا وعلمت منه إنه يدرس بالمعهد الدينى مع زميل آخر قبض عليه قبله، وانه اعترف وكان السبب فى القبض عليه، وقد تم عزله حتى لا يلتقى به ولا يعرف مكانه وكان شابا متفتحا على درجة عاليه من الوعى، كان يجلس معى فترات طويلة اثناء فتح الابواب، وتناقشنا فى امور كثيرة، وعلمت منه انه ليس له علاقة باى تنظيم داخل مصر وان التنظيم المرتبط به موجود بليبيا وكان اسمه يوسف عبدالله مشعيت من مصراته، فى تلك الفترة حضر الزملاء فى قضية حدتو، وبدات محاكمتهم، وعلمت من مناقشاتهم بعد عودتهم من أحدى الجلسات ان احد زملائهم قد اعترف عليهم ولم يعد معهم وتم نقله إلى سجن الإجانب تمهيدا للإفراج عنه واتذكر ان اسمه خليل الشاودى وله اخ فى نفس

القضية هو كمال الشلودى، وهو من قيادة التنظيم فى حدتو واذكر انى صافحت الزميل شهدى عطيه قبل سفره قائلا "شد حيلك"، وكان رده "شدوا حيلكم انتوا الشباب الذى نعتمد عليه".

تمت محاكمتى بعد ذلك بفتره قصيرة، وكان قد تم ترحيل الزمين الليبى. وفى المحاكمة لم انف الاتهام واعترفت بالمطبوعات التى ضبطت معى وانتمائى إلى الحزب، ولم اقدم اى دفاع سياسى، وكنت اشعر بالعزلة لعدم وجود اتصال بينى وبين الحزب، وصدر الحكم بالسجن خمس سنوات، ورحلت إلى الواحات كنت بمفردى بالسجن، وفى طريقى لنواحات قضيت يومين بسجن مصر والتقيت بزميل يدعى سيد ترك وكان فى طريقه للافراج بعد قضاء مدة السجن فى الواحات، وكنت سمعت باسمه من قبل كزعيم نقابى، تناقشت معه فى الأحداث السياسية وحملة الاعتقالات والهجوم الشرس الذى تشنه علينا أجهزة الإعلام واتهامات جمال عبدالناصر لنا بالعمالة للاتحاد السوفيتى، وفوجئت به يدافع ويؤيد كل ما يقوم به عبدالناصر حتى لو اعاد اعتقاله، تعجبت من هذا الإخلاص الشديد للحكم الديكتاتورى، وعللت ذلك بأنه قضى عدة سنوات معزولاً فى الواحات ولم يعش الأحداث الجارية، وتم ترحيله فى اليوم التالى واختفى واختفت اخباره ولم اسمع عنه او اراه مرة اخرى.

وفى اليوم التالى رحلت إلى الواحات، وعندما وصلت وشاهدت هذا العدد الضخم من الزملاء من كافة التنظيمات والمستويات وايقنت ان السلطة الحكمة قد اخترقت بأجهزتها جميع التنظيمات وقضت عليها لانعدام السرية التى يتحتم وجودها لبناء الحزب.

الحياه فى سجن الواحات، رغم وجود هذا التجمع الضخم الذى ضم قادة التنظيمات الشيوعية ورغم حملة التصفية الجسدية، وإهدار آدمية لجميع وإجبارهم على تحمل أبشع انواع التعذيب وتناول اسوا الأطعمة وإصابة عدد كبير من الزملاء بأمراض متعدده ولسوء التغذية مثل الأنيمياء والدستاريا، فإن ما كان يطبق فى سجن الواحات من تفرقة فى الحياة العامة اكد بما لا يدعو للشك ان اغلب القيادات ليس لها علاقة بالماركسية بوصفها نظام يسمح لكل من ينتسب إلى اسرة لديها الإمكانيات المادية لإرسال طرود الأغذية او إحضارها أثناء الزيارات بحق الاحتفاظ بنسبة منها

لتصرفه الشخصى وهدمت بذلك ابسط المبادئ الماركسية، لقد تساوى الجميع فى تحمل ابشع أنواع التعذيب وتناول اسوا الأطعمة، وفى اول بادرة للتخفيف من آثار هذه المعاناة تمت التفرقة بين المعدمين المحرومين من زيارة أسرهم وبين من لديهم الإمكانيات ممن يحصلون على نصيب اكبر من هذه الزيارات، وكأنما المساواه تسرى فقط فى الحرمان والتعذيب، إن الاشتراكية تعنى بناء مجتمع يحقق العدالة والمساواة فهل يعقل أن يعمل لتحقيق هذا الهدف النبيل من يرفض تطبيق ذلك على نفسه وبدات مرحله جديدة من الصراع الأيديولوجى فى داخل التنظيم الواحد وبين جميع التنظيمات، تعددت الاراء واختلفت وجهات النظر وتفاقمت ولم تسفر عن اى تقارب بل افرزت تنظيما جديدا شكله بعض الزملاء واطلقوا عليه اسم "الأفق" لقد انصب الصراع السياسى حول طبيعة السلطة وهل هى راسمالية وطنية ام راسمالية الدولة الاحتكارية، وهل هى ديكتاتورية عسكرية يجب ان نعمل لإسقاطها ام هى معادية للاستعمار وعلينا تاييدها والوقوف إلى جانبها، وما هى طبيعة الثورة القادمة وهل هى ثورة واحده ام ثورتان هل هى ديمقراطية شعبية او ثورة اشتراكية، وكانت حدتو فقط التى تؤمن بان على رأس السلطة مجموعة اشتراكية تعمل لبناء الاشتراكية، اشتعلت المناقشات فى كافة الاتجاهات كل قيادة تحاول اثبات جدارتها، وان رأيها وتحليلها هو التحليل الثورى الصحيح والوحيد.

إن الشىء الوحيد الذى لم تتطرق اى قيادة لمناقشته هو الأخطاء التى ادت إلى سقوط هذا العدد الضخم من الأعضاء والقيادات فى ليلة واحدة، ولم يخطر على بال اى منهم عمل نقد ذاتى لهذه الأخطاء، من المعروف ان كل تنظيم يجب أن يضع مسئولية الأمان فى مقدمة أعماله، وفى حالة القبض على اى فرد من اعضائه يتم فورا عمل تحقيق لبحث الأخطاء والأسباب التى ادت إلى سقوطه وتوقيع العقوبة على المتسبب، فهل عندما تسقط القيادات ومعها التنظيم ككل ويترتب على ذلك سقوط العديد من الزملاء شهداء من هول ما لحق بهم من تعذيب، الا يستوجب ذلك ان تحاسب هذه القيادات وان يتم عمل نقد ذاتى يعلن لجميع الأعضاء وتوقع العقوبات المناسبة على المخطئين؟

لم تهتم القيادات بعمل اى نقد يبرز هذه الأخطاء وحاولت إثبات وجودها بإثارة

مناقشات غير مجدية الهدف الوحيد منها هو اثبات صحة آرائها وتحليلاتها لكافة الأحداث، وتناست أنها عندما كانت تناقش موقفها من القوى السياسية في مجتمعنا، مع من تتحالف ومن نقف منه موقف العداء، إننا في الحقيقة لم يكن لنا وجود او ثقل يمكننا من فرض وجودنا بالشارع المصرى وان ما يؤكد ذلك هو عدم تحرك مصنع واحد صغيرا او كبيرا للاحتجاج على حملة الاعتقالات وعلى التعذيب أو الشهداء ممن فقدوا حياتهم، وإن دل ذلك على شئ فهو يدل على عدم وجود جذور للحزب فى صفوف الطبقة العاملة.

ورغم ذلك فقد كانت امامنا الفرصة التى لو استفدنا منها لكفرنا عن بعض الأخطاء التى ارتكبت.

فقد جمعنا سجن الواحات بعدد غير قليل من ابرز عناصر الطبقة العاملة وقادتها ولم تفكر القيادات فى اى يوم طوال فترة السجن فى عمل مدارس كادر لصقل هذه القيادات وتسليحها بالنظرية الماركسية ولنخلق منهم القيادات الواعية والقادرة على بناء الحزب وتحويل السجن إلى مدرسة للثوار.

وللأسف حدث العكس تماما فبدلا من خلق كادر ماركس تم ترك هذه القيادات العمالية للعمل بالمزرعة لتمهيد ونقل الأسمدة وتصنيع الطوب من الرمال لبناء مسرح، وعمل الأفران لطهو الطعام والإشراف عليها، والعديد من الأعمال التى لن تمدنا بالكادر الشيوعى الذى كان فى استطاعته بناء الحزب لو توفر له التوجيه الصحيح وفقدنا فرصة ارجو الا تتكرر فى يوم الأيام، ولكن علينا تقييمها لتقدير مدى الخسائر التى لحقت بالطبقة العاملة والشعب المصرى من جراء هذه الأخطاء. ان ما اشير إليه من اخطاء لا يعنى باى حال عدم التقدير لما تم تحقيقه من انجازات واعمال قيمة حازت تقدير الجميع واشاد بها المسئولون عن السجن على مستوى المحافظة، وإنما الهدف هو إبراز التقصير الجسيم الذى ارتكب بعدم الاستفادة من وجود القيادات العمالية المخلصة وتنظيم دراسة جادة لتسليحها بالنظرية الماركسية حتى تكون النواة الصلبة لإعادة بناء الحزب بمجرد تواجدها فى صفوف طبقتها.

لقد قادت السلطة الحاكمة معركة الصراع الطبقى بحنكة واقتدار فمنذ وجود التنظيمات الماركسية ورغم انحراف قياداتها، تم القضاء عليها بشتى الأساليب فبدات

منذ الأربعينيات بأسلوب السجون والمعتقلات، فلم تخلُ السجون طوال هذه الفترة وحتى يناير ١٩٥٩ من الشيوعيين، واستخدمت لتحقيق هدفها أساليب حديثة ومبتكرة مسترشدة بالأساليب النازية وخبرة وتوجيهات المنظمات العالمية (مكتب مكافحة الشيوعية بالشرق الأوسط) وبدأت برسم وتنفيذ مخططها لتصفية الحركة الشيوعية والقضاء نهائيا على تنظيماتها، ولما كانت وحدة التنظيمات الشيوعية وتكوين حزبها الواحد هو ما يتطلع إليه جميع الشيوعيين، فلا مانع أن يتم ذلك على أن يكون بداية الطريق للتصفية النهائية، وقد نجحت تماما فى تحقيق هدفها.

بدأت عملية الاتصالات والمناقشات لتكوين الحزب الواحد، واشتد الصراع والتنافس بين قادة جميع التنظيمات، فكل قيادة ترى أنها الأكفأ والأحق وأنها تمثل التيار الثورى الوحيد بين جميع التنظيمات ومن حقها الحصول على أكبر عدد من المقاعد فى اللجنة المركزية، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام أساليب غير شريفة لايمكن حدوثها وخاصة فى التنظيمات السرية التى من أهم العوامل لنجاحها المحافظة على أمان أعضائها، لأن التساهل فى السرية والأمان لا ينتج عنه سوى الانهيار. وكنتيجة حتمية لهذه التصرفات اللامبدئية تم كشف منظم لجميع الأعضاء للتأكد من عدد أعضاء كل تنظيم وعمل حصر شامل لعددهم، والزج بعناصر ليس لها علاقة بالتنظيم واستخدام أساليب التزوير التى تطبقها الأحزاب البرجوازية للحصول على الأغلبية فى أى انتخابات.

إن أغلبية تحصل على مراكزها القيادية عن طريق التزوير من المستحيل أن تحقق النجاح فى أى عمل تقوم به.

هذه الأساليب والأخطاء حولت الحزب وأعضاءه إلى كتاب مفتوح تحت أيدى السلطة الحاكمة. ومكنتها من القبض على المئات من قيادات الحزب وأعضائه فى ليلة واحدة، وانتصرت فى توجيه ضربتها الأولى للحزب، وفتحت سجونها ومعتقلاتها، ونظمت المحاكمات الصورية التى كشفت عن بعض العناصر الضعيفة والمريضة سياسيا، وبدأت بضربتها الثانية بإلقاء جميع من صدرت ضدهم أحكام ومن المعتقلين بدون محاكمة فى السجون والمعتقلات، وطبقت عليهم حرب الإبادة والتصفية الجسدية، وكان أوردى أبو زعبل من نصيب جميع الزملاء ممن قدموا للمحاكمة بالإسكندرية فى قضية الحزب

الكبرى وقضية حدتو الكبرى كما أطلق عليهما. والقى بالجميع سواء من صدرت عليهم احكام أو برئوا، وطبقت عنيهم ابشع اساليب التعذيب واعمال السخره واستشهد العديد منهم من شدة التعذيب، واستمرت المعاملة غير الإنسانية والتعذيب الوحشى لذى يفوق طاقة البشر، ولم تنته الضربة الثانية إلا بانتهاء حياة الزميل شهدى عطية، ولم تتوقف حملة التعذيب تلقائيا بعد قتل الزميل شهدى عطية فقد تم قتل عدد من الزملاء قبله وكانت شراهة المجرمين واستمتاعهم وتلذذهم بالقتل تزداد، ولم يحرموا من هذه المتعة إلا بعد ان انتشرت جرائمهم واصبحت حديث المجتمع الدولى والراى العام العالمى، وكان للجهود الخارقة التى بذلتها أسر الزملاء ومن بينهم اسرة الزميل شهدى ونجاحهم فى ان تصل صرخاتهم إلى الصحافة العالمية والمحافل الدولية هو ما اجبر السلطة الحاكمة على التخلى عن سياسة التصفية بالقتل بعد ان تم توجيه الاتهام لمتزعم وقائد حركة التعذيب والقتل ولم يستطع الإنكار كما سبق ان انكر وجود معتقلين، واضطر أن يامر وهو بالخارج بوقف التعذيب.

لقد توقف التعذيب نتيجة جهود اسر بعض الزملاء ممن لهم علاقات بالخارج، وللأسف لم يتم نتيجة اى ضغط او احتجاج داخلى من صفوف الطبقة العاملة او جماهير الشعب مما يؤكد أن الحزب لم يكن له جذور او جماهيرية فى الشارع المصرى، وتنتهى المرحلة الثانية بانتهاء القتل والتعذيب وتبدأ المرحلة الثالثة او الضربة الثالثة وهى عملية الإغراء والترغيب فبعد ان حطمت أجساد الجميع بالتعذيب، فتحت ابوابها للافراج المشروط بكتابة استنكار، فعلى كل من يرغب فى الإفراج كتابة اقرار يستنكر فيه جميع المبادئ التى ضحى من اجلها ووقف حياته ثمنا لتحقيقها ويعلن موافقته على كل ما تقوم به السلطة الحاكمة. وقد استخدمت أحقر الأساليب للوصول إلى هدفها بالاتصال باسر زوجات الزملاء للضغط عليهم بأن السلطة لا تمانع فى الإفراج عنهم فوراً إذا وقعوا على ورقة يعترفون فيها بخطئهم وبعدم عودتهم للارتباط باى تنظيمات، وعليهم اقناع ازواجهم وابنائهم بالكتابة حتى يفرج عنهم، وطلب من الأسر تهديد ابنائهم بالتخلى عنهم والزوجات بتهديد أزواجهم بطلب الطلاق لإجبارهم على التوقيع للحفاظ على أسرهم وعدم تشتيت أفرادها، وقد نجحوا فى بعض الحالات فسقط عدد قليل من الضعفاء وصمدت الأغلبية العظمى، وقد كان لما كتبه الشاعر

والمناضل الفلسطيني لعظيم معين بسيسو الذى كان معتقلاً معنا فى سجن الواحات مع عدد من المناضلين الفلسطينيين وهو يوجه إلى كل من تسول له نفسه الاستنكار صارخا حتى يستيقظ قائلا : اخضع للورقه، اغمس قلمك فى عينى طفلك، واكتب ما أمرك ان تكتب، واحذر أن يقع ظلك يوما على عتبة مصنع.

لقد كان لما ألقاه المناضل معين بسيسو من كلمات بصوته القوى ابلغ الأثر فى رفع معنويات الجميع، واصبح الجميع يرددون بحماس كلمات النشيد فى جميع الظروف والمناسبات، وكان له أثر كبير فى إفشال الضربة الثالثة.

وتبدأ الجولة الرابعة بالتخطيط لتوجيه الضربه القاضية للقضاء نهائيا على وجود الحزب، وبدات بعملية جديدة مدروسة بدقة للتلاعب بأعصاب الجميع وتحطيمها، فروجت السلطة لما يبشر بقرب الإفراج، وفى الوقت الذى تهيأ فيه الجميع نفسيا للإفراج خاصة بعد ترحيل عدد كبير من المعتقلين واستعداد الجميع لتنفيذ إجراءات الإفراج تقوم السلطة بقتل الزميل لويس إسحق والذى كان معروفا بموقفه الصلب ضد حل الحزب، والأمر الذى كان يناقش فى تكتم شديد داخل قيادة الحزب، ولأول مرة يتم القتل بالرصاص وبدون أى مبرر، وكانت صدمة شديدة كان لها تأثير سىء جدا على الحالة النفسية للجميع، وشعر الجميع بأن مصيرهم هو القتل وليس الإفراج، ويتواصل مسلسل حرب الأعصاب، ويتم ترحيل المسجونين على دفعات للإفراج إلى سجن مصر.

كنت قد قضيت مدة السجن بالكامل وهى خمس سنوات ودخلت إلى سجن مصر يوم ٤ مارس ١٩٦٤ قبل مقتل الزميل لويس إسحق: وامضيت فى سجن مصر فترة الحبس البسيط لعدم سداد الغرامة حتى ١٩ مايو ٦٤، فى تلك الفترة بدات إجراءات الإفراج عن جميع المسجونين، ووصلت الدفعة الأولى وهى تحمل الخبر السيئ عن مقتل الزميل لويس، وتوالت الدفعات وساد السجن حالة من الارتباك والتخبط وعدم الاستقرار، فكانت الدفعة التى تصل يتم ترحيلها مساء اليوم التالى إلى سجون أخرى، وبعد يوم نجد نفس الدفعه قد عادت مرة أخرى ويتم ترحيل دفعه أخرى، ونكرر ذلك عدة مرات واستمر هذا الوضع حوالى اسبوع قبل أن تستقر الأمور ويتم اعادة جميع من تم ترحيلهم مرة أخرى، وقد كان لهذه التصرفات أثر سيىء على الحالة النفسية للزملاء فسيطرت عليهم وأصيبوا بحالة من القلق الشديد وتوتر الأعصاب، وحاولت أن أحصل

على تفسير لما يحدث فذهبت إلى الزميل ابوسيف يوسف وسالته إن كان لديه تفسير لما يحدث، فابدى عدم فهمه قائلا لا ادرى ان كانوا سيفرجون عنا او سيعدموننا، وبعد ان تم التلاعب باعصاب الجميع وتحطيمها بدأت تمثيلية الإفراج المشروط (الافراج الصحى) فتم وضع منضدة فى صالة العنبر وجلس حولها مجموعة من الأفراد اعتقد ان بينهم أطباء، وكنا نراقب ما يتم من الدور الأعلى، ونودى على الزملاء الذين اصطفوا فى الصالة باسمائهم، وكان يوجه لكل فرد بعض الأسئلة ويتم كتابة التقرير الذى يطالب بالأفراج لسوء الحالة الصحية.

افرج عن الجميع، وكان ذلك هو المؤشر الحقيقى لحل الحزب.

لقد انتصرت السلطة فى معركتها الطبقية، وحققت ما كانت تصبو إليه، وإذا تتبعنا شريط الأحداث من اول يناير ١٩٥٩، نجد ان عملية القبض نجحت تماما وتبعتها المحاكمات التى كشفت نقاط الضعف عند العديد من الزملاء و تلت ذلك بحرب التصفية الجسدية مستخدمه ابشع الأساليب: وواصلت السلطة مخططها بطلب الاستنكار، وختمت كل ذلك بشن حرب بشعه من قتل وتحطيم الأعصاب وكانت إجابة سكرتير الحزب عندما سالته تفسيرا لما يحدث، بانه لا يعلم إن كان سيتم إعدامنا أو يفرج عنا تعكس بوضوح الحالة العصبية والنفسية السيئة التى وصل إليها الزملاء قبل ان يتم الإفراج الذى يعطى للسلطة الحق فى إعادة من تشاء ممن يركب راسه ويحاول العودة لتكوين تنظيم اوالانتساب او المشاركة فى اى عمل لا ترضى عنه السلطة إلى السجن لقضاء ما تبقى عليه من عقوبه، وقد كانت مددا طويله بالنسبه لبعض القيادات، فكان عليهم العمل فورا لتامين انفسهم من الوقوع مرة اخرى فى يد من لا يرحم، فاعلنوا ولاءهم الكامل لكل ما تقوم به السلطة واستعدادهم للمشاركة فى تنفيذ مخططاتها والعمل تحت قيادتها، وتبخرت فى الهواء المبادىء والنظريات والخلافات التى قضينا سنوات السجن فى مناقشاتها، واتفقت الآراء وتوحدت لتعلن القيادة استنكارها لكل محاولاتها لتكوين حزب للطبقة العاملة حيث إن على راس السلطة مجموعة اشتراكية، وإن وجود الحزب يعوق مسيرتها ولابد من حله والأنخراط تحت قيادة هذه المجموعة لبناء الاشتراكية، وتسابق الجميع لإعلان ولاؤهم ولإثبات انهم لايقلون عن تنظيم حدتو اقتناعا وايمانا بالمجموعة الاشتراكية. لقد أعترفوا بخطئهم

لقادة المجموعة الاشتراكية، وبقى ان يعترفوا بذلك لتنظيم حدتو الذى كان أول من اعتنق وآمن بقيادة المجموعة الاشتراكية.

وتم حل الحزب، وحصلت لسلطة على الاستنكار الذى طلبته، ولم يكن من أفراد اتابتهم لحظة ضعف، ولم يكن مجرد ورقة مطلوب كتابتها وإنما بالتطبيق العملى من اعلى مستوى فى قيادة الحزب التى فرضت قرارها على الجميع دون الرجوع لأخذ آرائهم، وكما سبق لهم التزوير للحصول على المراكز القيادية عند تأسيس الحزب كرروا نفس التزوير للحصول على الأصوات بالموافقة على حل الحزب، واذكر هذه الواقعه التى تؤكد ماذكرت، فقد كنت من الزملاء الذين مارسوا نشاطهم فور خروجهم، وكانت تضمنى مجموعة مع الزملاء متولى بحر وجوزيف وصلاح عبدالرحمن وفى أحد الاجتماعات اخبرنا صلاح بانه مطلوب منا التصويت على حل الحزب، وان يتم التصويت بالأسماء الحقيقية، واستفسرت عن سبب التصويت بالاسماء الحقيقية وكان جوابه ان الزميل فؤاد مرسى طلب ذلك حتى لا يدعى احد انه لم يؤخذ صوته. فأبديت اعتراضى على حل الحزب وعلى طريقة التصويت معلنا ان ذلك عمل بوليسى ليس له علاقه بالأمان، واتفق معى الزميلان متولى بحر وجوزيف نادر، فكان رد صلاح ان الحزب قد صدر قرار حله فعلا، وان اصواتنا لن تغير من الأمر شيئا. إذا فلماذا أخذ الاصوات على قرار اتخذ فعلا والإصرار على طلب التصويت بالأسماء الحقيقية؟

إنه الإيمان بمبدأ التزوير سواء اثناء تكوين الحزب اوحله.

فى اثناء وجودى بالواحات زارتنى والدتى مرتين، وفى الزيارة الثانية احضرت معها اخى وزوجته وكتبت باسمها زيارة للزميل حمدى مرسى على انها اخته وتمت زيارتنا معا اما فيما يتعلق بفترة السجن من بداية القبض على فى مارس ١٩٥٩ وحتى ٢٠ مايو ١٩٦٤ فاعتبر نفسى من المحظوظين، فقد رحلت من سجن الإسكندرية ووصلت سجن الواحات بعد انتهاء فترة التعذيب ولم اتعرض لأى اعتداءات او إهانات من رجال المباحث بعد القبض على لتاكدهم ان محاولاتهم لن تثمر وكان لأحداث قضيتى الأولى العامل الأساسى لموقفهم هذا.

قضيت مدة السجن كاملة ورحلت إلى سجن مصر، تم الإفراج عن الجميع وانقضت فترة حبس الزملاء الخاصة بعقوبة الغرامة، ولم يتبق فى سجن مصر شيوعى غيرى

حضرت والدتى لزيارتى فى هذه الفترة واستفسرت عن السبب فى عدم الإفراج عنى وكان قد تبقى شهر على انتهاء مدة الحبس، وكان الزميل نبيل الهلالى يتابع بعد أن افرج عنه أخبار الزملاء الموجودين بالسجن فارسل برقية لوالدتى يطلب منها تقديم شكوى للنيابة للإفراج عنى، قدمت الشكوى وارسلت النيابة إلى سجن مصر تطلب إفادتها عن السبب فى عدم الإفراج عنى، ووصل الطلب سجن مصر يوم جمعة فطلبنى الضابط النوبتجى وكان ملازما أول وطلب الموظف المسئول، وتم الحوار الآتى أمامى، الضابط يطلب اتخاذ الاجرءات للافراج وترحيلى لنيابة الإسكندرية والموظف يعترض بأن النيابة لم تطلب الأفراج وانما تستفسر واصر احد الضابط على موقفه وانه لايوجد مبرر لعدم الإفراج وان النيابة فى الإسكندرية هى صاحبة الشان، وتم ترحيلى فى نفس اليوم إلى قسم الخليفة ورحلت فى اليوم الثانى ٢٠ مايو ١٩٦٤ بحراسة أحد الجنود إلى الإسكندرية وعند وصولنا طلبت من الجندى ان نذهب اولا إلى المنزل قبل الذهاب إلى مقر المباحث العامه لإخطار اسرتى وإحضار بعض النقود فوافق على أمل أن يستفيد من ذلك، ذهبنا إلى المنزل وفوجئت بوجود صوان أمام المنزل استفسرت من احد الأشخاص فاخبرنى ان صاحب المنزل توفى اليوم وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة مساء طلبت من الجندى العودة إلى مقر المباحث قبل ان يرانى احد وهناك اخبرت الضابط المسئول بوفاة والدى وطلبت ان أحضر لأخذ العزاء، وافق واتصل بقسم كرموز وطلب أن يفرج عنى بمجرد وصولى على ان أسلم نفسى فى الصباح وارسل معنا احد رجاله الذى رافقنا حتى أطلق سراحى وصحبنى حتى المنزل وتأكد من صحة الخبر. تسللت إلى داخل المنزل من خلف الصوان وفوجىء الجميع بوجودى، وابدلت ملابسى وجلست بالصوان لأشارك فى اخذ العزاء وكانت مفاجاة المعزين وارتبك البعض فكان منهم من يعزينى بقوله مبروك والبقية فى حياتك لقد ادى قرار الحل إلى تشتيت الزملاء، واصبح لايربطهم سوى طرق الأبواب للحصول على عمل للقمة العيش والبعض حالفه الحظ والبعض فشل، وكان على السلطة أن تواصل مخططها للتصفية النهائية، فبعد أن اجبرتهم على التركيز للحصول على لقمة العيش، كان على السلطة لمواصلة مخططها للتصفيه بنجاح ان تستمر سيطرتها على تحركات جميع الزملاء وتوجيه اهتمامهم وتفكيرهم بعيدا عن طريق النضال، فالقت بشباكها فى شكل

تعويضات ماليه عن فترة السجن والاعتقال والتعذيب، وعلى كل من اضير ان يذهب للقضاء ليحدد له القيمة التى يستحقها، وسارع اغلب الزملاء لدخول هذه الشباك وتناول الطعم الذى القت به السلطة لاصطيادهم، واصبحت قضايا التعويضات هى الشغل الشاغل لهم والمسيطر على كل تفكيرهم وتحركاتهم ومتابعة الأحكام التى صدرت، واصبح تقييم الزملاء يقاس بقيمة التعويض الذى حصل عليه كل منهم، ومناقشاتهم تتم حول من صرف مبلغا اكبر او اقل، وكل ما كان يجمع بين الزملاء هو قضايا التعويضات فى مكاتب المحامين وليست قضايا النضال وحول المناضلين إلى منتفعين كل هدفهم الحصول على المال وقد كانت خطة محكمة فرضت نفسها على تفكير وتحركات الزملاء لسنوات فاقت عدد سنوات السجن والاعتقال، ولازالت حتى يومنا هذا تنظر بعض القضايا امام المحاكم.

فى نفس الوقت خطت السلطة خطوتها الحاسمة الديمقراطية وأصدرت قرارتها بتكوين المنابر وحولتها إلى احزاب واهدت الزملاء حزب التجمع، وكان هو المغناطيس الذى انجذب إليه غالبية الزملاء المتطلعين لوجود حزب يمارسون من خلاله نشاطهم السياسى فى اطار قانونى لايعرضهم للسجون والمعتقلات.

ونجحت السلطة فى تحقيق هدفها فى التصفية النهائية لمحاولات تكوين حزب ماركسى للطبقة العاملة، واخيرا لم يجد الزملاء أمامهم سوى كتابه ذكرياتهم فى شكل شهادات ورؤى، معلنين بذلك نهاية سيرتهم وعلى الأجيال القادمة ان تخوض معركتها من جديد.

إن من يكتب ذكرياته وشهادته يشعر بانه يكتب وصينه، واقترح إضافه كلمة وصايا، لتصبح وصايا وشهادات ورؤى.

لماذا فشلت جميع التنظيمات رغم تعددها؟ ورغم الفترة الزمنية الطويلة التى مارست خلالها نشاطها منذ الاربعينات، ورغم الظروف المواتية التى سادت المجتمع العالمى بعد ان تحقق النصر فى الحرب العالمية الثانية، وانهزام النازية على يد الاتحاد السوفيتى الذى حرر دول اوروبا الشرقية من الاحتلال، وساهم فى وصول الطبقة العاملة بها إلى الحكم، واثمر هذا النصر عن وجود راى عام عالمى يؤمن بالماركسية، وحقق للاحزاب الشيوعية والاتحادات العمالية القوة والجماهيرية.

لقد انعكس كل ذلك على مجتمعنا، فشعبنا الذى كان يخوض معركته مع الاحتلال البريطانى بجميع فئاته من عمال ومثقفين وطلبة وفلاحين، تأثر عدد غير قليل منه بالفكر الماركسى وبالنظام الاشتراكى الذى كان العامل الحاسم لتحقيق النصر فى الحرب العالمية الثانية.

وبدأ العديد من المثقفين، مصريين وأجانب ممن سمحت لهم ظروفهم بالاطلاع على النظرية الماركسية وتأثروا بها فى تشكيل بعض التنظيمات لنشر الفكر الماركسى بهدف تكوين حزب للطبقة العاملة، لقد غاب عنهم أن الشرط الأساسى لبناء الحزب ونجاحه هو تمسكه بمبدأ الصراع الطبقى الذى يحتم وجود القيادات العمالية الواعية والمسلحة بالنظرية الماركسية، والتى عليها أن تعمل على خلق طبقة عاملة منظمة ومدربة على القيادة تؤمن إيمانا كاملا بأن الحياة الكريمة لها ولأسرها من المستحيل تحقيقها إلا بوجود حزبها القوى الذى يقودها إلى وضع أسس النظام الاشتراكى الذى يؤمن لها الحياة الكريمة.

لقد وقعت جميع التنظيمات فى خطأ تبنيها أفكارا وطنية ديمقراطية تدعو للتحرر الوطنى ومقاومة المستعمر، وساد بينها خط القوات الديمقراطية الذى عارضه البعض وطبقه الجميع فى الواقع العملى.

فكل تنظيم تقوده مجموعة من المثقفين وقواعده مكونة أساسا من الطلبة وإذا وجدت اتصالات عمالية فهى محدودة جدا، كما أن التنظيمات التى اهتمت بالعمل فى صفوف العمال وتمكنت من ضم عدد من قادتهم لم يتم إعدادهم ككادر مسلح بالنظرية الماركسية لديه القدرة لبناء حزب الطبقة العاملة من منطلق تطبيقه لمبدأ الصراع الطبقى.

إن المناقشات التى تمت فى مناخ يسوده انعدام الثقة بين جميع التنظيمات وتطلع كل قيادة لفرض سيطرتها على الحزب بمختلف الوسائل دفع هذه القيادات لفتح أبوابها لعناصر ليس لها علاقة بالماركسية بل إن بعضها معاد للماركسية ويعمل لحساب أجهزة الدولة مما مكنها من التغلغل داخل صفوف الحزب وتوجيه ضربتها القاضية إليه بإلقاء القبض على أكثر من ٩٠٪ من قياداته وأعضائه فى ضربة واحدة.

لقد تخلت هذه القيادات عن السريه والأمان التى تعتبر الأسس الرئيسية لوجود أى تنظيم أو حزب، لقد ارتكبت هذه القيادات هذه الأخطاء الخطيرة لفرض سيطرتها على

قيادة الحزب.

وهل يعقل أن يكتب البقاء لحزب يتولى قيادته مجموعة وصلت إلى مراكزها بطريق الغش والتزوير، ولايحكم تصرفاتها سوى مصالحها الشخصية، أعتقد أن ما تم هو المحصلة الطبيعية لهذه الأخطاء.

إن من أهم الشروط التى يتحتم وجودها لبناء حزب للطبقة العاملة أن يتكون من عناصر تخلت نهائيا عن مصالحها الشخصية وتكثف جهودها لخلق الوعى الثقافى الماركسى الذى يمكن الطبقة العاملة من تنظيم صفوفها وخلق قيادتها الواعية، ولا يعيب الحزب أن يضم بين صفوفه أجانب يقيمون داخل مصر ويقدمون كل إمكانياتهم وخبرتهم للمشاركة فى بنائه.

إن الاستغلال الذى تعانى منه الطبقة العاملة يقع عليها من جميع الجنسيات فالمستغل المصرى والأجنبى يمارس استغلاله للطبقة العاملة بنفس المستوى، وقد يكون المستغل المصرى أكثر شراهة من الأجنبى، فلماذا نحرم حزب الطبقة العاملة من عناصر مخلصة تشاركه مسيرته للقضاء على الاستغلال وتساهم فى بناء حزبه القوى.

إن المناقشات التى يتبارى من خلالها المثقفون وتقودهم إلى الابتعاد عن كل ما يساعد على بناء الحزب، والتى تنصب على نوعية الطبقة المسيطرة على الحكم هل هى رأسمالية وطنية؟ أم رأسمالية عالمية مرتبطة بالاستعمار؟ أم هى رأسمالية صغيرة؟ أو متوسطة؟ إن هذه المناقشات لن تغير من طبيعة الاستغلال الواقع على الطبقة العاملة، ولن يتغير موقف الطبقة العاملة من الاستغلال سواء كان من الرأسمالية الوطنية أو الاحتكارية أو خلاف ذلك. أن الاستغلال لن يتغير حسب طبيعة الطبقة التى تحكم، ولن تجد الطبقة العاملة الصدر الرحب أو الإنسانية والرحمة عند أى منهم.

ولن يتم القضاء على الاستغلال إلا بوجود حزب قوى يعلن عن ذلك فى برامجه، كما أن المناقشات حول التحالف مع الأحزاب الأخرى، أعتقد أنها مناقشات تسبح فى خيال البعض، وأتساءل كيف أتحالف مع أى حزب أو تنظيم وأنا فى الواقع ليس لى وجود كحزب سوى فى الحلقات التي تجمعنا وليس لنا أى تأثير فى الشارع المصرى أو التكتلات العمالية. إن وجود الحزب القوى الذى تمتد جذوره داخل صفوف الطبقة العاملة لا يبحث عن التحالفات، بل إن وجوده وقوته ونفوذه والتفاف الرأى العام حول

برامجه سيكون هو الدافع للأحزاب للسعى للتحالف معه وليس العكس.

إن التركيز على نشر الوعى داخل صفوف الطبقة العاملة وتنظيمها هو الطريق الوحيد لوجود حزب قوى يشق طريقه بنجاح لبناء الاشتراكية.

ستالين الذى بكاه الملايين فى جميع أنحاء العالم عند وفاته :

بكته الطبقة العاملة العالمية وأحزابها الشيوعية وجميع حركات التحرر وكافة شعوب العالم المتطلعة للحرية والاشتراكية، لقد بكت فيه القائد العظيم الذى وقف فى وجه الاحتلال النازى، وحرر منه شعوب العالم الذى احتل أراضيها، واكتسح كافة القوى التى وقفت فى طريقه، وأجبرها على الفرار أمام قواته وواصل تقدمه وانتصاراته.

لقد كان لصمود الشعب السوفيتى بقيادة حزبه الشيوعى وبزعامة ستالين الدور الحاسم فى هزيمة دول المحور وتحرير الشعوب من سيطرة قوات الاحتلال لقد حولوه فجأة إلى سفاح ومجرم وديكتاتور فرض على الشعوب استبداده وعبادته، وتناسوا أنه الذى أنقذ شعوب العالم وحول مسار الحرب العالمية الثانية من الهزيمة إلى النصر، وحرر شعوب شرق أوربا من الاحتلال وسيطرة رأس المال، وواصل مطاردته لقوات النازى المهزومة إلى داخل أراضيها حتى أجبرها على الأستسلام لينتحر زعيمها وقائدها هتلر.

إن الطعنة الموجهه إلى ستالين هى طعنة موجهة للنظام الاشتراكى بهدف القضاء عليه، وهذا هو الهدف الاستراتيجى للنظام الرأسمالى.

لقد تولى ستالين قياده الحزب والثورة بعد وفاة لينين فى ٢١ يناير ١٩٢٤ واستمر فى قيادته حتى وفاته فى مارس ١٩٥٣ وبذلك يكون قد انفرد بزعامة الحزب والثوره تسعة وعشرين عامًا، وعلينا تقييم أعماله خلال هذه الفترة من إنجازات وما نسب إليه من أخطاء قبل أن نوجه إليه أى اتهامات.

لقد واصل ستالين الطريق بعد وفاة لينين وتصدى لجميع القوى المعادية للاشتراكية فى العالم. التى أصابها الذعر لمولد أول دولة للطبقة العاملة فعبأت قوات مكونة من ثلاث عشرة دولة، وسلحتها بأحدث الأسلحة وخاضت بها حرب التدخل، وتنظيم وتوجيه وتسليح أعداء الثورة بالداخل وأمدتهم بالأموال.

وفرضت على الشعب حصارًا اقتصاديا لتجويعه ودفعه للوقوف ضد الثورة وزجت بعملائها داخل صفوف الحزب للسيطرة عليه وتخريبه، وقد وجه الحزب ضرباته بشدة وعنف حتى قضى على هذه التكتلات وانتصر عليها، وخلال الفترة منذ تولى ستالين زعامة الحزب وحتى بداية الحرب العالمية الثانية أصبح الاتحاد السوفيتى قوة اقتصادية تعتمد على مواردها الذاتية رغم الحصار الاقتصادى، ولم يتأثر بالأزمة الاقتصادية الطاحنة التى سادت النظام الراسمالى العالمى وفجرت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩.

لقد حقق الحزب بزعامة ستالين وقبل اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية، وفى فترة زمنية قصيرة صرحا هائلا من الإنجازات، فأقام اقتصادًا قويًا وقضى على البطالة، وارتفع بمستوى المعيشة لجميع الشعوب السوفيتية وحقق التآلف والوئام بين جميع القوميات، واختفى التعصب العرقى، وحقق الحياه الكريمة للشعوب السوفيتية التى التفت حول الحزب وقيادته بزعامة ستالين ووقف الشعب السوفيتى وقفة رجل واحد خلف قيادته لمقاومة الغزو وتحرير أرض بلاده التى هاجمتها واحتلتها القوات النازية وقدم من التضحيات مالم يقدمه أى شعب آخر خلال هذه الحرب، وفقد أكثر من خمسة وعشرين مليون من شباب الشعب ورجاله أرواحهم، وقضى الاحتلال على اقتصاد البلاد، فخربت وهدمت المصانع والمزارع والمرافق والمؤسسات التى تم بناؤها منذ مولد الثورة وتحولت إلى انقاض، خاض ملايين الشعب السوفيتى معركة التحرير وانتصر على قوات الاحتلال وطردها من اراضيه وطاردها داخل أراضيها وأجبرها على الاستسلام وحقق النصر وهو يهتف باسم ستالين وتنتهى الحرب العالمية الثانية، ويخرج الشعب السوفيتى منها اشد عزمًا واصرارًا لبناء ما دمره الاحتلال من جديد، ولم يمر اكثر من خمس سنوات حتى أعيد بناء ما خربته النزية، وأصبح للاتحاد السوفيتى من القوة ما اجبر اعداءه على الاعتراف به كثانى اكبر قوة عظمى فى العالم، والجلوس على مائدة واحدة مع قائده وزعيمه ستالين.

لقد تحقق على يد ستالين بعد وفاة لينين المعجزات بعد توليه قيادة الحزب وزعامته، فعلى مدى ثلاثين عاما حقق النصر على القوى المعادية داخل البلاد، وبنى الاقتصاد الاشتراكى، وانتصر على قوات الاحتلال النازى الذى خرب البلاد ودمرها تماما، واعاد

بناء ما خربته الحرب من جديد، وطهر الحزب والبلاد من الخونة الذين تعاونوا مع قوات الاحتلال وحتى وفاته عام ١٩٥٣ كان قد وصل بالاتحاد السوفيتى إلى المكانه التى تفتخر بها جميع الشعوب والقوى المتطلعة للحرية والاشتراكية فى العالم وجعل منه قوة عظمى اعترف بها الجميع. هذا هو ستالين الذى قدم لشعبه وللطبقة العاملة كل ما يملك، ولم يجرؤ اى من اعدائه ان يدعى بانه حقق لشخصه اى مكاسب او لأى فرد من المقربين إليه، والجميع يذكر ما حدث لابنته التى هربت وفضلت الحياة فى الولايات المتحدة بعد أن وجدت انها محرومة من كل ما يميزها عن أفراد الشعب وما يتمتع به ابناء الحكام فى البلاد الأخرى. لقد رحب بها حكام الولايات المتحدة واعلنوا انها هربت من ديكتاتورية والدها ستالين وذلك يؤكد انه إذا كانت توجد ديكتاتورية يمارسها ستالين فإنها ديكتاتورية العدل والمساواة.

ولقد نشرت الصحف الراسمالية وبعد مرور أكثر من اربعين عامًا على وفاة ستالين خبرًا يؤكد ما وصلت إليه ديكتاتوريته، عندما وقع ابنه فى أسر القوات الألمانية وحاولت مساومته لأطلاق سراحه مقابل إطلاق سراح أحد الجنرالات الألمان، كان رده انه لا يفتدى حياة احد الجنود بحياة جنرال، ورفض المساومة، واعدم ابن ستالين، هذه هى ديكتاتورية ستالين الذى كان يطبقها على نفسه وعلى اقرب الناس إليه، إن ما قدمه من عطاء جعل منه رمزًا للوفاء والتضحية تعشقه وتهتف باسمه جميع شعوب العالم.

بعد وفاته تم تنصيب خروتشوف كقائد وزعيم للحزب.

ومن أهم العقبات التى واجهته لفرض زعامته، هو حب الشعوب الجارف لستالين والهتاف باسمه حتى بعد وفاته، وحتى يتمكن من فرض زعامته كان عليه ان ينتزع من قلوب الجماهير حبها لستالين ويحول هذا الحب إليه. فاختلق الأكاذيب للإساءة إلى تاريخ ستالين وتشويه صورته فى اعين الجماهير وسربها إلى عقول الشعوب، وبدا سلسلة أكاذيبه باكذوبة عبادة الفرد، واقنع البعض ان ستالين قد ارتكب ام الكبائر عندما هتفت الجماهير باسمه واشادت باعمال له، واعتبر ذلك عبادة للفرد وجريمة يجب التخلص منها وتقع مسئوليتها على راس ستالين.

ولا أدرى لمن يوجه الاتهام بارتكاب هذه الجريمة؟ هل إلى الشعوب التى بهرتها الانتصارات والإنجازات التى حققتها لها زعامة ستالين فاحبته وهتفت باسمه؟ ام نوجه

الاتهام إلى ستالين على ما قدم من تضحيات وقاد الطبقة العاملة لتحقيق النصر مما دفعها للهتاف له والتغنى باسمه؟

فلمن إذا نوجه اتهام عبادة الفرد؟!!

إن من يعمل على إقناع الجماهير بشعارات زائفة واتهامات كاذبة ليتمكن من السيطرة عليها وخداعها للسير تحت لوائه والهتاف باسمه لا يمكن إلا ان يكون دجالا يهدف للوصول إلى قلوب الجماهير بالتضليل.

إن الانتصارات التى تمت بقيادة الحزب وزعيمه ستالين حقيقة واقعة لا يمكن ان يختلف عليها اثنان، وليست تضليلاً لكسب ثقة الشعوب ودفعها لارتكاب الجريمة التى ابتدعها خروشوف واطلق عليها جريمة عبادة الفرد.

إن الحب والتقدير الجارف الذى عبرت عنه شعوب العالم لزعمائها وقادتها امثال ماو وهوتشي وكاسترو وجيفار. هل يعقل توجيه الاتهام لهؤلاء الزعماء والقادة بأنهم قد ضللوا شعوبهم ودفعوها لارتكاب جريمة عبادة الفرد، وإذا كان هؤلاء الزعماء قد ارتكبوا هذه الجريمة وهم احياء، فكيف ارتكبها جيفارا بعد ان فارق الحياة.

لقد كنا نتغنى فى اواخر الأربعينيات فى سجن الحضرة بالنشيد الذى صاغ كلماته الزميل محمود المستكاوى احتفالا بعيد ميلاد ستالين، واذكر بعض ابيات من هذا النشيد التى بداها قائلاً:

عيـد الملايين عيـد سـتـالين | عيـد الشعـوب وعيـد الأمم
للعـامـلين وللكـادحين | شـمس تضئ أعـالى القـمم

واختتمها قائلاً .

فى عـيـده من لن يسـتكين | قـد جدد العـزم ثم ابتـسم
كم من شـيـوعى فى يقـين | قـد اقـسـموا بالهول القـسم

فهل نكون بتعبيرنا عن حبنا وتقديرنا لزعيم وقائد اول دولة للطبقة العاملة فى العالم قد ارتكبنا جريمة عبادة الفرد؟!!!

والأكذوبة الثانية ، الإدعاء بان ستالين قد قدم للمحاكمة حوالى ثلاثة ملايين من

خيرة أعضاء الحزب الذين ناضلوا فى صفوفه تحت راية لينين وقدموا الكثير من التضحيات لبناء الاتحاد السوفيتى، ماهى إلا أكذوبة من أكاذيب خروتشوف واتباعه أعداء الاشتراكية لتحطيم الرمز الذى احبته الجماهير وهتفت باسمه والإساءه إلى النظام الاشتراكى ومحاولة لانتزاع هذا الحب من قلوبها.

إن من يعيد النظر إلى هذا الاتهام الكاذب يكتشف التناقض الواضح، فكيف لحزب يتخلص ويعدم الملايين من أخلص أعضائه أن يحقق هذا الانتصار والتقدم المذهل فى بناء الاشتراكية؟ وإذا كانت الملايين التى قدمها ستالين للمحاكمة لديها من الخبرة والوعى وقدمت من التضحيات ما يضعها فى مصاف اخلص اعضاء الحزب واكثرها خبرة كما يدعون فهل يعقل توافر هذه الصفات في اشخاص لا توجد لديهم القدرة للدفاع عن أرائهم وتصرفاتهم التى اعتبروها لمصلحة الحزب والتمسك بها اثناء محاكمتهم؟ وما يقال من ان الكثيرين منهم قد اعترفوا بأن مواقفهم كانت معادية لحزب وأعلنوا ثقتهم فى قيادة الحزب بعد أن أقنعهم المحققون بانهم باعترافهم يخدمون الحزب، وإذا كان هؤلاء الاشخاص لديهم من الخبرة ما مكنهم من اكتشاف الأخطاء التى ترتكبها قيادة الحزب ومعارضتها ألم يكن من الواجب عليهم التمسك بموقفهم والدفاع عنه طالما كانوا مقتنعين بانه يخدم مصالح الحزب. إن اعتراف الكثير منهم بأن مواقفهم كانت معادية يؤكد أن هذه العناصر لم يكن لديها الشجاعة للدفاع عن الأخطاء التى ارتكبتها وانها عناصر فاسدة كان على الحزب التخلص منها لمواصلة مسيرته. بقيت حقيقة تؤكد أن هذا الاتهام مجرد اكذوبة من سلسلة الأكاذيب التى روجها خروتشوف ولا تجد الأقدام التى تقف عليها.

وهى أن الحزب الشيوعى السوفيتى منذ إنشائه وحتى وفاة لينين وبعد تولى ستالين زعامته فى ١٩٢٤ وحتى ١٩٣٤ اى بعد مرور عشر سنوات من تولى ستالين زعامة الحزب لم يصل عدد أعضاء الحزب بالكامل إلى ثلاثة ملايين عضو ومما يؤكد ذلك أن المؤتمر السابع عشر للحزب الذى عقد فى يناير ١٩٣٤ وكان الحزب يضم اكبر عدد من الأعضاء منذ تاسيسه حضره ١٢٢٥ مندوبا لهم حق التصويت و٧٣٦ مندوبا أصواتهم استشارية ويمثلون ١٨٧٤٤٨٨ عضوا لهم حق التصويت و٩٣٥٢٩٨ مرشحا، وإذا جمعنا

عدد الأعضاء والمرشحين نجده أقل من ثلاثة ملايين. (تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى ص ٤٥٦)

كما ان من تمت محاكمتهم وإعدامهم هم من قيادات واعضاء المنظمات الارهابية التى اخذت على عاتقها اغتيال قادة الحزب محاولة اغتيال لينين واصابته رصاصة الغدر ولم تقضى عليه. كما نجحت فى اغتيال كيروف الذى كان من احب القاده عند الطبقة العاملة، وعملت على اغتيال قاده الحزب، وقد اعترف عدد من اعضاء هذه التنظيمات باتصالاتهم بممثلى الدول الأجنبية التى كانت تمدهم بالاموال. هؤلاء هم من يحاول اعداء الاشتراكية إلباسهم ثوب الإخلاص والبطولة واظهارهم كضحايا لدكتاتورية ستالين، إنها اكذوبة مفضوحة من اكاذيب خروتشوف واتباعه من اعداء الاشتراكية، ونأتى إلى الاتهام بالدكتاتورية والانفراد باتخاذ القرار. وفرض آرائه على قياده الحزب وإجبارها على الموافقة على أوامره وقراراته والهتاف باسمه خوفا من بطشه وتخلصه منها.

وإذا صح هذا الاتهام فمعناه أن ما حققه الحزب من انتصارات لا تعد ولا تحصى قد تحقق بقيادة دكتاتورية فرد واحد هو ستالين.

وان تحول الاتحاد السوفيتى من بلد متخلف إلى بلد صناعى متقدم، والقضاء علي البطاله والتقدم فى الزراعة، وبناء المجتمع الاشتراكى الذي قضي على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، والنجاح الذى حققه الحزب فى جميع فروع الاقتصاد والثقافة والانتصارات التى حققها الحزب على القوات النازية، كل هذا التقدم العظيم تم بقيادة فرد واحد فرض ديكتاتوريته على الجميع، فمرحبا بهذا الدكتاتور الذى قاد الحزب والشعب إلى هذا النصر العظيم.

وإذا سلمنا بان هذه الانتصارات نجحت بفضل قيادة الحزب الجماعية نكون قد اعترفنا بان الدكتاتورية والقيادة الفردية ماهى إلا اكذوبة من اكاذيب خروتشوف ليس لها وجود. وأن ما تحقق من انتصارات تم بقيادة الحزب الجماعية وبزعامة ستالين

إن الهدف من توجيه هذه الاتهامات بعد وفاة ستالين هو تحطيم الرمز الذى التفت حوله واحبته الشعوب؛ وتم بزعامته بناء اول دولة اشتراكية فى العالم، وجعل منها ثانى

اكبر قوة اقتصادية وعسكرية فى العالم.

ان الديمقراطية التى مارسها الشعب من خلال الدستور الذى نظم حكم البلاد عن طريق السوفيتيات التى يتم تكوينها بالانتخاب المباشر هو ابلغ دليل على مشاركة ملايين الشعب فى قيادة البلاد ولم تكن ديكتاتورية الفرد الواحد.

إن العصابات التى حوكمت وإعدمت عام ١٩٢٧ لم تكن فى يوم من الأيام عناصر مخلصة فى صفوف الحزب، وقد عملت على تنفيذ اوامر أسيادها فى المخابرات الأجنبية وخططت لهدم الحزب والدولة، وعملت لتخريب القوة الدفاعية للبلاد وفتح الطريق للتدخل العسكرى الأجنبى وهزيمة الجيش وتقسيم الأتحاد السوفيتى إلى أجزاء يتم تسليمها إلى الدول الأجنبية، وكانت خططها لتنفيذ التقسيم تتلخص فى تسليم المقاطعة البحرية فى الشرق الأقصى لليابان، وبيلاروسيا إلى البولونيين، واوكرانيا إلى الألمان، والقضاء على انتصارات العمال والفلاحين والقضاء على دولتهم الاشتراكية وإعادة النظام الراسمالى، وما لم يتم القبض على هذه العصابات ومحاكمتها وإعدامها بدون شفقة او رحمة لتمكنت من تخريب الدولة السوفيتية وقضت عليها، لقد رحب الشعب السوفيتى بإعدام هذه العصابات من الخونة، والتى لم يكن افرادها فى اى يوم من قيادات الحزب أو من العناصر المخلصة فى صفوفه، وكان التخلص منها وإعدامها من العوامل الهامة التى مكنت الحزب والشعب السوفيتى من تحقيق انتصاراته العظيمة(*) ان هذه الأكاذيب التى نشرها وروجها خروتشوف، كانت بمثابة الزلزال الذى حطم وفتت وحدة الطبقة العاملة واحزابها الشيوعية فى العالم باسره، وقسم صفوفها بين مؤيد ومعارض لهذه الأكاذيب، وافقد أقوى الأحزاب الشيوعية فى العالم جماهيريتها، واشعل فى صفوفها نيران الصراع الداخلى الذى أسفر عن انقسامها وحولها إلى أحزاب تدافع عن خط ستالين وتاريخه وانجازاته واخرى وقعت فى حبائل اكاذيب خروتشوف، وافقد الطبقة العاملة العالمية نشوة النصر التى عاشتها بانتصار الثورة الصينية العظيمة التى عارض قادتها اكاذيب خروتشوف، وتفاقمت الخلافات حتى وصلت إلى القطيعة والعداء، لقد أنتصر خروتشوف فى تحقيق ما كان يهدف إليه من تخريب وتقسيم لوحدة الطبقة العاملة وأحزابها الشيوعية فى العالم. واشعل الخلافات بمواقفه العدائية من قيادة الثورة الصينية.

وواصل طريقه للقضاء على النظام الاشتراكى، ففى نفس الوقت الذى أطلق فيه اكاذيبه وهجومه على زعيم الطبقة العاملة وقائدها ستالين أطلق ايضا جميع اعداء الحزب من المسجونين والمعتقلين ممن طهر ستالين صفوف الحزب منهم، وفتح لهم باب عضوية الحزب على مصراعيه وأعاد إليهم عضوية الحزب، ولكل من سبق طرده فى عمليات التطهير، وحول الحزب إلى نادٍ يفتح ابوابه لكل من يطلب عضويته.

وسارع أعداء الحزب والثورة الاشتراكية وعملاء مخابرات الدول الرأسمالية والمتسلقين أصحاب المصالح الخاصة للانضمام إلى الحزب، وتغلغلوا إلى كافة صفوفه ومستوياته ونشروا افكارهم المعادية، وخلال ثلاث سنوات من وفاة ستالين وتولى خروتشوف زعامة الحزب وحتى انعقاد المؤتمر العشرين تمكنوا من فرض افكارهم وسيطرتهم على قيادة الحزب التى افرزت القرارات المعادية للماركسية والاشتراكية، واعلنت عدم حتمية وجود حزب للطبقة العاملة لبناء الاشتراكية وإمكانية تحقق الاشتراكية بقيادة القوى الوطنية وعن طريق التطور اللارأسمالى للاشتراكية، وتوجيه الدعوه للمشاركين لافساح الطريق لهذه القوى والعمل تحت قيادتها.

ان تطبيق هذه النظرية بعد ان اقرها المؤتمر العشرون أصاب الحزب فى مقتل، فعلى مدى خمسة وثلاثين عاما منذ عقد المؤتمر العشرون ١٩٥٦ وحتى بداية أعلان هدم لنظام الاشتراكى لإعادة بنائه عام ١٩٩١ على يد الخائن جورباتشوف تحول فيها الحزب إلى ارض خصبة يرتع داخلها أصحاب هذه النظرية. اوقفوا خلالها تدريس الماركسية فى جميع مراحل التعليم، ونظموا تدريس نظرياتهم، وفرضوها على شباب الاتحاد السوفيتى، وسقوهم الكراهية والحقد للقادة الذين تم على ايديهم بناء الاشتراكية وعلى رأسهم ستالين.

وانشأوا جيلاً مجهلاً لا يعرف مدى وحقيقة التضحيات والمكاسب التى حققتها له الثوره، واهمية وجود حزب الطبقة العاملة وقيادته للحفاظ عليها وحمايتها، وبثوا فى عقولهم منذ نشأتهم الأفكار والنظريات التى تخدم مصالحهم، وقضوا بذلك على وجود كادر ماركسى ودم جديد من الشباب لحماية الماركسية وتطويرها، ان قرارات المؤتمر العشرين كانت البداية الحقيقية لانتصار أعداء الاشتراكية فقد تمكنوا من ترويج افكارهم ونظرياتهم إلى جميع الأحزاب الشيوعية فى العالم وخاصة احزاب دول اوربا

الشرقية التى سيطرت عيها قيادات خائنة وجدت فى قيادة الحزب السوفيتى القدرة لتحقيق اهدافها.

قاد خروتشوف الحملة للترويج لهذه النظريات، وطالب الأحزاب الشيوعية فى العديد من الدول الراسمالية بحل احزابها والانخراط تحت لواء الأحزاب البرجوازية بادعائه انها تعمل لبناء الاشتراكية ولا داع لقيادة الطبقة العاملة او وجود احزاب مستقله لها.

وإذا قارنا بين الجهود التى تبذلها الإمبريالية العالمية وما تنفقه من اموال للقضاء على الأحزاب الشيوعية والفكر الماركسى فى انحاء العالم، وماعانته الحركة الشيوعية فى مصر من ابشع وسائل التعذيب والقتل من البرجوازية المصرية ما هو إلا جزء من المخطط الإمبريالى للقضاء على الفكر الماركسى وتصفية الأحزاب الشيوعية، وبين ما حققه خروتشوف من تخريب للأحزاب الشيوعية والفكر الماركسى وفى مقدمتها الحزب الشيوعى السوفيتى، نجد ان ما قدمه خروتشوف للإمبريالية العالمية قد فاق كل ما كانت تحلم بتحقيقه من خلال مؤسساتها وفروعها المنتشرة فى جميع انحاء العالم وحشدت بها خبراء وكوادر على اعلى مستوى من رجال مخابراتها المتخصصين فى مكافحة الشيوعية وانفقت ملايين الدولارات لتحقيقه.

وإذا كان خروتشوف قد قدم فى حياته عملاً واحداً يحمد عليه، فقد قدمه للأمبرياليه العالمية، ويجب ان نقيم له تمثالاً اعترافا بما قدمه لها من خدمات.

لقد احكم اعداء الماركسية سيطرتهم على الحزب بعد المؤتمر العشرين وحولوه لخدمة مصالحهم، وحرموا الشعب من المكاسب التى حققتها لهم الثورة، وبمرور الوقت زاد الفساد وانتشر فى جميع مستويات الحزب واجهزة الحكم، وانعدم الوعى عند جماهير الشعب لحرمانها من الثقافة الماركسية، وفقدت القاعدة الحزبية ثقتها فى القيادة، وعبروا عن كراهيتهم لقيادة الحزب بوسائل مختلفة منها البصق على سيارة اى مسئول تمر بهم.

إن الحزب الذى قاده ستالين وحقق عن طريقه المعجزات فى اقل من ثلاثين عاما،

(*) تاريخ الحزب السوفيتى ص ٤٩٤ - ٤٩٦.

حولته عصابة المؤتمر العشرين بقيادة خروتشوف إلى وكر تمارس من خلاله مختلف السرقات والموبقات، وعلى مدى خمسة وثلاثين عاما من سيطرتهم تمكنوا من هدم الصرح الاشتراكى العظيم. وتفاقمت الخلافات بين عصابات اللصوص على الفوز بأكبر قدر من السرقات والغنائم، وكان اول ضحايا هذه الخلافات هو خروتشوف زعيمهم فكان اول من طرد والقى به على قارعة الطريق، ولم يحزن لطرده او يبكيه فرد واحد من افراد الشعب عند طرده او مماته، لقد روج اكاذيبه محاولا تشويه النظام الاشتراكى فى شخص زعيمه ستالين، غير أن أعمال ستالين الخالدة التي اعترف بها اعداؤه قبل اصدقائه لا يمكن أن يقلل من قيمتها اى افتراءات يروجها خروتشوف وعصابته.

لقد اطلق خروتشوف جميع ما فى جعبته من أسلحة للنيل من زعامة ستالين، وحاول الإقدام على عمل يضعه فى مرتبة الزعماء ولم يسبقه إليه زعيم من قبل فلم يجد امامه سوى حذائه يخلعه ويضعه امامه فى اجتماعه مع ممثلى دول العالم فى هيئة الأمم المتحدة كوسيلة لإقناعهم بصواب رأيه، فهل يعقل أن تنزع الزعامة عن قائد وزعيم حقق من الانتصارات والإنجازات ما جعل الشعوب تهتف باسمه، وتنسب لمن فشل في كسب تقدير واحترام ممثلى دول العالم لرأيه ولم يجد امامه غير نزع حذائه كوسيلة لانتزاع الزعامة. لقد مهد وخطط منذ توليه قيادة الحزب عام ١٩٥٣ وارتكب ابشع الجرائم وكافة الوسائل حتى يضفى عليه صفة الزعامة ورغم كل ذلك لم يتحقق له النجاح، والقى به فى مكانه الطبيعى وهو مزبلة التاريخ، وتواصل العصابة نهبها لثروات الشعب، وتزداد وتتفاقم كراهية الشعب لها رغم محاولاتها المتعددة لتجميل نفسها بتغيير جلدها وتنصيب زعماء جدد على فترات متقاربة حتى يصل بها المطاف لتنصيب جورباتشوف زعيما وقائدا لها، واراد جورباتشوف الانفراد بالغنيمة وإقصاء منافسيه بخداعهم وخداع الشعب الذى كان يتطلع للقضاء على الفساد الذى ساد البلاد.

وحتى يطمئن منافسوه وشركاؤه فى تخريب البلاد، اعلن ان جميع العيوب والفساد الذى يعانى منه الشعب ليس مصدره قياده الحزب، وإنما مصدره البناء الاشتراكى للدولة، وعلينا لكى نقضى على هذه العيوب هدم البناء من اساسه وإعادة بنائه بشكل جديد، وخرج جورباتشوف على العالم بنظريته ومخططه وطرح ذلك فى كتابه البروستيريكا (إعادة البناء) وروج له فى جميع انحاء العالم، واستقبله الكثير من المثقفين

بالتأيد والهتاف، واعتبره البعض الطريق الوحيد للقضاء على جميع ما تعانيه الماركسية من صعوبات وعقبات على مستوى العالم، وبدأ جورباتشوف هدم البناء الذى شيد من أرواح ودماء الملايين من ابناء الشعب السوفيتى، والحقيقة هى ان جروباتشوف لم يعلن هدم البناء للقضاء على عيوب فى الماركسية الذى ثبت مدى عدائه لها.

لقد خطط لهدم المجتمع الاشتراكى وبناء مجتمع راسمالى بضعه على القمة إلى جانب زعماء الدول الراسمالية، لقد نجح فى هدم البناء وفشل فى حماية نفسه من السقوط معه، لقد فاته أن على راس كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى فرد من أفراد العصابة التى يراسها ويقود ايضا مجموعة من اللصوص شكلها بمعرفته لخدمة مصالحة، وأنه زعيم العصابة الوحيد الذى لا ينفرد بحكم اى جمهورية، ولم تشفع له زعامته لزعماء العصابات الأخرى فى تحقيق اى هدف من أهدافه، فقد سارع زعيم كل عصابة بفرض سيطرته واستقلاله بالجمهورية التى براسها، ولم يجد جورباتشوف أى جمهورية يمارس من خلالها زعامته، وحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه بالانفراد بحكم روسيا الاتحادية، إلا ان يلتسين تصدى له وطردة شر طرده وأصبح لا يجد شبرا واحدا من اراضى الاتحاد السوفيتى الذى قام بهدمه ليمارس عليه زعامته حتى أن وزير خارجيته شفرنادزه تركه وسارع لينصب من نفسه رئيسا لجمهورية جورجيا، وتحول جورباتشوف إلي افاق مرتزق يتجول بين جميع الدول الراسمالية يعرض خبراته وخدماته مقابل ما تقدمه له من أجر حتى يعيد بناء مستقبله، وسيفشل كما فشل من قبل لأن تخصصه هو الهدم وليس البناء ، وستظل جرائمة تطارده حتى بعد مماته.

لقد اختلفت اراء المنظرين فى تحديد العوامل والأسباب التى ادت إلى انهيار النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية، وارجعها البعض إلى خطا فى النظرية، والبعض لخطأ فى التطبيق، والبعض إلى الدكتاتورية الذى بفرضها النظام الشمولى وسيطرة الحزب الواحد، وهو الاتهام الذى تروجه الإمبريالية العالمية للقضاء على الاشتراكية التى تطبق الفكر الماركسى.

إن الانهيار الذى شمل النظام الاشتراكى لم يحدث فى يوم وليلة، إنه محصلة طبيعية لأعمال التخريب التي بداها خروتشوف منذ توليه قيادة الحزب.

لقد بدا بالأكاذيب التى روجها للإساءة إلى زعيم وقائد الحزب ستالين والحط من قدر ما حققته الثورة فى عهده وتحت قيادته من إنجازات وإنتصارات، وفتح أبواب الحزب لأعداء الماركسية وإعطائهم العضوية بعد إطلاق سراحهم من السجون والغى الأحكام التى فرضها عليهم القضاء عقابا لما ارتكبوه من جرائم لتخريب الثورة. ومكنهم من فرض نفوذهم وافكارهم وسيطرتهم على قيدة الحزب، وقاد معهم التحضير للمؤتمر العشرين، الذى أعلنوا من خلاله قرارات عدم حتمية قيادة حزب الطبقة العاملة لتحقيق الاشتراكية، واقر إمكانية تحقيق الاشتراكية بقيادة أحزاب برجوازية.

وقام خروتشوف بجولته للترويج لفكره المعادى للماركسية، ودعا بعض الأحزاب الشيوعية إلى حل تنظيماتها والعمل فى صفوف الأحزاب الراسمالية وتحت قيادتها لتحقيق الاشتراكية.

لقد تلقف أعداء الماركسية قرارات المؤتمر العشرين وخاصة فى دول أوربا الشرقية، وسارعوا بغزو الأحزاب الشيوعية وتمكنوا من فرض سيطرتهم على قياداتها وبعد خمسة وثلاثون عاما من صدور قرارات المؤتمر العشرين تنجح القوى المعادية فى تغيير ميزان القوى لصالحها وفرض سيطرتها الكاملة على هذه الأحزب. لقد كان قرار المؤتمر بان الأحزاب الشيوعية التى نجحت فى بناء المجتمع الاشتراكى، عليها منح عضوية الحزب لكافة أفراد الشعب وأن الحزب يجب أن يصبح حزبا لكل الشعب وليس حزبا للطبقة العاملة فقط، وكان خروتشوف اول من طبق هذا القرار على الحزب الشيوعى السوفيتى، وتبعه قادة الأحزاب فى دول أوربا الشرقية، لقد كان هذا القرار هو القنبلة الموقوتة التى انفجرت بعد خمسة وثلاثين عاما واطاحت بالدول الاشتراكية بعد ان سيطر على احزابها قيادات معادية للطبقة العاملة والماركسية: لقد اسفر الجميع عن وجوههم الحقيقية، واعلنوا عداءهم للماركسية والشيوعية وولاءهم للنظام الراسمالى. وأعلن جورباتشوف فى بعض تصريحات للصحافة العالمية، أن الشيوعية مجرد وهم من المستحيل تحقيقه، لقد اكد بتصريحه أن ما كان يريده هو الخراب والدمار والبؤس والضياع الذى أصاب الشعوب السوفيتية والمجتمعات الاشتراكية، وحقق النصر للإمبريالية العالمية وقدمه إليها على طبق من ذهب، وقد تحقق لها علي يديه الانفراد والهيمنة على شعوب العالم التى مازالت تمطره بوابل من اللعنات وستظل

تلغه على ما تعانيه من اعتداءات وتشريد وحصار اقتصادى وعسكرى وغير ذلك من غطرسة وسيطرة ونفوذ لانفرادها بالهيمنة وفرض سياسة القطب الواحد، وحرم حركات التحرر من الحليف الدائم لها وهى الدول الاشتراكية، ن الحقائق تؤكد عدم وجود الخطأ فى النظرية أو التطبيق، او لوجود حكم ديكتاتورى شمولى كما تدعى الإمبريالية العالمية.

ان الاسباب الحقيقية لانهيار النظام الاشتراكى هى عدم وجود أحزاب ماركسية للطبقة العاملة، لقد تخلى قادة هذه الاحزاب عن الماركسية، ولن تبنى الاشتراكية إلا بوجود حزب الطبقة العاملة القوى وقيادته المخلصة المسلحة بالنظرية الماركسية، ولن يكتب البقاء لأى دولة اشتراكية إلا إذا آمن قادتها ايماناً كاملا بالماركسية، وقاتلوا بشراسة للحفاظ على نقاء وقوة حزب الطبقة العاملة، وتطهيره الدائم والمستمر من العناصر المعادية التى تحاول التسرب والسيطرة عليه وهى تحمل معها فيروس قرارات المؤتمر العشرين الذى كان العامل الأساسى لانهيار الأنظمة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية.

إن الدول الاشتراكية التى دافعت عن المبادئ الماركسية ولم تفتح أبواب حزب الطبقة العاملة لأعداء الحزب، والتى أدانت ورفضت قرارات المؤتمر العشرين، وقضت على حملة فيروس قرار تحويل حزب الطبقة العاملة إلى حزب يضم داخله كافة الفئات وتحويله إلى حزب لجميع افراد الشعب، هذه الدول وعلى رأسها الصين هى التى واصلت شق طريقها لبناء الاشتراكية بنجاح، رغم المؤامرات المستميتة واعمال التخريب التى تنظمها وتقودها الإمبريالية.

وهم الديمقراطية الراسمالية وما تروجه من اتهامات لكل الشعوب التى تكافح للتخلص من نفوذها وسيطرتها بانها تسعى لبناء نظام ديكتاتورى شمولى يتصدى على حقوق الإنسان.

إن الامبريالية العالمية التى تركز هجماتها للقضاء على اى دولة او حزب يعتنق النظرية الماركسية، مستخدمة كافة الأسلحة للوصول إلى أهدافها، واتهامها الأحزاب والدول التى تعتنق الماركسية وكل القوى التى تقاوم فرض هيمنتها على دول وشعوب العالم بالدكتاتورية والاستبداد والشمولية مدعية أن هدفها هو حماية الديمقراطية من

سيطرة الاستبداد والديكتاتورية.

إن الديمقراطية التى تدافع عنها الإمبريالية، هى ديمقراطيتها التى تتحكم من خلالها فى حياة الغالبية العظمى من الشعوب.

فهل الديمقراطية هى أن تعيش ملايين الأسر التى تعمل للحصول على دخل يحقق لها الاستقرار فى حياتها معرضة للطرد والبطالة عندما تنخفض ارباح أصحاب الديمقراطية؟ وهل الديمقراطية وحقوق الإنسان هى فرض الحصار الاقتصادى على الشعوب وحرمانها من ضروريات الحياة؟ وهل الديمقراطية وحقوق الإنسان هى الوقوف إلى جانب المعتدين وتزويدهم بالأموال والأسلحة لإبادة الشعوب التى تطالب بحقها فى الحياة والمحافظة على أراضيها؟

وهل الديمقراطية وحقوق الإنسان أن تتكتل الدول الغنية لفرض هيمنتها الاقتصادية على الدول الفقيرة لتجويعها وتحويلها إلى دولة تابعة تخضع لسيطرتها وديمقراطيتها؟

لقد عانينا من ديمقراطية الراسمالية واحتلالها العسكرى لبلادنا سنوات طوال أثناء الاحتلال الفرنسى والانجليزى، وقاوم شعبنا وضحى بالمئات من شهدائه للتخلص من سيطرة هذه الديمقراطية ومازالت تحاول فرض سيطرتها الاقتصادية على بلادنا عن طريق مؤسساتها النقدية.

لقد حققت الإمبريالية نصرا عظيما بنجاحها عن طريق مخابراتها وعملائها فى فرض ديمقراطيتها على الدول الاشتراكية وأطاحت بنظامها الشمولى الدكتاتورى كما تدعى وطبقت عليها ديمقراطيتها وحولتها إلى دول مفلسة معدمة فقيرة لا تجد شعوبها الدخل الذى يوفر لها ضروريات الحياة، ولم يعد فى مقدورها سوى صب اللعنات على هذه الديمقراطية واصحابها من اللصوص المافيا والقوادين ممن سرقوا ثروات البلاد وتولوا إدارة شئونها، هذه هى ديمقراطية الإمبريالية.

إن الديمقراطية هى أن يمارس كل فرد حقه فى الحياة، ليس بحرية الراى أو بتشكيل التنظيمات والأحزاب فقط، إن الديمقراطية هى التى تحقق للفرد الحياة الكريمة والاستقرار له ولأسرته ولا تحوله إلى سلعة تباع وتشترى وتخضع لما تفرضه عليها قوانين سوق المال.

إن تكتل اغنى دول العالم التى تسمى بالدول الديمقراطية، لمناقشة افضل الوسائل

لإحكام قبضتها على ثروات الدول الفقيرة وفرض عولمتها وديكتاتوريتها عليها، دفع بمئات الآلاف من شعوب العالم من مختلف الجنسيات والاتجاهات والآراء للتكتل وتنظيم المظاهرات وملاحقتها فى كافة الأماكن التى تلجأ إليها لتدبير مؤامراتها، مما اجبرها علي البحث عن اماكن منعزلة تحتمى بها من سخط الجماهير وقد فشلت جهودها فى الهروب ولم يعد امامها سوى عقد مؤتمراتها أو بمعنى اصح مؤامراتها على إحدى سفن الفضاء حتى لا تصل إليها الجماهير الساخطة والهروب بديمقراطيتها من مطاردة المتظاهرين لقد عبرت الجماهير عن رفضها للنظام الراسمالى وديمقراطيته التى تحولت إلى وحش مفترس ينشب مخالبه لامتصاص دماء الشعوب عن طريق عولمته لنظامه الراسمالى، إن ما تعانيه شعوب الدول الاشتراكية من إنهيار لاقتصادها وتفكك بعد سيطرة عملاء الراسمالية على السلطة وتطبيقها ديمقراطية الراسمالية جعلها تؤمن بأستحالة تحقيق حياة كريمة بدون ديمقراطية الطبقة العاملة وفرض ديكتاتوريتها وتعبئة قواها للوقوف امام سيطرة العولمة، وعلى من يعلقون الأمال بإمكانية التغير من خلال القنوات التى تسمح بها ديمقراطية الراسمالية الاعتراف بأن الواقع اثبت ان امالهم مجرد سراب لا يمكن الوصول إليه أو تحقيقه، واستيعاب الدرس الذى تعرض له شعب شيلى عندما تمكن من تحقيق النصر وانتخب قيادته عن طريق ديمقراطية الراسمالية، فحرمته من نشوة النصر وسرعان ما طبقت عليه ديكتاتوريتها العسكرية وقضت على قادة الشعب بإعدامهم وإلقائهم بالسجون والمعتقلات ومازال الشعب يعانى من هذه الديكتاتورية إلى اليوم. وان مواقفها العدائية تجاه الصين وكوبا وكوريا الشمالية وجميع القوى التى تناضل للتخلص من نظامها واتهامها بالديكتاتورية والشمولية والاعتداء على حقوق الإنسان الهدف منه فرض هيمنتها وعولمتها وديكتاتوريتها على جميع الدول والشعوب. وعلى من يقف مدافعا عن ديمقراطية النظام الراسمالى ان يعلن بصراحة ووضوح وقوفه وانحيازه للنظام الراسمالى وعداءه لديمقراطية الطبقة العاملة التى تفرض ديكتاتوريتها على اعدائها اصحاب الديمقراطية الراسمالية.

أعتقد أن الأسباب التى ادت إلي فشل الطبقة العاملة المصرية فى بناء حزبها لا تختلف كثيرا عن الأسباب التى ادت إلى انهيار الأحزاب والنظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية بعد أن سيطر أعداء الاشتراكية على احزابها فمند

الاربعينيات تمت محاولات من بعض قادة التنظيمات للتحذير من خطورة خط القوات الديمقراطية على تكوين الحزب، غير أن سيطرة المثقفين من البرجوازية ازدادت بعد إتمام الوحدة بين هذه التنظيمات وإعلان تاسيس الحزب، وقد تمت الوحدة بشكل معاد تمامًا لمصلحة الطبقة العاملة، واستخدمت القيادات أساليب غير أخلاقية ليس لها علاقة بالماركسية لفرض سيطرتها على قيادة الحزب وكان من الطبيعي على قيادات اقدمت على ارتكاب اساليب غير شريفة للاحتفاظ بمراكزها فى القيادة أن تسارع باعلانها حل الحزب بعد أن راودها الأمل فى الحصول على مراكز تحقق من خلالها مصالحها الشخصية دون التعرض من جديد لتجربة ١٩٥٩ - ١٩٦٤، لقد تشكلت هذه القيادات من شرائح مختلفة من البرجوازية تمثل فى مجملها العناصر التى تكون وتنفذ خط القوات الديمقراطية الذى يتعارض مع المبادئ الماركسية لبناء حزب الطبقة العاملة، وتؤكد تجربة الواحات أن هذه القيادات لم تفكر فى خلق قيادة من الطبقة العاملة وهو الشرط الأساسى لوجود الحزب، فعلى مدى خمس سنوات قضيناها فى سجن الواحات ووجود اكبر تجمع من الشيوعيين فى مكان واحد يضم فى صفوفه العشرات من العمال من أخلص قيادات الطبقة العاملة لم تحاول هذه القيادات تكوين مدارس كادر لرفع مستواهم من الثقافة الماركسية وتخلق منهم كادر ماركسى لديه من الوعى ما يمكنه من قيادة الحزب بعد اطلاق سراحه. لقد خططوا لتستمر القيادة حكرًا عليهم فقط وعدم وجود منافسين لهم.

إن خطر سيطرة العناصر البرجوازية التى تنتسب إلى القوى الوطنية الديمقراطية تصبح خطرًا عندما تتخفى فى ثوب الماركسية وتجلب الخراب والدمار لأحزاب الطبقة العاملة، وهذا هو ما حدث عندما فرض أعداء الاشتراكية سيطرتهم على الأحزاب الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية وسرقوا ثرواتها وأعلنوا تخليهم وعداءهم للماركسية وولاءهم للراسمالية، ان من اهم الشروط لبناء الحزب ونجاحه فى تحقيق اهدافه التطهير الدائم والمستمر لصفوفه من هذه العناصر، ولن يبنى حزب ماركسى ولن تتحقق الاشتراكية بدون قيادة الطبقة العاملة لحزبها الشيوعى، كما أن التطلعات المتاصلة داخل كل فرد منذ فجر التاريخ والعصور وطموحاته لفرض سيطرته ونفوذه على المجتمعات التى عاصرها مستخدما كافة الوسائل والأساليب لخدمة

مصالحه لم تتلاشى، والنظام الراسمالى هو التطور الطبيعى لتطلعات سادة هذا النظام، لقد اكدت الماركسية ان البروليتاريا هى الطبقة الوحيدة التى يعيش النظام الراسمالى على ثمار جهودها ويستمد وجوده من وجودها، كما انها الطبقة الوحيدة القادره علي تنظيم صفوفها وارتفاع وعيها ووجود حزبها القوى على حفر قبور النظام الراسمالى ودفنه بداخلها، إن تطلعات البروليتاريا تنحصر فى ان تحيا حياة مستقرة كريمة، ولن يتحقق ذلك إلا بالقضاء على النظام الراسمالى وبناء المجتمع الاشتراكى ولن تفقد لتحقيق ذلك سوى الأغلال، وطريقها الوحيد لتحقيق ذلك هى الماركسية لأنها الوصلة التى تقود حزبها وتنير له الطريق لبناء الاشتراكية.

غير أن التطلعات البرجوازية الدفينة داخل كل فرد من حب الذات وتغليب المصالح الشخصية سوف تنمو عند بعض أفراد البروليتاريا عندما تصل إلى مراكز قيادية داخل الحزب وبعد أن تحطمت قيودها بانتصار الاشتراكية تعمل على استغلال مواقعها لخدمة مصالحها وتقف فى صف واحد مع أعداء الاشتراكية.

فإذا لم تكن قيادة الحزب لديها من اليقظة والوعى ما يمكنها من إفشال مخططاتهم والقضاء عليها وطردهم من صفوف الحزب وتطهيره من وجودهم والقضاء عليهم بدون شفقة او رحمة قبل ان يستفحل خطرهم ويتمكنوا من تخريب الحزب وحتى لا تتكرر المأساة التى بداها خروتشوف واختتمها جورباتشوف ومازالت نتائجها تسحق شعوب الاتحاد السوفيتى وشعوب دول اوربا الشرقية.

لقد اختارت اغلب التنظيمات النشاط الجماهيرى وفضلته على التركيز فى صفوف الطبقة العاملة لإثبات وجودها فى الشارع المصرى، ودفعت بكوادرها للمشاركة فى العديد من الأنشطة العلنية، وقد مكن ذلك اجهزة الأمن من اختراق صفوفها، واضعف ذلك من تركيز نشاطها لبناء الحزب داخل المصانع فى صفوف الطبقة العامة وفرض السرية الكاملة على نشاطها. ولا يعنى ذلك ترك النشاط الجماهيرى وإنما يجب على من يقوم به أن يكون بعيدا عن النشاط السرى، إن الدفع بكوادر مرتبطة بالعمل السرى للمشاركة فى جمع توقيعات لحركة انصار السلام او فى تكوين لجان لحقوق الانسان وغير ذلك من الأنشطة العلنية يمكن أجهزة الأمن من اختراق هذه التنظيمات.

ولا يعنى ذلك عدم المشاركة فى النشاط الجماهيرى بل يجب التفرقة بين انشطة

تكشف انتماء من يقوم بها وبين من يقوم بالمشاركة فى المظاهرات والاضرابات التى يشترك فيها المئات ويتزعمها البعض بينهم من ليس له علاقة. لقد كانت بداية الأربعينيات حافلة بالمظاهرات والإضرابات التى شارك فيها العديد من الزملاء وكنت احدهم، وكان من الصعب على اجهزة الأمن ان تحدد انتماءنا لأن ما نقوم به يتم بمشاركة المئات.

ولكى نتمكن من بناء حزب قوى لابد من الفصل بين من يقوم بالنشاط الجماهيرى ومن يقوم بالعمل السرى.

ولن يكتب البقاء لتنظيم او حزب يتهاون فى الحفاظ على سرية وامان كوادره ويلقى بهم فى أيدى أجهزة الدولة لإثبات وجوده وجماهيريته.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضاً بالفجر الجديد عام ١٩٤٥ (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكري، رشدي صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون). ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال في بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري عام ١٩٥٧ .	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د حسونة من الحزب الأول وعدلي جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزي جرجس وعبد الفتاح القاضي، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرون.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)	الحركة المصرية + إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثوري	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدي عطية الشافعي وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكى وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تماماً كالعمالية الثورية، والتكتل الثورى.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى، ميشيل كامل، فاطمة زكى وآخرون)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى وآخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشى وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمى، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٨
٢٤	اتجاه النضال الثورى	إبراهيم عرفة وآخرون.	١٩٤٩

٢٥	نواة الحزب الشيوعي المصري	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى وبقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعي المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرين ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشوباشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعي، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعي المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٤
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعي المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٤	الحزب الشيوعي المصرى (حزب ٨	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى	١٩٥٨

	يناير)	المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعى المصرى (حدتو).	
٣٥	الطليعة الشيوعية (طش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التى خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات، (رمسيس لبيب).	١٩٦٢
٣٨			
٣٩			
٤٠	الشيوعيون داخل السجون		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان

قائمة مطبوعات
مركز البحوث العربية

١- فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر ١٩٨٧.

٢- لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر ١٩٨٨.

٣- رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.

٤- عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨.

٥- وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.

٦- أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية ، ١٩٨٩.

٧- إبراهيم برعى ، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٢/١٩٨٩.

٨- إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الاصلاح، ١٩٩٠.

٩- إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠.

١٠- أحمد عبد الله (المحرر) ، الانتخابات البرلمانية فى مصر- نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.

١١- حيدر إبراهيم ، أزمة الاسلام السياسى، الجبهة الاسلامية القومية فى السودان ١٩٩٠.

١٢- محمد عبيد غباش ، من لايعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ، ١٩٩١.

١٣- ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١.

١٤- محمد على دوس، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الأفريقى ١٩٩١.

١٥- أحمد نبيل الهلالى وآخرون ، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.

١٦- أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.

١٧- سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.

١٨- المسألة الفلاحية والزراعية فى مصر:أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.

١٩- جويل بنين، زكارى لوكمان ، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢

٢٠- إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية فى مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار

كنعان ، ١٩٩٢.

٢١- أحمد يوسف أحمد : منطق العمل الوطني- حركة التحرر الوطني الفلسطينيا في دراسة مقارنة مع حركات التحرر الافريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان ، ١٩٩٢.

٢٢- ليلى عبد الوهاب ، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة ، ١٩٩٢.

٢٣- أحمد محمد البدوى ، ابن الأبنوس بازول ١٩٩٢

٢٤- مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار ، ١٩٩٢.

٢٥- ادريس سعيد ، عظام من خزف ، ١٩٩٣.

٢٦- دارلم جاى،(تحرير) ، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب ترجمة /مبارك عثمان ، نشر مع اتحاد المحامين العرب ١٩٩٣.

٢٧- مايكل دراكوه (تحرير) ، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.

٢٨- عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول ١٩٩٤.

٢٩- نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية في مصر نشر مع دار الأمين ، ١٩٩٤.

٣٠- آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.

٣١- لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.

٣٢- على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلي والفقر فى السودان، ١٩٩٤.

٣٣- حلمى شعراوى وعيسى شيفجي، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤.

٣٤- لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.

٣٥- جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.

٣٦- عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.

٣٧- صادق رشيد أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.

٣٨- عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.

٣٩- بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربي، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥ .

٤٠- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربي: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٦.

٤١- سمير آمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٢- مصطفى كامل السيد(تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٣- سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٤- عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية ، ١٩٩٦.

٤٥- جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.

٤٦- عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٧- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٧ .

٤٨- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٧ .

٤٩- كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٠- عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨ .

٥١- عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية . نشر مشترك مع دار المحروسة ، ١٩٩٨ .

٥٢ - محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣- عبد الغفار أحمد (تحرير) ، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤ - لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار - مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥ - لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفي مجدى، ١٩٩٩.

٥٦ - أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية ، مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٧ - محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٥٨ - محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية،

١٩٩٩.
٥٩- عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبي في الوطن لعربي، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٩.
٦٠- عبد الباسط عبد المعطي(تحرير)، العولة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، نشر مشترك مع دار مدبولي، ١٩٩٩.
٦١- عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة في مصر، نشر مشترك مع المركز القومي للثقافة والطفل-١٩٩٩.
٦٢- أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
٦٣- فاروق القاضي، فرسان الأمل : تأمل في الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.
٦٤- حلمي شعراوي، أفريقيا في نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.
٦٥- مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربي. نشر مشترك مع دار مدبولي، ٢٠٠١.
٦٦- عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيوني والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولي، ٢٠٠١.
٦٧- سلسلة كتب شهادات ورؤى : من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ج١، ٢، ٣، ٤، ٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥.
٦٨- فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه،، في مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.
٦٩- عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.
٧٠- كويسي براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمي شعراوي، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقي بكيب تاون، الناشر، دار الأمين.
٧١- فيتينو بيكيلي، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.
٧٢- رمسيس لبيب (تحرير)، العمال في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥ - ٢٠٠١.
٧٢- سمير أمين، مستقبل الجنوب في عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

كراسات المركز

١- أحمد هني، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادي في الجزائر، ١٩٨٨.
٢- عصام فوزي، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية في البيريسترويكا، ١٩٨٨.

٣- أشرف حسين ، ببليوجرافيا الطبقة العاملة ، ١٩٨٨.

٤- عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩

٥- مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩

٦- موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسى ، البريسترويكا فى عيون الآخرين ، ١٩٩٠

٧- نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى

٨- محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.

٩- إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.

١٠- عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.

١١- حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.

١٢- أحمد صالح، الانترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١ .

١٣- عريان نصيف (تحرير) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.

١٤- أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة ٢٠٠٢.

أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، مجلد١ (أكتوبر ١٩٩٩)، مجلد٢(مارس ٢٠٠٠) مجلد ٣ (أكتوبر ٢٠٠٠) مجلد ٤ (أكتوبر ٢٠٠١) نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين.

كراسات كوديسريا

١- أوكواديا نولى، الصراع العرقى فى أفريقيا،١٩٩١ .

٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية فى أفريقيا، ١٩٩١.

٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات ، ١٩٩١.

٤- جيمى أديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٥- أديمولات - سالو ، تغير البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لافريقيا ، ١٩٩٣.

٦- م. مامدانى ،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية فى أفريقيا .

٧- ثانديكا مكانداويرى ، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا .

٨- مومار ديوب، ممادوديوف، تداول السلطة السايسية وآلياتها فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٩- أرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة فى أفريقيا، ١٩٩٣.

١٠- سليمان بشير دياني،المسألة الثقافية فى أفريقيا، ١٩٩٦.

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.

١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٤- تادى آكين أنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٥- مامادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطي : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.
١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلي، ٢٠٠٠.
١٧- كلوبير شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة في أفريقيا؟، ٢٠٠٠.
١٨- أشيلي ميمبي، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادي والتنمية في أفريقيا.
٢- تحسين أداء المشروعات العامة في أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.
٣- تحسين أداء المشروعات العامة في أفريقيا.
٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية في الجامعات الأفريقية.
٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة في أفريقيا.
٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية في التسعينيات ومابعدها.
٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية في أفريقيا.
٨- تعبئة القطاع غير الرسمي والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادي والتنمية في أفريقيا.
٩- الأخلاقيات والمساءلة في الخدمات العامة الأفريقية.
١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال في أفريقيا.
١١- الإثنية والصراع السياسي في أفريقيا.
١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية في أفريقيا.

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة في ناميبيا.
٢- دراسة حالة في أوغندا.
٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية في السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة.
٤- المبادىء الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.
٥- دراسة حالة في جامبيا.
٦- دراسة حالة في أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبي للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال في خدمة التنمية بالمشاركة.

٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء في المجتمعات المحلية.
٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.
٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة في عملية التنمية.
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدني في منع وإدارة وحل الصراعات في أفريقيا.

النشرات

١- نشرة البحوث العربية
من العدد التجريبي يناير ١٩٩٠ إلى العدد الثالث عشر صيف ٢٠٠١.
٢- نشرة المجلس الأفريقي لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا) من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد الثامن والثلاثين، أبريل ٢٠٠٠.
٣- نشرة العلوم السياسية الافريقية
من العدد الأول إلى العدد السادس والثلاثون، سبتمبر - ديسمبر ٢٠٠١.
٤- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار.
العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثاني يونيو ١٩٩٧
٥- نشرة المنتدى العالمي للبدائل- العدد الثاني - أكتوبر ٢٠٠١.

تحت الطبع

١ - سمير أمين (إشراف) : سلسلة المجتمع والدولة في الوطن العربي: حالات : السودان- الجزائر - المغرب- تونس).
٢ - عبد الغفار شكر (تحرير) : ندوة التعاونيات.
٣ - المشاركة الشعبية في التنمية المحلية.
٤ - التعليم العالي والتنمية.
٥ - سنوات اليسار في مصر.
٦ - الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
٧ - الجمعيات الأهلية الإسلامية - حالة السودان - الجزائر - تونس - المغرب.
٨ - المجتمع المدني وسياسات مواجهة الإفقار.
٩ - المرأة في القطاع غير الرسمي.
١٠ - الحريات الفكرية في شمال أفريقيا.
١١ - ثقافة وسائل الإعلام وتشكيل الهوية.

شهادات
نشرت فى الأجزاء السابقة

أديب ديمترى
أحمد الجبالى
أحمد القصير
أحمد خضر
أمينة رشيد
إيفون حبشي
بهيج نصار
ثريا إبراهيم
ثريا شاكر
جنيفيف سيداروس
جمال البراد
حلمى ياسين
حمزة البسيونى
خالد حمزة
رزق مكارى
رشاد الملاح
رمسيس لبيب
سامى عجيب
سعاد زهير
سعد الطويل
سعد جويدة
سعيد مصطفى
سيد عبدالوهاب ندا
شحاته عبدالحليم
شريف حتاتة
عبد العال البسطاويسى
عبد المنعم ناطورة
عدلى برسوم
عريان نصيف
فتح الله محروس
فخرى لبيب
فرنسيس كيرلس
فؤاد مصطفى
فوزى حبشى
مارسيل تشيريزى
متولي السلماوى
متولي محمد بحر
محروس سليمان حنا
محمد الجندي
محمد سيد أحمد
محمد شريف
محمد عبد الواحد
محمد فخرى
محمد يونس
محمود العالم
محمود عزمى
معروف عبد الحميد
منصور زكى
نبيل فرنفلى
نجاتى عبد المجيد
هليل شفارتز
وداد مترى
يوسف درويش

مركز البحوث العربية
والافريقية

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء السابع

أحمد أحمد سُلَيم
سعيد أبو طالب
عبد الله محمود كامل
ثريا محمد أدهم
طه سعد عثمان
فاطمة محمد زكى
حسونة حسين إسماعيل
عادل حسونة حسين
محمد حسن المنشاوى
نبيل صبحى حنا

تقديم
د .عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

هذه مجموعة أخرى من شهادات الشيوعيين المصريين ينتمى أصحابها لجيلين مختلفين .. جيل نشأ فى عشرينيات القرن العشرين .. وجيل نشأ فى ثلاثينياته، ويشتركون فى أصول اجتماعية - ثقافية متقاربة بين الشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى (الموظفون) والشرائح العليا من عامة الفلاحين وعمال المصانع والشركات، وينتمون لتنظيمات وفصائل يسارية متباينة بحكم ظروف كل منهم. ولكن جمعتهم هموم اجتماعية وسياسية واحدة فى مقدمتها قضية العدل الاجتماعى فى مجتمع كان أبناؤه - ولا يزالون - يعانون من التفاوت الطبقى الكبير بين من يملكون الثروة والسلطة وبين من لا يملكون إلا قوة عملهم يبيعونها بثمن بخس لمن يملك الأرض والمصنع والمتجر وأماكن اللهو والترفيه..

ولهذا لم تكن مصادفة أن ينتمى للشيوعية فكرا وتنظيما كل من كان يعانى القهر الاجتماعى بصورة أو بأخرى .. كل من لمس بنفسه معنى أن يحرم من التعليم مثلا بسبب ضيق ذات يد الأسرة وحاجتها إلى قوة عمله تستعين بها لمواجهة أعباء الحياة .. وكل من شاهد بنفسه سوء معاملة عمال المصانع والورش الذين ينتجون فائض القيمة لصالح أصحاب المال دون أن ينعموا هم بشىء من ناتج عرقهم ليحررهم قليلا من الحاجة ويرطب حياتهم الجافة .. وكل من رفض إغراءات سلطة الإدارة لكى

ينقلب على زملائه فناله ما يكره .. وكل من كان يطل على المجتمع من شرفة قصر أو بيت كبير وتستثير مشاعره رؤية المظلومين الذين لا يملكون إلا الدعاء واستمطار اللعنات على مستغليهم .. هكذا.

والحال كذلك.. كان على الذين يشعرون بالظلم الاجتماعي البحث عن ظهير يستندون إليه في مقاومة الظلم، ولم تكن مصادفة أن يكون الدين هو الظهير الأساسي لمقاومة الظلم والقاسم المشترك في كثير من الشهادات، ودون شعور بوجود تناقض بينه وبين الشيوعية طالما كانت الدعوة للمساواة ورفع الظلم عن العباد، بل لقد حارب هؤلاء المتدينون حملة الدعاية المضادة للشيوعية التي كانت تقرنها بالإلحاد دوما ..

وهذه الشهادات شأن غيرها من الشهادات التي صدرت في الأجزاء السابقة من قبل .. تقدم مشاهد وتفاصيل كثيرة، حيوية ودقيقة، من تجربة نضال الشيوعيين المصريين في أماكن العمل وفي الشارع وفي السجون والمعتقلات، وأيضا تقدم الكثير عن طبيعة العلاقات الخاصة والشخصية بين عناصر التنظيمات، ومشاعر المحبة والتقدير أو الغضب والضيق عند اختلاف المواقف وتباين تحليل الأوضاع إلى غير ذلك من لقطات تساعد الباحث على فهم وتفسير كثير من وقائع الحركة الشيوعية مما لا يمكن العثور عليه في الوثائق المحفوظة في الأرشيف الرسمي، ذلك أن الوثائق الرسمية تختص فقط بما صدر عن الشيوعيين من نشاط يتمثل في البيانات والنشرات السرية وتقارير مباحث أمن الدولة عن تحركهم وعلاقاتهم واتصالاتهم .. إلخ. لكنها لم تحفل مثلا بتدوين وقائع الاعتقال وعمليات التعذيب في السجون وعمليات الملاحقة والتضييق في الرزق .. وهل يمكن لحكومة ما أن تسجل على نفسها أخطاءها ..؟!

وتقدم هذه الشهادات وخاصة المطولة منها (طه سعد عثمان ونبيل صبحي) صفحات من تاريخ مصر الاقتصادي- الاجتماعي والثقافي .. الأزمات الاقتصادية وتأثيراتها الاجتماعية والسياسية .. دور البيت في التنشئة على عدم التعصب والانفتاح على الآخرين .. نظام التعليم في المدرسة والجامعة، وطبيعة التدريس وحيويته واتصافه بالجدية والموضوعية ليس فقط في الكتب المقررة وإنما في الأساتذة الذين أحبوا عملهم وأرادوا أن ينقلوا ما لديهم من معارف إلى أبنائهم التلاميذ بكل فخر ومحبة، مما يدفع القارىء لعقد مقارنة دائمة بين مختلف عهود الحكم التي توالت على البلاد.

وتحفل الشهادات بروايات كثيرة عن الحياة الشاقة التى واجهها الشيوعيون ابتداء من قلق الانتماء، والبحث عن الطريق، ومعاناة استيعاب الماركسية.. ثم حياة التجنيد بمستوياته المختلفة، وحياة التهرب من الملاحقة والتخفى والتمويه. كما تحفل بصفحات من حياة السجون والمعتقلات ووقائع التعذيب والإهانة التى يندى لها الجبين ويعاف تكرها اللسان مرة أخرى.. وصفحات أخرى مضيئة من الحياة الجماعية داخل السجون حين توحد المحنة بين الرفقاء.. ومواقف أخرى تؤكد دفء المشاعر الإنسانية لدى المصرى حين يرتفع بعض ضباط البوليس وبعض عساكر السجون فوق الالتزام الوظيفى ويتعاطفون مع المعتقلين إن لم يكن إيمانا بقضيتهم فعلى الأقل من باب العطف على تردى أحوالهم فى الزنازين..

وفى الشهادات مرارة فى الحلوق من انهيار البعض داخل المعتقلات وإعلان استنكار الشيوعية للفوز بالحرية وبالوظيفة فى الخارج، ووقوف الآخرين عند المبدأ شأنهم فى هذا شأن القابض على جمرة من النار، ففازوا بأنفسهم ولم يخسروها رغم علمهم بالمصير المنتظر. ومرارة من الانقسامية داخل الحركة الشيوعية التى انعكست سلبا على النقابات العمالية وعلى وحدة الحركة نفسها، ومحاولة لمعرفة أسبابها .. وهل تكون فى النزوع للزعامة والتفرد .. أم تكون بسبب المثقفين أبناء البرجوازية وسهولة الاختلاف الفكرى فيما بينهم. ومرارة أيضا من ثورة يوليو ١٩٥٢ بسبب موقف قيادتها من الشيوعية رغم وحدة هدف العدل الاجتماعى والتحرر الوطنى. ومرارة أخرى تجاه الذين تفاهموا مع سلطة يوليو وكانوا وراء تصفية الحزب الشيوعى.. وأسئلة كثيرة يطرحها أصحاب الشهادات هنا وهناك بحثا عن إجابة لهذا المصير الذى انتهت إليه الحركة الشيوعية، ولكن دون إجابة شافية أو محددة أو نهائية ..

ويبقى القول إن هذا الجزء يمتاز بأكثر من ميزة .. فهو يحفظ بين دفتيه شهادة الدكتور حسونة حسين إسماعيل عضو أول حزب شيوعى فى مصر، والتى تلقى أضواء على تكوين الحزب وعناصره، والعلاقة بالكومنتيرن، وكان قد أملاها على ابنه عادل فى مطلع عام ١٩٦٤ وقبل وفاته بسبعة أشهر، ويضم أيضا شهادة عادل حسونة. والشهادتان نموذجان ملفتان لأسرة شيوعية عاشت الشيوعية بكل ظروفها حين امتد العمر بالأب ليرى ابنه وابنته فى الحركة بكل إخلاص حتى لتتزامن

اعتقال كل منهما أحيانا. ويضم هذا الجزء أيضا شهادتين مكتوبتين بالعامية المصرية كما وردت على لسان صاحبيها مما يشعر القارئ، لهما بمدى الألفة والحميمية، وكان نشرهما محل جدل بين أعضاء لجنة التوثيق من باب الحفاظ على النسق العام للشهادات التي نشرت في الأجزاء السابقة. ولكن سرعان ما تم الاتفاق على النشر هكذا على اعتبار أن العامية في بعض المواقف تكون أبلغ من الفصحى للدرجة التي تجعل الروائي يلجأ إلى استخدامها في بعض مناطق الحوار في روايته. كما يضم شهادات لم يقف أصحابها عند عام ١٩٦٥ طبقا لخطة اللجنة، إذ استمروا في سرد نشاطهم وظروف اعتقالهم مرة أخرى في نهاية الستينيات والسبعينيات، وأبدوا أيضا وجهة نظر في الحركة الشيوعية حتى انهيار الاتحاد السوفييتي، وفي تطور المجتمع المصري..

وأخيرا .. يصدر هذا الجزء الذي تأخر صدوره كثيرا، بعد أن غادرنا إلى الدار الآخرة اثنان من أعضاء لجنة التوثيق .. الحاج طه سعد عثمان المناضل النقابي الذي أثرى المكتبة التاريخية بمؤلفاته عن نضال الطبقة العمالية والذي نادرا ما كان يتخلف عن حضور اجتماعات اللجنة محتفظا بحيوية ملحوظة في المناقشة والجدل، وبذاكرة مرجعية قوية .. والأستاذ إسماعيل عبد الحكم الذي أفلت من الموت في السجن بسبب شدة التعذيب ليواصل طريقه في النضال حتى وافته المنية الطبيعية .. وكم كنا جميعا نتمنى أن يكونا معنا ونحن نحتفل بصدوره ونتصفحه بين أيدينا ونعلق ما شاء لنا التعليق على الطباعة، وكيفية التوزيع، وكيفية الاستعداد لنشر الجزء التالي كما نفعل في كل مرة .. فإلى روح كل منهما الطاهرة .. وإلى نفسيهما الشجاعة والأبية نهدي هذا الجزء ..

شهادة

أحمد أحمد سُلَيّم

أولا: نبتدى بتحياتى لكل مناضل في سبيل الحرية والعدل. وبالنسبة لى أنا عامل زراعى نشأت يتيم ماشفتش أبويا، وبالتالى قاسيت كتير من الناس ودقت مرارة الظلم فى الملكيات الكبيرة الزراعية، وعلى الأساس ده طلعت أطالب بكل عدل وبكل حق للعامل الزراعى أنه يعيش عيشه كريمة، على هذا الأساس كانت ميولى الأولى وفدية وبعدين انضميت للحركة الشيوعية سنه ١٩٤٨.

البيانات الشخصية:

الاسم: أحمد أحمد أحمد سلّيم

تاريخ وموطن الميلاد: •بلد أبو حلميه - دمياط - فى ١٩٢٨/٩/٣ وسنى دلوقت ٧٤ سنة

المؤهلات الدراسية: التعليم الأولى بس.

المهن: عامل زراعى، احنا كنا بنشتغل فى فترات ولما يكون ما فيش عمل زراعى نشتغل فى ورش الطوب، وعامل زراعى بدوى.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية: حوالى ١٨ - ٢٠ سنة.

فترات السجن والاعتقال: اعتقلت سنين طويلة غير استدعاءات أقسام البوليس والقبض علىّ أثناء الإضرابات لعمالية اللى أنا قدتها، اعتقلت أولا فى قضية الصحفى الفرنسى وكذا ١٨ فلاح وكان فيهم الأستاذ فؤاد عبد الحليم وفؤاد حبشى ومحمود المناسترلى، وحكاية الصحفى الفرنساوى ده أنه جه يسأل عن رد فعل الشعب المصرى

تجاه ثورة ٢٣ يوليو في أغسطس ١٩٥٢، أثناء كفر الدوار لدرجة أنه قال انهم هايعدموا فلاحين علشان يعنى مساواة بالخميس والبقرى، علشان إرهابهم، وبعدين تدخل تقريباً المرحوم يوسف صديق وقعدوا عشرة أيام وخرجوا، وانحفظت القضية. يعنى، هو ما كانش فيه حاجة غير أنه كان بيسأل أنتم مبسوطين من الثورة ولامش مبسطوين وحاجات زى كده. بعد كده اعتقلت ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ قعدت لـ ١٢ يونيو ١٩٥٦. ثالث مرة اعتقلت في مايو ١٩٥٩ طلعت في ١٢ أبريل سنة ١٩٦٤، واعتقلت ثاني في ٢٦ مارس سنة ١٩٦٩ وخرجت في مارس ١٩٧٢. واللى أحب أذكره في هذا الموضوع وأشكره هو الأستاذ خالد محى الدين، بعد حل الحزب حصل أن فيه معارضين لحل الحزب وكنت أنا منهم اللى هو التيار الثورى، واللى كان فيه الأستاذ طاهر البدرى ومحمد عباس والمنشاوى.

بالنسبة لمدد الاعتقالات: وصلت لحوالى ١٢ سنة.

وبعدين طلعت لقيت البيت.. يعنى مفيش حاجه، والحركة الشيوعية زى ما شفت.. فإضطريت.. لأن البيت مبقاش فيه.. العيال اتبهدلت، فاضطريت بقى أشتغل فرحت إشتغلت عند واحد من زملائنا، كان يعرفني، لأنى أنا كنت ماسك المزرعة بتاعة الواحات فخدني اشتغلت عنده.

هو ما حدش في العيلة كان ليه في العمل السياسي، الوفد أو غيره، لكن العيلة، كلها كانت متعاطفة معايا، وأنا عرفت الاشتراكية عن طريق مثقفين كانوا بيسافروا ويدرسوا، جم عندنا هنا وإحنا تلقفنا الفكر منهم على أساس أن احنا ناس مضطهدين وبنتكلم في حقوقنا إزاى ناخدها.

على الأساس ده نظمت الفلاحين في البلد، ودخلنا معارك، وباختصار شديد إضرابات اشترك فيها سبع بلاد، وبالنسبة لعمال الطوب حققنا إرتفاع في الأجر والاصابة عند العمل والتأمين عليهم، ودى حاجات ومواقف أنا سببها، واللى كان ماسك العمل، والعمل كان التطهير في الترع، كان يدوى، ما كانش عن طريق الكراكات ولا بتاع، وبعدين اللى كان ماسكها في وجه بحرى ده «حنفى الشريف» وكان نائب في البرلمان الوفدى، كان وفدى، إنما كانت الناس بتاخد من تحت أيديه،

فأنا بقى علشان أوصل للعمال الفلاحين لازم أدافع، وأكون فى الخط الأمامى علشان مصالحهم، وعلى الأساس ده يجى الراجل يدينا المقاولات الكبيرة، المقاولات دى ما تخلصش، فيقوم يخصم نص الأجر، كان الأجر عشرة صاغ فيقوم يدينا خمسة صاغ فأقوم أنا أختار الوقت بقى اللى أقدر أحقق فيه المطلب اللى أنا عاوزه. كان صدور قانون الاصلاح الزراعى وحق العامل الزراعى فى الأجر ١٨ قرش، فكان المطلب أيامها إن أحنا ناخد مقاولات صغيرة ونقبض الـ ١٨ قرش اللى حددها قانون الإصلاح. الزراعى، طيب نعمل الحكاية دى ازاى، ان جينا نعمل الإضراب فى دقهلية، السرو حايجيبوها، فعملنا لجان فى السرو، أن ناس تعرف فى السرو، إتصلنا بالسرو، قالوا لأ ده من سيف الدين إتصلنا بسيف الدين، قالوا بالبراشية إتصلنا بالبراشية، عملنا حلقة، لأن الترعة اللى كانت بتطهر هنا، بيتنا احنا والسرو كانت بتاخد من النيل تودى للترعة الشرقاوية، وكانت بتاخد آلاف العمال فى التطهير، فكنا بنعمل ازاى بقى.. اخترت الوقت اللى أقدر أعمل فيه الإضراب وأحقق المطلب بتاعى، أعمل إيه رحت ساكت، انتظرنا لما القرب خالص يعنى مضى ١٥ يناير وبقى ١٥ يوم على السدة الشتوية، ومفروض هو يسلم الشغل بتاعه قبل انتهاء المدة دى، قبل انتهاء السدة الشتوية، رحت عامل إضراب فى الوقت ده بقى، إضطر هو رغم أنفه، أولا استخدم التهديد وراح كتب فىّ بلاغ ووداه النقطة، كان اسمه رضا السنباطى من السرو، ورحت النقطة بعد ما استدعتنى، راحو ورايا تلتمائه عامل، بالفؤوس، ودخلت للضابط وقاللى انت مهيج العمال ليه وعامل إضراب، قلتله أولاً انت سلطة تنفيذية، والثورة حددت بـ ١٨ قرش واللا أحسن أسرق، ورانا عائلات عاوزين ناكلها، الناس كلها واقفه ودخلت وازدحمت النقطة بالعمال، واحنا إيه، والراجل بيحقق معانا قلتله إنت مطالب بأن أنت تنفذ القانون وتحميه، الراجل ده بيدى لينا أجر عشره صاغ ويدينا مقاولة كبيرة مبتخلصش، ويدى لنا خمسة صاغ وهى الخمسة صاغ دى سيادتك تقضى حيلة، ما تقضيش حاجة، قالله: روح يا راجل أنت أدى ليهم الـ ١٨ صاغ، وأنتم عايزين كام، ودى حاجه طبعاً كنا فاهمينها كان بيدى لنا ٦ متر لكل عشره أنفار، قالله لأ، قاللى أنت عايز كام، قلتله عايز ٣ متر فقاله تدى ليهم ٣ متر و١٨ قرش. فلجأ لحيلة ثانية، المقاول بقى، بعتلى مرسال وقاللى لى تاخد عشرة جنية

في الـ ١٥ يوم دول ومالكش دعوة بالناس، فرحت أنا طالع للعمال والعمال مجتمعين على قهوة، وقلت لهم الراجل ده عارض عليا كذا كذا، فقعدوا يهتفوا بحياتي وحاجات زي كده، وقلت لهم أنا مش ممكن أخونكم وبتاع، وده اتنرفز، والراجل ده كان عنده مصانع طوب وأنا كان بيتي باللبن (البيوت الطين) وقال لي احنا حنجيبلك بيتك بالمسلح، وسيبك من حكاية مكافأة آخر السنة دي، لأن المكافأة دي حتكلف أصحاب الأعمال ثلاثة آلاف جنيه، فأنت ناخذ لك تلتماية جنيه ونبني البيت بتاعك بالطوب، قلت لهم أنا حا أخد مكافأتي زي أي عامل في دول، إتعرض عليا كذ وكذا، فزادت الثقه قوي، عاوز تكسب العمال وتكسب الفلاحين، يبقى من خلال المواقف.

على الأساس ده قدرنا نكون سبع نقابات في البلاد إللي هيه وقفت مع الاضراب، نقابات عمال زراعيين في ديسمبر سنه ١٩٥٢، وبعدين جبت عامل من العمال اللي كانوا موجودين، ورشحته للرئاسة على أساس أني أنا متفرغ للنشاط السياسي، يعني مش متفرغ يعني قاعد على طول لأ، وكنت ساعتها منخرط في العمل الشيوعي، ومنضم للحركة الديمقراطية للتحرر الوطني اللي هي حدتو، ودي كانت أكثر التنظيمات ليها علاقة بالفلاحين، يعني أنا كان فيه ٣٥ بلد هنا فيها عمل إشتراكي، إحنا كنا توسعنا قوي، وإللي كان مسئولي هنا من اللجنة المركزية الأستاذ طاهر البدري، فطبعا دي كانت اللي جت بعد الثورة تجنيد الفلاح في نص الأرض وابتدا الملاك يفتعلوا الأزمات علشان يطردوا الفلاحين من الأرض، أنا ناقشت العمال بتاعة الزراعة في دي، أن الفلاحين اللي حيتطردوا دول حيكتروا عمالة الزراعة، فأحنا المفروض نتضامن معاهم، فجم أيام جمع الرز وعاوزين الفلاح يمسك إيه، يمسك الأرض بتاعته يكون بالليل، ناخد الكلوبات ونولع ونشغل المكن لغايه.. والبرسيم وعمال الزراعه مع الفلاحين، فحققنا تضامن بين العمال والفلاحين، فدي كانت أكبر حركة فلاحية ابتدأت من بداية الثورة لما دخلت المعتقل سنه ١٩٥٣.

أرجع تاني، المثقفين اللي هم الطلبة اللي كانوا بيدرسوا في الاسكندرية والمنصورة والقاهرة كانوا من عائلات فقيره فهم حبوا يوصلوا للشخصيات البارزة فكان من ضمنهم أنا في الطليعة، لذلك هم العمال اختاروني أنا مسئول عن البلد، وعلى الأساس ده بقي يا سيدي أنا ما طلعتش في انقسامات للحزب الشيوعي خالص، وفضلت في

حدث وشفت الأخطاء بتاعتها والانتصارات بتاعتها والازدهار اللي تم ده كان واضح من المعركة ضد الاستعمار ومن أجل إصلاح زراعي ومن أجل إصلاح في التعليم وفي الصحه في كل شيء، اللخبطه جت في حكايه الموقف من الحريات اللي هيَّ طبعاً هبة مارس ١٩٥٤ وطبعاً هبة مارس دي كان بطلها الأستاذ/ خالد محيي الدين وكان بيطالب بالحريات وحاجات زي كده. الحركة الديمقراطية خدت موقف صح في النقطة دي، أنها طالبت بالحريات وعلى الأساس ده قامت حملة الاعتقالات واعتقلونا في ١٩٥٣ ومطلعناش إلا في ١٩٥٦ لما حصل بقى أن فيه أزمة بين الثورة وبين إسرائيل وبين الاستعمار الأمريكي، وأن الاستعمار الأمريكي حاول يحتويها وحاجات زي كده فابتدت الثورة بتاخد حاجات ومواقف وطنية وثورية أكثر فابتدت تفرج عن الشيوعيين،

نقط الخلاف بقى، والحاجات السلبية بقى اللي هي بعد قرارات يوليو اللي بيسموها قرارات يوليو الاشتراكية وحصل على النطاق الدولي مقالات فيها ردة يعني بيستشهدوا بيها اللي عايزين يصفوا الحركة الشيوعية، قالوا أن، بريدوا الباطل، بالاستشهادات دي، ان انتصار المعسكر الاشتراكي على النطاق الدولي وده بيجعل من الممكن أن تتبنى البرجوازية الاشتراكية أو تبني الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، بالتالي إبتدوا يحضروا لحل الحزب، وحل الحزب ده في ١٩٦٥ واتعمل مؤتمر وأنا كنت حاضر فيه، في بيت المرحوم يوسف صديق وأخدوا قرار بحل الحزب وأن فيه مجموعة ماركسية في قمة السلطة واحنا في طريقنا إلى أن احنا نعمل حزب موحد للثورة يعني احنا والمجموعة الاشتراكية اللي موجودة في قمة السلطة، وأن احنا نحل ففيه جزء طبعاً عارض، الأغلبية طبعاً وافقت. من أبرز الناس الداعية لحل كان إبرهيم عبدالحليم وعادل حسين وفؤاد حبشي وأحمد رفاعي وكل دول كانوا مؤيدين للحل، لكن فؤاد مرسي كان في تنظيم تاني، بس هم كلهم بعدينا على طول حلوا.

وكل الحاجات دي أثرت علينا هنا، في إيه؟. إن قيادات الثورة بتتبنى الاشتراكية، تيجي بعد كده، تاخد مواقف لا فيها اشتراكية ولا فيها بتاع، فيبقى موقفنا قدام الناس موقف وحش، على أساس أن دي نظرية جديدة، أن ممكن تبني الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، دي رده مفيش كلام، اللي على الأساس ده بقى أن في المؤتمر ده أنا

ومجموعة ثانية رفضنا الحل، وكان التيار الثورى اللى اعتقلت بسببه سنتين فى ١٩٦٨ وبعد ما طلعت الوضع بتاع البيت كان أتدهور خالص، وولادى مش لاقيين يأكلوا ولا يتعلموا وبنتين سابوا التعليم، فمفيش حل بقى إلا أن أنا بقى أشتغل، فرحت اشتغلت سنة فى الفيوم وسنتين فى النوبارية وثلاثة عشر سنة في بني سويف فى الواسطى (قبل الواسطى بشويه فى حته إسمها «هرم ميدوم»).

أنا كان عندى استعداد أن أنا أنضم للحركة الشيوعية، وأنا ارتبطت بالحركة الشيوعية فى حدتو، احنا كنا بنروح نقعد مع الطلبة، وبعدين هما ناقشونا، انتم ساكتين على حالكم ليه؟! انتم ما بتطالبوش بحقوقكم ليه؟ فعلى الأساس ده بقى وجدت الكلام بتاعهم كلام حلو، وبيتجاوب مع مطالبى أنا الشخصية، فانضميت للحركة الشيوعية الأول حدتو بعدين التيار وبعدين لما أنا رحت، باستمرار السند، التضحية بتيجى منين من قوة سياسيه بتحميك، حسيت أن إحنا كنا ضعاف، وبعدين الوقت ده بالنسبة للعيله العيال كبرت، واتبهدلوا، والبيت اللى بقى فيه.. وكل اللى بيساعد عيلتى من زملاء تاخده المباحث تبهدله، يعنى الناس شافت الأمرين بسببى أنا، وقالوا كده احنا حنوديكم قنا معاه، لأن أنا لفيت كل السجون يعنى القلعة لسجن مصر، لسجن الواحات لسجن بني سويف، لقنا، وكمان رحت سجن الحضرة فى المحكمة إللى كان فيها المرحوم شهدى فى القضية بتاعة إسكندرية اللى حصل فيها الضرب ده، وأنا كنت مع شهدى، وفي الوقت ده كان بيأيد الثورة وكانت صدرت إجراءات يوليو، كانت صدرت ومع ذلك احنا أيدناها، وكانوا محضرين لنا بعد ماطلعنا من إسكندرية، فعدنا نتحاكم أربعة شهور، محضرين لنا العلقة بتاعة أبو زعبل ده اللى زى اللى أنت بتشوفه فى فلسطين النهاردة، ده كان حاصل لنا بالضبط، يعنى أنا لو قلت لك على ظروف العلقة دى، ويوم استشهاد المرحوم شهدى، اللى حصل أننا طلعنا من إسكندرية الساعة ١٢ بالليل لقيت البيبان بتتفتح، كله يلبس واحنا كنا غاسلين هدومنا فى جرادل، رحطيناها وربطناها فى هدوم ثانية وطلعنا لقينا بقى معسكر حربى، عربيات، بوليس، وعربيات مباحث عامه، وطوابير عربيات ورانا وقدامنا، وربطوا كل أربعة وعشرين فى جنزير، احنا كنا ٤٨ وبعدين يطلع الواحد ويلف لغاية لما الكل يركب، لنرجه أن العساكر بنسألهم لحنا رايحيين فين قالوا لنا احنا نعرف انكم رجاله وشدوا حيلكم، ده

اللى قالوه العساكر، تقدر تقول أن عند طلعة الشمس نزلنا عند أوردى أبو زعبل، ولقينا رصتين جريد أخضر متصلحه الأيد بتاعتهم والورق متاخد وسايبين السل من جوه كده، التقينا بقى ظابط واقف وشويه عساكر والكرابيج فى أيديهم ويقولوا أنزل يا خول أنت وهو، نزلنا، قالوا لنا أقعد على قرافيصك إتنين إتنين كده هوه وبعدين الضرب شغال بقى، يلقوا ورانا بالضرب، فالظابط يرفس والعساكر تضرب والواحد منهم يقول لنا ماتقلقوش، ده كله فتح شهيه، رشويه بقى والتقينا الساعة ثمانية عربيه شيفروليه، جايه عليها البيرق وواحد ظابط جاى يجرى ويضرب التحيه، وكله يا فندم الباشا وصل.. لقينا صفين عساكر واقفين لغاية ما توصل للأوردى، يعنى المسافة كانت بتاع تلتمائة متر، الظابط قال إيه؟ اللى تنده عليه، ياخد هدومه ويمشى بالخطوة السريعة، إن ما ممشيتش بالخطوة السريعة، العساكر يتزلوا عليك بالضرب، لغاية مكتب وعليه واحد تمليه اسمك وعنوانك ولجنة، وعدد من العساكر حلقة نازلة فيك ضرب، تملى لها اسمك وعنوانك، وتنتقل للجنه الثانية، تلاقى لجنه ثانية فيه مسجون معاه مقص بتاع غنم يقص شعرنا، احنا كنا جايين من المحكمة شعرنا طويل ولابسين هدوم حلوه وبتاع، فلما توصله تنحط دماغك فى الجردل ويحلقلك شعرك والضرب شغال، تخلص من دى تلاقى لجنه ثانية بحلقه ثانية، تقلع هدومك كما يوم ولدتك لا ملابس داخلية ولا ملابس خارجية ويروحوا حطينها فى قلب الكيس بتاعك ويروحوا جايبين بورش وشدين الواحد ومرقدينه على ضهره يحطوا البورش وبطانيتين مهلهلين قدام، ماتحيش تمسح بيهم جزمة، ويسحلوا الواحد ساعه ما يعدى العتبة بتاعة المعتقل والخشبة تروح صدعة فى ظهر الواحد وواحد ينك على صدر الواحد كده، وبعدين تخش تلاقى اللى فات ده مات، اللى فات ده كأنه ما حصلش، تلاقى عبد اللطيف رشدى ويونس مرعى وبقية الحلقة بتاعه الضباط ومرجان وصول اسمه مطاوع دول واقفين وبالشوم، ويقولوا قول أنا خول أقول له لأ، قول تسقط الشيوعية أقول له لأ. العنابر، كان فيه أربعة عنابر دول فيهم ٤٨٠ معتقل أو حاجه زى كده وكان من ضمنهم د. فؤاد مرسى ولويس عوض وعدد كبير من الشخصيات المعروفه وكان من ضمنهم واحد من بلدنا هنا ساعة ما سمعنى وأنا با أقول لأ، خلاص بخاطره إنشا لله يموتوه إنشالله يموتوه، على أساس أن أنا خدت موقف صح، وقعدوا يضربوا

فى الواحد لغاية لما حسيت زى ما يكون لمسة كهرباء وماكينه مشغلاها وإبتدت تبطل، ومعدتش أشوف حاجه، ويشدوا الواحد من رجليه وعند العنبر يروحوا حادفينه، راحد، واحد، الـ ٤٨، مفيش إلا الأستاذ رفعت السعيد، كان عليه ثلاث سنين قبل كده، نزلوه فى سجن القناطر، وبعدين ندهوا، نسيت أقولك، ندهوا على بعض الشخصيات قالوا لهم خليكوا على جنب هنا من ضمنهم الدكتور سعد بهجت، لأن والده كان سفير واتصل بإسماعيل همت وكيل مصلحة السجون قال له والله لو حصل لابنى حاجه حأقابلك فى الطريق وأضربك بالرصاص، فطبعاً هما أخدوه على جنب وأظن كمان فيه اثنين معاه تانيين، وبعدين مسكوا المرحوم شهدى لوحده قعدوا يغطسوه فى المصرف اللى موجود قدام المعتقل، والآخر جابوه متغطس طينه وميه والآخر واحد عسكرى رفسه بالجزمه فى جنبه، لما نيموه الضابط قال أدوا له حقنه، جه التمرجى.. يا أفندم ده مات (ضربوه بالشوم وغطسوه فى قلب المغطس والآخر بقى) رد عليه الضابط قال له الخول مات، اللى قال الكلام ده بقى إسماعيل همت كان بره بيشرف على الضرب اللى قبل ما ندخل المعتقل وساعة ما المرحوم شهدى توفى إسماعيل همت خد العربية وقال بلاد الله لخلق الله، وهما كملونا ضرب لغايه لما دخلنا العنابر. دخلنا عنبر واحد وفيه رصيفين كل واحد نايم فى ريح الثانى، واحنا مش قادرين نفرش ولا نعمل، و إيدينا متعرره وظهرنا بقى الجلد ده كله مفيش، هما بعدوا عن الدماغ وبهدلوا ذراعتنا وضهرنا ده لدرجه لا توصف.

وأرجع لحكاية شهدى، بعد ما توفى، وخلصونا ضرب وهمت مشى وخدوا الجثه بتاعته وردوها لأهله، قالوا أن إيه، نيابة الخانكة أدت تقرير أنه كان بيشتغل فى الجبل ووقع عليه الطوب، والده رفض، قال لأ لأن ابنى طالع من إسكندرية النهارده، بالليل، فطبعاً رفض وأنه لابد يشوف جثته، فشاف التعذيب، فبعث برقية، كان الريس عبدالناصر أيامها فى يوغسلافيا، فطبعاً راحت البرقية لواحد من البرلمان اليوغسلافى قام قال جاءتنا برقية من القاهرة من الجمهورية العربية المتحدة باستشهاد المناضل شهدى عطية الشافعى فى سجون الجمهورية العربية المتحدة، فعبد الناصر بعث لجنة تحقق فى الموضوع، احنا عرفنا ازاى بقى، بعد هما ما روحوا السجن إتقفل، لقينا العناصر ندهت على بعضها، وأحنا كنا قصاد عنبر أربعة والضرب ده كان قصاد عنبر

أربعة، يا عنبر ثلاثة، يا عنبر اثنين أنتم عددكم كام، كان فيه أربعة إنشالوا في حالة خطره، منهم مبارك عبده فضل، محمد عباس، وجمال غالي ومش عارف الرابع كان مين، وبعدين الأربعة دول، قلنا لهم إن إحنا عددنا شيل أربعه ورفعت السعيد يبقى خمسة من ٤٨ يبقى ٤٣، قالولنا البقية في حياتكم في المرحوم شهدي، لأنهم سمعوا والظابط بيقول لتمرجي: «الخول ماته فلأول مرة نبكي، كل العنبر بقى يبكي، وبعدين جامت حكاية الأكل، علشان يوزعلهم، الأكل، تخش الفرقة بالشوم، قعد اثنين اثنين، نقعد في الطرقة، والضرب شغال، اللي كانوا ما انضربوش هما اللي لبسونا الهدوم، لأن أحنا لا نعرف نحرك دراعنا كده ولا نعرف نعمل دراعنا كده، كانت النتيجة، ثاني يوم، وكيل النيابه أدي التقرير أن هو وقع عليه الطوب، لما عبد الناصر بعث، لقينا أربعة وكلاء نيابة، ووكيل وزارة العدل، ومفتش التحقيقات في وزارة الداخلية جايبين ظابط بيفتح العنبر، فساعة ما فتح العنبر، قال مين كان مع شهدي عطيه الشافعي، فداخل ظابط اسمه مرجان، أحمد الرفاعي قال له أخرجوا هذا القاتل، فوكيل وزارة العدل قال له أطلع بره، فطلع الظابط بره وقفل العنبر، وبعدين راح أحمد وعبد المنعم الغزالي راح مشلح القميص بتاعه فراح طالع الجلد بتاع ضهره راح الراجل مخبي وشه.. متزعلوش كل واحد حا يأخذ حقه، بس وبعدين بقى، ثاني يوم قبل النيابة دي ما تيجي، تتفرج على الضرب، اللي أحنا خدناه بالشوم اللي فات ده ما كانش له دعوة، ما كانش حاجة، إنما بعد ضهري، هاولع وتيجي تاخد العصايا، يعني أنا لما افتكرت إن اللي بيحصل للشعب الفلسطيني ده، أهو احنا كنا احنا بقى، قاعد والضرب شغال وجريد وسل، ومش عارف، متقولش مثلاً احنا عملاء الاستعمار، يعني أنا بقيت استغرب إيه اللي بيحصل في البلد دي، بس وبعدين بقى جم وكلاء النيابة وطلعونا واحد واحد، واحد بس اللي قال: إنتوا إيه اللي حصلكم؟ حكاله، الباقي بقى ما كانش ياخدوا منه على طول كتابة، ووكلاء النيابة يعني أخذوا موقف ميه الميه، احنا اتفقنا على أساس ما نجيبش سيرة العساكر اللي كانت بتضرب، احنا قلنا إدارة السجن، الضباط الخمسة والصول، بس وبعدين قالوا لنا ايه مطالبكم قلنا الإدارة بتاعة السجن دي معدناش نشوفها، ونتنقل من هنا، فعلى طول وكيل مصلحة ثاني كان اسمه... كان بتاع التهنئة بقى جه وراحو نقلونا في عربيات ونقلونا إلى القناطر.

لما نقلونا إلى القناطر راحوا جايبين المراتب وجه دكتور هناك كان دكتور مسيحى ابن حلال، بقى يديدنا علاج زى ما احنا عاوزين، وبعدما روقنا ومنعوا الزيارات علشان ميشوفوش الحاله دى، بعد ماروقنا، اتقينا بقى واحد لواء جالنا، انتباه.. اجمع، قال لنا انتوا عارفين أنا جاى أقول ايه، أنا جاى علشان تقلعوا الجزم، وتمشوا حافيين بقى، قلنا له الدنيا برد، قال أعمل ايه، الدكتور جه حلف وقال والله ما يمر شهر إلا لما ألبسكم كلكم جزم، وكل يوم يطلع له اثنين ثلاثة ويكتب إن حالتهم وحشه يروحوا يصرفوا الجزم بتاعتهم.

ده التعذيب بتاع ١٥ يونيه سنه ١٩٦٠، فؤاد حداد والله كتب قصيدة من ٤ آلاف بيت. بس الله أعلم ليه حجبها عن النشر، كل واحد ومرافقه فى الضرب إيه، سنة ١٩٥٤ حصلت نفس التجريدة دى، لا ده أنا ناسى أقولك حصلنا إيه فى فبراير سنه ١٩٦٠، قبل المحاكمة، فى الزنزانه الساعة أتناشر بالليل، طاخ بالمفتاح، كنت أنا مع ناس فى أوضه، كنت أنا مع حسين عبد ربه ومع عادل حسين، وكنا إحنا الثلاثة وغاسل هدومى برضه، وحاطهم فى كيس، وطلعونا واحد واحد بالضرب وأقلع بلبوص والضرب بالقايش لما قطعوا جتتنا وبعدين تخش يروحوا جايبين جردل البول ويروحوا دلقينه من فوقنا، فى يناير شوف تصور بقى السهر بقى للصبح والهدوم بقى كلها خدرها فى السجن وينقوا بقى العساكر البلوفرات الحلوه والجاكتات الحلوة والحاجات دى يروح دلقين فوقها ميه لما لحد الساعة تسعه الصبح، فات على كل أوضه. ده قبل المحاكمه. نعمل إيه كل واحد بيجيب له جاكتة بيجامه، بنطلون، أى حاجه تداريه. دى تجريده من التجريدات. التجريده بتاعه ١٩٥٤، احنا عدينا بتاعه ستين قبل ١٩٥٤.

فى ١٩٥٤ رحنا نقلونا من بنى سويف لأوردى أبو زعبل، اللى هو كان فيه الضرب ده، ده سنه ١٩٥٤ وبعدين نيمونا على البورش والبطانيه، فاحنا قلنا نعمل إضراب عن الطعام علشان ايه، إحنا طالبنا بالمراتب وبالجرايد، بالاذاعة يوم واحد وعشرين، يوم وتيجى التجريده للصبح من العساكر، عساكر السجن طلبوا منهم أن هما يضربوا رفضوا، لأول مره عسكر ابوليس يرفضوا، راحو جايبين لينا اللى بيسموه الأمن المركزى دلوقت، كان ايامها اسمه بلوك النظام.

رجابوهم من الجبل، زى البهايم، دوروا فينا الضرب، واقلع ملابسك وخدوها والله حرقوها، لدرجه أن أخترا الدكتور يوسف أدريس وإبراهيم عبد الحليم وكان أيامها أزمه السودان، على أساس أن هما يتوسطوا فى أزمة السودان فى إتفاقية السودان، وبعدين جم خدوهم هما الاثنين، وبعدين دخلوا مكتب صلاح سالم، قال لهم إحنا عاوزينكم تكلموا الجماعه بتوع الحزب الشيوعى السودانى وعاوزين نعمل إتفاقيه جديدة للسودان، طب إنت شايف ملابسنا الأول، كل واحد لابس جاكته شكل وبنطلون شكل، قال لزى ده يحصل وبتاع، ووالله احنا ما نعلم، قال له لأ رخذ التليفون راسأل على اللى حصل أبو زعبل. المهم، كان أيامها بقى ١٩٥٥ ضرب غزه، وعاملين صفقة سلاح من تشيكوسلوفاكيا والحكومة بدأت تأخد خطوات للاعتراف بالصين الشعبية، وابتدا التحضير لمعارك ١٩٥٦ طبعاً أنت شفت تأميم القنال والاعتداء الثلاثى، أيامهيا جابوالنا المراتب، رأدونا الميكرفون بتاع الاذاعة، الإذاعة هناك فى لإدارة، وعندنا سماعات فى الزنزانة، ابتدوا يطلعونا فى ١٩٥٦.

دى .. يعنى التشتيت كان حاجه ثانية بقى، يعنى مثلاً ما يقعدوش واحد لفترة معينة فى السجن شويه وينتقل من سجن لسجن، يعنى مثلاً أنا أضربت عن الطعام فى ١٩٥٣ وحدى... والزملاء فى معتقل روض الفرج تضامنوا معايا وبعدين نقلونى فى حالة سيئة للقصر العينى، وبعدين لما نعدوا يتحايلوا علىّ علشان آكل، قلت لهم مش واكل، الاعتقال ده كان واحد وعشرين برضه، قلتلهم شوفوا يتطلعونى يا تحاكمونى يا .. فالتقيت الزملاء بدأوا ييجوا مع المأمور بتاع المعتقل على أساس أن هما وأثروا علىّ، والدكاترة تضامنوا معايا فعلاً وكتبوا تقارير، كل يوم والثانى للمباحث، حالة المعتقل فى خطر، وتحن تحملكم المسئولية، فدى عملت رد فعل، وكان لسه الثورة ما عملتش قوى فى ١٩٥٣، وبعد كده الضرب بقى ولا مطالب ولا بتاع، فعلى الأساس ده تقرر الصرف مع كفالة خمسة جنيه، وجه قائد المعتقل بإشارة مكتوبة مع محامى اسمه الأستاذ سعد عبد اللطيف، وقال لى خلاص يا أحمد تقرر الصرف بكفالة، حصل حاجة والى أنت عاوزها، الأول تيجى رسالة من البلد تقول إن هما أخذوا الكفاله فعلاً، فبعتم على البلد، وجالى تلغراف إن الكفالة إنصرفت، بعد كده طلعت من القصر العينى على روض الفرج، الصبح كانوا مرحلنى على سجن قنا، قعدت هناك سنه

أشهر، وفي تلك الأيام جاء عدد من الزملاء كانوا في جبل الطور، وكان من ضمنهم الأستاذ إبراهيم عبد الحليم، وزملاء من الإسكندرية منهم شحاته عبد الحليم وعدد كبير يعني، وجالنا هناك المرحوم يوسف حلمي، وأذكر له موقف. عبدالناصر بيخطب خطبة من الخطب وقال فيها ليس لدينا معسكرات اعتقال إلا عملاء دول أجنبية (كان هذا في عام ١٩٥٤) فالمرحوم يوسف حلمي بعث له تلغراف وقال له: «إذا كنا نعمل لحساب دولة أجنبية فهي مصر، وهي أجنبيه بالنسبة لكم». المأمور يلطم ويقول له أبناً ما أبعتهاش، يقول له ابعتها على مسئوليتي أنا، أنا اللي ماضي عليها أهو وابعتها باسمي، فبعتوها فراحوا مستدعيينه تاني يوم، قلنا ده رايح السجن الحربي، أتاريهم خدوه علشان برحلوه للخارج لأن كان عليها احتجاجات جامدة، كانت حركة السلام العالمية وانصار السلام في العالم بتحتج علشانه، فراحوا مرحلينه خارج مصر، وبعدين قعدنا هناك ستة أشهر وبعدين راحوا مرحلينا على بني سويف، ثم جاءت إجراءات مارس بتاعة أربعة وخمسين، كانوا حطينا في زنازين ولما جت الاجراءات بتاعة مارس احنا عاملين اعتصام في قلب السجن، وقلنا احنا مش دخلين الزنازين، دلوقت فيه قرارات أهيه بالافراج عن المعتقلين، وإلغاء الأحكام العرفية، والجيش لثكناته وبتاع، يبقى أنتوا مقعدينا هنا ليه، كان في الوقت ده كانوا محضرين «الصاوي» اللي هو أخد رشوه ده، يعني أنا سمعت أنه اشترى ١٤ فدان في زاوية المصلوب، يقال إن الإضراب بتاع العمال الزور ده، اللي فيه يسقط الحريات المزيفة وبتاع، ساعة ما التقينا تاني يوم الوضع اتغير ابتدينا نخفض المطالب، قلنا لهم طيب طلعونا في زنازين واسعه، فراحوا مطلعينا في الدور الرابع في الزنازين الواسعة دي، وانتهى الاعتصام على كده.

قعدنا في بني سويف المدة دي، وبعدين رحنا على أبو زعبل، اللي حصل فيه الضرب بتاع ١٩٥٤ (الطقة بتاعة ١٩٥٤).

أولا فيما يتعلق بنشأة التنظيم الأول، (حدتو) هي الجماعة المثقفين دول اللي هي ناقشونا في حكاية الانضمام دول كانوا أصلا في الحركة الديمقراطية، إحنا انضمينا للحركة الديمقراطية، لكن التيار الثوري ده، ما انضمتش له إلا بعد حل الحزب، وكنا مجموعة قليلة، واعتقلت على أساسها سنتين، فأنا ما دخلتش في تنظيمات ثانية ولادخلت في انقسامات خالص، وأنا في فترة مادخلت حدتو ماكنش فيه انقسامات،

لكن حصل فيها الوحدة، وانقسام ثاني يعني وحده كل الحركة الشيوعية، اللي هيا فيها الحزب الشيوعي، وكان فيه وحدة سنة ١٩٥٥ ودى اللي حصلت وأنى موجود في المعتقل، ورجعت ثاني تفتت والتنظيم الأساسي بتاعي كان له عمل في وسط الفلاحين، لأن كان عملي أنا الأساسي في وسط الفلاحين، وكان فيه ارتباط بالطبقة العاملة، أيوه كان فيه، كان فيه محمدعلي عامر ده كان رئيس نقابة النسيج الميكانيكي بالقاهرة، وكان فيه دور كبير للعمال، وكان فيه أحمد طه وكان رئيس (نقابة التلغراف الميكانيكي) وكانوا بيحضروا لتكوين اتحاد عام للطبقة العاملة كلها، وده اللي على أساسه بقى لتفركشت كل الحاجات دى بعد الثورة.

أما بالنسبة للفلاحين والشغل معاهم فكان فيه ٣٥ بلد فيها عمل شيوعي في المنطقة دى.. الدقهلية، ودمياط، وكان التنظيم متغلغل في وسط الفلاحين، وبعدين في ١٩٥٦ طلعنا حداشر نفر من هنا متطوعين، لما حصل العدوان الثلاثي إحنا تطوعنا ورحنا معسكر الحلمية (الحلمية هنا في الزقازيق) تحت قيادة الصاغ سيد عبدالعزيز، ووزعوا علينا السلاح وتدربنا، وبعدين صدر الانذار السوفيتي ووقف القتال، راحوا ساحبين منا السلاح واحنا رفضنا تسليم السلاح فمنعوا عننا الأكل، فكنا ماتين واحد، منهم كان ١٣ من الدقهلية، والباقي من كل القرى بقى فلاحين.

وعموما الإضرابات كلها كانت علشان زيادة الأجور، لكن لما كان فيه بقى مشروع اسمه مشروع «النقطة الرابعة» والحريات، فكانت بتحصل فيه مؤتمرات هنا بنعملها الثورة وبيعملها «حمدي عاشور» فكنا بنحضر المؤتمرات دى، ونهتف بسقوط الاستعمار الانجليزي والأمريكي وسقوط النقطة الرابعة «وأطلقوا الحريات ليحكم الشعب» وكنا بنادي بالحريات والفلاحين بتفهم الشعارات دي يعني، الشعارات دى كنا نرددها أيام الانتخابات بتاعة ١٩٥٧ وفي أثناء المؤتمرات، وحصل فيه مؤتمر في «الزرقا» وكنت أنا حاضره، واعتقلت بعديها على طول، وكان حاضره «طعيمه» وواحد اسمه الدكتور «القشري» والمؤتمر بتاع فارسكور ده كان عامله حمدى عاشور، وجت المباحث ساعه ما أنا قلت الشعارات دى وعاوزين يمسكوني وأنا على الكرسي، واللي حصل أنه كان موجود طاهر أبو فاشا، وكان الموجود الأستاذ حمدى عاشور، فندهوا لضابط المباحث وقال لهم سيبوه، وكان زملانا بقى في دمياط، أخذوني بعد المؤتمر لغاية العربية علشان المباحث ماتخدنيش.

فيما يتعلق بالمجلات التنظيمية والعلنية، كانت بتوصل الجرايد العلنية والسرية، زى الطابق والواجب والسلاسل بتاعة حدتو وكان فيه كتب من دار الثقافه وكان فيه كتب بنستعين بيها فى الأول زى كتب الأستاذ محمد خالد اللى هو بتاع الوفد «كتاب من هنا نبدأ» وكتب كتير ضد الظلم ومن أجل الحريات. أما عن الدراسات التى تمت عن الفلاحين كانت بتؤخذ منا تقارير عن مشاكل الفلاحين، وبعدين اتكتبت دراسات يعنى هما كانوا قبل الثورة، كان الخط واضح، ضد الاستعمار، لما جت الثورة بقى تلخبطوا بقى فى المواقف، هى الثورة كان ليها مواقف، يعنى مثلا الحاجات الإيجابية اللى فيها أن المفاهيم اللى كانت عند الناس، أن ده نظام عندنا وأنه مش ممكن يتغير، لما جت الثوره.. الأرض دى، ووزعت الأرض على الفلاحين، والناس ابتدت تحس أن ممكن النظام يتغير لصالح الناس، وأن ده مش خطر ولا حاجة وحشة عند ربنا ولا حاجة، وأن أهم حاجة العدل، وأن الناس تقدر تعيش وتتعلم وتسكن، فده الحاجة الإيجابية اللى فيها، الحاجه السلبية اللى فيها اللى هى النظام الشمولى، خللى المكاسب اللى خدها الشعب، راحت من إيديه من غير ماحد يحس، زى ما حصل فى الاتحاد السوفيتى كده، النظام الشمولى بيسحب كل مكاسب بدون ماحد يحس، وعن قضية الفلاحين هو كان اتكتب أساساً دراسات عن حالة الفلاحين فتقوم تنشرفى المجله، لكن ما كانش فيه كلام بيقول نعمل إيه علشان نغير الحالة دى.

كان عندنا فى التنظيم بتاعنا استراتيجيه وتكتيك ولايحه، والملامح العامه بتاعتهم كانت داخله فى الأول ضد الاستعمار والاقطاع والرجعيه والحريات.

أما عن موقف التنظيم اللى كنت فيه كانوا بيعتبروا أن الثورة على مرحلتين الأولى وطنية والثانية اشتراكية ثم لما جاءت الانحرافات بقى قالوا أن ممكن الطبقات البرجوازية تبنى الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، بالتحالف معها.

وقد تدرجت فى أدوارى التنظيمية حتى وصلت إلى اللجنة المركزية، فى حدتو، ولكن فى التيار الثورى مالحقتش لأن الفترة كانت شهور وبعدين رحت ممسوك.

وبالنسبة لمسألة الاحتراف هو بتدفع بس حصل فيه مشاكل كثيرة حواليه، والمشاكل دى أن ده بياخد فلوس وده مابياخدش، وكان فيه ناس مش قادرة تقوم بواجبها يعنى

كان فيه مواقف من الشخصيات الثورية المحتجبين يخبقوا عليهم فى الحرف، يعنى مشاكل فى داخل التنظيم، وبالنسبة لى أنا كان كونى أن أطلع محترف أنا عارضته، على أساس أن أنا دورى فى وسط العمال، لما أترك العمل بناعى الناس تتساءل: هو بياكل منين؟ ويحدين أنا عارز أطلع العمال، العمال بيشغلوهم للساعة ثلاثة وأنا عارز أخليهم يطلعوا الساعة اتنين، مينفعش لحقق المطلب ده إلا إذا كنت وياهم، إنما أبقى قاعد فى بيتى وفى شغلانة تانية ريحاح، الطليعة لازم تكون فى وسط العمل نفسه وحاسة بآلام الناس وحسة بمشاكلها.

أنا لا أعرف ولم أمر بتجربة العلاقه مع التنظيمات الأخرى، لأن الحاجة اللى كانت ملموسة إن كانت اليهود مقسمة نفسيها، يعنى كانت طليعه العمال ديمرن دروك، وكان عندنا هنرى كورييل، ودول هما اللى كانوا يعنى مطلبهم الأساس أن دول خونة، وأن دول بقرلوا على دول خونة، وأن وحدة الحركة الشيوعية لأ، ودى كانت لب الموضوع، يعنى لو كانت الحركة الشيوعية توحدت، وأنا رأيى أن هم دول اللى لعبوا دور أساسى فى تفتيت الحركة الشيوعية.

إحنا فى خمسة وخمسين كان بقى فيه حزب واحد، وكان فيه الحزب الموحد الأول، ورجع الحزب الشيوعى المصرى إللى هو ضم كل الحركة الشيوعية، إبتدا يقى كل تنظيم يصرف على المحترفين بتوعه ويحوش عن المحترفين التانين، والناس الأغنيا كانوا موجودين فى الحزب الشيوعى المصرى اللى كان فيه فؤاد مرسى، فدول بقى بصرفوا على رجالتهم ويسيبو رجاله حدتوا وابتدا التضامن يشتغل، الوحدة ماستمرتش، وبعد كده حدتوا كان هدفها الوحدة، بس كانوا بيتهموهم بالخيانة، وكان كل واحد فيهم كان عنده ثقة في اليهود بتوعه، والحزب الشيوعى المصرى الراية ما كانش عنده يهود لكن مواقفه كانت ناشفة وهو كان بيعتبر أن الثوره دى (ثوره يوليو) فاشية، ورجع تانى كان هو أسرع الناس للحل فكان متخبط فى سياسته وفؤاد مرسى وزير تموين وإسماعيل صبرى كان وزير تخطيط، وهما دول كانوا قياده الحزب.

أما عن الموقف من وحدة ٨ يناير فحدتو للتاريخ طول عمرها بتدعو للوحدة، بس الموقف بالنسبة للمحترفين بتوع حدتو صرفوا فلوسهم على الناس بتوعهم ودى حقيقة يعنى، لكن حدتو طول عمرها بتكافح من أجل الوحدة لكن طريق إبعاد الناس بتوع

حدتو دى تمت من المصرى ومن طليعة العمال، وده كان بناء على أن الشلليه لعبت دور الموقف من اليهود والأجانب، هما فى القيادة وما كانوش فى القواعد، يعنى كان هنرى كورييل عندنا فى القيادة، وريمون دويك فى طليعة العمال، ويوسف درويش والوحدة تمت لكن فيه حساسية وفضلت جواه، كل واحد يصرف على المحترفين بتوعه والوحده أصلا ما انعملتش بين القواعد اللى بتمارس النضال السياسى فى الشارع ولكن عن طريق القيادات فوق وماتعملتش أصلا من تحت، وكل واحد قدم لستة (قائمة) أعضاء ومميين، علشان تاخد كراسى فى اللجنه المركزية.

أما عن اليهود فأنا بأحكيلك عن الفترة اللى أنا عاصرتها. كان فيه حركات فلاحية كثيرة حتى يمكن الشيوعيين مالهمش فيها دور كمان، كانت فى بهوت وكفور نجم وحاجات زى كده، أنا بقى لما جيت ومسكت العمل الفلاحى ده، طالبت أن يكون فيه لجنة من المحامين تبع الحزب وأطباء، يعالجوا الفلاحين واللى ليهم قضية مش قادرين يصرفوا عليها تتولاها اللجنة دى وكان فيها عبد الحق الحماقى والزغبى الله يرحمه، كانوا ثلاثه محامين من المنصورة والثالث اللى اسمه محمود مش فاكر بقيه اسمه كان من السنبلاوين وهو توفى.

واليهود اللى أنا شفتهم فى الاعتقال كانوا فى القيادة فوق وما كانش فيه حد من القواعد خالص وكانوا بيعتمدوا بقى على الفلوس،.. لدرجة أن أيه، ما حدش يقدر يقولك انك تضحى وطبعاً ده راجل إنما النقطه الأساسية اللى هى أخطر حاجة أن هما ما يترحدوش، لكن بالنسبة للمعارك الفلاحية كان مش فى دقهلة بس، كان فيه سبع قرى جنبينا وكان فيه ٣٥ بند ثانية وتكونت سبع نقابات فى ديسمبر سنه ١٩٥٢.

بالنسبة لتكوين إتحاد عام للعمال قبل الثورة - الفلاحين لأ - كان على رأس هذه المحاولة أحمد طه ومحمد على عامر، ودول كانوا من الحركة الديمقراطية وأحمد طه كان له تأييد ضخم.

وبالنسبة للاحتلال الانجليزى كان موقفنا لا حدود له - الوطنية هنا عند الشعب المصرى مالهاش حدود، يعنى احنا يوم، النحاس باشا، ما خطب فى البرلمان وقال من

أجل الشعب وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل الشعب أطالبكم اليوم بإلغاءها كان فيه تصفيق لا حدود له من الناس اللى واقفه فى الشارع، حماس رهيب.

أنا لم أشارك فى ١٩٤٦، لكن كان فيه بالنسبة لنضال الحركة الديمقراطية اللى كانوا بيحاولوا يعملوا جبهة مع حزب الوفد، الطليعة الوفدية، كانوا بيروا أن حزب الوفد بيمثل فى مجموعة البرجوازية الوطنية رغم أن فى قيادته بعض الشخصيات من الملكيات الكبيرة.

أما بالنسبة الفلسطينية للقضية فكانت عواطفنا مع القضية الفلسطينية ما فيش كلام مفيش شك، وقرار التقسيم صدر سنة ١٩٤٧ وكنا احنا لسه فى البداية وأنا سمعت كلام بتاع حكاية تأييد التقسيم وطبعا الاتحاد السوفيتى كان موافق على قرار مجلس الأمن وده تأييد غلط، ووافق على قيام الدوله الإسرائيلية، لأن قرار مجلس الأمن كان وافق على قيام دولتين، فهو أيد قيام الدولة الإسرائيلية ولم يقف عند الدوله العربية، وده موقف خاطىء، وكان بقى كلام خطير أن اليهود دول بيهاجروا من الاتحاد السوفيتى ومؤمنين بالشيوعية وحايحولوا إسرائيل لدولة شيوعية، وسمعت حاجات من دى.

أما بالنسبة لقضية الكفاح المسلح فى ١٩٥١ كان موقفنا فى الحركة الديمقراطية التأييد للكفاح المسلح وفيها ناس من الحركة الديمقراطية، وسمعت بعد كده أن فيه ناس فى الحركة الديمقراطية اشتركوا فى الكفاح المسلح فى ١٩٥١.

وبالنسبة لحركة أنصار السلام احنا كنا بنوزع ٣٠ عدد من مجلتها هنا فى دقهلة بس اللى هى الكاتب، وبعدين كان فيه مجلة سرية إسمها الكفاح بتاعه حدتو، وبعد ما يوسف حلمى مشى كانت بتوزع مجلة أنصار السلام برضه، وكان فيه دكتورة اسمها سيزا النبراوى والاستاذ كامل البندارى، ودى شخصيات كانت على رأس حركه السلام.

عن الموقف من سلطة يوليو وتنظيماتها، كانت المنشورات بتاعتها اللى كان بتطبعها الحركة الديمقراطية. واللى كان ماسك المطبعة دى كان اسمه «كمال الشلودى» واعترف علينا فى قضية إسكندرية، وطلع من القفص وقال الكلام ده علشان يفرجوا عننا وخدوه من يومها عزلوه عننا، وطلعوه، وبالنسبة لينا احنا بقى، بقينا

نوزع المنشورات بتاعة الضباط الأحرار، اللى هى برضه حكاية نكبة فلسطين، والكفاح ضد الاقطاع والتسلط بتاع الملك، والملك فاسد، وكان فيه توجيه بعد إنتخابات ١٩٥٧ قالوا إن كان فيه إمكانيه لكم أنكم تخشوا الاتحاد القومي، فأنا أخترت عضوا فى اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى فى البلد، إنما ما استمرتش كثير فى ٥٧، ١٩٥٨، بعدين اعتقلت.

لكن بعد ما خرجت فى ١٩٦٤ فيه ناس دخلت الاتحاد الاشتراكى وكانوا من القيادات، وبعدين قالوا إن ده حاجه سرية علشان بيتفاوضوا مع السلطة وحاجات زى كده، وكتموا على نفسهم وهو كان بقصد تفتيت الحركة الشيوعية، ووعدوهم بالمناصب.

أما الموقف من الاصلاح الزراعى إحنا كنا بنؤيده، بس كنا بنعارض الحاجات السلبية إللى فيه زى «التجنيب» وزى ما قلتلك أنا خدت الفلاحين ورحنا غيط اسمه غيط الماشطه هنا وقمنا بدرنا الأرض بالليل علشان المالك ما ياخدش الأرض من الفلاح وده فى أثناء الثورة.

أما عن الموقف من إعدام لخميس والبقرى فى كفر الدوار كان فيه إدانة، وفى حدتو، عملوا إتصالات وقالوا حتى أن جمال عبدالناصر كان رافض ومش مؤيد للإعدام، المهم كان التنظيم ضد ده، وقالوا حتى لما احنا اتمسكنا فى قضية أروجيه، الصحفى الفرنسي الذى كان يأخذ كلامنا عن موقفنا من الثورة، قالوا حايعدموا الفلاحين برضه وأنا كنت حا أكون على رأس دول.

أما عن الموقف من ١٩٥٤ فعملنا جوه السجن إعتصام وكنا بنطالب بالقرارات دى أنها تنفذ اللى هى قرارات محمد نجيب وخالد محى الدين، وطلعت جريدة المصرى وقالت، رجوع الجيش لثكناته وإلغاء الأحكام العرفية والإفراج عن المعتقلين وإجراء انتخابات حرة المهم بقينا نصفق فى...

وبالنسبة للأخوان المسلمين كان فيه عندنا هنا فى القرية إخوان مسلمين، لما كبرت الحركة الشيوعية ضعفم ولما انكمشت الحركة الشيوعية شدو ثانى، لكن احنا كان فيه ناس مننا فى السجن الحربى شافت الجماعة الأخوان اللى رايحين يعدموا، عبد القادر

عودة وحسن طلعت والجماعة دول، فلما شافوا التعذيب عليهم، نوقضوا الشيوعين فى المحكمة وأول كلمة سجلها الأستاذ طاهر البدرى فى المحكمة قال أنا أحتج باسم الحركة الشيوعية، باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، على تعذيب الأخوان المسلمين واللى بيشوفوه فى السجن الحربى، رغم أن هما كانوا بيشتغلوا بطريقة بوليسية ويلفوا فينا وكانوا بيشتغلوا مرشدين. وبالنسبة للإخوان هو صراع على السلطة، لأن هما كانوا ضربوا الشيوعيين فى مجلس قيادة الثورة، بالتحالف مع الإخوان، ثم لقيوا الأخوان عاوزين بقى مجد، فحصل الصدام فى ١٩٥٤، وهو لازال دلوقت كده، وهو لغاية دلوقت أنا رأيى لا مبادئ، ولا يتاع، هما واخدين الدين ممطى، وهو صراع على السلطة، عاوزين السلطة.

الموقف من إتفاقية ١٩٥٤ كنا ضد الاتفاقية وكنا نرى الفقرة بتاعة عوده الانجليز اللى هو النص، وكنا علشان كده بنرفض الاتفاقية وكان فيه شعار ساعتها بيقول تسقط اتفاقية جمال/ هيد، ويمكن هو «هيد» ده رئيس فريق المفاوضة الانجليزى.

الموقف من الأسلحة التشيكية ومؤتمر باندونج هو كان موقف رائع من حكومة الثورة حصل تصفيق فى السجن لا تتخيله. باندونج وصفقه الأسلحة التشيكية والاعتراف بالصين، وكان التنظيم بره خارج السجن بيؤيد تأييد كامل، ماكنش فيه معارضة.

وكذلك الموقف من تأميم قناه السويس، كان تأييد كامل، وكان لجنة الدفاع، لجنة المقاومة فى بورسعيد كان أحمد رفاعى وكمال رفعت، فدول كانوا على رأس لجان المقاومة فى بورسعيد وطلعوا مجلة إسمها الإنتصار وجت الدعوة أن كل الشيوعيين يتطوعوا فى المعسكرات والتدريب.

أما عن إنتخابات مجلس الأمة سنه ١٩٥٧ قالوا الانتخابات حرة. فنزل الشيوعيين، فجه الاتحاد القومى شالهم، مخلاش حد. وبعدين ماكنش فيه نزاهه طبعا لأن الأتحاد القومى هو اللى كان بيسيطر وبيصفى من الأول.

أما الموقف من الأحلاف العسكرية، فكانت الهتافات فى قلب المؤتمر بسقوط مشروع إيزنهاور وحلف بغداد وكان فيه موقف واضح من الاحلاف العسكرية، وعن الموقف من تمصير الشركات الأجنبية إحنا إعتبرناها الاجراءات الاشتراكية، وكان

تأييد كامل وما كانش فيه اعتراض حتى على من يديرها لكن كان فيه مطالب للحريات بمعنى إيه، أن الحرية للطبقة العاملة حتقدر تكشف السلبيات، يعني لما بييجى عامل يتكلم عن الإنحراف، وأنا حا أقول على حاجه مهمة وهي إن اللى يحصل دلوقت إن اللى بيسرق ما بيصيبوش حاجة، والعامل هو اللى يروح فى داهية ودى من الحاجات اللى بدت السلبيات، وإحنا كنا بنطالب بالحريات وبعنين فيه نقطة أنا أثرتها،كانوا قالوا بعد ما طلعنا فى ١٩٦٤ أن هيكل عاوز يقابل ممثلين للحركة الشيوعية، فقالوا يأحمد وبعتوا إلى رسالة، احنا عاوزينك تقابل الأستاذ هيكل، فأنا رحت على جريدة الأهرام وطلبته فى الاستعلامات، رحت لقيت الراجل مستنينى، ودارت المناقشة التالية، وقالوا للى تأكد أن كلامك ده مسجل، يعنى تجاوب إجابات محددة وسألنى الأستاذ/ هيكل، وبعد المقابلة دى هو قال أن أحسن واحد قابلته فى الحركة الشيوعية هو الفلاح ده، وقاللى اتفضل والراجل جاب لى التحيه وقاللى قول يا أحمد قوللى أنت بتشتغل إيه؟ قلت له يعنى علمل زراعى، قال لى عامل زراعى يعنى عندك أرض قلت له لأ عامل زراعى يعنى بأشتغل بالفاس بسته صاغ وخمسة صاغ وخمستاشر وعشرون حسب الظروف، قام قاللى طيب واللى جابك الحركة الشيوعية إيه؟ قلت له دى هى أصلا قضيتى أنا قضية المضطهدين يا أستاذ هيكل قاللى طيب أنت بتقرأ مقالاتى؟ وقالى لى إيه رأيك فيها؟ كان بيكتب مقالات بصراحة، وكانت بتذيعها إذاعة صوت العرب، قلتله فيها الصح وفيها الغلط، قلتله أنا قرأت مقالاتك عن الأراضى المستصلحة حديثا وطالبت فيها إنها تدار عن طريق مزارع الدولة، وأنا رأيى أنه بالنسبة للملكية الزراعية فى مصر ملكية ضيقه ومش عايزة تفتيت، فكل ما تجمع فى الأراضى يبقى سهل (مقاومة الآفات) وصح أنها تزود الرقعة الزراعية بس مع تطبيق الديمقراطية فى الإدارة، يعنى أن يكون فيه حق الانتقاد بحيث أن الناس تقاوم السلبيات، وبالطريقة دى القطاع العام يكسب، قال لى طيب وايه الغلط قلت له أن الغلط أن أنت بتكتب فى مقالاتك عن تحييد أمريكا فى المعركة بيننا وبين إسرائيل وده غلط، قال لى ليه بقى، هى ما أيدتناش فى العدوان الثلاثى؟! قلتله أيدتنا لأن النفوذ اللى كان موجود فى الشرق الأوسط كان للاستعمار الانجليزى والفرنساوى، وهى عايزة تورث، وهى على الأساس ده أيدت، فإسرائيل بتعمل كعميلة شريك أصغر

للاستعمار اللى له النفوذ فى الشرق الأوسط، كانت الأول مع الاستعمار الانجليزى والنهاردة بقت مع الاستعمار الأمريكى، فلا يمكن تحييد أمريكا فى المعركة بيننا وبين إسرائيل. التقيت الراجل سهم لى كده.

وقاللى فيه منك كثير؟ قلت له الشعب المصرى يا أستاذ هيكل مليان ذوات إنما عاوز أقول لحضرتك حاجة، لما أكون أنا عامل زراعى، قضيت فى المعتقل اتناشر سنه لدى خليتنى أصبحت مثل قدام الناس، أن كل واحد حيجرؤ أن هو يقف ضد الظلم أو من أجل الحريات كده ولاكده مصيره أهوة مصيرى أنا، والمباحث كانت بتقول الكلام ده للناس، وعاوز أقولك على مثل بسيط قوى، أنا فى ليلة نايم، لقيت الست بتاعتى قاعده عاملة كده (حزينة ومهمومه) قلت لها مالك، قالت أنا حلمت إن المباحث حاتخدك، ما كانش فيه اطمئنان، فأنا لما أكون مثلاً تسألنى فيه منك كثير، لما أكون أنا بقيت مثل قدامهم، لفيت كل السجون المصرية، لا لشيئ، أنا مع الحركة الوطنية وأتطوعت فى أيام معركة ١٩٥٦، وبأطالب بالحريات أيدت القوانين اللى صدرت فى ثورية من جانب الثورة، فليه الانتقام ده؟ قاللى أنت مش عارف أنى كتبت مقالات من أجل الإفراج عن المعتقلين، طالبت فيها بالإفراج عن المعتقلين قلت له بعد إيه يا أستاذ هيكل، بعد ما قضينا ضرب وانتقام وتعذيب فى السجون، أنا حكيت له وجيبت له حكاية أبو زعبل وقلت له ده مثل من الأمثلة وكأننا عملا الاستعمار. إحنا ناس وطنيين، أنا، أيه، ده أنا راجل عامل زراعى، يبقى أحسن أن أنا أطالب بشرف بحقى، ولا أسرق، بس، فالتقيت الراجل قال لى، أنا عاوز أن مكتبى يبقى مفتوح ليك على طول وإذا كنت عايز أى خدمات أنا أقدمها لك، قلت له أما من ناحية الخدمات، خدمات شخصية فأنا أشكرك، أنا عايز بس تاخد الموقف اللى يمليه عليه ضميرك، الموقف الوطنى، وتأييد المطالب الوطنية اللى هيه بالنسبة للشعب والحريات، لازم تقف بجانبها علشان الشعب ده يتمكن من المحافظة على حقوقه، وفى مقاومة الاستعمار كمان، فقال لى طيب يا سيدى أشكرك. ده باختصار، بعد أن قعدت معاه يجى ساعة ونص.

عن الموقف من الوحدة بين مصر وسوريا والقومية العربية، إحنا كنا مع الوحدات العربية، اللى بتتبنيها الشعوب مش من فوق، وقلنا ان لو بدأت من فوق مش حتعيش،

وقد كان، وإحنا كنا ضد نزول القوات الأمريكية في لبنان، كنا مع حكومة النابلسي؛ أما عن الموقف من الأحلاف فكتبت شعارات ضدها في البلد هنا ونزلت منشورات، وكانت من ضمن الأساليب بتاعتنا كمان المنشورات اللي هي تعتبر مناهضة للحكم في حاجات سلبية، كنا نوديها القرافه يوم وقفه العيد، والناس طالعه كلها على القرافة، نوزع المنشورات كلها.

أما عن الموقف من قرارات يوليو في ١٩ يوليو ١٩٦١، إحنا بعتنا كحدتو تأييد ليها، أصلاً طبعاً احنا رأينا أنها إجراءات ضد الرأسمالية الكبيرة فاحنا معاها، هي كل الإجراءات دي بس كنا بنطالب بالديمقراطية، يعني القرارات دي بلا حماية شعبية، مالهاش ضمان، وإتكلمنا عن ده في التأييد عن الموقف من التنظيم وموقف من سياسات الاتحاد السوفيتي، اعتبرنا أن سياسات الاتحاد السوفيتي جزء من الحركة الشيوعية، وبعدين لقينا بعد كده الكلام فيه رده، يعني ضد الاشتراكية، وفيه كلام قاله لينين أنه مش ممكن تبنى الاشتراكية بدون قيادة الطبقة العاملة، وهما طبعاً قالوا لأ ده فيه ظروف دولية والمعسكر الاشتراكي وبتاع، ممكن البرجوازية بالتعاون مع الطبقة العاملة تبنى الاشتراكية، هي ممكن لما تكون قيادة الطبقة العاملة جزء من البورجوازية الوطنية، بقيادة الطبقة العاملة تبنى الاشتراكية لكن عكس كده ما ينفعش، كمان إحنا كنا بنعتبر أن موقف الاتحاد السوفيتي من الصين غلط، لأن هي كانت طلبت تكنولوجيا وأسلحة وحاجات زى كده، قال لها لأ يكفي أن الاتحاد السوفيتي يغطي المعسكر الأشتراكي كله، فده طبعاً كان موقف غلط أدى إلى الانقسام يعني لو كان الدولتين كانوا موحدين من يومها كان الوضع العالمي إتغير. نفس الحكاية بالنسبة لأحداث المجر إحنا كنا بنعتبره موقف غلط مننا إحنا؟ لأننا أيدنا دخول القوات السوفيتية المجر، وبالنسبة للموقف من البرجوازيات ونموذج حرق المراحل، إحنا بنعتبر أن ده يمين البرجوازيه، بمعنى عبد الناصر زى ما كان الحزب الشيوعي المصري (الراية) قال أنه خاين وبتاع، إحنا مكناش بنعتبره كده، إحنا كنا بنعتبره يمين البرجوازية، إنها الجزء اليميني من البرجوازية مش الجزء الثوري.

وموقف التنظيم وموقفي من الصراعات التنظيمية والسياسية داخل المعتقلات، والسجون كان الموقف زى ما قلتلك كان شتائم متبادلة، وأنا كنت مستاء بس من

إنقسام الحركة الشيوعية إنما كان فهمي للواقع بتاع بره أكثر، لأن هما زي ما أنت عارف المثقفين، لأ ده لينين قال، لأ ماركس قال، وحاجات ومعارك خارج الواقع بتاع البلد، إحنا في الواقع تشوف مشاكلنا احنا إيه، ومواقفنا إيه، ووحدة الحركة الشيوعية، والصراع ده ممكن يتم داخل حزب واحد. يعني الخلافات دي ممكن تحل داخل الحزب الواحد، لأن مفيش حزب واحد متجانس ألف في المايه، حتلاقي فيه يمين ويسار ووسط.

أما عن نضالات الشيوعيين المصريين داخل السجون، فأنا رأيي أن كان موقف الحركة الديمقراطية، أكثر المنظمات ثورية داخل المعتقل دفاعاً عن حق الشيوعيين في مسألة أن هما يعيشوا كويس، كانوا.. كانوا .... معتقل، نخش إضراب هم يرفضوا، وانقسامهم داخل المعتقل كان بيعطي فرصة للادارة إنها تضرب، إنما إحنا من حقنا إحنا أي حتة أن الإنسان يدافع عن أنه يعرف ياكل يعرف ينام، وبالنسبة للرموز، من ناحية كنت حاسس برضه أن بقيت شكلية، ولكن الواحد كان إيمانه بالمبدأ وإيمانه بالمستقبل، ويقول مثلاً أن ظروف المعتقل بخلاف الظروف بره في الشارع والنضال، وممكن تكون المشاكل بتظهر من أن الناس قاعدة وشها في وش بعض وعيشتها وحشة، ممكن تخلق مشاكل زي السلبية والانتهازية، والجري وراء المنافع الشخصية وحاجات زي كده، وفيه رموز كويسة طبعاً، يعني مثلاً من الشخصيات المثالية طاهر البدري، ومحمد عباس فهمي ومحمد الجندي السجن وكان معانا في المعركة بتاعة شهدي، وده كان راجل كان عنده أرض وباعها كلها في سبيل الاشتراكية، زي مثلا نبيل الهلالي، هو كان في الحزب، راجل ابن باشا ومع ذلك تبنى الدفاع عن قضايا الحركة الوطنية وضحى بأمواله، فيتحصل للانسان برضه.

وأنا رأيي أن كان كل قيادة الحركة الديمقراطية داخل المعتقل شخصيات كويسه، ولكن الراية باستمرار كانت آخر موقف ممكن تجده كانوا باستمرار ياخدوا ضده، وماكانوش يخشوا معانا في معركة واحده هما مش متفقين لكن نقدر نقول عليهم أيه يعني كان ليهم مواقف إنهزامية كده، ما كانوش ياخدوا مواقف صلبة، لذلك كان الأمل عند المعتقلين بتوع أبو زعبل، أن الأمل في قضيتنا احنا راحنا اللى حناخد موقف ضد الإدارة، وهما كانوا بيطلعوا يشتغلوا في الجبل، وما كانوش قادرين ياخدوا

موقف أبدا، اللي كسر كل الحاجات دي قضيتنا احنا بوفاة المرحوم شهدي، ودي اللي لعبت دور في تكسير المعتقل وتفتيته، اللي راح الواحات واللي راح القناطر، وانتهت حكاية إنا هما يطلعوا يكسروا في الجبل، وإن دي كانت في رأيي كانت أحسن قيادة موجودة في المعتقل هي قيادة الحركة الديمقراطية.

أما عن موقف التنظيم وموقفي من حل الحركة الشيوعية، هما قالوا إن أسباب الحل إن فيه مجموعه ثورية في قيادة السلطة بتبني الاشتراكية وأن احنا فيه مفاوضات بين القيادة الناصرية وبين القيادة، الشيوعية أن احنا نحل نفسنا نعمل تنظيم واحد للقوى الثورية، وكان رأيهم أن فيه مجموعة ماركسية في قمه السلطة وده طلع مش صحيح، وطلع أن الهدف كان حل التنظيمات الشيوعية والكلام ده حصل واحنا كنا بره، وكان جوه فيه تمهيد بقولهم إن ممكن تبني الاشتراكية بغير قيادة الطبقة العاملة، واستندوا بمقالات لشتراكية في تشيكوسلوفاكيا وحاجات زي كده وانا لما عارضت وبقيت في التيار الثوري اعتقلت، وبعدها قعدت سنتين وخلاص بقى سيبت العمل السياسي، هو تم الحل في كونفرس، وما حدش هدد حد، بس كانت الأغلبية مع الحل. أما عن رأيي في عدم تواصل الحركة الشيوعية، اللي حصل إن فيه قوى أجنبية لعبت دور في تفتيت الحركة الشيوعية، والحاجة الثانية إنهيار المعسكر الاشتراكي وده كان له أثر كبير على كل الحركة الثورية في العالم، وطبعاً في مصر القيادة ما كانتش على مستوى المسئولية، طبعاً التعذيب والضرب وحاجات زي كده، كمان سيادة المثقفين ووجود البرجوازية الصغيرة بنسبه كبيرة كان له أثر كبير، وعموما الحركة الشيوعية كانت أصلا بين المثقفين، ووجود الطبقة العاملة فيها بسيط يعني ما تيجش للدقهلية، ده بالنسبة للقطر المصري كله لايقارن بعني، وأزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل ١٩٦٥ ترجع لنفس الأسباب انتشار المثقفين والبرجوازية الصغيرة وتدخل الأجانب اليهود في الحركة، بس كانت أحسن قيادة فيهم بتاعة الحركة الديمقراطية، يعني أخدت يعني حوالي ٨٠٪ من المواقف الصحيحة، يعني باستثناء حركة الجيش لأن احنا ساهمنا في حركة الجيش، خالد محيي الدين، يوسف صديق.. وشيوعيين وجمال عبد الناصر يقال أن هو كان، كان أحمد فؤاد بتاع بنك مصر، أن هو كان المسئول عن

المجموعة داخل حركة الجيش، فطبعاً يعنى رجعنا قدرتنا فى النهاية أن الموافقة على القيام بانقلاب عسكرى كان غلط.

الرفاق الراحلين الى استشهدوا أو ترفوا فى السجون، هو كان شعبان حافظ، وكنا واخدينه عندنا، أنا خدمته زى ما خدمت الشيخ إمام كده (فى ثمانية وستين لواحد وسبعين) فى داخل السجن وكان عايش معانا، بس ما كانش بيحضر إجتماعات ولا حاجة، وكنا واخدينه كأب وكرمز حزب ١٩٢٤، ولما مات إتصل له تأبين جامد فى المعتقل.

فيه ناس ثانية زى المرحوم شهدى وفريد حداد وفيه زميل ثانى من طنطا محمد عثمان أظن وهما كانوا قلانشر، فيه ناس عاشت جوه السجن، ومرضت وبمجرد خروجها ماتت وأنا واما نكرش من اللى ماتوا بعد ماخرجوا من السجن إلا زكى مراد، وبعدين أذكر شخصية ثانية، كان شاعر، وطبعاً مبارك عبده فضل، ومعلهش أصل أنا هنا فى الريف، أعرف الى ماتوا من البلد، إنما القاهرة دايما هما اللى يدونى خبر إن فلان الفلانى مات.

وأنا لم يسبق لى عموماً أن أدليت بشهادة مثل هذه لأحد آخر.

ومن الناس اللى انتم لازم تأخدو شهادتهم كلهم فى القاهرة، وبالنسبة لمثقفين معظمهم فى القاهرة، وكان هنا فيه مثقفين وبعدين ماتوا.

فيه حاجات ثانية عايز أذكرها زى حكاية الواحد، كان فيه فى يوم من الأيام المأمور كان اسمه فريد شنيشن لتعذيبنا أحنا، وكان هناك فى الواحات تلتمايه من الإخوان، فى عنبر، والشيوعيين كان لهم عنبرين، وبعدين فى يوم حصل تسمم لولاد المأمور فطلعوا بالليل الدكتور حمزة البسيونى من إسكندرية، والدكتور شريف حتاته ودكتور اسمه عبدالحميد السحرتى والثلاثة دول خدوهم واحنا قلنا دول مترحلين للسجن الحربى، أتارى خدوهم للفيلا بتاع المأمور والوكيل وحاجات زى كده، وكانوا ولاده عندهم تسمم كانوا واخدين حبوب منع الحمل أظن، فعملوا لهم غسيل معدة وروقوهم، فالمأمور قال لهم قولولى بقى، فيه توصيه عليكم، وسامع عنكم أن أنتم كفرة وضد الإسلام وضد القانون، قالوا له الحركة الشيوعية بتضم من كافة الأديان،

يعنى إحنا بنقول الدين لله والوطن للجميع. إن احنا متفقين على حياة كريمة لكل البشر فى التعليم والمدارس والسكن والناس تتعلم، مفيش أكثر من كده، طيب قولوا لى بقى مطالبكم إيه، كان هناك ماسوره ٥٠ سم بتطلع مياه من الأرض تلاقيها مليانه حديد، وسخنه زى ما تكون بتغلى، وبعد نص ساعة بتبقى ميه بيضاء ورايقة وكان الأخوان المسلمين بيطلعوا يزرعوا شويه جرجير حواليهم، والجرجير اللى بيجيبوه ياخدوه ويأكلوه هما، واحنا بقى كانت الفجلة تسوى جنيه، وقلبنا نشف من العدس والفول، فقال له مفيش لنا غير مصرف واحد، طيب طلعنا من ده، فقالوا وهو أنت عندك ناس بتعرف فى الزراعة، قال طيب أبعتهم لى، فالتقيتهم بيندهولى، وهم جاموا بالليل، وحتاته قاللى يا سليم المأمور حيندهلك الصبح فتكتب مطالبك بالنسبة لإحنا عاوزين إيه، إيه المطلوب، فرحت للمأمور قالى لى أنت بتشتغل أيه، قال لى تفهم فى الزراعة، قلت له أيوه، قاللى طيب أكتب لى كشف بالحاجات اللى أنت عايزها وكتبت له كشف.. بستة.. فبعتوا سبعة وكتبت كشف لتسويه الأرض بمحاريث ومقاطف وفئوس، وتقاوى باميه وملوخيه وفتة وخيار والحاجات اللى هيه الصيفى ودراوى علشان الرعى بتاع البهايم، وكتبت الكشف ده بعد ١٥ يوم لقينا عربيات جايه محملة الحاجات دى بعد ما كتبْ هو لمصلحة السجون، وبعدين طرنش الصرف الصحى بتاع السجن، حفرنا له حفرة كبيرة، والصرف يبقى فى قلبه، ونطلع الزبالة بتاعة السجن ونفرزها من الصفيح والحاجات دى كلها، ونحدف فى قلب الحفرة، وعملت كشف من زملاء وجيت بقى بالنسبة للمية بتاعه الرى كان معانا بقى من زملاءنا عبدالمنعم شتله وحسين عبد ربه والجماعه دول، ابتدأنا نقسم الأرض بالشراميط، ونعملها ترابيع وكل تربيعه قيمة فدانين، وأنا بقى أقوم بحرثها وأسيب فيها الميه، والميه جايه من القناية وتاخد الميه، ونقوم نسيبها فى الحوض للصبح وأصبح الصبح بالمحرات وأحرثها والمساويه والتجريف والزحافة وبتاع وأبدأ أخطط، زرعت البامية والملوخية واللوبيا، وبعدين ابتدينا نشوف الميه طالعة سخنة، والسخنة دى لو راحت للزرع حيموته، فبدأت أعمل جسر على ربع فدان، وحرث وتقصيه وعملت.. الجسر كان ثلاثة متر وأسأل الزملاء بنوع الواحات كلهم، والباقى بقى اللى البهايم ما تقدرش نطلع له، وعبينا المقاطف وعملنا الجسر عريض، والماسورة تحدف بقى،

رجعنا قدما الماسورة ما تحدف وبلطناه، لدرجة أن زملاءنا بعترا جابوا مابوهات من بلادهم وبعدين زرعت خروع على الجسر، والخروع نموه سريع، بقى المأمور يطلع يقعد هو والست بتاعته والوكيل، هبه بنى غوطها ثلاثة متر، سميناه حمام سباحة، وبعدين عملت ماسورة فوق، وساعة ما الميه توصل الجسر تقوم تنزل، عملت ماسورة تحت وماسورة فوق، الماسورة اللى تحت دى تتقفل ولما يجى الصبح نتفتح تقوم تبقى ميه ساقعة، زرعنا كوسه وخيار وقتة، باميه وملوخيه، ابتدينا تنزل للسجن بخمسمائه كيلو فى اليوم والباقى تأخده العربية وتبيعه فى عاصمة الواحات مدينة الخارجة وتنزل لكل عنبر زكيبه مليانه خضار بعدما الواحد ما كانتش لاقى حاجة يأكلها. فى أعياد الميلاد بتاعة الزملاء كانت «القرات» تشتغل وتطبخ فيقلب العنبر ونأكل بقى، وكل أوده تعمل حفلة، لأن كل أوده كان فيها عشره، لعيد ميلاد أى زميل لينا، ونطبخ بقى، ونوفى السجن بطلباته، بعد اللى يتباع والباقى نقسمه فى العنابر والإيراد بتاعه لمصلحة السجون، وبقينا ندى للأخران زى ما أحنا بناخد، بالضبط، يعنى ننزلهم زكيبة زينا، فى الوقت اللى ما كانوش يسألوا عننا. واتعدلت علاقتى بالزملاء كلهم فى الفترة دى، يعنى مثلا كان كل معتقل فيه شربه، وحتى لما التمينا كلنا، باستثناء الفيوم، أنا مارحتش الفيوم، فاتعملت العلاقة كويسة بقت الناس عندها أحمد سليم ده، شوف بقى، المأمور أبعت على الشريط أجيب منطف كبير، وأحط فيه سبع، تمانى حتت طريه حلوه وخيار، وجرجير ولوبيا، أقول خدوا دى للمأمور والست بتاعته قاعده والسمان، وكان فى يوم جمعة وكان ممنوع زملائنا يطلعوا، أنا طلبت منه تصريح، وقلت له الزرع مش بتاع مراعيد، يعنى بيجى حر يقوم الزرع يحتاج يشرب تانى يوم، فسمح لينا بإثنين من بتوع البهايم وأربعة للزرع (سته ثيران زرعت لهم داير قدانين ونقطع لهم ونأكلهم وبعدين فى الشتا ابحر ثلاث أربع فدادين برسيم، ونمشى لهم ويأكلوا وكان المسئول عن البهايم سعد عبداللطيف، وعلى الشريف، وكان عندنا حمارين، حمار اسمة عنتر وحمار اسمة أبوزيد، وكنا نحول عليهم، ويوم السباخ نجيب العربية الكامبيون بتاع المعتقل والزملاء يطلعوا بالمقاطف ومنهم الزملاء الباشوات ونعبى سباخ بتاع السجن ونحمل العربية ونروح نفرغ فى الأرض علشان الزراعة، وكان أحمد الرفاعى، وأنا كنت مسئول المزرعة، وكانت اللجنه بقى سير عبدالباقى

وحسين عبد ربه وواحد زميل اسمه السيد يوسف من دكرنس، ورفعت السعيد كان معانا في اللجنة، وكنت أنا رئيس للجنة مسئول عن إدارة المزرعة، ويحدين كل الزراعة ما تتسع كل ما يدوني هدايا بقى، علبة حلاوة طحينية، علب محفوظة، وافتتاح المزرعة بتاعة سليم قول للدكتور سعد لما كنت بتمشي يوم الافتتاح، وكان يجيب المايوه وينزل يستحمى وكان يبقى مبسوط قوى.

وبالنسبة لاتحاد عمال الزراعه اللي عمله الأستاذ أحمد الرفاعي كان إتعمل في السبعينيات وأنا كنت رحت مندوب عن النقابة العامة لعمال التراحيل في مديرية التحرير، وكان فيه اتحاد لعمال الزراعة هو كان صعيدي، وهو كان المستشار بتاع النقابة دى أحمد، فأنا رحت هناك مديرية التحرير وبدأت أشوف المضايقات اللي بتحصل لعمال الزراعة وأبعث تقارير عنها ومش كده وبس، ده كان فيه تخريب في مديرية التحرير، يعني الذرة تنقطع وكانت الجرارات بتمشي فوقه، على الأرضية شبر يعني خمستاشر سنتي الدره مفروط، فأنا بعت أيامها لوزير الزراعة تقرير وقلتله على اللي بيحصل في الإنتاج وقلتله تعالى شوف وأرجو المعاينة وشوف المحاصيل المتبهدله وحاجات زي كده، وكتبت كمان للرجل رئيس النقابة، على البهدلة اللي فيها عمال التراحيل، وجاءوا وفتشوا وشافوا وكان فيه تحقيقات.

عوده إلى دقهلة ودمياط.

كل قرية كان فيها، أنا عملت إتصال بالسرو دقهلية نعمل إتصال بسيف الدين، فنبدأ الاتصال بالطريقة دى كل قرية تتصل بالثانية، فاحنا بقى أنا مثلا أروح أعمل قعدة في وسط الناس دى وأناقشهم وأشوف العناصر البارزة فيهم وأكون لجنة في البلد، واللجنة عليها أن تحصر المشاكل اللي في البلد دى، توصلرنا للبلد الثانية، لأن أنتم ما تقدروش تقوموا بعمل والبلد الثانية بتيجي تحتل مكانكم، وكان بيحصل تكاتف من كل البلاد على أساس كده كنا بنختار المعارك اللي بتخش فيها، يعني ما تجيش نعمل إضراب كده وكانت أبرز المعارك اللي دخلناها كانت في ديسمبر ١٩٥٢، بعد الاصلاح الزراعي، وكانت مع واحد مقاول هنا اسمه أنور السنباطي واللي كان واخد الشغل واحد أسمه حنفي الشريف، وقدرنا ناخد الـ ١٨ قرش ونقصنا المقاولة، جيت في الوقت الي اتزنق فيه ورحت عامل الإضراب في الانتخابات عقب الإضرابات دى،

الإخوان المسلمين كان أغلبهم تلاقيهم حرفيين، وكان عدد قليل من عمال الزراعة، فكانوا يقولوا لهم ما تمشوش مع الشيوعيين، مشيهم معانا حقق لهم مكاسب، يقوموا يقولوا لهم مادام بيحققوا مكاسب نمشي معاهم، جينا نعمل نقابه ونعمل جمعيه عمومية، هما جبوا يعملوا جمعية عمومية، هم أخذوا خمسين صوت بما فيهم الفلاحين وأحنا خدنا ٢٥٠ من الأصوات، هم في العمل السياسي بينكمشوا، رحنا مما العمال في الغيط، أي دول مدرسين، ومثقفين وترزيه وتجاريين، وإنما أنا أصلاً كان عملي في وسط الزراعة والفلاحين.

عن موقف الناس اللي جاءوا عندنا في المعتقل سنة ١٩٥٤، كان موقفهم مع الحريات، واحنا كنا عملنا اعتصام علشان نطلع لكن لما جه الصاري وصدرت القرارات بتاعة الردة دي، عملنا المطلب إن احنا نسكن في غرف راسعة لأن احنا في الحالة دي لما نعمل اعتصام علشان نطلع حيضربونا بقى.

شهادة

ثريا محمد سعيد أدهم

الاسم: ثريا محمد سعيد أدهم

تاريخ ومكان الميلاد: ١٦ مارس ١٩٢٦ بحى الظاهر/ القاهرة

كان أبى وأمى أقارب من الدرجة الأولى (بنت خاله) ولذا فإنه بعد وفاة والديه، وكان هو لايزال صغيرا انتقلت العائلة إلى بيت خالهم وكونوا أسرة واحدة وكان على أبى وهو أكبر أخواته أن يتحمل مسئولية رعاية أخويه وأخته واختار بعد ذلك والدتى زوجة له. كان والدى يعمل فى مجال تدريس الرياضيات فى مدرسة العباسية الثانوية بمحرم بك مدينة الإسكندرية إبان ثورة ١٩١٩، ثم عاد من جديد للقاهرة ناظراً لمدرسة باب الشعرية الابتدائية أما والدتى فلم تكن تعرف القراءة والكتابة، ولكن والدى تولى ذلك بمعرفته وكان يعاملها باحترام شديد وحب وعريق ويناديها دائما بلقب «هانم» ويخرج معها كثيرا للتنزه أو زيارة أفراد العائلة والأصدقاء وللأسف لاتجد المرأة المصرية مثل هذا المعاملة الحنونه بعد مرور حوالى قرن من الزمان.

كنا أسرة كبيرة تتكون من ثمان بنات وولد واحد، وكنا متقاربين فى العمر وتربينا فى أسرة متحابة ومتقاربة جدا تسود فيها علاقات صحية حميمة أساسها من الأب والأم؛ لأن علاقتهما أكثر من ممتازة. كان والدى من النوع الذى يحترم المرأة احتراما كبيرا، ذو شخصية قوية عطوفة ومتحررة إلى حد كبير ولم يحدث أبدا أن فرق فى المعاملة بين ابنه الوحيد وبناته الثمانى وإن كانت أمى أحيانا تدلل أخى الوحيد؛ ومن ثم فقد لعب أبى دوراً محوريا فى تكوينى وأفكارى.

على الرغم من حياته العامة الواسعة وحبه الشديد لعمله، إلا أنه كان يولى بيته وأولاده كل الرعاية والاهتمام، فقد كان والدى هو صاحب الفضل الأكبر فى ولعنا

* أجرت الحوار أ. انتصار بدر فى الفترة من ٦ مايو - ١٤ يونيه ١٩٩٧، وقامت أ. حنان رمضان بإعادة تفريغ الشرائط وضبط صياغة الشهادة ثم راجعتها وأضافت عليها أ. ثريا أدهم.

الشديد بالقراءة الجادة والمتعمقة وكانت لديه مكتبه كبيره عربية وإنجليزية وفرنسية (للأسف قامت الحكومة بمصادرة هذه المكتبة الضخمة) علمنا كيف نتعمق فى دراسة الأدب والتاريخ ولايفرض علينا رأيا معينا ولا يناقشنا فى شئون حياتنا إلا إذا استشرناه قائلا يجب أن تتعلمى كيف تدبرين كل شئونك بمفردك وباستقلالية ومقولته الشهيرة «سلونى قبل أن تفقدونى متندمون أشد الندم».

ظروف حياتنا داخل المنزل لم تكن سهلة فعددنا كبير ووالدى كان مضطهدا فى عمله لأسباب دينية رغم حب الجميع واحترامهم البالغ لشخصه؛ ولكى نرفع من مستوى الحياة شجعنا على تعلم كل شئ: الخياطة والأشغال اليدوية والمنزلية لتنتج أشياء بسيطه نتصرف فيها بمعرفتنا لكى نستطيع الاشتراك فى المجلات العربية والإنجليزية الخاصة بالفتيات وباختصار تعلمنا ونحن مازلنا صغارا كيف ندبر كافة شئون حياتنا اليومية بأنفسنا وباستقلالةى تامة ولا تدخل من جانبه إلا فى حالة الخطأ الكبير، ومع كل هذا كان أبى فى غاية الحزم ولايسمح لأية واحدة من بناته بالتطاول على الكبار أو الخروج منفردة أو تقوم بأى تصرف غير لائق أو غير محترم.

كان أبى متحرراً للغاية؛ لذا فقد كان يحرم أية سيدة محجبة أن تدخل بيته لأنه يرى أن الحجاب ضد حرية المرأة وأن المرأة يجب أن تتكسب قوتها وتعمل عملا مفيدا لها وللآخرين، وله مقولة مأثورة إذا كان ايرادك لا يسمح لك بتعليم كل أبنائك فالأولى بالتعليم هن البنات قبل الصبيان لكى يكون لها سلاح تخوض به الحياة ويمعنها من أن تتصرف أى تصرف غير لائق فى مستقبل حياتها.

كنا جميعا صبيان وفتيات فى كل مراحل الدراسة من روضة الأطفال إلى الجامعة وعن نفسى فقد تلقيت تعليمى الأولى فى مدرسة روضة غمرة «غمرة الابتدائية للبنات» وأغلبنا كنا من التلميذات المتفوقات فى الدراسة.

كان منزلنا يمثل بيت العائلة الكبير رغم أن أعمامى كانوا أكثر غنى وكان يسكن عدد كبير من سيدات الأسرة المحتاجين إلى مساعدة «خالتى وعمتى وخالة أمى وجدتى» ولا نأكل بمفردنا أبدا فهناك دائما فى كل وقت زواراً من النساء والرجال.

هكذا قضيت طفولة سعيدة جدا للغاية وغنية، وكنا نلعب كثيرا باعتبارنا جميعا متقاربات فى السن وبيتنا هو مركز لتلاقى كل المعارف والأهل والأصدقاء سواء فى المدرسة أو الحى.

فى أواخر الثلاثينيات من القرن الماضى كنت أعيش وأتابع أحداث وتطورات الحرب العالمية الثانية وما سبقتها من ظهور تيار الفاشية، ومع أن كثيرا من المصريين فى هذا الحين كانوا يميلون للألمان نكاية فى المحتل البريطانى؛ إلا أنى لم أتعاطف أبدا مع الفاشية، وكان أبى أيضا يكره الفاشية والتعصب الأعمى وتعذيبهم لشعوب كثيرة فى أوربا. وخلال الحرب كان من المعتاد حدوث غارات جوية من جانب القوى الفاشية وقد ألقى طوربيد جوى بجوار المخبأ الواقع أسفل البيت وتسبب فى حدوث ضحايا عديدة من الأبرياء كباراً وصغاراً.

ومن ثم ففى نفس الوقت الذى كنت أكره فيه المحتل البريطانى كنت أكره أيضا الفاشية ولم أؤمن بأى من آرائها.

كان البيت الذى ولدت وعشت فيه طفولتى الأولى ذا تركيبة خاصة جدا، فقد كان يضم عائلات من أصول وتقاليد متباينة، ففى الدور الأرضى يسكن الشيخ حمودة أبو المطرب إبراهيم حمودة؛ وكان الشيخ حمودة من ملحنى هذا الجيل، ويقيم أسبوعياً حفلا غنائيا راقصاً كبيرا يستمر ممتداً لساعات طويلة، وكانت بنته الصغيرة «رقية» صديقتى وربيبتى المفضلة تفتح لى الباب الخلفى للمنزل لنشاهد ما يدور فى هذا الاجتماع البهيج من رقص وغناء وطرب، ومن هنا بدأ الفن يحتل جزءاً هاما من تفكيرى ويؤثر على نفسيتى وتكوينى ومزاجى حتى يومنا هذا.

فى نفس المنزل يسكن أيضا فى الدور الأرضى عائلة ذات ميول إخوانية وأبناؤها طلبة فى مدارس اللاسلكى ومعروفة باسم عائلة «جبر التميمى» التى اتهمت خلال عامى ١٩٤٨، ١٩٤٩ بتكوين المحطة السرية السلفية للأخوان المسلمين وحكم على أحد أبنائها بالإعدام ولكنه هرب إلى السعودية ثم لندن وكانت هذه العائلة تركب فى منزلها محطة إذاعة أرضية يتكلم فيها الصغار ليلتقط آباؤهم وأمهاتهم حديثهم من شقة كل عائلة من عائلات المنزل من الراديو الخاص بهم وفى شقتهم، وكانت هذه مغامرة طريفة للغاية فى هذا الوقت البعيد من القرن الماضى.

ويسكن أيضا فى نفس المنزل ١٠ شارع سعيد بالظاهر اليوزباشي محمود لبيب الساعد الأيمن للفريق عزيز المصرى ورئيس جمعية الشبان المسلمين فى هذا الوقت وله علاقات قوية مع الأخوان المسلمين، وإن لم يكن تابعا لهم وله نشاطات مختلفة ومتعددة . وقد عقدت فى منزله اجتماعات كبيرة تضم عناصر وطنية متباينة وبعض أعضاء جماعة الضباط الأحرار، وقد أقسم جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وعبد الحكيم عامر قسم الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين أمام رئيس الإخوان الشيخ حسن البنا فى نفس هذا المنزل حسب ما ورد فى مذكرات خالد محيي الدين وإن كنا فى هذه الفترة لا نعرف أى صلة تربط بين جارنا والضباط الأحرار.

وفى مواجهة اليوزباشى محمود لبيب يسكن محامى بالمحاكم المختلطة من أصل يهودى وأولاده جميعا بنات وصبيان منضمين إلى عدة منظمات ماركسية مختلفة ومتصارعة على الدوام أحدهم فى العصبة الماركسية وأخرى فى اسكرا ثم حدتو وبنت من بناته كانت خطيبة واحد من قادة الشباب الصهيونى فى نادى المكابى بالظاهر ولها فيه نشاط كبير وكثير.

وكان خطيب شقيقتى الكبرى روحية فى ذلك الوقت وزوجها فيما بعد هو توفيق أحمد البكرى من قادة الحركة الوطنية السودانية جاء إلى القاهرة هربا من عذاب وسياط المحتل البريطانى. وكان متفقاً جدا ويكلمنا بأسلوب ساحر فى السياسة والاستعمار وحركة التحرر الوطنى فى كافة أنحاء الوطن العربى ويفتح لنا الآفاق لكى نناقش المشاكل السياسية والأدبية ويزودنا بالعديد من الكتب والمجلات والجرائد السياسية والأدبية المصرية والعربية.

أما أخى الوحيد فلم يكن لديه أى اهتمامات سياسية وإن كانت له ميول فنية ويحصد جوائز التمثيل المسرحى التى تقام سنويا برعاية وزارة المعارف. فكل نشاطه كان مركزا على الدراسة الجامعيه والأكاديمية، وفى مراكز البحث العلمى، وإن كان قد انضم لفترة قصيرة إلى جماعة «مصر الفتاة» والقمصان الخضر، وقد قام بعمل مشروع لدراسة أثر مرض الجلوكوما «المياه الزرقاء» على الأطفال فى كل من محافظتى البحيرة والإسكندرية ومسبباتها ودور الأم الريفية الجاهلة فى فقدان بصر أطفالها طبقاً لبدع وخرافات قديمة مما دعا هيئة الصحة العالمية W. H. O. إلى تبنى

المشروع واختيار، واحدا من حكماء طب العيون فى العالم وهو لقب لم يحصل عليه قبله أو بعده عالم طبيب من أفريقيا والبلاد العربية واسمه استاذ دكتور محيى الدين سعيد رئيس قسم أمراض الرمد والعيون بجامعة الإسكندرية.

كما كانت تقع أمام المنزل مدرسة مصر الثانوية للبنين الأهلية التى كانت تشتهر بالقيام بالعديد من المظاهرات السياسية، كما كان يعقد فيها أسبوعيا اجتماع كبير يحضره الشيخ حسن البنا زعيم ومؤسس جماعة الأخوان المسلمين ويحاضر فيه الشيخ حسن البنا، وهو محدث لبق ومفوهٌ للغاية. كنت أحب أن استمع لمحاضراته من شرفه منزلنا، ولكن لم أتأثر بأرائه المتعصبة لأننى منذ الصغر تربيت على الحرية الدينية والاستقلال الفكرى بدون أى تعصبات فمن الممكن أن أختار أصدقائى من أى دين رأى جنسية مسيحية أو يهودية، فإن هذا لا يطبع الفرد بطابع خاص يميزه أو يبعده عن مسار إخوانه سواء فى المدرسة أو فى العلاقات العائلية والأسرية.

وفى نفس الفترة كانت تعقد فى مكان قريب من جامع الظاهر بيبرس حيث يوجد مقر النقابة العامة لعمال النسيج وكنت أحاول أن أسمع وأتابع ما يقولون من مناقشات وندوات من خلال الميكروفون.

هذه باختصار الأرضية التى نشأت فيها، وكونت تفكيرى واهتماماتى الشخصية فيما بعد: جو متفتح مملوء بالحياة والحب والفن تعلمت فيه أن أخدم نفسي بنفسي، وتعلمت المشاركة الوجدانية والعملية مع زملائى وزميلاتى فى البيت والعائلة والمدرسة، وأن أضع نفسى دائما فى المقدمة لمساعدة الغير بدون ترفع أو تسلط.

كنت كما ذكرت من قبل فى مدرسة روضة غمرة، وغمرة الابتدائية للبنات بشارع رمسيس، وكنت فى مراحل التعليم المختلفة من المتفوقين وبدأت فى المرحلة الابتدائية أتعلم اللغة الإنجليزية واتكلمها بطلاقة، كما كنت كثيرا ما أتحدث مع بنات الجيران باللغة الفرنسية ولذا كنت دائما متفوقة فى اللغات قراءة وكتابة؛ وهذا ساعدنى فى توسيع مداركى وثقافتى العامة.

كان أبى يكافئ العائلة لنجاحها وتفوقها المدرسى بإجازة طويلة (٣ شهور) نقضيها فى الأسكندرية على شاطئ ستانلى حيث نتعلم العوم وننطلق بحرية نلعب رياضة

سواء كنا كبارا أم صغاراً بلا أدنى تأثير للتربية التقليدية المقفولة التى كانت سائدة فى الثلاثينيات، كنت وأنا مازلت مراهقة أحب أن أحضر حفلات واجتماعات شقيقاتى الكبيرات سواء طلبة أو طالبات، وكان أبى يسمح لهن بدعوة زملائهن من الطلبة والطالبات إلى منزلنا، ويقدم لهم الشاى ويحضر مناقشاتهم التى لا تنتهى إلا لتبدأ من جديد. باختصار كان جو البيت مملوءاً بالحياة الواسعة العريضة بكل أبعادها من علم ورقص ومغنى وفن وتمثيل.. إلخ.

وعندما انتقلت إلى المدارس الثانوية التحقت بمدرسة الأميرة فوقية الثانوية للبنات (الأورمان الثانوية الآن) بالدقى ولكنى خلال الدراسة أصبت بحمى التيفود وأمضيت مدة طويلة جدا (٩٦ يوما) فى مستشفى الحميات بالعباسية بين الحياة والموت وقد أثرّ فى هذا المرض صحياً وأصبحت ضعيفة من ذلك الوقت.

والتحقت بجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) فى كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وكانت أغلبية الدفعة من الفتيات. وأساتذتنا أغلبهم أجانب ومعهم بعض الأساتذة المصريين منهم. د. لويس عوض. ود. سهير القلماوى و د. مؤنس طه حسين، وكان الدكتور لويس عوض كما هو متبع فى قسم آداب اللغة الانجليزية هو المكلف بمتابعة دراستى وأبحاثى فى الجامعة طوال فترة دراستى الجامعية من السنة الأولى إلى الليسانس.

سبقتنى أخواتى الأكبر منى فى التعرف على الجمعيات الثقافية المنتشرة داخل القاهرة فى ذلك الحين، يذهبن إليها للمشاركة فى الاجتماعات والندوات والمحاضرات التى تعقد بانتظام فى دار الأبحاث العلمية ومقرها حى المنيرة القريب من السيدة زينب، وقد تعرفت شقيقتى فايزة الطالبة بكلية العلوم جامعة فؤاد على هذه الدار حيث إن كلية العلوم كانت مركزا لتجمع التيارات اليسارية المختلفة وكثير من عناصرها أعضاء أيضا فى دار الأبحاث العلمية.

بدأت أواظب على حضور اجتماعات وندوات دار الأبحاث العلمية طوال عام ١٩٤٥ وهو نفس العام الذى فقدت فيه والدى فترك فراغاً كبيراً فى جميع أفراد العائلة وغير من اتجاهات محور كل فرد فيها. ولكى أملأ هذا الفراغ انغمست أكثر فى

المشاركة فى نشاط جماعة دار الأبحاث العلمية التى كانت تمدنى على الدوام بالوعى السياسى والقومى، كانت تمكنى من القراءة العريضة فى مختلف مجال النشاط الفكرى وفى التربية السياسية نظرا لما تقدمه من وعى سياسى وفكرى وكتب جديدة وجرائد مختلفة عربية وأجنبية واندمجت أكثر فأكثر فى نشاط جديد وازداد وعيى السياسى والأدبى والفنى وأخذ يتبلور بشكل جديد مختلف، بشكل جوهرى عن مرحلة الطفولة والمراهقة.

تعرفت فى دار الأبحاث العلمية على المناضلة فاطمة زكى صديقة شقيقتى فايزة وزميلتها فى كلية العلوم، كما تعرفت على إنجى أفلاطون ولطيفة الزيات وعنايات أدهم المنيرى الشهيرة بنفس اسمى ثريا أدهم وآسيا النمر وسعدية عثمان. ونتيجة لنشاط كل من شقيقتى فايزة وسعدية عثمان المعيدتين فى كلية العلوم فقد أصبحتا أول فتاتين مصريتين يفصلان من عملهما فى الجامعة إبان حملة رئيس الوزراء اسماعيل صدقى ضد الشيوعية طمعا فى تمرير معاهدة صدقى بيفن فى يوليو ١٩٤٦.

بدأت إنجى أفلاطون المناضلة والفنانة فى محاولة تجنيدى لكونى طالبة عاطفة على الحركة اليسارية وتتبع تنظيم الشرارة «إسكرا» وكونت من شقيقتى فايزة وسعدية عثمان ومنى مجموعة كانت إنجى تجتمع بنا أسبوعيا مرة أو مرتين على الأقل تقوم خلال ذلك بعرض سياسى عام لتطورات الأحداث السياسية فى مصر والعالم بأسره، كما تنقل أى زميلة وتعرض ملخصا لكتاب ماركسى بنظرة باللغة العربية أو الإنجليزية ونناقشه ونقويم هذا الملحق وشرح جوانبه النظرية والفلسفية ثم توجه إلينا إنجى بعض الأسئلة حول مفهومنا لما قرأناه، حيث كان من المتبع فى تنظيم الشرارة «إسكرا» أن يقضى أى عاطف فترة ستة شهور قبل انضمامه التنظيم. الذى كان معروفا عنه اهتمامه الشديد بالثقافة والتربية السياسية العميقة. بعد فترة الستة أشهر عرضت إنجى على شقيقتى فايزة الانضمام إلى التنظيم ولكنها فضلت أن تستمر كعاطفة؛ لأنها لاتريد أن تنضم إلى تنظيم سرى، أما عنى فقد أهمل الاتصال بى لأن التركيز كان على شقيقتى بالذات.

فى بدايات عام ١٩٤٦ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان الشارع المصرى فى حالة غليان ثورى مطالبا بضرورة انهاء الإحتلال البريطانى وطرد المستعمر. وبدأ

يظهر في جامعة فؤاد الأول أكثر من تنظيم سياسي يحاول كل منه أن يسيطر على مسار حركة الطلبة والطالبات في الجامعة التي تموج بمختلف نواحي النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي من جمعات للمرسيقى الكلاسيك Gramaphone Society فرق مسرحية تقدم مسرحيات عربية وأجنبية يتم عرضها على مسرح الجامعة، كما كنا نذهب أسبوعيا إلى نادى خريجي قسم اللغة الإنجليزية في شارع المدابغ «شريف حاليا» لنستمع إلى محاضرات أدبية أو مشاهدة مسرحيات إنجليزية يقدمها قدامى الخريجين وعلى رأسهم المذيع اللامع محمد فتحي، وأنور نريطم ومصطفى حبيب وتوفيق أحمد البكرى والشريعى وأمينة السعيد ونعمات سعيد أدهم وغيرهم كثيرون.

هذه الصحوة التي ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان لها تأثيرا كبيرا على صحوة المرأة المتعلمة بالذات التي مارست بشكل واسع في مجال العمل السياسي والاشتراك في المظاهرات وأصبح للفتاة المصرية دور قيادى بارز تشارك بنشاط في انتخابات اتحاد الطلبة وفي المظاهرات والندوات السياسية. ومن أبرز هذه العناصر النسائية - عنايات أدهم المنيرى «الشهيرة بثريا أدهم»، والتي انتخبت في قيادة اللجنة الوطنية للطلبة بالإضافة إلى لطيفة الزيات، والتي كانت الخطيبة الأولى في مظاهرات طلبة عام ١٩٤٦، وتستطيع أن تسكت بأسلوبها الساحر أى خطيب آخر ينتمي إلى التيارات الرجعية سواء من الإخوان المسلمين أو أحزاب السلطة والحكومة، برزت داخل الجامعة تيارات داخل النشاط الطلابي في ذلك الحين التيار التقدمى ويضم الشيوعيين والماركسيين من مختلف التنظيمات السياسية، وبالإضافة إلى الطليعة الوفدية «الجناح اليسارى لحزب الوفد» وتيار رجعي يواجهه يضم طلبة من جماعة الإخوان المسلمين وحزبي الأحرار الدستوريين والسعديين.

أذكر هنا لعبة ذكية وطريفة كنت استخدمتها بالاتفاق مع عنايات أدهم فنظهر التماثل في اسم كل منا، وكوننا في قسم اللغة الانجليزية كلية الآداب فقد اتفقنا على أنه في حالة أى تدخل من جانب المباحث ضد أى منا فإننا ننتحل شخصية الآخر، ونعطيهم عنوانه الأمن كنا نستخدم ذلك لصالح العمل السياسي بوجه عام.

في يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ بعد إجازة نصف العام الدراسي خرج الطلبة جميعا بالآلاف (حوالى ٣٧ ألفا) للتظاهر والتفوا حول نصب شهداء الطلبة يستمعون إلى الخطب النارية التي يلقيها كل من لطيفة الزيات عن التقدميين ومصطفى موسى عن

الطليعة الوفدية ومصطفى مؤمن عن الإخوان المسلمين وانضم إليهم طلبه مدرسة السعيدية وغيرها من المدارس الثانوية وقد رأوا الخروج فى مظاهرة عارمة إلى قصر عابدين مطالبين بالحرية والاستقلال والتنديد بالمحتل الغاصب.

كانت الشعارات فى هذا اليوم مختلفة ومتباينة، لطليعة ممثلة التيار التقدمى تطلق شعار «كفاح واحد شعب واحد» فيرد عليها مصطفى مؤمن ممثل التيار الرجعى: «بلد واحد ملك واحد».

خرج الطلبة فى المظاهرة الحاشدة، وخط مسارها شارع الجامعة حتى ميدان الجيزة لينضم إليها طلبة المدارس الثانوية، ثم توجهت إلى كوبرى عباس وهناك حدثت مذبحة كبيرة بين قوات الأمن المتجمعة فى الجانب الآخر للكوبرى انتظارا لوصول المظاهرة إلى منتصف الكوبرى وفتحت عليهم الكوبرى وانهالت النيران والهراوات والعصا الغليظة تفتك بالطلبة وتدفعهم دفعا نحو الإلقاء بأنفسهم فى نهر النيل متأثرين بجراحهم. أما باقى المظاهرة فقد منعت بالقوة من الوصول إلى الكوبرى فانتظرنا على الجانب الآخر من الكوبرى ننتظر إخراج جثث الطلبة الشهداء من نهر النيل المعطر بدماء شهداء الطلبة لنلفها فى العلم المصرى الأخضر ونقلها إلى كلية الطب بالقصر العينى لتخرج مصر كلها فى وداعهم فى موكب حزين طويل فى اليوم التالى.

كرد فعل لمذبحة كوبرى عباس قرر الطلبة والطالبات المتجمعون فى جامعة القاهرة عدم خروج الشعلة المضاءة من مبنى الجامعة يحملها الطلبة الرياضيين إلى قصر عابدين مهنئين الملك بعيد ميلاده فى اليوم التالى ١١ فبراير وأطفأ آلاف الطلبة الغاضبين الشعلة المضاءة بالتبول عليها. وانتهت إلى الأبد الأسطورة الضاحكة لضرورة تقديم الطلبة شعلة مضاءة تهنئة للملك يوم عيد ميلاده.

بدأت المظاهرات تتكاثر وفى مواجهتها يشتد الضغط على الطلبة أكثر وأكثر، وفكر الطلبة فى مواجهة هذا الضغط الإرهابى من جانب الحكومة وقوات الأمن بتكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، ولكى تشاركهم الطبقة العاملة والتى كانت تخوض وقتها حركة إضراب واسعة لتحقيق مطالب اقتصادية. كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة منتخبة مباشرة من الطلبة فى كلياتهم والمدارس الثانوية، ومندوبى العمال

منتخبين من مصانعهم مباشرة، وهكذا تم تكوين تنظيم شعبى منتخب يقود كفاح كل من الطلبة والعمال فى نضاله الوطنى ضد المحتل الأجنبى، وكانت اللجنة تجتمع فى مبنى كلية الطب بالقصر العينى. وتضم الكثير من العناصر والقيادات الوطنية التى تلعب دوراً بارزا في حينها وبعدها، أذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر: لطيفة الزيات، وعنايات أدهم المنيرى «ثريا أدهم» وحكمت الغزالي العاملة بشبرا الخيمة وآسيا النمر كلية الآداب ومصطفى موسى وجلال معوض وسيد البكار وأحمد طرباى من الطليعة الوفدية.

قررت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة أن يبدأ نشاطها يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ حيث تتوقف فيه كل وسائل المواصلات من ترام وأتوبيس، على أن تخرج فى هذا اليوم مظاهرتان رئيسيتان: واحدة تمثل الطلبة وتخرج من جامعة القاهرة وتتحرك الثانية من شبرا الخيمة، لتنضم المظاهرتان أمام قصر عابدين. كانت كل من المظاهرتين قوية للغاية، مما جعل القوات البريطانية التى تسكن فى ثكناتها القائمة بميدان التحرير «مبنى الجامعة العربية» وفندق هيلتون حالياً تطلق على جموع المتظاهرين النيران من سياراتها المنتشرة في الميدان ومن شبابيك ثكناتها، ومن شرفات أسطح العمارات التى يقطنها الكثير من قوات المحتل بدون أى سبب أو احتكاك من جانب الجموع المتظاهرة، وبدأ المتظاهرون يغمسون أيديهم فى دماء الشهداء الذى سقطوا بنيران قوات المحتل، ويرفعونها أمام قوات المحتل مما أفقد هذه القوات الصواب فزادت من وحشيتها وأصيبت بحالة من الهلع، ومع ذلك استمرت المظاهرات طوال اليوم ومنعت قوات المحتل مظاهرة العمال التى قامت فى شبرا الخيمة من الوصول إلى ميدان الإسماعيلية «التحرير حاليا» ثم توقفت المظاهرات عند المغرب. ونظرا لأنه حدث فى نفس اليوم مظاهرات قوية فى الهند أيضا ضد الاستعمار البريطانى فقد قرر الاتحاد العالمى للطلبة واتحادات العمال العمالية اتخاذ يوم ٢١ فبراير عيدا عالميا لكفاح من أجل التحرر الوطنى. ومن أهم نتائج هذا اليوم المعظم ولارتفاع عدد الضحايا؛ فإن قوات الاحتلال البريطانى قررت أن تسحب قواتها من المدن الكبرى ومنها القاهرة.

بعد استقالة وزارة النقراشى نتيجة للتذمر الشعبى الواسع بعد مذبحة كوبرى عباس، تسلم رئاسة الوزراء إسماعيل صدقى الطاغية والديكتاتور، واتضح الفارق الواسع بين

مواقف كل من التقدميين وممثلى الأحزاب الرجعية، وعلى رأسها الإخوان المسلمين الذين أخذوا يمجدون رئيس الوزراء الجديد مرددين الآية القرآنية ،وأذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد نبيا، لمحاولة تبييض صورته أمام جماهير الشعب الثائر.

واستمرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة فى قيادة حركة التحرر الوطنى لأنها كانت تمثل أول تنظيم شعبى ديمقراطى يجمع بين العمال والطلبة، وبعيدا عن الأحزاب السياسية السائدة فى ذلك الحين، وعن طريق انتخابات حرة ديمقراطية وجدت اللجنة التنفيذية للطلبة واللجان الوطنية داخل المصانع.

واستمرت المظاهرات فى الجامعة طوال العام، وعندما تشتد المظاهرات يصدر قرار بغلق الجامعات فترة ثم يعاد فتحها بعد أسبوع أو اسبوعين، وتتكرر هذه اللعبة أكثر من مرة.

قررت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة اختيار يوم ٤ مارس ١٩٤٦ يوما للاحتفال بذكرى شهداء معركة ٢١ فبراير ومذبحة كوبرى عباس، وإن كانت قد تركزت أساسا فى مدينة الإسكندرية حيث أطلقت القوات البريطانية المتمركزة فى ميدان محطة الرمل النيران على المظاهرات الشعبية العارمة فى ميدان محطة الرمل، وفى ميدان المنشية وقد كان المسئول عن قيام هذه المظاهرة وتصعيدها التنظيمات اليسارية المختلفة والطليعة الوفدية.

من أهم نتائج حركة فبراير، مارس ١٩٤٦ قيام اللجنة الوطنية للعمال والطلبة والدور الذى لعبته الطالبات فى المشاركة فى هذه المظاهرات بل وقيادتها. وبرصفنا نساء واعيات بدور المرأة المصرية فى الكفاح الوطنى، وبأنها نصف المجتمع، فكرنا فى تكوين «رابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا» التى تعتبر أول تنظيم نسائى يظهر فى الساحة من فتيات الطبقة الوسطى. وهذا التنظيم النسائى الوليد، وإن كان أغلبه من العناصر التقدمية واليسارية، فإنه ضم العديد من الفتيات الوطنيات من سائر الأحزاب القائمة وأذكر منهن المناضلات إنجى أفلاطون ولطيفة الزيات وعنايات أدهم المنيرى وسعدية عثمان وفايزة سعيد أدهم وفاطمة زكى وحورية مصطفى ونجيبة وآسيا النمر،

جنفييف سيداروس وعناصر مستقلة: د. عائشة راتب التى كانت وقتها طالبة بكلية الحقوق جامعة القاهرة.

بدأنا نعمل بنشاط نربط بين مطالب الحركة النسائية والحركة الوطنية عموما، تقول إن «المرأة هى نصف المجتمع وهى جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية».

عقدنا الاجتماع التأسيسى لهذه الرابطة فى مدرسة الليسيه الفرنسية بباب اللوق لإعلان الرابطة وبدء نشاطها. وقد حضر هذا الاجتماع، مئات من السيدات والفتيات، وقد حاولت قوات الأمن عرقلة عقد الاجتماع ولكن تم الاتصال بوزارة الداخلية فسمحت بعقد الاجتماع على ألا يتم خروج الحاضرات إلى الشوارع. وقد كان هذا الاجتماع ناجحا للغاية وأعلنا عن تكوين الرابطة وخطبت فيه على ما أتذكر كل من إنجى أفلاطون ولطيفة الزيات وآسيا النمر. وقد صدر بيان عن هذا الاجتماع نشر بالكامل فى مجلة الفجر الجديد التى كانت تصدرها فى ذلك الحين منظمة «الطليعة الشعبية للتحرر الوطنى».

بدأنا ترسيخ الرابطة وطلبنا من المدارس الثانوية إرسال مندوبات لحضور اجتماعات الرابطة الوليدة، وكنا نجتمع فى الجامعة المصرية. ومن خلال هذه الرابطة تمكننا من إرسال وفد لحضور مؤتمر المنظمات النسائية العالمية التى اشتركت ولعبت دوراً فى الكفاح ضد الفاشية، وانبثق عن هذا المؤتمر تكوين الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى فى باريس فى أواخر عامى ١٩٤٥، وأوائل ١٩٤٦.

حضر هذا الاجتماع العالمى من مصر كل من إنجى أفلاطون وصفية فاضل وسعاد كامل عن الرابطة بالاضافة إلى سعاد زهير الصحفية، وكن جميعا فى عمر العشرين عاما. كما تم الاحتفاء بالوفد المصرى والاعتراف به ومازال الاتحاد النسائى التقدمى التابع لحزب التجمع الوطنى الديمقراطى الوحدوى عضوا فى هذا المؤتمر العالمى حتى يومنا هذا، ولكن سرعان ما حل إسماعيل صدقى خلال حملته الشهيرة ضد الشيوعية فى يوليو ١٩٤٦ الرابطة ضمن باقى التنظيمات التقدمية واليسارية.

نشاطى داخل التنظيمات اليسارية اعتبارا من عام ١٩٤٦

كما ذكرت من قبل كنت عاطفة فى تنظيم الشرارة «اسكرا» منذ عام ١٩٤٥، وكان منها هناك العديد من التنظيمات الماركسية التى تعمل فى الحقل السياسى منها الحركة

لمصرية (ح.م)، العصبة الماركسية، تنظيم القلعة كما كانت هناك منظمة د.ش «العمال والفلاحين»، و«النجم الأحمر»، وتنظيمات أخرى صغيرة وعديدة عددها حوالى ١٤ تنظيما.

خلال نشاطى فى تنظيم اسكرا كنت أعمل بصفة أساسية بين الطلبة أولا ثم بعد أن تمت الوحدة بين كل من الشرارة وح.م فى ١٩٤٧ تم تكوين تنظيم مستقل للفتيات بقسم العمل فيه إلى ثلاث مناطق طالبات، وعاملات، وربات بيوت وخصصت للعمل بين العاملات لأن جزءا كبيرا من العناصر النسائية فى التنظيم كان ينتمى إلى أصول أجنبية ويهودية ولذلك من الصعب أن يعملن وسط العاملات العاديات.

وكنت على اتصال بعاملات يعملن فى مصانع مختلفة فى شبرا الخيمة من بينهن حكمت الغزالى التى كلفت بالالتحاق بأحد مصانع النسيج فى شبرا الخيمة ولعبت دورا بارزا سواء بين العاملات أو العمال ومحل تقدير كل العاملين فى مجال الكفاح الاقتصادى والسياسى للعمال، وقد شاركتها فى الكفاح فى مجال العاملات زينب العسكرى.

ومن أهم أحداث النصف الثانى من ١٩٤٦ حملة إسماعيل صدقى ضد الشيوعية فى يوليو من هذا العام والذى قام بها لضرب كفاح اللجنة الوطنية للعمال والطلبة والتى نادت بالقيام بإضراب عام فى ذكرى ضرب مدينة الإسكندرية، واستهدفت الحملة إغلاق كافة التنظيمات والجماعات التقدمية القائمة مثل دار الأبحاث العلمية، ودار الثقافة الجديدة، وجمعيه الفن، واللجنة الوطنية للعمال والطلبة، ورابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا، ومجلة الفجر الجديد، واعتقال القائمين على نشاطها تمهيدا لتمرير معاهدة صدقى - بيفن مع المحتل البريطانى. ولأول مرة تضاف المادة ٩٨ أ، ب، ج لصلب القانون والتى لم تكن موجودة من قبل لضرب الحركة الشيوعية الوليدة فى مصر.

وخلال عام ١٩٤٧ انحصر نشاط القوى التقدمية فى ٣ حالات مهمة.

الأولى: بعد فشل النقراشى باشا رئيس الوزاره فى الحصول على أى تنازلات من المحتل البريطانى عند عرض القضية المصرية على مجلس الأمن خلال سبتمبر

١٩٤٧ دعت الحكومة لاستقبال رئيس الوزراء استقبالا حسنا عند وصوله محطة مصر.

وخلال المظاهرة التى كانت الحكومة قد دعت إليها استغلتها العناصر التقدمية وبوجه خاص الفتيات اللاتى كن فى قمة المظاهرات التى قامت فى ذلك اليوم، فكان المتظاهرون يرفعون المناضلات فاطمة زكى وحكمت الغزالى ولطيفة الزيات وآسيا النمر ويرددون الشعارات التقدمية التى يطلقنها، ولكن سرعان ما تحرك رجال الأمن وفضوا هذه المظاهرات.

الثانية: تمت وحدة بين أكبر تنظيمين يساريين هما ح. م. واسكرا وتكونت منظمة جديدة «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدتو» وإن كانت هذه الوحدة لم تتم بعد أى صراع أيديولوجى تشترك فيه القاعدة والقيادة ولكنها كانت مجرد اتفاق بين أقطاب كل تنظيم على حدة مما نتج عنه سرعة تفكك هذه الوحدة بعد عدة أشهر ودخلت الحركة اليسارية فى مصر فى سلسلة من الانقسام، فالوحدة فالانقسام من جديد، وهكذا ضربت الحركة عند نشأتها فى مقتل، ولم يتمكن الأعضاء المخلصون من تحقيق مكاسب وطنية أو حتى اقتصادية للشعب ولطبقة العمال والفلاحين.

ثالثا: ابتليت البلاد خلال صيف ١٩٤٧ بوباء الكوليرا الذى هدد ربوع الوادى وريفه وأودى بحياة آلاف من المصريين رجالا ونساء وأطفالاً، وقد استغل التنظيم الجديد «حدتو» تفشى هذا الوباء وقام بحملة ضد الكوليرا وتكوين مراكز لمكافحة المرض ومساعدة المرضى، ولعب دورا جماهيريا التخفيف من الإصابة به أو الوقاية منه. وقد اشتركت فى المركز الذى أسكن فيه بشارع النزهة نوزع المطهرات لقتل الميكروب وترشد الجمهور كيفية الحماية منه، مما قرب الكثير من جماهير الشعب خاصة فى المناطق الموبوءة أو المزدحمة الفقيرة.

عام الانقسامات:

فى بداية ١٩٤٨ بدأت داخل تنظيم حدتو بوادر اختلافات تنظيمية وسياسية، ولم تكن قد مرت سوى شهور قليلة على إتمام الوحدة. أول انقسام ظهر داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هو التكتل الثورى الذى نظمه كل من شهدى عطية

الشافعى وأنور عبد الملك . وانتشر هذا الانقسام بوجه خاص وسط تنظيم الطلبة الذى انقسم بدوره إلى المنظمة البلشفية، ثم ظهرت صوت المعارضة والتى كانت تجاهر بأن خلافها الرئيسى هو خلاف سياسى مع خط قوات وطنية ديمقراطية الذى تدعو إليه القيادة وليس مجرد خلاف تنظيمى بسيط إذ إن صوت المعارضة كانت تنادى بالعمل ١٠٠٪ وسط العمال والفلاحين. وبعد أن كان الأمان حديديا ظهرت الاتصالات الجانبية على شكل واسع واختفى مبدأ أهمية المحافظة على الأمان وانتقلت الاجتماعات الواسعة إلى بيوت عامة واجتماعات واسعة كل طرف منهم يتهم الطرف الآخر بالخيانه والتفريط فى وحدة وآفاق الحزب.

ومع ذلك الجو السلىء بجو الشرذمة والانقسام قرر التنظيم النسائى التابع لحدتو القيام بمظاهرة نسائية يوم ٢١ فبراير ١٩٤٨ رغم أن الحكومة أذاعت من خلال الراديو والإذاعة تحذيراً بعدم السماح بالقيام بهذه المظاهرة ولكننا تجمعنا مجموعة من النساء والفتيات فى حدود ١٠٠ تقريبا بميدان الإسماعيلية «التحرير حاليا» وأخذنا نهتف ونرفع شعارات تندد بالحكومة وتخاذلها فى مواجهة المحتل البريطانى، واتخذنا طريق سليمان باشا «طلعت حرب حاليا» ولكن سرعان ما حاصرتنا قوات الأمن واعتقل العشرات من المتظاهرات كنت من بينهن ومعى لطيفة الزيات، وكان اتجاه المظاهرة نحو شارع سليمان باشا خطأ لأن هذا الحى راقٍ وليس به أى تجمعات شعبية وغالبا محال تجارية يملكها أجانب وليس لها أى اهتمامات سياسية وطنية، وتم احتجازنا فى قسم عابدين حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ثم أفرجوا عنا . وقد انتحلت فى هذا الموقف شخصية وعنوان عنايات أدهم المنيرى كما كنت أفعل من قبل وبعد الإفراج عنا توجهت مع لطيفة الزيات إلى منزلها وعدت فى اليوم التالى إلى منزلنا مما سبب مشاكل كثيرة لى داخل المنزل.

وفى خلال إحدى المظاهرات التى قامت فى الجامعة خلال عام ١٩٤٨ بدأ الطلبة يطلقون لأول مرة شعار سقوط الملكية واقتحمنا قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة المصرية وأنزلنا صورة الملك التى كانت معلقة فى صدر القاعة ودسنا على الصورة بالاقدام وهتفنا ضد الملك وطالبنا بإسقاطه بينما كان طلبة الإخوان المسلمين يجرون وراءنا لضربنا بالسنج والكرابيج دفاعا عن الملك والملكية.

كنتيجة لاشتراكي في المظاهرة النسائية يوم ٢١ فبراير وفى الهجوم على قاعة الاحتفالات وانزال صورة الملك ودوسها بالأقدام سحب الحرس الجامعى منى كارنيه دخولى الجامعة لحين تقديمى إلى محاكمة تأديب.

وانغمست أكثر فأكثر في النشاط السرى والعلنى، وقبض على وأنا اخرج من قهوة أسترا بميدان الإسماعيلية مع واحد من قادة حركة حدتو «كمال شعبان» فحولونى إلى نقطة كوتسيكا ومنها نقلونى إلى منزلى بشارع سعيد للتفتيش وجاء البوليس السياسى إلى المنزل وكان مليئاً بالأوراق التنظيميـة، ولكنى طلبت من وكيل النيابة دخول الحمام فرفض ثم ألححت فأرسلوا عسكرياً يفتش التواليت أولا ثم سمحوا لى بالدخول وسرعان ما فتحت الشباك وتسلقت السور لأصل إلى الحمام حيث كانت شقيقتى تستحم وطلبت منها إخفاء الأوراق التنظيمة حتى لايجدها البوليس. كنت أحمل عند اعتقالى مسودة تقرير عن خط قوات وطنية وديمقراطية، وفى تقديرى أن هذا التقرير هو أحسن ما كتب حول هذا الخط السياسى وللأسف عجزت تماما فى إظهار هذا التقرير الذى يدين ويكشف هذا الحزب اليمينى الذى ابتليت به الحركة اليسارية المصرية..

عند إعلان الأحكام العرفية، ١٥ مايو ١٩٤٨ صدر أمر عسكرى باعتقالى ولما كنت خارج المنزل، وقف أطفال الجيران فى نواحى المنزل ليحذرونى من الرجوع حيث ينتظر البوليس للقبض على وهربت إلى منزل فاطمه زكى.

واقترب موعد امتحان الليسانس ففكرت والدتى فى الاتصال بالنقراشى باشا رئيس الوزراء حينئذ، وطلبت من زوج شقيقتى توفيق أحمد البكرى بأن يطلب منه الإفراج عنى باسمها واسم المرحوم والدى محمد سعيد أدهم الذى كثيرا ما قدم خدمات جليلة للنقراشى عندما كان مدرس رياضة بالعباسية الثانوية بمحرم بك حيث كان يعمل مدرس رياضة، وفعلا استجاب النقراشى وصدر أمر بالإفراج عنى حتى أتمكن من دخول امتحان الليسانس.

فقط حاولوا أن يمنعونى من دخول الامتحان، ولم ينجحوا، ونجحونى بتقدير مقبول رغم أنى كنت متفوقة فى الدراسة، حتى لا أستطيع أن أكمل دراستى فى الجامعة بعد ذلك.

بعد الكلية تم تعييني مدرسة لغة إنجليزية في مدرسة القبة الفداوية بالعباسية وانتظمت في صوت المعارضة، وحدث اختلاف بين صوت المعارضة وخط القوات الوطنية الديمقراطية، فقد كان صوت المعارضة ينادي بحركة عمال مئة في المئة، أي يكون كل النشاط في الطبقة العاملة فقط وليس قوات وطنية ديمقراطية. ثم عقد المؤتمر الأول صوت المعارضة التي أصبحت م. ش. م الجزء الأكبر من كل تنظيم حدتو، وعندما تكونت المنظمة المصرية الشيوعية كانت أكبر تنظيم موجود في حدتو كلها، لكن لأن الخط كان يسارياً جداً، بدأت تتصفى الحركة بسرعة شديدة جداً، وكانت هناك صعوبة في الدخول وسط المصانع، حيث كانت الأحكام العرفية، كانت شبرا الخيمة ملغمة لا نستطيع أن نصلها إلا عن طريق الكوبري. غير أن حملات الاعتقال بدأت تزداد.

وبعد فترة أمرني التنظيم أن أترك عملي وأختفي، ونفذت فعلاً هذه التعليمات. اشتغلت محترفة، بعد ذلك كنت أعمل في منطقة القاهرة، وكان علي أن أتصل مرة في الأسبوع بقيادة التنظيم وآخذ منه التعليمات والتوجيهات. وفي نفس الوقت كنت أعمل في لجنة الصراع الأيديولوجي من أجل الوحدة بين التنظيمات الشيوعية من أول جديد.

وبقيت في هذا التنظيم، المنظمة المصرية الشيوعية، لكن كما ذكرت الإرهاب الذي كان سائداً والقبض على الناس جعله يتفكك، وبقيت إلى أواخر سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٩ تقريباً، وقد تم القبض علي في الشارع أنا وزميلة أخرى أثناء تسليم بعض المطبوعات، واتهمت بقلب نظام الحكم وأرسلت إلى سجن مصر، وحكم علي حكمين، حكم بسنة، وحكم بثلاثة أشهر (إهانة المحكمة)، في هذا التوقيت كان يوجد حسين طنطاوي، ونحن كنا لا نعترف بهذه المحاكمات ونقاطع المحكمة فقد اتهمتهم أن هذه المحاكمة مثل محاكمة ساليزار، لذلك أخذت الثلاثة شهور سب محكمة. واستمريت في السجن لنهاية ١٩٥٠، وخلال هذا المدة أضربنا مرة عن الطعام للمطالبة بتحسين الأوضاع، فقد كان عكس سجن الأجانب تماما، وكانت معي في هذه القضية سعاد بطرس، وبعض عناصر أجنبية، وجنيفيف سيداروس، وفي أثناء وجودنا في السجن

تم القبض على قادة م.ش.م، ورحلوهم عندنا فى سجن مصر، منهم سيدنى سلامون، وأوديت حزان، كانت شخصية سيئة ديكتاتورة للغاية.

وبعد خروجى من السجن أمرنى التنظيم أن أترك القاهرة وأذهب إلى الإسكندرية، ولأن الحالة ا لمالية للتنظيم كانت صعبة للغاية، فكانوا يعطونى الأمر وعلى أن أبحث على شغل وأتكفل بنفسى وكنت بالطبع بعيدة عن أهلى لا أتصل بهم. وكانت معى فى هذه الفترة فاطمة زكى، وبعض العناصر العمالية فى الإسكندرية، واشتغلنا فى المصانع التى كانت موجودة فى محرم بك، وكانت تأتى لنا المجلة من القاهرة «كفاح الشعب» ونوزعها فى الإسكندرية.

و اشتغلت فى مكتب إعلانات، واستمريت فيه لمدة سنة ثم قال لى صاحب العمل إن احتياجاته أقل من كفاءاتى، لذا أرسلنى للعمل فى فندق سيسيل، وكان صاحبه رئيس قلم المخابرات البريطانية فى الإسكندرية، وكان يمتلك (١٦) فندقًا فى مصر. وعملت باسم مستعار وهو (ليلى فهمى) هذا غير اسمى التنظيمى سناء، حيث كان يحتاج لموظفه تقرأ له الخطابات والجرائد العربية، وفى نفس الوقت تعرف اللغة الإنجليزية. تم اختيارى لهذه الوظيفة؛ لأنى أعرف عربى وإنجليزى بشكل جيد، وكان يحبنى جداً، ولم يشك فى للحظة، وكان مرتبى فى البداية ٦ ج ثم ٨ ج، وآكل فى اللوكاندة، وكان لدى مكتب كبير جداً وسط محطة الرمل يطل على البحر، وفى هذا المبنى كانت تعقد اجتماعات كثيرة، مثل اجتماعات لبعض الجمعيات الخيرية التابعة للإنجليز، وكنت أحضر هذه الاجتماعات ومسئولة عن الدوسيهات التابعة لها كلها، ولكن كان يعقد اجتماع مرة كل شهر أو كل أسبوعين لا يحضره أحد سوى صاحب الفندق وسكرتير بنك باركليز، والقنصل البريطانى، وكنت أراهم . وأحياناً يطلب منى أن أحضر لأقدم لهم بعض الهدايا، ورغم ثقته فى إلا أن هذه الاجتماعات لم يكن أحد يرى أوراقها.

وتعرفت فى هذا الفندق على أحمد لطفى السيد باشا، كانت له غرفة خاصة، وكان يأتى ليشرب القهوة فى المكتب عندى، وقد تمت صداقة قوية جداً معه، وكان يريد أن يرجعنى الجامعة مرة أخرى لأكمل دراستى، لأنى بالطبع كنت أقول إنى لست معى شهادة جامعية، وأيضاً عرض على صاحب الفندق الإنجليزى أنه مستعد أن

أسافر على حسابه لأكمل تعليمى. باعتبار أنى قوية فى اللغة الإنجليزية. هذا من ١٩٥٠ - ١٩٥١.

ثم بدأ الكفاح المسلح فى القناة، وطلب منى التنظيم أن أترك الإسكندرية وأنزل القاهرة، وعندما وصلت إلى القاهرة أخبرونى بأنى سأعيش مع أوديت وسأكون مسئولة عن أمانها. أنا فكرت كويس جداً طوال الليل، فأنا لا اتفق أبداً أبداً مع أوديت، فتركت ورقة فى البيت وقلت لهم «أنا أعلم أنكم ستتهمونى بالبوليسية وبأنى تخليت عن الكفاح، وأنا مستعدة لأى جزاء ترونه، لكنى لا أستطيع أن أعيش تحت سقف واحد مع أوديت» وخرجت من البيت ورجعت إلى الإسكندرية مرة أخرى.

نسيت أن أذكر أنى ورثت من والدى حوالى ٦٠٠ ج وأعطيتها كلها للتنظيم رغم أننى فصلت منه وأرسلوا لى قرار فصلى. وحاولت أن أبحث عن عمل بشهادتى، وأعيش عيشة أخرى فى الإسكندرية، وفى هذه الفترة انقطعت علاقتى بالتنظيم تماماً، لأنه لم يكن مسموحاً لأحد أن يكلم الآخر، والذى يفصل لا أحد يكلمه، ولا تعرف من فصل، أو من لم يفصل، وبعد كل هذا التشدد الهيستيرى حل التنظيم نفسه، وهاجرت أوديت للخارج.

واشتغلت فى شركة فورد للسيارات، ولكن لم أستمر طويلاً لأنهم يضطهدون المصريين بشكل غريب جداً، وكانوا لا يريدون أن يعطونى شغلانة كويسة ثم اختلفت مع المدير المصرى واتهمته بأنه لا يمكن أن يكون مصرياً، ولا أستبعد أن أسمع عنه أى شيء ضد بلده، وفعلاً بعد ذلك ثبت أن هذا الشخص كان جاسوساً لإسرائيل وحكم عليه بالإعدام. لا أتذكر اسمه الآن، هو كان مديراً لمكتب الدكتور النقيب. ثم انتقلت إلى شركة إنجليزية، ثم انتقلت إلى كفر الدوار وعملت هناك أمينة مكتبة، ومسئولة الترجمة وقد ذهبت فى فترة مهمة قبل العدوان الثلاثى ١٩٥٦، وفى هذه الفترة كان المد الثورى فى البلد قوياً بعد مؤتمر باندونج والدنيا تفتحت أكثر.

ونزلت لوحدى بدون أى اتصالات، للعمل وسط العاملات، وكونت فصولاً للتمريض، والمساعدة فى تكوين لجان شعبية فى قلب المصنع.

وهناك كانوا مستغربين جداً كيف لفتاة أن تكون بهذه الحيوية والنشاط وتستطيع أن تعمل وتخطب، وأنا كنت أعرف كل الأسرار لأن مكتبى كان موجوداً بجوار رئيس

الشئون القانونية، حيث يحضر دائما ضابط مباحث المنطقة، وعرفت كل العملاء، وفى هذه الفترة لم يكن يطلب من البنات عمل فيش وتشبيه. ولم يشكوا فى ولم يعرفوا عنى أى شيء، وكانوا مبسوطين منى لأنى أعرف أتكلم وأتناقش.

بعد ذلك سافرت للقاهرة، أحسست أنه ليس من المعقول الاستمرار فى هذا الوضع، وحاولت الاتصال بالزملاء القدامى الذين كنت أعرفهم من م.ش.م وأشوف هيعملوا إيه، ووجدتهم بدأوا يتصلون ببعض مرة أخرى، وقررنا أن نعيد التنظيم من أول وجديد ودخلنا فى الحزب الشيوعى المصرى (الراية) فى عام ١٩٥٧، وكنت عضو لجنة منطقة كفر الدوار، ولم يكن فى المنطقة فتيات، كان من الزملاء الرجال عبد المحسن الأعسر، وفايز علام (سكرتير النقابة) و انضم لنا محمود عطا الله رئيس نقابة عمال كفر الدوار للغزل الرفيع بعد الوحدة فى ٨ يناير، لأنهم كانوا تابعين لتنظيم العمال والفلاحين، و بالطبع فى عام ١٩٥٧ تمت الوحدة بين الحزب الشيوعى المصرى(الراية) والموحد وكونوا المتحد، وكان معنا من الموحد صالح عيد (أبو خالد) ومصطفى مسلم.

وكانت هذه الفترة تتميز بأنها فترة نشاط عمالى قوى جداً، وكانت منطقة كفر الدوار لها تقاليدها الخاصة خاصة بعد إعدام خميس والبقرى وتمت عدة إضرابات عمالية فى هذه الفترة، وكانت لها مطالب اقتصادية؛ ولأن النقابة كانت قوية جداً فقد نجحت فى تحقيق مطالب كثيرة، ورفعنا قضية على الشركة لتحسين الأوضاع كعمال تابعين للكيماويات والغزل والنسيج.

ونتيجة الوحدة الواسعة فى يناير ١٩٥٨ ودخول عناصر كثيرة فيها، بدأت تقل إجراءات الأمان التى كانت صارمة وبدأ يدخل عناصر من البوليس، وأصبح العمل الجماهيرى واسعاً أكثر وأكثر وبدأوا يعرفون أن لى نشاطاً شيوعيا سابقا، ثم طلب بعد ذلك سواء فتاه أو رجل أن يقدم فيش وتشبيه قبل استلام العمل. وعرف أنى على اتصال بالقاهرة.

وبعد مدة بسيطة من الوحدة بدأ يحدث انقسام فى الحركة، وفيه جزء انفصل وجزء لا، وحصل انقسام كبير بين عناصر حدتو وخرجوا، واستمريت فى حزب ٨ يناير، وكان المسئول عنا محمد بدر، كان من العمال والفلاحين، وهو زعيم عمالى كبير.

واستطعنا أن نعمل إضرابات كثيرة عن طريق القادة العماليين معنا، وكان يساعدنا شقيق محسن الأعسر الذى كان عضو مجلس إدارة فى الشركة ومن الضباط الأحرار، ولكن لم يحدث إضراب عندنا فى المصنع الكيماوى، لأنه لو وقف المصنع ينفجر، فالمصنع الكيماوى له أوضاع معينة.

فى أواخر ١٩٥٨ تزوجت وانتقلت إلى القاهرة، وقد قابلت زوجى (حلمى ياسين) فى أحد الاجتماعات، ثم قابلته فى حفلة فى بيت أحد الزملاء وبدأنا نتعرف ببعض، وكان يأتى أحياناً فى التنظيم عندنا، وطلب منى أن نتزوج بسرعة، لأنه كان متوقعا أن الضربة البوليسية ستبدأ فى سبتمبر، وأنه من الممكن أن يقبض عليه. وفعلاً تزوجنا ولم نعش مع بعضنا أكثر من شهرين، ثم اعتقل هو فى أول يناير ١٩٥٩، وانتقل إلى معتقل القلعة، وفى الحملة الثانية فى مارس ١٩٥٩ تم اعتقالى، وقد كنت فى هذه الفترة بين كفر الدوار والقاهرة، واعتقلت بطريق الصدفة، فقد كنت عند بيت حماتى، وكانوا حاضرين للتفتيش عن شقيق زوجى، كان هرباناً، وبالطبع كان مطلوباً القبض علىّ، ولفوا حولى سواء فى بيتنا القديم أو فى كفر الدوار، ولم يجدونى، وعندما رآنى الضابط، وكنت مصابة بالتهاب رئوى ومتعبة جداً، قال سوف ننقلها إلى المستشفى، وفعلاً اتفق معى أنه سيحضر بعد الإفطار، كنا فى رمضان، لنقلى للمستشفى. فى هذه الأثناء عندما ذهبوا إلى كفر الدوار للبحث عنى، قالوا لهم إنى فى إجازة. ومن ثم ألغوا أمر نقلى للمستشفى، وحولونى إلى السجن، ولحسن حظى فإن د.فريد حداد الشهيد كان على علم أنه ممكن يحدث اعتقال أو هروب، فأعطانى كمية كبيرة من الدواء حتى أستطيع أن أتحمل، وعندما جاءوا وجرونى إلى المباحث، كنت طوال الوقت أتقيأ دماً من فمى، وكان كل المعتقلين الجدد قلقين جداً علىّ، وكنت فى حالة خطرة جداً، ووصلت الساعة الثالثة صباحاً إلى سجن القناطر ووجدت أنه سبقنى عدد آخر من الزميلات، كنا حوالى ٢١ زميلة، وعندما وصلت كشفت على الدكتورة، وقدمت لى الكثير من المساعدة، وسمحت لى أن أتناول كل العلاج الذى كان معى، وهذا هو الذى أنقذنى فى السجن.

فى هذه الفترة احتدم الصراع بين جمال عبد الناصر والحركة الثورية فى العراق، وبدأت تزداد الضغوط على مصر، وأذكر أن هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها

عدد من النساء والفتيات السجن بهذا العدد الكبير، وكانوا يعتقلون الزوج وأحياناً الزوجة ويترك الأطفال صغاراً فى سن المراهقة أو أقل من المراهقة بمفردهم فى المنزل.

بالنسبة للحياة فى السجن لم يسمح لنا بأن نتناول أكلاً خارجياً، فالأكل كان عن طريق المتعهد، وكان سيئاً جداً، والمتعهد حرامى، ومتفق مع إدارة السجن أن يسرق.

واتبعت الحكومة مع السيدات بالذات طريقة التعذيب المعنوى، فطوال فترة الاعتقال التى زادت على أربع سنوات ونصف، لم يسمح للمعتقلة بزيارة أهلها، فتخيلوا لو سيدة تركت أولادها وزوجها ليس معهم، وفى سن خطرة، وليس لديها أخبار عنهم، ماذا تكون حالتها؟

وكان معى فاطمة زكى، وثريا إبراهيم، وثريا حبشى، وانتصار خطاب، وسعاد بطرس الطويل، وجنيفيف سيداروس، ونيلى الشال، وليلى عبد الحكيم، وليلى شعيب، (إحدى عاملات شبرا الخيمة)، وإجلال السحيمى، وإيفون حبشى، ولميعة أبوالنصر، وهناك أخريات انضممن لنا مثل أسماء البقلى، ومحسنة توفيق، وكانت أسماء حاملاً فى ابنها ياسر فى ذلك الوقت، ولم تكن صغيرة فى السن وكانت فى حالة متعبة للغاية. ثم بعد فترة انضمت لنا إنجي أفلاطون بعد أن قدمت للمحاكمة، واتهامها أنها كانت متهربة، وقبض عليها فى أثناء هروبها، وكانت متخفية فى لبس فلاحة مصرية، كما انضمت لنا صهباء البربرى خطيبة الشاعر الفلسطينى الثورى معين بسيسو، وهى مناضلة فلسطينية من غزة، وقد اعتقلت فى غزة، لكنها حجزت فى السجن الحربى، وكانت الوحيدة بالطبع فى السجن الحربى ثم بعد فترة نقلوها إلى سجن القناطر.

أما لطيفة الزيات فقد تزوجت من رشاد رشدى وابتعدت عن العمل السياسى من ١٩٥١.

فى إحدى الليالى سمعنا حديثاً لعبد الناصر عن طريق راديو السجن يقول فيه «لا يوجد فى مصر معتقلين ولا معتقلات». فقررنا فى اليوم التالى أن نعتصم، وقلنا طالما رئيس الجمهورية يقول لا توجد معتقلات، لماذا نحن هنا؟

وقابلوا هذه الحركة من ناحيتنا بحملة شعواء علينا، أدخلوا فيها عساكر من سجن الرجال، ومسجونات فى قضايا المخدرات، والقتل، المحكوم عليهن بالأشغال الشاقة

المؤيدة، كما اشتركت فيها كل السجانات، وفي هذا اليوم اشتركنا جميعاً في هذه الحركة سواء من كن في الحزب أو المنقسمات، وضربونا ضرباً عنيفاً جداً، وسحلونا من شعورنا من بوابة السجن إلى عنبرنا. وبعد مدة أرسلوني أنا وفاطمة زكى إلى التأديب في حجرة منفردة، وهي زنزانة صغيرة جداً، ومرشوشة بالماء كلها. ورغم أن طبيبة السجن، قالت إنني لا أتحمل ظروف التأديب لكن إدارة السجن صممت على هذا وفقاً لأوامر المباحث. واستمرت مدة التأديب عشرة أيام.

بعد ذلك بدأنا نتأقلم على حياة السجن، ونحاول تنظيم بعض الأشياء، ومن أهم الحاجات التي كانت تتميز فيها الحياة في هذا المعتقل، أن علاقتنا كانت علاقة جيدة جداً، وعملنا معاً حياة عامة مشتركة، والأغلبية كانت في الحزب، وفي الغالب كانت المنقسمات لا تزيد عن اثنتين، لكنهما عادة كن يشتركن معنا، وكانت مواقفنا نأخذها مع بعض.

ظروف السجن كما قلت كانت سيئة للغاية، والاتصال بالخارج في البداية كان صعباً جداً، ولم يتم ذلك إلا بعد فترة طويلة جداً. كنا ممنوعين من الجرائد، أو القراءة بشكل عام، ممنوعين من الشغل اليدوي، ومع ذلك نجحنا طوال الفترة في المحافظة على الروح المعنوية لنا، ولم تمض أي معتقلة على أي توقيع باستنكار الشيوعية، أو استنكار العمل السياسي. وعلى الرغم من أنه كان يأتي لنا رسائل من أبناء المعتقلات يطلبون من أمهاتهم، كما تطلب منهن المباحث أن يوقعن على ورقة ويخرجن، لأنهم يحتاجون إليهن جداً، وحياتهم صعبة للغاية بدونهن.

وكانت صهباء البربري الفلسطينية، مناضلة قوية جداً، وكانت تمثل لنا التضامن بين نضال مصر ونضال فلسطين ضد المعتدى الصهيوني، وهي كانت خطيبة الشاعر الفلسطيني معين بسيسو، وكان يرسل لها قصائد على شكل خطابات، وعندما يرسل لها الخطاب تقرأه على الجميع بطريقتها المميزة في الإلقاء سواء كان شعراً ثورياً يحيي فيه المناضلات المعتقلات، أو شعراً فيه لمسات الحب. وبالتالي كان يوم وصول هذا الخطاب يوم حفلة عندنا.

وكنا نقوم في الفترة الصباحية بتقسيم المعتقلات إلى فريقين، يقمن بلعب كرة السلة، يقوم بالإشراف عليهن فاطمة زكى، باعتبارها رياضية قديمة، وليلى الشال، كل هذا لقضاء الوقت.

وبعد مدة تمكنا من مصادقة عدد من المسجونات الرئيسيات في السجن، المسجونات ذات النفوذ، وقدمن لنا الكثير من المساعدات. كما تمكنا من إقامة علاقات مع السجانات، وكنا نتفق معهن على السماح لنا بقراءة بعض الكتب من مكتبة السجن، ولكن أن نحصل على الكتب في الفترة المسائية وليس في الفترة الصباحية.

كنا نعيش حياة عامة مشتركة بين الجميع، ولكن كنا نسمح بجزء خاص من فلوس الأمانات التي تأتي للفرد تتصرف فيها كما تريد، مثلاً للاستخدام في الاتصال الخارجي عن طريق السجانات، أو لشراء سجائر، وحتى اللاتي لم يكن يصل لهن فلوس من الخارج، كنا نعمل لهن جزءاً خاصاً لاحتياجاتهن الشخصية. وكان عدد المدخنات في السجن ليس كبيرا، ولكن كانت السجاير في السجن تستخدم بدلاً من العملة.

كان عنبرنا بعيداً عن المسجونات في قضايا أخرى، ولكنه كان أمام حجرة الموسيقى، وكانت تقود فرقة الموسيقى مسجونة شيوعية سابقة هي ماجدة عبد الحليم، وقامت بتدريب فرقة من المسجونات على بعض الآلات الموسيقية، وكانت تعزف لنا على الكمان بعض القطع الموسيقية الكلاسيكية، ومحكوم عليها بعشر سنوات على ما أعتقد، ولكنها بعد فترة تعبت جداً ومرضت مرضاً طويلاً خاصة بعد أن انقطع زوجها كمال عبد الحليم عن محاولة الاتصال بها.

وعندما يأتي أي زوار أجانب لرؤية السجن يكون كل هم إدارة السجن هو إخفاء المعتقلات. فمثلاً في زيارة سيزا نبراوي للسجن، وكان معها مجموعة من حقوق الإنسان، عملنا ضجة وأغلقوا علينا الشبابيك واستمرينا نهتف، ولكن لا فائدة. وأحياناً كانت تأتي بعض الفنانات للقيام بأدوار تمثيل، والجميع كن يقدمن لنا مساعدات كثيرة، بوجه خاص مريم فخر الدين، حيث كانت تأخذ أرقام تليفوناتنا وتتصل بأهالينا، وكانت تأتي لنا بحلويات وخلافه.

وفي هذه الفترة أصبت بحمى شديدة، وكان ذلك قبل عيد الأضحى مباشرة، وطلبت الطبيبة نقلي إلى مستشفى الحميات للعلاج، لأن السجن في إجازة خلال فترة العيد.

ورفضت المباحث نقلى بشدة، وأثر ذلك على صحتى لأن حرارة جسمى وصلت إلى ٤١ درجة مئوية بدون أى علاج، وأصبت بعدها بانهيار عصبى، وحاولوا أن يعالجونى عن طريق المباحث، وكتبوا لى بعض الأدوية، ولكن حذرتنى الطبيبة من تعاطى هذه الأدوية، لأنها ممكن أن تقضى على نهائياً، وأنا كنت أثق فى الطبيبة ولم آخذ العلاج. وكل ذلك ترك آثاراً على حتى اليوم واكتشفت بعد خروجى من المعتقل إصابتى بحمى شوكية فى المخيخ الشمال مما أصابنى بعقم دائم وخلل فى الدورة الدموية بالمخ، خرجت من السجن فى ٢٤ يوليو ١٩٦٣ بعد أربع سنوات وأربعة شهور، وباقى المعتقلين والمسجونين فى إبريل ومايو من ١٩٦٤ لكن كان الحزب مهلهلاً للغاية ولم يكن له تأثير..

بدأت الحركة تصفى وتصفى، حتى انتهت تقريباً، ثم بعد ذلك صدر قرار الحل فى أبريل ١٩٦٥ .

وهو الأمر الذى لا أتناوله فى شهادتى ومدى صحته أو خطورته واترك هذا لرواد الجيل الصاعد لبحث هذا الموضوع الشائك وأن يقدروا مدى شجاعة وبطولة وتضحيات جيل اربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن العشرين.



شهادة
حسونة حسين

إرهاصات التكوين*

الحزب الاشتراكى ٢١/ ١٩٢٢

بدأت مجموعة من الشباب المصرى فى تكوين أول حزب اشتراكى فى بلادنا. وكان مقره القاهرة وفرعه بالإسكندرية، وكان على رأس هذه المجموعة سلامة موسى - الكاتب المعروف - وعنان، وحسنى العرابى، بالإضافة إلى يوسف روزنتال، وشارلوت روزنتال، وصفوان أبو الفتح، وأنطون مارون وغيرهم[1] شعبان حافظ.

الحزب الشيوعى المصرى ٢٢/ ١٩٢٤

لم تستمر هذه المرحلة طويلا ليستكمل الحزب الاشتراكى بنيانه ونشاطه كحزب اشتراكى. فقد أعلن فى نفس العام عن اجتماع مؤتمر الكومنترن (اتحاد الأحزاب الشيوعية تحت شعار ياعمال العالم اتحدوا) بمدينة موسكو.

وكان قد تم اختيار حسنى العرابى كممثل للحزب الاشتراكى المصرى ومندوباً عنه إلى هذا المؤتمر الذى أعلن من شروطه لانضمام الأحزاب الاشتراكية للدولية الثالثة (الكومنترن) تغيير مسمياتها إلى الحزب الشيوعى بدلا من الحزب الاشتراكى وقبول الـ ٢١ بنداً.

وعاد حسنى العرابى إلى مصر بعد المؤتمر٢٢ وقدم تقريره المتضمن قبوله لـ ٢١ بنداً والتى على رأسها تغيير اسم الحزب، وقد رفض أغلب قادة الحزب الاشتراكى

* هذه الشهادة أملاها د. حسونة على ابنه أوائل عام ١٩٦٤ قبل وفاته بسبعة أشهر.

وعلى رأسهم سلامة موسى تغيير مسمى الحزب إلى الحزب الشيوعى. إلا أن حسنى العرابى مؤيداً بموافقة زملائه على تقريره أقروا تغيير اسم الحزب إلى اسمه الجديد: الحزب الشيوعى المصرى، وموافقتهم على قبول باقى البنود وهم حسنى العرابى، صفوان أبو الفتح، أنطون مارون، عبدالحميد فرة، شحات إبراهيم، يانا كاكيس، شارلوت روزنتال ويوسف روزنتال[٢].

وعقب ذلك نقل مركز الحزب إلى الإسكندرية (مقر بشارع نوبار بالمنشية، ومقر بشارع عرفان بمحرم بك) وصار اسم الحزب «الحزب الشيوعى المصرى» وتكونت قيادة الحزب من السابق عرض أسمائهم كما اختير حسنى العرابى سكرتيراً للحزب، وكان الحزب الوحيد الذى له لائحة وبرنامج، فالوفد ظل لا يعتبر نفسه حزباً ومصراً على أنه وفد يمثل الأمة كلها..

قضية ١٩٢٤

فى هذه السنة أعلن الحزب عن موعد عقد مؤتمره واختيار مندوبه لحضور اجتماع الكومنترن. وأجر الحزب قاعة مسرح الكونكورديا بالإسكندرية (بشارع سعيد قرب المنشية) وحدد موعد الاجتماع وأعلنه. أمن الإسكندرية لم يعترض على عقد المؤتمر ولكنه تحفظ على مكان المؤتمر وطلب تغيير المكان.

وأصر الحزب على عقد الاجتماع فى المكان والموعد المعلن سلفاً، غير متوقع غدر السلطة، وتربصها بالحزب، وتم عقد المؤتمر فى المكان الذى اختاره الحزب إلا أن الأمن فض الاجتماع بالقوة واستكمل خطته المدبرة، فهاجم مقرات الحزب وصادر مطبوعاته، وسجلاته، ومراسلاته بالداخل والخارج، وتم القبض على قيادته وعلى الأعضاء بالجملة سواء الحزبيين أو نشطاء العمل النقابى، وكان العمل النقابى والعمل الحزبى متشابكين، ومقر الحزب هو مقر اتحاد العمال. وقدم الأمن قادة الحزب للمحاكمة واعتبر مراسلات الحزب مع الكومنترن اتصالا بجهات أجنبية (على أن الحزب كان علنيا واتصالاته الخارجية طبيعية) وأفرج عن باقى الأعضاء بعد تهديدهم وإرهابهم ومطاردتهم المستمرة.

بتقديم قادة الحزب للمحاكمة كانت الحكومة الوفدية قد بدأت الصدام مع الحزب الذى أثار خوفها ورعبها من قوة تحركات الحزب واتحاد العمال سنة ٢١ وقيادتهما

لسلسة إضرابات قوية مطالبة بمكاسب اقتصادية واجتماعية مشروعة للعمال الذين لم تكن لهم أى حقوق تجاه أصحاب الأعمال وكانت الإضرابات التى قامت بها النقابات الثورية المنضمة إلى الاتحاد العام للعمال والذى انضوى تحت لواء الحزب الشيوعي. رغم إعلان هذا الأخير عن إيمانه بالكفاح المشروع من أجل هذه المطالب مثل الإضرابات والاعتصام. قد أرعبت البرجوازية ولذلك قام الوفد بمجرد وصوله إلى الحكم عام ١٩٢٤ بحل الاتحاد العام لنقابات العمال وضرب الحزب الشيوعي وسجن قادته بل واغتيال بعضهم، وبذلك وجه الضربة الأولى للروح الثورية فى مصر. وقدم للمحكمة كل من حسنى العرابي، سكرتير الحزب، أنطون مارون (المستشار القانوني للنقابات واتحاد العمال) صفوان أبو الفتح سكرتير اتحاد العمال وعضو الحزب ومن قادته، والشحات إبراهيم، وشعبان حافظ، عبد الحميد قرة، وناكاكيس، عبدالحميد البسوسي، كرزون (روسي من شركة كسب النزهة) وواحد آخر لا أتذكر اسمه نفى خارج البلاد، لم تصدر إجراءات تجاه الحزب، قانونيا ظل وضعه غير محسوم حتى واصل سعد زغلول وحكومته سياسة تصفية لحزب وممارسة أبشع أنواع العنف والاضطهاد باتباع أسلوب التجريع والتشريد بفصل العمال وكل النشطاء وكل من له صلة أو تعاطف مع الحزب وبداية المطاردة وطلب الاستنكارات والتعهدات بعدم اعتناق البلشفية أو العمل أو تحبيذها، لقد فزعت البرجوازية والسلطة القائمة فى ظل الملكية والاستعمار والإقطاع من برنامج الحزب الذى نادى بالاستقلال الوطني وتأميم قناة السويس ومصادرة الملكيات الزراعية وتحسين ظروف العمل وتحديد ساعات العمل والحق فى الإجازات المرضية والسنوية وكافة التأمينات الاجتماعية والاقتصادية للعمال، فهبت كل هذه الطبقات المستغلة فى حلف غير حكومي لسحق الحزب الوليد مستخدمة القمع والاضطهاد والحملات الإعلامية القذرة لتشويه دور الحزب ووصف البلشفية بالإباحية والكفر عملا على عزل الجماهير عن الحزب.

الحزب بعد قضية ١٩٢٤

بعد صدور الأحكام على حسنى العرابى سكرتير الحزب وأنطون مارون وصفوان أبو الفتح بالسجن ٣ سنوات لكل منهم وأغلب الباقين ٦ أشهر ومع اشتداد القبضة

البوليسية والهجمة الشرسة على الطبقة العاملة واتحادها العام وضربها، مما أثر على النشاط المشتعل سياسيا ونقابيا وخبت جذوة الحزب. وكان قد سبق للحزب فى الفترة من عام ١٩٢٢، ١٩٢٣ أن أرسل بعض أعضائه وكوادره إلى موسكو للالتحاق بجامعة الأمم الشرقية البلشفية المعروفة باسم جامعة شعوب الشرق لإعداد كوادر حزبية مثقفة نظريا ونضاليا.

عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨

بناء على المعلومات الواردة للكومنترن بما حدث للحزب بمصر بعد البطش به ومحاكمة قادته وسجنهم مما أثر على بنيانه ونشاطه لاستمرار الملاحقة والمطاردة لأعضائه ولأعضاء الاتحاد العام والنقابات، لذلك سنة ١٩٢٧ كلف الكومنترن محمد عبدالعزيز الدسوقى (كان قد سبقنا إلى جامعة شعوب الشرق) بالعودة إلى مصر لقيادة الحزب وإعادة نشاطه..

واستمرارا لاتجاه المزيد من دعم الحزب بمصر، كلفت (د. حسونة) بقطع دراستى بمعهد لينينسكى سكولا، وكانت الدراسة به عامين (بعد نهاية جامعة شعوب الشرق) وهو معهد متخصص رفيع المستوى يؤهل لدراسات متخصصة، وكنت المصرى الوحيد الذى التحق به حيث كنت أود أن أصبح معلمًا بجامعة شعوب الشرق وقد ساعدنى على الالتحاق به رفيقى محمد عمر[٣] إلا أن الكومنترن كلفنى بقطع الدراسة عام ١٩٢٨ والعودة إلى مصر للعمل مع محمد عبدالعزيز، وصدر مع هذا التكليف توجيه بتناسى الخلافات السابقة التى كانت بينى وبين محمد عبدالعزيز بجامعة شعوب الشرق وعدت إلى مصر عام ١٩٢٨ لقيادة الحزب الشيوعى المصرى مع محمد عبدالعزيز والعمل على إعادة جذوة النضال الشيوعى وإعادة بنيان الحزب.

بمجرد عودتى إلى مصر توجهت (حسب العنوان المعطى لى بموسكو بمعرفة مندوب الكومنترن هناك إلى منزل محمد عبدالعزيز بالقاهرة، وقابلنى بترحاب شديد عجبت له لما كان بيننا من فتور هناك بالمدرسة، وبعد ثلاثة أيام من الإقامة بالقاهرة طلب منى العودة إلى الإسكندرية لممارسة النشاط بها، فطلبت منه أن أعمل بأى منطقة أخرى خلاف الإسكندرية لمعرفة البوليس بها بشخصى (فهى مدينتى وكل

نشاطى السابق على السفر) لكنه أصر على أن أعمل بها مقدما مبررات وحججاً على كثرتها ومع عدم اقتناعى بها إلا أننى فى النهاية إزاء إصراره وعبث الحوار وافقت على وجهة نظره مجبراً (متذكرا التوجيه؛ تناسوا الخلافات السابقة).

وطلب منى أن أتوجه إلى دمنهور وأنتظر بها حتى يصلنى خطاب منه به التوجهات خلال أيام قليلة وقضيت بدمنهور حوالى أسبوع ولم يصل الخطاب المنتظر، فتركتها وتوجهت إلى الإسكندرية لأستقر بها وأبدأ العمل وممارسة النشاط والاتصال بمن أعرفه من باقى الرفاق.

مندوب الكومنترن (شامى):

عقب عودتى إلى الإسكندرية، اتصل بى فجأة أحد مندوبى الكومنترن، بمقر عملى (شارع عبدالمنعم بالفراهدة شارع المحافظة القديمة) وكان متخفياً حين حضوره، وتكشفت شخصيته الحقيقية، وعلمت منه أنه اتصل أولاً بمحمد عبدالعزيز سكرتير الحزب (وقد اتضح بعد ذلك أن التكليف الصادر إلى محمد عبدالعزيز من الكومنترن عند عودته، هو عقد مؤتمر وإجراء انتخاب قيادة جديدة للحزب وسكرتيرا عاما لها. إلا أنه لم ينفذ ذلك ونصب نفسه سكرتيرا للحزب بناء على ادعاء بأن ذلك هو قرار الكومنترن). وحاول محمد عبدالعزيز منع هذا المندوب من الاتصال بأى شخص من الحزب غيره. وكان يصد كل محاولة للمندوب للاتصال بمن يعرفهم شخصياً (مثلى) أو عمر (محمد عمر مقبل) وذلك بشتى الحجج. إلا أن المندوب أصر على لقائنا وتمكن من الوصول إلى وطلب منى مقابلة (عمر). وكان الاسم الحركى لهذا المندوب (شامى) وكان مدرساً بمدرسة (شعوب الشرق) وكنا نعرفه أنا وعمر معرفة شخصية خلال الدراسة بها.

لم أكن قد عرفت مكان عمر بعد فى الإسكندرية، لكننى تمكنت من التوصل إليه. واجتمع المندوب بنا، وأبلغنا خلال هذا اللقاء، بضرورة عقد مؤتمر لانتخاب لجنة مركزية وتوزيع المسئوليات وكلفنى بكتابة تقرير عن العمال والنقابات فى مصر، على أن يكون هذا الاجتماع دون حضور ووجود محمد عبدالعزيز، حيث إن المندوب استراب فيه، ويود مناقشة تصرفاته داخل هذا الاجتماع.

وقبل بدء المؤتمر الذى حدده المندوب. وحدد موعده. وحدد مكاناً معيناً عن طريق مندوب اتصال، ليتم الانتقال إلى مكان انعقاد المؤتمر (السرى) طبقًا لقواعد الأمان، ثم يحضر مندوب الاتصال حسب الاتفاق، فى المكان والموعد المحددين بمعرفة المندوب لإتمام المؤتمر حسب الترتيبات السرية التى تولاها المندوب.

وطالعتنا الصحف اليومية المصرية، فى اليوم التالى، بنشر صورة المندوب والقبض عليه ونفيه.

بعد نفى المندوب، اتصل بى (الشحات إبراهيم) من الزقازيق، وهو أحد قيادات الحزب الشيوعى المصرى فى تلك الفترة، كما أنه أحد قيادات الحزب قبل قضية ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ . وحكم عليه بالسجن وأخطرنى أن محمد عبدالعزيز هو الذى وشى بالمندوب (شامى) للبوليس وتسبب فى نفيه. وتناقشنا حول اتهامه هذا، فاستطرد الشحات مؤكدا أن محمد عبدالعزيز أرسل تابعاً له يرصد تحركات المندوب فى مصر ويراقبه، وقد وشى به للبوليس بعد أن علم باتصالاته بالعديد من الرفاق، وموضوع المؤتمر.

واتصل بى من ناحية أخرى محمد عبدالعزيز ليبلغنى أن الشحات هو المسئول عن القبض على المندوب والوشاية به للبوليس.

وكان نتيجة هذين الاتصالين بى وإلقاء كل منهما التهمة على الآخر أن امتدت شكوكى إلى الاثنين، الشحات وعبدالعزيز، وطلبت منهما، على إثر ذلك، أن نسافر نحن الثلاثة: [الشحات ـ عبدالعزيز ـ حسونة]، وكان الثلاثة حينذاك يشكلون العناصر البارزة فى الحزب، إلى الكومنترن للتحقيق فى واقعة القبض على شامى وملابساتها.

مندوب آخر للكومنترن

وحدث خلال الأيام التالية للإعداد للسفر وإجراءاته السرية والتجهيز له، أن حضر مندوب آخر من الكومنترن من الحزب الألمانى ومعه سكرتيرة له (وربما كان ذلك لاستكمال الشكل الظاهرى لزيارة مصر، كأى أجنبى، فى ذلك الوقت، إحكاما لدواعى الأمان) .

حضر هذا المندوب بناء على التقارير التي أرسلت إلى الكومنترن من محمد عبدالعزيز (سكرتير الحزب) عن طريق سكرتير الحزب الفلسطيني (أبا زيان) الذي كان صديقاً لمحمد عبدالعزيز ويماثله في الخيانة. كان هذ التقرير مبالغاً فيه جداً جداً عن قوات الحزب وقوته ونشاطه وعدد المتضمين إليه، وسيطرته على الطبقة العاملة المصرية وارتباطها به (تقرير عن قوة جماهيرية وهمية مزعومة).

وأمام هذا العرض الذي يؤكده سكرتير الحزب، طلب المندوب أن يصدر الحزب قراراً لتحقيق مطلب اقتصادي بسيط، القيام بمظاهرة عمالية تطالب بتحديد ساعات العمل. وكان هذا الإجراء بسيطا ما دام الحزب بهذه القوة والنفوذ، كما أن مطلب تحديد ساعات العمل مطلب اقتصادي بسيط مقارنة بهول ما احتواه التقرير عن أوضاع حزبية مبالغ فيها، خاصة وأن ساعات العمل حينذاك كانت بلا حدود، كما أن هذا المطلب جماهيري يسهل تحريك الطبقة العاملة حوله والمطالبة به في تظاهرة سلمية.

وأود أن أوضح أن طلب المندوب إصدار هذا القرار، كما أرى من وجهة نظري، إنما كان للتأكد من حقيقة التقرير المشار إليه ومعرفة قوة الحزب الحقيقية والواقعية.

ولحق المندوب الألماني بسابقه المندوب شامي، وتصدرت صورته وسكرتيرته الصحف المصرية، وخبر القبض عليهما وإبعادهما عن البلاد مع قصة وهمية مختلقة عن علاقة داعرة له معها تتنافى وديانة وقيم البلاد.

يبادر محمد عبدالعزيز في نفس اللحظة بإرسال تقرير للكومنترن، يتهم فيه المندوب الألماني بمحاولته كشف أمان الحزب وقواته، وقيامه بأعمال لا أخلاقية مع سكرتيرته، تتنافى وتقاليد البلاد.

السفر:

إثر هذه الضربات المتلاحقة للمندوبين، زادت رغبتي في الإسراع بالسفر لبحث الأمر هناك، والتحقيق فيه بمعرفة الكومنترن، والمندوبين اللذين تم القبض عليهما وطردهما من مصر.

اعتذر الشحات عن السفر متعللاً بأسباب عائلية، وأمام إصرارى سافر عبدالعزيز فجأة بمفرده قبلى دون ترتيب ذلك معى. ولاحقته مباشرة عقب سفره المفاجىء خشية أن يكون قد عقد النية على تدبير ما فى الخفاء.

وصلت اليونان، حلقة الاتصال لأوديسا، فوجدت ما كنت أخشاه، إذ قابلتنى عراقيل شديدة باليونان من الحزب الشيوعى اليونانى، لإتمام الرحلة إلى أوديسا. وعاملنى سكرتير الحزب اليونانى بجفاء أقرب للاضطهاد، إلا أننى صممت على السفر، وهددت بالانتحار محملا إياهم مسئولية ذلك. وخلال ترددى على مسئول الحزب اليونانى لإنهاء إجراءات السفر إلى أوديسا، تقابلت مصادفة - وفى وجود سكرتير الحزب اليونانى - بمحمد عبدالعزيز. وفوجىء السكرتير بالترحاب الشديد وحرارة اللقاء التى قابلنى بها عبدالعزيز، فوجم وبهت، وغير مشاعره وموقفه تجاهى واتضح كل شىء؛ اتضح سر جفاء وفتور الرفاق اليونانيين ومحاولتهم عرقلة سفرى لأوديسا. لقد قصد عبدالعزيز بسفره المفاجىء منفرداً إلى اليونان منع سفرى لموسكو للكومنترن وذلك بادعاء أن هناك من يشتبه فيه ويسعى للسفر إليها، وكانت خطته أن أصل إلى اليونان ثم تتعذر مواصلتى السفر، إذ أوضح للرفاق اليونانيين أن هذا القادم غير مرغوب فيه، وعليهم إرجاعه وقطع الطريق أمامه وعدم مساعدته فى إتمام السفر، إذ كانوا هم حلقة الوصل لإتمام هذه الرحلة سراً. إلا أن سفرى خلفه مباشرة أفسد خطته خاصة وأن مقابلتى له فى اليونان أمام الرفاق غيرت موقفهم حيث لا يمكنه الاستمرار فى لعبته أثناء وجودى.

أوديسا - موسكو

وصلت أوديسا، واتصلت فيها بمندوب الكومنترن (كينا جررسكى) وقابلتنى هنالك نفس العراقيل كى أصل إلى موسكو. حيث أخذ هذا المندوب يتعلل بأن إجراءات الاتصال بالكومنترن شديدة الصعوبة والسرية فى هذا الوقت، ونصحنى بالعودة إلى مصر، رافضا معاونتى حتى بعد نفاد النقود القليلة التى معى، رافضاً مساعدتى على المعيشة، على الطعام، وظل الأمر هكذا وأنا أحاول إقناع هذا المندوب المتعنت بلا مبرر واضح، وهو يزداد صلفا ورفضاً ليرغمنى على الرجوع إلى مصر.

وحدث خلال ترددى على مقر الكومنترن، وأنا أتلهف وأبحث عن المعارف القدامى أو زملاء الدراسة، أن التقيت بشامى (مندوب الكومنترن السابق) وعلمت منه أنه بعد عودته من مصر منفياء أصابته أضرار حزبية شديدة وتجمدت مسئولياته، وأنه ليس فى وضع يسمح له بالمساعدة الشخصية وقام بتوصيلى بفاسيلى عضو الحزب الروسى وعضو لجنة حماية الثورة، وتلك بعد أن أوضحت لشامى سبب حضورى وأهميته وموقف كينا جروسكى الغريب. وكان لمساعدة شامى وفاسيلى لى أثرها فى نجاحى فى الاتصال بالكومنترن.

الكومنترن :

قدمت إلى الكومنترن تقريرى بخصوص محمد عبدالعزيز. ولكن كانت هنالك صعوبة لانعقاد الكومنترن فى جلسة سريعة، خلال هذه الفترة القصيرة، خاصة وأنه كانت هنالك جلسة خاصة بالحزب الشيوعى المصرى، منذ خمسة عشر يوما قبل وصولى تقريبا.

أخذ تقريرى، وتم إطلاعى على محضر جلسة الكومنترن هذه والخاصة بالحزب المصرى، فوجدت أنه قد ورد بها تشكيل للجنة المركزية للحزب (حسب ما قدمه محمد عبدالعزيز) وهى تتكون منه سكرتيراً وبنكاكيس وأمين يحيى وحسونة حسين واثنين آخرين مجهولين. ولاحظت أن هذا التشكيل المعلن بمعرفة محمد عبدالعزيز يمثل لجنة ضيقة العدد، ومعظم عناصرها لا يصلح للقيادة، وأن إدراجه اسمى كان للتمويه فقط، حيث إننى قطعت دراستى بمدرسة لينين وأرسلت إلى مصر بتكليف الكومنترن، الأمر الذى يصعب عليه معه عدم وضعى فى الاعتبار. كما قام بإبعاد شعبان حافظ ومحمد عمر من هذا التشكيل. قدمت تقريرى إلى الكومنترن مطالبا بإدانة محمد عبدالعزيز وعزله بسبب موضوع تسليم المندوبين وتصرفاته المريبة.

وكان موقف الكومنترن عقب ذلك غير حاسم.

وصدر قرار بعزل نشاط كل من حسونة حسين ومحمد عبدالعزيز عن بعضهما، ووضع الحزب الشيوعى المصرى تحت المراقبة.

فصل النشاط ١٩٢٩ / ١٩٣٠

بدأنا العمل منفصلين، كل منا عن الآخر. ونشطت مع رفاقى محمد عمر، وشعبان حافظ، ومحمد سلامة، ومحمد منصور، والعتال، وتيوفانى، وآخرين.

وظل الأمر هكذا ١٩٢٩ / ١٩٣٠ وأنا أقود رفاقى فى النشاط الحزبى والنقابى وتوسيع الحزب بشكل سرى، حيث حرم النشاط العلنى.

كانت دور الحزب قد أغلقت منذ ضربة ١٩٢٦/١١/٢٤ سواء مقرها بالمنشية خلف مبنى الحقانية (المحكمة المختلطة) أو الآخر بمحرم بك بشارع عرفان. وطورد أعضاء الحزب وحل الاتحاد العام.

وخضنا داخل الطبقة العاملة نضالا ضد سياسة الحكومات البورجوازية للسيطرة على الطبقة العاملة بعد أن استشعرت قوتها خلال الأعوام السابقة ١٩٢٢/ ١٩٢٤. ضرب الاتحاد العام وتركز نشاطنا فى الإسكندرية ودمنهور بالبحيرة وخاصة مركز المحمودية والعطف ومطوبس، وكذلك المحلة وطنطا وبورسعيد، حيث توجد مجموعة نشطة من أعضاء الحزب، ممن لم يتأثروا بضربة ١٩٢٤ من الرفاق القدامى فى كل من الإسكندرية والبحيرة.

مندوب ثالث من الكومنترن وأول مايو:

ظل الوضع على ما هو عليه، نعمل بشكل مستقل عن محمد عبدالعزيز، حتى اتصل بنا عام ١٩٣٠، قبل شهر مايو، مندوب من الكومنترن يحمل تكليفاً بتوحيد العمل مع محمد عبدالعزيز، وبمناقشة القرار مع المندوب لغرابته وللأسباب السالفة الذكر، ومن خلال بعض المعلومات التى تبادلناها مع المندوب تيقنا من صدق القرار الذى يحمله المندوب، فقد كنت أتشكك فى صدور قرار كهذا بتوحيد العمل مع محمد عبدالعزيز.

وإزاء هذا القرار، وكنا قرب أول مايو، ونعد للاحتفال بعيد أول مايو، عيد العمال العالمى، وخضوعاً للقرار، مع الحذر والحيطة من عبدالعزيز، رأينا أن يكون إصدار منشور أول مايو والحملة الدعائية فرصة تكشف طبيعة عبدالعزيز واستعداده، إذ رغم هذا القرار فإننا لم نتخلص من الشك فيه، وعلى ذلك اتفقنا مع المندوب وقررنا:

أن تتولى كل مجموعة، مستقلة عن الأخرى (مجموعتنا ومجموعة عبدالعزيز) طبع المنشور بمعرفتها على حدة فى كل من الإسكندرية والقاهرة أساسا وبورسعيد والزقازيق والمحلة، إن أمكن، وذلك بعد الاتفاق على صيغة موحدة للمنشور.

حل أول مايو، ولم يصدر المنشور ويوزع إلا فى مدينة الإسكندرية، حيث النشاط المركز لمجموعتنا، وحيث كانت الإسكندرية تمثل الثقل الصناعى والتجارى فى تلك الحقبة وذلك خلافًا لما تم الاتفاق عليه، بصدوره وتوزيعه فى كل من القاهرة والإسكندرية.

منشور أول مايو ١٩٣٠:

أعددنا المنشور وتم طبعه. وتم تجهيز أدوات الكتابة على الحوائط. كان المنشور يدعو إلى وحدة الطبقة العاملة ويحثها على الاتحاد لتحقيق مطالبها؛ تحديد ساعات العمل وتحديد الأجور.. إلخ، وتعريف بقيمة أول مايو. حدث كل ذلك قبل أول مايو، حيث تم تجهيز كل شيء، وعقد اجتماع وقت الغروب فى الحديقة العامة برأس التين أمام القصر الملكي. وهذه الحديقة متنزه عام متسع هادىء يقضى فيه الناس وقت أمسياتهم والبعض منهم فى جماعات، مما لا يثير الشك فيها، كما أن البوليس يستبعد عقد اجتماع سرى قرب قصر الملك. ومثل هذا المكان يسهل التفرق منه إلى باقى أنحاء المدينة.

واجتمعنا وكان معنا بعض الرفاق الحزبيين اليونانيين. وكانت خطة العمل على النحو التالى:

يجلس الرفاق الذين سوف يقومون بتوزيع المنشور والذين سيقومون بحملة الكتابة على الحوائط للاتفاق على توزيع المناطق والمسئوليات، وذلك وقت الغروب وبداية الظلام.

وكان هناك اتفاق مع رفيق يونانى على إحضار المنشورات وأدوات الكتابة فى سيارة خاصة، فى ساعة محددة تسمح بالانتهاء من توزيع المسئوليات وحلول الظلام بعيداً عن مراقبة وأعين البوليس السياسى.

كما كانت هنالك سيارة خاصة أخرى تنتظر، حتى تحمل السيارتان الرفاق



للانتشار فى المدينة فى ساعة واحدة، ليتم توزيع المنشور والكتابة فى وقت واحد تقريبا، قبل أن يستشعر البوليس السياسى الأمر ويبدأ فى الانتشار فى باقى الأحياء.

وكان ضمن الرفاق المجتمعين بحديقة رأس التين فى انتظار وصول السيارتين (رفيق) عميل ومرشد للبوليس السياسى حسب ما اتضح بعد ذلك. وكان هذا الشخص، لحسن الحظ، ضعيف البصر، وكان اتفاقه مع البوليس، أن يقوم بإشعال سيجارته، وطبقا لإشارة معينة، مع كمين البوليس، ساعة وجود المنشورات، ليتم الهجوم على المجتمعين والقبض عليهم متلبسين ومعهم المنشورات حتى لا ترى النور.

ومع مرور الوقت وحلول الظلام وضح ارتباك هذا العميل وقلقه وكثرة أسئلته عن وصولها واستعجاله تسلمها. (ولم يكن يعلم بطريقة وصولها وموعدها سواى وتيوفانى) وقد لاحظنا أنا وتيوفانى وبعض الرفاق حركة مريبة لأشخاص على بعد منا يزدادون عددا، ويقتربون ببطء منا متربصين، فأخذتنا الريبة فى الرجل وفيهم، خاصة أن السيارة المحملة بالمنشورات وأدوات الكتابة كانت قد وصلت، فطلبت من تيوفانى وبعض الرفاق الإسراع إلى السيارة، وأخذ ما بها وتركه مع باقى الرفاق فى الحديقة، ثم يستقلون هم السيارة وينطلقون بها مسرعين، مما يوحى للكمين المتربص بأنهم يفرون بالمنشورات. وبسبب الظلام انخدع رجال البوليس وانطلقوا بسيارتهم خلف السيارة الهاربة المسرعة ومطاردتها، ظنا منهم أن بها المنشورات. وعلى الفور أخذنا السيارة الأخرى والمنشورات وباقى الرفاق وانطلقنا فى المدينة. وأخذت كل مجموعة جزءاً من المنشورات، وتم إغراق أحياء الإسكندرية بالمنشورات والكتابة على الجدران من أجل وحدة الطبقة العاملة المصرية والعالمية والمطالبة بتحديد ساعات العمل والأجور وحفر الشعار العالمى «يا عمال العالم اتحدوا» على جدران مدينة الإسكندرية ليمتد عبر السنين حتى صار ذلك اليوم عيداً عالمياً معترفاً به فى مصر. مع الفارق فى الاحتفال به وقتها ومغزاه اليوم.

وهكذا رغم تخاذل محمد عبدالعزيز، ورغم المرشد البوليسى، نزل المنشور إلى أحياء مدينة الإسكندرية، وتمت الكتابة على الجدران احتفالاً بعيد أول مايو، كما يحتفل به كل الرفاق فى العالم أجمع. أنجزت المهمة البطولية قبل القبض على قيادة

الإسكندرية (حسونة حسين، شعبان حافظ، تيوفاني).

وصدرت الصحف المصرية تحمل الخبر وخبر القبض وعمل قضية.

قضية أول مايو ١٩٣٠:

تم القبض على المناضلين الأوائل والمتهمين في هذه القضية:

الدكتور حسونة حسين - شعبان حافظ وتيوفاني (وهو مناضل يوناني بمصر) واثنى عشر فرداً آخرين ومحمد عبدالعزيز.

أفرجت النيابة عن محمد عبدالعزيز دون كفالة ولم يقدم للمحكمة، كما برىء الاثنى عشر لعدم توافر الأدلة وعجز النيابة عن ربطهم بالقضية (رغم اشتراكهم في هذا العمل النضالي) وكان فيهم محمد محمد إبراهيم والبكر ديستريادس، وصدر الحكم على بسنة أشهر، ونفي تيوفاني (حماية - لا تنطبق عليه الأحكام الأهلية) وحكم بسنة على شعبان حافظ لسابق سجنه في قضية ٢٤/ ١٩٢٦.

وعلى أثر ذلك لم يعد هنالك مجال للعمل أو قبول أى توجيه بالعمل مع عبدالعزيز فقد تأكدت خيانته وعمالته لدينا، وقررنا التخلص منه. لكننا قررنا أن نستفيد منه مالياً قبل ذلك، بالمشاركة في جمع النقود اللازمة لتهريب شعبان حافظ بمعرفتنا.

تهريب شعبان حافظ:

اتصلت بمحمد عبدالعزيز بالقاهرة، وطلبت منه مساعدة مالية لتهريب شعبان حافظ قبل صدور الأحكام المشار إليها وخروجنا من النيابة بكفالة مالية لحين الانتهاء من المحاكمة، وذلك لتوقع صدور حكم طويل عليه بسبب القضية السابقة، فما كان من محمد عبدالعزيز إلا أن قال: «خليه يروح في داهية، دا ابن ....»، الأمر الذى لم أتمالك معه نفسي، وكنا نسير بمحاذاة النيل بالقاهرة (قبل الكورنيش طبعاً) فأمسكت بخناقه وحاولت أن ألقيه في النيل لإغرقه حقاً وحقيقة، فقد طفح بى الكيل من هذا الرجل الذى لا ريبة عندى بعد الآن في خيانته. وأثارني تطاوله على شعبان، بما هو منطبق عليه. كدت أحقق إغراقه، غير أنه أخذ يستغيث، وتجمع بعض الناس ليخلصوه من يدى. وساهم ماليا، مرغما ومكرها، في عملية تهريب شعبان حافظ خارج البلاد، قبل نظر القضية والحكم القضائى السابق. وحاول أن يعرف كيفية

إخراجه من البلاد، ولم أمكنه من ذلك بالطبع. فقد صار الشك يقينا فى هذا الخائن، خاصة بعد عدم وفائه بأى عمل مشترك حسب الاتفاق لإصدار منشور أول مايو، وبعد إفراج النيابة عنه وتصرفاته السابقة المريبة، الأمر الذى حدا بنا إلى إدانتـه وقطع الصلة به نهائيا بعد الإعداد لهروب شعبان حافظ.

الكومنترن يسحب اعترافه بالحزب الشيوعى المصرى:

استمر النضال الشيوعى بقيادة حسونة حسين ورفاقه من أعضاء الحزب القديم وعاد شعبان حافظ سراً إلى مصر لينضم إلى رفاقه.

وكان الكومنترن قد أصدر فى تلك الحقبة قراراً بسحب اعترافه بالحزب الشيوعى المصرى نتيجة الأعمال الخيانية لمحمد عبدالعزيز وطرد ونفى المندوبين من مصر، وعدم الوصول إلى الحقيقة لصعوبة الاتصال وصعوبة الصلة بالكومنترن والتحقيق فى هذه المسائل تحقيقاً يقينيا. خاصة وأن هذه الفترة معاصرة لظهور جماعة التخريب داخل الاتحاد السوفيتى وكان التشدد فى الأمان والحيطة مقدماً على كل اعتبار.

وتكاتف الرفاق: حسونة، شعبان حافظ، محمد عمر على قيادة العمل الحزبى فى مصر، مع زملائهم محمد سلام، ومحمد منصور والعتال بالبحيرة (المحمودية) وآخرين منهم الرفاق اليونانيين نيوفانى[4] وغيره، ولم يعتبروا قرار سحب الكومنترن للاعتراف بالحزب الشيوعى المصرى سبباً أو ذريعة للاستسلام، بل ناضلوا كأشرف ما يكون المناضلين حتى ماتوا على إيمانهم الذى لا يتزعزع بالشيوعية، عاملين من أجل نشر تعاليمها والنضال من أجل مبادئها التى كانت بوصلة للنضال ضد الاستعمار والملكية ومن أجل الطبقة العاملة المصرية.

وظلوا كذلك حتى انصهروا مع الحركة الشيوعية الحديثة. كرافد أصيل التقى بالروافد. الحديثة. ودخلت مجموعة الحزب الشيوعى المصرى، بقيادة رفيقهم حسونة حسين بكاملها فى الحركة المصرية، ليس كأفراد، أو فلول جيش مندحر، بل كمجموعة ماركسية لينينية لها نضالها ووجودها وكيانها ومراكز نشاطها، ويمكن القول يقينا إن الإسكندرية بصفة خاصة والبحيرة أيضا، بصرف النظر عن بعض المدن الأخرى، كانتا تحديداً، كمجال عمل، على نشاط مجموعة الحزب الشيوعى القديم فقط. حتى تكونت الحركة المصرية (ح.م). وكان الدكتور حسونة حسين عضو اللجنة المركزية

تكونت الحركة المصرية (ح.م) . وكان الدكتور حسونة حسين عضو اللجنة المركزية بالحركة المصرية عضواً غير عادى. فهنالك مدارس الكادر التى أنشئت حينذاك والمجموعة الخضراء وترجمتها والتى شارك فيها عدد من مجموعة الإسكندرية، منهم محمد عبدالكريم من محرم بك و د. محمد الشبيطى من العطارين بالإسكندرية، وكل تلك الأعمال تسجل نشاط ودور مجموعة الحزب القديم فى ذلك العمل، بقيادة د. حسونة . لقد طبعت المجموعة الخضراء فى الإسكندرية إن لم يكن كلها، فأغلبها. وانطلقت من الإسكندرية، إلى باقى التنظيم. وكان ذلك بسبب المقدرة الفائقة للمجموعة القديمة على العمل السرى المنظم وارتباطاتها بعمال الطباعة (بالعطارين).

***

وقد تحدث الدكتور حسونه مع ابنه عادل عن محمود حسنى العرابى، وعبدالرحمن فضل وقام عادل حسونة بتسجيل ما ذكره والده فيما يلى:

محمود حسنى العرابى

كان من قادة الحزب الاشتراكى الأول ذى الاتجاهات الاشتراكية المتباينة، وبعثه الحزب إلى موسكو لحضور مؤتمر «الأممية الثالثة» للاشتراكية (الكومنترن) وكانت الاممية الثالثة قد وضعت ٢١ شرطاً (بنداً) للانضمام لهذه المنظومة الدولية وعلى رأس هذه الشروط أن يحمل الحزب اسم «الحزب الشيوعى» تمييزا للاحزاب الشيوعية ذات العقيدة الماركسية اللينينية عن أحزاب اشتراكية الدولية الثانية.

وقد قبل شروط الانضمام، وعند عودته لم توافق أغلبية قيادة الحزب ذات الاتجاهات الاشتراكية الليبرالية والنقابية على هذه الشروط ووافق عليها قلة من القيادة وكون هؤلاء بقيادة محمود حسنى العرابى الحزب الشيوعى المصرى الأول ونقلوا مقره من القاهرة إلى الاسكندرية ونشط الحزب فى أواسط الطبقة العاملة وكون أول اتحاد عمال مصرى يتبع الحزب.

وحسنى العرابى من أصول برجوازية صغيرة من أغنياء الأرياف وقد ورث عن والده ١٢ فداناً كان ينفق من ريعها على النشاط الحزبى. إلا أن ثقافته الاشتراكية والماركسية لا تتعدى قراءة كتاب «الاشتراكية» لمكدونلز. وشخصيته قوية متسلطة ذو نزعة زعامية فردية مغامرة، وبعد انفراده بقيادة الحزب والاتحاد العام للعمال التابع للحزب. فقد قبض على المهام الرئيسية بيده من سجلات العضوية سواء للحزب أو الاتحاد إلى المراسلات الخارجية الأممية.

وبعد ضربة الحزب القاصمة فى ١٩٢٤ وأثرها المدمر بسبب علانية الحزب وعدم تحسبه والاحتياط لمواجهة هذه الضربة المباغتة ومغالاة حسنى العرابى فى قوة الحزب وكانت هذه المغالاة مع ضعف الوعى التنظيمى (فالحزب وليد) سبباً فى عدم الحرص وتهيئة الحزب لمواجهة هذه الضربة بالتحول إلى العمل السرى بعد إلغاء علانيته وحظر نشاطه وتقديم قادته للمحاكمة وصدور أحكام بالسجن عليهم. وداخل السجن جرت مواجهة من بعض الرفاق القياديين (صفوان أبو الفتح) لحسنى العرابى لهذه السلبيات.

وقد حكم عليه وعلى صفوان أبو الفتح(٥) وأنطوان مارون والشحات إبراهيم، وقد هجر الفكر الشيوعى والعمل الشيوعى بعد أن أدرك أن الطريق إلى الشيوعية طويل ولامكان فيه للزعيم الفرد. وهذا غير مستبعد على تكوينه الشخصى كبرجوازى صغير مغامر محب للزعامة بهرته انتصارات الثورة البلشفية فانجذب إليها دون عقيدة طبقية أو ايديولوجية أصلية. ثم وجد فى هتلر الزعيم النازى قائد الحزب الاشتراكى الألمانى وخطبه وشعاراته الديماجوجية النازية النموذج الذى يتفق وهواه فانتقل من الرهان على الشيوعية إلى الرهان على جواد النازية الألمانية، (وقد ظن رفاق الحزب أنه قد غادر مصر إلى ألمانيا ومات هناك إلا أنه اتضح أنه لم يمت وتواجد فى مصر ومات بها(٦) «وقد انتهى المطاف بمحمود حسنى العرابى بعد يأسه إلى ألمانيا النازية حيث عمل مدرساً للغة العربية وهذا قبل أن يعود إلى مصر ويعمل مترجما بجريدة المساء» .

ومن عجائب الحركة الشيوعية المصرية هو اختراق بعض الأفاقين من الشيوعيين السابقين المرتدين لتجمعات شيوعية وخداع بعض قادتها حسنى النية قليلى الخبرة التنظيمية بل والأخطر من هذا. وهو ما يستدعى مراجعة واعترافاً بالخطأ التاريخى والنقد الذاتى من مؤرخى الحركة الشيوعية - أن يرفع مؤرخو الحركة الشيوعية لأمثال حسنى العرابى وعبد الرحمن فضل أسماءهم بحسبهم من الرواد الأوائل ومذارا وقدوة يستحقون التمجيد، وبذلك يرفعون (نفايات الحركة الشيوعية) إلى مصاف الأبطال وقدموهم على صفحات مؤلفاتهم لجمهور القراء على أنهم مثال ومن عظماء الحركة الشيوعية. هذا الخطأ التاريخى وقع فيه مؤرخ مثل د. رفعت السعيد - وكذلك لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥ بالتعاون مع مركز البحوث العربية

للدراسات العربية والإفريقية - واللجنة تضم عناصر من مختلف التنظيمات الشيوعية السابقة - وقد أسرفت اللجنة في تكريم هؤلاء - (حسنى العرابى - وعبد الرحن فضل) وضعت اسميهما إلى قائمة «شهداء ومناضلون» إصدار لجنة إحياء ذكرى شهداء ومناضلى اليسار لمجرد أنهما كانا في بدايتهما بالعمل السياسى أعضاء أو حتى قيادة للعمل الشيوعى الذى انقلبوا عليه ويجب رفع اسميهما من قوائم الشرف ما تقتضيه الأمانه العلمية والحقيقة التاريخية . ونأمل مراجعة قوائم الشهداء وتنقيتها من أسماء مثل حسنى العرابى، الذى تحول إلى الفكر النازى المعادى للشيوعية وصار عميلاً لصالح ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية وهذه المرة تأتى الشهادة ضده بغير قصد من أحد قادة الحركة الشيوعية «الحديثة»، الذى جمعته المصادفة مع حسنى العرابى معتقل واحد لمدة ست أو سبع أسابيع بضاحية الزيتون عام ١٩٤٢ إذا يقول هنرى كوريل[٧] :«تم اقتيادى إلى فيلا كبيرة بضاحية الزيتون ووجدت هناك ما يقرب من خمسين شخصاً .. الذين تم حجزهم .. وهم جميعاً من المصريين .. مناضلين نشيطين لصالح دول المحور ويتميزون بعدائهم الشديد للشيوعية والسامية وكان الاتصال الأول بهم مثيراً للقلق .. إذ اتفق الجميع على تصفية الحساب معى فى الليلة نفسها فلم يتم قبولى بأى غرفة . ولكن كان هناك شخصان أتيا لنجدتى أحدهما بارون روسى أبيض عرض على مشاركته غرفته بعد أن وجد فى شخصا من وسطه، (يقصد الاجتماعى) أما الآخر وكان شخصاً ذا نفوذ - فهو أمين سابق فى الحزب الشيوعى المصرى![٨] أقصى فى ظروف لا أعرفها حتى اليوم بواسطة الدولية الشيوعية[٩] فأصبح عميلا ألمانيا[١٠]! لماذا أظهر تعاطفا؟؟ ربما لأننى ماض لايزال يشعر بالحنين إليه؟ راجع أوراق هنرى كوريل والحركة الشيوعية المصرية دراسة د. رؤوف عباس ص ١٠٥- ١٠٦.

عبد الرحمن فضل

نحول إلى قصة تتصدر الصحف، التى أطلقت عليه لقب «نازع البحار» حيث ظل على ظهر الباخرة اليونانية، التى تسلل إلى سطحها يوما ظنا منه بإمكانية تسلله إلى داخل البلاد عائدا من رحلته إلى موسكو التى طالت، حيث قد ذهب إليها فى أوائل

العشرينيات مع بعض من أرسلهم الحزب بغرض الدراسة الماركسية.. لكن خاب ظنه وظل على ظهر السفينة فى اقامه اجبارية تقبلها ربان السفينه شهوراً ذهابا وإيابا من الموانى المختلفة التى تعمل السفينة على خطوطها. دون أن يتمكن من مغادرتها أو تتمكن إدارة السفينة من الحصول على موافقة أى من سلطات تلك الموانى بقبول نزوله على أرضها فقد أصبح بلا جواز سفر مصرى معتمد أو أى جواز بديل. فقد أسقطت عنه السلطات المصرية جنسيته، وصار بلا هوية، وغير مرغوب فى عودته للوطن أو مجرد السماح له بمغادرة السفينة إلى أى ميناء مصرى، حيث كانت التعليمات محددة وقاطعة بكل موانى مصر لرجال أمن الموانى الراصدين والمتابعين لحركة السفينة فى غدوها ورواحها بالحذر واليقظة التامة فى تنفيذ الأوامر الأمنية بعدم تخطيه خطوة بعيدا عن سطح السفينة تحسباً وحرصاً من نقل عدوى البلشفية - حسب التسميه الشائعة للثورة الاشتراكية - لمواطنيه(!!) فقد عاش عبد الرحمن ببلاد انتصار الثورة البلشفية فترة كافية لأن يصبح ناقلاً للعدوى إلى أبناء الوطن، والحذر والتحوط من أمثاله واجب مقدس لدى السلطات القمعية ممثلة التحالف الطبقى الرجعى المعادى لأى حركة منظمة دولياً للطبقات الشعبية من العمال والفلاحين وصغار الموظفين والمثقفين المستنيرين خاصة ذوى الاتجاهات الاشتراكية والنضالية، لأن هؤلاء نظرهم رعايا يحكمون ويطيعون وعليهم الاذعان. ولهم هم، الإدارة والإمارة، المال، والسلطة بالتحالف مع ملكية مستبدة وتبعية بغيضة للاستعمار.

وهكذا فرض على الربان أمر واقع، بجانب فطرة إنسانية دعته لقبول ضيافة جبرية لعبد الرحمن فضل على ظهر السفينة، عاجزين جميعا عن التخلص منه بأى ميناء بأى دولة بالطرق القانونية أو الودية أو على سبيل التسامح المؤقت، فالحلف المعادى للشيوعية يمتد على نطاق العالم الحر (!!) بحكم الحصار ويناصب العداء للشيوعية الفتية خاصة بعد قيام أول ثورة تحقق بناء دولة لها.

وقد كان قرار إسقاط الجنسية عن عبد الرحمن امتداداً لتنفيذ قرار أصدرته السلطة المصرية تجاه كل المصريين الذين توجهوا إلى الاتحاد السوفيتى فى بداية العشرينات للدراسة بموسكو ولم يغادروها فوراً امتثالاً للأمر الصادر بإسقاط الجنسية عن كل مصرى لم يبادر بتنفيذ هذا الأمر الغاشم الذى كان بمثابة حلقة من حلقات التحالف

لمبكر للبرجوازية المصرية والاقطاع والاستعمار فى العداء للاشتراكية والشيوعية العالمية والمحلية وإيذانا بالميلاد المبكر لمكافحة أى نشاط حزبى او نقابى منظم واع بحقوقه الديموقراطية والاجتماعية خاصة إن كان باسم أو بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الطليعى خاصة وأن نجاح ثورة ضد الرأسمالية والاقطاع والاستعمار، لم يعد نظريات ومدونات فى الكتب بل صار واقعا وحقيقة ماثلة تثير الرعب والفزع لكل الطبقات المستغلة بل الهلع على ضياع امتيازاتهم الطبقية من تراكم رؤوس أموالهم وزيادة أملاكهم وحيازتهم منفردين بالسلطة فاستنفروا كل أجهزتهم القمعية والتشريعية وأبواق دعايتهم للبطش بالحزب الشيوعى المصرى الوليد وبأول اتحاد عمال مصرى، حيث جرموا نشاطهما والانتماء إليهما بمصادرة مقرانهما ونشراتهما وطاردوا أعضاءهما والمتعاطفين معهما فى كل مكان. وأخيرا بضمير ميت قرروا مصادرة جنسيتهم وإسقاطها عن الطلبة الدارسين بالاتحاد السوفيتى سواء من علمت السلطات بسفره مسبقا أو لاحقا (عبد الرحمن فضل، شعبان حافظ).

وقد تابع كوادر الحزب القديم بقيادة د. حسونة، موضوع إسقاط الجنسية عن أعضائه وإبعادهم عن الوطن لمجرد ذهابهم إلى موسكو.. وقرر الحزب التعامل مع واقعة عبد الرحمن فضل الذى ظل حبيس السفينة ذهابا وإيابا.. ويقول د. حسونة[10] فى جلسة معه عام ١٩٦٤: لقد تابعنا هذه المشكلة كحزب وقررنا تحدى السلطات وإثبات عجزها وفشل سياسة الإبعاد وإسقاط الجنسية - عملياً - عن أعضائه، وأن الشيوعيين المصريين من الكفاءة والمقدرة على تحدى السلطة وإجراءتها القمعية، وشرعنا فى وضع خطة لإنزال عبد الرحمن من ظهر السفينة اليونانية إلى أرض الوطن رغم أنف الأمن العام. وكانت الخطة التى عرضتها على رفاقى بسيطة ومدروسة من كل الجوانب ومنظمة على خطوات متتابعة بما يضمن نجاح مراحل تنفيذها.. تبدأ الخطة بدفع الرفاق اليونانيين أعضاء الحزب بالاتصال سراً بمسئولى التوكيل الملاحى التابعة له السفينة حيث سيكون ذلك سهلاً عليهم بحكم المواطنة والثقة بالتالى بهم، ومن خلال هذه الاتصالات يتوصلون إلى التعرف على من بيدهم شئون السفينة وقبطانها.. وبعد ذلك ينتقلون إلى المرحلة الثانية من الخطة بحذر، فى مكاشفة هؤلاء باعتبارهم وسطاء (ظاهريا) مندوبين عن أسرة عبد الرحمن فضل - جيرانهم فى السكن[11] والذين لجأوا

إليهم للتوسط لدى بلدياتهم المسئولين عن السفينة وقبول اقتراح الأسرة بالخطة لإنهاء هذه المأساة حرصاً على حياة ابنهم وإنقاذه من هذه الورطة. ولم تكن أسرة عبد الرحمن المزعومة التي يتحدث عنها وباسمها الرفاق اليونانيون سوى الحزب والخطة خطته وقد اتخذ من أسرة عبد الرحمن مبرراً لتدخلهم بدواع إنسانية محضة. وقد أشرك الحزب فعلاً شقيق عبد الرحمن في بعض اللقاءات مع المسئولين بالتوكيل الملاحي كمجرد تواجد مادى دون إطلاعه وإشراكه في تفاصيل ومرعد الخطة الموضوعة حرصا على أمان تنفيذها وعدم تسرب معلومات منها للأمن.

كما ركز هؤلاء الرفاق اليونانيون على إغراء أصحاب السفينة وقبطانها بالفوائد العملية على نجاح هذه الوساطة، وقبول الخطة البسيطة والمحكمة لنزول عبد الرحمن من ظهر السفينة على مسئوليته ومسئولية ذويه (المفترضين) بنجاح فقط بتعاون مسبق مع قبطان السفينة والتنسيق معه حتى يتخلص من هذه الضيافة الإجبارية التي تكلفهم إعاشة وتعرضهم لمخاطر واردة مع طول المدة بلا حل بالإضافة إلى البعد الإنساني.. خاصة وأن كل المطلوب من ربان السفينة في هذه العملية فقط تهيئة ومساعدة عبد الرحمن على تفهم الخطة ودوره فيها لحظة التنفيذ بشخصه.

وتوزعت أدوار تنفيذ الخطة الموضوعة كالآتي: بعد مغادرة السفينة لميناء الإسكندرية قبل الغروب وإقلاعها نحو المياه الدولية، وبمجرد ترك المرشد المصري للسفينة بعد عبورها البوغاز جهة المكس، وتولى ربان السفينة قيادتها. هنا يبدأ دور الجانب اليوناني في العملية حسب المتفق عليه سلفاً. حيث يتم تسيير السفينة بأقل سرعة متاحة وعلى أقرب مسافة آمنة داخل المجرى الملاحي بالقرب وبحذاء الساحل في اتجاهها ناحية العجمي أقصى غرب الأسكندرية، قبل انحرافه نحو المياه الدولية لمواصلة رحلته المعتادة.. وعند بقعة محددة متفق عليها على هذا النحو والسفينة في سيرها الهادى إلى أدنى سرعة حيث تتلقى إشارة ضوئية من مركب صيد يقترب من السفينة حسب الخطة ويقوم بعض البحارة المكلفين من الربان بتجهيز عبد الرحمن في اللحظة الفاصلة بوضعه داخل طوق نجاة ويتم إيقاف حركة رفاص السفينة لحظات إنزاله بأمان من فوق سطح السفينة إلى مياه البحر حيث يبقى داخل طوق النجاة وسط مياه البحر بملابسه إلى أن يصل إليه رجال مركب الصيد المتابع لخط سير السفينة

رلحظة الإنزال حسب الإشارات المتبادلة مع كلا الجانبين تأمينا لسلامة الضيف الذى أنهت هذه المغامرة علاقته بالسفينة وضيافتها نهائيا. وصار الآن فى سبيله لضيافة رفاقه الذين صار عليهم استكمال الخطة وإخراجه من البحر إلى البر إلى سيارة ينتظره داخلها بعض الرفاق المكلفين بنقله إلى داخل مدينة الأسكندرية بملابسه المبتلة والذى عليه تحمل الإحساس ببرودة جسده بسببها وبسبب المدة التى مكثها داخل مياه ، البحر فى قلق واضطراب حتى ركوبه هذه السيارة فى ظل شعور بالمخاطرة والترجس. إلى أن وصلت السيارة به فى صحبة رفاقه إلى حى هادىء من أحياء رمل الإسكندرية، وهو حى الإبراهيمية حيث كان كل سكانه من اليونانيين وفى منزل من طابقين ملحق بحديقة كبيرة تحيطها محلات تغلق بعد الغروب. والحى بكامله وخاصة هذا الجزء منه الذى يقع به المنزل قليل السكان، شديد الخصوصية والهدوء بعيدا عن العيون الفضولية. وقد اختار د. حسونة مسكنه هذا البعيد عن نشاط الشرطة وملاحقاتها الأمنية حيث الأمن مستتب بهذه المنطقة بكل أحيائها التى يشغلها أجانب أغلبهم من المهنيين وأصحاب أعمال ينتمون للطبقة الوسطى وبعض شرائحها العليا.. لذا فقد أعد سكنه لاستقبال عبد الرحمن وسط أسرته كبداية لتأمين وضعه الجديد داخل البلاد وجهز كل ما يلزم من أدوات تدفئة وملابس وأدوية لازمة له لاستعادة عافيته وصحته بعد رحلة شاقة فوق ظهر السفينة فى وضع غير مريح إقامة ومأكلاً وما تعرض له من مخاطرة النزول من السفينة وبقائه باليم فترة بكامل ملابسه إلى رحلة متوترة حتى استقر فى أمان بمنزل د. حسونة واللذين كان يعرف كل منهما الآخر. مما ساعد عبد الرحمن على استعادة عافيته بسرعة فى ظل إقامة آمنة توفرت له فيها كل احتياجاته بترحاب رفاقى حميم سواء من د. حسونه أو من أفراد الأسرة الذين تعاونوا فى إنجاح قصة الهروب كطرف مكمل لدور الحزب وقيادته.. بعد فترة من تأمين عبد الرحمن كان قد أعد مكان آخر لينتقل إليه إمعانا فى الأمان والاحتياط. وهكذا انتقل عبد الرحمن من منزل الإبراهيمية إلى منزل الرفيق محمد عمر الكائن فى حى أكثر أمنا وأكثر ارستقراطية، حى سابا باشا الذى به كثير من الأسر الانجليزية من العاملين فى جيش الاحتلال سواء عسكريين أو مدنين إلى جانب شرائح جنسيات أخرى ذوى الانتماء للوظائف العليا والمناصب الهامة بالبنوك الكبرى، حى أغلبه من

ذوى الياقات المنشاة. وكان عمر قد استقر عقب وصوله له مصر من موسكو فى صحبة زوجته الفاتنة الروسية وأولاده الثلاثة وبحسبه لاعب سيرك محترف سابق كلاعب ترابيز، وعدم وجود مجال لمزاولة عمله بمصر فقد تمكن من الحصول على محل كبير بالشارع الرئيسى الذى يبدأ من عند قسم الرمل حاليا حتى محطة ترام سابا والمحل يتبع أملاك شركة الكهرباء الأجنبية وقتها التى تتكون من مساحة كبيرة مسورة داخلها وحدتان للسكن إحداهما بعمق المساحة بعيدا عن الطريق والأخرى شقة متسعة وجيدة خلف المحل فى مدخل هذه الساحة الواسعة، وقد تمكن محمد عمر عن طريق أقاربه الذين يعملون بشركة الكهرباء وهم من أصول سودانية مثله الذين تمكنوا باتصالاتهم وعلاقاتهم بالشركة أن يؤجروا لمحمد عمر المحل والمسكن من الشركة حيث أنشأ مشروعاً يتناسب وهذا الحى الراقى ويحقق دخلاً جيداً ويتناسب مع عدم خبرته بعمل خلاف عمله الاصلى، هذا المشروع لن يحتاج منه إلا إلى حسن الإدارة وحسن التعامل والاستفادة من معرفته بعدة لغات من خلال عمله بالسيرك العالمى الذى كان يعمل به ويجوب العالم قبل استقراره بموسكو وارتباطه بالحركة الشيوعية والتحاقه بجامعة شعوب الشرق بها. وهكذا تحول إلى صاحب أول مغسلة ومصبغة وكى بهذا الحى الثرى والذى يحتاج لهذا النوع من النشاط حيث يعتمد سكانه على الغسيل والكى وبوفرة سواء لملابسهم أو كافة المفروشات. على هذا أستأجر محمد عمر عدداً من العمال واشترى الأدوات اللازمة للعمل التى كانت وقتها شديدة البساطة.. وهكذا أدار محمد عمر مشروعه بنجاح شديد لما يتحلى به من صفات جسمانية (بحكم عمله الرياضى السابق) وبشرته السمراء وملامحه الوقورة الطيبة التى تشع ثقة بالنفس وصفاء وحسن خلق يستند إلى وعى ومعرفة وعقلية ذات جذر سياسى وفكر علمى بالاضافة إلى معرفته باللغة الانجليزية والفرنسية حيث كان يحرر بها الفواتير لعملائه منهم. كان دخل محمد عمر من هذا المشروع كبيرا ينفقه على احتياجاته وأجر مناسب لعماله، وأغلبه ينفق على النشاط الحزبى. ولم تكن احتياجاته كبيرة حيث أبعدت السلطات زوجته الروسية عن مصر ورحلتها مع أولادها إلى روسيا باعتبارها مواطنة روسية غير مسموح أو مرغوب فى إقامتها بمصر. اذن انتقل عبد الرحمن فضل للاقامه بمسكن محمد عمر بسابا باشا

حيث إقامته ستطول هذه المرة حتى يستقر الحزب على المكان المناسب لإقامة دائمة وعمل دائم له بشكل مستقل ويبدأ منه رفيقه عمله الحزبى حسب تكليفات الحزب واحتياجات العمل الحزبى، وبالطبع فإن الحى كان شديد السكون بعيداً تماما عن أى شك أو تخيل أن يتواجد به عبد الرحمن فضل إذا عرف الأمن العام مغادرة عبد الرحمن السفينه واحتمال نزوله إلى أرض مصر.

وظل عبد الرحمن هناك حتى تم اختيار مدينة صغيرة بالقرب من القاهرة لإقامته وبداية نشاطه العملى والحزبى حيث تم تأسيس ورشة نجارة بسيطة وذات إمكانية مناسبة لمزاولة عمله المهنى - حيث أنه نجار أصلاً - ومن خلال هذه الورشة وتوطنه بهذا الموقع الجديد واختلاطه بسكانه ومعرفة الأبعاد الأمنية والواقع الاجتماعى للمكان جيرانه الجدد الذين سيصبح واحداً منهم وصاحب عمل بينهم ومنوطاً بالقيام بنشاط ودور حزبى داخل هذا المجتمع من جذب عناصر واعية ونشطة وثورية للعمل الحزبى والفكر والبرنامج الحزبى داخل هذه البيئة الجديدة التى استقر بها بعد هذا الكفاح المضنى والسلسلة المتصلة من جهد جميع أعضاء الحزب بدءاً بالبرنانيين والرفاق القياديين وغيرهم فى وضع خطة نزوله من السفينة وإدخاله سراً إلى البلاد رغم أنف الأمن وتحدى جبروته بنجاح، إلى تأمين مكان مستقر له وتهيئة إمكانيات عملية لمزاولة مهنته للمعيشة والتلاحم مع الوسط الاجتماعى المتواجد داخله فى هذه المدينة المختارة كموقع مناسب لمد النشاط الحزبى وبناء قواعد حزبية بها. وهذا يمثل الوجه الآخر من العملية التى يحمل أحد وجهيها حماية أعضاء وكوادر الحزب من البطش البوليسى الذى يصل إلى درجة محاولة القهر المعنوى والجسدى والتصدى لذلك وإفشاله، هذا وجه أما الوجه الآخر للعملية وهو الجانب العملى والإيجابى فهو الاستفادة من كادر من كوادر الحزب وإعادة تهيئته لممارسة دوره ونشاطه داخل الحزب وحمل فكره وبرامجه السياسية والعمل على نشرها وسط الجماهير العاملة حيث أن الحركه الثورية للحزب الشيوعى نحو تحقيق العدالة والديموقراطية والاشتراكية لا تملك الا وسيلتين: الوعى والتنظيم. هكذا كان المرجو بعد هذه المرحلة المضنية المحكمة فى قصة عبد الرحمن فضل أن يستعيد الحزب والرفاق كادراً - حسب ظنهم - يضيف إلى العمل الحزبى المأمول منه كعضو قديم

والمفترض زيادة وعيه وخبراته النضالية خلال تواجده بموسكو، وقد صمد فترة لايستهان بها فوق السفينة رايح جاى - بلا أمل ملموس فى نهاية ذلك، وجاء الأمل من صنع الحزب الشيوعى المصرى الذى أصبح يعمل بشكل سرى بعد تجريم نشاطه، ومطاردة كوادره، ومع هذا ظل الحزب حيا، وبدأ من ١٩٢٨ إعادة البنيان الحزبى وإعادة عافيته وسط الجماهير وكانت عملية نجاح هروب عبد الرحمن فضل جزءاً من هذا الجهد فى الإعلان عن وجوده وعن مقدرته على تحدى جبروت السلطة والانتصار على ممارستها التمعيه والحاق الهزيمة بها، ولكن مع الأسف فى النهاية سقط القناع وتعرت حقيقته الانتهازية. فبعد استقراره فى الورشة التى أقامها له الرفاق من أموال الحزب بدأ العفن يتضح فى سفور.. لم يعد الفارس فارساً بل انتهازياً استغل جهد الحزب وتنكر للنضال بل بلغ به الأمر بالتهديد بإخطار الشرطة عن كل من يحاول الاتصال به والنذل استباح جهد ومخاطر الرفاق وتعرضهم للسجن وكل ما قاموا به إحساساً بالمسئولية تجاه زميل لهم، استباح كل هذا حتى يتمكن من الاستقرار ليبيع رفاقة وماضيه مقابل حريته الشخصية ومصالحه.

خاتمة مؤسفة (الإضافة من عندى)

بعد خروجنا من المعتقل عام ١٩٦٤ وكان قد مات آخر كوادر الحزب القديم سنة ٢٤ د. حسرنه ونشرت أسرته نعيه فى الجرائد القومية فى نوفمبر ١٩٦٤ وكان قد سبقه فى الرحيل من نفس الحزب محمد سلامة من المحمودية ومحمد عمر وشعبان حافظ.. فى هذه السنه منذ إبريل ١٩٦٤ وخروج الشيوعيين من المعتقل وزيارة خرشوف لمصر وترحيب جمال عبد الناصر وإشادته بالصداقة المصرية السوفيتية والتحالف والصداقة الصريحة المعلنة للملأ التى تربط مصر وشعب مصر بالاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية.. وتصالح النظام مع الشيوعيين المصريين وتواجد كثير منهم بالصحافة والمؤسسات الحكومية. فى هذا الظرف المستجد الجديد - يظهر من خلف الزمن البعيد الوجه القبيح للمستنكر المرتد عبد الرحمن فضل، وبعد أن تأكد من مرت كل من يعرفه من الرفاق القدامى وبعد أن تأكد مما يجرى على الساحة من مصالحة بين النظام والشيوعية، ولم تعد الشيوعية والشيوعيون محل ملاحقة ومطاردة وسجن، والاشتراكية كلمة مبتذلة على لسان الجميع من الخائن للثورى. حيث أصبحت شعار

المرحلة .. وبكل صفاقة يرتدى عبد الرحمن فضل الرداء القديم الثورى ويتصل ببعض الزملاء الأفاضل الذين مازالت رومانسية الثورية وحميمية رابطة النضال المشترك قائمة لديهم، وتعظيم وتقدير نضال قدامى المناضلين أحياء أو أمواتاً قيمة معتبرة مازالت مستمرة في وجدانهم.. حيث تمكن من التقرب والتعرف على الزميل شحاته القشار المعلوم عنه أنه قد حقق نجاحا وثراء من صناعة التريكو وامتلاكه مصنعاً يدر عليه دخلاً كبيراً بعد مرحلة من المعاناة والعصامية أثمرت هذا النجاح وليد خبرة طويلة في هذا المجال ولذلك كان مشهوراً بين الرفاق بالقاهرة وبالإغداق على كافة زملائه الذين في حاجة لمعونة مالية.

وتحرك عبد الرحمن فضل نحو الهدف وتزيا بزى ثورى كاذب، مدعياً كونه أحد الرعيل القديم من المناضلين متخذا من بطولة الحزب القديم فى إنقاذه من أسر السفينة، بطولة فردية كاذبة من صنع خياله، وجعل من واقعة حقيقية ومعروفة بدون تفاصيلها تكئة يبنى عليها سلسلة من الأكاذيب والادعاءات يمكن نسجها من مخزون قديم عايشه وخبله وتنكر له وعاد اليوم يظهر بين الاجيال الجديدة من المناضلين ويتربع على أحضان محبتها وتقديرها وتوقيرها له باعتباره تجسيداً لماض مجيد- ويزداد إغداق المال والمحبة والثقة عليه. وتصل به القحة للاتصال أو يسعى للاتصال به - الأمر سيان - أحد مؤرخى اليسار ليستمع منه وينقل عنه ويضعه فى كتبه ضمن رواد النضال ورموزها - ولحق به آخرون فى تمجيد هذا المرتد المستتكر المدعى وتقديمه للأجيال المعاصرة على أنه واحد من رواد الحركة الشيوعية وأبطالها - بل على رأس رموزها الحقيقية - لا يحق لأحد أن يخلط الباطل بالصالح - لا يجوز أن يضع مؤرخونا بأيديهم هؤلاء فى مصاف الأبطال. ولا يفيدهم أن يعترفوا بخطئهم ونقد أنفسهم نقداً ذاتيا وتصحيح وقائع التاريخ الذى زيف تدليسا أو استسهالا، ولاتفيدهم لمراجعة تصويبا وتصحيحا، ولايعيبهم أنهم كانوا ضحية دجال لبعض الوقت ولكن يعيبهم أن تظل الأجيال المعاصرة والقادمة من المناضلين أسيرة أكذوبة من صنع أيديهم[11].

الهوامش

(١) انطون مارون وكان مستشاراً قانونياً لنقابات العمال للإتحاد العام لعمال مصر وعضو قياديا بالحزب الشيوعي المصري سنه ٢٤ وقبض عليه ضمن قيادة الحزب وكوادره عند حله وتقديمهم للمحاكمة بالاسكندرية. وبعد صدور الحكم وسجنه بسجن الحضرة بالاسكندرية قام بالإضراب عن الطعام احتجاجاً على معاملته واستشهد خلال إضرابه.

(٢) وقد أبعد الأخير بعد ذلك عن قيادة الحزب.

(٣) محمد عمر مقبل من أصل سوداني كان لاعب سيرك عالمي وبقى بروسيا وشارك في ثورة ١٩١٧ وكان عضو الحزب الروسي.

(٤) كان من السهل على الأجانب في ذلك الزمن بعد نفيهم أن يعودوا ثانية.

(٥) أصلا من جوار الاسكندرية من الطرح بجوار مدينة رشيد وعمل مدرساً لغة العربية بمدرسة نبوية موسى بالاسكندرية وقد رفضت ضغوط البوليس عليها لفصله من عمله بالمدرسة. وفي فترة لاحقة بعيدة عن هذا التاريخ أسس مدرسة أهلية بشوتس رمل الاسكندرية وكان له ولدان هما مصطفى صفوان أبو الفتح. أستاذ علم النفس المعروف بفرنسا. ومحسن. وأفنه تقيم بمحرم بك بالاسكندرية.

(٦) المصيلحي لواء مكافحة الشيوعية كتابه المعنون: قصتي مع الشيوعية.

(٧) المصدر السابق

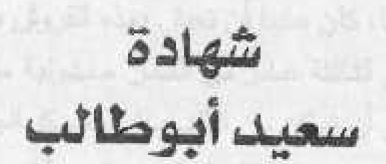
(٨) يقصد محمود حسني العرابي السكرتير العام للحزب الشيوعي المصري ١٩٢٣ - ١٩٢٤ تحليق د. رؤوف عباس. ونضيف الغريب أن يذكر كوريل حسني العرابي بصفته الحزبية السابقة ولم يذكره بالاسم مع أنه معروف لديه اسما بحكم هذه الصفة. ومعروفا لديه بحكم المعايشة ٦ أو ٧ أسابيع وكان بينهما أحاديث طويلة. المصدر السابق. ولماذا لم يعاتف منه الإجابة على تساؤلاته.

(٩) التساؤل لهنري كوريل(؟!) الدراية الشيوعية لاعلاقة لها بإنفصاله الذي هو لأسباب داخليه تخص شخصيته وتكوينه. ومرافق للرفاق منه.

(١٠) والاستنتاج أيضا لهنري كوريل. حسني العرابي بعد قضاء مدة العقوبة قضية ١٩٢٤. هجر العمل الحزبي الشيوعي وتحول إلى النازية بإرادته والتساؤل والنتيجة التي رتبها كوريل غير مفهومة(؟!).

(١١) من ميناء الاسكندرية يوم الأحد ١٦/٥/١٩٧٦ ركبت فمقتبة الركاب الروسية باشكرا. التابعة للخط الملاحي المصري «شركة آمون أسكندرية/ أوديسا. قاصداً زيارة أخرى للتقيم بمرسكو الصحفي مجلة الفيلم السوفيتي. وأثناء أقامتي هناك. أخذتني لزيارة العمه زينه. شقيقة والدته الروسية لتحكي بعض ما تذكره والدنا وزملائه، وأسجل هنا رأيها في عبد الرحمن فضل حيث قالت حرفيا. وهذا مترجمه عنها أخي «عبد الرحمن فضل شخص سئ يغازل الفتيات لعبى، عكس والدنا فقد كان جاداً وذو موهبه..

شهادة
سعيد أبوطالب



رحلة لم تكتمل

الاسم: سعيد أبوطالب[1]

تاريخ الميلاد: ٢٤/٨/١٩٣٧ الإسكندرية.

المؤهل: ابتدائية قديمة سنة ١٩٥١.

فترة السجن والاعتقال: حكم بالسجن سنتين عام ٥٤، واعتقال من ٥٩ إلى ٦٤

البداية..

مات والدي وهو في الثانية والأربعين مريضاً بداء السل، كان يعمل في البوليس السري، قالت لنا والدتنا إنه مات من الفقر والقهر لعدم تمكنه من سد أقل احتياجاتنا، كنا خمسة أشقاء وشقيقات وأمنا، وقد صرفت الداخلية لنا أربعة جنيهات ونصف مكافأة عن مدة خدمة والدنا، كان علينا أن نعيش بهذه القروش وبعد أن تنتهي نموت. تولى أخي الأكبر وكان في الثالثة عشر من العمر مسئولية سد رمقنا، عمل صبياً بورش زخارى، وتدرج إلى أن تمكن من الالتحاق بمعسكر الجيش الإنجليزى بأبى قير، ثم عمل بشركة النحاس بحجر النواتية، كنت وقت وفاة والدى في الخامسة من العمر. دلوعة وشقى جداً - كل أطفال الحارة يشتكون منى، وبصعوبة بالغة ذهبت إلى مدرسة حجر النواتية الأولية، كنت طايح وعاوز ألعب - متمرداً على كل شئ، ولا أذكر كيف أنهيت دراستى الأولية التى كانت مدتها أربع سنوات، ولا السنوات الثلاث التى

(١) أجرى الحوار فريد جورج فريد مارس ٢٠٠٢.

قضيتها بمدرسة الرمل الابتدائية. والغريب أننى حصلت على الشهادة الابتدائية عام ٥١. كانت فترة مضطربة فى حياتى لا أذكر تحديداً كيف عشتها ولا كيف مرت، كل ما أذكره حالة الحرمان التى كنت أحياها يوميا. تخلل هذه الفترة التحاق أخى الكبير بجماعة الإخوان المسلمين وكنت أذهب إلى شعبة باكوس ألعب هناك وأراقب اجتماعاتهم وأسمع شعاراتهم التى يغلب عليها طابع التدين ليؤثروا بها على الشباب، واعتقل أخى بمعسكر أبى قير لعدة شهور، قابل هناك أناساً جديدين وتعرف على أفكار جديدة، بعد الإفراج عنه بدأت ألحظ تردد وجوه مختلفة عندنا بالبيت، وكنت أسترق السمع من وراء الباب، كانت تتردد على ألسنة المجتمعين عبارات الشيوعية والاشتراكية والثورة، وكنت فى نفسى أشعر بالغبطة والسعادة لأن أخى يقوم بمغامرة ويتحرك بحذر، حتى طريقته فى التصرف معنا اختلفت إلى مزيد من الحب والحنان، ثم بدأت أحس بتقربه منى وتوجيهى للعناية بالدرس ومساعدتى بالشرح.

الانضمام للحركة الشيوعية:

وكان ذلك أوائل ٥٤ وكنت لم أكمل بعد السابعة عشر، وكان أخى معتقلا بسجن أسيوط، وقد تركت دراستى الثانوية والتحقت بالعمل فى شركة سباهى للغزل كاتب إنتاج بيومية سبعة عشر قرشا، ولا أذكر السبب الذى حفزنى لمناقشة العمال بضرورة وأهمية عمل نقابة للدفاع عن مصالحهم وتحسين أحوالهم. ولم تمض أيام إلا وطلبتنى إدارة الشركة وصفّت حسابى، سعدت جداً لإحساسى بأنه قد تم فصلى بسبب حديثى مع العمال.

وبينما كنت أتجول فى الدنيا حائراً، تقابلت. لا أعرف إن كان ذلك مقصوداً أم مصادفة. بشخصية كثيراً ما كنت أراها مجتمعة مع أخى فى منزلنا، كنت أعرفه باسم رشدى وقد سألنى عن أحوالنا وكيف نعيش، ولما هم بالانصراف طلبت منه أن أراه مرة ثانية فابتسم وحدد لى موعداً، وتقابلنا وسألته عن معنى كلمة اشتراكية، تكلم كثيراً، لكن كل ما فهمته منه، القضاء على الفقر وعدالة توزيع الدخل، أما باقى الكلام فقد كان ثقيلا على فهمى، بعد عدة لقاءات ودردشات أحضر معه كتيبات صغيرة ونشرات وطلب منى قراءتها وإخفاءها، وهنا بدأت سعادتى، فما دامت هناك أسرار إذن توجد مخاطر وهذه هى قمة المغامرة. كنت ألبس «شورت»، وأضع المنشورات

وسط كتب مدرسية وأتسكع فى الشوارع والحوارى وألقى بها حينما يخلو الطريق، قرأت عن عصابة الفاشية والحرب وضرورة التخلص منها، وعن عملاء الرجعية والاستعمار وعن الثورة وحتمية التغيير، وعن أحداث كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى شهيدى الطبقة العاملة المصرية، وبدأت أندمج وتستهوينى الفكرة فقمت بتجنيد صاحب لى كان يلعب معى وقمنا بتوزيع المنشورات سويا، وفى أحد أيام عام ٥٤ قبض علينا فى منطقة سان استيفانو ومعنا منشورات كنا نوزعها، وكانت هذه بداية احتكاكى بالبوليس السياسى والصاغ سعد عقل الذى قام بتفتيش منزلى وعثر فى الدولاب بين الملابس على جريدة راية الشعب وكتيبات أخرى، وقام سعد عقل بالاعتداء علىّ بالضرب حتى أدله على من أعطانى المنشورات لكن دون جدوى، كان مرقفى صلباً بعكس صاحبى عبد الفتاح الذى كان يصغرنى بعام فقد اعترف بأننى الذى أحضرت له المنشورات، وفى النيابة أنكرت صلتى بأى شئ فاستشهد البوليس السياسى بوجود أخى فى معتقل أسيوط بنفس التهمة.

كنت أحس بفخر والحديد فى يدى ومعى حرس مكون من ضابط واثنين من العساكر وصول وسيارة لورى خاصة بى وحدى، فى حركة دائبة بين مديرية أمن الإسكندرية ونيابة المنشية التى أمرت بإيداعى سجن الحضرة، وقد فوجئ الزملاء بدخولى عليهم العنبر بشورت ومعى شاب آخر يترنح فى فزع، كان السؤال عن اسم التنظيم الذى نتبعه أو اسم جريدته، فقلت راية الشعب وهكذا تلقفتنا أيدى الزملاء، كان فاروق بلبول المسئول السياسى للحزب فى السجن والذى سألنا عن كيفية القبض علينا وعما قلناه فى التحقيق، وبعد فترة وجيزة اتضح للزملاء أننا ناصعو البياض فكريا.

وفى السجن قرأت كثيراً وتعلمت من خلال محاضرات الرفاق عن ماهية الاشتراكية والثورة البروليتارية وعن دور الحزب لإنجاز هذه الثورة، ثم كان الحكم علىّ بالسجن سنتين رحلت بعدها إلى سجن القناطر، وتعرفت على رفاق آخرين تعلمت منهم الكثير وبدأت الأمور تصبح أكثر وضوحاً.

تم الإفراج على قبل العدوان الثلاثى على مصر بأيام قليلة، وكانت تعليمات الحزب أن ندافع عن أرض الوطن ونعبئ الجماهير وننظمها فى فرق دفاع شعبى، وفى منطقة الرمل بالظاهرية قمنا بعمل مؤتمرات شعبية كان يحضرها عاطف نصار المسئول من

الدولة عن المقاومة الشعبية وكانت صلتنا به شبه يومية، كان الاستعداد للدفاع عن مدينة الإسكندرية يشرف اليسار المصرى بحق، وللأسف لم تحافظ على صلتنا بالجماهير التى بدأت تعرفنا من خلال معركتنا الباسلة ضد المستعمرين، إذ فور انتهاء العدوان انتهت صلتنا بالشارع المناضل.

كلفنى التنظيم بتوطيد صلتى بالفنان هجرس النحات، وقد علمنى كيف أساعده فى صب اللوحات ودهانها، كان يأمل أن أتعلم منه فن النحت، لكن هدفى انصب على تشجيعه لعمل معرض كبير لمنتجاته، وتفرغت له تماما وكنت أجرى معه مناقشات سياسية أحافظ بها على اتجاهه، وقد فهم دورى جيداً وكان سعيداً لاهتمامنا به.

تطور دورى فى التنظيم حينما كلفت بالاتصال برفيق فى القاهرة هو سعد زهران ذهبت له فى منزله بباب الخلق وهناك عرفنى على شخص كان معه وفاجأنى بالقول إنه الرفيق خالد، وكانت دهشتى كبيرة وسعادتى بأن أحظى بمقابلة سكرتير عام الحزب أكبر، رحب بى الرفيق خالد وأخطرنى بأنه قد وقع على الاختيار للعمل فى للجهاز الفنى للحزب مع الرفيق نجيب سدراك الذى كان هاربا من حكم بالسجن عشر سنوات، ورفيق آخر لا أذكر اسمه، وتوجهت إلى المعادى لمقابلة نجيب، وكان علىّ أن أتأكد تماما أننى غير مراقب وكنت لا أزال «شقي عفريت» من السهل أن أنظف طريقى من أى متتبع لى، وقابلت نجيب وكان علىّ أن أعيش نفس ظروفه هاربا من حكم سجنه، واستأجرت فيلا بمنطقة الزيتون، وقمت بنقل المطبعة على مراحل، وتسلمت من فرنسيس لبيب حروف الطباعة من منزله بشبرا، وبعد فترة صف الحروف، وبدأنا طباعة صفحة جورنال كبيرة لأول مرة تحت إشراف نجيب الفنى، وقد سميت بعد ذلك بالمطبعة الجانبية، وكان مسئول الاتصال من تنظيم حدتو، ولم أصحبه إلى مكان المطبعة رغم إلحاحه، كنت أسلمه المطبوعات فى أماكن متطرفة، فقد كانت الثقة برفاق تنظيمنا فقط، حيث إن الوحدة لم تتم بشكل طبيعى صحيح، كانت وحدة شكلية بين القيادات، وليست نتاج صراع فكرى يصفى الخلافات السياسية ويقرب وجهات النظر بين القواعد وبعضها والتى دامت لعشرات السنين، امتلأت فيها النفوس بالكراهية والاتهامات المتبادلة بالخيانة والبوليسية، وظهرت الحلقية أكثر داخل المعتقل حيث الزنازين مقسمة يسكنها رفاق كل تنظيم على حدة. لقد ولدت الوحدة

بعوامل فشل مؤكدة، وانتهت بحل الحزب والاندماج داخل الاتحاد الاشتراكى تحت قيادة عبد الناصر الذى صفى اليسار المصرى لحساب الإمبريالية العالمية وكان مسئولاً عن الجرائم البشعة التى ارتكبت ضدنا.

يناير ٥٩ والرحلة إلى أبوزعبل:

كنت أتعجب وأنا أستمع إلى بعض الرفاق يحكون عن أنهم حينما تعلن الأحكام العرفية يقومون بتجهيز شنطة بها فوطة وبيجاما وفرشة أسنان وينتظرون وصول المباحث العامة لاقتيادهم إلى المعتقل وكأنها رحلة سياحية معتادة، ولما جاءت ضربة يناير ٥٩، قمت بوضع بعض الاحتياجات فى شنطة وتركت المنزل متوجهاً إلى المجهول، وفى سوق باكوس المزدحم بالبشر وضع واحد أفندى يده فى يدى قائلا «بينا يا سعيد، سعد بك عاوزك» وبسرعة البرق كانت قبضة يدى اليسرى - لأننى أشول - تأخذ طريقها إلى ذقنه فوقع أرضاً، فقذفته بالشنطة وجريت وسط الناس، ثم إلى الحوارى والأزقة المتعرجة - التى لعبت فيها زمان وعارفها كويس - وسرعان ما اختفيت عند أسرة صديقة أقمت عندها عدة أيام، وعن طريق الفنان هجرس قابلت الزميل سعد حماد المحامى الذى حكى لى أن الحملة الناصرية شملت غالبية الرفاق تقريبا، وأن علىّ أن أختفى هذه الأيام وأن أكون حريصا، وبعد أيام اتصل بى سعد حماد وحدد لى موعداً بالقاهرة لمقابلة رؤوف زكى فى بوفيه محطة باب الحديد، وفرحت أن عادت صلتى ببواقى التنظيم، وللأسف حينما تمت المقابلة أبلغنى أن أرجع إلى الإسكندرية وسوف يتصل بى بمعرفته، ولم أسمع عنه شيئا بعد ذلك ولا أعرف حتى الآن لماذا طلب أن يرانى؟!

مضت الأيام ثقيلة رتيبة يتخللها أحيانا كتابة بعض المقالات باليد وعمل نسخ منها بالكربون، كان سعد حماد يحضر لى رؤوس المواضيع وبعض أخبار الزملاء ومايتعرضون له من تعذيب وحشي بالمعتقلات، وكان يمدنى بعناوين بعض الشخصيات لأرسل لهم بالبريد ما أكتب، وكان مجرد الإحساس بأننى أفعل شيئاً أى شئ يريح نفسى قليلا.

كانت ظروفى المالية سيئة جداً، والأسرة التى أعيش بينها فقيرة، لذا اضطررت إلى الذهاب عند زميل كان يتعاطف معنا وطلبت منه بعض النقود ولما هم بإعطائها

لى، وكان ذلك فى محل ملكه بسوق باكوس، أحاط بى عدد من مباحث أمن الدولة لأجد نفسى فى قبضة سعد عقل ثانية الذى تركنى مع الأفندى الذى سبق أن ضربته فى سوق باكوس وجريت، ونلت علقة ساخنة، وفى اليوم التالى كنت فى طريقى إلى مباحث أمن الدولة بالقاهرة ومن هناك تحرك بى لورى كبير مع الحرس لمعتاد إلى معتقل، علمت بعد ذلك أنه سجن أبوزعبل الذى وصلت إليه بعد منتصف الليل بقليل.

كان الليل كئيباً، وشكل الحرس والضابط الذى استقبلنى غير مريح، لكننى كنت هادئا ومطمئنا إلى أننى سوف أستريح بعد هذه الرحلة المتعبة وسوف أقابل الزملاء وأطمئن عليهم. اصطحبنى ضابط السجن داخل مكتبه وطلب منى الجلوس وعرض علىّ كوب شاى ساخن، شكرته وقلت له أنا عايز أنام، أجرى اتصالا تليفونيا وكان يتكلم بصوت منخفض ويرمقنى بين الحين والآخر، أنهى المكالمة وسألنى، إنت شيوعى؟ قلت نعم، قال هيا يا أستاذ تقابل زمايلك ولو أنك ستوقظهم من النوم. فتجهت مع السجان إلى الباب الكبير الذى أحدث صليلا مرتفعا هز سكون الليل، وفى داخل الحوش طلب منى الضابط أن أخلع ملابس وألبس ملابس السجن، رفضت قائلا إننى معتقل ومن حقى أن ألبس ملابس ملكية، رجانى أن أنهى هذ الموضوع لأنه هو الآخر تعبان يريد أن ينام وعندما أقابل زملائى سأجد أن عنده حق، اقتنعت وعلى مضض خلعت ملابسى، وعند الملابس الداخلية توقفت، قال لى «ياسيدى، هيه جت على دى اخلعها هى الأخرى، أصبحت عاريا تماما، وفجأة انشقت الأرض عن ستة سجانة ليلتهب جسدى بالخيزران وجريد النخل والشوم دون توقف، ألقيت بنفسى متعلقا برقبة الضابط وممزقا له إشارة رتبته وأمسكت عن يده الشومة التى كادت أن تنزل على رأسى وصحت.. «ياولاد الكلب يا سفلة، ده أنا حوديكم فى داهية ده إنت حتة ضابط معفن..» حدث ذلك على مسمع كل المعتقل، وجن جنون السجانة ولم أعد أشعر بعد ذلك بشئ، أفقت من إغمائى فوجدت نفسى ملقى فى زنزانة انفرادية لايوجد بها شئ، والفجر يتلمس طريقه فتحت الزنزانة وانهالوا علىّ بالضرب من جديد مع أقذر الشتائم وأقبحها، وكنت غير قادر على المقاومة وأغمى علىّ من جديد وفى الصباح أفقت على صوت عال ودبيب يهز الأرض.. شمال يمين، شمال يمين، شمال يمين.. دون توقف، تحاملت على نفسى واتجهت إلى الباب ونظرت من فتحة الباب،

كانت طوابير هائلة من البشر تجرى فى الحوش الكبير، والشوم والعصى والشتائم تنهال عليهم، كانوا بملابس السجن البيضاء والوجوه غير واضحة، وانفتحت زنزانتى وأمرونى بالخروج والدخول فى الطوابير والجرى معهم، خرجت لكننى رفضت الجرى وجلست على الأرض والعصى تنهال علىّ، ومن داخل الطوابير جاءتنى أصوات تحثنى على الوقوف والجرى، وأخرى تشجعنى قائلة شد حيلك يا بطل.. وبدأت أعرف أنهم الرفاق فى طابور العذاب، وازددت إصراراً على عدم إطاعة أوامر السجانة، وسرعان ما حملونى وألقوا بى داخل الزنزانة. علمت بعد ذلك أن الضابط الذى استقبلنى هو السفاح يونس مرعى.

بعد ساعات صعد الرفيق عبدالمحسن الأعصر إلى شباك زنزانتى وطلب منى التوقف عن استفزاز ضباط المعتقل حتى لايقتلونى. قلت له بصعوبة أريد أن أرى الرفيق خالد، بعد قليل شاهدت وجها شاحباً وتعرفت بصعوبة على الدكتور فؤاد مرسى الذى قال لى شد حيلك وحاول ألا تستفز أحداً لأن الموقف هنا سيئ جداً وهناك مؤامرة لقتلنا جميعا.

واستمر طابور التعذيب يوميا، وكان بعد أن يتوقف، يهز المعتقل ثلاث مرات هتاف بحياة الرئيس جمال عبد الناصر، لقد كان هذا أسوأ موقف للرفاق فى سجن أبوزعبل، ضرب وتعذيب يومي مستمر، ثم هتاف بحياة من أمر بهذه المجزرة البشعة.

ثانى يوم لى بالأوردى دخل زنزانتى ضابط «بغل» علمت بعد ذلك أنه المجرم عبد اللطيف رشدى، وبصوت جهورى فيه «صياعة» سألنى إنت شيوعى يا ولد، قلت له أنا سابق وكان محكوما علىّ فى قضية شيوعية، قال يا ابن الكلب، وانهال علىّ ومن معه بالضرب، طالبا منى أن أشتم الشيوعية والزملاء. لم يتلق منى إجابة، ثم أنهى الضرب بسرعة وانصرف ولم يتعرض لى ثانية.

قضيت بالحبس الانفرادى خمسة عشر يوما، دون برش أو بطانية، فقط مجرد جردل للتبول وآخر للشرب وامتنعت خلال هذه الفترة عن الأكل تماما، وعلم الزملاء من أحد السجانة بذلك، ومن جديد حضر إلى شباك زنزانتى الرفيق عبدالمحسن

الأصفر وطلب منى تناول الغذاء، وقد تم ضبطه ونلت أنا وهو علقة إضافية على ذلك.

بعد ذلك دخلت عنبر ٢ واستقبلنى الزملاء بحفاوة بالغة، ولما قلت لهم لماذا السكوت على هذه المهانة؟ سخر منى البعض قائلين «.. يا ابنى إنت لسة جاى إمبارح ومش عارف حاجة».. وحتى الآن لا أعرف معنى هذه الجملة.

وبدأت أجرى مع طابور عنبر ٢ وكنت وسط من يهتفون بحياة عبد الناصر، وكان أن تحركت مع الركب إلى الجبل حيث الأشغال الشاقة بتكسير الحجارة، كنا نسير حفاة الأقدام على حصى صغير مدبب وأرض مرشوشة بالمازوت الملتهب من حرارة الشمس، وأول يوم لى بالجبل نلت أكثر من عشرين شومة على رجلى احتفاء بقدومى، عشت سيناريو يوميا عبارة عن ضرب وتعذيب وأشغال شاقة بالجبل، وغذاء عبارة عن شئ مطبوخ داخله كمية من الذباب ومرشوش بالتراب لتحسين مذاقه.

ويوم استشهاد الرفيق شهدى عطية كان فداء لنا، توقف الضرب والتعذيب وتقرر تصفية المعتقل وترحيلنا إلى الواحات.

عشت فى معتقل الواحات حياة كلها حيوية وانطلاق، قراءة ومحاضرات وشطرنج وكرة سلة، وكما يقال.. «الطيور على أشكالها تقع».. تعرفت على الرفيق إبراهيم أبو حديدة واكتشفنا إمكانيات بعضنا، كان شقيا وشجاعاً وسريع البديهة، كنا نسطو سويا على مخازن المعتقل، نستولى على الزيت والسكر والتوابل والبصل والثوم، ونسلم هذه المواد لرفاق الحياة العامة لاستخدامها فى تحسين أكل المعتقل (اليمك) وكنا نحصل على مكافأة، بضع سجائر زيادة، وجندنا عسكرى البروجى كوسيلة اتصال بالأهالى يسلمهم خطابات الزملاء ويحضر منهم ما نطلبه من نقود وأجهزة راديو ترانزستور وأقلام وأوراق وأى شئ نحتاجه، وكان يضع ما يحضره فى كيس ويدفنه فى مكان متفق عليه بالمزرعة، أقوم أنا وإبراهيم بإحضار هذه الممنوعات، نتحزم بها وندخل المعتقل وسط الزملاء أثناء عودتنا من المزرعة.

كنت فى أول دفعة أعلنت الإضراب عن الطعام من أجل الإفراج عنا، وتوالت الدفعات المشاركة، وقد استمر الإضراب سبعة عشر يوما، ونقلت لمستشفى الواحة إثر هبوط حاد فى الدورة الدموية، ونقل معى عدد من الرفاق أذكر منهم الرفيق رؤوف

نظمى الذى ساءت حالته بدرجة كبيرة، وقد رفضنا العدول عن الإضراب أو تناول أى محاليل لإنقاذنا، وثانى يوم لنا فى المستشفى، وكان اليوم السابع عشر، حضر إلينا رفيق مسئول وأخطرنا بانتهاء الإضراب، وقد رفضت مغادرة المستشفى إلا بعد تحسن حالة الرفيق رؤوف، الذى كانت تنتابه تقلصات حادة عنيفة فى يديه ورجليه وإغماءات متواصلة.

جاء الإضراب هذه المدة الطويلة لمجرد تسجيل موقف، ولم يحقق أى مكسب، كانت قيادة الحزب تتخبط فى قراراتها غير مدروسة، ولا تختار لها الوقت المناسب لتحقيق مكاسب مؤكدة، حتى الموقف السياسى لقادة الحزب كان فى تحليلاته لطبيعة النظام الحاكم يتأرجح من احتكار وشبه احتكار، إلى برجوازية من نوع جديد، أو الطبيعة المزدوجة للبرجوازية الوطنية، أو نظام يحقق بعض الإصلاحات ذات الصبغة الاشتراكية، وبإحساس عال وفهم للحالة المتردية التى وصل إليها المعتقل، قام الرفاق، رؤوف نظمى، شكرى عازر، ثروت إلياس، بالإعلان عن قيام تنظيم الأفق الذى انضم إليه عدد كبير من الرفاق، وذلك لتنشيط الحركة السياسية والنظرية للزملاء، فكانت الجريدة اليومية الناطقة التى تقدم الأخبار والتحليلات السياسية، علاوة على الدراسات النظرية المبسطة، وعرض للأفكار المختلف عليها والانطلاق بها فى أروقة العنابر وحوش المعتقل لعمل مناقشات جادة حولها.

كان الأفق شكلاً من أشكال الانقسام الواعى، متمسكا بعضوية الحزب، محافظا على تماسك الرفاق، ومقويا لمعنوياتهم على استمرار احتمالهم لطول سنوات الاعتقال.

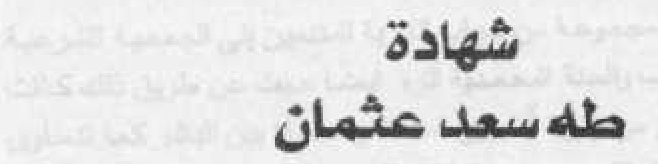
لم تستطع سنوات السجن وتشديد عبد الناصر على استمرار تعذيبنا أن تنال منا، أغلبنا ينتظر الإفراج ليواصل النضال ويستكمل المسيرة. لم نكن نتصور أن هناك اتصالات تجرى فى الخفاء، وأن القيادة قررت التسليم للدكتاتورية، والاتفاق على حل كافة التنظيمات الشيوعية، مقابل بعض المناصب الوظيفية الكبرى، والانخراط أفرادا فى الاتحاد الاشتراكى يخدمون فى حزب النظام الذى قتل العديد من أبطالنا وعذب آلاف الشرفاء. وهكذا أفرج عنا عام ٦٤، وبعد لحظات من الزمن جاءت العناوين الرئيسية لجرائد حكومة الدكتاتورية، تزف البشرى لأسيادها الخواجات بأن سياسة التصفية قد نجحت، وأن التنظيمات الشيوعية قد أعلنت تنكيس أعلامها والتحقت بحزب الدولة.

خيانة كانت ضمن المخطط الإمبريالى للقضاء حتى على كلمة «اشتراكية» فى العالم، وحصار الدولة السوفيتية وتدبير المؤامرات ضدها، وإثارة الحروب والسباق على إنتاج وتطوير أسلحة الدمار، لزعزعة قدرات النظام الوليد. لكن الرفيق ستالين أقام صرحا قويا ودولة عظمى وقفت تحمى الشعوب من تسلط قوى الإمبريالية، وقدمت المساعدات الضخمة لدول العالم الثالث على حساب قوت الشعب السوفيتي، وبعد وفاته قامت مجموعة من المنحرفين بمهاجمة السياسة الاقتصادية للرفيق ستالين واتهمته بالدكتاتورية وأدانت فترة حكمة، وكان أن بدأت ثقة الشعب السوفيتي فى كل شئ تهتز إلى أن جاء جورباتشوف ليجد أرضاً خصبة لأفكاره، وليعلن فشل النظرية الاشتراكية. واليوم يحصد حتى من أيدوا وهللوا وفرحوا لانهيار الاتحاد السوفيتى الذل والمهانة والعار، على يد البلطجة الأمريكية وأتباعها والتى انفردت بحكم العالم واستولت على ثرواته، نتيجة خيانة فادحة غيرت وجه العالم، وهزت تاريخ الأمم والشعوب.

لكن سيظل الأمل فى يد الأجيال القادمة القادرة على تغيير كل هذا، والتى حتما ستحمل الراية وتجدد التاريخ ويتواصل النضال.

ولابد أن أذكر المناضلين العزيزين رؤف نظمى (محجوب عمر) وعبد اللطيف هنداوى اللذين أدين لهم بالكثير فى مراحل نضالى كلها.

شهادة
طه سعد عثمان



النشأة الدينية :

كان لنشأتى فى أسرة فقيرة معدمة، وفى بيئة مسلمة متدينة، أثر كبير فى تكوين شخصيتى وفكرى، وقد ساعد تفوقى فى اللغة العربية الفصحى الذى يرجع الفضل الأول فيه إلى عمى المرحوم الحاج طه عثمان مصطفى، حيث اعتنى بتعميق حبى للغة العربية حتى حصلت فيها على جائزة المغفور له على مبارك باشا فى امتحان الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٨ من الجمعية الخيرية الإسلامية حيث كنت بمدرسة أسيوط الابتدائية، وكانت الجائزة سهماً من أسهم بنك مصر، وكان لذلك أثره أيضاً فى شغفى بالقراءة وخاصة فى سير العظماء من المسلمين الأوائل من أمثال أبى ذر الغفارى وعمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم ممن كانت سيرهم تحمل معنى العدل والانحياز للفقراء.

كما كان ارتباطى بمجموعة من شباب القرية المنتمين إلى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية أثره أيضا حيث عن طريق ذلك كانت دراستى للدين الإسلامى من زاوية أنه دين العدالة والمساواة بين البشر كما تتساوى أسنان المشط، والدين الإسلامى هو دين التكافل الاجتماعى، فليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع، وغير ذلك كثير مما أوجد فينا الأمل، ليس بالتمتع بنعيم الآخرة فقط، بل وأيضا فى التمتع بطيبات الدنيا (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا، خالصة لهم يوم القيامة).

وكانت فطرة الحقد الطبقى مركزة فى نفسى وفى أعماق شعورى من الأغنياء من المسلمين العاطلين أو شبه العاطلين، الذين يتمرغون فى نعيم الدنيا، فهم يملكون

الأراضى والأبعديات والحدائق الواسعة، وهم يسكنون السرايات والقصور ويأخذون ثمار كل ما ينتجه الفلاح من الأرض ولا يتركون له إلا شظف العيش بدون أن يعملوا شيئا، والأغنياء أيضا هم المتعلمون الذين تمكنت أسرهم من دفع مصاريف المدارس الثانوية التى تصرف لكل طالب فيها وجبة غذاء يومية فيها الطبيخ واللحم والأرز والفاكهة، وهم الذين يفطرون في بيوتهم بالبيض والسمن، ويتعشون بالفراخ والجبن الذى تنتجه عائلاتنا ويحرم أبناؤها منه لبيعه للأغنياء لشراء الحد الأدنى من ضروريات المعيشة، وللصرف منه على تعليم بعض الأبناء فى المدارس المجانية وخاصة مدرسة المعلمين الأولية والمدرسة الصناعية، أما النسبة الضئيلة المخصصة للمجانية فكان الأغنياء يحصلون عليها أيضا بالوساطات والمحسوبيات واستغلال السلطة والنفوذ، وكان رفض دخولى مدرسة بنى سويف الثانوية فى ١٩٢٩ رغم أن شروط المجانية تنطبق علىّ لتفوقى وصغر سنى، كان ذلك مما زاد حقدى على الأغنياء، إذ اضطررت إلى دخول المدرسة الصناعية لأن الدراسة فيها بالمجان، أما مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة والتى كانت مصروفاتها السنوية اثنى عشر جنيها، فلم أدخلها بالمجان إلا بتوسط قريب لى هو المرحوم كمال الدين ظافر ابن خال والدى الذى كان سكرتيرا لمدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة، وفوق ذلك فإننى كنت أول القطر فى تخصص صناعة النسيج وكان من المقرر أن يدخل الأول والثانى من التخصص بالمجان، وكان أن تدخل عمى كمال الدين لإفشال مؤامرة إبعادى عن المدرسة ليدخل أحد أبناء الأغنياء الذى كان أبوه من كبار موظفى السراى الملكية.

كانت مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة هي المدرسة الوحيدة فى التخصص العالى للنسيج في القطر كله، وكان سكنى بالدقى لى شارع داير الناحية فى الحى الفقير القديم، وفى نفس الوقت كانت معايشتى لأولاد الأغنياء من طلبة المدرسة الذين كانوا يحضرون إليها بسياراتهم الخاصة، والذين كانوا يرفضون تناول طعام الغداء فى المدرسة استكباراً، بينما كان الفقراء من أمثالى يفرحون بالحصول على نصيبهم مما يتركه أولاد الأغنياء، إذ كانت وجبة الغداء هى قوام غذائنا الأساسي، ففيها الخضار المطهو والفراخ أو اللحم أو السمك مع الأرز والفاكهة يوميا، أما وجبتى الإفطار والعشاء فكنا لا نتناول فيها إلا البتاو الذى ترسله لنا أسرنا من البلد، والغموس كان الفول المدمس والكشك والجبن الخالى من الدسم.

وعندما ارتبطت بالإخوان المسلمين وأنا طالب وتشربت ما كان فى دعوتها من نواح اجتماعية، وتكافل بين المسلمين وحق للفقراء على الأغنياء، كل ذلك بالإضافة إلى نشأتى الدينية الفقيرة، مما جعلنى أنحاز بعنف إلى الفقراء قبل أن أعرف شيئا عن الصراع الطبقى ولا عن المداول العلمى للاستغلال وفائض القيمة.

بداية الوعى الطبقى:

بعد تخرجى ودخولى فى الحياة العملية واشتغالى فى مصنع النسيج الميكانيكى المملوك لعلى إسلام باشا فى بنى سويف، ثم بعد ذلك فى مصانع النسيج الميكانيكى بشبرا الخيمة، ارتبطت بالحركة النقابية وانتخبت فى ١٩٣٨ رئيساً للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها والتى كان مقرها فى دار حزب العمال المصرى بزعامة النبيل عباس حليم. ثم انتقلت إلى شارع خمارويه بشبرا مصر عندما استقلت عن نفوذ جميع الشخصيات والأحزاب السياسية ثم إلى شبرا الخيمة إلى أن حلتها الحكومة فى ٣٠/ ٤/ ١٩٤٥. وانغمست فى الكفاح النقابى من أجل مطالب العمال رغم أننى كنت أعمل مشرفا فنيا (كونتر متر) فى مصنع نسيج الأقمشة الحديثة لصاحبه هنرى بيار وشركاه، وكان عملى مساعدا لأحد المهندسين الفرنسيين حيث كانت غالبية أصحاب مصانع النسيج الميكانيكى فى تلك الفترة من الخواجات، وقليل منهم كانوا من المتمصرين، بينما الغالبية الساحقة من المهندسين والفنيين كانوا من الخواجات رجالا ونساء.

وبدأت أفكر فى مطالب العمال التى يخوضون المعارك من أجلها، وانتى كانت غالبا المطالبة بزيادة مليم أو مليمين فى أجر تشغيل المتر من القماش، واتجهت إلى استخدام ما حصلت عليه من علم من دراسة مقايسات النسيج لمعرفة التكلفة الفعلية للمنتج، وهالنى قلة نصيب العامل من عائد الإنتاج، وأدركت مدى الظلم الواقع على العمال والذى لا يقل بشاعة عن استغلال مالك الأرض للفلاح، وقد توصلت لذلك قبل أن أدرس التعبير العلمى لفائض القيمة، كما أدركت أن الفائض يذهب إلى جيوب الخواجات، وأن الحكومة المصرية تساعد هؤلاء الخواجات على استغلال المصريين.

كانت القضية الوطنية مشتعلة ضد الاستعمار البريطانى الذى كان مرأى جنوده وهم يجوبون شوارع القاهرة مستفزا للشعور الوطنى، وكان قد سبق أن اشتركت مع زملائى طلبة الفنون التطبيقية وطلبة الجامعة فى مظاهرات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ وقد أتاح لى عملى فى النسيج نساجاً على نول ومساعدا وميكانيكيا أقوم بإصلاح الأعطال الميكانيكية فى الأنوال والأجهزة ثم رئيس مصنع يطلع على بعض خفايا التشغيل، أتاح لى ذلك معرفه أكثر لما يتعرض له العمال من إرهاق وقلة ما يحصلون عليه من أجور، بينما يحصل الرأسماليون على أكثر من عشرة أضعاف ما يحصل عليه جميع عمال المصنع، وفى الوقت الذى يتمتع فيه الرأسماليون بمستوى المعيشة البذخ وركوب السيارات الفارهة، كان العمال يسيرون على أقدامهم مسافة تزيد على خمسة كيلو مترات يوميا ذهابا وعودة من شبرا المظلات حيث كانت آخر مواصلات القاهرة فى ترام رقم ٨ إلى مصانع شبرا الخيمة وبهتيم، وغير ذلك كثير فى الصحة والمسكن والملبس وغيره، مما جعلنى أحس بمدى الاستغلال الواقع على العمال وبصورة أقسى مما كان يقع على الفلاحين من ملاك الأرض، ولمست فى نفس الوقت ما يمكن تحقيقه للعمال من مكاسب إذا ما تضامنوا وآمنوا بحقوقهم وكافحوا للحصول عليها مع الثقة فى النجاح والاستعداد للتضحية.

وفى هذه الفترة بدأت أحضر نقاشات بين قدامى النقابيين من المهن الأخرى عن الطبقة العاملة وحقوقها ودورها فى المجتمع ومستقبلها فى تطوره، واشتركت فى حلقات نقاش كان يقودها شيخ النقابيين المرحوم محمد يوسف أحمد النجار وشهرته محمد يوسف المدرك، عن تطور المجتمعات الشيوعية من البدائية إلى العبودية إلى الإقطاع، إلى الرأسمالية، وكان المدرك يفيض فى الحديث عن ثورات الفقراء وثورة العبيد والثورة الفرنسية، وعندما وصل فى النقاش إلى الثورة البلشفية والتى خصصت لها جلسة خاصة، ظللت طول الجلسة صامتا لم أفتح فمى لا بسؤال ولا بنقاش، وخرجت مشتت الفكر عازما على عدم الاشتراك فى هذه المجموعة فى أية جلسة أخرى، رغم حبى وثقتى الكبيرة فى الغالبية العظمى من الحاضرين وتقديرى لكفاحهم وتضحياتهم، بعد أن سمعت الكثير عما قدموه من تضحيات وما تعرضوا له من متاعب فى طريق العمل على تقدم الحركة العمالية والنقابية.

كنت قد سمعت عن الشيوعية والشيوعيين كلاما كثيرا، وارتسمت على أساسه في ذهني صورة للشيوعي على أنه إنسان همجي بدائي لا يحلق شعره ولاذقنه، ويكتفي من اللباس بما يستر عورته وبعضهم لايسترها، وأن الشيوعي لا يعرف قانونا ولا نظاما ولا تقاليد، ولا يعرف أسرة ولا زوجة ولا أولادا، فالكل أبناء الدولة، والأخطر من ذلك أنهم أشد أعداء الإسلام والمسلمين، لأنهم أشد عداء من الكفرة واليهود والوثنيين لأنهم ملحدون لا يعترفون بوجود إله ولهذا فهم يحاربون جميع الأديان وجميع الأنبياء، وأنهم صورة من يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، وقد تركز ذلك في ذهني مما سمعته من فقهاء المسلمين ومشايخهم وأيضا مما كان يردده بثقة في صحته كثير من المتدينين من بسطاء الناس وحتى الأميين منهم، وكان ذلك يتراكب في التوقيت مع بداية الحرب العالمية الثانية واضطرار الحكومة المصرية بتوجيه من إنجلترا إلى تخفيف القيود على الحديث عن الاشتراكية حتى لاتغضب روسيا التي دخلت الحرب ويؤملون في الاعتماد عليها لهزيمة هتلر والفاشية.

لم أنم تلك الليلة، وأخذت إجازة من عملي في المصنع، وذهبت إلى المدرك في منزله مبكرا، ودار بيننا نقاش طويل، ثم تكرر النقاش في عدة أيام متوالية، قلت له فيها كل ما في نفسي عن الشيوعية والشيوعيين، وعن عزمي على مقاطعة جلساتهم التي تناقش فيها الثورة البلشفية، ولم ألحظ ما كنت أنتظره من المدرك من اندهاش أو انزعاج من كلامي، بل ظل صامتا حتى أفرغت كل ما عندي، وفي هدوء سألني المدرك إذا كنت على استعداد لأن أقتنع بغير ما أعتقد أنه صحيح إذا ثبت لي صحة ما أعتقد أنه خطأ، فأجبته بالإيجاب، ثم بدأ يشرح لي استغلال ملاك الأرض، والإقطاعيين للفلاحين كأنه فلاح أو ابن فلاح، واستغلال الرأسماليين للعمال وسرقة الأغنياء لعرق وكد الكادحين، وبأمثلة من الواقع المصري مبسطة حول قضايا عشت بعضها في الريف ومازلت أعيش بعضها في المصانع، وأعطاني بعض الكتب فقرأتها بشغف كبير للوصول إلى الحقيقة ومن تلك الكتب: قصة الأم وقصة البذور والأرض الصينية وبعض أدبيات الماركسية البسيطة والمطبوعة باللغة العربية.

وهنا أقرر عن صدق أن ثقافة المدرك وسعة اطلاعه وصبره وعدم طعنه في الدين الإسلامي ولا في أي دين آخر، بل واستشهاده في بعض الأحيان بآيات من القرآن

الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لإثبات صحة ما يقول، وأخيرا كان إسهابه فى شرح وتوضيح معنى وأهداف حرية العقيدة للجميع، ومع علمه بصلتى بالإخوان المسلمين كثيرا ما كان يستشهد بآيات أو أحاديث أو قصص من أئمة المسلمين السابقين عن العدالة الاجتماعية، وهو الأمر الذى جعلنى أثق فى صحة كلامه مما جعلنى أقتنع بأن ما سمعته من قبل عن الشيوعية والشيوعيين إنما هو دعاية إنجليزية استعمارية يؤيدها وينشرها الأغنياء والرأسماليون والسراى الملكية فى مصر حتى لا يحصل الفقراء وخاصة العمال والفلاحون على حقوقهم التى يسرقها الأغنياء، ولم تنته المناقشة التى استمرت نحو ثلاثة أسابيع إلا وقد اقتنعت بأن الماركسية مبدأ الفقراء وخاصة الطبقة العاملة، وهى طريقة للمساواة وإلغاء استغلال الإنسان للإنسان، وهنا أقرر أيضا أن المدرك لم يدعنى عقب ذلك النقاش الطويل وعقب إدراكه لاقتناعى بعدالة الماركسية، لم يدعنى عند ذلك إلى الدخول فى أى تنظيم أو حزب سياسى.

بداية الارتباط بالماركسية:

كان ذلك فى عام ١٩٤٢ عندما اقتنعت بأن الشيوعية ليست شيئاً سيئاً كما كنت أعتقد سابقاً، بل هى التى تعمل على نصرة العمال والفلاحين على مستغليهم، وكانت النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها والتى كان مقرها فى شارع سعد زغلول بشبرا البلد، كانت قد ارتبط بها العمال بشكل واسع لما كانوا يحققونه من مكاسب تحت قيادة النقابة، وأصدرت النقابة مجلة شبرا، وفى هذه الفترة بدأ بعض المثقفين يترددون على النقابة عارضين خدماتهم ومنهم المحامون والأطباء، ولكن كانت لدينا حساسية من التعامل مع مثل هؤلاء؛ خاصة وقد كنا قريبى عهد بالنجاح فى استقلالية الحركة النقابية عن الشخصيات والأحزاب السياسية، تلك السيطرة التى عانت منها الحركة النقابية كثيرا ولهذا تعاملنا مع هؤلاء المثقفين بحذر شديد، ورفضنا أى تدخل من جانب أحد منهم فى شئون النقابة الداخلية عندما حاول بعضهم ذلك، وأذكر أن محمود العسكرى قال لى عن أحد الأطباء الذين عرضوا خدمات طبية على المشتركين فى النقابة: إن هذا الطبيب اشتراكى من الذين يتبنون تمنية الطبقة العاملة والدفاع عنها، ولم يستمر ويصمد من المثقفين أمام إصرارنا على حصر عمل المثقفين على الخدمات فقط سوى الأستاذ يوسف درويش المحامى الذى

كان حريصاً على العمل فى حدود مساعداته القانونية فقط للنقابة وأعضائها، إذ كان يترافع فى القضايا وخاصة عن العمال الذين يقبض عليهم بسبب قيامهم أو قيادتهم للإضرابات والعمليات الكفاحية، وكان يتقاضى لذلك أجراً رمزياً أو بدون أجر فى أحيان كثيرة، إلى أن توقفت علاقته بمجلس إدارة النقابة ثم باللجنة العامة للمندوبين؛ حيث قدم بعد ذلك خدمات أخرى مثل تدريس اللغتين الانجليزية والفرنسية والمعلومات العامة فى المدرسة التى أنشأتها النقابة بدون أجر، وسمح له ذلك بالتدرج فى الاشتراك فى مناقشة المشاكل العمالية، ولكن بدون أى تعال أو فرض رأى أو استعمال اصطلاحات سياسية واقتصادية ضخمة لايفهمها العمال، بل كان كثيرا ما يظهر امتنانه للعمال لأنهم علموه شيئاً جديدا، وانتهى الأمر برفع الكلفة بينه وبين العمال، مما سمح للعمال بالتقرب منه أكثر وسمح له بدراسة شخصية كل منهم أكثر.

وأذكر من الاشتراكيين الذين اتصلوا بنا فى تلك الفترة الأستاذ (نجيب) ولا أذكر بقية اسمه وهو الذى كان مفتشا بمكتب العمل وقد أدى لنا خدمات ومساعدات كثيرة، وقد عرفت فيما بعد فى عام ١٩٤٧ أنه مرتبط بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو).

بدأت أحصل على بعض المخطوطات الماركسية من المدرك والعسكرى ويوسف درويش، وأقرأها كدراسة للاشتراكية، ثم بدأت تجمعنا مقابلات نحن الأربعة (المدرك والعسكرى ويوسف درويش وأنا) ولكنها لم تأخذ شكل الاجتماعات التنظيمية التى يدرس ويناقش فيها جدول أعمال محدد، ولكنها أخذت الشكل المنظم والمنتظم عندما تقرر ترشيح المرحوم فضالى عبدالجيد لمجلس النواب عن دائرة شبرا الخيمة فى عام ١٩٤٥، واتسعت الحلقة لتضم زملاء آخرين منهم محمد قطب وكيل أول النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى ومحمد مدبولى سليمان سكرتير نقابة عمال شركات البواخر البحرية ومحمود حمزة رئيس النقابة العامة لعمال الأحذية، وسيد محمود حسن وشهرته (سيد جزر) الذى كان رئيساً للنقابة العامة لعمال النسيج اليدوى وملحقاته بالقاهرة، وعبد الرازق عبدالرحمن رئيس نقابة عمال مخازن الأدوية والصيدليات ومحمد وحيد الدين عضو مجلس إدارة نقابة عمال شركت البواخر البحرية، وبدأت الاجتماعية تعقد فى شبه سرية، وهذه المجموعة هى التى قادت بطريق غير مباشر

وغير معلن معركة الانتخابات البرلمانية فى شبرا الخيمة فى عام ١٩٤٥ . كما أصدرت عددا من المنشورات السرية بتوقيع (طليعة العمال) حول بعض المشاكل العمالية ومنها القوانين العمالية والبطالة.

وبعد الانتهاء من معركة الانتخابات النقابية هذه عرض يوسف درويش فكرة إنشاء تنظيم سياسى مستقل للطبقة العاملة المصرية، وتكونت الهيئة التأسيسية ممن وافقوا فقط مع استبعاد من اعتذروا لأسباب مختلفة، وبدأ الاستعداد للعمل الذى انتهى بأن أعلنت الهيئة تحت اسم «لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة» فى ٨ أكتوبر ١٩٤٥ وقد ذكرت كل التفاصيل عن تكوين تلك الهيئة فى الكتاب الثالث من مذكراتى ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة والذى أصدرته عن الطبقة العاملة والعمل السياسى، ولاداعى للتكرار.

وفى هذه الفترة أيضا ناقشنا الماركسية كمبدأ وقررنا أن تكون لجنة العمال للتحرير القومى هى الخطوة الأولى العملية لتكوين حزب مستقل للطبقة العاملة الذى عليه أن يقود جماهير الكادحين لتحقيق أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية، وهى التى تبدأ بتحقيق الاستقلال الوطنى وطرد الاستعمار البريطانى، والإطاحة بوكلائه فى مصر من الرأسماليين والإقطاعيين وعلى رأسهم الأسرة المالكة التى خانت شعب مصر وساعدت الإنجليز على احتلالها، وذلك دون نسيان أو تناسى المطالب الاقتصادية والديمقراطية العاجلة لكافة الفئات الكادحة من عمال وموظفين وفلاحين وصغار تجار وجنود الجيش والبوليس وغيرهم، وفى هذا الإطار ضمت كل البرامج التى ساهمت فى إعدادها هذه الحلقة بنوداً تخص مطالب كل فئة من الكادحين المصريين.

الارتباط العضوى بمنظمة طليعة العمال:

اتسع النشاط على نطاق الحركة العمالية والنقابية من كل المهن وفى مختلف المناطق، وأصدرنا (مجلة الضمير) التى قبض علينا فيها بسبب مقالات كتبناها (المدرك والعسكرى وأنا) ومعنا الدكتور عبدالكريم أحمد السكرى (صاحب ورئيس تحرير المجلة)، وقد أوردت ذلك تفصيلا فى كتاب (الطبقة العاملة والعمل السياسى).

وبعد خروجنا من السجن في منتصف عام ١٩٤٦، طلب المدرك مقابلتي لأمر هام على انفراد، ولفترة طويلة سوف يستغرقها مناقشة الموضوع الذي يريدني فيه، وفي هذه المقابلة عرض عليّ الارتباط العضوي بتنظيم شيوعي سري أوسع من دائرتنا العمالية، إذ يضم عمالا آخرين وعددا من المثقفين الوطنيين التقدميين، الذين آمنوا بنظرية الطبقة العاملة وارتبطوا بها فكريا وآمنوا بقضيتها، ووافقت على الفور بترحيب كبير، لأن الأرض كانت ممهدة تماما لتلقي البذرة، وكان ذلك هو التتويج التنظيمي لفترة طويلة من العمل المنظم ولكن بدون راية ولا قواعد تنظيم ولا لائحة تحكم تصرفاتنا وتحدد حقوق وواجبات كل منا، وبدأ يزداد ترديد اسم (طليعة العمال) الذي كان يردد بين قدامي النقابيين، ولكن بمعنى جديد ومضمون جديد وإن كان اسم التنظيم (طشت).

ولقد كان لهذا الارتباط العضوي (الرسمي إن صح التعبير) أثر كبير على نفسي وعلى فكري من عدة أوجه، فقد أحسست بعظم المسئولية وثقل الحمل الذي وضع على أكتافي، وبدلا من العمل الذي يبدو متناثرا وشبه موسمي، أصبحت مسئولا عن الانخراط في نسيج متكامل من العمل المترابط ذي الهدف البعيد وهو تحقيق الاشتراكية في مصر، وأهداف قريبة هي التي تخدم هذا الهدف البعيد وتكون خطوات في طريق تحقيقه، وأدركت أنه عليّ كخطوة أولى أن أستعرض بدراسة عميقة كل ما مرّ بي أثناء عملي النقابي وأثناء التحضير للعمل السياسي، وأن أعرف ما يدور في الشارع المصري عن الاشتراكية وكل ما يرتبط من منظمات وتحركت كي لا أضع قدمي في خلاء فأفقد توازني.

المنظمات الشيوعية الأخرى:

في النصف الأول من أربعينات القرن العشرين، كانت توجد ثلاث حلقات ماركسية هي طليعة العمال المعروفة، باسم (جماعة الفجر الجديد) نسبة إلى مجلة الفجر الجديد التي كان يصدرها عدد من المثقفين المصريين المرتبطين بهذا التنظيم بطريقة أو بأخرى ومنهم أحمد رشدي صالح وأبوسيف يوسف وأحمد صادق سعد، وكانت شهرة اسم طليعة العمال ترجع إلى ارتباط ثلاثة من القادة النقابيين المرتبطين بالتنظيم وهم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكري وطه سعد عثمان والذين سبق أن اشتركوا في إصدار منشورات عمالية موقعة بهذا الاسم، والحلقة الثانية كان

اسمها الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) والتى كان على رأسها هنرى كورييل. والثالثة كان اسمها الشرارة (إسكرا)، وكانت الحلقتان الأخيرتان قريبتين من بعضهما فى الفكر وأسلوب العمل، وقد تحقق فعلا بعد ذلك توحيدهما فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) عام ١٩٤٧.

وهنا لابد لى من الإشارة إلى بعض الشروط التى يبدو أنها أخلاقية، ولكنها كانت أساسية فى اختيار من يرشح للارتباط العضوى بمنظمة طليعة العمال، ومن أهمها أن يكون مستقيم الخلق بمعنى ألا يكون مقامرا ولا مدمنا للخمر أو أى مسكر آخر ولا منحلا جنسياً، وأن يكون حسن السمعة بين المحيطين به، وصادقاً وأمينا وموثوقا به، هذا بالإضافة إلى أن قاعدة التجنيد الأساسية كانت من بين العمال ومن خلال المعارك الكفاحية ومن القيادات التى تظهر صلابة فى تلك المعارك، وقد استطردت فى ذلك لأنى لا أريد أن أتعرض هنا لأسلوب التجنيد فى المنظمات الأخرى والذى كانت تذاع عنه بعض الأقاويل.

كانت منطقة شبرا الخيمة وخاصة عمال النسيج الميكانيكى فيها، من أنشط الفئات العمالية كفاحيا على نطاق القطر المصرى كله لدرجة أنه أشيع عنها أنها (المنطقة الحمراء) وقد لفت ذلك نظر الشيوعيين الذين كانوا فى حلقات ضيقة من المثقفين وللأجانب فيها دور قيادى، فاتجه الشيوعيون نحو المنطقة الحمراء للعمل فيها ولتجنيد قيادات منها لضمها إلى عضويتها، وبالنسبة لطليعة العمال فقد نجح يوسف درويش المحامى أمام المحاكم المختلطة وقتئذ فى الارتباط ببعض القيادات من بين عمال النسيج الميكانيكى وعمال شركات البواخر البحرية وذلك فى وقت مبكر منذ عام ١٩٤٢ ولكن ليس على أساس عمل تنظيمى شيوعى، وحتى عام ١٩٤٥ كانت المنظمتان الأخريان (حمتو وإسكرا) لم ترتبطا بعد بعمال شبرا الخيمة، وكان تركيز اتصالهما بنقابة عمال المحلات التجارية ذات الطابع الأجنبى فى غالبية عضويتها، ونقابة عمال دور السينما وكانوا فى غالبيتهم من الطلبة الذين يعملون فى دور السينما فى المساء مع الانتظام فى الدراسة فى الصباح، وأذكر من نقابة عمال المحلات التجارية دافيد ناحوم ومن عمال السينما مراد إلياس القليوبى وحسين كاظم، وكان نفوذ الماركسيين إلى ١٩٤٥ فى شبرا الخيمة محصوراً فى طليعة العمال والعناصر التى

ارتبطت بها بعد تكوينها، ولكن لم تعلن طليعة العمال عن هويتها الماركسية ولا حتى أعلنت تشكيلها التنظيمي، وقد أدى هذا الانغلاق الشديد لتلك المنظمة فى أسلوب التجنيد إلى أضرار كبيرة أخطرها تجميد العلاقة مع بعض القيادات العمالية رغم الثقة الشديدة منهم فى أفراد طليعة العمال وكفاحيتهم والاقتصار فى العمل معهم عند حدود الأعمال الجماهيرية العلنية، وعدم تطوير هذه الصلات إلى صلات سياسية وتنظيمية وكانت المفاتحة أوالحديث عن الماركسية فى حدود ضيقة وعلى استحياء رغم أن الماركسية هى نظرية الطبقة العاملة والتى من الطبيعى أن يقبل عليها ويرتبط بها المكافحون من أبنائها.

ولعل القارئ يتساءل عن حديثى فى تلك الفترة عن طليعة العمال التى لم تعلن رسمياً إلا فى النصف الثانى من عام ١٩٤٦، ولذلك أقول إننى أعتبر وجود طليعة العمال فى الساحة المصرية وبين صفوف الطبقة العاملة والمثقفين المصريين منذ تكوين الحلقه الأولى فى عام ١٩٤٣ والتى كانت مكونة من جزء من العمال كان منهم المدرك والعسكرى وطه سعد ومحمود حمزة ومحمود قطب ومحمد وحيد الدين ومحمد مدبولى سليمان ومعهم يوسف درويش وجزء من المثقفين الذين كانوا يعملون فى الصحف الوفدية، ثم أصدروا مجلة الفجر الجديد التى صادرها إسماعيل صدقى ضمن ما صادر من الصحف فى ١١ يوليه ١٩٤٦ أى قبل إعلان منظمة طليعة العمال بشهور، بينما كان المعروف لكل المتدميين فى مصر أن المنظمة التى وراء مجموعة العمال المشار إليها وكل ما قامت به من أعمال ووراء مجلة الفجر الجديد وما تقوم به من تنوير ماركسى هى منظمة الفجر الجديد.

وعندما قبض علينا فى قضية مجلة الضمير فى أول يناير ١٩٤٦ - أنا والمدرك والعسكرى - وجدت الحركة المصرية فرصتها سانحة للاتصال ببعض القيادات الوسيطة وعرض عضوية تنظيم سرى شيوعى عليها - وهو ما لم تكن طليعة العمال قد قامت به بعد - ولقيت هذه الدعوة أرضا خصبة من التراث الكفاحى والوعى الطبقى الذى نما من خلال المعارك الكفاحية، فارتبط بالحركة المصرية بعض قيادات عمال النسيج ذات الرصيد الكبير من ثقة جماهير العمال من أمثال محمد محمد شطا وأحمد على خضر وفكرى الخولى ومصطفى بقشيش وغيرهم، وفى نفس فترة الخمسة أشهر التى قضيناها فى السجن من أول يناير إلى ٣٠ مايو ١٩٤٦، كان زملاؤنا فى الخارج

مشغولين بقضيتنا ومراعاتنا فى السجن بشكل استنفد جزءاً غير قليل من جهدهم بالإضافة إلى العمل العلنى فى القضايا العمالية والوطنية.

وهنا أذكر حقيقة تاريخية وهى أنه فى سبتمبر ١٩٤٥ وأثناء خطوات الاستعداد لارتباط عمال مصر بالحركة النقابية العالمية، وتكونت من أجل ذلك اللجنة التحضيرية لمندوب نقابات عمال مصر فى مؤتمر النقابات العالمى بباريس ودون تطويل أو تكرار لماذكرته بالتفصيل فى الكتاب الرابع من مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر والذى خصصته بعنوان (وحدة الحركة العمالية فى مصر والعالم) أقول إنه سافر إلى باريس وفدان باسم عمال مصر، الأول مكون من محمد يوسف المدرك فقط وكانت خلفه منظمة طليعة العمال، والثانى كان يمثله دافيد ناحوم ومراد إلياس القليوبى ومحمد عبدالحليم وكانت خلفهم منظمتا (حمتو وإسكرا) متعاونتين وبذلك انتقل الخلاف بين الحلقات الماركسية باتجاهاتها الرئيسية إلى الحركة النقابية وفى شكل منظمتين نقابيتين عماليتين هما مؤتمر الشركات والمؤسسات الأهلية الذى كانت خلفه حمتو وحدتو، واللجنة التحضيرية لمندوب نقابات عمال مصر فى مؤتمر النقابات العالمى والتى كانت خلفها منظمة طليعة العمال، وأعيد تأكيد أن هذا يدل على أن منظمة طليعة العمال كانت موجودة فى ساحة العمل النقابى العمالى والسياسى قبل إعلان تكوين منظمة الطليعة الشعبية للتحرر (طشت) بسنوات.

وعندما خرجنا من السجن فى ٣٠ مايو ١٩٤٦، وجدنا أن بعض القيادات النقابية من القاهرة والأقاليم وممن كانوا أعضاء فى اللجنة التحضيرية، قد ارتبطوا بمنظمتى حمتو وإسكرا تنظيمياً.

العمل السرى:

أذكر فى البداية أننى كنت رئيساً للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها والتى كان مقرها شبرا الخيمة، ثم كنت أمينا للصندوق ثم مراقبا عاما للنقابة، وكانت شعبيتى وزعامتى العمالية لاتحتاج إلى دليل، وكنت ضمن من قاموا بحركة استقلالية الحركة النقابية عن الشخصيات والأحزاب السياسية، وكنت سكرتيرا لتحرير مجلة شبرا التى كانت تصدرها النقابة العامة لعمال النسيج

للميكانيكى، وكنت سكرتيرا للجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال مصر ثم أحد سكرتيرى مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى، وكنت عضو الهيئة التأسيسية للجنة العمال للتحرير القومى (الهيئة السياسية للطبقة العاملة) واشتركت فى الغالبية العظمى من الاجتماعات التى عقدتها المجموعة العمالية من منظمة طليعة العمال، ورغم كل ذلك وغيره فإنه لم يعرض على الارتباط العضوى بمنظمة الطليعة للتحرر كتنظيم شيوعى سرى يعمل على تحقيق الاشتراكية فى مصر، إلا بعد خروجى من السجن فى قضية الإضراب العام الذى دعت إليه اللجنة التنفيذية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى فى ٢٥ يونية ١٩٤٦، بعد أن اختفيت أنا ومحمود العسكرى بكفر أبو محمود فى المنوفية حيث استضافنا الأستاذ أحمد حسنين رحمه الله لمدة تقرب من ثلاثة أشهر كانت تعقد اجتماعات دورية خلالها يحضرها محمد يوسف المدرك ويوسف درويش، حيث كان أحمد أفندى حسنين يخلى لنا الجناح الذى نعقد فيه الاجتماع من بيته الريفى الرحب، ولا يتدخل فى أى عمل نقوم به أثناء الاجتماعات أو خارجها.

وبعد ذهابى إلى النيابة وإفراجها عنى بكفالة إذ كان الإفراج قبل الهروب والاختفاء بطريق خطأ روتينى، وعندئذ عرض على الارتباط العضوى بالتنظيم وعرضت علىّ اللائحة فوافقت عليها وانتظمت فى إحدى الخلايا وبدأت ممارسة واجبات وحقوق العضوية، وبعد فترة ليست طويلة انتخبت - بطريق التزكية من قيادة التنظيم - مسئولا تنظيميا لمنطقة القاهرة.

ورغم اللطمة التى أخذناها بقفز حدتو - سوف أذكر هنا مجازا كلمة حدتو تعبيرا عن التنظيمين اللذين كوناها بعد ذلك - عندما قفزت على الكوادر العمالية التى ربيناها وضمتها إليها بسهولة، بل ظل أسلوب الانغلاق هذا سائدا، وقد اشتكى لى الزميل أحمد سالم سالم من عمال شبرا الخيمة أنه ظل أكثر من أربع سنوات بين عاطف ومرشح الترشيح ومرشح، رغم كل ما كان يقوم به من جهد فى العمل الجماهيرى بل وفى العمل التنظيمى السرى، ورغم المداومة على حضور حلقات المرشحين وقراءة المطبوعات ودفع الاشتراك.

وإذا كان هذا الانغلاق قد حمى التنظيم من تسلل العناصر البوليسية إلى حد كبير جدا، وبالتالى من القضايا التى قدم فيها أعضاء من التنظيم للمحاكم، إلا أن التزيد فى

هذا الحرص المتعنت الذي زاد عن كل مبرر قد أفقد التنظيم إمكانية كبيرة كانت متاحة له للانتشار الأفقي التنظيمي بين العمال بل وبين الفلاحين.

وبعد الارتباط العضوي بطليعة العمال، وبعد انعقاد مؤتمر القاهرة الأول الذي عقد بمنزل المرحوم عبدالرحيم على موسى بباب الخلق وعلى بعد خطوات من مقر محافظة القاهرة (كان عبدالرحيم على موسى صاحب مطبعة الشباب الحر التي طبع فيها كثير من المطبوعات العلنية الخاصة بالكفاح النقابي والسياسي سواء قبل إعلان تكوين منظمة طليعة العمال رسمياً أو بعدها) وبعد أن انتخبت من هذا المؤتمر مسئولا تنظيميا لمنطقة القاهرة، تركت العمل في شبرا الخيمة وتفرغت للعمل السري والتنظيمي البحت في منطقة القاهرة، وتولى المرحوم محمود العسكري مسئولية منطقة شبرا الخيمة، وأذكر أنني حضرت عدة مدارس كادر كان يدرس فيها منهج لإعداد القادة من الناحية النظرية وأيضا من حيث الانتفاع بالخبرة العملية للآخرين ومن أهم تلك المدارس التي تركت أثرا في تكويني تلك التي أعدت بالإسكندرية بمسكن المرحوم محمد مدبولى سليمان الذي كان يواجه سراى رأس التين الملكية، وقد استمرت المدرسة أسبوعا كاملا لبعض قيادات التنظيم في ١٩٤٧.

سدت أبواب العمل الرزقي في وجهي بعد قرار اتحاد الصناعات بعدم تشغيلي في أي مصنع نسيج، وبعد أن حاولت العمل في مهنة حرة كقومسيونجي لتوزيع البضائع واستخرجت لذلك ترخيصاً فعلا ولكني فشلت نظرا لارتباطاتي بالعمل التنظيمي، ثم التحقت بالعمل المهني في شركة شل بوتاجاز بمساعدة كبير المهندسين بها وكان اسمه رينيه فرفرة وكان زميلا في تنظيم طليعة العمال، وعينت مفتشاً على أجهزة البوتاجاز بالمنازل ثم مهندساً للتركيبات، وأتاح لي هذا العمل. بمساعدة فرفرة وتغطيته لي. أتاح لي تخصيص جزء كبير من وقت اليوم للعمل التنظيمي، كما أتاح لي في نفس الوقت تغطية للاتصالات التنظيمية بحيث كان يصعب ملاحقتي أو مراقبتي نظرا لتنقلي الكثير بين الشقق وبين العمارات، ثم التحق بالعمل في نفس الشركة وفي ورشة التركيبات المرحوم محمد مدبولى سليمان زميلي في التنظيم وفي لجنة العمال للتحرير القومي وفي الكفاح العمالي، وبدأت العمل مع بعض العمال لبث الوعي بطريقة هادئة، وفي فترة وجيزة أمكن تحقيق بعض المكاسب للعمال منها

صرف الملابس المجانية الخاصة بالعمل وكيلو لبن يوميا مجانا باعتبارهم يعملون فى أعمال ضارة بالصحة رهى استنشاق البوتاجاز، ولما لم تكن هناك أية خسائر نتيجة للكفاح الذى حقق للعمال تلك المكاسب، فقد شجع ذلك العمال على قبول فكرة تكوين نقابة لهم حيث كان يسمح القانون لكل خمسين عاملا بتكوين نقابة إذا أرادوا.

وفى مكتب الأعمال النقابية وبمساعدة المدرك، أعددت الأوراق وقدمت التسجيل فى مصلحة العمل، وزادت صلتى بالعمال أكثر وتكثف اتصالى بالعمل السياسى فزادت ثقتهم بى ولم أترك الشركة إلا وكانت قد تكونت بها خلية نشطة.

وافق التنظيم بعد ذلك على أن ألتحق بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الحرة بشارع شبرا مصر، ولم يعطل عملى بالمدرسة جهدى فى العمل التنظيمى بل كان غطاء له وأحيانا مساعدا، وعندما التحقت بالعمل فى فبراير ١٩٤٨، لم يلحظ ذلك البوليس السياسى، لأنى ألحقت ابنى محمد بنفس المدرسة وكثيرا ما كنت أدخل المدرسة من الباب الخلفى، كما أن المختص بشئون العمال فى البوليس السياسى فى ذلك الوقت ومسئولا عن شبرا الخيمة وشبرا مصر كان مخبرين فقط هما سيد بدر الذى كان يسكن فى منطقة الحافظية بشبرا مصر ومحمد حسين الذى كان يسكن فى شبرا البلد وكان معهما سامى الكونستابل وبعض المرشدين.

وعندما أعلنت الأحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ بسبب دخول الجيوش العربية ومنها المصرية أرض فلسطين بعد إعلان دولة إسرائيل وقبض على عدد كبير من القيادات العمالية والنقابية فى القاهرة وشبرا الخيمة ولم يقبض علىَّ، كلفت من التنظيم بتولى العمل فى شبرا الخيمة بالإضافة إلى القاهرة، واندفعت فى العمل بشكل كبير للمحافظة على مستوى الترابط والاتصال بين أجزاء التنظيم، وبرزت فى نفس الوقت مهام سياسية جديدة تتعلق بالمعتقلين من الزملاء والدفاع عنهم والمطالبة بالإفراج عنهم، بالإضافة إلى تجميع العائلات وترابطها ثم فضح استخدام الأحكام العرفية ضد الوطنيين والمطالبة بالإفراج عنهم، وأذكر أنه كان يصدر منشور كل أسبوع مطبوع على البالوظة وكان يوزع فى القاهرة وشبرا الخيمة، كما كانت ترسل منها نسخ بالبريد للشخصيات العامة والنقابية والوطنية من الذين لم يعتقلوا وكذلك لجميع الصحف وخاصة الوفدية لأن الوفد فى تلك الفترة كان خارج الحكم، وفى هذه الفترة زادت صرامة السرية وتنفيذ قواعد الأمان بدقة، الأمر الذى كان من أهم العوامل التى حمت

التنظيم من غارات البوليس السياسى ومنعت زيادة عدد من اعتقلوا، ومن المهم أن أذكر أنه لم يعتقل من الأعضاء إلا العمال.

وفى هذا الصدد أشير إلى أن من اعتقل كانوا بعض العمال الذين كان لهم دور جماهيرى على بارز فى حركة العمال الكفاحية، ولم يعتقل من المثقفين إلا يوسف درويش الذى كان فى عنبر الشيوعيين المصريين، وكان قد قبض عليه هو وطه محمد فودة ومحمد متبولى سليمان نتيجة خطأ فى تطبيق الأمان اعترفرا به بعد ذلك، ولما لم يضبط معهم ما يشكل قضية شيوعية فقد تم ترحيلهم إلى معتقل هاكستب بعد تحقيق النيابة والإفراج عنهم بلاضمان، أما صادق سعد وريمون دويك فقد كانوا فى المعتقل فى العنبر الخاص باليهود والشيوعيين الأجانب عموما، وحتى خروجنا من المعتقل فى فبراير ١٩٥٠ لم أعرف صلة غيرهم بالتنظيم وحتى صلة هؤلاء لم نعرف إلا على نطاق ضيق جدا وفى حدود ما تقضى به ضرورة الاتصال والعمل السياسى.

وأذكر بهذه المناسبة أننى بعد إعلان الأحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وفى أثناء امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية، وكنت منتدبا للمراقبة فى إحدى اللجان، وفوجئت بزميل مدرس كان فى إحدى الخلايا، وكنا بحكم العمل التنظيمى نتقابل كثيرا خلال أكثر من عام ونعرف بعضنا بالأسماء المستعارة، التى تحولت بعد إعلان الأحكام العرفية إلى أرقام وأصبح لكل منا رقم يتعامل به، وكان هذا الزميل المدرس يتحدث كثيرا عن كفاحات عمال شبرا الخيمة وعن محمود العسكرى وطه سعد دون أن يعرف شخصيتى، ولما عرف اسمى من كشف توقيع حضور المراقبين إلى اللجنة، حضر فى الاجتماع التالى ثائراً لأن إخفاء شخصيتى عنه دليل على عدم الثقة فيه وقرر الانقطاع عن العمل التنظيمى، واحتاج الأمر إلى جهد ثلاثة أسابيع كاملة لكى أقنعه بأن ما حدث هو أسلوب تنظيمنا السرى فى الأمان، ولا يمس ذلك شرفه أو نزاهته أو الثقة فيه من قريب أو من بعيد فضلا عن أن الأمر احتاج إلى استعانتى بأحمد رشدى صالح فى ذلك، وعندما عاد لممارسة عمله التنظيمى كان أكثر نشاطا وإقداما وحرصا على تطبيق قواعد الأمان.

في معتقل هاكستب والطور:

أدى اتساع نشاطي، رغم حرصي الشديد، إلى لفت نظر البوليس السياسي إلى تحركاتي، مما أدى إلى اعتقالي من الشارع وأنا في طريقي إلى المنزل في ١٦/١١/١٩٤٨ بعد ما يقرب من ستة أشهر من إعلان الأحكام العرفية، وهنا أقرر أن التنظيم رغم اعتقال عدد غير قليل من أعضائه والمرشحين للعضوية قد قام بأعمال كثيرة للمحافظة على استمرار العمل السياسي السري جماهيريا وتنظيميا، كما كان للتنظيم دور كبير في تنظيم العائلات من زوجات وأمهات وأخوات وبعض آباء المعتقلين وتوجيههم للضغط على المسئولين في الحكومة من أجل تحسين ظروف المعتقلين في الداخل من حيث الغذاء والتصريح بالصحف والمجلات والكتب والأوراق والأقلام وحضور الطلبة للامتحانات في آخر العام وزيارات العائلات المقترحة للمعتقلين في هاكستب، وكل ذلك مع وضع مطلب الإفراج عن المعتقلين في المقدمة. وأذكر أن للمعتقلين الشيوعيين في هاكستب في الفترة الأولى قد أضربوا عن الطعام من أجل المطالبة بأن تصرف الحكومة مبلغا شهريا لأسرة كل معتقل تحت اسم (كفالة العائلات) وقامت العائلات بتنظيم المظاهرات التي طافت بدواوين الحكومة ودور الصحف حتى استجابت الحكومة وصرفت كفالة عائلات مبلغ سبعة جنيهات لأسرة كل معتقل، وكذلك علبة بها عشرة سجاير يوميا لكل معتقل.

وعندما دخلت المعتقل وجدت الحديث العلني والمناقشات والندوات عن الماركسية والشيوعية، كما لاحظت أن الشيوعيين المعتقلين مقسمون إلى عدة فرق، تدعي كل منها أنها الوحيدة الثورية والوحيدة التي تملك الخط السياسي السليم والخالي من الانحرافات، ومن أبرز التنظيمات التي انقسمت على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) في تلك الفترة منظمة العمالية الثورية (ع . ث) التي اتهمت قيادة حدتو بالانحراف إلى خط القوات الديمقراطية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن تنظيم طليعة العمال كان متهما بالانحراف النقابي، وأقرر هنا أن جميع المعتقلين من تنظيمنا كانوا من العمال فيما عدا يوسف درويش، وأقرر أيضا أن دراستنا جميعاً للنظرية الماركسية وأدبياتها كانت قليلة، ولهذا حرصنا على الانتفاع بفترة وجودنا مع عدد من المثقفين المصريين الماركسيين للحصول على أكبر قدر من المعلومات في هذا المجال،

وقد أقيمت في المعتقل مدارس كادر كنا جميعا نحرص على حضورها كمتلقين، بينما كان المحاضرون غالبيتهم من منظمة (ع . ث) الذين كان كثير منهم معيدون في الكليات الجامعية والذين استطاعوا أن يترجموا كثيرا من الكتب التي كانت تدرس في مدارس الكادر من الإنجليزية أو الفرنسية إلى العربية، وأقرر أننا جميعا نحن العمال قد خرجنا بحصيلة نظرية ماركسية لم يكن من السهل الحصول عليها لولا فترة المعتقل التي كانت توفر الوقت الكافي لذلك.

في المعتقل كانت تطبق أنظمة جماعية في المعيشة هي الحياة العامة التي كانت على درجتين، الأولى تخص جميع المعتقلين ما عدا الشراذم (الذين يرفضون الاشتراك في المنظمات الموجودة في المعتقل) والمشبوهين المتهمين بالاتصال بالبوليس السياسي، حيث كانت لجنة الحياة العامة المنتخبة من المعتقلين بطريقة ديمقراطية هي التي تقوم بالاتصال بالإدارة واستلام الطعام من المتعهد وتنظيم عمليات طهيه وتوزيعه وتوزيع أعمال الخدمات العامة وخاصة خدمة الطبخ وإعداد الطعام وغسيل الأواني، كما كانت لجنة الحياة العامة تقوم بتنظيم وقت المعتقلين ابتداء من طابور الرياضة في الصباح وتحديد أوقات الطعام وقراءة الصحف بصورة جماعية وحتى أوقات النوم.

وأما الدرجة الثانية من الحياة العامة فكانت داخلية تخص كل مجموعة أو تنظيم وفق ما يقرره أعضاؤه، وكنا نحن مجموعة عمال شبرا الخيمة نعيش عيشة جماعية ١٠٠ ٪، بمعنى أننا انتخبنا أمينا للصندوق كانت تسلم إليه كل الطرود من ملابس ومأكولات وتوضع النقود تحت تصرفه ليصرف منها حسب حاجة كل زميل وبموافقة الجميع.

وبالنسبة لوجود عدد من المنظمات، ولرغبة القواعد في تحقيق وحدة حقيقية بين كل التنظيمات ينتج عنها حزب حقيقي للطبقة العاملة المصرية فقد تكونت لجنة للتنسيق بين المنظمات، وكان بها ممثل أو أكثر من كل تنظيم، وكانت هذه اللجنة تتفق على تحديد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف السياسي، وكانت تقدم تقارير بنقاط الاتفاق لمناقشتها ودراستها وتعميق فهمها، كما كانت تنزل تقارير عن نقاط الاختلاف ورأي كل تنظيم فيها، حيث تناقش جميعها في المجموعات، وتعد الردود المكتوبة

عليها، وكان الصراع الأيديولوجى يدور بطريقة ناضجة حسب رأيى، وأعتقد أن الآفة الأساسية فى عدم إتمام الوحدة بين الشيوعيين المصريين تكمن فى القيادات، التى كانت تحرص على الحفاظ على مراكزها الزعامية وبطريقة فيها التعالى المدمر.

وأستطيع أن أقرر أن بعض من دخلوا المعتقلات ولم يكونوا يعرفون شيئًا عن الاشتراكية والشيوعية قد خرجوا منها وهم مؤمنون بأن تحقيق الاشتراكية هو السبيل الوحيد لإلغاء الظلم الاجتماعى والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان، وفوق ذلك الإيمان بإمكانية بل وحتمية تحقيق الاشتراكية.

ولاشك عندى أنه تنظيم المعيشة من داخل الحياة العامة وشغل أوقات الفراغ والدراسة والتثقيف الذى أدى إلى زيادة الوعى بالأهداف التى من أجلها دخلوا المعتقل، والوعى بتحديد العدو الطبقى المسئول عما يتعرضون له من مآسى هم وأسرهم، كل ذلك قد ساعد على رفع الروح المعنوية للمعتقلين، وساعد على محافظتهم على صحتهم رغم قسوة الظروف خاصة فى فترة المعتقل وتماسكهم نفسيا.

وعندما تقرر غلق المعتقلات والإفراج عن جميع المعتقلين وحاول فؤاد سراج الذى كان وزيرا للداخلية وقتئذ أن يؤخر الإفراج عن مجموعة من العمال، وأشيع أنه سينقلنا إلى معتقل فى الوادى الجديد، شددت العائلات فى تأييدها لتحركنا فى الداخل حتى تم الإفراج عنا جميعا ولم يضعف منا أحد، وعندما عرض علينا ضباط البوليس السياسى التوقيع على تعهد بعدم الاشتغال بالسياسة رفضنا جميعا، وخرجنا من المعتقل أكثر وعيا وأكثر فهما وأكثر ثقافة وأكثر استعدادا للتضحية عن يوم دخولنا المعتقل.

الانتقال إلى الصعيد:

صدر قرار من الحكومة بعد سقوط وزارة إبراهيم عبدالهادى فى ١٩٤٩ بصرف مرتبات جميع الموظفين الذين اعتقلوا من جهات عملهم، وصرفت أسرتى فعلا نصف مرتب مدة الاعتقال قبل الإفراج عنى، وصرفت أنا الباقى بعد ذلك، وكانت أسرتى تصرف فى نفس الوقت كفالة العائلات للمعتقلين، واستقمت عملى مدرسًا بمدرسة رقى المعارف الابتدائية بجزيرة بدران بشبرا، ثم عينت فى نفس السنة ١٩٥٠ مدرسًا للنسيج بمدرسة طما الابتدائية للصناعات بسوهاج، وكان من الطبيعى أن ينتقل عملى الحزبى إلى أقرب قيادة لمكان عملى والتى كانت فى المنيا.

وهنا أذكر واقعة أراها مهمة وهى أن التنظيم قد عرض علىّ الاحتراف قبل سفرى إلى الصعيد، ولم أقتنع بمبررات الاحتراف، خاصة وأننى قد اختفيت فى إجازة المدارس الصيفية مدة شهرين فى منزل بمصر القديمة قبل تقديم استقالتى من العمل المهنى ووجدت أننى لم أقدم للتنظيم خلال تلك الفترة حتى نصف ما كنت أقدمه وأنا غير محترف، ولم يصرف لى التنظيم مليما واحدا لأنى كنت أصرف مرتبى من المدرسة، وأخبرت التنظيم أننى سوف أخرج إلى العلنية وبمذكرة شرحت فيها أسباب رفضى للاحتراف والاختفاء والمعيشة تحت الأرض، فتقرر فصلى من التنظيم، ثم عدّل القرار إلى تنزيلى إلى مرشح، وقد أبلغنى بالقرار أحمد رشدى صالح بعد مناقشات وبعد محاضرة طويلة ألقاها علىّ عن عدم إيمانى بقضية الطبقة العاملة، وسافرت وأنا مرشح إلى طما ثم جاءنى لويس إسحق ليبلغنى بأن التنظيم قد أعاد النظر فى القرار وقرر تنزيلى إلى عضو وأننى أصبحت تابعاً لمنطقة المنيا، وكنت قد التقيت بلويس قبل ذلك أكثر من مرة فى اجتماعات حزبية، ولكن بالأسماء المستعارة ولم أعرف شخصيته الحقيقية أو يعرف شخصيتى إلا بعد أن اضطرتنا ظروف العمل الحزبى والاتصالات السياسية إلى ذلك، ويهمنى بهذه المناسبة أن أذكر أننى كلفت بالمسئولية السياسية عن التنظيم فى المعتقل حتى الإفراج عنا.

وفى فترة وجودى فى طما قمت بأعمال سياسية منها الاشتراك فى تنظيم مظاهرة وطنية تقدمها القسس وأئمة المساجد ومفتى الوعظ الإسلامى وكل قوة بوليس المركز برئاسة المأمور الوطنى أحمد عبدالباقى جردة وذلك بمناسبة اعتداء الإنجليز على محافظة الإسماعيلية، وبجوار العمل الحزبى بدأت فى تكوين مجموعات من المرشحين لعضوية التنظيم منهم مجموعة حرفى نجار كان معروفا باسم على الأعور وثلاثة من طلبة المدرسة الصناعية واثنين من طلبة المدرسة الثانوية وأحد الفلاحين الذى كان قد دخل الأزهر ولم يكمل تعليمه فيه، كما توليت مسئولية مجموعة من طلبة مدرسة الأمريكان بأسيوط.

وفى المنيا قمنا بعمل مطبعة بالوظة بدائية طبعنا عليها عددا من المنشورات وأعدنا كتابة وطبع عدد من المقالات الهامة التى كانت ترد فى نشرة كفاح الشعب ونقوم بتوزيعها على الأعضاء والمرشحين والعاطفين، وترتب على ذلك قرار من التنظيم بتصعيدى إلى عضو لجنة منطقة المنيا، كما امتد النشاط إلى جمعية الشبان المسلمين

وجمعية الشبان المسيحيين وبعض القرى التي تكونت بها مجموعات مرشمين والتي غالبا ما كانت تعقد اجتماعات لجنة المنطقة في مزارعها وحدائقها.

وذات صباح حضر إلى المدرسة مأمور مركز طما (أحمد عبدالباقي جودة) وطلبني للتحدث على انفراد في أمر هام ودون أن يشعر أحد ممن بالمدرسة، وأخبرني أنه قد جاءت إشارة من مباحث المديرية في سوهاج بأن هناك شخصاً اسمه سعد طه عضو في تنظيم شيوعي وطلبوا مني تفتيشه وتفتيش مسكنه والقبض عليه وأنه - المأمور - كان رئيساً لقسم البوليس السياسي في كفر الدوار ويعلم عني وعن نشاطي الكثير سواء النشاط العمالي أو الشيوعي، كما يعلم أنني المقصود بالإشارة الواردة من المديرية، ولكنه مستعد أن يساعدني ويحميني إذا تصرفت معه كرجل.

وسادت فترة صمت ظننت فيها أنه يساومني لأعمل معه مرشداً خاصة وأن العمل في نادي المدرسين بالمدرسة الثانوية الذي ساهمت في إنشائه كان قد اتسع نشاطه وأصدر عددا من مجلات الحائط، ولعل المأمور قرأ ما يدور في ذهني فقال لي:

لاتذهب بعيدا، فأنا أعرفك جيدا، ولن أقدم على أن أطلب منك ما يدور في ذهنك، ويهمني أن أعرفك أنني نقلت من كفر الدوار إلى طما عقابا لي لأني كنت منحازا إلى حقوق العمال المعقولة، وغير المغالى فيها، والآن أطلب منك أن تذهب إلى بيتك فوراً، وتقوم بتفتيشه جيدا والتخلص من كل ورقه تتصل بالنشاط الشيوعي أو حتى العمالي، ومن ناحيتي فسوف أكتب تقريرا بأنه لا يوجد في طما شخص بهذا الاسم وأن الاسم القريب من ذلك هو طه سعد المدرس بمدرسة الصناعات وقد قمت بتفتيش منزله ومكتبه في المدرسة وفتشته ذاتيا ولم أعثر على أي شيء يتصل بالنشاط الشيوعي.

ثم التفت إلي مبتسماً وقال: اسمع يا شين شين، حذار لو جاءت لجنة من المديرية وقامت بتفتيش منزلك أن نجد فيه قصاصة تخالف ما سأكتبه في التقرير لأن ذلك سوف يضرني، ودفاعا عن نفسي سوف أضرك كثيراً، وعليك أن تأتي إلي في المساء لكي تعطيني تماما، طبعاً أنت مستغرب شين شين يعني إيه؟ يعني شئون شيوعية.

وفي المساء أعطيته التمام بنظافة منزلي، فأخبرني أن طالبا اسمه نبيل صبحي قد قبض عليه في سوهاج ومعه أوراق شيوعية وأنه وجدت في جيبه نوتة بها اسم سعد طه وفي صفحة أخرى كلمة طما سوهاج والحمد لله انتهى الموضوع.

وعندما اتسع العمل الحزبى فى بنى سويف وتكونت منطقة بمسئولية المرحوم محمد شبل إسماعيل حماد، انتقل عملى الحزبى إليها عندما نقلت إلى مدرسة الفيوم الثانوية الصناعية، إلى أن تكوّن قسم للتنظيم فى الفيوم تابع لمنطقة بنى سويف.

حريق القاهرة:

اتسع نطاق الحركة الوطنية بعد مجىء وزارة الوفد إلى الحكم فى ١٩٥٠ بعد سقوط وزارات حكم الأقلية، وتشكلت لجنة وطنية عامة فى القاهرة بعد أن تشكلت لجنة تحضيرية ولجان فرعية فى المصانع والمدارس والأحياء، واتسع نشاطها الذى كان له دور كبير فى إجبار وزارة الوفد على إلغاء معاهدة ١٩٣٦، واتخاذ قرارات تشغيل العمال الذين تركوا العمل فى معسكرات الجيش البريطانى فى منطقة القنال، وتشكلت لجنة وطنية فى المنيا كان مقرها جمعية الشبان المسيحيين، كما تشكلت لجنة وطنية فى طما كان مقرها نادى المعلمين بالمدرسة الثانوية وكان لى دور فيها.

وعندما أعلن عن حريق القاهرة وإعلان الأحكام العرفية وإقالة وزارة مصطفى النحاس الوفدية، بادرت بالذهاب إلى المنيا حيث عقد اجتماع طارىء للجنة المنطقة لدراسة الموقف، وأبلغت فى هذا الاجتماع بتكليفى بالذهاب إلى شبرا الخيمة والاتصال ببعض أعضاء التنظيم الذين حددوا بالاسم كما أبلغت بطريقة الاتصال بهم لجمع شمل التنظيم فى شبرا الخيمة بعد القبض على بعض القادة وهروب البعض وتمكنت بمساعدة ومساهمة كل الرفاق الذين بالمنطقة من عقد كونفرنس فى قرية بيجام، واستمر الاجتماع من الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساء، وانتخبت فى الاجتماع لجنة منطقة جديدة وأقرت خطة العمل ووزعت التكليفات وتقرر عقد اجتماع شهرى للجنة المنطقة، وبعد انتهاء الاجتماع وقبل انصرافنا، جاءنى عامل عادى - ليس عضوا فى التنظيم - ليخبرنى بأن حملة من قوات المطاردة البوليسية تستعد للتوجه من شبرا البلد إلى بيجام للقبض على الشيوعيين المجتمعين فيها، فأسرعنا بالتفرق وانصرف أبناء بيجام إلى منازلهم والباقون وكنت منهم اختبأنا فى الحقول حتى مرت الحملة وعادت إلى شبرا البلد، وعلمت أن الذى انتخبناه مسئولا للمنطقة قد قابل الحملة عند أول بيجام وتبادل مع قائدها كلمات قليلة لم تسمع ثم عادت بعدها الحملة إلى شبرا البلد، ولم

يخطر ببالى أو ببال أحد من الزملاء، فى الاجتماع التالى أن يكون (ز- ن) أكثر الحاضرين حماساً وأكثرهم نشاطاً هو مرشد يعمل مع البوليس السياسى إلى أن انكشف أمره بعد شهور بعد أن سلم قضية حكم فيها على عبدالتواب حسن عثمان بالسجن خمس سنوات وكان هو الوحيد المتهم فى قضية حمل وتوزيع منشورات ضد الملكية والمناداة بالجمهورية كنظام لحكم مصر، وذلك لأن احتياطات الأمان التى كان يتبعها التنظيم قد ساعدت على عدم القبض على الذين كانوا من المفروض أن يتسلموا المنشور الذى أعد بمناسبة عيد جلوس الملك.

قيام حركة الجيش:

عندما قامت حركة للجيش، فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كنت فى قريتى الكرم الأحمر بنى سويف مع والدتى التى كانت فى أيامها الأخيرة، وجاءنى أهل القرية منذ الثامنة صباحا يهنئوننى بهذا الحدث المفرح وخاصة المثقفين من مدرسين وطلبة جامعة وموظفين. وبعد طرد الملك بدأ الحديث عن الإصلاح الزراعى وتحديد الملكية وتوزيع الأرض على الفلاحين، وهى موضوعات كنا قد ناقشناها من قبل كثيرا خصوصاً بعد صدور وتوزيع برنامج لجنة العمال للتحرير القومى وبيان اللجنة الذى كنت أحد الموقعين عليه كلجنة تأسيسية وكان هناك رأيان:

الأول يعتبرها حركة وطنية يجب تأييدها خاصة بعد طرد الملك، والرأى الآخر قال إنه انقلاب عسكرى ولا يمكن لحكم عسكرى أن يكون فى صالح جماهير الشعب أو أن يسمح بإقامة ديمقراطية كاملة، وقررنا رفع الرأيين إلى قيادة التنظيم فى القاهرة وانتظار القرار النهائى بالرأى الحزبى الملزم وكلفت من التنظيم بعد ذلك بالإقامة الدائمة فى شبرا الخيمة طوال فترة الإجازة المدرسية وحتى آخر سبتمبر حيث كانت الدراسة تبدأ فى أوائل أكتوبر من كل عام، وساعد على تغطيتى وعدم انتباه البوليس السياسى لى ولما كنت أقوم به من نشاط عاملان، الأول أننى فى بداية المدة كنت أعمل مصححا فى كنترول دبلوم المدارس الصناعية فى الصباح، وفى المساء كان النشاط السياسى مع الحرص الشديد فى الأمان، والثانى هو عملى فى الفترة اللاحقة لانتهاء التصحيح فى أحد مصانع النسيج كميكانيكى نسيج بأجر؛ حيث كنت أقوم

بتركيب وتشغيل وصيانة الأنوال، وهنا لابد من أن أعترف بالمساعدة الكبيرة التى قدمها لى وللتنظيم المرحوم حسن عامر الذى كان من أنشط مندوبى العمال فى مصنع سباهى ١ ثم فصل وطورد، ثم افتتح مصنعا صغيراً بمنطقة سوق الأحد بأرض نوبار بشبرا الخيمة، فقد عيننى عنده فى البداية كميكانيكى نسيج، ولما علم أن البوليس السياسى قد اكتشف أمرى وأنه يراقبنى- أى البوليس السياسى- ودفع بأحد مرشديه ليعمل فى مصنع مجاور ومهمة أساسية هى مراقبتى والكشف عن اتصالاتى، فتفاهم حسن عامر معى ومع بعض الزملاء وقررنا أن أترك المصنع بعد أن أوجد لى عملا آخر لم يعلم البوليس السياسى عنه إلى أن غادرت القاهرة.

وعندما سافرت إلى عملى فى طما فى أول أكتوبر ١٩٥٢، كان قد أفرج عن عدد كبير من الزملاء المعتقلين من عمال شبرا الخيمة، سلمتهم العمل السياسى بها وعدت إلى العمل فى منطقة الصعيد بالمنيا.

كان التنظيم قد أصدر قراره بتأييد حركة الجيش خاصة بعد طرد الملك فاروق، والإعلان عن الإصلاحات وأهمها قانون الإصلاح الزراعى وتوزيع الأرض على الفلاحين، ثم حدثت بعد ذلك أحداث ثلاثة غيرت موقف التنظيم من حركة الجيش التى لم تكن قد سميت ثورة بعد.

أول تلك الأحداث الاجتماع الذى عقده عمال شبرا الخيمة على قهوة عوف بشبرا البلد بإعداد وتوجيه من طليعة العمال، وقد اتخذ العمال فى هذا الاجتماع الذى تحول بالفعل إلى مؤتمر سياسى، عدة قرارات، منها تأييد حركة الجيش ومطالبة الضباط الأحرار بتحقيق المطالب الشعبية، وكان للإفراج عن بعض العمال الذين اعتقلوا عقب حريق القاهرة وظهورهم فى المؤتمر مع من كانوا قد اختفوا عقب إعلان الأحكام العرفية لكى لا يقبض عليهم، كان لذلك أثره فى حماس العمال ونجاح المؤتمر الذى انفض عن تشكيل لجنة لصياغة البيان الذى سيرسل إلى قيادة حركة الجيش والتوقيع عليه باسم العمال، وبعد انصراف عدد من الحاضرين، هاجم البوليس المؤتمر الذى شمل قهوة عوف وما حولها من فراغات وقبض على عشرة من العمال وهم:

محمد عبد المجيد أبو سيف ـ أحمد علي يوسف ـ محمد إبراهيم ـ سيد الجندي ـ علي العدل ـ محمد أبو حشيش ـ أمين الفندور ـ عبدالرحمن رضوان ـ صادق المهدي ـ زين أحمد زين.

كما قبض على اثنين من منزليهما لأنهما لم يحضرا المؤتمر وهما محمد عبدالغفار وعلي حسن زكي، وقدم الجميع للنيابة للتحقيق ثم للمحكمة، وقدم العمال في بداية التحقيق إلى النيابة مسودة البيان الذي أعدوه لإرساله لمجلس قيادة حركة الجيش ولكن وكيل النيابة رفض إثباته وقال إنه يحقق فقط في قضية شيوعية، ثم واجه وكيل النيابة المقبوض عليهم بعدد من مطبوعات تنظيم الراية (الحزب الشيوعي المصري) واتهمهم بأنهم كانوا يوزعونها في المؤتمر، ولما أنكروا اتهم عبدالرحمن بحيازتها ولهذا حكمت عليه المحكمة بالسجن خمس سنوات وبراءة الباقين، وبعد النطق بالحكم هتف صادق المهدي بسقوط المحكمة العسكرية فحكم عليه بالحبس شهرا، وهنا أقرر أن جميع المقبوض عليهم كانوا أعضاء أو مرشحين في منظمة طليعة العمال ولم يكن أي واحد منهم على صلة بتنظيم الراية الذي اتهموا بتوزيع مطبوعاته السرية.

أما الحادثة الثانية فكانت مظاهرات العمال السلمية في كفر الدوار والتي هتفوا فيها ضد إدارة الشركة وبمطالبهم وأيضاً بتأييد حركة الجيش وحياة محمد نجيب، ثم كان ما قوبل به العمال من قوات الجيش من عنف وقسوة وقتل، وأخيرا تلك المحاكمة الظالمة بل الصورية التي حكم فيها بالإعدام على الشهيدين مصطفى خميس ومحمد البقري كما حكم على عدد كبير من العمال بالأشغال الشاقة والسجن والحبس، مع ما صاحب ذلك من حملة إعلامية شرسة وظالمة ليست موجهة إلى عمال كفر الدوار فحسب، بل إلى الطبقة العاملة كلها بالتهديد والإنذار بل وامتد شرر التنكيل إلى عمال الإسكندرية الذين حوكم من عمال النسيج منهم عدد حكم عليهم بالسجن والغرامة، وقد أصدر التنظيم منشوراً مركزياً ضد إجراءات القمع لعمال كفر الدوار، وقد ساعدت هذه الأحداث بالإضافة إلى بروز سيطرة الإخوان المسلمين ودورهم الفعال فيها على رجحان كفة الاتجاه الذي كان يقول في داخل التنظيم، إن ما حدث في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إنما هو انقلاب عسكري وليس حركة وطنية ديمقراطية وشعبية واتخذ قرار للمناداة بإسقاط الدكتاتورية العسكرية.

وعندما تقرر عقد اجتماع فى نادى المعلمين بالجزيرة لتأييد حركة الجيش على أن يحضره أنور السادات ممثلاً لقيادة الجيش، درس التنظيم الأمر بصفة عاجلة وأصدر توجيهاته إلى أعضائه ومرشحيه بالحديث فى المؤتمر فى موضوعين رئيسيين، وهما المطالب العمالية والحريات العامة والنقابية، ثم الدفاع عن عمال كفر الدوار ومعارضة توجيه تهمة التخريب والإتلاف إلى العمال، مع المطالبة بالبحث عن المجرمين الحقيقيين الذين دبروا الأحداث من بين الرجعيين، وكانت أصابع اتهام جماهير العمال تشير إلى حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان الملكى وابنه الذى كان يعمل موظفاً بشركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار والتى وقعت فيها الأحداث باعتبارهما المدبرين الحقيقيين والأصليين لأحداث القتل والتخريب.

وفى هذه الفترة أيضاً صدر التقرير السياسى الذى قدمه المكتب السياسى للمنظمة إلى اللجنة المركزية ـ مارس ١٩٥٤ ـ وفى الجزء الخاص بالوضع المحلى من هذا التقرير الشامل ذكر (أن هذا يوضح طبيعة الوطنية الزائفة التى تدعيها العصابة العسكرية الحاكمة، كما يوضح استعدادها المستمر لتسليم بلادنا إلى المعسكر الأنجلو أمريكى، وهذا هو الخطر الداهم الذى يهدد سلامة شعبنا وحياته من جراء الحكم العسكرى الذى يحظى أساساً بتأييد الاستعمار الأمريكى) وانتهى التقرير إلى أهداف ثلاثة هى:

- إعلان الحياد وتحقيق الجلاء بلا شرط والقضاء على النفوذ الأمريكى.

- إلغاء الحكم العرفى والإفراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين وإطلاق الحريات السياسية والنقابية.

- إسقاط الحكومة العسكرية وتشكيل حكومة ائتلافية برئاسة الوفد لإجراء انتخابات حرة لإقامة حكم نيابى جمهورى ديمقراطى.

وأما القوة الرئيسية كما وردت فى التقرير السياسى فهى الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية، والاحتياطى المباشر من جميع الطبقات والأحزاب المعادية للنظام الراهن على النطاق المحلى ونضال جميع الشعوب المحبة للسلام والمناضلة ضد الاستعمار وذلك على النطاق العالمى، وأما الاحتياطى غير المباشر فهو الخلافات المتزايدة بين

الاستعماريين الأمريكي والبريطاني في داخل حركة الجيش، أما الخط التنظيمي لتحقيق ذلك فهو تحالف الطبقة العاملة موحدة صفوفها حول برنامج وطني ديمقراطي في تنظيم سياسي مع الوفد، وتحالفها أيضا مع جميع القوات المعادية للاستعمار والحكم العسكري.

وحتى مؤتمر باندونج كان موقف المنظمة من حركة الجيش هو العداء الشديد ووصفها بأنها عصابة عسكرية قد شنقت خميس والبقرى غداة وصولها للحكم، فإرادة سفك الدماء ونشر لواء الإرهاب الحالك هي طبيعة السياسة الفاشية وهي تطور طبيعي للحكم الذي أقامته في بلادنا الاستعمارية الأمريكية، وكان الشعار الذي يتصدر مجلات التنظيم ونشراته السرية (من أجل بناء الحزب. والتخلص من الحكم العسكري الفاشي).

وقد ركزت المنظمة على الجبهة المتحدة وأساساً مع الجماهير الوفدية باعتبارها سبيل الإنقاذ من الفاشية، ولهذا دعت المنظمة إلى تكوين لجنة للجبهة المتحدة في كل مصنع وكل حي وكل مدرسة، وكانت الشعارات المترددة بكثرة (تسقط حكومة الفاشية والحرب. تحيا الجبهة المتحدة).

ولا أريد هنا أن أتحدث عن موقف التنظيم من جميع القضايا الرئيسية التي كانت مثارة على الساحة المصرية والتي كانت محل جدل واختلاف في التحليل بين المواطنين بل وبين الماركسيين بعضهم وبعض ومنها السياسة الدولية والموقف من المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي. حركة التحرر العالمية عامة والعربية خاصة. القضية الوطنية المصرية وكيفية معالجتها. الموقف من السودان والوحدة وحق تقرير المصير. قضية فلسطين والموقف من الصهيونية. وحدة الحركة الشيوعية المصرية وأسلوب تحقيقها. العمل الحزبي الداخلي والنقد والنقد الذاتي. الكفاح السياسي والكفاح النقابي والعلاقة بينهما. المقومات الفكرية والنظرية للمنظمة. الموقف من الوفد. المركزية الديمقراطية وتطبيقاتها الصحيحة.

الانتقال إلى الفيوم:

نقلت إلى مدرسة الفيوم الثانوية الصناعية في نوفمبر ١٩٥٤، ونقلت بالتالي علاقتي التنظيمية المباشرة إلى لجنة التنظيم في بني سويف، والتي كان مسئولها

المرحوم محمد شبل إسماعيل حماد مدرسا بالثانوى وصاحب معهد ليلى للتعليم ببنى سويف وأذكر فى هذه الفترة أن التنظيم قد أبلغنا من القاهرة بأن مسئول الاتصال الذى كان يتولى توصيل البوسطة من القاهرة إلى بنى سويف وبالعكس مشكوك فى اتصاله بالبوليس وله تصرفات مريبة، وطلبوا التحرى الدقيق لمعرفة الحقيقة، ولم يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى تأكدنا من اتصاله بأحد ضباط المباحث العامة ببنى سويف عن طريق أحد المرشدين كوسيط، واتخذنا إجراءات عزله بهدوء ودون أن يشعر، ولزيادة التأكيد أخبرته بعد حضورى أحد الاجتماعات بأننى سوف أحمل البوسطة الخاصة بالفيوم وأسافر بها فى سيارة الأتوبيس التى تغادر بنى سويف فى الساعة الخامسة مساء، وأخذت منه البوسطة رزجرته ألا يحضر إلى السيارة حتى لايشك فيه أحد، ولم يكن أحد من أعضاء لجنة المنطقة يعلم شيئاً عن ذلك إلا الزميل الذى سلمته البوسطة ليوصلها للفيوم بطريقة أخرى بعد يومين.

وقبل قيام السيارة بخمس دقائق صعدت إليها وفى يدى سبت به بعض الفاكهة ومغطى جيداً بحيث لا يظهر ما بداخله، ولمحت هذا الجاسوس عن بعد ومعه اثنان من الأفندية أشار لهما على فتظاهرت بأننى لم أرهم، وصعد الأفنديان إلى السيارة وبعد تحركها بربع ساعة وقفت. ووجدت أمامها سيارة بوكس «بوليس» نزل منها ثمانية أفراد دخلوا السيارة وقاموا بتفتيش كل من فيها ظاهريا وشبه صورى، أما أنا فقد قاموا معى بتفتيش دقيق جداً وعندما أرادوا تفتيشى ذاتيا اعترضت فأخرج أحدهم كرنيه البوليس ثم أعادوا البحث والتفتيش مع كل المجاورين لى من الركاب، وفتشوا السائق والمحصل وسألوا السائق إن كان أحد قد أخذ لفة ورق ونزل قبل قيام السيارة فأجاب بأنه لم ير أحداً يحمل أوراقا، ثم نزلوا جميعاً من سيارة الأتوبيس وعادوا بالبوكس إلى بنى سويف بينما استمر الأتوبيس فى سيره للفيوم.

كان السائق يعرفنى عن طريق ترددى على مقر مؤتمر نقابات عمال الفيوم الذى كان رئيسه المرحوم محمود أمين على رئيس النقابة العامة لعمال النقل الميكانيكى، وهمس السائق فى أذنى قبل أن أنزل من السيارة فى الفيوم بأن أقابله فى مساء مثل

هذا اليوم من الأسبوع القادم عند محمود أمين فى دار مؤتمر العمال، وفى الموعد المحدد أخبرنى بأنه قد وصلت إلى المباحث إخبارية عن طريق شخص من بنى سويف بأننى سوف أحمل أوراقاً شيوعية إلى الفيوم، وطلب منى بنصح حنون زمالى أن «أمدى اللعب شوية».

التحول إلى تأييد ثورة ٢٣ يوليو:

عندما تمت صفقة الأسلحة التشيكية لمصر عام ١٩٥٥ وبعد حضور عبدالناصر من مؤتمر باندونج وبروزه كمناصر لحركات التحرر الوطنى ومعادٍ للاستعمار العالمى، بدأ تنظيم طليعة العمال يغير من خطه وموقفه واتجاهه من عبدالناصر الذى كان قد أصبح وقتئذ هو كل شىء فى السلطة، ولم يكن أحد يذكر حركة الجيش ولا مجلس قيادة الثورة.

عندئذ بدأ التغيير الذى اتضح فى قرارات اللجنة المركزية لطليعة العمال فى اجتماع مايو ١٩٥٥ والتى كانت بدايتها تأييد اللجنة المركزية لقرارات مؤتمر باندونج، وقالت إنها تعتبر انعقاد المؤتمر والقرارات التى توصل إليها، تسجيلا للتغييرات الهامة التى حققتها انتصار الشعوب وتعاظم الحركات التحريرية ضد الاستعمار فى آسيا وأفريقيا، وبهذا المعنى يعتبر المؤتمر وقراراته انتصاراً للشعب المصرى، وأن كفاحنا نحن الشيوعيين جنبا إلى جنب مع جميع الوطنيين الشرفاء لتنفيذ قرارات باندونج هو فى الوقت ذاته كفاح من أجل سلامة بلادنا من خطر الدمار بأسلحة القتل الجماعى، وهو كفاح من أجل تخليص اقتصادنا القومى من قبضة المستعمرين من الإنجليز والأمريكيين وهو كفاح من أجل السيادة القومية ومن أجل التعاون مع جميع الشعوب وتأييد لنا فى النضال ضد الاستعمار العالمى، وأخيراً انتهت قرارات اللجنة المركزية بدعوة المواطنين إلى النضال بدون هوادة من أجل حكم نيابى ديمقراطى على أساس انتخابات حرة تجريها حكومة محايدة.

وقد أحدث هذا التغيير فى موقف التنظيم وتوجهه ضجة فى القواعد ونوقش الموضوع بطريقة ديمقراطية واسعة فى كل مستويات التنظيم، بل وحتى المرشحين اشتركوا فى المناقشة، فلم يكن من السهل الانتقال من موقف العداء السافر والاتهام

للفاشية والدكتاتورية العسكرية المطلوب إسقاطها إلى حتى موقف الملاينة بل والتعاون لمجرد حضور عبدالناصر مؤتمر باندونج، خاصة وأن الأحكام العرفية كانت مازالت قائمة وسيفها مسلط على رقاب أى تحرك عمالى أوشعبى، وكان الزملاء المقيدة حريتهم مازالوا فى السجون يتعرضون لأنواع التعذيب المختلفة وتتعرض عائلاتهم فى الخارج للجوع والتشرد وانتهت المناقشات إلى قرار بتوجيه خطاب إلى رئيس الوزراء الذى كان فى رأيى بداية اتجاه شديد إلى اليمين قذف بالقضية الطبقية إلى الخلف على حساب القضية الوطنية.

توجهت طليعة العمال بهذا الخطاب الشامل إلى رئيس الوزراء فى أواخر عام ١٩٥٥ . وقد أحدث صدوره مناقشات واسعة وحامية فى جميع مستويات المنظمة نظرا للظروف التى كانت قائمة وقت صدوره، وقد اتهم بعض الرفاق وكنت أنا منهم، المكتب السياسي بالانحدار الشديد نحو اليمين، ولكن الأحداث التى وقعت على الساحة المصرية، قوّت من ساعد المتبنين للاتجاه السياسى الجديد للمكتب السياسى.

ومن القراءة المتأنية للخطاب وللبرنامج الذى انتهى به نجد أن جزءا كبيراً من المآخذ التى كانت على الحكومة قد تغيرت مهما كانت درجة التغيير، فرأينا الاتجاه إلى تحسين حالة المعتقلين والمسجونين الشيوعيين فى السجون، ثم بدأت الإفراجات عن المعتقلين، وما إن حل شهر يونيه ١٩٥٦ حتى كانت المعتقلات قد أغلقت والأحكام العرفية ألغيت، وصدر الدستور المؤقت لأول مرة منذ عام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ثم كان العداء السافر للأحلاف العسكرية الاستعمارية وما تبعه من إظهار العداء للاستعمار، مما أدى إلى أن يسحب البنك الدولى تمويله للسد العالى، الأمر الذى تطور إلى تأميم عبدالناصر لقناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وهنا كان اتجاه التنظيم إلى الوقوف مع جمال عبدالناصر وحكومته ووضعه فى الصف الأول من أعداء الاستعمار، ولم يكن ذلك الاتجاه معتدلا، بل كان منحدراً بشدة أدت إلى جعل الغلبة الكلية للفكر والعمل للقضية الوطنية، وإهمال القضية الطبقية إلى حد التلاشى، وغطى الانبهار بالإنجازات الوطنية على كل شىء وكان ذلك موقف الغالبية العظمى من أعضاء التنظيم حتى فى القواعد.

العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦

فى ١٨ يونيه ١٩٥٦ بدأت مرحلة جديدة بهرت الجميع بإنجازاتها الوطنية، وعلى نطاق التنظيم كله، كان الاتجاه الساحق لتغليب القضية الوطنية، وما إن أعلن عبدالناصر فى ٢٦ يوليه ١٩٥٦، تأميم قناة السويس وجعلها شركة مساهمة مصرية ثم إعلان الطريقة التى تم بها تنفيذ التأميم وإفشال مؤامرة سحب المرشدين الأجانب والتهديدات الاستعمارية، ثم وقوع العدوان فعلا على بورسعيد، حتى صدرت الأوامر من التنظيم بالانخراط فى جيش الحرس الوطنى، والتدريب على حمل السلاح والتطوع للقيام بكل ما يطلب منهم، وكان التوجيه عاما إلا للأشخاص الذين تقتضى مهامهم الحزبية أن يتواجدوا فى أماكنهم لمتابعة سير المعركة من الداخل والنشاط الحزبى كالجهاز الفنى وأجهزة الاتصال وغيرها.

فى هذه الفترة كنت مدرسًا بمدرسة الفيوم الثانوية الصناعية، وقد دعيت إلى مؤتمر فى القاهرة (كونفرنس) حضره ممثلو مناطق الوجه القبلى للتنظيم: أسيوط - سوهاج - المنيا - بنى سويف - الفيوم - بحضور عدد من ممثلى المناطق الأخرى واللجنة المركزية، ونوقش فى هذا الاجتماع الوضع السياسى بعد تأميم قناة السويس، وتقرر تعبئة كل إمكانيات التنظيم للمعركة القادمة لا محالة بين نظام عبدالناصر والاستعمار العالمى، وذلك بالوقوف بشكل مطلق خلف حكومة جمال عبدالناصر، ولم يكن من الواضح وقتئذ أن يحدث العدوان الاستعمارى الصهيونى على مصر بالطريقة والتوسع الذى حدث به على بورسعيد.

وفى الفيوم كنت مسئولا ثقافيا عن (مركز الخدمة الاجتماعية) وهو ناد مسائى له مبنى مستقل داخل أسوار المدرسة، وكان يبدأ العمل فيه من بعد انتهاء الدراسة بساعة واحدة وحتى الحادية عشرة مساء، وفى هذا المركز كان يوجد قسم خاص لاستذكار الطلبة لدروسهم، وقسم لأدوات التسلية (الطاولة والشطرنج) وقسم آخر خاص بالنشاط الثقافى، وهذا القسم الأخير كان هو الحائز على أكبر قدر من جهدى ووقتى، فعن طريق لجنة الثقافة صدر العديد من مجلات الحائط ذات الطابع السياسى والوطنى والتى تغفل الاتجاه الطبقى وصدر كتابان لطالبين وبعض المطبوعات والنشرات الوطنية، وكان المركز مزدحما فى كل مساء بالطلبة من المدرسة والمدرسة الثانوية

العامة والمدارس الإعدادية رغم أن المدرسة الثانوية والإعدادية للبنين كانت بها مراكز خدمة، ولكن حرية النشاط المختلف والنشاط الرياضى أيضا جذب الطلبة للاشتراك فى مركز خدمة المدرسة الصناعية.

وبعد تأميم قناة السويس ووضوح اتجاه الاستعمار للاعتداء على مصر، قمت بتجنيد كل إمكانيات المركز لخدمة المعركة القادمة وحصر المهام الحاضرة للتنظيم وقتئذ فى الدفاع. لقد كان موقف التنظيم فى ذلك الوقت هو الدفاع عن عبدالناصر وحكومته ، وأعتقد أنه كان تعبيرا عن موقف الشيوعيين عامة وعن طليعة العمال بشكل خاص، رغم أن الشيوعيين المحكوم عليهم ظلوا فى الواحات الخارجة هم والإخوان المسلمون، وفى ظروف معيشة غاية فى القسوة فى معسكر جناح، ورغم أن العريضة التى تقدموا بها إلى جمال عبدالناصر عن طريق السجن ليسمح لهم بشرف الدفاع عن أرض الوطن فى بورسعيد مع استعدادهم للعودة إلى السجن بعد الانتصار على العدوان، ولكن إدارة سجن الواحات قابلت ذلك بالرفض وبمحاولة استفزازهم للاعتداء عليهم، وتم ذلك بعد اتصال إدارة السجن بالمسئولين فى القاهرة.

وقد ساعد على سيادة هذا الخط اليمينى فى طليعة العمال عاملان:

الأول: فرجة الديمقراطية التى سمح بها النظام أثناء العدوان الثلاثى رغم أن عبدالناصر قد أمر بجمع السلاح من الجماهير حتى فى بورسعيد عقب جلاء جنود العدوان مباشرة، ولكن مما لا شك فيه أنه قد سمح وخاصة للمثقفين فى هذه الفترة بحرية الكلام والكتابة.

والثانى: أن عبدالناصر أعلن عن إجراء انتخابات لمجلس نيابى- لأول مرة منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو- الأمر الذى فسر على أنه إقدام على ديمقراطية حقيقية.

الانتخابات البرلمانية ١٩٥٧

رغم أن موقف ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وعبدالناصر بالذات من عدائه للشيوعيين لم يتغير فى جوهره رغم كل الأحداث، ذلك الموقف الذى كانت قمته اعتبار الشيوعية جريمه اجتماعية وليست سياسية، ولهذا لم يسر على المتهمين بها أو المحكوم عليهم

فى قضاياها، ما يسرى على القضايا السياسية، ولهذا ظل الشيوعيون فى السجون ولم يطبق عليهم قرار العفو عن المتهمين بالجرائم السياسية قبل ثورة ١٩٥٢ وظلوا فى السجون والمنافى.

ولكى لا أطيل فإنى أحيل القارىء إلى الكتاب الثانى من (مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر) عن الطبقة العاملة والانتخابات البرلمانية الذى ألفته ونشرته مكتبة مدبولى عن الانتخابات النيابية التى خاضتها الطبقة العاملة المصرية فى معركتين أثناء الحكم الملكى وسيطرة شبه الإقطاع والرأسمالية، فى أعوام ١٩٤٥ حيث رشح العمال فى دائرة شبرا الخيمة المرحوم فضالى عبدالجيد وفى ١٩٥٠ حيث رشح المرحوم محمد يوسف المدرك، وفى ١٩٥٧ حيث رشح طه سعد عثمان، ولقد فتح باب الترشيح لكل من يريد ترشيح نفسه ما عدا المحرومين من مباشرة حقوقهم السياسية بسبب ثبوت إفسادهم الحكم أثناء النظام الملكى.

صدر قرار بحرمان كل من اعتقل أو سجن منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من الترشيح أيا كان سبب اعتقاله، وبذلك رفض قبول أوراق عدد كبير من الشيوعيين وخاصة العمال الذين لم يفرج عنهم إلا فى ١٩٥٦.

كما صدر قرار بإعطاء التنظيم السياسى الأوحد الحكومى وهو الاتحاد القومى حق الاعتراض على أى مرشح، ثم ما تلا ذلك من صدور قوائم من وافق الاتحاد القومى على ترشيحهم خالية من الغالبية العظمى من الشيوعيين الذين سبق أن قبلت أوراق ترشيحهم، وبذلك حرموا من استكمال المعركة الانتخابية.

وقد تراكب مع ظروف هذه المعركة ظروف خاصة بالطبقة العاملة المصرية كان من أبرزها الطريقة التى أعلن بها عن تكوين الاتحاد العام لنقابات عمال مصر فى تاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٧، ثم صدور القرار الجمهورى الشهير رقم ٨ الذى اشترط أن يكون طالب الترشيح للمراكز القيادية فى أى تنظيم نقابى، عضوا عاملا فى الاتحاد القومى، والاتحاد القومى بدوره - وهو تطور لهيئة التحرير - كان يرفض أن يعطى لأى شيوعى أو تقدمى أو حتى عامل نقابى شريف شهادة يدخل بها معركة الانتخابات النقابية، وبذلك أصبحت مجالس إدارات النقابات العمالية مفروضة

بالتعيين فى شكل انتخابات مزيفة، وكانت المباحث العامة بالتعاون مع إدارات الشركات والرأسماليين هم الذين يضعون قوائم المرشحين لمجالس إدارات النقابات العمالية.

بالنسبة لما قامت به طليعة العمال فى تلك المعركة، فقد تكون مكتب لإدارة المعركة مقره مكتب الأستاذ يوسف درويش المحامى بشارع شامبليون، واشترك فى هذا المكتب عدد من المستقلين الوطنيين والديمقراطيين ومن الضباط الأحرار الذين كانوا خارج السلطة، وقام هذا المكتب بجهد كبير فى الربط بين المرشحين التقدميين فى مختلف الدوائر ومساعدتهم فى دعايتهم الانتخابية، وأصدر المكتب بيانا هاما مطولا بعنوان (ماذا يريد الشعب من ممثليه فى مجلس الأمة) كان يعتبر بحق برنامجا متقدما لتلك المرحلة، كما قامت منظمة طليعة العمال بترشيح عدد من رموز قيادتها فى بعض الدوائر أذكر منهم محمد حلمى يس فى دائرة الحلى بروض الفرج وحسين توفيق طلعت فى دائرة الساحل بشبرا مصر.

وأما بالنسبة لي فقد استدعانى التنظيم من الفيوم وعرض على الترشيح بعد أن رفض قبول أوراق فؤاد عبدالمنعم شحتو عن دائرة شبرا الخيمة، لأنه كان ضمن من اعتقلوا بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولم أكن مقتنعاً بالترشيح لأنه كانت لدىّ قناعة سياسية بأن عبدالناصر لن يسمح للشيوعيين بالدخول إلى أول مجلس نيابى يصرح به خاصة إذا كانوا من العمال الذين لهم تاريخ فى الكفاح النقابى والسياسى، ولكن تنفيذا لقرار للتنظيم حصلت على إجازة من منطقة الفيوم التعليمية وقدمت أوراق ترشيحى، ثم باشرت العمل وفق ما هو مبين فى الكتاب الثانى من مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة.

ولن أتحدث هنا عن المعركة الانتخابية اكتفاء بما ورد فى الكتاب الثانى ولكن يهمنى أن أذكر بعض الملاحظات:

١ ـ كان رجال عبدالناصر قد صرحوا لعدد من القيادات العمالية المرتبطة بهم، بترشيح أنفسهم فى الانتخابات مع وعد بإنجاحهم، ومن هؤلاء أعضاء بارزون فى مجلس إدارة الاتحاد العام لنقابات عمال مصر، ومنهم أحمد فهيم الذى قدم أوراق ترشيحه فى دائرة شبرا الخيمة، وفى نفس الوقت أعلنت حدتو أن أحمد فهيم هو مرشحها فى الدائرة وشكلت لجنة من أعضائها لإدارة معركته الانتخابية، وبذلك

رشح اثنان من القيادات العمالية والنقابية فى مواجهة بعضهما فى الدائرة، أحمد فهيم عبدالمعطى وخلفه منظمة حدتو، وطه سعد عثمان وخلفه منظمة طليعة العمال.

٢ ـ حسم الاتحاد القومى حرج جماهير العمال وحرج الشيوعيين والتقدميين فى نفس الوقت باعتراضه على ترشيح طه سعد عثمان والسماح لأحمد فهيم بإتمام المعركة.

٣ ـ اجتمعت اللجنة الحزبية المكلفة من طليعة العمال بالإشراف على المعركة فى شبرا الخيمة وقررت بالإجماع الاشتراك مع لجنة حدتو فى العمل على تأييد أحمد فهيم.

٤ ـ بعد سقوط أحمد فهيم ولم يكن له حق الإعادة، اجتمعت اللجنة الانتخابية العامة والتى بها ممثلون لحدتو وطليعة العمال وقررت الوقوف مع الدكتور أحمد شاكر فى مواجهة الشلقانى، وفعلا نجح أحمد شاكر وكانت أول مرة تخرج فيها دائرة شبرا الخيمة من عائلة الشلقانى الذين كان منهم الوفدى ومنهم من هو فى أحزاب الأقلية.

٥ ـ بتكليف من التنظيم ذهبت إلى سرادق أعد للدعاية للدكتور عبدالعظيم أنيس الذى كانت حدتو قد غضبت عليه فرشحت ضده عبدالعزيز مصطفى من عمال النقل، واعتدى البوليس على السرادق وهدمه وقبض على نحو الأربعين مواطناً ثم أفرج عنا بعد تحقيق النيابة بغير ضمان.

٦ ـ عدت إلى الفيوم لألحظ أن المباحث العامة بالفيوم التى لم تكن تعرف شيئاً قبل المعركة الانتخابية عن اتصالاتي بالشيوعيين، وجدت أنها قد وضعتنى على رأس قائمة المراقبين لنشاطهم الشيوعي، وقد تأكدت من ذلك عندما نصحنى زميلى مختار المرصفى المدرس بالمدرسة بأن أخفف من اتصالاتى بالشيوعيين أو أقطع صلتى بهم إن أمكن لأنه علم من أخيه المفتش فى وزارة الداخلية أن العيون قد فتحت علىَّ وأن الحكومة مقدمة على معركة مع الشيوعيين.

فوجئت بعد ذلك بقرار من المنطقة التعليمية بإلغاء إشرافى على مركز الخدمة وإسناده إلى مدرس اللغة العربية بالمدرسة بدون إبداء الأسباب.

وحدة ٨ يناير ١٩٥٨

لقد أدت بعض المواقف لحركة الجيش من حركة الطبقة العاملة المصرية وأهمها معركة انتخابات ١٩٥٧ ، وطريقة تكوين الاتحاد العام لنقابات عمال مصر بالتعيين، والقرار الجمهورى رقم ٨ والموقف من الشيوعيين المسجونين بالإضافة إلى عمليات اضطهاد وملاحقة العمال النشيطين ومحاربتهم فى رزقهم، الأمر الذى بدأ يزداد ويتسع بالإضافة إلى سحب جزء غير قليل من الضوء الديمقراطى الذى وجد أثناء وبعد العدوان الثلاثى على بورسعيد وحتى انتهاء معركة الانتخابات البرلمانية... أدى ذلك كله إلى وقفة مع النفس وإلى أن يراجع عدد كبير من طليعة العمال التى أعلنت تكوين حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى (ع. ف) أدى ذلك إلى أن يراجعوا موقفهم الفكرى والنضالى من حركة الجيش، رغم أن الانبهار بانتصارات عبدالناصر السياسية وخاصة على نطاق العداء للاستعمار كان لايزال قائما، وكانت تضاف إليه إضافات ذات مغزى عند الشيوعيين وهى توسيع التعاون بشكل كبير مع المعسكر الاشتراكى وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى.

وفى نفس هذه الفترة لم يكن الانبهار بوطنية عبدالناصر وعدائه للاستعمار قاصراً على الشيوعيين المصريين بشكل عام و (ع. ف) بشكل خاص، وإنما امتد إلى الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية والأوربية، وكانت وحدة منظمات الحركة الشيوعية المصرية محل اهتمام كبير من تلك الأحزاب التى ضغطت لإتمام الوحدة، على اعتبار أن الظروف تلائم تماما قيام تلك الوحدة، وعلى أن تصفى الخلافات فى الداخل، وكان على رأس الأحزاب التى ضغطت على المصريين من أجل الوحدة الحزب الشيوعى الفرنسى والحزب الشيوعى الإيطالى.

وقد أثمرت تلك الضغوط بالإضافة إلى الظروف السياسية والوطنية العامة التى كانت تسود الجو المصرى، وبدأ بالفعل من يناير ١٩٥٧ تبادل الرسائل بين الحزب الشيوعى الموحد وبين طليعة العمال بخطاب موجه من المكتب السياسى للحزب الشيوعى الموحد إلى اللجنة المركزية والمكتب السياسى لمنظمة طليعة العمال، وكان ذلك رداً على الخطاب المرسل من طليعة العمال بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٢١ .

كانت لجنة التنسيق من ممثلين للثلاث منظمات الرئيسية التى تحمل اسم الشيوعية فى مصر، إلا أن من الواضح من تبادل الوثائق والرسائل أنها كانت بين قيادتين، بينما كانت منظمة الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لاترد على الرسائل، وقد جاء فى آخر الخطاب المرسل من المكتب السياسى لطليعة العمال إلى اللجنة والمكتب السياسى لمنظمة الحزب الشيوعى المصرى الموحد بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٧ حيث جاء فى آخره ملحوظة: (مع أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى لاترد على خطاباتنا إلا أننا تمشيا مع خطتنا فى الوحدة نسلم نسخة من هذا الرد إلى مندوبيهم فى لجنة العمال) كانت طليعة العمال تحرص على نشر كل ما يتعلق بالوحدة مع المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى فى مطبوعاتها السرية. كما كانت تهتم بأن تناقش الرسائل المتبادلة حول الوحدة فى جميع المستويات، ونظرا لظروف (البحبحة) الديمقراطية، فقد كانت لجان العمل تناقش ذلك أيضاً مع المنظمات الأخرى، وكان معروفاً أن الوحدة سوف تتم لا محالة ودون استكمال الشروط التى أقنعت طليعة العمال قواعدها بها كشرط لسلام واستمرار الوحدة دون انقسامات.

وعند مناقشة وحدة المنظمات الشيوعية المصرية فى منطقة الفيوم لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، كان عدد أعضاء (ع. ف) ثمانية عشر عضوا، وبعد مناقشات طويلة ومرهقة فى جلسات متعددة تدخل فيها لمحاولة الاقناع بالوحدة المرحوم لويس اسحق الذى أرسلته اللجنة المركزية بصفته مسئول الصعيد، إلا أنه لم يوافق على دخول الوحدة سوى أربعة فقط، هم الذين اندمجوا فى حزب ٨ يناير واحترمنا رغبة من قرروا التوقف لأن العمل الحزبى فى الأساس عمل تطوعى.

ولاشك عندى أن عدم قبول الأربعة عشر الدخول فى الحزب الواحد لا يرجع إلى الخوف أو التراجع أو عدم الإيمان والاقتناع بالمبدأ، وإنما يرجع إلى ما كان ينشر فى مطبوعات طليعة العمال عن خيانة المنظمات الأخرى للحركة الشيوعية ولقضية الطبقة العاملة، وعلى سبيل المثال فقط، فقد نشرت مجلة المقاومة الشعبية النصف سرية والتى كانت تصدرها طليعة العمال لتوزع على الأعضاء والمرشحين والعاطفين ثم المكافحين الشرفاء بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٤، نشرت نص البيان الذى أصدره بعض قادة حدتو من السجن العسكرى الحربى بتأييد الحكم العسكرى الفاشى، وقد

وصفت المقاومة الشعبية هذا البيان وإرساله للحكم بأنه خيانة، وكذلك نشرت طليعة العمال استقالة (راشد) من حدتو وطبعتها بخط يده.

فى الغالبية العظمى من المجلات والنشرات كانت تهاجم حدتو، ثم فجأة تنشر محاضر التنسيق ثم يعلن عن إتمام الوحدة، وفى رأيى أن ذلك مبرر كاف لموقف الزملاء الذين طلب بعضهم اتصالات فردية مستمرة مع مسئول من (ع. ف) وأعلن آخرون انسحابهم من العمل إلى حين ومن كل العمل السرى.

وقد ساعد على هذه البلبلة ما كان يتم أثناء الاستعداد لوحدة ٨ يناير، حيث كانت تتم المناقشات بتفاصيلها عن التكوين العضوى للتنظيمات فى صورة شبه علنية على المقاهى وفى الحدائق العامة، وحتى ما كان يتم منها داخل المنازل، كان يتم بدون أى حذر أمنى، وكان هناك إصرار تحت ستار معرفة جدية العضوية على ضرورة ذكر الأسماء الحقيقية وعدم الاكتفاء بالأسماء الحركية، وكذلك نوع العمل ومكان العمل لكل عضو من أعضاء التنظيمات الثلاثة (حدتو. الراية ـ ع ف) الذى يقدم لدخول الوحدة، ولازلت أذكر قول ضابط المباحث العام (عبدالرحمن مكى) عندما قبض علىّ فى أول يناير ١٩٥٩ عندما قال فى شماتة (الفضل لوحدة ٨ يناير فى كشف نشاطك أمامنا بعد أن ظللنا أربع سنوات وأكثر ولا نعرف عن نشاطك الشيوعى شيء).

تكونت لجنة منطقة الفيوم لحزب ٨ يناير ١٩٥٨ على ما أذكر من اثنين من طليعة العمال وواحد احتياطى، ومن حدتو ٤، ولم يكن للراية أى عضو فى الفيوم، ومع هذا كان مسئول المنطقة المعين من اللجنة المركزية هو محمد عباس سيد أحمد أحد أعضاء الراية سابقا، وكان حضوره من القاهرة فى أكثر المرات بسيارته الخاصة لحضور اجتماعات لجنة المنطقة من أهم العوامل التى سهلت على البوليس السياسى فى الفيوم معرفة أعضاء لجنة المنطقة ومواعيد الاجتماعات وأماكنها، الأمر الذى سهل دقة عمليات القبض فى أول يناير ١٩٥٩ ثم فى حملة ٢٨ مارس ١٩٥٨، وهنا أقرر أن الخطأ يتحمله الجميع حيث كنا نتصرف كما لو كنا فى حزب علنى معترف به من السلطة وليس حزباً سرياً، وهنا وللخبرة أذكر بعض أسباب كشف الشيوعيين فى الفيوم. فعندما لاحظنا مراقبة التتبع لنا حيث كانت ترصد سيارة محمد عباس من

وقت دخولها منطقة سنورس إذ كنا نتنقل بها من منطقة السيليين إلى بعض الحدائق أو بركة قارون هربا من الرقابة ولكننا كنا نلحظ بعد فترة أن الرقابة خلفنا، ولم نهتم. كذلك شراء الأمن لمسئول الاتصال بين منطقة الفيوم وقيادة الحزب بالقاهرة، بالتهديد أولا ثم بالترغيب بعد ذلك وعدم تنبيهنا كلنا إلى مسـاعدته على المقاومة فى الوقت المناسب، خاصة رأنه حكى لنا بأمانة قصة تعرضه للمراقبة وتهديد عبدالعزيز شاكر مفتش المباحث عامة بالفيوم له بالاعتداء عليه وعلى زوجته وأولاده، إذا لم يشتغل لحسابه ويسلمه البوسطة للاطلاع عليها قبل تسليمها سواء فى القاهرة أو إلى الفيوم، ثم التلويح له بالمساعدات المالية وضمان عدم كشفه لنا، مع تشكيك عبدالعزيز شاكر له فى أعضاء لجنة المنطقة واتهامهم بالكفر والإلحاد وخيانة الوطن وعمالتهم وتنظيمهم للاتحاد السوفيتى رأس الكفر فى العالم.

ورغم الصراحة التى ذكر بها هذا الزميل كل التفصيل فى لجنة المنطقة، إلا أننا اكتفينا بإصدار قرار له بعدم مقابلة عبدالعزيز شاكر دون أن نقدم له مساعدة جدية لحمايته من نفسه ومن عبدالعزيز شاكر وكتفينا بمراقبته.

كلفنا بتدبير مكان نؤجره لإقامة أحد الزملاء المحترفين، وكان من الطبيعى أن نعطى ضمانات شخصية منا لصاحب المنزل بأن الساكن رجل طيب وتحت ضماننا خصوصاً وإنه كان غريبا لم يكن قد وصل إلى الفيوم من قبل، وفوجئنا بأن هذا الشخص ذو شكل مميز ممن تقول عنه (ضد الشمس) شعره أبيض ووجهه أبيض ورموش عينيه بيضاء وشكله مميز جدا، مما جعلنا نطلب سحبه قبل مضى شهر وبعد أن ترك لنا متاعب أمنية كبيرة، إذ عرف مخبرو المباحث العامة شكله، وكان يكفى تتبعه لمعرفة كل اتصالاته بنا.

ورغم كل هذه الظروف غير المواتية، فقد استمرت لجنة المنطقة فى عملها وانتظمت اجتماعاتها، ووضعت خططا للعمل الجماهيرى بين الطلاب وفى وسط الفلاحين فى مركز إطسا، حيث بدأ الطلاب يوصلوننا بأهلهم من الفلاحين وساعدناهم بالفعل فى حل بعض المشاكل مثل انتظام دوران الرى بعد الشكوى لمفتش الرى من تصرفات البحارة، وإقامة كوبرى بدلا من المتهالك الذى كثرت الحوادث بسببه، وأقامته الحكومة من ميزانيتها، وأخيرا كان نجاح المنطقة فى الاشتراك فى مدرسة

الكادر التى أقيمت فى الإجازة الصيفية للمدارس ولمدة عشرة أيام فى مكان هو فيلا فى الدقى مع الإقامة الكاملة دون الخروج منها إلا لأصحاب الفيلا الذين كانوا يحضرون لنا لوازم المعيشة من أكل وشرب وخلافه، وفى مدرسة الكادر درست مواضيع ثلاثة:

١ - دراسة نظرية عن أهم معالم الماركسية وأهمية وضرورة وجود حزب مستقل للطبقة العاملة.

٢ - موقف المنقسمين بعد ٨ يناير وعوامل انقسامهم والخلافات معهم.

٣ - المطالب الشعبية التى كان الحزب قد أصدرها بعد الانقسام ووسائل طرحها على الجماهير الشعبية والعمل على تبنى الجماهير لها والعمل على تحقيقها كل فيما يخصه.

وأشهد أن جميع من حضروا قد خرجوا محصنين ضد الانقسام بمن فيهم أعضاء حدتو سابقا، وبحصيلة نظرية ماركسية تكفى للفهم السليم للظواهر. وأخيراً بفهم واضح لبرنامج المطالب الشعبية ورؤية عامة عن كيفية طرحه بين الجماهير.

وكان نزول برنامج المطالب الشعبية من حزب ٨ يناير يعتبر تصحيحا للنظرة الفكرية اليمينية التى سادت بين الشيوعيين المصريين منذ مؤتمر باندونج، وكانت بداية لطرح المفهوم الطبقى والتحيز لقضايا الجماهير الكادحة بجوار التوجه الوطنى المعادى للاستعمار والرجعية المحلية، ولنزعج عبدالناصر وحكومته عندما بدأ أعضاء الحزب يطرحون شعاراته الجديدة والمطالب الشعبية فى المؤتمرات الجماهيرية التى كان يعقدها الاتحاد القومى، وزاد الانزعاج مع زيادة تبنى الجماهير لشعارات الشيوعية. وقال رجال عبدالناصر وأيدهم المنقسمون أن ذلك تطرف يسارى وتخريب لمؤتمرات الاتحاد القومى، وكان من أشهر أحداث تلك الفترة ذلك المؤتمر الذى أقامه الاتحاد القومى فى ميدان عابدين وخروج الجماهير هاتفة بمطالبها وخاصة الديمقراطية وسقوط القرار الجمهورى رقم ٨. وخطت السلطة خطوة فى محاولة احتواء الشيوعيين، عندما استدعى أنور السادات - ممثلا لعبدالناصر - بعض أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى (٨ يناير) وكان من بينهم محمود أمين العالم،

وأدار معهم نقاشا طويلا كان محوره ضرورة أن يتخلى الشيوعيون عن تنظيمهم المستقل ويعملوا فى السياسة من داخل الاتحاد القومى، وأنهى الاجتماع الذى استمر إلى ما بعد منتصف الليل بتهديد فج ورنح بأنه سوف يصفى التنظيم بالإجبار إذا لم يله الشيوعيون وجودهم التنظيمى طواعية.

وبعد يومين اثنين كان الإنذار العملى بتنفيذ تهديد أنور السادات، وذلك باعتقال ثمانية من أنشط عناصر الحزب وغالبيتهم من العمال وممن قاموا بدور فى طرح برنامج الحزب للمطالب الشعبية فى مؤتمرات الاتحاد القومى، حيث أودعوا بسجن قنا مع المجرمين معتادى الإجرام، وعوملوا معاملة لايليق أن يعامل بها الإنسان حتى لو كان أسير حرب.

قضية يناير ١٩٥٩

تصاعدت المواجهة بين حكومة جمال عبدالناصر والشيوعيين المصريين ولم يأت الإنذار الأول باعتقال الثمانية من أعضاء الحزب بما كان يرجوه جمال عبدالناصر من الخوف والانكماش، وفى نفس الوقت كان أعضاء حدتو بعد أن أكملوا انقسامهم وسرقوا مطبعة الحزب وأعلنوا حزبهم (الحزب الشيوعى المصرى- حدتو) يعملون على التأييد المطلق للحكومة ومحاربة الحزب (٨ يناير) بشتى الوسائل بما فيها القول بأن الحكومة سوف تقبض على كل الشيوعيين ماعدا أعضاء حدتو، بينما كانت نشاطات الحزب تتسع ويكسب كل يوم جماهير جديدة إلى جانب شعاراته ثم عضويته.

وفى الفيوم بدأت مضايقات المباحث العامة لكل المعروفين من أعضاء الحزب بمن فيهم أعضاء حدتو الذين لم يخرجوا فى الانقسام ومنهم محمود مرسى الجزمجى وجابر بريقع بائع الصحف وآخرون، وبالمناسبة أقول للتاريخ أنه لم يخرج أحد فى الانقسام من أعضاء حدتو السابقين فى الفيوم، وكلهم أدانوا الانقسام، وتدخلت المباحث العامة لعزلى من المسئولية الثقافية لمركز الخدمة العامة بمدرسة الفيوم الصناعية، وإن كان ذلك لم يؤثر إلا بحرمانى من المكافأة الشهرية التى كنت أتقاضاها بينما ظل عملى ونشاطى فى المركز كما هو، بل إن الطلبة وغيرهم من المترددين على المركز زاد ارتباطهم بى وإقبالهم على النشاط الثقافى السياسى، وظللت أعد كلمة الصباح التى

كان يلقيها طالب فى طابور الصباح واستمرت بل زادت مشاركتى فى مجلات الحائط التى بدأت تنقد الأوضاع وطرح مطالب الطلبة والتجار والفلاحين فى المقالات والكاريكاتير مع الاستمرار فى فضح أساليب الاستعمار الأنجلو أمريكى وذكر حركات التحرر الوطنى وأخبارها عربيا ودوليا.

ومن أنجح المجلات تلك التى كانت تغير أسبوعياً ومكونة من لصق قصاصات من الصحف عليها وبها تصريحات المسئولين قبل وأثناء معركة العدوان الثلاثى وأثناء المعركة الانتخابية، وفى النصف الآخر من المجلة قصاصات صحف لما يناقض ذلك سواء من تصريحات المسئولين أو من شكاوى المواطنين.

ومن أول يناير ١٩٥٩، وبعد منتصف الليل بقليل هاجم منزلى الضابط اليوزباشى (عبدالرحمن مكى) على رأس قوة من الجنود والمخبرين، وبعد تفتيش المنزل بطريقة سيئة جدا خاصة بالنسبة لإزعاج الزوجة والأطفال، قبض علىّ وأودعنى قسم البوليس، وفى الصباح اصطحبنى إلى المدرسة، وحاول أن أظهر أمام الطلاب فى طابور الصباح وفى يدى الكلبشات، وبعد أن فتش مكتبى فى المدرسة الذى كان زملائى المدرسون قد أخلوه إلا من كراسات التحضير، حاول تفتيش مكاتب المدرسين الآخرين فاعترضت وتصديت له وشجع ذلك موقف المدرسين الآخرين الذين تحرشوا به فخرج إلى غرفة ناظر المدرسة وحاول أن يأخذ منه أو من المدرسين إقراراً بأننى كنت أقوم بنشاط شيوعى فى المدرسة مستغلا وظيفتى وترددى على مركز الخدمة ففشل، بل قوبل بعدم الاحترام، وفى المساء رحلت مع الزملاء الذين قبض عليهم من الفيوم بطريقة مهينة جداً إلى مقر المباحث العامة بلاظوغلى، فوجدت كثيرا من الزملاء الذين أعرفهم من مختلف مناطق القطر سواء من أعضاء حزب ٨ يناير أو من المنقسمين وكذلك من لم يكن لى سابق معرفة بهم، أما القضية ومنذ أول يناير ٥٩ وحتى الإفراج عنى فى ١٩٦٤/٤/٣ فلن أتعرض لها لأنى خصصت لها كتابا لم ينشر بعد عنوانه (الأوردى جهنم الأحياء) وفيه كثير من التفاصيل عن التنقل من القلعة إلى الواحات إلى سجن مصر إلى سجن الحضرة إلى أوردى ليمان أبى زعبل جهنم الأحياء إلى الواحات ثانيا حتى الإفراج عنى، وبما فى ذلك الموقف العام فى القضية ثم أسماء بعض من استشهدوا ولا داعى لتكرارها، فإنى أرجو أن ينشر ذلك الكتاب ذات يوم.

مقدمات حل التنظيمات الشيوعية

انتهت مرحلة التعذيب العنيف فى أوردى ليمان أبى زعبل بعد مقتل الشهيد شهدى عطية الشافعى الذى كان المتهم الأول فى قضية الحزب الشيوعى المصرى حدتو أثناء حفل الاستقبال بعد محاكمتهم فى الإسكندرية، وبانتهاء الشغل فى الجبل ووقف الضرب بالشوم وتكسير الزلط والبازلت فى الجبل والضرب بالفلكة واللف للتفتيش وطابور التعذيب المسمى طابور الرياضة وغيرها، كان محتما أن ينتهى الأوردى بكل أنواع تعذيبه بعد أن فشل فى كسر نفوس الشيوعيين، خاصة بعد بدء عمليات المقاومة من النزلاء معتقلين ومحكوم عليهم، والتى كان ضمنها قيام فريق بالإضراب عن الطعام وكنت منهم، ثم تفكك جو المعاملة العام من جانب الحراس من الجنود الذين بدأوا يتحدثون معنا ويخالطوننا ويسهلون لنا الحصول على ما كنا فى أشد الحاجة إليه، وبعد أن فتح باب الزيارات من العائلات خاصة ذات الأوضاع الاجتماعية والمالية المتميزة إلى ذويهم من المعتقلين والمسجونين حاملين فى أثناء الزيارات الطعام والملابس والأدوية: عندئذ فقد أوردى ليمان أبى زعبل مقوماته كمعسكر تعذيب وكان لابد أن ينتهى. وبالفعل وبدأت السلطات فى نقل المعتقلين على دفعات إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة، وبقى نزلاء عنبر ١ وبه ثلاثة وستون من المتهمين الذين حوكموا فى قضية الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير وكنت منهم بعد وفاة المرحوم سعد الدين التركى قبل المحاكمة: وكانوا يعتبرون فى نظر إدارة المعتقل والدولة قيادة نزلاء الأوردى جميعهم.

نقلت إلى مستشفى القصر العينى لإجراء عملية فتق أصبت به فى الأوردى من جراء الجرى والضرب وحمل الأحجار الكبيرة، وأثناء وجودى فى المستشفى تحت العلاج، أبلغت بحكم المحكمة فى القضية رقم ٨ حصر أمن دولة عليا والتى كانت الأحكام فيها بالبراءة على البعض وكنت منهم، وأحكام بالأشغال الشاقة عشر سنوات وهذه كانت من نصيب من اعترفوا أثناء المحاكمة وأمام المحكمة العسكرية العليا بعضوية الحزب الشيوعى المصرى وأحكام أخرى من سنة إلى سبع سنوات على البعض الآخر، وعند عودتى إلى الأوردى بعد عملية الفتق كانت الأحكام قد أعلنت على جميع الزملاء المتهمين فى القضية، وبدأ الإعداد لمرحلة نقلنا من الأوردى إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة.

رغم مقتل الشهيد شهدى عطية الشافعى الذى كان قائد حدتو، ورغم تعرض من كانوا معه فى القضية لتعذيب جعل الكثيرين منهم معرضين لخطر الموت أو العاهات المستديمة، فقد ظل الخط السياسى لحدتو هو تأييد عبدالناصر والدفاع عنه وعن نظام حكمه، وتبرير ماحدث للشيوعيين بأنه من أعمال الأجهزة الرجعية فى الحكم وعلى رأسها المباحث العامة التى تعمل جوهريا ضد عبدالناصر، وكانوا يرون من واجبهم أن يحولوا دون أى محاولة لحجب التأييد عن عبدالناصر.

وبالمناسبة فإن أعضاء حدتو بعد القبض على الشيوعيين فى أول يناير ١٩٥٩ بمن فيهم أعضاء حدتو وأعضاء حزب ٨ يناير، أشاعوا فى معتقل القلعة وسمعت هذا من أكثر من واحد منهم بأنه قد قبض عليهم بطريق الخطأ وأنهم سوف يفرج عنهم بمجرد انتهاء التحقيق مع الجميع، لأن عبدالناصر يعلم أنهم يؤيدونه، وأن المقصود أصلا بهذه الحملة هم أعضاء ٨ يناير الذى كانوا يسمونه (التكتل) لأنهم يعارضونه وهم الذين خربوا مؤتمرات الاتحاد القومى، وظلوا كذلك حتى أعلنوا أمام المحكمة العسكرية العليا فى الإسكندرية أنهم المؤيدون لسياسة عبدالناصر والمدافعون عنها.

أما تنظيم الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير فكانت النظرة العامة فى داخله كما عاصرتها واشتركت فيها هى أن الوضع السياسى العام فى القطر كله هو الذى يحكم الظاهرة، وأن للديمقراطية إذا فقدت فلاضمان لبقاء حتى الحقوق التى يحصل عليها الفقراء وخاصة العمال، أما القطاع العام فكان يعتبر رأسمالية الدولة الاحتكارية والحكم تعبير عنها وممثل لمصالحها.

وبهذه المناسبة مازلت أذكر نقاشى مع المرحوم لويس إسحق على باب عنبر سجن المحاريق، بعد أن جمعت حاجياتى متجها إلى البوابة الرئيسية للسجن بعد أن ورد اسمى فى كشف الدفعة المرحلة للإفراج عنها، وبعد أن رأى لويس فى عينى وفى تعبيرات وجهى الأسى والأسف والخوف من أن تطول مدة سجن المحكوم عليهم خاصة بمدد طويلة وهو منهم لأنه كان معترفاً بعضوية الحزب الشيوعى المصرى أمام المحكمة، قال لويس: «لقد قلت لك من قبل وأثناء المحاكمة وقبلها عند مناقشة موضوع الاعتراف بعضوية الحزب وإصرارى على هذا الاعتراف، قلت لك إن القضية سياسية فى المحل الأول، وإن الإفراج عن المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة عشر سنوات لن يتأخر سوى شهور فقط بعد الإفراج عن جميع المعتقلين وتصفية المعتقلات، ومازلت

عند هذا الرأى وأن خروجنا لن يتأخر سوى شهور فقط وسنتقابل فى الشارع المصرى.

وقد تحقق ما قاله لى لويس إسحق، فقد صدر عفو شامل ألغى الأحكام التى صدرت عليهم فى قضايا الشيوعية وما ترتب عليها من آثار، ولكن لويس لم يخرج إلى الشارع المصرى، وإنما خرج من السجن إلى القبر بعد أن قتل برصاص البوليس قبل خروج آخر مسجون بأيام فقط.

وأعود إلى الموقف السياسى فى داخل الحزب، إذ تطور من المعارضة الموضوعية لسياسة عبدالناصر فى تكميم الأفواه وإلغاء الديمقراطية، مع الاتجاه إلى سياسة التقارب مع الغرب وخاصة أمريكا، وتطور الموقف إلى رفع شعار الإسقاط لعبد الناصر وحكومته، وأعلن الشعار فعلا بعد أن وافق عليه غالبية أعضاء لجنة منطقة الواحات أعضاء قياديين وأعضاء عاديين، إذ نوقش الأمر أولا فى المجموعات ثم عقد مؤتمر من مسئولى المجموعات واللجنة القيادية وافقت أغلبيته على رفع شعار الإسقاط.

ولكن بعد صدور إجراءات يوليو ١٩٦١ الاقتصادية، فتح النقاش فى الموقف وقدمت تقارير سياسية بعضها طالب بإلغاء قرار الإسقاط وبعضها طالب ببقائه. ونوقشت التقارير فى المجموعات ثم عقد مؤتمر عرضت فيه توصيات المجموعات وانتهى إلى قرار بما يشبه الإجماع بإلغاء قرار الإسقاط.

وهنا أقرر أن رأيى والذى كان يتبناه عدد كبير من العمال هو أن إجراءات يوليو ١٩٦١، ١٩٦٣ وما حققته من مكاسب للكادحين وللطبقة العاملة بشكل خاص كانت فى حقيقتها تحقيق لكثير من المطالب التى كافح العمال من أجلها طويلا، وأن تلك الحقوق قد وردت كمطالب فى برنامج الحزب الشيوعى وفى تقرير المطالب الشعبية الصادر عن الحزب فى أواخر عام ١٩٥٨، وأقول إن هذه الإجراءات وآثارها قد أحدثت هزة عنيفة فى فكر الغالبية العظمى من نزلاء سجن المحاريق بالواحات الخارجة من الشيوعيين سواء كانوا معتقلين أو محكوم عليهم.

وفى الوقت نفسه بدأ بعض المثقفين وخاصة من أصحاب الأوضاع الاجتماعية والمالية المتميزة الذين كنا نسميهم (أبناء البيوتات) بدأ هؤلاء يبدون تشاؤمهم من إمكانية الخروج من السجن دون المساومة مع عبدالناصر، بعد أن سحب البساط من

تحت أقدام الشيوعيين وكسب إلى صفه الكادحين عامة والطبقة العاملة خاصة بما حققه لهم من مطالب، وبدأ الهمس بذلك في داخل الحزب على استحياء أحيانا، وبأسلوب الحوار السياسي، وأحيانا أخرى في شبه علانية، وكان ذلك يحدث في داخل الحزب بينما كان التأثير جارفاً في داخل حدتو حيث قررت في النهاية أن في السلطة مجموعه اشتراكية يقودها جمال عبدالناصر، وبدأ النقاش حول التنظيم المستقل للشيوعيين، وهل له ضرورة؟ أم أن الموقف الصحيح هو حل التنظيم والتعاون في العمل السياسي مع المجموعة الاشتراكية ومن داخل تنظيم السلطة السياسي (الاتحاد الاشتراكي العربي).

في هذه الفترة أيضاً بدأت همسات حول مقابلات تمت بين بعض أبناء البيوتات من أعضاء اللجنة المركزية في حزب ٨ يناير وبين ممثلين للسلطة أو لجمال عبدالناصر شخصياً وذلك من أجل الإفراج عن جميع المعتقلين والمسجونين الشيوعيين في مقابل حل الحزب وإنهاء الوجود المستقل لتنظيم الشيوعيين، على أن يفسح الاتحاد الاشتراكي وهو التنظيم السياسي الواحد والأوحد في الساحة المصرية، مكاناً للعمل السياسي في داخله للشيوعيين، ولا أريد هنا ذكر أسماء من تردد الحديث عن مقابلات تمت بينهم وبين سفراء السلطة أثناء ترحيل الشيوعيين للعلاج من أمراض حقيقية أو مفتعلة في سجون أسيوط وقره ميدان بالقلعة بالقاهرة، وكذلك ما كان يتردد من عروض وردت مع بعض الأسر في الزيارات على لسان مسئولين كبار في الدولة بهدف التمهيد لإتمام الصفقة مع قيادة الحزب الشيوعي المصري ٨ يناير، أما حدتو فقد كان أمرها قد حسم بقرار أن في السلطة مجموعة اشتراكية.

وسوف أذكر هنا واقعة حضرتها بنفسي عندما كنت في سجن أسيوط للعلاج وكان معي سليمان سيدا روس وسيد عبدالحميد ودكتور من أبناء البيوتات وآخرون لا أذكر أسماءهم، وكنا نتمتع ببعض الانفراج في السجن مثل فتح الأبواب وسهولة التعامل مع الكانتين وإرسال الخطابات تحت رقابة السجن طبعاً للعائلات، ودون تفصيل فقد أخبرنا الدكتور بأن الإدارة استدعته للتحقيق معه في خطاب أو رسالة ضبطت مع أحد السجانين، وكانت مرسلة إلى أخيه الدكتور ليرفعها إلى عبدالناصر، وكانت الرسالة تحمل تحليلا سياسيا ينتهي بمطالبة عبدالناصر بالإفراج عن جميع المعتقلين

والمسجونين الشيوعيين لأنهم السند الذى يجب أن يستند إليه الحكم ضد المرجعية والاستعمار المتربص به، هذا ما قاله الدكتور فى خطابه الذى قرر فى التحقيق معه أن الرسالة له ودافع عنها وعما فيها من أفكار وذلك فى محضر التحقيق الذى أجراه معه مأمور السجن، وفى تلك الفترة كان الدكتور قد انضم إلى حدتو وبذلك كان اتصاله بعبدالناصر وإرساله لرسالة إليه منطقياً ومتفقاً مع تفكيره.

ولكن فى داخل الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير، وضحت ثلاث شرائح بدأت كل منها تتجمع وتجرى مناقشات فيما بينها، أولها من كانوا فى ع. ف قبل الوحدة، وثانيها من كانوا فى الراية قبل الوحدة، وثالثها من كانوا فى حدتو قبل الوحدة وظلوا فى داخل الحزب ولم يخرجوا مع الانقسام ولايحتاج ذلك إلى دليل على أن تلك الاتصالات والمناقشات كان تدور على أساس حلقى.

وبجوار هذه الشرائح الثلاث كانت هناك مجموعة يسمون أنفسهم المستقلين عن الحزب وعن حدتو وذلك - كما قيل - لتغطية مواقفهم ورغبتهم فى عدم الإعلان عن هويتهم، وذلك إما لأنهم مستقلون فعلا وغير منظمين وإما لأنهم فعلا يريدون التغطية على هويتهم أمام جواسيس المباحث العامة الموجودين داخل المعتقل.

أما الأعضاء الذين من أصل حدتاوى، فقد اتجه أصحاب الفكر اليمينى منهم وكذلك الذين لم يجدوا راحتهم داخل الحزب، اتجهوا بحد جهود من حدتو إلى العودة للمنظمة الأم (حدتو) خاصة بعد أن وجد الجو فى سجن المحاريق المفتوح عمليا طوال اليوم فرصة للمقابلات التى أقنعتهم بأن قيادات حدتو لم تنقسم وإنما هى مؤامرة دبرها التكتل المتحالف بين الراية و ع. ف.

وأما الأعضاء السابقون فى الراية فقد أعلن بعضهم الانقسام عمليا عن الحزب فى صورة تكتل سموه الأفق وكانت لهم مجلة منطوقة بنفس الاسم شعارها (وصاح ملاح من أعلى السفينة، أرض فى الأفق) وكان فكرهم فى حقيقته معارضاً لخط التوافق المطلق مع عبدالناصر، وبالتالى يطالبون بالمحافظة على التمايز السياسى والتنظيمى عن عبدالناصر ويتمسكون به، وكان أغلب هؤلاء من الطلبة أو حديثى التخرج وخاصة من كلية الطب، أما بقية أعضاء الراية القديمة فقد كانت لهم مشاوراتهم ولقاءاتهم المستقلة، وإن ظلوا تنظيميا داخل لحزب مع أعضاء ع. ف السابقين

والباقين من أعضاء حدتو السابقين في إطار تنظيمي واحد.

أما أعضاء ع. ف سابقا وكانت نسبة كبيرة منهم من العمال، فقد ظلوا على الفكر السياسي المعلن والذى كان يعتبر وقتئذ فى نظر البعض يساريا، وهؤلاء كانت لممثليهم فى قيادة التنظيم فى الواحات مقابلاتهم مع بعضهم البعض ومع أفراد من القواعد. كما كانت تفعل الراية تماما. وإننى أقرر عن معايشة وعن يقين بأن العمال فى القواعد من أصل ع. ف سابقًا لم يشترك منهم فى تلك الحلقيات إلا عدد قليل جدا ومن المقربين، وكانت الاتصالات - لو تمت - تتم بطريقة فردية وعلى استحياء شديد، متخلفة بخلاف سياسى وتنظيمى مبدئى وباسم الدفاع عن الحزب، وكان هذا الفريق وأنا منهم محل تركيز من الجميع حتى من حدتو فى مجالات فتح واستمرار النقاش السياسى معهم بهدف استقطابهم خاصة من جانب أعضاء حدتو سابقاً والراية.

بعد فشل حسن المصيلحى واللواء همت فى تحقيق ما كان يرجوه عبدالناصر من حملة التعذيب الوحشى الإجرامى اللا إنسانى وبأساليب يعاقب القانون على استخدامها مع الحيوانات، ولم يتحقق الانهيار الكامل للشيوعية وللشيوعيين، لجأ المصيلحى إلى طرق أخرى لتحقيق نفس الهدف ومنها.

١ - أشاع بين العائلات بأن الشيوعيين لن يخرجوا من الواحات إلا إلى القبور وترتب على ذلك انهيارات في الأسر، فرأينا زوجات يطلبن الطلاق وبعضهن طلقن فعلا ورأينا خطيبات تتركن الخطيب بل ويتزوجن بآخر رغم قصة الحب الشديد الذى كان بينهما، ورأينا كثيرا من العائلات يضغطن على أبنائهن للتخلى عن الحزب الشيوعي، وكانت قمة المأساة وفاة زوجة عبدالعليم عمارة واثنين من أبنائه بعد تناولهم طعاما فاسدا ولم ينج من الأسرة إلا الأولاد الثلاثة الذين كانوا بالمدارس ولم يتناولوا الطعام المسموم، بالإضافة إلى ما وصلنا من متاعب تلقاها أسر العمال في المعيشة وضياع مستقبل الأبناء والبنات الذين تركوا التعليم ليعملوا ويساعدوا الأسر.

٢ - حول المصيلحى معتقل القلعة إلى معهد لغسيل المخ استدعى إليه عدداً من المعتقلين على دفعات من الذين أخبره عملاؤه بأن مقاومتهم قد ضعفت، وكلف عددا من المثقفين ومشايخ الأزهر على رأسهم الشيخ أبو زهرة لإجراء عملية

غسيل لمخ للشيوعين بما كانوا يلقونه من محاضرات، ثم عرض عليهم الإفراج مقابل التوقيع على ورقة باستنكار الشيوعية والطعن فى وطنية الشيوعيين، ورغم تعدد الأفراج فإن العملية لم تنجح بالصورة التى أرادوها ولم يوقع إلا نفر قليل بعضهم لم يكن لهم ارتباط بالتنظيمات الشيوعية قبل اعتقاله.

٣ . أنهى عدد من المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية مدة الحكم المحكوم بها عليهم ورحلوا إلى القاهرة لإطلاق سراحهم ولكن المباحث العامة وضعت فى مقابل الإفراج التوقيع على ورقة باستنكار الشيوعية والطعن فى وطنية الشيوعيين فرفضوا وبذلك أعيدوا إلى السجن كمعتقلين.

كان عبدالناصر قد أصدر قرارا إجراميا ليس له مثيل لا فى أيام الحكم الملكى ولا حتى فى أيام الحكم الإنجليزى المباشر والحماية، وهو وضع المعتقلين السياسيين فى السجون العادية مع حرمانهم من كل الحقوق التى تكفلها لائحة السجون لنزلائها، وبذلك عاد المفرج عنهم من الشيوعيين إلى سجن الواحات كمعتقلين ليحرموا ممن زيارة عائلاتهم لهم ومن تبادل الخطابات من وإلى العائلات، وخلعوا الملابس الداخلية والأحذية والبدلة الزرقاء ليلبسوا بدله البيضاء بدون ملابس داخلية ولا أحذية.

٤ . غرس حسن المصيلحى بعض عملائه فى وسط المعتقلين، واشترى بالترغيب بالإفراج والترهيب بالموت، بعض العناصر المتهاوة التى كانت تنقل إليه كل ما يدور فى داخل السجن بتقارير مفصلة، وأذكر أننا كنا بعد كل نشاط سياسى ينتهى بكونفرنس أو مؤتمر حزبى، كنا نرى مأمور السجن أو أحد ضباطه يدخل إحدى الغرف ويتوجه مباشرة إلى المخبأ الذى وضعت فيه كل الأوراق والتقارير والمحاضر والقرارات وغيرها، فيخرجها ويحملها ليرسلها إلى المسئولين فى القاهرة، دون أن يترتب على ذلك قضية كما كان متبعاً من قبل أو حتى يسأل عن من المسئول عن هذه الأوراق، ولعدم التأكد من شخصية الجاسوس فكان يسود جو من التشكك والريبة حتى فى عناصر لايمكن يطرق الشك إليها، وكان ذلك من عوامل تبرير الضعف أمام من يريدون التخلى عن الكفاح.

٥ - الأخطر من كل ذلك هو إشاعة الفكر السياسي الذى يدعو إلى التخلى عن التنظيم المستقل للشيوعيين الذى أصبح لا لزوم له ولا داعى لأن يتحمل الشيوعيون السجن والاعتقال والتعذيب خاصة وأن عبدالناصر قد حقق الكثير مما كان يطالب الحزب الشيوعى به، ومن الممكن الاستمرار فى العمل السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى، بل قالوا إنه من الممكن أن يتحول عبدالناصر إلى مؤمن بالشيوعية ويكون كاسترو مصر والشرق العربى.

٦ - كان عدد غير قليل من المعتقلين قد نفذت طاقتهم الصمودية لأسباب عدة منها طول المدة وفقدان الأمل فى الإفراج السريع وكانوا يغلفون ذلك بالممارسات الخاطئة التى يقوم بها بعض قيادات الحزب، وكمثال ففى الوقت الذى كان نصيب المدخن سيجارة كل أسبوع، كان أحد أعضاء اللجنة المركزية يدخن أكثر من عشرين سيجارة يوميا وعلنا وكان بعض المقربين تتلقى عائلاتهم مساعدات فى الخارج، بينما غالبية عائلات العمال تقاسي من المعيشة. ولقد فاتحنى هؤلاء وبعضهم مع الأسف من العمال الذين تحملوا الكثير فى سبيل صمودهم البطولى. وقالوا إنهم قد تعبوا وأصبحوا غير قادرين على الاستمرار فى تقديم التضحيات. وإذا كانوا يصرون على بقاء الارتباط بالحزب ورفض التوقيع على أية ورقة مقابل الإفراج، إلا أنهم لن يزاولوا النشاط التنظيمى الحزبى بعد خروجهم من المعتقل.

على هذه الصورة - فى رأيي - كان الوضع فى سجن المحاريق فى آخر أيامه، ومع ذلك كان الجو المفتوح يسمح بنشاط واسع ثقافى وإعلامى فى مدارس الكادر ومدارس محو الأمية والدراسات الفنية فى النسيج والميكانيكا، بالإضافة إلى المجلات المسموعة والمقروءة التى كانت تصدر.

الإفراج

غادرت سجن المحاريق بالواحات الخارجة فى يوم ١٩٦٤/٤/٣ فى الطريق إلى القاهرة مع دفعة من المعتقلين التى غادرت السجن الحربى فى يوم ٤/٤/ ١٩٦٤ إلى منازلهم، وبعد يومين أو ثلاثة سادت فيها فرحة اللقاء، تكشفت لى مأساة المعيشة التى تحياها الأسرة.

بعد الإفراج عنا بفترة قصيرة بدأ الإعلان عن تشكيل لجان لتشغيل المفرج عنهم من الشيوعيين، في الوقت الذي بدأ الحديث فيه عن موقف الحزب من السلطة بعد أن أفرج عن جميع المعتقلين وألغيت الأحكام الصادرة في القضايا وآثارها بالنسبة لكل من حكم عليهم ووضح أن هناك فريقين في قيادة الحزب واللجنة المركزية، وأخذوا يبذرون أفكارا ويعقدون مناقشات تدور كلها حول التنظيم المستقل للطبقة العاملة (الحزب الشيوعي المصري) وهل هناك ضرورة له بعد كل ما حدث من تغيرات في المجتمع؟ وكان الكلام في البداية على استحياء وبالتلميح ثم أصبح بالتصريح وعلنا.

ولاشك - وإن كان هذا رأيي الخاص - أن أجهزة عبدالناصر كانت لديها تفاصيل دقيقة عن كل ما يدور وعن موقف كل شخص ورأيه، وانعكس هذا على نتائج لجان التشغيل، فالمتحمس لحل الحزب تمهد أمامه السبل، ويوضع في الوظيفة أو العمل المجزي والمريح، أما من كانوا يعلنون تمسكهم ببقاء الحزب حتى مع إعلانهم عن ضروره التعاون مع الاتحاد الاشتراكي كتنظيم له كيانه المستقل وليس بانضمام أفراد، فهؤلاء كانت توضع أمام تشغيلهم العراقيل، وإلى أن صدر قرار حل الحزب في ١٩٦٥، كان بعض هؤلاء وغالبيتهم العظمى من العمال لم يلتحقوا بأي عمل إلا في أعمال أو مصانع صغيرة، وصرح بعض المسئولين لهم بأن عدم موافقتهم على حل الحزب هو السبب فيما هم فيه، وظل بعضهم إلى النهاية لايجدون إلا أعمالا مرهقة في القطاع الخاص، ويكفي أن أقول إن غالبيتهم قد انتهت خدمتهم وأحيلوا إلى المعاش على أساس الحد الأدنى نظراً لقلة الأجور وقلة مدة الاشتراك في التأمينات، ومن هؤلاء على سبيل المثال فقط أحمد سالم سالم - محمد عبدالمجيد أبو سيف - المرحوم عبدالحفيظ بيومي - جرجس عزمي وغيرهم كثيرون.

ولازلت أذكر بهذه المناسبة عندما استدعانا ضابط المباحث العامة (حسن حسني) رئيس قسم مكافحة الشيوعية بشبرا الخيمة عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بأيام وبدأ تهديده لنا بقوله:

(أنتم تعلمون أنكم جميعاً من أصل تاريخي واحد في المنظمات الشيوعية المصرية، وأنكم جميعاً لم توافقوا على حل الحزب الشيوعي المصري في ١٩٦٥، وأن ملفاتكم تثبت أنكم كنتم دائما إلى جانب الطرف اليساري في الحركة الشيوعية، فاحذروا القيام بأي عمل وإلا فلن تلوموا إلا أنفسكم).

ومن المؤكد أنه لم يكن هناك أمر قد صدر باعتقالنا وإلا كان نفذه، ولكن ذلك كان تهديداً لحسابه الخاص، ولما لم ينكر أحد منا عدم موافقته على حل الحزب ولا أصله التاريخي، لان في كلامه وتحول تهديده إلى نصيحة إلى أن انصرفنا.

حل الحزب الشيوعى المصرى

لقد استغل عبدالناصر وجهازه السياسي الذى لا أشك فى أنه أوسع من الاتحاد الاشتراكى، واستغلت الرجعية المصرية المضروبة واللابسة لرداء التقدمية رياء ونفاقا واستغل كل أعداء الشيوعية كمبدأ، واستغل كل من أراد أن ينفض عن كاهله مسئولية العمل السياسي المستقل وخاصة من قيادة الحزب وأعضاء اللجنة المركزية بل وقيادات وزعامات بعض المناطق الذين فقدوا الثقة فى أن يكون للشيوعية والشيوعيين مستقبل فى مصر، استغل كل هؤلاء الوضع وتكاتفوا لتحقيق هدفهم وهو إنهاء التنظيم المستقل للطبقة العاملة المصرية وإعلان حل الحزب باسم موافقة الغالبية الساحقة من كوادره.

وفى اعتقادى أن هذا القرار كانت له آثار أكبر وأعمق حتى مما طمح أعداء الشيوعية فى تحقيقه ويكفى أن أرصد من وجهة نظرى الشخصية طبعاً حالة أعضاء الحزب بعد اتخاذ قرار حل الحزب وإعلانه بشهور قليلة:

فريق من قيادات الحزب وأعضاء اللجنة المركزية ممن كان لهم دور كبير فى اتخاذ قرار حل الحزب، والذين استغل بعضهم علاقاته الشخصية بل وارتباطاته بالأصل التاريخى فى الترويج لفكرة الحل. وهذا الفريق قد حصل على الراحة الاقتصادية، سواء فى داخل أسرته ودخلها المادى أو فى دخله الخاص من العمل الذى التحق به أو غير ذلك، وأما من ناحية العمل السياسي والفكرى فقد انفتح أمامه باب الكتابة فى الصحف والمجلات والكتب الدورية وغير الدورية وغيرها، وتذكر بهذه المناسبة مجلة الطليعة التى كانت تصدرها دار الأهرام ومجلة الكاتب القاهرية الشهرية التى كان يسيطر عليها الماركسيين، وكذلك بعض المؤسسات مثل دار المعارف والمؤسسات الصحفية. وأذكر أني دعيت فى ١٩٦٦ إلى مركز الدراسات السياسية والاقتصادية بالأهرام حيث تكون مركز للدراسات النقابية والعمالية برئاسة المرحوم الدكتور عبدالرؤوف أبو علم، وأذكر ممن كانوا فى عضوية هذا المركز شيخ النقابيين محمد يوسف المدرك والأستاذة أمينة شفيق والأستاذ عبدالمنعم الغزالى الجبيلى،

ووضعت خطة للبحوث كلفت فيها بعمل بحث عن العمال والإنتاج وقدمته للمركز، وكلف عبد المنعم الغزالى بالكتابة فى تاريخ الطبقة العاملة المصرية، وهو الذى قام بنشره فى كتاب بعد ذلك، وقد شعرت بأن هناك عدم رغبة فى استمرار العمل بالمركز، ووصل الأمر إلى أنه لم يكن يحضر الاجتماعات رغم تحديد المواعيد مسبقاً إلا أنا وحدى فانقطعت عن الذهاب لمقر مجلة الطليعة بمؤسسة الأهرام التى كانت مقرا للمركز.

وبالإضافة إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الشيوعيين للعمل كأفراد، فقد أنشىء المعهد الاشتراكى والذى كان يشرف عليه أيضاً فريق من المثقفين الشيوعيين وكذلك أنشئت منظمة الشباب الاشتراكى بالإضافة إلى صدور الميثاق الوطنى وإقراره بحتمية الحل الاشتراكى لمشاكل المجتمع المصرى، وقد قام على صبرى أحد عمد النظام الأساسيين بإصدار كتاب بعنوان (حتمية الحل الاشتراكى) ولا ننسى فى هذا الصدد تحسن العلاقات فى كافة المجالات الاقتصادية والعسكرية والثقافية مع المعسكر الاشتراكى بشكل عام والاتحاد السوفيتى بشكل خاص، وفى المقابل كان تراجع التيار الدينى المتطرف بقيادة الإخوان المسلمين عن الظهور بشكل قوى فى الشارع المصرى، كل ذلك أثر فى سيادة الجو الذى أوحى وروج لفكرة عدم ضرورة التنظيم المستقل للطبقة العاملة، بل توهم البعض أن الديمقراطية آخذة فى الازدهار، وأن سلطة الفرد المطلقة والحزب المتمثل فى الفرد توشك أن تنتهى لتحل محلها المنظمات البديلة التى يعدها الشيوعيون، هذا رغم أن عبد الناصر لم يتخل للحظة واحدة عن أسلوبه الفردى فى إدارة دفة الحكم، وفى تصفية أية محاولة لإحياء الحركة فى الشارع المصرى الجماهيرى نحو الديمقراطية الحقيقية، وذلك رغم الشعارات الزاعقة عن علاج مشاكل الديمقراطية بمزيد من الديمقراطية، هذا عن الفريق الأول (المثقفون الكبار وأبناء البيوتات).

أما الفريق الثانى فهو الفريق المتوسط الحال اقتصاديا سواء الطلبة أو من الخريجين الجدد وخاصة من كلية الطب، وأما الموظفون الصغار الذين كان قد صدر قرار بفصلهم من الخدمة وشملت الكشوف الملحقة بالقرار الجمهورى أسماءهم، والذين لم يكونوا يطمعون اقتصاديا بعد خروجهم من السجن إلا فى العودة إلى العمل وتسوية

حالاتهم المادية والذين كان عليهم لفترة أن يكون ذلك همهم الأول، بعد أن وجدوا أنفسهم بعد الخروج من السجن وقد أصبحوا عبئاً على عائلاتهم، وهنا يجب التنويه إلى أن بعض هؤلاء وعن طريق الوساطات قد حصلوا على أوضاع متميزة وأكثر كثيرا مما كانوا عليه قبل الحبس فى ١٩٥٩، والمؤهل لذلك هو تركيز ذوى النفوذ لهم. ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء الدائرون فى فلك القيادات من المثقفين والزعماء الذين لعبوا أو نعب بهم على أساس الأصول التاريخية ومنهم فريق من العمال، وهؤلاء سارع جهاز عبدالناصر وعن طريق المثقفين الكبار بمساعدتهم، بتقديم العون لهم لضمان الولاء غير المباشر للاتجاه الجديد، فبعضهم التحق بأعمال وحصلوا أجوراً أكثر مما كانوا يطمعون فيه وما كانوا يحصلون عليه قبل القبض عليهم، وهؤلاء دفعوا إلى مصيدة الترويج لحل الحزب، ثم لتمجيد وعبقرية ذلك القرار بعد صدوره وإعلانه، وإنى لأذكر هنا أننى لا أتهم أحدا من هؤلاء بالخيانة عن فهم ووعى، ولكن الظروف العامة والارتباطات الخاصة جعلتهم يعتقدون أنه لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان، وأنه لم يكن من الممكن عمل شيء أفضل مما تم عمله، وخاصة مع جو الانبهار بالانتصارات فى الميادين المختلفة التى كان يحققها نظام عبدالناصر فيما عدا مسألة الديمقراطية.

أما الفريق الثالث فكان من العمال وبعض صغار الموظفين الذين ظل فكرهم مرتبطاً بضرورة بقاء التنظيم المستقل للطبقة العاملة لاعتبارين رئيسيين، الأول أن بقاء الحزب الشيوعى المستقل عن سيطرة السلطة هو الضمان الوحيد لعدم انتكاس كل ما تحقق من مكاسب، وهو الضمان أيضاً لغلق الطريق أمام إعادة سيطرة الرجعية على الاتحاد الاشتراكى، الأمر الذى صرح به عبدالناصر مرارا بأن الرجعية قد سيطرت على هيئة التحرير ثم على الاتحاد القومى، وأما الاعتبار الثانى فهو أن وجود الحزب الشيوعى المستقل لايعنى بالضرورة الحرب المستمرة بينه وبين الاتحاد الاشتراكى، إذ يمكن التعاون الجبهوى المثمر بين التنظيمين، وهذا التعاون يمكن أن يحرك الشارع الجماهيرى المصرى والجماهير الشعبية للوقوف ضد أى مؤامرات يقوم بها الاستعمار أو تقوم بها الرجعية وأنصارها فى الجهاز الحكومى وفى جهاز عبدالناصر نفسه.

هذه نماذج فقط مما كان عليه ويشعر به فريق من العمال الذين لاينضوون تحت أى من الاتجاهات، والذين رفضوا محاولات الزعماء من نفس أصلهم التاريخي للسير تحت البنديرة، لكي يراقفوهم في كل ما يقولون بالحق وبالباطل، ووصل الأمر إلى مداه بعد الخروج من السجن، إذ استبعد عدد من هؤلاء - وكنت أنا منهم - من الدعوة إلى بعض الاجتماعات التى ووفق فيها على حل الحزب، بدعوى أننا معروف رأينا من المناقشات السابقة، وإن رجوننا بحدث بلبلة هم فى غنى عنها، وكان الاتجاه واضحًا أن المطلوب كان التصديق على الصفقة التى تمت بكل تفاصيلها وانتهى الأمر، وكانت الاجتماعات والكونفرنسات والمؤتمرات بغرض إقرار تحصيل حاصل، ولإضفاء الشرعية الديمقراطية على قرار اتخذ قبل أن نطرح القضية للنقاش والتصويت، كان آخر اجتماع حضرته بخصوص حل الحزب قد تم بمنزل فؤاد عبدالمنعم شحتو بدمنهور، وكان سطح المنزل الذى عقد الاجتماع فيه مزدحما بشكل كثيف وعند التصويت كانت الغالبية العظمى من الحاضرين وهم من العمال ضد قرار حل الحزب الشيوعى المصرى، وأكثر ما حز فى نفسى أن يقف ممثل اللجنة المركزية للحزب والذى كلف بحضور الاجتماع ليقول بأعلى صوته بعد سماعه الكلمات العنيفة التى تدين الموافقين على حل الحزب، وبعد أن قال أحد الحاضرين إن هذا القرار باطل ولن ننفذه، عندئذ وقف ممثل اللجنة المركزية وقال بأعلى صوته (أى واحد هيحاول يعمل تنظيم شيوعى مستقل هنبلغ عنه).

أزمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥

وفى النهاية أستطيع أن ألخص أزمة الحركة الشيوعية المصرية فى المرحلة الثانية التى بدأت من أواخر ثلاثينيات القرن العشرين حتى ١٩٦٥ من واقع المعاصرة والمشاركة فى الآتى:

١ - قيام العناصر الأجنبية وخاصة اليهودية بتكوين الحلقات الأولى للشيوعيين، ورغم توسع حركة دخول الفكر الاشتراكى فى أوساط المصريين مثقفين وعمالا وطلابا، إلا أن سيطرة هؤلاء الأجانب ظلت تلعب دورها حتى النصف الثانى من الأربعينيات، وهذا لا ينتقص من الدور البطولى الذى قام به المصريون من أصل يهودى كأفراد ظلوا يتمسكون بالماركسية.

٢ - رغم ارتباط قيادات عمالية ذات قيادات وزعامات جماهيرية، وقيام تلك القيادات بدور فاعل فى الحركة النقابية والسياسية والمعارك المطلبية، ثم ارتباط تلك القيادات بالفكر الاشتراكى وانضمامها إلى عضوية المنظمات الشيوعية المصرية، إلا أن قيادة تلك المنظمات ظلت متركزة فى العناصر البرجوازية ولم يصل إلى عضوية المكتب السياسى أو اللجنة المركزية إلا أفراد، بعضهم سار تحت البندين وأفسد وتبرجز سلوكيا.

٣ - كان النشاط وسط الطلاب فى كليات الجامعات والمدارس الثانوية وحتى الأزهرية، من أقوى النشاطات الشيوعية الوطنية التى شهدتها الساحة المصرية، ولكن الواقع يقول إن الطالب بعد تخرجه وانغماسه فى الحياة العملية يخف اهتمامه بالعمل العام وخاصة الشيوعى وحتى الوطنى لدرجة التلاشى أحيانا، ولهذا وجدنا أنه لم يستمر منهم فى العمل الشيوعى بعد التخرج إلاعدد قليل، ومع الأسف أن بعض الطلاب قد كلفوا بمسئولية خلايا عمالية عصرة أو مرشحة لعضوية منظمات شيوعية.

٤ - الغالبية العظمى من الجالسين على كراسى قيادة المنظمات الشيوعية فى المكتب السيسى واللجنة المركزية وفى جميع المنظمات كانوا من العناصر المثقفة البرجوازية ولاشك عندى فى أن ذلك كان من أهم أسباب الانقسامية فى الحركة الشيوعية التى كانت كلها مرتبطة بحدتو.

٥ - سلفية النظرة إلى النصوص الماركسية وتقديسها واعتبار أن حفظها هو مقياس الثورية ودون فهم الماركسية كمنهج للفكر والعمل، وإهمال دراسة الواقع المصرى وطبقاته من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية والسلوكية.

٦ - إذا كانت الماركسية تقول إن الطبقة العاملة هى قائدة الثورة لتحقيق الاشتراكية، فإنها قالت أيضا إن الفلاحين هم جيش الثورة، ولكن الحركة الشيوعية المصرية لم تخلق لها جذورا قوية وسط الفلاحين وكان عمل الشيوعيين المصريين وسط الفلاحين ضعيفاً جداً.

٧ - الانقسامية فى منظمات الحركة الشيوعية المصرية التى قادتها العناصر البرجوازية فى قيادات المنظمات والتى اتخذت شكل الصراع العدائى الذى استنفد

جزءاً غير قليل من عهدها فى محاربة بعضها البعض بدلا من توحيد الجهد ضد العدو الطبقى، بينما كانت العناصر القاعدية من الشيوعيين من مختلف المنظمات تتعاون فى ميدان العمل والحقل الجماهيرى، خاصة العمالى والطلابى، وكثيرون منهم كانوا يرفضون ويدينون الاتهامات التى كان يرجهها البعض للآخر.

٨ - فهم موقف الماركسية من الدين فهما خاطئا، أدى إلى فهم بعض الشيوعيين - نتيجة ما درس لهم فى مدارس لكادر - أن الإلحاد شرط من شروط الإيمان بالشيوعية، وترديد البعض لمقولة (الدين أفيون الشعوب) فى بعض الأوساط الشعبية، والسلوك الخاطئ لأفراد بطريقة لاتتفق مع تقاليد الشعب المصرى وأخلاقياته.

٩ - عدم الفهم الصحيح لموقع كل من القضية الوطنية والقضية الطبقية فى الصراع، والذى أدى فى بعض الأحيان خاصة مع التطورات التى حدثت فى الواقع المصرى، أدى ذلك الفهم غير الصحيح إلى تغليب القضية الوطنية بشكل شبه مطلق على القضية الطبقية ومصالح الجماهير الكادحة بالعمل تحت جناح البرجوازية ومن خلال العضوية الفردية لهم فى تنظيم السلطة السياسية، وهو ما أدى أخيراً إلى حل التنظيمين الشيوعيين الكبيرين (حزب ٨ يناير ١٩٥٨ وحزب حدتو) فى مأساة وجريمة الحل فى ١٩٦٥.

١٠ - التركيز على المركزية وإهمال الديمقراطية فى العمل الداخلى للمنظمات الشيوعية مما كان من أسباب الانقسامية لعدم قبول الرأى الآخر والتعايش معه.

١١ - الذيلية المطلقة للاتحاد السوفيتى وتقديس وتنفيذ كل ما يصدر منه من قول أو عمل، دون دراسة علمية لما إذا كان ذلك يتفق مع الواقع المصرى أم لا.

١٢ - وأخيراً ضربات السلطة القاسية بكل أجهزة قمعها بشكل مستمر ومتصاعد فى العنف حتى فى المراحل التى كان فيها نشاط الشيوعيين مسانداً للسلطة فى مواجهة الإنجليز والملك قبل نجاح حركة الجيش وحتى فى مساندة سلطة يوليو فى مواجهة الاستعمار العالمى والرجعية المحلية بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكذلك مساندة عبدالناصر فى حربه ضد الصهيونية ولتأييد حركات التحرر العربية والأفريقية.

النهاية

وهنا أستطيع أن أقول إن نهاية رحلتى مع الماركسية تنظيميا كانت بصدور قرار الحل للمنظمتين الشيوعيتين الرئيسيتين فى الساحة المصرية وهما الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير والحزب الشيوعى المصرى حدتو، ورغم ذلك فمازلت مؤمنا بحقيقتين تحكمان تفكيرى على الدوام وإلى اليوم وهما:

١ - أن الاشتراكية هى الحل الوحيد والحتمى لمشاكل الكادحين والفقراء على وجه البسيطة بشكل عام وفى مصر بشكل خاص، والطبقة العاملة المصرية بشكل أخص، وإن كنت أومن بشكل أساسى وفى نفس الوقت بأن البحث عن منهج لتحقيق الاشتراكية فعلاً فى الواقع المصرى يجب أن يراعى ظروفه ودون تمسك سلفى بالنصوص، فالماركسية كمنهج علمى تخضع للاجتهاد والتطور وإلا فقدت مضمونها.

٢ - أن جميع الأديان لم تأت إلا لتحرير الشعوب الكادحة من مستغليها، وإن الإيمان بالله والدين الإسلامى لايتعارض إطلاقًا مع الإيمان بالاشتراكية والعمل على تحقيقها، بل أعتقد أن الكفاح فى سبيل تحقيقها من عوامل التقرب إلى الله، الذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرما.

كان طبيعيا أن أبحث عن ميدان أعمل فيه ويكون ميسراً لى لأواصل العمل من أجل الطبقة العاملة والشعب المصرى، وبعد تفكير وصلت إلى قناعة بأن هناك تغييبا أو محاولة تجاهل لتاريخ الطبقة العاملة المصرية، وأن الغالبية العظمى ممن كتبوا عن تاريخها من المثقفين الذين لم يعايشوا ظروفها ويمارسوا آلامها ويحسوا بآمالها، وحتى من كتب من هؤلاء، كانت كتاباتهم مقتطفات استند بعض المثقفين إليها لملء فراغ فى بحثه.

وفكرت فى سد جزء من هذا النقص، مع إيمانى بأن تاريخ الطبقة العاملة المصرية لايمكن أن يقوم به على الوجه شبه الأكمل إلا هيئة تتوفر لها إمكانيات كافية فبدأت فى هذا المجال، إلى أن انفتحت أمامى مجالات أخرى سوف يكون للحديث عنها مكان آخر.

شهادة
عادل حسونة حسين إسماعيل

البيانات الشخصية:

الاسم: عادل حسونة حسين إسماعيل.

تاريخ وموطن الميلاد: ١٩٣٨/٢/١٠ - الإسكندرية.

فترات الاعتقال: ١٩٥٥حتى ١٩٥٦ لمدة عام واحد،٥٩/٣/٢٨ حتى ١٩٦٤/٤/٤ «خمس سنوات».

بيانات أخرى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية:

والدى د. حسونة من قيادة حزب ١٩٢٤، وله دوره عام ١٩٢٨ فى كشف خيانة محمد عبدالعزيز.. وإنزال عبدالرحمن فضل من على ظهر السفينة التى ظل عليها عدة أشهر ممنوعا من مغادرتها..

أنهى دراسته الماركسية بجامعة شعوب الشرق بموسكو، فى الفترة من ١٩٢٣ حتى ١٩٢٨، حيث عاد إلى مصر. وقطع دراسة متخصصة بمعهد للقادة «لينسكى سكولا» عام ١٩٢٨ لمواصلة الكفاح وإعادة بناء الحزب بعد ضربة ١٩٢٤. وقام مشاركًا زملاءه من قيادة الحزب القديم «عمر و شعبان حافظ» بمواصلة العمل الحزبى سرا، وهو عمل لم ينقطع، وإن تأثر بإجراءات الحكومة، وتجريم وتحريم ومطاردة العمل الشيوعى فى مصر منذ قضية ٢٤ وسجن قياداته. وواصل مع زملائه النضال حتى بعد تجميد الكومنترن لعضوية «الحزب الشيوعى المصرى»، بسبب القبض على مندوبيه، وخيانة محمد عبدالعزيز الذى كان يثق به الكومنترن حتى عام ١٩٢٧.

سجن عام ١٩٣٠ (بسجن الحضراء) - قضية توزيع منشورات عيد العمال في مايو سنة ١٩٣٠ - قضية حكمت شعبان حافظ وآخرين. سجن عام ١٩٤٦ بسجن الأجانب بالإسكندرية (عدة أشهر وأفرج عنه)، سجن عام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥ لمدة سنتين وثماني أشهر، تحت التحقيق، في قضية حكم عليه فيها بعامين.

شقيقتي (زهيرة) - توفيت - زوجة الزميل جابر محمود، كانت عضوا بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطني بالقسم النسائي، ثم عضواً قيادياً بمنطقة الإسكندرية بعد حل القسم النسائي(١٩٥٣ - ١٩٥٦) كانت، إلى جانب عملها الحزبي، نشطة وسط أسر المسجونين بالإسكندرية، وقيادتهم في مواجهة الأمن، والتظاهر للإفراج عن المعتقلين والمسجونين تحت التحقيق لمدد طويلة دون النظر في أوضاعهم، ولوقف سوء المعاملة، وقبض عليها وأسر المسجونين بالإسكندرية بقسم العطارين لقيامهم بمظاهرة بشوارع الإسكندرية تحمل لافتات تطالب بالإفراج عن الشيوعيين، وتحسين معاملة المسجونين وقضوا يومين، وأفرجت عنهم النيابة قبل وقفة العيد الكبير عام ١٩٥٤.

وأذكر بالتقدير والاحترام دور والدتي الشجاع والقوى في مساندتها لنا ولزملائنا وتحملها المشاق وسوء الأحوال المالية، ورعايتها لنا في شموخ بإرادتها المنفردة منذ ارتباطها بوالدي خلال فترات للقبض عليه وهروبه، ثم بعد انضمامنا- نحن الأبناء- للحركة الشيوعية، ظلت دائما، رغم المعاناة الشخصية، فخورة بنا جميعا وبنضالنا- مشاركة كل الأسر في تحركاتها ومظاهراتها من أجل المسجونين الشيوعيين. وظلت تعطي المثل الحي للزوجات والأمهات في تحمل المحن وتحدي السلطة. ولي أن أذكر بكل فخر أنني كنت أول حالة تزامن انضمام أب وابن للحركة الشيوعية بمصر، وأول حالة بمصر يتزامن فيها سجن واعتقال (الأب والابن) لشيوعيتهما في عام ١٩٥٥، الأب بسجن الحضراء، والابن بمعتقل أوردي ليمان أبو زعبل). أذكر هذا ليس للفخر بهذه الأسبقية ولكن كشاهد مجسم وملموس مع غيره من الشواهد على تواصل الحركة الشيوعية المصرية- عملا وفعلا- وليس قولا وحسب على استمراريتها من ١٩٢٤ حتى الحل ١٩٦٤.

الارتباط بالحركة الشيوعية

ارتباطي بالحركة الشيوعية، حالة خاصة مختلفة عن بدايات الرفاق بالارتباط بالحركة الشيوعية؛ فلا الحركة الوطنية المتصاعدة؛ ولا النضال النقابي، ولا التحيز الفكري من خلال القراءة، كان سبباً لارتباطي بها.

السبب ببساطة أنني ولدت في أحضان الحركة الشيوعية المصرية. وحتى الرابعة أو الخامسة من عمرى، وقبل أن تتكون عندى ملكة الفرز والاختيار، لم أعرف لى أعماماً غير عمى «عمر» وعمى «شعبان»، ثم خلال تواجدنا بالمحمودية بحيرة خلال الحرب العالمية الثانية عرفت عمى «محمد سلامة» وعمى «محمد منصور»، وكلهم أعضاء وكوادر حزب ١٩٢٤.

ومرت أعوام وصرت فى مرحلة الطفولة المميزة، وأدركت وقتها أن هؤلاء الأعمام ليسوا أعماما برابطة الدم، بل أعمام برباط أقوى وأمتن، رباط النضال من أجل هدف واحد نبيل. فقد ظل عمَّاى «شعبان وعمر» يترددان على منزلنا بالإبراهيمية بالإسكندرية، فى مواعيد متواترة، وحدهما مرات، ومع آخرين لا أعرفهم مرات أخرى، كما كان يلفت نظرى وقتها تردد مجموعة من الشباب على منزلنا، يلبسون الزى العسكرى الخاص بالطيران لعدة أسابيع، ثم انقطع حضورهم الذى كان يستمر لعدة ساعات يجلسون إلى أبى الذى يتحدث إليهم طويلا وينصتون إليه.

وهكذا رأت عينى، وسمعت أذنى، ووعت مداركى منذ نعومة أظافرى، الاجتماعات المنظمة والحلقات الدراسية (مدارس الكادر) والأمان، والعمل السرى. ووعيت مبكرا جداً أن هؤلاء جميعاً، أبى وزملاءه، مجموعة من الرجال يجمعهم حزب واحد، وينشطون من أجل تحقيق نظام جديد، وأنهم بسبب نشاطهم هذا معرضون للقبض عليهم فى أى لحظة. ولذلك هم حذرون فى حركتهم واجتماعهم. وكانت هناك «أم»، ترد على استفساراتنا باقتضاب، وبقدر ما تعى من أقوال للأب لها عن حزبهم وأهدافه من إقامة العدالة والمساواة والاشتراكية. وكانت تطلب منا عدم الحديث عما يدور بداخل منزلنا من اجتماعات. وكان هذا بمثابة أول درس فى الأمان. وقد وجدت هذه الاجتماعات الحماية من طريقة حضور المترددين وانصرافهم فرادى، والأهم ما يوفره الحى الذى نسكن فيه (الإبراهيمية التى كانت حياً خاصا باليونانيين ولم تكن به إلا أسر نادرة مصرية)، وبعد سكانه عن الفضول. وبعده عن شكوك جهة الأمن فى وجود نشاط سياسى بين سكانه.

ومع مرور الوقت، ومن أحاديث والدى معنا، المباشرة أحيانا وغير المباشرة حينا، وضحت لنا أهداف حزبهم الرئيسية. كانت على الأقل تختلف تماما مع أهداف

الأحزاب الأخرى القائمة والمتصارعة على الحكم دون تغيير أو مساس بالنظام القائم المبنى على الملكية واستغلال العمال والفلاحين، وإبعادهم كطبقات عن أى مشاركة حقيقية فى توجهات الحكم. وأن طبقات أخرى فى المجتمع هى التى توجه دفة الحكم بما يضمن مصالحها. وهكذا، وبشكل مبسط، عرفنا أن المجتمع ينقسم إلى عدة طبقات غير متجانسة المصالح، وأن أقدر وأكثر هذه الطبقات سعيا للثورة على الأوضاع القائمة من استعمار وملكية وإقطاع ورأسمالية مستغلة هى الطبقة العاملة والفلاحون لأنها أكثر طبقات المجتمع بعداً عن الاستغلال وأكثر هذه الطبقات قهراً وظلماً. باختصار وعينا أن هناك مجتمعا ونظاما رأسماليا مستغلا ونظاماً اشتراكيا غير مستغل. وأن هذا الأخير أكثر قدرة على تحقيق العدالة والمساواة، وهو الأقدر على القضاء على الفقر والجهل والمرض، الآفات الثلاث التى يعانى منها الشعب.

إلى جانب هذا العامل المعيش، كان هناك جانب تنويرى يقوم به أبى تجاهنا من إذكاء للروح الوطنية، والحديث عن القيادات الوطنية الأولى المعادية للاستعمار والتبعية والقيادات الفكرية المستنيرة. ومصاحبته لنا ـ قدر المتاح من وقته ـ إلى المتاحف بالإسكندرية ـ والقاهرة والأهرامات، حتى ندرك أمجاد المصريين منذ فجر التاريخ، والشعور بالزهو بهذه الأمجاد الغابرة، ويقظة الشعور الغيور على نهضة الوطن وتطوره، من خلال هذه الرحلات، وانطباعنا عما نراه. كان يربط بين ما نراه وبين تشابك العلاقات بين الأمم، وقيام الإمبراطوريات واختفائها والعلاقة السببية بين كل هذا ووضعنا الحاضر. باختصار، غرس فينا أبى أساسيات كانت هى البوصلة التى هدتنا لاختيار المشاركة فى النضال من أجل الشيوعية بإرادتنا عندما نضج وعينا وأصبحت لنا القدرة على اتخاذ القرار.

وكان منتصف عام ١٩٥٣ زمن التحول من مرحلة الارتباط الأسرى، إلى الارتباط التنظيمى، عن وعى مسبق بكل تبعات هذا الارتباط من اعتقال أو سجن، بل لقد عشنا بأنفسنا انعكاس هذا الارتباط على أسرة المناضل بالتبعية وتلقائيا، من معاناة معيشية، لقلة دخل الأسرة، مع زيادة الالتزامات على الأسر من استمرار مساندتهم وتوصيل الطعام لهم يومياً إلى السجن، والزيارات، وتحمل سخافات رجال السجون، والتحرك والتظاهر لمنع أى عسف وسوء معاملة لهم، والاصطدام بالسلطات، والتعرض

لتعسف رجال الأمن في قمع هذه التحركات، والحجز بأقسام الشرطة، هذا إلى جانب القواق، والشرق، والقلق، وانتظار المحاكمات التي يجرى تعمد إطالة إجراءاتها. كل هذا يظهر بجلاء كيف أن ارتباطي أنا وشقيقتي بالحركة الشيوعية - وقد سبقتني هي في الارتباط - كان منذ البداية حالة خاصة من خلال معايشة قوى النضال والنشاط العملي الذي كان أبطاله بشر يتحملون هم وأسرهم تبعات النضال، والمعاناة المزدوجة للمناضل وأسرته، خلال طريق طويل من أجل غاية نبيلة، وليس لمصلحة آنية.

ارتبطت بتنظيم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) في منتصف ١٩٥٣ في سن الخامسة عشر وكنت عضواً قاعدياً بالتنظيم بإحدى وحداته، أشارك في النضال العملي بكل مناحيه من دعاية وتنظيم، وبث الوعي الوطني والاشتراكي بين الجماهير. فالعمل الشيوعي ليس عملاً عشوائياً، أو جهداً فردياً حراً، بل هو عمل جماعي منظم من خلال بيان حزبي. وطبيعي أن يكون مجال نشاطي في هذه البداية داخل مجالي العضوي وهو المدرسة الثانوية، وبين الطلاب بمدرستي، العباسية الثانوية بالإسكندرية والأصدقاء بالمدارس الأخرى.

بجانب هذه الواجبات العامة الحزبية، فقد كنت وشقيقتي همزة الوصل بين الكوادر داخل سجن الحضراء والتنظيم خارجه، من خلال زيارات الوالد.

وخلال هبة مارس ١٩٥٤ المطالبة بعودة الجيش لثكناته، وإقامة حياة ديموقراطية، شاركت ومجموعة من الرفاق والمتعاطفين معنا وبعض الطلبة من الأحزاب والاتجاهات الأخرى، المتفقة معنا في المطالبة بحكم دستوري نيابي ديمقراطي ضد الديكتاتورية العسكرية وحكم الفرد. قمنا بالمظاهرات داخل المدرسة، والتحرك بها إلى خارج المدرسة، وعزل العناصر الطلابية المعادية وعدم تمكينها من إفشال المظاهرات، وخلال ذلك كنت أقوم بحملة دعاية وإثارة من خلال جريدة حائط طلابية أرأس تحريرها بإشراف مدرس لغة عربية من أنصار الديموقراطية. وكنا نستخدم شعارات جريدة الوفد، والبيانات المنشورة على صفحاتها ونداءات الكتاب والشخصيات العامة التي تدعو الشعب إلى التمسك بالحرية والديموقراطية، وانتخاب لجنة تأسيسية لوضع دستور للبلاد، وانتخاب مجلس نيابي وإقامة حكم مدني ديمقراطي. وكان تيار الديموقراطية كاسحا في هذا الوقت، إذ لم يقف ناظر المدرسة والمدرسون ضد تحركاتنا هذه، بل كانوا متعاطفين مع حركة الطلاب.

وأذكر بهذه المناسبة عن موقف الطلبة بمدرسة العباسية (وكذلك بكافة المدارس والجامعات) أنه كان بالمدرسة شقيق للرئيس جمال عبدالناصر بين طلابها وهو (حسين عبدالناصر- زوج ابنة المشير فيما بعد)، وكان يشاهد كل هذه التحركات، ويسمع هتافاتهم المعادية للنظام القائم وبعضها معاد للرئيس شخصيًا، ويستمع للمناقشات الطلابية الصاخبة ضد النظام، ومع هذا فقد كان غريبا أن يظل على صمته مهذبا ومحايداً لا يتدخل .

وبعد نهاية أزمة مارس لصالح النظام العسكرى، وبقاء سلطة البلاد بين يديه، زاد من قبضته على الحكم ومن أساليبه الديكتاتورية، وبعده عن الديموقراطية، ومطاردة كل المفكرين وأساتذة الجامعات، وكل الذين ناصروا هبة مارس، وبالأخص الشيوعيين. وزادت حملات الاعتقال والقضايا، فى ظل هذا الوضع شديد النهر، والقبض على أغلب قيادات التنظيم. وتشكلت لجنة منطقة جديدة للإسكندرية بدلا من الذين تم اعتقالهم، أو القبض عليهم للمحاكمة. وصعدت إلى لجنة قسم الرمل، مع مجموعة من سكان هذا الحى العمالى والذين لم يسبق اعتقالهم. وعمل كل الرفاق، بعد هذه الضربات، بروح المحترف الثورى. وأعطينا كل وقتنا وطاقتنا للعمل الحزبى ومضاعفته لتعويض نقصنا العددى نتيجة حملات الاعتقال والحجز. وكثفنا من توزيع المنشورات، وكتابة الشعارات المعادية للدكتاتورية العسكرية والدعوة لإسقاطها.

كما كنا ندعو ونتحرك بين الجماهير فى كل المواقع تحت الخط السياسى الذى تبناه التنظيم وقتئذ، وهو إقامة الجبهة الوطنية مع كل القوى المعادية للدكتاتورية العسكرية، وتبنى شعار «لجنة تأسيسية» لوضع دستور ديمقراطى، وانتخاب برلمان. وقد أصدرت لجنة المنطقة (الجديدة) بالإسكندرية نشرة غير دورية باسم «الجبهة»، كنا نقوم بتوزيعها بجانب دعوتنا لكل القوى للانضمام للجبهة.

وقد تمكنا فى إحدى زيارتنا لسجن الحدراء من إدخال نسخة من هذه النشرة إلى الزملاء، والذين قاموا بدورهم من خلال زملاء مرحلين إلى سجن القناطر من توصيلها إلى باقى الرفاق هناك، وكان لذلك أثره على الكوادر بالداخل لاستمرار العمل بالخارج رغم الضربات المتلاحقة.

ومن التحركات الجماهيرية التى تستحق الذكر فى هذه الفترة العصيبة التى كانت تمر البلاد بها، قيام الزملاء داخل سجن الحدراء بالإضراب عن الطعام من أجل

المطالبة بسرعة إجراء المحاكمات، حيث كانوا يتركون لسنوات دون محاكمة، بغرض حجز الكوادر أطول مدة تحت التحقيق، خشية صدور أحكام بالبراءة، وكذلك المطالبة بتحسين أحوالهم المعيشية داخل السجن. وقمنا على أثر ذلك، بالعمل على تجميع أهالى المسجونين من مختلف القيادات، من خلال اتصال شقيقتى بهذه العائلات التى تحمست للمشاركة فى أى تحرك، وأذكر من هذه العائلات والدة الزميل عادل كامل وزوجة شقيقه، وشقيقه أحمد البكار، ووالدة سعيد ربعة، ووالدتى وغيرهن من السيدات والآنسات من أهالى المسجونين، وأذكر من بين هذه الأسر شقيقة زميل اسمه ألبير أرولاى وكان لوالدته محل شهير «أولد إنجلند» بشارع شريف بالإسكندرية، وهو الشارع المزدحم وقتها بالمحلات التجارية الراقية، هذه السيدة لم تتردد فى الموافقة على الاشتراك فى هذا العمل مع باقى الأسر. وكانت من أوائل الحاضرات إلى مكان تجمعهن صباحاً بميدان «محطة مصر». وكانت مظاهرة صامتة ناجحة وقوية فى تحديها لكل الظروف الإرهابية بعد نكسة «١٩٥٤». وانكماش العمل النضالى وإرهاب الجماهير عن القيام بأى تحرك. فقد كانت هذه المظاهرة تسير فيها سيدات وآنسات رافعات عالياً شعارات المطالبة بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين الشيوعيين. والمطالبة بوقف المعاملة السيئة بالسجون وقد سارت هذه المظاهرة حاملة اللافتات فى تحد للأمن لمسافة مئات الأمتار من ميدان محطة مصر حتى مبنى المحافظة القديم والذى كان بداخله مكتب المباحث العامة لمكافحة الشيوعية، وعلى رأسه «ممدوح سالم والسيد فهمى». وسعد عفرة، رئيس مجلس الوزراء السابق، ووزير الداخلية السابق، ورئيس حى وسط الإسكندرية فى عهد الرئيس أنور السادات فيما بعد. وقد جن جنونهم لهذه المظاهرة، خاصة بعد أن علموا بسيرها لمئات الأمتار فى أكثر شوارع الإسكندرية ازدحاما، وعاقبوا كل عساكر المرور المتواجدين بالخدمة على تقاطع الطرق، خلال مسار هذه المظاهرة الصامتة دون العمل على إيقاف مسيرتها. وقدمت المتظاهرات عريضة المطالب، وتم القبض عليهن، واحتجازهن بحجز قسم العطارين، حتى ظهر اليوم التالى. وتم عرضهن على النيابة التى أفرجت عنهن. كما أفرجت عن شقيقتى بكفالة مالية. لقيادتها هذا التحرك. وحفظت القضية، فيما بعد، حيث لم تكن سياسة اعتقال السيدات قد بدأت بعد، فأفرج عنها.

وكنت إلى جانب نشاطى الطلابى، أشارك أعضاء قسم الرمل - الجديد - فى العمل على إعادة النشاط النقابى بمصانع منطقة الرمل بالسيوف والعوائد، كما شاركت فى توزيع المنشورات بشكل متواصل بمنطقة المصانع بهذا الحى. الشركة العربية للغزل والنسيج، والطريل، والمتحدة وغيرها بمنطقة السيوف والعوائد.

لقاء مع الزميل «شعبان حافظ»

فى الفترة من نهاية ١٩٥٣ إلى بداية ١٩٥٤، قام بزيارتنا بمنزلنا «عمى شعبان حافظ» وكان بصحبته شخص آخر لا نعرفه. وفى وجود عمى شعبان، لايمكن إلا أن يكون الجزء الأكبر من الحديث حول السياسة وأوضاع البلد. وقد أبديت ملاحظة خلال ذلك عن تخاذل قيادة الوفد فى موقفها من الحكم القائم. وكان رد عم شعبان أن هناك مواقف أكثر خزيا من شيوعيين يناصرون الحكم، ويدعون العمال إلى الهدوء، وعدم القيام بإضرابات احتجاجا على إعدام زميليهم بكفر الدوار (خميس والبقرى) (وكان يقصد حدتو التى أيدت الثورة عند قيامها وظلت تؤيدها حتى صدور الحكم بإعدام العاملين)، وقد غيرت موقفها بعد ذلك وصار خطها السياسى مماثلاً للخطوط السياسية لكافة التنظيمات فى رفع شعار إسقاط الديكتاتورية العسكرية. ولم يكن منى إلا التصدى بعصبية لهجوم عمى شعبان على حدتو - التى غيرت موقفها مع أنها أكثر التنظيمات حركة بين الجماهير. أما باقى التنظيمات فنشاطها الأكبر كان فى الهجوم على حدتو وكوادر حدتو الأكثر نشاطا عمليا. وقد كان ردى هذا إعلانا كافيا عن هويتى التنظيمية، وسعد عمى شعبان باكتشافه انضمامى للحركة الشيوعية - حتى وإن كنت فى تنظيم آخر. واستمر الحديث بود وأبوة، وقد شارك الزميل الآخر فى الحديث والذى كشف عن هويته هو الآخر كزميل بمنظمة النواة مع عمى شعبان (وهو الزميل بكر الشرقاوى) الذى تواصل بينى وبينه اللقاء. ورغم اختلاف انتمائنا التنظيمى، وفارق السن، حيث كنت فى السادسة عشرة. قامت بيننا صداقة، وتبادلنا مطبوعات كلا التنظيمين وتناقشنا طويلاً حول «وحدة الشيوعيين»، ومن خلاله عرفت رأى النواة فى الوحدة (لجنة تحضيرية - تنسيق - نشرة للصراع الفكرى - مؤتمر وانتخاب لجنة مركزية)[١]. وبعد سلسلة من الحوارات حول كيفية الوحدة اقتنعت بوجهة النظر تلك

مقابل وجهات النظر الأخرى (حدتو- الأم، الراية - لا شيوعية خارج الحزب، دش- النجم الذاتي) . وحملت وجهة النظر هذه إلى رفاقي بلجنة القسم حيث كان الحديث حول الوحدة يتزايد بين كوادر التنظيمات، وعارضني المسئول وقتها- حيث إن وجهة نظر حدتو التقليدية أن هذه التنظيمات انقسمت عن حدتو وعليها العودة إلى التنظيم الأم. وطال الجدل، وتصاعد خلافنا إلى لجنة المنطقة التي رأت أن من حقي عرض وجهة نظري مع الالتزام بموقف التنظيم. ثم تطورت الأحداث وتغير موقف التنظيم بقبول لجنته المركزية خارج السجون (عبدالجابر خلاف، وصلاح حافظ..) إلى التنسيق مع باقي التنظيمات وكذلك قيادات السجن بالعمل على الوحدة والتي تمت عام ١٩٥٥ على أسس مختلفة عن شعار النواة (صراع- تمزيق) وتمت الوحدة على أساس تحديد نقط الخلاف والدمج بين التنظيمات التي تجمع كلها على الموقف من النظام القائم وتتبنى شعار الإسقاط، وحل أي خلافات فكرية من خلال الصراع الداخلي..

وتم اعتقالي في بداية عام ١٩٥٥ (مع الإعلان عن انعقاد مؤتمر باندونج).

وتقابلت في سجن الأجانب بالزملاء محسن الخياط، وحمدي مرسي. أما حمدي، فكنت أعرفه كزميل المدرسة الثانوية، وعضواً بنفس التنظيم. أما الزميل محسن، فقد كان أول لقاء لنا. ونظراً لأن شقيقيه كانا زميلين لي بنفس الفصل الدراسي، ولكونه من المحمودية- بحيرة المرتبطة بذكريات عزيزة ومتصله بالأعمام. محمد سلامة وأسرة المرحوم محمد منصور. فقد تصادقنا مع أنه من تنظيم مغاير- النواة- وربطت بيننا الصداقة واستمرت حتى بعد نهاية الاعتقال.

اعتقلنا وقد علمنا بإتمام الوحدة وإن لم يكن الدمج قد بدأ بين الأعضاء بالخارج بعد. ورحلنا إلى معتقل أوردي ليمان أبوزعبل (الذي فتح عام ١٩٥٤) حاملين معنا خبر الوحدة للرفاق بهذا المعتقل الذي تميز بعزلته الشديدة، وإحكام الحصار على المعتقلين دون تمكنهم من الاتصال بالخارج إلا في أحوال حضور معتقلين جدد.

وتم توزيعنا؛ سكنت أنا في عنبر واحد، عنبر حدتو كل زملائه من التنظيم، وحمدي مرسي بعنبر ٣ وقد أطلق عليه اسم «طنجة» نسبة إلى مدينة طنجة الدولية.

حيث كان به عدد كبير (أغلبية) من حدتو والباقين خليط من أفراد غير منظمين، تقدميين وصحفيين، ونقابيين وأفراد تم اعتقالهم باعتبارهم ذوى ميول يسارية أو معادية للحكم. لذا أطلق عليه عنبر طنجة. وقد اختارت قيادة حدتو زميلاً ممتازاً من كرادرها (سعد عبداللطيف ـ المحامى) لقيادة الحياة العامة بهذا العنبر. وقد امتاز هذا الزميل بالقدرة على إدارة الحياة العامة المشتركة بين أفراد لا يربطهم رباط تنظيمى واحد، كما كان يمتاز باليقظة والمرونة التى جعلته ناجحا فى التوازن بين سكان العنبر وتجانسهم فى حياة عامة مشتركة دون صدام، وكسب ثقة الجميع، وتمثيلهم لدى الإدارة. أما محسن الخياط (المنتمى للنواة) فقد أقام بعنبر ٤ والذى يجمع أعضاء من باقى التنظيمات النواة ـ النجم الأحمر ـ نحشم ـ د. ش ـ ونقابيين قريبين منها.

والعنبر الأخير رقم (٢) كان خاصاً بتنظيم الحزب الشيوعى المصرى (الراية).

واضح من طريقة توزيعنا أن التنظيمات التى دخلت وحدة الموحد كانت لاتزال حتى وصولنا المعتقل قائمة كما هى محتفظة باستقلالية أعضائها ومتمسكة بمسمياتها ولم تندمج بعد وتتحد داخل الحزب الموحد الوليد.

ظهور الخلاف داخل الموحد.

نظراً لبعد معتقل أبو زعبل، والمعتقلين به، وعزلتهم عن الخارج، وعن باقى زملائهم بباقى السجون، حيث كان الحديث والحوار والتنسيق من أجل الوحدة بين كافة التنظيمات عدا (د. ش والراية) وقد توج هذا العمل بالاتفاق، ثم إتمام الوحدة، لذلك فقد كانت الحنقية والتباعد شديدين بين أعضاء التنظيمات خاصة تجاه حدتو التى لها الغلبة الغالبة عددياً داخل المعتقل.

لذلك كان نبأ إعلان الوحدة وقيام حزب واحد والقرار بحل كل التنظيمات لتشكيلاتها، ودمج أعضائها فى تنظيم واحد، مفاجأة لمعتقلى أبوزعبل الذى يغلب على أعضاء التنظيمات الصغيرة داخله روح العداء لتنظيم «حدتو».

مع هذا فقد خضعت كل القيادات لقرار الوحدة حتى مسئول نحشم ـ الجديدة ـ الذى رفض الاندماج فى البداية ثم وافق على دخول الوحدة هو وزملاؤه. ماعدا موقف فردى للزميل عادل كامل الذى رفض الوحدة على هذا الأساس المغاير لخط التنظيم (صراع ـ مؤتمر ـ وحدة).

ويبدأ اجتماع قيادة الموحد بالمعتقل (أعضاء اللجنة المركزية المشكلة لقيادة الموحد) وكانوا ثلاثة بالمعتقل - أحمد رفاعى (حدتو)، فوزى جرجس، وبهيج نصار (نواة) أى (١ : ٢) رغم أن النسبة العددية بين الأعضاء مغايرة تماماً لهذه النسبة داخل المعتقل. مع هذا فإن كادر وقيادة حدتو على أغلبيتهم الساحقة قبلوا الاندماج بقيادة أحمد رفاعى.

وقد وضح منذ البداية عدم نجاح القيادة فى إعادة تسكين الأعضاء بالعنابر لكسر الروابط الحلقية. ورغم اجتماعات القيادة المتلاحقة، فقد وضح عدم تجانسها ووجود خلاف بينها - وبالتحديد بين قطبين أحمد رفاعى (حدتو) وفوزى جرجس (النواة) وباقى كوادر التنظيمات الأخرى معه. فوزى يتهم أحمد بمحاولة السيطرة الفردية ومعه معظم قيادة حدتو على الحزب، وينفى أحمد هذا الاتهام متحديا خصمه بأنه يقبل به كمسئول أعلى لمنطقة الأوردى بأبى زعبل، يباشر ويتحمل المسئوليات التى تستوجبها القيادة، وألا يحاول أن يجعل منها منصباً شرفيا يحوزه بلا عمل.

وقد رفض فوزى هذا العرض (الذى ظل لفترة طويلة يعتبره المقربون من فوزى ترفعا عن المناصب) مع هذا فإن هذا الخلاف بينهما قد كشف عن أن الصراع بين الطرفين لم يكن تنافساً على القيادة بل كان يعكس صراعاً حول أسلوبين من القيادة؛ أسلوب مركزية مطلقة وعمياء تتسلط، وقيادة ديموقراطية تقترب من القواعد ولاتنيم حاجزاً من الاحتواء يفصل بينهما.

ولأن المجموعة التى كانت تعتنق مفهوم اللجنة المركزية والمؤتمر كان قبولها للوحدة مبنيا على الطاعة التنظيمية أكثر من كونه نتاجا للاقتناع والاختيار، فإن مثل هذا التصادم لايتصور له إلا أن يكون قوة مركزية طاردة تفعل فعلها كما تفعل بالفعل فى تفكيك الإطار التنظيمى الذى كان هشاً إلى درجة لايستطيع أن يتحمل معها أبسط الخلافات. وكان لابد لمثل هذا التصادم الواقع بعد الوحدة مباشرة، وقشرة التنظيم لم تتصلب بعد لكى تتحمل أى قدر من الخلاف، كان لابد له أن يعمل فى اتجاه تفجير هذه القشرة العاجزة عن الجمع بين قطبيها. وكانت النتيجة عود على بدء كما يقولون، المجموعة التى طرأت بعد الوحدة على حدتو تنفصل عنها فى صورة تكتل لم يخل من بعض عناصر من حدتو (حسنى تمام، وحمدى حمدان)، بينما احتفظت حدتو،

باستثناء التكتل الذى خرج على الإطار التنظيمى للوحدة، بجميع قواعدها مضافاً إليها عناصر قيادية من النواة (بهيج نصار، وعبد الله الزغبى) ولم تخرج فى هذا التكتل.

كنت ضمن أعضاء الكتلة الرئيسية للحزب الموحد، والتى تشكلت من أعضاء حدتو الذى لم يشاركوا فى التكتل، ولابارحوا بالتالى تنظيم الموحد الناجم عن الوحدة، كما وجد فى منطقة أوردى أبوزعبل. ويجب التنويه أنه حتى بعد إنهاء المعتقل، بعد الإفراج عن المعتقلين، ظل التكتل الذى خرج على قيادة الحزب الموحد فى هذا المكان، يحمل اسم الحزب الموحد لفترة. وهكذا سار للموحد الوليد فى واقع الأمر شكلان وقيادتان متناقضتان ومستقلتان عن بعضهما البعض، إحداهما على رأسها فوزى جرجس ومحمود المانسترلى، والأخرى على رأسها أحمد رفاعى وبهيج نصار وباقى كوادر حدتو من ذات الوزن الثقيل فى الحركة وقتها، إبراهيم عبدالحليم وجمال غالى ومحمدعباس وعبدالمنعم الغزالى وآخرين. وكلا الشكلين مازال يحمل اسم الحزب الموحد، المجموعة الأولى تصم الثانية باعتبارها تكتل الأغلبية الانتهازية تجاه المجموعة الثورية، والمجموعة الثانية لاتقيم وزنا كبيراً لهم. خاصة لقلة عددهم. وتعتبرهم مجموعة مارقة على الحزب[٢] وإن اهتموا بألا يمتد لهذا التكتل صدى داخل قواعدهم.. خاصة مع تزايد تعريض التنظيمين الآخرين الذين لم يدخلا الوحدة (د. ش. والراية) بالوحدة، وبحدتو وقيادة حدتو خاصة.

وكنت مع قلة قليلة من الكوادر غير القيادية، وكان لنا فكر سابق - قبل الوحدة - مؤيد ومقتنع بأن الأسلوب السليم لضمان وحدة حقيقة، هو أسلوب (التنسيق، الصراع، المؤتمر)، فلقد اعتبرنا ما حدث نتيجة لآثار الوحدة الاندماجية القائمة على توزيع عضوية اللجنة المركزية بين المنظمات، وتأجيل الصراع حول نقاط الخلاف بعد الوحدة. ومع هذا فبقيام الحزب، بصرف النظر عن أسلوب قيامه، فإن واجب كل أعضاء التنظيمات التى قبلت الوحدة أن تبادر بالاندماج تحت قيادة واحدة، وترحل أى خلافات سابقة إلى داخل التنظيم. لذلك فقد رأينا فى انسحاب فوزى جرجس ومجموعته، أيا كانت المبررات، عودة إلى ما كان عليه الوضع قبل الوحدة، ولذلك كنا من خلال الوحدات الحزبية المتواجدين بها (على قلة عددنا الذى لايتجاوز خمسة أفراد) نطالب بعقد كونفرنس موسع، أو مؤتمر، داخل منطقة أوردى ليمان أبوزعبل

لمناقشة أسباب هذا الانقسام المبكر، ومحاسبة المسئول أو المسئولين عنه، خاصة وأن كلا الطرفين، حتى ذلك الوقت، كان يعتبر جزءاً من الحزب الموحد خاضع للجنته المركزية «الموسعة» بكل المناطق.

كان هذا موقفى من ذلك الانشقاق، مع استمرار انتمائى لمجموعة الحزب (أحمد رفاعى) التى قبلت الاندماج مع عددها الكبير جدا عضويا، ولا يمثلها إلا عضو واحد باللجنة المركزية بمنطقة أبوزعبل، بينما المجموعة الأخرى تضم اثنين أعضاء باللجنة لمركزية من النواة.

هكذا كان الحال عام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ داخل أوردى ليمان أبوزعبل، وأنه بنهاية المعتقل، وداخل الحزب بالخارج، سيصفى هذا الوضع، فقد كان تكتل فوزى يعتبر نفسه جزءاً من الحزب، ولم يعلن قيام تنظيم جديد منقسم على الحزب.

الإضراب عن الطعام

وقد خلق هذا الوضع، بالإضافة إلى بوادر الحديث داخل التنظيم (والمعتقل) حول تحول النظرة للسلطة (التى كان الجميع ملتقيا على أنها ديكتاتورية عسكرية أو فاشية)، والعمل على إسقاطها، إلى الحديث عن الاتجاهات الوطنية والمعادية للاستعمار (باندونج ـ وكتلة عدم الانحياز). فقد أخذ الهجوم على قيادة حدتو وتيار حدتو داخل المعتقل يشتد سواء من التنظيمين الآخرين أو من تكتل (الموحد) بعنبر ٤، والذى كانت صلة أعضائه بأعضاء حدتو غير مقطوعة تماما ـ كانتماء مفترض لحزب واحد. وأقدمت قيادة الموحد على «قرار» يوحد قواعدها وكوادرها فى عمل ـ نضالى ـ داخل المعتقل ودعت إلى إضراب عن الطعام لتحقيق مكاسب لكل المعتقلين لتحسين الأوضاع داخل المعتقل، والحق فى الزيارات، والقراءة، والإذاعة (وعلى رأس هذه المطالب الإفراج)..

وقد رفضت كل التنظيمات، بما فيها تكتل الموحد، المشاركة فى الإضراب. وكان حماس كوادر وقواعد الموحد شديداً من أجل تحقيق هذه المكاسب، دون أى اعتبار لهجوم باقى المعتقل على الإضراب. وبدأ الإضراب الذى أعدت له القيادة جيداً، وأنعش جذوة النضال بين كل الرفاق ـ ودخلت الدفعة الأولى ـ ثم الثانية بعدها بأيام قليلة، بعنبر واحد، وكنت قد صممت على المشاركة فى الإضراب، رغم صغر سنى

(١٧ سنة). وقام التنظيم بإصدار مجلة حائط يومية خارج عنبر المضربين تتابع أحوال المضربين، وتبث الحماس والمساندة للإضراب داخل المعتقل. وقد كان ضمن الإثارة والدعاية للإضراب، نبذة عني بصفتي أصغر المضربين سناً، وقبول القيادة دخولي الإضراب لإصراري على الدخول. وبعد مرور عشرة أيام على الإضراب، جاء صباح مشحون بالأحداث، فقد بدأنا نسمع صيحات الجنود وتحركاتهم ودبيب أقدامهم بالأحذية الميري على الأرض التي تصدر عنها أصوات مرتفعة تدك الأرض وتوضح ضخامة عددهم. كما تكثفت الحراسة على السور الملاصق للعنبر، وانتشر عدد من جنود «الدرجة الثانية» كتيبة الحراسة - بامتداد السور، والجميع يحمل البنادق سريعة الطلقات، ونداءات مصدرة للأوامر، وجلبة وضجيج، مما أشاع جواً من القلق والترقب، وإحساساً بالخطر. وفجأة فتح باب العنبر لتتدفع منه كتيبة من الجنود حملة الشوم، وأوامر صارخة بالضرب، وكنا قد شرعنا نقف من مرقدنا لنواجه بسيل من ضربات الشوم في كل مكان من أجسادنا دون حذر أو احتراس، فوق الرأس، وعلى الأيادي التي تحاول تفادي الضربات القاتلة؛ وتقهقرنا في نهاية العنبر الذي ينتهي بدورة المياه. وتكدسنا والضرب لا يتوقف. واختلط الحابل بالنابل بين ضارب وبين مضروب يدافع عن نفسه وصراخ الأوامر والعسكر والضباط بمواصلة هذا الهجوم الهكسوسي الذي لا يتوقف، وقد شجت رؤوس وكسرت أياد خاصة الصف الأول المواجه لهذا الهجوم. وقد رأينا باقي العسكر يقوم بتمزيق ملابسنا الموجودة فوق المراتب التي نقيم عليها. وبعد فترة طويلة من الضرب الساخن صدرت الأوامر للجنود بترك العنبر الذي أغلق علينا للقيام بالهجوم على عنبر آخر. وقد تركونا والدماء تنزف من الرؤوس التي شجها الشوم، ولا علاج لوقف الدم سوى الضغط على الجرح بكف اليد، ومن كسرت يده لايجد علاجا. وكان من بين الذين كسرت أذرعهم زميلنا الشاعر فؤاد حداد حيث أصابته شومة على كوعه مما جعلت ذراعه بعد التئام الكسر بدون جبس أو علاج لا يعود إلى طبيعته.

لقد كانت غارة وحشية همجية غاشمة، ذكرتنا بفظاعات الهكسوس على عزل منهكين من إضراب مر عليه عشرة أيام. وأخيراً ظهر قائد هذا الهجوم التتري لواء تأديب المساجين بمصلحة السجون، اللواء همت، وقد رأيناه بعد أن فتح علينا العنبر

متشيا. وقد قاموا بأخذ عدد من بيننا إلى خارج العنبر، وكذلك من العنابر الأخرى. وقد كرروا الحملة على عنبر ٤ الذى قاومهم قدر استطاعته، وجمعوا هؤلاء الزملاء الذين اختاروهم، وعددهم كبير، ونقلوهم إلى الليمان (الرئيسى) حيث قاموا بتعذيبهم من جديد وضرب وجلد على ظهورهم، ثم رضعرهم أو بالأصبع حشروهم فى زنازين الليمان، ذلك بعد أن تأكدوا من فشلهم فى حل الإضراب بالقوة، وغادرت كتيبة همت الغاشمة المعتقل، حيث كان هذا أول لقاء لنا مع هذا المأفون.

وبعد مرور يومين تقريبا على هذه الحملة، فتح علينا العنبر حيث كنا لا نزال مضربين عن الطعام، وظهر مأمور المعتقل حسن منير الذى كان فى إجازة خلال هذه الحملة المسعورة، والتى ندم على سوء حظه لعدم مشاركته فيها، وقرر استكمال فصولها. ومن كشف بيده نادى على أسماء ثلاثة زملاء من العنبر (الزميل زهدى - الرسام - على نجيب - وأنا) كانت رأسى قد حظيت بشج كبير رغم تجلط الدم عليه لكنه مازال عرضة للنزف عند أى ملمس، ثم أخذنا شاويش المعتقل إلى زنزانة صغيرة مهجورة فى ركن من الفناء المقابل للعنابر. وبعد قليل أضاف إلينا أربعة زملاء من غير المضربين، من عنبر ١ (زملاء تنظيم الراية) من بينهم الزميل سعد زهران. ثم جاء حلاق السجن وحلق رؤوسنا - زيرو - وقد أشفق الرجل على رأسى وأخذ يبعد ماكينة الحلاقة عن الجرح قدر ما يمكن وترك الشعر فوقها على شكل خصلة، ثم فى زنزانتين بجوارنا جمع مأمور المعتقل خمسة عشر زميلا آخرين من اختياره من باقى العنابر، من غير المضربين، من بينهم الكاتب عبدالرحمن الخميسى. وقد وضح أن القائد الهمام قد فاته اختيار الذين تم ترحيلهم إلى الليمان من الزملاء - رأى أن تكون له إضافة من اختياره ليعزلهم ويضعهم فى الزنازين المهجورة تلك.

وهكذا وجدنا أنفسنا نحن السبعة، ثلاثة مضربين وأربعة غير مضربين، من تنظيمين متناقضين بينهما شبه قطيعة، داخل زنزانة أرضيتها غير ممهدة بها حفر صغيرة كثيرة ومترية ومساحتها بالكاد يمكننا أن نجلس القرفصاء أسفل جدرانها. وقد تركوا لنا جردلين واحداً للشرب والآخر لقضاء الحاجة. والزنزانة مغلقة وغير مسموح لنا بمغادرتها. وكل صباح يقوم مسجون نبطشى من المساجين (الجنائيين) بتبديل الجرادل وأما النوم فكان مأساة. حيث كنا ننام فى هذه المساحة الضيقة خلف خلاف «متعاكسين رأس مقابل قدم» مثل رصة السردين داخل العلبة، بالكاد ننام على جنوبنا

على أرض خشنة غير ممهدة، ورؤوس الأحجار الصغيرة التي بالتربة كالمسامير تحت جنوبنا. وكنا نجمل من أذرعنا وسائد لرؤوسنا. وزاد الأمر صعوبة أنهم كانوا حريصين على إحضار وجبات الطعام بانتظام حسب عددنا كاملاً (سبعة) مضربين وغير مضربين، مما كان يؤذينا مضربين وغير مضربين، فنحن لا نتناول الطعام، ووجوده على مسافة قريبة من أنوفنا، بعد إضراب تجاوز عشرة أيام، أمر متعب ويزيد من عناء تحملنا. والزملاء الآخرون كانوا محرجين. وهم لم يستطيعوا تناول طعامهم وفي اليومين الأولين إلا بعد إلحاح منا على ذلك. وطوال مدة استمرار الإضراب ظلوا يأكلون بصعوبة وفي حرج. ورغم كآبة هذه الزنزانة غير الإنسانية من كل الوجوه، المحشورين فيها حشراً، والمقيمين بها طوال اليوم لانبرحها، والنوم مشقة، وقضاء الحاجة داخلها أمر بشع. مع هذا، يبدو أن الإنسان المناضل يختزن قوة داخلية وإرادة تحمل لا حدود لها. فقد كنا رغم هذا، ومع ما كان بيننا قبل دخول هذا الجب من تنافر وتنابذ صرنا نعيش عيشة مشتركة ونتشاور ونتبادل الحكايات. وأمكننا أيضاً الضحك وأن ننصهر في علاقة إنسانية حميمة طوال مدة بقائنا داخل هذه الزنزانة. وظللنا نحن الثلاثة المضربين، يحضر إلينا الطعام في موعده ونتركه حتى يعود به السجان. وهكذا مر حوالى أسبوع أو عشرة أيام حتى حضر إلينا زملاء من قيادة الإضراب والذي كان قد تم ترحليهم إلى الليمان خلال غزوة همت. ليحملوا إلينا نبأ إنهاء الإضراب بعد مفاوضات مع المسئولين الذين أوفدتهم السلطة خارج السجن للتفاوض حول إنهاء الإضراب وتحسين المعاملة..

أنهينا الإضراب، وعدنا إلى عنابرنا مرة أخرى، نحن والزنزانة المجاورة، بعد أن عشنا في هذا الوضع اللا آدمي ما يزيد على خمسة عشر يوماً. وبعد عودتنا للعنابر عاد كل شيء إلى ما كان عليه، عاد الجفاء والقطيعة بين زملاء الزنزانة الذين وحدتهم المحنة وفرقتهم الحلقية البغيضة. وحقق الإضراب جزءاً كبيراً من المطالب، وتحسنت الأوضاع داخل المعتقل، وسمح بسماع الإذاعة (سماعة بكل عنبر) وإن استمر منع أسرنا من الزيارة قائما حتى نهاية المعتقل.

وزادت سخونة المناقشات داخل المعتقل حول طبيعة السلطة، وتجمد شعار الإسقاط مع عدم التراجع عن مطلب الديمقراطية، وبداية النظر إلى السلطة باعتبارها سلطة

وطنية معادية للاستعمار. وتزايد منهج الوحدة والصراع، والتفرقة بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي؛ وإن اختلفت التنظيمات في درجة الاتفاق حول هذه المفاهيم، وما يتبعها من أسلوب العمل: بين مغال تجاه الوحدة مع السلطة الوطنية إلى حد إلغاء أي تناقض معها، وبين الدفع بالتناقضات الثانوية إلى حد تصعيد الصراع مع السلطة.

وتم الإفراج في ١٩٥٦ . وصفي المعتقل، وبدأت حقبة جديدة في الموقف من السلطة طبقاً للأحداث المستجدة: الدستور، والانتخابات، وصفقات السلاح، وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي، وعداء السلطة الصريح للاستعمار، وسياسة الأحلاف، وحركات التحرير، والدعوة للوحدة العربية. وانتقل بالتالي الخط السياسي للتنظيمات الشيوعية الرئيسية القائمة من العداء والمعارضة إلى التأييد والتحالف، مع استمرار التنظيمات في الحفاظ على أشكالها التنظيمية المستقلة عن السلطة.

وبعد خروجنا من المعتقل تحول التكتل داخل الموحد بقيادة فوزي، والمانسترلي، وحسني تمام، إلى تنظيم مستقل عن الموحد باسم طليعة الشعب الديمقراطية، ثم باسم الطليعة الشيوعية.

ثم تمت الوحدة بين الموحد والراية في الحزب المتحد وظلت د. ش. أو ط. ع. خارج الوحدة، ثم في ١٩٥٨ تمت وحدة حزب العمال والفلاحين الذي هو أصلاً د. ش. والمتحد في حزب واحد يجمع التنظيمات التاريخية الرئيسية حدتو. د. ش. الراية باسم الحزب الشيوعي المصري (٨ يناير) نسبة إلى تاريخ الوحدة. بينما ظل خارج هذه التشكيلات التي توحدت تنظيمان صغيران: الطليعة الشيوعية، ووحدة الشيوعيين. وكان الخلاف الرئيسي بين ط. ش. والموحد هو تغليب الموحد للوحدة مع السلطة وتأييد النظام تأييداً مطلقاً، واعتبار عبدالناصر زعيما وطنياً لاتجب معارضته، وعدم تصعيد طلب المكاسب الشعبية والديموقراطية بما يؤثر على التناقض الرئيسي تجاه الاستعمار، والحرص على الوحدة مع النظام بزعامة جمال عبد الناصر. وبالتالي، كان نشاط التنظيم، وأسلوب عمله شبه علني أو علنياً حتى في توزيع مطبوعات وتحركات كوادره اطمئناناً إلى تأييد النظام ومساندته والركون إلى مفهوم الوحدة الوطنية لكل قوى الشعب تحت قيادة عبدالناصر.

بالنسبة لطليعة الشعب الديموقراطية (الطليعة الشيوعية) التى انضممت إليها - بعد خروجنا من المعتقل بعدة أشهر - لعدم اقتناعي باتجاه المرحد بكل قوة نحو التحالف مع السلطة، والذيلية لشعاراتها والولاء الكامل لعبدالناصر، وأسلوب العمل المفرط فى التحلل من القواعد التنظيمية التى تعلمناها من المحافظة على أمان التنظيم وسرية العمل الحزبى، والحذر فى التعامل مع القيادة البرجوازية حتى فى ظل التحالف الوطنى، والحفاظ على استقلالية وبنيان التنظيم، وأن الوحدة الوطنية تقوم على إقامة جبهة بين كل فئات الشعب تدعو إلى التحالف مع السلطة القائمة، فالجبهة هى الضمان لحشد كل القوى فى تحالف ضد الاستعمار، وضمان للمسيرة الوطنية ضد أى اتجاهات رجعية أو متهاونة مع الاستعمار، وأن إقامة الجبهة يستلزم قدراً من الديموقراطية وعدم انفراد السلطة بالحكم بشكل فردى والمطالبة بالحريات وحياة برلمانية نابعة من اختيار شعبى، وإقامة حكومة وطنية معادية للاستعمار. أى مع عدم تغليب التناقضات الثانوية، فى هذه المرحلة الوطنية، على التناقض الرئيسى لكل القوى الشعبية والوطنية بما فيها السلطة ضد الاستعمار. ومع ذلك فإنه يجب عدم التخلى عن المطالب الاجتماعية، وزيادة المكاسب الوطنية والديموقراطية، بمعنى أن تحل التناقضات الثانوية حلها بما لا يدفع بها للتغلب على التناقض الرئيسى.

طليعة الشعب الديمقراطية

ولرفض سياسة تفكك البنيان التنظيمى المستقل عن السلطة والمتحيز فى أهدافه الجماهيرية عنها، وعدم الانحراف نحو الذيلية اليمينية، واعتبار عبدالناصر القائد والزعيم المبرأ من معاداة الديموقراطية والشيوعية، كل هذا جعلنى أنضم إلى طليعة الشعب الديموقراطية بالإسكندرية (والتى لم أشارك فى تكتلها الجنينى داخل المعتقل) أو المشاركة فى تأسيسها بعد الخروج من المعتقل لكن كان ذلك فى أواخر ١٩٥٦ أو بداية ١٩٥٧ . وعملت بمنطقة الإسكندرية للتنظيم مع الزميل أحمد البكار. وانضم إلينا الزميلان أمين أبو السعود ورمسيس لبيب فى قيادة العمل بالإسكندرية، وعندما بدأت انقلابات العراق وثورة عبدالكريم قاسم وخلاف الحزب الشيوعى السورى مع نظام الحكم فى مصر حول أسلوب الوحدة مع سوريا، وإلغاء الأحزاب كشرط لإتمام الوحدة، وبداية بوادر الخلاف بين عبدالناصر وخالد بكداش والحزب الشيوعى السورى، ثم مع

عبدالكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي، وزيادة نبرة العداء للشيوعية في خطب عبدالناصر ومهاجمة الاتحاد السوفيتي، قررنا أنا والزميل أحمد البكار مسئول منطقة الإسكندرية (للطليعة) أن نترك العمل اليومي، وأن يكون الاتصال بباقي أعضاء التنظيم قاصراً على الزميلين رمسيس لبيب ولمعين أبوالسعود اللذين كانا غير معروفين للبوليس وعلى استعداد ومقدرة لقيادة العمل بالإسكندرية، حيث كنا نتوقع القبض علينا، وبدأنا نشعر بمتابعة رجال البوليس لتحركاتنا. كنا نجتمع بهما لمتابعة نشاط التنظيم، وكانا يتلقيان التكليفات الجديدة من مسئول المنطقة وقتها، الزميل البكار. واقتصر دورنا على النشاط الجماهيري العلني، وسط مختلف التجمعات والمجالات، ومواصلة نشاطنا العلني داخل رابطة تحت التأسيس. بقيادة القصاص محمد حافظ رجب وعباس محمد عباس الذي كان زميلي بالدراسة. للأدباء الشبان بالإسكندرية وكان منهم علي شلش وحامد من دمنهور وانضم لنشاط هذه المجموعة زميلنا الشاعر محسن الخياط وكانت هذه المجموعة ذات اتجاهات إنسانية، ومتحيزة للنماذج الشعبية، والأدب الواقعي وقريبة من الفكر الاشتراكي، وقضايا الإنسان البسيط، وكنا نسعى لسرعة انحيازها بأعمالها الأدبية للبناء الاشتراكي. وهكذا، حتى اعتقلنا بعد حوالي ٤ أشهر على الأكثر من هذا التوقع، في ٢٨ مارس ١٩٥٩. والتقيت مع زميلي أحمد البكار وزكي فرير بمعتقل العزب بالفيوم، بعد ترحيل معظم المعتقلين والذين تم تجميعهم بمعتقل القلعة من مختلف المحافظات إليه.

وكانت الرحلة من القلعة إلى الفيوم دامية، يطول وصفها ونحيل الاطلاع على تفاصيل ذلك للكثير من الإصدارات الروائية لبعض الزملاء وصفاً لذلك بين فصول هذه الكتب عن المعتقلات. ومعتقل العزب بالفيوم مكون من عدة عنابر، وهو من ضمن أسخف وأردأ المعتقلات[٥] (ضمن مجموعة معتقلات الحقبة الناصرية). يكفي للدلالة على سخفه، أن التعليمات الصادرة إلينا من أول لحظة أن الاعتقال فوق السرير وأن كل معتقل داخل العنبر غير مسموح له بالحركة والتنقل داخل العنبر في أى وقت من أوقات اليوم، وغير مسموح بالجلوس مع أى زميل آخر على فراشه، وعلى باب العنبر من الداخل ملصق إعلان بتوقيع الحاكم العسكري لمنطقة الفيوم (كذا) للإرهاب، كلائحة تحمل قرارات وتعليمات وإنذاراً بعقوبات بمعرفة من يدعى بالحاكم

العسكرى، وهذا المعتقل غير خاضع لتبعية مصلحة السجون ولوائحها، لكنه تحت الأمر المباشر والسلطة الكاملة لمباحث الفيوم التى تصدر عنها الأوامر والتعليمات مباشرة لإدارة المعتقل. وقد قامت المباحث قبل وصولنا بتعبئة ضباط وجنود المعتقل بالأكاذيب والافتراءات ضدنا لشحنهم بالعداء لنا مقدماً. وكانوا يقومون بمتابعة مستمرة للتأكد من قيام إدارة المعتقل بتنفيذ سياسة المباحث، فى سوء معاملتنا، وبلغ سوء المعاملة ومجافاتها لأى حس أو شعور آدمى أن عساكر الحراسة (وكلهم من الدرجة الثانية - فرق الأمن) كانوا يقتحمون علينا دورات المياه المكشوفة (لعدم وجود أبواب بها) وانتزاعنا منها قبل أن نكمل قضاء حاجتنا. هذا بخلاف وجود شعارات مكتوبة بخط الجنود تهاجم وتسب الشيوعية مكتوبة على الحوائط حول دورات المياه.

كما قضت التعليمات بعدم مبادلة أى معتقل بعنبر من العنابر - التحية أو الحديث مع معتقل من عنبر آخر، وجزاء هذه المخالفة للحبس الانفرادى لمدة أسبوع داخل زنزانة تكفى فرداً واحداً وغير مسموح له بالخروج منها، وتفتح مرة واحدة لاستبدال الجرادل وتسليم الأكل[6]. وقد صدر علىّ، والزميل محمد على فخرى هذا العقاب لضبط أحد الجنود لنا ونحن نتبادل حديثًا خاطفاً عبر نافذة العنبر - وعلى زملاء آخرين - وقد ناقشنا ثلاثتنا - البكار، وزكى فريد، وأنا - بشكل تنظيمى الأوضاع التى واجهتنا فى هذا المعتقل، مستفيدين من تجربتنا السابقة بأوردى أبو زعبل عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦.

وباستعراض الوضع من كل جوانبه - توصلنا إلى أن هذه اللائحة الملصقة، وتوقيع «الحاكم العسكرى»، والعصبية الزائدة للضباط فى دخول العنبر، وطبيعة المعتقل الذى كان يسبقنا فى الإقامة به معتقلون من كبار تجار المخدرات، الذين كانت أوضاعهم فى يد إدارة المعتقل دون متابعة وتعليمات من المباحث العامة، وحيث كانوا يحملون سيولة مالية ومسموح لهم بزيارات، فكانوا يغدقون على إدارة المعتقل من قيادته إلى عساكره بالأموال والهدايا[7] مما جعلهم، مع حالة الاستنفار المستمرة، وضغط المباحث عليهم يزدادون عداء لنا. وتحولوا إلى منفذين جيدين لتعليمات المباحث بسوء معاملتنا، وعوضوا ضياع مغانمهم المالية والعينية من معتقلى المخدرات بممارسة التسلط والقهر علينا، مع استهانتهم بقدرنا السياسى ومكانتنا فى المجتمع كنقابيين،

ومثقفين، وطلبة وعمال، وإن كل هذه المظاهر تدل على أنهم يسعون إلى إشاعة الإرهاب والتلويح بالأوامر العسكرية، لظنهم أنها ستثير الفزع بيننا. ومن هذا النقاش خلصنا إلى ضرورة مواجهة هذا الوضع وإنهائه بسرعة ـ على أن نبدأ:

١ ـ تكوين لجنة حياة عامة مشتركة بالعنبر بين أعضائه من التنظيمات والمستقلين النقابيين.

٢ ـ ضرورة إسراع محزب ٨ يناير، بالتعرف على أعضائه وتجميعهم(*) حتى يمكن اتخاذ موقف موحد قوى تجاه الإدارة ووقف الاعتداء علينا باللفظ، وخشونة الجلد في التعامل، وإفهام قيادة المعتقل أننا معتقلون سياسيون، ولنا سابق الاعتقال، فإن لنا وضعاً في التعامل مغايراً لهذا الوضع الذى لانقبله ويجب تغييره. ونحن، وأعضاء الحزب ـ حدتو، مع قلة عددنا كنا مترابطين، وأمكن اختيار لجنة حياة عامة بسرعة وافق عليها كل العنبر، ومثلنا فيها زكى فريد مع اثنين من التنظيمين الآخرين ونقابى. واتصلنا بالزميل القيادى للحزب ـ وهو إنسان فاضل ونشط ومتحرك ـ الزميل أنيب ديمترى، وناقشناه في هذه الأمور التى أقرها ووافق عليها ونشط بين زملائه بالعنبر. وكذلك نشط الزميل حسن المداريشى (راية) الذى تعرفنا به. وتبادلنا أماكننا داخل العنبر دون اعتبار للأوامر ـ ونشط هو الآخر. وتمكن الزميل أنيب بكفاءته في تجميع عناصر الحزب (٨ يناير) تحت قيادته داخل العنبر، وبهذا الترابط الذى كان ضروريا لأى مواجهة للإدارة والصدام معها هو في جانب منه مواجهة مع السلطة ذاتها خارج المعتقل، فيلزم له تحرك منضبط ومنظم ومحكوم بقرارات حزبية وقيادة للموقف. وقد تحقق ذلك بمجموعات حزبية (ثلاثة) متماسكة داخل العنبر على خطوات المواجهة واختارت قيادة من ثلاثة كل واحد منهم يمثل تنظيماً، وكان زميلنا البكار، وهو في نفس الوقت مسئولنا بالعنبر، ضمن هؤلاء الثلاثة، وأسند إليه البدء في مواجهة الضابط بعد انتهاء فسحة آخر النهار وملء أزيار المياه تحسباً لأى طارىء، وبعد وصولنا إلى باب العنبر للتمام وهو موعد بداية هذا الضابط الأرعن «حلمى العيسوى» في ممارسة استفزازه وشتائمه، يبدأ الزميل البكار الاحتجاج عليه، ومواجهته بكل ما اتفقنا عليه والسابق الإشارة إليه، ويشاركه زملاؤه في التدخل عند الاقتضاء.

وحانت اللحظة، لحظة المواجهة والاحتجاج، فتصدى له الزميل أحمد البكار بقامته المديدة وملامحه الصارمة بصورة لا أروع ولا أفضل منها فى الأداء، حتى بالنسبة لنا لم نكن نتخيل أن تكون المواجهة بهذه القوة والروعة فى طلبه من الضابط أن يكف عن شتائمه، وأن يعرفه أننا معتقلون شيوعيون سبق لنا الاعتقال، وأننا مجموعة من السياسيين الشرفاء من خيرة هذا الوطن. انطلقت الكلمات فى صوته الجهورى واضحة النبرات متلاصقة فى غير تردد معانيها قاطعة الدلالة على الرفض لهذا الوضع، وحقنا فى معاملة تليق بنا.

كان المشهد على مرأى من السجانة، وكتيبة حرس الهجانة المعززة لحراسة السجن بزيها المعروف وفى أيديهم كرابيجهم المشهورة، وعلى رؤوسهم عمائمهم المرتفعة فى تشامخ.

بهت الضابط الذى لم يكن يتوقع هذه القوة والثورة فى صفوف هؤلاء المعتقلين الذين سايروا أوضاع المعتقل لعدة أيام. وجم الضابط حتى أنهى الزميل البكار الرسالة التى أردنا توصيلها للإدارة عبر هذا الضابط المأفون، ثم حاول أن يتماسك فأخذ يصيح فى العساكر بطريقة عصبية ومهزوزة بالضرب وإدخالنا العنبر فواجهنا العساكر بثبات، ولم ينفذوا كلام الضابط فقد شعروا بالجدية والحزم فى سلوكنا. وبدأنا ندخل العنبر، وهنا سمعنا الضابط يخاطب «شاويش» كتيبة الهجانة أن يأمر جنوده بضربنا بالكرابيج فرفض الشاويش تنفيذ كلامه، ورد عليه بأنهم جاءوا لتعزيز الحراسة ولم يجيئوا لضرب المعتقلين. وزاد على ذلك أن أصدر (الشاويش) أمره لجنوده بالتجمع والتحرك للانسحاب إلى جهة الإدارة[8]. فجن جنون الضابط الذى أسقط فى يده وأغلق علينا العنبر وأسرع إلى الإدارة.

ثم فتح الباب ثانيا وحضر بعض الضباط، ومجموعة من الجنود على رأسها «العريف محمد غطاس» عميل المباحث وعينها داخل المعتقل، وأداة الإدارة فى تنفيذ الأوامر بالجلد والضرب وتم أخذ الزميل أحمد البكار خارج العنبر وتوجهوا به جهة الإدارة، وأطبق الصمت على العنبر، انتظاراً لما ستسفر عنه الأحداث.

ولم يعد البكار، وبسؤالنا عنه صباح اليوم التالى الذى بدأت فيه المعاملة تتحسن بعض الشىء، أفادنا العسكر بأنه قد عزل بزنزانة الحبس الانفرادى. دون تفاصيل. ثم

بعد أيام عاد إلينا الزميل «حسن المناويشى» من العنبر بعد مجازاته بالحبس الانفرادى فى زنزانة يمكنه من خلال قضبانها أن يشاهد ما يدور أمام الإدارة. وقد شاهد كل ما جرى لأحمد البكار من تعذيب، فقد تكالب عليه عدد كبير من عساكر المعتقل بقيادة «محمد غطاس» بالضرب المبرح له على وجهه بالأيدى الغلاظ والركل والضرب فى كل مكان دون أن تصدر عنه آهة، أو تخاذل، فبعد هذا الضرب الجماعى الذى لم يشف غليلهم وزاد حنقهم لصموده وعدم تخاذله، قاموا بربط يديه بالكلبش وكذلك رجليه، ثم رفعه عن الأرض من يده المكبلة وأرجله، وتم إحضار كرباج سودانى حيث بدأوا بتعذيبه على بطنه بيد الكرباج ضرباً متوالياً وبعدد متلاحق طمعاً فى أن يسمعوه صارخا أو مستنجداً أو منهاراً لكنه ظل صامداً دون أن يصدر عنه أى صوت والضرب يتوالى حتى فقد وعيه تماما، ثم ألقوا به فى الزنزانة المجاورة لزنزانة الزميل حسن المناويشى الذى ظل ينادى عليه طوال الليل حتى استرد وعيه وسمعه، واطمأن على أنه مازال حياً وقد قرر العنبر اتخاذ موقف لعودة الزميل أحمد، وقمنا برفض استلام الطعام وطلب مأمور المعتقل، وبعد مناقشة طويلة وعد بعودة الزميل أحمد وبتحسين المعاملة.

وبعد عدة أيام عاد إلينا أحمد البكار وقد تورم وجهه واحمرت عيناه من أثر الضرب، ثم أطلعنا على بطنه حيث علامات زرقاء أو حمراء متراصة من ضربه عليها، وظل فترة متعباً حتى استرد عافيته. وظلت الأحوال هادئة بالمعتقل لفترة، وتوقفت الشتائم والاستفزاز مع التيسير قليلاً فى طول الفسحة، وتوقفت تصرفات الجنود غير اللائقة، كما بدأوا فى تركيب أبواب دورات المياه التى كانوا قد خلعوها سابقاً عمداً.

وطوال مدة إقامتنا بمعتقل العزب بالفيوم المعزول، منعت عنا الزيارة أو الاتصال بأهالينا، ومنعت عنا الصحف والإذاعة وأى اتصال خارجى. ودائما كانت هذه هى المواصفات المختارة لأماكن اعتقالنا، لذلك وجدنا أن سلاح الإضراب عن الطعام غير مجد فى هذه الأحوال لاستحالة أن يصل صوتنا والعلم بإضرابنا خارج أسوار المعتقل. واستمر أسلوب مواجهتنا ضد الإدارة والأوضاع السيئة بالمعتقل وطلب تحسين المعاملة هو الامتناع عن استلام الطعام وطلب مقابلة المسئولين من خارج المعتقل. وهكذا فى سلسلة مستمرة من الامتناع عن استلام الطعام وحضور مسئولى الأمن من المحافظة،

وبعد الضغط علينا للتراجع وإصرارنا على الرفض، ثم الاستماع إلى مطالبنا وتحسين الأوضاع نسبياً داخل المعتقل لفترة، ثم العودة ثانية لسوء المعاملة. وهكذا جذب وشد أكثر من مرة، دولمة منهكة حتى صرنا نتمنى مغادرة هذا المعتقل ولو للأسوأ، وقد تحققت أمنيتنا. حيث تم ترحيلنا في أوائل نوفمبر ١٩٥٩ إلى معتقل أوردى ليمان أبوزعبل.

أوردى ليمان أبو زعبل

وبنفس طريقة الترحيل «المجنزرة» الوحشية، حط بنا الرحال عند أوردى أبوزعبل. وبعد مراسم الاستقبال التى فاقت في وحشيتها أساليب النازى فى معتقلاتهم، والتى تحملت اللامعقول بقيادة هست مخطط ومنفذ هذه المراسم الإجرامية، والذى تفوق فى انحطاطه هذه المرة وإظهار ساديته، تجاه رجال عزل وضعتهم السلطة بين مخالبه، بدأت مرحلة أخذ السلطة بسياسة تصفية الشيوعيين[٩].

بعد الاستقبال، وتوزيعنا على العنابر، فى هذه الرحلة، أصبحت وحدى مرة أخرى ممثلاً للتنظيم داخل العنبر (٣) [١٠]، وزميلى فخرى وأمين أبو السعود بعنبر (٢)، وزملاء آخرون فى باقى العنابر. وعلمنا أن عنبر (١) به قيادة الحزب (٨ يناير) التى نقلته عقب انتهاء محاكمتها بالإسكندرية. وكانوا قد حضروا إلى الأوردى قبلنا، وكان استقبالهم أقل عنفًا، وإن كانت المعاملة بعد ذلك واحدة؛ استبدال الملابس العادية بملابس السجن، فرض الأشغال الشاقة علينا جميعا وتكسير البازلت، والعودة بأوضاعنا إلى سجون القرون الوسطى.

ما العمل؟! وكيف سنواجه هذ الأوضاع وتحديها؟ فى الفيوم كانت القيادة فى أيدينا، وأغلبنا من القيادات الوسطى، وأمكننا التصرف ونجحنا فى المواجهة حينا وفشلنا أحيانا لكننا استطعنا وقف الإهانات والاعتداء البدنى علينا. هنا فى أبو زعبل قد رفع عنا التكليف، بالتخطيط والتدبير مع وجود أعلى قيادة حزبية بعنبر واحد، وكأننا دون اتفاق قد رحلنا ثقل هذه المهمة إلى القيادة بعنبر واحد، لكن لا أثر لأى بادرة بإصدار قرار أو طرح خطة للمناقشة لمواجهة هذه الأوضاع. لم تحمل إلينا الساعات المتوالية نية القيادة خوض المعتقل أى معركة موحدة. وبدأت القيادات الوسطى التى

قادت سريحة الفيوم تتململ خلال انتظارها أى قرار تصريحا أو تلميحا من القيادة فى عنبر(١)، الذى كان نصيبه من التعذيب أشد، خاصة للقادة المعروفين، وتحملهم ذلك فى صلابة نادرة، مع إحجامهم عن إصدار قرار جماعى بالمقاومة. أفلت الأمر من أيدينا جميعاً ولم يعد الحال يسمح بتدبير خطة مقاومة جماعية، واقتصرت مقاومتنا على ذواتنا، نشحذ قواها لتحمل هذا التعذيب المنظم المستمر، شحن إرادتنا الفردية وتهيئتها لمواجهة أى موقف فردية محتملة، مع استمرار الصمود والتماسك. أى صار كل معتقل مسئولا مسئولية شخصية ذاتية عن نفسه، وعن تاريخه النضالى فى عدم الانكسار أمام موجة الإرهاب العاتية، مع الالتزام بموقف موحد ملزم بعدم الانهيار والتماسك، ورفض أى مساس بانتمائنا الشيوعى، قولا أو فعلاً. وتساقط الشهداء داخل المعتقل، وكان آخرهم الزميل شهدى عطية الشافعى الذى ظل رمزاً شامخاً حتى سقط شهيداً.

وبعد مقتل شهدى قررنا بعنبر (٣) وبموافقة كل العنبر بكل اتجاهاته، أنه عند خروجنا لطابور الصباح وتشكيلات يمين وشمال، للأمام مارش، الجرى بالخطوة السريعة إلخ من أوامر أن نعصى تنفيذ الأوامر، ويتم الأداء بما يظهر سخطنا وغضبنا وحزننا. وفعلا تحول الطابور إلى مسيرة جنائزية، العيون تنطق بالحزن والغضب وعدم المبالاة بالأوامر، وشعر ضابط الطابور والصول والعسكر، بما يغلى فى قلوبنا من تمرد وسخط واحتقار. وتم إنهاء الطابور سريعاً. ودخلنا العنبر دون الطقوس المعتادة من ضرب. ولم نخرج للجبل فى هذا اليوم. وظلت العنابر مغلقة.

وللحقيقة وللتاريخ ـ كما يقولون ـ لم يقتل فينا الإرهاب روح المقاومة والإرادة. ولم تنجح تلك السلسلة الطويلة من التعذيب، بالفيوم والأوردى ،من قهر أعضاء الحركة الشيوعية من مختلف التيارات، وكذلك المثقفين الديمقراطيين التقدميين مثل د. لويس عوض الذى كان معنا بعنبر(٣)، فقد أخذت كل العنابر تتجه إلى مقاومة هذه الأوضاع فى موقف موحد ـ لكم كان شهيدنا «شهدى عطية الشافعى» كريما فى استشهاده، كريما بعد استشهاده، مدافعاً عن الشيوعية يوم مقتله، منهياً لسياسة التعذيب والتصفية الجسدية باستشهاده الذى كان له أثره ـ عالميا وداخليا، وأصدر رئيس الجمهورية أوامره بالتحقيق فى الواقعة، ووقف سياسة التصفية الجسدية، تحت ضغط واحتجاج الرأى العام

المالى الذى علم باستشهاد شهدى. وهكذا، انتهى معتقل أوردى ليمان أبوزعبل دون أن يقدر لنا اتخاذ موقف جماعى لوقف التعذيب من خلاله. لكننا عاهدنا أنفسنا أفراداً وتنظيمات بعدم السماح بتكرار هذه التجربة. ولكن لابد هنا من كلمة تقال برغم ذلك، فقد كانت لنا مواقف جماعية ضد هذا الإرهاب «بالأوردى» مثل رفضنا تنفيذ كمية تكسير الزلط المطلوبة كمقطوعية وكنا ننفذ نصفها رغم ضرب الشوم.

رفضنا ترديد الأناشيد، يا جمال يا مثال الوطنية، تكراراً لتجربة الإخوان. رفضنا الهتاف بحياة جمال عبدالناصر فى طوابير الصباح والمساء، ماعدا تنظيم حدتو لتعارض ذلك مع خطهم السياسى المؤيد لعبدالناصر[١١] وبكل ثقة ويقين أقرر أن كوادر الحركة الشيوعية جميعاً، وأكرر هذا اليقين بأن الاعتقال والتعذيب لم يكسرهم، لم يحن رؤوسهم، لم تتسرب الهزيمة إلى نفوسهم بل ظلوا فى مجموعهم أبطال بكل المقاييس، وكانوا مستعدين لمواصلة المسيرة دوما رغم كل هذا القهر والتعذيب بل ازدادوا صلابة وقوة فى مواجهة أى إرهاب بوليسى، كادر لم يعد يخفى شيوعيته مهما كانت النتائج.

ورحلنا إلى سجن الواحات الخارجة. حيث تجمع كل المعتقلين بكل تياراتهم..

الواحات الخارجة

ولتنتهى شتات زملائنا، أعضاء الطليعة، كأفراد وسط باقى عناصر التنظيمات الأخرى، بمعتقلى الفيوم والأوردى، التى حافظوا خلالها على انتمائهم للتنظيم، وتمثيله بأشخاصهم فرادى يحظون باحترام عناصر باقى التنظيمات لمشاركتهم الإيجابية والصلبة فى كل المواقف.

والتقينا بجزء كبير (بالنسبة لمجموع عددنا) من زملائنا الذين سبقونا فى الإقامة بمعتقل الواحات. وكان أعضاء التنظيم، موزعين على عنبرين مختلفين، المجموعة الموجودة أصلاً بالواحات بعنبر (١) وبها مسئولو المعتقل الزميلان عادل كامل، وأحمد البكار ممثل الطليعة، وباقى الأعضاء، وكنت بينهم بعنبر (٢) وقد أسندت إلى مسئولية مجموعة عنبر(٢). أما باقى أعضاء التنظيم، وبه غالبية قيادته، فقد رحلوا إلى سجن الإسكندرية للمحاكمة. وقد كانت هذه المجموعة تضم كلاً من فوزى جرجس، محمود

المانسترلى، حسنى تمم، نجاتى عبدالمجيد، شعبان حافظ، محمود عزمى، ماجد عمر، مهدى الحسينى على ما كانت الأوضاع داخل معتقل الفيوم - هادئة. وقد انتهت مرحلة التعذيب، وصار المعتقلون يتحركون بحرية داخل المعتقل، وشرعوا فى ممارسة كافة الأنشطة العامة المشتركة، من رياضية وفنية، وثقافية، بجانب النشاط الحزبى الداخلى فى كل تنظيم(١٢).

انقسام تنظيم الطليعة الشيوعية داخل معتقل الواحات الخارجة:

الباعث الرئيسى على كتابة رؤيتى، تقديم تنظيم الطليعة الشيوعية الذى كنت أنتمى إليه تنظيميا لمدة ثمانى سنوات، خمس منها من ٥٩/٣/٢٨ حتى ٦٤/٤/٤ داخل المعتقلات، والثلاث السابقة بالإسكندرية من ٥٦ حتى ٥٩. وبعد معتقل الأوردى القديم، تميزت هذه الفترة بأنها فترة عمل وطنى، العدوان الثلاثى، تأميم قناة السويس، التحالف مع بلدان المعسكر الاشتراكى وحركات التحرير فى العالم، والعداء للاستعمار، مرحلة تحالف مع السلطة ، وعدم الدفع بالتناقضات الثانوية معها إلى رتبة عدائية أو تصادمية، وإن كان خط الحزب السياسى يعمل على قيام جبهة وطنية مع كل القوى الديمقراطية والتقدمية، لتصفية بقايا الرجعية، والعناصر الانتهازية، والتنظيمات السلطوية التى تحجب عن العناصر التقدمية ممارسة حقها فى الحياة السياسية، والترشيح للمجالس النيابية، والتشكيلات الديموقراطية المدنية، كالنقابات لعزل العناصر الصفراء الوصولية ، والعمل داخل الطبقة العاملة من أجل تحقيق مطالبها الاقتصادية. كان خط التنظيم هو تأييد النظام فى مواجهة الاستعمار، مع عدم إغفال المطالب الديموقراطية والشعبية، والذيلية خلف شعارات السلطة، مع عدم الدفع بهذه المطالب إلى حالة صدام مع السلطة ،أى فى إطار، الوحدة والصراع، حتى بدأت السلطة فى تحويل صراعها ضد التحركات الديمقراطية، والأنظمة الوطنية العربية الأخرى إلى صراع عدائى مع العراق والأحزاب الشيوعية، ومهاجمة الاتحاد السوفيتى، ثم معاداة ومهاجمة الشيوعية، والعمل على تصفيتها، ليس فى مصر فحسب، بل على نطاق البلاد العربية التى بها أحزاب قديمة كالحزب السورى واللبنانى والأردنى لاختلافها مع المفهوم الناصرى للوحدة الاندماجية، والشمولية والتنظيم الواحد.

وفتحت المعتقلات من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ خمس سنوات متصلة بخلاف المحاكمات، والأحكام التى تصل إلى عشر سنوات.

خلال السنوات الثلاث من عمر التنظيم (ط. ش) من ٥٦ حتى ٥٩ ـ كان التنظيم على قلة عدد أعضائه يضم كوادر من بداية الخمسينيات، بخلاف أفراد من نباتته من الأربعينيات. ولم تكن حركة تجنيد أعضاء جدد نشطة، وكان مجال عمل التنظيم مدينتى القاهرة والإسكندرية. ولم توجد أى علاقات تنظيمية بالريف. لكن ما يميز التنظيم عن باقى التنظيمات عدم ذيليته لقيادة عبدالناصر، أو الإغراق فى اليمينية وتجاهل الصراع على السلطة، واستمرار العمل، والحذر من السلطة، مع المشاركة فى النضال الوطنى ضد الاستعمار، والدور العظيم للزميل محمود المانسترلى[١٣] فى قيادة المعتقل والمشاركة الفعالة لأعضاء التنظيم إبان حرب السويس، وكذلك تحركات أعضاء التنظيم فى الانتخابات العامة، وطرح البرامج والشعارات الوطنية والديموقراطية.

حديثى عن تنظيم طليعة الشعب ـ الذى أنتمى إليه من ٥٦ حتى ٦٤، خاصة معاصرتى بداية تكوينه داخل معتقل الأوردى عام ١٩٥٥ كانقسام من «الحزب الموحد»، هو الغالب فى رؤيتى، باعتبار ذلك محاولة كاشفة لدراسة حالة عن الانقسامية وعبثيتها، وباعتبارها ميراث زعامات فردية دفعتها نرجسيتها الذاتية، ونزعتها الزعامية إلى الانقسام بزعم وضع الفواصل بين التيار الثورى والتيار الانتهازى داخل الحركة الشيوعية باعتبار الانتهازية داخل الحركة الشيوعية امتدادا للبرجوازية داخل صفوف الطبقة العاملة، وهم بالتالى الأمناء الذين خصتهم العناية بالمحافظة على الحركة الشيوعية المصرية، مع من حولهم من «نفر» يرتبطون بهم رباطًا بطريركيا. وأواصل عرض الأوضاع داخل تنظيم «الطليعة الشيوعية»، داخل معتقل الواحات، وحتى تفتت التنظيم بفعل زعامته.

عند تواجد القيادة والزملاء معًا بعيدًا عنا، قام خلاف حول الدفوع السياسية والمسئولية الأولى فى ذلك الموقف تقع على المسئول السياسى للتنظيم «فوزى جرجس» الذى يفترض قيامه بهذه المهمة خلال المحاكمة، حيث إن الوضع التاريخى للحركة الشيوعية فى مراجهة هجوم النظام على الشيوعيين ودمغهم بالعمالة لدول أجنبية (أى اتهامهم بالخيانة) هذا الوضع يدعو إلى اعتراف القيادة والكوادر بشيوعيتها، وبيان خطها السياسى، وإدانة الدكتاتورية، وكشف زيف ادعاءتها[١٤] (وقد قام قادة وكوادر

التنظيمات الأخرى- الانتهازية (!!) بهذا الدور عند محاكمتهم قبل تقديم كوادرنا وقياداتنا للمحاكمة. ورفض مسئول التنظيم فوزى جرجس هذا الرأى وتمسك بالدفاع القانونى، خاصة أنه عند القبض عليه لم يعثر على مطبوعات للتنظيم فى حوزته، وأن الدفاع القانونى وإنكار شيوعيته يتيح له الحصول على البراءة. وقد كان!!- مع رفض أن يقدم الزميل ماجد عمر، الذى قبض عليه فى حوزته مطبوعات والحكم عليه مقطوع به سلفاً- أن يقدم دفاعاً سياسياً. (حتى لايستنفر رئيس المحكمة الذى كان بالصدفة يمت له بصلة القرابة)- وتأثير ذلك على مزاج القاضى (الذى هو أصلا مزاج سلطوى وأثره على الأحكام التى يتيح اختيار طريق الدفاع القانونية إمكان صدور أحكام بالبراءة على البعض (دون أى بعد نظر بالنسبة لطبيعة المرحلة وأن الأحكام والاعتقال صنوان فى يد السلطة تستخدمهما فى احتجاز الشيوعيين) وحكم على ماجد عمر بعشرة أعوام وجميعنا خرج فى وقت واحد مسجوناً ومعتقلاً بعد التحول السياسى للسلطة.

كذلك كانت نقطة الخلاف الثانية الموقف تجاه حمدى حمدان عضو اللجنة المركزية المتهم بالبوليسية. والنقطة الثالثة الموقف من تنظيم الحزب الشيوعى ٨ يناير، بعد انقسام وتصفية تيار حدتو الذى كان عداء فوزى له عداء دينيا. حسب تعبير بهيج نصار الزميل السابق لفوزى باللجنة المركزية للنواة.

أدى هذا الخلاف إلى انقسام القيادة فى الرأى: محمود المانسترلى وحسنى تمام وشعبان حافظ (كوادر تاريخية) فى جانب، وفوزى والمجموعة التى تربت على يديه فى النواة: نجاتى ومحسن الخياط فى جانب آخر. وهذه المجموعة الأخيرة، هى التى عارضت الدفوع السياسية عند نظر القضية، وعارضت وجود تطور داخل حزب ٨ يناير يدعو إلى طرح موضوع الوحدة.

علمت القيادة الموجودة معنا بالواحات بهذه التطورات، واتفق الزميل عادل كامل مع الزميل أحمد البكار على عدم إثارة هذه الخلافات بالواحات، والتريث حتى عودة الزملاء بعد المحاكمة، وعقد مؤتمر لتصفية هذه الخلافات، وانتخاب قيادة للتنظيم، ووافق الزميل أحمد البكار على هذا الرأى، الذى عززه «عادل» بحقيقة أن عدد

أعضاء التنظيم لايقبل القسمة على ٢، وإذا حدث ذلك فمعناه نهاية التنظيم. من هنا كان شعار «المؤتمر والصراع الداخلي وانتخاب قيادة» هو الحل للمحافظة على التنظيم.

وانتظرنا حتى عودة الزملاء، تحقيقاً للاتفاق لعقد مؤتمر داخل المعتقل لكل زملاء التنظيم، لكنها كانت عودة غير حميدة، حيث كان رأس التنظيم قد أخذ قراره بإبعاد مخالفيه عن قيادة التنظيم، وانفراده بالقيادة، ومعه مجموعته التى تمكنت، للروابط البطريركية حول الزعيم ويقينها «الدينى» أن فوزى جرجس كان الكادر الشيوعى الوحيد فى الحركة الشيوعية من قمتها إلى قاعدتها(١٥)، تمكنت من إفشال المؤتمر بل أن الزميل أحمد البكار بمجرد وصول هذه المجموعة انضم إليها متراجعا عن اتفاقه السابق.

هكذا استقرت أوضاع تنظيم الطليعة الشيوعية إلى وقوع ما خشى منه وحاول منعه عادل كامل باقتراح المؤتمر، والذى أكد تطور الأوضاع داخل التنظيم إلى أن قرار فوزى بالانفراد بقيادة التنظيم قد اتخذ ولارجعة فيه، وأن على محمود المانسترلى ومن معه أن يرحلوا. وبناء على ذلك أعلنا أنفسنا الطليعة الشيوعية داخل المعتقل والتى تضم: محمود المانسترلى ـ حسنى تمام ـ شعبان حافظ ـ عادل كامل ـ وأنا. وأفرج عن المانسترلى عضو الضباط الأحرار السابق بضغط من زملائه الضباط، وتدخل كمال الدين رفعت الذى كان ممثل السلطة فى الإشراف على معسكر طوبجى بالإسماعيلية، والذى كان يقوده محمود المانسترلى لتدريب الفدائيين لمواجهة العدوان الثلاثى على مدينة بورسعيد. وبقينا نحن الأربعة نباشر نشاطنا السياسى داخل المعتقل باسم الطليعة الشيوعية، ونلقى البيانات السياسية باسمها والتى توضح خطنا السياسى المغاير للتنظيمات الأخرى، وكان الموقف السياسى داخل المعتقل المعلن من كل التنظيمات ـ عدا حدتو ـ هو معاداة النظام والإسقاط مع فوارق حول التمثيل الطبقى ثم بداية تحول بدرجات متفاوتة تجاه السلطة بعد تأميم بنك مصر وإقامة القطاع العام والحزب الاشتراكى. كان من مظاهر هذا التحول انفجار الوضع داخل حزب ٨ يناير وخروج كوادر أصلها تنظيم الراية من الحزب ويمثلون أغلب شباب هذا التيار وعددهم كبير ليشكلوا منبراً مستقلا باسم «الأفق»، ويصدرون مجلة ناطقة تحمل نفس الاسم تعرض وجهه نظرهم السياسية ـ ضد الإسقاط، وأن السلطة تمثل البرجوازية الوطنية وتتبع

طريقًا رأسماليا. ومجموعة حدتو ترسخ وتؤصل وجهة نظرها حول المجموعة الاشتراكية التى تقود السلطة وتوجهاتها الاشتراكية وضرورة العمل على الوحدة السياسية والتنظيمية معها بقيادة جمال عبدالناصر، وباقى حزب ٨ يناير ويضم تيار «د. ش» ومن بقى من الموحد ومن قيادة حزب الراية وقلة من كوادرها السابقة ظل رسميا رافعاً شعار الإسقاط، وأن السلطة تمثل البرجوازية الكبيرة الاحتكارية، وإن كان داخل هذا الرأى الرسمي، يدور صراع داخلي، وصراع عبر توسع الاتصالات الجانبية داخل التنظيم فى مراجعة الموقف من السلطة، وإن ظل كل أعضاء الحزب شكلاً لم يتخلوا عن الموقف الرسمى للحزب الذى صار موضع شك ليساريته، وتزايد التيارات المعارضة. وعند استشهاد زميلنا شعبان حافظ قمنا بالمشاركة الجماعية بتوديعه الوداع الأخير فى مظاهرة جماعية خلف نعشه الذى لحطناه بالعلم الشيوعى عليه شعار المنجلة والمطرقة نردد الأناشيد الثورية، فى جنازة مهيبة تليق بمناضل عاش ومات رافعا راية نضال الطبقة العاملة نحو الاشتراكية والثورية، ورمزا حيا يجسد تواصل الحركة الشيوعية فى مصر، فقد بدأ حياته النضالية بالسجن فى الحضرة بالإسكندرية عام ١٩٢٤ عضواً قياديا بحزب ٢٤ وختم حياته مواصلاً النضال حتى استشهد فى سجن الواحات الخارجة ١٩٦٢. وأقمنا ـ نحن بتنظيمه ـ احتفال تأبين، أبنته فيه كل قيادات التنظيمات بالمعتقل، فقد كان يمثل لها جميعا رمزاً جسد فى شخصه روعة النضال الشيوعى وصموده متحديا كل أعداء الطبقة العاملة. وقد قمنا ـ نحن زملاءه ـ بتسجيل كل الكلمات والأشعار وصورته فى كتيب بخط اليد، وثيقة نادرة للأسف وقعت فى أيدى البوليس عندما كانت فى حوزة أحد زملاء الحركة الشيوعية الجدد عند القبض عليه.

كما شاركنا فى الإضراب الكبير داخل المعتقل، وكان الزميل عادل كامل ممثلنا نحن و (د ش) المشاركين فى الإضراب، باعتباره أحد قادة الإضراب مع قيادته من حزب ٨ يناير، أذكر منهم الزميل فخرى لبيب، وقد شارك عادل وفخرى ومن معهما من قيادة الإضراب فى التفاوض مع مسئول السلطة حول مطالبنا وإنهاء الإضراب الذى حقق مكاسبه.

مجموعتنا لم تنعزل عن باقى كوادر حزب ٨ يناير بصفة خاصة، حيث كان التعامل مع حدتو سياسيا مستحيلا للبعد الكامل بين خطنا السياسى ونظرية المجموعة

الاشتراكية. لكن هذا لم يكن عائقاً للعلاقات الحسنة مع كوادرها، خاصة حول القضايا العامة(١٤).

وقد فتحنا قناة مع حزب ٨ يناير للاتحاد معه، وتوقف الحوار، وفضلنا أن نستمر فى شكلنا المستقل لأن دخول الحزب فى هذا الوقت ومع بداية تباين الأفكار والآراء حول طبيعة السلطة وانقسام الأفق وتزايد الاتصالات الجانبية داخل الحزب. سيضعنا مع ما نحمله من خلافات مع وجهة نظر الحزب السياسية وطبيعة السلطة فى بعض النقاط فى تعارض مع خط الحزب الرسمى والوضع داخل الحزب صار لايسمح بوجود صراع داخلى حسب القواعد التنظيمية، والغالب هو الصراع عبر الاتصالات الجانبية الرأسية والأفقية. بينما الوضع الذى نحن فيه شكل تنظيمى مستقل يتيح لنا التحدث والتعبير عن آرائنا بحرية دون الوقوع فى خرق قواعد التنظيم. وهذا لاينفى أن قرارنا كان أننا لن ندفن رؤوسنا فى الرمال وليست فى أدمغتنا أى أوهام حول نظرية الصفر، لذلك سنظل داخل المعتقل محافظين على وضعنا المستقل فى ظل هذه الأجواء المضطربة، على أن ندخل الحزب بمجرد خروجنا من المعتقل والعمل فى صفوفه.

الهوامش

(١) وقد تبينت لاحقا بأن وجهة النظر هذه لم تكن قاصرة على النواة. بل يشاركها هذا الرأى أعضاء منظمة نحشم الجديدة، كما أن باقى لتنظيمات (ماعدا حدتو، لواية، د ش) بدرجة أو أخرى قريبة من هذا الرأى.

(٢) وقيادة هذ التكتل ذات تاريخ انقسامى سابق.

(٣) راجع كتابات الزملاء عن معتقل الفيوم تفصيلا والصادرة بعد ١٩٦٤.

* كان حزب ٨ يناير (الأغلبية) وقد بكن قد مر على تكوينه سوى عام، فمن الطبيعى أن يسود هذا الوضع من عدم التعارف خاصة بالنسبة للمنضمين الجدد، ولأن الفترة الزمنية القصيرة لاندماج التنظيمات أوجدت حالة من التفكك التنظيمى.

(٤) راجع تفاصيل ذلك فى روايات الزملاء المنشورة بعد ١٩٦٤.

(٥) حسب ما عرفنا من بعض الحراس فى تحسرهم على تبديل المال وحضورنا.

(٦) كتيبة الهجانة هذه كانت قد حضرت إلى المعتقل لدعم الحرسة حول المعتقل لعدم الهروب، ويبدو أن الغرض من إحضارهم زيادة إشاعة الإرهاب بين صفوفنا إلى جانب باقى إجراءات التعذيب لما هو مشهور عن الهجانة من قسوة فى تنفيذ الأوامر دون تردد عندما تستخدمهم الدولة فى قهر أى تمرد أو عصيان بالأرياف أو حين يقومون بحراسة لحدود من المهربين. لكن نظراً لوجود بعض زملائنا من النوبيين بداخيات هؤلاء الجنود. فقد شرحوا لهم سبب اعتقالنا السياسى، وأكاذيب كل ما يفهم عنا من المباحث. هذا الموقف للهجانة هو الذى جسده الفنان حسن فؤاد زميلنا بالعنبر فى أحد مشاهد فيلم الأرض.

(٧) راجع تفاصيل التعذيب بأوردى ليمان أبوزعبل فى كتابات الزملاء ورواياتهم الصادرة بعد ١٩٦٤.

(٨) وقد حضر إليه بعد مدة الزميل نجاتى.

(٩) تفاصيل رفعتنا الجماعى للهتاف بحياة عبدالناصر. وماوقع من تعذيب للزملاء نجاتى عبدالمجيد ومحمد عبدالمقصود من زملاء عنبر ٣ لإجبارهما على الهتاف واستمرارهما على رفضهما. راجع نجاتى عبدالمجيد شهادات ورؤى..

(١٠) راجع الحياة داخل معتقل الفيوم فى كتابات وروايات الزملاء الصادرة بعد ١٩٦٤.

(١١) ضابط سابق بالقوات المسلحة، ومن حركة الضباط الأحرار. وعضو اللجنة المركزية بالتنظيم وحكم عليه بسبع سنوات.

(١٢) للفروع السياسية تقليد وموروث ثورى اتهمه قادة شيوعيون خلال محاكمتهم. خاصة فى ظل أوضاع حكومات عسكرية وفاشية.

(١٣) رؤى. بدر رضوان. جـ ٦ صـ ٨٤

(١٤) رؤى جـ١ صـ ٢٠٩.

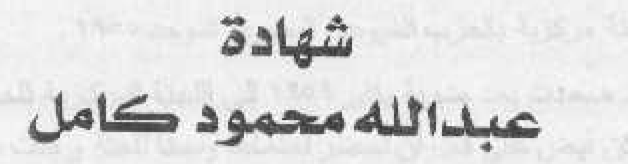
(١٥) راجع هكذا تكلم الشيوعيون صـ ٤٥١.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) أما المجموعة الأخرى للطليعة فقد تفجرت بينها الخلافات، حيث تمرد من تمرد مثل الزميل محسن للحفاظ على عبادة الفرد وكتب قصيدته الساخرة «الأغا» مهاجما قدسية الزعيم، ممزقا كل الأقنعة. تقول القصيدة:

«الأغا مبسوط.. الأغا زعلان.. لأغا فرحان.. الأغا بيحب من الدخان.. حراريه خدمان بتحايل فيه.. اللى بجمع له حب التوت.. واللى بيفرط له فصوص رمان.. واللى بيغسلوا كعوب رجليه بدموع فى عنيه كأنه مسوح.. والكل وراه نازلين تسبوح شايلين صلبان.. الرب الرب أهو بان.. والأغا مبسوط.. الأغا مبسوط.. الأغا فهيم وحكيم وعليم ولازيه زعيم، إن قال ضالين الكل وراه يقولوا آمين.. وإن قال الشمس سوك وضلام يقولوا أيوه تمام..

قول زى ما هو بيقول لا يجوز.. وينط ويحرن زى العلوزه ويبعت وراك إشاعات من زور.. ولأغا قصاص أجدع قصاص.. دى قصص مكسيم وقصص موبسان ما تساوى فى ريحه ولا علم.. ولأغا بيحب يقيم سهرات ويقول حكايات والناس تسمعها سبع مرات ويقولوا كمان.. والأغا مبسوط. التعلب فات.. والتعلب ديله سبع لفات»، نقلا عن الزميل فاروق فتح وكان فى نفس الحجرة مع الزميل محسن الخياط والتى انسحب من التنظيم. وكاتب هذه القصيدة وألقاها بنفسه على مسامع الزميل فاروق مؤكداً له أنها عن شخص فوزى حسب رؤيته التى تبينتها مؤخراً..



شهادة
عبدالله محمود كامل

الاسم: عبدالله محمود كامل

الميلاد: ٣١ أكتوبر ١٩٢٩.

المؤهل: بكالوريوس تجارة عام ١٩٥١ ـ تخصص اقتصاد سياسى.

البلد: الفيوم ـ من عائلة أقرب إلى الكادحين منها إلى الموسرين.

قبض علىّ عام ١٩٥٢، وصدر حكم ضدى بخمس سنوات ثم اعتقلت عام ١٩٥٩، وخرجت عام ١٩٦٤. المراكز التى مثلتها فى الحركة:

عضو لجنة مركزية بنواة الحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٠.

عضو لجنة مركزية بطليعة الشيوعيين المصريين ١٩٥٠.

عضو لجنة مركزية بالحزب الشيوعى المصرى الموحد ١٩٥٥.

وكنت قد صُعدت بعد ضربة يناير ١٩٥٩ إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى، لكن قبض علىّ قبل أن أحضر اجتماعاً واحداً للجنة وكنت مسئول منطقة المعتقلين بمنفى المحاريق (٥٩ ـ ١٩٦٤).

كانت معرفتى السياسية صفراً إلى أن التقيت بالزميل والصديق فخرى لبيب. الذى كان والده ناظر محطة سكة حديد بلدنا. وبعد أن ترك بلدنا ظل الخيط موجودا بينى وبينه إلى أن ذهبت للالتحاق بالجامعة فى أواخر عام ١٩٤٦. وهو الذى لعب الدور

* لقاء مع د. فخرى لبيب ـ بحضور نبيل صبحى

الأساسى أو الدور ١٠٠٪ فى أن أتذوق الفكر الجديد، وأبدأ فى التساؤل، وهو الذى جرنى إلى قلب الحركة.

كانت بداية احتكاكى بالشيوعيين فى بيت زميل فى الزمالك، وكان من العناصر الهامة جدا، وكان كثير الكلام. وكان فى المنزل مجموعة كبيرة من طلبة الجامعة، شباناً وشابات، وطبعاً الذى أخذنى إلى هنالك هو فخرى لبيب، كنا حوالى أربعين أو خمسين زميلا. وقالوا إننا نود تبادل الرأى فى الموقف السياسى الحالى فى مصر. وتحدث واحد واثنان وثلاثة، ولسوء الحظ جاء الدور علىّ، فقد كنت قريبا ممن بدأوا الحديث. ولم أستطع الكلام، لم يفتح الله علىّ ولو بكلمة واحدة. تربية الريف فيها جبن خطير. أن تواجه الجماهير، أو تواجه أناساً أنت مقتنع أنهم أحسن منك. فى هذه اللحظة أنقذنى فخرى وقال لهم إننى متعب بعض الشئ. كان هذا أول احتكاك لى بالجانب الديمقراطى والثورى والمتقدم فى الجامعة. ولم تتكرر، لكنها كانت البداية.

كان فخرى لبيب بالنسبة لى مكتبة لاتنفد، لديه العديد من الكتب، ويقابل العديد من الناس، ويجعل ناساً تتقابل مع ناس. القراءات والمناقشات كلها كانت عن طريقه. وقد سألنى مرة عن كثرة الصلاة فقلت له: اسمع بأه، شيوعى أيوه، لكن إلا هذه المنطقة. وقد قال لى حكمة: اوعى ترد الدين كدين، الهزيمة ستلحق بك، إنما تنشيط الصراع الطبقى هو الذى يجعل الناس تفكر.

أود أن أقول إن دراستى بقسم الاقتصاد السياسى نفعتنى وأضرت بى ضررا بالغا جدا جدا. لقد قرأت كثيرا جدا فأصبحت مغرورا بدرجة قاتلة.. من لاشئ فى القرية ثم يفتح أمامك عالم آخر فيه لينين وستالين وماركس. وعندما أصبحت مسئول مجموعة أفسدتها بمعرفتى.. كنت أتكلم كلاماً نظرياً عالياً وهم لايريدون هذا.. كان لابد من تمصير الماركسية.

وعندما دخلنا التكتل الثورى، قابلت شهدى عطية الشافعى واجتمعت معه. كان عمرى ١٨ عاما، وكنت أجلس مع زعيم التكتل. ودون أن يقول هو أى شئ قلت له إننا معك. الجهل بالسياسة يجعل المرء يقول أى كلام. المهم أصبحنا فى قلب التكتل الثورى، لكننى لا أتذكر كيف وصلت إلى شهدى عطية، لقد تكلمنا معا ووافقت على

كلامه. ولابد أن فخرى لبيب هو الذى أرسلنا لشهدى عطية فى التكتل. كان فخرى ينام فى حجرته على سرير تحته مليان كتب. كنت آخذ خمسة مجلدات، ستة مجلدات، وألفهم فى جرنال وأمشى. وبعدها بيوم أو اثنين آخذ كتبا أخرى ووضعت كل هذا فى صفيحة ولحمتها وأخذتها إلى البلد وأصبح عندى مكتبة. ثم بدأت القراءة. كنت لا أقرأ فى اليوم أقل من ٧ ـ ٨ ساعات. وفى البلد لم يكن هنالك أحد معى. كنت أغلق الباب وأقرأ.

هل تركنا التكتل بإرادتنا أم أنه تآكل ووقع. لكن بعد أن انتهى التكتل كنا ننزل إلى شبرا الخيمة، وكنا نقعد على القهاوى. وكانت المباحث تسأل الزبائن عن كارنيه النقابة، ومن ليس معه يحاولون الإمساك به. وكان العمال يتشاجرون ويضربون من أجل تهريبنا. فى أحد الأيام أخذتنى المباحث من على المقهى لكن «نطيت» من عربة البوليس وأخذت أجرى فى الشارع حتى وصلت إلى بيت فخرى لبيب فى شارع البعثة فى شبرا.

وفى شبرا قابلت حوتو (إبراهيم عرفة). وكان بمفرده ويسمى نفسه اتجاه النضال الثورى وأحضرته إلى بيت فخرى لبيب وقد أحضره عبدالله ليقيم معنا فى الغرفة، ونخدم نحن عليه بالشاى ونشترى له السجائر، وهو يكتب استراتيجية وتكتيك وبرنامج ولائحة (خط لحركة الثورية). ثم التقيت بفرقة فوزى جرجس (العصبة الماركسية). وأثيرت مسألة الوحدة. ورفضنا أنا وفخرى الانضمام للعصبة لأن حولها كلاماً منذ حملة إسماعيل صدقى ١٩٤٦، واقترحنا اسم «النواة».. نواة الحزب الشيوعى المصرى، باعتبارنا لسنا الحزب بل نواة الحزب، نسعى لوحدة الحركة كلها. وتشكلت النواة وأصبحت عضوا فى اللجنة المركزية. وسلمناهم المكتبة التى حصلت عليها.

وكانت عبارة عن كتب أخذناها من الكتب التى تجمعت لدينا فى التكتل والتى كنت مكلفاً أنا وفخرى لبيب وعبد المجيد أبوزيد بتوزيعها

والحقيقة أننى عندما ذهبت إلى النواة كنت أعتقد أننى قادر على كتابة استراتيجية للحركة الثورية الدولية. وأحضر لى أحد الزملاء كمية من ورق الأرز الخفيف وكتبت، ليس عن عدم معرفة، لأننى كنت دارسا بشكل جيد، وبتركيز. المهم أخذ فوزى هذا

الكلام ونشره على أنه خط القراءة، وهذا ما جعلني أزداد غرورا، إنني أرسم خطاً للحركة الثورية الدولية. وعندما نشر هذا الكلام وجاءت بعض الانتقادات في بعض مجلات التنظيمات الأخرى، شعرت أن ما كتبته كان فيه أخطاء، وهو ليس كما ينبغي، غير أنني وجدت فوزي جرجس يبرر هذا الكلام ويتهم الآخرين بالتجني.

وقد كان للتكتل قصة مع طليعة العمال، إذ عندما تكون التكتل جرى حوار بين القسم الفرنسي وطليعة العمال. كان لديهم انتقادات لطليعة العمال، وتم الرد عليهم، كان كلام أعضاء التكتل في البداية موضوعياً يختلف عن الحركة الديمقراطية والحركة المصرية للتحرر الوطني. وقمنا بعمل اتصال معهم لوضع هذه الأفكار في الواقع العملي، إلا أنهم تبخروا. الحقيقة أن طليعة العمال كان أمامها فرصة ذهبية لجمع كل هؤلاء الناس، غير أننا عندما نزلنا شبرا الخيمة، والتقينا بهم مصادفة، وكانوا يسمون بالعسكريين هددونا بالضرب وسبونا بأقذع الشتائم لأننا أصلا من حدتو.

وقد لاحظت أن عقلية الأعضاء في شبرا الخيمة كانت سيئة جدا، أو على الأقل الذين اصطدمنا بهم. وسأحكي قصة مختلفة، قصة بسيطة جدا. تعرفت على أحد العمال على القهوة. استبشرت من وجهه، في بلدنا نقول ده وشه فيه خير. كان اسمه الأسطى جلال، ولعبنا عشرة طاولة وسألني بتشتغل فين. قلت له، إنني لا أعمل. قال: نشوف لك شغل. فما ذهبنا إلى بيته. بيت نظيف جداً. ليس به أثاث غير حصيرة وغرفة النوم وزوجته. دخلنا وبدون كلام أحضرت الطبلية والوابور وبدأت تحضر الشاي. حضر له عمال وأخذوه في مهمة. قال لي لن أغيب أكثر من ١/٢ ساعة، وتركني مع زوجته، شابه وصغيرة. إلا أن ما هزني تماما هو أن الباب خبط، وطلعت هي تفتح الباب وسمعتها تسأله: إنت اشتغلت. يظهر كان عاملا عاطلا. وأعطت له فلوس. وعندما رفض قالت له: كلنا في الهم. إنت هتحتاجهم النهارده، وأنا هحتاجهم منك بكره. وعندما عاد زوجها حكت له، فعاتبها لأنها لم تعطه أكثر. وأنا جالس أرى هذه التقاليد وهذه الطبقة وهم يتحدون في مواجهة نفس المصير. في هذا الوقت جاء عنده عمال وكانوا من د. ش واستفزوني استفزازا فظيعا وشتائم مقذعة، لم يكونوا يتناقشون ضربوا كرسي في الكلوب. وقال لهم صديقي هذا، إن ما يفعلونه لا يصح، فأنا ضيفه وفي بيته، وأخذني إلى الباب وقال لي: إنت شايف الخط ده، خد دينك في

أسنانك وماتبطلش جرى. غير أنى تعرفت على عدد كبير وجلست على حوالى ثلاثين قهوة. وأصبحنا خبراء فى تفاصيل صناعة النسيج ومشاكل العمال، كان شكلى غلبان، وبذا لم أكن مختلفا عن شكل العمال. وأصبحت أجيد الكلام بلهجتهم، واستمرت علاقتى بهم زمنا طويلا.

أما كيف حصلنا على الآلة الكاتبة فتلك قصة تستحق أن تروى ففى عام ١٩٤٨. كان لى قريب يعمل بالمرصد فى حلوان وكنا نتفسح لنا ومو هناك، ووجدت آلة كاتبة تبدو منسية فوق أحد الدواليب وهناك غيرها أيضا. فعرضت على قريبى أن نأخذ واحدة. واعتقد قريبى أن هذا هزار، وفعلا أحضرنا حقيبة ومفك والمعدات اللازمة وتوجهنا إلى هناك ليلا. لم يكن يوجد غير الخفراء. دخلنا، وفككنا القاعدة ووضعناها فى الشنطة وغادرنا بسلامة الله. غير أن أحد مفاتيح الآلة كان «سايب» ويصدر صوتا وكاد أن يفضحنا. بعد أن غادرنا المكان أصبح الأمر خطيرا. كانت المنطقة محل شبهة، والطريق من حلوان حتى شارع القصر العينى حيث منزلى ملغماً بالمخبرين. وكان يندر أن يمر أحد من هذه الأماكن بسبب مقتل النقرشى باشا. كنت أحمل الشنطة على كتفى، وفجأة رأيت عساكر قادمين من الجهة الأخرى، ولم يكن أمامى غير التقدم، وأنقذنى قدوم حنطور، فأسرعت أركب بالشنطة إلى محطة حلوان. غير أن ركوبى من المحطة كان يعرضنى لتفتيش الشنطة ثم القبض علىّ. كانت هنالك عربة جيش ووجدت السائق يسألنى إن كنت نازلا للقاهرة، وعندما قلت نعم، وضعنا الشنطة فى صندوق اللورى وإلى جوارى عدد من جنود الجيش. وأدى ذلك إلى نجاحى فى اختراق المرور، وكأن اللى حصل دا كان مكتوب لى كى أنجو، وقد سألنى الجنود ضاحكين إذا كان فى الشنطة قنابل، قلت لا.. دى حاجات خاصة. طلبوا منى جنيه ونص، ودا كان مبلغ كبير، وكان سؤالهم عشان ياخدوا فلوس أكثر. لم يكن معى غير جنيه. وعندما نزلت أمام بيتنا، كان هناك بياع كازوزة جارى فأخذت منه النص جنيه. وأنزل البواب الشنطة. كان المنظر غريبا قدامه، خاصة لما طلبت منه إنه يحط الشنطة فى دكان من الدكاكين الفاضية اللى كانت أسفل العمارة. نظر إلىّ باعتبارى محامياً، فأظهر الاحترام الشديد لى. كان يتردد على منزلى زملاء سودانيون وزملاء بيض وحمر، فتصور أننا عصابة دولية وأنا على رأسها.

استدعت الشرطة قريبى بناء على شهادة الفراشين والخفراء، فاعترف أننى الذى كنت معه، لكنه لم يعترف على الماكينة. وذهبت إلى النيابة وكانت هنالك نساء الفراشين يصرخن على أزواجهن. وقد قال لى وكيل النيابة بعد التحقيق بناء على الوقائع: إنت اللى واخدها. فقلت له، إيه هية؟ فقال: يفرج عنه بعد تفتيش المنزل وجاء البوليس إلى المنزل وفتشوه ولم يجدوا شيئا. والبواب يراهم صاعدين هابطين دون نتيجة، فاحترمنى أكثر. ظللت أسبوعا ثم قمت بعملية النقل إلى البلدة. كان بقاء الآلة الكاتبة بالغ الخطورة حيث إن البواب كان مقتنعا أننى قمت بعمل جعله يتساءل، وكأنى شيخ منسر، «الحكاية دى مش هيطلع لنا فيها حاجة».

كان عندى «قفة» كانت ترسل أمى لى فيها أكل من البلد، فأخذت «القفة» ووضعت فيها الماكينة، وفوقها بعض قطع القماش القديمة. استعنت بصديق إخوانى وهو لا يخوننى لو انطبقت السما على الأرض، وكان عارف مصر وولد حرك، ولم يكن من العناصر البارزة فى الإخوان، وكان معه أيضا اثنان أو ثلاثة من البلد، وجدت شد وجذب بينهم. من منهم المسئول؟ وكنت أنا قد حددت الإخوانى مسئولا عنهم. وكانوا فى حدود ١٨ ـ ١٩ سنة، واستطاع هو بالفعل نقلها تحت سمع وبصر المخبرين الذين كانوا يملأون الشوارع أيام حكومة إبراهيم عبدالهادى. أرسلتها للبلد وذهبت لدفنها فى الأرض ورأتنى أمى فقالت لى هو دا مش خطر؟ فقلت لها خطر بالطبع، فصرخت فأخرجتها وأعطيتها لفلاح أحبه ويحبنى جدا وظلت معه إلى أن أتيت أنا وسعد من القاهرة، وسلمتها لسعد وأحضرت له تاكسى، ومن يومها لا أعلم عنها شيئا.

وقد فكرنا فى مشروع مماثل فى مدرسة الفيوم الثانوية، وكنا نعتمد على محمد مصطفى درويش لأنه كان كاتب نيابة، وكان يتعامل معى على أننى مازلت صبيا وهو صاحب مواقف، ودخلنا المدرسة ورسمنا المكان. وجاء يوم التنفيذ، فذهبت إليه وكنت مسلحا، كان معى سلاح «مسدس والدى» الذى كنا نحمله أثناء المظاهرات فى القاهرة. وعندما رآنى درويش مستعداً هكذا، وإن لم تنجح العملية: انبهر وتعامل معى منذ ذاك التاريخ باعتبار أننى قادر على أن أفعل أشياء خطيرة.

أما بالنسبة للتحضير «لنواة الحزب الشيوعى» فقد كان لنا اتصالات داخل الحركة الماركسية. كنا نحن نعتبر أنفسنا بقايا التكتل الثورى، وكنا قد تعرفنا بإبراهيم عرفة

(حوتو) (اتجاه النضال الثورى) وحين كنت ألقاه أحيانا إلى جوار مقر عملى، فيقبلنى ويقول لى «يارفيق لا تنس الاشتراكية»، كان حوتو لايستطيع إلا أن يكون زعيما كبيرا وقابلت سعد، وكان هذا الاسم اسماً حركياً، وكان الذراع اليمنى لفوزى جرجس، وتعرفت عليه عائليا، دخلت منزله وتعرفت بزوجته وأولاده.

والغريب أنه عندما تشكلت النواة وسلمناهم المكتبة والمطبعة فوجئنا بقرار فصلنا. كان الإجراء غريبا للغاية وليس له ما يبرره على الإطلاق غير أن يكون فوزى جرجس قد استشعر فينا قوى لايسهل إخضاعها له، وأننا السبب فى إلغاء اسم العصبة وفرض اسم النواة عليه، فقرر التخلص منا. ومرة أخرى وجدنا أنفسنا فى الشارع بلاتكتل ولا نواة، وعلينا أن نبدأ من جديد لكننا خرجنا من النواة بمن كانوا معنا، كذلك خرج معنا بعض زملائهم فيما يشبه الاحتجاج على تصرفهم. وعموما فمنذ هذا اليوم بدأ التحضير بوعى، أو بدون وعى، لطليعة الشيوعيين المصريين وأعتقد إلى حد كبير أن اسم المنظمة الجديدة التى كوناها «طليعة الشيوعيين المصريين» جاء رد فعل لإحساسنا أن الشيوعيين الذين يتحدثون على أنهم طليعة الشعب، هم أنفسهم فى حاجة إلى طليعة، ونحن هذه الطليعة، كان رد فعل لانفعال بورجوازى صغير.

الحقيقة أنا كان عندى علاقات بعناصر من النقل. الترام. كانت علاقتى بهم أكثر من علاقة زملاء فى السياسة. كان هناك محمود فرغلى سكرتير النقابة. كان وقتها فى العجوزة، وكنا نجلس فى تعريشة شاى وكازوزة، ويأتى العمال هناك وتعرفت على عدد كبير منهم. وكنت أذهب إليهم فى بيوتهم فى البساتين وزينهم. وفى أحد الأيام وصف عامل تلال زينهم هذا السكة إلى منزله، وذهبت إليه وكانت منطقة خطرة جدا. وأصر بعد الترحيب بى أن آكل لقمة أولا. ثم قال نصلى العشاء، وطلب منى أن أكون الإمام، فقلت له: إحنا فى بيتك ما يصحش.

وكنت كلما بدأت الحديث فى السياسة أو النظرية يحدثنى عن أنه وزوجته من أبناء الأصول. وقضينا الليلة كيفما اتفق، ثم خرجت من عنده وكانت الدنيا «ظلام كما الحبر»، ودخلت المقابر وتهت فيها، وكانت هذه المقابر بؤرة خطر لا حد له، يُقتل فيها القتيل دون أن يحس به أحد، وكان البوليس يخاف أن يدخلها.

كان محمود فرغلي إنسانا جماهيريا ومحبوبا وكان يقول لي: أنا أمشي وأنت تلم من ورائي. وفعلا بدأت بتجنيد خمسة على الأقل من ورائه، لكن المشكلة التي واجهتها أنني أجيد الحديث في النظرية، لكن ليس لدي القدرة على ربط النظرية بمشاكل العمال بصورة مباشرة. حقا كان العمال يحبونني ويثقون بي، لكن عندما تأتي المسألة إلى مشاكل العمال أصبح كالأطرش في الزفة لأني لم أدرسها ولأنها غدت في الحقيقة واجبي الأول. كان المفروض أن ألعب دور القائد السياسي لهؤلاء العمال.

كنا نشطين في المسائل الخاصة بالمثقفين والاتصالات الجانبية، وهذا الكلام الذي لايقدم ولا يؤخر، وحركة الطبقة العاملة جاهزة. وقال لي محمود فرغلي لابد من عمل ركائز عمالية حتى نكون مستعدين للحركة وقد تم فعلا إقامة هذه الركائز، وأصبح معنا عمال وسائقون وكمسارية في مخازن غمرة والعباسية والجيزة وشبرا. وهذه الركائز هي التي اعتمدنا عليها عندما خضنا معركة المليم لعمال الترام.

لكنني أود أن نرجع قليلا إلى تأسيس طليعة الشيوعيين المصريين وأتحدث عن عدد من الزملاء الذين شاركوا في تأسيس الطليعة بغض النظر عن موقفهم التنظيمي.

لقد ذكرت أنني تعرفت على فخري لبيب عندما كان والده ناظرا لمحطة بلدتنا العدوة - فيوم، وهو الذي من خلاله ارتبطت بالحركة وفور ارتباطي بالحركة وكنت ما أزال طالبا في الثانوية بالفيوم، تعرفت على محمد مصطفى درويش وجندته معنا. كان درويش يعمل في النيابة، كاتب نيابة، وجاءني في أحد الأيام وقال لي: معي شكوى ضدك. كانت الشكاوى تمر عليه قبل أن تعرض على وكيل النيابة. عندما نظرت إلى الورقة عرفت على الفور من مقدمها، كان إنسانا قريبا مني للغاية. عرفت خطه، وكانت الشكوى تقول إنني شيوعي، ووصفت مظهري وشخصيتي وصفا دقيقا.

كان درويش بطلا رياضيا، بطل جري وبطل مصر في الملاكمة. وكان له معجبون وهو في سن صغيرة. وبعد انتقالي إلى جامعة فؤاد الأول بالقاهرة نقل درويش من الفيوم للقاهرة أيضا ليعمل في نيابة باب الخلق. كان له معجبون كثيرون كما قلت، ومن بين هؤلاء المعجبين كان له شلة من طلبة الثانوي الفتوات الملاكمين، وعرفني درويش بهم عندما تناقشنا في أهمية توسيع دائرة علاقاتنا وتجنيد زملاء جدد. وقد قدم هؤلاء الشبان خدمات تفوق التصور، خدمات لاحد لها: طبع

مطبوعات المنظمة، تأمين الأجهزة الفنية، نقل المطبوعات وتسليمها. كانوا فى غاية النشاط ولا يتأخرون عن أى شئ يطلب منهم. كانوا يقولون لدرويش: نحن معكم فى كل شئ، نقل، تسليم، تخزين، إخفاء هاربين، لكن اجتماعات بلاش، حكاية الخضوع لمركزية ديمقراطية واجتماعات وتكليفات فهى مسائل صعبة.

وقد تعرفت عن طريق درويش أيضا بالدكتور أمين الصيرفى فى عابدين والذى جاء عن طريقه فيما بعد عمر مكاوى، ودسوقى بطل البوكس أيضا، وكان بطلا فى وزن غير وزن درويش وكان شابا جدعاً جدا.

درويش كان ممتازا جدا، طباعا وخلقا، وكان على استعداد دائم لخدمة الكفاح الشيوعي، كان يتمتع بحدس تلقائي. وكانت له نظرة فى الناس لا تخيب. وله خبرة فى الحياة غنية رغم صغر سنه، خبرة غير عادية. كنت أحس أنا بالتضاؤل أمامها. وكانت له جدعنة ابن البلد.

أمين الصيرفى كان يخدم كطبيب بدون حدود، وهو مثله مثل كثيرين حينذاك عندما يعرفون أنك ماركسى كانوا يلتصقون بك لدرجة كبيرة. وهذا موجود حتى الآن، فأنا ذهبت منذ سنة وابنتى إلى طبيب عيون مشهور، ولما دردشنا مع بعض وعرف أننى ماركسى أمسك بى، وكل ما نهم بالانصراف يمسك بنا والعيادة زحمة وأنا أنبهه لذلك، دون فائدة، وكان يقول لى: دا أنا بدور على واحد منكم، ورفض تقاضى الأتعاب بإصرار. وكان متدينا وغير سلفى، وسألنى عن علاقة الماركسية بالدين فأوضحت له أن المهم لى الماركسية هو منهجها فى تحليل المجتمع، فارتاح تماما.

عمر مكاوى كان مثقفا، دائم القراءة للأدب ومترجما أيضا. وقد ترجم فيما بعد بعض أعمال برنارد شو، وكان إنساناً نبيلا للغاية، وكان إذا طلب منه شئ يتنازل عنه فوراً ودون تردد. وكان مخلصا تماما لكل ما هو تقدمى، فما بالك بالماركسية. وكان معجبا بنا للغاية، نحن الأقدم منه بعض الشئ. كان من الشباب الفدائيين هو ومجموعة معه، ذهبوا إلى فلسطين لتحريرها من الصهاينة عام ١٩٤٨، لكنهم صدموا بما حدث هناك. وكان قد تعرف على بعض أعضاء من الحزب الشيوعى السورى وتأثر بهم. وقرر العودة ليبدأ النضال من مصر، وانضم إلينا.

منصور زكى جاء للانضمام إلينا من م. ش. م. وكان مفصولا بتهمة البوليسية، لكننا كنا نعرف جيدا أنه مناضل جيد، كان عامل تجليد وله علاقات وثيقة بعمليات الطباعة، وهو الذى أعد لنا مطبعة حروف، مولها عمر مكاوى، وكنا نصدر كتيبات ومطبوعات مختلفة، وكان هذا عملا سريا خرافيا. أما حسن حسنى، الشهير بفوزى أبوشنب فقد خرج معنا على ما أتذكر من النواة.

وكان معنا صلاح هلال العامل النقابى الرائع الدمث الخلق المناضل فى إصرار فى شبرا الخيمة، وهو الذى لعب دورا هاما فى بناء منطقة عمالية لنا بشبرا الخيمة، التى كان فخرى لبيب مسئولا عن متابعتها. وكان حسن حسنى مسئولا عن منطقة عمالية أخرى لنا فى إمبابة، ولم يكن يعطى اهتماما حقيقيا للعمل مما ترتب عليه أن المنطقة كادت تصفى مرتين.

وكان معنا محمد محمود عثمان وكان يعمل كاتبا بمجلس النواب، وهو رفيق يتسم بالهدوء والإصرار والالتزام الصارم والصلابة. وقد بدأت علاقته بفخرى لبيب منذ أيام لجنة الكوليرا بجزيرة بدران والساحل ومناطق فى شبرا.

كما انضمت إلينا جنيفيف سيداروس بعد انهيار م. ش. م.

وتشكلت لجنة مركزية منى ومنه ومحمود مصطفى درويش ومنصور زكى وحسن حسنى وفخرى لبيب. ولم نكن قد أعلنا طليعة الشيوعيين حتى ذلك الوقت. كنا نحضر ونعد الوثائق: استراتيجية وتكتيك ولائحة وبرنامج.

فلابد لكل تنظيم أن تكون له وثائق استراتيجية ونشرة داخلية هى «الطليعة»، ومجلة خارجية هى «الصراع»، وركائز نضالية هى منطقة عمالية بشبرا الخيمة، ومنطقة عمالية بإمبابة، ومنطقة عمالية من عمال الترام ومثقفين. ورغم أننا لم نكن نؤمن بشعار ١٠٠٪ عمال غير أننا كنا نركز تركيزا أساسيا على العمال. وكان المثقفون بالنسبة لنا، هم من ينطبق عليهم بحق جملة «المثقفون الثوريون». كما قررنا أننا لن نجند الأجانب والأقارب، الأولى تشبثا بالمصرية، والثانية تجنبا للشللية.

بعد إعلان طليعة الشيوعيين المصريين فى ١٩٥٠ تم تخفيض حسن حسنى بسبب الوضع فى إمبابة، وصعد عمر مكاوى. وبعد ضربة ١٩٥٢/١٢/١٣ والتى سقطت

فيها اللجنة المركزية كلها ما عدا فخرى لبيب لأنه كان فى طنطا. صُعد محمد محمود عثمان وزميل آخر كان يعمل فى الغربية.

فى ذلك الوقت أتذكر كان هناك إضراب لعمال الترام من أجل المليم وكانت الشركة قد زادت مليما على سعر تذكرة الترام، يعود إلى العمال، تشجيعا لهم على التحصيل، لكن الشركة استولت على هذا المليم لحسابها، وكانت حصيلته تشكل مبلغا كبيرا يعتبر إضافة ما إلى العمال. وكنا نحن الأساس فى هذه المعركة فقد كان معنا محمود فرغلى، وحددنا أن نخوض نوعا جديدا تماما من الإضرابات، لا تتوقف المواصلات (الترام) حتى لاتسبب المتاعب لمن يركبون الترام، على أن يسير فى بطء، والكمسارى لايجمع نقود تذاكر بل الركوب مجانى، وعلى الكمسارى والسائق أن يتحدثا عن الظلم الواقع عليهم فى الشركة، كسبا للرأى العام مع العمال، ونجح الإضراب نجاحا هائلا. وفى أثناء تلك المعركة كنا عندما نقول لمحمود فرغلى شيئا خاصا بالنقابة، كان يناقش بالتفصيل ويسأل: هل هذا الكلام هو رأى الشيوعيين. لم يكن مهتما بالانقسامات الموجودة، كان عندما يتحدث معنا يقول هل هذا رأيك أم رأى الشيوعيين؟

أما فيما يتعلق بحل الحزب فقد كنا من ناحية المبدأ مستعدين للتضحية بالغالى والرخيص من أجل الحزب. لكننا بعد ما خرجنا وبدأ الكلام الكثير حول الكونفرنس، كنت أكاد أبكى وجاءت فترة وصلت فيها إلى أن كل الكلام عن الديمقراطية والمركزية لايجدى.

القيادة التى طرحت الحل هى مستنقع، ولازم ندفعها حتى بأرجلنا إلى قاعه، واتفقنا مع نبيل صبحى على قسمة التصويت. نعترض على التقرير المقدم للكونفرنس والذى يقول بأن النظام يسير على خط النمو غير الرأسمالى الذى يمضى إلى الاشتراكية ونوافق على الحل، ثم نفعل ما نريد بعد ذلك بعيدا عن تلك القيادة.

لقد كدت أجن فى هذا الوقت. كنت أتساءل كيف تضيع كل تلك السنوات. حقا لقد تضاءل الحزب كحزب ثورى مرتبط بجماهير واسعة. لكن هذا الجانب لم يظهر فجأة، لقد حدث بالتدريج. أصبحت هناك اتصالات جانبية وتصرفات موازية، وأصبح الكلام

عن التصفوية شائعا. ومع ذلك لم أتأثر أنا وزملائى بالعوامل الحلقية، لا حدتو ولا راية ولا طليعة عمال ولا طليعة شيوعيين. كانت المسألة بالنسبة لنا مسألة سياسية تبلورت كلها فى موضوع بقاء واستمرار الحزب نفسه وإنقاذه من قيادته المرتدة.

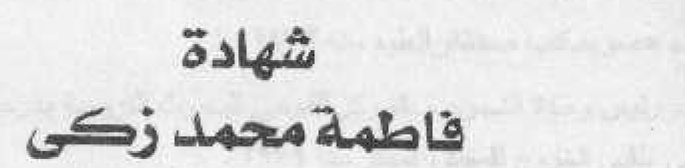
وقد قيل لى إنه قبل مجئ سيف كان فى اللجنة المركزية ثلاثة فقط يقولون بالنمو غير الرأسمالى هم د. فؤاد مرسى، ود. إسماعيل صبرى وسعد زهران. وكانت بقية اللجنة المركزية ومنطقة الواحات يرفضون هذا الكلام ويقولون إنه يفتح الطريق لحل الحزب. وكانت هذه الأغلبية من مختلف الاتجاهات، ولكن بمجئ أبوسيف يوسف تغيرت الأمور؛ إذ انتقل ومعه حلمى ياسين وفؤاد عبدالمنعم وشتلة وسعد رحمى، إلى وجهة نظر النمو غير الرأسمالى، وظل فخرى لبيب على موقفه ومعه حسن صدقى ولويس إسحق. الخندق الحلقى هنا كانت له اليد العليا فى خلخلة اللجنة المركزية. لكن لم تحدث خلخلة فى لجنة المنطقة لا عند نبيل صبحى ولا أديب ديمترى ولا رجائى طنطارى ولا صفوت يسين.

كما عرفت من فخرى لبيب أن تحول غالبية اللجنة المركزية إلى اليمين مع بقاء الغالبية الساحقة لمنطقة الواحات على الخط الصحيح خلق تناقضاً شديداً جدا داخل الحزب، وكان أمله الوحيد أنه عند خروجه وحسن صدقى كمركزيين محتفلين مع زملاء المنطقة وكان عدد كبير منهم احتياطى لجنة مركزية، أن تبنى فى الخارج الحزب على أسس سليمة. فلما قتل لويس إسحق كانت تلك خسارة كبيرة لنا، ولما خرج باقى زملاء اللجنة المركزية السجناء، وأصبح الوضع سيئا للغاية، فزميل مثل عبد المنعم شتلة وهو من أبطال المقاومة فى بورسعيد وبطل أثناء محاكمة القضية الكبرى كان يصيح فى اللجنة المركزية ويقول: قاعدين تعملوا إيه، يلا قضرها وحلوا الحزب. الأوضاع تدهورت جداً وبسرعة شديدة وأنا أعتقد جازما أنه كان هنالك ضغوط خارجية شديدة. ولم يعد هناك من سبيل للتخلص من هذه القيادة غير الموافقة على الحل.

كما ذكرنى نبيل صبحى أنه لما انفتح الصراع الفكرى فى منطقة الواحات وفى اجتماع لجنة المنطقة هاجم اللجنة المركزية هجوما شديدا، واستخدم ألفاظا حادة، وحدثت بينه وبين أحد أعضاء المنطقة بعد الاجتماع مناقشة حول كلامه، فقال له

بأنه لابد من العمل على الإطاحة بهذه القيادة . ورغم أن هذا الشخص كان من رأيه سياسيا وفكريا إلا أنه ذهب إلى فخرى وقال له ما قاله نبيل . وجلس فخرى مع نبيل القرقصاء، أمام غرفة ١٠ ، وفتح الموضوع، فأكد له أن أهم واجب ثورى هو الإطاحة باللجنة المركزية، واستخدم كلمة «بكم» فنظر إليه فخرى، نظرة عتاب، ولم يعلق، ولم يزعل منه ساعتها ولا بعدها.

ورغم أن الأوضاع فى اللجنة المركزية فى الداخل وبعد خروجنا، وضحت لى الآن بعض الشئ، لكن لازالت هنالك تساؤلات. فطالما حدث هذا التحول فى اللجنة المركزية، فالنتيجة التى حدثت تصبح مفهومة. لكن فخرى لبيب كرجل ماركسى، ورغم صلته التاريخية بى، لم يتفوه بكلمة معى عن هذا التحول، وبالتالى لم يكن لدى أى فكرة عما يحدث.



شهادة
فاطمة محمد زكى

الاسم الكامل: فاطمة هانم محمد زكى

تاريخ وموطن الميلاد: ٢١/١٢/١٩٢١ بشبرا روض الفرج حاليا

المؤهلات الدراسية: بكالوريوس علوم سنه ٤٧ جامعة فؤاد (القاهرة)

ماجستير معهد الدراسات السودانية سنه ١٩٥٥.

المهنة: مدرسة علوم بكلية البنات بالزمالك سنه ١٩٤٩

مدرسة علوم بمدرسة السنية الثانوية من ١٩٥٢ - ١٩٥٩.

- عضو فنى بوكالة الوزارة للتخطيط ١٩٦٤ - ١٩٦٩.

- عضو فنى بمكتب وزير التعليم للشئون الخارجية ١٩٦٩ - ١٩٧٣.

- عضو بمكتب مستشار العلوم سنه ١٩٧٣.

- رئيس وحدة التجريب بالمركز القومى للبحوث التربوية بدرجة موجهة عامة. حتى طلبى الخروج للمعاش المبكر سنة ١٩٧٩.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية كمرشحة ٢٤ سنة.

- فترة السجن أو الاعتقال: السجن لمدة ٨ شهور بسجن مصر من ٢١ فبراير سنة ١٩٤٩ حتى سبتمبر. ثم الاعتقال لمدة شهر بسجن الأجانب. السجن ٤ سنوات ونصف السنة سنة ٥٩ بالقناطر حتى يوليه سنه ١٩٦٣.

* قدمت هذه الشهادة يوم ٢٣ يونيه ١٩٩٦.

- بيانات شخصية: نشأت فى عائلة وطنية يفتخر الأب باشتراكه فى ثورة ١٩ وتفتخر الام بانتمائها لعرابى باشا الذى وقف ضد الخديوى. تتبعت الاحداث السياسية للبلد من قراءات فى الصحف اليومية وروزا اليوسف. كرهت الانجليز منذ طفولتى، وكنا نغنى فى الحوارى يا «ربنا يا عزيز كبه ناخد الانجليز»، وكنت عضواً فى الفريق الأول «للباسكت بول» للنادى الأهلى، وعضو نادى السلام الملكى مما مكننى من الحياة الاجتماعية والرياضية.

تعرفت على الفكر الماركسى من القراءات وأنا طالبة بكلية العلوم؛ حيث أحضر لى بعض الزملاء مثل عبد الواحد بصيلة، وبعض المعيدين مثل عبد المعبود الجبيلى، كتبا كى أقرأها ووجدتها تتجاوب بشكل طبيعى مع كل ما أراه وأومن به، ثم انتسبت إلى خلية شيوعية كمرشحة لمدة عام درست خلاله تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى وكثيراً من كتب لينين وستالين وماوتسى تونج، ولم أكن أعلم أى شئ عن الحزب الشيوعى، بل كنت مجرد عضوة فى لجنة نقاش ودردشة.

المواقف السياسية السابقة:

منذ طفولتى أعى بطريقة تلقائية الأوضاع التى نعيشها. فأنا من أسرة برجوازية صغيرة، كبيرة العدد، ١٠ أفراد، يكدح الوالدان من أجل كسب عيشهم الضرورى وتعليمهم حتى الجامعة.

ولدت فى حارة بالقرب من عنابر السكة الحديد، وكانت أغانينا فى الحارة هى «يارينا ياعزيز كبه تاخذ الانجليز»، وعرفت أن الإنجليز هم أعداؤنا، وأكد هذه المعلومة والدى الذى كان يقص علينا ذكريات ثورة ١٩ وموقف الإنجليز من سعد باشا. ثم حكت لنا جدتى عن قتل الوردانى لبطرس غالى، ثم اتسع أفقى قليلا لأعرف أن الانجليز ليسوا فقط أعداءنا بل الأجانب عموما الذين يتمتعون بالحماية، ولم أكن أعرف معنى الحماية حتى قتل مصرى بقطن فى المسكن المقابل لنا لأنه ضرب ابنة إيطالى قذفته بالتراب وهو يأكل فما كان من والدها إلا أن أتى بالمسدس وقتله، ولم يحاكم ولم يحبس لأنه حماية.

وشعرت بانتمائى للعمال وخاصة عمال السكة الحديد وتعاطفت مع مطالبهم وخروجهم فى المظاهرات، وكنت أسير على الرصيف معهم عندما أطلق صدقى باشا الرصاص عليهم حتى تصورت وأنا طفلة أن رصاصة دخلت فى رجلى، ولكن بعد ذلك أدركت أنه تصور فحسب، وفى مظاهرة أخرى لا أدرى متى ولا لماذا ولكن أعرف أنهم كانوا يهتفون «احيه يا نسيم يابو عقل تخين يابو ديل خنزير».

وبدأت أقرأ كل ما يقع عليه بصرى من كتب والذى التاريخية وخاصة كتاب عن حياة وتاريخ مصطفى كامل الذى تأثرت به جدا.

انضممت إلى دار الأبحاث العلمية والجامعة العمالية للتدريس بها قبل انضمامى لأى تنظيم.

انتخب طلبة كلية العلوم سنة ١٩٤٦ خمسة أشخاص لتمثيلهم فى اللجنة التنفيذية للطلبة ٣ ماركسين، سعد زهران وعبد الواحد بصيلة وأنا، ثم وفدى وهو على عبد الهارى ثم واحد من الإخوان المسلمين.

انتخبت سنة ١٩٤٧ كأول رئيسة لاتحاد طلبة كلية العلوم ودخلنا فى معارك ضد تدخل الإدارة والحرس فى نشاط الطلبة.

ارتبطت أولا بإسكرا وانضممت مع إسكرا إلى ح.م مكونين حدتو وكانت ايمى سيتون المسئولة عن الفتيات فى حدتو. وفى أواخر سنة ١٩٤٨ انضممت إلى صوت المعارضة ثم المنظمة الشيوعية المصرية حتى سنة ١٩٥٢. وفى سنة ١٩٥٦ التقينا أفراداً من م. ش. م. وقررنا الانضمام إلى المصرى (الراية) عشية وحدته مع الحزب الموحد واستمر بنا الحال فى عضوية حزب ٨ يناير سنة ٥٨ بعد الخروج من السجن حتى تم حل الحزب فى ١٩٦٤.

تكونت إسكرا من مجموعة من الاجانب بقيادة هليل شوارتز ثم انضم لهم بعض المثقفين المصريين وكانوا الصف الأول من الشيوعيين المصريين، ولم أعرف منهم إلا من كان بكلية العلوم مثل عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر وأحمد شكرى سالم وكمال العيوطى وغيرهم من أماكن أخرى مثل الدكتور القويسنى وعبدالرحمن الشرقاوى وإنجى افلاطون وكمال فهمى والأخوة ملطى من أسيوط.

وعندما تمت الوحدة بين اسكرا وح.م وتشكلت حدتو، ولما كنا نحن الصف الثانى من الكادر، فقد وجدنا أنفسنا يعاد توزيعنا حسب التنظيم الجديد.. ولما كنت فى السنة السابقة منظمة مع الطلبة كطالبة، وانتقلت بعد ذلك كموظفة طلب منى أن أعمل فى المكتب النسائى ولما كنت أقلل من قيمة العمل فى المكتب النسائى فقد طلبت أن أعمل مع العمال ووصلنا إلى حل وسط أن أكون مسئولة عن مجموعة من عاملات شبرا والزيتون مع قسم العمال، وفى نفس الوقت أكون عضوة بالمكتب النسائى بقيادة إنجى أفلاطون ومعى إقبال درويش وثريا عنايات المتيرى. وبدأ التمرد داخل الحزب حول التنظيم الفئوى؛ فقسم للاجانب وقسم للمثقفين وقسم للفنانين وقسم للطلبة وقسم للعمال وهذا لا يشكل حزباً سياسياً بل هو حزب القوات الوطنية الديمقراطية؛ فلا يمكن أن نكون حزب الطبقة العاملة ونساوى بين العمال وبين المثقفين أو النساء إلى آخره. وبدأ التفتت فى الحزب بخروج شهدى عطية بتكتله من الطلبة ولعبت مجموعة صوت المعارضة دورا بارزا فى الهجوم على خط القوات الوطنية الديمقراطية وأصدرت مجلة «صوت المعارضة»، وطالبت بتقنين التكتل والتفرقة بينه وبين الانقسام ونادت بالقاعدة المشتركة أى أن نصل إلى القاعدة الواحدة لكل الأفكار السياسية المختلفة حتى ولو كانت بوسائل غير تنظيمية على أن ينتهى هذا الحوار بمؤتمر عام يقر الخط السياسى وينتخب قيادته.. وبالفعل تم الاتصال بعدد كبير من الاجانب والمثقفين والعمال وتم الاتفاق على عقد مؤتمر فى آخر ديسمبر سنه ١٩٤٨.

وقد سبق المؤتمر مؤتمرات للأقسام لاختيار ممثليهم فى المؤتمر العام ولم يخل الأمر من بعض التحايل على إنجاح بعض الاعضاء رغم عدم حضورهم شخصياً للمؤتمر مثل أوديت وسيدنى واستبعاد كمال فهمى لأنه كان يعارض القيادة وتم فى المؤتمر انتخاب خمسة. سيدنى مسئول سياسى، وأوديت مسئول تنظيمى، بالإضافة إلى ميشيل كامل وأنا فاطمة زكى.

وكان هناك برنامج سياسى وافق عليه المؤتمر يتناول السياسة الداخلية والسياسة العربية والسياسة الخارجية. وتحولت مجلة صوت المعارضة إلى مجلة صوت البروليتاريا لأن التوجيه الرئيسى هو أن يعمل كل الكادر بين العمال وكنت تتعجب أن نجد فتاة أجنبية ذات شعر أصفر تقف على باب المصنع تحاول تجنيد العمال والعاملات.

ولم تستمر م. ش. م أكثر من ٤ سنوات حيث سافرت القيادة للخارج وتفكك التنظيم.

سبق أن ذكرت أن حدتو كانت على علاقة بالعمال وكنت أعمل مع العاملات بمصانع في شبرا ومصانع النسيج في الزيتون.

وعملت في م. ش. م في القاهرة مع بعض عمال الترام والسكة الحديد وعندما انتقلت إلى الإسكندرية كنا على اتصال بعمال المنيا ووزعنا آلاف المنشورات للمطالبة بالإفراج عن الشيوعيين، وفي نفس العام كان زملاؤنا يعملون مع عمال سباهي وقد اشتركوا في المظاهرة الشهيرة التي قامت فيها قوات البوليس بإلقائهم في ترعة المحمودية.

ولابد أن نعترف أن اتصالاتنا بالعمال كانت أضعف كثيرا مما كان يرجى منا نحن الذين آمنا بضرورة عمل كل الكادر بين العمال. وكذلك لم يكن لمنظمتنا دور يذكر في العمل بين الفلاحين.

- الدراسات السياسية:

أكبر قدر من التثقيف الماركسي حصلت عليه من اسكرا حيث كانت الاجتماعات أساسا في مبدأ الأمر تقتصر على دراسة الكتب الماركسية عن المادية الجدلية وكتب لنين وستالين وحتى ماوتسي تونج. وقلت فترة الدراسة النظرية في حدتو وزاد حجم المناقشات حول مشاكل الجماهير والأوضاع السياسية، وكنا مطالبين ونحن في حدتو أن نقدم تقريراً أسبوعياً عن عدد ساعات القراءة النظرية وعدد ساعات الاجتماعات وساعات العمل الجماهيري وحتى عدد ساعات المواصلات.

أنشأ محمد سيد أحمد دار الديمقراطية للنشر سنه ١٩٥٥ - ١٩٥٦ التي أصدرت عدة كتب سياسية.

- كان هناك استرتيجية وتكتيك وبرنامج ولائحة في م. ش. م ولكنني لا أذكر تفاصيلها.

أما قضية الثورة الاشتراكية فكنا نعتقد أننا سنصل إليها قريبا وكنا نعمل بكل همة للوصول لها، ولكن كانت الظروف الذاتية والموضوعية لا تسمح بقيام ثورة اشتراكية

ولكن كان هناك مفهوم شائع وهو أنه لابد من إتمام الثورة الوطنية الديمقراطية حتى يمكن الانتقال إلى المرحلة التالية وهى الاشتراكية.

- التدرج الحزبى:

- كنت مرشحة فى إسكرا ثم عضواً عند الاتحاد مع ح.م ثم مسئولة لجنة عاملات تتبع قسم العمال وعضو بالمكتب النسائى. وفى القاعدة المشتركة كنت أحد المحركين الرئيسيين فى الاتصال بكل أقسام حدتو وذلك نظرا لأن قيادة التكتل المكون من أرديت وسيدنى لم يكونا يجتمعان مع أحد ولا يخرجان من المنزل وكانت الحلقة القيادية مكونة بجانب أوديت وسيدنى من محمود المستكاوى وسعد الطويل ومحمود فتحى والمهندس طلعت ببنى سريف وميشيل كامل ومحمد سيد أحمد ولم تكن قيادة جماعية بل ثنائية تتصل بالباقى. وبعقد المؤتمر التأسيسى لـ م. ش.م تم انتخاب لجنة مركزية كنت عضوا بها. وبعد وحدة يناير سنة ١٩٥٨ كنت عضو لجنة منطقة الجيزة وبعد القبض على القيادة السياسية فى يناير سنة ١٩٥٩ اشتركت مع بولس لطف الله فى كتابة بيان باسم الحزب.

- الموقف من الاحتراف:

كنا ندرك تماما أنه لا يمكن قيام حزب سياسى بدون نواة قوية ذات مميزات ومواصفات خاصة تصلح لأن تكون من المحترفين الثوريين، ولابد أن تتصف بالوعى بالخط السياسى وعلى درجة من التنظيم ويمكنها التصرف فى الظروف الجماهيرية المختلفة وتعرف كيف تتعامل مع البوليس السياسى. بل هى العمود الفقرى للعمل السياسى.

وكان فى م. ش. م عدد من المحترفين يبلغ حوالى عشرة؛ منهم ٤ سيدات هن: ثريا أدهم وميرى وسعاد الطويل وأنا فاطمة زكى يتوزعون بين القاهرة والإسكندرية. وكان كل محترف يتقاضى ٦ جنيهات حتى لو كان يعمل فى وظيفة سابقة بمرتب أكثر من ضعف هذا المبلغ وقد يزودونهم أحيانا بالملابس لأن هؤلاء المحترفين يتولون مسئوليات أساسية بالإضافة إلى المحترفين الذين يتولون طبع المنشورات والمطبوعات - وفى وقت من الأوقات قمت بطبع صوت البروليتاريا من غرفة مفروشة بالإسكندرية وحملتها ميرى رغم مرضها إلى القاهرة.

- الموقف من التنظيمات الأخرى:

كان موقف م. ش. م وموقفي بالتبعية من النظر إلى التنظيمات الأخرى هو الآتي. في البدء نظرت مجموعة صوت المعارضة إلى حدتو بعد انفصالها عنه على أنها تنظيم منحرف يعمل لصالح كل الطبقات وبالتالي لا يعمل من أجل الطبقة العاملة. وبعد الانفصال في ديسمبر سنه ١٩٤٨ بعد عقد مؤتمر م. ش. م اتهمت جميع التنظيمات بالبوليسية ومنعت على كل الكادر الاتصال بأي فرد من هذه التنظيمات مما أدى إلى ألا يكلم الأخ أخاه لأنه من تنظيم آخر. وبالتالي عندما كنت مسئولة بسجن الأجانب عن المعتقلات منعت أياً منهن من التحدث مع المعتقلات الأخريات أثناء طابورهن اليومي، أما الموقف من الحزب الواحد فقد كان هذا هو أملي على أن يكون مبنياً على وحدة أيديولوجية وصراع فكري بين القواعد، ولكن ما تم فعلا في ٨ يناير كان اتفاقاً علوياً مبنياً على تقسيم المراكز.

ذكرت أنه قبيل وحدة ٨ يناير كنت مجموعة من الأفراد الذين كانوا منضمين لـ م. ش. م كونوا حلقة دراسية تكونت من نبيل الهلالي وبولس لطف الله وسعد الطويل ومحمود المستكاوي ومحمد سيد أحمد وكمال صديق من عمال الترام وكانوا على اتصال بالمصري وسمعنا عن محاولات الوحدة بين المصري وحدتو ورأينا أننا أقرب فكريا إلى المصري، ولكن خلافنا معه كان على أساس الملكية الخاصة.. ففي م. ش.م كان كل عضو يضع كل ما يملك في خدمة الحزب أما المصري فأخبرونا أنهم يحتفظون بملكيتهم الخاصة وأنهم يدفعون اشتراكاً. وتمت وحدتنا معهم خلال وحدتهم مع حدتو وسكنا جميعا في مسئوليات مهمة.

ولم تمض بضعة شهور حتى حدث الخلاف الجذري حول ضرورة وضع النقابات العمالية تحت وصاية الاتحاد الاشتراكي ومن هنا حدث أول خلاف.

- الموقف من الرفاق اليهود:

كنت مرشحة في إسكرا وكان في قيادتها هليل شوارتز وكنت مبهورة بثقافته الماركسية وفي نفس الوقت حاول أحد الأصدقاء أن ألتقي بكوربيل وفعلا قابلته في ملاعب الكلية فحضر بشورت ولأنه كان غير مريح في حديثه أخبرته أنني لن أنضم لهم وسأكتفي بوجودي في دار الأبحاث العلمية.

وبعد الوحدة بين اسكرا رح.م. كانت مسئولتى إيمى سيتون وهى يهودية وكانت تتولى مسئولية مركزية.. ولكن ارتفع بعد ذلك من القاعد: شعار التمصير، ولكن كان بيننا زملاء يهود تكن لهم كل تقدير لأنهم رفضوا الهجرة مع عائلاتهم إلى إسرائيل وأصروا على البقاء.

أما بالنسبة لقيادة م.ش.م وكانا يهوديين فقد تسببا فى انهيار التنظيم ليس بسبب يهوديتهما ولكن بسبب انحرافاتهما وتطرفهما السياسى بدكتاتورية زرعت الشكوك حتى بين الأعضاء وإلقاء التهم بالبوليسية جزافا.

وهنا يجب أن نسجل موقف ميرى كوهين فعندما هجرت أسرتها إلى إسرائيل رفضت السفر معهم فأعطوها ألف جنيه لتعيش عليها كدوطة عند الزواج، وكان ذلك سنة ١٩٤٨ ويعتبر مبلغاً كبيراً. واستمرت تعمل كمحترفة فى الحزب وتتقاضى من الحزب ٦ جنيهات وتبرعت بالألف جنيه للحزب فى الأربعينيات.

- العمل الجماهيرى:

اشتركت اسكرا وكنت عضوا بها فى تعبئة وتوجيه الطلبة والعمال فى أحداث ٢١ فبراير ١٩٤٦ وكنت عضوة باللجنة التنفيذية العليا للطلبة.

- رشحنى التنظيم لدخول انتخابات اتحاد طلبة كلية العلوم ورغم معارضة الإخوان المسلمين إلا أننى نجحت فى رئاسة الاتحاد ونجحت معى قائمة التقدميين بالكلية فى مقابل عضو واحد من الإخوان المسلمين.

- نظم الحزب مظاهرات للاحتفال بـ ٢١ فبراير سنة ١٩٤٧، سنة ١٩٤٨ وكنت وغيرى من الزميلات مشتركات بها.

- نظم الحزب سنة ١٩٤٧ حملة لمقابلة النقراشى باشا عند عودته من مجلس الأمن وتحويل المظاهرة التى نظمتها الحكومة إلى مظاهرة مضادة للنقراشى ونجحنا فى ذلك، وكنت وبعض الزميلات نقود هذه المظاهرات محمولات على الاكتاف. وقمنا فى الخمسينيات بحملة كبيرة لمكافحة الكوليرا وكان عدد المشتركين كبيرا.

- فى م.ش.م كانت لنا علاقات بعمال الميناء فى الإسكندرية ووزعنا آلاف المنشورات والملصقات للمطالبة بالافراج عن الشيوعين.



- نتيجة لعلاقتنا بعمال سباهى شارك الزملاء فى المظاهرات والاعتصامات التى تمت وقتئذ وكان مسئول عمال سباهى هو إريك رولر الذى كان مشرفا على المعارك التى تمت وقتئذ بين العمال والبوليس.

- فى أثناء عدوان ١٩٥٦ اشتركت فى دورة تدريبية بوزارة الداخلية على مكافحة القنابل الذرية (كانت الدفعة كلها من مدرسى العلوم الدارسين للذرة).

واشتركت مع سيزا نبراوى فى اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية. وفى سنة ١٩٥٧ اشتركت فى المعركة الانتخابية الخاصة بسيزا نبراوى عندما رشحت نفسها كنائبة لمصر القديمة، وكانت تشترك معنا فى اللجنة الاجتماعية إنجى افلاطون والدكتورة حكمت أبوزيد والصحفية جاكلين خورى.

- بتوجيه من الحزب قمنا بجمع الآف التوقيعات للمطالبة بالإفراج عن جميلة بو حريد.

- جمعنا آلاف التوقيعات على نداء ستركهولم ضد القنابل الذرية.

- فى أواخر الخمسينات دخل الحزب فى معركة انتخابات نقابة المعلمين ورشحت نفسى ونجحت فى منطقة جنوب القاهرة وعندما تقدمت بطلب ترشيحى لمجلس النقابة منعنى البوليس وتدخل وشطب اسمى من الترشيحات، وكان أديب ديمترى ووداد مترى وسميحة البرلسى أبرز العاملين فى هذه المعركة.

تحول مكتب دار الديمقراطية الجديدة للنشر إلى مركز هام وخلية عمل من أجل التحضير لمؤتمر عدم الانحياز وتم رسم العديد من الملصقات الخاصة بالاحتفال الكبير الذى أقيم بصالة الاحتفالات بجامعة القاهرة وقمنا بعمل حشد نسائى كبير ملأ الشرفة العليا وسادت شعاراتنا وهتافاتنا كل القاعة.

شاركت قيادة اسكرا وحدتو ممثلة فى شهدى عطية وكمال شعبان وجمال غالى مسئول الطلبة، بتوجيه جميع الطلبة التقدميين بحشد الطلبة حول اللجان التنفيذية بكل كلية. وقد تكونت لجنة تنفيذية بكلية العلوم وانتخبت قيادة من خمسة أفراد منهم ثلاثة ماركسيين وواحد وفدى وواحد إخوان، وكنا نحن الخمسة أعضاء فى اللجنة التنفيذية العليا، ووقفنا نحن الشيوعيين فى مواجهة الإخوان فى الموقف من السودان؛ فقد كانوا

ينادون بالجلاء ووحدة وادى النيل ونحن نطالب بالجلاء عن وادى النيل، كذا اختلفنا فى الموقف من التسليح فقد نادوا بالتسليح واعترضنا عليهم.

ودعا التنظيم إلى تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ومثلنا ثريا المنهرى وحسن كاظم.

- الموقف من القضية الفلسطينية:

وافق الحزب على قرار تقسيم فلسطين ووافقت بالتبعية - على ما أذكر- على أساس فكرة نشر الديمقراطية فى مصر، وقد نقدنا هذا الموقف بعد ذلك وبقيت متعاطفة مع منظمة التحرير حتى اتفاقاتها الأخيرة مع إسرائيل وكنت ولازلت ضد التطبيع مع إسرائيل وأتعاون باستمرار مع اتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة.

- الموقف من الأحزاب:

كان رأى الحزب أن حزب الأحرار الدستوريين يمثل الإقطاعيين، وأن السعديين يمثلون الرأسمالية ، وأن الوفد خان القضية الوطنية وتهاون معها، وأن عباس حليم لا يمكن أن يمثل الحركة العمالية، وأن الإخوان ومصر الفتاة تحولوا إلى تنظيمات فاشية.

- الموقف من حركة أنصار السلام:

عند إنشاء لجنة أنصار السلام في مصر كنا نتشكك فى نواياها فى البداية، ثم وقفت مع إنجى أفلاطون أحد المؤسسين للحركة فى كل نشاطاتها.

- الموقف من ثورة ٢٣ يوليو:

لم أكن فى أى تنظيم سنة ٥٢ ولكنى كنت أعتقد أنه انقلاب عسكرى حتى عندما حضر فؤاد محى الدين لمقابلتى كشيوعية لأتوسط له حتى يقوم الشيوعيون فى السودان باستقبال صلاح سالم، واعتذرت له لأننى لا أعرف من السودانيين إلا صلاح بشرى الذى مات فى سجون مصر.

أما بالنسبة للاتحاد القومى فقد كان التنظيم يقف ضده ويرفض ما كان يفرضه القانون بضرورة عضوية الاتحاد القومى لمزاولة النشاط النقابى. انضممت للاتحاد الاشتراكى حوالى سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ فى قسم عابدين ولم أقبل أن أعين أمينة للمرأة

إلا بالانتخاب وفعلا وبعد ٦ شهور تمت انتخابات وانتخبت أمينة للمرأة ،قمت بنشاط واسع مع اللجنة النيابية بقسم عابدين التى كانت تضم ليلى الشال وثريا أدهم من الشيوعيات بالإضافة إلى عضوات الاتحاد الاشتراكى . وتم تشكيل عشر لجان سائية فى العشر شياخات بالقسم، بالإضافة إلى تكوين لجنة نسائية فى كل وحدة إنتاجية أو حزبية، وكنا مؤسسين فى الجمعية العامة لدور الحضانة التى شكلت دار حضانة فى كل قسم من أقسام القاهرة . وأيدت كل الأحزاب الإجراءات التى تخذها عبدالناصر سنه ١٩٦١ رغم وجودنا جميعا فى سجونه نساءً ورجالاً.

- الموقف من الإصلاح الزراعى:

كنا متعاطفين حتى مع الاقتراحات التى قدمت لمجلس الشيوخ أثناء الملكية ولو أنها لم تنفذ ثم أيدنا بعد ذلك توزيع الملكيات الكبيرة.

- الموقف من إعدام خميس والبقرى:

كانت الثورة تجتاح نفوسنا لأحداث كفر الدوار ونقمنا على «الثورة» التى أعدمت كلا من الخميس والبقرى واعتبرناه تهديداً لكل من يعرض الثورة.

- الموقف من أحداث سنة ١٩٥٤:

فى ١٩٥٤ لم أكن منضمة إلى أى تنظيم ولكنى كنت ضد مظاهر القوة التى استخدمتها الثورة فى مواجهة محمد نجيب بإبطال المواصلات، وقررت ألا أمتنع عن العمل فى هذا اليوم وذهبت سيرا على الاقدام من شبرا إلى السيدة زينب بمدرسة السنية وقمت بإعطاء دروس للطالبات مع شرح رأيى لهن.

- الموقف من صفقة الأسلحة التشيكية وتأميم قناة السويس:

سعدت كم سعد الشعب المصرى كله بتسليح الجيش المصرى وبتأميم قناة السويس.

- الموقف من العدوان الثلاثى:

لم أكن منظمة ومع ذلك وقفنا جميعا ضد العدوان وقد تدربت على مقاومة الحرب الذرية فى وزارة الداخلية وجمعت التلميذات وتوجهنا إلى مستشفى أحمد ماهر للتبرع

بالدم وركبت ميكرفون على سور مدرسة السنية لإذاعة الاغانى الوطنية والخطب التى سجلتها على شريط حتى تذاع بعد المدرسة.

- الموقف من انتخابات مجلس الأمة ١٩٥٧:

فى عام ١٩٥٧ سمح للمرأة لأول مرة أن تنتخب وترشح نفسها وكنت من أوائل الذين استخرجوا بطاقة انتخابية ودعوت الكثيرات لاستخراج هذه البطاقة وقمت بالتصويت فى روض الفرج.

ولما رشحت سيزا نبراوى نفسها فى مصر القديمة شكلنا لجنة لمساعدتها وكان بيت الدكتورة حكمت أبوزيد على سكة حديد مارجرجس المقر الانتخابى، وشاركت سيزا نبراوى فى الانتخابات كثير من الزملاء والزميلات وكنا نلف معها فى كل أنحاء الدائرة، وفى نفس الوقت صدر لنا قرار بالوقوف بجانب رشد النبراوى فى إمبابة فى مواجهة أحد القيادات العمالية وقبلنا على مضض لأنه أمر حزبى رغم اقتناعنا بأهمية انتخاب العامل النقابى وقد فازت راوية عطية..

- الموقف من الأحلاف الاستعمارية:

بالطبع المعارضة على خط مستقيم سواء من الحزب أو منى شخصياً وصدر العديد من المطبوعات تندد بهذه الاحلاف.

- الموقف من قرار التمصير:

قوبل تمصير الشركات والبنوك الاجنبية بارتياح وتهليل لأنه مطلب كل التقدميين وقد سبق أن كتبت أسماء (حليم) كتيباً طالبت فيه بتمصير قناة السويس.

- الموقف من الوحدة مع سوريا:

نتيجة إيماننا بالقومية العربية فإن وحدة مصر وسوريا كنا ننظر لها كلبنة فى بنيان القومية العربية والوحدة العربية ولا أذكر موقفنا من بقية النقاط، ولكن كنا نخاف على سوريا من دكتاتورية مصر.

- الموقف من التأميمات:

كنا بالسجون أثناء قرارات التأميم سنة ١٩٦١ واختلفت الآراء. وكنت وقتئذ مع الرأى الذى يقول إن هذه ليست إجراءات اشتراكية، بل هى ممارسات رأسمالية الدولة الاحتكارية.

- الموقف من الاتحاد السوفيتي:

كان مثلنا الأعلى هو الاتحاد السوفيتي فى بناء الاشتراكية وكان تفكيرا دوجمانيا. وكان المقياس هو ما وصل إليه الشعب السوفيتي من مستوى معيشي وحضاري وتكنيكي في فترة وجيزة جعله يقف كدولة عظمى على قدم المساواة مع أمريكا.

وكان موقف الاتحاد السوفيتي في مواجهة الامبريالية من ناحية ومساندة حركات التحرر قد أنعش آمال الملايين في التطلع إلى حياة مستقلة كريمة. وكنا ضد التدخل في المجر ومع التعايش السلمي..

- الموقف داخل السجن:

داخل سجن النساء لم يكن الصراع السياسي بالحدة الموجودة في سجون الرجال. فقد كانت هناك زميلتان من حدتو وزميلة واحدة من (نسيت هل هى ط. ش. أم ر. ش) والباقيات من الحزب. وكان موقف كل تيار هو ما يصل إليه من سجن القناطر رجال.

أهم نضالات الشيوعيات داخل السجن كان في موقفين رئيسيين: الموقف الأول سنة ١٩٥٩ عندما تحدث عبدالناصر مع الصحفي الهندي كارنجا كما أتذكر. وقال ليس في السجون معتقلون أو معتقلات، وطالبنا مقابلة المأمور للتأكد من صحة هذا التصريح وأن رئيس الجمهورية لا يمكن أن يكذب، واتفقنا فيما بيننا ألا ندخل العنبر إلا إذا قابلنا أحد المسئولين بالداخلية. وأعلنت حالة الطوارئ في السجن وأدخلت كل المسجونات في زنازينهن وبقينا وحدنا في الحوش وفجأة فتح الباب الكبير للسجن ودخلت منه فرقة جنود مدججة بالسلاح أمامنا ووقفت السجانات بالعصى ومعهن المسجونات المحكوم عليهن بالتأبيدة ودارت معركة غير متكافئة بيننا وبين السجانات في حماية العساكر وقد تم ضربنا بالعصى الغليظة وسحلنا من شعورنا وتقطعت ملابسنا حتى أدخلونا العنبر ثم نادت الباشسجانة على فاطمة زكي وثريا أدهم للمثول أمام قائد المنطقة فمشيت ثريا أدهم رغم الضرب الشديد على ظهرها وحملت المسجونات فاطمة على بطانية وذهبن إلى البوابة ثم عند إعادتها أودعتها في الحبس الانفرادي في زنزانة المحكوم عليهن بالاعدام لمده ١٥ يوماً ونمت على البرش. وقطع

عنهما العشاء وقيدت الحادثة اعتداء من المعتقلات على المسجونات. أما المرقعة الثانية فكانت فى نهاية سنه ١٩٦٣ حيث كانت المعتقلات محرومات من الزيارة رغم وجود بعض المعتقلات تاركات أطفالهن الصغار فى الخارج مثل ثريا شاكر وثريا إبراهيم وجنفيف سيداروس وأسماء البقلى، كذا كن محرومات من قراءة الجرائد وحتى الأشغال اليدوية ولم يصرح لأى منهن بالصرف من الكانتين إلا فى حدود ٢ جنيه، فى حين كانت مارسيل نينيو الجاسوسة الإسرائيلية مسموح لها بالصرف فى حدود ١٥ جنيه. وعلى ذلك قررنا الإضراب عن الطعام تحت شعار الإفراج أو الموت وبالطبع قمنا بالإعداد اللازم للإضراب من تعاطى «ملينات» فى اليوم السابق على الإضراب.. وبقينا فى العنبر ثلاثة أيام حتى أتت النيابة للتحقيق وعندما جاء دورى فى التحقيق طلبت رؤية تحقيق الشخصية لاثنين كانا مع النيابة ورفضت الحديث حتى خرجا من العنبر، اتضح أنهما مباحث، واستمر التحقيق مع الأخريات، ثم انتقلنا جميعا إلى مستشفى السجن ولم نكن نتناول أى شئ سوى الماء فقط واستمر الإضراب عن الطعام لمده ١٥ يوماً حتى أتى مندوب من الداخلية لمناقشتنا وأعطى وعداً بالإفراج القريب ووافق على أن نطلع على الصحف وأن نقوم بإعداد الطعام بأنفسنا مع إحضار وابور جاز فى العنبر ومزاولة الاشغال اليدوية. فى بدء الاعتقال قدمت بعض الزميلات فى قضايا مثل ثريا إبراهيم وثريا أدهم ونوال المحلاوى واتفق على أن تقوم واحدة فقط بالدفاع السياسى وكانت الزميلة ثريا أدهم ورغم أن المضبوطات التى وجدت معها ساعة القبض عليها لم تكن تحوى أى شئ يدينها إلا أن المباحث قدمت دليل إدانتها وهو جواب غرامى لزوجها حلمي يس تتعهد فيه بمواصلة النضال من أجل قضيتهما المشتركة وهاجمت فى المحكمة سياسة عبد الناصر وشبهته بسالازار حاكم البرتغال الفاشي وكان أن حكم عليها بثلاث سنوات سجن من أجل خطاب غرامى.

وفيما يلى كشف بأسماء المسجونات فى سجن القناطر فى الستينيات:

١ ـ ثريا أدهم

٢ ـ ثريا شاكر

٣ ـ ثريا إبراهيم

٤ ـ ليلى النال

٥ ـ ليلى عبد الحكيم

٦ ـ ليلى شعيب

٧ ـ سعاد الطويل

٨ ـ إجلال السحيمى

٩ ـ جنيفيف سيداروس

١٠ ـ فاطمة زكى

١١ ـ أسماء البقلى

١٢ ـ صهباء البربرى

١٣ ـ زينات الصباغ

١٤ ـ نوال الحملاوى

١٥ ـ رداد مترى

١٦ ـ أميمة أبو النصر

١٧ ـ مارى بابا دوبلو

١٨ ـ سميرة الصاوى

١٩ ـ عايدة بدر

٢٠ ـ سيدة ....

٢١ ـ زينب .....

٢٢ ـ إيفون حبشى

٢٣ ـ مارى روزنتال

٢٤ ـ ميمى كانال

٢٥ ـ انتصار خطاب

٢٦ ـ محسنة توفيق

بعضهن أمضى عدة شهور وخرجت دفعة بعد سنة. وأقصى مدة بقيت الزميلات أربع سنوات ونصف.

ـ الموقف من حل التنظيمات:

على ما أتذكر كانت هناك أسباب ذاتية وأسباب موضوعية لحل الحزب، فالأسباب الذاتية هى الضعف الشديد فى التنظيم نتيجة الترهل السياسى بعد الخروج من السجن، لم تكن الاجتماعات تتم بشكل منتظم أو بعدد متكامل، وكان البحث عن لقمة العيش يشغل البعض نتيجة للفصل من العمل. أما الأسباب الموضوعية فكانت الخلافات السياسية حول وجود مجموعة اشتراكية فى السلطة والقرارات الاقتصادية التى صدرت وقد دعيت إلى مؤتمر لمناقشة حل الحزب وأخذت الأصوات، وشهادة للتاريخ أنه فى هذا الاجتماع لم يعترض بشكل جذرى وقاطع سوى رجاء الطنطاوى فقط، أما أنا فقد طالبت أنه فى حالة حل الحزب أن ندخل الاتحاد الاشتراكى كتنظيم داخل الاتحاد الاشتراكى كتكتل مستقل كما حدث فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٤٨ وعملنا تكتل صرت المعارضة داخل حدتو.

وللتاريخ يجب أن أذكر أنه كانت هناك فكرة من خارج الحزب لحله.. عند خروجى من السجن والبحث عن عمل قام صيدلى اسمه د. الشحات كان شيوعياً سابقاً وكان رئيس الشركة العربية للأدوية باعطائى بعض الكتب العلمية لترجمتها وكنت أتردد عليه كثيرا بمكتبه بشارع الالفى وفى يوم فتح مناقشة غريبة وهى ضرورة حل الحزب واعترضت بشدة على فكرة الحل ولما وجد أنه لا فائدة من مناقشتى طلب منى مقابلة أحمد فؤاد رئيس بنك مصر وكنت على علاقة تنظيمية معه سابقا.. وذهبت إليه فى مكتبه ببنك مصر وفتح موضوع حل الحزب فقلت له «انت كنت راجل ماركسى وتعرف أن دا حزب الطبقة العامله ومفيش حد فى الدنيا يملك حل هذا الحزب ودا وسيلة صراعه من أجل الاشتراكية الحقيقية»، وعندما لم يجد أى استجابة منى طلب منى أن أحمل رسالة سرية شفهية لا يطلع عليها أحد عند زيارتى لزوجى

فى الواحات، وهذه الرسالة موجهة إلى الدكتور فؤاد مرسى.. وحتى لم أذكر شيئا لزوجى حسب وعدى وطلبت منه أن أقابل فؤاد مرسى.. وفعلا حضر إلى غرفة الزيارة وأخبرته.. برسالة أحمد فؤاد بضرورة حل الحزب.

- الموقف من الانقسامية:

تم إعادة بناء الحركة الشيوعية فى الأربعينيات بعد العشرينيات وهى تحمل فى أحشائها بذور الانشقاق والانقسام فإسكرا كانت تضم عناصر من البرجوازية الكبيرة والمتوسطة، وتركز اهتمامها على التكوين النظرى لاعضائها ح. م كانت تضم أعضاء من البرجوازية المتوسطة الصغيرة والعمال ولم تهتم كثيرا بالتكوين الفكرى والنظرى، وعند الوحدة بينهما كان هناك تباين فى الفكر والعمل ولم تكن الوحدة الفكرية بينهما تامة لم تستمر إلا عام ١٩٤٨ وسرعان ما ظهرت التكتلات. التكتل الثورى لشهدى - م. ش. م. نحو حزب شيوعى، هذا بالإضافة إلى معارك التمصير و التعميل (إعطاء أولوية للعمال) بالاضافة إلى وجود حزب العمال والفلاحين خارج هذه الوحدة. ثم الاتهامات بالبوليسية الذى تفشى بين المجموعات، والاهم من ذلك هو تفريغ التنظيمات الديمقراطية، فالقرار هو بين القيادة العليا دون اعتبار رأى المعارضة التى كان يطاح بها. بالإضافة إلى عدم وجود وحدة فكرية حقيقية بينهم.

- المعلومات عن الرفاق الراحلين:

شهدى عطية الشافعى الذى مات فى أبوزعبل وكذا فريد حداد ومحمد عثمان الذى مات من التعذيب فى قسم بوليس طنطا ورآه الزملاء مسجيا أسفل السلم ولما سألت عنه والدته أنكروا معرفتهم به ولم تستدل حتى وفاتها على مكان دفنه. و رشدى خليل - وسيد أمين الذى مات بين أيدينا فى عنبر المعتقلين بالقصر العينى وكان يعالج خطأ ورفض البوليس حتى أن تراه زوجته بعد موته، أما عن لويس إسحاق فحدث أنه بعد أن أفرج عنا نحن الزوجات من سجن القناطر فاطمة زكى و ثريا أدهم ونوال الحملاوى قررنا أن نذهب إلى الواحات لرؤية أزواجنا وما إن وصلنا إلى سجن الواحات حتى فوجئنا بحصار شديد حول السجن وأخبرونا أنهم سافروا إلى القاهرة ورفضنا تصديقهم وتعالت أصواتنا حتى سمعنا الزملاء بالداخل فقاموا بحركة هياج حتى سمحوا لنا بالدخول وعلمنا أن كان هناك تكديرة وإن زميلا لهم أصيب إصابة خطيرة هو لويس إسحاق وكان لابد من نقله بطيارة إلى أسيوط فأسرعنا بالرجوع إلى

القاهرة وذهبنا إلى الصحفي حسنين هيكل وأخبرناه بالمطلوب فرفع السماعة واتصل بالداخلية ووضع السماعة وقال الباقية في حياتكم.

- شهادات سبق أن أدليت بها:

قام رفعت السعيد بسؤالي أسئلة معينة أجبت عليها وفي كتابه لم تظهر جميع إجاباتي.

قام فخري لبيب بتسجيل مذكراتي عن سجن النساء وعند قراءة الكتاب وجدت أنه كتب لبعض الأشخاص أكثر عن تجربتهم في السجون فقط بل تعداه نعرض مواقف أخرى فبدا كأننا نقص حكايات وليس لنا تاريخ سياسي.

سجلت لمجلة حواء بعضا من مذكراتي، وعندما صدرت المجلة كانت خالية من أي مواقف سياسية ولما عاتبت رئيسة التحرير إقبال بركة قالت بالحرف «إحمدى ربنا يا فاطمة إني نزلت في عدد واحد ريبورتاجين لك وللطيفة الزيات».

سجلت مع جمعية نسائية تمثلها عرب لطفي بعض الذكريات لم أرها وهي على شريط تسجيل.

أقترح كتابة تاريخ أمهات وزوجات المناضلين الذين لعبوا دورا رئيسيا لا في الوقوف فقط بجانب أبنائهن إنما لدورهم التنظيمي في توصيل البيانات والخطابات والتعليمات السياسية من سجن إلى سجن وموقفهم مع المباحث.

على رأسهن

- أم أحمد ومحمود العطار

- أم نسيم يوسف

- أم محمد عثمان.

شهادة

محمد حسن المنشاوى

البيانات الشخصية:

الاسم: محمد حسن المنشاوى

تاريخ وموطن الميلاد: ١٩٢٦/٣/١٣

موطن الميلاد: مسجد نويسا، مركز الصف، محافظة الجيزة

المؤهلات: التعليم الإلزامى

تاريخ الانضمام للحركة الشيوعية: ١٩٥١ قبل الثورة

فترات السجن والاعتقال: اعتقلت فى مارس ١٩٥٤ حوالى عشرين يوماً وقبض علىَ فى قضية فى١٩٥٤ أيضاً قضية أول مارس (منشور أول مارس)، أخذت فيها خمس سنوات طلعت فى ١٩٥٩، ثم دخلت السجن مرة أخرى فى ١٩٦٩ لغاية ١٩٧٢ ثم بعد كده فى ١٩٧٧ ثم ١٩٨٦.

أنا جئت من القرية حوالى عام سنه ١٩٤٢ عملت فى مصنع للمحفوظات الغذائية (خضار محفوظ) واستمريت فى العمل بهذا المصنع حوالى ثلاث أو أربع سنوات، فى هذا المصنع. أول بدايه بقى كانت الحرب على وشك النهاية والغلاء كان قد جاء والعمال كانت تأخذ أجور بسيطه، فاتفقوا انهم عاوزين يكلموا الخواجه علشان يرفع اجورهم، فكلنا متفقين على أننا نكلم الخواجه، لكن مش متفقين على مين اللى حيتكلم، فأحد لعمال قال أدخل أنا ومحمد المنشاوى، فدخلنا للخواجه، وكانت فيه شعيرات فى دقنى محلقتهاش، فأول ما وقفت عند الخواجه، قال لى عاوز ايه يا سنى، فأنا بعد كده

حلقت على طول دقنى، فقلت له إن الغلاء زاد والمعيشة غليت، واحنا مازدناش، فقال لى أنا عامل حسابى وحاأزودكم قرشين صاغ فى اليوم، كانت المفاوضات سهله، ولأنه هو انتدبنى أنا من أول كلمة سنى، فكنت أنا اللى إتكلمت، وخرجنا على أساس أن احنا نزيد قرشين صاغ فى اليوم، كانت دى البداية وعرفت بقى الجرايد، كنت با أقرأ الجرايد بتاعة الوفد بالذات، محمد مندور، عزيز فهمى، وعرفت السياسة من الناس دول، لكن أنا بعد ما نجحت فى المعركة الأولى ديه كنت عايز أبقى نقابى، وبدأت أبحث عن العمل النقابى، عرفت أن فيه نقابات لعمال النسيج، المصنع اللى كنت أنا شغال فيه، أصحابه باعوه لراجل بتاع نسيج وأصبح نشاطه النسيج، ودخلت إتعلمت مع العمال، هو أنا كنت ماسك غفير للمصنع فى الفترة دى، والخواجه صاحب المصنع القديم طلع كل العمال وما سابش إلا أنا، ولما جم وأسترده بتوع النسيج كنت أخش مع العمال بالليل واتعلمت النسيج، وبعدين قلت لهم بقى، تدونى أجره كويسه يا أمشى، فمشيت رحت إشتغلت فى النسيج. وبدأت بقى فى المعارك بتاعه النسيج دى برضه حوالين الأجور، معارك صغيره فى مصانع مختلفة، لغاية لما كنت فى منطقة القبة والزيتون، فإتعرفت على أنى راجل مشاغب، باللغة بتاعة المباحث، فدورت على منطقة ثانية بعيده عنها علشان أشتغل فيها، رحت اشتغلت فى شركة الشرق فى أمبابه، أول ما دخلت، فى اليوم اللى أنا دخلت فيه، العمال وقفوا عن العمل، إضراب، فبعد نصف ساعة أستأنفنا العمل تانى وسألت، أحنا عملنا إضراب ليه، قالوا علشان المباحث كانت جايه تقبض على رفعت، ولما عملنا الاضراب سابوه، ورفعت ده كان عامل اسمه محمد رفعت، هو كان من الصف التانى من العمال مش زعيم، وفهمت أنا إن المصنع كانت فيه معركة قبل كده، وإتفصل فيها حوالى أربعين واحد من القيادات العمالية، وأن محمد رفعت ده كان فى الآخر، لما لقى الجو تام حواليه إستخدم جوابات تهديد يبعتها لرئيس مجلس الإدارة، يقول له يعنى يا تجيب كذا، يا نعملك، حاجات كده رمزيه، فجاموا ليقبضوا عليه، فاتعمل إضراب وإنتهى الإضراب، بأنهم، لغاية لماجينا نخرج الصبح الساعة ٦ الصبح، لقينا العساكر واقفين، وقبضوا على محمد رفعت، وما حدش إتحرك، يعنى كل واحد خرج مشى على طول لواحده، فبعد يومين وأنا رايح المصنع بالليل ركبت الترامواى من أبو العلا رايح إمبابه، لقيت محمد رفعت

مع عساكر البوليس فى الترامواى رايحين أمبابه فقعدت جنب منه وقلتله، ما تتكلمش، أنا اللى حا أتكلم، لأن أنت متعرفنيش، أنا عامل جديد فى شركة الشرق وأشتغلت فى نفس اليوم اللى أنت كان بيتقبض عليك فيه وأيه الحكاية بتاعتك؟ قال بيتهمونى بجوابات بابعتها مجهولة، وفيها تهديد، قلت له الحكاية متعملكش قضية، لكن إنت مش حترجع الشغل، وخليك فاكر بنى، أنا أسمى المنشاوى، وحتسمع إنشاء الله عن شركة الشرق قريب فبعدها إخترت راجل واحد، قالوا لى إن الراجل ده كويس، ورحت أتكلم معاه فى رحلة العمال، والراجل ده كان كويس فعلاً، فقال لى إنت تكلمت مع حد قبل كده؟، قلت له لأ، قال لى طيب، ما تجيبش السيرة دى لحد، إذا كنت عايز تأكل عيش، لأن أنت حاتيجى أحسن من مين ولامين، لأن العمال اللى إتفصلت، كانت قيادات أقدم منى فى الكفاح وشخصيات كانت معروفة وقال إنت مش حاتيجى قد دول.

اكتشفت أن (أصحاب الشركة) كانوا بيعينوا مطرح اللى إنفصلوا فجاء عمال جدد، فإتعرفت على بعضهم، وبدأت مهام الشغل.

أول قعده قعدناها كنا خمسة، خمس عمال، فينا واحد بس من القدام وأربعة من الجداد، إتفقنا على أن كل واحد وما يقولش على أسامى الناس اللى معاه، علشان لما يغلط يبقى يغلط فى حق نفسه بس، ومشينا، لغاية شهرين ثلاثة، وبقينا قوه يعنى لا بأس بها. كان فيه يبقى جمعية عمومية لنقابة النسيج، أنا كنت رايح أترشح فى الجمعية العمومية دى، وواحد من الناس نداني من الناس اللى معانا فى اللجنة، ورحنا قعدنا الثلاثة مع بعض ومعانا واحد زميل من الشيوعيين اسمه طاهر عبدالحكيم، ودى كانت أول العلاقة بالشيوعيين، فطاهر عبدالحكيم قال لى بلاش تروح تترشح فى النقابة، قلت له ليه؟ قال لأن إنتخابات النقابات بتكشف الكوادر العمالية، وعايزين أحنا الأول نشتغل فى السر لغاية لما نجمد وبعدين نروح النقابة، قلت له لأ، أنا ماكنتش فاهم الشيوعية يعنى أيه، فقلت له لأ، أنا راجل نقابى لما يتقبض عليه وأنا فى وسط تلتماية عامل، حيعرف تلتماية عامل أن أنا اتقبض عليه بسبب كذا، ولو أتقبض عليه وأنا قاعد معاكم هنا دلوقت ما حدش حا ياخد خبر مين اللى أتقبض عليه. فحطيت يعنى دى قصادى، عايزينى على كده أهلاً.

فقال لى طيب نتفق نتقابل الصبح قبل ما نروح النقابة، وأقولك الرأى النهائى ففعلا قابلنى تانى يوم الساعة سبعة الصبح وقال لى الزملاء مبسوطين منك وبيقولولك أتوكل على الله ورشح نفسك ولقيته مبسوط يعنى.

أنا فهمت بعد كده أن كان فيه شعار لمنظمة النواة يقول «طاطى حتى تمر الرياح» حاجه زى كده، فأنا اللى صلحت العبارة دى، قلتلهم لأ أنا نقابى.

فاشتغلت بقى معاهم فى الشيرعية، مع «النواة».

فى سنه ١٩٥٤ أعتقلت، كان فيه جمعية عمومية للنقابة، فاعتقلونا، وسألت الراجل المخبر، بأقول له أنتم اعتقلتونا ليه، قال إحنا عايزين مجلس إدارة أخف وطأة.

عاوز بقى أرجع لحته تانية، أنا لما أترشحت بقى فى النقابة جيت لقيت الزملاء الشيوعيين، بتوع التنظيرات، متفقين على واحد وعشرين عضوا علشان ما يعملوش إنتخابات، خوفاً من تدخلات المباحث، فأنا معنديش فكرة عن الحكاية دى، قلت لهم لأ أنا مش حا أتنازل، اللى حيحكم بينى وبينكم العمال، فتنازل واحد منهم وخليناهم واحد وعشرين، فنجحنا فى الجمعية العمومية، عملنا جمعية عمومية ثانية، آه كان الكلام ده فى حوالى عام ١٩٤٩، عملنا جمعية ثانية فى عام ١٩٥٠ ونجحت فيها، كان فيها انتخابات ونجحت فى الانتخاب، فى ١٩٥٣، ما كانوش بيعملوا بقى جمعيات عمومية من ١٩٥١ إلى ١٩٥٣ بسبب الاعتقالات فى ١٩٥٣، كانت الجمعية العمومية أول جمعية عمومية بتتعمل فى ظل ثورة يوليو، وأول مرة فى تاريخ الحركة النقابية، يعترض على ناس مرشحين، أعترضوا على حداشر واحد، كنت أنا من ضمن الحداشر، كنت عايز أعمل معركة برضه، يعنى أترشح برضه، فقالولى بلاش المرة دى، لأن فيه قانون جديد، وإن ما كناش نعمل الجمعية العمومية، فى ميعادها حتتحل النقابة، معلهش المرة دى، والمرة الجايه تبقى تترشح.

المهم عديناها يعني، لكن أتقبض علىّ فى أول مارس ١٩٥٤ خرجت يوم ٢١ مارس، فخرجت إزاى؟ جه أحمد طعيمة لنا فى المعتقل ومعاه محمد العقيلى وسيد خلاف العمال النقابين الصفر، والعقيلى بتاع النقل وسيد خلاف كان بتاع المحلات التجارية، فجه أحمد طعيمه بلغرنا برجوعه وأنه جاى لنا يعنى قبليها بيوم، فشتمناه،

ولما قعد معانا قال والله ده جمال عبدالناصر زعل لما عرف أن أنتم أنقبض عليكم، المهم كانت قعدة ساخنة بينى وبينهم، طيب لما هو زعلان أمال مين اللى قبض علينا؟ المهم خرجنا وكانوا هم بيوضبوا لإضراب النقل المشترك المعروف، فكانوا عارزينا تخش معاهم فى العملية دى، فعلشان كده طلعونا، أحنا طلعنا وحبوا يتكلموا معانا فلقيونا يعنى شمال شويه، فقالوا أحنا عارفين إن إنتم لسه طالعين من المعتقل وزعلانين، فنأجل الاجتماع ده وانتم معزومين عندنا فى يوم الأحد القادم، قعدنا فى هيئة التحرير فى عابدين وعملوا لنا عزومه، وحضروا بقى كل المعتقلين من اللى كانوا فى معتقلات مختلفة وإتناقشوا معانا أن هما عارزين يطلعوا الإنجليز، وهما خايفين يعملوا معركة مع الانجليز ويطعنوا من الخلف، فقلنا لهم أدونا أحنا السلاح وردونا أحنا نطلع الانجليز وخليكم إنتم فى الخلف فساعتها المناقشات مانفعتش؛ لأن أحنا كنا يساريين فى الفترة دى كنا بنوصفهم بالديكتاتورية، فى الفترة دى لو كنا أدركنا أنهم وطنيين، ولأنهم كانوا عارفين أن أحنا قوة ساعتها، كان ممكن الاتفاق أو الوصول إلى إتفاق معاهم، لكن أحنا كنا فعلاً اتجاه يسارى، فكان الرفض من ناحيتنا، يعنى معرفناش نتفق بسبب يساريتنا، كان الاجتماع ده بداية لتحضير الاضراب بتاع النقل المشترك. إحنا وقفنا ضد الاضراب ده، وكانت النقابة قوية فى الوقت ده وخدنا فعلاً موقف وشغلنا كل مصانع النسيج، واضطرت الحكومة إنها تقطع التيار الكهربائى علشان يبقى الإضراب عام، يعنى أحنا وقفنا غصب عننا، وبعدها طبعًا عرفنا أنها كانت مؤامرة واشترك فيها الطيلى والصاوى، فى ١٩٥٤ برضه فى أول مايو اتقبض علىّ بمنشور أول مايو، كان جاسوس مستمدى، فأتقبض علىّ فى أول مايو سنه ١٩٥٤ وأتحكم عليًا بخمس سنين، وأحنا جوه السجن كانت معركة الوحدة بدأت، الشيوعيين بدءوا يناقشوا معركة الوحدة.

النواة بقى كانت فعلاً بتعتبر نفسها نواة لحزب شيوعى وحتناقش الوحدة مع كل التنظيمات وفعلاً كان فيه تنظيم وحدة الشيوعيين ساعتها، ساعة ما إتعملت النواة، كان فيه تنسيق بين النواة بين وحدة الشوعيين، وبين النجم الأحمر على أساس أنهم يعملوا اتحاد، على أساس أنهم يكونوا أساس للوحدة، بعتوا لحدتو، فحدتو قالت أنتم كلكم أبنائى، وتعودوا إلى الأم، فرفضوا المناقشة فى الموضوع فى الفتره دى. لما أنقبض

علىّ ودخلت السجن كان عندى، رعب منه، كنت يعنى خايف من السجن يعنى، لكن لما دخلت لقيت البيبان مفتحة والناس بتتكلم؛ فخلاص نسيت الخوف، وفيه برضه مناقشات وجلسات وحاجات بالشكل ده، مش هى الفكرة اللى كانت عند الواحد، وبدأت معركة الوحدة وكنا بقى فى النواة داخل السجن بتناقش برضه الموضوع ولعبنا دور فى تقريب وجهات النظر، لأن كان فيه ناس فى النواة ضد الوحدة، فكنا لتغلبنا على الموضوع ده، ودخلوا الوحدة، فحتى وأحنا بنناقش الوحدة، كنت بأعمل دفاع سياسى أقوله قدام المحكمة فزميل من النواة ومن الناس اللى هى ضد الوحدة، قالى لا متعملش دفاع سياسى، قلت له ليه؟، قال لى أنت ممكن تطلع بره ويبقى بره أحسن من جوه ومش عارف أيه. والزميل ده كان أسمه «سعد المهدى» فقلت له لأ أنا عامل نقابى وبأقف لأخطب فى وسط العمال وأقول أنا قائد، ولما يتقبض علىّ أقول أنا ماليش دعوة، لأ أنا لازم أعمل دفاع سياسى بصرف النظر عن موقفى من القضية، لأن أمال القائد يعمل أيه، فالمهم هو كان واقف ضدى فى الحكاية دى، المهم أن القضية ماجتش إلا بعد ما تمت الوحدة للحزب الموحد وعملت الدفاع السياسى باسم الحزب الموحد سنة ١٩٥٥. الأول لازم أحكى حكاية شركة الشرق لأن دى مهمة جداً، لما دخلنا الشركة وهى مضروبة، كان لازم علشان نوحد العمال بنحتاج الأسلوب جديد وجرأة، فنعلنا وقدرنا نتغلب، وعملنا إضراب ناجح فى سنة ١٩٥١، العمال اللى جوه المصنع المعتصمين ورنية معتصمة وورديه بتعمل مظاهرات فى الشارع، وحققنا كل المطالب بتاعتنا، أنا كنت مندوب فى المفاوضات مع وكيل وزارة الشئون فى القضية وكان بيقوللى أنت عايز أيه؟، أقول له أنا عايز كذا وكذا ويكتب المطالب اللى أنا قلتها، فإداها لواحد موظف فى وزارة الشئون وقال له تروح «تمضى» صاحب المصنع، وماتناقشهوش ففعلا حققنا كل المطالب وكان إضراب ناجح.

لكن كان بعد كده بدأوا يفصلوا باقى القيادات، برضه فى الحتة دى علشان نبقى أمناء، أنا أخطأت خطأ كبير فى المعركة دى، لأن هما قالولنا لما إتنبهوا أن شركة الشرق تبع محافظة الجيزة، فقالوا دى متبقاش تبع نقابة القاهرة، فيبقى اللى موجود فى شركة الشرق بسيب نقابة القاهرة، فأنا سيبت المصنع علشان أبقى فى النقابة. والافضل لنى كنت بقيت فى أمبابه، لأن بعد كده العمال اللى أنا سيبتهم عملوا نقابة أمبابة، من الشوربجى وشركة الشرق فكان ده خطأ.

العمال إللى أحنا سيبناهم فى مصنع الشرق كانوا خبرة فى كل الحتت اللى راحوا فيها، يعنى كانوا الحتة اللى بيروحوها كانوا بيشتغلوا صح، يعنى فضلت شركة الشرق عمان للمصانع، يعنى خبرة نقابية ونضالية.

فى المظاهرة الصامتة كانت اليافطة بتاعة شركة الشرق هى اليافطة اللى مشى تحتها كل الطبقة العاملة اللى اشتركت فى المظاهرة، واللى كانت أجرأ شعارات ولأول مرة كان بيتكتب نريد الإعتراف بالصين الشعبية سنه ١٩٥١، مظاهرة رسمية طالع فيها النحاس وكانت بعد إلغاء «معاهدة» ١٩٣٦، فى ٨ أكتوبر فى نوفمبر ١٩٥١ فأحنا مشينا تحت اليافطة دى على أساس أن كل الثوريين يقرأوا الشعارات ويمشوا تحت اليافطة دى، فكانت فعلاً معبرة عن كل مطالبنا، أحنا كنا بنكتبها بالليل فى النقابة ونكتبها بطباشير ألوان، طباشيرة أحمر، فالراجل اللى بيكتب خلصت منه الطباشيرة، والنور كان انتطع علينا، بالليل، فجبنا شمع وقعد يكتب على الشمع، وهو بيكتب الصين الشعبية فى الشعار بتاع نريد الاعتراف بالصين الشعبية، صباعه أتعور لأن الطباشيرة صغيرة فبصينا لقينا الدم ماشى مع الطباشيرة، من الدم اللى بيخر من صباعة وهو مش دريان، قلنا له صباعك أتعور، قال خليها بقى تكتب بالدم، والراجل ده ما كانش شيوعى راجل عادى، لكن معانا.

تنظيم النواة معملش مؤتمرات أو كونفرنسات، وفيه جزء من تنظيم النواة ما أنتهاش زى فوزى جرجس ونجاتى عبدالمجيد إتمسكر بكلمة المؤتمر، يعنى الوحدة تتم فى مؤتمر، فلما دخلنا الوحدة هما ما دخلوش، كان معاهم يقى حسنى تمام من حدتو، والماسترلى تقريباً، وعملوا حاجة هما، الأغلبية دخلت الوحدة وده ما كانش بيمثل إنقسام، لأن الحركة الشيوعية كانت مضروبة وأغلب القيادات جوه السجن، لما جم إختاروا القيادة احتقروا النسبة بتاعة النواة من بره، وكان أغلب قيادتها بره، علشان مش كل اللجنة المركزية بتاعة الحزب الموحد جوه السجن، كانت أغلب القيادات بتاعتها بره، كان محمود العالم، وعبدالعظيم أنيس وبهيج نصار وحسين غنيم.

هو كانت علاقة تنظيم النواة بالطبقة العاملة كويسه بالنسبة لحجمه يعنى كان فيه على الأقل خمسين فى المائة عمال فى إسكندرية وفى مصر (القاهرة) وطبعاً كان فيه مثقفين، بس كان هو تنظيم فى الوقت ده كان يعتبر الثالث من حيث الكم فى مصر، يعنى حدتو وبعدين طليعة العمال وبعدين النواة من حيث الحجم.

راحنا فى السجن جالنا من بره منشور بتأييد الحكومة على أنها وطنية وإحنا الحزب الموحد، فأنا كنت من المعارضين للفكرة دى، الحزب الموحد هو للى بعته للسجن، ويعنين جه واحد معايا فى الخلية جاب لى بيان جاى من روسيا بتاع خروشوف بيقول عليها حكومة وطنية، طبعاً كان كلام الخواجات عندنا ساعتها مهم جداً، فطبعاً أنا أول ما عرفت أن اللى قال الكلام ده خوشوف فيبقى مش عايزة كلام، يعنى كأنك قريت القرآن، فقلت طيب كويس أن أنا طلعت غلطان والحزب مطلعش غلطان، لأن لما أطلع أنا غلطان، فأسمى محمد المنشاوى، لكن فى أول معركة سياسية للحزب الموحد يغلط كانت تبقى وحشة، فقالى بقى للراجل لما سمع الحكاية دى قال تعالى فى الوحدة وقول الكلام ده، كان ساعتها النقد معدوم، فاسهم قيل حتى ما نعرف الوحدة جالنا التصديق على الحكم وحنترحل فعملوا لنا اجتماع واسع من الناس من كل الزملاء، ومحمد المنشاوى حيقول كلمة فقلت هذا النقد، يا زملاء أنا كنت با أقول ديكتاتورية عسكرية وبعد ما جاءت الرسالة بتاعة خوشوف با أغير الكلام ده وبأنقد نفسى وبأعتبر أن ده مش عيب، لأن لما أطلع أنا غلطان مش مشكلة، وما يطلعش الحزب فى أول معركة سياسية له غلطان، وده شىء كويس، كان فؤاد عبدالحليم، الله يرحمه، مسئول المنطقة فى السجن فعيط (بكى) وقال أنا أول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية بأشوف نقد صريح ولأن فعلاً مش غريبة لأنه جاى من العمال، كان أول مرة أعرف أن مافيش حد نقد نفسه.

لى ملاحظات ما يصحش أنها كانت تحصل، ان إحنا مثلاً نقعد تناقش ثورة ولا ثورتين، وهل هى ثورة إشتراكية ولا ثورة شعبية ولا ثورة ديمقراطية، شعارات سابقة لأوانها ومعملناش ولا ربع ثورة، وكان فى رأيى أن مسألة الثورة مسألة عملية، يعنى ممكن قوى إضراب كبير يخلينا نعمل الثورة، وممكن منعملهاش بعد سنين طويلة، لكن المناقشات دى استنفدت وقت كبير جداً وعملت مشاكل بين الزملاء وبعضهم وكنا بنهاجم بعض أكبر من مهاجمتنا للعدو.

كانت بنستخدم ألفاظ غير مبدئية فى الصراع. ما أتصلحتش امسألة دى إلا فى لجان الوحدة ولما الناس حسوا أن هما بيقربوا من بعض، إتغيرت اللهجة شوية، فى سنة ١٩٥١ وفيه كفاح مسلح فى القناة كان فيه خلاف برضه بين الشيوعيين، يعنى

تعمل لجان شعبية ولا لجان وطنية، وأصحاب فكرة الاشتراكية بيقولوا لجان شعبية، وأصحاب فكرة الثورة الوطنية بيقولوا لجان وطنية. والخلاف كان مالوش أصل، مالوش أساس لأن أحنا قدراتنا ماكانتش بتسمح أن أحدا يكون ليها دور كبير قوى أو بارز قوى في العمل الفدائي، أحنا إتكلمنا أكثر من اللى أحنا كنا بنعمله.

عن علاقة تنظيم النواة أو الموحد بعد كده بالفلاحين، كانت علاقة بسيطة قوى، هو كان فيه علاقة بالفلاحين قوية فى فترة، حدتو بالذات كان ليها علاقه بالفلاحين كانت كبيرة إنما كانوا مثقفين فلاحين، أحنا كان عندنا عامل فلاح حقيقى من حدتو برضه وكان فى الحزب الموحد فالراجل ده عايش لغاية دلوقت ومازال راجل شريف ومعروف في وسط الحركة الشيوعية وفرحانين بيه جدا أسمه أحمد سليم، ده فلاح ممتاز، كان بيشيل طرب على ظهره، وعمل إضراب لعمال الطوب، يعنى راجل.. ومازال لحد دلوقتى.

بالنسبة للمجلات أو الكتب، أفتكر للنواة مجلة داخلية، وهى دى اللى كانت عايزة توحد الشيوعيين وكان اسمها «إلى الأمام» كان فيه مجله بتطلع بره للناس أسمها الانتصار كان فيه فى الحزب الموحد، لكن ما أفتكرش لأن أنا كنت جوه.

أما بالنسبة للكراسات أو الخط العام اللى كان بتكلم عن الماركسيه، إللى أنا أعرفه أنه كان فيه محاضرات مكتوبة بالرونيو عن الاستغلال الرأسمالى وتطور المجتمع، الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية.

وكان فيه دور نشر إتعملت فى الحزب الموحد، الحزب الموحد كان عمل دور نشر إسمها دار الفكر، عملها إبراهيم عبدالحليم.

وكان فيه محاولات من تنظيم النواة والحزب الموحد لدراسة الواقع المصرى، لأن فوزى جرجس عمل كتاب عن الحركة الوطنية، تطور الحركة الوطنية، وشهدى عطيه.

وكان فيه لائحة وبرنامج فى النواة وكانت لائحة ديمقراطية جداً بس ما بتتطبقش، يعنى مفيش مؤتمر حصل، لكن فيه فى اللائحة مؤتمر، فيه نقد ذاتى، لكن أنا مشفتش نقد وكان فيه استراتيجية ودى كانت من ضمن الحاجات المختلف عليها، يعنى النواة

فالت الاشتراكية، وكانت المناقشات بتقول النواة الاشتراكية على مرحلتين مرحلة وطنية ومرحله اشتراكية، ولما كانوا بيناقشونا بنوع الثورتين، ثوره وطنية وثورة شعبية فكنا بنرد بنقول كده، ثوره اشتراكية على مرحلتين، فيه فرق بقى بين المرحلتين وبين الثورتين، وحوالين المقولتين كان فيه خلاف وضرب.

بالنسبة للخطوط التنظيمية والجماهيريه كانت فى الحزب الموحد، معروف واجبات العمال والمثقفين والفلاحين، أما البناء التنظيمى فكان معمول حساب الفئات دى، لكن البنية الأساسية ما كانتش عمال كلها ولا مثقفين كلها.

وأنا كنت عضو منطقه فى النواة ولما إتعملت الوحدة بتاعة الحزب الموحد كنت فى خليه قسم وبعدين اتصعدت إلى لجنة منطقة فى الحزب الموحد.

وهو كان عندنا محترفين فى النواة وكان فيه فى الحزب الموحد بس أنا ماكنتش محترف وأنا رأيى إن مفيش حزب من غير محترفين، بس الاحتراف اللى كان موجود قريب قوى من الشحاتة، الفلوس قليلة، والناس عايشة أو يعنى تقريبا عاطل بطبيعته ويساعدوه، أو كان عاطل من الأول وبعدين بيحترف، أنا رأيى أن لازم يبقى فيه محترفين بس الشكل يتغير، والحزب لازم يقوم على الاحتراف، التفرغ يعنى ده حتى الاتحاد الاشتراكى كان فيه متفرغين.

وأنا رأيى الإحتراف الجماهيرى يعنى يكون محترف، لكن يكون عمله وسط الجماهير يعنى يبقى محترف وعامل وما يسيش المجال بتاعه برضه، ولما خرجت كلمونى عن الاحتراف، أنا أروح الأرياف، قلتله الأرياف بتاعتنا مدن، بس أن بدل ما أروح فى مدينة كبيرة حا أروح فى مدينة صغيرة، يعنى ما فيش فلاحين، قرية يعنى، كان فيه مثلاً أروح المنصوره، طيب أيه المنصوره مثلاً وأيه القاهرة، دى مدينة ودى مدينة بس دى مدينة صغيرة، كنت أفضل لاحتراف فى القاهرة، لكن محصلش. بالنسبة للعلاقات مع التنظيمات الأخرى كان فيه تنسيق، النواة كان رأيها أنه يحصل تنسيق مع كل التنظيمات علشان يؤدى إلى الوحدة، وعملت فعلاً تنسيق مع تنظيمات كانت موجودة، وفعلاً تمت الوحدة الأولى بتاعة الحزب الموحد من قبل حدتو متخش من التنظيمات اللى كانت بتنسق مع بعضها.

أما عن موقف الحزب من حزب ٨ يناير اللى إتعمل سنة ١٩٥٨، بالمناسبة دى والمفاوضات كانت شغالة معانا، الحزب الموحد وحزب طليعة العمال وحزب الراية عملنا اجتماع للمنطقة فى الواحات (أحنا رحنا من ١٩٥٥ الواحات، أحنا اللى قتمناها) عملنا إجتماع بنناقش فيه القضية دى، فكان كل المجتمعين قالوا أن طليعة العمال هى اللى حاتتحد الأول معانا، أنا الوحيد اللى فى لجنة المنطقة قلت لأ، الراية هى اللى حتخش الأول الوحده، كانت حجتهم أن الرايه بتقول لا شيوعيه خارج الحزب، وده شعار بيرفض الآخر يعنى، فأنا كان رأيى لأ، لأن درل لما بيغيروا بيغيروا كله مرة واحدة، أما بترع طليعة العمال فيهم الأسلوب التجارى، يعنى موافقين على الوحدة لكن حيطولوا وحايفاصلوا، ده حصل فعلاً حتى ساعتها «زكى مراد» كان مسئول المنطقة بتاعة الواحات، علق على الموضوع ده وقال أنا يعنى مش عارف أقول أيه للمنطقة بتاعتنا، محمد المنشاوى أحدث واحد فى لجنه المنطقة ويوصل للنتيجة دى، كلكم رأيكم أن طليعة العمال حاتوصل الأول، معرفش ليه؟ فكان مؤيدنى «زكى مراد».

أما بالنسبة لليهود فى الحركة، أنا ما أشتغلتش مع اليهود، لكن شفتهم فى الواحات معايا فى السجن يعنى، شفت بعض اليهود، كانوا يهود مصريين، يعنى الواحد ما يحسش أنه فيه فرق بين المصرى وبين اليهودى. ولكن بشكل عام رأيى إن القيادة ما يبقاش فيها أجانب، قياده الحزب ما يبقاش فيها أجانب، لازم تكون كلها مصريين، لأن الحزب ده مصرى، مش أجنبى، بالمناسبة برضه أنا رأيى إحنا منسمعش كلام الخواجات ولا السوفيت ولا الصينيين ولا غيره لأن إحنا شيوعيين مصريين، بفكر لمصر، والتضامن الأممى مش معناه التبعية يعنى، ده بالنسبة للأجانب.

أما بالنسبة للحزب لموحد فكان فيه إتجاه بياخد برأى «يونس» هنرى كوريل، كان فيه إتجاه يستنى لغايه ما هنرى كوريل يبعت يقول، وده كانش مقبول من كل الناس.

عن أنشطة التضامن الأممى أو العرب أو المصريين، بعد إنقلاب يوليو ١٩٥٢ نشطت المباحث العامة فى تشكيل نقابات مصنعية للعمال بهدف تفتيت وحدة الطبقة العاملة واضعاف النقابات العامة دى كانت معركة واضحة وصريحة بيننا وبينهم وفشلت خطة المباحث بسبب عدم رغبة العمال فى النقابات المصنعية نتيجة لنشاط

الزملاء الشرفاء لكن فى ١٩٥٩ وبعد ما أتملت المعتقلات بالقيادات النقابية طلع القانون النقابى اللى هو على أساسه قامت التقسيمة النقابية الموجودة دلوقت، فعمل لجان نقابية فى الشركات والمصانع، ولغى النقابات العامة وعمل نقابة عامة واحدة على نطاق القطر فده يعنى نفس الفكرة اللى على كانت بتسعى ليها المباحث العامة فى ١٩٥٤، نقابات مصنعية محل النقابات العامة، فأحلوا اللجان النقابية محل النقابات المصنعية، وحلوا النقابة العامه اللى نطاق القطر محل الاتحاد المهنى لنسيج، وده ما لقاش مقاومه كبيره لأن كانت الناس بدأت تؤيد عبدالناصر بعد تأميم القنال، ومؤتمر باندونج، فيعنى دخلت المسألة فى زمرة التأييد.

أما عن موقفنا من الانجليز، طبعاً المظاهرات وإحنا فى النقابه كنا ضد الانجليز، وتطلع مظاهرات تهتف يسقط الانجليز، الجلاء بالدماء، العمال كانوا يقولوا كده؛ وكل يوم، جت فترة فى سنة ١٩٥١ كنا بنطلع كل يوم مظاهرة، تمشى فى الشوارع تقول يسقط الانجليز والجلاء بالدماء، وتسقط معاهدة ١٩٣٦ لغاية ما ألغيت والنواه شاركت فى تكوين لجان شعبيه من أجل الكفاح فى القناه، ومات فيها زميل فى بورسعيد أسمه حسن، هو مات فى سنه ١٩٥٦ هو أسمه حسن نصر حموده، أخوه طبيب شيوعى. فى سنة ١٩٤٦ كان تنظيم النواه لسه ماطلعش بس أنا لسه ماكنتش شيوعى، بس كنت شغال فى النقابة، ماكنتش فى مستوى الوعى أو قيادى للدرجة دى، كنت بأسمع بس زى أى عامل، لكن ماكنتش قيادى لكن جيت وحضرت وكنت هنا فى منطقه الزيتون، وكان ساعتها محمد على عامر رئيس النقابة وكان عضو فى لجنه الطلبه والعمال وكان معانا فى النقابة، بس النقابة كانت لسه ماتعملتش، إنما كنا لسه بنعمل لجان تأسيسية لتشكيل النقابة العامة.

بالنسبة للقضية الفلسطينية هو موقف منظمة النواه ما كانش الحل السلمى، الحل السلمى ده ظهر بعد تأييد عبد الناصر، لما عبد الناصر وافق على قرار ٢٤٢، كل وافق وقبليها سنه ١٩٤٨ كانت كل الناس ضد إسرائيل والشيوعيين، آه، بالمناسبة دى أنا رأيى أن الشيوعيين أخطأوا خطأ جامد جداً لما وافقوا على قرار التقسيم والشيوعيين وافقوا على قرار التقسيم لأن الاتحاد السوفيتى وافق على قرار التقسيم، يعنى ماشيين وراء الاتحاد السوفيتى، وده كان خطأ، لأن أنا فى رأيى أن إسرائيل ليست دولة.

بالنسبة للكفاح المسلح سنه ١٩٥١ كان لموقف منه بسيط ومش فعال، لكن أحنا كان لينا زملاء فى بورسعيد وكان لينا زملاء فى السويس عملوا دور، لكن ماهواش الدور البارز. أما عن الموقف من الأحزاب الأخرى كالوفد والأحرار الدستوريين والأخوان المسلمين، ومصر الفتاة، بكل أسف اللواء، كان رأيها أن الوفد يمين أو حزب مش محطوط فى الاعتبار، وده كان موقف يسارى متطرف، وهو أنا مسمعتش عن الجبهة فى تنظيم الثراه، لكن سمعت عن لجبهه فى الحزب الموحد، جبهة وطنية.

أما عن لجنه أنصار السلام فأنا كنت عضو فى لجنة أنصار السلام، والتنظيم كان مؤيد لموقفها وكان لينا دور فى حركة السلام، دور فعال، وكنا بنؤيد حركة السلام فى كل مواقفها وكنا بنوزع المجلة بتاعتها وبندفع اشتراكات.

وعن رأى التنظيم ورأيى فى حركة يوليو وتنظيماتها، فى ١٩٥٣ صدر قانون نقابى على أساس أن تنحل كل النقابات الموجوده، وتتشكل من جديد، يعنى تتعمل انتخابات وتتشكل من جديد، وكنت مرشح نفسى، اعترضوا على حداشر واحد من المرشحين ودى كانت أول مره تحصل فى تاريخ الحركة العمالية، مسألة الاعتراضات دى، وبعد كده لما جت هيئة التحرير والاتحاد القومى، أحنا وقفنا ضد هيئة التحرير كعمال نسيج أو كنقابة وهما كانوا عايزين يدخلوا النقابات بشكل عضوية جماعية، يعنى لما النقابة تخش يبقى كل عمال النسيج اعضاء هيئة التحرير، واحنا رفضنا الموقف ده وقاومناه لكن صدر قرار أسمه قرار رقم ٢٨ قرار جمهورى بأنه لا يرشح لقيادة نقابية لمجلس إدارة النقابة أو جمعية إلا إذا كان عضو بالاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى وتبع ده قانون العزل السياسى، يعنى اللى ما توافقش عليه المباحث يبقى ما يدخلش الاتحاد الاشتراكى أو الاتحاد القومى وبالتالى لايجوز له الترشيح لأى قيادة نقابية، وبالطريقة دى استولوا على التنظيم النقابى وبقى تنظيم حكومى، يعنى يتبع الحزب الأوحد حزب الحكومة، وهما اعترضوا علىَّ زى ما قلت قبل كده فى انتخابات النقابة فى مارس ١٩٥٣ أما عن رأيى فى حل الحزب والدخول فى الاتحاد الاشتراكى اللى كان حصل أيام ما كان الناس معتقلة فى ١٩٥٩ لغاية ١٩٦٤ فأنا كنت ضد الكلام ده، لما اتقبض علىَّ فى ١٩٥٤، ودخلت السجن فبقت الإنقسامات واضحه قدامى فى السجن، يعنى ما كانش باينه قوى وأنا بره لكن جوه السجن كانت

الانقسامات واضحة قدامى وشفت التنظيمات كلها موجودة فى السجن، فكان على طول تفكيرنا أن إحنا نتحد، يعنى نوحد الحركه الشيوعيه. كان فيه بقى إتعملت مناقشات ومحاضرات وندوات حول كل المقومات بتاعة الحزب الواحد، ويعنى داخل السجن كان فيه فرصة متاحه لكل الآراء فأتعملت معركة كبيره جداً حول المقومات، وكأنه فيه مؤتمر يعنى أو أشبه أو أقوى حتى من المؤتمر لغاية الناس ما إتفقت على مقومات إتعملت فى وحده الحزب الموحد، لكن هى فيه ملاحظه لازم الواحد يقولها على المعامله، أنا لما دخلت كان فيه فئتين من المساجين، فئه بيسموها حرف ألف ودية بتاعه المثقفين واللى معاهم شهادات، دول بيتعاملوا معامله حرف ألف، يأكلوا ملكى على حساب مطاعم، يعنى بيجيبوا أكل من متعهد، يدخلهم أكل فى السجن، والفئة الثانية العمال وأمثالهم بيتعاملوا حرف ب يأكلوا أكل السجن فالعمال عملوا إضراب علشان يتعاملوا زى معامله المثقفين، فكانت النتيجة أن زكريا محيى الدين وكان وزير داخلية، أنه لغى حرف ألف وعامل كل الناس حرف ب ودى من بركات الثورة.

ولما صدر الاصلاح الزراعى كانت أيامه كلها تأييد، كان كله بيؤيد، واللى ما يلحقش يؤيد يبقى غلطان، كانوا بيؤيدوا كل خطوات عبدالناصر. ورغم أن قبليها كان فيه حادثة كفر الدوار وإعدام الخميس والبقرى، لكن العمال العاديين كانوا مستاءين جداً من المحاكمة وكانوا متعاطفين جداً مع البقرى وخميس، لكن السياسيين عملوا إحتجاجات ضد المحاكمة فى الأول، لكن بعد ما أيدوا عبدالناصر بقت المسألة دى فى الدرجة الثانية، أقل حدة يعنى، لكن بعد كده لأ. وأنا زى أى عامل أنا كنت مستاء جداً لكن مفيش مظاهرة ولا أى حاجة.

وبالنسبة لاحداث مارس ١٩٥٤ أحنا كنا مؤيدين الشعارات الديمقراطية بتاعة محمد نجيب وعلشان كده خدنا موقف ضد الاضراب اللى كانت عاملاه نقابة النقل المشترك.

بس أنا ما أتمسكتش بمنشورات إضراب النقل المشترك أنا إتمسكت فى منشورات ١ مايو سنة ١٩٥٤ أخذت فيها خمس سنين وفى السجن قررت أن أعمل دفاع سياسى فعملت دفاع سياسى طالبت فيه بإلغاء الاحكام العرفية وإطلاق الحريات النقابية

والديمقراطية للشعب المصرى وكعامل قلت فى النص كده «وأنى كعامل مصرى أولا وشيوعى مصرى ثانيا أرى من واجبى أن أطالب بحق العمال فى الإضراب وحق العمال فى التنظيم الحر المستقل وحق لعمال فى التأمين ضد البطالة والعجز والمرض وحق العمال فى العمل ٨ ساعات وطالبت بكل الحاجات اللى إتعملت بعد كده، وده إتسجل فى التحقيق لما رئيس المحكمة حب يوقفنى، ما وقفتش فشرق وحصل له تعب فسألوه، وسألوه وأنا مستمر فى الدفاع وظابط من الظباط العسكريين، لأنها كانت محكمة عسكرية، قالى أسكت يا محمد الراجل حيموت، قلتله ما يموت.

لما الاخوان ضربوا بالرصاص جمال عبدالناصر فى الاسكندرية كنت فى سجن مصر وأحنا موقفنا من الأخوان باستمرار، أولا موقفى أنا شخصياً بمجرد ماظهرت الاخوان وأنا كنت لسه ماليش اتجاه سياسى رفضت الاتجاه ده رفضته من زاوية أيه؟ أنا كنت يعنى كأى مسلم شفت إن شعار الاخوان المسلمين معناه اللى يخش معاهم يبقى مسلم واللى مش معاهم يبقى مش مسلم فأنا احتجيت، زى ما نقول رفضت هذا المبدأ وقلت لأ أحنا كلنا مسلمين، وكرهتهم من الأول لأنهم خدوا موقف وحش جداً ضد إضرابات ١٩٤٦ فى شبرا الخيمة وكانوا بيرموا المجلات الشيوعية، ياخدوها يحرقوها ويرموها فى السواقى، فموقفى أنا من الإخوان، رفض كامل، لكن بالنسبة لمحاكمتهم أو تعذيبهم فى السجون إحنا كنا ضد التعذيب فى السجون لأى حد حتى للإخوان المسلمين، وكنا بنتضامن معاهم ضد الادارة بتاعة السجن، وهما كانوا بيرفضوا ده، وأحنا كنا بنحاول نخليهم يخشوا معانا فى الحياة العامة والحاجات دى يعنى، لكنهم كانوا بيرفضوا الموقف ده، لدرجه أنهم عملوا فى الواحات الخارجه، عملوا مقاطعة كاملة بيننا وبينهم، يعنى قرار بالمقاطعة وما يكلموناش.

أنا أذكر أن فى سنه ١٩٥٥ كان فيه تأييد لعبد الناصر بسبب باندونج والاسلحة التشيكية ودى بقى من ضمن الحاجات اللى كانوا بيعتمدوا عليها فى إقناعنا بالتأييد. وفى الحقبة دى بقى عايز أقول، أن لما قلت الدفاع السياسى إتأجلت القضية للحكم فجه قاضى ثانى وحكم علىّ وهو بيحكم بيقول حل تنظيم الثراه ومصادره ممتلكاته وكده، فأنا قلت عاش الحزب الشيوعى الموحد، وعاش الحزب الشيوعى المصرى الموحد ويسقط جمال عبدالناصر، وتسقط الديكتاتوريه العسكرية الكلام ده فى المحكمة العسكرية، لكنهم بعد كده سكتونى بقى.

فى سنه ١٩٥٦ وتأميم قناه السويس والعدوان الثلاثى أنا كنت فى الواحات وإحنا كنا مع الحكومة فى تأميم القناه وكنا معها ضد العدوان الثلاثى وعملنا تشكيلات فى الواحات وندرب على السلاح وكنا بناخد سلاح من العساكر الحرس وندرب الناس على السلاح علشان خاطر لو نخرج نشارك فى الحرب وكان عندنا ساعتها تفاؤل بأن الحكومه تطلعنا وإحنا عاوزين نكافح ضد الاستعمار.

فى سنه ١٩٥٧ لما ظهرت السياسه الامريكية زى حلف بغداد والشرق الأوسط ومشروع ايزنهاور كنا كلنا ضده، مش مع يوليو أو ضد يوليه لكن ضد أى إتفاقات وضد الأمريكان على خط صريح حتى لما كانت الحكومة تتكلم مع الأمريكان إحنا ضد هذا الكلام ومتنبهين من قبل ما يطلع الانجليز من مصر، وكنا بنهتف بسقوط الاستعمار الانجلو أمريكي، كنا متنبهين بأن الاستعمار الأمريكي عاوز يحل محل الاستعمار الانجليزى.

وقد أيدنا كل إجراءات التمصير للشركات الاجنبية وما كانش فيه رأى مضاد حوالين مين اللى يدير الشركات دى العمال ولا الدولة وكنا مع التمصير وما كانش فيه رأى مختلف وإن كانت هناك بعض الاقتراحات أن تتشكل قيادات عمالية داخل المصانع تقود عجله الانتاج وتساعد الحكومة، لكن الحكومة كانت ترفض أى مبادرات من ناحيتنا.

فيه مره حصل أن ندوه إتعملت، عملها الاتحاد الاشتراكى فى منطقتنا هنا (الزيتون) حوالين القطاع العام اتكلموا فيها رؤساء مجالس الادارات حوالين يعنى عن مجهوداتهم فى زياده الانتاج ومش عارف أيه، فكنا موجودين كشيوعيين، كذا واحد من ضمننا محمد على عامر، فوجه سؤال للناس دول وقال لهم نشكروا على المجهود ده، لكن فى النهاية العائد لمين، فدى عملت مناقشة وتقريبا بوظت لهم الندوة.

أما عن الوحده المصرية السورية والنشاط القومى العربى إحنا كنا فى السجن، لما نجح ثوره العراق عملنا حفلة وكنا نحتفل ونؤيد. هو اللى أنا أعرفه من الأخبار اللى كانت بتيجى من الخارج أن الشيوعيين كانوا مع الوحده زى ما جمال عبدالناصر عاوز، مفيش تحفظات، لكن أحنا كنا ضد التنكيل بالشعب العراقى على أيدى عبدالناصر، وخدنا موقف ضد ده، ورغم أن أحنا كنا بنؤيد عبد الناصر لكن كنا

يستنكر العدوان على الشعب العراقي، حتى كان فيه إقتراح ساعتها إتقدم من الحزب الموحد، لأحمد طعيمه، أن فيه ناس يطلعوا من المعتقل وإختاروا أربعه أسامي بالتحديد، يطلعوا من السجن ويروحوا العراق ويحلوا المشكلة بيننا وبين العراق، فلما إتعرض الاقتراح ده على عبدالناصر، أحمد طعيمه راح عرضه على عبدالناصر، فعبدالناصر قال له يا غبي بعد ما يطلعوا يحلولي مشكلة العراق يبقى إيه اللى فاضل. هو المعلم كان واخد بأنه قوي.

أنا لما خرجت في ١٩٥٩ كان فيه الضربة الكبيرة لكل الشيوعيين وكان اللى فاضل بره بؤر صغيره، وكل يوم نسمع بقى عن مجموعة إتمسكت، حتى حاولت كام مرة أعمل إتصال، كل ما أعمل إتصال بعد وبديني ميعاد وأروح ألاقي إتقبض عليه فمعملتش. متنظمتش بعد ما خرجت من السجن، جه حسين غنيم إتصل بي وعاوز ينظمني وكان حصل إنقسام بقى في الحزب الموحد، الحزب الكبير ده اللى هو الحزب الاتحادي، كان حصل إنقسام طليعه العمال طلعت وراها الراية، وفضل بتوع الحزب الموحد بس مش كلهم، فيه ناس من الحزب الموحد إستنت مع الجماعة بتوع طليعة العمال والرايه، في الحاله دي لما جاني حسين غنيم علشان ينظمني قلتله يا حسين أنت حتحل وده كان في ١٩٦٤ تقريبا، أنا بقى في الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤ لم أنظم، عملت حاجات لكن لم أنظم، عملت حاجات نضالية في المنطقة هنا و(الزيتون) حا أقول عليها.

لما خرجت في ١٩٥٩ بدأت ألقى عناصر عمالية كانت ليه بيهم علاقه صداقة ونستأنف النشاط فردي، مش منظم، فعملنا لجنه منطقة، كان فيه فرع للنقابه في الزيتون فعملنا لجنه منطقه لعمال الزيتون والقبه (حدائق النبه) ووصل الاجتماع لغاية واحد وعشرين عامل، وكانوا يجتمعوا في فرع النقابه اللى في الزيتون، وجاءنا في يوم وأحنا مجتمعين جاء لنا واحد أسمه نصر عوله، كان زميل مثقف لكن له علاقه بيننا وكان معلنا في النقابة، ويعنين لما خد شهاده وأشتغل بره كان برضه له علاقه بينا، فالراجل ده جاب لنا مرشح للانتخابات بتاعة ١٩٦٤ اسمه عبدالمنعم خزبك، وأحنا ما كناش نعرف عبدالمنعم خزبك لكن كنا نعرف المستكاوي، مصطفى المستكاوي، فكنا في النقابة وجاءنا نصر عوله وعبدالمنعم خزبك وقاللي يا منشاوي أنتم رأيكم أيه

فى الترشيحات، فقلنا أحنا رأينا أن أحنا نسقط المستكاوى، وعن العمال حنأيد زميلة اسمها سعاد محمد على، ودى كانت عاملة وكانت وصلت للانتخابات بتاعة المؤتمر القومى بتاعه الاتحاد الاشتراكى فقلنا ننتخب دى عن العمال، ونسقط المستكاوى لكن لسه ما استقريناش نؤيد مين فى الفئات فقدم لنا عبدالمنعم خزبك فى الفئات على أساس أنه راجل لسه جديد فى السياسه ومستعد يعمل حاجه، وسألونى أنتم عايزين تسقطوا المستكاوى ليه، المستكاوى كان لينا موقف منه لأنه لما استلم «المساء» بعد خالد محى الدين، طرد كل الشيوعيين، فأنا كنت بأعتبر ده ثأر بينا وبينه وهو طرد الشيوعيين وإحنا لازم نسقطه وهو كان أمين الاتحاد الاشتراكى فى الزيتون وكان مع العمد بتوع الزيتون ومع ذلك سقط فى الانتخابات ونجح عبدالمنعم خزبك وأحنا فى أثناء المعركة مع عبدالمنعم خزبك فعلاً وزع فلوس كثير، وأحنا لما جبنا له مجموعة عمال وعملنا له أجتماع عنده فى المقر الانتخابى بتاعه، العمال طلبوا منه يعنى يتعدوا معاه، لأن أنا با أقولهم، أيدوا خزبك، فقعدوا معاه وقالوا أحنا شامين ريحه الفلوس وانت جايب فلوس وبتوزع وحاجات زى كده وأحنا تاريخنا، كل واحد منا له تاريخ عشرة خمستاشر سنة، فموضوع الفلوس ده بيوظ تاريخنا يعنى، أحنا حنأيدك لأن الزميل محمد المنشاوى قال لنا إن أنت راجل كويس، وأحنا بنثق فيك، فأحنا حنأيدك بس ما تجيش جنبنا علشان موضوع الفلوس ما يشوهناش، فالحقيقة هو إتبسط ساعتها وقال أنا فعلاً إتلميت على شويه سماسره واتورطت معاهم فدلوقت ما أقدرش اسحب نفسى وإلا أخسر الجلد والسقط، لكن أنا لو كنت قابلتكم من الأول، كنا فعلا مشينا المعركه، معركة نظيفة يعنى، فلما نجح خزبك فعلاً إتعامل معانا بطريقة كويسه جداً، وعن طريقه قدرنا نعمل ندوات غير الندوات بتاعه الاتحاد الاشتراكى، لأن الاتحاد الاشتراكى ما كانش يسمح لنا إن أحنا نعمل حاجه، فخزبك خلانا عملنا ندوات سياسية ونقدنا بيان مارس يعنى علنى فعلاً فى حاجات وكنا بنروح له الاتحاد الاشتراكى بتاع مصر الجديدة ونقعد معاه وبعدين هو فى مره صارحنا، قال يا جماعه علشان نكون مع بعض كويسين فالكلام اللى أنتم بتقولوه لى أنا بأوصله لزكريا محى الدين علشان ما يتقالش علىّ بعد كده إن أنا راجل جاسوس ولا بتاع، وقال أنا كرجل سياسى ومن الثورة فأنا بأوصل الكلام اللى أنتم بتقولوه لى لزكريا، كنا أحنا فى الفترة

دى بندور على أى حد يوصل فعلاً رأينا للحكومة، فقلنا له ماشى. وإحنا فى الفترة دى أيدنا التأميم.

كنت أنا بأتكلم عن موضوع التنظيم، لما حسين قاللى إنضم، قلت له أنتوا حتحلوا الحزب، قال إحنا حنحل ؟! إنت جبت الكلام ده منين فقلتله أنا شايف الكلام ده وأنا لسه فى السجن من قبل ١٩٥٩ كان فيه محاولات للتقارب للحكومة وتقديم تنازلات، كان باين يعنى، فقلت له أنا حاسس حتى وأنا جوه السجن أن فيه إتصالات بتتعمل مع الحكومة حوالين الموضوع ده، ده إنتم مش حتعملوا حاجه وحتحلوا، فلما جه الحل ماكنتش منظم، لكن لما طلعوا الزملاء فى ١٩٦٤ لقوا النشاط اللى أنا عملته فى الزيتون، لقوا شغل جاهز، يعنى اشتغلوا معايا محمد عامر وجوده سعيد الديب والمجموعة اللى كانت فى السجن طلعوا لقيوا محمد عباس الله يرحمه، فطلعوا لقيونى فعلا وأنا عامل شغل جاهز، واشتغلوا معايا فى المنطقة وعملنا شغل كبير.

محدش كان بيعترض على القبول بكل ما يقوله السوفييت أى كلام كان يقوله الاتحاد السوفيتى كنا موافقين عليه، حتى وأحنا كنا فى السجن ١٩٥٦ لما حصلت أحداث المجر كنا مبسوطين أن انقمعت أحداث الثورة المضادة، لكن فى موضوع تشيكوسلوفاكيا سنه ١٩٦٨ اختلفنا، كان محمد على عامر (احنا ما كناش منظمين لكن.. وما هو لما إتحل الحزب الشيوعى كانوا فيه ناس معارضين للحل وقعدوا يدوروا على بعض فإتصل بى طاهر البدرى ومحمد عباس على أساس أن من الناس اللى عارضوا فى المؤتمر حل الحزب فكانوا بيدعبسوا على الناس اللى ما وافقوش على الحل واللى ما حضروش اجتماع ده وبعدين أنا كنت من ضمن الناس اللى إشتغلت مع محمد عباس وطاهر ومكناش تنظيم، كنا مجموعة كده بنحاول نلملم أو نعمل تيار عام حوالين عودة الحزب، وفى الفترة دى محمد على عامر ما هواش موافق أن يتعمل حاجة وعبدالناصر موجود، فمشيش معانا (لم يشارك فى هذا التيار) وفى أحداث تشيكوسلوفاكيا جه صحانى من النوم الصبح وقاللى شفت حصل إيه فى تشيكوسلوفاكيا راحو صحوا السفير الأمريكى قالو له إحنا خلاص تدخل السوفييت معناها احنا خلاص دخلنا، فأنا قلت له أنا ضد هذا التدخل، أحنا كنا بقى فى الاتجاه الجديد أنا وطاهر

ومحمد عباس كنا قعدنا واتفقنا على شويه حاجات، ومن ضمن الحاجات دى أحنا ما نمشيش وراء الخواجات وأن أحنا مصريين ونفكر لمصر، وأن اللى عايز يعمل معانا علاقات يعملها على أساس رأينا أحنا مش رأيه هو، يساعدنا على أساس موقفنا أحنا من قضيتنا وعلشان كده كمان خدنا فى القضية الوطنية موقف مخالف لكل الشيوعيين وكل الأتحاد السوفيتى كله، المهم أنا قلته أحنا ضد التدخل أى تدخل سواء من الاتحاد السوفيتى أو الأمريكان، أحنا ضد أى تدخل، وعملنا بقى مشاكل معاه.. وأحنا كنا موافقين على التعايش السلمى.

لكن بعد الحل وفى المرحلة بتاعتى أنا وطاهر ومحمد عباس كنا بنقول جبهة عريضة تتسع لكل من يعادى الأمريكان.

عن الصراعات الموجودة بين الشيوعيين داخل السجون ففى الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٩ كانت الصراعات حوالين «نأيد ولا ما نأيدش»، وبعدين إنتهت بأن كله بيأيد، وبالعكس طلعت حدتو هى بقى القائد للتأييد وأنها كانت صح من الأول بقى فى موقفها الأولانى يعنى، لكن التأييد بقى كان اشتراكية ولا وطنيه، وهو كان فيه تأييد مشى على أساس إنها اشتراكيه يعنى، والتعبير ده قاله خوشوف أن ظباط من البرجوازيه الصغيره وأن ممكن عناصر من البرجوازيه الصغيرة تقود الاشتراكية أو تعمل الاشتراكية كان قال كده، وكان فيه ناس مشيت وراه لكن احنا مامشيناش وراه إحنا كنا حددنا موقف من الغرباء، كان فيه الفاشيه، فؤاد مرسى الله يرحمه كان بيقود التنظيم ويحلل الاتجاه على أساس أنه فاشى، لما حصل التأييد للحكومة هو ما قالش أن أنا غلطان هو عمل تقرير كبير، معرفش عمل فيه أيه تحليل للاتجاهات العالمية ومش العالمية وقياده الإتحاد السوفيتى هو اللى بيقود العالم ففى ظل هذا التغير إنقلبت الفاشية بقت وطنيه والشيوعيين اللى كانوا انتهازيين بقوا شيوعيين، على أساس كده وافقوا على الوحده، وده إتجاه غير مبدئى يعنى هو كان راجل طيب، لكن الموقف ده كان مش تمام.

هى الفترة اللى الواحد قضاها جوه السجون كان فيه بطولات كتير، كان فيه القضيه اللى بتقدم للمحاكمه كان يطلع أتنين ثلاثه على الأقل يعملوا دفاعات سياسية

يعنى مثلا محمد شطا عامل دفاع سياسى فى منتهى القوه، زكى مراد عامل دفاع سياسى، عبدالجابر خلاف صعيدى قالهم انتم عساكر انتم محكمه؟!! وكان بيتحاكم قدام الدجوى قالهم قوموا روحوا انتم عساكر مش محكمه.. وفيه ناس كثير كانت تاخد مواقف، كانت الغالبيه هى اللى بتاخد مواقف كويسه. محمد عامر عمل دفاع سياسى كويس.

أنا عارف الحل تم أزاى رغم أنى لم أدعى لمؤتمرنا وكرنفرنس للحل، ولنا ما لمستش الكلام ده بنفس، لكن هو كمال عبد الحليم عمل صيغة، قال تجميد لعضوية الحزب، لن هو حيجمد العضوية، باخدها هو فى شخصه، الناس ده بقى نبطل، ولما يبقى فيه تشكيل حزبى هو يعلن، فبعدما أدوا التنازل للعضوية لكمال عبدالحليم أعلن حل الحزب.

أنا رأيى أن الانقسامات خطأ فظيع جدا، لأن أحنا فعلا كنا أيام الانقسامات كنا بنهاجم بعض أكثر مما بنهاجم العدو، بنطلع كلام على بعض، بنضعف بعض، يعنى لما كان حركة تقوم فى مصنع تنظيم عملها كنت أنا أحاول أقلل من شأنها علشان أقلل من شأن التنظيم اللى عملها، فدى أشياء ضارة جداً وغير مبدئية على الإطلاق، أسباب الانقسامات فى رأيى أنا هو الضيق بالرأى الآخر، يعنى مثلا لو اختلفنا وأنا رأيى أن الاختلاف جوه الحزب مش مشكله، بالعكس يعنى الحزب اللى مفهوش خلافات يبقى مش حزب يعنى المفروض أن الخلافات جوه الحزب حاجة إيجابية، لكن الطريقه اللى تحل بها الخلاف كانت طريقة برضه غير مبدئية، القهر يعنى للرأى الآخر، وقلق من البرجوازية الصغيره إنها متستحملش الصراع، يعنى تضيق بالصراع، فالحل عندها أنها ناخد شويه واللى معاها يعنى تأخده وتمشى، قد كان عدم قدرة على مواصلة الصراع وكمان من الناحية الثانية ديكتاتوريه الأغلبية على الاقلية، فمكانش يعنى اللائحه بتطبق تطبيق صح، وكان مفتقد للنقد والنقد الذاتى، إطلاقا، كان محطوط فى اللائحة لكن ما بيتعملش بيه.

الاخطاء السياسية أقوى بكثير جداً من الضربات البوليسية، يعنى سبب ضعف الحركة الشيوعية نمره واحد، الإنقسامات نمره أتنين، الاخطاء السياسية، مره يمين، مره شمال يعنى مفيش مواقف تبقى مدروسه قوى يعنى، أحنا بس لما نحب نؤيد،

تأييد. تأييد مطلق يعني، لما نعارض كده بشكل مطلق برضه، فالافكار السياسية الخطأ والانقسامات هم دول سبب الازمة بتاعة الحركة الشيوعية. وليس السبب وجود عدد كبير جداً من البرجوازية الصغيرة والمثقفين، أحنا كان معانا مثقفين أحسن من العمال، يعني كان فيه.. يعني مثلا أنت عايز تقول أن سعد رحمي، يعني سعد رحمي ده تقول عليه مثقف، لأ مناضل ومغوص (مندمج) في المجتمع، راجل طلع ما لقاش حتى ياكل، فده عامل يعني وبعدين مادام إنطرحت فكره الشيوعي يبقى عامل.

هو فيه مجموعة كبيره عملت شهادات معرفش أن كان أحمد سالم عمل شهادت ولا لأ، أحمد سالم عامل نسيج في شبرا، عايش وفي أيامه الاخيرة عيان، وده كان في طليعة العمال، كل، عايز أقولك حاجة أن في كل التنظيمات كان فيها ناس كويسه، يعني المسألة مش مسألة الناس، كان فيه زمان ناس مناضلين حقيقيين ومخلصين، هي كانوا بيعلمونا نكره بعض، يعني القيادات طلعت قيادات مش في مستوى التضحيات دي كلها.

أنا الحقيقة أنا مأثر عليّ محمد عثمان، ده موته لوحده يعني جنازة لوحده، فده كان من أحسن الناس الكادحين البسطاء، المضحين ومات خنوه ومرتوه ولحد دلوقت محدش يعرف هو فين، فيه ناس كتير كويسة ماتت، محمد عباس عامل كتاب، أحنا عملنا له كتاب لما مات، فيه تقديمه.

قبل ما نطلع من السجن سنه ١٩٥٩ جه ممت عمل عمله، راجب يعني، فحرق لنا كل ما هو ملكي، حتى الأكل، حتى السكر بقوا يحطوه في جرادل المياه ويدوبوه ويدلقوا المياه. بس أنا في فترة السجن من ١٩٥٤ لغاية ١٩٥٩ مشفتش حد استشهد أنا لم أعطي أي شهادة لأى حد وأنا لسه عندي حاجات حا أقولها بعد شوية.

طبعاً من الناس الكويسين اللي لازم تأخذ شهادتهم محمد عبدالجواد القطان ما هو برضة تعبان وقاعد في البيت.

شهادة

نبيل صبحى حنا



كيف حدث انضمامى للحركة الشيوعية؟

إنه سؤال هام جداً، فمن رأيى أن التاريخ الذى نتحدث عنه فى هذه الشهادات ليس تاريخ منظمة فى حد ذاتها فحسب، ولا هو تاريخ انقسامات ووحدة أو أى شكل فى العلاقات داخل أو فيما بين المنظمات الشيوعية.. إنه قبل كل شئ تاريخ فعل سياسى فى المجتمع يرتبط بتطور الأحداث السياسية والاجتماعية فى هذا المجتمع، ومن ثم هو تاريخ إنسانى فى جانب كبير منه، فمن هم أولئك الذى اضطلعوا بهذا الفعل السياسى؟ وهل صحيح أنهم - كما كان يردد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر - إما طالب فاشل أو عامل متعطل؟؟ إن شهادة كل منا ستكون بين أيدى المؤرخين الذى سيتعرضون بالتأكيد لما عاناه الشيوعيون المصريون من دعايات مضادة كانت غطاء للمطاردات الأمنية والتشريد والسجن والاعتقال والتعذيب لسنين طويلة ولا زالت تستخدم كغطاء لحجب المشروعية القانونية عنهم، إذ إن هذا الحجب لا يستند فى الواقع إلى أى أساس من المبادئ الدستورية المتعارف عليها، كما أن حكامنا ضمن قلة لا تتعدى أصابع اليد من بين حكام دول العالم الذى لازالوا يفرضون هذا الحجب القسرى فى تحد سافر لكل مبادئ حقوق الإنسان. لذلك فعلينا أن نضع بين أيدى المؤرخين حقيقتنا كبشر وكمواطنين.. اختاروا طريقهم الفكرى والسياسى اعتقاداً ورغبة منهم فى تقديم أصح وأعمق خدمة لقضايا شعبهم ولمستقبله.. فهذه الرغبة هى كانت محركهم الكلى. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإن هذا الاختيار كان نتاج تفاعلهم - فى غالبهم - مع الأوضاع الطبقية والاجتماعية التى نشأوا فيها وعايشوها،

فهم ليسوا نبتا مغامرا أو غير طبيعى، وإنما هم أبناء شعبهم، نبت فكرهم من جذور تاريخه وتطلعاته المشروعة.

وبالنسبة لى فإننى كثيرا ما طرحت هذا السؤال على نفسى وكان الجواب دائما: النشأة، لذلك اسمحوا لى أن أعرض لذلك بوضوح مفصل بعض الشئ:

اسمى بالكامل: نبيل صبحى حنا، مولود فى ١٩٣٤/١١/١٤ بمدينة سوهاج على بعد يناهز ٦٥٠ كم جنوب القاهرة وتقع على النيل مباشرة يحدها شرقاً شاطئه، ومسافة عرض مجرى النيل فى تلك المنطقة حوالى ٧٥٠ متراً أو ما يزيد، وشارع كورنيش النيل يمتد بطول المدينة الأصلية وله إفريزان مشجران، وينقطع هذا الامتداد فى الشمال الأقصى للمدينة. كان هذا الكورنيش هو المتنفس الترفيهى لبسطاء المدينة خاصة فى قيظ الصيف. غير أنه حينما شرعت الدولة فى تحديث نفسها فقد شيدت المحكمة الكلية متماسة مع ماء النيل، وشيد باشاوات وبكوات المديرية فيلاتهم وعماراتهم بالمثل حتى آخر المدينة شمالاً حيث «وابور» منشة لصناعة الثلج.. وكان «منشة» يهوديا وله ولد اسمه حزقيل (حزقيال) زاملنى فى الدراسة من الأولى الابتدائية حتى الثقافة العامة حينما رحل وعائلته فجأة إبان حرب فلسطين. غير أن انقطاع امتداد الكورنيش لم يؤثر فى «العادة» التى درج عليها الناس البسطاء فى سوهاج ألا وهى التمشية على كورنيش «البحر» سعياً لطراوة النسيم ولترى أعينهم على الناحية الأخرى من النيل الخضرة الممتدة ولا يحدها البصر، إنها مزارع قرية الساحل التى تلامس الشاطئ الشرقى للنيل وتمتد لتتلاحم مع مزارع مدينة أخميم الشهيرة بنوتها وقرها وتاريخها قديما وحديثا. المنظر هناك خلاب، تقع بالقرب منه منطقة آثار أجدادنا وأصولنا المصرية فى العرابة المدفونة.. لذلك فإن الموقع ينبئك على الفور بجمال ورسوخ خالدين.. مصر أرضا وناساً.. إنه موقع يغرس الانتماء جاعلاً منه مكونا طبيعياً وفطرياً للوجدان والعقل معاً.

يقسم خط سكك حديد مصر (القاهرة - أسوان) سوهاج إلى نصفين: شرق السكة الحديد وينتهى بكورنيش النيل، وهذا النصف تقطنه فى الغالب الطبقة المتوسطة فيما عدا العمارات على الكورنيش التى يشكل سكانها - غالبا - الأثرياء فى المدينة بل وفى المديرية (المحافظة الآن). أما غرب السكة الحديد فيحده شرقاً شارع طويل موازٍ

للشريط الحديدى يمتد من محطة أتوبيسات الصعيد (ملك أبو الوفا دنقل)، وسجن سوهاج، ثم ديوان المديرية فميدان العارف نسبة إلى المملوك مراد العارف الذى هرب وفلول فرسانه من قوات الحملة الفرنسية البونابارتية التى طاردته حتى هناك وعسكرت فى مدينة المنشأة جنوب سوهاج لتحاصره، ومات مراد بك العارف بسوهاج ودفن فى المسجد الذى بناه والمسمى باسمه (والقائم حتى الآن) وأطلق على الميدان المشيد فيه ذات الاسم (ميدان العارف)، وخلف مراد بك العارف عائلة ضمن أكبر عائلات المديرية هى عائلة العارف ويواصل الشارع مساره حتى ميدان محطة السكة الحديد ثم إلى مسافة طويلة حتى يصل إلى ورش السكك الحديدية الذى ينحنى بعدها ليلتقى بالقطاع المستحدث والذى أقيمت فيه السينما ومدرسة فؤاد الأول الثانوية، ومدرسة سوهاج الصناعية الثانوية ومتنزه سوهاج العمومى.

يتفرع من هذا الشارع الطويل شوارع فرعية عرضية كثيرة تؤدى إلى أحياء متباينة فى مستوى سكانها الاجتماعى. وعموماً فالأحياء من بداية الشارع جنوباً حتى ميدان المحطة هى أحياء تجارية، تليها أحياء سكنية يقطن بيوتها القريبة من الشارع. فى الغالب - الموظفون فى الدواوين والمدارس والمستشفيات الحكومية، أما قبالة ورش السكك الحديدية فيقع الحى المسمى «نجع الورشة»، وسكانه موظفون صغار وعمال. يوجد فى هذا النجع شارع ضيق متفرع من الشارع الرئيسى الطويل مباشرة كان أول من أوجده (ببناء المساكن) جدى فسمى قديما بشارع حنا ثم مع غلبة البنايات فيه لعائلة حمودة سمى بشارع حمودة، ولازال على ما أظن.

فى هذا الشارع ولدت من أبوين من بسطاء الناس: الأب من العاملين بالسكك الحديدية. كان جده من أثرياء الأرض، ولكنه ترك الأرض فى أولاد الياس وفر إلى منطقة ديروط هرباً بأولاده من «السلطة» - هذا ما سمعناه صغارا، فعمل ابنه حنا بشركة السكر بأبى قرقاص القريبة من ديروط ونظرا لكثرة العيال، فقد أخرج حنا ابنه صبحى من المدرسة وهو فى الثالثة الابتدائية وسعى لتوظيفه بشركة السكر المذكورة.

ثم أفلست شركة السكر فى أزمة ١٩٠٩ وتمكن العاملون بها وذووهم من إجبار الحكومة على تشغيلهم بمصالحها، فكان نصيب جدى ووالدى أن تم تعيينهما بالسكك الحديدية بسوهاج؛ وبما حصل عليه من والده من بقايا ثروته التى استطاع حملها فى

قريبه من أولاد الياس إلى ديروط، بنى جدى بيوته فى شارع حمودة على نحو ما ذكرت.

إذن عانى والدى فى طفولته وصباه من الأزمات العامة والخاصة.. وعلى الأخص من حرمانه من التعليم رغم ذكائه ومقدرته وإن كان قد واجه مشكلة فى السنة الثالثة الابتدائية مع مادة التاريخ «علشان مليانه أكاذيب ما قدرش أحفظها» حسب تعبيره (رحمه الله).

والأم فلاحة، ابنة لرجل من صغار المزارعين فى قرية الدوير التابعة لمركز صدفا بمحافظة أسيوط، وكانت أمى ابنته البكر، أدخلها المدرسة فى سن متأخرة وأخرجها منها بعد عام واحد لأن جسمها كان أكبر من سنها.. ونسيت تماما ما درسته فى ذلك العام.. وعاشت حياتها أمية تماما، ولكنها شديدة الاستنارة ومبهورة بالمتعلمين فى العائلة متفاخرة بهم.

كنت خامس ولاداتها، وثالث الأحياء من هذه الولادات. وعلى قدر ما قيل لى عن طفولتى، وما أتذكره أنا عنها، فقد كنت الطفل «الفلباوى» الذى نطق بالكلام مبكراً جداً وانطلق لسانه على غير العادة. فألحقنى والدى بمدرسة بسطا بك الابتدائية وأنا فى الخامسة من العمر تقريباً!! كان ذلك فى عام ١٩٤٠/٣٩، وكانت الحرب العالمية الثانية قد بدأت.. وكنا انتقلنا من شارع حمودة (منزل من منازل جدى) إلى شقة كبيرة بالإيجار فى حى أفضل.. وكان صاحب العقار الكائنة به الشقة اسمه «حبيب».

فى تلك الشقة، وأنا فى تلك السن، عايشت الذعر من الإظلام التام، وصفارات الإنذار، وصوت المنادى فى بهيم الليل يزعق «غارة.. طفى النور ياولية».. وفرضت زرقة الزهرة على زجاج لمبات الجاز وزجاج النوافذ. فى ذات هذه الظروف، ولكن بعد عام، انتقلنا للسكن فى منزل «المقدس فهمى» وهو عبارة عن شقة فسيحة مرتفعة عن الأرض مبنية حديثاً أمامها مدخل متحصر له باب حديدى على الشارع بخلاف باب الشقة، ولا توجد أدوار أخرى - أى «بيت من بابه». كنا أصبحنا أربعة أولاد وبنت. البنت أدخلها والدى مدرسة القلب المقدس لتدرس بالفرنسية، أما أنا وشقيقى الأكبر فقد أغرى ذكاؤنا الوالدين بأن ينقلانا من المدرسة الخاصة الرخيصة إلى المدرسة

الابتدائيـة الأميرية رغم مصـاريفها الباهظة بحسابات تلك الأيام (سبعة جنيهات ونصف سنويا) ولكن لما كان دخول هذه المدرسة يتم بمسابقة، ونظرا لتفوقي وشقيقي في تلك المسابقة فقد أمكن أن نقدم أول مساعدة للوالدين الكادحين تتمثل في حصولنا على المجانية طوال فترة المرحلة الابتدائية.

وفي نفس هذه الفترة كانت الحرب الثانية في أوجها.. ووعيت تماما أمرين لم يفارقا ذهني أبدا:

الأول: أن الملك فاروق صالح مع الألمان لذلك حاصره الإنجليز عسكرياً وأجبروه على أن يأتي بحكومة وفدية برئاسة النحاس باشا.. ولأن سوهاج مدينة وفدية فقد طافت المظاهرات كل سوهاج - حتى بجوار منزلنا. تهتف بالاستقلال وفي نفس الوقت تهتف بحياة النحاس باشا.

والثاني: أن الإنجليز يستولون على القمح والسكر والزيت لجيشهم لذلك تقررت بطاقات التموين، ومع ذلك أتذكر تماماً ليالي سوداء لا نجد فيها رغيف خبز ولا دقيق.. كان والداي يجلسان يخنقهما البكاء لجرع الأولاد رغم أنهم يملكون المقابل اللازم، ومما زاد الأمر سوءاً ذلك الأمر العسكري الذي يحظر نقل المواد التموينية من بلد إلى آخر ومهما كانت الكمية.

ولذلك استحالت الاستعانة بجدي من أمي (المزارع). ولكن كان لي خالة تعيش في سوهاج، وزوجها يملك سيارة أجرة، ويعاني وأولاده ذات المحنة.. فقرر المغادرة لكسر هذه الاستحالة.. وفي يوم، وبعد منتصف الليل سافر بسيارته إلى الدوير وذهب إلى جدي وإلى أبوه، وملأ سيارته بأجولة دقيق (وبالمناسبة هو في نفس الوقت ابن عم والدتي)، وعاد في ذات الليلة عبر مدقات في غاية الصعوبة والخطر ليهرب من نقط التفتيش على الطرق «الرسمية».

وقد أنقذتنا هذه المغامرة من أزمة خطيرة، إذ في نفس الوقت قبض على «عم متري» بقالنا التمويني بتهمة نقله صفيحة زيت من أسيوط إلى سوهاج، وأغلق محله لحين محاكمته، وقد وقعت أزمة شديدة بين المواطنين المربوطة بطاقاتهم على محله وبين المديرية حيث ضاع شهر (بحصصه التموينية) وتم حل الأزمة بتوزيعهم على

بقالين آخرين. وجرت محاكمة «عم مترى قديس»، وحضرت أنا محاكمته حيث ترافع عنه محامى شهير فى ذلك الوقت يدعى الأستاذ عمر عمر.. ولحسن الحظ حكم ببراءته.

حينما وصلت إلى الثالثة الابتدائية كانت الحرب فى نهايتها وكان الخطر الهتلرى ابتعد كثيراً عن مصر، وفى تلك السن لم أعلم ما هى الظروف العامة فى مصر التى جعلت من بعض أساتذتنا فى مواد اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا. جعلتهم أساتذة لنا أيضاً فى الوعى الوطنى والديموقراطى المبكر.. وفى السعى للتثقيف العام أو قل المعرفة. فمن الثالثة الابتدائية وزعوا علينا وناقشوا معنا مجلة «الرسالة» التى كانت تصدر عن «كبار الأمناء» وشجعونا وحفزونا على قراءة «النظرات والعبرات» ورحلات ابن بطوطة، واقتنعت بشرحهم العقلانى للعلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم فعمدت إلى حفظ جزء عم منه ولكن ما جعلنى انتبه باهتمام وتفاعل إلى هؤلاء الأساتذة المحمورين العظام واقعة أتاها والدى رحمه الله:

كان كتاب المطالعة العربية المقرر على السنة الثالثة الابتدائية يحتوى على موضوع عنوانه «العصامى الكبير» مكرس لعرض «مآثر» و«أفضال» عبود باشا.

ولما كنت شغوفاً باستعراض «شطارتى» فى اللغة العربية ونطقها أمام إخوتى ووالدى، فقد درجت على أن أقرأ بصوت مرتفع موضوعات المطالعة (فى يوم دراستها فى الفصل).. وحدث ذلك بالطبع فى موضوع «العصامى الكبير». كان أبى فى الحجرة المجاورة يرتدى ملابس الخروج لأنه يوم حضوره العظة الأسبوعية بجمعية المحبة القبطية التى كان عضواً بها، فدلف إلى الغرفة التى أزعق فيها بالموضوع وهو يلف كرافتته، فلما رأيته سكتت وابتسمت، فقال لى بهدوء: «هو ده اللى بيعلموه لكم.. ده إللى عمله عبود من دم الشغالين عنده». سمعت، ولكننى لم أفهم شيئاً.. ولم أسأله تفسيراً، ولكن ظلت ملاحظته ترن فى أذنى، وتقفز دائماً فى ذهنى ومضت سبع سنوات أو أكثر قليلاً - حتى عرفت معنى الملاحظة. حصلت على الشهادة الابتدائية بتفوق، (مثلى مثل شقيقى الأكبر من قبل)، فالتحقت بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بسوهاج ومعى المجانية طوال المرحلة الثانوية.. ومنذ البداية صادفت فى الثانوى ذات نوعية أساتذتى العظام فى الابتدائى.. فالذاكرة لن تنسى الأساتذة

«الزملك» في الجغرافيا، «محمد فوزي» أو أحمد لأنى أعرفه شخصيا يرحمه الله» فى التاريخ (حصل على الدكتوراه وأنتقل للتدريس بالجامعة)، و «عطية مراقى» فى اللغة العربية «ومحمد أمين» فى اللغة الإنجليزية .. هؤلاء الأساتذة الذين كانوا يوزعون علينا أيضا مجلة «الرسالة» التى سبق الإشارة إليها، وحثونا على قراءة مقدمة ابن خلدون وتاريخ الجبرتي، ومقتطفات من «رسالة الغفران»، و«الفتنة الكبرى» و «على هامش السيرة» وثلاثية أحمد أمين: فجر الإسلام وضحى الإسلامى وظهر الإسلام. كانوا - كرم الله مثواهم - يشرحون لنا التاريخ أو الموضوعات كما جاءت فى المقرر.. ثم - بود الأب، وصدق المعلم الحق - يطلبون غلق الكتاب والكراس والانتباه إلى حقيقة الأمور.. ويعرضون معارفهم - الوطنية المستنيرة بحق - عن تاريخ مصر القديمة وفلاحها الفصيح ومقاومتها للهكسوس ثم للرومان.. وعن أسرة محمد على إيجاباً وسلباً، وثورة ١٩١٩ وأحزاب الأقلية، والثوره الفرنسية، ومحاكم التفتيش وما يرتبط بها حتى من فنون وآداب، أضف إلى ذلك أحاديثهم «بعشق» عن الهوية المصرية وشجبهم الغاضب لكل تأريخ يحاول طمسها. ويلاحظ أننى لم أرتب موضوعات أحاديثهم تلك لأننى أستهدف فقط إبراز دور معلمين أفاضل فى فتح آفاق إعمال العقل لجيل كنت لحسن الحظ - أحد أفراده. وهذا الدور لم يكن غريبا على معلمينا فى العقد الرابع من القرن العشرين، فإذا لاحظنا أن أعمارهم كانت - فى المتوسط - حول الخمسين لاكتشفنا فوراً أنهم شباب ثورة ١٩١٩ وتلاميذ صحوة المواطنة والتنوير التى صاحبتها، وتلك التى عمدت القوى الحاكمة فيما بعد إلى وأدها وإحلالها بإعلام مكثف يعتمد تسطيح العقل العام للأمة وتغييبه فى ذات الوقت: تسطيحه بإغراقه فى «الكرة»، «وأغانى الغرام»؛ وتغييبه بشقين يبدوان متناقضين ظاهريا - هما: «ترويج الوهم وإثارة الغرائز» من ناحية، و «السلفية الدينية» من ناحية أخرى - ذلك لكى تخلى الساحة لعقل واحد هو عقل الحاكم.. هو وحده الحقيقة الكاملة، والصواب الأوحد.

عائلتى متدينة، تواظب على صلاة قداس الأحد بالكنيسة القبطية الوحيدة (آنذاك) فى سوهاج - كنيسة السيدة العذراء - الكائنة بالقرب من ميدان المحطة، وتقيم ليالى التسبيح التى تدعو لها معلم الكنيسة الضرير ذا الصوت الشجى والذى يتقن اللغة

القبطية وألحانها. ويشارك الأب (والدى) فى جمعية المحبة القبطية ويحرص هو ووالدتى على حضور صلاة و(عظة) مساء الإثنين من كل أسبوع فى تلك الجمعية .

وألحقت الأسرة كل أبنائها منذ نعومة أظافرهم بمدارس الأحد التى لم تكن فى الكنائس بل كانت نشاطاً تقوم به الجمعيات الدينية، ونحن كنا بجمعية الطلبة والشبان المسيحيين الأرثوذكس.

مثلى مثل الأسرة كنت شديد التدين على طريقة والدى رحمه الله: التواضع ونبذ التعصب، لذلك حينما كنت فى الصف الثالث الثانوى فى العام ١٩٤٨/١٩٤٩ .. حدثت انتخابات لمجلس إدارة جمعية الطلبة والشبان الأرثوذكس؛ ولاحظت صراعاً حاداً وشجاراً على كراسى مجلس الإدراة .. فحزنت ولكن بغضب.. فليس هذا هو نكران الذات والتواضع المسيحيين، فكثفت شرح فكرتى لدى مجموعة من أقرانى وسرعان ما اتحدنا، ونشطنا لتجميع الأطفال، وحولت قاعة الدور الأرضى وصالته فى منزلنا إلى مدارس أحد.. موعدها يوم الجمعة بعد القداس مباشرة.. أى ذات موعد مدارس أحد جمعية الطلبة تلك.

وبهذه المناسبة فإننى أحيط القارئ بأنه فى ذلك العام كانت قد مضت حوالى أربعة أعوام على عودتنا إلى أحد منازل الجد فى شارع حمودة، إذ بعد وفاته آل هذا المنزل إلى والدى بالإرث.

رغم بساطته المتناهية، كان والدى شخصية محترمة معروفة بالهدوء والحكمة والتواضع فاستعان به كهنة الكنيسة فى حل المشاكل الأسرية التى تعرض عليهم، كما كان والدى مناصرا للوفد.

وكان لحزب الوفد بسوهاج ٤ رؤوس.. واحدة من عائلة «مازن» وثانية من عائلة «عارف»، وثالثة من عائلة «دوس»، ورابعة من عائلة الشريف. وكان لعائلتى مازن وعارف مرشحون «للوفد» ومرشحون «لأحزاب الأقلية».. ويتم ترشيح هؤلاء أو أولئك حسب الظروف السياسية السائدة وما تطرحه من احتمالات.. ولكن عائلة دوس كانت وفدية ثابتة، كما أن المرحوم الأستاذ حنفى الشريف كان الوجه الوحيد الظاهر فى عائلة الشريف، ومعروف أنه قطب وفدى ينحاز لجناح عزيز فهمى، أو ما كان يسمى «يسار الوفد» . كان والدى من المؤيدين المتحمسين لحنفى الشريف.

وفى ذلك العام ١٩٤٩/٤٨، فوجئنا بوالدى يعود من العمل مكبرا، وبصحبته شخص آخر أصغر سناً لم نره من قبل. دخل والدى المنزل واجماً وانتحى بوالدتى التى ما أن دريت ما قاله حتى خبطت صدرها فأسكتها، وقامت باكية تعد له بسرعة شنطة ملابسه، وما تمكنت من إعداده من أكل.. ثم خرج والدى صحبة الغريب.

أعلمتنا والدتنا بعد رحيله مباشرة أن والدنا نقل إلى المنيا، ولكن ما اتضح فيما بعد هو أن إبراهيم باشا عبد الهادى رئيس الوزراء أصدر أمراً عسكرياً بتحديد إقامة والدى باستراحة العاملين بالسكة الحديد بمدينة المنيا، والحاقه بالعمل هناك، وحراسته لضمان عدم سفره إلى سوهاج تحت أى ظرف.

وفى ذلك العام كان شقيقى الأكبر التحق بكلية طب القصر العيني، وأصبحت أنا فى سوهاج رجل البيت عن عمر حول الأربعة عشر عاماً. كان على أن أتابع أعمال تنكيس المنزل الذى كان والدى قد بدأه قبل ترحيله، ولكن الأخطر كان على إيجاد وسيلة للاتصال بوالدى بانتظام فواقع أسر الصعيد لا يستغنى عن ذلك.

ونجحت فى ترتيب أمور «سرية» للاتصال بأحد سائقى قطارات السكة الحديد تربط والدى به صلات حميمة ولا يسكن قريباً منا.. واتفقت معه على أن أوصل له مرسلاتنا لوالدى وأستلم منه ملابسه المتسخة فى القطار أثناء تدويره على صينية تغيير الاتجاه.. وهو مكان محفوف بالمخاطر لطفل.. ولكنه كان الطريق الوحيد لتتم الأمور بسلام للرجل.

وهكذا أصبحت السياسة اهتماما يدق عقلى بعنف. شاركت فى مظاهرات مدرستى والتى اندلعت إبان «حرب فلسطين» وطالتنى أول عصا من بلوك النظام فى أول مظاهرة شاركت فيها (رغم صغر سنى وضآلة حجمى).

وفى هذا الخضم أسر لى أحد زملائى - وكان والده ضابطا كبيرا من عائلة كبيرة بالمحافظة هى عائلة «المشنب» - أقول أسر لى بأنه توجد جمعيتان يمكن مراسلتهما هما جمعية «إخوان الحرية» و«جمعية أصدقاء الشرق الأوسط»، وزودنى بعنوانى المراسلة.. كتبت لهما على الفور.. وبعد أيام بدأت تصلنى مطبوعات معظمها باللغة الإنجليزية، واتضح أن إحداهما - وهى «إخوان الحرية» - تدافع عن سياسة بريطانيا العظمى وتروج

دعاية هائلة لها وتهاجم الشيوعية ودول الستار الحديدى، والأخرى مثلها تماماً ولكن لصالح أمريكا.. وتحتل مجلة «أمريكا» المكانة الأولى فى مطبوعاتها رونقا وفخامة.

لم أجد أى حافز لقراءة أو متابعة أى موضوع بتلك المطبوعات، ولا أدرى لماذا نفرت منها، ولكننى فكرت فى الاستفادة بطريقتى فدرجت على تجميع كل كمية مناسبة منها وأبيعها «بالأقة» لبقال. كان يشترى الأقة بقرشين صاغ.. وهذا كان مبلغا له قيمة وادخرت قيمة ما بعت لأتعلم قيادة الدراجات.. وحيثما أن من وجهة نظرى الوقت والإمكانيات المالية لذلك صحبت زميل مدرسة يجيد ركوب الدراجات واستأجرت دراجة، وركبت خلفه للذهاب إلى مكان فسيح وخال نسبياً ليعلمنى فيه، ولكن ما إن تحرك حتى انحشرت رجلى فى سلك الإطار الخلفى فتكسر السلك، وتمزقت قدمى.. وخسرت النقود مقابل إصلاح الدراجة.. ولم أتعلم قيادة الدراجات حتى يومنا هذا.

إذن فجمعيتى «إخوان الحرية» و«أصدقاء الشرق الأوسط» لم يلتقيا مع اهتماماتى السياسية الثائرة فى رأسى.. ونبذت أى تفكير أو اهتمام بمطبوعاتهما التى ما لبثت أن انقطعت تماما.

كان عمى المرحوم لبيب حنا ناظر محطة السكة الحديد لبلدة أبوطشت بمحافظة قنا وهى بلدة صغيرة لا يقف فيها قطار سريع، لذلك يتعين على القادم إليها من القاهرة أن يركب القطار السريع من القاهرة حتى سوهاج، ويبيت فى سوهاج ثم يركب قطار ركاب من سوهاج إلى أبوطشت بشرط أن يصلها قبل الخامسة مساء وهو الموعد المحدد لعدم توقف قطارات فى محطتها. هذا «المشوار» كان من نصيب ابن عمى وصديقى د. فخرى لبيب، حينما كان يسافر من القاهرة إلى أبوطشت فى الإجازات ليقضيها مع والده ووالدته وإخوته. ولحسن الحظ فهو لم يتكبده سوى مرتين فى العام ٤٨/ ٤٩، وفى العام ٤٩/ ٥٠. وفى هاتين المرتين قضى فخرى لبيب بقية يومه ومبيته بسوهاج معى.. فى بيت عمه.

ومن الطبيعى أن أكون مع فخرى طول الوقت فأنا كبير المنزل مضيفه (والدى محدد الإقامة بالمنيا وشقيقى الأكبر بالطب والدراسة تستمر بها معظم الإجازة). ومن

الطبيعى أن تتناول موضوعات المصاحبة كل شئ، ومن الطبيعى فى الظروف التى كنت أمر بها، أن تتطرق للسياسة وحكى لى فخرى كثيراً عن الاستعمار والاستغلال، وأعطانى لأول مرة تفسيراً لمعنى ملاحظة والدى التى قال لى فيها أن «اللى عمله عبود من دم الشغالين عنده» .. وكان تفسيراً عاماً ومبسطاً.. كما حدثنى عن الاتحاد السوفيتى، كنا فى العائلة - بكل فروعها - نعلم أن فخرى شيوعى، لذلك بادرته بسؤال هجومى حول الشيوعية والدين.. فكل ما كان يحشر فى رؤوسنا الصغيرة أن الشيوعية تعنى الإلحاد. رد على فخرى بمنتهى الهدوء «نحن ليس لنا أى شأن كما أنه ليس لنا أى تحفظ على المعتقد الدينى لأى شخص.. نحن مع حرية العقيدة وممارسة طقوسها لأقصى حد.. نحن نعتبر أن تعبير إلحاد تعبير سخيف وعدوانى علينا، نحن نقول أننا ماديون جدليون، بمعنى أن الواقع المادى حولنا موجود خارج عقولنا وهو ليس فى حالة سكون إنما يتحرك باستمرار لوجود تناقضات داخله.. المجتمع هو واقع ويتغير بفعل تناقضات داخله وكل ما يهتم به الشيوعى هو أن يدفع حركة التناقضات ليكون تغيير المجتمع إلى الأمام وليس إلى الخلف وقال أيضاً أن الفلسفة المادية أقدم من ماركس بكثير ولكنه (أى ماركس) هو المادى الجدلى فماديته موضوعية تمشى بالأرض تماماً.

حاول فخرى نقل هذه المعانى إلى ذهنى المنتبه تماما، والذى أصبح مهموماً بالسياسة .. فهمت الكثير، ولم أستوعب الكثير أيضاً، والتهبت فى رأسى تساؤلات لا أستطيع تبيانها الآن. وفى عام ٥٠/٤٩ جاءت حكومة حسين سرى باشا فألغى تحديد إقامة والدى فعاد إلينا، وسارت حياة الأسرة كعهدها: الهدوء والتدين وبقيت تساؤلاتى فى رأسى وحدى.

حصلت على التوجيهية فى يونيو ١٩٥١ وبعدها بشهر سافرت إلى القاهرة للالتحاق بالجامعة.. حيث قبلت فى كلية العلوم بجامعة القاهرة، وبدأت الدراسة فى أكتوبر ١٩٥١ وهو ذات الشهر الذى ألغى فيه النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦.

انطلق لهيب شعبى عاصف حينذاك، وعجت الجامعة بكل ألوان الطيف السياسى. وقفزت إلى ذهنى كل التساؤلات الحائرة فيه وبدأت فى الانتباه بتركيز واهتمام لما يجرى حولى.

تحولت الجامعة إلى معسكر للنشاطات السياسية والعسكرية التى لا تهدأ. أصبح انتظام الدراسة فى خبر كان.. المظاهرات حاشدة، الخطباء من كل الألوان السياسية.. فى كلية العلوم يخطب عادل حسين والجميع يعرفون أن شيوعى من (حدتو)، ثم المؤتمر العام للجامعة أمام القبة وفى الساحة بين كليتى الآداب والحقوق.. يخطب عادل فهمى (المرحوم) ومعروف أنه يسارى شيوعى يتخفى فى الوفد.. وكنت أتوجه لأستمع إلى الأستاذ حسن دوح (إخوان مسلمين) فى كلية الحقوق ويعاونه حسين العانلى من كلية العلوم، وكان يأتى خطباء من الخارج يقال أنهم كانوا زعماء الطلبة فى أعوام ١٩٤٦/ ١٩٥٠. أولئك من أمثال مصطفى مؤمن (كلية الهندسة - إخوان مسلمين)، ومصطفى موسى وسيد البكار (وفديون).. هنا فى ذلك الوقت كانت الديموقراطية حقيقية، والجو الذى تشيعه ليس جواً حماسياً فحسب بل جواً ملهما وحافزاً على المعرفة والاختيار الجاد. كانت المؤتمرات الوطنية جماهيرية بحق.. مئات الآلاف من الطلبة ومئات الآلاف من العمال القادمين من كل أنحاء المناطق الصناعية بالقاهرة والجيزة.. تضيق بهم الجامعة وكل ما يحيط بها من شوارع وميادين.. كل الآراء والفكريات بما تفرزه من مواقف عملية إزاء القضايا المطروحة- كل ذلك فى المتناول ببساطة وعلانية وتفتح ليس له مثيل.

حرم الجامعة تحول أيضا إلى معسكرات لتدريب الفدائيين لمقاومة الاحتلال الانجليزى، وتم بناء التبات للتدريب على إطلاق النار والتصويب ولم تلبث أن امتلأت الأسماع بطقطقات الأعيرة النارية جنباً إلى جنب الهتافات وكلام الخطب.

فى هذا العام كان فخرى قد تخرج فى كلية العلوم قسم جيولوجيا وكان موجوداً بالقاهرة يبحث عن عمل، وتم تعيينه بعد ذلك بقليل مدرساً للعلوم- ابتدائى (أشمون وصحة - بكفر الزيات)، ولكن قبل ذلك كنت حسمت أمرى فتوجهت له فى حجرته فوق سطح أحد البيوت القديمة بشارع الوزير المتفرع من شارع البعلة بشبرا مصر.

وكانت صلتنا بفخرى لم تنقطع منذ جئت إلى القاهرة وحتى اللحظة التى أتحدث عنها، ثم ما تلاها من أحداث.. ونقول وحتى الآن بالطبع. دخلت حجرة فخرى مساءً حيث كان الظلام قد بدأ فى السدول.. وكان يطبخ (لحم) بالملوخية، وانقطعت الكهرباء، فأشعل ورقة صحف ليرى الطبخة فإذا بجزء محترق من الورقة يسقط فى

الملوخية فقلبها بسرعة وقوة قائلا «هو معقول نفوت اللحمة» وضحكنا وأكلنا. قلت له: أنا جاى لك لأنى عاوز أكون شيوعى. كان رده محبطاً ومخيباً للآمال إذ قال بأنه قد آلى على نفسه بألا يجند أى من الأقارب تحت أى ظروف لأنه لا يريد أن يحمله أحد من الأسرة النتائج المتوقعة وأردف أنه يريد أن يكون فى العائلة «بعقله وحده» «فابحث عن طريق آخر غيرى وستجد». سمعت، وتركته عائداً لمنزلى. واضح من زيارتى لفخرى أننى حسمت اختيارى. ولعل هذا كان متسقيا مع ما سردته فى الصفحات السابقة:.

طفل منذ الخامسة من عمره عاش ويلات الحرب دون حرب فعلية فى بلده (ماعدا الغارات على الاسكندرية ومعركة العلمين) أثرت فى تلك المعاناة وما تخللها من أحداث عامة وأسرية تأثيراً عميقاً حتى أننى ظللت فترة طويلة أفخر بأننى أول من عرف بنهاية الحرب فى الأسرة: كان قد أرسلنى والدى لأشترى له علبه سجائر، فوجدت مجموعة متحلقة حول صحيفة، شببت وقرأت المانشيت الرئيسى «استسلام الألمان بدون قيد ولا شرط» كنت فى السنة الثانية الابتدائية، جريت على المنزل فرحاً وزعقت بصوتى كله: «بابا.. الدنيا سلمت من غير كلبشات ولا بوليس».. ابتسم والدى وأفهمنى ما قرأت ثم قال الحمد لله..

ثم أساتذة مدرسة جعلونى أهوى القراءة وأسعى إلى المعرفة بدون حدود غارسين الانتماء للوطن وللمصريين فى عمق العقل والوجدان.

ثم والد يسخر مما يعلمونه لنا عن «عصامية» الأثرياء.. ثم تحديد إقامة الوالد واضطرارى للانخراط فى مراوغات صعبة للاتصال به.. ثم نقاشات مع فخرى لبيب، ثم مناخ سياسى عاصف ومفتوح - فكراً وممارسة - فور التحاقى بالجامعة.. هكذا الأمور معى، فهل هناك من خيار آخر لى. وقد أصبحت السياسة همى. سوى الشيوعية؟ الإجابة واضحة.. نعم بعد دخولى الجامعة بشهر واحد حسمت انحيازى واختيارى، ولم يزعزع رفض فخرى أن ينظمنى، هذا الحسم.

غير أن الأمر كان صعباً بلا شك.. فالاختيار محفوف بالمخاطر التى أعلمها جيداً، ولابد من اتصال موثوق به فى نفس مستوى الثقة فى فخرى.

ولحسن الحظ لم تطل الحيرة والبحث.. فقد طرقت الفرصة بابى على حين غفلة. كنت أسكن أنا وشقيقى طالب الطب فى غرفة من شقة تتكون من أربع غرف، والغرف الثلاث الأخرى يسكنها طلبة فى كلية الصيدلة، وصحفى مبتدئ. وفى مساء أحد الأيام طرق باب الشقة وكنت قريباً منه. فتحت الباب وجدت شخصاً ألقى السلام وسألنى: هل يسكن هنا طالب فى كلية الطب؟ أجبته: نعم، شقيقى.. تفضل. دخل الشاب وعرفنا بأنه يقيم فى العمارة المجاورة لنا وفى الشقة المقابلة وغرفته أمام غرفتى وشقيقى، وأنه رأى هيكلا عظمياً آدمياً لدينا فاستنتج أنها لطالب طب، ثم سأل شقيقى عن السنة التى بلغها فى دراسته وعرفه بأنها الثانية، فابتسم وقال أنه أيضا فى السنة الثانية، وأنه يواجه صعوبة فى المذاكرة ففكر فى التعاون مع شقيقى إن أمكن. كانت البلد ملتهبة فى المجتمع كما ذكرت.. فتطرق الحديث إلى السياسة. كان الشاب هو المرحوم أنور نعمان. اكتشفت فوراً أنه شيوعى ذلك لأن زيارات فخرى لنا لم تنقطع، ونحن أصلاً شديدى الصلة؛ وتجمعنا وشقيقى الطبيب صلة تتجاوز قرابة أبناء العمومة؛ وطبعاً طوال مدة أى زيارة له كانت السياسة هى موضوع حديثنا.. فأنا أعرف منطق وزوايا رؤيته ووجدت أنها تتطابق مع كل ما يردده أنور نعمان.

زارنا أنور نعمان، ولم يكن شقيقى موجودا، فانتهزت الفرصة وقلت له: أنت شيوعى. فابتسم مندهشاً وسألنى كيف يمكنك أن تعرف الشيوعى من غيره، فقلت له ببساطة متناهية: ابن عمى شيوعى وآراؤه مثل آراؤك. فسألنى: وأنت ما رأيك؟ قلت له: أوافقكم وقد طلبت منه أن أكون شيوعياً فرفض لأنه لا يجند أقارب. سكت أنور نعمان، ولكنه اتخذ فى الأيام التاليه أسلوباً حميما فى الارتباط بى، ودعانى لزيارته فى منزله، ولم يمض وقت حتى فاتحنى فى الانضمام لمنظمته. كان ذلك فى ديسمبر عام ١٩٥١ وعلمت أن المنظمة اسمها «طليعة العمال».. أعطانى مطبوعاتها، ثم زودنى بتعليمات عن قواعد السرية والأمان، لم يتحفظ على علاقتى الحميمة بفخرى ولكن نبهنى أنه منذ الآن نقتصر على المناقشات العامة دون أن أذكر أى شئ عن انتمائى الجديد ولكننى شيئاً فشيئاً انتهزت فرصة تواجدهما: فخرى وأنور، فى غرفتنا فعرفتهما ونشاركنا فى مناقشات سياسية وثقافية عامة، وكان فخرى يعطينى مطبوعاتهم بانتظام أيضا، ثم استأذنت أنور فى إعطاء فخرى «مطبوعاتنا» ووافق. قرأ

أنور نعمان معى لائحة «طليعة العمال» وحددت اشتراكى بخمسة قروش شهريا، وضمنى إلى وحدة مرشحين، نشاطها الاتصالات الداخلية. أخيراً حققت اختيارى وأصبحت منظماً فى «طليعة العمال» وكنت فى السابعة عشرة من العمر تقريباً.

وقبل مواصلة عرضى لشهادتى حول ممارستى الفعلية للنضال الشيوعى والعلاقات التنظيمية من خلاله فإننى أستئذن القارئ فى تعريفه باختصار بمسارى التعليمى والمهنى وبالمرات التى سجنت أو اعتقلت أو هربت فيها من الاعتقال، ومدة كل منها. والحقيقة هى أن كلا المسارين متداخلين «انتهت فترة ترشيحى لعضوية «طليعة العمال» بعد شهور قليلة وحصلت على العضوية وهذا فى حد ذاته كان يعد معجزة، لأن عضوية المنظمة كانت «طويلة» المنال، وكان الترشيح يستمر لسنوات [راجع فى هذا كتاب «وثائق من تاريخ اليسار» أبوسيف يوسف. الفصل الثانى من الباب الخامس].

واستمر نشاطى فى جهاز الاتصال الداخلى. وفى أوائل يناير عام ١٩٥٤ - وكنت بالسنة الثانية فى كلية علوم القاهرة - أصدرت المنظمة منشوراً أظنه كان بمناسبة زيارة أديب الشيشكلى لمصر، يهاجم المنشور أنظمة الحكم العسكرية ويطالب بإنهائها وإقامة أنظمة ديمقراطية تتأسس على حرية تكوين الأحزاب السياسية والانتخابات الحرة وعودة الجيش إلى ثكناته. وفى ليلة ٦ يناير سافرت إلى سوهاج لقضاء عيد الميلاد مع الأسرة، فأخذت معى كمية صغيرة من هذه المنشورات لألقيها على ورش السكك الحديدية التى يمر عليها القطار فى دخوله البطئ إلى أرصفة محطة سوهاج. لا أتذكر إذا ما كنت نفذت ذلك من عدمه، ولكن ما أتذكره أنه بعد نزولى من القطار وأثناء توجهى إلى منزل الأسرة الساعة ٣ صباحا فكرت فى أنه من الضرورى التخلص مما فى سلتى من بقية هذه المنشورات حتى لا يرونها فى المنزل، فألقيت تلك المنشورات فى الشارع ككتلة.. ولحظة ذلك برز شرطى درك لم أره فى ظلمة الليل وقبض على واستعان بزميل له بإطلاق صفارته. حجزونى بسجن بندر سوهاج حتى الصباح حينما عرضونى على النيابة العسكرية التى باشرت التحقيق. كنت فى التاسعة عشر من العمر. مر التحقيق بمرحلة عاصفة فى منتصفة لاحتجاجى الشديد على تواجد ضباط بوليس فى غرفة التحقيق، ورفضت الكلام بإصرار ما لم يخرج الضباط ثم إعادة التحقيق من أوله مع جلوسى بجوار أمين سر الجلسة الذى يكتب ما

أقول.. وقد تحقق لى ذلك ولكن بعد احتداد كاد يصل لاستخدام العنف من جانبهم، لكن رئيس النيابة العسكريةحسم الموقف طبقاً للقانون.. كانت تقاليد ما قبل ١٩٥٢ لازالت باقية خاصة فى معاملة المتهمين فى قضايا الرأى والسياسة، وفى سلطة النيابة على البوليس حتى البوليس السياسى.

أمرت النيابة العسكرية بترحيلى إلى القاهرة فى ذات اليوم.. وفور وصولى، تم عرضى على مباحث أمن الدولة، ثم على رئيس النيابة العسكرية الذى أمر بحبسى احتياطياً بسجن مصر.

بعد شهر ونصف رحلونى إلى سجن سوهاج وكان ذلك بمناسبة صدور قرار الاتهام والذى كان يعد مفاجأة نادرة إذ أن صدور قرارات الاتهام كان يستغرق من ستة شهور إلى عام كامل وأكثر، وفى بعض القضايا كان يفرج عن رفيق متهم فور صدور الحكم رغم إدانته والحكم عليه وذلك لقضائه فترة الحكم كاملة وهو «تحت التحقيق».

المهم سجنت فى سجن سوهاج «المزبلة» لمدة شهر ونصف آخرين ثم رحلت إلى سجن أسيوط حيث تمت محاكمتى أمام محكمة عسكرية عليا يرأسها الأستاذ المستشار (العظيم) حسن عبد الوهاب العفيفى وعضوية اثنين من المستشارين وإثنين من ضباط الجيش. كان الحكم بأغلبية الأصوات حيث صوت المستشارون الثلاثة مع البراءة أما الضابطان فاقترحا الحبس لمدة ٣ سنوات، ورفض الاقتراح. كان حكم البراءة قد بنى على أسباب إجرائية هى بالتحديد:

١ - عدم توافر أركان جريمة الترويج لعدم وجود «مروج لديهم» لحظة إلقاء المنشورات فى الشارع.

٢ - بطلان القبض لأن الشرطيين اللذين قاما به لا يعرفان القراءة أو الكتابة فكيف عرفا أن الأوراق الملقاة «منشورات سياسية محظورة» وليست إعلانا تجاريا مثلاً؟

إن الأسباب الشكلية هذه مؤسسة على أقوال الشهود أنفسهم ولكن باستنطاق رئيس المحكمة لهم إذن المدة الأولى، فى المرة الأولى سجن، هى ثلاثة شهور ونصف أفرج عنى بعدها مباشرة لمدة شهرين فقط ثم صدر الأمر باعتقالى فهربت واختفيت، واستمر اختفائى بصورة كاملة حتى إلغاء الحكم العرفى فى عام ١٩٥٧ (٣ أعوام)، ولكنه ظل بصورة نسبية بعدذلك وحتى القبض على فى

١٩٥٩/٧/٢٩ (عامان)، واستمر اعتقالى حتى ١٩٦٤/٤/٤ أى ما يقرب من خمس سنوات أخرى.

كانت المنظمة قد قررت عقب الإفراج عنى فى مارس ١٩٥٤ - فصلى من المنظمة لمخالفتى قواعد مزاولة مسئوليتى مما كشفنى وعرض المنظمة لخطر أمنى، ولكن لموقفى فى التحقيق الذى جنب المنظمة تلك الأخطار فإنها ترشحنى للعضوية مع تغيير مجال نشاطى.

وفى عام ١٩٧٣ أصدر المدعى العام الاشتراكى أمراً بالقبض على: كانت مباحث أمن الدولة فى إحدى المحافظات قد ضبطت منشورا تحت الطبع فى محل أحد الرفاق. وباشرت نيابة أمن الدولة التحقيق ولكن نظراً لما انطوى عليه هذا المنشور من دلالات خطيرة فى نظر الدولة فقد أحال السادات القضية إلى المدعى الاشتراكى، وأمام المدعى الاشتراكى اعترف الرفيق بأننى أنا الذى سلمته مسودة المنشور. فصدر الأمر بالقبض على.

كان المنشور حول اتفاق «بالغ السرية» أبرمه السادات مع روجرز بوساطة عمر السقاف وزير خارجية السعودية آنذاك. يقضى هذا الاتفاق بتعهد أمريكا بحل «مشكلة الشرق الأوسط» على أن تنجز مصر ما يلى:

١ - إخراج السوفييت من المنطقة.

٢ - إنهاء ما يسمى بالاشتراكية والاقتصاد المخطط واتباع سياسة «الباب المفتوح» فى الاقتصاد.

٣ - إنهاء سياسة الوحدة العربية المعادية للاستعمار، ولا مانع من تضامن عربى «معتدل».

٤ - إعطاء النظام مسحة ديموقراطية بإقرار «تعددية ما» بدلا من الشمولية.

يلاحظ القارئ ما يلى:

١ - أن السادات نفذ كافة تلك الالتزامات بحذافيرها (طرد الخبراء السوفييت، والانفتاح، وهجومه على تصنيف العرب إلى تقدمى ورجعى، والمنابر).

٢ ـ أنه جرى ـ ويجرى ـ عمداً إخفاء هذا الاتفاق عن الشعب حتى الآن.

أقول أن الاتفاق كان «بالغ السرية».. فكيف وصل للشيوعيين؟! هذا هو موضوع التحقيق معي ـ فحسب الاعتراف المشار إليه، (واعترافات أخرى لم تسجل فى مضابط القضية) فإننى مصدر مسودة المنشور أو مشروع المطبوع الذى يكشف عن هذا الاتفاق الدامغ لأصحابه. لذلك كان التحقيق معي غير عادى بالمرة..

ولكن هذا ليس موضوعنا.. وصدر قرار محكمة الحراسة بالتحفظ على لمدة عام بسجن القلعة حيث أفرج على فى مارس ١٩٧٤ ولكن تبقى كلمة فالحقيقة أن مسألة «بالغ السرية» هذه كانت لم تعد صحيحة لحد كبير ـ وقت نظر هذه القضية، فرغم تلك السرية إلا أن صحيفة بريطانية نشرت نص هذا الاتفاق، ونقلته عنها عدة صحف أوروبية، ومن الطبيعى لأى مهتم بالسياسة ولديه «صلة بالاطلاع» على الصحافة الأجنبية أن يعرف بهذا الاتفاق السرى. إذن الموضوع لم يكن مسألة «بالغ السرية» إنما هى مسألة «بالغ السرية على شعب مصر».

وبحسبة جمع بسيطة يتضح أن مجموع سنوات الحبس والاعتقال والتحفظ والاختفاء ١/٣ + ٤ ٢/٣ + ٥ + ١ = ١١ عاما نعم أحد عشر عاماً بدأت منذ سن التاسعة عشرة.

تزامن الأمر باعتقالى بعد قضية ١٩٥٤، وهروبى منه، صدور قرار من كلية علوم القاهرة (مصدق عليه من الجامعة) بفصلى من الكلية «لاشتغالى بالسياسة بدون إذن السلطات الجامعية المختصة!!».

وانقطعت صلتى بالدراسة الجامعية بسبب الفصل والهروب حتى إلغاء الأحكام العرفية فى عام ١٩٥٧، فتقدمت للالتحاق بمعهد الخدمة الاجتماعية وأديت الاختبار اللازم واجتزته ولكن لأن القبول يتوقف على موافقة مباحث أمن الدولة (آنذاك) تم رفضى. وفى عام ١٩٥٨ انتقلت الأسرة للإقامة بالقاهرة، حينئذ علمت بفصلى من الكلية. غضبت والدتى وشرعت فى تأنيبى، هنا يبرز مرة أخرى فضل المرحوم والدى، حيث انتحى بها وقال لها: «أسكتى عنه فهو معذور، إنت نعجبك حالتنا؟!»

ثم اعتقالى فى يوليه ١٩٥٩، وعقب الإفراج عنى فى أبريل ١٩٦٤ تقدمت إلى كلية لعلوم لإعادة القيد، فاستشار عميد الكلية مباحث أمن الدولة التى اعترضت.. ولأن جميع الحالات المماثلة أعيد قيدها فقد كررت الطلب مرة ثانية وأيضا رفض بذات الطريقة.

فكرت فى إعادة الثانوية العامة نظام السنوات الثلاث.. وتقدمت باستمارة الامتحان، واشتريت الكتب المقررة من مخازن وزارة التربية والتعليم. وتصادف أننى بدأت قراءة كتاب الفلسفة فحزنت وغضبت لأننى وجدت نفسى فى مثل من حصل على بكالوريوس فى العلوم الطبيعية ثم فرض عليه أن يؤدى امتحان فى الأشياء والصحة المقررة على الأولى الابتدائية.

أعدت ربط الكتب التى اشتريتها وفكرت فى أن أتصل بالأستاذ الدكتور رشدى سعيد فهو عالم جليل وأستاذ بكلية العلوم واتصلت بسيادته تليفونيا بمنزله بعد أن عرفت رقمه من الدليل ووافق سيادته على استقبالى. عرضت على مسامعه مشكلتى وسلمته ملخصاً بها.. قبل مشكورا التدخل، وبفضل مجهودات سيادته لدى المرحوم الأستاذ الدكتور حلمى مراد وكيل جامعة القاهرة أعيد قيدى بكلية العلوم بقرار مباشر من الأستاذ الدكتور حشمت جادو مدير الجامعة دون مخاطبة للمباحث، وطلبت من الأستاذ حلمى مراد المعاونة فى تحولى منتسباً بكلية التجارة لأن سنى وعملى لايسمحان باستكمال التفرغ عامين كاملين لإنهاء كلية العلوم.. واستجاب الرجل. وبعد مقابلة صريحة مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز حجازى وافق سيادته مشكوراً على تبنى طلبى فى مجلس الكلية.. وقيدت فى كلية تجارة القاهرة منتسبا بقسم إدارة الأعمال فى العام ١٩٦٧.

أنهيت دراستى بالكلية وحصلت على البكالوريوس فى مايو ١٩٧١.

عقب الإفراج عن الشيوعيين فى عام ١٩٦٤، وبعد حل الحزب عام ١٩٦٥ اتخذت الدولة إجراء لتشغيلهم، فعينت بمؤهل متوسط فى المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية، بالشئون الإدارية. بعد حصولى على البكالوريوس تقدمت بشهادته للسيد المرحوم المهندس مرعى أحمد مرعى رحمه الله. وكان رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة، فوافق على نقلى للعمل بقطاع الشئون التجارية. فى وظيفة باحث

ثالث تسويق واقتصاديات شركات تابعة. برزت فى عملى، وحصلت على ترقيات متوالية حتى وصلت إلى الدرجة التى أحلت منها إلى المعاش وهى درجة (وكيل وزارة) - رئيس قطاع الموازنات التخطيطية والتكاليف..

الترقية إلى هذ الدرجة كان فى مايو ١٩٩١، وإنهاء الخدمة لبلوغ السن القانونية (المعاش) كان فى نوفمبر ١٩٩٤.

أعود الآن إلى مسيرتى فى الحركة الشيوعية..

فور انتظامى فى مجموعة المرشحين فى طليعة العمال، لاحظ المسئول- (المرحوم أنور نعمان) أننى محب للقراءة وشغوف بالمعرفة.. أعطانى فى البداية كتاب لمؤلفة بريطانية عنوانه «خراب مصر». أنهيته بسرعة. فأعطانى كتاب «لودفيج فيورباخ» ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية لمؤلفه فردريك انجلز..!!

كنت أعود من الكلية (العلوم) فى الخامسة مساء، أنام ساعة، ثم أستذكر حتى الساعة الثانية عشرة مساء، وبعد نوم أخى طالب الطب أخرج كتاب إنجلز وأحاول فهمه فأستغرق حتى الساعة الثالثة صباحاً فى صفحة واحدة.. فاستغثت كتابة.. سلم أنور رسالتى للقيادة وجاءنى رد يعطينى العذر ويوافقنى وينصحنى بثلاثة كتب: المادية الجدلية والمادية التاريخية لستالين، والاقتصاد السياسى لليونتيف، ومجموعة عبد الرحمن الرافعى عن تاريخ مصر الحديث (الحقيقة ليس تاريخاً وإنما تأريخاً للأحداث السياسية فى مصر).

وعن مسيرتى فى طليعة العمال، فإننى - بصفة أساسية أحيل إلى كتاب «وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصرى» الذى حرره المرحوم الأستاذ أبوسيف يوسف، وشاركته كتابة بابين هامين من أبوابه هما الباب الخامس «التنظيم فكراً وتطبيقاً فى طليعة العمال» والباب السادس «طليعة العمال ومسألة وحدة الشيوعيين».

إن هذا الكتاب يشمل كل ما يتعلق بطليعة العمال من واقع الوثائق أى المطبوعات التى أصدرتها ولأن بعض فصول هذا الكتاب كانت بمثابة عرض لوثائق «طليعة العمال» وليست نصوص تلك الوثائق، فإننى لا زلت أرى أنها لن تكتسب مصداقية

لدى المؤرخين إلا بإتاحة الوثائق ذاتها وهذا ما طالبت به ولازلت ألح عليه، فضلاً عن أن ذلك ضرورة علمية وتاريخية فإنه سيؤكد مصداقية الكتاب المشار إليه ومن ثم مصداقيته كمرجع للمؤرخين والسياسيين والمفكرين الذين يتعرضون لتقييم المنظمة ولكن عادة يبقى سؤال لابد أن تتناوله شهادتى ألا وهو حقيقة وقائع معايشتى للحياة الداخلية (التنظيمية) لطليعة العمال، وموقفها من مسألة وحدة الشيوعيين أو الداعين والمؤيدين لها من بين أعضائها ومدى امتداد ذلك على الممارسات داخل حزب ٨ يناير ١٩٥٨.

سأحاول ترتيب الوقائع قدر الإمكان، وعدم فصل موضوعاتها لتكون للقارئ أو المحلل الحرية الكاملة فى الاستنتاج من واقع الحقائق.

تزامن انضمامى لمنظمة «طليعة العمال» مع استلام فخرى لعمله فى إحدى المدارس الابتدائية بكفر الزيات، ومع ذلك استمرت العلاقة الوثيقة جدا مع فخرى بل وزاد التقارب بعلم أنور نعمن، وقد علم فخرى بانضمامى لطليعة العمال لم تصدر منه أى إساءة، فقط تعليق بكلمة واحدة: «حنبلة». ولم يحاول فى أى وقت تنفيرى منهم أو إدارة أى حديث لمعرفة معلومات، كان شفافا ومبدئيا، هذه حقيقة. ثم أنني أصبحت المحطة التى ينزل عليها فور قدومه إلى القاهرة. فى نفس تلك الفترة تعرفت على قريب للمرحوم أنور نعمان هو المرحوم أورليس ولا أتذكر فى أى كلية كان، وأصبحنا أصدقاء وكان يأتى عندنا ونتكلم في السياسة. أنور كان يقول لى لا تتعمق معه لأنه فى النجم الأحمر.

إذن هنا وفى وقت مبكر من ارتباطى بالحركة الشيوعية عرفت ثلاث منظمات. طليعة العمال التى أنتمى إليها: النجم الأحمر (أورليس) وطليعة الشيوعيين (فخرى لبيب).

ونقول (فى طليعة العمال) بذات مضمون الآراء والمواقف التى يقولها النجم الأحمر وطليعة الشيوعيين بالنسبة إلى الحركة الوطنية - حكومة الوفد - الموقف من الحلف الرباعى والنقطة الرابعة (فى ذلك الوقت) وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وكل القضايا السياسية، وأيضا حتى فى القضايا العمالية. ولكن الثلاثة كانوا يشتركون فى مهاجمة تنظيم عرفته من الجامعة عن طريق عادل حسين، وهو حدتو.

من هذا الاحتكاك، رفضت كل ما كان يقال عن أن كل «تفريعات» حدتو انتهازية، وهو رأى للبعض فى طليعة العمال وتوصلت إلى استنتاج أنه لابد حتى فى حدتو- طالما لها نشاط جماهيرى وتجند من هذا النشاط الجماهيرى. أقول لابد أن العضوية بها تضم مناضلين جيدين، ووثائق طليعة العمال قالت هذا المعنى، من هنا كان لى موقف محدد منذ البداية خصوصا فيما يتعلق بتقييم ما كان يسمى بتفريعات حدتو. ولكننى كنت مقتنعا تماماً بمنهج المنظمة فى الوحدة، إننى أتكلم بمفهوم تلك الأيام، الآن لى رأى آخر. كنت شديد الانضباط وشديد الاقتناع بالمنهج: منهج طليعة العمال وكانت مطالبتى باتخاذ مواقف عملية لتطبيق منهج الوحدة شيئاً عادياً فى الإطار التنظيمى لا يتضرر منه أحد أو يتضايق أو يبدى عدم رضاه. لم تكن هناك مركزية مطلقة أبدا، بالعكس كنا فى الخطوط السياسية أو فى المواقف السياسية تجد مشروعا لنناقشه فى الوحدات حتى فى وحدات المرشحين وينشر حتى فى المجلة الجماهيرية بعض الملاحظات الهامة والتى تضمنت معارضة أو نقد للقيادة تنشر ليس فقط فى النشرة الداخلية (الحوار الداخلى أو الحياة الحزبية الداخلية)، بل حتى فى «جريدة المقاومة» تنشر هذه الانتقادات، وبعد ذلك، بعد تلك المناقشات، تكون هناك إعادة صياغة ويطرح الموقف السياسى. لم تكن هناك عبادة فرد على الإطلاق، والاسم الحركى لسكرتير الحزب لم يكن معروفا حتى ١٩٥٦، وبسبب ديمقراطية القرار خصوصا فى المواقف الكبيرة كانت ردود الأفعال عندنا بطيئة بعض الشئ: الرسالة السياسية (خطة سياسية) كتبت عام ٥٢ وتم إقرارها بذات الطريق فنشرت عام ٥٤ أو ٥٥. فى مثل هذه الممارسة للمركزية الديموقراطية لا يمكن مؤاخذة أحد على رأى حتى لو كان مع الوحدة الفورية. قسم الطلبة عوقب للخروج على النظام وليس لرأيه، فأى عضو كان يمكنه أن يتكلم بأى رأى فى أى موضوع طالما فى مستواه حسب القواعد التنظيمية. والأكثر من ذلك كانت المنظمة حذرة فى اتصال أعضائها بأعضاء منظمات أخرى وأنا كنت على اتصال وثيق بفخرى وأورليس وبعد ذلك وأنا فى شبرا الخيمة كان الرفاق لهم اتصال وثيق بالمرحوم نجاتى عبد الحميد (نواة) وصلاح هلال (طليعة شيوعيين) وأحمد خضر (نجم أحمر)، وكانوا يعملون معاً عملا مشتركاً، لم يؤاخذنا أحد على ذلك، ومسارى التنظيمى يؤكد ذلك. أنا جندت فى ١٩٥١ وفى

١٩٥٥ أصبحت كادراً قيادياً مهماً رغم مواقفى هذه. ورغم موقفى من الوحدة، فى موقفى من المنظمات الأخرى وأعضائها (فخرى وأورليس وغيرهم) حصلت على العضوية، بعد واقعة الفصل للخطأ الأمنى، بمجرد إعادة ترشيحى ظللت شهرا مرشحا ثم أعيدت العضوية إلى كعضو لجنة قسم مباشرة فى شبرا الخيمة وكانت مهمتى تثقيفية - أكون مسئولا عن الدعاية فى قسم شبرا الخيمة. وكان كفاحى فى شبرا الخيمة هو تربيتى الحقيقية. وهو الذى أبرز الكامن فى نفسى وفى عقلى الباطن من كلام أبى ومن الحرب العالمية الثانية والكلام الذى ذكرته فى المقدمة ظهر كله فى هذه المسألة لأنه كان لدى استعداد لشحذ ما يسمى بالحس الطبقى، الذى لا يكون - عادة - عميقا فى فكر وسلوك المثقف العادى، والعمال كانوا شديدى الحساسية لهذه الصفة، ولكن تغير الحال بمجرد أن لمسوا تجاوبى وإيجابية رأيى فى العمل النضالى. بعد ١٩٥٤ - ١٩٥٥ كنت قد أيدت بسرعة تغير موقف المنظمة السياسى الذى حدث بالنسبة لحكومة عبد الناصر عندما تبنت الحكومة سياسة الحياد، ثم مؤتمر باندونج، وأصدرت منطقة شبرا الخيمة منشورا بهذه المناسبة بمبادرة منها كتبته أنا حيث كانوا يسمحون لنا بإصدار مطبوعات محلية بدون رقابة مركزية سابقة، المركز يراجعها ويعلق عليها بعد صدورها. قسم الطلبة نفسه أصدر ملحقاً لمجلة المقاومة الشعبية. أصدرنا منشورا لتأييد مؤتمر باندونج وخاصة الاتجاهات الرئيسية المعادية للاستعمار فى خطبة عبد الناصر وأبرزت فى هذا المنشور التقارب مع الصين، وطلبت تثبيت هذه السياسة بالديموقراطية: إلغاء الحكم العرفى، الإفراج عن المعتقلين، دستور وانتخابات، وتجنب معاداة الشيوعية، والمسئول المركزى أيد المبادرة ومدحها، كان هذا منهجاً ثابتاً لدى قيادة المنظمة، وكانوا متشددين فى الانضباط والأمن، ولكن ديموقراطيين داخليا وغير فرديين، وأصبحت مسئول تنظيم القسم بجوار مسئولية الدعاية وبدأ نمو كبير فى شبرا الخيمة: من خمسة أو ستة. ثلاثة منهم لم يكونوا يستطيعون دخول المنطقة إلا لو سبحوا فى الترعة التى تفصل بين شبرا مصر وشبرا الخيمة لأنهم لو عبروا الكوبرى فإن المخبر - الحداد - كان يقف لهم على رأس الكوبرى. أى أحد يمر يقبض عليه، وهذه الأسماء لابد أن أذكرها فى شهادتى، حسن الساكت ومحمد عبد المجيد أبو سيف وعبدالعال البسطويسى وعلى عمار وقريب له

كان اسمه الحركى جمعة، كان مريضا بالسل ورفيق آخر اسمه الحركى جلال وكان من الطرق الصوفية وكان مريدا لأحد مشايخها، ومع ذلك كان رفيقا مناضلا. لكن له كل احترام وتقدير، وكنا نراعي مواعيده مع مشيخته عند تحديد موعد اجتماعاتنا وهذا يعطى مؤشرا على تلقائية أننا جزء من الكادحين، ويبين أن الفكر التقدمي الذى يفصل الدين عن السياسة هو الذى يوحدهم خصوصا أن تصرفنا كان بالطبع تلقائيا ومن ثم غير قابل للتشكيك فى مصداقيته.

الأشياء التي عاصرتها فيما يتعلق بالتربية التنظيمية: الانحراف الأخلاقى مثل تعاطى المخدرات كان يواجه بحسم لا رجعة فيه: الفصل النهائى ولا يعود مرة أخرى، كذا السلوك الأخلاقى مع النساء. المهم أنه بدأ النمو فى شبرا الخيمة، فمن ٥ أو ٦ خلال عام ٥٤ إلى ما يزيد عن مائة فى أواخر ١٩٥٥ فتحولت إلى منطقة كبيرة. أصبحت عضواً بلجنة منطقة شبرا الخيمة أيضا، وتوليت فيها أيضا مسئوليتى التنظيم والدعاية من خلال مكتبين يضمان أعضاء من لجنة المنطقة وأعضاء من لجان الأقسام. كنت المثقف الوحيد وسطهم لكن رفاق شبرا الخيمة قدروا دورى بشكل كبير جدا فى المنطقة بمساندتهم طبعا وأجمعوا على انتخابى ضمن ممثلى منطقة شبرا الخيمة فى مؤتمر طليعة العمال الذى عقد سنة ١٩٥٧ وفى هذا المؤتمر لم يرشحنى أحد لعضوية لجنة مركزية أو لجنة مركزية احتياطية ولم أرشح نفسى. خرجت منه أيضا عضو منطقة وكنت راضيا جدا عن هذا لأنى كنت صغير السن - ٢٣ سنة وأشعر أنه رغم مساهمتى فى كل النشاطات الجماهيرية السياسية والنقابية والعمالية فى منطقة شبرا الخيمة إلا أننى كنت أرى عدم تأهلى للقيادة العامة. وتعلمت أن المسئول التنظيمى هذا مثل رئيس الأركان يكون فى موقع المعركة. موقع العمليات النضالية وبطريقة ما ومنظمة جدا وسرية جدا أقوم بإجراء المقابلات اللازمة لخدمة المعركة وتنفيذ خطواتها فهذا جعلنى مميزا حتى أن بعض الناس من مناطق أخرى - خصوصا أقسام الطلبة كانوا - يقولون أننى ممثل اللجنة المركزية لطليعة العمال لكن الحقيقة لم يكن هناك تدليل، إنما كانوا يقدرون الجهد الذى أقوم به والجدية النضالية التى يرونها. مع ذلك كنت دائما أعتقد أننى بعيد تماما عن الصلاحية للقيادة المركزية وفوجئت بعد اتفاق الوحدة أن المرحوم حسن صدقى يستدعينى، وكان يمثل مكتب

التنظيم المركزى فى اجتماعات منطقة شبرا الخيمة وكان مسئول المنطقة فى هذا الوقت عوض الباز ومشرف عليها من المكتب السياسى فؤاد عبد المنعم وكان أحمد سالم عضو لجنة مركزية فى طليعة العمال، ولكنه يحضر اجتماعات منطقة شبرا الخيمة بشكل منتظم وكذلك محمد عبد الغفار.

ناداني حسن صدقي، قال إن الكونفرنس الذى ينتخب الأعضاء المركزيين من ع. ف. فى اللجنة المركزية فى حزب ٨ يناير انتخبوك من ضمن (١٤) . كانت مفاجأة، وأتذكر أننى انزعجت جدا خوفا وا ستهوالا المسئولية علي. وأظن أن حسن استغرق معى حوالى ساعة أو ساعة ونصف أنهاها بنقد شديد لى نتيجة رد فعلى من هذا الاختيار. هذا هو المسار. هكذا لم أعانى أى نوع من أنواع الضغوط أو الاضطهاد بسبب موقفى من المنظمات الأخرى وكوادرها (أى الوحدة) بل كنت محل تقدير ويتم تصعيدى بشكل سريع واختارنى الكونفرنس. الذى لم أحضره عضوا فى اللجنة المركزية لحزب ٨ يناير، وبهذه المناسبة فإن فخرى فوجئ جداً بمستواى التنظيمى حينما التقينا فى أول اجتماع للجنة المركزية للحزب (حزب ٨ يناير١٩٥٨) .

ولكن بعد الانقسام تم تضييق اللجنة المركزية وأصبحت عضو ل.م. احتياطى، وبعد ضربة يناير ٥٩ عدت إلى اللجنة المركزية ومسئولا مركزيا لكل الصعيد نظراً لاعتقال الشهيد لويس اسحق ضمن الضربة.

إلى هنا أرجو من الدكتور فخرى لبيب والأستاذ رمسيس لبيب. المشرفان على شهادتى هذه أن يعاونا ذاكرتى بأسئلتهما.

أ. رمسيس:

هل كنت تجاهر بموقفك من المنظمات الأخرى والوحدة فى طليعة العمال؟

أ. نبيل:

طبعا، لأنه ما الغريب فى رأيى الذى يقول أن الزعم بأن الكل انتهازى خطأ والكل جواسيس خطأ لم يكن هناك أى نوع من أنواع الاضطهاد على رأى. لو اطلعتم على وثائق طليعة العمال ستجدون أن هناك أعضاء كانوا يكتبون إلى مجلة المنظمة بمثل تلك الاتهامات الموجهة لأعضاء المنظمات الأخرى وكان مسئولو تحرير هذه المجلات

يرفضون هذه الاتهامات ويرددون آراء شبيهة برأيى. وإضافة لما ذكرت خاصاً بالموقف منى: فى ١٩٥٥ ذهبت إلى مدرسة كادر كتلميذ. وكان مدرس المدرسة أبو سيف يوسف (لم يكن أحد فينا يعرفه). قالوا لى انتظر هنا بعد رحيل المدرس وزملائك. وانعقدت مدرسة كادر مرة أخرى مدتها أسبوع (وكانت فى مكان بعيد عن القاهرة) وجاء المدرس الآخر (كان حسين طلعت) . ثم قالوا لى انتظر، فانتظرت. وفوجئت بأنهم قالوا لى أنت المدرس؛ مباشرة أنت المدرس فى المجموعة الثالثة؛ كان الهدف من المرة الثانية مع حسين طلعت هو اتقان طريقة التدريس واتقان أسلوب إدارة المدرسة. فالرأى فى الوحدة أو حتى الاتصال السليم بأعضاء منظمات أخرى لم يؤثر فى عمق الثقة النضالية.

أ. رمسيس:

ما موقف التنظيم من الوحدة ؟

أ. نبيل:

صبرك. خذ مثالاً آخر سنة ١٩٥٧ كنت عضواً قيادياً بمنطقة شبرا الخيمة وأيضا تم اختيارى عضو هيئة التحرير المركزية لمجلة (كفاح الشعب) لسان حال حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى (أى طليعة العمال سابقا). وكان عبد الناصر أعطى تصريحات للصحفى الفرنسى اريك رولو مندوب ليبراسيون (ذلك الوقت)، تكلم فيه عن الأوضاع الداخلية والسياسية والمشكلة مع أمريكا ومع إسرائيل.

وباعتبارى عضو لجنة التحرير، كتبت مقال رد. قلت فيه إن كلام عبد الناصر جيد فيما يتعلق بقضايا التحرير الوطنى والموقف من أمريكا وإسرائيل، ولكنه خالف الحقيقة حينما قال بأنه فى وقت العدوان سنة ١٩٥٦ لم يضرب العمال وبعد أن انتهى العدوان وهزم لم يضرب العمال أيضاً، وهذا بسبب تأييدهم للثورة. ذلك لأن العمال لم يضربوا أثناء العدوان لأن النقابات التقدمية والقيادات اليسارية قالت لا نضرب الآن فكل الجهد من أجل دحر العدوان؛ وليس بسبب تأييد العمال لسلطة ثورة يوليو. أما بعد ذلك فهو بسبب الإرهاب المسلط على النشاط العمالى والتقدمى عموماً، ومع ذلك كان فيه إضرابات، ومواجهات فى انتخابات النقابات. وفى اجتماع هيئة تحرير المجلة

المخصص لإصدار عدد ذلك التاريخ وكان فى بيتى (الهيئة تضمنى ومحمد عبد الواحد وعادل الضبع برئاسة حلمى بس)، وجدت حلمى بس، قد جاء ومعه مقال فى الموضوع. قلت له أنت كتبت فى هذا الموضوع وأنا كتبت. قال هات ما كتبت. فقرأته عليهم، فقال: هذا الكلام مضبوط تماما. وقال إن مقالته يمينية لأنها أغفلت جانب الصراع الطبقى، يعنى قدم نقداً ذاتياً، ونشرت مقالتى ومزق حلمى بس مقالته. هذا هو المنهج فى أى مشكلة مهما كانت كبيرة (الوحدة) طالما الانضباط موجود ودقيق.

وتقارن هذه الواقعة بأخرى شبيهة لها حدثت معى فى حزب ٨ يناير كنت بجانب أننى المسئول المركزى لمنطقة قنا وأسوان (قبل الانقسام ومنذ تأسيس الحزب) فإننى كنت عضواً فى مكتب الدعاية المركزى وعضو هيئة تحرير مجلة اتحاد الشعب لسان الحزب. وكان مسئول المكتب ورئيس تحرير المجلة سعد زهران كتبت مقالاً بمناسبة وحدة مصر وسوريا ركزت فيها على المفهوم الديمقراطى وبالتالى يحدد المقال موقفا رافضا تماما لفرض الحزب الواحد على سوريا، مطالباً بالعكس بأن نمط الديمقراطية الحزبية والجمهورية البرلمانية السورية هو الذى يطبق فى مصر. ناقشنى سعد زهران على أساس أن هذا الرأى يضر بالوحدة الوطنية وبالحلف الموضوعى القائم مع السلطة الوطنية التقدمية، وأن الأساس فى الديمقراطية هو الديمقراطية الاجتماعية وهى موجودة رفضت هذا الفكر وأصررت على مقالى فى اجتماع هيئة التحرير، كما حدث مع آخر فى عدد سابق، فنظر إلى سعد زهران بابتسامة وهز رأسه، وبعد رحيلى مزق المقال ولم ينشره. أظن الفرق واضح بين ممارسة طليعة العمال وهذه الممارسة. وبهذه المناسبة يهمنى أن أذكر ما يلى :

كان يشرف على من المكتب السياسى أ. محمود العالم ورغم إنسانيته ودماثته كان فى حالتى التى أرويها قليل الحيلة، ويشرف على من مكتب التنظيم المركزى عادل سيف النصر، ومن مكتب الدعاية المركزى سعد زهران، وفى البداية كنت والمرحوم المهندس إسحق باخوم فى أسوان ووليم زكى فى أسيوط - ثلاثة فقط - من ع.ف، وبقية العضوية حدثو. وظن البعض أنها كماشة من فوقى ومن تحتى: من فوق قطعوا عنى المطبوعات وأسباب المعيشة. ولكن من «تحت»، كان قد حدث تحول،

فبالتعاون مع الرفاق أصدرنا مطبوعاتنا المحلية ولم يصلنى رقيب الإحتراف الهزيل إلا ٣ أو ٤ شهور طوال العام ٥٨ كله، فأعاشنى الرفاق. إن الوحدة بالمفهوم الماركسى الذى تعلمته أدت إلى أن فازت الحزبية النضالية هناك بالمرحومين الرفيقين عبدون وسيد العطار ورفاقهم الذين لا ينسون وهزم الإرهاب الرسمى غير المبدئى. وسجل محمود العالم فى المكتب السياسى إبان أزمة الانقسام أن منطقة جنوب الصعيد لم تتأثر بهذه الأزمة وهى الأولى فى الحزب فى النمو نضاليا وجماهيرياً وتنظيمياً، إذن نحطمت الكماشة بالمنهج المبدئى الصحيح.. فمن أين لى بهذا المنهج منذ اليوم الأول للوحدة؟

أ. رمسيس:

نعود لموقف المنظمة (طليعة العمال) نفسها من الوحدة؟

أ. نبيل:

لا يمكن الزعم بأن طليعة العمال كانت ضد الوحدة، فالوثائق تبين غير ذلك، إنها كانت ذات أسلوب متميز ومتشدد للوحدة فالتنظيم كان ضد الوحدة الفورية أو الاندماجية مثل أنواع الوحدة التى كانت تقودها حدتو مع بعض المنظمات الأخرى وبالتالى كان ضد وحدة الموحد وكان ضد وحدة المتحد. وكما يتضح من وثائق طليعة العمال منذ عام ١٩٤٧ دخلوا المفاوضات وحضروا اجتماع أو اثنين ثم قاطعوها.

لم يحدث أن قالت طليعة العمال بأنها ضد الوحدة. كانوا يقولون نحن مع الوحدة. لكن الوحدة التى تصفى الانتهازية. الوحدة على أساس ديمقراطى بمشاركة جميع الكوادر. أى أنه لا مانع من أن يكون هناك تنسيق مواقف، بشرط جديته وشفافيته وأن يتم بين القواعد في العمل الجماهيرى ويكون هناك مجلة خاصة لنشر جميع الأفكار. (أى ما يسمى بالصراع الفكرى)، الذى يدار على مستوى جميع المنظمات مع ضمان مشاركة جميع مستويات كل منظمة فى الحوار والذى ينتهى فى النهاية بإنتخابات وإختيارات وبلورة لأنواع الفكر، وتحديد دقيق وأمين لنقاط الاتفاق والخلاف.

و يجب ألا ننسى فى هذا لمجال أن طليعة العمال هى نتاج الوحدة بهذا الأسلوب بين «د.ش.» ومنظمة حتش* حينما، ونجحت تجربتهما عام ٤٩، كما حاولت وحدة عمل مع قواعد حدتو، وقواعد التيار الثورى عام ١٩٤٧ ولكنها لم تستمر طويلا.

* د. ش. هو الأسم الذى عرفت به طليعة العمال فى بداية الأربعينات من القرن الماضى، وحتش هو اختصار «منظمة حركة تحرير الشعب».

وأتذكر أن قسم الطلبة كان من الأقسام المناضلة فى طليعة العمال ومنذ سنة ١٩٥٥ تبنى القسم رأياً فى موضوع الوحدة لكنه انتهج منهجا طلابيا (كما كنا نسميه): الجلوس على المقاهى والتعامل مع زملائهم من المنظمات الأخرى وكشف أنفسهم لهم دون إذن. فاتخذت منهم إجراءات شديدة القسوة (حل القسم وتوزيع أعضائه لكن لم يفصل أحد). ولكن بعد ذلك (وبالمنطق القديم الذى كان سائدا) كانوا من أشد المناضلين فى الحزب الواحد ضد الانقسام وضد الانتهازية اليمينية، ويكفى أن أذكر مثالين منهم: الشهيد رشدى خليل والمرحوم عادل الضبع. كانا فى منتهى الصلابة فى مواجهة العدو الطبقى، فى منتهى الثبات فى مواجهة الانقسامية والتفتيت والانتهازية اليمينية. ومع ذلك اتخذت منهم فى ذلك الوقت إجراءات، لم تكن فصلا، لكن كانت حل القسم وتوزيعهم على أقسام أخرى لإعادة التربية. التنزيل أحيانا وأشياء مثل هذه، لكن لم يفصل أحد، بل تم نشر آرائهم فى الوحدة فى مجلة النشرة، وحينما نقدوا تصرفاتهم رفعت العقوبات.

وكان لهم مندوبون فى مؤتمر طليعة العمال عام ٥٧ والذى أعلنها «حزب العمال والفلاحين»، وصوتوا ضد تقرير الوحدة المقدم للمؤتمر وكانوا معارضين لتحويل المنظمة إلى حزب ومع ذلك رشح عادل الضبع لعضوية اللجنة المركزية الاحتياطية وتم انتخابه. ورشحته قيادة الحزب (العمال والفلاحين).

أ. رمسيس:

عاصرت المفاوضات الأخيرة لوحدة يناير ١٩٥٨، وما أثير خلالها عن القياديين بحزب العمال والفلاحين ذوى الأصل اليهودى.. رأيك فى هذا الموضوع وما إذا كانت له آثار على الحزب (حزب ٨ يناير ١٩٥٨) بعد ذلك؟

أ. نبيل:

سأتناول فى البداية نهاية سؤالك قبل بدايته ألا وهو الأثر على حزب وحدة يناير ١٩٥٨. فالواقع أنه لا أنا ولا أنت ولا د. فخرى، ولا أى أحد سمع؛ ولم يتردد؛ أن استبعاد الثلاثة رفاق المعنيين أثر بأى شكل على فكر وممارسات كوادر العمال والفلاحين داخل الحزب الجديد، أو كانت له علاقة من قريب أو من بعيد على تطورات الأمور داخل ذلك الحزب.

نأتى لرأيى فى هذا الاستبعاد للسبب الذى ذكرته وهو أصولهم اليهودية. حقيقة يملؤنى الخزى وأنا أسجل على لسانى هذا التعبير الغث «أصول يهودية» إنه تعبير ليس مرفوضاً من منطلق ماركسيتى ولكن من منطلق حضارى صرف. انظروا: النظام الملكى عين قطاوى باشا «اليهودى» وزيرا لمالية مصر، والملك الحسن الثانى كان لديه فى المغرب وزراء (يهود) مغاربة، والحبيب بورقيبة عين ضمن مستشارية اثنان من اليهود التونسيين. قطاوى عيِّن لأنه مصرى، ووزراء الملك الحسن لأنهم مغاربة، ومستشارو بورقيبة لأنهم تونسيون.

أى درك انحط إليه أولئك الذين أثاروا هذه المسألة ووضعوها كشرط أساسى للوحدة!؟ ولا تعاتبنى على الحدة. فنحن بصدد شوفينية دينية لدى قادة «ماركسيين» إن الأمثلة التى أوردتها ترد فى حد ذاتها على مقولة «المناسبة السياسية» أو «الضرورة السياسية» أو «الحنكة».. إلخ كل هذه الأكاذيب أما من الناحية الفكرية المبدئية فالأمر لا يحتاج إلى نقاش. الأدهى من ذلك أنه من الواضح أن «أسلمة» حرب فلسطين - الذى بنى كلية على الخلط المتعمد بين الصهيونية والدين اليهودى - قد قدم مساهمة فعالة فى ضياع فلسطين. (وهنا نذكر بموقف الإخوان المسلمين ومفتى فلسطين)، بينما أنه - بعد هزيمة ١٩٦٧ - وحينما عادت حركة التحرير الفلسطينية إلى كتاب «فلسطين بين مخالب الاستعمار» وإلى التحليل الماركسى اللينينى للصهيونية كحركة امبريالية، ثم عكست ذلك فى تقديم نفسها إلى الرأى العام العالمى كحركة تحرير قومية.. فقد كسبت هذا الرأى العام وفازت باعتراف الأمم المتحدة بها وحظيت بما يسمى.. الآن «المشروعية الدولية».. وهل ينكر أحد أن الشيوعيين هم أصحاب هذا الأساس الفكرى والسياسى فى النظر لإسرائيل والمشكلة الوطنية الفلسطينية، وذلك من منطلق فكرهم المادى الجدلى والتاريخى؟ وكيف يستقيم ذلك مع المقولة بالغة التردى «ذوى أصول يهودية» ومع التحلل الزائف بالمراءمة السياسية؟ ويعلم الجميع أن: أحمد صادق سعد هو الذى كتب عن «فلسطين بين مخالب الاستعمار» قبل حرب فلسطين.. هل تتصوروا!؟ قبل الحرب محذراً بأن المخطط الاستيطانى قادم ويستهدف كل فلسطين.. «وفتح» بحثت عنه بعد هزيمة ١٩٦٧ لتحصل على نسخة من الكتاب كمرجع لإعادة الفهم. وريمون دويك هو الذى علم وربى كوادر من الإذاعيين الذين

ساهموا في غرس الانتماء الوطني لمصر وشعب مصر وتراثه، وأصبحوا علامة في تعبئة الوعي الوطني المستنير. ويوسف درويش: يكفي أن أقول أنه يحظى الآن باحترام وتقدير كل الأوساط المستنيرة في الوطن - مصر. بينما يقبع الذين اشترطوا استبعاده في عام ١٩٥٨ في قبو الارتداد والتسليم. المسألة يا أستاذ رمسيس لم تكن لياقة سياسية أو حنكة سياسية. المسألة كانت تآمرية خائبة. لأن من اشترطها كان يعتقد أن هؤلاء الثلاثة هم عقل «طليعة العمال» فإذا ما استبعدوا فإنهم سيستولون على جسد بدون عقل. واتضحت خيبة تقديراتهم سريعاً.. فتحولوا للأسف إلى التعبئة ضد كوادر طليعة العمال ككل، وإشاعة تقييمات مغلوطة حولهم وحول ممارساتهم لتبرير «هروبهم» هم من سطوة هذه الكوادر وبأسها النضالي والفكري في حزب وحدة ٨ يناير.

أ. رمسيس:

عاصرت الانقسام الذي حدث ١١٥٨ بعد وحدة يناير ما رأيك أو تقديرك لهذه المسألة

أ. نبيل:

أنا تربيت في مدرسة تنظيمية كانت متشددة للغاية فيما يتعلق بقواعد المركزية الديمقراطية. نعم تكون هناك معارضة. وينشر لها ما تريد كله وتقول ما تريد، لكن هذه المعارضة لابد أن تلتزم بقرار الأغلبية، والخروج على ذلك سواء في نشاط جماهيري أو في نشاط تنظيمي. فضلاً عن العصيان. مرفوض تمام.

أ. رمسيس

من تدينه في الانقسام الذي حدث ؟

أ. نبيل:

أدين بهذا المنطق القديم العصيان، أدين الخروج على القواعد التنظيمية بعمل تشكيلات موازية كاملة واتصالات موازية، أدين سرقة المطابع، أدين الامتناع عن دفع الاشتراكات، أدين بعثرة المداولات الحزبية بأسماء أصحابها على المقاهي أدين

كل هذا. وهذا ما قامت به حدتو. طبعا هذا بمقاييس وأفكار ذلك الوقت أما الان فلى وجهة نظر أخرى جديدة تماما.

أ. رمسيس:

ألم يكن موجودا فى الجانب الآخر تكتل على حدتو؟

أ. نبيل:

لا ولكن أتذكر شيئا واحدا هو الذى أعتقد أنك تقصده. أن بعض كوادر العمال والفلاحين شعروا أن البعض من المكتب السياسى للحزب الواحد الذين يمثلون طليعة العمال - يواجهون الانقسامية بشئ اتفاقى لا مبدئى. قال سيف لا مانع لدى أن أعقد معهم اجتماعا أو أعلن أننى عقدت معهم اجتماعاً فدعا بعض الكوادر لاجتماع حضره حوالى عشرين شخصا من كوادر العمال والفلاحين. هؤلاء الكوادر كانوا مقتنعين بضرورة فصل العصاة على أساس اللائحة . وكنت من ضمن الحاضرين واعترضت أنا وسامى عجيب وأحمد سالم على عقد اجتماع أصلا، ولكن أبو سيف أكد أنه مسئول عن ذلك وأنه مستعد للإعلان عنه لأن نتائجه غير ملزمة وأنه دعا إلى عقده لإزالة مخاوف راودت المدعوين.

أ. رمسيس:

لكن فى الواقع ؟!

أ. نبيل:

بالنسبة لجمهرة كوادر وعضوية ع.ف. لم يوجد تكتل أو اتصال جانبى فيما بينهم. أؤكد هذا أما فى م. س. لا أعرف . بالعكس كان الاتجاه عندنا نحن الكوادر الذين اجتمعنا أن معظم كوادر حدتو. خاصة فى الموحد. أقرب لنا من الراية. فلم نعرف إن كان ثمة اتفاق أم لا، وهذه حقيقة هامة نرد فى حد ذاتها على مسألة تكتل الدفع للانقسام، وسيف أنكر فى الاجتماع وجود اتفاق، وصدقنا، وأثيرت المسألة فى المعتقلات بعد ذلك. كل هذا التاريخ مهم، لكن الأكثر أهمية الآن (بعد مرور هذا

الزمن الطويل الذى حدثت خلاله تطورات عاصفة) هو البحث عن الأسس العلمية للظاهرة المسماة بالانقسامية فى الحركة الشيوعية.

لازلت ماركسيا - ليفينيا - بغض النظر عن وجود تنظيمات من عدمه - ولازلت شديد الاهتمام بالحركة الماركسية العالمية. ومثلى مثل غيرى من الماركسيين فإن موقفى هذا هو موقف منطقى مع نشأتى ومع ذلك التاريخ الطويل لتجربتى السابقة، لذلك كان من الطبيعى بعد انهيارات ١٩٩١ أن أعيد دراسة كل شئ من بداياته ومن أصوله الفكرية والسياسية سعياً للتوصل إلى الدروس المستفادة. وبالرغم من أن توثيق الحركة الشيوعية معنى بالواقع الفعلى لمعايشة كوادرها للتجربة، إلا أننى أرجو أن يسمح لى: وقد تجاوزت السبعين أن أسجل ضمن شهادتى خلاصة خبرتى فى مسألة الانقسامية هذه أو بصورة أدق خلاصة رؤيتى للأسس الموضوعية (من وجهة نظرى الحالية) التى يتعين أن تناولها بها. وتتلخص هذه الرؤية فيما يلى:

أن كل الذى حدث فيما يتعلق بصراعات بين المنظمات الشيوعية وبعضها، وكل ما يتعلق بالوحدة، يجب أن يدرس بمنظور مختلف تماما. هذا المنظور يتلخص فى الآتى: فى المجتمع المصرى نجد أن الطبقة العاملة بالمفهوم الأكاديمى لم تكد أن تكون قد تبلورت بعد، فجزء كبير جدا لازال يرتبط بإنتاج الأرض أو بالإنتاج الحرفى فى البيت. أو يستخدم جزءاً من المسكن الشعبى الذى حصل عليه كمحل بقالة - أو يأخذ المسكن الشعبى ويحيطه بحديقة ويأتى ببعض الماعز أو الدواجن ليبيع فيها ويشترى، نضيف لهذا فإنه فى السنين الأخيرة أصبح الآلاف من حملة مؤهلات فنية محترمة عمالا. إذن تباين كبير. لازالت الطبقة العاملة مليئة بالإمكانيات. وستظل وستظهر وسطها اتجاهات تقدمية ويسارية ماركسية ولكن متباينة فى تفسيرها للواقع ومتباينة فى توجهاتها - على الأقل الآنية - بالنسبة للأوضاع الاجتماعية والسياسية بسبب تكوينها الحالى. ولا يفوتنى فى هذا السياق أن أذكر بأن العامل ليس هو من يلبس الأوفرول ويعمل بيده. إن هذا اجتزاء للفهم الماركسى: إن العامل هو من يعمل بذهنه أيضا وينتج فائض قيمة وهذا يؤكد حتمية تعدد النظر الماركسى وإذا كان هذا بالنسبة للطبقة العاملة، فكيف الأمر بالنسبة للبورجوازية الصغيرة وكيف الأمر بالنسبة للفلاحين. فإذا أضفنا المشكلة الوطنية فى ظروف الأربعينات وما ترتبت عليها من أثر

الاتحاد السوفيتى فى جذب حتى عناصر الطبقة الوسطى للماركسية فإن رؤية جديدة لابد أن تطرح نفسها علينا، هذه الرؤية تتلخص فى:

إن التعددية فى الحركة الشيوعية كانت طبيعية مع واقع المجتمع المصرى. وكان الشئ الصحيح الوحيد هو الاعتراف المتبادل بين هذه التعددية وعدم الدخول فى صراع وقبول جميع الأطراف لبعضها، والعمل المشترك فيما يتفقون عليه. ونحن بالضبط فعلنا مثل الثورة الجزائرية. ومثل الفلسطينيين. إن عدد القتلى فى الصراع بين الفصائل الوطنية الجزائرية أو بين الفصائل المسلحة الفلسطينية فيما بين بعضها البعض أو بينها وبين سوريا ولبنان والأردن، أكثر من عدد القتلى الذين قتلتهم إسرائيل فى فلسطين وفرنسا فى الجزائر. الجهد الذى استنزفناه فى الصراع الداخلى كانت خسارته أفدح بكثير مما وجه لنا من اضطهاد وضربات من السلطة.

هذه وجهة نظرى فى كل ما يثار، فيما يتعلق بالتاريخ الذى يسمى انقساميا، وهو ليس تاريخا انقساميا، إنما هو تاريخ تعددى. واليوم يناقش فى العالم كله أن توجد فى الحزب الواحد عدة منابر ويكون مسموحا بالتكتلات ومسموحا للمعارضة أن تجتمع وحدها، لكن تلتزم بوحدة العمل. هذا الشئ هو الجديد الموجود. فنحن افتقدنا المنهج. كما افتقدته السلطة السوفيتية بعد سنة ١٩٢٧ حينما افتقدت توجهها الرئيسى وهو ديمقراطية الشعب، وفاعلية سوفييتات العمال والفلاحين والجنود. نحن افتقدنا للحقيقة البديهية الجوهرية والمحورية ونسفناها، هذه الحقيقة هى أن المرء لا يمكن أن يكون اشتراكيا إلا إذا كان ديموقراطيا حتى النخاع. ومن باب أولى أن تكون الديمقراطية بيننا وبين بعض. نحن افتقدنا هذا ولذلك حدث ما حدث. ولذلك لو وضعنا هذا الأساس فإننا سنكف عن أن نلهث فى حوارى الحركة الشيوعية على أساس (حمتو) و (حدتو) و (راية) و (وطليعة العمال)، إنما ندرسه على أساس فكرى كامتداد للستالينية. حينئذ فقط سيمكن دراسة الخطأ والصواب فى فهم الحركة الشيوعية ككل للواقع المصرى وبالتالى الخطأ والصواب فى البرامج والنضالات العملية وأساليب تلك النضالات.

ولذلك فإننى أنبه بأن شهادتى فى هذا الشأن يجب أن تؤخذ من منظور حقائق قديمة وليس فكرا.

أقول لابد أن ندرس هذا التاريخ على أساس فكرى جديد. باعتبار أننا رفضنا التصدية امتدادا للفكر الستاليني بقوالبه الصماء: «لا شيرعية خارج الحزب»، «الحزب السوفيتي قائد الأممية»، و «الموقف منه معيار الموقف من مبدأ الأممية البروليتارية»، «قيادة الحزب للدولة والمجتمع بنص دستوري».

أ. رمسيس:

أنت قفزت لجوهر الموضوع: الانقسامية. ممكن نكمله بعد ذلك. لكن قبل ذلك أسأل سؤلا. لماذا فى طليعة العمال لم يحدث انقسام فى تاريخها كله؟ يمكن وجهت هذا السؤال ليوسف درويش وطه سعد والعديد من الزملاء. لماذا لم يحدث انقسام فى طليعة العمال؟

أ. نبيل:

هذا عصر الصراحة. ولابد للمرء أن يعترف بالحقيقة.

طليعة العمال ظلت فترة طويلة منظمة قليلة العدد، ولكن واسعة التأثير جماهيريا. ولا يمكن لأحد أن ينكر اتساع جماهيرية طليعة العمل أكثر من حدتو. حدتو كانت بارزة فى مجال المثقفين، وهم قالوا إننا كنا فاشلين بعض الشئ فى معاملة المثقفين (مثل عبد الرحمن الشرقاوى ورشدى صالح وغيرهم). ولكن فى الأوساط الشعبية كنا أكثر تأثيرا. وكانت توجهات طليعة العمال أكثر شعبية. ولنرجع إلى الوثائق لنرى كيف كان التأثير من خلال لجنة العمال للتحرير القومى شاملا من عمال الشحن فى الموانئ حتى عمال المحاجر فى الصعيد، ولنتأمل وندرس جيدا خبرة نضالها مع الطليعة الوفدية، وجمعها عشرات الآلاف من التوقيعات لتأييد يوسف المدرك كمندوب عمال مصر فى تأسيس الاتحاد العالمى للنقابات.

أ. رمسيس:

فى الطبقة العاملة. لكن وسط الفلاحين لا.

أ. نبيل :

من الذى قال هذا؟ فى فترة ما قبل عام ١٩٥٠ كان لهم نضال فلاحى يستهدف إقامة اتحاد للعمال الزراعيين وأصدروا مجلة (الفلاح). وبعد عام ١٩٥٠ كان هناك

نشاط وسط الفلاحين فى محافظة المنيا ووسط الدلتا، وعموما لا يمكن القول بأن أى منظمة كان لها دور فلاحى بالمعنى الحقيقى على النطاق القومى، مثل هذا الدور كان محدوداً للجميع . وهذا التأثير يجعلنى أقول إن ما حصن طليعة العمال ضد الانقسامية هو توجهها الجماهيرى الذى لم تترجمه فى حجم للعضوية (وهذا خلل بلا شك) ولكنه زودها بمنابع أصيلة حقيقية فى ممارسة ديمقراطية داخلية . وهذا ما حماها من الانقسام. ولا يوجد سبب آخر.

أ. رمسيس:

يتمثل فى ماذا ؟

أ. نبيل:

المنهج الديموقراطى هو الأصل فى القرار. أعطيك مثالا: ذات مرة حدث خلاف بين اللجنة المركزية ومنطقة القاهرة حول التوجه فى انتخابات نقابة نسيج القاهرة وكان للمركز وجهة نظر والمنطقة والمكتب العمالى لهما وجه نظر أخرى. اللجنة المركزية لم تأخذ قرارا واجب التنفيذ، إنما عقدت كونفرنس، والكونفرنس أخذ قراراً ضد توجهات اللجنة المركزية ونفذ قرار الكونفرنس وكان خاطئا. وعلقت اللجنة المركزية بقولها: «نحن لسنا غاضبين، إنما هذا يجعل الزملاء يكتسبون خبرة، يجعلهم فى كونفرنساتهم القادمة يضعون منهجا للتفكير يأخذون فيه هذه الخبرة». حتى لم تقل يتبعونه أو ينصاعوا لقرارات اللجنة المركزية. لا «الكونفرنسات القادمة»، «هذه الخبرة تعطيهم منهجا لاتخاذ القرار الصائب». هذه هى ممارسة الديمقراطية داخليا. لهذا الحد. هذا هو الذى حمى طليعة العمال من الانقسام، وليس هناك أى سبب آخر.

د. فخرى:

من واقع معايشتك للتجربة هل ترى أن «طليعة العمال» كانت لديها قناعة بالوحدة رغم تواتر فكرة «الماركسى والمتمركس» بين صفوفها قبل الوحدة، وفكرة ضرب اليمين باليمين التى ترددت أثناء انقسام منتصف ١٩٥٨ ، ورغم اجتماع العشرين الذى دعا إليه الأستاذ أبو سيف يوسف وضم كوادر منكم لهم مراكز مختلفة ومن مستويات تنظيمية مختلفة فى حزب ٨ يناير. إنك تحدثت جزئياً عن ذلك ولكن للموضوع هام

ورئيسى ويحتاج رداً بالوقائع خاصة مع تأكيدك على التقاليد الانضباطية المتشددة فى تربية كوادر العمال والفلاحين؟

أ. نبيل:

أنا أعلم أن الدكتور فخرى وافق على وتبنى فكرة ضرورة تصويب الأسس الفكرية التى نتناول بها التأريخ للحركة الشيوعية المصرية فالمسألة ليست «تاريخ انقسامى» وانما هى مشكلة انجرافنا فى التحريفية والاجتزاء الماركسية الذى ساد الشيوعية العالمية فقصرت عقولنا عن إدراك حقيقة موضوعية بديهية ألا وهى حتمية التعددية الحزبية الماركسية.

ومن غير المنطقى أن نتوصل إلى أن المشكلة كانت فى عدم الاعتراف بالتعددية وليس فى الانقسامية (فارق كيفى بين النظرتين) ثم نستغرق وقتنا ونستنفذ مجهودنا الذهنى فى تحقيق: من الذى كان «وحدوياً» ومن الذى كان «انقسامياً»؟ ومع ذلك فإن الواقع ملىء بما يزيل الالتباس الذى يشير إليه دكتور فخرى حتى إذا نظرنا إلى هذا الواقع بمنظور واحد هو المنظور القديم.. منظور الوحدة والانقسام.

سبق أن قلت أن جمهرة كوادر حزب العمال والفلاحين (طليعة العمال) كانوا يعتقدون أن كوادر الحزب الموحد أقرب لهم من كوادر «الراية» خاصة فى الممارسة الجماهيرية (جانب فيها كان مشتركا) ثم فى الفكر بالنسبة لعدد مؤثر من كوادر الموحد. وقلت أيضا أن هذه الجمهرة كانت مجمعة على ضرورة بتر العصيان ولكن على أساس بنود اللائحة وليس على أساس اتفاقات ومن هنا انتقل إلى موضوع اجتماع بعض كوادر العمال والفلاحين فى ذلك الوقت، قلت أن أبو سيف يوسف هو الذى دعا لهذا الاجتماع، لأنه كانت هناك بلبلة كبيرة وسط العمال والفلاحين لأنه وإن كانت الغالبية الساحقة من عضويته وكوادره عارضت المنهج الذى تمت به الوحدة، وكانت مصرة على أن تتم عن طريق استمرار النقاش فى الخط السياسى والخطوط التنظيمية، وأن يفعل التنسيق ويصل إلى إنتخابات وتكوين ديمقراطى للحزب الجديد. لكن بعد الوحدة تحولوا إلى تمسك شديد بوحدة الحزب بالمنطق الذى تربوا به وهو أن أى خروج على قواعد التنظيم سيفتت الحزب. إذن يجب أن تواجه بعنف شديد جدا

وحدث تسييس لهذه العملية بأن أخذ فى الاعتبار الفكر السياسى فهذا أحدث «لخبطة». الناس فى الموحد أقرب لنا، وهؤلاء قادتهم هم الذين سيفصلون، وقادة ليست لهم جماهيرية وهم منظرو اليمين وهم الذين سيبقون، كلام يملأ الشارع الشيوعى حول اتفاقات علوية تمت. سيف الذى دعا للاجتماع، وقال سوف أقول إننى الذى دعوت للاجتماع لذلك هم قبلوا، والذى جعلنى أعرف ذلك. عندما حضرت أنا وسامى عجيب وأحمد سالم اعترضنا على عقد الاجتماع، وقلنا سيكون اجتماعا تكتليا. فقال سيف أنا أتحمل مسئوليته. أنا عضو لجنة دائمة، وأنا الذى دعيت لهذا الاجتماع. بسبب أن الحالة وسط كوادر طليعة العمال السابقين كانت ستساعد على تفاقم الأوضاع الانقسامية فى الحزب، فأنا ألم الموضوع وأنا أتحمل مسئوليته لأن المسألة حزب أو لا حزب، وغير مطروح الاتفاق بيننا على موقف أو قرار. المسألة كلها تنحصر فى مسئول يوضح بعض الأمور دون إلزام أو التزام.

لذلك لم يكن تكتليا، ولم نصل لقرار، لم تتخذ قرارات، ولم يكن رأسيا. كان الحضور عبارة عن اختيارات أنا مثلا دعيت بمناسبة وجودى فى القاهرة. وهناك نقطة هامة جدا أننا الذين حضرنا وحتى نهاية اللقاء لم نعرف أى شئ عما تم فى م. س ولم يتخذ اتجاهاً أو قراراً ليلتزم به زملاء طليعة العمال فى الحزب الواحد. لا. هى كانت مناقشة بين مجموعة. وكثيرون منها - لم يكونوا على علم بسبب هذا الاجتماع، ولم يذكر فى الاجتماع أى معلومات عن مداولات المكتب السياسى، وهذه نقطة هامة جدا. ثم إنه فى هذه المسألة الخطيرة تاريخيا بالنسبة لغالبية الكوادر الأساسية من العمال والفلاحين والتى تتعلق بتقييم ممارستهم، لابد من وضعها فى الإطار العام لسلوكهم منذ وحدة الحزب فى يناير ٥٨ وأثناء عملية الانقسام، ثم فى المعتقلات وحتى حل الحزب، ولنتتبع ذلك بوقائع يشهد عليها فخرى:

الشهيد لويس إسحق عضو ل. م. ومسئول مركزى شمال الصعيد، وأنا مسئول مركزى جنوب الصعيد، وسيد سالم مسئول مركزى وسط الدلتا. نحن فقط حظينا بتحية خاصة سجلها أ. محمود العالم فى اجتماعات م. س لماذا ؟ لأننا المناطق التى لم تستغرق فى الصراع الداخلى، وأعطينا هذا الصراع ظهورنا وكان همنا ممارسة النضال الجماهيرى والتوسع فى التجنيد. فهل كان هذا لحساب الحزب أم لحساب تكتل

مزعوم لطليعة العمال؟ وهل تم بأعضاء وكادر طليعة العمال أم بجملة عضوية الحزب.. حزب ٨ يناير؟.

أين التكتل هنا والأستاذ فخرى يعلم من هم لويس وأنا والسيد سالم ومكانتنا بين كوادر ع.ف. ويعلم أنه فى حالة السعى والحشد لاتفاق تكتلى فلابد أن نكون نحن الثلاثة من المدبرين والمنظمين للعملية، ويعلم أن هذا لم يتم.

وحينما رد أ. محمود العالم على كلمتى فى ل. م. التى أيدت فيها فصل العصاة على أساس لائحى فإنه قال بالحرف: أن كلام الرفيق ينم عن إخلاص حقيقى للحزب ولوحدته.. ولكن كيف؟ ثم عرض لوجهة نظره من خلال كيف؟

والأستاذ فخرى، بل وكل قيادة حدتو نفسها يعلمون تماما أن أحدا لم يتصل بى فى أسوان، وأننى منذ أول لحظة لممارستى مسئوليتى كنت وآخر فقط من ع.ف. فى المنطقة لفقلت مسألة العد والحصر، ثم أن من قام بالتعبئة ضدى حتى قبل وصولى بهدف «تطفيشى» هما أحمد خضر ومحمد عباس فهمى، اللذين اتصلا عدة مرات من وراء ظهرى بالصديق العزيز العظيم الراحل عبدون ولكن الرجل من واقع ما لمسه فى منهجى النضالى والحزبى وتحملى معاناة حجب المطبوعات ورواتب الاحتراف قام بطردهم وحذرهم من معاودة لعبتهم ورد عليهم بأنه فضح هذه الاتصالات فى محضر جلسة لجنة المنطقة وكشف العدد الحقيقى للعضوية فطلبت على الفور فى المنطقة أن يوافق الأعضاء على شطب الفقرة الخاصة بالعدد وطرحت ما إذا كانوا يوافقون على استمرار الرفيق الآخر (ع. ف.) فى المنطقة أم ينزل للمستوى الذى يرونه فأصروا على استمراره.

هذه الوقائع تثبت بأن تحرك قيادة حدتو فى حزب ٨ يناير مدبر ومبيت.

ثم الجميع يعلمون أنه فور صدور بيان للمكتب بشأن الوحدة المصرية السورية أنا الذى أرسلت إلى مجلة الحياة الحزبية دراسة ترفض هذا البيان على أساس أنه علميا لا توجد قومية عربية. وكان الذى صاغ البيان المرحوم د. فؤاد مرسى، فاتهمت البيان باليمينية لموافقته على الوحدة مع «التحفظ» بشأن «أسلوبها»، واعتبرت أن «الأسلوب» أى قضية الديموقراطية هى الأساس كما سبق وذكرت وبعد ذلك صدر تقرير المكتب

الدائم حول الاتحاد القومي ودار حول إمكانية تحويله إلى جبهة وطنية، فهاجمته في مجلة الحياة الحزبية بعنف بدراسة مطولة حول الجبهة الوطنية على أساس أنها لا تقوم مع البرجوازية إلا بمحاصرتها جماهيريا بالمحور العمالي الفلاحي، فهي لن تسمح بأن يتحول حزبها إلى قوى خارجها. وكان كاتب تقرير المكتب الدائم هو أيضا أ.د. فؤاد مرسي رحمه الله مع محاولة بعض التعديلات من أ. أبو سيف يوسف.

ويعلم الجميع أن كوادر ع.ف. صارعت في الحزب الجديد على أساس ما تعتقد أنه الصحيح حزبيا في السياسة والتنظيم. في السياسة ضد ما كانت تسميه التحريفية اليمينية، وفي التنظيم بمواجهة العصيان على النظام الحزبي ببذر العصاة، لم تكن اتفاقات ولم تعلم باتفاقات، وممارسات كوادر طليعة العمال كانت مبدئية وصادرة عن قناعة كل منهم منفرداً.

وعلى أي الأحوال فإنني أكرر بأنني أسرد الواقع هنا بالمنطق القديم، ولكنني حاليا لا أدين حدتو، إنها كحزب لها فكرية خاصة، ولها تفسيرها الخاص للماركسية وتطبيقها على الواقع المصري، ولها تقاليدها التنظيمية الداخلية الخاصة ووجدت منذ اليوم الأول أنها ستكون في حزب ٨ يناير أقلية، وحسب لائحة هذا الحزب فإن الأقلية ستخضع في ممارستها السياسية والجماهيرية والتنظيمية للأقلية، أي أن حدتو ستحل، ورفضت أن تحل، هذا حقها ديموقراطيا كحزب. نعم من حق كل حزب أن يحافظ على استقلاليته وتميزه الفكري والسياسي والعملي، إن موضوعية الواقع الاجتماعي للجماهير التي كنا نتوجه لها في ذلك الوقت (نحن وهم) يتسق تماما مع هذه الحتمية في الاستقلالية الحزبية آنذاك.

أما ما لا أوافق عليه حتى الآن أن يتم ذلك بسرقة المطابع ويكشف كل الأسرار في الشوارع، الأمر الذي لو أضفنا له مسألة العد والحصر هذين الأمرين جعلا من وحدة ٨ يناير كارثة أمنية للجميع.

أ. رمسيس:

لم تتناول مسألة أن قيادات طليعة العمال لم يكن لديها قناعة بالوحدة كما قال فخري.

أ. نبيل:

لابد أن نفرق بين شيئين بين القناعة بالوحدة وبين الخوف من مصير الوحدات الاندماجية، بل وتوقع هذا المصير والاعتقاد بحتميته ومن ثم رفض نمط الوحدة بالاتفاق العلوى، الكوادر كلها والعضوية مقتنعون فكريا (ومن الواقع) بأن الوحدات الاندماجية والاتفاقية مصيرها مزيد من الانقسام، حتى رفعت السعيد فى كتبه قال هذه الحقيقة فى الوحدة التى أسست حدتو قال إنها تمت بدون مناقشة أمور سياسية أو تنظيمية كل هذا تأجل، ولذلك أدت لانقسامات. قالها بالحرف الواحد.

فهنا المسألة كانت تمسكاً بالطريقة التي بدأت بها محاولة الوحدة الأخيرة سنة ١٩٥٦ وبأن تستمر، وكان قد بدأ يحدث فيها نضج فعلا. وبدأ كل تنظيم يقدم خطه السياسي فعلا (يعنى المتحد ونحن) إلى مكتب التنسيق المركزى وتناقش الخطوط، وتم نشرها وتوزيعها، وأوشك إصدار مجلة حوار لنشر الآراء المختلفة فيها، وكان ينبه على أن تكون المناقشة بأقصى قدر من الموضوعية. وبدأ يحدث استقطاب - فى رأيى - خلال فترة صغيرة (أربعة أو خمسة أشهر). كنت فى لجنة تنسيق شبرا الخيمة وكان معى الشهيد عطية الشافعى، وكان هناك آخران. وصلنا فى نهاية التنسيق إلى أن الآخرين كانا يختلفان مع الشهيد شهدى ويتشاجران معه أكثر من اختلافهما معى. وتحضرني واقعة طريفة، كنت أركب معه الترام وأناقشه فى مسألة منطق الوحدة والصراع مع السلطة الوطنية ومقارنة هذا بالمنهج الخاص بتكتيكات للثورة، فهل نسير بالثورة الوطنية لنقلها إلى سلطة جديدة أم نسير حتى البرجوازية فحسب فنظر لى ولم يرد على موضوعيا وإنما قال «أنت رفيق تحفة»، بينما نظر إلى رفيقيه (من الموحد أو المتحد) واعتذرا عن هذا التعليق وعبرا عن تأييدهما لفكرتى.

كنا فى الممارسة العملية بدون المركز نرى ثماراً لما يمكن أن نسميه الوحدة الديمقراطية وليس الاندماجية أو الفوقية فلا نستطيع أن نقول أن هذا اتجاه ضد الوحدة. لازلت أعتقد بأنه ليس اتجاها ضد الوحدة بالعكس أعتبر حتى - من منظور التعددية - أن هذا هو اتجاه الوحدة الصحيح.

فى مسألة ماركسى ومتمركس يجب أن نفرق بين القيادة المركزية كأغلبية فى طليعة العمال وجمهرة الكادر وبين أفراد (لهم تأثير - أى نعم) ولكن قليلين ولم يكن

اتجاههم غالب لأنه حدث تغيير كبير جدا منذ سنة ١٩٥٠ وما بعدها فى قيادة طليعة العمال فلا نستطيع أن نأخذ رأى فرد أو اثنين لهم شهرة خاصة ويترتب على ذلك تناقل أى كلمة منهم ونعتبره الاتجاه الرسمى الغالب واتجاه الجمهرة ونقول إنه موقف المنظمة - هذه هى الفكرة.

ثم أن هناك اتجاها فى حدتو ينطبق عليه هذا الوصف ففى وثائق طليعة العمال توجد رسالة من مارسيل إسرائيل إلى د. رفعت السعيد تعليقا على كتب الأخير حول تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر، وأورد مارسيل فى رسالته فقرة من كتاب ألفه أحد أصدقاء هنرى كورييل عن حياة وفكر كورييل، وكان تأليفه لهذا الكتاب ونشره بمناسبة إحياء ذكرى كورييل بعد اغتياله، هذه الفقرة يقول فيها كاتبها إن كورييل كان ماسونيا ولم يكن ماركسيا على الاطلاق.يترتب على ذلك حقيقة موضوعية يمكن الاطمئنان إليها وهى أن مدرسة كورييل متمركسة وأن هذا ما يفسر كثرة الانقسامات عليها حينما يكتشف زعماء تلك الانقسامات هذه الحقيقة.

ومع ذلك فإننى أعود وأكرر مؤكدا على فكرتى عن موضوعية التعددية الماركسية التى توصلت إليها بفهمى للمنهج الماركسى فى تحليل الواقع الاجتماعى فى مصر، وواقع الطبقات الكادحة - العاملين - على وجهة الخصوص.

إننى أعتقد بأن الاتجاهات الرئيسية فى الحركة الشيوعية المصرية نشأ كل منها كحزب له خصوصيته الفكرية الكاملة فى السياسة والتنظيم والتوجه الجماهيرى، وبالتالى لم تكن المشكلة منذ البداية مشكلة وحدة، بل - فى الأساس مشكلة اعتراف ديمقراطى متبادل بالتعددية، والتعامل فيما بين هذه الاتجاهات على هذا الأساس سواء تعاونا أو نقدا.

وسأعرض إلى حدثين وقعا عشية وحدة يناير ١٩٥٨ لهما دلالة حاسمة فى إثبات فكرتى هذه، وللأسف فإن هذين الحدثين لم يدخلا دائرة التحليل لمغزاهما من قبل وبمعرفة معظم الباحثين فى والدارسين لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية:

الحدث الأول: هو مؤتمر طليعة العمال فى عام ١٩٥٧ والذى حولها إلى حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، ولن أتعرض فى هذا الموضوع للدعايات

المغلوطة وغير الصحيحة التى تتهمت عقد المؤتمر بأنه عملية تكتلية سابقة للوحدة أو أن الهدف منه التعبئة ضد المنظمات الأخرى لأن الكتاب الوثائقى الذى أصدره الأستاذ أبو سيف عن طليعة العمال يرد وثائقيا على هذه الدعايات. لكن ما يهمنى هنا هو أثر المؤتمر ونتاجه الفعلى ذو الدلالة الحاسمة التى أشرت إليها.

صدرت وثائق المؤتمر "خطة سياسية، ولائحة، ثم أضيف إليها مؤخرا "تقرير عن الوحدة (وألحق بالتقرير الأصلى حول تحويل المنظمة إلى حزب)، أقول صدرت هذه الوثائق فى فترة انطلاق غير مسبوقة لطليعة العمال. كنا فى الشوارع نتسلم خلايا المرشحين الذين تم تجنيدهم ندرس معهم الخط السياسى واللائحة وبعد موافقتهم نبدأ معهم اجتماعات (وهم مرشحون) لدراسة وثائق المؤتمر بمحضر جلسة مكتوب، وتتطلب الدراسة للوثائق التعرض لموضوعات نظرية، ويسجل فى المحاضر ملاحظات الخلية، ذات الأمر فى خلايا الأعضاء ولكن فى هذه الأخيرة ينتهى التصويت بانتخابات مندوب أو مندوبى الخلية فى مؤتمر القسم، ثم ذات الأمر فى الأقسام، وفى المناطق، مجلة النشرة بها صحوة وانتظام غير مسبوقين، تنشر ملخص محاضر الجلسات (مرشحين وأعضاء وأقسام ومناطق) وتركز على الملاحظات والانتقادات، ثم تشير إلى الأخذ ببعض هذه الملاحظات. هنا مجموع العضوية والكادر هو الذى وضع وثائق المؤتمر. كل هذا تم فى سرية ناجحة لم تتسرب فيه شبهة لا للسلطة أو للمنظمات الأخرى، وأى شخص عادى بمكنه أن يرتب على هذا العمل الخطير وغير المسبوق نتيجة أساسية لا جدال فيها ألا وهى أن مراحل مؤتمر طليعة العمال منذ عام ٥٦ وحتى عام ١٩٥٧ أوجدت فى المجتمع المصرى، وأكرر فى المجتمع المصرى، كتيبة موحدة فكريا؛ على قناعة عقلانية حتى النخاع بهذا الفكر لأن مجموع أفراد هذه الكتيبة هم صانعوه بأنفسهم، أى أوجدت حزبا متماسكا بقوة وعمق، لا يحتاج أفراده لاتصالات جانبية أو تكتل. ...فكل منهم أعد كمقاتل فى المجتمع معرض للعزلة فى أى موقع وعليه المبادرة والاستمرار فى النضال.

مثل هذا الكيان لا يمكن تصور أنه سيذوب فى أى كيان آخر، هو ببساطة سيناضل حتى الموت لكى يستمر :لا كأفراد وإنما كفكر ومنهج وأهداف. وهذا ما حدث من الغالبية الساحقة لهذا الكيان حينما رفضوا تحول بعض قادتهم إلى ما اعتبروه اليمين،

ذلك رغم حبهم واحترامهم لهؤلاء الزعماء، وهذا يفسر لماذا كان أفراد هذا الكيان، ودون أى تعبئة أو اتصال عرضى أو طولى أو أياً كان، هم القوة الرئيسية الضاربة فى مواجهة ما أسميناه بالتحريفية أو بالانتهازية اليمينية. إذن هنا حزب له خصائصه ومقوماته المتميزة وفى رأيى أنه، ديمقراطيا، كان يتعين أن يظل هكذا، ومن حقه ذلك.

والحدث الثانى: هو انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ فى دائرة العباسية، حيث كان يوجد مرشحان، مرشح الحكومة عبد العزيز مصطفى، ومرشح الشيوعين د. عبد العظيم أنيس، وكان يوجد أيضا نظريا حزبان شيوعيان: العمال والفلاحين، والمتحد (وحدة الموحد والراية)، ولكن فى هذا الحدث شديد الخطورة اتفق العمال والفلاحين والراية على تأييد د. عبد العظيم أنيس ولنلاحظ اتفاق ع.ف. والراية وتبخر ما سمى بالحزب الشيوعى المتحد، وأيد الموحد (عمليا حدتو) عبد العزيز مصطفى مرشح الحكومة. ودار صراع مرير بين الجانبين صراع فى الشوارع، وسط الجماهير، هذا الصراع له لدى كل طرف شعاراته ولافتاته وبرامجه وأساليب عمله فى تعبئة الجماهير واستقطابها. ...الخ..... ولم يحسم هذا الصراع إلا بتدخل دموى للسلطة لصالح مرشحها ومرشح حدتو فى ذات الوقت.

ألسنا هنا أمام ثلاثة أحزاب متميزة، اتفق اثنان منها على موقف، واختلف الثالث معهما ؟ وهل يختلف اثنان على أن وحدة هذه الأحزاب بعد ذلك الحدث بأسابيع هى أقرب إلى المسرحية الهزلية أو العبثية لا جد فيها؟ وأليس مما يتسق والفكر العلمى أن تلك الوحدة ما إن تتم وإلا سيبدأ كل حزب فى البحث عن الانفصال والاستقلالية؟ وإذا كنت، بناء على ما سبق، أعتقد بأن وحدة ٨ يناير هى نتاج عدم استيعاب المنهج الماركسى السليم فى تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية، فإننى بالتبعية أعتقد أن اجترار المواقف السابقة من زاوية الانقسامية والتكتلية هو مضيعة للوقت، وأن الحديث عن مسئولية الدفع للانقسام هو نوع من الطوبرية.

فى كلمة، وبالرغم من أننا بعيدون عن التأثير، وليس لنا دور من أى نوع، إلا أنه يتعين أن نكون على المستوى البحثى قد استوعبنا الدروس، واهتدينا للحقائق وعلى الأقل أصبحنا ديموقراطيين بشفافية واقتناع حتى لنا مصداقية فى نقل الخبرة.

أ. رمسيس:

ما هو رأيك فى منظمات الحركة الشيوعية المصرية الرئيسية؟ يكفى الاتجاهات العامة لهذا الرأى.

أ. نبيل:

فى رأيى أن التوجه الفكرى وانعكاساته فى المواقف السياسية لطليعة العمال ولطليعة الشيوعيين وللنجم الأحمر والنواة، كانت جميعها متقاربة وهى الأقرب إلى الصحة بالنسبة للواقع المصرى. والاتجاه المعاكس هو اتجاه الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى. فى رأيى أنه كان اتجاهاً متخبطاً ويمينيا وبه بذور ارتداد قوية جدا، وهذه البذور استمرت وتزايدت وحتى الآن. فإنكار الماركسية على لسان رفعت السعيد مؤخرا، هو الامتداد الطبيعى لكوريل ولخليل وهذه المجموعة. إن دراسته المعنونة «سلفية الماركسية» لا تحتاج إلى تعليق. ولكن حدتو تأسست ونشطت برايات ماركسية.. هذه مسألة هامة جدا وتجاهلها سقطة لا تغتفر، لأن هذه الرايات أعطت النضال الوطنى والشعبى تراثاً سيبقى. لجنة الطلبة والعمال مثلاً، ثم أعطته كوادر عظيمة محببة من أمثال الرفيق الشهيد زكى مراد، والرفيق المعلم محمد على عامر، والصحيفين اللذين أدعو لهما بالصحة المهندس فوزى حبشى والأستاذ عريان نصيف. كما أعطت الثقافة المصرية ذلك الزخم التقدمى فى أشعار كمال عبد الحليم وسمير عبد الباقى وفؤاد حداد وأدب يوسف إدريس وغيرهم. ولا ننسى التضحيات والشهداء من صفوفها مثلها مثل كل المنظمات الشيوعية الأخرى.

للأسف الشديد ليس لى تجربة مباشرة مع الراية تجعل لى وجهة نظر فيها الأمر الذى يجعلنى لا أدخل بعمق فى تقييم فكريتها. وفكرتى العامة إن الراية هى مجموعة ماركسية كونتها مجموعة شديدة الذاتية. اعتمدت على صلة فردية مع كادر أو اثنين من الحزب الشيوعى الفرنسى، وليس قيادة الحزب الشيوعى الفرنسى؛ وكانت مجموعة شديدة الانتظام، وأنه «لا شيوعية خارجها»، شديدة المحدودية فى تأثيرها الجماهيرى، لكن شديدة النظام فى مطبوعاتها وهذه مسألة سهلة جدا ولا تعبر عن شئ. معظم نشاطها كان وسط الطلبة، وطلبة مسيحيين فى الأغلب، وعموما من رأيى

هى مجموعة ماركسية ضمن فكرتى عن التعددية والاعتراف المتبادل. لكن لأفيما كاتجاه فكرى هى تخبطت بين اليمين واليسار، تخبطت كثيرا، لكن اتجاهها الرئيسى كان يمينيا؛ لأنها منذ زمن كانت تقبل التحالف مع الإخوان المسلمين فى الوقت الذى كانت تأخذ موقفا عدائيا من الوفد، أى أنها منذ أوائل الخمسينيات اتخذت ذات موقف حدتو فى منتصف الأربعينات ولكن يجب ألا ننسى أن الراية عرفتنا وأمدت الشيوعية بكوادر عظيمة من أمثال الهلالى وفرنسيس كيرليس وسعد الطويل وشكرى عازر وثريا أدهم وفاطمة زكى وغيرهم، كما كان لها صلة ضعيفة بعمال عنابر السكة الحديد ببولاق ولكن بعناصر جيدة. ولكننى أعول كثيرا على الموقف من الإخوان المسلمين. قرأت خطبة للينين فى المؤتمر الثالث والعشرين للأممية وعلى هامش المؤتمر عقد مؤتمر للأحزاب الشيوعية لشعوب الشرق. فنظر إلى ممثلى أحزاب شعوب الشرق الأوسط. (سوريا والعراق وفلسطين) - وقال لهم: أنبهكم ضد الاتجاهات الإسلامية فى حركة الكفاح ضد الاستعمار عندكم. لأن هذه الاتجاهات سيصب نشاطها في نهاية الأمر فى جيوب المشايخ، هؤلاء خارج الحركة الوطنية والإخوان المسلمين بنشأتها فى السفارة البريطانية وعلاقة حسن البنا بمستر إيفانز المستشار الشرقى لتلك السفارة معروفة، ومن بدايات نشاطها كان حرق كنيسة السويس فى مواجهة وحدة الهلال والصليب منذ عام ١٩ وحتى الأربعينات. وهى التى استحدثت فى الحياة السياسية المعاصرة ما يسمى «الأمة الإسلامية» لتهميش بل وتطمس حقيقة أن الأمة هى القومية، وبالتالى تهمش النضال من أجل استقلال الأمة المصرية - الكيان القومى الملموس للشعب؛ ومن أجل تقدم هذا الكيان وتطور الأوضاع به لصالح كادحيه (الصراع الشعبى ضد الذين يستغلون ثروات الأمة لتصب فى جيوبهم) . ثم بعد ذلك يأتى من يقول وحدة أو تحالف مع الإخوان المسلمين هذا طبعا ليس مجرد علامة على اليمينية، إنما هذه علامة على تردى انتهازى يمينى لا نهاية له. إن وجهة نظرى فى هذا الشأن تتلخص فى رفضى المبدئى القاطع لتسييس الدين ولأن يصبح للدولة دين، فذلك معاكس للحضارة وارتداد إلى ما قبل الرأسمالية ومن ثم حائل دون أى تقدم. ولنسأل أنفسنا هل كانت آفاق التقدم الديموقراطى أمام الشعب الإيرانى مثلاً أوضح وأيسر إبان حكم الشاه أم الآن فى ظل حكم آيات الله ؟! إن تقييمنا للموقف من منظمات الدين السياسى السلفية يتعين أن يكون حاسماً.

أما بالنسبة للخطوط الفكرية التى عالجت المواقف من منظور الانحياز للكادحين فكانت دائما تأتى فى المواقف والمبادرات التى لكوادر طليعة العمال والنواة والطليعة الشيوعية والنجم الأحمر أتحدث عن جمهرة الكادر. فى رأيى مثلا عندما نأتى للحزب الواحد، فإن أرقى تحليل وأقربه إلى محاولة تحسس الواقع المصرى (الذى لم نستوعبه حتى الآن. لا تاريخيا ولا علميا) هو ما ورد فى خطة مايو ١٩٥٩ لا قبل ذلك ولا بعد ذلك، ولا من طليعة العمال ولا من أى منظمة منفردة، لكن خطوط طليعة العمال والنواة والنجم الأحمر وطليعة لشيوعيين هم وكوادرهم هى التى أفرزت خطة مايو وليس اتجاها واحدا. هذا الاتجاه الذى كان من الصنف أن كوادره هى التى تولت مهمة قيادة الحزب بعد ضربة يناير وضربة مارس ١٩٥٩. كان هذا نتاجها، وكان أقربها لتكييف الواقع المصرى فى ذلك الحين. وكان من المفروض لكل التحليلات التى تأتى بعد ذلك أن تنبثق وتتأسس على هذا التحليل. وهذا ما اتبعته شخصياً فى أبى زعبل حينها كتبت التحليل الذى أقرته قياده المعتقل كما هو لإجراءات التأميم فى يوليو ١٩٦١، والتى انتهت فيه إلى أنها تأميمات رأسمالية، ولتأمين النمو الرأسمالى، وسيحصل الرأسماليون على فائض قيمة العمل من خلال الحد من العام لفائض القيمة». (حسب تعبير لينين).

أ. رمسيس:

لم يذكر أحد خطة مايو أبدا فى أى شهادة

د. فخرى:

فى كتابى أنا. ظللنا نتذكر عناصرها الرئيسية أنا ونبيل.

أ. رمسيس:

فى الشهادات؟

د. فخرى: (توضيح)

لا. فى الشهادات لا. وكتبنا عرضاً لخطة مايو مع نبيل، عندما ظللنا نتذكر. لكن هى فيها فكرة احتكار. هذه هى التى نسيها نبيل، ولكن على العموم كلينا شارك فى الخطة.

أ. نبيل:

فى هذا السياق دعونى أطرح: عندما يقول لى أحد «بنك مصر» هو الثورة ، و«الثورة هى بنك مصر». و«الثورة لا يمكن أن تستغنى عن أحمد عبود باشا» - هذه خطبة جمال عبد الناصر- عندما يقول ذلك ويصدر قبلها قانون ١٩٥٥ للاستثمار. فإن القول بأنه اشتراكى يصبح ادعاءاً كاذباً بدون البحث فى المبررات الفكرية المفبركة.. أى تكفى فقط المعايير الأخلاقية؛ ألا يثبت ذلك أهمية خطة مايو ١٩٥٩؟

حتى التأميمات، رأيى أن الفكر القديم للمنظمات المنفصلة: طليعة الشيوعيين وطليعة العمال والنجم الأحمر والنواة - هى التى أوصلتنا فى أبو زعبل لأفضل تحليل للأوضاع الطبقية ولتكييف التأميمات التى قام بها عبد الناصر والذى كتبته أنا - والتى يكملها - حقيقة - الدراسات والتوجهات التى انتهى إليها المرحوم رجائى طنطاوى فيما يتعلق برأسمالية الدولة والبيروقراطية الرأسمالية.

أ. رمسيس:

أكملها بعد ذلك أم أيامها ؟

أ. نبيل:

بعد الإفراج قبل الحل وبعده، ولكنها تبلورت لديه قبل مرته بسنتين أو ثلاثة

د. فخرى:

صادق سعد كان قد تكلم فى رأسمالية الدولة البيروقراطية.

أ. نبيل:

تكلم فيها، أيضاً - بخلاف صادق - وديع ساويرس وحمدى عبد الجواد لكن كانت إرهاصات، الذى بنورها كاملة على بعضها رجائى طنطاوى حتى وهو على فراش الموت. اتصل بى، وقال لى، هل تتذكر كلامنا عن رأسمالية الدولة البيروقراطية؟ كان قد حدث انهيار الاتحاد السوفيتى، قلت له هذا كلام هام جدا، وهو كلام الساعة الآن. قال لى: مر علي، ولم أتمكن من فعل ذلك للأسف، الهجوم الشديد الذى تعرض له هذا الفكر، ومحاصرته من قبل المراجعين مستغلين عوامل ثانوية بعد الإفراج:

الضيق الذى يمر به الناس والتهديد بالاعتقال مرة أخرى، كل ذلك أدى إلى سيادة فكر مراجع بالكامل. فكر غير ماركسي- فكر تابع للبرجوازية ولما سيطر هذا الفكر، فلابد أن يحل الحزب. الشئ المنطقى مع هذا الفكر المراجع عن التوجه الاشتراكى للسلطة هو: لماذا حزب شيوعى؟ لا داعى له. ولماذا كفاح وسجون ومعتقلات؟ ما علينا إلا أن نندمج و «نصلفن» الاشتراكية المنحرفة قليلا واللى تطرفت أحيانا فأممت حتى المخبز والمحل الصغير. هذا هو الموضوع.

أ. رمسيس:

المراجعة جاءت فى شهور قليلة أو فى فترة قليلة بعد الخروج ما الذى جعل هذه المراجعة تكون شاملة وتكون حاسمة من وجهة نظرك؟

أ. نبيل:

هناك عوامل ثانوية خارجية سهلت هذه العملية، ثم أنها لم تكن سريعة فعواملها والسعى إليها بدأ من أول يوم فى حياة حزب ٨ يناير. الانقسام، ثم فى المعتقلات.

أ. رمسيس:

يعنى القيادة التى كانت تقول احتكار وإسقاط و التى كانت تقول برجوازية وطنية. بعد أن خرجنا بشهور قالت اتجاه نحو الاشتراكية.

أ. نبيل:

كلهم كانوا من الداخل هكذا و كان هناك اتفاق.

أ. رمسيس:

كان هناك اتفاق؟!

أ. نبيل:

نعم كان هناك اتفاق ومع الحكومة أيضا. هذا الاتفاق لا يقال حتى الآن. لكن لطفى الخولى قاله علنا فى حفل تأبين أحد الرفاق* فى التجمع، قال «نعم كان هناك اتفاق وكنت واسطة هذا الاتفاق وأرسلت للواحات به».

* هو الرفيق الراحل لويس بقطر.

أ. رمسيس:

هنا الذى جعل القيادات التاريخية لطليعة العمال مثلا - مثل سيف وغيره وغيره يغيرون ويأخذون الخط الذى تسميه مراجعة.

أ. نبيل:

سيف غير قبل ذلك - منذ أيام التأميمات. عندما جاء إلى الواحات بفكر مختلف.

أ. رمسيس:

نعم، لكن لم يكن قد وصل لهذه الجزئية. فما الذى جعل غالبية القيادة تغير.

أ. نبيل:

أبو سيف يوسف غير بعد التأميمات. منذ ١٩٦١ عندما جاءنا فى الواحات جاءنا وقد غير. وكانت الأغلبية فى اللجنة المركزية قبل مجئ أبو يوسف كانت ضد التطور اللارأسمالى. تتكلم عن البرجوازية الوطنية والرأسمالية الكبيرة ورأسمالية الدولة.

عندما حضر أبو سيف عمل التحويلة التى غيرت الأغلبية فى اللجنة المركزية من أغلبية كان فيها ثلاثة فقط يقولون بنظرية التطور اللارأسمالى: فؤاد مرسى واسماعيل صبرى وسعد زهران - إلى أن أصبح الذين يعارضون فى اللجنة المركزية هذا المنهج ثلاثة. لويس، حسن صدقى، فخرى لبيب. وأصبح كله اتجاه التطور اللارأسمالى.

منطقة السجن كانت غير ذلك. منطقة المعتقل، كان أغلبها ضد هذا الفكر ومع تحليل رأسمالية الدولة لتأمين النمو الرأسمالى.

ولكن هذه «التحويلة» فى ل.م. أدت إلى تفكك وإلى تسرب أفكارها بمعرفة «الأفق»

فكنت أسمع عن الأوضاع فى ل.م. وكنت أتولى مجلة الطريق. كنت أهاجمهم. وكانت حدتو تعلق يفط ضدى على حوائط العنبرين قائلة فيها «تلميذ اليهود».

أ. رمسيس:

الشئ الثانى أين الكوادر؟... هم غيروا ولكن؟ أين الكوادر فى الخارج بعد الإفراج؟

أ. نبيل:

أولا عدد كبير من الكوادر المؤثرة كان قد استشهد، ثم الدمار المعيشى والعائلى شتت الناس. آباء خرجوا وجدوا أولادهم شبانا، وشباب خرج فى سن كبيرة بدون عمل أو لم يكمل تعليم.

أ. رمسيس:

الذين استشهدوا ليسوا كثيرين. حالة رهيبة تم استغلالها أحسن استغلال.

أ. نبيل:

لا، كثيرون، كم عندنا؟ عندما تضع لويس إسحاق فى الصعيد. انتهينا. عندما تضع رشدى خليل فى القاهرة. انتهينا. وعبد القادر مفتاح فى بنى سويف رأسه برأس شبل وأكثر. هذه مراكز حاكمة.

أ. رمسيس:

ماذا أيضا بالنسبة للكادر. لا يمكن يكون هذا عامل وحيد. كان موجود فلان وفلان.

أ. نبيل:

وهناك عامل لايمكن تجاهله ساعد على زحف اليمين، وأنا اعتبره عاملاً داخلياً يتمثل فى حقيقة أن الناس كانت تعبت.. اعتقلوا خمس سنوات عزلوا فيها عن العالم وعن الأهل وعذبوا وجرعوا والمريض حرم من العلاج ثم خرجوا ليجدوا عائلاتهم مشردة ومدمرة، وهم بلا دخل لأنهم كانوا قد فصلوا من أعمالهم لحظة اعتقالهم. فالناس ذهبت للبحث عن أكل العيش. كنت فى منطقة القاهرة. أردت أن أجمع المنطقة ولم أستطع. فالذى سافر، والذى يبحث عن عمل. الناس تفتتت. والذى تبقى عدد قليل.

ثم هناك مخطط عبد الناصر لتصفية الحزب الذى بدأ بالاعتقال وحملات الدعاية الكاذبة وتلاه الإفراج فى أنسب وقت له والذى يوضح لنا تداعيات تطور الأمور نتذكر قليلا بالرجوع للأصل: ناصر كان قد صرح لإريك رولو فى منتصف صيف ١٩٦٣

بأنه قد تقرر الإفراج عن الشيوعيين وقال إنهم كانوا سيخرجون منذ سنة ١٩٦١ لكن جاء انفصال سوريا عطل المسألة بعض الشئ.. نأمل التوقيت.

طبعا لو خرجنا سنة ١٩٦١ وحدث انفصال سوريا كنا كسبنا أرض عبد الناصر بالكامل، لأن أفضل جزئية فى دفاع أبو سيف أمام المحكمة كانت عندما تكلم عن الديمقراطية، تكلم عن الوحدة القشرية التى تمت مع سوريا، وإنتقال نظام الحزب الواحد إلى سوريا وإلغاء التعددية هناك وسيادة سياسة مكافحة الشيوعية، وقال إن ذلك يجعل الخيط الذى يربط بين سوريا ومصر واهياً جدا. فى اليوم التالى حدث الانفصال، ذهل المحامون من دفاع سيف وتوقعه الذى تحقق فطلبوا إرساله للرئيس لأنه تجسيد لمصالح الوطن. فى ذلك الوقت كان عبد الناصر قد اتخذ إجراءات يوليو ٦١ الاقتصادية التى جددت شعبيته، ولكن جاء الانفصال بعدها ليطرح بقوة قضية الديموقراطية باعتبارها المحور الحاسم بالنسبة للمصالح الوطنية والشعبية.

فلو كنا خرجنا فى هذا الوقت كنا أخذنا منه الأرض. هو أخرجنا فى الوقت المناسب له، تكسرنا أو غالبية الناس تكسرت وتعبت. موارد الرزق ضيقة جدا لابد يركعوا تحت قدميه ليشغلهم كانت الضربات فى يناير ومارس قد اجتثتنا من جذورنا الجماهيرية. خرجنا لجماهير جديدة تماما: مائتى مصنع عندما اعتقلنا سنة ١٩٥٩، أصبحت ثمانمائة وخمسين مصنعاً. مائتين وثلاثمائة ألف عاملاً أصبحوا مليون ونصف عامل صناعى. وعمال حالتهم مرتاحة، أخذوا مكاسب وضمانات وتأمينات وتأمين صحى وعلاج ومصايف ومساكن فلا توجد لديك رؤية للواقع ولا يوجد برنامج لتعمل هذا يحتاج وقت ويحتاج إمكانيات وأنت لست مفلساً فقط بل وجائع فالناس تشتتت، لم يعد هناك كادر...

ومع ذلك فى الكونفرنس لو شخص واحد فقط صوت ضد الحل كانت النتيجة أصبحت ثمانية ضد سبعة.

أ. رمسيس:

فى الكونفرنس ألم يصوت رجائى طنطاوى ضد الحل ؟

أ. نبيل:

نعم لكن لو أنا وعبد الله صوتنا ضد الحل لم يكن ليتم، نحن الإثنان كنا ضد الحل فعلا.

د. فخرى:

كيف ذلك؟ أعتقد أنه من المناسب أن تتضمن شهادتك موقفك من حل الحزب.

أ. نبيل:

أنا وعبد الله اتفقنا بناء على فكرة من عبد الله إننا نقسم المناقشة والتصويت على شيئين، التمو غير للرأسمالى (التقرير أو المبررات الفكرية) نصوت عليه وحده. وقرار الحل نصوت عليه وحده. نرفض الأول ونوافق على الثانى .لماذا يا عم عبد الله؟ قال لأننا لو لم نوافق سندخل السجن والحل سيتم بعد ذلك ولابد نزيح اللجنة المركـزية وهذه أفضل طريقة لدفعهم لقاع المستنقع وما نريده نفعله بعد ذلك بعيداً عن أعينهم وسلطتهم. ولذلك شرعنا فى عقد مقابلات الاستمرار فى النضال منذ اليوم التالى للحل، وللأسف لم تطل.

وهناك واقعة هامة: أتذكر قبل أن يأتى لى عبد الله. كنت أخذت مشواراً لأبوسيف لمناقشته فى تقرير الحل والتى تطرقت لمسألة دخولنا الاتحاد الاشتراكى قلت له: إفرض لم ندخل الاتحاد الاشتراكى، قال سننشئ الحزب مرة أخرى، خرجت من عنده مندهشاً. هذا كلام أبوسيف يوسف! هى لعبة! نحن نقول إن الحزب ملكا للناس، وأعضاءه ملكا الطبقة العاملة هل سنبيع ونشترى فى الطبقة العاملة المصرية؟ مزاجنا نحل ما نقول أنه حزبها ثم ننشئ لها حزبا آخر؟ ونويت أن أذهب للكونفرنس بعد يومين وأواجههم بإعتبارهم مرتدين وأصوت ضد الحل، جاءنى عبد الله كامل ووافقته على فكرته التى ذكرتها.

أ. رمسيس:

تحدثت عن عوامل ذاتية وداخلية، ما هى بقية العوامل فى رأيك؟

أ. نبيل:

وهناك أيضا عوامل سياسية وفكرية وواقعية فى تاريخ الحركة تعد سبباً لما انتهت إليه. فالحركة ليست جماهيرية كما يجب. ليست لها جذور قومية شاملة فى كل أرجاء الوطن والانحرافات الفكرية تنخر فيها منذ زمن، وعدم رؤية الواقع رؤية علمية صائبة سمة شائعة، وجهودها استنفدت فى التناحر العدائى وفى الحرب بين بعضها

البعض بدلا من تبادل الرأى والتعاون المؤسسين على الاعتراف المتبادل. كل هذا عطل فهم الواقع وعطل بناء قواعد جماهيرية ثابتة وعطل تكوين جذور قوية (مثل الحزب السورى مثلا أو غيره). هذه كلها عوامل موضوعية لا يمكن تجاهلها علمياً وعملياً. ولكن يهمنى أن أسجل ما يلى: أنه إذا كان قد تم حل الحزب الذى أعلن فى يناير ١٩٥٨ إلا أن الشيوعية لم تنته فى المجتمع المصرى. وحالتنا ليست شاذة، فالحزب الشيوعى الألمانى أبيد، ثم حكم، والحزب الشيوعى الروسى فى ١٩٠٧ أصبح جزراً متناثرة على رأى لينين، وفى ذلك الوقت قال «طأطئوا رؤوسكم للعاصفة»، و «أصبحنا لا نزيد عن مائتى شخص فى كل روسيا المترامية الأطراف». المسألة ليست مسألة عدد وإنما فكر يعكس مصالح اجتماعية فعلية. فى كونفرنس الحل نفسه وجد سبعة رفضوا حل الحزب بخلاف من هم خارج الكونفرنس، كل هؤلاء قالوا: الحزب يستمر منذ أبريل ١٩٦٥، واستمر. وبعدهم ناس استمرت وبعدها الشيوعية وصلت للتعددية. حزب العمال الشيوعى قاد الحركة الطلابية فى السبعينيات ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨ وأضطر السادات أن ينشئ الجماعات الإسلامية فى مواجهته ولمحاربته. فالشيوعية موجودة وأعتقد أنه بالضرورة توجد حاليا مجموعات شيوعية يسميها، وقادتها، تقرير الأهرام الاستراتيجى السنوى. ما يسمى بحزب ٨ يناير ١٩٥٨ هو مرحلة من مراحل الشيوعية المصرية وقيادته كانت انتهازية وتم حله. وهذا ليس جديداً وليس ظاهرة مصرية. الحزب الشيوعى الصينى نفسه صفى أيام لى لى سان وجاءت قيادة أخرى قبل ماوتسى تونج تخبطت فى الانحراف اليمينى ثم اليسارى والحزب صفى تقريبا فقام ماوتسى تونج وبدأ (مع مجموعة قليلة) من جديد ووصل إلى قيادة تحرير الصين. ليست المشكلة عدد ورأيى أن القول بأن الشيوعية حلت فى مصر غير صحيح وأعتقد أن التطور فى النظام السياسى المصرى وتعمق فكرة التعددية الحزبية نتيجة لذلك ستؤدى إلى وجود أحزاب ماركسية علنية فى مصر ولكن ستبقى القضية هى: هل سيتداركون كبوات الماضى ويدركون أن آفاق الحضارة البشرية تتسع للتعددية وتتطلب ديموقراطية الممارسة فى علاقاتهم بمثل ما يطالبون بأن تعاملهم به أحزاب البورجوازية (على الأقل)؟!

د. فخرى:

ما الذى قاد فكر العمال والفلاحين إلى فكرة التطور اللارأسمالي، ويكون على رأس هؤلاء من المفكرين أحمد صادق سعد قمة اليسار، هل هناك جذور فكرية؟

أ. نبيل:

معظم إن لم يكن كل الكوادر الأساسية لطليعة العمال التى تعيش حتى الآن لم تقل فكرة التطور اللارأسمالى وأحمد صادق سعد لم يقل التطور اللارأسمالى. أحمد صادق سعد كان أحد المجموعات المؤسسة بعد الحل. ثم إن كتاب سيف الذى يعرض لوثائق المنظمة يرد بحسم على التساؤل حول الجذور الفكرية، ولذلك لا داعى لتعرض لها فيكفى للمؤرخين الرجوع للكتاب.

أ. رمسيس:

ولكن من الثابت أن الكوادر الأساسية فى طليعة العمال حولت إلى طريق النمو اللارأسمالى؟

أ. نبيل

إننى أفرق بين أفراد قليلين قياديين وبين مجموع الكادر الأساسى وفى حدود معلوماتى القليلة عن المنظمات الشيوعية التى نشأت بعد الحل، فإن معظم الكوادر المؤسسة فيها من طليعة العمال - معظمها. ثم إن كل من رفضوا حل الحزب فى ١٩٦٥ كانوا من كوادر طليعة العمال. وهنا تكمن الدلالة وليس فيمن تنبه بعد هزيمة ١٩٦٧ إلى «خطأ» حل الحزب.

الحقيقة إذن هى أن الغلبة الساحقة من كوادر طليعة العمال لم يرفضوا الحل فحسب بل لم يستسلموا له. ولكن من المهم لنا الآن النظر للحركة الشيوعية فى توجهها الجماهيرى بغض النظر عن الخطوط السياسية. فى رأيى أن التوجه الجماهيرى يرتبط بفهم الواقع بصفة أساسية. ولكن فى حد ذاته من الممكن أن يأتى بالحس الطبقى العادى. أنت تتوجه ناحية من ولمن توجه خطابك التقدمى؟ رد أى منا سيكون: للعمال والفلاحين. وفى بلد مثل مصر (المرحلة التى نتكلم فيها هى فى الخمسينات) كان الفلاحين أغلبية ساحقة بشكل غير عادى كان عدد العمال الزراعيين ضعف عدد العمال الصناعيين وظل كذلك حتى الستينات وكان لهم قانون (لا يطبق) للحد الأدنى للأجور وكان أجرهم ريال فى اليوم وكانوا يعطونهم ستة قروش ومع ذلك كل الشيوعيين - بما فى ذلك من يفخر بتوجهه للحركة الفلاحية - نستطيع أن نقول، ونحن

مطمئنين تماما، أنهم معزولون تماما عن الحركة الفلاحية وعجزوا عن أن يجدوا برنامجا لها وبالتالى عجزوا عن أن يجدوا برنامجا سياسيا للشعب المصرى كله لأن الفلاحين ليسوا جيش الثورة فقط لكنهم مؤهلون لإفراز كوادر رئيسية لك فى فترة من الفترات. وهذا هو ما فعلته قيادة ماوتسى تونج فى الزحف الطويل.. فعلته نتيجة لفهم علمى عميق للواقع الصينى.

بدون هذا التوجه لم تكن لتوجد خطة التوجهات الثلاثة التى تسربها الصين الآن وأولها تطرير قوى الإنتاج الوطنى قبل الحديث عن أى اشتراكية. ثم الكلام الذى قاله لينين سنة ١٩٢٢ وكان يدافع فيه عن رأسمالية الدولة. منذ عام ١٩٢٢ لينين لم يتكلم عن الاشتراكية أبدا. وقال لا توجد عندنا اشتراكية وتحقيقها يحتاج لفترة طويلة جداً، نحن لدينا رأسمالية الدولة. وهاجموه. وقالوا أنه أصبح يمينيا وارتد عن الاشتراكية. قال لهم: «أنتم لا تفهمون شيئا، فكنا نقول الثورة فى أوروبا ستلحق بنا ونعتقد أن دول المراكز مثل ألمانيا ستدركنا لكن ألمانيا لم تدركنا ولم تستطع مساعدة ثورتها فلابد من مرورنا برأسمالية الدولة وبتمليك الفلاحين للأرض، هذا الذى قاله لينين وقال ،أن ذلك سيستمر لفترة طويلة جدا، وتكرس مؤتمر ١٩٢٢ للحزب والمؤتمر الثانى والثالث للدولية الثالثة لهذا الموضوع بالكامل موضوع رأسمالية الدولة. وفى هذا السياق نبه لينين إلى: «.......» أننا لذلك - نحتاج إلى تفعيل السوفييتات والنقابات لتحمى العمال من دولتهم. ومرة أخرى نرى أن المعرفة العلمية للواقع هى الأساسى، وحينما قلبها ستالين ضاعت الثورة [مؤقتا]. فالتوجه الجماهيرى للحركة الشيوعية المصرية لم يكن. مثل الحزب لشيوعى السورى حيث لا تجد به المنظرون قليلون لكن توجههم الجماهيرى بالحس العادى. لمن يتوجهوا ولمن يتكلموا؟ فتكون لهم جماهيرية وينشئون قواعد جماهيرية قوية ويظلون ويصمدون والانقسامات وسطهم لا تكون سهلة هذا ليس معناه إننى غير متحفظ على بعض أشياء بالنسبة لفكر الحزب الشيوعى السورى وسياساته، لكننى أتكلم عن التوجه الجماهيرى فى حد ذاته. كنا مقيدين، وكانت صراعاتنا الداخلية تستنزف قوانا الداخلية أكثر من توجهنا للجماهير. فنحن أنجزنا جماهيرية ممزقة، فى أماكن معزولة عن بعضها. وحتى فى الحركة العمالية رغم أن ذلك كان ممكنا فى فترات مختلفة إلا أننا عجزنا عن أن ننشئ حركة عمالية موحدة

فى مصر - ليست حركة عمالية موحدة تحت قيادتنا، إنما حركة عمالية نشيطة موحدة، مستقلة عن البورجوازية فهذا نقد لابد منه وهذا كله نتاج للركام الذى تكلمنا فيه تنظيمياً وفكريا وسياسيا فى الشهادة كلها وأساسه هو عدم دراسة وفهم المنهج الماركسى، عدم أخذ الماركسية كأداة لتحليل الواقع. إن من وضعوها أنفسهم رفضوا ما يمكن أن نسميه النصوصية، ولهذا السبب كنا كلنا ستاليتيين متحجرين: لاشيوعية خارج كل منا، نطالب السلطة بأن تعترف بنا ونحن لا نعترف ببعضنا، والطوبوى الطيب يزعق الوحدة. الوحدة، بينما الواقع أن النشأة هى أحزاب لها عنوان ماركسى، ولكن كل منها بمضمون ورؤية وبتدرجه لقوى اجتماعية مختلفة، إذن فالصواب هو فى الاعتراف المتبادل الذى لو تم لما كان كل هذا العناء، ولا العداء، ولا الشتات إلى أكثر من أربعين منظمة، ولا الحصاد الضئيل لتضحيات ستين عاماً إذ كان سيصبح التنافس حول فهم واقع مصر وكادحيها هو الشغل الشاغل - الرئيسى - للجميع .. وكان سيتزايد باستمرار ثراء، وقوة، ورسوخ النضال الشاق - المتعرج والطويل - وهذا هو لامتلاك كادحى مصر لناتج عملهم - من أجل المعتقد الجوهرى لأى ماركسى.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكي المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعي المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٢
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلي، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٢
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضًا بالفجر الجديد عام ١٩٤٥ (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكري، رشدي صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون). ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال في بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري عام ١٩٥٧ .	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د.حسونة من الحزب الأول وعدلي جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزي جرجس وعبد الفتاح القاضي، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرون.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)	الحركة المصرية + إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثوري	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدي عطية الشافعي وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحي الرملي	١٩٤٧
١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدني سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيري وفاطمة زكي وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تماماً كالعمالية الثورية، والتكتل الثوري.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شرقي الخطيب وسعد رحمي وآخرون لتضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدني، ميشيل كامل، فاطمة زكي وآخرون)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعي مصري (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجي أفلاطون، إبراهيم المانسترلي وآخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلي، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزي حبشي وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمي (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمي، يحيى المازني وآخرون).	١٩٤٨
٢٤	اتجاه النضال الثوري	إبراهيم عرفة وآخرون. امتداد العصبة الماركسية بعد	١٩٤٩

٢٥	نواة الحزب الشيوعي المصرى	تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى وبقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٣٦	الحزب الشيوعي المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشوباشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعى، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعي المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعي + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٤
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعي المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٤	الحزب الشيوعي المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعى المصرى (حدتو).	١٩٥٨
		طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة	

٣٥	الطليعة الشيوعية (طش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التي خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعي المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعي المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات. (رمسيس لبيب).	١٩٦٢

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة باحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود حت- حنان رمضان

قائمة مطبوعات

مركز البحوث العربية والأفريقية

١٩٨٧-٢٠٠٥

١. فؤاد مرسي، مصير القطاع العام في مصر، ١٩٨٧.
٢. لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية في مصر، ١٩٨٨.
٣. رشدي سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.
٤. عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية في الصحافة، ١٩٨٨.
٥. ودلد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.
٦. أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة في فكر مهدي عامل: أعمال ندوة فكرية، ١٩٨٩.
٧. إبراهيم برعي، دليل قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي ١٩٨٩/١٩٥٣.
٨. إبراهيم العيسوي، المسار الاقتصادي في مصر وسياسات الإصلاح، ١٩٩٠.
٩. إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠
١٠. أحمد عبد الله (تحرير)، انتخابات البرلمانية في مصر، نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.
١١. حيدر إبراهيم، أزمة الإسلام السياسي، الجبهة الإسلامية القومية في السودان، ١٩٩٠.
١٢. نادر فرجاني، الأزمة العربية الكبرى ودور المثقفين، نشر مشترك مع لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، ١٩٩٠.
١٣. محمد عبيد غباش، من لا يعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ١٩٩١.
١٤. ألفت الروبي، الموقف من القص في تراثنا النقدي، ١٩٩١.
١٥. محمد علي دوس، حياة مرارة في العمل السياسي العربي الأفريقي، ١٩٩١.
١٦. أحمد نبيل الهلالي وآخرون، اليسار المصري وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.
١٧. أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدني في ضوء فكر جرامشي (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.
١٨. سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.
١٩. المسألة الفلاحية والزراعية في مصر:أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.
٢٠. جويل بنين، زكاري لوكمان، العمال والحركة السياسية في مصر ج،١

ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢.

٢١. إشكاليات التكوين الاجتماعي والفكريات الشعبية في مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان، ١٩٩٢.

٢٢. أحمد يوسف أحمد: منطق العمل الوطني- حركة التحرر الوطني الفلسطينية في دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان، ١٩٩٢.

٢٣. ليلى عبد الوهاب: سوسيولوجية الجريمة عند المرأة، ١٩٩٢.

٢٤. أحمد محمد البدوى، لبن الأبنوس بزول، ١٩٩٢.

٢٥. مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار،١٩٩٢.

٢٦. إدريس سعيد، عظام من خزف، ١٩٩٣.

٢٧. دارام جاى (تحرير)، صندوق النقد الدولي وبلدان الجنوب، ترجمة/ مبارك عثمان، نشر مع اتحاد المحامين العرب، ١٩٩٣.

٢٨. مايكل دراكوه (تحرير)، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.

٢٩. عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول، ١٩٩٤.

٣٠. نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية فى مصر نشر مع دار الأمين،١٩٩٤.

٣١. آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.

٣٢. لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.

٣٣. على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلي والفقر فى السودان، ١٩٩٤.

٣٤. حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربي،١٩٩٤.

٣٥. لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.

٣٦. جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.

٣٧. عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.

٣٨. صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.

٣٩. عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.

٤٠. بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية في أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥.

٤١. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة

مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٦.

٤٢. سمير أمين (تحرير) لمجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٣. مصطفى كامل السيد (تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٤. سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٥. عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية، ١٩٩٦.

٤٦. جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثاني، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية،١٩٩٦.

٤٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٨. سمير أمين (تحرير)، المجتمع لمدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٩. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٥٠. كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨

٥١. عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨.

٥٢. عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية. نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٣. محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٤. عبد الغفار أحمد (تحرير)، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرين،١٩٩٨.

٥٥. لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٦. نجاتى عبد المجيد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الأول بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٨.

٥٧. لايف مانجر، لغوفة النوبة، ترجمة مصطفى مجدى، ١٩٩٩.

٥٨. أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع

دار الأمين، ١٩٩٩.
٥٩. محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.
٦٠. محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.
٦١. عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.
٦٢. عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.
٦٣. عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.
٦٤. يوسف درويش وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثانى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ لحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٩.
٦٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الأول، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ١٩٩٩.
٦٦. أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
٦٧. فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.
٦٨. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الأولى-يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات فى مصر)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.
٦٩. محمد سيد أحمد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثالث بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٠.
٧٠. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، لمجلد الثانى، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، مارس ٢٠٠٠.
٧١. أحمد مختار منصور، الجراحة فى الحضارة العربية الإسلامية، ٢٠٠٠.
٧٢. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثانية- نوفمبر ٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية فى مصر)، الورقة الثالثة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٧٣. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، إفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثالث، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠٠.
٧٤. حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠
٧٥. أديب ديمترى وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الرابع بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.
٧٦. مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١
٧٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.
٧٨. فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه، فى مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.
٧٩. عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٦.
٨٠. كويسى براه، اللغات لأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، للناشر، دار الأمين، ٢٠٠١.
٨١. فيتينو بيكيلى، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.
٨٢. أحمد القصير وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الخامس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.
٨٣. رمسيس لبيب (تحرير)، العمال فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الأولى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.
٨٤. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، إفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠١.
٨٥. سعد الطويل (تحرير)، الأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الثانية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٨٦. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثالثة- مايو ٢٠٠٢ (مساهمات فى اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٨٧. سمير أمين، مستقبل الجنوب فى عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٨. أكيكي بي مرجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٩. سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٠. يسرى مصطفى (تحرير)، المجتمع المدنى وسياسات الإفقار فى العالم العربى، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢.

٩١. فخرى لبيب، حلمى شعراوى (تحرير)، منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب، بالتعاون مع منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية وعدد من المنظمات غير الحكومية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٢. إسماعيل عبد الحكم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء السادس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٣. عبد الغفار محمد أحمد، فى تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية فى السودان، ترجمة مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٤. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٥. حنان رمضان (تحرير)، المرأة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الثالثة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٦. عريان نصيف (تحرير)، الفلاحون فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الرابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٧. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الخامس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٨. سمير أمين وآخرون، الاشتراكية واقتصاد السوق: تجارب (الصين- فيتنام- كوبا)، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

٩٩. عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٠. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الثاني، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.
١٠١. مدحت أيوب (تحرير)، الأمن القومي العربي، نشر مشترك مع مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣.
١٠٢. طابع أصيفا وآخرون (تحرير)، العولمة والديمقراطية والتنمية: تحديات وآفاق، نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبي أفريقيا (أديس أبابا)، ومركز المحروسة، ٢٠٠٣.
١٠٣. فخري لبيب (تحرير)، الطلبة في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الخامسة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٣.
١٠٤. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الرابعة- مايو ٢٠٠٣ (قضايا حول اللغة العربية والتعبير العلمي)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين في القاهرة.
١٠٥. هويدا عدلي (تحرير)، ثقافة وسائل الاتصال في الوطن العربي: الإعلام والهوية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٦. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدي الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السادس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٣.
١٠٧. سمير أمين، فرانسوا أوتار (تحرير)، مناهضة العولمة : حركة المنظمات الشعبية في العالم، نشر مشترك مع المنتدى العالمي للبدائل، ودار الأمين، ٢٠٠٢.
١٠٨. أحمد برقاوي وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، نشر مشترك مع مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية دمشق ومكتبة مدبولي، ٢٠٠٢.
١٠٩. رمسيس لبيب (تحرير)، الانقسامية وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة السادسة والسابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٣.
١١٠. د. محمد ماهر الجمال، أحمد لطفي السيد: دراسة في الخارطة المعرفية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١١١. عبد الغفار شكر (منسق البحث)، نظام الخدمة العامة في مصر وآفاق تطويره: دراسة حالة محافظة دمياط، بالتعاون مع شبكة الجمعيات الأهلية للتنمية وقضايا النوع بدمياط، ٢٠٠٣.
١١٢. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدي الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السابع، نشر مشترك مع

كونيسريا ودار الأمين، ٢٠٠٤.
١١٣. ريمى هيريرا وآخرون، ترجمة باتسى جمال الدين، الثورة الكوبية... إلى أين....؟ دراسة فى ملامح التاريخ الكوبى واستشراف القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث ودار العالم الثالث،٢٠٠٤.
١١٤. ألـيون سال (تحرير)، ترجمة سعد الطويل، أفريقيا ٢٠٢٥، أى مستقبل؟ نشر مشترك مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، المدينة برس، ٢٠٠٤.
١١٥. دينيس فينتر وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الثالث نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.
١١٦. هاين ماريز، ترجمة صلاح العمروسى وعزة الخميسى، جنوب أفريقيا: حدود التغيير: الاقتصاد السياسى لمرحلة الانتقال نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث وآخرون، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٤.
١١٧. د.أحمد زايد - د.عروس الزبير (تحرير)، النخب الاجتماعية: حالة الجزائر ومصر، نشر مشترك مركز البحوث فى الاقتصاد التطبيقى من أجل التنمية بالجزائر، مع الناشر دار مديولى، ٢٠٠٤.
١١٨. د. حمدى عبد الرحمن -عزة خليل، المجتمع المدنى ودوره فى التكامل الأفريقى، نشر مشترك مع مركز المجتمع المدنى -جامعة ناتال، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.
١١٩. فاروق القاضى، آفاق التمرد: قراءة نقدية فى التاريخ الأوروبى والعربى الإسلامى، نشر مشترك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالأردن، ٢٠٠٤.
١٢٠. جوزيف بوسير وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الرابع نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.
١٢١. سمير أمين وآخرون، الصراع حول المياه: الإرث المشترك للإنسانية، نشر مشترك مع منتدى البدائل العالمى الثالث، الناشر مكتبة مدبولى،٢٠٠٥.
١٢٢. عبد العال الباقورى، وعد بوش.. بلفور الجديد: الحصاد المُر للساداتية، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.
١٢٣. رمسيس لبيب (تحرير وتقديم)، اليسار فى الثقافة المصرية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الناشر دار الثقافة، ٢٠٠٥.
١٢٤. ألفريد نهيما، قضايا السلم المنشود فى أفريقيا: التحولات والديمقراطية والسياسات العامة، نشر مشترك مع منظمة بحوث العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٥.
١٢٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية -

عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٥.

١٢٦. عزة خليل (تحرير)، تقديم سمير أمين، الحركات الاجتماعية في العالم العربي، نشر مشترك مع المنتدى العالمي للبدائل، الناشر مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.

١٢٧. سامية الهادي النقر، الجمعيات الأهلية والإسلام السياسي في السودان، الناشر مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.

١٢٨. عروس الزبير، الجمعيات الأهلية الإسلامية- حالة الجزائر، نشر مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

كراسات المركز

١. أحمد هني، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادي في الجزائر، ١٩٨٨.
٢. عصام فوزي، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية في البريسترويكا، ١٩٨٨.
٣. أشرف حسين، ببليوجرافيا الطبقة العاملة، ١٩٨٨.
٤. عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية في كتابات ناصرية، ١٩٨٩.
٥. مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩
٦. موشي ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسي، البريسترويكا في عيون الآخرين، ١٩٩٠
٧. محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه في الوطن العربي، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.
٨. إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين١٩٩٩.
٩. عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١٠.حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١١.أحمد صالح، الإنترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٢.عريان نصيف (تحرير) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٣.أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة ٢٠٠٢.
١٤.عريان نصيف (تحرير)، التشريع التعاوني في مصر: الواقع.... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
١٥.د.محمد ماهر الجمال، مضامين التربية الشعبية، في مجلة "الأستاذ" لعبد الله النديم، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٦.مدحت أيوب، قضايا في الاقتصاد المصري بعد التكيف الهيكلي، نشر

مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٧. كلــود كاتــز وآخــرون، ترجمة يوسف درويش، إمبريالية القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.
١٨. ســمير أميــن، الفــيروس الليبرالي: الحرب الدائمة وأمركة العالم، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.
١٩. محمــد إسماعيل زاهر، أزمة الوعي العربي بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.
٢٠. بهــيج نصــار، البحــث عن مفهوم للديمقراطية في مرحلة الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.
٢١. الحــركة العمالية المصرية: الخبرة النضالية وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.
٢٢. د. حــامد الهادي، إحصاءات السكان والحيازة الزراعية: تحليل اجتماعي، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.
٢٣. د. ســيد عشماوي، الدراسات الحديثة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث خلال السنوات العشر الأخيرة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.

كتيبات كوديسريا

١- أوكواديبا نولي، الصراع العرقي في أفريقيا، ١٩٩١.
٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية في أفريقيا، ١٩٩١.
٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين في أفريقيا : قيود وإمكانيات، ١٩٩١.
٤- جيمي أديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة في أفريقيا، ١٩٩٢.
٥- مومار ديوب، ممادو ديوف، تداول السلطة السياسية وآلياتها في أفريقيا، ١٩٩٢.
٦- أديمولات - سالو، البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لأفريقيا، ١٩٩٣.
٧- م. مامداني، آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية للديمقراطية في أفريقيا، ١٩٩٣
٨- ثاندبكا مكاندلويري، التكيف الهيكلي والأزمة الزراعية في أفريقيا، ١٩٩٣
٩- آرشي مافيجي، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة في أفريقيا، ١٩٩٣.
١٠- سليمان بشير دياني، المسألة الثقافية في أفريقيا، ١٩٩٦.
١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.
١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير في أفريقيا، ١٩٩٩.
١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء في أفريقيا، ١٩٩٩.
١٤- تادى أكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية في أفريقيا، ١٩٩٩.
١٥- ممادو ديوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطي : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.
١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلي، ٢٠٠٠.
١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة في أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشيلى مبيمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.
١٩-تشيكيلاك. بلياء الشباب والعنف والشارع فى كنشاسا: نسمع ونفهم ونصف، ٢٠٠١.
٢٠-سليمان بشير ديانى، إعادة بناء المعنى: نصوص ورهانات لقراءة مستقبل أفريقيا، ٢٠٠١.
٢١- عثمان كان، المثقفون الأفريقيون المتحدثون بلغات غير أوروبية، ٢٠٠٥.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.
٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.
٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.
٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.
٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.
٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية فى التسعينيات ومابعدها.
٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.
٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.
٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.
١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.
١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.
١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا.

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا.
٢- دراسة حالة فى أوغندا.
٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة.
٤- المبادئ الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.
٥- دراسة حالة فى جامبيا.
٦- دراسة حالة فى أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.
٢- المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية.
٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.

٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية.
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدنى في منع وإدارة وحل الصراعات فى أفريقيا.

النشرات

١- نشـرة الـبحوث العربية:من العدد التجريبي يناير ١٩٩٠ إلى العدد (١٥-١٦) سبتمبر ٢٠٠٣- مارس ٢٠٠٤.
٢- نشـرة المجلـس الأفريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا): من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد الخامس والأربعون، ٢٠٠٤.
٣-نشـرة العلـوم السياسـية الأفريقية: من العدد الأول إلى العدد الثامن والثلاثون، أغسطس ٢٠٠٣.
٤- نشرة الذاكرة الوطنية- مع لجنة التوثيق- العدد الثاني-أكتوبر ١٩.
٥- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار: العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثاني يونيو ١٩٩٧.
٦- نشرة المنتدى العالمى للبدائل: العدد الثالث- فبراير ٢٠٠٢.
٧- نشـرة مـنظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا)، العدد الأول، مارس ٢٠٠٤.

تحت الطبع

١. إسرائيل فى الزراعة المصرية
٢. كتاب حول أمريكا اللاتينية.
٣. المجلد الأول من وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥.
٤. أبحـاث مشـروع المسـألة الفلاحـية والزراعية- لجنة المسألة الفلاحية والزراعية في مصر.
٥. الحركات الفلاحية فى مواجهة تحديات للقرن الحادي والعشرين (ترجمات لمواد مقدمة من د. سمير أمين).
٦. المرأة فى القطاع غير الرسمى.
٧. التعليم العالى والتنمية.